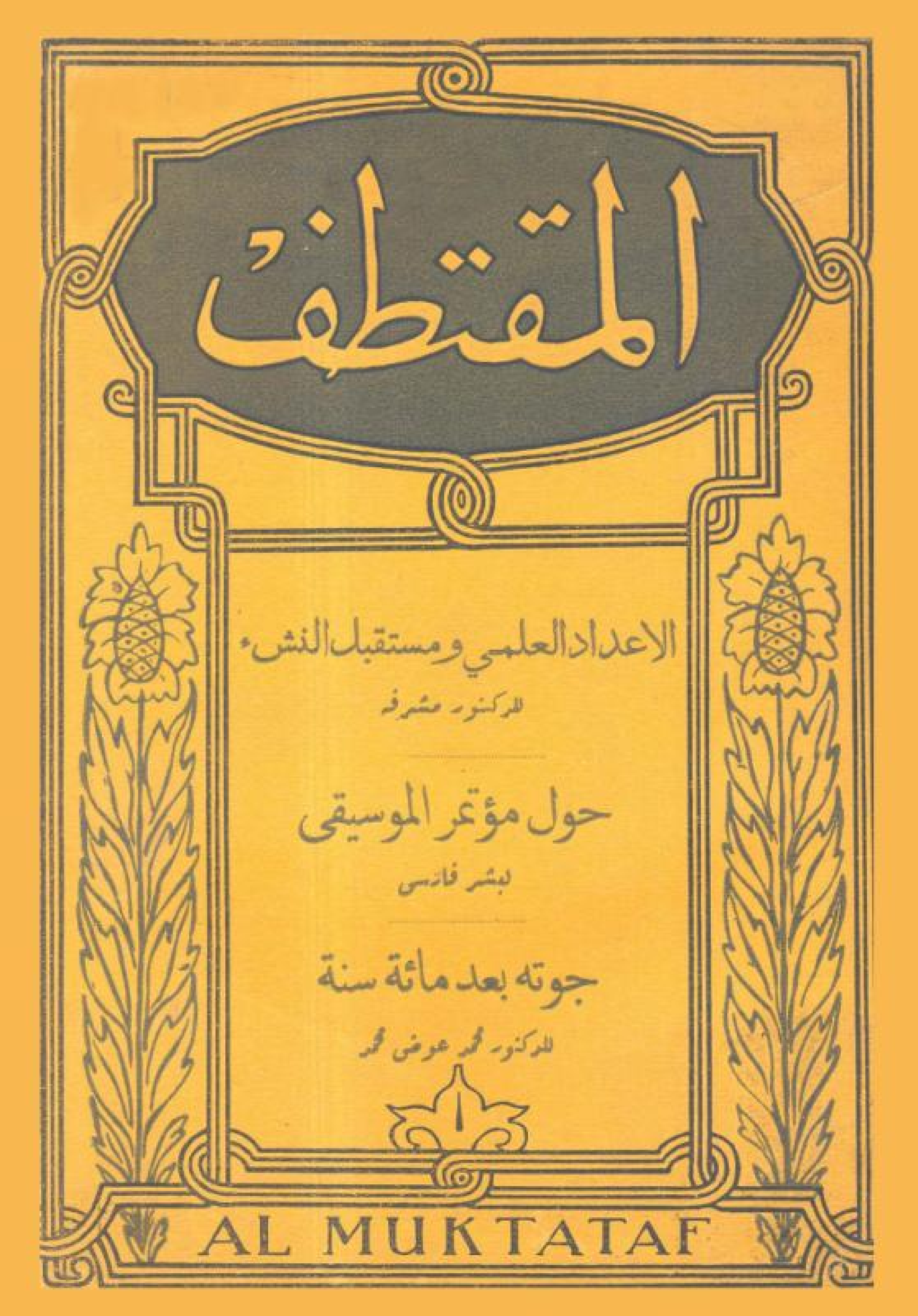


المقتطف
الاعداد العلمي ومستقبل النشء
للدكتور مشرفة
حول مؤتمر الموسيقى
لبشر فارس
جوته بعد مائة سنة
للدكتور محمد عوض محمد
AL MUKTATAF

المقتطف

الجزء الاول من المجلد الثاني والثلاثين

١ يناير (كانون الثاني) سنة ١٩٠٧ — الموافق ١٦ ذي القعدة سنة ١٣٢٤

الدكتور نقولا نمر

يصدق على كثيرين من الناس ما قالهُ الشيخ ناصيف اليازجي في مقاماتهِ

" لا يعرف القوم الفتى الأمتى   مات فيعطى حقهُ تحت البلى "

فكم من رجل يدوي ذكرهُ في الخافقين ويقف الشعراء على بابهِ وتنظم القصائد في مدحهِ ويحتفل بهِ كيفما حل وارتحل ثم اذا مات نُسي اسمهُ ولم يعد يذكر الأَّ كأحد الذين طوتهم الغبراء وكم من رجل يسير بين اقرانهِ فلا تسمع لهُ صوتاً ولا ترى لهُ اثراً من آثار الجاه والجبروت ولا يذكر اسمهُ في الصحف والمجلات مقروناً بالتبجيل والتمجيد بل لا تعلم من امرهِ شيئاً يميزهُ عن سائر الناس ثم اذا فارق الحياة الدنيا عرفت عنهُ ما لم تكن تعرفهُ "كشمعة من عنبر ضاءت فان طُفئت تضوَّع نشرها" وبكاه صحبهُ ومعارفهُ بدموع سخان وذكروا من فواضلهِ وعوارفهِ ما يتضوَّع ذكرهُ كعبير الجنان

على هذا النسق كان صاحب الترجمة فاننا لم نكد نواريهِ التراب حتى سمعنا من افواهِ كثيرين من الثقات ان دأبهُ كان تطبيب الاصدقاء عموماً والفقراء خصوصاً غير طالب أجراً ولا شكوراً . وكثيراً ما كان يطبب المريض ويعطيهِ الدواء ويعودهُ المرة بعد الأخرى الى ان ينال الشفاء ثم اذا عرض عليهِ أُجرة العيادة او ثمن الدواء نظر اليهِ باسماً واشاح عنهُ معرضاً فضلاً عمَّا امتاز بهِ من المهارة في التشخيص واللطف في المعالجة حتى اقد أُقيمت المناحات عليهِ في بيوت كثيرة يوم شاع نعيهُ

وكان يجود بمالهِ كما يجود بعلمهِ لم يقصدهُ ذو حاجة الأَّ قضاها لهُ اذا كان في وسعهِ قضاؤُها وقد وجدنا بين اوراقهِ صكوكاً مضت عليها السنون وهو لم يطالب بها . لا لانهُ كان غنياً فيستغني عن جانب كبير من الاموال كما يفعل بعض الموسرين بل لانهُ كان

يحسب ان فضول المال ذاهبة جزافاً فالقليل الذي يزيد على نفقاتهِ مما يكتسبهُ بصناعتهِ لا يمنعهُ عن المحتاجين اليهِ جارياً على موجب الآية القائلة لا تمنع الخير عن اهلهِ وفي طاقة يدك عملهُ . وهذه الاخلاق التي امتاز بها هي التي دعتنا الى تسطير هذه السطور

وُلد الفقيد في حاصبيا مدينة وادي التيم سنة ١٨٥٨ ويتم من ابيهِ في مذابح سنة ١٨٦٠ فانتقلت بهِ امهُ مع اخيهِ واختهِ الى مدينة صيداء ثم الى مدينة بيروت واقامت على تربيتهم وكانت من فضليات النساء واحسنهنَّ تدبيراً ثم انتقلت بهم الى مدينة القدس الشريف ووضعت الولدين في المدرسة الانكليزية فتعلّما فيها مبادىء القراءة العربية والانكليزية ثم ادخلتها المدرسة الكلية الاميركية في بيروت فاتمَّ الفقيد دروسهُ العلمية فيها سنة ١٨٧٦ وذهب الى دمشق يدرّس في احدى مدارسها ثم عاد الى المدرسة الكلية فدرس فيها الطب ونال الشهادة الطبية سنة ١٨٨٣ . وعُرف بالدعة وسلامة النية وقلة الاهتمام بشاغل الحياة

واشتغل مدةً بتحرير مجلة الطبيب ولهُ فيها مقالات حسان انشاء وترجمةً . ثم قدم هذا القطر وانتظم في خدمة الحكومة طبيباً في الجيش المصري وشهد بعض المعارك الحربية في الحدود وكان اكثر اقامتهِ في اصوان ووادي حلفا فامتلك قلوب اخوانهِ الضباط بشهامتهِ وكرم اخلاقهِ ولين عريكتهِ وتعرَّف بكثيرين من السيَّاح الاوربيين والاميركيين فانهُ كان يعالج مرضاهم ويعتني بهم كأنهم من ذويهِ فلجَّ عليهِ كثيرون منهم بالذهاب الى اوربا واميركا وما زال بعض الاميركيين يلحون في دعوتهِ حتى لبيَّ طلبهم وقصد الولايات المتحدة الاميركية فلقي من اصدقائهِ فيها كل تجلَّة وكانوا يقيمون الحفلات الخصوصية اكراماً لهُ وقد رأينا بين اوراقهِ خطباً تلاها في بعض تلك المجتمعات ومنها خطبة القاها في حفلة دعاهُ اليها ضباط الآلاي السابع من الجنود الاميركية . ويظهر من الخطبة ان رجال ذلك الالاي من نخبة البيوت الاميركية وكانوا يعملون اعمالهم ثم يخرجون للتمرُّن الحربي فقد جاء في الخطبة ما نصهُ

I am really astonished to see that you, the choicest young gentlemen of the best American families of New York, should join this regiment and after attending to your own private business should sacrifice your time to military exercise.

اي " انني متعجب جدًّا من رؤيتي هنا نخبة شبان الأُسر الاميركية في نيويورك منضمين الى هذا الالاي وانكم تضحون وقتكم للتمارين الحربية بعد ما تتمون اعمالكم اليومية ". ثم انتقل الى الكلام على محبة الوطن التي دعت اولئك الرجال الى التطوُّع في خدمة بلادهم

وقابل رئيس الولايات المتحدة ولقي منهُ كل اكرام وكتب رسائل كثيرة عن رحلتهِ هذه

نشرت في المقطم . ولما رأى ان اقامتهُ في اميركا ستطول رغماً عنهُ وعلى خلاف ما قدَّرهُ ارسل واستعفى من خدمة الجيش المصري

وكان كاتباً بالطبع مقتدرًا على الوصف الى حدٍّ يجعلهُ في الطبقة الاولى بين الكتَّاب بالعربية والانكليزية كما يظهر من مقالاتهِ وخطبهِ المنشورة في الطبيب والمقتطف ومن كتبهِ الكثيرة التي كان يراسل بها اصدقاءهُ ولاسيما اذا قصد ان يصف بلادًا مرَّ فيها او حوادث جرت لهُ فان مكاتيبهُ التي بعث بها الينا من اميركا ووصف فيها رحلتهُ اليها لو حفظت ونشرت لجاءت من كتب الرحلات الجليلة وكذلك مكاتيبهُ عن رحلتهِ الى ارثريا في بلاد الحبشة حيث ذهب مرتين لمشاهدة مناجم الذهب فانهُ وصف بها تلك البلاد وصفاً منقطع النظير جبالها ووهادها وانجمها واشجارها وحيواناتها الاهلية ووحوشها البرية واطيارها وحشراتها وعادات اهلها الاحباش ومعايشهم وما هم فيهِ من الفقر المدقع والذل الذي امات نفوسهم وكاد يفنيهم وخصب البلاد وكثرة خيراتها الزراعية والمعدنية وتقلب الهواء فيها وكثرة الضواري في فيافيها حتى كان رجالهُ يضطرون ان يوقدوا النار حولهم الليل كلهُ ردعاً لها الى غير ذلك من الوصف الذي لا يُرى الاَّ في كتب اهل الرحلات الكبيرة كسبيك وستانلي وابن بطوطة

والظاهر ان تقلب الهواء وفساد الماء في تلك البلاد أضرَّا بهِ فرجع في الصيف الماضي منحرف الصحة وأُصيب بداء عياء ضاعت فيهِ حيلتهُ وحيل اخوانهِ الاطباء فذهب الى بلاد الشام مستشفياً وعاد منها وقد تمكَّن الداء منهُ فعلم ان لا مردَّ لما قضاهُ الله وجعل يحدّث بمكارم المرسلين الاميركيين وسائر الاصدقاء الذين اعتنوا بهِ في مدينة بيروت ويودُّ ان يفسَّح لهُ في الاجل لكي يقوم بشكرهم ثم يلتفت الى الحياة الدنيا ويقول مضى شطرها الافضل ولست بمصيب منها غير ما اصبت ولا آسف على ما فات الى ان فاضت روحهُ في الخامسة والعشرين من شهر نوفمبر الماضي قبل نصف الليل بدقائق قليلة وكان قد شعر بدنو الاجل وطلب من الذين حولهُ ان لا يكلموهُ ثم أغمض عينيهِ ولفظ انفاسهُ الاخيرة فذهب الى رحمة مولاهُ

فتىً ينفح الايام من طيب ذكرهِ ثناءً كأن العنبر الورد شاملهُ

وشاع نعيهُ في اليوم التالي فوفد لتعزية شقيقهِ الدكتور فارس نمر احد منشئي هذه المجلة جمهور غفير من الاصدقاء والمحبين وبينهم كثيرون من الامراء والعظماء والرؤساء الروحيين ومشوا بنعشهِ في موكب مهيب الى الكنيسة الانجيلية فصلوا عليهِ ثم ساروا بهِ الى المدفن حيث واروا جسمهُ التراب

منزلاً موحشاً وان كان معمو رًا بحلّ الصديق والاحباب

وبلّوا رمسهُ بسخي المدامع وغطوهُ باكاليل الازهار ولسان الحال يناديهِ قائلاً

عبس الحد والثرى منك وجهاً غير ما عابسٍ ولا قطّابِ
اطفأ اللحد والثرى لبّك المسر جَ في وقت ظلمة الالباب

فيجيبهُ لسان العقل والرجاء نعم

كل بيت للهدم ما بنت الور قاء والسيد الرفيعُ العمادِ

ولكن هذه البيوت من التراب فالى التراب تعود واما النفوس والافعال فلا تفنى ولا تلحد بل تعود الى مصدرها متسربلةً بالخلود . الاَّ اننا لانلام اذا شكونا فراقاً عاجلاً مثل هذا وداء عياء حرمنا مشاهدة خليل الصبا ورفيق الحياة

وفاجعَ موت لا عدوٌّ يخافهُ فيبقى ولا يلقى صديقاً يجاملهُ
سنشكوهُ اعلاناً وسرًّا ونيَّةً شكيَّةَ مَن لا يستطيع يقاتلهُ

وكاس الفراق لا بدَّ منها ولكنها مرة المذاق ولاسيما اذا جاء على غير انتظار وقبل ان تتم تكاليف الحياة . ولقد اصبنا بما اصيب بهِ كلُّ حيٍّ

وادَّبنا ما ادَّب الناس قبلنا ولكنهُ لم يبقَ للصبر موضعُ

فلا عزاء لنا الاَّ بما رأيناهُ من مجاملة الاصدقاء وما عرفناهُ من اخلاق فقيدنا التي تذكر بالمدح والثناء

الاستاذ روبرت وست

لم نكد نكفكف الدمع على اخينا الدكتور نقولا نمرحتى وافانا نعي صديقنا الاستاذ وست احد اساتذة المدرسة الكلية الاميركية وجاءتنا معهُ السطور التالية في ترجمتهِ قال الكاتب:

" منذ ثلاث وعشرين سنة قدم شابٌّ اميركانيٌّ الى المدرسة الكلية الانجيلية في بيروت ليعلّم فيها وبعد مدَّة ضمَّ الى عمدتها وجعل استاذاً للرياضيات ومديراً للمرصد الفلكي وقد اجتمع في ذلك الشخص الادب الرائع والمدارك السامية فأحبهُ التلامذة واحترموهُ وادركت العمدة اقتدارهُ فكانت تستند عليهِ من وقتٍ الى آخر في القيام بمهام عظيمة داخلية وخارجية مثل ادارة اشغال الابنية الجديدة وتدبير حسابات المالية وتنظيم شؤُون الاستعدادية والسعي في ربط مدارس سوريا عموماً بالكلية وغير ذلك من الشؤُون . وكان هذا المقدام لا يبالي بازدحام الاعمال عليهِ فكان يقضي الواجبات بالهدو والسكينة حاسباً خير الكلية خيرهُ .

وكان فوق ذلك مقصداً يقصده التلامذة وغيرهم لاستشارتهِ في امورهم فلم يبخل على احدٍ بوقتهِ. وقد انتدبتهُ عمدة الكلية اخيراً لادارة القسم العلمي " Dean of the College " فنهض باعباء هذه المهمة واخذ يسعى في ادخال اساليب التعليم الحديثة ليجعل الكلية تجري على نمط أعلى كليات اميركا. ومما اشتهر بهِ قدرتهُ على سبر غور التلامذة براجح عقلهِ فلم ينطلِ عليهِ المحال. وكانت علاقتهُ بالمعلمين شديدة فكان ينشطهم باقوالهِ وتصرفاتهِ ويوجه افكارهم الى احدث الاساليب التعليمية ويشجعهم على التأليف ويرغبهم في خدمة الشرق. ومع كل اشغالهِ بالادارة وتدريس الصفوف كان يؤلف في الرياضيات التي لهُ القدح المعلى فيها وبقي مدة يرسل بيان الحوادث الفلكية للمقتطف. وكان الناظر اليهِ لاول وهلة لايدرك مكانتهُ في العلم لتواضعهِ ورغبتهِ عن الفخفخة الباطلة ولكن اقتدارهُ كان يظهر متى تكلم او خطب. وكان من اللجنة الاميركانية التي ذهبت مع الوفود العلمية الى اصوان لرصد كسوف الشمس في ٣٠ اغسطس سنة ١٩٠٥ وخطب السنة الماضية في هذا الشأن فبسط فيهِ الحقائق باسهل صورة

وقد بدأ اعمالهُ المدرسيَّة هذه السنة بهمتهِ المعتادة ومنذ اربعة اسابيع هاجمتهُ الحمى التيفوئدية فاضطربت الافكار عليهِ. وبعد ظهر الاربعاء الواقع في ١٢ ك ا (دسمبر) أحتضر فاجتمع جمهور كبير من التلامذة والمعلمين يدعون الى الله ان يشفيهُ. ولا شك ان هذا الاصل من اكبر الادلة على تعلق القلوب بذلك الشخص المحبوب. وفي آخر الاجتماع دخل رئيس المدرسة واعلن باسفٍ ان الاستاذ وست انتقل بسلامٍ من دار الفناء الى دار البقاء فاخذ الحضور ينتفضون من الم المصاب واجهشوا بالبكاء وتصاعدت زفراتهم ويا لله من هول تلك الساعة بل ما اشد ذلك الليل الذي خيَّم فيهِ الحزن على ابناء الكلية. وبعد ظهر اليوم التالي سير بالجنازة من المستشفى البروسياني يحف بها عمدة المدرسة ومعلموها وتلاميذها مع جمهور غفير من العلماء الافاضل وكانوا يسيرون وكأن على رؤُوسهم الطير من هول النازلة. وما زالوا حتى بلغوا محفل الكلية حيث وضعت الجنازة امام المنبر واخذ التلامذة يضعون عليها الاكاليل العديدة علامة حبهم لذلك الاستاذ الذي كان يحبهم ثم نهض الرئيس الدكتور هورد بلس وقرأ ما يناسب المقام من آيات الكتاب وفاه بخطاب اظهر فيهِ مقام الفقيد وكان الدمع يهاجمهُ اثناء الكلام فيتجلد واي قلبٍ لاينفطر من ذلك المشهد — فقيد في عالم العلم لايتجاوز الرابعة والاربعين من العمر وعائلتهُ بجانب تابوتهِ وهي ستة صغار وامهم التي كانت في تلك الساعة مظهراً للصبر الجميل — وختم صلاة الجنازة الشيخ الجليل الدكتو بلس وهو مستند من الوهن على

بِحِلمهِ وبعد ذلك سير بالجنازة الى المدفن الاميركاني وفيها مئات من طلبة العلم ورجالهِ

ونهار الاحد الماضي اقامت المدرسة للفقيد احتفالاً تذكاريًا فخطب فيهِ عددٌ من عمدة المدرسة واساتذتها وتلامذتها وعددوا مناقب الفقيد وصفاتهِ وهو تلميذ ومعلم ورجل اعمال ورجل دين ومحب للشرقيين وغير ذلك من المحامد الادبية والعقلية

ولا شك ان الشرق يتأَثر كثيرًا لافل نجم من افاضل الغرب الذين وقفوا حياتهم على خدمتهِ ولاسيما مثل الاستاذ وست الذي لهُ الايادي البيضاء في خدمة عدد ليس بقليل من شبان سوريا ومصر وارمينيا وجزائر المتوسط · برَّد الله قلوب آلهِ واصدقائهِ"

بيروت جرجس الخوري المقدسي

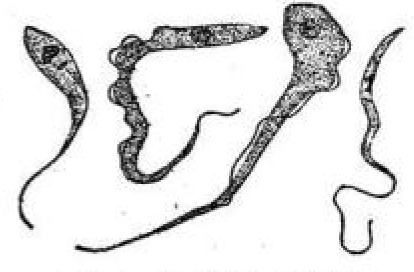
مرض النوم وحلمهُ

من اشهر المسائل العلمية التي سبر العلماء اغوارها وحلوا اسرارها وهتكوا استارها في العشر السنوات الماضية مسأَلة الحيوينات الحلمية او المكروبات التي يسميها علماء الحيوان "البروتوزوى" اي الحيوانات الاولى او الدنيا وعلاقتها بامراض الناس والمواشي · فقد عرف الآن ان هذا الحلَم سبب كثير من الامراض ولا سيما امراض المنطقة الحارة كالملاريا مثلاً فان لاڤران وروس وغيرهما أبانوا جلية سببها وطبيعتها واثبتوا بالبرهان ثلاثة امور عنها : الاول ان سببها حلَم من نوع البروتوزوى يوجد ويتوالد في الدم · والثاني انها تنتقل من المريض الى السليم بواسطة نوع من البعوض العضوض · والثالث ان الحلَم يقيم مدة في امعاء البعوض قبل انتقالهِ منها فينمو فيها ويتوالد على طريقة تختلف عن طريقة توالدهِ في دم المريض

وقد عرف من ايام لڤنستون ان الخيل والمواشي الافريقية تموت بداء ينشأُ عن لدغ ذباب التستسي · والمعروف من هذا الذباب ثمانية انواع حتى الآن وهي من جنس "الدبترا" او الذباب ذي الجناحين المختص بافريقية دون غيرها من القارات · واسم الداء الذي ينشأُ عنها ناجانا وهو سريع الفتك بالمواشي والخيل التي تجلب من الخارج ولكنهُ لا يصيب الناس. وقد ذهب الباحثون مذاهب شتَّى في ماهيتهِ حتى اهتدى بروس الى الحقيقة فانهُ وجد ان سبب الداء حييوينات في الدم من جنس حلَم "البروتوزوى" المعروف عند علماء الحيوان باسم تريبانوسوما وان هذا الحلم ينتقل من الحيوانات المريضة الى السليمة بواسطة ذباب التستسي وهذا الذباب ينشر داء الناجانا كما ينشر البعوض الملاريا · ووجد ايضاً ان الامرين الاول والثاني اللذين أُثبتا عن الملاريا ينطبقان على الناجانا · بقي عليهِ ان يرى ما اذا كان

الامر الثالث ينطبق عليهِ ايضاً. على انهُ اكتشف امرًا آخر مهمًّا وهو ان حَلَم الناجانا يوجد في دم الحيوانات البرية كالغزلان ولكنهُ لا يؤثر فيها وهذا لم يثبت عن الملاريا بعد

وكان قد اشتهر منذ زمان طويل ان زنوج الساحل الغربي من افريقية يصابون بمرض بطيءٍ ولكنهُ مميت سمي مرض النوم لان الذي يصاب بهِ يعتريهِ سبات في ادوار المرض الاخيرة ولعلهُ المرض الذي ذكرهُ ابن خلدون في تاريخهِ . ولم يعرف شيءٌ عن ماهية هذا المرض الاَّ منذ عهد قريب حين تفشَّى في اوغنده واخذ يفتك بسكانها الوطنيين ويصيب الاوربيين. وتفاقم شرهُ حتى طلبت الحكومة الانكليزية من الجمعية الملكية فانتدبت لجنة للبحث في ماهيتهِ واستئصال شأفتهِ وارسلتها الى تلك البلاد . ولم يمضِ عليها الاَّ القليل





(شكل ١) حلم مرض النوم المعدي (شكل ٢) حلم الذباب البري غير المعدي

حتى اكتشفت ان سبب المرض حَلَم يوجد في دم المريض في اول ادوار المرض ثم يخترق السائل المخي الشوكي (cerebro-spinal fluid) فيحدث السبات المختص بهِ. واثبت بروس ايضاً ان الحلم ينتقل من المريض الى السليم بواسطة ذباب اهليّ من نوع التستسي اسمهُ العلمي (Glossina palpalis) وان مرض النوم للانسان مثل مرض الناجانا للمواشي ولكن اعراض المرضين مختلفة . بقي ان تعرف ماهية علاقة الحلم بالذباب تماماً اي هل يقيم الحلم وينمو ويتوالد في جوف الذباب كما يفعل حلم الملاريا في جوف البعوض او لا

وفي اوائل سنة ١٩٠٥ أُرسل المستر منتشن استاذ الحيوان وتشريح المقابلة في المدرسة الجامعة بلندن من قبل الجمعية الملكية الى افريقية ليبحث في علاقة حلم مرض النوم وذباب التستسي المذكور آنفاً . وكان المعروف عنها حينئذٍ كما اثبت بروس ونبارو بتجاربهما ان ذبابة التستسي تنقل مكروب المرض من الحيوان المصاب الى السليم اذا لدغت الاول ثم لدغت الثاني في ثمان واربعين ساعة . ودرس اثنان من اعضاء لجنة مرض النوم علاقة الحلم

بالذباب ايضاً فوجدا الحلم في نحو ٨ و١ في المئة من الذباب الذي امسكاه ووجدا ان هذا الحلم يختلف كثيراً في منظره وتركيبه عن الحلم الذي يوجد في دم الذين يصابون بمرض النوم . فبحث منتشن معهما لمعرفة ما اذا كان هناك علاقة بين مكروبات مرض النوم (شكل ١) والمكروبات التي توجد في ذباب التستسي بالطبيعة (شكل ٢) فثبت لهم ان ليس بين الفريقين اقل علاقة وان المكروبات الاخيرة لا تضرُّ الانسان اصلاً

وكان الغرض من التجارب التي جربوها امرين الاول ان يعلموا تماماً الطريقة التي تنقل ذبابة التستسي بها مكروب مرض النوم من المصاب الى السليم فاذا كانت المكروبات او الحلم تقضي مدة في جسم الذبابة قبلما تنتقل منهُ لم تستطع الذبابة ان تنقل مكروب الداء الى الانسان الذي تلذعهُ الاَّ بعد مرور مدة يتمُّ فيها بلوغ المكروب كما هي حال مكروب الملاريا . فلكي يعلموا طول المدة اللازمة لبلوغ المكروب كانوا يطلقون الذباب على حيوان مصاب ثم على حيوانات سليمة من السعادين واحداً واحداً في اوقات متساوية وبقوا يعملون تجاربهم مدة ثلاثة اسابيع فكانت الحيوانات السليمة تُعدى كل مرة في ٤٨ ساعة على الاكثر

على انهم اثبتوا ايضاً من الجهة الاخرى إمكان ما يسمَّى بالعدوى الميكانيكية المباشرة اي انهُ اذا تركت ذبابة التستسي تمتص غذاءها من دم حيوان مصاب ثم أُطلقت حالاً على حيوان سليم تمتص غذاءها من دمهِ فقد يُعدى . وتفننوا في ترتيب تجاربهم فكانوا يتركون الذبابة اولاً على حيوان مصاب ثم على حيوانين سليمين الواحد بعد الآخر حالاً فوجدوا ان الاول كان يصاب دون الثاني وذلك لانهُ اذا غرزت الذبابة خرطومها في جسم الحيوان الاول افرغت كلَّ ما فيهِ من المكروب . وهذا يدلُّ على ان العدوى الميكانيكية تتمُّ بواسطة الخرطوم

والغرض الثاني من التجارب معرفة ما هناك من العلاقة بين الحلَم الذي يوجد في الذباب بالطبيعة وبين مرض النوم فكانوا يطلقون الذباب الذي يحتوي الحلَم المشار اليهِ على حيوانات سليمة تصاب بمرض النوم وبقوا يفعلون ذلك مدة طويلة فلم يُعدَ حيوان منها ولم يصب بعارض من اعراض مرض النوم فثبت لهم ان لا علاقة البتة بين الاثنين

بقي ان يُعلم من اين يأتي ذباب التستسي بالمكروب غير المعدي فقد يمتصهُ من دم الحيوانات الاهلية التي يغتذي بدمها وقد يكون المكروب من الحييوينات الحلمية المختصة بالذباب . هذا ولا بدَّ من الاشارة في الختام الى ان تفشي مرض النوم في اوغنده ونواحي بحيرة فكتوريا نيانزا حديث العهد لان المرض كان معروفاً في سواحل افريقية الغربية دون غيرها فلا يعلم كيف دخل اوغنده بعد ذلك

ارملة الجندي

الا انما هذا الذي لك انقلُ
له مثلما ارويهِ اصلٌ مؤصّلُ

قضى احد الضباط في الحرب نحبهُ
وكان اذا دارت رحى الحرب يبسلُ

وزوجتهُ كانت رهينة حبهِ
وكان لهُ قلبٌ بها متشغّلُ

من اللاء لم يأتينَ فاحشةً ولا
زُنّنَ بما منهُ العقائل تخجلُ

نوارٌ كشخصٍ للعفاف مجسّمٍ
فان ذكر الناس العفاف تمثّلُ

ترقرق ماء الحسن في وجهها الذي
هو البدر ليلَ التم او هو اجملُ

فجلَّ لفقدان الوليِّ مصابها
وباتت تناجي الهمَّ والعين تهملُ

وقد كان منها الخد كالورد زاهياً
فاصبح ذاك الورد بالهمِّ يذبلُ

ولازم حمّى الدق ناعم جسمها
فامست على رغم الشبيبة تنحلُ

ويعرق منها الجسم في كل ليلةٍ
وتنفث من سلٍّ دماً حين تسعلُ

وانشب في احشائها الداء ظفرهُ
فظلّت لهُ احشاؤُها تتزلزلُ

سقامٌ بها اعيا الاطباء برؤهُ
اذا لم يعنها الله فالامر مشكلُ

أمكروب داء السل هل انت عارفٌ
لمن انت تؤذي او بمن انت تنكلُ

ارحها فما ابقيت الاّ حشاشةً
بها حكمها عمّا قريبٍ سيبطلُ

تجنّبْ فقد مزقت احشاء صدرها
أانت بها حتى الممات موكّلُ

وفسّح لها في العمر وارحم شبابها
فانكَ ان ارجأتها انت مُفضلُ

لكِ الله من مسلولةٍ حان حينها
وعمّا قليل للمقابر ترحلُ

∴

وفاجأها فقرٌ فباعت لدفعهِ
اثاثاً بهِ قد كانت الدارُ تجملُ

الى ان تخلّى البيت من كلِّ ما بهِ
ولم يبقَ فيهِ ما يُباع ويُنقلُ

تجانبها الادنى وكلٌّ لذاتها
واعرض عنها جارها المتموّلُ

هنالك ابدى الجوع ناجذهُ لها
وزاد بها الداء الذي هو معضلُ

فخارت قواها في غضير شبابها
وحارت فلم تدر الذي هي تفعلُ

كذلك جسم المرء يأكلهُ الطوى
اذا المرء لم يلفِ الذي هو يأكلُ

فسارت على ريث توأم محلة ترجي بها خيراً لها وتؤمّلُ
وتزجي لها طفلاً جميلاً امامها كما تسحتُ الخشفَ ادماه مغزلُ
لقد اضعف الجوعُ المبرّحُ خطوهُ فسار وفي احشائهِ النار تُشعلُ
يحور اليها بالبكاء فتنحني عليهِ وتُسلي قلبهُ وتُقبّلُ
وتمسح عينيهِ اللتين اذاتنا دموعاً على الخدّين منهُ تسلسلُ
تحاول امُّ الطفل منع دموعهِ ولكنها رغماً عن الامّ تهطلُ
خبيرٌ بقصد الامّ يشكو لها الونى بعينيهِ الاَّ انهُ ليس يسألُ

•••

تروح الى دار الحكومة تبتغي معاشاً لها مستأخراً ليس يحصلُ
ريالان بعد الزوج قد رتّبا لها وذلك نزرٌ ليس بالعيش يكفلُ
تقول لذي امرٍ على المال سيّدي اليك بجاهِ المصطفى اتوسلُ
انلني معاشي اليوم وارحم فاننا جياعٌ اذا لم يُعطَ من اين نأكلُ
فاوسعها شتماً وردّ سؤالها وقال لها موتي طوًى لستُ ابذلُ
فعادت على يأسٍ بها ملّ قلبها وقد خنقتها عبرةٌ تتغلغلُ
امالكَ امرِ المال انك زدتها سقاماً على سقمٍ أقلبك جندلُ
الم ترَ انّ السلّ انحل جسمها وحمّلها الاعوازُ ما لا تحمّلُ
منكّدةٌ قد طالبتك بحقّها فلو كنتَ تقضي سؤلها كنتَ تعدلُ

•••

وآبتْ الى المأوى فباتت على طوًى تكابد طولَ الليل والليلُ أليلُ
واعوزها زيتٌ تُنوّرُ بيتها بهِ والدجى سجفٌ على الارض مسبلُ
يجرّ اليها الليل اجنادَ همّها اذا فرّ منها جحفلٌ كرّ جحفلُ
تقول ألا مالي ارى الصبح مبطئاً وعهدي بهِ في سالف الدهر يعجلُ
فيا ليلُ ما ادري وقد طلتَ داجياً أعنّي على الايام ام انت اطولُ
ألا ليتَ امي لم تلدني او انني تفتني المنايا قبل اني اعقلُ
برمتُ بمالي من حياةٍ فانها شقائي وانّ الموت منها لافضلُ
حياة امرّتها الرزايا كأنما يمازجها منهنّ صابٌ وحنظلُ
وعتبي على الاقدار فهي بما جرتْ بهِ لم تكن (استغفر الله) تعدلُ

فياموت زر ان الحياة تعاسةٌ ويانفسُ جودي انَّ دهركِ يبخلُ

* * *

وما سفري ان متُّ ينأى وانما الى بطنها من ظهرها اتنقلُ
ألاَ ان بطن الارض للمرء منزلٌ كما ان ظهر الارض للمرء منزلُ
ولم ارَ بين المنزلين تفاوتاً سوى ان ذا اعلى وذلك اسفلُ
ولا مثل بطن الارض دار عدالةٍ تساوي بها حالاً رؤوسٌ وارجلُ
ولست على الشكوى ادوم اذا دنا حماميَ الاَّ ريثما اتحوَّلُ
ولكنَّ روحي للسماء رقيُّها هنالك من نجمٍ لنجمٍ تجوَّلُ
الى ان تلاقي روح زوجي «صادقٍ» فتتصل الروحان والبينُ يخجلُ
فلو ابصرت روحي على البعد روحهُ اذًا لمشت روحي اليهِ تهرولُ
تقبل روحي روحهُ وتشمهُ وتشكو اليهِ ما بها كان ينزلُ
وتمسك بالايدي بفضل ردائهِ وما إنْ تخلي بعدُ للحرب يرحلُ
وقولي لهُ يا روح بعدك عيشنا تغيَّرَ حتى كاد لا يتحملُ
واصبح من قد كان بالامس سائلاً باحوالنا عمَّا بنا ليس يسألُ
تجنبنا الادنى ومن كان صاحباً ومن كان يُطربنا ومن كان يجملُ
وخرَّي على اقدامهِ وتذللي لهُ ان من يُبدي الهوى متذلّلُ

* * *

وفي فمها بان ابتسامٌ كانها تشاهد شخص الزوج فيما تخيَّلُ
تراهُ قريبَ الارض في الجوّ ثابتاً فلا هو يستعلي ولا هو ينزلُ
فمدت يدًا نحو الخيال مشيرةً اليهِ وقالت وهي في البين تسعلُ
بربّك انبئني أإنك «صادقي» قد ازدرتَ ام انت الخيالُ المثّلُ
فان كنتَ اياهُ فقل غير كاتمٍ لماذا لماذا انت لا تتنزلُ
اصادقُ انت السؤْل للنفس فاقترب وانت لها انت الرجاء المؤمّلُ
فان كان لي ذنبٌ بهِ عفت مسكني فاني لذاك الذنب بالدمع اغسلُ
أمالكَ يوميَّ اهدني لسعادتي فاياك استدعي واياك آملُ
اذا ذكرتك النفس جاشت صبابةً وفار عليها من غرامك مرجلُ
تبدّل مني كلُّ شيءٍ عهدتهُ ولكنما حبّيك لا يتبدلُ

فهل انت في حيٍ كما كنت سابقاً … وقلبك كالقلب الذي كنتَ تحملُ
اذا كنت عني انت وحدك راضياً … فكلٌّ صعوبات الحياة تسهلُ
هلمَّ الى جنبي فاني مريضةٌ … بحمّى بها جسمي بها متزلزلُ
وسارعْ واحضر لي طبيباً مداوياً … كما كنت قبلاً ان تشكيتُ تفعلُ
ولكنني اخطأتُ فيما طلبتهُ … ذهولاً ومن قاسى الحوادث يذهلُ
فانيَ لا ابغي سواك مداوياً … فانت طبيبي والشفاء المؤملُ
اقمْ عندنا لا ترحلنَّ فانْ تقمْ … فكلٌّ نحوسات الزمان ترحَّلُ
نعيش كما كنا نعيش بغبطةٍ … ونمرح في ثوب السلام ونرفلُ
فحينئذٍ لا حادثٌ يستفزّنا … ولا احدٌ بيني وبينك يفصلُ

* * *

وغاب فقالت آهِ بل انت ميتٌ … ولكنما روحي اليك ستقبلُ
وحانت لصوب الطفل منها التفاتةٌ … فقالت وفيَّاضٌ من الدمع مهملُ
ولكن صبيي من يقوم بامرهِ … اذا زارني حتفي الدنيُّ المعجلُ
أأترك من بعدي صغيري «احمداً» … وحيداً بلا حامٍ بهِ يتكفلُ
و«احمدُ» ريحاني فان ابتعد فمن … يشمّمهُ بعدي ومن ذا يقبّلُ
أليست تكاليف الحياة التي لوت … جناحي على طفلٍ كاحمدَ تثقلُ

* * *

واغمي من جوعٍ على الطفل احمدٍ … فصاحت اغثْ ربي عليك المعوَّلُ
اطلَّتْ عليها جارةٌ ذات عيلةٍ … لتعلم مَن في ظلمة الليل يعولُ
ونادت من الباكي كذا بحرارةٍ … وذيل الدجى الضافي على الارض مسدلُ
اجابت بصوتٍ راجفٍ متقطعٍ … وقالت انا يا هذه انا «سنبلُ»
«جعادة» ان ابني تغيَّبَ نفسهُ … من الجوع ان الجوع ويلي يقتلُ
جعادةُ ان ابني الوحيد هو الذي … بهِ في ليالي وحدتي اتعلَّلُ
جعادةُ ان الامر جدٌّ فادركي … وللجار حقٌّ واجبٌ ليس يغفلُ
فجاءت اليها بالسراج ونبهت … قُوى الطفل حتى عاد يرنو ويعقلُ
سقتهُ حليباً كان ملءَ ثُديِّها … فنام وباتت امهُ تتململُ
وتذرف عيناها الدموعَ وقلبها … تقلُّ بهِ الاحزان تعلو وتسفلُ

الى الصبح حتى بان فانطلقت الى محلٍ بهِ اهلُ المبرة تنزلُ
عليها ثيابٌ رثةٌ وملاءةٌ كأحشائها في كل آنٍ تبزّلُ
تكفكف دمعاً بالبنان وكلما مشت خطوةً او خطوتين تمهلُ
تمدُّ يميناً بالسؤال ضعيفةً وتخجل منهم عند ما هي تسألُ
أأرملةَ الجنديّ لا تخجلي فمن حقوق العلى ان الحكومة تخجلُ

الزوراء

حِكَم

من اقوال الشيخ مُصلح الدين سعدي الشاعر العجمي الشيرازي

ولد هذا الشاعر الشهير في مدينة شيراز في اوائل القرن الثالث عشر للميلاد . درس اولاً في تلك المدينة ثم انتقل الى بغداد وأكمل دروسهُ فيها واخذ يجوب البلاد ليقف على احوال الناس . ولما عاد الى بلادهِ قال لقد طفت في اماكن كثيرة وعاشرت سكانها وجمعت شيئاً من كل زاوية والتقطت سنبلة من كل حقل . وتوفي في مسقط رأسهِ سنة ١٢٩١ م شيخاً مسناً . قيل قضى من حياتهِ ثلاثين سنة في الاسفار وحجّ خمس عشرة مرة

وقال فيهِ بعض مؤرخي بلادهِ انهُ كان حسن المحاضرة سريع الخاطر متوقد الذهن وذكروا بعض امثلة لذلك . منها انهُ اسرهُ الافرنج مرةً مدة حروب الصليبيين ففداهُ رجل بعشرة دنانير ثم زوّجهُ بابنةٍ لهُ شرسة الطباع واعطاهُ مئة دينار . ففي ذات يوم ارادت ان تعيّرهُ فقالت لهُ الست انت الرجل الذي فداك ابي من الاسر بعشرة دنانير قال بلى انا هو ذلك الرجل الذي فداني ابوكِ بعشرة دنانير ثم استعبدني لكِ بمئة دينار . ومن ملَح حديثهِ ان رجلاً من شعراء تبريز اراد ان يتهكم عليهِ فاخذ طاساً وقلبهُ وقال لماذا رؤوس الشيرازيين كهذا . وكان الشيخ اصلع كاكثر اهل بلدهِ . فاخذ الطاس وقلبهُ الى ان استوى وظهر فراغهُ ثم قال ولماذ رؤوس التبريزيين كهذا . وقيل ان شاعراً من تبريز قصد الازدراء بهِ فسألهُ من ايّ البلاد جئت قال من شيراز الفيحاء . قال الشيرازيون في تبريز اكثر عدداً من كلابها . فقال السعدي ذلك على خلاف ما هو في بلدنا فان التبريزيين فيها اقل من كلابها

وكان سعدي من اعظم شعراء الفرس . واكثر دواوينهِ شهرةً ثلاثة البستان وهو قصيدة في غاية الرقة تتضمن افضل الحكم وقواعد الاداب . والثاني الجلستان وهو اكثر ما يُقرأ

ويقتبس عند الفرس حتى ذهبت اقواله امثالاً بينهم · والثالث دُرج الحكمة وهو ديوان صغير حسن العبارة رقيق الوزن واللفظ كبير المعاني الادبية منتشر في كل بلاد ينطق فيها بالفارسية · وقد ترجم الانكليز الدواوين الثلاثة وطبعوها اكثر من مرّة وما يأتي بعض ما ورد فيها · على ان رونق الاصل لا يظهر في الترجمة

الكرَم

اذا اكرمتَ اكرمك الناس قاطبةً · لا شيء في الدنيا افضل من الكرم · اذا جُدتَ كنت سعيداً . الكرم حصاد الحياة · الله كريم فكن كريماً

ومن اقوال العرب في ذلك الخيّر مرزوق · اذا اطعمتَ أشبع . اصل المحاسن كلها الكرم وجميع خصال الخير من فروعه . وقال شاعرهم

ولا تمنعنْ ذا حاجةٍ جاه راغباً فانك لا تدري متى انت راغبُ

المعروف والاحسان

اغلب الدنيا بالاحسان والمعروف · كن سيداً في عالم الخير والاحسان . الاحسان صفة الصالحين وما يتوجب على المفلحين · المعروف خير الدواء لكل الاسواء

ومن اقوال العرب

زيادة المرء في دنياه نقصانُ وربحهُ غير محضِ الخير خسرانُ

والخلقُ كلهم عيا لٌ لله تحت ظلالهِ

واحبهم طراً الي هِ أبرهم لعيالهِ

البخل

لو ملك البخيل نصف الدنيا لم يذكرهُ احد بخير

مهما كثرت اموال البخيل لا يزال عرضةً للضيق كما لو كان فقيراً

الكريم يتمتع بلذة مالهِ والبخيل يتألم لما عندهُ من المال

ومن اقوال العرب البخيل يعيش عيشة الفقراء في الدنيا ويحاسب حساب الاغنياء في الآخرة · وقال الشاعر

ارى الناس اخوان الكريم وما ارى بخيلاً لهُ في العالمين خليلُ

التواضع

اذا جعلت التواضع شأنك صار لك الناسِ خلاّنا

التواضع يرفع الانسان ويزيّن رجال المناصب

العاقل يختار التواضع ناظرًا الى الغصن المثقّل المتدلّي الى الارض

التواضع يحبب الناس بك ويرفع شأنك عندهم ويفتح لك باب الجنة

وقالت العرب التواضع سلّم الشرف · من رفع نفسهُ فوق قدرهِ استجلب مقت الناس·

وورد في اشعارهم

تواضعْ اذا ما نلت في الناس رفعةً فانَّ رفيع القوم من يتواضعُ

ومن جهلت نفسهُ قدرهُ رأى غيرهُ منهُ ما لم يَرَهْ

الكبرياء

يا ابني اياك والكبرياء لئلا يذهب عنك الخير . الكبرياء من عادات الجاهل لا من صفات العاقل . الكبرياء منبع النكبات · فاذا عرفت ذلك لماذا تتكبر وتتخطى؟

وقالت العرب لا يتكبر الّا كل وضيع ولا يتواضع الّا كل رفيع

اذا شئت ان تحيا سليمًا من الاذى فلا تؤذِ مخلوقًا ولا تتكبرِ

ورافعْ نفسهُ بالكبرِ يخفضها تدنو ويحسبها تعلو بهِ دَرَجا

الكبرُ خفضٌ والتواضع رفعةٌ والحرصُ فقرٌ والمزاح سقوطُ

العلم

ينال المرءُ من العلم خيرًا لا يناله من النسب والمقام والغنى · العاقل من يطلب العلم فان سوق العقل رائجة ابدًا . اطلب العلم ولو في اباعد الارض . لا تصطلح امورك الّا بالمعرفة

وقالت العرب من لم يتعلم في صغرهِ لم يتقدم في كبرهِ

لا تقلْ اصلي وفصلي ابدًا انما اصلُ الفتى ما قد حصلْ

اذا مرَّ بي يوم ولم اتخذ يدًا ولم استفدْ علمًا فما ذاك من عمري

الظلم

لا تظلم الفقير الذي لا ناصرلهُ وتنسى ضيق القبر. لا تسرع وتجرْ على احد لان غضب الله سيدركك بغتةً . لا تقهر المسكين لان الظالم هالك ولا محالة

وقالت العرب اياك ودمعة اليتيم ودعوة المظلوم فانها تسري في الليل والناس نيام

لا تظلمنَّ اذا ما كنت مقتدرًا فالظلم آخرهُ يأتيك بالندمِ

تنامُ عيناك والمظلومُ منتبهٌ يدعو عليك وعينُ الله لم تنمِ

وما من يدٍ الّا يد الله فوقها ولا ظالمٌ الّا سيبلى بأظلمِ

خفْ دعوة المظلوم فهي سريعة طلعت فجاءت بالبلاء النازلِ

القناعة

يا انسان اذا حزت القناعة كان لك سلطة في عالم الراحة · اذا عضدتك انياب الفقر فاذكر ان عند الحكماء ليس الغنى بشيء . الفقر لا يعيب المرء . الذهب والفضة فخر الاغنياء واما الفقراء فلهم خلو البال · وقالت العرب القناعة كنز لا يفنى

لكلِّ حالٍ مدةٌ وتنقضي ما غلب الايام الأ من رضي
ان القناعة من يحلل بساحتها لم يلقَ في ظلها همّاً يؤرّقهُ
هي القناعة فالزمها تعش ملكاً لو لم يكن منها الاّ راحة البدنِ
وانظر لمن ملك الدنيا باجمعها هل راح منها بغير القطن والكفنِ
واقنعْ ففي بعض القناعة راحةٌ واليأسُ مما فات فهو المطلبُ

الحرص وهو الشحيح والطمع

اياك وان تسقط في شرك الحرص او تشرب كاس الطمع لئلاَّ تجنّ وتسكر· لا تسرف على حياتك باحراز الغنى فان وعاء الفخّار ليس بقيمة الدرّة · من وقع في فخاخ الطمع كانت غلّة حياتهِ طعاماً للرياح ·لو كان لك مال قارون وكنوز الدنيا باجمعها فمصيرك الحزن والقبر· لماذا تتقلّب في الجوى طمعاً بالغنى فانهُ يرحل عنك سريعاً

وقالت العرب عزّ من قنع وذلّ من طمع

والنفسُ راغبة اذا رغّبتها واذا تُردُّ الى قليل تقنعُ
والنفسُ كالطفل ان تهملهُ شبّ على حبّ الرضاعِ وان تفطمهُ ينفطمِ
قد شاب رأسي ورأس الدهر لم يشبِ ان الحريص على الدنيا لفي تعبِ
هبِ الدنيا تُعاد اليك عفواً اليس مصيرُ ذلك للزوالِ

الامانة

كن ثابتاً في الامانة والاَّ كانت مساعيك باطلة·اذا لم تصرف نفسك عن الامانة اعزّك الاعداء · اذا لم تحوّل عن سبل الامانة لم يخجل وجهك عند مقابلة اصحابك·اذا فصلت نفسك عن احبابك خنتَ ما توجبهُ عليك الامانة

وقالت العرب وعد الكريم نقد وتعجيل ووعد اللئيم مطل وتعليل

وارعَ الامانةَ والخيانةَ فاجتنبْ واعدل ولا تظلمْ يطيب المكسبُ
اذا قلتَ في شيء نعم فاتمهُ فان نعم دينٌ على الحرّ واجبُ
والاَّ فقل لا تسترح وترح بها لئلاَّ يقول الناسُ انك كاذبُ

الصبر اذا كنت صبورًا كنت سعيدًا . الصبر خلق الانبياء . الصبر يأتيك بما تبتغيهِ وهو مفتاح لما تتوق اليهِ . كن صابرًا اذا كنت عاقلاً فان العجلة من الشيطان

وقالت العرب الصبر مفتاح الفرج

بالصبر تبلغ ما ترجوهُ من املٍ فاصبر فلا ضيق الاَّ بعدهُ فرجُ

اني رأيتُ وفي الايام تجربةٌ للصبر عاقبة محمودةُ الاثرِ

وقلَّ من جدَّ في امرٍ يؤمّلهُ واستصحب الصبرَ الاَّ فاز بالظفرِ

الكذب إياك يا اخي والكذب لان الكاذب محتقر لا يعتبرهُ احد . من يتعوَّد الكذب زال النور من نفسهِ . الكذب يعيب المرء وينزع الشهامة منهُ . ليس للكاذب من مفرٍ يوم الدين . يا ابني الكذب اقبح الذنوب لا يُبقي للانسان اسماً كريمًا

وقالت العرب لو صُوّر الصدق كان اسدًا ولو صوّر الكذب كان ثعلبًا . امران لا ينفكان من الكذب كثرة المواعيد وشدَّة الاعتذار

ما احسن الصدقَ في الدنيا لقائلهِ واقبح الكذبَ عند الله والناسِ

ثوبُ الرياء يشفُّ عمَّا تحتهُ فاذا اكتسيتَ بهِ فانك عارِ

يوحنا ورتبات

سكة حديد مصر والراس

نشرت جريدة السينتفك اميركان رسالة من مكاتبها الافريقي فصَّل فيها مسير سكة الحديد من مصر الى الكاب واوضح بعض ما يتعلق بهِ بالرسوم . وهذا ما ورد فيها ملخصاً . قال

من اشهر مشروعات سكك الحديد مشروع الخط الذي يمدُّ الآن من مدينة الراس الى القاهرة شاطرًا القارَّة الافريقية الى شطرين شرقيٍّ وغربيٍّ . وقد بلغوا في مدّها من الجنوب مكانًا يبعد نحو ٣٧٤ ميلاً عن شلالات فكتوريا على نهر زمبيسي او نحو ٢٠١٤ ميلاً شمالي مدينة الراس ونحو ١٥٠٠ ميل جنوبي القاهرة

وهذا المشروع بدأ سنة ١٨٨٩ وكانت مدينة كمبرلي الحدّ الشمالي الاقصى لسكة حديد الراس وهي تبعد ٦٤٧ ميلاً عن مدينة الراس . فعزم سسل رودس ان يستأنف مدَّ الخط منها ويصلهُ بسكة حديد السودان ولكن المشروع الاصلي تغير كثيرًا بسبب ما هناك من المصاعب الهندسية التي اعترضتهُ

واعظم المصاعب التي لقيها المهندسون قلة الماء الكافي للقيام باعمال سكة الحديد · وقد استبدلت الفلنكات الخشبية التي تمدُّ القضبان عليها بفلنكات من الفولاذ وعددها ١٩٤٠ في كلّ ميل لان النمل الابيض يأكل فلنكات الخشب

والخط يمتد من كمبرلي الى نهر الفال حيث بني كبري (جسر) طولهُ ١٣٥٤ قدماً ومنهُ الى بشوانالند ثم الى مدينة مفكن · وقد نسف البوير هذا الكبري في اثناء الحرب فأُعيد بناؤُهُ سنة ١٩٠١ · واعلى نقطة يبلغها هناك ترتفع ٤٤٠٠ قدم عن سطح البحر ثم يمرُّ الخط في بلاد بولوايو ومنها الى نهر زمبيسي حيث مدَّ كبري قرب شلالاتو (وقد وصفناهُ هو والشلالات في بعض اجزاء المقتطف) وطول الكبري ٥٠٠ قدم وعلوهُ عن الماء ٤٠٠ قدم

ومن ضفة النهر الشمالية يمتدُّ الخط شمالاً مسافة ٩٢ ميلاً حتى يصل الى كالومو عاصمة روديسيا الشمالية ثم الى منجم بروكن هِل على بعد ٢٨٢ ميلاً منها شمالاً بشرق · وما مدَّ من السكة الى الآن وطولهُ ٢٠١٤ ميلاً يصلح كلهُ للركوب ونقل البضائع حتى ان الذي يركب القطر من مدينة الراس يصل الى مكان يبعد ٣٧٤ ميلاً عن نهر زمبيسي شمالاً بلا عائق يعوقهُ

هذا وان متوسط ما كان يمدُّ من الخط في اصعب اقسامهِ ميل في اليوم وهذا كثير بالنظر الى كثرة المصاعب والمشاق والى ان جميع العمال الذين يعملون في الخط من الوطنيين · ومما يحكى بهذا الصدد ان مهندساً فرنسوياً من الخبيرين بمد سكك الحديد في تلك البلاد زار هذه السكة ولما قيل لهُ انهم يمدون ميلاً في اليوم لم يصدّق بل قال ان جهد ما يستطيعون مدَّهُ نصف ميل على الكثير · فبدأ العمال بالعمل امامهُ ومدُّوا ربع ميل في ٢٠ دقيقة واتموا خمسة اميال و ٣/٤ الميل في عشر ساعات

ومتوسط ما يوقدون من الفحم في وابورات تلك السكة ٦٤ رطلاً في الميل · ومتوسط سرعة قطرات الركاب ٣٠ ميلاً في الساعة وقطرات البضاعة ٢٠ ميلاً · ومتوسط اجرة العامل نصف ريال في اليوم · ونسبة المستخدمين البيض الى الوطنيين كنسبة ١ الى ٤

ومما يجب ذكرهُ ان هذا الخط لا يكون حديدياً كلهُ بل اذا وصل الى ضفاف البحيرات الاستوائية الكبيرة مثل بحيرة تنجنيكا نقل الركاب والبضاعة بالقوارب البخارية الى الضفاف المقابلة اذ يكاد يستحيل مدُّ الخط حولها لانها مكتنفة بجبال وعرة المسالك وهذا لا يحط من قيمة الخط لان الوقت ليس بالامر الجوهري حيث حركة العمل والتجارة قليلة فاذا كثرت الحركة اصبح الوقت حينئذٍ اوليّاً

ومتى تمَّ مدُّ الخط الى بحيرة تنجنيكا بقي ٤١٠ اميال لاتمام السكة كلها · وطول هذه

البحيرة ٤٠٠ ميل وهي صالحة للملاحة كلها فلا بدَّ من عبورها من الطرف الواحد الى الطرف الآخر فينزل الركاب من القطر عند كتوتا على طرفها الجنوبي ويركبون الزوارق البخارية الى اوسمباره عند طرفها الشمالي . ويليها شمالاً برزخ يفصل بينها وبين بحيرة كيفو وعرض هذا البرزخ ٩٠ ميلاً وطول البحيرة ٦٠ ميلاً ولا بدَّ من عبورها بالقوارب ايضاً لصعوبة الارض حولها . ويلي هذه البحيرة بحيرة البرت ادورد وهي تبعد عنها ٦٠ ميلاً ولكن الارض حولها سهلة منبسطة فيسهل مدُّ سكة الحديد فيها حتى الضفة الجنوبية من بحيرة البرت اي مسافة ٢٢٠ ميلاً . ومن هذه البحيرة يمكن ركوب السفن والقطارات شمالاً حتى البحر المتوسط في ما خلا بقعة بين دوفيل ورجاف تتخللها الشلالات السريعة مسافة ١٠٠ ميل فلا بدَّ من مدّ سكة الحديد فيها

ولكن هناك طريقاً اخرى تمرُّ في الحبشة وقد سمح النجاشي منليك بمدّ سكة الحديد في املاكهِ بين السودان واوغندا في معاهدة الحدود التي عقدت سنة ١٩٠٢ . وكان السدُّ يعوق مسير السفن في النيل بين فشوده وبحيرة البرت حينئذٍ فأُزيل منهُ كما لا يخفى وقد انشأت الحكومة السودانية خطاً منتظماً للبواخر بين رجاف والخرطوم منذ اوائل سنة ١٩٠٤ والمسافة الف ميل والخرطوم متصلة بالقاهرة بسكة الحديد الآ في مسافة قصيرة بين وادي حلفا واصوان

والمسافة كلها من شمال قارة افريقية الى جنوبها ٦٠٠٠ ميل . انتهى

وفي ٤ ديسمبر الماضي عقد اجتماع في لندن فقرأ السر لويس متشل من اعضاء وزارة الراس سابقاً مقالة في هذا الموضوع ذكر فيها اصل المشروع وتاريخ مدّ الخط وقال انهُ لا يمكن العدول عن اتمامهِ كما اشاع البعض . نعم انهُ قد يعرض ما يؤخر اتمامهُ اما تركهُ فلا . وسواء تمَّ الخط في ايامنا او لا فان الفضل فيهِ عائد على سسل رودس . وقد كان ينظر في مشروعهِ هذا الى ما لا بدَّ ان يفضي اليهِ من انهاض الهمم وحثها على حرث اراضي افريقية واستنباط مناجمها وتمهيد سبل سكنها وما ينتج عن ذلك من زيادة عدد البيض فيها . وهو مصيبٌ في نظرهِ اذ حيث مدَّ الخط فهناك يستطيع البيض ان يسكنوا ويتكاثروا . اما ما مدَّ منهُ او سيمدُّ من الشمال فيبلغ طولهُ نحو ١٦٠٠ ميل ومن الجنوب ما يزيد على الفي ميل

وتلاهُ اللورد ملنر فقال ان كلَّ المشروعات العظيمة مثل سكة حديد مصر والراس لابدَّ ان تمرَّ في ثلاثة ادوار الاول فكرة المشروعات وما يعترض من العقبات لاخراجها من القوة الى الفعل . والثاني تحقيق قسم منها والمشروع الذي نحن بصدد الكلام عنهُ في هذا الدور . ولكنَّ هناك دوراً ثالثاً لا بدَّ ان يمرَّ فيهِ وهو ان يتمَّ كلُّ ما قُصد الخطُّ لهُ . واني ادعو لكم بطول العمر حتى تروا تحقيق هذا الامر الاخير وربما جنيتم ثمار الخط وتحققتم صواب المشروع

قبلما يتمَّ مدُّ الخط كلهِ . ومن المحتمل ان يتأخر وصل طرفي السكة الواحد بالآخر ولكنَّ وصلهما ليس ضروريًّا لاظهار مزايا المشروع وفضل مبتدعهِ ولاسيما في القسم الجنوبي من السكة

جرذان الطاعون

فشا الطاعون في مدينة سدني باستراليا مدة ست سنوات متوالية واشتدَّت وطأتهُ سنة ١٩٠٢ حتى بات الناس في خطر منهُ وقد حسبت الوفيات فكانت ثلث الاصابات . فاهتمت الحكومة شديد الاهتمام بذلك واخذ الاطباء يبحثون في سبب الوباء قصد استئصالهِ فوجدوا ان الجرذان هي سببهُ فشهروا عليها حربًا عوانًا ودسوا لها السمَّ في المنازل والشوارع وعينت الحكومة رجالاً لالتقاطها وكانت تعطي كلاًّ منهم ستة بنسات (نصف شلين) عن كلّ جرذ يمسكهُ . فهبَّ الفقراء من كلّ صوب يغتنمون هذه الفرصة للحصول على معاشهم بدلاً من الاعتماد على السرقة والتسوُّل حتى بلغ عدد الجرذان المقتولة ما يزيد على مئة الف . والمظنون ان الجرذان نقلت الوباء الى سدني من سواحل الهند او سواحل افريقية

وكلُّ من رأى مدينة سدني الجميلة ايام الوباء وآثار فتكهِ باهاليها حكم ان الجرذ اشد عداوة للانسان من الضواري وقد بات ذكرهُ مما تقشعرُّ لهُ الابدان ويجبن قلب الشجاع

وقد اطَّلعت على مقالة مفيدة عن الجرذ واطوارهِ وعاداتهِ فرأَيت ان الخصها وابعث بها الى المقتطف لتنشر فيهِ حرصًا على فوائدها . قال صاحب المقالة

الجرذ في سدني نوعان وهما الاسمر والاسود . فالاسمر يسكن المراحيض والمجارير التي تنقل الاقذار بعد ما طرد الاسود منها واضطرهُ الى سكن الاشجار وما اشبه بسبب ما بينهما من العداوة

ولم يكتفِ الجرذ الاسمر بطرد الاسود من المراحيض كما تقدَّم بل طردهُ من وطنهِ كلهِ في اوربا وبعض انكلترا . وموطن الاسمر الاصلي غربي الصين فانتقل منهُ الى اوربا بواسطة السفن والبواخر التي تمخر بينها وبين اسيا وبواسطة اخرى ايضًا وهي على ما يقول علماء الحيوان ان طوائف منهُ تجمعت سنة ١٧٢٧ وقطعت نهر الفولكا في روسيا وسافرت من هناك غربًا . واول ظهورها في اوربا كان في مدينة باريس في اواسط القرن الثامن عشر . ويقال انها دخلت انكلترا سنة ١٧٣٠

وما كادت الجرذان السمر تدخل اوربا حتى جعلت همها الاول اهلاك عدوّها الجرذ الاسود وحيث حلَّ الاسمر هرب الاسود . ووجدوا مرارًا كثيرة ان الجرذ الاسمر والجرذ

الاسود كانا يعيشان معاً بسلام في السفر فكأن الاسمر كان يخشى عاقبة البغي وهو مسافر فيتناسى ما بينهُ وبين الاسود من البغضاء حتى اذا بلغ البرّ والتقى بالاسود نسي الصفاء الحديث وذكر البغض القديم فنكل بخصمهِ تنكيلاً . وقد حبس بعضهم مئة جرذ من السمر والسود في قفص واحد ليلة كاملة وفي الصباح انتقدها فلم يجد سوى الجرذان السمر

وقد وجد بالامتحان ان الجرذ الاسيوي أكثر الحيوانات عرضة لأن يصاب بالطاعون ويليهِ خنزير غينيا فلذلك ولأنهُ سريع الانتقال من مكان الى مكان يعدُّ الدَّ اعداء الانسان فلا عجب بعد ذلك اذا عمد الانسان الى كلّ واسطة لكفّ اذاهُ وقطع دابرهِ . ومن افضل الوسائط التي استنبطها لمنع الجرذان عن النزول من البواخر الى البرّ ان يؤخذ ترس مسنن من الحديد ويدخل في حبل المرساة الذي يصل بين الباخرة والبرّ وتمشي الجرذان عليهِ في نزولها من الباخرة وذلك بعد ان يطلى بالزفت فتمتنع من السير عليهِ . ولكن بعضهم يقول انهُ اذا تعذَّر على الجرذان النزول على الحبل سبحت في الماء حتى تصل البرّ وهذا القول لم يثبت بعدُ

ومن غريب امر هذا الجرذ انهُ لا يصبر على العطش طويلاً فاذا عطش قرض براميل المسكرات وشرب حتى يسكر . وهو كثير التوالد فاذا صار عمر الانثى ستة اشهر ولدت سبعة جرذان او ثمانية واحياناً اربعة عشر جرذاً وهي تلد ثلاث مرات في السنة وتأكل صغارها في غالب الاحيان . ولما كان هذا الحيوان نهماً بالطبع فان القوي يفترس الضعيف وهي حكمة في الطبيعة مآلها الى منع تكاثرهِ . وقد قال بعض الكتّاب ان الجرذان تأكل الجرذ المسموم فتموت وخالفهم آخرون فاثبتوا ان الجرذان تشمُّ رائحة السمّ . على ان مما لا ريب فيهِ ان الجرذان الحية يأكل بعضها بعضاً كما تقدم

وللجرذ أعداء كثيرون منهم الانسان والكلب والهرّ وابن عرس وبعض انواع الطيور . ولكنهُ لا يبالي باعدائهِ ولا بما ينصبون لهُ من الاشراك ويدسون من السموم لابادتهِ فاذا دهمهُ الخطر احتال للخلاص بصبر ورباطة جاش واذا لم يرَ مناصاً من الخطر دافع عن نفسهِ دفاع القوي الشجاع . قال بكلند في كلامهِ عن نموّ الجرذ وسرعة توالدهِ ان كلباً قتل ٢٥٢٥ جرذاً ولو بقيت حيةً لولدت في ثلاث سنوات ٢٠٠و١٩٠و٦٣٣و١ جرذ

ومن غرائب اطوار بعض الناس انهم يربون الجرذ ويدللونهُ كما يفعلون بالكلاب والقطط فيأنف مثلها . قال بعضهم ربينا جرذاً اعمى فكان يجلس امام نار مطبخنا هو وهرّنا معاً كأن لا عداوة بينهما . واتفق ذات يوم ان زارنا هرٌّ غريب فافترسهُ

استراليا ودیع ابو رزق

قيام الممالك وانحطاطها

تابع ما قبله

لما استهلَّ القرن الثامن للميلاد قامت دولة العرب فانتشر علمها في اسيا الصغرى وشمالي افريقية واسبانيا — في اكثر البلدان خصباً واقدمها عمراناً . فاتجر العرب بخيرات تلك البلاد الواسعة فعمَّت تجارتهم المسكونة واتصل تجارهم من الصين شرقاً الى بلاد اسوج غرباً وصارت بغداد مركز تجارة العالم ومحط غناهُ واضحت مدن العرب مقراً للعمران فشادوا المدارس الجامعة وجمعوا المكاتب الحافلة ونشأ من اهل الاسلام احذق الاطباء واعظم القضاة وامهر المهندسين ولا تزال آثار ثروتهم في المشرق والمغرب ومعالم عمرانهم في اللغات الاوربيَّة ومنها كلمة امير البحر (admiral) ومخزن (magazine) وطرحة (tare) وتعريف (tariff) ونظير (nadir) وما اشبه

الاَّ ان الممالك العربية لم تكن متكافلة . فوقع فيها الشقاق وتغلَّب الاوربيون عليها وزال معها ما امتازت بهِ من العلم واتساع نطاق التجارة

ولم تكد قوة العرب تضعف حتى قويت سواحل ايطاليا باتجاه التجارة من المشرق اليها فقامت فيها البندقية وجنوى وبيزا واملفي ولكل منها حكومة جمهورية وكان السبق فيها لاملفي فتسلَّطت على البحر وفاقت غيرها ثروة وعلماً وجاهاً وصارت شرائعها شرائع البحر الى اليوم وهي التي ادخلت استعمال الحك المغنطيسي في سلك البحر وصار كل اهل المشرق يتعاملون بنقودها فحسدتها بيزا ونشبت الحرب بين المدينتين فكان الفوز لاهالي بيزا فنهبوا املفي سنة ١١٣٥ وانحط شأنها من ذلك الحين وامست قرية حقيرة وقلَّ من يعلم الان انها كانت سيدة البحار

واستعزَّت بيزا بفوزها وتسلَّطت على كورسكا وسردينيا وجزائر بالاريا فبنى اهلها المباني الفخيمة فيها ودامت ترفل في عزها مئتي سنة ثم دالت دولتها وفازت جنوى عليها وقتلت واسرت ستة عشر الفاً من اهاليها في واقعة ملوريا فاصبحت سيدة البحار وامست بيزا قرية بعد ان كانت اكبر مدن اوربا في عهدها وكان سكانها ١٥٠٠٠٠ . واقتسمت جنوى والبندقية سيادة البحر فاشتدَّت المناظرة بينهما مدة ثلاثة قرون واخيراً تمَّ الفوز للبندقية فبلغت اوج مجدها في القرن الخامس عشر وصارت مركز تجارة الدنيا ومحط الغنى والعلم وكانت قوتها في سفنها فقد كان فيها من البحارة خمسون الفاً

وبقي العمران محصوراً في سواحل بحر الروم مدة الفي سنة لكن العرب والطليان اوصلوهُ الى شمالي اوربا فنشأَت لهُ معاهد جديدة على سواحل البحر الشمالي وبحر بلطيك اقيمت فيها معامل الصناعة واسواق التجارة

ثم دار فسكو ده غاما حول جنوبي افريقية ووصل الى الهند فرأى اهالي اوربا ان جلب البضائع الهندية بطريق رأس الرجاء الصالح اقل نفقة من جلبها برًّا الى ان تصل الى سواحل بحر الروم. فتغيرت طريق التجارة وكان ذلك الضربة القاضية على البندقية حتى طلب البنادقة ان يشتروا كل البضائع الشرقية التي كانت تصل الى البرتوغال بحرًا لكي يبقى لهم يد في تجارة المشرق فرُفض طلبهم واضطروا يعيشوا بقية زمانهم على الاموال التي ذخروها فانحطَّ شأْن البندقية رويدًا رويدًا من ذلك الحين

وكانت مدينة بروغ في البلجيك قد اقتسمت الثروة مع البندقية لما كانت تجارة المشرق في يد البنادقة لانها واقعة في قلب اوربا فلما انتقلت التجارة الى اهالي البرتغال بقيت بروغ في مقامها لانها واسطة عقد المدائن الاوربية وبلغ عدد سكانها في القرن الخامس عشر مئتي الف نفس اي انها كانت حينئذٍ اكبر من لندن وباريس فاعتمد اهلها واهل البلاد المجاورة لها على الصناعة والتجارة وترفهوا واهملوا فنون الحرب فحاربهم دوقات برغندي وقهروهم فهاجر كثيرون منهم الى هولندا والمانيا وفرنسا وانكلترا وانشأُوا المصانع فيها وضعف شأْن بروغ وهاجر تجارها الكبار الى انفرس فصارت عاصمة التجارة في شمالي اوربا لكن امرها لم يطل لانها حُصرت ونهبت فهرب تجارها الى امستردام. ونشبت الحرب الدينية بين هولندا واسبانيا ودامت ثمانين سنة فاستفادت منها هولندا وساءت حال اسبانيا وكان لاسبانيا والبرتغال في بداءة الحرب اعظم المستعمرات لان البابا اسكندر السادس قسم العالم الجديد (اميركا) بينهما سنة ١٤٩٣ ثم لما تغلبت اسبانيا على البرتغال سنة ١٥٨٠ صارت اميركا كلها من نصيب اسبانيا وصارت اسبانيا اغنى ممالك الدنيا واقواها برًّا وبحرًا فلم تنتهِ حرب الثمانين سنة حتى انتقل غناها واغنى مستعمراتها الى يد الهولنديين لانهم تغلبوا عليها بحرًا فصارت لهم السيادة على البحار وقبضوا على تجارتها. وقد حقَّق السر ولتر رالي وغيرهُ من الثقات ان سفن الهولنديين التجارية كانت في بداءة القرن السابع عشر اكثر من سفن سائر ممالك الارض جمعاء. وكان اسم نيويورك حينئذٍ نيوامستردام وكانت مستعمرة هولندية واستولى الهولنديون على برازيل انتزعوها من يد البرتغال واستولوا ايضاً على جزائر الطيوب ورأْس الرجاء الصالح وانتشرت تجارتهم البحرية في كل الاقطار وصارت سلطنتهم مثل سلطنة الانكليزية الآن وكانوا

اقوى الامم كلها واغناها. وكان في الامكان ان تصير اميركا كلها هولندية بدلاً من ان تصير انجلوسكسونية . وكانت السفن الهولندية تحمل بضائع انكلترا وفرنسا فصارت امستردام مركز الحركة المالية للدنيا كلها وجعلت هولندا تجبي الجزية من كل المسكونة

ان عظمة انكلترا التجارية والبحرية حديثة العهد فانهُ لما كانت القوة في يد اهالي الفلمنك كانت انكلترا في الدرجة الثالثة فانها كانت بلاداً زراعية يجلب الفلمنكيون صوفهم منها وكانت تجارتها في يد تجار من الالمان اسمهم استرلن ومنهُ سمي الذهب الانكليزي بالذهب الاسترليني فكانوا في البلاد الانكليزية كالتجار الانكليز الآن في بلاد الصين فنزعت الملكة اليصابات الامتيازات التي كانوا يتمتعون بها لكي تنهض همة الانكليز للتجارة . ولم يكن عند الانكليز حينئذٍ سفن تجارية يُعتدُّ بها ولا كانوا يهتمون بصيد السمك بل كانت حرفتهم البحرية القرصنة

ولما بلغت هولندا اوج مجدها استمرَّت داخل سدودها البحرية واهملت جنودها والصنائع التي تقوي رجالها وتزيد خيرات ارضها فلم تعد حاصلاتها تكفي ثمن سكانها واهملت مصايدها التي كانت تعتمد عليها لتربية البحارة من رجالها فاقتصر تجارها على منافعهم الخاصة واعتقد الهولنديون انهُ ما من دولة تجسر ان تحاربهم بعد ان حاربوا اسبانيا وقهروها فاهملوا بحريتهم ايضاً حاسبين ان ثروتهم الطائلة تمكنهم من تقويتها عند الحاجة الى ذلك باسرع ما يمكن من الوقت فعلم كرومول مواقع ضعفهم وهاجمهم سنة ١٦٥٢ فتغلَّب قوادهُ على قوَّادهم ثم سنَّ القوانين البحرية التي غلَّت ايدي تجار هولندا ومهَّدت السبيل لعظمة انكلترا البحرية ثم توالت النكبات على هولندا من انكلترا وفرنسا فمحقت سيادتها البحرية والتجارية

وسنة ١٦٦١ استلم كولبر ادارة فرنسا وكانت فرنسا زراعية فقيرة وهولندا تجارية صناعية غنيَّة فعزم على اغتنام جانب من صناعة هولندا وتجارتها ووضع رسوماً باهظة على بضائعها فانتقل جانب كبير من صناعتها الى فرنسا وحذت بلدان اخرى حذوهُ . واما الهولنديون فبقوا على حرية التجارة لا يأخذون المكوس على بضائع الاجانب الى ان تلاشت صناعتهم وتجارتهم . ورغبت انكلترا وفرنسا في توسيع تجارتهما واستعمارهما من اسلاب الهولنديين فاختصموا عليها ونشبت الحروب بينهما ومضى قرن كامل من عهد الملك لويس الرابع عشر الى عهد نبوليون الاول وهما تتناظران على امتلاك البحار والاستئثار بالاستعمار فلما قهر نبوليون استتبت السيادة البحرية لانكلترا . فبالسيف نالت سيادتها البحرية والصناعية والاستعمارية وبسياسة حكامها الذين حموا تجارتها وصناعتها . ثم ان حروب نبوليون خربت اوربا واوقفت دولاب صناعتها وتجارتها وازالت منها كل مناظرة لانكلترا . وكان السلم ضارباً اطنابهُ في

انكلترا فاستأثرت بالصناعة والتجارة والثروة واصبح العالم كلهُ مديوناً للشعب الانكليزي

ولكن « قبل الكسر الكبرياء وقبل السقوط تشامخ الروح » ففي اواسط القرن الماضي كانت انكلترا تستخرج من الفحم الحجري وتنسج من المنسوجات القطنية وتسبك من الحديد اكثر من كل ممالك الارض وكان فيها من النقود وسكك الحديد والسفن اكثر مما في كل الممالك واعتقد الانكليز كما قال كوبدن ان الطبيعة نفسها هيأت انكلترا لتكون دار صناعة الدنيا ولتبقى كذلك ابد الدهر فاطمأنوا بهذا الاعتقاد واهملوا تحصين بلادهم سياسياً ومالياً فجعلت عظمتهم تنحط من ذلك الحين صناعياً وتجارياً ومالياً . والآن ترى الولايات المتحدة والمانيا تناظرانهم في سيادتهم التجارية والبحرية لانهما تتقدمان تقدماً سريعاً وهم واقفون في اماكنهم فماذا خبأ المستقبل لانكلترا هل تتعلم من التاريخ وقد مال نجمنا الى الافول

ان تاريخ ثلاثة آلاف سنة يعلمنا ان المقتنيات كلها من املاك واموال لا تكون نصيب الضعيف المسالم بل نصيب القوي الكمي ولا ينالها الخامل الذي يتبع آراء العلماء والادباء بل البطل الباسل الذي يتسلح بالهمة والاقدام والعقل والتدبير . وان الثروة والقوة لا تحفظان الاَّ بحد السيف . وان المال لا يقوم مقام القوة ولكن القوة تقوم مقام المال وهي افضل منهُ وان الاموال لا تحمي نفسها . وان اهمال الزراعة والاستعداد الحربي كان الضربة القاضية على كل الممالك التجارية السالفة من فينيقية الى هولندا وان المدن الكبيرة تلتهم قوة البلاد

ولقد اهملت انكلترا زراعتها وبنت لنفسها بناء مالياً لم يرَ العالم اعظم منهُ اقامتهُ على عمود واحد نصبتهُ في بلاد غريبة ودول الارض تنشر الآن هذا العمود بمنشار من الفولاذ فلا تستطيع بريطانيا ان تحفظ عظمتها الاَّ باساطيلها ولا تستطيع اساطيلها ذلك الاَّ اذا كانت اقوى من اساطيل سائر الدول

ولا يخفى ان بريطانيا ليست الآن اغنى ممالك الارض كما كانت قبلاً وان الحق للقوة في المعاملات الدولية والبقاء للاصلح والاقوى حسب النواميس الطبيعية والشرائع السياسية

والآن وقفت بريطانيا في مفرق الطرق فاما ان تقوى على الاحتفاظ بما لها او ان تنحط وتتلاشى . وتسميتها سلطنة واحدة انما هو من باب التساهل لان اجزاءها المختلفة ليست محكمة الارتباط فهي مثل سلطنة الهولنديين ومثل سلطنة الفينيقيين

ولقد انقرضت الممالك القديمة لانها لم تجارِ عصرها فان كانت بريطانيا لا تجاري روح هذا العصر ان كانت لا تترك سياسة الاهمال والاكتفاء بالاعتزال والانصباب على حشد المال والتمسك باهداب المحال والبقاء على إعفاء بضائع الاجانب من المكوس ولا تعود الى

الاعتناء بالزراعة واستثمار خيرات الارض وتدريب شعبها على الفنون الحربية حتى يكونوا على استعداد للحرب دائماً ولا تهتم بربط اوصالها وتوحيد قوتها حتى يستطيع المجموع كلهُ ان يدافع عن نفسهِ — ان كانت لا تفعل ذلك كلهُ فقد قضي عليها حسب سنَّة العمران وسنة الطبيعة وستدرج كما درجت فينيقية وقرطاجنة واثينا ورومية والقسطنطينية والمملكة العربية واملفي وبيزا وجنوى والبندقية والمملكة الهولندية

تغير الاقليم

(تابع ما قبلهُ)

تقلبات الاقليم الزمنية وكلف الشمس — ظهر بالمراقبة ان مغنطيسية الارض تتغير في ادوار متساوية يبلغ طول الدور منها ١١ سنة فآل هذا الاكتشاف الى البحث فيما اذا كان هناك ادوار مثلها في الحوادث الجوية . والبحث في ذلك قديم يمتدُّ الى القرن السابع عشر ولكنَّ العلماء لم يعنوا بهِ العناية الواجبة حتى سنة ١٨٧٠ ومع ذلك كلهِ لم تصب مباحثهم المرمى ولا وفت بالغرض المطلوب لصعوبة الموضوع وغموضهِ . ولا غرابة ان توجد علاقة بين الامرين وان لم تؤيدها الحوادث كل التأييد فقد دلَّت الارصاد على تغيرات في الحرارة والمطر كل احدى عشرة سنة في بعض الاماكن ولكن هذه التغيرات طفيفة وغير قياسية ولا تتناول مساحات واسعة حتى يمكن الانباء بتغير الاقليم في ازمان معلومة . ففي بعض الاحوال ترى العلماء مختلفين في علاقة الاقليم بازمان ظهور الكلف وفي البعض الآخر ترى نتائج الابحاث متناقضة

فقد أبان كوبن مثلاً ان الحرارة تكون على معظمها في المنطقة الحارة خصوصاً حينما تكون كلف الشمس على اقلها ولكن اختلاف متوسط الحرارة السنوية عند ما تكون الكلف على اقلها وعند ما تكون على اكثرها انما هو درجة وثلث درجة في المنطقة الحارة واقل من درجة في غيرها. ورأى نورد من البحث عن السنين الواقعة بين ١٨٧٠ و ١٩٠٠ ان الحرارة تكون على اقلها حينما تكون الكلف على اكثرها . ويظهر ان هذه النتيجة مناقضة لما اثبتهُ كوبن وللقول بان الشمس تكون اشدَّ حرارة حين تكون الكلف على اكثرها وقد فسَّروا هذا القول بناء على ان وقوع المطر وتكوُّن السحب — وكلاهما يكون على اكثرهِ حين تكون الكلف على اكثرها — يخفضان الحرارة ولا سيما في المنطقة الحارَّة . فظاهر من ذلك ان

المسألة لا تزال مشوشة مرتبكة وان علاقة الكلف بحرارة هواء الارض غير جلية

والمرجَّح ان الكلف ليست السبب الوحيد في تقلب اقليم الارض ولا السبب المباشر له ايضاً . قال السر نورمن لكير "لا يكاد يكون ثمة ريب ان التموّات الشمسية هي العوامل الاولية في التقلبات المغنطيسية والجوّية في شمسنا وفي التقلبات الارضية ايضاً" . وفي سنة ١٨٧٢ رأى ملدروم وكان حينئذٍ مديرًا لمرصد موريتيوس انهُ توجد علاقة بين ظهور الكلف ووقوع المطر وعصف الزوابع والاعاصير في الاوقيانوس الهندي الجنوبي اي ان المطر يزيد والزوابع والاعاصير تكثر في السنين التي تكون فيها الكلف على اكثرها والعكس بالعكس . والمراد بالمطر المتوسط السنوي لما يقع منهُ في معظم الازمنة والامكنة التي يقاس فيها لا كلّها . ووجد بوبي بعد ذلك مثل هذه العلاقة في زوابع الهند الغربية . ووجد هل ان امطار المواسم (التي تقع في الهند صيفًا) تزيد في النصف الاول من دور الكلف بعد ما تأخذ في القلة . على ان الامطار التي تقع في شمال الهند شتاء تجري على ضدّ ذلك اي انها تكون على اقلها في زمن اشتداد الكلف او عقبهُ

وقد قضى كثيرون من العلماء زمانًا طويلاً يبحثون ليعلموا هل من علاقة بين وقوع المطر وظهور الكلف ولكنهم لم يتوصلوا الى نتائج مقررة بل ان نتائجهم كثيرًا ما ترى متناقضة فلا يمكن التعويل عليها في الانباء بما تكون عليهِ حالة السنة القادمة من مطر او قيظ . ووجهَ العلماء انظارهم خصوصاً الى وقوع المطر في الهند مدة ظهور الكلف لما هناك من العلاقة الشديدة بين المجاعات وامطار المواسم فيها . وفي سنة ١٨٨٩ اعترف بلانفورد ان وقوع المطر في الهند عموماً لم يطابق ظهور الكلف في دوريها السابقين اي مدة ٢٢ سنة قبل السنة المذكورة . ودرس السر نورمن لكير وابنهُ تغير المطر في البلدان الواقعة حول الاوقيانوس الهندي وعلاقتهُ بتغيُّر حرارة الشمس فوجد ان وقوع الامطار في الهند يغزر مرتين في كل دور من ادوار كلف الشمس الواحدة قرب الزمان الذي تكون فيهِ الكلف على اكثرها والاخرى قرب الزمان الذي تكون فيهِ على اقلّها . وان مجاعات الخمسين سنة الماضية حدثت في خلال كل مرتين . وعندهما انهُ لو علم الناس سنة ١٨٣٦ من هذا الامر ما نعلمهُ الآن لأمكنهم الإنباء بجميع المجاعات التي حدثت بعد ذلك الأوان على ما يرجَّح

ومن العلماء مَن بحث في علاقة ظهور الكلف بالظواهر الجوية الأخرى غير الحرارة والمطر والزوابع ومعظم ما عملوهُ من هذا القبيل انما هو مجرَّد حدس وتخمين . ولكن يظهر انهم توصلوا الى ما يبشر بالنجاح من حيث تغير ضغط الهواء وعلاقتهُ بتغير الاقليم

دور بروكنر — سمي كذلك نسبة الى الاستاذ بروكنر السويسري وقد درس تغير الاقليم درساً دقيقاً فاثبت ان الاقليم يتغير تغيراً طفيفاً من حيث الحرارة ووقوع المطر كل ٣٥ سنة . وبدأ بحثهُ بدرس ما يطرأ على سطح بحر قزبين من الارتفاع والانخفاض ثم درس ارتفاع الماء وانخفاضهُ في الانهر التي تصبُّ في البحر المذكور واستطرد الى تسجيل مواعيد تجمُّد المياه في انهر روسيا وذوبان الجليد منها واخيراً توسع في ابحاثهِ حتى تناولت قسماً عظيماً من الارض فعرف كلَّ ما طرأ عليهِ من حرّ قادح وبرد قارس ومواعيد قطف الكروم ووقوع الامطار وما اشبه ذلك في الماضي والحاضر . مثال ذلك انهُ توصل في ابحاثهِ الى ان عرف ميعاد تجمد انهار روسيا وذوبان الجليد منها سنة ١٥٥٩ وميعاد قطف الكروم الى اواخر القرن الرابع عشر وقرس الشتاء في سبع سنوات متباعدة حتى سنة ١٠٠٠ مسيحية . فوجد انهُ في كلّ دور متوسط طولهِ ٣٥ سنة تأتي سلسلة سنين باردة كثيرة المطر ثم تعقبها سلسلة سنين اخرى حارة كثيرة القحط . ووجد ايضاً ان متوسط سعر الحبوب في السنين الماطرة يزيد ١٣ في المئة عما يكون في السنين القاحطة . وليس طول هذا الدور ٣٥ سنة في كلّ الاحوال فقد يكون مرة ٢٠ سنة واخرى ٥٠ بل ان متوسط الفترة بين سلسلة السنين الماطرة وسلسلة السنين القاحطة نحو ٣٥ سنة . ثم ان الادوار الماطرة والقاحطة تختلف حرارتها كما تختلف الفترات التي بينها في الطول ومتوسط الاختلاف نحو درجتين وكذلك اختلاف وقوع المطر اكثر ظهوراً في داخلية البلدان منهُ في سواحلها ومتوسطهُ العمومي ١٢ في المئة . واذا اغضينا عن البلدان الشاذَّة كان ٢٤ في المئة ففي غربي سيبيريا يقع من المطر في السنين الماطرة ضعف ما يقع في القاحطة . والاماكن التي مطرها العادي قليل تشعر بالقحط اكثر من غيرها فاذا جاءت سنو القحط فقد يهجرها اهلها ولا يعودون اليها

وعاد بروكنر فدرس احوال المطر في السنين الاخيرة في روسيا والولايات المتحدة وبعض الاماكن في اواسط اوربا وشرقي سيبيريا فاستدلَّ منها على ما يؤيد نتائجهُ الاولى وهو انهُ وجد ان المطر اخذ يقلُّ في الاماكن المذكورة اجمالاً منذ نحو سنة ١٨٨٥ . وهاك جدولاً يبيّن ادوار بروكنر والفترات التي بينها

حارٌّ	١٧٤٦—١٧٥٥	١٧٩١—١٨٠٥	١٨٣١—١٨٣٥	١٨٥١—١٨٧
جافٌّ	١٧٥٦—١٧٧٠	١٧٨١—١٨٠٥	١٨٢٦—١٨٤٠	١٨٥٦—١٨٧٠
بارد	١٧٥٦—١٧٩٠	١٨٠٦—١٨٢٠	١٨٣٦—١٨٥٠	١٨٧١—١٨٨٥
ماطر	١٧٧١—١٧٨٠	١٨٠٦—١٨٢٥	١٨٤١—١٨٥٥	١٨٧١—١٨٨٥

وأيد رختر دور بروكنر بما يطرأ على انهر الجليد في سويسره من التغير ولكن لما كانت انهر الجليد هذه مختلفة الطول فهي لا تزحف ولا تتقهقر كلها في وقت واحد وزحفها يُرى في زمان البرد والرطوبة

ومما يجب ذكرهُ هنا ان بروكنر وجد ان الاقاليم البحرية تجري على عكس دوره فان الازمنة التي تكثر فيها الامطار في داخلية اوربا يقل فيها ضغط الهواء بينما يكون الضغط كثيرًا والهواء جافًا فوق الاوقيانوس وبالعكس . وذهب لكير الى ان الميجان الذي يحدث في الشمس يطابق دور بروكنر وان لهُ ثلاثة ادوار مختلفة في الطول فالواحد طولهُ بين ثلاث سنوات واربع والثاني نحو احدى عشرة سنة والثالث نحو خمس وثلاثين سنة

ادوار اطول — وهناك دلائل تدلُّ على وجود ادوار في تغير الاقليم يزيد طولها على ١١ سنة و ٣٥ سنة . فقد ظهر لبروكنر مرارًا ان دورين من ادواره كانا يندمجان الواحد في الآخر بحيث يصعب تعيين حدودهما . وظهر لرختر مثل ذلك في انهر الجليد بالالب ولغيرهما في اماكن اخرى . ومن رأي كلو ان الظواهر الشمسية والارضية تدلُّ على وجود ادوار طول الواحد منها ٣٠٠ سنة . على ان ذلك كلهُ مجرَّد فرض وترجيح

تغير الاقليم في الادوار الجيولوجية — مما لا يختلف الجيولوجيون فيهِ ان الاقليم تغير في الادوار الجيولوجية كما يدلُّ الدور الجليديُّ عليهِ . وقد طال الجدال بين العلماء في اسباب ذلك التغير سواء كان في شدَّة الحرارة الواصلة من الشمس الى الارض او في الشمس نفسها او في احوال جوّ الارض او في العلاقات الفلكية التي بين الارض والشمس او في توزع اليابسة والماء او في وضع محور الارض او في علوّ الاماكن على سطح الارض . ولكنهم لم يبتُّوا شيئًا بعد ولم يوردوا دليلاً على صحة هذا الرأي او ذاك

النتيجة — ان الاعتقاد العام بتغير الاقليم في جيل او جيلين لا تؤيدهُ المباحث المتيورولوجية . وكذلك القول بتغير الاقليم في زمن التاريخ لا يعوَّل عليهِ رغمًا عما يقدَّم من الادلة في هذا السبيل لان معظم هذه الادلة متناقض لا يركن اليهِ . فقد استدلَّ دوفور بعد بحث طويل ان تغير الاقليم لم يثبت بالبرهان بل كلُّ ما هناك تغير طفيف يحدث في ادوار معلومة ولكنهُ تغير لا يبنى عليهِ حكم ولا تفيد معرفتهُ فائدة عملية

هذا ما يقال في التغير واما اسبابهُ فمختلف فيها كما تقدم ولكن اقرب تلك الاسباب تغير هيجان الشمس واضطرابها ونتائج البحث في هذا السبب تبشر بحلّ قريب

الدول البحرية

السيف اصدق انباء من الكتب — في حده الحد بين الجد واللعب
قالت عداتك ليس الجد مكتسباً — مقالة الهجن ليس السبق بالحضر

بريطانيا سيدة البحار في هذا العصر وقد خلفت الدول البحرية السابقة وفاقتها كلها كما فاقت الدول البحرية الحاضرة فعدد بحارتها في سفنها الحربيَّة ١٢٩ الفاً وعدد البحارة عند الفرنسويين ٥٢ الفاً وعند الالمان ٤٢ الفاً . وقد كانت اساطيل هذه الدول الثلاث في شهر اكتوبر الماضي على ما في هذا الجدول

	انكلترا	فرنسا	المانيا
بوارج مدرعة	٤٦	١٥	١٩
طرادات من الدرجة الاولى	٣٧	٦	٢
« « « الثانية	٢٤	١	٥
« « « الثالثة	٦	٤	٧

هذا عدا ما عند هذه الدول من السفن الحربية الصغيرة من كل الانواع وعدا البوارج والطرادات التي تبنى الآن او لم يتم بناؤُها حتى الآن. واذا حسبت قوات هذه السفن بمقدار محمولها بالاطنان كانت قوات الدول الاوربية الاربع الكبرى هكذا

	انكلترا عدد	انكلترا طن	فرنسا عدد	فرنسا طن	المانيا عدد	المانيا طن	روسيا عدد	روسيا طن
بوارج من الدرجة الاولى	٦٠	٨٤٠٢٨٥	٢٥	٣٠٠٢٦١	٢٤	٢٨٣٦٧٠	١٢	١٥٥٠٦٣
طرادات من الدرجة الاولى	٦٧	٦٥٤٣٠٠	٣٠	٢٦٥٦٠٩	٨	٧٨٥١٤	١٤	١٣٥٨٣٥
« الثانية	٤٤	١٩٨٨٨٠	١٣	٥١٢١٢	٢١	٨٥٨١٦	٢	٩٤٨٨
« الثالثة	٣٧	٦٨٣٣٠	١٦	٢٩٣٣٤	٢١	٤٣٧٠٤	٤	١١١١٦
والجمله		١٧٦٢٢٩٥		٦٤٦٤١٦		٤٩٠٧٠٤		٣١١٤٠٢

فواضح من ذلك ان قوة انكلترا البحرية اعظم كثيراً من مجموع قوات فرنسا والمانيا وروسيا.

وكل سفينة من سفنها الحربية اقوى مما يقابلها في سفن سائر الدول فاقوى بارجة عند الالمان بلغت نفقات عملها مليوناً و ٢٠٠ الف جنيه واقوى بارجة عند الانكليز وهي الدردنوت التي أُنزلت حديثاً بلغت نفقات عملها مليوناً و ٨٠٠ الف جنيه . وما تنفقهُ بريطانيا كل سنة على بناء سفنها الحربية يعادل ما تنفقهُ الدول الثلاث معاً كما ترى من هذا الجدول وهو بالجنيهات

	انكلترا	فرنسا	المانيا	روسيا
سنة ١٨٩٦	٧٧٦٥٦٤٦	٤٧٩٣٢٦٨	١١٠٢٣٤٠	١٤٢٢٤٧٠
« ١٩٠٤	١٢٠٩٨٠٩٢	٤٥٧٧٣٣٦	٣٣٨٧٢٣٠	٤٦٢٠٩١٢
« ١٩٠٦	٩٦٧١٧٦٠	٣١٣٦٩٤٣	٣٥٩٤٦٦٧	٤٤٢٨٥٠٨

ونفقات روسيا في سنة ١٩٠٤ و ١٩٠٦ تشمل تسليح ٤٩ سفينة من متلفات التربيد و ٤ غواصات

وتنفق انكلترا على بحريتها اكثر بكثير مما تنفق فرنسا والمانيا معاً كما ترى من هذا الجدول

	انكلترا	فرنسا	المانيا
ميزانية ١٨٩٧	٢١٨٣٨٠٠٠	١٠٦١٠٩٢٠	٥٨٧٦٢٧٥
« ١٩٨٥	٢٦٨٨٩٥٠٠	١٢٥١٣١٤٣	١٠١٠٢٧٤٠
« ١٩٠٧	٣١٨٦٩٥٠٠	١٣٠٠٣٢٣٨	١٣٣٤٧٣٧٩

ومن سنة ١٨٩٧ الى سنة ١٩٠٧ زادت ميزانية الحربية في انكلترا اكثر من ١٠ ملايين جنيه وزادت في فرنسا مليونين وثلث وفي المانيا ستة ملايين ونصف وفيهما معاً اقل من تسعة ملايين جنيه

وزادت ميزانية النفقات لبناء السفن الحربية في انكلترا من ٥ ملايين سنة ١٨٩٧ الى ١١ مليوناً و ٦٠٠ الف جنيه سنة ١٩٠٤

قلنا ان عدد البحارة في السفن الحربية الانكليزية يبلغ الآن ١٢٩ الفاً ولم يبلغ في سنة من السنين هذا القدر الاَّ سنة ١٨١٠ فانهُ بلغ حينئذٍ ١٤٤٧٦٢ بسبب نشوب الحروب حينئذٍ ثم نقص رويداً رويداً حتى بلغ سنة ١٨١٧ اقل من ٢٣ الفاً وزاد بعد ذلك رويداً رويداً حتى بلغ سنة ١٨٥٦ نحو ٦٨ الفاً

وقد كانت نفقات الحكومة البريطانية سنة ١٨٨٢ نحو ٨٣ مليون جنيه فيخص النفس من السكان جنيهان و ٧ شلنات و ٦ بنسات فصارت سنة ١٩٠٥ نحو ١٤٢ مليون جنيه تخص النفس من السكان ثلاثة جنيهات و ٥ شلنات و ٨ بنسات وكان متوسط نفقات الحكومة

السنوي من سنة ١٨٨٢ الى ١٨٩١ نحو ٨٨ مليون جنيه فصار من سنة ١٨٩٦ الى سنة ١٩٠٥ نحو ١٤٠ مليون جنيه يخص البحرية والحربية من ذلك ٦٦ مليون جنيه في السنة ومع كل هذه النفقات وهذا الاستعداد للحرب يقول بعض الباحثين ان البلاد الانكليزيَّة مقصرة في استعدادها وان ذلك سيوردها حتفها كما يظهر من المقالة السابقة

رسالة الرئيس روزفلت

ما اجدر كلَّ اميركي ان ينشد في رؤساء حكومتهِ ما أنشدهُ السموأَل في رؤساء قومهِ من قصيدتهِ المشهورة حيث قال

اذا مات منَّا سيّدٌ قام سيّدٌ قؤولٌ لما قال الكرام فعولُ

فان رؤساء جمهورية الولايات المتحدة من جورج واشنطون اولهم الى روزفلت رئيس الجمهورية الحالي كلهم كريم في كريم ومثال الهمة والعفة والنزاهة والاستقامة وكلّ فضيلة ٠ واذا اراد الله لقوم عزًّا ورفعة مقام نفخ في صدور رؤسائهم من علمهِ وايدهم بروح من عندهِ ولقد جاءت رسالة الرئيس روزفلت التي تليت في مجلس الامة الاميركية في ٤ الماضي مطابقة لما اشتهر عن رؤساء الجمهورية الاميركية من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والميل الى السلام ومعاملة اصناف الناس بالانصاف والاحسان . قال في " العمل وراس المال "

لا بدَّ في الكلام عن العمل ورأس المال والمسائل التي لها علاقة بالشركات التجارية من تذكر امرٍ يفوق في اهميتهِ سائر الامور وهو الضرر العظيم الذي ينشأ عما ينادي بهِ البعض من التذمُّر وعدم الرضى عن حال من الاحوال ٠ فهؤلاء يحاولون إثارة حقد الجمهور على جميع الاغنياء بالسواء ويسعون في تحويل الاعمال الجليلة التي تعمل لتحسين مراقبة الشركات وازالة المساوىء المتعلقة بالثروة الى اعمال اساسها التهييج والنفاق وغايتها اثارة غضب الناس واحقادهم الى حدّ الجنون

وترى دعاة السوء والمتشائمين بالويل والخراب والذين لا همَّ لهم الاَّ المناداة بالثبور وعظائم الامور يحاولون احيانًا الانضمام الى فريق المبشرين بالخير الساعين الى اصلاح الحكومة والهيئة الاجتماعية اصلاحًا صادقًا ويتزيون بزيهم وهم في الحقيقة الدّ اعداء المبدإ الذين يدَّعون نصرتهُ والدفاع عنهُ كما ان الذين يذيعون النمائم في الجرائد والمجلات هم اعدى اعداء الصالحين الذين يجعلون دأبهم رفع ما انحطّ من شؤون حكومتنا ومجتمعنا ٠ فالمناداة ببغض

الغني وافتراء الكذب عليه والسعي في تضليل الرجال الامناء الذين لم يتعلموا العلم الكافي ليتمكنوا من اكتشاف الخطر الذي تتضمنهُ هذه الاضاليل — كلُّ ذلك يعدُّ عداوة لجمهور الامة وكذباً على كلّ مبدإ شريف وتقليد سام من مبادىء الحياة الوطنية الاميركية وتقاليدها . وزد على ذلك انهُ وان افضى هذا التهويل وهذا التهييج الى شهرة بعض انصارهما وانتصار البعض الاخر انتصارًا سياسياً وقتياً فلا بدَّ ان يخذلا اخيرًا او يأولا الى خراب كلّ ما بناهُ المحرّضون على الشر وما بناهُ المصلح الامين والمدافع عن حقوق الامة من الخير . ولا تسود الرشوة في مكان مثلما تسود في الجماعات التي بات القول الاول فيها للمحرّض والمهيج اذ تنفصم فيها كلُّ عروة ادبية ويحلُّ التهييج والحماس محلّ النظر الصحيح والانصاف في معاملة الناس بعضهم لبعض . واذا عمّت الفوضى اضطرّ الناس اخيرًا ان يلجأوا الى كل قائد يستطيع اعادة النظام فاذا استتبّ النظام واستراحوا مما كانوا يرزحون تحتهُ من تحريض المحرّضين والسخط على اهل الثروة وما اشبه لم يستطع احد بعد ذلك ان يثير خواطرهم ثانية على ما يرتكبهُ الاغنياء من المساوىء فينوءون بالاحمال التي ثاروا اولاً ليتخلصوا منها

فالامل الوحيد لنجاح شعبنا انما هو السير في الطريق الذي رسمهُ مجلس الامة في السنة الماضية بعزم وثبات وتعقّل ورباطة جاش . والامتناع كلّ الامتناع عن سلوك سبيل اللؤماء الذين يعتمدون في نجاحهم على ادنى ما في الناس من الغرائز والاهواء ليثيروا فريقاً من الاميركيين على اخوانهم . او سبيل آخرين سواء في الدناءة واللؤم ممن يقودهم جشعهم او سعيهم في زيادة ثروتهم الى استخدام اخوانهم آلات لنيل مآربهم غير مكترثين لخيرهم الادبي ولا المادي . فالرجل الذي يرشو الآخرين لينال منصباً سامياً انما هو مساوٍ في الشرّ للرجل الذي يرشوهم لربح ماليّ . ومحال ان ينتج خير من الشر

اما الرجال السذّج البسطاء من عمّال وفلاّحين وتجّار الذين يشتغلون برؤوسهم ويعملون بايديهم ويجلون تقاليد اميركا ويحبون بلادهم ويسعون الى اكرام جارهم فليذكروا ان اعظم ضربة على حكومة الشعب الخطاب محرّض من الناعبين بالسوء ليخطب على مرسح الاغتصاب والرياء . فاذا عرض لنا مثل ذلك فلا مناص لنا من الجهاد لانهُ بهذا يمتحن نظام الحكومة الديمقراطي والجمهوري . وانتصار الرعاع مثل انتصار الاغنياء فاذا سلمنا من الواحد لم يكفنا ذلك حتى نسلم من الآخر . واما الرجل الامين الذي يحصل قوتهُ بيديهِ ويعامل اخوانهُ بالرفق والانصاف غنياً كان او فقيرًا فليخف من الذين يَعِدون كثيرًا ولا يعملون شيئًا او لا يعملون سوى الشرّ بتحريض الرعاع على سلب الاغنياء كما يخاف من الراشي الذي يسمح لكبار

الاغنياء بامتصاص دم العامة لمأرب ينالهُ · فاذا تركنا هذه الحكومة في ايدي رجال من هذين الصنفين كنّا اعداء لبلادنا

ثم انتقل الى الكلام على الشركات التجارية والمالية واطال فيهِ وذمّ شيوع الطلاق الى حدّ ان اضرّ بمجموع الامة · واستطرد من ذلك الى اليابان واليابانيين فقال :

والواجب علينا ان نعامل جميع الامم بالعدل والانصاف ولا نقتصر على معاملة الامم كذلك بل نعامل كل الذين يهاجرون الى بلادنا طبقاً لقوانيننا بالعدل والرضى وحسن القبول لا فرق في ذلك سواءٌ كانوا كاثوليكاً او انجيليين يهوداً او وثنيين انكليزاً او المانيين روسيين او يابانيين ايطاليين او سواهم · وكل ما يحق لنا ان نسأل عنهُ او نعترض عليهِ هو سلوك المهاجر وسيرتهُ . فاذا كان مستقيماً وصادقاً في معاملتهِ للناس وللحكومة فقد وجب علينا احترامهُ ومعاملتهُ بالحسنى · ويجب علينا خصوصاً ان نتذكر ما يُطلب منا للغريب النازل في ابوابنا · فان اذلال هذا الغريب او الاساءة اليهِ او التحزب عليهِ او التفريق بينهُ وبين سواهُ قصد عدم معاملتهِ بالسواء — كل ذلك دليل الانحطاط في التمدن وفي الآداب ما دام ذلك الغريب قد دخل بلادنا على مقتضى قوانيننا واحسن السلوك فيها · فالواجب على كل اميركي ان يتذكر ذلك وخصوصاً اذا كان من موظفي حكومة الجمهورية او حكومة كل ولاية من ولاياتها المتحدة

والذي حدا بي الى هذا القول ما أراهُ من معاملة اليابانيين بالجفاء والعدوان في جهات من هذه البلاد · نعم ان هذه المداوة محصورة في اماكن قليلة وبين جماعات متفرقة ولكنها عار عظيم على شعبنا وربما جرّت اسوأ العواقب على امتنا . فان عرى الصداقة بيننا وبين اليابان لم تزل موثقة من يوم دخول الكومدور بري اليها منذ خمسين سنة وفتحهِ ابوابها لتمدن الغربيين الى يومنا هذا . وقد نمت اليابان من ذلك الحين وتقدمت تقدماً ادهش العالمين اذ لم يسبق لهُ نظير في تاريخ البشر بل لم يحدث ما يقرب منهُ في عهد المتمدنين · وهي بلاد ذات تاريخ قديم وماضٍ مجيد عظيم تمدنها اقدم عهداً من تمدن شمال اوربا موطن اجداد معظم الاميركيين . على انها كانت منذ خمسين سنة فقط لا تفوق في ارتقائها درجة عن ارتقاء اوربا في الاعصار الوسطى ثم ارتقت في الخمسين سنة الماضية من كل وجهٍ من وجوه المعاش ارتقاءها المعدود معجزة العالم اليوم واصبحت تعدُّ من اعظم الامم المتمدنة . فهي امة عظيمة في ابواب الحرب والقتال. وفي اساليب السلم والامن . وفي اعمالها العسكرية والحربية . وفي اعمالها الصناعية والتجارية · وفي اشغالها الفنية والعلمية . وقد اثبت جنودها في البر والبحر انهم يحكون في ميادين القتال وساحات النزال اعظم جنود اشتهروا في التاريخ ونبغ فيها قواد الجيوش العظام وقام منها امراء

البحر المعدودون · واثبت رجالها برًّا وبحرًا انهم من اشجع الشجعان ومن الابطال الصادقي الولاء الذين لا تقعدهم الشدائد عن الهيجاء ولا يبالون بتجرع كاس الحمام كما اثبتوا ان الوطنية لها في نفوسهم اسمى منزلة وفي قلوبهم اشد محبة · والناس يضربون الامثال الآن بارتقائهم في الصناعة والتجارة ارتقاء لم ترتقهِ امة في مثل تلك المدة وكذلك تقدمهم في العلم والفلسفة يحكي تقدمهم في غيرها

وبعد ما اطال في اطراء اليابانيين بما لا يحتمل المقام استيفاءهُ قال ان السواد الاعظم من الاميركيين يجلهم ويكرم مثواهم وان الاجنبي القادم من اليابان يعامل في اكثر الجهات احسن معاملة كما لو كان قادمًا من ممالك اوربا المتمدنة ويستحق ان يعامل كذلك

واشار الى ما اظهرهُ البعض من العداوة لهم في سان فرنسيسكو وفي الجهات الاخرى وعدَّ هذا العداء ضربًا من الحمق وقال ان الاميركيين يعاملون احسن معاملة في بلاد اليابان ومن الواجب ان يعاملهم الاميركيون ايضًا بمثل هذه المجاملة والمودة في اميركا والاَّ كانت عداوتهم لهم في بلادهم اعترافًا منهم بانحطاط تمدنهم. اما الحكومة فستفعل كل ما في وسعها لاستئصال شأفة هذا العداء حتى لا يضر عمل القليلين من الاميركيين سمعة الامة كلها وعليهِ فاني اطلب معاملة اليابانيين بالحسنى كما اطلب ذلك للالمان والانكليز والفرنسويين والروسيين والايطاليين باسم الانسانية والمدنية ولخير الامة الاميركية نفسها لان الواجب علينا ان نعامل جميع الناس بالحسنى على السواء

وطلب في الختام من مجلسي الشيوخ والنواب الموافقة على قانون جديد يتعلق بتجنس اليابانيين المهاجرين الى اميركا بالجنسية الاميركية متى ارادوا ذلك وتعديل القوانين الجنائية والمدنية تعديلاً يخول رئيس الولايات المتحدة الاميركية حماية حقوق الاجانب طبقًا للمعاهدات الدولية

ثم رحَّب بمؤتمر السلم الذي سيعقد في مدينة الهاي بهولندا ولكنهُ حذَّر من تضحية مصالح الامة في سبيل السلم فقال

يجب ان لا يبرح من الاذهان ان الحرب جائزة بل واجبة على كل ابيّ النفس وعلى كل امة ابيَّة حيث لا ينال السلم الاَّ بتضحية ما يعتقدهُ الانسان واجبًا عليهِ او بتضحية مصالح الامة · والسلم خير كبير بوجه عام وينطبق على العدل والاستقامة ولكن ضمائر الامة مقيَّدة بالعدل لا بالسلم مثل ضمير كل فرد من افرادها ولا تستطيع الامة ان تضحي ما تعتقدهُ واجبًا عليها كما لا يستطيع الفرد ان يضحي ما هو واجب عليهِ · وكذلك لا تستطيع الامة التي

لا تموت كما يموت الفرد ان تغض الطرف عن مصالح الاجيال المقبلة كما لا تستطيع ان تغض الطرف عن مصالحها الحاضرة . ولا يجوز لاحد من رجال الحكومة ان يضحي مصالح الامة الضرورية بسبب قصر نظره في العواقب او مجاراةً لاهماله او لاميالهِ الشخصية . والحرب العادلة اصلح للامة من كل سلم ينال بالخضوع للبطل او للظلم . فعلى كل امة ان تستعد للحرب لتنجو من الانغلاب ومع ذلك فالانغلاب في الحرب خير من الاحجام عنها لان الامة المغلوبة على امرها لا يقتضي ان تكون ذليلة وانما الذليل من لا يذود عن حوضهِ بسلاحهِ

علينا كامة ان نبذل جهد الطاقة لحفظ السلم اذا كان مقروناً بالشرف ولا يجوز لامة قويةً كانت او ضعيفة ان تعتدي على امة اخرى كما لا يجوز لرجل ان يعتدي على آخر . وعلينا ان نبذل كل جهدنا لتقريب ذلك اليوم الذي يعمُّ فيهِ السلم ام الارض السلم المبني على اساس العدل لا على الخضوع للظلم . ويمكننا ان نفعل كثيراً في هذا السبيل ولكن لا يمكننا ان نفعل كل شيء ومن يحاول فعل امرٍ فوق طاقتهِ فقد لا يفعل شيئاً او يخطئ المراد في ما يفعلهُ . ويجب ان لا يبرح من بالنا ان المتطرفين في مطالبهم لا ينالون الغاية التي يقصدونها بل يكونون حجر عثرة في سبيل المعتدلين الذين يرجى منهم الوصول الى تلك الغاية. وحتى الآن لا نرى سبيلاً لاقامة قوة تتفق عليها دول الارض كلها وتكون حكماً وازعاً عن الشر والعدوان فمن الحماقة ان تخلى الامة الحرَّة عن القوة التي تحمي بها حقوقها او تحمي بها حقوق الغير اذا طلب منها ذلك . ولا شيء يزيد الشر ولا شيء يؤخر استيلاء السلم والعدل في الدنيا مثل ان تكون الامة حرَّة مستنيرة تطلب العدل والانصاف ومع ذلك تجرّد نفسها من كل قوة وتترك الظلم والتوحش في سلاحهما يعيثان فساداً . فاذا كانت دولة من الدول تريد فصل الخصومات بالتحكيم سلماً فعليها ان تكون قوتها الحربية كافية لتجعل كلامها مسموعاً وطلبها مقبولاً

ثم التفت الى اساطيل الولايات المتحدة فقال " انها هي الضامنة للسلم الذي تتمتع به هذه البلاد ويجب علينا ان نستفيد مما يعلمناهُ التاريخ . والشعب القوي الحكيم يتعلم ويستفيد من الامور التي اخطأ فيها كما يتعلم ويستفيد من الامور التي اصاب فيها "وذكر الحرب التي نشبت سنة ١٨١٢ وقال انهُ لو كان عند الولايات المتحدة حينئذٍ اسطول تذود بهِ عن نفسها لما نشبت تلك الحرب . ولم يطلب ان تزاد الاساطيل الاميركية دواماً بل ان تبقى على قوتها الحاضرة بابدال ما يعتق من بوارجها ببوارج جديدة لانهم اذا ابطلوا بناء البوارج سنة واحدة يكونون قد تأخروا سنةً الى الوراء

مدرسة عليكده ومؤسسها

صدر الجزء الاخير من مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية وفيه تسع عشرة مقالة في مواضيع مختلفة سياسية وادبية ست من هذه المقالات دبجتها اقلام النساء وهي المقالات الفضلى لان اكثر مقالات الرجال عن الحرب والسياسة واما مقالات النساء فاكثرها عن التعليم والتهذيب ومنها مقالة موضوعها الاسلام في الهند مدارها على مدرسة عليكده ومؤسسها السيد احمد خان وهي من اصرح ما قرأناه عن تلك المدرسة فلخصناها في ما يلي

قالت الكاتبة ان السيد احمد خان يفرق عن كل الذين قصدوا اصلاح حال المسلمين وهم لا يعرفون مبادئ العمران الاوربي في ان اولئك حاولوا الرجوع بالمسلمين الى ما كانوا عليه في زمن الخلفاء الراشدين اما هو فحاول مجاراة العصر الحاضر كأن لسان حاله يقول البس لكل حالة لبوسها لانهُ عاشر الاوربيين وعرف مقتضيات الزمان ورأى ان مستقبل الهند للانكليز لا للمغول . وكان معاصروهُ يسفهون رأيهُ ثم لما تعلَّم اللغة الانكليزية حكموا انهُ كافر ومُنع انسباؤُهُ واصدقاؤُهُ من معاشرتهِ ومخالطتهِ ومضت مدة طويلة وهو مقاطَع مقصيٌّ . واخيراً اجترأت امرأة من اقاربهِ على دعوتهِ الى بيتها وقدمت لهُ الطعام واكلت من الصحفة التي اكل منها وتلك جرأة لم يكن احد يقدم عليها فوقف الناس مبهوتين وتجاسروا من ذلك الحين على معاشرتهِ

وعكف على ما كان يحسبهُ واجباً عليهِ وهو احكام عرى الوئام بين ابناء ملتهِ وحكامهم من الانكليز . ثم قامت الفتنة فكانت ضربة قاضية على امانيهِ لانها تركت وراءها حزازات في الصدور يتعذَّر بروُّها فعزم على الرحيل عن بلاد الهند والمهاجرة الى بلاد لا يرى فيها فرقاً بين سكانها لكنهُ عاد ففكر في ما يمكن ان يحل بابناء بلادهِ بعد الفتنة فرأى ان المروَّة تقضي عليهِ بالبقاء بينهم ليقاسمهم الضرَّاء ويسعى في تخفيفها على قدر طاقتهِ

وكان المسلمون في ذلك الحين اقل شعوب الهند استفادةً من وسائل التعليم والتهذيب التي استخدمتها الحكومة الانكليزية . ومما قالهُ في هذا الصدد " ان حالتنا الاجتماعية وتقاليدنا الماضية وما لها في نفوسنا من المنزلة الفائقة وتصوراتنا الدينية التي رضعناها مع اللبن كل ذلك يمنعنا عن ان نقدر التعليم الانكليزي قدرهُ " (١)

ولم يكن الناس يعبأون بالتعليم وحتى الآن يكتفي الاغنياء بتعليم اولادهم المبادئ

(١) من خطابهِ للورد لتن سنة ١٨٧٧

البسيطة في الكتاتيب الدينية لحاول ان ينهض الناس من ذلك الخمول راجياً ان يشترك ابناء ملتهِ في المستقبل السعيد الذي قدَّرهُ لبلاد الهند في ظل العلَم البريطاني ولا يتم لهم ذلك ما لم يفتحوا ابوابهم للعلوم الغربية ولوسائل العمران الغربي فكان مدار مطالبهِ التوفيق بين الشرق والغرب . وتوفّق بعد عناء شديد مدة عشر سنوات الى تأليف لجنة تبحث عن الاسباب التي تمنع المسلمين من ارسال ابنائهم الى مدارس الحكومة والوسائل التي يمكن العمل بها لجعلهم يعلّمونهم العلوم اللازمة لهم . وعينت هذه اللجنة جوائز تعطيها لمن ينشئ الرسائل المفيدة في التعليم فاتتها اثنتان وثلاثون رسالة فطالعتها فوجدت انها تشير بانشاء مدرسة كلية لتعليم ابناء المسلمين . فاقيمت في السنة التالية لجنة لجمع الاموال التي يكتتب بها اهل البر لانشاء مدرسة كلية انكليزيَّة شرقية وابتدأ العمل في هذه المدرسة سنة ١٨٧٥ في عليكده وبعد سنتين وضع لورد لتن اساسها واهتمت الحكومة الانكليزية بها شديد الاهتمام واكتتب بالاموال اللازمة لها كثيرون من مسلمي الهند ومن الانكليز ولكن اكثر الاموال من المسلمين واكثرهم تبرعاً نظام حيدراباد فان وزيرهُ السرسلار جنغ كان اول من قدر هذا العمل قدرهُ . وشاركهم الهنود الوثنيون في هذا العمل المبرور لان السيد احمد خان جعل نظام المدرسة بحيث يرغب الهنود الوثنيون في مساعدتها ايضاً . وزاد عدد التلامذة من ١١ سنة ١٨٧٥ الى ٢٧٠ سنة ١٨٧٧ ودخل المدرسة السنوي من ٥٥٠٠ ربية الى ٤٤٠٠٠ ربية

اما الغرض من هذه المدرسة على ما قالهُ السيد احمد خان فهو "التوفيق بين العلوم الشرقية والعلوم الغربيَّة وجعل مسلمي الهند رعايا مستحقين الرعوية البريطانية موالين للحكومة ولاء ناتجاً عن معرفة نفعها لهم لا عن الخنوع لسلطتها [١] "واشار الى التعليم الديني فيها في خطبة اخرى فقال " اننا ادخلنا فيها من التعليم الديني ما لا نراهُ في مدرسة اخرى لكي نرقي آداب التلامذة وقد اعتمدنا على المبادىء التي ترقي الآداب لا على الرسوم والشعائر [٢] ". وغرضهُ تقوية اجسام الطلبة مع تهذيب عقولهم وقد قال في ذلك " ان لا بد من الالعاب الرياضية كما لا بد من تثقيف العقل وتهذيب الاخلاق " [٣]. واشار الى ذلك مراراً كثيرة وجعل نظام المدرسة مثل نظام مدارس الحكومة . وقد كلّل عملهُ بالنجاح لانهُ بذل جهدهُ وقضى عمرهُ فيهِ . وكان همهُ الاول متجهاً الى ما خاف ان لا يهتم بهِ غيرهُ فكان في وقت من

(١) خطابة للورد لتن سنة ١٨٧٧ (٢) خطابة للسر اوكلند كولفن سنة ١٨٨٨ (٣) خطابة للورد ربن سنة ١٨٨٤

الاوقات حائرًا بين ان يتم بناء المدرسة او بناء الجامع ولم تكن الاموال التي لديهِ كافية للاثنين فاتمّ المدرسة وترك الجامع قائلاً ان ابناء وطني يتمون بناءه ولو لم يفعلوا شيئًا آخر واما المدرسة فاخاف انهم يهملونها

ولما توفي سنة ١٨٩٨ كانت المدرسة مديونة بنحو مئة الف ربيّة وقد فقدت لفقدهِ اليد التي كانت تديرها لكن الذين يكرمون اسمهُ عضدوها وحفظوها · وخلفهُ النواب محسن الملك فكان خير خلف لخير سلف وقد قال لي انهم معتمدون على انفسهم ومتوقعون النجاح بسعيهم

ومباني المدرسة ليست فاخرة لكن صيتها كالمسك وقد انتشر في الاقطار وكثر تلامذتها فلم تعد مبانيها تسعهم ولا تزال تردّ كثيرين من الطلبة لضيقها · وكثرة الطلبة لا تزيد دخلها لقلة الاجور التي تتقاضاها ولذلك فهي في حاجة شديدة الى المال للتعليم وللاكثار من الاساتذة الانكليز لتصير جامعة مستقلة في اعطاء درجاتها عن مدرسة الله اباد ومدرسة كلكتا وحينئذٍ تصير كما قدّرلها السيد احمد خان حينما شرع في انشائها ولم يكن فيها الاَّ احد عشر طالبًا اي تصير معهدًا للعلوم الاسلامية ومصدرًا للاصلاح المنتظر الذي يردّ الدين الى اصولهِ الاولى ويبعد عنهُ الاوهام التي ولّدتها ازمنة الجهل

ولا يسعني المقام لوصف هذه المدرسة بالتفصيل ولا انا قادرة على ذلك فاكتفي بالاشارة الى الغرض الذي يتوخاهُ اساتذتها وهو الغرض الذي ارادهُ منشئها الحكيم اي التوفيق بين الانكليز والهنود لكي يعملوا معًا لمصلحة البلاد · ولقد تكلمت مع ثلاثة من اساتذتها الوطنيين وهم يحسنون اللغة الانكليزية مثلي احدهم شيعي من اصل فارسي دخل اسلافهُ بلاد الهند مع اول فاتحيها هربًا من خلفاء بغداد من بني العباس · والاثنان الاخران من السنّة وقد دخل اسلافهما الهند مع فاتحيها ايضًا بعد ما دخلها اسلاف الاول · فسألتهم عما اذا كان انتسابهم الى المذهب الواحد او الى المذهب الآخر يؤثر في معاملاتهم بعضهم مع بعض فاجابني واحد من السنية قائلاً ان هذا الاختلاف في المذهب لا يؤثر تأثيرًا يذكر فانهُ لم يعلم ان صديقهُ شيعي الاَّ بعد ان تصادقا بزمن طويل · فلا شأن لا ختلاف المذاهب في عليكده

والطلبة يقصدون هذه المدرسة من كل الاقطار الاسلامية من بلاد ملقًا شرقًا الى بلاد الصومال غربًا وقد رأيت في مجموعة الخطب التي القاها السيد احمد خان خطبة يقول فيها " يسرنا ان نعدّ بين تلامذتنا السردار محمد يوسف خان الذي هو من اكبر الحكام في بلوخستان"(١) . ولهذا الرجل قصة تستحق ان تدون في بطون التاريخ فانهُ ابن جام (حاكم)

(١) خطابهُ للقاضي ستريت سنة ١٨٩١

"لاس بلا" العدو الالد لخان خلاط مناظرهِ في بلوخستان حسب تقاليد البلاد مدة الالفي سنة الماضية ولما صار لهُ من العمر اربع عشرة سنة رأى ابوهُ ان يرسلهُ الى عليكده لكي يتعلم فيها ويتفقه ويكون رهناً عند حكومة الهند على ولاء ابيهِ لها . وكان الفتى بديع المنظر قال المستر موريس انهُ " اجمل فتىً وقعت عليهِ عيني " فسرَّ من المدرسة وبرع في علومها والعابها واختلب قلوب الذين عاشروهُ . ولم يمضِ عليهِ سنتان فيها حتى بلغت مساوئ ابيهِ حدًّا لا يطاق فخلعتهُ حكومة الهند ونصبت ابنهُ بدلاً منهُ . فخرج من مقام العلم والتهذيب الى بلاد على حدود الهند تكثر فيها القلاقل والفتن وكان في خدمتهِ رجل امين اتى معهُ من بلاط ابيهِ فلما بلغ "لاس بلا" وجد ان اباهُ لا يفكر في طاعة حكومة الهند وانهُ كان يعدُّ حملةً على خان خلاط وامرهُ ان يذهب فيها . فجعل ينصح لابيهِ ان لا يخرج من طاعة الحكومة ولم يكن ابوهُ يعرف غير بلادهِ فلم يعبأ بنصائحهِ . وبقي الابن يحاول اقناع ابيهِ ستة اشهر فكان كالضارب في حديد بارد واخيرًا اضطرَّ ان يجاري اباهُ وخرج معهُ لحرب خان خلاط . وكان لابيهِ اخ يتمنَّى ان يخرج اخوهُ وابنهُ للحرب لكي يفتن البلاد عليهِ فلم يكادا يخرجان حتى جمع جيشاً كثيفاً وتبعهما ووعد حكومة الهند بانهُ يحتفظ بحياة الولد وما زال يقتفي اثرهما وهما يهربان من وجههِ بين الجبال الى ان حصرهما في كهف كبير ولما فرغ زادهما خرج اخوهُ برجالهِ لقتالهِ فقتل هو ورجالهُ ووقع ابنهُ جريحاً ففتش عمهُ عنهُ بين القتلى واطلق سبيلهُ

ولما جلتُ في مباني المدرسة كانت الشمس قد مالت الى المغيب فمررنا في حديقة رئيسها وقد قام الورد فيها على اغصانهِ وهبَّ نسيم عليل يصير بهِ فصل الشتاء في شمالي الهند اجمل الفصول . فدخلنا النادي وغرف الدرس والقراءة والنوم وما زلنا ننتقل من مكان الى آخر الى ان وصلنا الى المطبخ واذا رئيس الطهاة فيهِ رجل كبير السن من نسل المغول سلاطين الهند وهو حفيد بهادر شاه آخر سلطان من سلاطين دهلي . لما فشت الفتنة في بلاد الهند كان طفلاً مع امهِ ولكنهُ لا يزال يتذكر كيف توسلت امهُ الى السلطان ليحميها فاجابها انهُ لا يستطيع ان يحمي نفسهُ فهربت بهِ الى قبر همايون ومن هناك الى القرى المجاورة وجعلت تبيع حلاها لتأكل هي وابنها فلما بلغ اشدَّهُ حاول استرجاع شيء من املاك ابيهِ فلم يستطع لمضي الزمن . وغاية ما يتقاضاهُ الآن من حكومة الهند خمس ربيات في الشهر هذا كل ما بقي لهُ من ملك اسلافهِ . ولما كنا نتكلم عنهُ دخل وحيَّا وهو شيخ طويل القامة مهيب الطلعة فكلمتهُ بالفارسية وقلت لهُ انني سمعت قصتهُ فحنا رأسهُ وقال نعم " اني من ابناء الملوك " . فعجبت من تقلبات الدهر وغير الايام

وخرجنا الى ساحة اللعب فذكرتني بساحة اللعب في مدرسة اتُن وكانت الشمس قد كادت تتوارى في الحجاب رجاء الامام وهو رجل جليل القدر فدخل الجامع الذي تركهُ السيد احمد خان قبل ان يتمهُ فاتمهُ الذين خلفوهُ وبادر التلامذة من ساحة اللعب وخلعوا احذية الكاوتشوك التي كانوا يلعبون بها وتوضأوا ودخلوا يصلون وراء الامام والروح التي علّم بها السيد احمد خان ترفُّ فوق ذلك المعهد العلمي تعلِّم الطلبة احترام الماضي وارتجاء المستقبل والسلام الذي ينُال بالعلم والعرفان

هذه خلاصة المقالة . وقد رأينا نحن اثنين من تلامذة تلك المدرسة فوجدناهما من اشد الناس ولاء لحكومة بلادهم

علم الاخلاق

لسبنسر

(٤) العدل (وهو يتضمن المساواة والانصاف)

لا شيء ادل على وجود الخير في الشرّ من وجود فضيلة العدل في نقيصة الانتقام ولو على قدر طفيف . فان الغرض الاول من مقابلة الاعتداء بمثلهِ منع المعتدى عليهِ للمعتدي من محقهِ ومحافظتهُ على حق وجودهِ الذي يتضمنهُ العدل . والغرض الثاني اجراء العدل مجراهُ بتأييد مبدإِ المساواة بين الاثنين وذلك يكون بان يلحق المعتدى عليهِ بالمعتدي أضرارًا مساوية للاضرار التي نالتهُ منهُ

على ان هذه الطريقة لاعادة التوازن قلما تفي بالمطلوب . لان المنتقم لا يكتفي عادة بمقابلة الاضرار التي تنالهُ بمثلها بل يذهب الى ابعد من ذلك فيثير انتقام المعتدي وهكذا حتى تأول الحال الى حروب مستعصية بين القبائل وعداوات موغرة مزمنة بين العائلات والافراد تبقى من جيل الى جيل

وقد يظهر الفريقان احيانًا ميلاً الى الموازنة بين الاعتداء والانتقام حتى لا ترجح كفة الواحد على كفة الآخر . فان كثيرًا من القبائل الهمجية مثل اهل استراليا الاصليين تظهر باعمالها ان قتل رجل من هذه القبيلة لا بدَّ ان يقابل بقتل رجل من تلك وهو الذي ثبت انهُ قتل او اشتبه فيهِ . هذا ولما كان الموت من المرض او الشيخوخة يعزى عند بعض القبائل الى مكايد الاعداء وكان لا بدَّ من مقابلتهِ بمثلهِ اقتضى الامر ان يفقد الفريقان من رجالهما

لاعادة الموازنة . (وواضح ان هذا النوع من اعادة الموازنة لا يمكن ان يستمرَّ الى النهاية اذ لو أُريد مقابلة الموت العادي سواءٌ كان من المرض او الشيخوخة بمثلهِ لانقرضت القبيلتان قتلاً) اما بعض القبائل التي هي اكثر ارتقاء كاهل سومطره مثلاً فانها تسوّي امثال هذه المنازعات بالمساومة جهرًا على دفع فدية من المال لا بالاغتيال

فاجراه العدل مجراهُ على هذه الكيفية بين القبائل المختلفة لهُ هذه الصفة المميزة وهي انهُ لا فرق فيهِ بين ان يكون الرجل الذي يُقتَل انتقاماً مذنبًا او بريئًا

وما يجري بين القبائل من هذا القبيل يجري بين العائلات ايضاً . قال الاستاذ بلامتريت عن بعض قبائل لوزون ما يأْتي

" ان سفك الدماء شريعة مقدَّسة عندهم . فاذا قتل عاميٌّ عامياً آخر سوّي الامر على طريقة بسيطة وهي قتل القاتل او آخر من عائلتهِ يكون عامياً مثلهُ . ولكن اذا قتل عاميٌّ رجلاً وجيهاً او شريفاً لم يُرتَضَ بقتل القاتل بل لا بدَّ من قتل رجل مساوٍ لهُ في الرتبة لانهم يقولون انهُ لا مساواة في قتل رجل ليس احسن من الكلب . وعليهِ تفتش عائلة القتيل لعلها تجد بين اهل القاتل رجلاً وجيهاً تقتلهُ بدم قتيلها وتتجاهل القاتل الحقيقي . فاذا لم تجد مطلوبها انتظرت ريثما يرقى رجل من عائلة القاتل الى مصاف الاعيان فتنتقم منهُ لقتيلها ولو بعد سنين كثيرة . ومتى تمَّ الانتقام تصالحت العائلتان "

ففي هذه الحالة ترى الصفة المميزة هي المساواة بين خسارة الجانبين . ومثل ذلك يشاهد بين الشعوب الساميَّة عموماً . قال بركهارت عن العرب " من الشرائع التي تجري عليها طوائف العرب كلها ان من يسفك دم آخر من غير عائلتهِ يبيت مديونًا لتلك العائلة بدم المقتول . واولاد الذين كان يحقُّ لهم الانتقام عند ما وقع القتل يتوارثون ذلك الحقَّ خلفاً عن سلف. ولهذا النظام العادل الفضل الاعظم في منع قبائل العرب من ابادة بعضها بعضاً فان اخذ الثار على هذه الصورة يقلل سفك الدم في الحروب " وذلك لأَن خوف الانتقام يمنع رجال العائلات والقبائل المختلفة من قتل بعضهم بعضاً . وكان الساميُّون القدماء يرون رأي الساميين الحديثين من هذا القبيل كما يستفاد مما ورد عن الاسرائيليين في العهد القديم كسفر الملوك الاول (١) وغيره

(١) مل ١ ص ٢ ع ٣١ « فقال له الملك افعل كما تكلم وابطش بهِ وادفنهُ وأَزل عني وعن بيت ابي الدم الزكي الذي سفكهُ يوآب » وع ٣٣ « فيرتدُّ دمها على رأس يوآب ورأس نسلهِ الى الابد ... الخ » والملك المتكلم هنا هو داود وقد اوصى بهذا الكلام ابنهُ سليمان وهو يحتضر

ثم ان ما كان يصيب العائلة من الضرر لم يكن مجرَّداً عن الشعور بما يصيب الفرد من الضرر ايضاً قلَّ ذلك او كثر وهو واضح كلَّ الوضوح بين بعض القبائل الهمجية. قال بعضهم يصف قبائل غيانا "ليس لهذه القبائل نظام للبوليس لأن احترام كلِّ فرد منهم لحقوق الآخرين على موجب التقاليد القديمة وخوفهُ من قيام الجمهور عليهِ فيما لو خالف تلك التقاليد يجعلان علاقتهم بعضهم ببعض على غاية الانتظام .... واذا اخطأ واحد الى آخر اقلَّ خطاه ولو سهواً فلا بدَّ لهُ من التكفير عن خطائهِ باحتمال مثلهِ". وكان العبرانيون يعنون بتسوية الضرر الفردي اكثر من عنايتهم بتسوية الضرر العائلي كما يستنتج من قولهِ "نفسٌ بنفسٍ. عينٌ بعينٍ. سنٌّ بسنٍّ. يدٌ بيدٍ. رجلٌ برجلٍ" (تثنية ص ١٩ ع ٢١)

هذا ويظهر ان انحطاط المسأولية العائلية ونموَّ المسأولية الفردية مصاحبان للتغير الذي طرأ على النظام الاجتماعي فصار الفرد بهِ اساس تركيب المجتمع بدلاً من العائلة لانهُ كلما اسرع النظام العائلي الى الانحلال لم يعد ثمة جماعات تتبادل مسأولية الجرائم التي يرتكبها افرادها بل لا بدَّ للافراد انفسهم ان يحملوا تلك المسأولية. ومن شكل الانتقام غير العادل الذي تسأل بهِ الجماعات اكثر مما يسأل الافراد الذين يؤلفونها ينشأ شكل عادل يسأل بهِ الافراد انفسهم عما يعملون وينال الجاني جزاء ما جنت يداهُ فلا يحمل غيرهُ عقابهُ

وفي كتب العبرانيين ما يؤيد ذلك. فقد مثّل الله في كتاباتهم القديمة معاقباً المذنبين اليهِ ونسلهم ايضاً حيث قال "افتقد ذنوب الآباء في الابناء في الجيل الثالث والرابع من من مبغضيَّ". اما في الكتابات المتأخرة فقد وردت نبوَّة بمجيء زمان يبطل فيهِ هذا الامر. فقد جاء في سفر ارمياء ص ٣١ ع ٢٩ و ٣٠ ما نصهُ "في تلك الايام لا يقولون بعدُ الآباء أكلوا حصرماً واسنان الابناء ضرست. بل كلُّ واحد يموت بذنبهِ كلُّ انسان يأكل الحصرم تضرس اسنانهُ"

وبين الشعوب الاوربية نرى نموَّ هذا الشكل من العدل مصاحباً لانحطاط نظام الجماعات وقيام نظام الافراد. ولذلك يستغرب الاوربي منا بقاء هذا النظام حيثما يصادفهُ كالصين مثلاً فانهُ اذا قتل صينيٌّ اوربياً فكثيراً ما نرى الحكومة تقدم رجلاً غير القاتل ليحاكم على الجريمة. وسبب هذا الفرق ان الهيئة الاجتماعية الراقية ترى ان العدل يقضي بالمحافظة على العلاقة التي بين سلوك الانسان ونتيجة سلوكهِ. اما الامم التي هي اقلُّ ارتقاء فترى ان اعظم مظاهر العدل او المساواة مقابلة الجرم بمثلهِ ولا يُستغرب ذلك في زمان راجت فيهِ سوق المشاحنات والمنازعات وكثر فيهِ القتل والجرح

ومما نراهُ ايضاً ان بعض القبائل تحافظ على مبدإِ المساواة حتى في وسط الحرب . قال بعضهم يصف الحروب القديمة المذكورة في الكتب الهندية " ان عاطفة الشرف وعزة النفس التي اشتهر بها الهنود القدماء جعلتهم يعدُّون الهجوم على العدو النائم اثماً معيباً . فان اسوائاما ايقظ قاتل ابيهِ من نومهِ قبلما ذبحهُ " . وكثير من التواريخ غير تواريخ الهند تشير الى انتشار هذا المبدإِ في اماكن شتى وهو ان الفريق المهاجم في الحرب يجب ان يكون مساوياً للفريق المهاجم . غير ان المبدأ الاعمَّ عكس ذلك وهو اغتنام كل فرصة لاغتيال الاعداء واخذهم على غرَّة

ومبدأُ المساواة في المعاملة اكثر ظهوراً بين اعضاء الجماعة الواحدة من المجتمع الانساني منهُ بين الجماعات المختلفة وارتقاؤهُ اعظم حيث الميل الى الحروب والانهماك بها اقلُّ . هذا وان الحرب حتى الحرب التي غايتها الاخذ بالثار انما هي ظلم وعدوان اذ يؤْخذ البريءُ فيها بجريرة الاثيم فيجرح ويقتل الذين لم يظلموا احداً ولم يعتدوا على احد . وقد افضت الحرب بالضرورة الى انشاء نظام لا يلتفت فيهِ الى مطالب العدل سواء كان ذلك في طرقها الاجبارية بين صف المقاتلة او في استبدادها بالعبيد والخدم الذين يتبعون الجيش (القديديين) او في اذلال النساء . وعليهِ فان علاقة افراد المجتمع الانساني بعضهم ببعض في عهد التمدن كانت اقرب الى العدل والانصاف كلما ابعدوا عن الحرب وشواغلها فلم تبدُ تباشير العدل وتزد وضوحاً وجلاء الا بعد هذا الانقلاب

ولا بدَّ من الاشارة ايضاً الى العادات والعواطف التي تصاحب المسالمة . فقد ذكرت في فصل سابق (فصل الغزو) اقواماً مسالمين وقلت ان مسالمتهم للغريب كانت مصحوبة بمسالمتهم للقريب ايضاً وبعض السبب فيها احترامهم لمطالب الغير على ما يقتضيهِ العدل . وذكرت في الفصل الماضي (فصل الإِيثار) شهادة ارباب الاسفار بما تتصف هذه القبائل بهِ من الامانة العظيمة في معاملاتها . ولا ريب ان هذه الامانة دليل على شيوع عاطفة العدل . وأُضيف الى هذه الادلة ادلة اخرى تستنتج من معاملة هذه القبائل المسالمة لنسائهم واولادهم . فقد قابلت (في كتاب مبادىء الاجتماع) بين انحطاط المرأة عند القبائل المحاربة من همجية ومتمدنة بعض التمدن وارتفاع شانها عند القبائل المسالمة الهمجية وقلت ان قبائل التوداس يمنعون المرأة من عمل الاعمال الشاقة حتى الخروج من المنزل للاستقاء والاحتطاب مع انهم منحطون في امور شتى غير هذا الامر . وان نساء بعض القبائل الاخرى لا يعملن عملاً ما خارج البيوت ولا يكرهن على زواج من لا يحببنهُ مما يدلُّ على اعتراف تلك القبائل بمبدإِ

المساواة الذي هو من لزوميات العدل . وازيد على ذلك الآن شاهدًا لم اذكرهُ قبلاً . فقد روى السائح هلوب ان احد زعماء الوطنيين في جنوبي افريقية قال لهُ عن قبيلتهِ "اننا لا نطلب دم بهيمة فضلاً عن دم انسان" ولذلك تحتقر هذه القبيلةَ القبائلُ القوية المجاورة لها. قال "وحجة اعدائهم عليهم انهم لينو العريكة مسالمون للغريب . وهم يعاملون النساء بالرفق والانصاف خلافًا لمجاوريهم من البشوان والمتابيل"

فهذه الشواهد تدلُّ على ان عاطفة العدل واضحة كلَّ الوضوح حيث تسود روح السلم وتقل روح الحرب . اما التصريح بها فلا ينتظر من قبائل همجية مثل هذه لامتزاج عاطفة العدل عندها بالعدل نفسهِ وكلُّ ما يعلم من هذا القبيل يعلم بالاستنتاج . فان في عدم تصور بعضها كيف يستولي الانسان على ما ليس لهُ دليلاً على العدل . ومثلهُ ما تفعلهُ احدى القبائل المسالمة فانهُ اذا اضطرَّ احد رجالها ان يهجر منزلهُ فرارًا من خطر يدهمهُ وكان عليهِ دين لصاحب المنزل وضع ما عليهِ في صرّة وعلقها بعتبة الباب . وكذلك اذا اتُّهم رجل في بعض القبائل بالسرقة انتحر تخلصًا من العار . وفي غيرها اذا نُسب اليهِ عمل قبيح حفر قبرهُ بيديهِ ودفن نفسهُ . اما القبائل التي هي ارقى في سلَّم المجتمع الانساني الى حدّ انها تعرف القراءة والكتابة فاننا نرى صورة العدل واضحة في كتاباتها

على ان معظم الامم القديمة المحاربة كانت تخلط بين العدل والغيرية عمومًا . فكتب الصينيين والفرس والهنود القدماء والمصريين والعبرانيين لا تفرق بين العدل من جهة والكرم والرفق من الجهة الاخرى كما يفهم من القاعدة التي يظنُّ انها مختصة بالدين المسيحي على حين انهُ يوجد ما يشبهها عند الامم السابقة للتاريخ المسيحي وهي "كلُّ ما تريدون ان يفعل الناس بكم افعلوا هكذا انتم ايضًا بهم" فانها تمزج الكرم بالعدل . فاولاً انها لا تفرق بين ما يجب عليك ان تفعلهُ بالغير بناء على العدل والانصاف وبين ما يجب عليك ان تفعلهُ لهُ بناء على الرفق واللطف . وثانيًا انها لا تتضمن اعترافًا صريحًا ولا غير صريح بمطالب الفاعل التي نسميها حقوقًا . اما العدل بحقيقة معناهُ فيتضمن عنصرًا ذاتيًا وعنصرًا غيريًا اي العلم بمطالب الذات او النفس والعلم بمطالب الغير . والشعور بمطالب النفس وتأييدها لا يمكن ان ينمو في مجتمع اسس على الحرب والتعاون الاكراهي . ولو اطلقت يد كل انسان ليفعل ما يشاء ضمن دائرة العدل والانصاف لغُلَّت يد المجتمع او شلَّت . وتحت الحكم المطلق مجال واسع للتسامح والكرم ولكنَّ هذا المجال ضيق دون العدل . وكلما قلَّت اسباب العداء الخارجي بين الجماعات وزادت اسباب التعاون الداخلي اسرعت العواطف وصورها في النموّ والارتقاء

مفاخر البطالسة

بطليموس التاسع

لما توفي بطليموس السابع قامت زوجتهُ كليوباطرة وهي اختهُ ايضاً كما تقدَّم ونصبت ابنها ملكاً على مصر وكان طفلاً وهو بطليموس الثامن وبلغ ذلك عمهُ بطليموس التاسع فجمع جيشاً كثيفاً وزحف بهِ على الاسكندرية ولكن لم تنشب الحرب بينهُ وبين ابن اخيهِ لان سفراء رومية حكموا ان الملك لبطليموس التاسع فاقروهُ على تخت مصر واشاروا عليهِ بان يتزوج ارملة اخيهِ حلاًّ للاشكال فرضي بذلك ورضيت هي ايضاً لان الزواج السياسي كان شائعاً في مصر من قديم الزمان فاذا اجتاح البلاد ملك اجنبي ولم يرَ الكهنة والشعب سبيلاً للخلاص منهُ زوَّجوهُ باحدى بنات ملوكهم السابقين حتى يصير ملكهُ شرعياً حسب سننهم · ولم يملك بطليموس الثامن سوى بضعة اشهر ثم اغتالهُ عمهُ لكي لا يبقى لهُ مزاحم واستقل بالملك سنة ١٤٦ قبل المسيح ولقب يورجيتس وللحال اخذ يفتش عن الذين اظهروا لهُ العداء في عهد اخيهِ وينتقم منهم فقبض على كثيرين من اغنياء الاسكندرية ووجهائها وقتلهم واستصفى اموالهم واباح للجنود المسترزقة ان يطوفوا في المدينة وينهبوا ما شاؤوا فهرب كثيرون من سكانها من جورهِ. ثم انغمس في الملاهي والملاذ على ما قالهُ مؤرخو اليونان حتى كرههُ الجميع وتزوج بابنة اخيهِ وهي ابنة اختهِ التي صارت زوجتهُ

ولما فرغ صبر الاسكندريين ثاروا عليهِ وحرقوا قصرهُ فهرب الى قبرص ومعهُ ابنهُ ممفتس من اختهِ وبلغهُ وهو في قبرص ان اختهُ استوت على عرش الملك فقتل ابنهُ وقطع رأسهُ ويديهِ وارسلها اليها وجعل وصولها اليها يوم عيد ميلادها فزاد حنق الاسكندريين عليهِ وخرجوا لقتالهِ لكنهم لم يفلحوا وتمكَّن بعد سنتين من العودة الى الاسكندرية واسترجاع الملك فهربت زوجتهُ الى ديمتريوس ملك سورية فارسل جيشاً الى مصر للاقتصاص من بطليموس لكن جيشهُ عاد بالفشل خيانةً . وكان اسكندر زابيناس بن اسكندر بلاس مطالباً بملك سورية فعضدهُ بطليموس على ديمتريوس الثاني فطردهُ من سورية وملك مكانهُ لكن وقعت النفرة بينهُ وبين بطليموس بعد زمن قصير فاصطلح بطليموس مع زوجتهِ وردها الى مصر وانتصر لانطيوخس غريبُس بن ديمتريوس الثاني وملكهُ سورية وزوجهُ بابنتهِ تريفينا فصارت ملكة سورية

وتوفي بطليموس التاسع سنة ١١٧ قبل المسيح وقد ملك ٥٤ سنة وترك ابنين وثلاث بنات

وما قيل عن ظلمهِ وجورهِ وانغماسهِ في الملاهي والملاذ لا ينطبق على ما خلفهُ من الآثار الكثيرة فلا يبعد ان يكون مؤرخو اليونان قد سوَّدوا صحيفتهُ لانهُ كان ميالاً الى الديانة المصرية وكهنتها فقد بنى هيكل ابت في كرنك حيث كانت تعبد فرس البحر التي وصفت في الكتابات القديمة بانها " ام الآلهة سيدة السماء وربة القطرين الالهة المجيدة الساكنة في طيبة " . وعلى جدران هذا الهيكل صورة بطليموس هذا وصورة زوجتهِ كليوباطرة وهما يعبدان ابت وامن را وآلهة اخرى كثيرة ويقربان لها القرابين

وترى صورتهُ وصورة اختهِ زوجتهِ في مدينة هبو في الشط الغربي وهناك هيكل يسمى الآن قصر العجوز بناهُ بطليموس هذا تذكارًا لاسلافهِ وترى صورتهُ فيهِ وهو يعبد اثنين منهما . وقد وجد اسمهُ واسم زوجتهِ في الدير البحري وفي الكاب حيث حفر هيكلاً في الصخر

واتم هيكل ادفو الذي شرع في بنائهِ بطليموس الثالث . وعلى هذا الهيكل كتابة قديمة يقال فيها ان بطليموس الثالث وضع اساسهُ في السنة العاشرة من ملكهِ اي سنة ٢٣٧ قبل المسيح وتم بناء الهيكل وزخرفتهُ في السنة الثامنة والعشرين من ملك بطليموس التاسع اي سنة ١٤٢ قبل المسيح . وعليهِ فقد تم بناؤُهُ في ٩٥ سنة لكن البطالسة الذين تلوا بطليموس التاسع زادوا في بنائهِ وزخرفتهِ الى السنة الخامسة والعشرين من ملك بطليموس الثالث عشر سنة ٥٧ قبل المسيح فكل الزمن من حين وضع اساسهُ الى ان تمَّ بناؤُهُ وزخرفتهُ ١٨٠ سنة تخللتها فترات كثيرة كما تقدم . فقد كان الملوك يتزلفون الى الكهنة بتقديم النفقات اللازمة للبناء والزخرفة والكهنة يتزلفون الى الملوك بنقش صورهم والقابهم على الجدران — تجارة نفاق بنفاق اتبعها الفريقان الاَّ من كان مخلصاً منهم في معتقدهِ

ويقال في تلك الكتابة ان الاساس وضع حيث كان هيكل قديم بني حينما كان الآلهة يسكنون على الارض ورُسم رسمهُ في السماء ورئيس بنائهِ ايمهاتب بن فتاح اله منف وقد بُني الهيكل الاول بهمة الاب وابنهِ

وبنى بطليموس التاسع جدارًا في هيكل كوم امبو ورمم رواق الاعمدة وزاد في نقوش الجدران . واعتنى بهيكل ايسس في جزيرة انس الوجود وزاد في زخرفتهِ وكان الذاهبون الى تلك الجزيرة والمارُّون بها ينزلون ضيوفاً على كهنتها فيأكلون ويشربون مجاناً فشكا الكهنة منهم الى الملك فامر بمنع ذلك ونُقش امرهُ على قاعدة احدى المسلتين اللتين كانتا قائمتين على باب الهيكل ثم سقطت تلك المسلة ووجدها المستر بنكس بين الانقاض سنة ١٨١٥ وهي من الغرانيت الاحمر فاستأذن محمد علي باشا في نقلها الى بلاد الانكليز فاذن لهُ فنقلها على نفقتهِ

وهي الآن قائمة في املاكه في كنجستن هول بدرستشير وعلى كل جانب من جوانبها الاربعة كتابات هيروغليفية وعلى قاعدتها الكتابة المشار اليها آنفاً وهي باليونانية

ولبطليموس التاسع آثار ومبانٍ في دبود وفي الدكة ببلاد النوبة ويستنتج من ذلك انهُ كان على تمام الوفاق مع المصريين وكهنتهم . ثم يعلم من التاريخ انهُ كان محالفاً للرومانيين ومنشطاً للعلوم والمعارف ومشاركاً فيها فانهُ وسَّع مكتبة الاسكندرية وزاد كتبها كما فعل اسلافهُ وكان استاذهُ ارسترخس النحوي فاقتدى بهِ في محبة العلم والعلماء وألَّف رسائل شغلت اربعاً وعشرين كتاباً وقد حالفهُ الرومانيون على مقتضى سياستهم لانهم كانوا يستفيدون منهُ . لكن كل ما قيل في مدحهِ ينتفي تماماً اذا ثبت انهُ قتل ابنهُ نكاية بامهِ

النور والبصر

يودُّ كثيرون من قرّاء المقتطف ان لا تخلي جزءا منهُ من بحث علمي دقيق ولو عسر فهمهُ على جمهورهم . وباب المباحث العلمية واسع جدًّا ولا يزال كثير من فروعها غامضاً لتعذُّر الوصول اليهِ بالامتحان مثال ذلك مسألة الابصار فاننا نرى المرئيَّات ونشعر بوجودها بواسطة النور ولولاهُ ما رأينا شيئاً منها فكيف يفعل النور بعيوننا حتى يجعلنا نشعر بالمرئيات . هل يؤثّر فيها تأثيرًا ميكانيكيًّا او تأثيرًا كيماويًّا وما هي كيفيَّة هذا التأثير

لا يخفى ان النور والحرارة والكهربائية هذه القوى الثلاث تسبب افعالاً كيماويَّة في بعض المواد . فغاز الكلور وغاز الهيدروجين اذا مزجا معاً في الظلام لم يتحدا ابدًا ولكن اذا وقع عليهما نور الشمس وهما ممتزجان اتحدا حالاً بتفرقع شديد . وعلى فعل النور الكيماوي بنيت صناعة التصوير الشمسي فان النور يفعل بكلوريد الفضة فعلاً كيماويًّا ويسودهُ بحل الفضة منهُ . وبهِ يتمّ نمو النبات لانهُ يفعل بالمادة الخضراء التي فيهِ فعلاً كيماويًّا يمكّن النبات من اخذ الغذاء من اكسيد الكربون الثاني والماء

وقد شوهد ان الحبيبات الملونة التي في خلايا شبكية العين تتحرَّك بفعل النور وان النتوات الهرمية التي في الشبكية تقصر اذا وقع النور عليها وتطول اذا حجب عنها . وفي شبكيات بعض الحيوانات كالضفدع مادة ملونة تزول في النور وتظهر اذا حجب النور عنها وتتغير تغيرًا واضحاً اذا عرضت للانوار المختلفة غير النور الابيض ويكون التغير فيها بحسب درجة النور

ولا يخفى ان النور اهتزاز سريع في الاثير او في دقائق الجسم المنير تختلف سرعتهُ

باختلاف لونهِ فاذا كانت سرعة الاهتزاز ٤٥٠ مليون مليون في الثانية من الزمان فالنور الذي تراهُ العين احمر اللون واذا زادت السرعة تغيّر اللون من الاحمر الى البرتقالي فالاصفر فالاخضر فالازرق فالنيلي فالبنفسجي حسب ترتيب الالوان في الطيف الشمسي ويكون عدد الاهتزازات قد بلغ في اللون البنفسجي ٧٢٧ مليون مليون في الثانية من الزمان . واذا زادت سرعة الاهتزاز عن ذلك لم تعد العين ترى لونًا من الالوان كأن السرعة تصير اشد من ان تؤثر فيها تأثيرًا تشعر بهِ . وعليهِ فامواج النور تفعل بشبكية العين فتؤثر فيها وتؤثر ايضًا في مادة ملونة موجودة فيها و يختلف تأثيرها هذا باختلاف امواج النور

ولكن كيف يحدث الابصار اي كيف ينتقل هذا التأثير الى عصب البصر وكيف يفعل بهِ

اذا شُرحت شبكية العين وُجد على سطحها طبقة مؤلفة من اجسام مستطيلة كالعصي ومن اجسام اخرى مخروطية الشكل فهذه الاجسام هي اوّل ما يتأثر بالنور الواصل اليها والمرجح انهُ يتولد فيها مادة خميرية كما يتولّد في كل الخلايا البروتوبلازمية كالبيسين الذي يتولد في الخلايا المعدية فيحول الطعام الى بيتون والاميلبسين الذي يتولّد في الخلايا البنكرياسية فيحول النشا الى سكّر وفي الحالين تتولد افعال كيماوية وعصبية . وقياسًا على ذلك يقال انهُ يتولد في خلايا شبكية العين مادة خميرية تحوّل فعل النور الى فعل كهربائي او عصبي يصل الى مراكز البصر في الدماغ فيشعر بهِ هناك حسب اختلاف درجاتهِ . والظاهر ان التجارب في عين الضفدع تؤيد ذلك فانها اذا استخرجت من وقبها ووضعت بين طرفي المجرى الكهربائي حتى مرَّ المجرى فيها من الامام الى الوراء ووقع النور عليها حينئذٍ زاد المجرى قوةً واذا حُجب النور عنها زاد المجرى قوةً في اول الامر ثم ضعف . وقد فسّروا ذلك بان الفعل الباني (انابوليك) في العين يقوى بفعل النور والفعل الهادم (كتابوليك) يبطل فجأة عند اول انحجاب النور

ولا يبعد ان تكون المواد الخميرية التي في شبكية العين مختلفة وكلٌّ منها يتأثر من نوع مخصوص من النور وكلها تحوّل هذا التأثير الى فعل كهربائي يختلف باختلاف النور وينتقل على الاعصاب الى المراكز البصرية فتشعر بهِ حسب اختلافهِ . والمرجح ان التجارب التالية تؤيد هذا الاستنتاج وتكشف غوامض كثيرة متعلقة بالبصر

عمل الاطالس

في دار التحف بمدينة تورين قطعة من ورق البردي عليها خطوط وكتابات قديمة ظهر بعد البحث انها خريطة مصرية صُنعت ليستدل بها على موقع مناجم الذهب في بلاد النوبة والطريق الموصلة اليها وقد نشرنا صورة هذه الخريطة غير مرة في المقتطف وهي من اقدم الخرائط الباقية الى الآن لانها صُنعت قبل المسيح بنحو ١٣٧٠ سنة

ويظهر من النظر في الآثار الاشورية ان اهالي بابل واشور كانوا ينقشون الخرائط على صفائح الخزف قبلما رسمها المصريون على صحائف البردي · والفضل للمتقدمين على كل حال لكن المتأخرين جروا في عمل الخرائط شوطاً طويلاً جدًّا فبلغوا في عملها حدًّا يفوق التصور فان الذي يشتري ببضعة غروش خريطة كبيرة مثل خريطة اليابان وكوريا ومنشوريا ومواقع الحرب بين الروس واليابان لا يخطر بباله ولا يتصور مقدار التعب الذي تعبهُ مئات والوف من الناس حتى تمكنوا من عمل هذه الخريطة فان تخطيط الارض ومواقع البلدان وما فيها من المدن والدساكر والانهر والجبال يقتضي سنين كثيرة ونفقات طائلة لا تستطيعها الأ الدول الكبيرة · ثم ان رسم الخرائط على مقتضى ذلك يستلزم تعباً كثيرًا ونفقات كبيرة ويأتي اخيرًا تصغير هذه الخرائط وطبعها وتلوينها وجمعها في الاطالس وفي كل ذلك من المشقة ما يفوق الوصف

صنعت شركة هرمسورث منذ مدة وجيزة اطلساً جامعاً أَلحقتهُ بمعجم للبلدان المذكورة فيهِ · ووصف بعضهم كيفية عملهِ في الجزء الاخير من مجلة لندن فقال

ان في هذا الاطلس خمس مئة خريطة ورسم وقد أُلحق بهِ معجم فيهِ مئة الف وخمسة آلاف اسم من اسماء الاماكن والمدن مشروحة شرحاً وجيزًا

وكل خريطة من الخرائط تطبع خمس مرات بخمسة انواع من الحبر ولا بدَّ من تجفيف الورق بعد كل طبعة ثم بلهِ ثانيةً ولا يتم ذلك في اقل من شهر · واذا اريد طبع خريطة واحدة فقط اقتضى حفر الرسوم لها وطبعها عشرة اشهر اذا جرى على تمام السرعة

فأولاً يلزم ان تؤخذ خرائط الحكومة التي صنعتها لها ادارة المساحة وهي كبيرة جدًّا فيها كل التفاصيل المطلوبة وتفاصيل اخرى لا يحتاج اليها في الخرائط العادية ولا يمكن اثباتها فيها اذا صغرت لكثرتها . ويختار منها التفاصيل اللازمة او التي هي أَلزم من غيرها ويحتمل اثباتها في الخريطة المصغرة ويستعان بكل ما جدَّ بعد عمل خرائط الحكومة مما لهُ

علاقة بها حتى تكون الخريطة الجديدة تامة في تفاصيلها وواصلة الى آخر ما وصل اليهِ البحث

ثانيًا يرسم الرسام الخريطة على موجب ذلك ويعطيها للنقاش فيأخذ هذا في نقشها على لوح من النحاس. وعملهُ دقيق شاق لا يستطيعهُ الأمن زاولهُ منذ نعومة اظفارهِ. والخريطة التي مساحتها قدمان مربعان فقط يقتضي نقشها اربعة اشهر اذا كان النقاش غاية في المهارة لكثرة ما يكون فيها من الاسماء والتفاصيل الدقيقة. فقد عدوا في خريطة واحدة من اطلس هرمسورث اربعة آلاف اسم

ثالثًا ان لوح النحاس هذا لا يستعمل لطبع الخرائط بل تطبع عنهُ ورقة من الورق المحضر لهذه الغاية خاصة وتستعمل الورقة طابعًا فيطبع الرسم الذي انتقل اليها على لوح من الالومنيوم. والواح الالومنيوم تقوم الآن مقام الحجارة التي كانت تستعمل في الطبع الحجري لانها تفضل عليها من كل وجه لخفتها وسهولة استعمالها

وتطبع الخرائط عن الواح الالومنيوم بالحبر الاسود اي الحدود والانهر والجبال والاسماء الخ. فاذا اريد تمييز البلدان بعضها عن بعض بالوان مختلفة كما هي العادة في الخرائط فهناك عمل آخر ونفقات اخرى لان كل لون من الالوان يقتضي طبعة خاصة ولوحًا خاصًا يطبع عنهُ فاذا كان في الخريطة خمسة الوان لزم ان يعاد طبعها خمس مرات عن خمسة الواح مختلفة وان تصنع هذه الالواح على تمام الدقة حتى لا يقع حدُّ لون منها فوق لون آخر ولا يقع بعيدًا عنهُ بل يكون الحد الواحد لاصقًا بالحد الآخر تمامًا وهلمَّ جرًّا. فاذا اريد ان يكون في الخريطة خمسة اقسام ملونة بخمسة الوان مختلفة طبع الرسم الاصلي على خمسة اوراق ورشَّ عليها غبار محمرٌ اللون حتى يلصق بالحبر ثم تطبع كلٌّ منها على لوح من الالومنيوم ويختار الجزء الذي يراد ان يلوَّن باللون المطلوب ويغطى كل ما سواهُ بمادة صمغية. وقد يطبعون لونًا فوق لون فينتج لون ثالث كما اذا طُبع الازرق فوق الاصفر فانهُ ينتج منهما لون اخضر

والورق يتمدَّد ويتقلص باختلاف الرطوبة والجفاف والحر والبرد فاذا تغير حجم ورق الخرائط اقلَّ تغير قبل اتمام طبعهِ اختل وضع الرسوم عليهِ ولذلك اضطرَّ الذين طبعوا اطلس هرمسورث ان ينشروا الورق في غرفة آلات الطبع بضعة اسابيع حتى بلغ تغيرهُ حدهُ ولا بدَّ من ان يكونوا قد تحكموا في حرارة تلك الغرفة ورطوبتها حتى تبقيان على درجة واحدة فلم يعد حجم الورق يتغير فيها

وطبع الخرائط يجب ان يكون بطيئًا حتى يلصق بها المقدار الكافي من الحبر فاذا اريد

طبع مقدار كبير منها وجب ان يستعمل عدد كبير من المطابع

اما المعجم فصنع على هذه الصورة : — كُتبت الاسماء كلها على قطع من الكرتون مثل اوراق الزيارات كل اسم على ورقة وشرح كل اسم منها من احدث معجمات البلدان ثم رُتبت على حروف المعجم وطبعت بالحروف كما تطبع الكتب عادة

وما تقدم من التدقيق مقصور على الخرائط الدقيقة المتقنة واما الخرائط العادية فعملها اسهل واقل نفقةً

امير افغانستان

ملخصة عن مجلة المجلات الانكليزية

موت الامير عبد الرحمن

لما آلت امارة افغانستان الى الامير عبد الرحمن والد الامير الحالي قضى العشر السنوات الاولى من حكمهِ يجدُّ ويجتهد في اصلاح شؤُون امارتهِ وكانت اعمالهُ موسومة ببعد النظر والاعتماد على النفس . فأتمَّ كلَّ ما من شأْنهِ ان يرفع اسمهُ ويصلح حال بلادهِ سواءٌ كان ذلك في الشؤُون الحربية او المالية او الادارية . ولما تمَّ ذلك لهُ وآنس من نفسهِ القوة والعزة ارادان يجحد معروف الحكومة الانكليزيَّة ويكفر بجميلها . وكانت حكومة الهند قد اوقفت دخول بعض الذخائر الحربية الى بلادهِ فجواباً على فعلها هذا توقف عن قبول الاعانة المالية التي تدفعها اليهِ وسيَّر الجيوش الى الحدود وارسل الى اللورد سالسبري رأساً (وكان رئيس الوزارة الانكليزية حينئذٍ) كتاباً يشكو فيهِ والي الهند . وبقي بعد ذلك وخصوصاً بين سنة سنة ١٨٩٠ و ١٨٩٨ يبذل وسعهُ في تكدير العلائق بين بلادهِ والهند يبسط حمايتهِ على بعض قبائل الحدود المعادية لانكلترا واثارة روح التعصب بينها وتحدّي حكومة الهند الى القتال بعبارات شديدة اللهجة في اثناء انهماكها بحملة الحدود فقلقت الحكومة من مسلكهِ العدائي هذا ولكن قلقها جعل يقلُّ بتقدم الامير في السنّ ولاسيما لأن والي الهند تغيَّر في تلك الفترة وأُسندت الولاية الى اللورد كرزون وكان الامير يكرمهُ كلَّ الاكرام ويجلُّ قدرهُ . ثم عاجلهُ القضاء قبلما اثَّرت صداقتهُ لوالي الهند في سياسة الحدود وخلفهُ ابنهُ الاكبر حبيب الله خان

جلوس حبيب الله

وكان الامير حبيب الله معروفاً في الهند لما جلس على كرسي امارة افغانستان لأن أباهُ وكل اليهِ في سنيهِ الاخيرة كثيراً من الشؤون الادارية فتمرس باحوال البلاد وكان يحضر الدربار الذي يقام في الهند بالنيابة عن ابيهِ مدة الخمس السنوات الاخيرة من عمرهِ وهو يميل الى الاستبداد بحكم الفطرة والمكان فلم يبدُ عليهِ اقل ميل الى تأييد تابعيتهِ للحكومة الانكليزية بل ان انفتهُ وسموَّ مركزهِ يحدوان بهِ الى حسبان نفسهِ مستقلاً تمام الاستقلال عنها واستبدال الروابط القديمة التي تربطهُ بها بروابط اخرى تنافي المبادئ المتضمنة في المعاهدة التي عقدت بين انكلترا وافغانستان سنة ١٨٨٠

ولا نعلم ما اذا كان المستر مورلي ناظر المستعمرات الحالي يعترف بمساواة الامير لوالي الهند فاذا اعترف بذلك آل الامر الى فقدان الانكليز ما لهم من النفوذ والسطوة في اواسط اسيا . ولكن من اصعب الصعب عليهم ان يأبوا على الامير حقهُ في عقد محالفة يكون اساسها الارتباط المتبادل لاسيا وان معاهدة داين التي عقدت بينهم و بينهُ في واخر سنة ١٩٠٤ تعترف بامير افغانستان ملكاً مستقلاً وقد دلتهم الحوادث التي جرت منذ ولي عرش الامارة على اميالهِ نحوهم فاذا هو مثل ابيهِ في مجاملتهم وعدم المبالاة بمطالبهم . واعظم تلك الحوادث دلالة على استقلالهِ ما جاهر بهِ من حماية بعض الدراويش التابعين لقبائل الحدود المستقلة وكانت حكومة الهند قد حظرت عليهم دخول بلادها . وكذلك كيفية استقبالهِ لوفد داين وصرفهِ اياهُ ومقابلتهِ دعوة حكومة الهند لهُ مراراً لزيارتها بالمجاملة والحذر ظناً منهُ ان غاية تلك الدعوة المتكررة تضييق نطاق استقلالهِ وزيادة المراقبة على بلادهِ في حين ان الغرض الحقيقي منها توثيق الصلات التي كانت بين والدهِ وحكومة الهند

ولم يقف عند هذا الحد من رفض الدعوات التي كانت ترسل اليهِ تباعاً بل انهُ لما أنفذت حكومة الهند اليهِ وفداً ليعزيهُ عن وفاة ابيهِ عقد محفلاً حافلاً لاستقبالهِ وشدَّد في القول انهُ عازم على احترام اسباب الشكوى التي كان والدهُ يشكوها وزاد على ذلك قولهُ ان ما تقيد بهِ الاب من القيود والروابط لا يلزم الابن . وكان قبل ذلك قد قام يدعي لنفسهِ حقَّ ابيهِ في مشترى كلّ ما يشاءهُ من السلاح والذخيرة وأخذ يقترض المال على حساب الاقساط الشهرية المتأخرة من الاعانة . فرأت الحكومة انهُ وان لم تكن ثمت حاجة الى ارغامهِ على ما تريد قوة واقتداراً فلا غنى لها عن شدّ الروابط التي ارتخت بين كابول وكلكتا . وهذا سبب معاهدة داين التي مرّت الاشارة اليها واليك بيانها

معاهدة داين

ان حبيب الله كثير الارتياب في النفوذ الاجنبي وقد ظهر ارتيابهُ في كل عمل من اعمال سياستهِ الخارجية · وبلغ منهُ سوء الظن بمقاصد الانكليز بين سنة ١٩٠١ و١٩٠٤ مبلغًا عظيمًا كاد يفضي الى قطع العلائق بينهُ وبينهم فرأَت الحكومة الانكليزية في اواخر سنة ١٩٠٤ ان لا بدَّ من عمل يعمل لازالة ذلك فأوفدت المستر لويس داين (وهو الآن السر لويس داين) الى كابول فتمَّ الاتفاق بينهُ وبين الامير على الامور الآتية: وهي اولاً ان تدفع الحكومة الهندية متأخرات الاعانة وقدرها ٤٠٠٠٠٠ جنيه . وثانيًا ان تستمر على دفع الاعانة السنوية التي كانت تدفعها الى ابيهِ وقدرها ١٨ لكًّا من الربيات (١٢٠ الف جنيه) · وثالثًا ان يشتري الامير ما شاء من السلاح والذخيرة بلا قيد · ورابعًا ان يُعترف بهِ اميرًا مستقلاًّ لافغانستان وتوابعها

وانما تساهلت حكومة الهند معهُ هذا التساهل رجاء ان يقابلها بالمثل ولكنهُ لم يتساهل في شيء ولم يتنازل عن شيء مع انهُ ارسل ابنهُ عناية الله خان رئيس وفد شرف لتحية اللورد كرزون · وعليهِ فان الحالة الآن مثلما كانت عليهِ عند وفاة الامير عبد الرحمن سنة ١٩٠١

مطالب حكومة الهند

اما مطالب حكومة الهند في افغانستان فيمكن جمعها تحت بندين الاول ما يطابق مسؤَّوليتها من جهة المحافظة على سلامة افغانستان ومنع تجزئتها . والثاني ما ينشأ عن سوء التفاهم السياسي · فمن جهة الامر الاول يقال ان مطالب حكومة الهند الآن انما هي نتيجة طبيعية للحماية التي تحمي افغانستان بها من الاعتداء الاجنبي · فاذا أُريد منها ادامة تلك الحماية في الاستقبال والمحافظة على ما بينها وبين الامير من العهود والمواثيق وجب ان يمهد السبيل امامها الى ذلك . والاَّ فما دامت لا تنال امتيازًا في افغانستان فلا يمكنها العمل بمعاهدة يطلب منها فيها حماية الحدود الشمالية من البلاد وهي على بعد خمس مئة ميل عنها وطريقها اليها صعبة السلوك وجيش افغانستان غير تام الاهبة والتدريب

وعليهِ فلا غنى عن مد سكك الحديد الحربية التي لها في شمال الهند الى كابول وكندهار ومد خطوط التلغراف بين كابول وكندهار وهرات والمزار الشريف في الهند وتنظيم جيش افغانستان عن يد ضباط من الانكليز · ولا يخفى انهُ لايمكن اتمام عمل من هذه الاعمال بلا رضى الامير ولما كانت غاية الحكومة الهندية حملهُ على معاونتها في تحقيق اماني لايقصد بها سوى خير افغانستان لاغير فهي تبحث في هذه المسأَلة بروح التساهل والمسالمة · ومما لا بدَّ

من ذكره هنا ان مقاومة هذه المشروعات صادرة كلها عن بطانة الامير في كابول وهي تستمد روح المقاومة لكل شيء اجنبي من تعاليم الائمة الذين لهم الحول والطول في البلاد. هذا ومع ان الامير مقاوم لهذه المشروعات ايضاً فقد صرح مراراً بانهُ يلتجئ الى حكومة الهند فيما لو وقعت الحرب بينهُ وبين دولة اخرى وخاف من الانقلاب فيها. ولما كان ذلك ليس ببعيد الوقوع فمن الخطإ ان يمنع المراقبة الاجنبية لجيشهِ لاسيما وان الجنود قابلون للتعليم والتدريب بسرعة وسهولة

اما الامر الثاني فانهُ يختلف كل الاختلاف عن الاول ومدارهُ على تعرض الامير للقوافل التي تدخل بلادهُ من الهند ومراقبتهِ لشؤون قبائل الحدود ومحافظتهِ على القوانين التي سنها ابوهُ ضد استخدام آخر نقطة تصل سكة الحديد اليها . على ان هذه المسائل الثلاث قابلة للحل في كل آن

سياسة الامير الداخلية

ولننتقل من سياسة الامير الخارجية الى الداخلية فنقول ان حكمهُ موسوم بالرفق وحب الخير لرعيتهِ فما رقي عرش الامارة حتى ازال مظالم جباية الضرائب . ولتسهيل التجارة وتوسيع نطاقها وتشجيع قومهِ عليها امر الخزينة ان تسلف التجار المال تخلصهم بذلك من اقتراض المال بربا فاحش من الهنود واصدر المناشير في البلاد يدعو فيها الذين هاجروها هرباً من استبداد ابيهِ للعودة اليها

والامير اميل الى الدين وشؤونهِ منهُ الى الحرب وفنونها حتى لقبهُ بعض الائمة بسراج الملة والدين كما لقب غيرهُ اباهُ بضياء الملة والدين . وكان لهُ سبع زوجات فطلق ثلاثاً منهنَّ وابقى اربعاً اجابة لطلب شيخ ائمة كابول وعملاً بالشرع . وغالى في اتباع بعض السنن فنهى الرجال عن لبس الملابس الموشاة بالذهب والاحذية المزركشة والمناديل الزاهية الالوان ولبس الحلي وامر النساء ان يستبدلن الازار الابيض بازار غامق اللون . ومصدر هذه الحركة كلها اخوهُ قائد الجيش العام السردار نصر الله خان الملقب باعتماد الدولة فانهُ شديد التحمس وقد جمع حولهُ جميع ائمة كابول يؤيدونهُ ويشدون ازرهُ

اطوارهُ

والامير حبيب الله يختلف عن ابيهِ في احتقارهِ لجميع الاجانب على السواء وارتيابهِ فيهم اما ابوهُ فكان يلبس لكل حال لبوسها ويراعي في معاملتهم مصلحتهُ فيحاسنهم او يخاشنهم طبقاً لمقتضى تلك المصلحة

وهو اصغر جسماً من ابيهِ واضعف بنية وشديد الشبه لهُ . اذا اشار محدثاً ابرقت اسرّتهُ .

وهو الين جانباً من ابيهِ واكثر حلماً ولكن اباهُ كان ابعد نظرًا في الامور واسدّ رأياً واربط جناناً

ولهُ هزل لا يشتهيهِ صديق لصديق. حكي انهُ كان ذات يوم يلبس حذاءهُ فرأى فيهِ عقرباً سوداء فنادى الخادم الذي وكل اليهِ العناية بملابسهِ وقال ان الحذاء ضيقٌ وامرهُ ان يلبسهُ امامهُ ليتسع قليلاً ففعل فلسعتهُ العقرب شرَّ لسعة

وحكي ان داء النقرس اشتدَّ عليهِ يوماً فقالوا لهُ ان في المدينة طبيباً هندياً قدم حديثاً فلنستدعهِ اليك لعلهُ يصف لك دواء يريحك من هذا الداء. فاعدَّ لهُ الطبيب منوّماً واوصاهُ ان يشربهُ جرعات على عدة ايام. ولكنهُ خاف ان يكون في الدواء سمٌّ فامر احد خدمهِ ان يشرب نصف الزجاجة فشربها فمات من كبر الجرعة. ولما رأى ذلك عدل عن شرب الدواء. واخيرًا شفي فاستدعى الطبيب وبشرهُ بشفائهِ ففرح ظناً منهُ ان شفاءهُ كان نتيجة شرب الدواء ووعد نفسهُ باحسن جزاء. فاخرج حبيب الله الزجاجة وفيها النصف الباقي من الدواء وقال ان نصف هذه الزجاجة قتل خادمي الذي شربهُ وبقي النصف الآخر فاشربهُ انت ونم معافًى فلم يسع الطبيب الاَّ الامتثال فشربهُ وكاد يقضي نحبهُ لو لم يبادرهُ رجل اوربي من خدم الامير بمقيّء

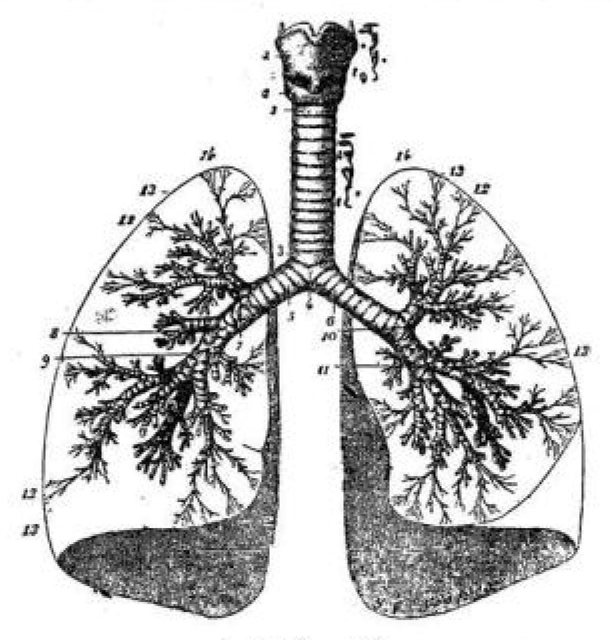
فان كانت هاتان الروايتان صحيحتين فما ابعد الزمن الذي تجاري فيهِ افغانستان بلاد اليابان اوغيرها من البلدان المستقلة. واذا بحثت عن تأخر بلدان المشرق رأيت علتهُ الكبرى امراءها

التنفس الطبيعي والاصطناعي

مقتطف من كتاب «مرشد الراغبين في اسعاف المصابين» انظر باب التقريظ والانتقاد

التنفس الطبيعي — هو النظام الذي بهِ يتخلص الدم القاتم غير النقي من الحامض الكربونيك السام ويستعيض منهُ بغاز الاوكسجين وعند ذلك يحمر ويقال عنهُ طاهر. وللتنفس حركتان احداها "الشهيق" وهو استنشاق الهواء الى الصدر عند تمددهِ والاخرى "الزفير" وهو اخراج الهواء من الصدر عند هبوطهِ. واعضاء التنفس هي الرئتان المعلقتان في تجويف الصدر على جانبي القلب. فعند الشهيق يندفع الهواء من الانف واحياناً من الفم الى "القصبة" ومنها الى الرئتين. وطرف القصبة الاعلى يقال لهُ "الحنجرة" وهو متسع

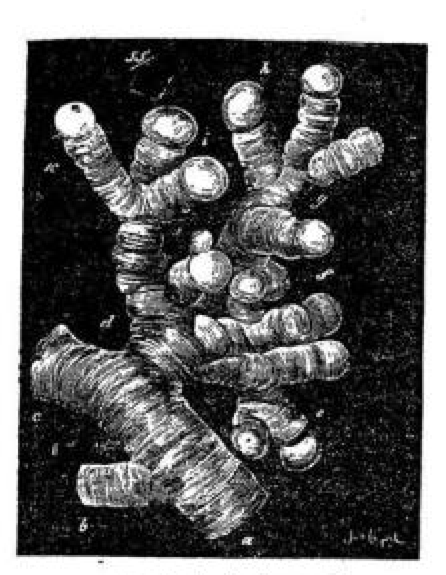
وفيهِ الاوتار الصوتية · وطرفها الاسفل ينتهي بفرعين يتصل كلٌ منهما باحدى الرئتين ثم يتشعب الى عدة شعب صغيرة وهذه الى اصغر على مثال غصون الشجرة (شكل ١) واخيرًا تنتهي تلك الشعب بملايين الاكياس الدقيقة جدًا يقال لها " الخلايا الهوائية " (شكل ٢) ويسمى مجموع تلك الفروع " بالشعب الصدرية " وهي التي يسير فيها الهواء عند الشهيق الى الخلايا الهوائية · وهذه الخلايا الصغيرة رقيقة الجدران جدًا ومغلفة بشبكة كثيفة من اوعية



شكل ١ (الرئتان)

الدم الشعرية . فبينما يجري الدم في تلك الاوعية الشعرية يتبادل مع الهواء في الخلايا الهوائية الحامض الكربونيك الضارّ وغاز الاوكسجين النافع فيمتص الهواء الاول والدم الثاني. وبالزفير يصعد الهواء من الخلايا الهوائية فاسدًا اي غنيًا من الحامض الكربونيك فقيرًا الى غاز الاوكسجين ويتقهقر في الشعب الصدرية الى القصبة ويطرد من الأنف واحيانًا من الفم الى الخارج · مما تقدم يسهل علينا ان ندرك فائدة استنشاق الهواء النقي لحفظ الصحة وان نفهم الضرر الذي ينشأ عن الازدحام في مكانٍ ضيق حيث يمتلئ الهواء سريعًا من الحامض الكربونيك

السام ويفلت منهُ ذلك الغاز الضروري لاستمرار الحياة وهو الاوكسجين وان نعرف ايضاً الخطر الذي ينجم عن داء الخناق (الدفثيريا) وغيره من الامراض التي تصيب اعلى القصبة وتفضي الى سدها



شكل ٢ (الخلايا الهوائية)

ولنبحث الآن قليلاً عن كيفية التنفس فنقول ان تجويف الصدر كما مر مؤلف من صف اضلاع على الجانبين متصلة بواسطة وصلات غضروفية بالقص (عظمة الصدر) من الامام وملتصقة بالعمود الفقري (سلسلة الظهر) من الوراء . ثم ان اسفل الصدر ينفصل عن اعلى البطن بجدار عضلي قوي محدب الى الاعلى يسمى « الحجاب الحاجز » والصدر كلهُ مغلف ومبطن بعضلات تمر من ضلع الى اخرى . ومن المعلوم ان الرئتين مرنتان للغاية . فعند الشهيق ينخفض الحجاب الحاجز الى اسفل وفي الوقت نفسهِ يرتفع الجزء الامامي من الاضلاع والقص وبذلك يتسع تجويف الصدر جداً فيندفع الهواء من القصبة الى الرئتين ليملأ الفراغ بتمددهما . وعند الزفير يرتفع الحجاب الحاجز وتنخفض الضلوع والقص فيقل الفراغ وتتقلص الرئتان فيطرد الهواء من الصدر الى القصبة ومنها الى الخارج . ومتى كان الانسان في كمال الصحة والراحة يتعاقب الشهيق والزفير من خمس عشرة الى ثماني عشرة مرة في الدقيقة الواحدة

ولا تفرغ الرئتان تماماً من الهواء بل يبقى فيهما جانب منهُ على الدوام مهما طال الزفير وانما عند كل شهيق يختلط الهواء الجديد بالهواء المتخلف في الصدر فيصلحهُ

وقال عن التنفس الاصطناعي في كلامهِ عن "الغرق" ما يأتي

الغرق من الحوادث التي ينبغي على الافراد ان يكونوا ملمين بطرق علاجها قبل حضور الطبيب. والغريق يموت بسبب انقطاع الاوكسجين عن الرئتين وتسمم الدم لعدم تطهيرهِ بهِ فاذا بادرت الى معالجة الغريق «بالتنفس الاصطناعي» على اثر انتشالهِ نجحت غالباً في رد حياتهِ اليهِ — اذا لم يكن قد قضى نحبهُ — واعدت تنفسهُ الطبيعي وورود الاوكسجين الى رئتيهِ ولا تقتصر على معلوماتك الخصوصية او ما تلقنهُ من هذا الكتاب وغيرهِ بل استدع الطبيب حالاً واستحضر احرمة وثياباً ناشفة. ولكن لا تبطىء مطلقاً في معالجة الغريق في مكان مطلق الهواء وتعريض وجههِ وصدرهِ للريح الا اذا كان الطقس بارداً جداً او ممطراً الخ. واول ما توجه اليهِ نظرك هو اعادة التنفس الطبيعي اليهِ ثم تدفئتهُ وتقوية دورتهِ الدموية. ولا تيأس من حياة الغريق وانت تزاول التنفس الاصطناعي حتى يحضر الطبيب ويفحصهُ او تمضي ساعة على الاقل من وقت وقوف نبضهِ وانقطاع تنفسهِ

التنفس الاصطناعي — للتنفس الاصطناعي طرق عديدة الغرض منها كلها تقليد حركات التنفس الطبيعي. وانما نقتصر على بيان الطريقة التالية تحاشياً من حدوث الارتباك بذكر غيرها معها ولانها مع بساطتها الكلية مضمونة النجاح ويمكن لشخص واحد مزاولتها بعد تمرين قليل وهي: —

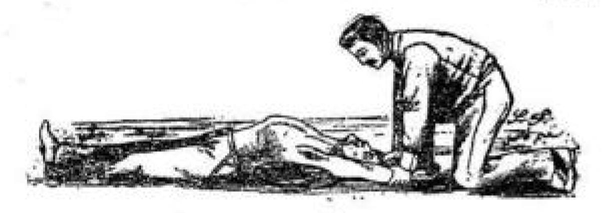
وضع الغريق — اضجع الغريق اولاً ووجههُ الى الاسفل واسندهُ ببعض الثياب المطوية وضع احدى ذراعيهِ تحت جبهتهِ جاعلاً رأسهُ اوطأ قليلاً من جسمهِ حتى يخرج الماء الذي في جوفهِ. ثم اقلبهُ حالاً على ظهرهِ او القهِ على سطح مائل اذا امكن بحيث تكون قدماهُ اوطأ من رأسهِ وارفع رأسهُ وكتفيهِ قليلاً واسندهما على وسادة واطئة او على حزمة ثياب مطوية تحت لوحي الكتفين. ثم انزع كل لباس ضيق حول العنق والصدر كالياقة ورباط الرقبة والحزام الخ

افراغ فتحات الفم والانف لمرور الهواء في القصبة — اخرج ما بقي من الماء في الفم ونظفهُ جيداً مع الانف. ثم افتح الفم واجذب اللسان الى الخارج وامسكهُ بمنديل او اربطهُ بذقنهِ بحلقة من اللاستك او شريط او نحوهما

حركات التنفس الاصطناعي — (١) الشهيق اي ادخال الهواء الى الرئتين. قف عند

رأس المصاب واقبض على ذراعيهِ بالقرب من اعلى المرفقين واجذبهما نحو جانبي الرأس الى الوراء ثم ابسطهما بلطف على مساواة الرأس وابقهما كذلك نحو ثانيتين من الزمن (شكل ٣) وبذلك ترتفع اضلاع صدرهِ وبالتالي يدخل الهواء النقي الى رئتيهِ . (٢) الزفير اي اخراج الهواء من الرئتين : اعد في الحال ذراعي المصاب الى جانبي الصدر واضغط بهما ضغطاً خفيفاً على الاضلاع مدة ثانيتين اخريين (شكل ٤) فتنخفض الاضلاع ويخرج الهواء الفاسد من رئتيهِ .(٣) كرر تلك الحركات على التعاقب نحو خمس عشرة مرة في الدقيقة وواظب على عملك هذا مدة طويلة الى ان يشرع العليل في التنفس من تلقاء نفسهِ

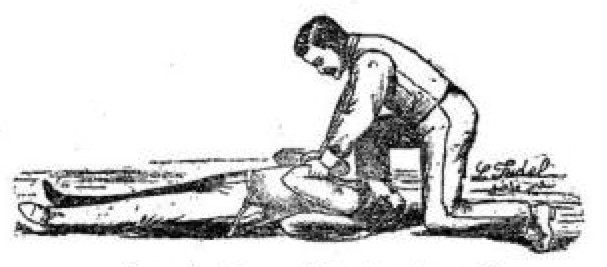
التحريض على التنفس — في اثنا اجرائك حركات التنفس الاصطناعي المذكورة آنفاً كلف احد الحضور ان ينزع الثياب المبللة عن الغريق ثم يهيج انفهُ بالنشوق (السعوط) او غاز النشادر او غيرهِ من الروائح المنبهة ويدغدغ حلقهُ بريشة دجاج ويفرك صدرهُ ووجههُ ويرشهما بالماء البارد والحار على التوالي ويضغط على القص (اي العظم المتوسط في الصدر) ويدلك جسمهُ واطرافهُ السفلى بقطعة ناشفة من الفلانلا او الجوخ . ومما يفيد ايضاً ان يجذب لسانهُ الى الخارج ثم يدفعهُ الى الداخل مرات متوالية



شكل ٣ (ادخال الهواء الى رئتي الغريق)

رفع درجة الحرارة وتقوية الدورة الدموية — متى اخذ العليل يتنفس وجب ان تلفهُ في احرمة ناشفة او ثياب دافئة (تستعيرها من احد الحضور اذا لزم الامر) وافرك الاطراف نحو اتجاه القلب فركاً عنيفاً تحت الغطاء لكي تستكد الدم بسيرهِ في العروق الى القلب . وتزاد حرارة جسمهِ بوضع الفلانلات الحارة او الزجاجات او الاكياس الجلدية المملوءة ماء حاراً او الطوب المحمى على المعدة وتحت الابطين وبين الفخذين وعلى اخمص القدمين . ومتى عادت الحياة للعليل واستطاع البلع اسقهِ جرعات صغيرة مما يتيسر الحصول عليهِ وقتئذٍ من الماء الحار او كميات قليلة من الخمر او الشراب الروحي المخفف بالماء او القهوة . ثم اضجعهُ في فراش واذا مال الى النوم فاتركهُ لينام

واذا حصل للعليل رد فعل وعسر تنفسهُ فضع لبخاً كبيرة من الخردل على صدره وظهره فيستريح



شكل ٤ (اخراج الهواء من رئتي الغريق)

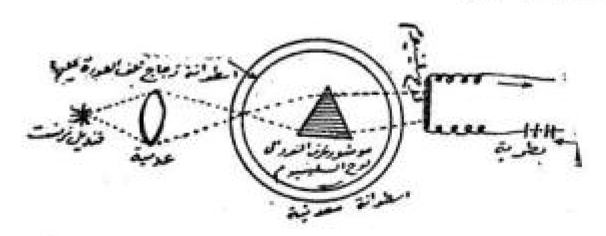
اما العلامات التي تدل غالباً على الموت فهي انقطاع التنفس ووقوف حركة القلب واغماض الجفنين اغماضاً جزئياً وتمدد الحدقتين وانطباق الفكين . انما ينبغي ان تترك الحكم النهائي في هذا الامر للطبيب وليس من شؤون غيره ان يبت فيهِ بتاً قطعياً . انتهى

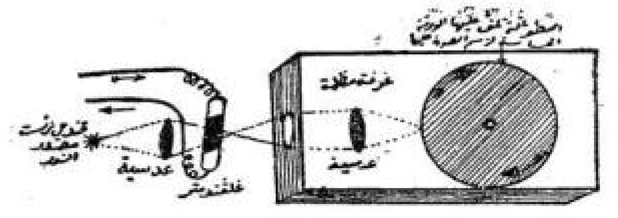
الصور بالتلغراف

ادَّعى البعض في اول هذا القرن ان المكتشفات العلمية قد بلغت حدها وان ما سيزاد عليها انما هو من قبيل التفصيل والتعميم ما عدا اموراً عدوها وقالوا انهُ ينتظر اكتشافها او حلّ غامضها في القرن العشرين . ولكن ما تمَّ في السنوات الست التي مضت من هذا القرن يدلُّ على ان المكتشفات والتحقيقات العلمية والفنية ستبقى جارية مجراها وربما بلغت مكتشفات القرن العشرين اضعاف مكتشفات القرن التاسع عشر

ومن الامور التي كشفت حديثاً طريقة لنقل الصور الفوتوغرافية بالتلغراف من بلاد الى اخرى . فان الصور كانت تنقل قبلاً بالتلغراف وكذلك الخطوط على اشكالها ولكن الصور التي تنقل كانت ترسم رسماً بخطوط واضحة واما الصور الفوتوغرافية بما فيها من النور والظلمة فتعذَّر نقلها الى ان قام رجل اسمهُ كورن وهو استاذ في مدرسة مونخ الجامعة واستنبط اسلوباً لنقل الصور الفوتوغرافية بالتلغراف او بالتلفون سماهُ تلفوتوغرافيا اي الفوتوغرافيا عن بُعد . وهو شاب في السادسة والثلاثين من عمره وُلد في برسلو ودرس

في ليبسك وبرلين وباريس ولندن وقد مضى عليهِ اربع سنوات وهو يمتحن هذا الاسلوب ويصلحهُ الى ان وفى بالغرض





ويتضح اسلوبهُ هذا من النظر الى هذين الرسمين ففي الرسم الاول قنديل كهربائي ساطع النور من قناديل نرنست يقع نورهُ على بلورة محدَّبة السطحين وهي المسماة عدسية فيجتمع في محترقها على الاسطوانة الداخلة التي فيها الموشور الزجاجي وهذه الاسطوانة من الزجاج الشفاف وعليها تلف الصورة الفوتوغرافية اي قشرة الجلاتين التي ترسم الصورة الفوتوغرافية عليها . والاسطوانة تدور كما تدور اسطوانة الفونوغراف فيمر محترق النور على كل نقطة منها في خطوط لولبية ويخرقها كثيرًا او قليلاً حسب شفافيتها اي حسب كون اجزائها شفافة او مظلمة تبعًا للصورة الفوتوغرافية المرسومة عليها . ويقع النور بعد مروره فيها على الموشور الزجاجي الموضوع في وسط الاسطوانة فينحرف بهِ ويخرج في خطوط موازية ويقع على لوح من معدن السلينيوم وهو شديد التأثر بالنور وتحتهُ بطرية كهربائية فيمر مجراها الكهربائي فيهِ فيؤثر في الكهربائية حسب قوة النور الواقع عليهِ . وهنا اساس الاختراع فان معدن السلينيوم يتأثر بالنور تأثرًا شديدًا فيصير يؤثر بالمجرى الكهربائي المار بهِ ويسير المجرى الكهربائي في سلكين معدنيين من اسلاك التلغراف العادية او سلك واحد والارض الى ان يصل الى المكان الذي يراد نقل الصورة اليهِ وهناك قنديل آخر ساطع النور من قناديل نرنست كما يرى في الشكل الاسفل يجتمع نورهُ على غلفنومتر من

السلينيوم فيؤثر في النور كما اثر النور فيهِ في المكان الاول وتدخل اشعة النور الى غرفة مظلمة فيها اسطوانة عليها ورقة جلاتين حساس فيؤثر النور فيها وهي دائرة حسب حالتهِ التي وصل فيها من القوة والضعف فترتسم عليها صورة فوتوغرافية لان النور يقع على كل نقطة منها وهي دائرة دورانها الحلزوني فتكون هذه الصورة مثل الصورة الاولى لكنها تكون مؤلفة من خطوط متوازية . والمدة اللازمة لارسال صورة عادية من بلاد الى اخرى لا تزيد على اثنتي عشرة دقيقة ويرجو الاستاذ كورن ان يصير قادرًا على ارسال الصورة في ست دقائق فقط

وثمن آلة كورن هذه نحو مئة جنيه وقد رأينا صورًا أُرسلت بها ثم حفرت بطريقة الزنكوغرافيا (الحفر الكيماوي) العادية وطبعت فجاءت واضحة تقرب من الصور المنقولة عن الصور الفوتوغرافية العادية واوضح من صور الزنكوغرافيا الاولى التي كانت تصنع منذ بضع وعشرين سنة . فاذا جرت صور التلفوتوغرافيا في اتقانها مجرى صور الزنكوغرافيا لا يمضي بضع سنوات حتى تصير مثل اجمل الصور الزنكوغرافية وادقها

هذا ويقال ان الاستاذ كورن مهتم بنقل الصور مع الاصوات اي باضافة التلفوتوغراف الى التلفون حتى يصير الانسان قادرًا ان يكلم زوجتهُ مثلاً من بلاد الى اخرى ويرسل اليها صورتهُ وهو يكلمها فتسمع صوتهُ وترى صورتهُ في وقت واحد . لكن هذا العمل يقتضي الف سلك من الاسلاك الكهربائية على ما قال . وما من احد يستطيع ان ينبئ بالحد الذي تقف عندهُ المكتشفات العلمية والصناعية



الاعتقاد بالخلود

سيديَّ الفاضلين

اطلعتُ على ما نشرتموهُ من رسالتي في عدد ١١ من المقتطف . وقرأتُ ما ذيلتم بهِ الرسالة . فاستأذن جنابكم بنشر ما يأْتي

ورد في الجزء التاسع ما نصهُ " ليس بين اعتقادات البشر ما هو اغرب من الاعتقاد بخلود النفس بعد الموت فقد جهلهُ اليهود القدماء ..... والاَّ فمن اعجب العجب ان لا يشار اليهِ ولو تلميحاً في كتبهم الدينية وغيرها . فانهُ لم يذكر في التوراة اي العهد القديم بل

ذكر في الانجيل فقط "

وبما ان الداعي على يقين ان ذلك خطأ . وكنت وما زلت اظن ان كاتب الرسالة الاصلي هو الفيلسوف سبنسر وهو يزعم انهُ خبير في التوراة وهو غير خبير فيها ولا ثقة . وبالنظر الى علوّ منزلتهِ عند القراء واحلالهم مكتوباتهِ محل الثقة . رأيت ان ذلك يفسد حقيقةً من أجلّ الحقائق التاريخية وأثمنها . ويحمل الناس على الظن ان التوراة خالية من كل نصٍ وتلميح عن خلود النفس بعد الموت . فكتبت لكم بعض الآيات التي تنفي هذا الوهم وتبطل دعوى الكاتب . فتكرمتم بنشرها في جزء ١١ وذيلتموها بقولكم ان عبارة المقتطف في الجزء التاسع كانت مبهمة وان المراد بها اسفار موسى فقط وان الاسفار التي استشهدت بها يظن كثيرون من المفسرين انها حديثة كتبت قبل المسيح بزمن وجيز . وفي هذه الاقوال من مواقع النظر ازيد مما في العبارة الاولى وفيها اقول

اولاً . ان موضوع البحث ليس متى كتبت اسفار العهد القديم ولا من هم كاتبوها بل هل اعتقد القدماء من اليهود خلود النفس بعد الموت او لا . وهل ذكر الخلود ولو تلميحاً في غير الانجيل . فاذا سلمتم معنا بانهُ ورد في دانيال وأيوب والجامعة وغيرها من الاسفار ما أوردتهُ من النصوص فقد ثبت خطأُ ما كتب في عدد ٩ من المقتطف سواء كانت كتابتهُ مبهمة او واضحة وسواء كتب سفر دانيال قبل المسيح بمئة سنة او بألف سنة . فالقضية هي ان اليهود عرفوا خلود النفس ونصوا عليهِ في اكثر من موضعين وثلاثة في اسفارهم الدينية . وهذا ما أردنا اثباتهُ

ثانياً . اذا ثبت لكم ان سفر دانيال حديث . وان المزمورات التي تشير الى عدم بقاء النفس في الهاوية هي حديثة ايضاً وان سفر الجامعة حديث (مع انهُ يتعذَّر على اعظم المنتقدين اثبات ذلك) فما قولكم في سفر ايوب . أهو حديث ام قديم . وهل من شارح ادَّعى انهُ كتب بعد السبي . واذا ثبت لكم ان سفر ايوب كتب قبل كل اسفار موسى فماذا ترون في نصهِ الواضح في الخلود وبقاء النفس بعد الموت . ألا تثبت هذه العبارة ان كاتبها ومعاصريهِ عرفوا امر القيامة وصدَّقوهُ

ثالثاً . في نفس الاسفار الخمسة وردت اشارات واضحة تفيد البقاء بعد الموت اقتصر على اثنتين منها وهي في اول اسفار الكتاب واقدمها (التكوين)

١ً انتقال اخنوخ الى السماء حياً . فيقول الكتاب وسار اخنوخ مع الله . ولم يوجد لان الله نقلهُ . فعبارة كهذه لا ترد في كتب قوم لا يعرفون الخلود . فان سيرهُ مع الله .

واخذ الله اياهُ ولم يعد يرجع يبين وجوداً في غير هذا المحيط

٢ً لما وقف يعقوب امام فرعون وسألهُ كم هي سنو حياتك . أجابهُ ان ايام سني غربتي هي مئة وثلاثون سنة لم تبلغ سني حياة آبائي في غربتهم " . فتسمية الحياة "غربة" من اهل الكتاب قد تلمح حسب ظني الى بقاء او استيطان في غيرها

رابعاً . قلتم بقيت فرقة يهودية الى عهد المسيح تنكر الخلود . وهذه العبارة توهم حدوث عقيدة الخلود ورفض فرقة منهم اياها . والحقيقة خلاف ذلك . فان الخلود هو عقيدة اليهود الاصلية ولكن فرقة الصدوقيين انكرتها لانها تبعت فلسفة ابيكور الحسية الحديثة . اما الفريسيون الذين هم اكثر محافظة على تقاليد اليهود فكانوا ضدهم في ذلك وثبتوا على القديم

خامساً . واخيراً ان المصريين اسلاف اليهود واليونان والرومان في الفلسفة والمدنية كانوا يعرفون الخلود ويصدقون بهِ . والاهرام افضل شاهد لذلك . اما اعتقاد المسيحيين " ان المسيح أنار الخلود " فلا يعني انهُ مبتدع هذه الحقيقة بل انهُ بقيامتهِ من الاموات أثبتها عملياً وقدَّم مثالاً عليها . وبذلك ألقى عليها نوراً زادها ايضاحاً وأدخلها في عداد الحسيات التي لا مراء في ثبوتها . هذا يقين المسيحيين . والقارئ اللبيب حكم لذاتهِ في ما تقدَّم والله حسبنا وكفى بالله وكيلاً

حمص حنا خباز

[المقتطف] اولاً المقالة المنشورة في المقتطف ليست لسبنسر ولا هي مبنية على كتاباتهِ

ثانياً ان كلمة خلود او الكلمة العبرانية المرادفة لها لم ترد في اسفار موسى الخمسة ولا في كل اسفار العهد القديم فلم يذكر الخلود صريحاً في التوراة . ويظهر من آيات كثيرة وردت فيها ان كثيرين من الاقدمين كانوا يقولون مع ايوب ان مات انسان أفيحيا . الرجل يموت ويبلى الانسان يسلم الروح فاين هو . قد تنفد المياه من البحر والنهر ينشف ويجف والانسان يضطجع ولا يقوم . الاَّ ان ايوب او كاتب سفر ايوب عاد فاستنتج الخلود استنتاجاً كما سيجيء

ثالثاً ان العهد القديم يسمي مكان الاموات شيول وقد ذكرت هذه الكلمة ٦٥ مرة في العهد القديم ومعناها الهاوية او المكان العميق المظلم الذي يذهب اليهِ الاموات فلم يكن مقر الاموات بعد الموت واضحاً في العهد القديم

رابعاً ان اليهود كانوا في اول امرهم يخافون من الهاوية مسكن الاموات حاسبين ان من ينزل اليها ينقطع عن كل شيء قال الملك حزقيال في صلاتهِ المذكورة في سفر اشعيا

" لان الهاوية لا تحمدك الموت لا يسبحك لا يرجو الهابطون الى الجب امانتك الحيُّ الحيُّ هو يحمدك كما انا اليوم " وقال صاحب الزبور " ليس الاموات يسبحون الرب ولا من ينحدر الى ارض السكوت " . ويقال انهم كانوا يعتقدون ان الهاوية ليست في سلطة الله بل لها اله خاص وهو اله الموت الذي يرعى الناس هناك ثم لما صاروا يعتقدون ان الله يتغلَّب على اله الموت اعتقدوا انهُ يخلّص نفوس اتقيائهِ من الهاوية ولذلك قال صاحب المزمور التاسع والاربعين انما الله يفدي نفسي من يد الهاوية . وصاحب المزمور السادس عشر لانك لن تترك نفسي في الهاوية لن تدع تقيك يرى فساداً . وبلغ الاعتقاد بخلود النفس اوضحهُ في قول ايوب وبدون جسدي ارى الله . ثم صاروا يفرقون بين الابرار والاشرار على ما جاء في سفر دانيال الابرار للحياة الابدية والاشرار للازدراء الابدي

خامساً ان اعتقاد المصريين بالخلود على ما في كتاباتهم المحفوظة الى الآن كان اوضح جدًّا من اعتقاد اليهود بهِ على ما يشار اليهِ في التوراة بل ان تسعة اعشار رسوم المصريين الدينيَّة متعلقة بالحياة بعد الموت حتى تجد مدافنهم اجمل من منازلهم بما لا يقدر وكل ما بقي من كتبهم الدينية انما هو كتب صلوات الاموات وما يلاقونهُ في دار الخلود وعبادتهم هناك واما اليهود فلا تجد في كتبهم شيئاً من ذلك

سادساً ان اوضح اشارة الى الخلود هي في سفر ايوب كما تقدم لكن بعض الباحثين عن تاريخ اسفار العهد القديم يقولون الآن ان سفر ايوب من الاسفار الحديثة فقد كتب القس فوربس فلبس في جزء سبتمبر الماضي من مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية مقالة مسهبة ابان فيها بادلة كثيرة ان سفر ايوب رواية تمثيلية من نوع الدراما وقد حللهُ الى فصول الرواية وبيَّن هو وغيرهُ ان لغة المتكلمين مختلفة بعض الاختلاف كأن مؤلف الرواية انطق كلاًّ منهم باللهجة المستعملة بين القوم الذين ينسب اليهم

اما تاريخ كتابتهِ فقال الاستاذ دريفر انهُ سنة ٥٣٨ قبل المسيح ويظن القس فلبس انهُ احدث من ذلك ومن رأيهِ ان كاتبهُ قلَّد بهِ رواية يوريبيدس " الالكترا " فان الروايتين تبتدئان على اسلوب واحد وهذا رأي ثيودورس اسقف مبستيا الذي قام منذ الف وخمس مئة سنة فانهُ قال ان سفر ايوب رواية تمثيلية كتبها كاتبها مقلداً اليونانيين وسمى ابنتهُ الثالثة قرن هفوك وهو في الترجمة السبعينية كورني كوبيا اي قرن الخصب او قرن املثيا المعروفة في خرافات اليونان

وجعل الدكتور شين تاريخ كتابة سفر ايوب سنة ٥٠٠ قبل المسيح . ولكن في السفر

ادلة تدل على انهُ احدث من ذلك ولهذا جاءَت الاشارة فيهِ الى خلود النفس اوضح مما هي في غيرهِ من الاسفار القديمة

ولا يخفى عليكم اننا نبتعد عن الجدل في المقتطف لان اهل الجدل لايقتنعون مهما توفرت ادلة الاقناع ويتعذر علينا ان نجول معكم في بحث ونحن نعتمد على ما يجدُّ فيهِ كل يوم وحضرتكم تعتمدون على ما قيل فيهِ منذ سنين. فلو قرأتم ما كتبهُ الباحثون في هذا الموضوع حديثاً لرأيتم كلام المقتطف صواباً لاغبار عليهِ وهو ان اسفار التوراة القديمة تدلُّ على ان اليهود كانوا يجهلون الاعتقاد بخلود النفس ولذلك لم يذكر فيها صريحاً. نعم ان فيها عبارات تشير الى خلود النفس ولكن فيها عبارات اخرى تشير الى عدم الخلود كما تقدم

الاحتلال البريطاني

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين

كنت أُطالع تاريخ الحرب السودانية لجبرائيل بك حداد الطرابلسي فاستدللت منهُ على ان محمد علي باشا كبير العائلة الخديوية بدا لهُ ان يوسع تخوم مملكتهِ فأراد الاستيلاء على السودان نظرًا لعلاقتهِ الشديدة بمصر ونظرًا لعدم وجود حكومة منظمة فيهِ. ولا يلام محمد علي على ذلك لانهُ يطلب من كلّ انسان عالي الهمة ان يسعى جهدهُ في ترقية الناس ادبيًّا وماديًّا فتمَّ لهُ ما تمناهُ

ولقد استغربت جدًّا تداخل الانكليز في مصر الآن وتوظيف رجالهم في دوائر الحكومة المصرية فبأي حقّ فعلوا ذلك. وبأي حقّ حملوا على الدراويش تحت العلم المصري ثم امتلكوا بلاد السودان وما معنى هذه المساعدة التي غايتها امتلاك البلاد وكيف تسكت الحكومة الخديوية عن ذلك. راجياً الافادة على صفحات مقتطفكم الاغر. ولكم الشكر والمنة

شيكاغو اليان بطرس حلوه

[المقتطف] لا شبهة في ان حالة القطر المصري والقطر السوداني من حيث احتلال الانكليز لها حالة جديدة في عالم السياسة. فان الذي جرى عليهِ اهل السياسة حتى الآن انهم اذا دخلوا بلادًا امتلكوها كما فعل الاتراك لما دخلوا القطر المصري والقطر السوري فانهم امتلكوها وكما فعل محمد علي لما دخل بلاد السودان فانهُ امتلكها بحق الفتح وكما فعل الفرنسويون في الجزائر وتونس. او خرجوا منها وتركوها كما فعل الانكليز في بلاد الحبش.

اما الذي فعلوهُ في القطر المصري والقطر السوداني فبين بين لانهم دخلوا القطرين واحتلوهما ولم يتملكوهما بل اقتصروا على مساعدة الوطنيين في ادارة شؤُون البلاد اما في القطر المصري فقاموا مقام اكثر الاجانب الذين كانوا منتظمين في حكومتهِ وزادوا على ذلك زيادة ليست كبيرة واما في القطر السوداني فمصالح الحكومة كلها تقريباً في يدهم لاسباب معلومة

ولقد كان الداعي الى دخولهم القطر المصري اختلال الامن فيهِ وخوف اصحاب الديون المصرية على اموالهم واكثرهم من الانكليز والفرنسويين. ولما أَحجمت فرنسا عن مشاركة انكلترا انفردت انكلترا بارسال جنودها وعزمت على الخروج بعد دخولها مشترطة انهُ اذا اختلَّ الامن مرة أُخرى تعيد جنودها الى القطر. والظاهر ان الماليين الذين يخشون على اموالهم اغروا الباب العالي حتى لم يقبل بهذا الشرط فبقيت انكلترا في مصر. وكان السودان قد خلع طاعة الحكومة المصرية وحاولت انكلترا استرجاعهُ وانفقت على ذلك اموالها ودماء رجالها فلم تستطع واستقلَّ السودان عن مصر وصار بلاداً مطموعاً فيها حتى لو لم تستردهُ مصر بمساعدة انكلترا لفتحتهُ فرنسا او دولة أُخرى وضمتهُ الى املاكها وتحكمت بالنيل على اسلوب يجعل القطر المصري في قبضة يدها وتحت رحمتها فقامت انكلترا وساعدت مصر على استرجاع السودان وان شئت فقل على منع فساد الاحكام فيهِ وعلى التحكم بالنيل حتى لا يقل الماء الوارد بهِ الى مصر بل يزيد فتمَّ لها ذلك. ولقد استفاد هذا القطر والقطر السوداني من الاحتلال البريطاني فوائد مادية لا تقدَّر ونرجو ان تقرن هذه الفوائد المادية بما يساويها من الفوائد الادبية. وكل حاكم لا يجور ولا يظلم تجب طاعتهُ "وكل مكان ينبت العزَّ طيبُ"

بابُ تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

امرأَة تدافع عن اخواتها

كتبت احدى الكاتبات الانكليزيات مقالة في النساء وحقوقهنَّ المدنية ومقامهنَّ بازاء الرجال قالت فيها ان كثيرين من العلماء العصريين يقولون انا تنزل النساء منزلة دون منزلتهنَّ الحقيقية ونجعلهنَّ متعلقات بالرجال فتتقيد بذلك حريتهنَّ وحركتهنَّ الاجتماعية.

وسبب هذا القول خطاه في ادراك مقامنا الحقيقي • فأولاً أيمكن ان تنزّل المرأة منزلاً اسمى من المنزل الذي خصتها الطبيعة بهِ وهو ان يكون زمام العناية الادبية في العالم بيدها وهذا اعظم البواعث على تأييد ملاك العفاف والصلاح في العيشتين الخصوصية والعمومية . وهل ثمة مجال للعمل اوسع من هذا ومقام اجتماعي وعمل شريف ارفع منهُ • وغاية ما يسعى طالبو الحقائق اليهِ تحرير المرأة من رقّ العمل بيدها لتحصيل رزقها حتى تتفرّغ لاتمام وظيفتها الطبيعية في المنزل كزوجة وأمّ ومربية لرجال المستقبل • والمنزل هو المركز الذي تشعُّ منهُ سطوة المرأة الادبية الى العائلة ومنها الى العالم حولها ولكنهُ ليس المجال الوحيد لاظهار قوّتها وعملها • فانها فرد من افراد المجتمع كما انها زوجة وأمّ ولها سهم في جميع الواجبات والاعمال الاجتماعية والعمومية فلا بدّ لها من نيل ذلك السهم • وهي العنصر المطهر المقوّم للآداب والقوة التي تقنع وتكبح وتليّن • وليس لها قوّة مادية بل قوّتها قائمة بالمحبة وضعفها هو عين قوّتها الادبية

والحقُّ ان اعظم قوى العالم قوّة تثقيف العقول والآداب ورفع لواء الطهر والعدل والرحمة في الشؤون الوطنية والدولية وابقاء روح الايمان بالمبدإ الحقّ مستعرة في الصدور والحثُّ على كلّ تقدم اجتماعي

البنات في اليابان

قالت كاتبة انكليزية تصف حالة البنات في اليابان ما يأتي :

في توكيو عاصمة اليابان عشرة آلاف بنت قدمنها من سائر المملكة ليتعلمن في مدارسها وهنّ يسكنّ منازل رخيصة ولا يعنى احدٌ بامرهنّ والنتيجة موجبة للاسف . وذلك لانهنّ يخرجنَ من مراقبة والديهنّ فجأة ويتركن منازلهنّ ورؤوسهنّ مملوءة باحلام الاستقلال ومساواة الرجال ويقضين ساعات الفراغ في قراءة الكتب والروايات المفسدة للاخلاق فأفضى هذا كلهُ الى انحطاط آدابهنّ وسوء سمعتهنّ

وقالت كاتبة يابانية مسيحية في هذا الصدد ان كلمة " محبة " لم تكن معروفة عند اليابانيات بالمعنى المفهوم في اوربا قبل اختلاطنا بالاوربيين بل ان واجبات المرأة نحو رجلها كانت مقصورة على الخضوع والطاعة لهُ ومعاملتهِ باللطف واللين فكانت النتيجة الوفاق والوئام • فلما امتزجنا بالاوربيات جعل بعض المعلمات منهنّ يقلن لبناتنا " ان شرّ الامور ان تتزوّج البنت من غير ان تحبّ " وان طاعة الوالدين في امر مثل هذا ذنب ضدّ الطبيعة

والدين المسيحي . فاذا أحبت الفتاة فتى وجب ان تبذل كل شيء في سبيل زواجهِ . "
فكانت النتيجة ان كثر هربهن مع الشبان للزواج واختفاؤهن وانتحارهن

دفاع عن الملكة دراجا

دراجا على ما يذكر القراء هي ملكة السرب السابقة التي عشقها الملك اسكندر الشاب وتزوجها فساء هذا الزواج جمهوراً كبيراً من السربيين واضمرت فئة من كبار رجال الحكومة والجيش الشر للملك وزوجتهِ حتى اذا كان شهر يونيو من سنة ١٩٠٣ اغتالوهما وقتلوهما شر قتلة فذم العالم المتمدن هذه الفعلة الشنعاء وعدها عملاً وحشياً حتى قطعت اوربا علائقها السياسية بالسرب وطلبت معاقبة زعماء المكيدة

وقام كثيرون يكتبون في تقبيح هذا الجرم المنكر وتبرئة الملكين وآخرهم اخت الملكة دراجا فانها كتبت مقالة في احدى المجلات الانكليزية عنوانها " الحقيقة فيما يتعلق بالملكة دراجا " وهاك بعض ما جاء فيها قالت

" زوجت شقيقتي كرهاً وهي لا تزال صغيرة السن لمهندس سكير . فلما مات زهدت بامور الدنيا وعاشت عيشة عزلة وانفراد مع امها واخوتها واخواتها الصغار . وكنا فقراء فاضطرت ان تقدم على الكتابة لتحصيل رزق عائلتها وترجمت رواية نشرتها احدى الجرائد السربية . ولما صارت ملكة لم تنسَ ماضيها الوضيع بل انها قالت مرة في حفلة ضمت جميع الوزراء انني لا اخجل بفقري السابق واشتغالي بالكتابة لأعيش

" وبين سنة ١٨٩١ و ١٨٩٧ كانت سيدة شرف للملكة ناتالي (ام الملك اسكندر) فكانت مثال الطهر وكرم النفس . والملكة ناتالي تقرّ بذلك اذ كانت امرأة تخاف الله بل ان اهل البلاط كانوا يستغربون تطرفها في لزوم العزلة والحياد حتى ظن البعض ان فيها مساً . وكان عمرها حينئذٍ تسعاً وعشرين سنة وعشراؤها من الشبان الشرفاء من الفرنسويين والاسبان فلم يستطع احد منهم ان يفوه امامها بكلمة مجون ولو تلميحاً لما كان في منظرها من الانفة والمهابة الرائعة

" وفي خريف سنة ١٨٩٤ كلف الملك اسكندر بها وهي لا تدري ثم لما باح لها بغرامهِ بقيت سنتين ترفض سماع كلامهِ . واخيراً ادركت ان حبهُ لها ليس مجرد هيام وقتي بها ولا هو ظل سحابة يظهر ثم يضمحل باسرع مما ظهر بل حب حقيقي صادر عن قلب يتلهب وجداً واخلاصاً ومع ذلك رفضت الاقتران بهِ قائلة ان اهل السرب لا يحبون تزوج الشبان

بالارامل وانها اكبر منهُ سناً وانها تخشى ان لا تتمكن من اكتساب ميل الشعب اليها وحبهِ لها اذا وافقتهُ على طلبهِ وتزوجت بهِ فسخر بكلامها واكَّد لها ان لا شيءَ يحوّل عزمهُ عنها . ولما ضاقت المذاهب دونها عوَّلت على مغادرة البلاد والسكن خارجها زاعمة ان النأي يشفي من الوجد . فاخبرت الملك بما عزمت عليهِ فقال ان كنت تنوين هجري وهجر البلاد رغم ارادتي فاني اترك البلاد والتاج وكلَّ شيء واتبعك اينما تمضين . فاني اريد ان اعيش سعيداً مسروراً ولا سعادة ولا سرور لي في سواك . واريد ايضاً ان تكوني زوجتي امام الله وامام شعبي

"ولكنها فرَّت من وجههِ فارسل من يستعطفها عليهِ ويعيدها اليهِ ففكرت فيما عسى ان تفعل واخيراً رأت ان مشيئة الله قضت بزواجها وخافت عليهِ عاقبة رفضها فعادت الى قصره كئيبة فاحسن استقبالها واكرم مثواها ووضع خاتم الخطبة في يدها حالاً فعل ذلك يوم السبت ولم يصبر الى الاحد كما هي العادة . هكذا قال لنا هو نفسهُ "

التعليم الابتدائي

كتبت لادي باجت الكاتبة الشهيرة مقالة مسهبة في مجلة القرن التاسع عشر قالت فيها ان نظام التعليم الابتدائي الاجباري المتَّبع في اوربا هو الذي اكثر اهل البطالة فيها واوقعها في مشكل يعسر عليها الخلاص منهُ . فان اموال الامة تنفق الآن على ربط الاولاد في الكتاتيب وتعليمهم علوماً كثيرة لا يحتاجون اليها وعلوماً قليلة يحتاجون اليها ولكن يمكنهم تحصيلها في ثلاثة اشهر اذا علموها كباراً . أليس الاصلح للامة ان تعلّم ابناءها حرفة يتعيشون بها وتعلّم بناتها كيفية القيام بالواجبات البيتية

من الامور المقررة ان امهر العمال في البلاد التي التعليم فيها ليس اجبارياً هم من الاميين الذين يجهلون القراءة والكتابة . وكلما زاد تعليم الصغار قلَّ عدد العمّال الماهرين

ما اسعد الامة التي يتعلم بناتها ان يطبخن ويكنسن ويغسلن ويكوين ويخطن ثيابهنَّ وثياب ازواجهنَّ واولادهنَّ ويصلحن بيوتهنَّ وينظفنها ويجملنها . فان قوَّة المرأة قائمة بكيفية ادارة بيتها وجعلهِ مقرًّا للراحة والسرور

وقيمة المرء والمرأة في ما يحسنانهِ فبيَّاعة اللبن التي تقوم بما يجب عليها وتتقن عملها افضل من السيدة الشريفة التي تكتفي باسمها وتضيع وقتها في ما لا يفيد فان الاولى تزيد نفعاً يوماً فيوماً واما الثانية فتنحط رويداً رويداً حتى لا تعود شيئاً مذكوراً



الصمغ العربي

في التقرير الثاني عن معامل ولكم في مدرسة غوردون بالخرطوم فصول مفيدة وفي جملتها فصل عن الصمغ العربي ترجمناهُ هنا تعميماً لنفعهِ

عرف الصمغ العربي من قديم الزمان فقد استعملهُ المصريون القدماءُ قبل التاريخ المسيحي بنحو الفي سنة لعمل الاصباغ التي كانوا يدهنون بها . وكان الصمغ يجمع من شجرة الاكاسيا العربية وكانت كثيرة في وادي النيل الآَّ ان الجانب الاكبر منهُ كان يرد الى البلاد بسفن تأتي بهِ من عدن ويصل الى عدن من بلاد العرب نفسها ومن بلاد الصومال . ثم صار كلُّ الصمغ الواصل الى عدن في زمن الرومان والقرون الوسطى من بلاد الصومال اما صمغ بلاد العرب فصار يرسل الى جدَّة ويصدر منها الى اوربا . والآن قلَّ اهتمام العرب بالصمغ العربي ولم يعد يرد الأَّ من السودان ومستعمرة السنغال الفرنسوية

وانقطعت تجارة الصمغ في زمن الدراويش وانتعشت بعد استرجاع السودان ويرجى ان تعود الى ما كانت عليهِ فيصير لها المقام الاول

ويستخرج الصمغ في السودان وفي السنغال من اصناف مختلفة من شجر الاكاسيا ولكن اجودهُ في السودان من الصنف المسمى هشاب و في السنغال من الصنف المسمى اكاسيا السنغال وفي السودان صمغ آخر اسمهُ الطلح يستخرج من صنف آخر من الاكاسيا . وللسنط صمغ كالصمغ العربي لكنهُ اسمر فلا يستعمل في التجارة

وقد كتب المستر موريل مدير الغابات السابق عن الصمغ وشجرهِ فقال " ان اجود الصمغ (الهشاب) يرد اكثرهُ من كردوفان ويجمع قليل منهُ من جهات البحر الازرق ويسمى هشاب الجزيرة ويقال ان صمغ الهشاب كثير في كسلا . واذا كان الصمغ من اشجار اعتني بها سمي هشاب جنينة وهو من جنائن كردوفان فحالما ينقطع وقوع المطر ينتزع القشر قدداً من الاغصان الكبيرة في الاشجار التي عمر الشجرة منها ثلاث سنوات فاكثر ينزعها رجال معهم فؤوس يقطعون بها القشر قطعاً عرضياً ثم يسلخونهُ بايديهم قدداً قدداً ويعتنون بسلخها حتى لا يسلخ معها اللحاء الداخلي فلا يلحق الشجرة ضرر . ويكون طول

القدة قدمين او ثلاثاً وعرضها من عقدة الى ثلاث عقد حسب غلظ الغصن واذا كان طول القدة ست اقدام او اكثر فقد لا يحلب من تحتها صمغ اكثر مما يحلب من تحت قدة اقصر منها . وكذلك اذا جرح الخشب او كان سلخ الجلد بالفا حتى أزيل معهُ اللحاء الداخلي فان الصمغ المحلب يكون قليلاً حينئذٍ وتضرُّ الشجرة

ويجمع الصمغ لاول مرة بعد سلخ اللحاء بنحو شهرين ثم يجمع الجنينة كلَّ اربعين يوماً حتى تقع الامطار ويظهر الورق على الاشجار حالاً بعد وقوعها فيمتنع تحلب الصمغ

والصمغ على انواع منهُ هشاب الوادي وهشاب جنينة وقضاب وهذا الاخير لا قيمة لهُ لما فيهِ من الوسخ واذا وجد منهُ شيء بين الصمغ الجيد طرح خارجاً

وافضل تربة لزرع الصمغ التربة الحديدية (ferruginous) الرملية التي ريها الطبيعي حسن ويقع عليها من المطر ما يبلغ ٤٠ الى ٧٠ عقدة كلَّ سنة . واذا اشتدَّت الرطوبة في التربة لم يخرج الصمغ

وعمر شجر الصمغ من ٣ سنوات الى ٢٠ سنة . وشجرة الهشاب التي طولها ٨ الى ١٠ اقدام ومحيط جذعها ٦ الى ٨ عقد تبدأ باخراج الصمغ

ويستصوب في الجنينة تفريق الاشجار بعضها عن بعض لان كثرة الظلّ مضرّة بنموّها

ومقدار الموسم يختلف باختلاف الارض فقد أخبرني رجل من شرغيله انهُ استخرج من الجنينة من ارض مساحتها ١٠ افدنة ١٠٠ رطل في الجنينة الاولى و٧٥ رطلاً في الثانية و٦٠ في الثالثة ثم صار المتوسط بعد ذلك ٥٠ رطلاً في عدة جنينات ثم هبط الى ١٠ ارطال في اواخر الموسم . اي ان المتوسط السنوي فيها يبلغ ١٢ الى ١٥ قنطاراً

وقدّر الموسم في تربة اجود منها كثيراً فكان ٧٠٠ قنطار في ٣٠ جنيه

وصمغ الطلح يجمع غالباً من غابات النيل الازرق واشجارهُ لا تسلخ ولا تجرح بل ان جامعي الصمغ يجمعونهُ كما يجدونهُ عليها وهو نوعان احمر وابيض

وقد بحث المستر جريج سمث في اصل الصمغ وسببهِ فوجد انهُ يتكون بواسطة نوع خصوصي من المكروب وكان يظن قبلاً ان تكونهُ نتيجة حالة مرضية تعرض للاشجار

هذا وان الصمغ يستعمل كثيراً في الصناعة فالجنس الجيّد منهُ يستعمل في عمل المربيات والحلوى وصبغ الحرير وغيره والالوان المائية والمستحضرات الطبية . والجنس الدون يستعمل في عمل الحبر وعيدان الكبريت والورق وما شاكل . وقيمة الصمغ متوقفة على لونهِ ورائحتهِ وطعمهِ ونقاوتهِ وقوة لزوجتهِ فكلما كان نقيّ اللون خالياً من الرائحة والطعم شديد اللزوجة غلا

ثمنهُ . ويقال على وجه العموم ان الصمغ الجيد يخرج من الشجر الصغير والدون من الشجر الكبير

وكثير من الصمغ يرسل الى تريسته حيث ينقَّى وينظف وهناك يقسم الى قسمين صمغ "خرطوم" وصمغ "كردوفان" فالاول يمتاز بكونهِ صلباً صقيلاً لامعاً ويصنع منهُ سائل ابيض شديد اللزوجة . والثاني الين منهُ واذا جفَّ علتهُ الشقوق وهو يفقد شفافيتهُ اذا عرّض للشمس ويصير ابيض اللون ويصنع منهُ سائل شديد الصفرة حسن الطعم وربما كان اقلّ لزوجة من الاول

موسم القطن المصري في هذا العام

واظهار حقيقة

اختلف المقدرون في تقدير الموسم هذا العام والاكثرون على انهُ كبير يبلغ ستة ملايين وسبع مئة الف قنطار وقد وصل منهُ الى الاسكندرية حتى كتابة هذه السطور في ٢٨ دسمبر ٤٦٥٩٣١٣ قنطاراً

فاذا بلغ ستة ملايين وسبع مئة الف قنطار كما يقدَّر فهو اكبر موسم استغل حتى الآن واقرب موسم اليهِ كان موسم سنة ١٨٩٧ كما ترى في هذا الجدول

موسم سنة	١٨٩٧	٦ ٥٤٣ ١٢٨ قنطاراً
« «	١٨٩٨	٥ ٥٨٩ ٣١٤ «
« «	١٨٩٩	٦ ٩١٠ ٠٥٠ «
« «	١٩٠٠	٥ ٤٢٧ ٣٣٨ «
« «	١٩٠١	٦ ٣٧١ ٦٤٣ «
« «	١٩٠٢	٥ ٨٣٨ ٠٩٠ «
« «	١٩٠٣	٦ ٥٠٨ ٩٤٧ «
« «	١٩٠٤	٦ ٣٥١ ٨٧٩ «
« «	١٩٠٥	٥ ٩٥٩ ٨٨٣ «

فاذا تحققت الآمال وبلغ موسم هذا العام ٦٧٠٠٠٠٠ قنطاراً فالربح منهُ يزيد كثيراً على الربح من اي موسم كان قبلهُ لارتفاع اسعارهِ فان القنطار بيع في اوائل الموسم بنحو ٣٨٠

غرشاً ثم زاد رويداً رويداً حتى بلغ ٤٥٠ غرشاً ولا يبعد ان يكون متوسط ما اخذهُ اهل الزراعة ثمن قطنهم ٤٠٠ على الاقل ومتوسط ما اخذهُ القطن المصري من اوربا واميركا ثمن القنطار وبزرتهِ ونفقات حلجهِ ونقلهِ الى الاسكندرية وربح التاجر والسمسار الخ ٤٦٠ الى ٤٧٠ غرشاً فيبلغ ثمن موسم هذا العام ٣١ مليوناً من الجنيهات على الاقل

ولا عبرة بتسعير الجمرك المصري ولا بقولهِ انهُ ينقص عشرة في المئة من الثمن فان القطن الذي صدر في شهر نوفمبر الماضي بلغ ١١٠١٢٦٧ قنطاراً وبلغ ثمنهُ حسب تسعير الجمرك ٣٣٩٠٠٦٣ جنيهاً اي ان ثمن قنطار القطن ٣٠٠ غرش واذا اضفنا اليهِ العشرة في المئة التي تقول ادارة الجمرك انها تنقصها من الثمن بلغ ثمن القنطار ٣٣٠ غرشاً على حين انهُ كان يشترى من المزارع باكثر من ٤٠٠ غرش هو وبزرتهُ فاين نفقات حلجهِ ونقلهِ وربح العميل والتاجر ولذلك فالجمرك ينقص ٢٥ في المئة من الثمن الى ٣٠ في المئة على الاقل فاذا بلغ ثمن موسم هذا العام ٣١ مليوناً من الجنيهات لا ينتظر ان يظهر ثمنهُ في تقرير الجمرك اكثر من ٢٣ مليوناً وهذا الامر من الاهمية بمكان عظيم ولم ننتبه لهُ قبل الآن ولا كان في الامكان تحققهُ قبلاً لكثرة تقلب الاسعار اما هذه السنة فكان سعر القطن في نوفمبر ودسمبر جارياً على وتيرة واحدة تقريباً فسهل علينا اكتشاف هذا الخلل في تسعير الجمرك

اذا ثبت ذلك اي اذا ثبت ان القطن المصري سيأخذ من اوربا واميركا ٣١ مليوناً من الجنيهات ثمن موسم هذا العام وما ينفقهُ عليهِ فهذه الواحد والثلاثون مليوناً تكفي لايفاء ثمن كل الواردات وربا دين الحكومة ودين الاهالي وتبقى صادرات اخرى ثمنها نحو مليونين ونصف من الجنيهات وكل الاموال التي ينفقها السياح وغيرهم في هذا القطر

موسم القطن الاميركي

لم يتحقق حتى الآن كم يبلغ موسم القطن الاميركي هذا العام ولكن المرجح انهُ لا يقل عن اثني عشر مليون بالة فهو موسم كبير ومع ذلك لا يزال سعر القطن الاميركاني مرتفعاً ولا يخشى من هبوطهِ على ما يظهر لزيادة المقطوعية وقد بلغ موسم القطن الهندي مبلغاً لم يبلغهُ من قبل ومع ذلك لم يهبط سعرهُ . وفوق ذلك فان سعر القطن المصري قد زاد على النسبة المعتادة بينهُ وبين القطن الاميركي لجودتهِ ولانهُ انشئت معامل خاصة لغزلهِ ونسجهِ وتقليد الحرير بهِ فسيحفظ مقامهُ من حيث الثمن مهما اتسع نطاق زراعتهِ في هذا القطر

باب التقريظ والانتقاد

تذكار راغب وصبري

هو ديوان جديد للشاعر الاديب رشيد افندي مصوبع اللبناني جعلهُ تقدمة الى السريين صاحب العطوفة ادريس بك راغب وصاحب السعادة اسمعيل باشا صبري وكيل نظارة الحقانية قال في مدح الاول

ولا يعجبن الناس من عود مدحهِ وقد سمعوا قبلاً بهِ مدحاتي
فهذا سري قد غدت حسناتهُ تعود كعود الغصن بالثمرات
ويا طالما الناس استعادوا مغنياً اذا شنف الاسماع بالنغمات

وقال في مدح الثاني

وان حيَّ خلا من ذكر صبري يتوق لهُ فينشق منهُ عودا
اقابلهُ بايام شداد فترجع تلكم الايام عيدا
فان يد الوجود لني انتقاد لمثلك فاضلاً نفع الوجودا
تهيج بك القريحة مثل نارٍ غدا مسك الثناء لها وقودا

ومن القصائد الحسان فيهِ قصيدة يصف بها سوق احسان اقامتها العذارى الاسرائيليات قال فيها

كل خود للسحر من مقلتيها عُقَدٌ قد خلبن بالنفثات
اخذت للفقير منا زكاةً قابلتها من حسنها بزكاةِ
وغدا الزهر غالي السعر اذ قد كان يعطى من تلكم الراحاتِ
هكذا يُعرَض الجمال تحلَّى بجميل الافعال والغاياتِ

خمس رسائل نادرة

الاولى في شرح حديث ابي ذر ياعبادي اني حرمت الظلم على نفسي وجعلتهُ بينكم محرَّماً فلا تظالموا الخ وهي لشيخ الاسلام بن تيمية الحرّاني . الثانية في الرواة الثقات المتكلم فيهم بما لا يوجب ردهم للحافظ الذهبي الدمشقي . والثالثة رسالة الامام عمر بن ابرهيم الخيامي الى القاضي ابي نصر النسوي في الخلق والتكليف . والرابعة فتوى شيخ الاسلام ابن تيمية في

قول النبي انزل القرآن على سبعة احرف والمراد بهذه السبعة . والخامسة رسالة الادب الصغير من حكم عبد الله بن المقفع وقد طبعت هذه الرسائل على نفقة حضرة عبد المجيد افندي زكريا فلهُ الشكر على نشره كتب الادب النادرة

البحر المتوسط والتمدن

خطبة تاريخية ادبية للكاتب البليغ انطون افندي الجميّل محرر جريدة البشير ومدرس البيان في كلية القديس يوسف ذكر فيها طرفاً من تاريخ الممالك التي قامت على سواحل هذا البحر ورجّى ان يعود الى سواحله العمران الذي غادرهُ حاسباً ان المنافع الناجمة عن سكة الحجاز تكفي للاعراب عن هذا المستقبل الزاهر

كتاب الاخلاق والسير

كتاب الاخلاق والسير في مداواة النفوس الفهُ الامام ابو محمد بن سعيد بن حزم الاندلسي وهو من خيرة الكتب الادبية المهذبة للنفوس المقومة لعوج الاخلاق . وقد قسم الى عدة فصول فمنها فصل في ابواب العقل والراحة وفصل في العلم وفصل في الاخلاق والسير وفصل في الاخوان والصداقة والنصيحة وقد نقلنا معظم هذا الفصل الى الجزء الماضي من المقتطف

ولغة الكتاب بليغة وقد عني بتصحيحهِ وطبعهِ وضبط كلماتهِ اللغوية وشرح بعضها حضرة الشيخ احمد افندي عمر المحمصاني الازهري فلهُ الشكر على ذلك

مرشد الراغبين في اسعاف المصابين

الّف هذا الكتاب النفيس حضرة الكاتب المجتهد يوسف افندي بشتلي من موظفي نظارة الداخلية وجمع فيهِ كثيراً من الفوائد التشريحية والفسيولوجية والعلاجية ويكفي ذكر بعض ما فيهِ من المواضيع للوقوف على اهميتهِ لكلٍ على السواء فمن مواضيعهِ جسد الانسان وتركيبهُ . والجروح والنزف والوسائط التي تستعمل لضمد الجروح ومنع النزف وتكسر العظام وخلعها وكيفية جبرها . والآفات والعوارض الفجائية مثل ارتجاج الدماغ واحتقانهِ والنقطة والهستيريا والاغماء والتسمم والغرق والحرق وضربة الشمس ولدغ الحشرات وما اشبه من الآفات

وهو مزين بالرسوم الكثيرة ومذيل باقوال بعض المجلات والجرائد المصرية الشهيرة في تقريظهِ ويلي ذلك فهرست ابجدية لجميع المواضيع . وقد نقلنا فصلاً منهُ في هذا الجزء للدلالة على اسلوبهِ فنثني على حضرة مؤلفهِ ثناء جميلاً



فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيه مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف. ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائله باسمه والقابه ومحل اقامته امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمه عند ادراج سؤاله فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمه (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارساله الينا فليكرره سائله فان لم ندرجه بعد شهر آخر نكون قد اهملناه لسبب كافٍ

(١) اسنان الغنم الذهبية

بيروت. احد المشتركين بلغني عن ثقة ان اسنان الغنم تكون احياناً مكسوة بطلاء ذهبي وقد فتش كثيرون عن العشبة التي تحول سطح الاسنان الى مادة ذهبية او يرسب منها مادة ذهبية على الاسنان فلم يجدوها. فهل ذلك صحيح وما هو النبات الذي يتولد منهُ الذهب على الاسنان

ج ان ذلك صحيح وقد شاهدنا الاسنان الذهبية ولكن الطلاء الذهبي الذي عليها ليس ذهباً ولا نحاساً بل هو فصفات الكلس ممزوج بمادة آلية اي انهُ مادة ترابية تلمع كالذهب والظاهر انهُ يتكون في البلدان التي مياهها قلوية فتكثر المادة الرمادية في نباتها. وطالما خدعت هذه الاسنان الناس فظنوا انها تدل على نبات يتولد الذهب منهُ

(٢) الساعات المضبوطة

طرابلس الشام. ر. ك لو فرضنا ان ساعة مضبوطة تمام الضبط ربطناها عند الغروب على الساعة الثانية عشرة تماماً وبقيت سائرة مضبوطة مدة شهرين او ثلاثة ورجعنا عند الغروب وفحصناها فهل نجدها قد تغيرت اي تقدّمت او تأخرت عن الساعة الثانية عشرة ولماذا ذلك

ج نعم نجدها تغيرت بل هي تتغير من يوم الى يوم وسبب ذلك دوران الارض حول الشمس فلو كانت الشمس ثابتة والارض تدور على محورها مرةً كل اربع وعشرين ساعة تماماً لظهر غروب الشمس كل يوم عند الساعة الثانية عشرة تماماً ولكن الشمس تنتقل شرقاً حسب الظاهر ٣٦٠ درجة في السنة اي درجة واحدة تقريباً كل يوم وعند التدقيق ٥٩ دقيقة و ٨ ثواني و ٣٥ في المئة من الثانية ففي مدة دوران الارض على محورها تكون الشمس قد انتقلت نحو الشرق ولذلك يتأخر الغروب نحو اربع دقائق وعند التدقيق ٣ دقائق و ٥٥ ثانية وتسعة اعشار الثانية من الوقت. ولو كانت حركة الشمس في دائرة

البروج على التساوي ابداً لكانت هذه المدة اي الاربع الدقائق هي المدة التي يطول فيها اليوم ولكن الشمس او الارض تسرع تارة وتبطئ اخرى لان مدار الارض حول الشمس اهليلجي . ولو فرضنا وجود ساعتين احداهما تتبع الوقت الظاهر في سيرها والاخرى الوقت الاوسط لوجدنا ان الساعة الاولى تتقدم تارة عن الثانية وتتأخر اخرى ومعظم الفرق بينهما ١٧ دقيقة و ١٧ ثانية قرب اليوم الثالث من نوفمبر (ت ٢) وتتوافقان اربع مرات كل سنة قرب ١٥ ابريل (نيسان) و ١٤ يونيو (حزيران) و ٣١ اغسطس (آب) و ٢٤ دسمبر (ك ١) وهذه الاوقات تتغير قليلاً لسبب آخر . والخلاصة ان الساعات المضبوطة لا توافق مغيب الشمس دائماً واذا وافقتهُ فهي غير مضبوطة

(٣) السبيرتو والسكر

المطرية بالدقهلية . حسين افندي عبد الفتاح الجمل . هل السبيرتو مسكر وحدهُ او هو لا يسكر الاّ اذا مزج بالخمر

ج هو مسكر بنفسهِ وهو العنصر المسكر في الخمر ولولاهُ ما كانت الخمر مسكرة وكلما قلَّ مقدارهُ قلَّ فعلها المسكر

(٤) اشعة رنتجن والجنين

ومنهُ . علمنا ان اشعة رنتجن تخترق باطن الجسم وتظهر ما فيهِ فهل يمكن استعمالها لمعرفة ما اذا كان الجنين ذكرًا او انثى ولو في الاشهر الاخيرة

ج يظهر لنا ان ذلك متعذّر لان الصور التي تظهر بها في باطن الجسم لا تكون واضحة تماماً واذا كانت الاجزاء المصورة بها من مادة واحدة فلا يظهر فرق بينها بحيث يتميز جزء منها عن جزء

(٥) جبال البحر

ومنهُ . سمعنا ان في البحر جبالاً عالية كما في البر فهل ذلك صحيح وكم هو ارتفاع اعلى جبال البحر

ج ان في البحر مرتفعات ومنخفضات كما في البر وكثير من الجزائر الصغيرة قمم جبال غائصة في البحر . ولما كانت الولايات المتحدة تسبر غور البحر منذ سبع سنوات لمد سلك تلغرافي في الاوقيانس الباسيفيكي رأى رجالها المكلفون بذلك جبالاً عمق حضيضها عن سطح البحر ٥٠٠٠ قامة وعمق رؤُوسها عن سطح البحر ٦٨٩ قامة فارتفاعها ٤٣١١ قامة اي نحو ٢٥ الف قدم فهي مثل اعلى جبال الارض



جوائز نوبل

منح مجلس نواب نروج جائزة نوبل على السعي في حفظ السلام للمستر روزفلت رئيس الولايات المتحدة الاميركية وسلم رئيس المجلس الجائزة الى معتمد اميركا قائلاً لهُ أبلغ المستر روزفلت تحية الامة النروجية ودعوتها ان تراهُ مداوم السير في سبيل اعلاء السلم في المستقبل . فشكر المعتمد الاميركي المجلس على منحتهِ وقال ان الرئيس روزفلت ارسل رسالة برقية يقول فيها ان الحصول على هذه الجائزة لمن اعظم اوسمة الشرف التي ينالها انسان مهما كان قدرهُ واينما كان مقامهُ . ثم قرأ رسالة أُخرى بعثها الرئيس وأعرب فيها عن شكرهِ على منح الجائزة لهُ وقال انهُ يفضلها على سائر المنح والهبات وانهُ عزم على انفاقها لانشاء لجنة سلمية صناعية في وشنطون اذ السلام في عالم الصناعة لا يقلُّ شأناً عنهُ في عالم السياسة

وعقد ملك اسوج المشهور بحبهِ للعلم والعلماء مجلساً في ١٠ دسمبر الماضي ومنح فيهِ الجوائز الاخرى للعلماء الآتية اسماؤُهم وقلدهم نياشين ذهبية وهم الاستاذ مواسان الفرنسوي نال جائزة الكيمياء وخصوصاً لتجاربهِ في استخراج الفلور واستخدام الاتون الكهربائي في التجارب العلمية . والاستاذ طمسن من كمبردج جائزة الطبيعيات وخصوصاً البحث في ماهية الكهربائية . والاستاذ جولجي الايطالي جائزة الطب وخصوصاً لتشريح الجهاز العصبي . وأُرسلت جائزة علم الادب الى الاستاذ كاردوتشي البولوني عن يد معتمد ايطاليا . ومقدار كلٍّ من هذه الجوائز وفي جملتها جائزة السلام ٧٦٥٩ جنيهاً

المكروبات واضدادها

اكتشف مكروب الدفثيريا سنة ١٨٧٥ واكتشف بيرنغ الالماني وكتاساتو الياباني المصل المضاد لهُ سنة ١٨٩٠ فقلت وفيات الدفثيريا بذلك الى نصف ما كانت عليهِ قبل اكتشاف المصل . واكتشف مكروب التتانوس سنة ١٨٨٠ والمصل المضاد لهُ سنة ١٨٩٤ وهذا المصل يقي من المرض ولكنهُ ندر ان يشفي منهُ . واكتشف باستور المصل المضاد للكلَب سنة ١٨٨٥ . وكوخ الالماني مكروب الكولرا سنة ١٨٨٣ وهفكن الالماني طريقة التلقيح للوقاية منهُ سنة ١٨٩٣ .

واكتشف مكروب الطاعون سنة ١٨٩٤ وكلُّ ما بلغوهُ من النجاح في مقاومتهِ مذكور في مقالة نشرناها في صدر الجزء الماضي . واكتشف مكروب الحمى التيفويدية سنة ١٨٨١ واكتشف مصل لتشخيصها وتمييزها عن سائر انواع الحمى المستمرَّة . واهتدى بعضهم الى مصل لمقاومتها وجرَّبهُ فجاء ببعض المرام. واكتشف الدكتور بروس الانكليزي مكروب حمى مالطة او حمى البحر المتوسط فعرف الاطباء مصدر هذا الداء وقلت الاصابات بهِ من ٢٥٨ اصابة في يوليو واوغسطس وسبتمبر من سنة ١٩٠٥ الى ١٥ اصابة في الاشهر المقابلة من هذه السنة

علاج السرطان

اكتشف الدكتور بيرد الانكليزي لقاحاً سماهُ تربسين وجرَّبهُ في بعض حوادث السرطان ويقال انهُ نجح فيها وجرَّبهُ غيرهُ من اطباء الانكليز وكثيرون من اطباء الاميركيين وقالوا انهُ شفي بعض المصابين. وفي ١٠ دسمبر الماضي كتب الدكتور صليبي مقالة فيجريدة بال مال التي تصدر في لندن بعنوان "قرب انقراض السرطان" قال فيها ان اللقاح المشار اليهِ جرّب في بعض المصابين فشفي قسم منهم وتحسن حال القسم الآخر كثيرًا. وهذا اللقاح احد المختمرات الهضمية التي تتكون في البنكرياس وتمرُّ مع العصارة البنكرياسية الى الاثني عشري اي القسم الاعلى من المعى الدقيق . على ان جمهورًا كبيرًا من اطباء الانكليز ينكر فائدة هذا اللقاح ويقول انهُ لم يكتشف سبيل حتى الآن الى شفاء السرطان الأ مشراط الجراح وفي طليعة هؤلاء الدكتور ادموند اوين فانهُ خطب على كلية الجراحين الملكية بلندن في ١٢ دسمبر الماضي خطبة موضوعها "معالجة السرطان بالطرق الحديثة" قال فيها ان الجراحة لا تستطيع الآن شفاء السرطان لا بالمشراط ولا باشعة اكس ولا بنور فنسن ولا بعقَّار يحقن بهِ الدم او يشرب او يدهن بهِ الجلد . وشتان ما بين المعالجة والشفاء على ان افعل وسائط المعالجة سكين الجراح بلا خلاف . اما الذين يقولون غير ذلك فهم دجالون والجرائد التي تكثر من نشر الاعلانات عنهم تضرُّ ضررًا عظيمًا

وقالت جريدة ناتشر الانكليزية بهذا الصدد ما يأتي

" رأى طبيبان في وقت واحد ان التربسين مفيد في علاج السرطان وهما الدكتور بيرد والدكتور شومكنزي وقد بنى الاول بحثهُ على اسباب امبريولوجية (متعلقة بعلم الاجنة) والثاني على قلة اصابة المعى الدقيق بالسرطان فانهُ احصى ١٠٥٣٧٤ حادثةمن حوادث السرطان في القناة الهضمية فوجد بينها ٢٠ حادثة فقط أصيب فيها المعى

لدقيق بالسرطان · ووجد بيرد في التجارب السرطانية التي جرَّبها في الفيران ان حقنها بالتربسين كان يأول الى تقلُّص بثرات السرطان وانحلالها وجرَّب الاستاذ مورتون الاميركي مثل هذه التجارب في الناس فنجحت وسينشر نتائج تجاربهِ قريباً وهي تنتظر بذاهب الصبر

اما ما عرف واشتهر حتى الآن فهو ان كثيرين في هذه البلاد جرَّبوا التربسين فلم تأتِ تجاربهم بالنجاح المطلوب فقد يفيد في بعض الاصابات الموضعية البسيطة كما يفيد الراديوم واشعة اكس ولكن القول ان التغلب على الداء قريب بناء على ما لدينا من المعلومات قول خارج عن دائرة العقل فضلاً عن انهُ يضرُّ بالعلم اضراراً عظيماً ويزيد آلام المصابين بهذا الداء الوبيل لانهُ يولّد فيهم آمالاً لا يمكن تحقيقها"

طيران الانسان

كان العلماء يقولون باستحالة الطيران الى الآن بدعوى انهُ لا يعوم في الهواء الاَّ ما كان اخفَّ منهُ وليس بين المواد المستعملة في الاعمال العادية الاَّ ما هو اثقل من الهواء بكثير حتى قام سنتوس ديمون واخترع آلة اثبت بها امكان الطيران . وقد جرَّبها لاول مرة في باريس في ٢٣ اكتوبر الماضي فرفعتهُ عدة اقدام عن الارض وحملتهُ مسافة ٧٠ متراً · وعاد فجرَّبها مرة اخرى في ١٢ نوفمبر فحملتهُ نحو ٢١٥ متراً في ٢١ ثانية · وسارت بهِ اولاً مسافة ٢٥ متراً على مساواة سطح الارض ثم علت بغتة الى علوّ نحو ٥ امتار

وكان بعضهم قد عين جائزة قدرها الفا جنيه لمن يطير في الهواء مسافة نصف ميل وعينت جريدة الماتن الفرنسوية مبلغ ١٠ آلاف جنيه لاول من يقطع المسافة بين باريس ولندن طائراً سنة ١٨٩٨ . وقامت جريدة الدايلي مايل الانكليزية على اثر تجارب ديمون فعينت جائزة قدرها ١٠ آلاف جنيه لاول رجل يطير من لندن الى منشستر في ٢٤ ساعة · وعين صاحب الجرافيك اليومية مبلغ الف جنيه جائزة لاول من يخترع آلة اثقل من الهواء تطير براكب او اكثر بين مكانين يبعد الواحد عن الآخر ميلاً · وعينت احدى الشركات مبلغ الفي جنيه للذي يربح جائزة الدايلي مايل بشرط ان تصنع الآلة التي يركبها في انكلترا او احدى البلدان التابعة لها · فاذا تمكن سنتوس ديمون من اتمام الشروط المتقدمة اصبح غنياً لانهُ ينال مبلغ ٢٥ الف جنيه جوائز وقد اوصى بعمل آلة اخرى اخفَّ من الآلة التي عمل التجارب المتقدمة بها تكون قوتها قوة ٥٠ حصان وثقلها ٢٠٠ رطل

على ان ريط اخوان في اميركا شرعوا في عمل تجارب الطيران منذ بلغتهم اخبار

نجاح ديمون ولم تعرف نتيجة تجاربهم لانهم كتموها عمدًا ولكن نقل عن اكبر الثقات وهو السرهيرام مكسيم الميكانيكي المشهور انهم اخترعوا آلة يستطيعون بها الطيران مسافة مئتي ميل او ثلاث مئة ميل بلا انقطاع

معادن الهند

جاء في بعض الاحصاءات ان قيمة ما استخرج من المعادن في السنة الماضية من الهند بلغت ٥٧٠٧٩٥٦ جنيهاً وهي تزيد ٣٥٠١١٦ جنيهاً عما بلغت سنة ١٩٠٤. منها ٢٤١٦٩٦٦ جنيهاً قيمة ما استخرج من الذهب وهو الاول ويليهِ الفحم الحجري فقد استخرج منهُ ما بلغت قيمتهُ ١٤٣٦٩٥١ جنيهاً ثم البترول فالملح فملح البارود · ومما استخرج منها ايضاً الياقوت واليشب والحديد والماس وغير ذلك على مقادير صغيرة متنوعة

بلورة كبيرة

روت جريدة نانشر الانكليزية نقلاً عن احدى الجرائد اليابانية انهم اكتشفوا في بعض انحاء اليابان بلورة طولها اربع اقدام ونصف وسمكها قدم ونصف وثقلها يزيد على ١٠٠٠٠ رطل · قالت نانشر ولعلَّ المراد ١٠٠٠ لا عشرة آلاف لان بلورة بهذا الحجم لا يزيد وزنها على الف رطل فان في ميلان بلورة طولها ثلاث اقدام ونصف ومحيطها خمس اقدام ونصف ولا يزيد وزنها على ٨٧٠ رطلاً

بحرية اليابان

بنى اليابانيون بارجة جديدة اسمها سقسوما وانزلوها الى البحر حديثاً وهي اضخم من البارجة دردنوت التي بناها الانكليز اخيرًا وملأوا الجرائد اطناباً فيها · فان تفريغها ١٩٢٠٠ طن وتفريغ دردنوت ١٨٠٠٠ طن وقوة آلاتها ١٨٠٠٠ حصان وسرعتها تزيد على ٢٠ ميلاً بحريًا في الساعة وسلاحها اربعة مدافع ضخمة قطر فوهة الواحد منها ١٢ بوصة و١٢ مدفعاً قطر فوهة الواحد ١٠ بوصات هذا ما عدا السلاح الصغير

القومندان بيري

منحت الجمعية الجغرافية الوطنية في وشنطون النشان الذهبي المعين للاعمال العظيمة للقومندان بيري الذي عاد حديثاً من رحلتهِ الى القطب الشمالي · وقد قلدهُ اياهُ رئيس الولايات المتحدة في حفلة أُقيمت في ١٥ الماضي

التلغراف اللاسلكي

عملت حديثاً تجارب في التلغراف اللاسلكي بين لندي قتال وبشاور في الهند وبين المكانين جبال شامخة فنجحت التجارب مما أثبت ان اعتراض الجبال لا يقف في سبيل ارسال الاشارات في الاماكن الجبلية

هبة لمستوصف باستور

توفي حديثاً رجل فرنسوي واوصى بماله كله لمستوصف باستور وقدره ٥٠ الف جنيه . وقد سئل الدكتور رو في ذلك فقال ان قد زاره محام واخبره بوجود وصية ترك كاتبها فيها جميع ماله لمستوصف ولكنه قال في الوصية ايضاً انه قد تظهر وصية اخرى يوصى فيها ببعض المال او كله لورثاء مختلفين وعليهِ فلا بد ان تمر مدة طويلة قبلما يعرف نصيب المستوصف من التركة

اكتشافات اثرية

وصل حديثاً الى مدينة سريناجار في كشمير سائح بروسي اسمهُ الدكتور فون لكوك كانت الحكومة البروسية قد انفذتهُ للسياحة في انحاء اواسط اسيا المجهولة واكتشاف آثارها التاريخية . فعاد سالماً ومعهُ كثير من الصور المصورة على الجبس وارضها مذهب كما في الصور الايطالية القديمة وكثير من الالواح المكتوب عليها بعشر لغات مختلفة وواحدة منها غير معروفة . ويقال ان اكتشافاته تعد اعظم الاكتشافات الاثرية من عهد لايارد ورولنصون حتى الآن ومن رأي جريدة نانشر ان هذا القول مبالغ فيهِ لان الدكتور ستين من علماء الآثار اكتشف مثل هذه الاكتشافات منذ سنين

بركان نيزكي

في اريزونا باميركا الجنوبية بركان او مخروط بركاني اسمهُ كون بوت يمتاز عن غيرهِ من براكين الارض بانهُ ليس فيهِ مواد بركانية كما في غيرهِ من البراكين . وقد فسر احد العلماء ذلك منذ عشر سنوات بان هذا البركان اقتصر على نفث الابخرة المائية فلم تخرج منهُ حمم ولا حجارة مصهورة لكن هذا التفسير لا يكفي لتعليل شكل البركان. وقد علم من زمان قديم ان الحجارة النيزكية كثيرة في تلك الجهات فعللوا ذلك الآن بان نجيمة من النجيمات دنت من الارض فاسرعت في سيرها جداً بقوة جذب الارض لها وتمزقت اطرافها من شدة الحمو المتولد من سرعة الحركة في جو الارض فكان من ذلك النيازك الكثيرة التي ترى الآن في تلك البلاد اما هي فوقعت على الارض وغارت فيها من شدة سرعتها وعظم ثقلها فتكوّن في محل غورها في الارض الفوهة التي يقال انها فوهة بركان . والمظنون ان بعض براكين القمر تكوّن على هذه الصورة

الالكحول في الخبز

لا يخفى ان اختمار العجين يجب ان يولد فيهِ الكحولاً مثل سائر انواع الالكحول التي تتولد من اختمار المواد النشوية والسكرية والظاهر ان حرارة الفرن لا تطرد الالكحول

من الخبز فقد حُلّل الخبز الانكليزي الجديد فوجد فيهِ الالكحول ومقدارهُ من ٢ الى ٤ في الالف

حفظ الحديد من الصداء

وجد بالامتحان انهُ اذا كانت رطوبة الهواء شديدة حتى لم يكفِ الدهان العادي لوقاية الحديد من الصدإِ كما في الاسكندرية فالورق يقيهِ منهُ وذلك بان ينظف الحديد جيدًا بفرشاة من السلك ويدهن بدهان صمغي ثم يلصق بهِ الورق المشرَّب بالبارافين ويدهن بدهان عادي فوق الورق . ويقال انهُ مضى الآن ٢٧ شهرًا على الحديد الذي عولج كذلك ولم يصدأ وما يصدق على الحديد يصدق على الصلب ايضًا

النظارة الكبرى

كانت الانظار متجهة الى ما يكون من امر المرآة الكبيرة التي صنعها الاستاذ رتشي وقطرها ستون عقدة وركبها في نظارة عاكسة فقام المستر هوكر احد اغنياء اميركا ووهب المال اللازم لعمل نظارة تكون قطر مرآتها مائة عقدة اي متران و ٥٤ سنتمترًا وسيكون سمكها ١٣ عقدة وبعد محترقها ٥٠ قدمًا وثقلها نحو مئة قنطار مصري وينتظر ان يتم عملها ونحتها وصقلها في مدة اربع سنوات ولا تصقل باليد بل بالآلة التي اتقنها الاستاذ رتشي

البرق الارضي

لا يخفى ان البرق يسطع في الجو واذا اتصل بين السماء والارض فيكون سيرهُ من السماء الى الارض لا من الارض الى السماء وقد شاهد البعض بروقًا ظهر لهم انها سارت من الارض الى السماء لكن الاستاذ تايت الطبيعي المشهور حسب ان ذلك خطأ من عين الرائي وان سير البرق يكون دائمًا في جهة واحدة من السماء الارض . الا ان الدكتور لكير جمع صورًا فوتوغرافية كثيرة وتفحصها جيدًا فوجد ان واحدًا في المئة من البرق يسير من الارض الى السماء والباقي من السماء الى الارض

طلبة العلوم الدينية في مصر

احصى حضرة امين بك سامي ناظر المدرسة الناصرية مدارس الجوامع الاسلامية المعدة لتعليم العلوم الشرعية وسائلها ومقاصدها في القطر المصري فوجدها ٣٤٧ فيها ١٠٢٥ من المدرسين اكثرهم من الشافعية فان عددهم ٤٥٧ ويتلوهم المالكية وعددهم ٣٦٣ ثم الحنفية وعددهم ٢٠٢ ثم الحنابلة وهم ٣ فقط . وعدد الطلبة في هذه المدارس كلها ٢١٣٥٢ . والشافعية منهم ١٠٣٨٩ والمالكية ٦٥٢٢ والحنفية ٤٤٠٨ والحنابلة ٣٣ . اما الجامع الازهر وحدهُ فعدد المدرسين فيهِ الآن

٣١٧ وعدد الطلبة ٩٧٥٨ . فاذا فرضنا ان متوسط مدة الطلب عشر سنوات وجب ان يخرج من هذه المدارس الفا طالب كل سنة على الاقل واذا فرضنا ان متوسط ما يعمرهُ الطالب بعد خروجهِ عشرون سنة فيكون في القطر الآن اربعون الفاً من الذين طلبوا العلم في الازهر او غيرهِ من المساجد اي واحد من كل مئتين وخمسين نفساً من السكان

هبة لمصر

اهتمَّ حضرات المرسلين الاميركيين في القطر المصري منذ زمن بانشاء مدرسة عالية لتعليم البنات في العاصمة وقد ابتاعوا الارض اللازمة لها في الشارع العباسي واهتموا ايضاً بتوسيع مدرستهم الكلية في اسيوط ولكن اعوزهم المال اللازم لذلك . وقد كتبوا الى المثري الاميركي الشهير المستر روكفلر يستجدونهُ لهذا العمل المبرور فابقى الطلب الى ان حضر الى هذا القطر ورأى عملهم فيهِ ولما عاد الى اميركا منحهم مبلغ مئة الف ريال (٢٠ الف جنيه) وهي هبة يذكرها لهُ كلُّ مصريٍّ بالشكر

هبات سنية

احتفل المستر يشوفشيم بعيد زواجهِ الذهبي فوزع مئة الف جنيه على الاعمال الخيرية اعطى منها اربعين الف جنيه لجمعية البحث عن داء السرطان وعشرة آلاف جنيه لمستشفى الملك ادورد وعشرة الاف جنيه لجنة البحث عن داء السل وما بقي لمستشفيات كثيرة وهو يهودي ولكنهُ لم يخص مستشفيات اليهود ومدارسهم الاَّ بعشرة الاف جنيه من هذا المال

دوزنة التلغراف اللاسلكي

اكبر عيب في التلغراف اللاسلكي ان الاشارات التي ترسل بهِ يمكن ان تتناولها آلة اخرى غير الآلة التي يراد ارسالها اليها وقد ادَّعى كثيرون انهم وجدوا طريقة لتنويع الآلات والاشارات حتى يتعذَّر تناول الرسالة الاَّ على الآلة التي اريد ارسالها اليها لكن ذلك لم يتحقَّق الاَّ الآن فقد استنبط المستر بولسن مستنبط التلغرافون آلة ترسل بها الاشارات الكهربائية على اسلوب مخصوص فلا تصل الاَّ الى الآلة التي من نوعها تماماً وقد دوزنت مثلها وعرض السر وليم بريس هذه الآلة في محفل حضرهُ دوق ارجيل وزوجتهُ فثبت انها تفي بالمراد اذا تمَّ اتقانها

سكر الهند

يقدّرون ان خمس سكر الدنيا يستخرج من الهند وخصوصاً مما فيها من قصب السكر وبعض انواع التمر ومع ذلك فانها تجلب منهُ ربع مليون طنّ سنوياً من الخارج . وما يستخرج منها يقدَّر بثلاثة ملايين طنّ

الكسوف التام

تكسف الشمس كسوفاً تاماً في اوائل هذا العام في الثالث عشر من شهر يناير ولا يظهر الكسوف تاماً الاَّ في اواسط اسيا فيبتدئ من طرف بحر قزبين الشمالي عند شروق الشمس ويمرُّ بجزاك بين تشقند شمالاً وبخارى وسمرقند جنوباً قرب الساعة التاسعة صباحاً ويتم انحجاب الشمس هناك الساعة ٩ والدقيقة ٥٩ والثانية ٥٨ و ٤ اعشار ويدوم الانحجاب التام نحو دقيقتين

مقابلة الانكليز بغيرهم

كتب بعض الانكليز مقالات عنوانها ما هي الامور التي يفوقنا الغير فيها " فقال واحد ان البوير يفوقوننا في لعب الكرة من حيث المعاملة الحسنة فاذا رفس احد منهم الآخر في خلال اللعب خطا لم يقابلهُ الآخر بالمثل كما نفعل نحن

وقال آخر ان النمسويين يفوقوننا في كيفية العناية بالفقراء والعجزة والمرضى وترتيب اموال الاعانات التي تبذل لهذه الغاية

وقال آخر ان اهل نروج يفوقوننا في اصلاح حال السكيرين وتقليل شرب المسكرات باتباع نظام خير ما هو في بابهِ فلنقتبسهُ عنهم

وقال آخر ان اليابانيين يفوقوننا في التجارة فلنتعلم اصولنا التجارية منهم فان الحرب المالية في اليابان تلت الحرب مع روسيا وقامت على قدم وساق باتم اتقان ونجاح واخذ الاوربيون والاميركيون يتقهقرون في تجارة بعض الاصناف امام اليابانيين وفي طليعة تلك الاصناف الدخان هذا فضلاً عن ان الرسوم الباهظة التي يقتضيها اليابانيون في دلني على البضاعة الواردة اليها من الخارج تزيد الطين بلة وتمنع الاوربيين من مزاحمتهم وقد قدر عجز الوارد من الدخان الاميركي الى اليابان في السبعة الاشهر الاولى من السنة الماضية بما يزيد على سبعة ملايين جنيه . هذا والحرب المالية في اوائلها فكيف اذا حمي وطيسها وتطاير شررها

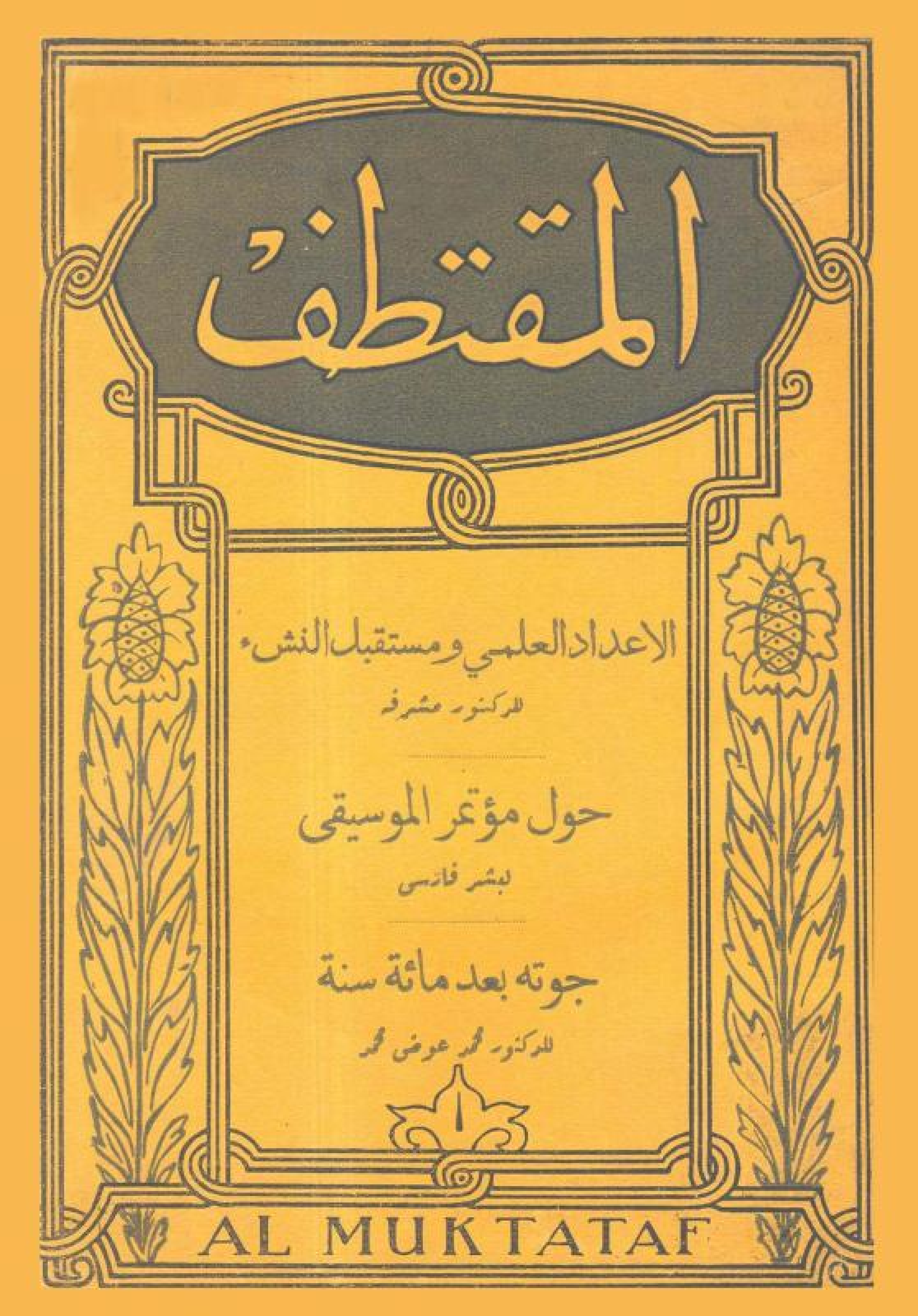
الكحول الصبير

يستخرج من نبات الصَّبير الكحول اشدّ فعلاً من الكحول الخشب ويقال انهُ اذا زرعت اربعة افدنة بهذا النبات واستخرج الالكحول منها واستعمل وقوداً في آلة بخارية كفت لري ١٦٠ فداناً من الارض

النحاس في الزيت

ووجد السنيور بساريني ان زيت الزيتون لا يخلو من قليل من النحاس وهو طبيعي فيهِ ولكنهُ قليل جداً يبلغ درهماً في كل مئتي الف درهم من الزيت فلا يضر بالصحة

فهرس الجزء الاول من المجلد الثاني والثلاثين


المقتطف
الاعداد العلمي ومستقبل النشء
للدكتور مشرفه
حول مؤتمر الموسيقى
لبشر فارس
جوته بعد مائة سنة
للدكتور محمد عوض محمد
AL MUKTATAF

المقتطف

الجزء العاشر من المجلد الثاني والثلاثين

١ اكتوبر (تشرين الاول) سنة ١٩٠٧ — الموافق ٢٣ شعبان سنة ١٣٢٥

اسابيا بلادينو

تابع ماقبله

ذكرنا في الجزء الماضي خلاصة الاعمال التي عملتها اسابيا بلادينو وهي في حالة الاستهواء على ما يقال امام جماعة من العلماء وفي جملتهم الاستاذ بو فوى والدكتور اميدو هرلتزكا والدكتور كارلو فوى والدكتور البرتو اغازوتي . . وقد عقب هؤلاء الدكاترة الثلاثة على ذلك بما حسبوا انهُ مفسر لهذه الاعمال الغريبة قالوا ما خلاصتهُ : —

لا بدَّ لنا قبل البحث في ما رأيناهُ من ان نزيل اعتراضاً يعترض بهِ دائماً على مثل هذه الاعمال وهو ان الذين يساعدون فيها يكونون في حالة من الذهول تجعلهم يتوهمون انهم رأوا وسمعوا ما لا وجود في غير اوهامهم . فان هذا ينقضهُ ان كثيرين من الذين شاهدوا مثل هذه الاعمال لم يقنعوا بصحتها . ثم ان الذين كانوا في جلستنا كانوا كلهم قاصدين اكتشاف الحقيقة وكانوا يتحدثون تحدثاً يمنع النعاس واستيلاء الوهم على النفوس

ولا ننكر ان بعض الناس المصابين بخلل في اعصابهم او الخاضعين لسلطة الوهم يُستهوَون ويتصورون انهم رأوا وسمعوا ما لا وجود لهُ الاَّ في مخيلتهم ويتعذَّر علينا ان نقنع جميع الناس اننا لم نكن مصابين بهذا الخلل ولذلك نقصر بحثنا على الاعمال التي بقيت آثارها بعد انتهاء الجلسة ورأيناها في اليوم التالي على نور النهار وهي مما يرى ويلمس ويستحيل ان يكون للوهم علاقة بها

ومن الاعتراضات التي يُعترض بها على صحة هذه الاعمال انها قد تعمل بالتواطيء بين الوسيط وغيره من الحضور او من اصحاب المنزل بطريقة الخداع

ولا شبهة عندنا ان الوسيط يحاول خداع غيره احياناً لكي يسرع الاعمال التي ينتظر عملها ولكن ذلك يحدث في بدء الجلسة حينما يكون الوسيط مستيقظاً عالماً بما يجري حوله. والامور التي يحاول مخادعة الحضور بها قليلة جداً · اما نحن فكنا قابضين على يدي اسابيا وواضعين قدميها بين اقدامنا حتى كان يتعذَّر عليها ان تخدعنا لو حاولت ذلك. وقد تركنا كل الاعمال التي يمكن ان يقع فيها الخداع ولم نلتفت اليها

ولكن اذا دبَّر الوسيط تدابير مخصوصة ليخدع بها المشاهدين كما يفعل المشعوذون فلا سبيل لاكتشاف خداعهِ ولا سيما اذا وُجد بين الحضور من يساعدهُ على ذلك خفيةً فلا بدَّ من ان يُفرَض وجود الخداع واذا ثبت وجودهُ في عمل واحد من اعمال الوسيط جاز ان يفرض وجودهُ في بقية الاعمال · اما نحن فلم يثبت لنا الخداع في اقل عمل من اعمال اسابيا ومع ذلك سنقتصر على النظر في الاعمال التي كان لنا السلطة التامة على البحث فيها وهي اربعة الآثار التي وجدناها على الآلة · وتكسر المائدة · ونزع اللوح الفوتوغرافي الذي كان مسمَّرًا في اسفلها · وآثار الاصابع على اللوح الفوتوغرافي

فالآثار التي وجدناها على الآلة تدلُّ على انهُ وقع عليها ضغط يساوي ٢٢ ليبرة كما تقدم وقد كانت الآلة على يسار الدكتور هرلتزكا وكان ممسكاً يمنى اسابيا بيسراهُ وكانت يمناهُ في يسرى جارهِ · وكان احدنا الدكتور كارلو فوى جالساً وراء الدكتور هرلتزكا يرقبهُ فلو ضغط الآلة على غير انتباه منهُ لرآهُ الدكتور فوى · ولقد كنا نرقب اسابيا ونرقب انفسنا والحضور حولنا ولم نرَ من احد اقل دلالة تدلُّ على انهُ ضغط الآلة ولا نعلم كيف مُزّق القماش الذي كان مغطياً لها ولا لماذا مُزّق وقد كنا نرى الآلة حينما وقع الضغط على غشائها

والمائدة كانت متينة وقد تكسَّرت امامنا ونزعت المسامير منها ولا محل للظن ان اسابيا كسَّرتها لاننا كنا ممسكين يديها ولانها اضعف من ان تفعل ذلك · وقد شاهدنا المائدة تتكسَّر امام عيوننا ولم نرَ احدًا يكسّرها

واللوح الذي كان مسمَّرًا تحت المائدة نزع من تحتها ووضع فوقها مع ان المشاهدين كانوا في حلقة متصلة والنور كافٍ حتى نرى المائدة من كل جهة والامر المؤكد ان اللوح انتقل من تحت المائدة الى ما فوقها وفقد مسماران من المسامير التي كان مسمَّرًا بها

واللوح الفوتوغرافي الذي كان ملفوفاً بورقة سوداء وقد امسكهُ الدكتور كارلو فوى فوق راس اسابيا وحاول شخص نزعهُ من يدهِ ظهر عليهِ بعد وضع المظهر الكيماوي آثار اربع اصابع وهذه الآثار لا يمكن ان تكون حدثت بالتصوير العادي والنور العادي لان اللوح

كان ملفوفاً بورق اسود لا ينفذهُ النور العادي فلا بدَّ من ان الذي نفذهُ واثَّر فيهِ هو من قبيل الإشعاع لا من قبيل الانارة . فإما ان يكون الاشعاع حدث من يد الدكتور فوى او من اسابيا فان كان من يد الدكتور فوى وجب ان تفعل يدهُ كذلك دائماً وهذا غير الواقع لانهُ يمارس صناعة التصوير ولم يرَ قط انهُ يشع من يديهِ اشعة تؤثر في الواح التصوير يبقى ان يديهِ شعَّتا اشعةً فعَّالة مدة الجلسة من اتصالهِ باسابيا ولكنهُ امسك ثلاثة الواح اخرى مدة الجلسة ولم تؤثر اصابعهُ فيها وهذا ينفي الظن ان يديهِ كانتا مدهونتين بمسوق مُشع ولذلك لا يبقى الاَّ فرض من فرضين وهو اما ان الوسيط الذي ظهر اثرهُ في اللوح او ان يد الدكتور فوى صار لها هذا التأثير مدة الجلسة من فعل الوسيط . والخلاصة ان وجود الاثر امر ظاهر لا شبهة فيهِ ولا بدَّ من ان يكون مسبباً عن الوسيط

وكل ما تقدَّم يدل على ان اسابيا تفعل بما حولها من غير ان تكون اعضاؤُها متصلة بهِ فاذا فرضنا ان كل ما سوى هذه الامور الاربعة فاسد او خداع تبقى هذه الامور وهي افعال حقيقيَّة لا شبهة فيها ولا تُفسَّر بالخداع ولا بالتخيل ولا بالوهم

وافاض هؤُلاء الكتَّاب في الكلام على قلة ما نالهُ هذا الموضوع حتى الآن من البحث العلمي المدقق واظهروا اقتناعهم ان اعصاب اسابيا تكون وهي في هذه الحالة متصلة بقوة خارجة عنها فتؤَثر فيها وتجعلها تفعل الافعال التي مرَّ ذكرها . وذكروا تعاليل اوسولد وهو ان كل الافعال التي يفعلها الوسطاء انما يفعلونها بقوة حيويَّة او روحيَّة تصدر منهم فلا تخلق قوة معدومة ولا تتلاشى قوة موجودة ولا داعي لفرض قوة خارجة عن الوسيط

وذكر الاستاذ مورسلي كل التعاليل التي عُلِّلت بها هذه الاعمال الغريبة من قديم الزمان الى الآن ومنها ما يأتي

التعليل الاول القوَّة الشيطانيَّة على ما قالهُ الاب فرنكو اليسوعي . وعقَّب الاستاذ مورسلي على ذلك بقولهِ ان قوَّة الشيطان يجب ان تكون قد ضعفت كثيراً حتى اكتفت بالافعال الطفيفة التي تفعلها اسابيا

الثاني اتصال نفس الوسيط بالقوة الروحيَّة الشاملة التي هي روح العالم وعملها هذه الاعمال بواسطتها

الثالث تركُّب الانسان من جسد مادي وجسد روحي ونفس خالدة . والجسد الروحي او الاثيري يشع حول الوسيط ويفعل الافعال المشار اليها

الرابع وجود قوى خفية غير معروفة حتى الآن كما كانت اشعة اكس موجودة ولكنها غير

معروفة فلما عرفت لم يعد احد يرتاب في وجودها فهذه القوى الخفيَّة تفعل الافعال المشار اليها

الخامس وجود عقول منتشرة في الكون يجذبها الوسيط اليهِ كما يجذب السراجُ الفراش فتفعل الافعال المتقدمة طوع ارادتهِ

السادس وجود احياء ارقى من الانسان بلغت من الارتقاء حدًّا ان صارت تخفى عن الابصار وهي تفعل الافعال المشار اليها

السابع الحيل والخداع وافاض في افساد هذا التعليل

الثامن انخداع المشاهدين بنوع من الاستهواء الذاتي حتى يروا ما لا وجود لهُ ويسمعوا اصواتًا لا حقيقة لها. وافسد هذا التعليل ايضًا بان بعض الاعمال فعلي لاشبهة فيهِ فقد صوَّر بعضهم المائدة وهي طائرة في الهواء صورًا فوتوغرافية فيستحيل ان تكون رؤْيتها طائرة من قبيل الوهم

التاسع التلبثي او انتقال الافعال العقلية من شخص الى آخر من غير موصل وقال ان التلبثي مثبتة الآن ولكنها لا تعلل كيفية حدوث الاعمال الطبيعيَّة كرفع المائدة في الهواء وكسرها

العاشر جمع القوى خارج الجسم · وهو تعليل الكولونل ده روشا ومفادهُ ان اسابيا تخرج قواها من جسمها وتجمعها خارجهُ وتفعل بها ما يحدث من الافعال في جلساتها . ومن هذا القبيل تعليل الدكتور جيل وهو ان القوى العصبيَّة تخرج من الجسم وتفعل بغير وساطتهِ. ومنهُ ايضًا تعليل الدكتور ميرس

الحادي عشر التعليل الروحي الفعلي (سيكو دينامزم) وهو الذي جرى عليهِ كبار العلماء الآن مثل ثري وكروكس وفارلي وكوكس وريشه وده روشا وارما كورا ومكسول · ومفادهُ ان العلم كشف لنا قوى طبيعيَّة لم تكن معروفة وان الظواهر التي نراها ونقول انها طبيعيَّة او كيماويَّة او كهربائيَّة او آلية او حيوية او نفسية او عقلية نفرض لها وجود قوًى غير منظورة تفعلها · كذلك الافعال التي نسميها افعال الوسطاء (مثل افعال اسابيا وامثالها) يجب ان تكون مفعولة بقوًى غير معروفة حتى الآن قوًى من قوى الانسان قد لا تكون موجودة في كل الناس او لا تكون فيهم على السواء وهي قوية في افراد قلائل فيستطيعون ان يجردوها من اجسادهم ويفعلوا بها في الخارج

هذه خلاصة ما كتبهُ الاستاذ مرسلاً في هذا الموضوع · وخطب فيهِ الاستاذ بيو فوى خطبة مسهبة مفعمة بالحقائق العلميَّة يمنعنا عن تعريبها ونشرها هنا ضيق المقام الآن وربما عدنا الى نشرها في فرصة اخرى. وقد بين فيها ان معارف الناس آخذة في الازدياد وهم يكتشفون كل

يوم حقائق جديدة وقوى جديدة فان كانت الافعال التي يفعلها الوسطاء حقيقية فلا بدَّ من كشف سببها ولكن عدم كشف السبب لا ينفي حقيقتها لانهُ ليس من المحال ان يصدر من بعض الناس في احوال خصوصيةٍ قوًى خفية تفعل افعالاً ظاهرة في ما حولهم

وكلام الاستاذ بيو قوى حقيقي لا شبهة فيهِ ولكن لا داعي لفرض هذا التعليل الاّ اذا ثبت ان الافعال المنسوبة الى اسابيا وامثالها لا يمكن تعليلها بحيل فعلتها هي والذين شاركوها فيها. والامر ظاهر ان هذه الافعال تدلُّ على التحيُّل والخداع والاّ فما معنى وضع الستارة وخفض المصابيح وما هو هذا الشيء الذي يظهر كأنهُ متحف بالنور فيضرب هذا على رأسهِ ويجذب ذاك من اذنهِ ويحاول نزع اللوح الفوتوغرافي من يد الممسك بهِ وتظهر آثار اصابعهِ على اللوح وهي اصابع يد انسان. ولماذا لا نفرض ان بعض المحتالين اهتدى الى مادة يطلي بها جسمهُ او لباسهُ فلا يعود يرى اذا كان النور ضعيفاً جدًّا ثم هو يختفي وراء الستارة كما قوي النور ويخرج من ورائها اذا ضعف النور ويرفع المائدة ويكسرها وينقر على البيانو وينقل الاشياء من مكان آخر ويفعل غير ذلك من الافعال المار ذكرها

واذا كان الظلام شديداً في الغرفة ولبس احد المحتالين ثياباً سوداء وطلى وجههُ بطلاء اسود او زنجياً لم يرهُ احد من المشاهدين مهما حدَّقوا واجهدوا عيونهم وتفاهة هذه الاعمال اكبر دليل على انها الاعيب. ويعجبنا من قول هؤلاء الاساتذة انهُ اذا ثبت الخداع في عمل واحد جاز لنا ان نحمل سائر الاعمال عليهِ لان من يستطيع ان يعمل عملاً حقيقياً لا يلجأ الى عمل كاذب يفسد عليهِ العمل الحقيقي. والوسطاء الذين اشتهروا في القرن الماضي فُضح امرهم او فضحوهُ هم انفسهم واظهروا انهم كانوا يخادعون الناس مخادعةً وهذا يحمل على الاعتقاد ان وسطاء هذا القرن مثلهم من هذا القبيل

ولا عبرة بعجز بعض العلماء عن اكتشاف اخاديع الخادعين فاننا رأينا بعضهم ينخدع ببعض الاخاديع الطفيفة التي يُعرَف سببها بأقل بحث. رأينا رئيس مدرسة كلية لم يستطع ان يكتشف من نفسهِ حيلة الرأس الذي يتكلم فوق المائدة. ورأينا عالماً آخر لم يستطع ان يكتشف حيلة اخرى في قراءة الاسماء وحسب ان القارئ لها معطى قوة خارقة لقراءة افكار الغير وهو انما كان يقرأ ما هو مكتوب امامهُ. اما تأثير الاصابع في اللوح الفوتوغرافي وهو ملفوف بورق اسود فقد يحدث من حرارة الاصابع او من الدهان المدهونة بهِ وهو اقطع دليل على ان يد انسان محتال مسكتهُ

اما اذا انتفت مظنة الخداع فتعليل الاستاذ فوى مقبول ومعقول الى ان يفرض ما هو اصح منهُ

مضار الخمور

واقوال العلماء فيها

يراد بالخمور كل الاشربة الروحيَّة التي فيها مقدار كبير او صغير من الكحول (السبيرتو) كالكنياك والعرقي والخمر على انواعها . والناس مختلفون فيها الآن من حيث نفعها وضررها فبعضهم يقول انها نافعة ولازمة للصحَّة وتقوية الجسم وبعضهم يقول انها ضارَّة لا نفع منها على الاطلاق وبعضهم يقول ان القليل منها نافع والكثير ضار . وبعضهم يقول ان لانفع منها الاَّ كدواء في بعض الاحوال المرضيَّة فلا يجوز شربها الاَّ بأمر الطبيب . وبعضهم يقول ان لانفع منها على الاطلاق لا في الصحَّة ولا في المرض

وقد دار البحث عليها في مجمع ترقية العلوم البريطاني في الخامس من شهر اغسطس الماضي فقال الاستاذ كشني استاذ الصيدلة في مدرسة لندن الجامعة ان الذين استعملوا الكحول في الطب اخطأُوا فقد اعتقد بعضهم انهُ يصلح الهضم ويغذي الجسم كاحد الاطعمة المغذية ولكن التجارب العلميَّة الكثيرة لم تثبت انهُ يصلح الهضم بنوع عام وغاية ما يفعلهُ انهُ يؤثر في البعض فيزيد قابليتهم للطعام لانهُ يزيد افراز العصارة المعدية ولكن مقدار الطعام الذي يمتصهُ الجسم في اليوم ويغتذي بهِ لا يزيد بشرب الاشربة الروحيَّة لان زيادة العصارة المعدية لا تزيد الهضم اذ تكون قليلة المواد الخميريَّة فلا تؤثر في اعداد الطعام للامتصاص . واذا افرط الانسان في شرب الاشربة الروحية اختلَّ عمل الهضم كلهُ في جسمهِ (اي ان الافراط ضار والاعتدال غير نافع) ولا شبهة في فائدة الكحول في بعض العلل الهضميَّة ولكن اذا كان الانسان في حال الصحَّة وجب الوقوف عند قول بنز وهو ان المعدة السليمة لا تحتاج الى علاج ولذلك فهي في غنىً عن الاشربة الروحية على انواعها

وقد يقال ان احوال المعيشة الحاضرة جعلت الناس في حاجة الى ما لا يحتاج اليهِ الاصحاء فالقابلية الضعيفة تحتاج الى ما يقويها . أفلا يمكن شرب الخمور لجعل الطعام سائغاً مقبولاً وزيادة افراز العصارة المعدية كما تضاف التوابل الى الطعام . والجواب ان الاعتراض على الخمور لاينحصر في فعلها بالهضم بل يتناول تأثيرها في شاربيها فانهم يعتادونها ويدمنونها ثم هي تؤثر في الدماغ تأثيراً ضارّاً جدّاً وهذا هو السبب الاكبر للاعتراض عليها

اما من حيث ما فيها من الغذاء فقد ظهر من التجارب الكثيرة ان ٩٥ في المئة من

الكحول الذي فيها تحترق في الجسم وتستحيل الى قوة . فالكحول مثل السكَّر والدهن من هذا القبيل ولكن كون الكحول يشبهُ السكَّر والدهن في تحوُّلهِ الى قوَّة لا يدلُّ على انهُ غذاءٌ مناسب للجسم في الصحة والمرض فان ما يطلق عليهِ يطلق على الخل والمورفين في بعض الاحوال والمسألة المهمة هي هل يمكن شرب الخمور من غير ان تفعل بانسجة الجسم فعلاً ساماً . فقد ظهر من بعض التجارب ان الكحول يقصر عن التغذية في بعض الذين يتناولونهُ وهم غير معتادين عليهِ وظهر من تجارب اخرى انهُ يضرُّ بالانسجة والافراط فيهِ يجعلها غير قادرة على مقاومة الميكروبات المرضيَّة ولكن لم يثبت بالتجارب ان القليل من الكحول يفعل هذا الفعل

اما فعل الكحول بالدماغ فهو انهُ ينبههُ اولاً ثم يسكنهُ فتظهر على الشارب دلائل البهجة والانبساط اولاً ثم دلائل الكدر والانقباض . ويعلل ذلك إمَّا بان الكحول يهيج الدقائق الدماغيَّة ويجعلها تنفق قوتها فيتولاها الخمول بعد ذلك كما يتولى كل من اسرف في قوتهِ وإما بان هذا الانبساط ظاهري فقط سببهُ فقد الشعور بما يلجم المرء عن اظهار اهوائهِ من الاعتبارات الخارجيَّة فيمسي كمن فكَّت قيودهُ ولم يعد يسأل عن حشمة ولا ادب . وهو يبطل فعل بعض القوى السامية من القوى العقليَّة ولا سيما ما كان منها حديث النشوء في نوع الانسان كامتلاك الطبع واكرام النفس والترفع عن الدنايا فان هذه الاخلاق الشريفة والكمالات الفاضلة هي من اول ما يزيلهُ السكر من النفس حالما يتمكن منها فيعرّي الانسان من كمالاتهِ ونتائج تعليمهِ وتهذيبهِ ويظهرهُ باخلاقهِ الحيوانيَّة . واذا اريد استعمال الكحول دواءً ففعلهُ بالدماغ فعل سائر المخدرات

وقال الدكتور دكسن ان الكحول يفيد القلب كمغذٍ من المغذيات فيزيد بهِ ضغط الدم وتصلح الدورة الدمويَّة . وفعلهُ المخدّر يفيد في اصلاح الدورة الدمويَّة ايضاً كالافيون وهو يفضل على الافيون لانهُ لا يتعب التنفس لكن فائدتهُ لا تخلو من الضرر ولذلك لا يجوز استعمالهُ الاَّ بمنتهى الحذر . وقال ان العامة معذورون اذا حسبوا الاشربة الروحيَّة مفيدة وخالية من الضرر لانهم يرون الاطباء يبيحونها او يصفونها من غير قيد لا كأنها دواء بل كأنها شراب مغذٍ منعش . ثم بيَّن انهُ اذا كان في الدم قليل من الكحول الى حد ٢ في الالف زاد بهِ مقدار العمل الذي يعملهُ الجسم ومقدار الدم الذي يمرُّ في القلب في وقت معلوم فيزيد فعل القلب ولكن اذا زاد مقدار الكحول في الدم فبلغ خمسة في الالف تعسّر فعل القلب بعد ان كان متيسراً . والسكَّر يفعل هذا الفعل والظاهر ان بعضهُ يستحيل الى كحول في الجسم فيكون فعلهُ ناتجاً عن فعل الكحول القليل الذي يتولَّد منهُ ولعلَّ هذا هو سبب وجود الكحول

في الدماغ والكبد وانسجة الجسم

وقال السر فكتور هورسلي ان الاطباء عدلوا منذ ثلاثين سنة عن وصف الكحول كنبه بسبب قلة فعله وبسبب ما ينتج عنهُ من الانحطاط بعد التنبيه . وعدولهم هذا نتيجة علمية وصلوا اليها بالاختبار الطويل . واذ قد ثبت ان الكحول لا يفيد فسيولوجياً ولا دوائياً فتركهُ الاطباء وجب ان ينظر الآن في تركه من باب اجتماعي فان اللجنة التي عينها مجلس النوَّاب للبحث عن اسباب الانحطاط في اجسام الناس وجدت ان السبب الاول لذلك فساد المساكن والسبب الثاني شرب المسكرات ولذلك فحب الوطن يقضي على المرء ان يمنع استعمال المسكرات بكل جهده علماً وعملاً

وعرض بعضهم رسوماً بيَّن فيها ان استعمال المسكرات في البلاد الانكليزية قلَّ رويداً رويداً منذ سنة ١٨٤٥ الى الآن وان ارتقاء البلاد الصناعي والتجاري زاد رويداً رويداً في هذه المدة وكان هذا الارتقاء مناسباً لقلة استعمال المسكرات . وكذلك قلَّ عدد المجانين بقلة استعمالها

وختم الرئيس الدكتور ولز البحث بقوله انهُ يرجو ان يتمكن اعضاء المجمع في الاجتماع التالي من حل كل المسائل الخلافية في هذا الموضوع والاتفاق على الحقائق المقررة

هذا والشرقيون الذين يترددون على اوربا مرة كل بضع سنوات قد رأوا كما رأينا ان استعمال الاشربة الروحيَّة قلَّ في مطاعمها وفنادقها وزاد شرب الماء فيها فلا يندر ان ترى الآن فندقاً كبيراً من الدرجة الاولى والناس فيهِ لا يشربون على طعامهم غير الماء القراح وان ترى كثيرين في المطاعم والفنادق العادية يشربون الماء فقط ولا يشربون خمراً ومسكراً آخر وهذا لم تكن تراهُ منذ عشرين سنة حتى اننا اضطررنا مرة صاحب منزل في سويسرا ان يجلب الماء لنا خاصة لان الماء لم يكن يشرب في منزلهِ ولا كان عندهُ اكواب لشربهِ فكنا نشربهُ باقداح الخمر

الآن الحكومات الاوربيَّة تكتسب مكاسب وافرة من الاشربة الروحية فهل تعضد الشارعين في ابطالها وهي تعلم انها تخسر خسارة فادحة اذا ابطل شعبها استعمال الخمور . هذه مسألة يعسر حلها ولكن يرجى ان الحق يتغلَّب على الباطل والنافع على الضار عاجلاً او آجلاً

اما المشارقة فلم تشع المسكرات عندهم حتى الآن شيوعها في اوربا وعسى ان ينتشر بينهم الحث على تجنبها والالماع الى مضارها قبلما تنتشر هي ويصير تركها متعذراً

الشعر

يقول ائمة العربيَّة ان الشعر هو الكلام المقفّى الموزون ويقول الافرنج ان كل كلام تخيلي يسمّى شعرًا سواء كان نظماً او نثرًا او هو عندهم اسلوب يعبّر المرء بهِ عن افكارهِ وشعورهِ ابان احتياجها واعتلائها بكلام قد يكون موزونًا

فالحدّ الافرنجي اعم من العربي وقد يظهر لمن لم يتدبر الامر ان الحدين يختلفان بحيث لا يصح اطلاق الشعر على القريض الافرنجي لخروجهِ عن القيود التي وضعها لهُ كتبة العرب ولكن من علم انهُ لما نزل القرآن الكريم قال بعض سامعيهِ انهُ شعر فنزلت بعض الآيات في رد قولهم ان الحدين يتلاقيان لا سيما وان من مواد اللغة العربية يستفاد ان شعر الشعر اي قالهُ وشعر بمعنى اجادهُ كلتيهما من ذات معنى شعر يشعر اي عقل وفطن واحسّ مما يدلّ ان الحدين صادران عن اصلين متماثلين في المعنى يدلان ان الشعر هو القول الذي يشعر بهِ المرء في نفسهِ فهو لذلك ليس مما يأتي كرهًا اي لا يساق الى المخيلة بالتعليم والتثقيف بل توحي بهِ النفس فينطق بهِ اللسان وانما وضع لهُ علماء العربيَّة ذلك القيد بالوزن والقافية تنزيهاً لآي القرآن الشريف بعد التنزيل

واحياء النفس بالخواطر الشعريَّة هو سرّ ما نجد مستفيضاً ذكرهُ بين الناس من ان كل الامم تقول الشعر عفوًا من غير سائق اليهِ او معدّ لهُ . ونحن نعرف ان العرب في الجاهليَّة كانوا ينطقون بالشعر عفوَ القريحة وحالهم من الجهل والخشونة غير خفي . ولم يكن هذا الحال من خصائص امتهم التي انفردت بها دون سائر الناس كما يزعم بعضهم بل تراهُ شائعاً يشمل كل الامم المعروفة منذ ايام جاهليتها . اعتبر ذلك بما يقول الرواة والسياح عن اعرق القبائل همجية كيف ان لها اغانيّ واناشيد حربيَّة وغراميَّة يتفنون بها وما هي الاَّ الشعر في لغاتهم اودعوهُ زبدة تخيلاتهم

ولا يُعارَض هذا القول بما روي لنا عن جودة النظم في جاهليَّة العرب ومتانة تراكيبهم وحسن اساليبهم فان اللغة التي نظموا بها كانت لغتهم ينطقون بها كما ينطق العامي لهذا العهد بلغتهِ وفوق هذا فان العرب قبل الاسلام لم يحفظوا ديوان اشعارهم مكتوبًا ولا هم اثبتوا لغتهم وقواعدها في كتب يرجع اليها في قياس ما اتصل بنا من شعرهم وانما اتصلت تلك الاشعار بمن وضعوا القواعد في صدر الاسلام فكان القرآن الكريم اولاً ثم هاتيك الاشعار قياساً لما

وضعوا من القواعد في العربيَّة فلا غروَ والحالة هذي ان نرى مكان تلك الاشعار رفيعاً من الاجادة في النظم . ناهيك انا نرى بلاغة شعر الجاهليَّة فتأخذنا الدهشة والحال ان القوم كانوا ينظمون الشعر بلغتهم التي الفوا التحدث بها وانما نستغربها نحن لان عربيتنا لهذا العهد كادت تخرج عن الاوضاع الاولى فحسب من يفهم التراكيب القديمة بارعاً ومن انتهجها من كتابنا وشعرائنا مجيدًا ولئن لم يزل بعيدًا عن الاجادة في تقليدها

ولقد بحث البعض من جلة العلماء في اوروبا واميركا في مبلغ الاجادة فذهب فريق منهم الى ان الامم في جاهليتها اشعر منها في حضارتها وان النظم لا يزال في الامة ناضرًا زاهرًا حتى تستنير بالعلم والحضارة فيتقلص ظله . ويعللون عن هذا تعليلاً فلسفياً لا يخلو من الحقيقة ذلك ان الفنون المستظرفة كالموسيقى والتصوير والنحت والشعر لا تُمشى على حكم العلوم التي يزيدها الاختبار وتصقلها المشاهدات لان تلك العلوم تبنى على الاحكام المستمدة من الاستقراء والتمثيل بخلاف الفنون المستظرفة واخص منها الشعر فانهُ يراد بها تمثيل العواطف تمثيلاً حسناً . وقوام الشعر اللغة التي تبرز معانيهُ وهي في حكم الباحثين اشد تأثيرًا في النفس اذا كانت ناطقةً بشعور الناظم ولا يتأتَّى لها ادراك هذه الغاية الاَّ اذا نطقت بلغتها البسيطة الساذجة . فالعلم الذي يحسّن اللغة يضعف ذلك الرونق . ومعلوم ان الانسان يقتصر في بدء شؤُونهِ على المشاهدات فاذا نطق بما اثرت في جنانهِ فقولهُ هو الشعر الجيد . وهذا حال الناس في جاهليتهم . ولكن متى اعمل المرء البصيرة في مشاهدات البصر وسبح في بحار التجريد الفلسفي خرج من طور الفطرة الى ذروة الفلسفة فلم يبقَ لتخيلهِ مدًى يتخطاهُ الى ما وراء احكام التجريد . وهذا شأن الناس في زمن تمدنهم وانك حينئذٍ لتجدنَّ منهم ميلاً علمياً لتصريف الكلام ومطابقة التخيل على احكام العقل وضبط الالفاظ التي تؤَدي معانيهُ فينتج من ذلك ضعف الشعر وقوة العلم

فالعلم والشعر اذًا قلَّ ان يجتمعا لان الشعر عبارة عن وصف الصورة المفردة وتصويرها تصويرًا خيالياً يحرك العواطف بخلاف العلم فانهُ لا يعنى بالصور الافراديَّة كعنايتهِ بالتعميم . وينتج من هذا ان الذين يعرفون كثيرًا ويفتكرون كثيرًا قلَّ ان يحسنوا الشعر مع انهم يبرعون في الاحكام العلميَّة والآراء الفلسفيَّة واذا سألتهم وصف رجل مثلاً فربما انقدوهُ نقدًا واخذوهُ باصول التجريح مع ان الشاعر مطالب بوصف الموصوف وصفاً اجمالياً

والناس في حال الفطرة كأَنهم الصبية الصغار الاَّ انهم يزيدونهم معرفةً وخبرة فترى الصغير يعبر عن عواطفهِ تعبيرًا موَثرًا ولذلك نرى تعبير شعراء الجاهليَّة عن عواطفهم بشعرهم

ادلّ على شاعريتهم وارسخ قدماً . وانا لنذكر من ايام الطلب في المدرسة ان كثيرين من صغار الطلبة يقرضون الشعر العربي قبل ان يشتد ساعدهم في معرفة شيء من اصول الفنون اللازمة لهُ ولكنهم متى تمكنوا من مبادىء العلوم مالوا عنهُ الى سواهُ ما لم يكن قد صار فيهم ملكة وظهرت عليهم امارات الاجادة فيهِ فيزيدونها بالمزاولة

لكن كل هذا لا يمنع ان ينبغ بين اهل الحضارة شعراء مجيدون يعرفون العلوم ولكنهم يتيمون جنة الشعر ويملأُون ادمغتهم من جيد القول المأثور عن الجاهليَّة ويسبحون في بحار التخيلات بما توحي بهِ افكارهم فيجيء شعرهم وعليهِ مسحة الاجادة

هذا قول يصح اطلاقهُ على شعر كل امة على ان نصيب العربية منهُ وافر لان الشعراء الاقدمين تركوا لنا من شعرهم كل نفيس غالٍ . فاما شعر الجاهلية فهو من الطبقة الاولى ويتخذ نموذجاً في الاجادة الاَّ ان حضارة الاسلام واتساع مشاهداتهم اكسب شعرهم رونقاً جديداً ورقةً لا يعرفها الشعر الجاهلي فلما استفحل الاسلام واعتزت الدول العربية ازداد الشعر سناء ولكنهُ ابتعد عن الشعر الجاهليّ وبما زادهُ تحسيناً الاخذ فيهِ بالاقتباس من آي القرآن الكريم ومن الحديث النبوي الشريف ومن الحكم والاشعار القديمة

الاَّ ان اختلاط العرب بكثيرٍ من الاعاجم وما لحق بدولهم من الانقلاب من العربي البحت الى غيرهِ شوَّه محاسن اللغة وقضى على نقاوتها وما عتَّم ان تفرعت عنها اللغات العامية التي بلغت لهذا العهد مبلغها من البعد عن الفصيح . فوهنت قوى الشعر العربي الاَّ على قلةٍ ولم يبقَ فطريًّا يعرب عن الخواطر بلغتها بل صار مكلَّفاً مقيدًا بقيود التقليد . ومع هذا لم يكن عدد الدائبين على قرضهِ قليلاً . ومجمل ما نظموا من الغث والسمين يدلُّ على ان الناظمين لم يجولوا بتخيلاتهم في مضمار مشاهداتهم ولاجعلوا السنتهم تراجمة خواطرهم فتراهم يغضُّون الطرف عن حضارة بغداد والبصرة ودمشق والقاهرة وما كان فيهنَّ من القصور الشامخة والجنان الرائعة ليعودوا الى ذكرى المنازل والاطلال والمضارب والخيام في القفر البلقع وامثال ذلك مما لم يروا لهُ شكلاً الاَّ في وصف الشعراء السابقين . كأن الشعر لا يكون عربيًّا الاَّ اذا اتبع تلك المناحي القديمة

على انني اتحمل لاولئك الشعراء عذرًا بأن اللغة التي عرفوها ونطقوا بها ليست في شيء من اللغة التي يتخذونها قالباً لتخيلاتهم الشعريَّة . فهم اذا ارادوا ان يقرضوا الشعر عادوا الى التماس لغتهِ من دواوينهِ وكتب اللغة فينصرفون اليها كانصراف الطلبة لهذا اليوم الى تعلم احدى اللغات الاعجميَّة والتمكن منها فمتى احاطوا علماً بما هنالك من الاصول والفروع في النحو

والصرف والبيان والعروض اضطروا الى قراءة دواوين الشعر والاحاطة بقسم غير يسير من اللغة الفصحى فضلاً عما يضطر اليهِ المجيدون من معرفة الآيات الكريمة والاحاديث والحكم والأمثال. فكأنهم يُطلب منهم ان يغوصوا عباب العربيَّة فلا يجدون فيها الاَّ تلك التصورات القديمة والمناحي التي يجب ان تهجر. ولا تحصل لهم ملكة الشعر الاَّ بمزاولة الامعان فيها. فتخرج اساليب ما ينظمون على الطرز القديم. وتختلف جودتها باختلاف ما التقطوا من بحرها الخضم

فترى شعرهم بعد هذا عربيَّ اللفظ لكنهُ يخلو من المبدإِ الذي كان يجب ان يستفيدوهُ من انعام نظرهم في شعر السابقين اريد بهِ تخيل المشاهدات وتصويرها والحال انهم انتهجوا مناهجهم واستعاروا افكارهم والفاظهم وكناياتهم واستخدموا مشاهداتهم ولكن كل ذلك أبيان افكارهم وغاياتهم فابتعدت الشقة بين الحالتين . واصبح شعرهم عربيَّ السبك ولكنهُ غريب عن الشعر الذي يشعر بهِ قائلهُ

لا نقول هذا ونحن نريد ان نبخس شعراء العربيَّة لهذا العهد شيئاً من حقهم لانا نجد بضعة مختارة منهم يجيدون ما شاءت الصناعة الاَّ ان اجادتهم لا تبلغ بهم مبلغ المتقدمين وقصورهم عن اولئك دليل تأثرهم من الحضارة الحاضرة . لان معظم النابغين من شعرائنا يضطرون في هذه الآونة ان يتمكنوا من العربيَّة وعلومها وان يجاروا ايضاً روح العصر بمعرفة شيء من علومهِ وآدابهِ فضلاً عن لغات الاعاجم الذين يخالطهم . واعظم من هذا كلهِ ان الشاعر بيننا لا يستطيع ان ينصرف بكليتهِ لقرض الشعر بل يطالب بمزاولة عمل يدر عليهِ كسباً يعيش منهُ . وبالطبع لا ينتظر ممن يطالب باعمال كثيرة ومطالعات شتى ان يتفرغ للشعر وان يجيء منهُ بالجيد المختار كما كان يجيء شعر بعض المتقدمين المتفرغين لنظمهِ . ففضل المجيد من شعرائنا اليوم اعظم لاسيما وان الشاعر الجاهليَّ الذي ينطق بلغتهِ لا يجاهد في استنطاق عواطفهِ كما يجاهد لهذا العهد شعراؤُنا لان هؤُلاء يجدون عواطفهم متأثرةً من محيطهم المرئي فاذا فاضت قرائحهم عسر عليهم التعبير عنها بلغة ليست بلغتهم فلا يجيء كلامهم البسيط الساذج ترجمان خواطرهم وليس هذا شأن اولئك الشعراء

وانَّا لنخال شعراءنا كما عنَّ لهم خاطر يعبرون عنهُ بلغتهم العاميَّة المألوفة تعبيراً بليغاً لانهُ يؤَدي المعنى الذي يريدون ولكنهم لا يبرزونهُ الاَّ اذا ترجموهُ الى اللغة الفصحى. فهذه الترجمة الفكريَّة تذهب بشيء من طلاوة الشعر ولعلَّ ثمت مواضع الخطر على الذين لم ترسخ اقدامهم في معرفة اللغة ولا صارت لهم ملكة استحضار اساليبها

واذا كان هذا شأن المبرزين من شعراء العربيَّة في عصرنا فما القول في حال اولئك المتشاعرين الذين يظنون قرض الشعر من الهنات الهينات يسهل لمن قرأ العروض فمتى قال بيتاً موزوناً ظن انهُ شعر . ان مثل هذا كثير عندنا . وقد تمرُّ على بعضهم الايام فيكسبهم المراس سهولة النظم ولكنهم يقيدون بتقليد السابقين في المباني والمعاني . وقلَّ من خرج عن القيد واطلق لقريحتهِ العنان وترجم عن تصوراتهِ بلغتهِ ولذلك يظلمهم من يلقبهم بالشعراء

والعقبة الكؤُود في سبيل شعرائنا هي المحسنات اللفظية والمعنويَّة فترى الكثيرين منهم يقصدونها مهما توعر سبيلها ويحسب مجيداً من ظفر بالكثير من امثالها على انها والحق يقال تذهب بالخواطر الشعرية وتحصرها في معنىً تافه ومبنى مستقيم

ومن آفات شعرنا ايضاً ان فئةً من قائليهِ يحسبون الشاعرية قائمةً بغموض المعنى فيعدلون الى التراكيب المهجورة والالفاظ المهملة حتى يعسر على عامة الناس فهم مغزى شعرهم فيخالفون بذلك اصول البلاغة

فهل يتنبه اساتذة مدارسنا الى تخريج الطلبة تخريجاً يجعل فيهم ملكة اللغة الفصيحة والاسلوب الحسن حتى اذا ارادوا التعبير عن خواطرهم نظماً او نثراً جعلوا السنتهم تراجمة افكارهم بعبارة صحيحة لا ترسف بقيودها ولا تقاد الى حيث لم يقصد قائلها

ر . ن

حكم وامثال من التلمود

منتخبة من كتاب في التلمود للاستاذ بولانو

تعلَّم اولاً ثم علِّم

قليلون هم الذين يعرفون ذنوبهم

الطعام الذي يطبخهُ طبَّاخون كثيرون لا يكون حارًّا او باردًا

الفرس الذي يطعم كثيرًا من الشعير يصير جموحًا

لا تعمل لغيرك ما لا تريد ان يعملهُ لك

الصبر احياناً خيرٌ من الغنى

دُمْ طالباً رحمة الله الى ان تلقى على قبرك الحفنة الاخيرة من التراب

الشباب اكليل من الورد

الآس آس ولو كان في قفر

علّم لسانك ان يقول لا أعلم

طيور السماء تحتقر البخيل

الضيافة من اعمال عبادة الله

لا تلقِ عيباً على احدٍ من اولادك

لا تحضر حراجاً اذا لم يكن لك ما تشتري بهِ

خيرٌ لك ان تسلخ جلد الميتة في الشوارع وتقبض اجرةً من البطالة والتوكل على الصدقة

عامل اهل السعد

ما يُقدَّر لجارك لا يكون لك ابداً

وهن حيطان بيتك داعٍ للصّ

المكان لا يشرّف الانسان بل الانسان هو الذي يشرّف المكان

أحطُّ الناس سيّد في بيتهِ

اذا كان الثعلب ملكاً فانحنِ لهُ

زيدٌ اجترم والجار عوقب

الطبيب الذي يصف دواء بلا اجرة لانفع من دوائهِ

الورد ينمو بين الشوك

الخمر لصاحب البيت والشكر للساقي

من خالط النجاسة تنجّس ومن عاشر النقاوة تنقّى

ما من احد عديم الصبر لدى اصحاب الدين

بع بيعةً واحدة فيسميك الناس تاجراً

اذا كسدت بضاعتك في مكان فجرّب غيرهُ

ضجة درهمين في كيس اكثر من ضجة مئة

الانسان يرى القذى الذي في عين قريبهِ ولكنهُ لا يدري بالجسر الذي في عينهِ

مناظرة العلماء تزيد العلم

اذا كشفت سرّك لثلاثة عرفهُ عشرة

متى كان الحب شديداً كان المجلس الواحد كافياً للاثنين ثم بعد ذلك ربما حسبا ستين ذراعاً من البعد بينهما غير وافٍ

متى دخل الخمرُ الرأس طار السرّ

متى صدق الكاذب رأى عقابهُ في عدم تصديق الناس لهُ

لا حاجة الى ان تضيء سراجك في ظهيرة النهار

اللحم بلا ملح لا يصلح الاَّ للكلاب

لا تثق بنفسك حتى يوم موتك

ويل للبلاد التي فقدت رئيسها وويل للسفينة التي فقدت ربّانها

من يزيد جسدهُ لحماً يزيدهُ طعاماً للدود

النهار قصير والعمل عظيم والعامل كسلان

كن مطيعاً لرئيسك ولطيفاً للصغير وصدوقاً للكل

الصمت سورٌ محيط بالحكمة

اذا لم تكن شريعة زال العمران

لكل انسان فرصةٌ ولا محالة

خير للمرء ان يكون ذنباً بين الأسود من ان يكون رأساً بين الثعالب

لا تُلقِ حجراً في البئر التي تستقي منها

الحق ثقيل ولذلك كان الذين يرضون بحمله قليلين

قُلْ قليلاً واعمل كثيراً

من يكثر الكلام فخطاؤهُ قريب

من احبهُ الناس احبهُ الله

لا تجاور تقياً احمق

استعمل كاسك الثمينة اليوم فانها قد تنكسر غداً

الشمس تغرب بلا حاجة الى مساعدتك

لا يسأل الرجل عما يقولهُ وهو في شدة الحزن

لما كان حبنا شديداً اضجعنا على سنان السيف واما الآن فقد صار السرير الذي عرضهُ ستون ذراعاً ضيقاً علينا

طوبى للابن الذي يتلقى العلم من ابيهِ وطوبى للأَب الذي يعلم ابنهُ

اذا ابتعدت عن الغضب ابتعدت عن الخطإِ واذا ابتعدت عن الافراط ابتعد عنك غضب الله

متى كانت السوق كاسدة فاشترِ واذا راجت فاكتفف

الجاهل لا يشعر بالاهانة كما لا يشعر الميت بجرح السكين

اللص الذي لا يجد وسيلة للسرقة يحسب نفسهُ اميناً

كاسب الحكمة من يرضى بالعلم من حيث اتى والقويّ من يكظم غضبهُ والغني من قنع بنصيبهِ والمكرَّم من يكرم الناس

لا تحتقر احدًا ولا تعدَّ شيئاً محالاً فان لكل احدٍ زماناً ولكل شيءٍ مكاناً

الحديد يكسر الحجر والنار تذيب الحديد والماء يطفئ النار والغيوم تحمل الماء والأَرياح تبدد الغيوم والانسان يحتمل الارياح والخوف يغلب الانسان والخمر تنفي الخوف والنوم ينتصر على الخمر والموت يسود على النوم والصدقة تخلص من الموت

تفرُّ من الخطيئة اذا تأملت بهذه الاشياء الثلاثة من أَين اتيت والى اين تذهب وامام من تحاكم

المستهزئ والكذَّاب والمرائي والنمام ليس لهم نصيب في دار السعادة الابديَّة

الواشي كالقاتل

ليس العبادة برفع الصوت في الصلاة ولكنها برفع القلب الى السماء

من يتصدق على الفقراء اعظم من موسى

كل بركات العائلة تأتي من الزوجة ولذلك يجب على الزوج اكرامها

ليحذر الرجل ابكاء النساء لان الله يعدُّ دموعهنَّ

اذا احتاج الرجل والمرأَة الى الصدقة تتفضَّل المرأَة على الرجل واذا لم يكن كفاية لكليهما فليعدل الرجل عن نصيبهِ

لا يحزن احد على موت المرأَة كما يحزن زوجها

من عرف ربهُ وعرف نفسهُ لا يسهل عليهِ الخطأ

شرُّ البخيل كشرّ الذي يعبد الصنم

لا تصادق رجلاً يرتدي ثوب الصالح ليستر قبائح الشرير

لا تلقِ بنفسك في سبيل التجربة فان داود نفسهُ لم يستطع مقاومتها

سئل شيخ فاضل عن السرّ الذي اكسبهُ شيخوخة سعيدة خالية من الهموم فأجاب لم اخزن ابداً في قلبي غضباً على عائلتي ولم احسد ابداً من هو اعظم مني ولم اشمت ابداً بسقوط احد

أمسُكَ ماضيك ويومك مستقبلك وغدك مجهول

خير الواعظين القلب وخير المعلمين الزمان وخير الكتب الدنيا والله خير الاصدقاء

من يختلس من قريبهِ شيئاً ولو فلساً فهو شرير كمن يقتل نفساً

ما الحياة الاّ فرصة يطلبها الموت يوماً ما

يُعرَف الرجل من اعمالهِ وكلامهِ لا من ظنون الناس بهِ

من كان سبباً لعقاب احدٍ ظلماً كان بعيداً عن ابواب الجنة

من كان شرس الطبع فسيئاتهُ اعظم من حسناتهِ

الخاطىء جاهل كما انهُ شرّير

الحسنات التي نعملها في هذه الدنيا تتشخص وتلاقينا في الآخرة

من كان فيهِ شعور الحياء لا يسرع الى عمل الخطاء

الفرق عظيم بين من يستحيي امام نفسهِ ومن لا يستحيي الاّ امام الناس

من لا يوفي بعهدهِ كمن يعبد الاصنام

من يأكل ويشرب ولا يحمد الله فحكمهُ حكم السارق

أحبب زوجتك كنفسك واكرمها اكثر من نفسك . من لا زوجة لهُ فلا سعادة لهُ في الحياة . ومن تزوج حباً بالمال كان اولادهُ شرّاً عليهِ

قال امبراطور روماني للحاخام غمالاييل "الهكم لص" لانهُ ورد في كتبكم ان الله ألقى آدم في سبات ثقيل ولما نام اختلس منهُ ضلعاً" . وكانت ابنة الحاخام حاضرة فقالت انا أُجيب على هذه التهمة الباطلة وجوابي هو انهُ ليلة امس دخل لصوص الى غرفتي وانا نائمة وسرقوا كأساً من فضة ولكنهم تركوا عوضها كأساً من ذهب . فقال الامبراطور ليت هؤلاء اللصوص يأتون كل ليلة . قالت هكذا كان امر الله مع آدم فانهُ اخذ منهُ ضلعاً واعاضهُ عنها بامرأة

يوحنا ورتبات

تأثير المدارس في العيون

نقلاً عن كتاب العناية بالعين للدكتور اسكندر جريديني . والكتاب تحت الطبع وسيصدر قريباً

(١) المدارس وامراض العيون

في بلدان الحضارة يضعون المدارس على اختلاف طبقاتها تحت المراقبة الصحيَّة لوقاية التلامذة من الامراض وعلى الخصوص ما كان منها شديد العدوى كالسل والخناق (الدفثيريا) وغيرهما من العلل القاتلة التي تنتقل من العليل الى الصحيح بالملامسة والمخالطة ويكون للتلامذة نصيب كبير منها

وامراض العيون من جملة الامراض المعدية التي ينتقل ميكروبها من تلميذ الى آخر ولا سيما في المدارس المعدّة للأكل والمنام حيث تكثر المخالطة والملامسة ويكثر المرض أيضاً

ولا يخفى أن كثيرين من فتيان المدارس وفتياتها مصابون بأمراض مزمنة في ملتحمة العين تعرف بالحبيبات الجفنية او "الحميَّة" حسب اصطلاح العوام في هذا القطر وكل شخص عالماً كان او جاهلاً يعرف "الحميَّة" ولكنهُ يجهل ان في رمص (عماص) العين المصابة بهذه العلة ميكروباً مرَضياً فاذا انتقل الى عين التلميذ بواسطة أصابع اليد او منديل او كتاب او منشفة او غير ذلك مما تتناولهُ الايدي احدث المرض وهكذا يقال عن سائر امراض العين

(٢) المدارس وخلل البصر

يولد الطفل طويل البصر في السنين الاولى من الحياة يغلب طول البصر على البصر الطبيعي والحسر . وكلما خطا التلميذ نحو المدارس العليا زاد الحسر ولا يزال يزداد الى ان يبلغ متوسط ما يصل اليهِ في المدارس الجامعة نحو ٥٠ في المئة

أما اعراض خلل البصر في التلامذة فهي : —

اذا رأيت عيني التلميذ محمرَّتين وكان يشعر بتعب فيهما عند النظر الى الكلمات او الحروف من مسافة بعيدة . أو يحدّق ببصرهِ الى الاشباح ولا تنجلي لهُ صوَرُها ما لم يضيّق جفنيهِ ويزمهما . او يشكو ألماً في رأسهِ او حاجبيهِ او كُرَة عينهِ (حبة العين) فذلك دليل على خلل

البصر وهذا الخلل لا يستقيم الاَّ بالنظارات ولكن اكثر الناس يستقبحونها ويستنكفون من استعمالها ولا سيما لصغار الاولاد لاعتقادهم بضارها على انهُ ثبت بالتجربة والامتحان ان النظارات من افعل الوسائل لانقاذ التلامذة من عناء الاعراض التي سلف ذكرها اذ بذلك يصح الجسم ويقوى التلميذ على مباشرة اعماله المختلفة فيقضي ما بقي لهُ من العمر براحة وهناء

قال الدكتور جولد الرمدي الاميركي الشهير " ان اصلاح خلل البصر في الصغر ينقذ العليل من اعراض اجهاد العين الناهكة للجسم والبصر لانهُ عرف بالاختبار ان الذين يصابون بهِ في صغرهم ولم يصلحوهُ بالنظارات الوافية يجعلون الرجاء في اصلاحهِ ضعيفاً بل مستحيلاً في كثير من الحوادث ولاسيما بعد الثلاثين من العمر وخصوصاً اذا كان العليل ممن يشتغلون بالاشياء الدقيقة من مسافة قريبة من العين "

ولا يخفى ان كثيرين من الطلبة المصابين بخلل البصر او بعلة في السمع يرمونهم في المدارس بالبلادة والفهاهة فتكون حالتهم سبباً في جرّ العقابات المدرسية اليهم مع ان الذنب ليس ذنبهم ولكنهُ ذنب الذين اهملوا امرهم قبل دخولهم المدرسة

والاطباء الرمديون في الولايات المتحدة الاميركية كانوا في مقدمة الذين نبهوا الخواطر الى وجود خلل البصر في المدارس فاوقفوا مجهاتهِ بتنظيم الدروس وامتحان عيون التلامذة قبل دخولهم المدرسة بحيث اذا وجدوا فيها خللاً اصلحوهُ وجعلوا الدروس على قدر ما يتحملهُ بصر التلميذ

واليك نص القانون الذي وضعتهُ حكومة ولاية فرمونت من اعمال الولايات المتحدة لامتحان عيون التلامذة نذكرهُ تعميماً للفائدة وهو :—

" على مجلس صحة ولاية فرمونت (Vermont) ان يجهز ما يلزم من المعدات والارشادات لامتحان البصر والسمع في المدارس التابعة للولاية . وعلى مدير المعارف ان يوزعها مجاناً على المعلمين ويدربهم على استعمالها بحيث يدونون في سجل خصيص ما يعثرون عليهِ من الخلل والعلل في عيون التلامذة وسمعهم ثم يرسلون الى والديهم او اوصيائهم ما علموهُ عن مرضهم بعبارة وجيزة ويرفعون تقريرًا عاماً الى مدير معارف الولاية في آخر كل سنة او عند طلبهِ . انتهى

تقرر في ١٧ نوفمبر سنة ١٩٠٤

وامضي (تنفذ) في اول يوليو (تموز) سنة ١٩٠٥

ويا حبذا لو نصبت نظارة المعارف المصرية اطباء رمديين للاشراف على مدارسها في

الارياف ولو فعلت لتناقصت امراض العيون وقلَّ الخطر الذي يتهدد فتيان المدارس وفتياتها بالعمى لاهمال قوانين صحة العيون

(٣) اسباب خلل البصر في المدارس

يحدث خلل البصر في المدارس من اسباب كثيرة نقتصر على ذكر ما يصل اليهِ امكاننا لعلَّ الخواطر تتنبه في هذه البلاد الى النقص الموجود في مدارسها فيصلحونهُ وبذلك يقون اولادهم رجال المستقبل من الخلل الذي يطرأ على ابصارهم فيردُّهم خاسرين في معترك الحياة

أما الوقاية فتكون في مراعاة القوانين الآتية :—

أولاً : ابتداء التعليم في المدرسة — جرت العادة في البلدان الشرقية ان يرسلوا الولد الى الكتَّاب حالما تقوى ساقاهُ على المشي وهي عادة مستقبحة ينشأ عنها مضار كثيرة للجسم والبصر ولذلك ينبغي ان يبدأ بتعليمهِ من السنة السابعة من العمر الاَّ اذا كان في جسمهِ سقمٌ او في بصرهِ خلل فعندئذٍ لا يجوز ان يوضع في الكتَّاب قبل الثانية عشرة من عمرهِ . على انهُ اذا كان لا بدَّ من تعليمهِ قبل هذا الزمن فالافضل ان يُقتصر على تلقينهِ العلوم بالخطاب قبل الكتاب أو يتمرن على القراءة البسيطة الى ان يبلغ السنَّ الذي يؤهل بصرهُ ويُعد صحتهُ لملاقاة المصاعب في ميدان الدروس

ثانياً : الامتحانات المدرسيَّة — قلنا فيما سلف ان الولد ينبغي ان يوضع في الكتَّاب في السنة السابعة من عمرهِ ولا يُرجأ تعليمهُ الى ما وراء ذلك من السنين الاَّ لعلة في جسمهِ او بصرهِ

وهب ان الولد دخل المدرسة صحيح الجسم والبصر فليس من الحكمة ان يكره على تعلُّم القواعد العلميَّة التي تتعب الفكر والنظر وتعود عليها بالضعف والحسَر

وقد بلغ الجهل من بعض المعلمين ان يكرهوا التلامذة على مراجعة دروسهم في ساعات الليل التي هي ساعات الراحة والسكون لا التعب والاشتغال وان يجعلوا لهم الجوائز فيتباروا في نيلها وذلك يقتضي ادمان السهر والمطالعة واجهاد البصر والعقل ولا شك في ان هذه الطريقة ولا سيما لصغار المبتدئين بالعلوم من اقبح الطرق وافعلها في انهاك القوى واضعاف البصر . فيكون هؤلاء المعلمون قد اضروا بالتلميذ بأفعالهم القسريَّة من حيث ارادوا لهُ الفائدة لأنَّ مغالبة القوة في الحقيقة ضعف وبذلك يضيع مستقبل كثيرين في اوائل عمرهم ويكونون اطفالاً وشيوخاً في وقت واحد وهو منتهى الخرق في الرأي وغاية الحمق في سياسة الاطفال

ثالثاً : موقع المدرسة — علمنا مما سلف ان ادمان التحديق الى الاشياء الدقيقة من مسافة

قريبة من العين هو من الاسباب الباعثة على قصر البصر ومعلوم ان سكان الجبال المرتفعة والسهول الواسعة في مأمن من هذه العلة لانهم يتمرنون على النظر الى الاشباح البعيدة خلافاً لسكان المدن ولا سيما الذين يقطنون في الحارات والشوارع الضيقة فان مجال البصر في تلك الاماكن ضيق وقصير فيصاب سكانها بالحسر . ولذلك ينبغي ان تكون المدارس مبنية في بقعة طلقة الهواء واسعة الفضاء ومحاطة بساحات رحيبة لاجل اللعب وتسريح النظر في الاشباح البعيدة لان بناءها في الشوارع الضيقة وعلى الخصوص في جوار الابنية المرتفعة يجعل مجال البصر قصيراً فيكثر الحسر (قصر البصر) بين التلامذة

وفي الولايات المتحدة الاميركية يبنون المدارس في الشوارع الواسعة او في ضواحي المدن بل ان معظم مدارسهم العليا ان لم اقل كلها منتشرة في الارياف بحيث تكثر المناظر البعيدة فتتمرن العين على النظر اليها فضلاً عن ان الهواء في الخلاء ينعش الصدور ويبث في التلميذ روح العمل والاجتهاد

رابعاً : نور الغرف — يجب ان يكون دخول النور الى الغرف رأساً من غير واسطة واما في ايام الصيف حيث يكون النور متشبعاً بالحرارة المتوهجة ومملوءاً من البريق المزعج وهو الامان فينبغي ان يناط الى الجبهة مظلة من الورق او غيره بحيث يستلقي ظلها على النور الملامس للعين فيكسر حدته ويختلط بلمعانه فيخفف منهُ . وكثيراً ما يستعمل التلامذة مثل هذه الوقاية في ايام الحرّ عند ما يضطرون الى القراءة في نور الشمس او تكون قراءتهم ليلاً على نور مصباح قريب متألق

خامساً : نور الشبابيك — يجب ان يكون عدد الشبابيك في غرفة الدروس كافياً لاضاءتها وان يكون زجاجها كبيراً ينظف على الدوام مما عساهُ ان يعلق بها من الغبار والاقذار . وينبغي ان يكون موقعها بحيث يفيض منها النور الى يسار التلميذ او الى يساره ومؤخر المكتبة التي يجلس اليها

اما النور الذي ينحدر من ناحية اليمين فيحدث ظلاً يزعج البصر وذلك لوقوع اليد اليمنى بينهُ وبين الكتاب او غيره من الاشياء التي يشتغل بها الانسان كالكتابة والخياطة والتطريز واشباهها

وكذلك النور الذي يأتي من الخلف فان ظهر التلميذ يحجب ضياءهُ ويحدث ايضاً اظلالاً تتعب البصر وتزعجهُ

واما النور الذي يقع من الامام فهو اشدّ ضرراً من جميعها لان وقوعهُ على كتاب التلميذ

مباشرةً يحدث لمعاناً يحيّر البصر. واعتبر ذلك من النظر الى صورة معلقة بين نافذتين مفتوحتين

ومن الضروري ان تكون مساحة النوافذ في الطبقات السفلى من بناية المدرسة اكبر منها في الطبقات العليا لان هذه تكون دائماً في معترك النور والهواء واما تلك فقلما ينحدر منها ما يكفي فضلاً عما يركد في هذه الطبقات من امواج الهواء التي لا تلبث ان تفسد باختلاط الانفاس وانبعاث الرطوبة ونحوها

ولضيق هذه النوافذ واهمال الناس امر العناية بتوسيعها الى الحد الصحي تجد اكثر التلامذة الذين يدرسون في الطبقات السفلى مصابين بخلل البصر الا من كان قويّ الجسم والبصر بحيث يستطيع أن يقاوم هذه الاعراض

واذا اردت ان تمتحن نور الغرفة تخذ كتاباً مطبوعاً بحرف صغير (كحرف ١٢ مثلاً) واجلس ناحيةً في احدى زواياها البعيدة فاذا لم يتعب بصرك من القراءة فالنور يكون كافياً وموافقاً للعين

أما حجم الشباك فيكون على نسبة قدم مربعة لكل اربع اقدام من ارض الغرفة

سادساً: رسم غرفة الدروس — ينبغي ان يكون علوّ الغرفة ١٥ قدماً وطولها ٣٢ قدماً وعرضها ٢٤ قدماً بحيث تبلغ مساحتها ١١٥٢٠ قدماً مكعبة لكل ٤٥ تلميذاً او ٢٥٧ قدماً للتلميذ. وان يكون علوّ الشباك ١١ قدماً وعتبتهُ مرتفعة عن الارض نحو اربع اقدام لكي يسقط النور نازلاً من فوق رؤُوس التلامذة واذا كان ارتفاعها اقلّ مما ابنّاهُ انبعث النور من الاسفل فأزعج البصر. ولا ينبغي ان يكون بين سقف الشباك وسقف الغرفة ارتفاعٌ اكثر مما تقتضيه نسبة ارتفاع الحائط كلهِ

سابعاً: ستائر الشبابيك — ينبغي ان يكون لكل نافذة ستارتان الواحدة للنصف العلوي والاخرى للنصف السفلي وذلك لأجل تعديل كمّية النور الداخل الى الغرفة حسب اللزوم

واما لون الستائر فان الرمادي والاصفر والازرق والاخضر أفضل الألوان موافقةً للعين ولا سيما الاخير لانهُ يلطف النور ويكسر حدّتهُ. وينبغي ان يكون اللون في كل ذلك خفيفاً لا مشرقاً لئلا ينعكس لمعانهُ على البصر فيضرّ بهِ ضرراً كبيراً

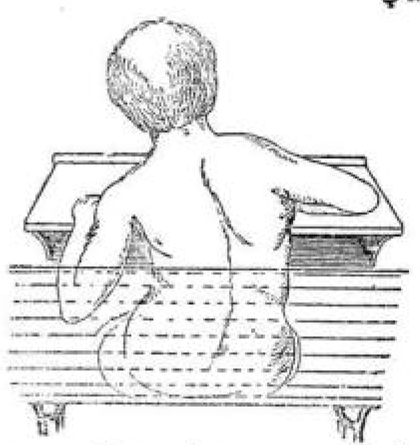
ثامناً: لون الغرفة — يُدهن سقف الغرفة وجدرانها بلون يشبهُ لون السجف (الستائر) واما النوافذ والموائد (التختات) فالافضل ان تصبغ بلون قاتم ويقلل من تعليق الصور والالواح السوداء على الجدران ما امكنت الطاقة الى ذلك

تاسعاً: الموائد والمقاعد — المائدة او المكتبة هي التي يلقي عليها التلميذ كتابهُ و يضع في

داخلها ادوات الكتابة وغيرها من لوازم المدرسة وتعرف في هذا القطر " بالتختة " . وينبغي ان يكون وضعها في غرفة الدروس بحيث يقع عليها النور من الشباك الى يسار التلميذ او يساره وخلفه . ولا يجوز ان توضع في مواجهة الشباك لئلا يسقط عليها النور مباشرةً فينعكس لمعانهُ على العينين او يقع على وجه التلميذ فيحير بصره ويضرّ به كما تقدم في الكلام على " نور الشبابيك "

ويلزم ان تكون حافة المكتبة بارزة قليلاً الى ما فوق مقعد الكرسي وان يكون سطحها منحدراً لناحية التلميذ نحو ١٠ درجات عن الاستواء وعلى العموم يكون منحدراً اكثر منهُ منبسطاً

ويحسن ان تكون المكتبة من الارتفاع بحيث يُلقي التلميذ ساعده عليها بدون ان ترتفع كتفهُ عن وضعها الطبيعي



(شكل ١) صورة تلميذ يكتب على مكتبة مرتفعة

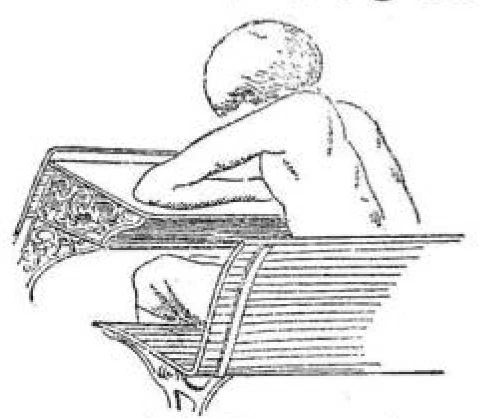
والمقعد هو الذي يجلس عليهِ التلميذ الى المكتبة ومن الضروري ان يكون عرضهُ كافياً يسع الوركين ومقعراً شيئاً قليلاً جداً كهيئة راحة الكف تقريباً مع انحدار طفيف لا يذكر الى الخلف لكي يثبت عليهِ الجالس من غير ان يتزحزح عن وضعهِ . وان يكون طرفهُ المرتفع الى الامام شيئاً قليلاً بحيث يجلس عليهِ التلميذ مستقيماً ويكون ظهرهُ منتصباً لا يشعر بتعب ولا قلق مهما طال امد جلوسهِ عليهِ والاَّ كان في ذلك الضرر للجسم والبصر

وينبغي ان يكون المقعد من الارتفاع بحيث يلقي التلميذ قدميهِ على الارض براحة وان يكون علوّهُ على نسبة موافقة لعلوّ المكتبة لانهُ اذا كان مرتفعاً كثيراً اضطرّ التلميذ الى ان

يرسل رجليهِ من غير ان تثبت على الارض او ان يمسّ بها الارض من طرف الاصابع وفي هذه الحالة لا يستطيع ان يستعين بفخذيهِ وقدميهِ على الجلوس مستقيمًا

واذا كان ارتفاع المائدة زائدًا عن الحد المطلوب فلا يتمكن التلميذ من مدّ ساعدهِ عليها عند الكتابة الاَّ ان يحني صلبهُ ويرفع كتفهُ على نحو ما ترى في (شكل ١)

واذا كانت المكتبة مخفضة جدًّا فان التلميذ يضطر الى القاء صدرهِ الى الامام وانكبابهِ عليها فتفضي بهِ الحال الى تغيير وضع كتفهِ عن طبيعتهِ كما ترى في الرسم (شكل ٢) وهو ما يسمى في اصلاح الطب بالكتف المستديرة او المفتولة فضلاً عن ان هذه الحالة تتطلب اجهاد البصر وتكييفهُ فتتعب العين بل تكون سببًا في انضغاط الاوردة السطحية للعنق فينجم عن ذلك احتقان في العين والدماغ غير محمود العاقبة



(شكل ٢) صورة تلميذ يكتب على مكتبة مخفضة

ولما كان الطلبة في المدارس يتفاوتون في اعمارهم واجسادهم كان لا بد من ان يُجعل المقعد والمائدة على نسبة سنّ التلميذ وجسمهِ ولذلك ينبغي ان يكون في المدرسة عدد كافٍ منها لهذه الغاية النافعة . وبديهي ان الولد الذي يبلغ من العمر ٨ سنوات مثلاً لا توافقهُ المائدة التي يجلس اليها ابن ١٢ او ١٥ سنة وبالعكس . وكذلك التلميذ القصير القامة لا توافقهُ المائدة التي يجلس اليها زميلهُ الطويل القامة وذلك للاسباب التي سلف ذكرها

ثم انهُ لا يجوز ان ينقل التلميذ من مائدة الى اخرى قبل مرور ثلاثة اشهر على الاقل لان التنقل من مائدة صغيرة الى كبيرة او عكس ذلك في كل اسبوع او شهر يكون سببًا في اعتلال البنية واختلال نموّها

ومن البلية ان داء التنقل على الكيفية التي مرَّ ذكرها منتشر في المدارس الشرقية ذلك لان المعلمين يضطرون الى التغيير والتبديل في كل يوم او اسبوع حسب اهلية التلميذ واستعداده للترقي من درجة ادنى الى درجة اعلى ·وقد يتفق ان يكون التلميذ السابق في ميدان الدروس اصغر جسماً او سناً من زميله فياخذ مكانهُ في المكتبة و يكون ذلك سبباً في مضرتهِ لا نفعهِ

فعلى المعلمين او الذين يتولون ادارة المدارس ان يراعوا هذه القوانين الصحية لما فيها من الخير والسلامة للتلامذة ولا سيما وهم بعدُ صغار لا تقوى اجسامهم على تحمل الخشونة

والمدارس في هذا القطر في حاجة الى الاصلاح الصحي ولا سيما المدارس الاهلية فان اكثرها لا يصلح حظيرةً للخرفان

عاشرًا : الخرائط والالواح — في المدارس خرائط تعلق على جدران الغرفة وعليها رسوم وكلمات مختلفة الحجم والشكل فاذا تمرن التلميذ على النظر اليها من مسافة بعيدة صانت بصرهُ من الخلل الذي ينشأُ عن التحديق الى الاشياء الدقيقة من قرب

وينبغي ان تكون الرسوم واضحة وحروف الكلمات كبيرة لا يقل طول الحرف عن خمسة سنتمترات واما عرضهُ فيكون على نسبة توافق طولهُ

واما الالواح السوداء وهي التي يكتبون عليها بقلم من الطباشير فيلزم ان تنظف بالاسفنجة والماء لا بخرقة جافة حتى لا يبقى عليها اثر من الطباشير يكون سبباً في منع البصر عن تمييز الكتابة بوضوح وجلاء

ويجب ان يحترس من وضع الخرائط والالواح بين نافذتين لان النور يقع عليها من ناحيتين فيحدث لمعاناً يحير البصر والأفضل ان تعلق تجاه المكان الذي ينبعث منهُ النور الى الغرفة

حادي عشر: ترتيب الدروس — ينبغي أن يقتصر في تعليم الصغار على ساعات المدرسة فقط ولا يكرهوا على مراجعة دروسهم في البيت على الاطلاق لئلا تخور قوى العين مما تحملهُ من العمل فوق طاقتها ولاسيما وهي بعدُ غير كاملة النموّ في صغار الاولاد فضلاً عما يجرّ اليهم هذا الكدّ من الامراض العصبية نخصُّ منها المرض المعروف برقص " مار انطونيوس " الذي يهاجم الاحداث فينهك قواهم مما يحملونهُ من تعب الفكر في مراجعة دروسهم في النهار والليل

اما مدة التعليم ولا سيما في المدارس الابتدائيَّة فلا ينبغي ان تجاوز ست ساعات في النهار منها ساعتان او ثلاث للقراءة في الكتب وما تبقى فللتعليم بالخطاب لا بالكتاب وهو ان يشرح المعلم بعض قواعد العلوم كعلم الجغرافيا وعلم الحساب وغيرها مما يرشح اذهان الصغار لقبول

العلوم العالية وذلك انما يكون بالتلقين بالصوت الحيّ او بالدلالة عليها في الخرائط والرسوم المعلقة على جدران الغرفة

ومن الضروري ان يتخلل ساعات الدروس فترات صغيرة لراحة العينين وترويض البدن باللعب والجري في ساحات المدرسة خارج الابواب في الهواء النقي

ثاني عشر: الكتب المدرسية — أفضل الكتب ما كان منها صغير الحجم خفيفاً يسهل على التلميذ حملهُ بين يديهِ . وانسب الحروف للبصر حرف ٢٤ للصغار و٢٠ او ١٨ للكبار ويحترس من التعليم في الكتب المطبوعة بحروف دقيقة كحرف ١٨ مثلاً لئلا يضطر التلميذ ولاسيما المبتدئ الى تقريب الكتاب من عينيهِ في اثناء القراءة فتسوقهُ الحال الى "تكييف بصرهِ" وهو عمل عضلي يتعب العين ويفضي الى الحسر

وينبغي ان يكون طول السطر ١١ سنتمترًا والخلاء بين السطر الواحد والآخر نحو مليمترين ونصف مليمتر والاَّ زاد العمل على العضلات العينيَّة التي وظيفتها توجيه كرة العين الى اتجاه مختلفة فيتعب البصر ويكلّ من تحريك العينين وتقليبهما في اثناء القراءة والمطالعة

ومن المحاسن الصحية التي يظهر نفعها في البصر ان يكون ورق الكتب نظيفاً يضرب الى السمرة شيئاً لا يذكر . ولا يكون خشناً يتعب البصر كورق الصحف السيارة ولا صقيلاً لمَّاعاً كورق المجلات المصورة فيعكس النور على العينين ويحيرهما . فالاول وهو الخشن رخيص يقصد بهِ الصحافي توفير المال . والثاني ابيض ناصع تبرز فيهِ الصور والحروف جلية للعين فيكون في ذلك رواج المجلة واقبال الناس على اقتنائها وفي كلا الحالتين نفع للصحافي ولكن العاقبة سيئة على البصر

طيران الانسان

ذكرنا في الجزء الماضي ان الحكومة الفرنسوية صنعت بلونًا يسهل التحكم بهِ وهو طائر فيركبهُ الجنود ويديرونهُ كيف شاؤوا . والظاهر ان الالمان حذوا حذوهم فصنعوا بلونًا يركبهُ الجنود ويتحكمون بحركاتهِ وهو كبير جدًّا طولهُ نحو ١٥٠ قدماً شكلهُ بيضي من احد طرفيهِ وكروي من الطرف الآخر يسع ٢٨٠٠٠ قدم مكعبة من الغاز وفيهِ آلة غازية قوتها ٩٠ حصانًا ويتصل بهِ مركبة من معدن الالومينيوم الخفيف معلقة بهِ باسلاك من الفولاذ (الصلب) ولها رقَّاص فيهِ اربع مراوح من الفولاذ . وطول المركبة ١٧ قدماً وثقلها ٢٥٠٠ ليبرة

والآلة المحركة في وسطها وامام الآلة موقف الركاب ووراءها حوض البترول . وفي طرفي البلون اكياس تملأ هواء والهواء يدفع اليها بمروحة تديرها الآلة

والظاهر ان الدول التي تهتمّ الآن بصنع البلون الحربي تريد ان تستخدمهُ لرمي الديناميت على العدو كأنها وجدت ان المدافع بقذوفاتها لا تفي بالغرض المطلوب فهي تريد الآن ان تستخدم البلون في الهجوم فلم تعد الغاية منهُ اجتماعية تجارية بل صارت حربية عدائية . ويريد مؤتمر السلم ان يمنع استعماله لهذه الغاية لكن الدول الحربية لا تسلم بذلك على ما يظهر . وسواء سلّمت او لم تسلم فاستعمال البلون للسفر من مكان الى آخر ليس ممّا يتوقّع شيوعهُ

وبينما صنّاع البلون يهتمون باتقانهِ وجعلهِ خاضعاً لارادتهم يديرونهُ كيف شاؤوا قام اخوان في اميركا واهتما بعمل طيّارة كبيرة يطيران بها فنجحا في ذلك نجاحاً باهرًا لانها تفوق غيرها مما صُنع لهذه الغاية ولانهما مارسا الطيران زماناً طويلاً فاتقناهُ كانهما فرخ الطائر الذي يمرنهُ والداهُ على الطيران حتى يشتد جناحاهُ ويصير يشعر بحركات الهواء ويحركهما الحركات اللازمة فيهِ . وقد حاول كثيرون غيرهما الطيران قبلهما فلم يفلحوا لانهم لم يصنعوا الآلة المناسبة ولم يمارسوهُ ويمرنوا انفسهم عليهِ التمرين الكافي فان الطيور مؤلفة من لحم ودم وعظام مثل الانسان واجسامها اثقل من الهواء الف مرة والريش الذي فيها لا يصعب على الانسان ان يصنع آلة خفيفة مثلهُ

وقد صنع بعضهم آلات يديرها فتطير في الهواء من نفسها فمنذ ثلاثين سنة صنع رجل فرنسوي اسمهُ بنو آلة تطير من نفسها . كان هذا الرجل يطمع في ان يصير قبطاناً ولكنهُ اصيب بمرض في فخذهِ جعلهُ كسيحاً لا يستطيع المشي فعزم ان يصنع آلة يطير بها ودرس كل ما عرف الى عهدهِ من امر الآلات الطيارة ونواميس الهواء وصنع آلات صغيرة تدار فتطير من نفسها وحاول ان يصنع آلة كبيرة تطير مثلها ولو كان راكباً فيها فلم يفلح وعاد بالفشل ومات كمدًا

واتفق ان بعض الآلات الطيارة التي صنعها وصلت الى اميركا واشترى مطران اوهيو واحدة منها واحضرها الى ولديهِ ليلعبا بها وكانت هذه الآلة تطير مسافة خمسين قدماً فسرّ الولدان بها وجعلا يقلدانها ويصنعان آلات مثلها فيطير بعضها ورأيا ان الآلة الصغيرة اقدر على الطيران من الكبيرة . والظاهر انهما كانا يميلان بالفطرة الى عمل الآلات فانتقلا من عمل الآلات الطيارة الى عمل الدرّاجات وجريا مجرى غيرهما من كثار " الكارات " اي انهما لم يفلحا ماليًّا مع انهما صنعا درّاجة اصلح من غيرها . لان النجاح المالي يقتضي مهارة مخصوصة في ادارة الاعمال واكتساب الاموال

واتفق ذات يوم انهما قرأا عن موت ليِنثل الالماني الذي ذهب ضحية الطيران كما يتذكر قرّاءُ المقتطف وكان يعتقد ان الطيران مقدور للانسان وانهُ يتم بالممارسة وعلى من ارادهُ ان يطير ويقع ويطير ويقع الى ان يصير يطير ولا يقع فطار بالآلة التي صنعها او بالجناحين اللذين صنعهما نحو الفي مرة الى ان قوي ساعداهُ ورجلاهُ ولكن انكسرت آلتهُ وهو طائر فصار كالطائر المكسور الجناح ووقع فكسر رأسهُ ومات. فأثر موتهُ فيهما ونبَّه الرغبة القديمة التي كانت كامنة في نفسيهما فبعثا الى برلين واشتريا نسخة من كتابهِ واقاما سنتين يتعلمان اللغة الالمانية حتى استطاعا قراءتهُ وفهم معانيهِ ومن ثم اخذا يقرنان العمل بالعلم في صنع آلات الطيران وذهبا في صيف سنة ١٩٠٠ الى التلال التي في ولاية كرولينا الشمالية حيث وجدا كثبانًا كثيرة من الرمال فصنعا اجنحة اضلاعها من الخشب واغشيتها من الانسجة الصفيقة كاجنحة الخفافيش وجعلا يتعلقان بها ويثبان من كثيب الى آخر كالجنادب كأن قصدهما التسلية وتمضية الوقت

واتفق في السنة التالية أن رآهما احد كبار المهندسين وهما يثبان على هذه الصورة فقال لهما أتعلمان ايها الشابان انكما اقرب الى حل مسألة الطيران من كل احد

وهذا الرجل هو اكتاف شانوت كبير مهندسي شيكاغو واعلم اهل اميركا في مسألة الطيران وركوب الهواء ولهُ كتاب جليل في تاريخ آلات الطيران وما تقلبت عليهِ من الاطوار فكان لكلامهِ وقع عظيم في نفسيهما والحال انتقلا من الهزل الى الجد وعزما ان يجعلا آلتهما للطيران لا للعب واصلحاها كثيرًا ولكنها بقيت حتى سنة ١٩٠٣ خالية من كل آلة تديرها او تدفعها اي انهما كانا يثبان من مكان مرتفع ويسبحان في الهواء سباحة الى ان يقعا على الارض في مكان بعيد عن المكان الذي وثبا منهُ ولم يكونا يطيران بآلة واحدة كلاهما بل كان كلٌّ منهما يطير بآلة او يسبح في الهواء بآلتهِ. وتمتاز آلتهما في ان ذنبها كان امامها لا وراءها وهذا اهمُّ شيء فيها وبقيت كذلك الى سنة ١٩٠٣ وفي تلك السنة اضافا اليها آلة غازية محركة وفي ١٧ دسمبر منها طار احدهما ضد الريح وبقي في الهواء نحو دقيقة من الزمان وكان ثقلها مع ثقلهِ ٧٤٥ ليبرة وقوة الآلة المحركة فيها ١٢ حصانًا. وطارا بها مرارًا كثيرة في السنة التالية من غير ان يخبرا احدًا او ينشرا عنها شيئًا في الجرائد ترفعًا منهما عن طلب الشهرة او جهلاً لوسائل الكسب. وسنة ١٩٠٥ صنعا آلة ثقلها ٨٠٠ ليبرة طارا بها ست نوبات متوالية قطعا بها ٩٤ ميلاً

وهما رجلان الآن احدهما كبير الجسم جدًّا لا تظهر عليهِ دلائل الخفة والرشاقة والثاني

اصغر منهُ واخف وابوها المطران ريط رجل جليل القدر مسموع الكلمة وهو ينظر الى عملها نظر الاعجاب. وقد قابل الكاتب هربرت كاسون المستر اكتاف شانوت كبير المهندسين المتقدم ذكرهُ وسألهُ عن رأيهِ في آلة هذين الرجلين فقال "اني رأيتهما يطيران بها وانها صارت احسن من الآلة التي صنعاها هو بوضعها ذنبها امامها وبامور اخرى وقد فعلا ذلك كلهُ على نفقتهما مع انهما ليسا غنيين وهما مخلوقان ليكونا ماهرين في الاعمال الصناعية. والمدهش حذاقتهما في ادارة آلتهما والتحكم فيها فقد رأيت احدهما مرةً طار بسرعة خمسين ميلاً في الساعة ووقع على الارض سالماً"

وقابل رجلاً آخر اسمهُ روت رآهما يطيران وسألهُ عمَّا رآهُ فقال "لهُ لقد كان المنظر مدهشاً جدًّا وقفت امام الآلة وهي آتية نحوي في خط منحنٍ كأنها قاطرة من الالومينيوم لا عجل لها ولها جناحان طول كل منهما عشرون قدماً محلقة في الهواء. كل احد من المشاهدين كان خائفاً مضطرباً الاَّ ذينك الأخوين فانهما نزلا بآلتهما على تمام السكينة"

وسأل رجلاً آخر رأى طيرانهما فقال لهُ "ياحبذا لو استطعتُ ان ادير اوتوموبيلي كما يديران آلتهما في الهواء فقد طار احدهما امامي اربعين دقيقة وحفظ آلتهُ على ستين قدماً فوق الارض وكانت تسير بثبات وانتظام كأنها قطار سكة الحديد وقد اعجبت بها ورفعت برنيطتي عن رأسي وجلست انظر اليها"

وقابل الكاتب صانعي الآلة فقال لهُ احدهما "اننا صرنا نتحكَّم بآلتنا وركوبها كما نتحكم بالدراجة (البيسكل) وكان غرضنا من اول الامر ان نجعل هذه الآلة بحيث يستطيع راكبها ان يسير بها كيفما شاء كأنها الدراجة فنلنا بغيتنا" وقال الآخر "اننا لا نفوق غيرنا خفةً ومهارة بل نحن بالضد من ذلك كثيرا الاضطراب ويصعب علينا ان نملك طبعنا. وكل من يستطيع ركوب الدراجة والسير عليها يستطيع ان يركب آلتنا ويطير بها وما نجاحنا الاَّ لأن آلتنا افضل من غيرها في احكامها وانطباقها على القواعد العلميَّة"

ثم ذكر الكاتب ما انفقهُ بعض الناس على الآلات الطيارة فلم يفلحوا في جعلها تطير براكبيها مثل السر حيرام مكسم الذي قضى اربع عشرة سنة يجرّب ويمتحن وأخيرًا صنع آلة انفق على صنعها عشرة آلاف جنيه فلما طارت اسرعت في طيرانها وضربت سقف المكان الذي طارت فيهِ فتكسرت ومثل المسيو ادر الفرنسوي الذي انفق عشرين الف جنيه من مال الحكومة الفرنسوية على آلة للطيران ولكنها جاءت لا يمكن ادارتها والتحكم بها. ومثل الاستاذ لنغلي الذي مات وفي قلبهِ غصَّة لان آلتهُ طارت قليلاً ثم وقعت في الماء

ضعف الرجال امام المال

او نبوليون وصراف يهودي

كتب المستر بالي الانكليزي فصولاً متوالية في مجلة البال مال ابان بها مواقع الضعف من نبوليون الاول ومن ذلك فصل شرح فيهِ سبب اهتداء الانكليز الى قصد نبوليون حين حمل على القطر المصري · والحادثة التي ذكرها الكاتب ليست صحيحة بكل تفاصيلها لكنها موضوعة وضعاً حسناً قال فيها ما خلاصتهُ

جلس هرمن شتين في مكتبهِ يتلو كتاباً ورد عليهِ من يهودي آخر من صيارفة جنوى اسمهُ يوسف · وهرمن شتين هذا صراف يهودي الماني كبير الجسم حسن البزة . والكتاب يقال فيهِ ما تعريبهُ

وصلني كتابك الذي تاريخهُ ٩ يوليو وعلمت ما فيهِ ونحن مستعدون لان نشتري سندات الحكومة الفرنسوية (دركتوار) بسعرها بعد خصم ثلاثة اثمان فهل تشترون انتم السندات النمسوية بعد خسم ٢٧ وربع في المئة

ثم اني اعرض عليك امرًا يهمني جدًّا وهو ان ابنتي صارت في سن الزواج وهي وارثتي الوحيدة فكل ما املكهُ لها واني مستعد ان اعطيها الآن ما يكفيها مدة حياتي اذا تم الاتفاق بيننا فاذا رغبت في ان يتزوج بها ابنك فارسلهُ الينا حتى نكتب شروط الاتفاق ويتعرَّف بها

ولما اتمَّ هرمن شتين قراءة الكتاب فتح عينيهِ وبلع ريقهُ ثم قرع جرساً فدخل الكاتب فقال لهُ قل لداود ان يأتي اليَّ

فدخل داود وهو شاب قليل الشبه بابيهِ وبالالمان عموماً ربعة نحيف الجسم اصفر الوجه فاعطاهُ ابوهُ الكتاب فقرأهُ ولم تبدُ على وجههِ امارة من امارات الاهتمام فقال ابوهُ حينئذٍ ان يوسف هذا العجوز لايزال على حالهِ ولا بدَّ لي من ان اطلب منهُ عمولة على تزويج ابنتهِ · هل رأيتها قط

فقال داود نعم رأيتها وقد لطمت وجهي وكانت في الثالثة عشرة من عمرها · فنظر اليهِ ابوهُ وقال لقد احسنت في ما فعلت وكان يجب ان اقتدي بها لانك لا تهتم بشيءٍ على ما يظهر ولكن ماذا قلت لها حينئذٍ

لم اقل شيئاً

اذاً لا تصلح لها ولا تصلح لك لانها اذا كان فيها اقل حميّة فبلاتك تقتلها

فقال داود ان كان هذا الامر يهمك الى هذا الحد فسأذهب الى جنوى حالاً واري ما يمكن فعلهُ

كانت هذه الفتاة واسمها حواء على جانب عظيم من الجمال وهي وحيدة لابيها وابوها لايهتم بشيء الاّ بها وبثروتهِ وكثيراً ما يجعل الواحدة تخدم الأخرى . واتى جنوى تلك السنة سكرتير نبوليون المسيو ده بورّين وحاول مصادقة الصيارفة اصحاب الاموال الوافرة (البنكيارية). واراد الخواجه يوسف ان يستطلع منهُ امور نبوليون ومقاصده لعلهُ يستفيد منها ماليًا فدعاهُ الى بيتهِ وعرَّفهُ بابنتهِ فأعجب بورّين بجمال وجهها وذكاء عقلها واكثر التردد على بيت ابيها بسببها ولم يستفد ابوها منهُ شيئاً لانهُ كان يلتحف برداء الجهل كلما اشار ابوها الى مقاصد بونابرت . وكان بورّين انيس المحضر فسرّت حواء بعشرتهِ ولو لزم جانب الاعتدال لتزوجت بهِ وامتلك نبوليون مصر وتوّج ملكاً على كل البلاد الشرقيَّة . وكان ابوها يعلم مقدرتها العقليَّة والادبيَّة ولا يخشى ان يغويها بورين او غيره فترك الأمر لها

ثم جاء بونابرت جنوى فاستقبلهُ اهلها احسن استقبال خوفاً منهُ . وجاءها داود شتين ايضاً ولم يعلم بهِ احد وكان في جنوى لما دخلها بونابرت بموكبهِ العظيم فاطلّ من شباك غرفتهِ ورأى ذلك الموكب لكنهُ لم يحفل بهِ بل عاد الى كرسيهِ ثم استحم ونام وقام في الصباح وذهب ليرى ابا حواء . فرحّب هذا بهِ احسن ترحيب وقال لهُ ان هذه هي مشيئة الله . ثم مضى بهِ الى بيتهِ ليريهُ ابنتهُ فوجدها جالسة مع المسيو ده بورين وهو يحاول اعتناقها ورأى داود ذلك فغضّ طرفهُ واقبل المسيو بورين على ابي حواء يتودّد اليهِ ويقول لهُ انهُ يحب ابنتهُ وهي تحبهُ . فالتفتت اليهِ حواء وكذبتهُ وطلبت من ابيها ان يخرجهُ من بيتهِ لوقاحتهِ وقلة ادبهِ

وبعد كلام طويل لا محل لاعادتهِ هنا خرج المسيو بوربن حانقاً على حواء وابيها . وسأل داود ابا حواء عنهُ فقال لهُ انهُ سكرتير الجنرال بونابرت فلما سمع ذلك عبس وبدت على وجههِ امارات الاهتمام الشديد ولحظ ذلك ابو حواء فقال لهُ ما همك من امره فقال اخاف ان يذهب الى بونابرت ويقول لهُ انك بقرة سمينة . ثم ما هو غرض بورين من المجيء الى جنوى . فقال هذا هو الأمر الذي كنت اسعى للوقوف عليهِ بواسطة حواء . ثم جعل يسبّهُ ويلعنهُ فقال لهُ داود انك كمن يدعو الذئب الى بيتهِ ثم يشكو منهُ . ولكن اما علمت منهُ شيئاً . فقال كلاّ لم اعلم شيئاً مع اني رأيتهُ في بيوت كل اصدقائنا ومعارفنا

فقال داود أي في بيوت كل الصيارفة اصحاب الاموال

فقال ابو حواء اتظن اذًا ان بونابرت ارسلهُ الى هنا ليرى هل يستطيع ان يقترض الاموال من صيارفة جنوى

فقال داود او ليرى هل يستطيع ان يغتصبها منهم · فاحمرَّ وجه ابي حواء وجحظت عيناهُ وجعل يشتم الساعة التي رأى بورين فيها

فقال لهُ داود اني اتيت الى هنا بسفينة اميركية وهي الآن في المرفإِ وربانها امين وعلمها محترم ولو كان عندي اموال في جنوى لكنت اضعها فيها كأنها حرير والتصرّف في دفاتري حتى يظهر منها ان ليس عندي شيء · ثم جعل يحاول اقناعهُ ليرسل كل ما عندهُ من النقود الى تلك السفينة باسرع ما يمكن وهذا يمانع ويتظاهر بالشجاعة وعدم الخوف من نبوليون · واخيرًا تغلَّب رأي داود على رأيهِ ومضى ذلك الليل في نقل الاموال كلها الى السفينة وتغيير الدفاتر ولم يسترح بال ابي حواء الاَّ بعد ان سلمهُ داود وصلاً بالاموال كلها وكانت مليونًا ومئتي الف فرنك

وذهب المسيو بورين من بيت حواء الى الدار التي كان بونابرت نازلاً فيها وحيَّى مرتين قبل ان التفت بونابرت اليهِ لانهُ كان مشغولاً بمطالعة جغرافية بركلي وتطبيقها على خريطة مصر ولما التفت قال بورين اني آتٍ للنظر في قائمة الصيارفة · فاشار بونابرت بيدهِ وقال غدًا غدًا · فذهب بورين وجاء من الغد قبل ان يلبس بونابرت ثيابهُ وكان الحلاَّق يحلق لهُ فجعل بورين يقرأ لهُ جريدة المونيتر ثم صعد معهُ الى مكتبهِ وجلسا امام مائدة كبيرة وكانت قائمة الصيارفة ملقاة عليها وامام كل صرَّاف مقدار ما يمكن اخذهُ منهُ فنظر بونابرت اليها وقال ماذا تريد بشأنها فقد امضينا امرها امس فقال بورين بقي صراف آخر يوسف صاحب قلاًّ منديلنا هذا يمكنهُ ان يدفع مليون فرنك

فقال بونابرت لماذا لم تخبرني عنهُ قبلاً

فقال بورين لم اكن اعلم انهُ على هذه الثروة الطائلة

فقال بونابرت اظنك حاولت ان يبرطلك فلم تفلح . فجعل بورين يحلف ويتبرأ من هذه التهمة

فقال لهُ بونابرت قصِّرها فاني اعلم طمعك وحبك للربح ولكن اياك ان تحاول الربح على ظهري

فعاد بورين يقسم الاقسام الغلاظ مشيرًا الى امانتهِ وصداقتهِ · فقال لهُ بونابرت اليك عن كثرة الكلام اكتب اسمهُ في القائمة وارسلها الى سفري فاني اخبرتهُ ماذا يفعل

وقضى داود ثمتين ساعات الصباح يمشي على رصيف البحر ثم مضى عصر النهار الى بيت

يوسف ابي حواء وكان يوسف متيلاً فلما سمع ان داود جاء لزيارتهم نهض اليهِ واعتنقهُ وقال لهُ لم يحدث شيء حتى الآن . فقال داود لا تأسف فانهُ لا بدَّ من حدوث شيء

فقال على ماذا الاسف ثم جعل يتكلَّم عن اموالهِ فقال لهُ داود اني اتيت لارى ابنتك واكلمها لا لاراك

فاجاب يوسف نعم ولكن الاموال باقية تحت امري واقدران اسحبها وقتما اريد اليس الامر كذلك اما انت فتعال معي وانظر حواء

ثم جمعهُ بابنتهِ فتكلما قليلاً وهو يظهر البلادة والتأني وهي تظهر الحدَّة والضجر الى ان اضطرَّت الى تركهِ مقطبة فخرج وعاد الى فندقهِ . وبلغهُ في اليوم التالي ان بونابرت القى القبض على اربعة من الصيارفة بحجةِ انهم يتعاملون مع النمسويين وان يوسف ابا حواء منهم فقام من ساعتهِ وسار الى بيت يوسف وكان مكتبهُ في جوار بيتهِ فوجد الحرس امام الباب واناساً في المكتب يقلبون الدفاتر واراد ان يقرع الباب فمنعهُ الحارس قائلاً ان اليهودي صاحب البيت أُرسل الى السجن . فقال داود عرفت ذلك منذ يومين فقال الحارس كذبت فانهُ لم يرسل الى السجن الاَّ اليوم فقال داود وما الفائدة من معرفة الحوادث بعد حدوثها وانا لا يهمني الرجل بل ابنتهُ وقد اتيت لاراها

فضحك الحارس ونادى جاويشهُ واخبرهُ بذلك فقال الجاويش اذا كان الامر كذلك فانا اديرلك ظهري ولكن ان كان لك غرض آخر فاحذر العاقبة . ثم دخل البيت معهُ وانطرح على مقعد في الدار واقبلت حواء والدموع ملء عينيها وقالت لداود ابي ابي . فقال لا تخافي لا ينالهُ اذًى . فالتفت الجاويش اليهِ وقال لهُ من انت حتى تجيب عن الجنرال . وقالت حواء يدَّعون انهُ اقرض الاموال للنمسويين . فقال داود لا خوف من بونابرت ثقي ياحواء وهذا كل ما اتيت لاقولهُ لكِ ثم حياها وخرج

فدهش الجاويش من ذلك وقال لحواء من هذا الحبيب وما هذه المحبة

اما داود فمضى من ساعتهِ الى حيث كان بونابرت وقال للحارس قل لمولاك ان داود شتين الذي كان شريكاً في بيت غنتر وغلدشيلد في همبرج يريد ان يراهُ في شغل مالي (وكان بونابرت يكره هذا البيت كرهاً شديداً) فاذن لهُ في الدخول ونظر في وجههِ فلم يرَ فيهِ شيئاً غير عادي

فقال لهُ ماذا تريد مني . فقال اريد ان اقرضك مبلغاً من المال

فقال بونابرت من اعلمك اني في حاجة الى المال

فقال انت اعلمتني بقبضك على اربعة من الصيارفة

فنظر اليهِ بونابرت نظر الدهشة والغيظ ثم قال لهُ ومن اعلمك اني اوفي ما اقترضهُ

فهز داود كتفيهِ وقال لا بدَّ للانسان من ان يخاطر . ثم تثاءب والتفت الى ما امام بونابرت فوجد امامهُ خريطة مصر

فقال لهُ بونابرت ولماذا تقرض اموالك لي

فأجابهُ لاني وجدتك محتاجاً الى المال والاَّ ما كنت تنهب البنوك

فقال بونابرت احذر يا رجل كيف تتكلم معي

فقال داود اني اتكلم كما يتكلم التجار اصحاب الاموال وانا اعرف ان الكريديتو الذي لك رديء جدًّا ولكني اعتقد مع ذلك انك توفي ديونك

فقال بونابرت اخطأت فاني لا اوفي شيئًا منها

فادار داود وجههُ وقال اذًا اودعك . ولما ادار وجههُ رأى كتباً في خزانة وبينها نسخة من القرآن

فقال لهُ بونابرت لا يمكنك ان تخرج قبلما اتم شغلي معك . كم تستطيع ان تقرضني

فقال داود اي مبلغ اردت الى حد مليون ونصف

فدهش بونابرت لانهُ لم يكن ينتظر ذلك وقال لهُ احذر يارجل لئلاَّ تكون كاذباً

فقال داود وعلى مَ اكذب

فقال بونابرت اذا لم يكن عندك هذا المبلغ فستندم حيث لا ينفعك الندم

فقال لهُ داود انك لا تعرف المعاملات التجاريَّة ولكن لا عجب لانك رجل حرب لا رجل تجارة اما انا فاني داود شتين الذي كان شريكا لفنتر وغلدشيلد في همبرج وقد كنت في سفينة اميركية ومررت في طريقي على لسبون واوبرتو وقادس ومرسيليا واستوفيت بعض الديون التي لنا ووجدتك هنا تفتش حسابات البنوك ان لم اقل انك تنهبها وانا مستعد الآن ان اقرضك مليون فرنك فان كنت تريد ان تقترضها فهي تحت امرك

وجلس الاثنان يتساومان وكلٌّ منهما يجتهد ان يغبن الآخر وتم الاتفاق بينهما اخيرًا على ان داود يقرض بونابرت تسع مئة الف فرنك ويستوفيها منهُ مليونًا وخمس مئة الف فرنك بعد ثلاث سنوات . وقال لهُ بونابرت الأمر مفهوم بيننا ان هذا الدين هو على الجمهوريَّة الفرنسويَّة

فقال داود كلاَّ لعنة الله على الجمهوريَّة بل هو على الجنرال بونابرت بسندات تمضيها لي

باسمك . وبعد جدال طويل رضي بونابرت ان يمضي لهُ مئة وخمسين سنداً كل سند منها بعشرة الآف فرنك من غير ذكر للفائدة تدفع بعد ثلاث سنوات الى ثلاث سنوات ونصف . وللحال اخذ داود ورقة من الورق الرسمي الذي امام بونابرت وكتب صورة السند ورماها الى بونابرت وقال بغير اكتراث هل تقبل ان يكون جانب من النقود فضة . فقال بونابرت لا فرق عندي . فقال داود حسناً ومدحهُ على مهارتهِ في المعاملة ونهض ليذهب فلم يجبهُ بونابرت لانهُ لم يعتد ان يسمع مدحاً من اناس يعدهم دونهُ بمراحل . وافترقا وكلٌّ منهما يحسب انهُ غبن الآخر وخدعهُ . واتفقا على ان بونابرت يسلم السندات لداود ذلك اليوم و يستلم النقود من السفينة

والنقود نقود يوسف ابي حواء . وكان لا يزال في سجن بونابرت متهماً بالمواطأة مع التمسا لكن الذين دخلوا مكتبهُ وفحصوا حساباتهِ وخزائنهُ لم يجدوا عندهُ شيئاً يذكر

ومضى يومان وداود يرقب الاحوال وحالما استلم السندات ارسلها بعضها الى ميلان والبعض الآخر الى باريس ورشا السجان حتى يعتني بيوسف ورشا الجاويش الذي على باب بيتهِ لكي لا يدع احداً يدخلهُ . ولما رأى المسيو بورين انهُ لم يوجد مبلغ يذكر عند يوسف اسقط في يدهِ لكنهُ اراد ان يستفيد من ذلك على كل حال حتى اذا حُدّدت الغرامة التي فُرضت على يوسف مضى الى ابنتهِ لعلهُ يبتزمنها شيئاً آخر فاراد الجاويش منعهُ بعلّة انها لا تريد ان ترى احداً ولكنهُ قال لهُ اذهب وقل لها ان المسألة تهمُّها وعليها تتوقف نجاة ابيها فاخبرها بذلك فقالت لهُ دعهُ يصعد . لكن الجاويش مضى واخبر داود حالاً لان داود كان قد رشاهُ ليخبرهُ بكل شيء فاسرع اليها فوجدها وحدها وهي تبكي فقال لها لا يمكن ان يكون بورين اخبركِ شيئاً يبكيكِ . فقالت كيف عرفت انهُ كان هنا وكيف عرفت ان ليس في الامر ما يبكيني وقد قال ان مرادهم ان يقتلوا ابي اليوم . وكان داود يعلم ان ليس في الامر الاّ غرامة وكان يعرف مقدارها فقلب شفتيهِ كأنهُ يهزأُ بها . فقالت لهُ كيف تفعل ذلك وانت تعلم ان ابي في هذا الخطر . فقال لو كنت اعلم انهُ في اقل خطر ما كنت اهزأُ ولكن اظن ان بورين قال لك ان اباك يُقتل ان لم ترشيهِ . فقالت نعم ان لم اعطهِ عشرين الف فرنك وانا ليس عندي شيء . فقال حسناً وخرج وقصد الدار التي فيها بونابرت واستأذن عليهِ وبورين عندهُ وقام بورين لاستقبالهِ فقال لهُ امام بونابرت كيف تقول لابنة يوسف الصراف ان الجنرال يشنق اباها ان لم تدفع لك عشرين الف فرنك . قال ذلك ورفسهُ برجلهِ فوثب نبوليون كالاسد وقال لهُ كيف تتجاسر ان تفعل ذلك امامي . وقال بورين هذا الكلام كذب كلهُ . اما داود فجلس على كرسي من غير استئذان وقال مخاطباً بونابرت ان هذا الرجل فوّر دمي فان ليوسف

الصراف ابنة جميلة وقد ذهب هذا الرجل وراودها عن نفسها ولما امتنعت عليه هدَّدها بالانتقام من ابيها وجاء واخبرك ان اباها من الاغنياء وانت تعلم كم وجدتم عندهُ بعد ان طرحتموهُ في السجن والآن ذهب اليها لينهب منها عشرين الف فرنك بحجة انك تقتل اباها ان لم تدفع هي لهُ هذا المبلغ

وكان بونابرت يتذكر كلَّ شيء ولم يبرح من بالهِ ان بورين لم يكتب اسم يوسف في القائمة اولاً ثم عاد فكتبهُ وكان يعلم انهُ يحب الاختلاس ويعرف اخلاقهُ . واخذ بورين يشتم الفتاة واباها و يتنصل من هذه التهمة و يذكر نبوليون بخدمهِ الكثيرة لهُ

فقال لهُ داود ان كنت انا كاذبًا فلماذا ذهبت اليوم الى بيت يوسف وماذا قلت للجاويش ليقول لا بنتهِ ولماذا صعدت اليها . والتفت فرأى امام بونابرت كتابًا موضوعهُ المماليك وكتابًا آخر في جغرافية مصر . والتفت بونابرت الى بورين وقال لهُ الم احذرك من ذلك يابورين من اول الأمر او تظن اني اجهلك . ثم التفت الى داود وقال لهُ وانت ماذا يهمك من امر هذه الفتاة وابيها

فقال داود انها جميلة وانا اريد ان اعمل خدمة لابيها لاجلها وانت تعلم ان اباها ليس غنيًا كما ادَّعى بورين ولقد خدمتك خدمة كبيرة فاسمح لي بابيها

فقال بونابرت اظن انها جميلة جدًّا وعيناها تسبيان

فقال داود ليس اجمل منهما على وجه البسيطة

فقال بونابرت ان عينيها جميلتان ولكن عينيك غير جميلتين فلا اعطيك شيئًا لاجلها

فقال لهُ داود هل مرادك ان تفعل مثل بورين

فقال بونابرت اقول لك بصريح العبارة اني كنت عازمًا ان اغرم اباها بخمسة وعشرين الف فرنك لاني ما كنت اظن انهُ يمكنني ان احصل على اكثر منها اما الآن وقد وجدت رجلاً آخر يريد خلاصهُ فقد ارتفع ثمنهُ في عيني ولا اطلقهُ بأقل من مئة الف فرنك

فصرخ داود قائلاً هذا ظلم هذا نهب

فضحك بونابرت وقال من يطلب الجمال يجب ان يجود بالمال

وجلس داود يحاول تخفيض هذا المبلغ و بونابرت لا يحول عن كلامهِ واخيرًا قال لهُ داود اني ادفع مطلوبك والعنك في قلبي واقول انك نهّاب وغدًا صباحًا ادفع لك مئة الف فرنك فتطلق سبيل الرجل

فقال لهُ بونابرت هنيئًا حميك عني يحبك لهُ . ثم سار معهُ الى باب الغرفة بلطف وتودُّد

وعاد داود في الصباح ومعهُ المئة الف فرنك وامعن نظرهُ في الكتب والخرائط التي امام

بونابرت وحوله فوجدها كلها عن مصر والشرق وأخذ منه الامر باطلاق ابي حواء

فسُرَّ ابو حواء باطلاقهِ سرورًا لا يوصف ووقع على عنق داود يقبلهُ ويبكي فرحًا ولكنهُ لما علم ان داود اعطى مليون فرنك من مالهِ لبونابرت اصطكت ركبتاه وكاد يقع مغشيًّا عليهِ وجعل يندب وينوح فقال لهُ داود اليك عن الحزن والندب ثم اخذ ورقة وكتب لهُ سندًا على محل ابيهِ بمليون واربع مئة الف فرنك تدفع حين الطلب وامضاهُ وسلَّمهُ اياهُ فدهش من ذلك وقال لهُ ان اموالي كلها مليون ومئتا الف فرنك فكيف تعطيني مليونًا واربع مئة الف فرنك . فقال لهُ داود انني اعطيت بونابرت مليون فرنك من اموالك بما فيهِ الغرامة واخذت منهُ سندات بمليون وخمس مئة الف فرنك وبعتها حالاً في ميلان وباريس بمليون ومئتي الف فرنك نقدًا اضيفت لحساب محلنا وكان قد بقي من اموالك في السفينة مئتا الف فرنك والجملة مليون واربع مئة الف فرنك وهذا سند بها كلها

فزادت دهشتهُ من هذه المهارة وعاد يقبّلهُ ويبكي فرحًا

اما داود فانهُ صفَّى حسابهُ مع ابي حواء ولكنهُ لم يصفهِ مع بونابرت بل ارسل اخبر الحكومة الانكليزية بكل ما رآهُ من الكتب والخرائط امام بونابرت . فصدر امر نظارة البحرية الانكليزية بارسال اسطول كبير الى بحر الروم لاقتفاء خطوات بونابرت وان يعقد لواء هذا الاسطول للسر هوراشيو نلسن

واتى بونابرت الى مصر وتغلَّب على المماليك وتبعهُ نلسن واوقع بعمارتهِ في ابي قير ومنع عنهُ المدد . ولما اطلق الاسرى ليعودوا الى مصر احضروا معهم كتابًا الى بونابرت من داود شتين يقول فيهِ بعد الديباجة

"لما كنت اتعاطى معك في مسألة القرض الصغير في جنوى رأيت ما امامك وحولك من الكتب والخرائط فاعلمت لورد سبنسر بذلك فدبَّر الانكليز ما بهِ الكفاية جزاء الغرامة التي طلبتها مني فدية لحمِيَّ الخواجا يوسف هذا مع الاحترام من داود شتين

من محل غتنر وغلدشيلد"

هذه خلاصة ما اوردهُ الكاتب ولم نرَ في كتب التاريخ التي بين ايدينا ذكرًا صريحًا لهذه الحادثة لكننا رأينا فيها ان مدينة جنوى اشترت حيادتها من بونابرت بمليوني فرنك وقرضتهُ مليونين آخرين . وسواء كانت هذه الحادثة داخلة ضمن ما ذكرهُ التاريخ مجملاً اوكانت مستقلة عنهُ او موضوعة فلا شبهة ان لارباب الاموال سلطة فائقة على الملوك والقواد من قديم الزمان الى الآن

هنيبال

القائد القرطاجني الشهير



انما الرجال باعمالهم وقد تمرّ القرون وتطمس اخبار السراة والاغنياء ولكن الاعمال الكبيرة تخلد اسماء اصحابها القائمين بها ويروي التاريخ سيرتهم تمجيدًا لاسمائهم وعبرةً للناس . هذا هنيبال او حنبعل[1] ابن هملكار القائد القرطاجني الملقب بالبرق . بطلٌ ابن بطل مرّت على اعماله السنون الطوال ولم يزل اسمهُ يرنّ في الآفاق ونحن الآن نلخص سيرتهُ لما في تضاعيف اخبارهِ من الهمة الناهضة والوطنية الصادقة والمعرفة الواسعة بابواب الحرب وقيادة الجند الاَّ ان الكلام في شأنهِ يقتضي تمهيدًا فنقول

كانت صور سلطانة البحار ومقر تجارة الامم وقد انتشرت مستعمراتها على كثير من سواحل البحر المتوسط وعرف رجالها البلاد القاصية حتى اذا وقعت فيها بعض الحوادث السياسيَّة خرج

(١) الكلمة فينيقية معناها حنان بعل او نعمة الله

منها نفر من اهلها بزعامة اميرة من البيت الملكي اسمها ديدو وقصدوا سواحل افريقية الشمالية وخططوا هناك مدينة سنة ٨٧٨ ق . م سموها قريث حدشت اي القرية الحديثة وحرّفها الرومان والعرب فقالوا قرطاجنة فنشأت واتسعت وازهرت في مدى قرون وضارعت صورًا في التجارة وسلك البحر وانشاء المستعمرات ولم تكن الدولة الرومانية قد اعتزت فامتدت الى بعض الجزائر ازاء ايطاليا ومن جملتها صقلية (سيسيليا) وكان للرومان فيها بعض ممتلكات فلما رسخت اقدام القرطاجنيين امتعض الرومان وداخلهم الحسد من اعتزاز مناظريهم حتى اذا لجأ اليهم قومٌ يُقال لهم المامرتين كانوا نازلين في بلدة ايطالية من صقيلة اظهروا لهم العداء وناصبوهم الشر فابتدأت يومئذٍ الحرب سنة ٢٦٥ ق . م وعرفت بالبونية الاولى وظلت على احتدامها بين الدولتين مدة اثنتين وعشرين سنةً . الاّ ان الظفر كان حليف الرومان فعقد الصلح على ان يخلي القرطاجنيون جزيرة صقلية وكل الجزائر التي ازاء ايطاليا وان يطلقوا سبيل اسرى الرومانيين من غير فديةٍ ولا بدل وان يؤدوا نفقات الحرب مبلغاً يناهز ثلاثة آلاف ومئتي وزنة قيمتها الآن حوالا ستمئة وستين الف جنيه تدفع في مدة عشر سنوات

ولم يكن ظفر الرومان رخيصاً لانهم اشتروهُ بكثير من المال والرجال . وبعد ذلك مضت مدة اثنتين وعشرين سنة ساد فيها السلام بين الدولتين واسترجعت كلتاهما قواها — على ان الرومان اغتنموا فرصةً سنحت بوقوع فتنة بين جند قرطاجنة من حامية سردينيا فدخلوا الجزيرة وطردوا القرطاجنيين منها فكأنهم عادوا فاوقدوا جذوة الحرب بعد خمودها . الاّ ان قرطاجنة كانت قد استرجعت قواها ونظمت شؤونها وفتحت في ايام السلام بلاد اسبانيا فملكتها بما فيها من مناجم الذهب واسواق التجارة وكثرة السكان الصالحين للجندية فوقع القتال وكانت الحرب سجالاً لكن الغلبة الاخيرة كانت للرومان فاذعن القرطاجنيون وخضعوا وظلّ السلام سائدًا مدة ٥٢ سنة وفي ختامها عادت الحرب الى الاصطلاء وكان الرومان قد ازدادوا حولاً واقتدارًا بينما كان القرطاجنيون قد صاروا الى الضعف والوهن فلما وقعت الحرب الثالثة لم يكن لهم حصون يلجأون اليها وانما جاهدوا بملء قوتهم لدفع العدو مدى ثلاث سنوات ثم أُخذت مدينتهم مهاجمة واحرقت فكان سكانها يقاتلون في الازقة والشوارع والدور تشتعل فوق رؤوسهم ولما اعيتهم الحيلة التجأ منهم خمسة وخمسون الفاً الى القلعة فلم يقدروا على حفظها فسلموا وأُخذوا اسارى وبيعوا عبيدًا واما المدينة فدكت الى الارض وفلحت بالسكة ورش عليها الملح رمزًا الى صيرورتها بلقعاً لا تصلح لشيء ثم غلبت رومة على كل ممتلكات قرطاجنة وضمتها اليها وصارت تلك الدولة اثرًا بعد عين . وجل ما يعرف عنها

الآن مستفاد من سيرة الابطال الذين نترجمهم

في بدء الحرب البونية الاولى اي سنة ٢٦٥ ق٠م وُلد هملكار في قرطاجنة ونشأ فيها وترعرع حتى اشتهر امرهُ في الحرب والسياسة وحتى انتهت اليهِ زعامة حزب العامة لانهُ يروى ان حكومة قرطاجنة كانت مزيجاً من المبادئ المعروفة بالاريستوقراطية (حزب الاعيان) والديموقراطية (حزب العامة) اما هملكار فلا يعرف شيء من امر دخولهِ في الجيش قبل السنة الثامنة عشرة من الحرب الاولى حين كان على امرة جيشٍ من ابناء قومهِ وكان النصر باسماً لاعدائهم والحرب قائمة على قدم وساق في جزيرة صقلية وكلها بيد الرومان الاَّ بعض المواقع على ساحلها الغربي فاتخذ موقعاً حصيناً يقال لهُ بلرينو قرب بلرمو وكان الخليج المجاور مرمى لاسطول دولتهِ فشرع يغير الغارات الشعواء على الجزيرة حتى بلغ ساحلها الشرقي ثم تمادى بهِ الامر فصار يكتسح السواحل الجنوبية من ايطاليا وكما لقي شرذمةً من الرومان ينكل بها حتى فاز الرومان بالظفر البحري على العمارة القرطاجنية سنة ٢٤١ ق٠م فكفَّ عن القتال ثم ارسلهُ قومهُ لعقد الصلح مع الظافرين فبذل قصاراهُ في تخفيف شروط الرومان ولكنهُ لم ينل كل اربهِ ٠ ولما عاد بجيشهِ الى بلادهِ اراد ان يعوّض على حكومتها ما خسرت من العزة والمكانة بفتوحاتٍ جديدةٍ في اسبانيا فاقرّت على انفاذ قصدهِ ولكنهُ تأجل عملهُ لان بعض جنودهِ المستأجرة فتنت وعصت طالبةً رواتبها مع ان خزينة الدولة كانت فارغةً عقيب نفقات الحرب الفاحشة فادّى هذا العصيان الى تجريد القوة لكبحهم ولكنّ العصاة غلبوا اولاً حتى اذا وسد اليهِ امر اخضاعهم زحف عليهم وواقعهم فغلبهم ومحق قوتهم فلما سكنت الامور تسنى لهُ سنة ٢٣٨ ق٠م ان يزحف لفتح اسبانيا فخرج اليها مستصحباً معهُ ابنهُ هنيبال ليدربهُ على الحرب ٠ ووقعت الحرب الاسبانية فكانت شديدة هائلة الاَّ انها لا يُعرف عنها شيء سوى فوز هملكار بفتوحاتٍ جليلة وكاد يتغلب على اسبانيا كلها لولا ان فاجأتهُ المنيَّة سنة ٢٢٩ ق٠م وهو لم يجاوز السادسة والثلاثين من عمرهِ

وخلف ثلاثة ابناء هنيبال وهدروبال وماكو فاما الاول فقد كان مولدهُ سنة ٢٤٣ ق٠م ونشأ في وطنهِ حين كانت الحرب ناشبة فيهِ وابوهُ في جملة الذين يجاهدون فيها محتملاً اشدَّ ويلاتها حتى اذا عقد الصلح ونشبت ثورة المستأجرة ثم اخمدها ابوهُ بقوتهِ وتدبيرهِ وتهيأ لحربٍ زبونٍ في اسبانيا اراد ان يمرّنهُ على متاعب القتال وان يريهُ كيف تفدى الاوطان بالارواح فلم يشفق على غصن حداثتهِ الغضّ بل عزم على استصحابهِ معهُ في سفرهِ وهو حدث في التاسعة من عمرهِ

ومع ان الحرب التي اراد هملكار ان يشهدها ابنهُ كانت في اسبانيا فانهُ لم يقصد بها نكاية شعوبها بل التعويض بغلبهم عما خسرت دولتهُ في حرب رومة فرومة اذًا مطمح انظاره والى عدائها سعى في توجيه عناية ابنهِ لينشأ خصمًا لدودًا للظافرين لا ينام حيناً عن ايذائهم ولذلك اخذهُ قبل السفر الى المعبد وهنالك وقف بهِ امام المذبح واستحلفهُ باعظم الايمان ان يستمر على عداء رومة مدى عمرهِ

فسار في ركاب ابيهِ وشهد المواقع الاولى التي دارت بين الهاجمين والمدافعين ولكنهُ لم يشترك في القتال حتى اشتد ساعدهُ. ثم مات ابوهُ ظافرًا سنة ٢٢٩ ق.م ويغلب على الظن انهُ خاض معهُ غمرات القتال لانهُ كان حينئذٍ في الثامنة عشرة من عمرهِ ولما انتهت القيادة بعد ابيهِ لاسدروبال صهرهِ لبث يحارب معهُ ويزداد دربةً في ابواب القتال وطرق القيادة واساليب السياسة والادارة بما اتسع لديهِ من مجال المشاهدات اذ كان اسدروبال قائمًا احسن قيام بامارتهِ يغلب الاعداء ويفتح البلدان والاقطار ويستدر المناجم الذهبية وغيرها وما زال هذا حالهُ من التعلم والممارسة حتى قضى اسدروبال نحبهُ سنة ٢٢١ فوسدت القيادة الكبرى لهنيبال وعمرهُ يومئذٍ ست وعشرون سنةً الاَّ ان حداثة سنهِ لم تكن لتحول دون نهوضهِ بالواجب عليهِ لانهُ كان قد تمكن من الفنون الحربية واشتهرت شجاعتهُ وبراعتهُ وفوق هذا فانهُ كان عارفًا بسياسة البلاد ضليعًا بمناهج اسرتهِ جامعًا في ذاتهِ بين اقدام الشباب وحكمة الشيوخ وحنكة القائد المجرَّب ورغيبة الشرقيّ ملطفةً بالتهذيب اليوناني الكامل وكان فوق ذلك زكيًا فصيحًا واسع الاطلاع صبورًا عفيفًا عادلاً مستقيمًا اذا فاتهُ الغلب بالسيف لا يعدم خدعةً لنيلهِ

وكان اسدروبال قد بلغ بفتوحاتهِ نهر الابرو فلما وسد الامر لهنيبال اهتمَّ بالتوسع في الفتح فزحف وحارب وظفر ولم يبقَ عليهِ الاَّ مدينة سغنتوم وكانت نزالة يونانيَّة محالفةً لرومة فعزم على حصرها وضربها اتمامًا لرغائبهِ في الفتح ومزيدًا في نكاية رومة الاَّ ان الحكومة القرطاجنيَّة لم ترَ رأيهُ تجنبًا للتحرش بالدولة الرومانيَّة واخذًا برأي الحزب السائد في البلاد فلم يعبأ بما أُمر بل زحف بالمئة وخمسين الفًا الذين كانوا تحت امرتهِ واحطَّ على حصارها بمنتهى الشدَّة فدافعت دفاع الابطال المستميتين واقامت تعاني مضض الحصر ثمانية اشهر حتى اعيتها الحيلة فسلمت سنة ٢١٩ كل هذا ورومة تبحث في وجوب نجدة حليفتها او اهمالها حتى قطع الفتح حديثها. واما هنيبال فقد لوَّث صفيحة نصره بالقسوة البالغة شأن الفاتحين الأَقدمين الذين قلَّ منهم من رعى للمغلوبين حرمة بسالتهم وكانت غنائمهُ من المدينة المفتوحة عظيمةً جدًّا بحيث

امتلأَت منها ايدي العسكر وارسل من اطايبها الشيء الكثير الى قرطاجنة فدُهش لها الناس وصمت المتكلمون عليهِ وانحاز فريق من مقاومي سياستهِ الحربيَّة الى حزبهِ

واما الدولة الرومانيَّة فساءها الظفر القرطاجنيُّ وارادت ان تكفر عن معلها في نصرة حلفائها فارسلت تطلب من قرطاجنة ان تسلم اليها هنيبال قائدها الباسل فلما ابت إجابتها شهرت عليها الحرب فكان ذلك بدء الحرب البونية (الفينيقية) الثانية

ورأَى هنيبال ان يتخذ في هذه الحرب خطةً كبرى للقتال اذ اتجهت مطامعهُ الى فتح رومة ودكها الى الارض . فعبأَ جيشاً كثيفاً من الذين لم يمضِ على خضوعهم لدولتهِ الَّا الزمن اليسير . وبعث بشراذم من الاسبانيول لخفارة المتملكات الافريقيَّة ونهض في ربيع سنة ٢١٨ بجيش يناهز التسعين الفاً من المشاة واثني عشر الفاً من الفرسان وسبعة وثلاثين فيلاً وخرج من قرطاجنة الجديدة فعبر نهر الايبرو ونكَّل في طريقهِ ببعض القبائل النازلة في الشمال الشرقي من اسبانيا وكانت على جانب من الشجاعة ثم اجتاز جبال البيرنه التي تفصل اسبانيا عن فرنسا وهنالك صرف بعض الفرق الاسبانيَّة من عسكرهِ اظهاراً لثقتهِ بمن بقي وجعل على خفارة الجبل جنداً معقوداً عليهِ لهانو القرطاجني المشهور واندفع يقطع المراحل بين البيرنه ونهر الرون مسرعاً بمن بقي معهُ من الجند وعدتهم حوالا تسعة وخمسين الفاً ولما بلغ الرون وعلى ضفافهِ قبائل محالفة لرومة لم يعبأْ بها بل عبر النهر غير هيابٍ من بطشهم ومن بسالة جيرانهم الغالة وتجنب فرسان الرومان القائمين على قرب منهُ تحت امرة القائد الروماني المشهور كورنيليوس شيبيو الكبير الذي كان قد قدم بكتيبتهِ بحراً ونزل البر الغالي. وسار هنيبال بين نهري الرون وايزر حتى جبال الالب فصعَّد فيها واجتازها من الجانب الواحد الى الآخر . وقد اختلف رواة اخبارهِ في تحديد الموضع الذي اختارهُ مجازاً وكان الوقت خريفاً والعواصف شديدةً فزادت متاعب الجند واحتملوا من العناء اشدَّهُ في مدى خمسة عشر يوماً قضوها في تسلُّق الجبال والانحدار منها حتى اذا بلغوا الحضيض لقوا الامرَّين من خيانة قبيلةٍ غاليَّة يقال لها سانرونس الآن همة القائد العظيم كانت كفاء الحاجة وبحسن تدبيرهِ حبطت مساعي الهاجمين وتيسرت اسباب النقل من فوق تلك الحطام ولكن الجيش الذي احتمل العناء الشديد خسر الخسائر الفادحة اذ لم يسلم منهُ الَّا عشرون الفاً من المشاة وستة آلاف من الفرسان

وكان قد سبق لهنيبال ان عاقد بعض القبائل النازلة وراء الالب على عصيان الدولة الرومانية فلما اجتازت جنودهُ الجبال شقوا عصا الطاعة وانضموا الى القرطاجنيين وزحف بهم في جملة عسكرهِ الى مدينة كانت تناصبهم العداء يُقال لها تورينيوم وهي تورين الحاليَّة فملكها

وكان شيبيو الكبير قائد الرومان لمّا فاتهُ نزال هنيبال في الجانب الغربي من الالب قد عاد فركب البحر ونزل البر في شرقي الالب ليمنع القرطاجنيين من التقدم فلقيهُ هنيبال وجمع فرسان جندهِ وخطب فيهم خطاباً حماسياً فاندفعوا على الرومان وكسروهم كسرةً هائلةً ردتهم على اعقابهم حتى مدينة بلاسنزيا وهي بياسنزا الحالية

وحدث ان قائداً رومانياً آخر يقال لهُ سمبر ونيوس قدم بجيشهِ من صقلية ولم يلحق بفل شيبيو الى المدينة المحصنة فلقيهُ القرطاجنيون وعليهم ماكو شقيق هنيبال فوضعوا له كميناً اجلى عن انكسار الرومان كسرةً هائلةً ذهبت بمعظم جيشهم ولم يبقَ منهُ الاَّ نفر قليل

فلما رأى رجال الدولة الرومانية ان هنيبال احرز الظفر في كل المواقع نهضوا للدفاع عن حوزتهم وارسلوا سرڤيليوس وفلامينيوس اللذين انتخبوهما قنصلين ليذودا عن اومبريا واتروريا لانهم حسبوهما عرضةً لهجوم هنيبال فاختار لاجتياز جبال الابنيين منفذاً غربياً فكان مروره فيهِ محفوفاً بالمصاعب والمتاعب حتى انهُ لم يسلم لهُ من فيلتهِ الاَّ فيل واحد ثم عبر السباخ المجاورة ارنو ولقي فيها اشد الاهوال ومن انكاها ان فقيئت احدى عينيهِ . ولكنهُ مرَّ بمدينة اريتيوم (اريزو) وكان القائد فلامينيوس مخيماً فيها بعسكرهِ فلما علم بمرورهِ نهض لملاقاتهِ ونزل في مضيقٍ بين كورتونا وبحيرة بيروجيا فباغتهم القرطاجنيون بالهجوم من الامام والوراء في وقت واحد ووقع القتال فقتل من الرومان كثيرون وغرق آخرون في البحيرة واضطر الباقون الى التسليم اما قائدهم فراح قتيلاً وبعد انتهاء الموقعة وصل ساحة الوغى اربعة آلاف فارس روماني ارسلهم سرڤيليوس لنجدة رفيقهِ فلاقيهم القرطاجنيون واذاقوهم الكاس التي شربها رفاقهم

يومئذٍ صدق حدس هنيبال من ان الظفر لمن يضرب الضربة الصائبة اولاً لانهُ حتى ذلك الحين لم يكن الاَّ منصوراً على ان الرومان تتابعت عليهم اخبار انكسارهم فهلعت قلوبهم على شدتها واصبحوا يوجسون خوفاً حاسبين هنيبال قد صار على قيد اصبع من عاصمتهم واكثروا من التحدث في ذلك حتى ضرب المثل اللاتيني بما تعريبهُ هنيبال على الابواب يقال لمن يحذر خطراً قريباً

ولكن الخطر متى دنا من مثل الرومان همةً وبسالةً يستنهضهم لاجهاد النفس في دفعهِ فاقرّت ندوتهم العليا (السناتو) على عقد الامارة الكبرى لفابيوس مكسيموس وعلى تحصين رومة

كان هنيبال عارفاً بمقام الرومان من البسالة والدربة وانهم قوم اذا استماتوا عزَّ عليهِ ان ينال منهم ارباً فعزم ان يستبدل القوة بالحيلة والدسيسة بحيث يستنفر الخاضعين لرومة وحلفائها ويسعى باخراجهم عن طاعتها قبل ان يحمل عليها . وعلى ذلك زحف الى بينوم وشرع يعيث في البلاد قتلاً ونهباً وخراباً لان سكان ذلك القطر كانوا من اشد الناس لرومة

فلما علم فابيوس بما كان برز من العاصمة بجيشهِ الكثيف وقصد لقاء الظافر ولكنهُ لم يسر اليهِ حثيثاً بل زميلاً حتى لقبهُ الناس كونكتاتور اي البطيء. ولما صار على مقربة منهُ شرع يتبعهُ كظلهِ ويضرب في اقفية عسكرهِ كلما سنحت الفرصة ويقف في سبيل تطرقهِ الى الايذاء ولكنهُ يجتنب الموقعة الفاصلة . فكان عملهُ هذا مفيداً لرومة اذ اتسع لها الزمن الذي تقتدر فيهِ على تعبئة الجيوش واعداد الميرة والذخيرة

وكانت حنكة القائدين ودربتهما عظيمة تتعادلان في كثير من شؤُونهما اعتبر ذلك بما كان من القائد الروماني حين رأَى ذات مرةٍ ان عدوهُ واقف بجيشهِ في مضيق بين الجبال فاحاط بهِ من كل جهةٍ وضيّق عليهِ غير ان هنيبال كان كفؤً الخطوب فانبرى واستحضر الفي ثور وربط على قرونها خشباً واوقفها في الليل الداجي فوق مرتفع من الجبل ثم اشعل الخشب فظن الرومانيون ان العدو يقتحمهم على غرةٍ فافرجوا عن بعض مواقعهم وتم للقرطاجنيين ما اراد قائدهم

الاّ ان تأني فابيوس لم يكن مقبولاً لدى رجال دولتهِ ولا امراء جيشهِ فحدث ذات مرةٍ انهُ كان غائباً فلاحت لقائد فرسانهِ مينوشيوس فرصة منازلة العدو ففعل ونال بعض الظفر فسرّت رومة بفعلتهِ واشركتهُ مع فابيوس في الامارة الكبرى فطفر سروراً وحملتهُ الجسارة على اغتنام فرصةٍ اخرى حمل فيها على الاعداء فاثخنوا فيهِ وكاد يبيد جيشهُ لولا اسراع فابيوس لنجدتهِ

ورأَى هنيبال ان مقامهُ في بلاد العدو محفوف بالاخطار فكتب يستحث حكومتهُ على ارسال المدد ولكن اعداءهُ عارضوهُ بان لا حاجة للنجدة وهو ظافر منصور وصادفت معارضات خصومهِ قبولاً لان يد قرطاجنة كادت تقصر عن المزيد لاسيما وان اسدروبال اخا هنيبال كان على امرة جيش كثيف في اسبانيا يحارب بعوث الرومان اليها بقيادة الاخوين من آل شيبيو

فظلَّ هنيبال تهملهُ حكومتهُ وهو قائمٌ على امرتهِ يدبر امرهُ بنفسهِ فرأَى من الضرورة ان يضرب الرومانيين ضربةً فاصلة تهدم اركان حلقتهم وتضعف قواهم وما لبث ان سنحت لهُ الفرصة اذ وقع الاختيار سنة ٢١٦ على تورنتيوس فارو قنصلاً واميراً للجيش وكان جسوراً متهوراً وكان هنيبال نازلاً في سهلٍ خصيب قرب كانيا على ضفاف نهر اوفانتو وتحت امرتهِ خمسون الفاً من الابطال وكان عدد الجيش الروماني ثمانين الفاً وعليهم فارو المذكور وقائد آخر اسمهُ اميليوس باولوس فلما وقع النزال احتدم من الحرب ايّ احتدام واظهر هنيبال من المهارة في الترتيب والتدبير ما لا يعرفهُ القائدان الرومانيان وخدعهما خدعاً كثيراً ورماها بنخبة فرسانهِ الابطال فاثخن في العدو قتلاً وجرحاً حتى هلك الجيش الروماني اوكاد وبلغت عدة قتلاهُ

خمسين الفاً على قول وسبعين الفاً على قول آخر من جملتهم القائد اميليوس باولوس وكثيرون من الاعيان والابطال ولم ينجُ من الرومان الاَّ بضعة رجال فيهم فارو فلم يكن من ندوة البلاد الاَّ ان شكرت همتهُ واثنت على بسالتهِ قائلةً ان الجمهورية لا تقنط فادرك هنيبال من هذا القرار ان الرومان قومٌ اباسل لا يقنطون من النجاح ولذلك ابى العمل برأْي ابيهِ في وجوب الحملة سريعاً على رومة واقام في جنوبي ايطاليا حيثما استولى على مدينة كابو وعسكر فيها فاستهوت المدينة برخائها ورغيد عيشها ابطالهُ واضرَّت بنظامهم وجاءتهم الامراض فآذتهم

وكأَن نجم سعدهِ كان على وشك الافول لانهُ ما عتم ان توالت عليهِ الاحن اذ غلبهُ القائدان مارسلوس وفابيوس في نولا واتصلا الى حصر سيراكوسة والاستيلاء عليها لانها حالفت هنيبال فلما علم فيليب الثاني ملك مكدونيا بما صارت اليهِ عدل عن محالفة قرطاجنة

واما في اسبانيا فان القرطاجنيين كانوا قد ظفروا بعض الشيء وقُتل قائداهم ولكن شيبيو الصغير تقلد الامارة على الرومان وحارب وظفر باسترجاع ما خسر ابوهُ وعمهُ

واتصلت هذه الانباء بهنيبال وعلم ايضاً ان الرومان فتحوا صقلية وشرعوا يرسلون بعوثهم الى سواحل افريقيةَ يفسدون في ممتلكات قرطاجنة ولما علم الجند بذلك هلعت قلوبهم فسار بهم سنة ٢١٢ لفتح مدينة تارنتم ولكن الرومان كانوا من ورائهِ يفتحون المدن التي دانت لهُ وحصروا كابو وضيقوا عليها فلم يقوَ على رفع الحصار بل ترك العدو على عملهِ وزحف على رومة فبلغها سنة ٢١١ ولكنهُ لم يجنِ نفعاً لان الرومان كانوا اكفاء الخطوب وما لبثوا ان فازوا بامتلاك كابو وبصيانة تارنتوم وبالغلبة في موقعة هردونيا سنة ٢١٠ فاضطر ان يقوم على الدفاع ولم يظفر بعد ذلك بنصر يستحق الذكر الاَّ بالقاء مارسلوس القائد الروماني في كمين عند فنوسيا سنة ٢٠٨ حيث اودي بهِ . ولم يبقَ لهُ من املٍ الاَّ بالمدد الذي كان يتوقع وصولهُ اليهِ من اسبانيا حيث كان اخوهُ اسدروبال زاحف لنجدتهِ بجيشٍ كثيف الاَّ ان الرومان اعدّوا لهُ جنداً وعقدوا عليهِ لقائدين مشهورين هما ليفيوس وكلوديوس نيرو وكان ثانيهما في جنوبي ايطاليا يرصد حركات عدوهِ فاسرع السير الى حيث انضم الى زميلهِ ووقف كلاهما لاسدروبال ثم واقعاهُ سنة ٢٠٧ فكسراهُ كسرةً هائلة حطمت الجيش القرطاجني وخيبت آمال هنيبال لا سيما بعد ان رأى رأس اخيهِ ملقىً بين معسكرهِ بأمر الظافرين . الاَّ ان يأسهُ لم يعدمهُ الاهتمام بمتابعة القتال حفظاً لشرف دولتهِ فظلَّ محارباً في جنوبي ايطاليا حتى سنة ٢٠٣ حين استدعتهُ بلادهُ اليها فأسرع الكرَّة ليدفع طارئة العدو لان شيبيو الصغير كان قد دوَّخ اسبانيا وركب البحر الى افريقيةَ واتجه صوب قرطاجنة ليقيم الحروب العوان في عقر دارها

ولما وطئت قدماهُ بلادهُ بعد غيابٍ طويل شرع يكتّب الكتائب فتسنى لهُ حث السرايا من نخبة الفرسان واندفع بهم وبسائر الجيش على ماسينيا صاحب نوميديا الذي كان الرومان قد استمالوهُ وحالفوهُ على نصرتهم فضربهُ ضربةً هائلة ثم شرع يخابر شيبيو في المصالحة ولكن المساعي السلمية خابت وعادوا الى القتال فالتقوا سنة ٢٠٢ وكان جيش الرومان يومئذٍ اقل عددًا ولكنهُ اكثر دربةً وانتظامًا فانتصر

ومما يروى ويدل على تأثير الاوهام وسوء نتائجها ان الناس يومئذٍ كانوا يوجسون خوفًا من الظواهر الفلكيَّة زاعمين ان لها علاقة بالبشر وحكمًا في اعمالهم فلما كانت الوقعة كسفت الشمس فارتاع المستأجرة في الجيش القرطجني ووقع فيهم الرعب فكانت الغلبة لعدوهم وبها تمت مواقع الحرب البونية الثانية. واما رومة فقد اشترطت للصلح شروط الظافر فارتضتها قرطاجنة تخلصًا من وبال الحرب وكان هنيبال قذًى في عيون الرومان وشجيً في حلوقهم ولذلك سعوا منذ عقد الصلح فنالوا من حكومتهِ عزلهُ عن امارة الجيش فدخل الخدمة الادارية وبالنظر لسمو افكارهِ واقتدارهِ ما لبث ان ارتقى الى اعلى خططها واحدث في الادارة اصلاحاتٍ جمة في العدلية والملكية والمالية حتى اعاد الى الخزينة ما فقدت من الثروة وعطف بالسياسة الحكيمة الراشدة فاسترضى بعض الممالك وحالفها وكان يشدد النكير على مختلسي اموال الدولة ومحتكري مناجمها فناهضوهُ باشد العداء واوغروا صدر الرومانيين عليهِ حقدًا زاعمين انهُ يحمل ما يؤدي الى حربهم فبعثت رومة وفدًا الى قرطاجنة يسعى في قتلهِ فعلم وطلب النجاة بالفرار من بلادهِ الى صور ومنها سار الى بلاط انطيوخس الكبير ملك سورية وكان انطيوخس يتأهب لمحاربة رومة فحملهُ هنيبال على اعلان الحرب وكاد يظفر بمناهُ من الرومان لو لم يرَ انطيوخس ان يصغي الى مشورة رجالهِ الذين خافوا ان يسبقهم هنيبال الى فخر الظفر بما لهُ من سابق الشهرة فلم يعبأ بخطة هنيبال وهي ان يهاجم الرومان في عقر ديارهم بالاتحاد مع قرطاجنة ولا منحهُ قيادةً في جيشهِ المحارب بل امّرهُ على اسطولٍ سيّرهُ لفتح رودس فلم يفلح الاسطول بالرغم عن بسالة قائدهِ ولما غلب انطيوخس طلب الرومان اليهِ ان يسلم هنيبال وعلم هذا بطلبهم ففرَّ هاربًا الى الملك بروسياس صاحب بيثينيا وهناك حرض الملك على محاربة رومة ونال نصرًا في قتال عدوهِ صاحب برغاموس فلحق الرومان بهِ الى هناك وارسلوا فلامينيوس سفيرًا يطلبهُ من بروسياس فاذعن وامر بالقبض عليهِ لكن هنيبال شرب السم ومات حرًّا وكان ذلك سنة ١٨٢ ق.م

ر. ن

التقمص

لا يخفى ان الامم في حال بداوتها كانت تستفدح الموت ولا تفقه فيهِ معنى الفناء والاضمحلال التام بل لم تكن تفرق بين الموت والنوم والاغماء الَّا ان الموت يستغرق من الوقت اكثر مما يستغرقهُ النوم والاغماء

واذا وثقنا بشهادة ابي التاريخ هيرودوتس يكون المصريون اقدم الشعوب اعتقاداً بالخلود واول القائلين بمبدإِ التقمص . ومن عقائدهم ان النفس عند الموت تدخل جسم حيوان ومن ثم تنتقل منهُ فتتخذ اشكال جميع الحيوانات الارضية التي تعوم في المياه وتدب على الارض وتطير في الهواء وتعود بعد تطوافها هذا مدة ثلاثة آلاف سنة الى جسد الانسان الذي خرجت منهُ . وقد انبأنا فلوطرخس عن اعتقاد المصريين بوجود سلطنة اخرى للموتى تسمى امانتث يتسلط عليها اوزيرس تحت اسم سرابس ويؤيد هذا القول معظم النقوش المرسومة على توابيت الاجسام المحنطة . واذا تابعنا بورفيرس نقول انهُ كان للمصريين ايضاً صلاة يتوسلون بها الى الشمس والى غيرها من الالهة لتقبلهم بعد الموت مع جمهرة الالهة الخالدة

اما التقمص عند الهنود فعلى غير ما ذهب اليهِ المصريون واعتقدوهُ ذلك لان الهنود لم يشغلوا اشغال المصريين بالمحسوسات بل انصرفوا الى المباحث النظريَّة ولذلك البسوا مبدأ التقمص رداء روحياً فقالوا ان كل ما في العالم منبثق عن برهما وان الروح والجسد هما آخر ما ينبثق عنهُ وانَّ اتحاد النفس بالجسد سقوط من شأن النفس وحطة من مقامها الرفيع لان الشر يتطرق اليها من كل ما يلامسها من احوال هذه الدنيا واعمالها من الشعور والمسرات والآلام وتكون نهاية النفس ان تموت عن جميع هذه الاشياء وترتفع اخيراً بالتأملات وبالراحة المطلقة الى حضن الالهة حيث خرجت على ان وجود النفس في هذا العالم كان لتكفّر عما تكون قد ارتكبت في حياة سابقة فاذا لم ترتدع ويأخذها الندم وتهذَّب بالمعارف كما كان شأنها في الحياة الاولى يحكم عليها ان تمرَّ من جسدٍ الى آخر بالتتابع من الاعلى الى ما دونهُ ومن ثمَّ بعكس الامر فترتفع من الادنى الى الاعلى ذلك على قدر ما تكون النفس عليهِ من حالتي الخير والشر. وهذه الاقوال تعلمها فلسفة فيشكا وبموجب تعاليم فاداتا لا تكون النفس منبثقة عن برهما ولكنها جزءٌ منهُ او هي كشرارة من نار ملتهبة ليس لها ابتداء ولا انتهاء وما الموت والولادة الَّا غريبان عنها ولا تستطيع عمل شيء الَّا التردي اياماً بالرداء الجسدي وهي مع هذه الحالة تلقى عذاباً مرًّا وتخبط غضون تلك الايام في ظلمات الجهل وتخضع لحالتي الفضيلة

والرذيلة وتمرُّ بالتتابع في جميع الاجسام من كل الموجودات الالية من النبات حتى الانسان وليس لها ملجأٌ ينقذها من مخالب الألم ومواضع الهوان ويرجع بها الى حظيرة النفس العامة الاَّ العلوم المقدسة . وهذه العلوم لا تقوم فقط بتجرد الانسان من كل ارادةٍ بل بتجرده ايضاً من كل عاطفةٍ ومن كل وجود ذاتي وبذلك تسرع بالرجوع الى الله كسرعة النهر في انحدارهِ الى البحر

اما الفرس فخلاصة اعتقادهم مدوَّنة في كتب الزندافستا المقدسة وهي انهُ في اواخر الايام يكون يوم الحساب فتجتمع نفوس الموتى وتعود الى الاجسام التي كانت لها قبل الموت وبعد مناقشة الحساب تذهب كل نفس وجسدها اما الى الفردوس ان كانت صالحة لتتمتع معهُ بالنعيم الدائم واما الى الجحيم ان كانت طالحة لتلقى معهُ عذاباً مرّاً . على ان عذاب جهنم يبور الخطاة فيصعدون اخيرًا الى الفردوس حيث تكون الراحة والسعادة الابدية للروح والجسد معاً . وانك لتجد في هذا القول ذات المعنى الذي اعتقدهُ المصريون والهنود وان تراءى للناس في شكل جديد يباين الاشكال التي ظهرت فيها هاتيك الآراء وذلك المعنى وهو ملازمة الروح للجسد بعد الموت ووقوع العذاب او نيل السعادة لها معاً في العالم الثاني

ولقد روى البعض اخذًا عن التقليد ان مبدأ التقمص سار من مصر الى اليونان الاَّ ان هذا الرأي لا ينطبق في شيء على مرويات التاريخ الذي انبأنا ان اليونان اعتقدوا التقمص وقالوا بهِ زمناً طويلاً قبل ان امَّ مصر روَّادهم وقبل ان اتصلت علائق الشعبين . وللباحثين اراءٌ غير هذه وادلة كثيرة تؤيد ان التقمص وطني في بلاد اليونان لم ينزح اليها من مصر والهند لما في اقوال الامتين من التباين مما يحكم ببعد الصلة بينهما وان عقيدة كلٍّ منهما نشأة ارضها . وكيف كان اصل هذه العقيدة والبلاد التي صدرت منها فانا نعلم ان هذه الامة ابرزت مبدأ التقمص في شكل ينطبق على قرائح اهلها ويلائم حالهم من الحضارة والعرفان لاسيما وان فيثاغورس حاكهُ على منوال جديد اقصاهُ بهِ عن آراء حكماء الكنج القائلين بتطواف النفس في جميع اجساد الموجودات والحاصرين تكيفاتها ضمن الحياة الحيوانية ولا حكم عليها حكم كهان المصريين في وجوب دخولها في اول جسم تلقاهُ عرضاً بعد فراقها الجسد بل جعل لذلك الاتحاد شروط الموافقة وحكم بوجوب المطابقة بين النفس والجسد الذي تتقمص فيهِ وقال ان الاشقياء يتيهون في قفار الترتر حيث ترتعد فرائصهم وتهلع قلوبهم لاستمرار قصف الصواعق ودوام دويها وعكس ذلك الصالحون يقيمون في اعلى مكان من العالم يتمتعون فيهِ بالسعادة والنعيم

واتبع افلاطون خطة فيثاغورس وحاول ادعامها بالادلة التي ترفع بها الى مقام النظريات الفلسفية ووافق فيثاغورس برجوع النفس الى الحياة بعد الموت وانها في تضاعيف تلك المدة تقوم في جهنم زهاء الف عام . ولم يذكر الخلود في عرض الكلام عن مبدإ التقمص الذي اتبع فيهِ سنة التقليد ولكنهُ المع في خلال ذلك الى ان الخلود الروحي مخصص للفلاسفة دون سواهم ومع ذلك لم يتبع مذهب فادانتا القائل ان نفوس الحكماء تستغرق في الله وتعيش معهُ وتشاركهُ في نقاوتهِ وسعادتهِ وحكمتهِ

والقول بالتقمص لم يمت لموت افلاطون وانما جرى على سنة الارتقاء فازداد اتساعاً وعمَّ انتشاراً حتى اراد زعماء مدرسة الاسكندرية مزج الفلسفة اليونانية بالتعاليم الشرقية. اعتبر بما كتبهُ بورفيرس الصوري في هذا المعنى ومما قالهُ مأخوذاً عن اليونان من ان النفس وجدت في عالم سابق وانها ارتكبت هنالك من المنكرات ما اوجب عليها اتخاذ لباسها الجسدي في هذا العالم تكفيراً لسيئاتها السابقة . الاَّ انهُ لم يذكر شيئاً عن دخولها في اجسام الحيوانات الاخرى

واليك رأياً آخر في التقمص وضعهُ اهل التقليد (القابلون) من اليهود قالوا ان النفس كغيرها من الخلائق في هذا العالم من خصائصها الرجوع الى الجوهر الالهي ولكي يتم لها هذا الرجوع يجب عليها ممارسة كل الكمالات التي تكون بزورها موجودة فيها بطبيعتها واذا لم يتهيأ لها استيفاء هذه الشرائط في الحياة الاولى فانها تقوم بها في حياة ثانية ومن ثم يليها حياة ثالثة لها شؤون ووسائل جديدة لتحصيل ما فاتها من الفضائل ابَّان الحياتين السابقتين على ان هذا المنفى تقصر مدتهُ حين تنال كفاءتها من التطهير وممارسة الفضائل وتصلح لاتحادها مع الله . وهنا نرى جماعة اهل التقليد اتبعوا رأي بورفيرس في حصر التقمص ضمن الحياة الانسانية

وشاع هذا الرأي عند الاسرائيليين فاعتقدوهُ مع الاعتقاد بقيامة الموتى وقالوا بهما زمناً طويلاً وسار منهم الى النصارى مع خلو المسيحية وتعاليم الكنيسة من اشباه هذه العقائد ولكنها اتصلت بجماعة من النصارى من تعاليم اليهود والوثنيين يؤيد ذلك رسالة القديس ايرونيموس الى ديمتريادس حيث قال فيها ان مبدأ استحالة النفوس ظلَّ زمناً طويلاً يعتقد بهِ النصارى الاولون وان ادريانوس بسط هذا المبدأ في كتاباتهِ وفسَّر بهِ بعض آيات التوراة من مثل عراك يعقوب وعيسو قبل ولادتهما واختبار ارميا وهو في بطن امهِ وغير ذلك مما اوَّلهُ بوجود النفس في عالم سابق لعالمنا. وفوق هذا ان نفراً من الكهنة الاسكندريين ادخلوا مبدأ التقمص في تفسيرهم لسفر التكوين اذ قالوا ان الله لم يخلق العالم لاظهار قوتهِ وتمجيد اسمهِ وانما قصاصاً للنفوس التي اخطأت في السماء

وجملة القول ان الاعتقاد بمبدإ التقمص وجد عند كل الامم القديمة ولكن وجوده كان تابعاً لحالة الامة من الحضارة والعرفان فتراه عند اليونان والهنود والفرس وغيرهم من الامم الراقية قد اتخذ الشكل الفلسفي وعند غيرهم من الشعوب الضاربة في البداوة مجرداً عن المبادئ النظرية يخالطهُ من الاساطير الواهية والحكايات الموضوعة ما ينطبق على عقول تلك الاقوام . اعتبر ذلك باعتقادات العرب في التقمص زمن الجاهلية فقد قالوا بهِ في ابسط وجوههِ من مثل حكاية الهامة فكانوا يقولون ليس من ميت يموت ولا قتيل يقتل الأ ويخرج من رأسهِ هامة فان كان قتل ولم يؤخذ بثأرهِ نادت الهامة على قبرهِ اسقوني فاني صدئة . وورد في مروج الذهب للمسعودي ان من العرب من يزعم ان النفس طائر ينبسط في الجسم فاذا مات الانسان او قتل لم يزل يطيف بهِ مستوحشاً يصدح على قبرهِ ويزعمون ان هذا الطائر يكون صغيراً ثم يكبر حتى يكون كضرب من البوم وهو ابداً مستوحش و يوجد في الديار المعطلة ومصارع القتلى والقبور وانها لم تزل عند الميت ومخالفهِ لتعلم ما يكون بعده فتخبره اه قال مغلس الفقعسي

وان اخاكم قد علمت مكانهُ بسفح قبا تسفي عليه الاعاصرُ
لهُ هامة تدعو اذا الليل جنها بني عامر هل للهلالي ثائرُ

ولهم حكاية اخرى في التقمص وهي البلية اي الناقة التي تعقل عند قبر صاحبها ليحشر عليها راكباً وكان اذا مات منهم كريمٌ بلوا ناقتهُ او بعيرهُ فوكسوا عنقها وادارول رأسها الى مؤخرها وتركوها في حفرة لا تطعم ولا تسقى حتى تموت وربما احرقت بعد موتها وربما سلخت وملئ جلدها ثماماً وكانوا يزعمون ان من مات ولم يبل عليهِ حشر ماشياً قال بعضهم

ولعل لي مما جمعت مطية في الحشر اركبها اذا قيل اركبوا

وقال آخر يوصي ابنهُ

ابنيَّ زودني اذا فارقتني في القبر راحلةً برحلٍ فاترِ
للبعث اركبها اذا قيل اظعنوا مستوسقين معاً لحشر الحاشرِ

وقال عويمر النبهاني

ابنيَّ لا تنسَ البليَّة انها لابيك يوم نشورهِ مركوبُ

وكما اخذت الفلسفات والاديان في الارتقاء والنمو اخذ العقل في الاعتلاء عن السفاسف والتخرصات واخذ مبدأ التقمص في التقلص والانمحاء والظهور في شكل روحي اخر كما سبق الايماء

الاَّ ان القول بالتقمص على اشكالهِ المختلفة عند الامم القديمة لا يضاد المبدأ الروحي وانما يعززهُ حيث ان من مبادئ التقمص الاساسية الفصل بين الروح والجسد والحكم على الجسد بالانحلال وعلى الروح بالخلود والبقاء ولم يشوه ذاتية النفس بشيء بل ميزها عن سائر المخلوقات بخصائص حرية الارادة وانها مسؤولة عن اعمالها م · ن

الحروب ومعداتها

اجتمع نوَّاب الدول في مؤتمر السلم هذا الصيف وكأَنهم في مؤتمر الحرب لانهم لم يتفقوا الاَّ على ما يجب فعلهُ زمن الحروب ممَّا يدفع الخسارة عن اهل التجارة · ولا يزال المنتفعون من الحروب ومعداتها ينادون ان الاستعداد للحرب انفى لها . يداوون العلَّة بمثلها على حد قول ابي الطيب " وربما صحَّت الاجسام بالعللِ "

وقفنا منذ شهر من الزمان في معمل ارمسترنج في منشستر حيث تصنع المدافع الكبيرة وسائر ادوات البوارج الحربيَّة ورأينا الوف العمال يرممون و يسبكون و يخرطون ويثقبون وهم خمسة آلاف عامل لا تقلُّ اجورهم عن الف جنيه في اليوم يعملون في معمل مساحة سطحهِ اربعون فدانًا ولا يقلُّ ربى الاموال التي أُنفقت على تشييدهِ عن الف جنيه اخرى في اليوم · فهذه الفا جنيه تنفقها شركة ارمسترنج كل يوم سواءٌ عملت اولم تعمل · أفلا تبذل كل مرتخص وغالٍ على ترويج بضاعتها لكي تكتسب ما يقوم بهذه النفقات و يزيد عليها · وقس على ذلك كل صانعي الاسلحة وملابس الجنود والقوَّاد والضباط وكل المنتفعين من الحروب وتعبئة الجنود فان كل هؤُلاء سبيلهم الحث على الاستعداد للحرب · ويتلوهم او يأْتي قبلهم الذين يدينون الاموال للمالك لكي تنفقها في حروبها ثم تعطيهم رباها مسانهةً فيعيشون بالراحة والرفاهة واموالهم تدرُّ عليهم مايكفيهم و يزيد

انشأَ بعضهم مقالة مسهبة في المجلة العسكريَّة المعروفة باسم " يونيتِد سرفس " طالعناها ونحن راجعون من اوربا في الشهر الماضي وقد بيَّن كاتبها ان انكلترا خسرت في حروبها في مئة سنة منذ سنة ١٧٩٣ الى سنة ١٩٠٢ سبع مئة الف نفس ونحو ١٢٦٣ مليون جنيه كما ترى في هذا الجدول

حروب نبوليون	من سنة ١٧٩٣ — ١٨١٥	خسرتها ...	٨٠٠٠٠٠٠٠٠ جنيه
حروب برما الاولى	« « ١٨٢٤ — ١٨٢٦	«	١٣٠٠٠٠٠٠ «
حرب الكفرة الاولى	« « ١٨٣٤ — ١٨٣٦	«	٨٠٠٠٠٠ «

الحرب		المدة		الخسارة	
حرب كندا	من سنة	١٨٣٧ — ١٨٤١	خسرتها	٠٠٢ ٠٩٦ ٠٤٦	جنيه
حرب الافغان الاولى	" "	١٨٣٤ — ١٨٤٢	"	٠١٥ ٠٠٠ ٠٠٠	"
حرب الصين الاولى	" "	١٨٤٠ — ١٨٤٣	"	٠٠٢ ٠١٢ ٠٢٨	"
حرب الكفرة الثانية	" "	١٨٤٦ — ١٨٥٢	"	٠٠٢ ٠٦٠ ٠٠٠	"
حرب برما الثانية	" "	١٨٥٠ — ١٨٥٣	"	٠٠٣ ٠٠٠ ٠٠٠	"
حرب القرم	" "	١٨٥٤ — ١٨٥٦	"	١٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠	"
حرب الفرس	" "	١٨٥٧	"	٠٠٠ ٩٠٠ ٠٠٠	"
حرب الفتنة الهندية	" "	١٨٥٧ — ١٨٥٨	"	٠١٠ ٠٠٠ ٠٠٠	"
حرب الصين الثانية	" "	١٨٥٦ — ١٨٦٠	"	٠٠٦ ١١٤ ٥٨٩	"
حرب الموري	" "	١٨٦٠ — ١٨٦٦	"	٠٠٠ ٧٦٤ ٨٣٩	"
حرب الحبشة	" "	١٨٦٧ — ١٨٦٨	"	٠٠٨ ٣١٨ ٤٩٩	"
حرب عصيان ريل بكندا	" "	١٨٧٠	"	٠٠١ ٤٠٠ ٠٠٠	"
حرب الاشنتي الاولى	" "	١٨٧٣ — ١٨٧٤	"	٠٠٠ ٩٣٥ ٠٠٠	"
حرب الزولو	" "	١٨٧٩	"	٠٠٥ ٠٠٠ ٠٠٠	"
حرب الافغان الثانية	" "	١٨٧٨ — ١٨٨٠	"	٠١٨ ٠٠٠ ٠٠٠	"
حرب جنوبي افريقية	" "	١٨٧٤ — ١٨٨٣	"	٠٠٢ ٧٧٧ ٧٢٠	"
حرب الترنسفال	" "	١٨٧٩ — ١٩٨٠	"	٠٠١ ٥٠٠ ٠٠٠	"
حرب بوشانالند	" "	١٨٨٤ — ١٨٨٥	"	٠٠٠ ٧٢٥ ٠٠٠	"
حرب السودان	" "	١٨٨٤ — ١٨٨٩	"	٠٠٨ ٠٠٠ ٠٠٠	"
حرب برما الثالثة	" "	١٨٨٥ — ١٨٩٢	"	٠٠٥ ٠٠٠ ٠٠٠	"
حرب المتابيل	" "	١٨٩٣ — ١٨٩٤	"	٠٠٠ ٤٥٠ ٠٠٠	"
حرب شترال	" "	١٨٩٥	"	٠٠١ ٥٠٠ ٠٠٠	"
حرب الاشنتي الثانية	" "	١٨٩٦	"	٠٠٠ ١٢٠ ٠٠٠	"
حرب الصومال	" "	١٩٠٠ — ١٩٠٣	"	٠٠٤ ٠٠٠ ٠٠٠	"
حرب الاشنتي الثالثة	" "	١٩٠٠	"	٠٠٠ ٤٠٠ ٠٠٠	"
حرب جنوبي افريقية	" "	١٨٩٩ — ١٩٠٢	"	٢٥٠ ٠٠٠ ٠٠٠	"
والمجموع				١ ٢٦٢ ٨٦٣ ٧١١	

لكن الكاتب استهان بهذه الخسارة وقال ان السلم خسّر البلاد الانكليزيَّة اكثر مما خسرتها الحرب لانهُ هاجر منها منذ خمسين سنة الى الآن نحو سبعة ملايين نفس وقد اخذوا معهم من النقود ما يساوي ٢٣١ مليوناً من الجنيهات واذا فرضنا ان البلاد تخسر بكل رجل يهاجر منها ٢٥٠ جنيهاً وفرضنا ان ربع هؤلاء المهاجرين رجال فقد خسرت البلاد الانكليزيَّة بمهاجرتهم منها اكثر من ١٣١٤ مليوناً من الجنيهات مع ان حروبها في مئة سنة لم تخسرها سوى ١٢٦٣ مليوناً ولذلك فخسائر السلم اكثر من خسائر الحرب . وقد فاتهُ ان خسائر الحرب لا تقتصر على ما يُنفق من الاموال ولا على ما ينفقه الفريق الواحد من المتحاربين دون الآخر . فان كان الانكليز قد خسروا بحروبهم ١٢٦٣ مليوناً فخصومهم خسروا مقدارها او اكثر منها فضلاً عما حلَّ ببلادهم من الخراب والدمار وفضلاً عما خسره المتحاربان من النفوس. وفاتهُ ايضاً ان الذين هاجروا من البلاد الانكليزيَّة لم تخسرهم الدنيا كما تخسر الذين يقتلون وانما هم قد انتقلوا من بلاد ضاقت بهم الى بلاد واسعة عمَّروها وتكاثروا فيها واستثمروا خيراتها. والاموال التي اخذوها معهم لم تضع بل زادت في البلاد التي انتقلوا اليها لا سيما وان اكثرهم انتقل الى اميركا وهم مصدر نموها وغناها

ونشر المسترسند في مجلة المجلات الانكليزيَّة رسوماً تدلُّ على ما انفقتهُ الدول الاوربيَّة الكبرى واميركا واليابان على الاستعداد للحرب في هذا العام او العام الماضي ونسبتهِ الى ما انفقتهُ قبل ذلك بعشر سنوات . وقد مثلنا هذه النفقات بالخطوط السوداء على الصفحة التالية وهي قسمان الاول يدلُّ على النفقات الحربيَّة البحرية في سنة ١٨٩٧ وسنة ١٩٠٧ والثاني على النفقات الحربيَّة البريَّة في سنة ١٨٩٧ و١٩٠٧ ويمكن الدلالة على ذلك بملايين الفرنكات كما ترى في الجدولين التاليين

النفقات الحربيَّة البحريَّة الآن ومنذ عشر سنوات

بريطانيا	٥٤٥ (١٨٩٧)	٨٣٩ (١٩٠٧)	فالزيادة	٢٩٤	مليون	فرنك
الولايات المتحدة	١٥٤ (١٨٩٧)	٥٣٦ (١٩٠٧)	«	٣٨٢	«	«
المانيا	١٠٩ (١٨٩٦)	٣٣٣ (١٩٠٦)	«	٢٢٤	«	«
فرنسا	٢٥٥ (١٨٩٦)	٣١٢ (١٩٠٦)	«	٠٥٧	«	«
روسيا	١٥٩ (١٨٩٧)	٢٣٩ (١٩٠٧)	«	٠٨٠	«	«
اليابان	١٤٠ (١٨٩٧)	٢٠٦ (١٩٠٧)	«	٠٦٦	«	«

نسبة النفقات الحربية البحرية سنة ١٩٠٧ و١٨٩٧

بريطانيا | اميركا | المانيا | فرنسا | روسيا | اليابان | ايطاليا | النمسا

نسبة النفقات الحربية البرية سنة ١٩٠٧ و ١٨٩٧

المانيا | روسيا | فرنسا | بريطانيا | النمسا | ايطاليا | اميركا | اليابان

ايطاليا	٩٩	(١٨٩٧)	١٣٩	(١٩٠٧)	«	٤٠	«	«
النمسا	٢٨	(١٨٩٦)	٣٣	(١٩٠٦)	«	٠٤	«	«

النفقات الحربيَّة البريَّة الآن ومنذ عشر سنوات

المانيا	٧٩٩	(١٨٩٧)	١٠٧٧	(١٩٠٧)	فالزيادة	٢٧٨	مليون	فرنك
روسيا	٧٥٦	(١٨٩٧)	١٠٤٧	(١٩٠٧)	«	٢٩١	«	«
فرنسا	٦٤٦	(١٨٩٦)	٠٧٢٣	(١٩٠٦)	«	٠٧٧	«	«
بريطانيا	٤٥٤	(١٨٩٧)	٠٧٤٥	(١٩٠٧)	«	٢٩١	«	«
النمسا	٣٦٧	(١٨٩٧)	٠٤٧٢	(١٩٠٧)	«	١٠٥	«	«
الولايات المتحدة	٢١٤	(١٨٩٧)	٠٤٥٦	(١٩٠٧)	«	٢٤٢	«	«
ايطاليا	٢٣٥	(١٨٩٦)	٠٢٨٦	(١٩٠٦)	«	٠٥١	«	«
اليابان	١٦٥	(١٨٩٧)	٠٢٨٥	(١٩٠٧)	«	١٢٠	«	«

فقد كانت النفقات الحربيَّة البحريَّة كلها منذ عشر سنوات نحو ١٥٠٠ مليون فرنك فصارت الآن اكثر من ٢٦٠٠ مليون فرنك فزادت نحو ١١٥٠ مليون فرنك او نحو ٤٥ مليون جنيه

وكانت النفقات الحربية البرية ٣٦٣٦ مليون فرنك فصارت الآن نحو ٥٠٩١ مليون فرنك اي زادت ١٣٥٥ مليون فرنك اي نحو ٥٤ مليون جنيه

فهذه الممالك الثمان تنفق الآن على جيوشها البرية نحو ٥٠٩١ مليون فرنك وعلى بوارجها وجيوشها البحرية ٢٦٣٦ مليون فرنك والجملة نحو ٧٧٠٠ مليون فرنك او اكثر من ٣٠٠ مليون جنيه في السنة . وقد نظر لورد افري الى ذلك فقال ان اوربا تعبد الآن اله الحرب . وعندنا انها تعبد اله الكسب فاذا وجدت السلم اربح لها اتبعتهُ واذا وجدت الحرب اربح اتبعتها . واذا قلنا اوربا لم نعنِ الزارع والصانع بل ارباب الاموال والاعمال واصحاب المناصب العالية الذين تعز بالحرب مناصبهم او تزيد ارتفاعاً . وكل من يحاول ابطال الحرب ولا يضرب على يد هؤلاء ويفضح امرهم يكون كالضارب في حديد بارد والكاتب على صفحات الماء

الرحلة الحديثة

تمهيد

هذه رسائل كتبتها في رحلتي الاخيرة الى اوربا في الصيف الماضي ونشرت تباعاً في المقطم وقد اعدت نشرها هنا بعد تنقيحها وسأضيف اليها فصولاً اخرى لم تنشر قبل اصف بها بعض المكاتب والمعامل والمتاحف التي شاهدتها

(١) التل والقنال

كتبت تجاه كريت

قد ترى بلاداً وسيعة وبحراً خضماً ومدينة غاصة بالسكان فلا تفقه لشيء ولا يرتسم في ذهنك غير صورها التي تراها. بل قد يقع نظرك عليها وانت لاهٍ عنها تهدس في شيء لا علاقة لهُ بها حتى اذا سئلت عنها انكرت انك رأيتها . وقد تنظر شجرة او حجراً او بناء او شيئاً آخر من الاشياء الطبيعيَّة او الصناعيَّة فتمر في ذهنك سلسلة من الحوادث وفصول من التاريخ تشغلك عن كل ما حولك كأنك تقرأ كتاباً نفيساً تختلب مباحثهُ الالباب . وهذا ما جرى لي في اليوم الاول من هذه الرحلة

قمنا من محطة العاصمة اول امس (٢٥ يونيو ١٩٠٧) وودعنا الاهل والصحب ومرت بنا البلاد تدور كالرحى وتطوى طي السجل وقد احصد القمح وعلا القطن وبشر بخير واسع تنفرج بهِ الازمة المالية الحاضرة ويقصر حبل المرابين الذين انتهزوا هذه الفرصة السانحة فاعطوا المئة بمئتين . غبن فاحش لم نسمع بمثلهِ ولا ذكرت التواريخ ما يضاهيهِ . وبينما نحن غافلون عما يمر بنا نفكر في ما تفضي اليهِ هذه الحال اذا استمر تضييق البنوك على الذين خدعهم السماسرة لاحت لنا مقبرة التل الكبير ثم الغابة الغيضاء التي زرعت بعدها لتلطيف هواء الصحراء على رفات الذين ختموا بدمهم العصر الغابر وافتتحوا العصر الحاضر . لكن الزمان لم يدمف ابناء هذا القطر حتى تحت الثرى فاني التفتُّ يمنة ويسرة لأرى رمساً من رموسهم فلم ارَ ما يدل عليها فقلت

مدافن المفتدين الاهلَ والوطنا ولا ضريحاً ولا نعشاً ولا كفنا
أيعلم القوم ممن زرعهُ نضرٌ والنيل يرويهِ لا مناً ولا ثمنا
والعدل والكلُّ في قسطاسهِ شرَعٌ والناس راضون ان سراً وان علنا

أن الدماء التي التلّ الكبيرَ سقت محت مظالمَ قاوى عهدُها الزمنا

من حين ذُكرت مصر في التاريخ او عُرفت اخبارها من آثارها منذ سبعة آلاف سنة وهي خاضعة للاجانب . دخلها الغزاة من اسيا فتسلطوا عليها ونشأت منهم الدول المصرية القديمة ثم اجتاحها ملوك اشور وجاء بعدهم اليونان فالرومان ثم العرب والشراكسة والترك والى الآن حكامها من غير اهلها . ولم تكن الثورة العرابيَّة لرد البلاد الى سكانها الاصليين ولا جاء الاحتلال ليؤيد سلطة الاجانب عليها ولا كانت لهُ الغاية التي وصل اليها بعدئذٍ . ومهما كانت غايتهُ فلا شبهة في انهُ صار الآن أميل من كل سلطة سبقتهُ الى تحرير الوطنيين وترغيبهم في ادارة شؤون بلادهم واقامة العدل في البلاد واعطاء السلطة للقانون . فكأن الثورة العرابية التي خُتمت في التل الكبير بدماء الوف من المحاربين قضت على العصر الغابر . واذا افضى هذا الاحتلال الى صيرورة سكان مصر امة واحدة مستقلة محالفة للدولة البريطانية كامة الترنسفال فيكون قد انال البلاد اسمى ماتطلبهُ من الغايات ويليق بها حينئذٍ ان تنصب في التل الكبير اعظم تذكار لابنائها الذين ختموا العصر الماضي بدمائهم

جالت هذه الخواطر ببالي في لحظة من الزمان كاني اقرأها سطوراً في لوح القدَر ثم مررنا امام الحرجة الكثيفة التي غرسها بردوُد باشر نظارة المالية لتكون مثالاً لزرع الحراج في القطر فذكرتني ما قرأتهُ عن الحراج الكبيرة التي كانت تبنى منها الاساطيل السلطانية ولكنها نضبت بفساد الاحكام كما نضبت كل ينابيع الثروة فقلت ترى هل تعاد الحراج الى هذا القطر أو ليس الارض بدونها اجود قطناً واكثر ريعاً — هذه مسألة لا تحلّ الّا بالبحث والامتحان والمستقبل بذلك كفيل

وظلّ القطار ينساب بنا في تلك السباسب الى ان اشرفنا على القنال الذي فصل القطرين ووصل البحرين فأضرّ الاقارب وافاد الاباعد

لم تزلْ مصر دولة الأحاولت ان تصل البحر المتوسط بالبحر الاحمر إما مباشرة وإما بواسطة النيل . وافلح بعضها فسارت سفن التجار تمخر في النيل وتنتقل منهُ الى البحر الاحمر وتسير فيهِ الى الشرق الاقصى لجلب بضائع الهند والصين ولكن لم يمرج البحران الّا في هذا الزمان . وكأني أرى روح دولسبس ترفّ فوق تمثالهِ المنصوب حارساً للقنال وترى سفن اوربا واميركا كالمدن الكبيرة الطافية على وجه الماء وبوارج اليابان كالابراج المنيعة تتخطى من اقصى الشرق الى اقصى الغرب . وقد خربت طرق التجارة القديمة فانحطت بخرابها بغداد ودمشق وعمّ الضرر اكثر المدائن العثمانية ولم تنجُ مصر من مغبتهِ . بذلت مصر على القنال اموالها وارواح رجالها واستدانت

في سبيلهِ القناطير المقنطرة ولم تجنِ منهُ نفعاً يذكر حتى الآن . العمل كبير لذاتهِ فخيم بغاياتهِ نافع للذين عرفوا كيف ينتفعون بهِ وسيبقى اثرًا خالدًا لاقدام دولسبس وهمتهِ ولكن لو امتلكتهُ مصر جزاء قيامها بنفقاتهِ أي لو عرف اسمعيل باشا كيف يستأثر بهِ ويبقيهِ ملكاً حلالاً لهذه البلاد لاوفت بهِ ديونها وعادت بصفقة رابحة. ولكن مهما لحقها من الغبن منهُ لم يخلُ من نفع لها لانهُ حمل دولة من اكبر الدول على الاهتمام بأمرها ولو لا ذلك لكانت الثلاثون السنة الماضية مثل الثلاثين التي قبلها. وسيعاد اليها بعد انتهاء مدة امتيازهِ فيحمد اهلوها سراهم ويكونون قد صاروا اقدر من اسلافهم على الاحتفاظ بهِ والانتفاع منهُ

مشيت على الرصيف الموصل الى تمثال دولسبس ووقفت امامهُ اعجب بفخامتهِ ودقة صناعتهِ فقلت مخاطباً ذلك الرجل العظيم

يا مازج البحرين بلتقيانِ انت الممثل همة الانسانِ
قف حيث انت فتلك اعظم وقفة فالخافقان هناك يجتمعانِ

وعدت اجول في شوارع بورت سعيد واعجب بنموها المتزايد وبحسن المباني الجديدة التي بنيت فيها ولا سيما لما بلغني ان اكثرها للوطنيين الذين عرفوا كيف يكتسبون من التجارة ويستثمرون الاموال . ورأيت في موظفي الحكومة الذين لقيتهم دلائل الهمة والتدرب على انجاز الاعمال في مواعيدها

وتأخرت الباخرة التي كنا عازمين على ركوبها بما لقيت من الانواء في الاوقيانوس الهندي فلم ترسُ في مرفإ بورت سعيد الاَّ نحو الساعة التاسعة مساء ولولا سفينة كوك التي ينقل بها المسافرون الى الباخرة لاضطروا ان يقيموا في القهاوي لان ليس للشركة مكان يقيم المسافرون فيهِ اذا تأخر وصول الباخرة عن القطار الاَّ ان ما حدث هذه المرة لم يحدث من قبل كما قيل لي . والسفينة من اكبر السفن التي تمخر البحر المتوسط

(٢) الباخرة منغوليا

كتبت تجاه مسينا

الانكليز ملوك البحار قاموا في غفلة من الزمن فورثوا من تقدمهم من الدول البحرية . كانت سيادة البحر للفينيقيين ثم لليونان فالرومان فالبنادقة فاهالي جنوى وبيزا ثم انتقلت الى البرتوغاليين فاهالي هولندا وقبض عليها الانكليز اخيرًا باكف من حديد وغالبوا الدول الشمالية عليها فغلبوهم ولا تزال السيادة البحرية لهم حربية كانت او تجارية

ومن اشهر شركاتهم التجارية شركة Peninsular & Oriental. البنسولار والاورينتال

نشأت هذه الشركة منذ سبعين سنة لتنقل البريد من لندن الى لسبون وجبل طارق فسميت بالبنسولار نسبة الى البنسولا اي شبه الجزيرة التي تشتمل على اسبانيا والبرتغال ثم امتدت في ارسال البريد الى مالطة والاسكندرية فسميت شركة بواخر البنسولار والاورنتال (اي والشرقية) وجعلت ترسل سفنها الى الشرق الاقصى

واول سفينة ارسلتها الى الهند كان محمولها ١٨٠٠ طن وقوة آلتها البخارية ٥٠٠ حصان اقلعت من لندن في شهر سبتمبر سنة ١٨٤٢ وابحرت حول افريقية بطريق رأس الرجاء الصالح . وسنة ١٨٤٤ صارت هذه الشركة تنقل بريد الهند فتصل به سفنها الى الاسكندرية وينقل من ثمَّ في القطر المصري الى السويس وتكون سفنها في انتظاره هنالك فتحمله الى سيلان ومدرس وكلكتا وسنقافوره وهنغ كنغ وشنغاي . وطريقهُ في القطر المصري الترعة المحمودية الى القاهرة ومن ثمَّ على ظهور الجمال الى السويس . وكذا البريد والبضائع الآتية من الهند كانت سفن هذه الشركة تصل بها الى السويس ثم تنقل على ظهور الجمال الى القاهرة ومنها بالترعة المحمودية الى الاسكندرية ومن ثمَّ بسفن الشركة الى اوربا . وكان وسق السفينة الواحدة يحمل على اربعة آلاف جمل . وظلت الشركة جارية على هذا الاسلوب نحو عشرين سنة وكانت تنقل في السنة من البضائع ما يساوي اربعين مليوناً من الجنيهات يربح اهالي القطر من نقلها ربحاً وافرًا يحسدون عليهِ لجاء القنال وحرمهم منهُ

لما فتح القنال تغيرت شؤون الشركة كما تغيرت شؤون التجارة في القطر المصري وسائر الاقطار الشرقية وكانت الشركة قبل ذلك تتقاضى اجوراً كبيرة لتقوم بنفقاتها فلما فتح القنال واضطرت ان تخفض الاجور كثيرًا قلَّ ربحها وكادت تفلس ومرت خمس سنوات وهي في حال النزع الى ان بذلت الهمة في تجديدها وتقويتها وبقي البريد الانكليزي يرسل من الاسكندرية الى السويس برًّا حتى سنة ١٨٨٨

وقد جرت الشركة في ارتقائها مجرى كل الاجسام الحية النامية فطرأت عليها آفات وقفت سيرها حيناً ثم تغلبت الشركة عليها فازالتها وعادت الى نموها المستمر . وقد قطعت سفنها في العام الماضي ثلاثة ملايين ميل ودفعت لمستخدميها ٤١٠ آلاف جنيه ولقنال السويس ٣٢٠ الف جنيه . ولما نشأت كانت سفنها شراعية قليلة جدًّا محمول السفينة منها نحو مئتي طن والآن عندها ستون باخرة كبيرة محمول بعضها عشرة آلاف طن ومنها الباخرة منغوليا التي نحن فيها الآن فان محمولها عشرة آلاف طن تسيرها ست آلات بخارية قوتها معاً اربعة عشر الف حصان . وطول السفينة ٥٣٠ قدماً وعرضها ٦٠ قدماً وعمقها ٣٧ قدماً وفيها اسرة لثلث

مئة وستين راكباً في الدرجة الاولى ومئة وثمانين راكباً في الدرجة الثانية . وتستطيع ان تحمل ٢٠٠٠ طن من الفحم و ٣٠٠٠ طن من البضائع . والغرف العمومية التي فيها على غاية الاتقان والزخرفة كغرفة المائدة وهي تسع نحو ٣٠٠ نفس يأكلون معاً وفوقهم المراوح الكهربائية تلطف الهواء وفوق منتصف الغرفة قبة عالية مسقوفة بالزجاج الملون في شكل نصف اسطوانة وفوق جوانبها غرفة الموسيقى والجلوس . فيها المقاعد والكراسي الوثيرة والقبة بارزة فوقها فتزيد منظرها بهجة ورواء . ويقابل غرفة المائدة غرفة اللعب وهي غاية في الاتساع وحول غرف المنامة مماش كبيرة يقيم الركاب عليها اكثر نهارهم وتحيا فيها الليالي الراقصة . وكل ما في الباخرة من الطراز الاول من حيث الراحة والرفاهة للمسافرين في الاقطار الشرقية

وكان معنا كثيرون من الاصدقاء الفضلاء الذين يحلو معهم السفر ويقضى الوقت بالمذاكرات العلمية والادبية كصاحب السعادة امين باشا سامي الذي حوى صدره تاريخ القطر المصري وسير العلوم فيهِ والدكتور وبستر من اساتذة الطب في المدرسة الكلية الاميركية والدكتور حبيب خياط وحسن بك صبري المحامي والدكتور السيد بك توفيق ومحمد بك توفيق بسيم ومرقص افندي حنا والدكتور كومانوس باشا وكثيرون غيرهم من وجهاء العاصمة وكرائم السيدات

وجملة ركاب الدرجة الاولى ٢٦٩ والثانية ١٧٧ عدا الخدم . والركاب من القطر المصري وحده ٩٨ في الدرجة الاولى و ١٨ فقط في الثانية فهم من هذا القبيل اميل الى الانفاق من الانكليز الذين ركبوا الباخرة من استراليا وثغور الهند

والبحر رهو كأنهُ صفيحة من البلور الازرق مرَّ عليها النسيم قبلما جمدت فجعَّد وجهها تجعيداً لطيفاً لكي لا يبقى سطحها على استواء واحد تسأم العين رؤيتهُ . اكتب هذه السطور وقد دارت بنا الباخرة شمالاً حول الساحل الغربي من طرف ايطاليا الجنوبي امام مدينة مسينا وتجلت لنا جبال هذه المملكة القديمة وقد رصعتها القرى والدساكر واكتنفتها الاشجار والمراج وجزيرة صقلية امامها بمعاملها الكبيرة ومداخنها تناطح السحاب . هذه بلاد ايطاليا

بلادِ العظامِ ليوثِ الصدامِ ملوكِ الانامِ عدولِ الملوكِ
محطُّ رحالِ رجالِ العلومِ واهلِ الفنونِ واهلِ السلوكِ

ولكن اين اولئك العظام اين الذين ملكوا المعمورة من حدود الهند الى اعمدة هرقل ومن بلاد الروس الى قلب افريقية وجبوا منها الجزية وسنُّوا لها الشرائع وباسمهم بنيت

الهياكل والمدارس ومجالس القضاء · اين يوليوس قيصر واوغسطس واسبسيانوس اين الذين قهروا قرطاجنة وامتلكوا مصر واستولوا على ممالك الاسكندر

"اربَّ بهم ريب المنون كأنما على الدهر فيهم ان يفرّقهم نذرُ"

بل ان يجعلهم اثرًا بعد عين فاذا لم يبقَ منهم سوى آثارهم شاهدة على عظمتهم ومنذرة دول الارض ان يحل بها ما حل بهم

"وما الناس الاّ ظاعن فمودّعٌ وثاوٍ قريح الجفن يبكي لراحلِ
فهل هذه الايام الاّ كما خلا وهل نحن الاّ كالقرون الاوائلِ
نشاق من الدنيا الى غير دائمٍ ونبكي من الدنيا على غير طائلِ
فما عاجل نرجوهُ الاّ كآجلٍ وما آجل نخشاهُ الاّ كعاجلِ"

(٣) من مرسيليا الى اسبانيا

مرسيليا اكبر فرَض فرنسا واوسع ثغور بحر الروم مصّرها اسلافنا الفينيقيون وهم سادة البحار وتقلبت عليها الشؤون ولكنها احتفظت بمقامها · نرى في مبانيها دلائل العظمة والجاه القديم والمجد التالد · وكأن الثروة تراكمت على اهاليها فاكثروا من المباني لتثمير اموالهم فزادت على حاجة السكان حتى انك لتجد كلمة "للايجار" (A louer) معلقة فوق اكثر الابواب

دخلنا مرسيليا يوم الاحد سلخ يونيو ورست الباخرة في مرسى الشركة على بعد شاسع من المدينة لكن المركبات كثيرة وخيلها قوية يشبعها اصحابها على ما يظهر مع انهُ ليس في مرسيليا جمعية للرفق بالحيوان كما في مصر · فاستأجرنا مركبة وسرنا الى الحديقة والمتحف (لونج شان) لعلنا نجد فيهما جديدًا لم نرهُ قبلاً وطفنا في الشوارع نقتل الوقت لان ليس في مرسيليا شيء يستحق المشاهدة لم نشاهدهُ قبل الآن · ثم دخلنا مطعمًا يؤكل فيهِ الطعام الذي اشتهرت بهِ مرسليا وهو يصنع من السمك والكركند والخبز والخردل وكأن المرسيليين لا يأكلون في بيوتهم بل في هذا المطعم وامثالهِ لكثرة ما رأيناهُ فيهِ منهم · والاكل في الاماكن العمومية اقرب الى الفطرة وادعى الى الالفة والاشتراك يذكرنا بعادات العرب الذين كانوا يجتمعون في منازل شيوخهم للطعام · وجاء بعدنا كثيرون من ركاب سفينتنا من الانكليز والاميركيين كأنهم سئموا طعامها مثلنا فاحبوا التغيير ولكنهم لم يجدوا كراسي يجلسون عليها فلبثوا في مركباتهم نحو ساعة من الزمان لشدة الازدحام

والفاكهة في مرسيليا كالفاكهة في بيروت والاسكندرية المشمش والخوخ والكمثرى والموز والبرتقال وهي كثيرة رخيصة على جودة انواعها

وقامت بنا الباخرة في اليوم التالي وقد فارقنا نحو مئة وثلاثين من الركاب ليتفرقوا في اوربا او ليذهبوا الى انكلترا بقطار خاص يصل الى مرفإِ السفينة ويحملهم الى كالي رأساً اما نحن فرأَينا البحر رهواً ففضلنا السفر فيهِ من قبيل النزهة ولمشاهدة جبل طارق وجاوزنا حدود فرنسا صباح الثلاثاء (في الثاني من يوليو) وسرنا محاذين لجبال اسبانيا وكأَننا نسير تجاه جبال لبنان . ومنها جبل يشبه جبل صنين في شكلهِ والآكام تحتهُ تصل الى البحر كما تصل الآكام في جبل لبنان وقد قادني هذا الشبه الى التفكير في حال بلاد الشام وما مرَّ بها من العبر من حين الفتح الاسلامي الى الآن ثم انتقلت الى التفكير في حال اسبانيا وفتح العرب لها وانبساط رواق الحضارة فيها في عهدهم ثم وقوع الشقاق بينهم وتخاذلهم الى ان دالت دولتهم وخرجوا منها كما دخلوها ولم يبقَ منهم فيها غير آثارهم دالة على ما كان لهم من المجد والسؤدد . وقد اشرت الى ذلك في الابيات التالية

أَلبنانُ هذا ام جبال اسبانيا ام الشوق للاوطان احيا الامانيا

فيا بيض ايام تلتها حنادسٌ تناولت قطرينا بعيداً ودانيا

ويا شبهاً في الطبع والوضع اننا لعَوْدِ ليالينا نعدُّ الثوانيا

اتى الامويونَ الشآم وكلهُ عمارٌ بواديهِ تفوق المغانيا

فشادوا بهِ مُلكاً نفياً بجاهم من الدهر ان الملك ما ليس فانيا

وقد غادروهُ والغراب محلّقٌ وللبوم تنعابٌ يدكُّ المبانيا

وامّوا بلاداً رادها قبلُ طارقٌ بهم ليلةً ذلَّت وعزَّت ثمانيا

الى ان قضى الله بتشتيت شملهم فبادوا كما جاؤوا بريئاً وجانيا

والحقيقة التي يثبتها التاريخ بالاستقراء الطويل ان العدل يعمر البلاد والظلم يخربها فاذا نظرت الى بلاد عامرة فاعلم ان ملوكها وولاتها يعدلون في الرعية واذا نظرت الى بلاد ساد فيها الخراب فاعلم ان العدل فارقها والظلم جاورها . والعدل يشمل الاهتمام بمصالح الرعية والظلم يشمل الاغضاء عنها . فقس ملوك الشرق وممالكهم بهذا المقياس تجد اسباب ارتقائهِ وانحطاطهِ بادية للعيان . ويبقى الحال كذلك الى ان ترتقي الامة وتصير حكومتها نيابية فحينئذٍ تدرك هي شؤُونها بيدها ولا يعود للحكام شأْن كبير فيها بل يصير الشأْن الاكبر للرعية ولمن تختارهم من رجالها لتولي امورها

جالت هذه الخواطر ببالي ونظمت الابيات السابقة وانا انظر الى جبال اسبانيا وافكر في خلاصة تاريخها ثم التفتُّ الى البحر فاذا هو على زرقتهِ وصفائهِ وقد زاد تجعدهُ وانتظم الحبب

فوق غصونهِ كاللآلئ رُصّع بهِ الصفير والسفينة تمخر فيهِ كالطود الكبير فلا تكاد تشعر بحركتهِ ولا يكاد يشعر بحركتها

(٤) جبل طارق

ساحل اسبانيا الذي مررنا بهِ جبليٌّ كلهُ قليل العمارة جدًّا مع انهُ في احسن رقعة من الارض . وقد كنت انظر اليهِ واعجب كيف يهاجر اهالي اوربا الى قلب افريقية ويحاولون تعمير السودان بحرهِ المحرق وهبوبهِ السموم والى جزائر البحر المحيط وهي بركانية تنتابها الزلازل ولا تمرُّ بها السفن الاَّ نادرًا ويتركون بلادًا مثل اسبانيا تحتمل اضعاف سكانها وقد كانت في عهد العرب من جنان الدنيا وهم لا يفوقون غيرهم في ترقية الزراعة وتعمير البلاد . وظلت هذه الافكار تجول في خاطري الى ان اشرفنا على جبل طارق وكنت اظنهُ صخرًا قاحلاً من تسميتهِ بالصخر في اللغة الانكليزيَّة فاذا هو مكسوٌّ بالنبات من اشجار ونجم وخضرة كالزرع اوكالكلاءِ لا تبين الصخور فيهِ الاَّ في بعض المكاسر. الجانب الشرقيُّ منهُ شاهق قائم فوق البحر كالجدار كأن بعضهُ قُدَّ بزلزلة فتمزق وتكسر وجرفهُ البحر وبقي البعض الآخر راسخًا في مكانهِ كما ترى في الرسم المقابل وهو جبل طارق المشهور في التاريخ

عرفهُ الفينيقيون والرومانيون وسموهُ قلبي او قلبي وسمّوا الراس المقابل لهُ من افريقية ابيلا وهما عمودا هرقل اللذان تنتهي بهما اليابسة على قول القدماء . هذا هو القول الشائع حتى الآن لكني استبعدهُ جدًّا لان الواقف تجاه جبل طارق يرى بعدهُ لسانًا آخر من اوربا ممتدًّا جنوبًا وغربًا ويرى جبلاً كبيرًا بعد رأس ابيلا من افريقية ممتدًّا شمالاً وغربًا كما ترى في الرسم المقابل فيستحيل عليهِ ان يحسب ذينك الرأسين نهاية اليابسة

ويظهر لي ان القدماء ارادوا باعمدة هرقل صخورًا قائمة في البحر امام اسبانيا الى الجهة الشمالية الغربية فاننا لما دنونا منها رأيناها قائمة في البحر كالاطواد او كالاعمدة ولا شيء وراءها من اليابسة . واحد منها قائم كالهرم وآخر كالموشور القائم السطوح ومعهما شواهق اخرى قائمة مثلهما والبحر يرغي ويزبد حولها وكثيرًا ما كسرت السفن عليها . ولما اتجه نظري اليها ولم ارَ بعدها يابسة لم اتمالك ان قلت هذه اعمدة هرقل لا سواها

وجبل طارق لسان جبلي داخل في البحر ممتد من الشمال الى الجنوب كما ترى في الرسم المقابل طولهُ ثلاثة اميال وعرضهُ ثلاثة ارباع الميل وارتفاعهُ ١٤٠٠ قدم يتصل من الشمال ببلاد الاندلس وبينهما سهل منخفض والى غربيهِ مرفأ امين طولهُ ثمانية اميال وعرضهُ خمسة كان من اهم مرافئ اوربا قبل استعمال السفن البخارية . ويقابل جبل طارق من

جهة الغرب مدينة الجزيرة التي عقد فيها حديثاً المؤتمر الدولي للنظر في شؤون المغرب الاقصى. وعلى الجانب الغربي من الجبل مدينة جبل طارق وهي قديمة من القرن الرابع عشر ولكن اكثر مبانيها حديث وفيها نحو ٢٥ الف نفس ربعهم من الحامية والباقون خليط من اليهود والاسبانيين والعرب ويقال انهم لا يعتنون بتشييد المباني الكبيرة لان حكومة الجبل تستطيع ان تستولي على كل بناء وقتما تريد وتستخدمهُ في الدفاع ومع ذلك رأينا فيها من الشوارع والمخازن ما يقابل باحسن شوارع القاهرة ومخازنها عدا ما فيها من اماكن النزهة والحدائق الغناء

وهواء جبل طارق معتدل جدًّا لا يشتد فيهِ الحر ولا البرد فتبلغ الحرارة اعلاها في يوليو واغسطس وهي حينئذٍ ثلاثون درجة او اثنتان وثلاثون واوطأها في فبراير وهي حينئذٍ خمس او ست فوق درجة الجليد ومطرهُ معتدل يبلغ نحو ثلاثين او اربعين عقدة في السنة فهو مثل جبل لبنان من هذا القبيل. وفاكهتهُ مثل فاكهة لبنان وقد اكلنا من كرزهِ وكمثراهُ وتينهِ. وتينهُ كبير اسود مستطيل جدًّا لم ارَ قبلاً ما يماثلهُ شكلاً ولا ما يفوقهُ حلاوةً

ولا يخفى ان جبل طارق امنع حصون الانكليز بل امنع حصون الدنيا لا تكاد بقعة منهُ تخلو من المدافع ومدافعهُ كبيرة جدًّا تصل قنابلها الى كل سفينة تمرُّ في البحر امامهُ ولهُ الشان الاكبر عند الانكليز لانهم يصلحون السفن الحربيَّة في حياضهِ الواسعة ويملأُونها بما تحتاج اليهِ من الفحم فهو اهم قاعدة لاسطولهم في البحر المتوسط وقد رأيت في طوابيهِ مدفعين ثقل المدفع منهما مئة طن

ولا يعلم ان احدًا حصنهُ واستخدمهُ معقلاً قبل طارق بن زياد الذي دخل اسبانيا غازيًا من قبل الوليد بن عبد الملك قال ابن الاثير

«ثم ان موسى (عامل الوليد على افريقية) دعا مولىً لهُ كان على مقدمات جيوشهِ يقال لهُ طارق بن زياد فبعثهُ في سبعة آلاف من المسلمين اكثرهم البربر والموالي واقلهم العرب فساروا في البحر وقصد الى جبل منيف وهو متصل بالبر فنزلهُ فسمّي الجبل جبل طارق الى اليوم. ولما ملك عبد المؤمن البلاد امر ببناء مدينة هذا الجبل وسماهُ جبل الفتح فلم يثبت لهُ هذا الاسم وجرت الالسنة على الاول ..... ونزل من الجبل الى الصحراء وافتتح الجزيرة الخضراء وغيرها وفارق الحصن الذي في الجبل»

وانتزعهُ فردينند صاحب قشطيلة من العرب سنة ١٣٠٢ ثم استردهُ منهُ صاحب فاس بعد نحو ثلاثين سنة واستولى عليهِ السلطان يوسف صاحب غرناطة في اوائل القرن الخامس عشر ثم استردهُ الاسبان سنة ١٤٦٢ وحصنوهُ وبقي في حوزتهم الى ان اخذهُ

منهم الانكليز سنة ١٧٠٤ . وقد حاول الاسبانيون استرجاعه سنة ١٧٧٩ فحصروه وضيقوا على حاميته حتى كادت تموت جوعاً ودام الحصار ثلاث سنوات وانضم الفرنسويون الى الاسبانيين ووضعوا المدافع على اطواف حوّطوا بها الجبل وكان عدد الحامية ٧٠٠٠ نفس لا غير لكنها تمكنت من حرق الاطواف وتغريق المدافع ولم يقتل منها سوى ١٦ رجلاً فاضطر المحاصرون ان يتركوا الجبل للانكليز وهو في يدهم الى الآن

هذه نتف من تاريخ هذا المعقل الحصين لا شأن لها عند قراء العربية الاَّ من حيث علاقتها باسم طارق القائد العربي الذي هو اول من جعل هذا الجبل معقلاً حربياً ولم يزل فيه برج حصين من مباني العرب في الطرف الشمالي الشرقي من المدينة كما ترى في الرسم السابق. وقد حملتني رؤيته على مراجعة تاريخ تلك الامة العظيمة التي خرجت من بلاد العرب كالسيل المنهمر وفي اقل من قرن نشرت لواءها في الخافقين — راجعته في نفسي وانا جالس على ظهر السفينة وهي تمخر بنا امام الجبل والمرفإ والبحر كصفيحة من البلور يكاد يجمد لولا الحرارة الداخلية التي تحرك دقائقه وراجعت الاسباب التي مهدت السبل لذلك الفتح الباهر والاسباب التي قلصت ظل ذلك الشرف الاثيل فرأيت الشعر اصلح وسيلة لجمع الحقائق فقلت

ربة الشعر هل اتاك حديث عن كماة الاعراب من قبل طارق
عن غزاة في القفر شبوا زمان الرو م والفرس يملكون المشارق
عرش كسرى ومصر والشام ثلوا وجروا في الفتوح جري السوابق
حاول الروم صدهم فتصدى كل من في ولائهم غير صادق
من يهود وصابئين ونبط والنصارى[1] وكل خصم مشاقق
نصروا العرب خفية وجهاراً لم يحارب للروم غير الاصادق

∴

شمخ الروم قبل ذاك وجاروا هل اتاهم ان ليس للخلق خالق
واناخ الفساد والفرس جاسوا بحره خائضين حتى المخانق
واذا الظلم والفساد اقاما نضب الحوض من حماة الحقائق

∴

نصر الله امة اذ تولى امرها العادلون بين الخلائق
قام صديقها باصدق امر وتلاه الفاروق بالعدل فارق

(١) اي الساطرة

وكماة في المكرمات تباروا وهم الاسد في صدور الفيالق
دوّخوا الارض وطدّوا الملك قاموا بفروض الكتاب تحت البيارق
ثم عزّوا والمُلك صار عضوضاً فاستكنّوا كأنهم في حدائق
وتباروا في البذخ فانظم فالا يغال في ما يعدّ للملك ماحق
شمس عدلٍ ضمّت شعوباً فلما كسفت فرّق الشعوب طرائق

الذاكرة وتقويتها

يراد بالذاكرة القوة التي نحفظ بها ذكر ما يمرّ بنا من الحوادث او ما نسمعهُ عنها ثم نتذكر بها ما نحفظهُ حينما نريد · اي انها تشمل عملين مختلفين الواحد حفظ المعلومات والثاني تذكرها عند اللزوم · وتشمل ايضاً عملاً ثالثاً وهو شعور المرء بأن ما يتذكرهُ هو نفس الشيء الذي حفظهُ في ذاكرتهِ ولذلك فالذاكرة مؤلفة من ثلاث قوى قوة الحفظ وقوة الذكر وقوة العلم بان ما نتذكرهُ هو نفس ما حفظناهُ ولو استعملت احياناً للدلالة على قوة واحدة من هذه القوى الثلاث

والذاكرة ضرورية جدًّا ولولاها ما امكن حفظ شيء من العلوم ولا من المعلومات · والمرجح ان كل ما نتعلمهُ وكل مايؤثر فينا يبقى اثرهُ في ادمغتنا دائماً ولكننا كثيرًا ما نجد صعوبة في تذكرهِ. فيريد الواحد ان يتذكر اسماً او صورة او زمناً وهو يعلم تمام العلم انهُ قد حفظ ذلك في ذاكرتهِ ولكنهُ لا يتذكرهُ حينما يريد تذكُّرهُ فيقول اني نسيتهُ الآن ولكنني سأذكرهُ بعد حين

والتعليم يتضمن حفظ المعلومات وتذكرها اي استحضارها عند اللزوم · وهذا الاستحضار عند اللزوم اصعب من الحفظ . ويمكن تقويتهُ بالتدريب والممارسة · وما ضعف الذاكرة الأ ضعف قوة التذكر او الاستحضار او سرعة الخاطر

وقد تكون الذاكرة قويَّةً بالطبع وقد لا تكون قويَّةً بالطبع بل تقوى بالتربية والتمرين · والتمرين يزيد الذاكرة القويَّة قوَّة كما يقوي الذاكرة الضعيفة · فاذا رأيت شيئاً او سمعتهُ ثم نسيتهُ فاعد رؤيتهُ او سمعهُ مرةً بعد مرة فيزيد تأثيرهُ رسوخاً في ذهنك حتى لا تنساه بعد ذلك · وعلى هذا النمط يجري اولاد المدارس في حفظ كل ما يحفظونهُ غيباً نثرًا ونظماً وقد يرسخ ذلك في اذهانهم حتى يصيروا يتذكرونهُ من غير عناء بل قد يتذكرونهُ من غير رويَّة ومن غير فهم.

ويدخل تحت ذلك ما يحدث احياناً في البحران الذي يصيب الناس في بعض الامراض فانهم يتذكرون حينئذٍ اقوالاً سمعوها في صغرهم ونسوها بعد ذلك ولم تعد تخطر ببالهم اي ان المعلومات او التأثيرات المخزونة في ادمغتهم تستحضر وهم في حالة البحران فيشعرون بها من جديد وهذا يؤيد قول القائلين ان كل التأثيرات تبقى محفوظة في الدماغ ولا يزول شيءٌ منها

وقد ينسى الانسان معلومات كثيرة ويحاول تذكرها فلا يستطيع ثم ينوَّم بالاستهواء ويسأل عنها فيتذكرها جيداً كأن قوة التذكر كانت غير منتبهة لعملها فتنبهت بالاستهواء

والبحث في الذاكرة يقتضي البحث في تركيب الدماغ حيث تحفظ المعلومات او التأثيرات لان الدماغ مركز العقل وقواه . او ان مركز اكثر قوى العقل عند التخصيص في الجزء السنجابي الذي يحيط بسطح الدماغ مع ما فيهِ من التلافيف هناك تحفظ المعلومات على الراجح ولذلك ينتظر ان ترى هناك آثار التعليم والتربية . والامر كذلك فان في هذا الجزء السنجابي عدداً لا يحصى من الحويصلات التي يتغير شكلها حسب سن الانسان فتكون في سن الطفولية مستديرة قليلة النتوات وفي سن البلوغ كثيرة النتوات وتتفرَّع منها او تتصل بها الياف او شعب كثيرة وفي سن الشيخوخة تقل هذه الفروع او تقصر

قال الدكتور شوفيلد ان الفرق بين دماغ المتعلم ودماغ غير المتعلم كالفرق بين الطريق المطروق في مدينة والطريق غير المطروق في غابة فاذا سرت في الطريق المطروق في المدينة وصلت الى حيث يؤدي ذلك الطريق على اسهل سبيل واذا سرت في طريق غير مطروق في غابة ضللت او لم تهتدِ الاَّ بعد ان تعتسف مراراً . وغاية التعليم تمهيد طرق الدماغ وتسهيلها للوصول الى المعلومات على اسهل سبيل

وكما تطرق الطرق وتسهل بالسير المتواصل عليها كذلك تسهل طرق الدماغ بفعل الحواس الخمس فانها تحسُّ بالمؤثرات وتدخلها الدماغ فتمر بهِ مرةً بعد مرة الى ان تمهد طريقاً . واذا كانت مادة الدماغ صالحة لذلك تمهدت الطريق فيهِ حالاً . فاذا كانت ذكراتك ضعيفة فسبب ضعفها إما ضعف دقائق دماغك واما اهمالك تمهيد الطرق فيهِ بقلة انتباهك وتوجيه ذهنك الى ما تريد حفظهُ وتذكرهُ

ويختلف الناس كثيراً في نوع ذاكرتهم فبعضهم يسهل عليهِ تذكر الوجوه وبعضهم يسهل عليهِ تذكر الاسماء او الارقام او التواريخ وسبب ذلك اختلاف اصلي في مادة الدماغ ولكن مهما كان نوع الذاكرة فهي لا تقوى الاَّ بالانتباه الى ما يراد حفظهُ فيها والتمرن على ذلك سواء كان من المنظورات او المسموعات او الملموسات او المشمومات او المذوقات او الامور

المجردة من ذلك بقوة الخيال فان الانتباه والتمرن يخزن هذه التأثيرات في مخازن الدماغ ثم يعرضها امام العقل كما اراد تذكرها

هذا واذا شعرت ان ذاكرتك ضعفت بعد قوتها فاعلم انك متعب واذا استرحت مدة طويلة عادت ذاكرتك الى مضائها الاول كأن الفضول تتجمع حول دقائق الدماغ كما تتجمع الاوساخ والاوضار على الطرق فتحجبها عن الانظار فاذا استراح الدماغ من عمله ومرّ الدم على الدقائق الدماغيَّة فطهرها وازال الفضول عنها عادت تفعل فعلها بسهولة ووضحت المسالك التي كانت قد انطمست . ولذلك ترى الانسان يتذكر في الصباح حال القيام من النوم او قبل ان يستيقظ تماماً اموراً كثيرة نسيها في النهار او تعذَّر عليهِ تذكرها لان دماغهُ يستريح مدة النوم ويطهرهُ الدم من الفضول التي اجتمعت فيهِ مدة النهار . وتعود ذاكرتهُ الى مضائها بعد ان ينقطع عن الاشغال مدة لهذا السبب عينهِ وكما تعود الذاكرة الى مضائها يعود العقل الى مضائهِ بالنوم والراحة

فالتمرين وتوجيهُ الفكر الى الموضوع وحصرهُ فيهِ هذه الامور الثلاثة تقوي الذاكرة واذا ضعفت بالشغل الكثير فالراحة تعيد اليها قوتها

بابُ تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

الحمام

النظافة من اول دعائم الصحة ولذلك تجد المدن الشرقية كثيرة الحمامات حيث يذهب الناس ويغسلون ابدانهم وينظفونها جيداً حتى افقرهم يستطيع ان يذهب الى الحمام ويغسل بدنهُ بالماء السخن والصابون . وقد عني المشارقة ببناء الحمامات وزخرفتها فتجد حماماتهم متقنة البناء مثل كنائسهم وجوامعهم واكثر اتقاناً من مدارسهم ولا نبالغ اذا قلنا ان اجمل المباني العمومية القديمة التي رأيناها في بيروت وطرابلس وصيداء حماماتها بعد جوامعها . ولا تخلو البيوت القديمة من حمامات متقنة البناء والزخرفة واجمل حمام شاهدناهُ حمام الامير بشير

الشهابي في سراي بتدين فان صانعهُ بذل الجهد في ترصيف ارضهِ وحياضهِ وجدران غرفهِ بالرخام المنقوش

ولقد كان القدماء يعتنون بالحمامات اشد الاعتناء ويوصلون اليها الماء البارد والحار بانابيب خاصةٍ ولا يخلو بيت كبير من بيوتهم من حمام متقن عدا الحمامات العموميةِ· ولا يزال ابناء هذا العصر يهتمون بانشاء الحمامات الخصوصية في بيوتهم ولو قلَّ اهتمامهم بانشاء الحمامات العمومية وقد تفننوا في اجراء الماء الحار والبارد اليها بما استنبطوهُ من الانابيب والحنفيات ووسائل تسخين الماء

والحمام على ثلاثة انواع من حيث حرارة مائهِ بارد وفاتر وحار فالبارد حرارتهُ بين ٣٥ و ٦٥ بميزان فارنهيت والفاتر حرارتهُ بين ٧٥ و ٩٠ والحار حرارتهُ بين ٩٨ و ١١٠ · اما الحمام البارد فلا يجوز الاَّ اذا كان المرء قوي البنية جيد الصحة لانهُ يدفع الدم من ظاهر الجسم الى باطنهِ ويوقف التنفس ولا يجوز لاحد ان يقيم طويلاً في الماء البارد ثم يجب عليهِ ان يخرج منهُ سريعاً حالما يشعر بالبرد الشديد ويفرك جسمهُ جيداً بمناشف خشنة· والدوش البارد كالحمام البارد وكلهُ يخشى فيهِ من احتقان الاعضاء الداخلية · ولا يجوز الحمام البارد اذا كان الجسم محترًّا او كان يشعر باقل مرض · اما الحمام الفاتر والحار فيصلحان سواء كان الجسم سليماً او سقيماً

الاستحمام بماء البحر

الاستحمام بماء البحر لا يُقصَد بهِ تنظيف الجسم بل انعاشهُ في وقت الحر · ويجب ان لا تطول الاقامة فيهِ وان لا يكون الاستحمام بعد التعب الشديد ولا بعد الاكل الكثير ولا اذا كان الانسانُ مريضاً او مصاباً بالارَق · ويحسن ان يغوص الانسان في الماء ويغطس رأسهُ ايضاً او يبللهُ . وان يكون ثوب السباحة من الفلانلا · واذا شعر الانسان بقشعريرة وجب عليهِ ان يخرج من الماء حالاً · ولا بدَّ لمن يستحم في البحر من ان يأخذ معهُ منشفة كبيرة يتنشَّف بها والاَّ تعرَّض للامراض الجلدية · واذا ازرقَّت شفتاهُ او خدرت اصابعهُ او اصابهُ صداع فذلك دليل على ان الاستحمام بماء البحر لا يصلح لهُ

غرف النوم

لا بدَّ من تهوية غرف النوم دائماً والاَّ صار هواؤُها فاسداً خبيث الرائحة مضرًّا بالصحة

ويجب ان يكون اثاث غرف النوم بسيطاً على قدر الامكان ويحسن ان لا تعلق الستائر على شبابيكها ولا توضع فيها اسرَّة من الخشب بل من الحديد او النحاس · والحديد اجود من غيره وارخص ولا داعي لوضع المقاعد ونحوها في غرف النوم بل يكفي ان يوضع في الغرفة كرسيَّان صغيران وكرسي كبير من كراسي القش · وينظر في اثاثها الى الراحة وسهولة التنظيف

البورق في البيت

البورق من المواد النافعة اللازمة لكل بيت فاذا اضيف قليل منهُ الى الماء سهل تنظيف الزجاج بهِ والصيني والرخام · واذا اذيب في الماء وغرغر بهِ نفع في التهاب الحلق · ومن الغرغرات النافعة درهم من البورق النقي ودرهمان من العسل تذاب في ٣٢ درهماً من الماء

واذا اضيف ربع رطل من البورق الى ٤٠ رطلاً من الماء ونقعت الثياب فيهِ مدة الليل سهل غسلها وتنظيفها في اليوم التالي

واذا وضع البورق في الصحاف وصُبَّ عليهِ الماء ووضعت الصحاف في غرف المرضى بالامراض المعدية ازال البورق الروائح الخبيثة من هوائها · واذا ذرَّ البورق في اقنان الدجاج ساعد على طرد الحشرات منها او قتلها · واذا ذرَّ على اللحم حفظهُ من الفساد مدة واذا اذيب قليل منهُ في الماء واضيف الى اللبن حفظهُ من الاختمار مدة لانهُ يقتل جراثيم الفساد والاختمار

والبورق جيد لغسل الشعر ولغسل الفم ولا سيما اذا اضيفت اليهِ صبغة المر

صقل النحاس الاصفر

تجد ادوات النحاس الاصفر في البيوت الاوربيَّة صقيلة لامعة كالذهب الصقيل وهم يجلونها بقليل من الطباشير الناعم وعصير الليمون الحامض ثم يصقلونها بقطعة من الجوخ الناعم او بخرقة من المخمل الناعم جدًّا · وقد تجلى بمسحوق القرميد الممزوج بالبارافين ثم تصقل بقطعة من الجوخ او الفلانلا او المخمل

ادوية البيت

لا بد لكل بيت من ادوية بسيطة توضع فيهِ لكي تستعمل حين الحاجة اليها · وقد جمعنا اسماء الادوية التالية التي تستطيع ربة البيت استعمالها في غياب الطبيب وبغير مشورتهِ ورتبناها على حروف الهجاء تسهيلاً للرجوع اليها

الاقراص

الاقراص كثيرة مختلفة الانواع والاشكال كاقراص السعال المحتوية على الكوكايين واقراص اصلاح الهضم المحتوية على البزموث واقراص كلورات البوتاس لتقرح الحلق واقراص المنثول واليوكالبتون للحلق ايضاً واقراص الكبريت لتطهير الدم

البابونج

يصب رطل من الماء الغالي على قبضة من زهر البابونج ويترك الماء حتى يبرد ثم يصفى وتشرب منهُ كاس صغيرة في الصباح فيفعل كمقوٍ لطيف ويجب ان يصنع جديداً كل يومين او ثلاثة لانهُ لايبقى جيداً اذا حفظ مدة طويلة ويستعمل البابونج لزقاً ايضاً وهو من اجود انواع اللزق

الحبوب

الحبوب كثيرة جداً كالاقراص او اكثر منها٠ من ذلك حبوب بشتمن وهي سهلة ومفيدة في السعال وحبوب الببسين لتسهيل الهضم وحبوب الكينا تؤخذ في الصداع والضعف العام وحبوب الراوند وهي مسهل لطيف

الخردل

اوراق الخردل كراحة اليد لاصق بها مسحوق الخردل تبل بالماء البارد وتوضع على الصدر او الظهر كمحول في الرشح والصداع ٠ والخردل الناعم يجبل بالماء ويبسط على الخرق او اللزق ٠ وزيت الخردل يفرك بهِ الصدر والعنق في الزكام وتفرك بهِ المفاصل في داء المفاصل

الخشخاش

يغلى رأسان او ثلاثة من الخشخاش مع قبضة من زهر البابونج في ١٥ رطلاً من الماء للتنطيل والتهبيل

زهر الكبريت

يوضع في الماء السخن وتنطَّل بهِ المفاصل المصابة بالروماتزم ٠ ويستعمل القليل من زهر الكبريت مع اللبن شرباً لتطهير الدم ٠ واذا مزج باللبن والماء وصُنع منهُ طلاء طلي بهِ الوجه وترك عليهِ حتى يجف ثم غسل عنهُ بالماء الفاتر ازال منهُ النقط السوداء وتصنع منهُ اقراص تفيد في تطهير الدم

زيت الخروع

مسهل كثير الاستعمال صرفاً ومستحلباً وموضوعاً في كبسول . وكثيراً ما يعطى للصغار في اول درجات الاسهال مع نقط قليلة من اللودنم

زيت السمك

مغذ سهل الهضم يسمّن ويقوي الدم ويصلح هيئة الوجه . يؤخذ اولاً جرعات صغيرة بعد الاكل بثلث ساعة ثم يزاد مقدار الجرعة رويداً رويداً . واذا كان الانسان يكره طعمهُ ولا يستطيع شربهُ جعل مستحلباً فلا يعود طعمهُ كريهاً

زيت اليوكالبتوس

قد يوقف الزمام بشمهِ او فرك الانف بهِ مرتين في اليوم . واذا دخلت الانفلونزا بيتاً حسن ان يرش فيهِ زيت اليوكالبتوس لمنع العدوى . ونشارة خشب اليوكالبتوس تفيد ايضاً

السنا

يستعمل للاطفال يغلى في الماء ويصفَّى الماء عنهُ او يصب الماء الغالي عليهِ ويترك فيهِ اربع ساعات ويشرب وقت النوم . ولا يستمر على شربهِ الاَّ بضعة ايام لانهُ مضعف

الشب الابيض

قابض يوقف نزف الدم من البواسير ومن مكان العلق ومن الجروح الصغيرة واذا كثر خروج الدم من اللثة فوضع مذوب الشب الابيض في الفم مدة يوقف الدم ويصنع هذا المذوب من ملعقة صغيرة من مسحوق الشب في كاس صغيرة من الماء

شترات الكينا والحديد

من احسن المقويات للكبار والصغار يذاب درهم من الشترات في ثمانين درهماً من الماء البارد يؤخذ منهُ ملعقة كبيرة ثلاث مرات في اليوم بعد الاكل

شترات المنازيا

مسهل لطيف مبرّد . تؤخذ منهُ ملعقتان صغيرتان صباحاً في نصف كوباية ماء واذا اضيف اليهِ قليل من عصير الليمون الحامض جاد طعمهُ

باب الزراعة

زرع التبغ في القطر المصري

لما منعت الحكومة المصرية زرع التبغ في هذا القطر كان الدافع لها الى ذلك امران جوهريان الامر الاول انها رأت ان التبغ المصري غير جيد فلا يمكن تصديرهُ الى البلدان الاخرى فغاية ما يمكن زرعهُ منهُ هو ما يشربهُ الفلاَّحون في هذا القطر وهو مهما كثر يمكن استغلالهُ من عشرة آلاف فدان او عشرين الف فدان فلا ينتفع من زراعتهِ الأعدد قليل جدًّا من اصحاب الاطيان واذا اتسعت زراعتهُ وزاد محصولهُ عن مقطوعيَّة البلاد فالزيادة لا تنفع لشيء . هذا هو الامر الاول اي كون التبغ المصري غير جيد فلا يمكن تصديرهُ

والامر الثاني ان الحكومة كانت محتاجة الى المال ولا بدَّ لها من ضرب ضريبة على الاهالي فرأت ان تضرب هذه الضريبة على الذين يدخنون لان التدخين ليس من الضروريات فالذي يريد ان يتمتَّع بهِ لا يبالي بدفع اجرة تمتعهِ

الآن المقالة التالية عن زراعة التبغ في جزائر فيلبين في وادٍ يشبه وادي النيل يحمل على الظن انهُ يمكن تعليل التبغ المصري حتى يجود و يصير مثل تبغ فيلبين الجيد فيصير تصديرهُ ممكناً و يروج في اسواق المسكونة . وقد زال الآن الداعي الثاني وهو احتياج الحكومة الى المال فانها لم تعد محتاجة اليهِ بل صار يسهل عليها الاستغناء عنهُ فخليق بها والحالة هذه ان تمتحن زراعة التبغ وتعليلهُ في فدان او فدانين حتى اذا ثبت لها انهُ يمكن ان يستغلَّ تبغ جيد من القطر المصري اباحت زراعتهُ لكل احد . فانهُ اذا نجحت الحكومة في تجاربها وامكن استغلال التبغ الجيد من القطر المصري الذي يمكن تصديرهُ الى الخارج كان من ذلك ربح وافر لا يقلُّ عن الربح من زرع القطن وربما استطاعت الحكومة ان تفرض ضريبة كبيرة على الاطيان التي تزرع تبغاً تردُّ لها بعض ما تخسرهُ من جمرك التبغ

والمسألة هامَّة جدًّا لان ماء الري لا يحتمل ان تتسع معهُ زراعة القطن اكثر مما هي متسعة ولا بدَّ من زراعة أُخرى محصولها غالي الثمن وحاجتها الى الماء قليلة كزراعة التبغ

زراعة التبغ في الفيلبين

قرأنا في السينتفيك اميركان مقالة لمستر هملتون ربت مبعوث متحف التجارة الاميركاني في الشرق فلخص لنا بعض الادباء منها ما يأتي

لا يعرف اهل اميركا شيئاً عن زراعة التبغ في فيلبين الأ ما يقرأونهُ من احصاءات معامل التبغ في مانيلا واما اهل اوروبا وآسيا فانهم يعرفون اقل مما يعرف الاميركان . ولذلك رأيت ان اقول شيئاً يفيد المطلعين فان تسعة اعشار التبغ الذي تنتجهُ جزائر فيلبين وهو يعادل معظم المقدار الذي يستعمل في التجارة انما هو قد نتاج وادي كاكايان الفسيح الواقع في وسط لوزون وشماليها ومن الغريب ان هذا القطر يجهلهُ كثيرون من الاميركان النازلين في فيلبين لانهُ واقع على بعدٍ من طريق المسافرين ولم تلتفت اليهِ الانظار زمن الشغب لان سكانهُ كانوا من القوم المسالمين

ومع ذلك فهو اخصب بقعةٍ في الفيلبين بل يصح ان يقال فيهِ انهُ من اخصب الاقطار في العالم وقد مرَّ عليهِ زمن طويل نحو مئة واربعين عاماً وهو ينتج التبغ اذ يزرع في مستوى من الارض تغمرهُ المياه ولا يحتاج في زرعهِ الى سماد صناعي بل تجد سكانهُ يستغلون من تربتهِ في كل سنة موسمين التبغ ثم الذرة وكلاهما يزرعان في الارض الواحدة على التعاقب وكثيراً ما تنتج لهم البقعة الواحدة من الارض في مدى سنتين موسمين من التبغ وموسماً من الذرة .

واسم هذا الوادي مأخوذ من النهر الكبير المسمى ريو كراندي دي كاكايان وهو من اعظم الانهار في البلاد وفيهِ من خصائص نهري النيل والمسيسبي ومنبعهُ من سلسلة جبال كورديلارا ويسير شمالاً مسافة مئتين وخمسة وعشرين ميلاً فيضاف اليهِ كثير من الانهار الاخرى ويصب في بحر الصين عند اباري وهي الميناء الشمالية في لوزون

وفي اثناء سيره ترى الجبال تنفرج تدريجاً فيتسع لهُ المجال والجبال قائمة على جانبيهِ الشرقي والغربي وما بينهما بقعة يكسوها اخضرار العشب مسافة مئتي ميل طولاً وعرضها يختلف بين الثلاثين والاربعين من الاميال

ومعظم التبغ النامي هنالك يحاكي العشب لقلة ما يعتنى بانمائهِ وتدبيرهِ مع ان الاعتناء بالتبغ على القواعد العلمية ضروري لهُ لما فيهِ من النخافة . واحسن التبغ ما كانت تربتهُ معرضة لطغيان النهر عليها وما وقع بين النهر الاعظم ومجاري الانهار الصابة فيهِ . وعند نهاية زمن الشتاء في اواخر دسمبر يجيء ريح الفصول الشمالي من صوب البحر الصيني فيرد مياه النهر عن مصبها

ويسبب ارتفاعها فيقع الفيضان على جانبي النهر فيغمر الارض الى علو قدمين او ثلاث اقدام وبعد بضعة ايام تسكن العاصفة وترتد المياه عن طغيانها تاركةً على التربة راسباً من الطمي فيزرع التبغ في الارض التي كانت تغمرها المياه وذلك في اواخر يناير او في اوائل فبراير واما الارض التي لا تصل اليها مياه الفيضان فان زراعة التبغ فيها تكون قبل ذلك ببضعة اسابيع. ولا يمر على النبت اكثر من ثلاثة اشهر حتى يعلو اربع اقدام الى ست وتصفار وريقاتهُ وترقط وتجعد فيكون ذلك دليل نضجهِ

ومما يفيد ذكرهُ الاشارة الى عمل الاهلين في غرس التبغ ذلك انهم قبل غرس النبات (الترقيدة) يكونون قد استنبتوهُ من البذور في ارض أُعدت لذلك كما هي الحال في ما يسمى بالمشاتل في سوريا والترقيدة في مصر فتى بلغ عمر النبات ستة اسابيع الى الثمانية ينقلونهُ الى التربة المعدَّة لهُ واعداد التربة يكون عندهم بعزقها عزقاً خشناً يفعلون ذلك اثناء نمو الترقيدة. والعزق هذا يتم لهم بواسطة محراث صغير لا يدخل في الارض الاَّ اربع عقد وتكون حركتهُ بطيئة ولذلك لا يقلب التلم

واما انتقاء البذور فامرٌ لا يعرفهُ الاهلون وقطع رؤوس النبات وتقليم الغصون مما لا يستلفت انظارهم مع ان في ذلك ما يزيد النبات قوة. ولكنهم يقطعون البزور غالباً. وعند قطع الوريقات تعالج في الشمس ولكنها على الاكثر تترك فتعفن ويصبح تبغها من الدرجة الرابعة او الخامسة لان تدبير النبات هو الذي يعين على بلوغهِ المراتب العليا وبالنتيجة علو الثمن وليس ثمت من مثال لتدبير التبغ الاَّ في المزارع الكبرى

وبالرغم عن النقص في الحراثة والتدبير تنتج فيلبين ضرباً من التبغ الفاخر ليس اجود منهُ في الدنيا

ويقول الاستاذ ليون من موظفي ادارة الزراعة في فيلبين ان وادي كاكايان يضارع القطر المسمى فولتا اباجو من جزيرة كوبا وهو ذائع الصيت بتبغهِ الاَّ ان معظم تبغ فيلبين من الانواع الدنيا لانهُ تنحط رتبتهُ في معالجتهِ حتى انهُ ولو تمتع تجارهُ بحرية تجارتهم مع الولايات المتحدة فانهُ يشك باقتدارهم على مناظرة تبغ كوبا في الاسواق الاميركية بالنظر لعجز فيلبين عن انتاج كميات كافية من النوع الفاخر. على انهُ يقتضي صرف بضعة سنين لتعليم الاهلين مناهج زرعهِ ومعالجتهِ ولكن الاعتناء بزراعة ربع البقعة التي تزرع الآن يدر على اصحابها اكثر من الزراعة المهملة الحاضرة ولو كانت هذه اكثر اتساعاً

ولما كانت الحكومة الاسبانية صاحبة السيادة كانت حاصرةً زرع التبغ اما الآن فقد

رفعت الحكومة الاميركية الحصر واصبح اهل كاكايان يملكون ارضهم ويتصرفون في زرعها على اهوائهم . وعدد سكان القطر نحو من ١٤٢ الفاً والملاك فيهِ يبلغون ٢٣ الفاً فاذا اعتبرت ان العائلة تؤلف من خمسة انفار تجد ان كل الزرّاع تقريباً يملكون الارض التي يشتغلون فيها . ومثل هذه الحالة جارية في قطر ايزابلا الواقع الى جنوبي كاكايان وفيهِ يزرع التبغ ايضاً ولا خفاء ان الحقل الصغير من الارض الصالحة لاستنبات التبغ الجيد انما يكون ثروة لصاحبهِ لان العائلة المتوسطة يمكنها ان تعيش بنتاج مساحة تقل عن هكتار (فدانين ونصف) وكل افراد العائلة تشارك في العمل فترى كل الاهلين القادرين على العمل في وادي كاكايان يشتغلون بشيء من الاعمال المتعلقة بالتبغ ومع ان اكثر المشتغلين فيهِ هم من الملاك الصغار فان ثمت بضعة محلات كبيرة تشتغل فيهِ في وادي كاكايان واهمها محلات اسبانية والمانية واعظم الشركات شركة تأسست سنة ١٨٨٢ قيل ان ابتداء اعمالها كان برأس مال صغير فاصبحت لهذا العهد من اغنى الشركات واقدرها وقد تقرر لها مؤخراً رأس مال يبلغ ١٧ مليوناً من الريالات الاميركية وهي تعطي ربحاً وافراً

اما الاميركان فليس لهم في الوادي الآ شركة واحدة هي شركة زراعة فيليبين وهي خليقة بالذكر لانها تقوم باهم الاعمال الزراعية في حرث الارض واستغلالها فقد سبق لها ان اشترت مزرعة كبيرة وبنت فيها بنايات على الطرز الحديث وملأت المزرعة بالادوات الحديثة الاختراع لمعالجة الارض وزرع التبغ وعهدت بادارتها الى رجل ماهر فادرّت المزرعة هذه السنة نتاجها الاول والآمال معقودة ان تنال الشركة في الربيع الآتي موسماً حسناً لان على مستقبل اعمالها يتوقف جني الفوائد للحكومة والاهلين الذين ينتظرون بفارغ الصبر الوقوف على نتاج المناهج الحديثة

ولا خفاء ان تبغ الفيليبين يباع في بلاد واسعة جدًّا . فمن كانتون حتى باكين تباع اعلى السيكارات واردة من مانيلا وترى اليابانيين مولعين بتدخين السيكار الفيلبي

ومع كل هذا الاقبال ترى ان نتاج التبغ في الفيليبين يقل اهمية بالنظر لتزايد الطلب في العالم (١)

وقد خمنت قيمة التبغ المفروم في فيليبين سنة ١٩٠٥ خمسة ملايين ونصف من الريالات الاميركيَّة وبلغ ثمن الصادرات من السيكار نحو تسعمئة الف ريال ومن السيكارات اكثر

(١) ينفق في الولايات المتحدة كل سنة نحو ٤٤٠ مليون ليبرة من التبغ وفي المانيا نحو ٢٠٣ مليون وفي روسيا ١٥٠ مليون وفي فرنسا نحو ٨٤ مليون وفي انكلترا نحو ٨٣ مليون

من اربعة عشر الف ريال ومن ورق التبغ بنحو مليون واربعمئة الف ريال وقيمة المباع في البلاد باكثر من ثلثة ملايين ويبع كل هذا عدا عن مقدارٍ عظيم من التبغ الذنيء الرتبة يبع كلهُ لاهالي البلاد . ومما يذكر ان تبغ فيليبين متى ارسل الى الخارج وعولج في المصانع الاجنبية بيع نتاجه باغلى من نتاج المصانع الوطنية اربعين مرة او خمسين

واعظم الناس ميلاً لتدخين تبغ الفيليبين هم اهل البلاد وعددهم يربو على ثمانية ملايين وكلهم حتى القبائل غير المسيحية من اشد المولعين بالتدخين لا يشذ عن ذلك نساؤهم وصغارهم . وفي المقاطعات التي لا تزرع التبغ ينفق مقادير منهُ يربو ثمنها على مبلغ الصادر . وفي الكاكايان عادة غريبة جدًّا وهي ان النساء يدخنَّ سيكارًا ضخماً طولهُ نحو متر ومحيطهُ عدة عقد ومن الغريب ان النساء يدخنَّ هذا السيكار الضخم فلا ينتهين منهُ الا بعد يومٍ او يومين . وترى في الاحايين انهم يعلقون مثل هذا السيكار في السقف مدلًّى الى الاسفل فيتعاقب اهل البيت على التدخين منهُ . واما الرجال فيغلب عليهم تدخين السكاير ومنهم من يدخن السيكار المعتدل الحجم

موسم القطن

انتهى الموسم الماضي فبلغ الوارد الى الاسكندرية من غرة سبتمبر سنة ١٩٠٦ الى آخر اغسطس هذه السنة ٦٨٦٥٨٩٩ قنطارًا اي اقل من سبعة ملايين قنطار بنحو ١٢٤ الف قنطار وبلغ الصادر من الاسكندرية في آخر اغسطس ٦٩٣٦١٢١ قنطارًا اي اقل من سبعة ملايين قنطار بنحو ٦٤ الف قنطار فقط اي صدر من الاسكندرية اكثر مما ورد اليها لانهُ كان فيها متأخرات من العام السابق فقلّت عمّا كانت . وورد اليها من البزرة ٤١٤٦٣١٤ اردبًا . وصدر منها ٣٧٨٧٣٧٥ اردبًا

ويظهر من تقرير مصلحة الجمارك انها قدَّرت ثمن قنطار القطن المحلوج المززوم ٣٥٠ غرشاً وثمن اردب البزرة ٥٠ غرشاً ولا نبالغ اذا قلنا ان الذين اشتروا القطن المصري دفعوا للقطن المصري ثمن قنطار القطن المحلوج المززوم ٤٠٠ غرش وثمن اردب البزرة ٦٠ غرشاً واذا جرينا على هذا التقدير وجدنا ان ثمن القطن الذي صدر من الاسكندرية في العام الماضي مع اجرة حلجهِ ونقلهِ الى الاسكندرية ورزمهِ فيها بلغ ٢٧٧٤٤٤٨٤ جنيهاً وثمن البزرة ٢٢٧٢٤٢٥ والجملة ٣٠٠١٦٩٠٩ اي اكثر من ثلاثين مليونًا من الجنيهات يخرج منها اجرة الحزم والنقل والحلج وعمولة السماسرة والتجار وما بقي فهو ثمن القطن الذي اخذهُ زارعوهُ

فالامر واضح ان اوربا واميركا دفعتا لحساب القطر المصري ثلاثين مليونًا من الجنيهات ثمن الموسم الاخير من القطن ولا يستلزم ذلك ان يكون هذا المال قد وصل كلهُ او اكثرهُ الى سكان القطر المصري لان على القطر ان يوفي فائدة ديونهِ وديون حكومتهِ وثمن وارداتهِ كلها وقد اوفاها كلها من ثمن القطن

وتدلُّ الدلائل الآن على ان الموسم الحاضر سيكون اكبر من الموسم الماضي بنصف مليون قنطار او اكثر والسعر حتى الآن اعلا من سعر الموسم الماضي فاذا زاد الموسم نصف مليون قنطار وزاد متوسط السعر ريالاً واحدًا فقط بلغت الزيادة نحو اربعة ملايين جنيه فسيباع الموسم الحاضر قطنهُ وبزرتهُ باربعة وثلاثين مليونًا من الجنيهات



التصوير الشمسي الملوَّن

كتبتُ فصلاً في المقتطف عن التصوير الاورتوكرمتيكي الحديث ومزاياهُ منذ سنتين ونيف وذكرت في صدد كلامي ان التصوير الشمسي بالالوان لا يزال بعيد المنال عسر البلوغ مع كثرة عدد الباحثين فيهِ والساعين لاكتشافهِ . ولما كنت في بلاد الانكليز في صيف ١٩٠٥ زرتُ معرض التصوير الشمسي الذي تقيمهُ الجمعية الملكية كل سنة واطَّلعت على آخر ما توصَّل الى عملهِ المصورون في التصوير الشمسي بالالوان وشاهدت صورًا ملونة بالوانها الطبيعية الحقيقية وهي غاية في الرونق والجمال انما لدى استطلاعي الطرق التي أُتبعت لعمل تلك الصور وجدت انها دقيقة العمل يصعب النجاح فيها وزد على ذلك فنفقاتها باهظة . فطريقة "سانجر شبرد" مثلاً ان تصور ثلاث صور من المنظر نفسهِ على ثلاثة الواح منفصلة وحساستها للالوان التي في النور الشمسي مختلفة فيرتسم في اللوح الاول كل ما في المنظر من الاجسام الحمراء اللون ويرتسم في اللوح الثاني كل الاجسام الزرقاء وفي اللوح الثالث كل الاجسام الصفراء . وبعد اظهار هذه الالواح يطبع كل منها على حدة على جلاتين محسَّس شفاف ملوَّن بحسب اللون الذي يختص بهِ ذلك اللوح . فاللوح الذي رسم الاجسام الحمراء تطبع منهُ صورة الاجسام الحمراء وهكذا اللوحان الآخران ثم تؤخذ الصور المطبوعة وتلصق بعضها

فوق بعض بكل دقة واعتناء فيتكون منها صورة اصلية للمنظر المصور كله بالوانه الطبيعية ٠
وشاهدت طريقة ثانية لعمل الصور المصورة بالوانها الطبيعية وتسمى " پيناتايپ " ومبدأها على نمط الطريقة المتقدمة الذكر من حيث التصوير على ثلاثة الواح كل منها لاحد الالوان الرئيسية ولكن عملية طبع كلٍّ من هذه الالواح تتعلق بفن الطباعة اكثر مما تتعلق بالتصوير الشمسي ٠ فيصنع من كل لوح انموذج من الجلاتين ويقسّى ثم تذاب كل الاقسام ما عدا المختصة باللون المطلوب وتبقى مرتفعة عن سواها وعند طبع الصورة منها على الورق تحبَّر بحبر مختص باللون المطلوب و يؤتى بورق عادي و يضغط عليها بمكبس وتطبع الورقة ثلاث مرات من ثلاثة الواح بارزة محضَّرت على الطريقة المذكورة آنفاً وتظهر الصورة كاملة الالوان جميلة جداً

ولكن هاتين الطريقتين وما سواهما من الطرق والتجارب التي قام بها مصورون مختلفون لم تكن تأتي بالغرض المطلوب لكلفتها الزائدة ودقتها وطول الوقت الذي تستغرقهُ

وقام منذ ثلاث سنوات مصور فرنسوي يسمى ديكوس دي هورون وذكر مبدأً شرحهُ واذاعهُ على الجمعيات العلمية يتيسر بهِ الحصول على صورة ملوَّنة من مجرد استعمال لوح واحد فقط ولكن لم نعد نسمع عنهُ وعن طريقتهِ هذه الاَّ منذ عهد قريب اذ جاءتنا جرائد اوربا حاملة الينا نبأ اتمام هذا الاختراع الجميل على يد اصحاب المعامل الفوتوغرافية اخوان لوميير المشهورين في فرنسا فانهم لما دروا بمبدإ دي هورون اعتنوا باخراجهِ من حيز الفكر والقول الى حيز العمل واعتمدوا على تجارب الاستاذ جولي العالم المصور الشهير وما زالوا يوالون البحث حتى عثروا على طريقة تجعل هذه الامنية في الامكان ولم يلبثوا حتى اذاعوا اكتشافهم هذا واثبتوهُ رسمياً وعياناً واعلنوا عزمهم على صنع الواح للبيع ليتيسر للجميع الاشتغال بها فاشتهر اسمهم الآن بين المخترعين او المكتشفين من ارباب هذا الفن وقد لايمضي زمن طويل حتى ينالوا من هذا الباب الجديد ثروة طائلة لان طريقتهم هذه بسيطة العمل يسهل فهمها ويمكن لاي مصور عادي ان يشتغل بها بنجاح ونفقاتها بخسة جداً بالنسبة الى نفقات الطرق الاخرى التي ذكرت منها اثنتين في أول كلامي وفي جانب النتيجة التي تحصل منها

واذ كان المقتطف اول المجلات العربية المعدة لذكر الاكتشافات والاختراعات الحديثة فان شرح طريقة اخوان لوميير قد تصلح لهُ لا سيما وان كثيرين من المشتغلين بفن التصوير الشمسي طالما تمنوا التصوير الشمسي بالالوان ويهمهم الوقوف على ما وصل اليهِ الساعون فيهِ الآن

— وصف الطريقة —

ان السر في تلوّن الصورة بالالوان الطبيعيَّة هو في اللوح الحساس المحضر على طريقة

تختلف عن الطرق المتبعة عادة . ويكفي القول هنا ان الثلاثة الالوان الاصلية التي في الطيف الشمسي موجودة في طبقة دقيقة جدًّا تحت طبقة الجلاتين المحسّن وهي تتلون بعد التعريض في آلة التصوير بحسب لون النور الذي تنفذها

اما جلاتين هذه الالواح فاورتوكرمتيكي المزيج شديد الحساسة حتى للنور الاحمر واذ كان لابد من استعمال النور في الغرفة المظلمة وقت الاظهار فيعتمد على النور الاحمر الضئيل. وهذا الجلاتين لطيف جدًّا سريع العطب فيجب الحذر من مسهِ عند تناوله . ويركَّب اللوح منهُ في الشامي على عكس ما يركَّب اللوح العادي فيدار وجههُ المطلي بالجلاتين الى داخل الشامي ويبقى وجه الزجاج مواجهاً للعدسية داخل الآلة ذلك لكي تنفذ اشعة الصورة في الطبقة الملونة اولاً وتفعل بها ما يولّد الالوان في الصورة الناتجة . وعند عمل التعريض يركب حاجز من الزجاج الاصفر وراء العدسية تماماً كما في التصوير الاورتوكرمتيكي لكي يخفف قليلاً من فعل اللون الازرق والبنفسجي من نور الشمس . ويتراوح التعويض من ثانية واحدة في الخارج الى ثلاثين ثانية في الداخل وذلك حسب قوة النور وشدتهِ او ضعفهِ وقلتهِ

وعند اظهار الصورة يؤتى بالسوائل الآتي ذكرها حسب الترتيب المذكور ايضاً وتجري عملية تغطيس اللوح وغسلهِ حسب هذه التعليمات وهي تعليمات اخوان لوميير

المظهر — محلول ١

كحول	١٠٠	غرام
حامض بيروغاليك	٣	غرامات

محلول ٢

ماء نقي	٨٥	غراماً
بروميد البوتاس	٣	غرامات
روح الامونيا النقي	١٥	غراماً

الاستعمال — يضاف عشرة غرامات من المحلول (١) الى مئة غرام من الماء وقبل الاظهار يضاف اليها عشرة غرامات من المحلول (٢) ثم يغطس اللوح المعرض في هذا المظهر ويبقى فيهِ دقيقتين ونصف دقيقة ثم يخرج منهُ ويغسل بالماء الجاري اقل من نصف دقيقة ويجب ان يكون المغطس محجوباً عن النور الاحمر ولا ينظر الى اللوح الاَّ بعد مرور الدقيقتين ونصف فتظهر الصورة عندئذٍ سلبية اعتيادية . وبعد غسل اللوح كما تقدم تحول الصورة السلبية الى

صورة ايجابية بمجرد وضعها في المحلول الآتي الذي يذيب الاملاح الفضية التي قد تحولت بالمظهر المحوّل

محلول ﴿ ٣ ﴾

ماء نقي	١٠٠٠ غرام
برمنغنات البوتاس	٠٠٠٢ غرام
حامض سلفريك	٠٠١٠ غرامات

يغطس اللوح في الظلام في هذا المحلول ويبقى فيه دقيقتين ثم يخرج الى نور النهار الابيض لان هذا مما يساعد على توليد الالوان في اجزاء الصورة . وينظر الى اللوح كما ينظر عادة الى سلبية فوتوغرافية فتظهر الصورة محولة الى ايجابية والالوان ظاهرة فيها بضعف . فيغسل اللوح ثانية اقل من نصف دقيقة ويغطس في المحلول الآتي

محلول ﴿ ٤ ﴾

ماء نقي	١٠٠٠ غرام
سلفيت الصودا انهيدروس	٠٠١٥ غراماً
ديا ميدو فينول	٠٠٠٥ غرامات

وهذا يقوي الالوان ويزيدها رسوخاً ولكنها لا تزال مفتقرة الى التقوية وذلك يتم بتغطيسها في المقوي . وقبل تقويتها يجب ازالة كل اثر للمحلول الرابع فتغسل ١٥ ثانية بالماء ثم تغطس في المحلول الآتي

محلول ﴿ ٥ ﴾

ماء نقي	١٠٠٠ غرام
محلول (٣)	٠٠٢٠ غراماً

ثم تغسل في الماء ثانية اخرى وتغطس في المقوي التالي

المقوّي

محلول ﴿ ٦ ﴾

ماء نقي	١٠٠٠ غرام
حامض بيروغاليك	٠٠٠٣ غرامات
حامض ستريك	٠٠٠٣ "

محلول ﴿ ٧ ﴾

ماء نقي	١٠٠ غرام
نترات الفضة	٠٠٥ غرامات

للاستعمال — خذ عشرة غرامات من محلول (٧) واضفها الى مئة غرام من محلول (٦) وغطس اللوح في مزيجها فلا يلبث السائل ان يتحول الى لون اصفر وعند ذلك اخرج اللوح منهُ . وهنا تظهر الصورة قوية الالوان ولكن اصفرار المزيج الاخير يكسبها شيئاً من الاصفرار ايضاً وهذا يزول بغسل اللوح بالماء ووضعهِ في المروق

المروّق ❋ محلول ٨ ❋

ماء نقيّ	١٠٠٠ غرام
برمنغنات البوتاس	١ غرام

ويبقى اللوح في هذا المغطس نحو دقيقة ثم يخرج ويغسل بالماء وهنا تظهر الصورة كاملة بالوانها الاصلية الطبيعيَّة وهي لا تحتاج بعد ذلك الاَّ الى التثبيت وهذا يتم بتغطيس اللوح في المثبت التالي برهة وجيزة

المثبت ❋ محلول ٩ ❋

ماء	١٠٠٠ غرام
هيبو سلفيت الصودا	١٥٠ غراماً
بيسولفيت الصودا	٥٠ "

ويبقى اللوح في هذا المحلول دقيقتين ثم يغسل بالماء نحو اربع دقائق ويركز جانباً . وينشف الجلاتين حالاً وتبقى الصورة ثابتة

هذا كلام مجمل عن التصوير بالالوان بطريقة الاخوان لوميير عن لوح واحد . وهم يصنعون الآن هذه الالواح للبيع ويبيعون معها كل السوائل اللازمة والحاجز الاصفر للعدسية . وفي الختام اذكر بعض امور جديرة بالاعتبار

اولاً الالوان التي تظهر في الصورة هي في الاصل مغطاة بطبقة ملونة تحت الجلاتين الحاس

ثانياً الصورة تظهر بالوانها من مجرد استعمال لوح واحد حساس

ثالثاً الصورة تظهر وتبقى في الجلاتين ولا يمكن نقلها الى الورق ولا يمكن عمل مثلها منها

رابعاً ينظر الى الصورة بالنور النافذ اي كما ينظر عادة الى السلبيات الفوتوغرافية او كما ينظر الى صور الفانوس السحري

خامساً تستغرق الصورة نحو عشر دقائق حتى يتم اظهارها وتثبيتها وتنشيفها

الخرطوم اسكندر مكاريوس

باب التقريظ والانتقاد

تراكت المطبوعات علينا هذا الصيف فلم نستطع تقريظها حين ورودها لاننا كنا غائبين عن القطر . هذا عذرنا نبسطهُ لدى اصحابها الكرام

الدليل
في موارد اعالي النيل

كتاب كبير الفهُ بالانكليزية جناب السر وليم جارستن مستشار نظارة الاشغال العمومية وعربهُ حضرة ابرهيم بك مصور رئيس الترجمة في تلك النظارة

طالما رأينا لرجال الحكومة المصرية من الانكليز والفرنسويين كتباً جليلة تبحث في المواضيع المصرية التي يهم المصريين معرفتها قبل غيرهم وهي بالانكليزيَّة او الفرنسويَّة لا يستفيد منها الاَّ نفر قليل من ابناء هذه البلاد ككتب مصلحة الصحة ومصلحة الري ومصلحة المساحة ومصلحة الآثار . وطالما طلبنا ان تترجم هذه الكتب الى العربيَّة وتطبع فيها . وهذا اول كتاب أُجيب بهِ طلبنا وعسى ان يكون مقدمة لغيرهِ من الكتب المفيدة

يظهر موضوع الكتاب من التمهيد الذي مهَّدهُ لهُ المؤلف . قال :—

وضعتُ كتابي هذا وجل قصدي ان اسرد فيهِ ماجريات رحلتي الاخيرة الى منطقة البحيرات في اواسط القارة الافريقية غير اني رأيت ان اضمنهُ ايضاً ما استوعبتهُ في خمس سنوات متواليات من الحقائق والقضايا الاولية في ما يختص ببحر الجبل مشيراً فيهِ الى ما تحريتهُ من المعلومات النافعة في المشاريع التي توضع في مستقبل السنين لتعديل شؤون النيل الابيض والحقتهُ بنبذة لجناب المستر ديبوي احد مفتشي الري في الديار المصرية اورد فيها حادثات رحلتهِ في انحاء بحيرة تسانا وانهار السودان الشرقي . . . . وليس هذا الكتاب بمنزلة رحلة ادونها فان البلاد التي جبتها قد وصفها كثيرون غيري ابين مني وهم من اكابر الكتَّاب وما كتابي الاَّ كتاب فنّي دوَّنتُ فيهِ انباء عن حوض النيل نسَّقتها تنسيقاً ملائماً اقصد بذلك التسهيل لاستيعاب المسائل والحقائق المختصة بمياه النيل "

هذا والترجمة في ٦٣٦ صفحة كبيرة وفيها كثير من الصور الفوتوغرافية الاصل ومن الخرائط والرسوم . والوصف في هذا الكتاب اكثر اسهاباً منهُ في الكتب العلمية حتى كأنهُ

رحلة شمرية واليك فقرات منهُ وبين منها شكل الوصف واسلوب الترجمة

" والى ما بعد ملتقى (نهر) الزراف شرقاً يكون البرُّ سوياً لا طلاوة على مرآتهِ فانت ترى على كلا جانبي النيل براحاً عشيباً على قدر مد النظر تكون في ما بينهُ وبينها منافع رحيبة الابعاد وجروفهُ هناك سافلة جدًّا والجانب الايسر لا تبصر العين فيهِ شجراً . وفي ما يلي عمارة الشلوك لا يشرف الرائد على شيء يخفف فظاعة هذا البراح سوى جراثيم النخل وهي قراها منبثة في عامة صحيفتهِ وعلى الجانب الايمن نطاق من الارض حافل بالعضاد وصغار النبات يكاد افتراشهُ فيهِ يكون متواصلاً "

وقال في مكان آخر

" هذا ولكي نأتي على وصف الاقطار الواقعة الى الشمال عن حصن بُرتل ينبغي الشروع بالمسير من محلة ذلك الحصن فيكون عامة الطريق على مسامتة وادي الفجرة والبلاد هناك تضاهي البلاد الواقعة في الجنوب عن المحلة المذكورة بمعنى انها علاية تقوم فيها هضاب تحتها اودية في بطونها غدران جمّة مستنقعة وهي تمرُّ صوب الشمال والشرق الى أمدٍ على قدرِ مدّ البصر . وقلَّ من هذهِ الهضاب ما يكون كثير الارتفاع فعامتها نبوات مستديرة نائئة والبر يتعالى شيئاً فشيئاً من الشرق الى الغرب حتى يلحق بحرف العقبة والارض في مدى من الحصن نباتها كثير ولكنهُ ازعر متفرق البقاع . وبعض الاودية بعضها يستفيض اعشاباً مديدة يكون من بينها البردي الملتف يتخلل منابتها ادغال . وهذه الاقطار هي جزء من منطقة مَطارح نهر امبنجو ومحافل مائهِ ومن ورائك جبال رونزوري جلية للعين ولها ستة او سبعة رؤوس تكسوها الثلوج . وعلى مائة وخمسة وعشرين كيلومتراً من خطوي يقع السائر الى اطراف غابة بودنجا الكبرى ومن تلك المحلة على مائة وثلاثة وثلاثين كيلومتراً عنها ترى الفرع الشمالي الاقصى لنهر امبنجو المعروف ايضاً بنهر مانوبو يجري في وادٍ منفرجهُ خمسون متراً . ولما أبعدنا ستة كيلومترات اخرى اتينا الى هضاب السَّيل والى الشمال عن تلك الهضاب يندفع ماء النقيل من علو فيصب جميعهُ في نهر امسيسي الرامي الى بحيرة البرت وعند الكيلومتر المائة والثاني والاربعين هناك مبدأ غابة بودنجا وهي تكون في مسامتة خط الفجرة الى مسافة عدة كيلومترات شمالاً والغابة من الطريق غربيَّة وهي محشوكة شجراً انيقاً صالحاً للبناء يضاهي الغابة الكبرى الى الغرب عن وادي سملكي وفرةً ونضارةً وتُقارِن غابة بدوما في كونها مرابض لجماعات الفيلة تنحدر الى وادي البحيرة سائرة في مضايق الجروف ثم تصعد راجعة الى الغابة

" اقول ولما كان الصيد محتكرًا في عامة مقاطعة طورو كان رمي الافيال بالرصاص غير مباح البتة فصار من ذلك ان اناسي الاقطار الواقعة على سواحل بحيرة دوبرو وام الارض المجاورة لتلك الغابات قد هاجروا مواقعهم ومفترشاتهم اذ امتنع عليهم وقاية منابت الموز هناك من عيث الفيلة فيها وبما ان الموز هو عماد اقواتهم قد جلب هذا الامر عليهم ضررًا اكبر ولذلك كان من المقرر الثابت ان تنتقص ايرادات ذلك الاقليم · والفيلة في عامة مستعمرة اوغندا محتفظ بها احتفاظًا كليًّا حتى لا يخشى البتة ان يعتريها انتقاص يعتد به فهي تجول سراحًا في اديم تلك الارض اسرابًا كثيرة العدد فان اثر قوائمها اي اخفافها في كافة تلك الانحاء في حين ان يندر معاينتها · وطبيعة الارض فيما وراء ذلك بعشرين كيلومترًا أو نحوها لا تختلف في عامتها عما قبلها فالارض متمادية ذات كسور بين هبوط وصعود فهي اودية وجبال متعاقبات بالانتظام الدقيق وفي سمت الشرق القصي سطور من الهضاب وجبال كاجورارا تستطيل في الفضاء منفردة بنفسها ويكون ارتفاعها نحوًا من خمسمائة متر وهي على ستة عشر او سبعة عشر كيلومترًا عن شرق الشعاب الصخرية المحيطة بوادي البحيرة · وفي مدى تلك الفترة جاوزنا اربعة جداول كلها ترمي الى نهر امسيسي عمدتها جدول أزوسي عند الكيلومتر المائة والحادي والستين وهو يمرُّ بالصوب الشمالي في وادي بجوته ثلاثمائة متر وسعة مسيله اليوم ستون مترًا لا يتجاوزها · جروفهُ قائمة ارتفاع مسقطها متر واحد مدهُ أي عالية مائهِ متران وخمسة وعشرون سنتيمترًا وفي اعتقادي ان جمهور مائهِ في ابان فيضهِ عظيم المقدار — هذا وعند الكيلومتر المائة والرابع والسبعين ادركنا نهر امسيسي وهو نهر يفصل بين مقاطعة طورو وبلاد اوغندا وهو اعظم الانهار الرامية الى بحيرة البرت ما خلا نهر فكتوريا · اما وادي مسيلهِ فواسع بعيد القرار غاص بملتف الشجر وتكون الحروف اليمنى اي الشمالية في قيامها الى علاية ارتفاعها عن قاع النهر بقدر مائتي متر مدرَّجة بدرجتين وهي مستفيضة شجرًا وأصل تكوينها هو انفجار احدى المهاوي الكبرى التي تقطع العلاية من شرق الى غرب · اما المرتفع الى الشمال عن نهر امسيسي فيذهب في الارض مسافة بعيدة وهو محشوك ادغالاً وتوجد الزروع في مبدإهِ على قلة وبعد ذلك تنقلب طبيعة الارض فتصبح مشاهدها موحشة الى حد الافراط فهي خراب يباب لاعمارة فيها ولا اهل ولكن الهضاب تكون اعلى واسمى وذلك يذهب بشيء من غلظة تلك المشاهد · اما الاودية فبعيدة الاغوار وفي عامتها مناقع اديمها ردغة فسيحة طينتها حمأة منتنة فيهِ سامق البردي وشجر القصب ويسيل في عرض هذه المناقع جداول وانهار متطوحة فيها وجراثيم النمل اي قراهُ في هذه الارض تختلف شكلاً فيها عما في

غيرها فهي اشبه بنبات الفطر عظيم الجرم سوقها قائمة عمودية وهي مدورة متوسط قطر تدويرها يكون ثلاثة وخمسين سنتيمترًا ورؤُوسها مستديرة ايضاً لكنها منفرشة منتشرة كالعرهون (وهو الفطر من الكمأة) وربما وجدت هذه الرؤُوس لاتقاء زواعب السيول اما ارتفاعها فلا يكاد ينيف على متر واحد"

والكتاب كلهُ على هذا النسق من الوصف والترصيف . ولقد عُني المترجم باختيار فصيح الالفاظ وبليغ المباني وبالغ احياناً في تميق ديباجة الكلام فاختار الفاظاً غريبة اضطرَّ ان يفسرها بما يرادفها كما رأيت في كلمة الجراثيم وحبذا لو اقتصر على المتعارف الشائع الاستعمال من الالفاظ والتراكيب حتى لا تفوت الفائدة احدًا من القراء

وحري بقراء العربية ان يسدوا الشكر الجزيل للمؤلف والمترجم على هذه التحفة النفيسة وعسى ان يكون هذا الكتاب ممهدًا للاعمال الهندسية العظيمة التي تعود بالنفع الكبير على القطر المصري والقطر السوداني معاً

تاريخ دول الاسلام

تأليف رزق الله افندي منقريوس الصدفي

نحن الآن في عصر التحقيق لا يرضينا ما وضعهُ المؤرخون المتقدمون او ما نقلوهُ بالتواتر من غير تمحيص فكل ما ذكروهُ عن عاد وطسم وجديس وثمود وقحطان وعدنان وملوك اليمن وملوك كندة وملوك العراق موضوع او مجموع من اخبار منقولة بالسماع لا يعوَّل على شيء منها ما لم تؤيدها الآثار او المؤلفات اليونانية او الرومانية التي كتبت في عهدها لان العرب لم يدوّنوا تواريخهم الا بعد الهجرة بزمن طويل ولا يخفى ما يعتور الاخبار من الخلط والتحريف اذا بقي الاعتماد فيها على الذاكرة والاخذ بالسماع هذا اذا فرضنا صدق الرواة وبعدهم عن الكذب والتشيع . ولقد حاولنا مرة نقل اخبار الثورة العرابية عن الذين شاهدوها وكانوا مشاركين فيها فلم نجد اثنين يتفقان في الامور الجوهرية فضلاً عن العرضية وكان ذلك بعد الثورة ببضع سنوات فما قولك باخبار تروى عن حوادث بعد حدوثها بمئة سنة او مئتي سنة او اكثر . ولا بأس بذكر ما ذُكر في التواريخ العربية مسهباً او مجملاً ولكن يليق بالمؤرخ من ابناء هذا العصر ان يشير الى انهُ منقول برمتهِ عن كتب العرب ولا يحمل الآ تبعة ما ثبت لهُ منهُ بالبحث الدقيق ولم يكد الاسلام ينتشر في المسكونة حتى نشأ في بلادهِ المؤرخون فدونوا حوادث عصرهم

بما استطاعوا او بما ارادوا من الدقة والانصاف ولو جمعت التواريخ العربية التي ذكرت فيها اخبار دول الاسلام لملأت مئات من المجلدات الضخمة ولذلك احسن حضرة رزق الله افندي منقريوس الصدفي مؤلف هذا الكتاب في جمعهِ خلاصة ما جاء في هذه التواريخ ليستعين بها الباحث الذي يمنعهُ ضيق الوقت عن الرجوع الى المطوَّلات او لا يجد اليها سبيلاً.
وقد جعلهُ ثلاثة اجزاء صدر الآن الجزء الاول منها وهو ينتهي بالدولة الحسينية في كردستان سنة ٩٧٦ للميلاد ويليهِ الجزء الثاني ويبتدئ بالدولة الغزنوية بكردستان وينتهي بالدولة المرينية بمراكش سنة ١٢٣١ للميلاد ثم الجزء الثالث ويبتدئ بالدولة النصرية الاحمرية بالاندلس وينتهي بقيام الدراويش في السودان سنة ١٨٨٠ · وحبذا لو نبَّه الى ان بعض ما نشرهُ فيهِ من الصور خيالي لا حقيقي مثل صورة قدوم الامام عمر على بيت المقدس فانهُ لم يكن هناك مصورون صوروا قدومهُ ولا كان التصوير الشمسي معروفاً · وقدوم الامام عمر على الشكل الذي ذكرهُ الواقدي من الحوادث المشكوك في صحتها ويكفي الاطلاع على رواية الواقدي للاستدلال على انها موضوعة مثل اكثر ما ذكرهُ

وحبذا لو تمكَّن المؤلف من مضاهاة تواريخ العرب بتواريخ الافرنج القديمة ونشر خلاصة ما ذكرهُ الفريقان حيث يختلفان فان حقيقة التاريخ لا تظهر الاَّ بمثل هذا التمحيص ولا نقول ذلك لاننا نستخف المتاعب والمشاق التي تكبدها حضرة المؤلف في جمع كتابهِ بل لان التاريخ لا يفيد الفائدة المطلوبة ما لم يجرَّد من كل ما لا صحة لهُ ويقتصر فيهِ على ذكر الحوادث كما حدثت تماماً مع ذكر مقدماتها ونتائجها والاحوال التي حدثت فيها

وقد اهدى المؤلف كتابهُ الى حضرة الوجيه الخواجه بشرى حنا ميخائيل وصدَّرهُ برسمهِ فنثني على همتهِ واجتهادهِ

محمد علي

رواية تاريخية غرامية تشتمل على سيرة محمد علي باشا مؤسس العائلة الخديوية من أول نشأتهِ الى ان قبض على ازمة الحكومة المصرية تأليف مهلباخ الالماني وقد ترجمها من الانكليزية الى العربية حضرة الكاتب المجيد نسيب افندي المشعلاني وطبعت على نفقة ادارة الهلال واهديت الى المشتركين فيهِ

والرواية حسنة السبك مبنية على حوادث تاريخية صحيحة ولو ذكرت فيها مزوقة كما تقتضيهِ كتابة الروايات . ويكاد تاريخ محمد علي كلهُ يكون من هذا القبيل لكثرة ما فيهِ من الحوادث الغريبة

جيولوجية الصحراء الشرقية

GEOLOGY OF THE ESTERN DESERT OF EGYPT

لمصلحة المساحة اعمال جليلة في هذا القطر من حيث تخطيطهِ والبحث في بنائهِ واحداثهِ الجوية . ولا تمرُّ سنة الاَّ وتتحفنا بكتب جليلة في هذه المواضيع ومن ذلك هذا الكتاب ومداره على جغرافية الصحراء الشرقيَّة وجيولوجيتها ومعادنها ، والمعادن التي جرى البحث عنها هي الذهب والنحاس والحديد والكبريت

فالذهب موجود في عروق الكوارتز وهي اما من الحجر المنضد (شست) او الحجر المحدَّد (ديوريت) او الحجر الاصواني

والنحاس في شكل الكربونات والكلوريد الخ يوجد في الحجر المنضدد والغنس وكان يستخرج سابقاً من ابسيل وابي حمامد

والحديد راسب في وادي الجو قرب ساحل جبل حماتا

والكبريت موجود في جص الرنجا قرب المكان المتقدم ذكرهُ

والخرائط كثيرة في هذا التقرير وبعضها ملون بالوان تدل على انواع الاتربة والصخور وتنبئ عن فرط الهمَّة التي بذلها رجال المساحة في مسح الاراضي والبحث عن اتربتها وصخورها ورسم كل ذلك بالدقة ليكون مرشدًا للذين يريدون البحث عن معادن تلك البلاد وطرقها وآثارها ونحو ذلك مما لا بدَّ من معرفتهِ اذا أُريد استثمار خيراتها

شبه جزيرة سينا

جغرافيتها وجيولوجيتها

THE TOPOGRAHAY AND GEOLOGY OF THE PENINSULA OF SINAI

هذا الكتاب اكبر من الاول واكثر خرائط ومدارهُ على القسم الجنوبي الشرقي من بلاد سينا فيهِ صور كثيرة فوتوغرافية الاصل يبين منها شكل البلاد الظاهر وما ينبت فيها من الاشجار والانجم وما فيها من العراقيب والصحاري والاماكن الموحشة وانواع نباتاتها وقد ذكرت اسماؤها العربيَّة احياناً مكتوبة بحروف افرنجية و ياحبذا لو كتبت بحروف عربيَّة ومن ذلك النعمان والسليح وهما من فصيلة الخشخاش . والرحي وهو من الفصيلة الصليبيَّة والموجود منهُ الرحي المستشيب Morettia canescens والغمغم (وهو المنثور العربي Matthiola Arabica)

واسماء النبات كثيرة ملأت ٢٧ صفحة وهذا كلهُ لا يعدُّ شيئاً مذكوراً بالنسبة الى الخرائط الكبيرة التي تظهر فيها حدود البلاد وارتفاعاتها وما فيها من الجبال والوهاد والمسالك والآثار ثم الخرائط الملونة بالوان تدل على انواع تربتها وصخورها· وهذان الكتابان اثران جليلان من آثار مصلحة المساحة يشهدان لجناب الدكتور هيوم واضعهما بعلو الهمة وسعة العلم

سير مصلحة البوسطة المصرية

POSTAL TRAFFIC IN EGYPT

اصدرت مصلحة الاحصاء تقريراً مسهباً عن سير مصلحة البوسطة المصرية منذ سنة ١٨٨٠ الى سنة ١٩٠٦ مستخرجة ذلك من تقارير مصلحة البوسطة السنوية فجاء خزانة فوائد يرجع اليها في البحث عن ارتقاء القطر المصري الادبي والمادي مدة ٢٧ سنة · وقد زاد دخل مصلحة البوسطة في هذه المدة من نحو ٨٠ الف جنيه الى نحو ٢٣٧ الف جنيه وزاد عدد المراسلات من خمسة ملايين و ٥٥٢ الفاً الى ٣٦ مليوناً و ٩٧٠ الفاً وعدد المراسلات الخارجيَّة من مليونين و ٦٨٨ الى ٢١ مليوناً و ٣٠ الفاً . واكثر معاملاتنا الآن مع البلاد الانكليز فان عدد المراسلات الصادرة اليها والواردة منها بلغ في العام الماضي اكثر من خمسة ملايين ونصف وتتلوها فرنسا فان عدد المراسلات الصادرة اليها والواردة منها بلغ ٣ ملايين و ٦٦١ الفاً ثم تركيا وعدد المراسلات الصادرة اليها والواردة منها بلغ مليونين و ١٢١ الفاً



اهداء الماسة الكبرى

ستبتاع حكومة الترنسفال الماسة الكبرى المعروفة بماسة كلينن وتهديها الى ملك الانكليز اعترافاً بفضله في منح الترنسفال حكومة دستورية مستقلة في شؤُنها الداخلية· وقد وصفنا هذه الماسة وصوَّرناها في المقتطف حين اكتشافها سنة ١٩٠٥ (انظر المجلد الثلاثين صفحة ٤٤١) وهي اكبر ماسة وُجدت حتى الآن طولها اربع بوصات وعرضها نحو بوصتين ونصف وثقلها نحو ٣٠٢٥ قيراطاً اي نحو رطل ونصف وجدت في منجم برمير قرب برتوريا على هذه الصورة :—

كان احد نظار المنجم يمشي في ارضهِ

وكان الوقت نحو الغروب فرأى اشعة الشمس تنعكس من نقطة تعلو عن ارض المنجم نحو ١٨ قدماً فتسلق الجدار الى ان وصل الى حيث رأى الاشعة المنعكسة فوجد هنالك جانباً من ماسة كبيرة بارزاً من الجدار فحفر عنها بسكينهِ واستخرجها واذا هي اكبر ماسة رأتها عين انسان وسميت باسم كلينن وهو اسم مكتشف ذلك المنجم مع ان اسم مكتشفها ولس Wills ويقال انها اجمل ماسة واصفى ماسة كما انها اكبر ماسة. وقد ارسلت الى قصر بكنهام فرآها الملك والملكة واعجبا بها . ولا تزال في حالتها الطبيعيَّة حتى الآن ويقدَّر ثمنها بمئة وخمسين الف جنيه ولحكومة الترنسفال ستة اعشار هذا الثمن بحق شرعي فيبقى عليها ان تدفع ستين الف جنيه من الثمن وستدفعها في اربعة اقساط سنويَّة

نفقات السلاح

انفقت دول اوربا (ماعدا تركيا) والولايات المتحدة واليابان ٢٥١ مليون جنيه سنة ١٨٩٨ على التسليح اي على سلاح الجنود وبناء السفن الحربيَّة وانفقت هذه الدول نفسها ٣٢٠ مليون جنيه سنة ١٩٠٦ على التسليح

الهبات للمدارس الجامعة

المدارس الجامعة في البلاد الانكليزيَّة لاتنفق عليها الحكومة ولكنها تساعدها مساعدة فتهبها كل سنة مبلغاً من المال لتستعين بهِ على نفقاتها وقد وهبتها هذه السنة المبالغ التالية

جنيه	
١٠٠٠٠	لمدرسة لفربول الجامعة
١٠٠٠٠	لمدرسة منشستر الجامعة
١٠٠٠٠	للمدرسة الجامعة بلندن
٠٩٠٠٠	لمدرسة برمنام الجامعة
٠٨٠٠٠	لمدرسة ليدز الجامعة
٠٧٨٠٠	لمدرسة الملك الكلية بلندن
٠٦٠٠٠	لمدرسة ارمسترنغ الكلية بنيوكاسل
٠٥٠٠٠	لمدرسة نوتنام الجامعة
٠٥٠٠٠	لمدرسة شفيلد

وهلمَّ جرًّا الى ان بلغت الهبات كلها ٨٥ الف جنيه

الثروة من عمل المخللات

توفي بالامس رجل ببلاد الانكليز اسمهُ بلاكول عن ثروة تبلغ نحو مليون جنيه كسبها كلها من عمل المخللات

عدد التفاليس

لقد راجت الاعمال في العام الماضي في البلاد الانكليزيَّة ومتعلقاتها فزادت المكاسب وقلت التفاليس والخسائر كما يظهر من تقرير الحكومة الانكليزيَّة في هذا الصدد الذي نشر في اواخر شهر اغسطس الماضي فقد ذكر فيهِ عدد التفاليس والخسائر التي لحقت

الناس بسببها في السنوات الثلاث الماضية وهو كما ترى في هذا الجدول

	١٩٠٤	١٩٠٥	١٩٠٦
عدد التفاليس	٨٦٣١	٨٦٠٣	٨٠٧٧
القيمة بالملايين	١٢,٠	٩,٦	١٠,١
خسائر المداينين	٩,٣	٧,٦	٧,٩

فخسائر السنة الماضية اقل من متوسط خسائر السنتين السابقتين والناس عموماً في سعة لم يروا لها مثيلاً منذ عهد طويل

اقوال حكمية

الحياة قصيرة ولكنها تكفي لعمل ما يجب علينا عملهُ وانما نتخذ قصرها حجة لاخفاء كسلنا . فان من لا يُطلب منهُ عمل لا يجد وقتاً للعمل

الزوجة الفقيرة تسمح على زوجها اكثر من الزوجة الغنيّة

التملّق خداع ولكنهُ يرضي المتملَّق اذا جاء في سبيلهِ

العلم العالي نافع لابناء العمال ولكنهُ يخرجهم من مصاف العمال

اكبر الحانات

لما كان مجتمع تقدُّم العلوم البريطاني يبحث في مضار المسكرات كان اهالي غلاسكو ينتظرون افتتاح اكبر حانة في الدنيا فقد انشأ فيهِ بيت جمس بوكنان وشركائهِ حانةً او مخزناً للمسكرات يسع مليوناً و٣٢٠ الف زجاجة من الوسكي وفيهِ حوضان كبيران للوسكي يسع كلٌّ منهما عشرين الف جالون واذا افرغ ما في هذه الزجاجات وهذين الحوضين ملأ بحيرة كافية لان تعوم فيها بارجة من اكبر البوارج الانكليزية . وفي هذا الحان الف عامل يبيع كلٌّ منهم خمس مئة الف زجاجة في السنة وتقدر الضريبة التي يدفعها للحكومة الانكليزية في السنة بمليون ونصف من الجنيهات . فكيف تقوى حفنة من الاطباء مع اقناع الناس بالامتناع عن المسكرات وتجارها والمكتسبون منها يعدون بمئات الالوف

المغالاة بالكتب القديمة

بلغ ثمن الكتب القديمة التي بيعت بلندن في الربيع الماضي ١٣٠٠٠٠ جنيه من ذلك نسخة من اشعار شكسبير من الطبعة الاولى التي طبعت في انفرس بيعت في شهر مارس الماضي بمبلغ ٣٦٠٠ جنيه . وبيعت نسخة ثانية من هذه الطبعة عينها في شهر يونيو بمبلغ ٢٤٠٠ جنيه . وبيع ثلاثة دفاتر صغيرة كان الشاعر شلي يكتب فيها بعض الملاحظات بمبلغ ٣٠٠٠ جنيه . ونسخة من كتاب فنسن ده بوفه المرآة التاريخية Le Miroir Historiale بمبلغ ١٢٩٠ جنيهاً ونسخة من كتاب المنازعات بين بيت لنكستر وبيت يورك بمبلغ

١٩١٠ جنيهات . ونسخة ثالثة من اشعار شكسبير بمبلغ ١٥٠٠ جنيهاً

مراكش الحمراء

هي اكبر مدائن المغرب الاقصى يحيط بها سور ارتفاعهُ نحو ثلاثين قدماً فيهِ كثير من الابراج المربعة ولهُ سبعة ابواب وطولهُ سبعة اميال على دائرهِ ويحيط بالمدينة بساتين كثيرة وغابات النخيل . ولون السور والمباني احمر ولذلك سميت مراكش الحمراء . عدد سكانها يقدَّر بين اربعين الفاً ومئة الف . ويقال انهُ كان فيها في زمن عزها سبع مئة الف نفس . وفي وسطها سوق مسقوفة فيها اكبر مخازن الاوربيين . وهي من المدن القديمة فقد ذكر انها حوّطت بسور منذ نحو ثماني مئة سنة

معرض التصوير الشمسي

فتح معرض التصوير الشمسي السنوي ببلاد الانكليز في الشهر الماضي (سبتمبر) وبقي مفتوحاً الى السادس والعشرين منهُ ومن اخص مزاياهُ الصور الفوتوغرافيَّة الملونة التي صورها بيت لومير حسب طريقتهم المشروحة في هذا الجزء في باب الصناعة وقد نالوا عليها نشان المعرض . ومنها صور المريخ الفوتوغرافيَّة التي تظهر فيها ترعهُ وقد صورت منذ شهرين في مرصد لول باميركا كما ابنا في الشهر الماضي

الانفاق على العلم

الانفاق على العلم غير الانفاق على التعليم ويراد بهِ الانفاق على المباحث العلمية مثل التجارب الزراعية والبحث في الارض لمعرفة نباتها ومعادنها وجمع الارصاد الجويَّة والبحث عما في الاطعمة من الغذاء ونحو ذلك مما تعود نتائجهُ بالفائدة على البلاد بنوع عام وعلى توسيع المعارف العلمية بنوع خاص . وقد قابلت جريدة نانشر بين ما عينتهُ الحكومة الاميركية هذه السنة للانفاق في هذا السبيل وما عينتهُ الحكومة الانكليزيَّة فاذا مجموع المبالغ التي عينتها الحكومة الاميركية ٢٧٤٠٣٦٠ ومجموع المبالغ التي عينتها الحكومة الانكليزيَّة ٢٤٢٨٦٣ فقط اي اقل من عشر المبالغ التي عينتها الحكومة الاميركية مع ان دخل الحكومة الانكليزيَّة السنوي ١٤٤ مليون جنيه ودخل الحكومة الاميركية ١٥٢ مليون جنيه

البلون الحربي الانكليزي

لم يشإِ الانكليز ان يقصّروا عن الفرنسويين والالمانيين في عمل البلونات الحربيَّة فصنعوا بلوناً كبيراً اسطواني الشكل طولهُ نحو مئة قدم وقطرهُ ٣٠ قدماً وعلقوا بهِ مركبة فيها آلة محركة ووضعوا في المركبة دفة لها ست مراوح . وجربوهُ فاذا ادارتهُ في الهواء سهلة وسرعتهُ ١٧ ميلاً في الساعة

بركان جديد

ورد من ستل في الشمال الغربي من اميركا الشمالية انهُ ثار هناك بركان جديد في اليوم الاول والثاني من سبتمبر وثورانهُ هذا هو سبب الحركة التي ظهرت في آلة رصد الزلازل بوشنطون عاصمة الولايات المتحدة

اكبر السفن واسرعها

بنت شركة الكنارد سفينة لم يبنَ اكبر منها حتى الآن ولا اسرع فان طولها ٧٨٥ قدماً وعرضها ٨٨ قدماً وعمقها ٦٠ قدماً وتفريغها ٤٠ الف طن وقوة آلاتها البخارية ٦٨ الف حصان وقد قطعت المسافة من اوربا الى اميركا وهي ٢٧٨٢ ميلاً في خمسة ايام و ٥٤ دقيقة وكان متوسط سرعتها ٢٣ ميلاً بحريًّا وجزءا من مئة من الميل في الساعة واشد ما بلغتهُ من السرعة ٢٦ ميلاً بحريًّا ونصف ميل في الساعة وهي تسع ٢١٩٨ راكبًا وتحمل ١٥٠٠ طن من البضاعة

جثة الملك منفتاح

كان في دار التحف المصرية جثة محنطة ملفوفة بلفائفها ظنَّ المسيو مسبرو انها جثة الملك منفتاح بن الملك سني الكبير وقد فك الدكتور اليوت سمث اللفائف عن هذه الجثة فظهر من الكتابات التي على اللفائف ومن اسلوب التحنيط ان ظن المسيو مسبرو في محلهِ ويظهر من هذه الجثة ان الملك منفتاح كان طويل القامة (طولهُ متر و٧١ سنتيمترًا) بدين الجسم اصلع الرأس . والمظنون انهُ هو الفرعون الذي يقال انهُ تبع بني اسرائيل وغرق في البحر الاحمر

معرض طوكيو

تنوي اليابان ان تقتدي بالممالك الكبيرة وتقيم في عاصمتها معرضاً كبيرًا عامًّا وقد قدرت نفقات اقامتهِ مليوني جنيه ورضيت الحكومة اليابانية ان تدفع نصفها

الكهربائية لباريس

عرض ثلاثة من المهندسين ان يقيموا سدًّا في وادي الرون ويولدوا من ذلك قوة كهربائية كافية لمدينة باريس وما فيها من المركبات . وتقدَّر نفقات هذا العمل بمليونين واربع مئة الف جنيه

جامعة الجزائر

ارتأى حاكم بلاد الجزائر ان تنشأ فيها مدرسة جامعة مثل المدارس الجامعة الاوربية تكون واسطة لاتحاد الشعوب الساكنة في تلك البلاد وقد اشار بذلك المسيو مواساس قبل موتهِ والاستاذ بوشار حينما امتحنا المدارس الثانوية في بلاد الجزائر ولا يبعد ان ترى افريقية الجامعة الجزائرية قبلما ترى الجامعة المصرية

نبات الاستك

اكتشف نبات في غربي افريقية لهُ جذور كبيرة كجذور اللفت فيها مادة لبنيَّة تجمد وتصير لستكا وهو يزرع في الارض كما يزرع اللفت وتبلغ غلة الفدان منهُ ١٨٠ رطلاً من الاستك في سنتين

البنيتو

وجد في سان بنيتو بكليفورنيا حجر كريم لم يكن معروفاً من قبل ازرق شفاف صلب فيهِ بنفسجية قليلة اذا أُحمي صار لونهُ احمر ساطعاً واذا يرد عاد الى لونهِ الازرق وقد أُطلق عليهِ اسم بنيتو باسم المكان الذي وجد فيهِ

كهف هندي قديم

وجد في جبال كليفورنيا كهف قديم فيهِ غرف كبيرة جدًّا على جدرانها رسوم تمثل هنود اميركا وهم يصطادون الدب والغزال ونحوهما من الحيوانات ومن ذلك صورة تمثل الدب وهو جاد في اثر الصيَّاد

دواء داء النوم

اثبت المستر جس برند ان الحقن تحت الجلد بمذوب ازرق المثيلين والسليماني يشفي الخيل من مرض التريبانسوم وهو مثل داء النوم الذي يصيب الناس ولذلك ظن انهُ يشفي ايضاً من داء النوم مثل الاتوكسيل

جمعية الصليب الابيض

أُلفت في جنيفا عاصمة سويسرا جمعيَّة سميت جمعيَّة الصليب الابيض غايتها ان تنتشر في العالم لمقاومة السل والسرطان والامراض الوبائيَّة على انواعها والشرور العموميَّة كالسكر ونحوهِ وهي مثل جمعية الصليب الاحمر التي يساعد اعضاؤُها جرحى الحروب

التعليم في اليابان

لما نشبت الحرب بين الروس واليابان واضطرَّت اليابان ان تبذل كل قوتها وتنفق كل اموالها على الحرب نشر امبراطور اليابان منشورًا طلب فيهِ من رعاياهُ ان يضاعفوا همتهم في تعليم اولادهم ولا يقللوا شيئًا من نفقات التعليم . وقد كان عدد اولاد المدارس في بلاد اليابان سنة ١٨٧٣ ثمانية وعشرين في المئة من كل الاولاد الذين في سن التعلُّم ذكورًا واناثًا . فبلغوا في زمن الحرب ٩٧ في المئة من الصبيان ونحو ٩٣ في المئة من البنات . وجملة الصبيان والبنات الذين كانوا في المدارس حينئذٍ بلغ ٧٠٠١٤٤٥ اي اكثر من سبعة ملايين ونصف وبلغ عدد الطلبة في مدرسة طوكيو الجامعة ٣٥٠٠ وفي مدرسة كيوتو الجامعة ١٣٠٠ . وانت ترى من ذلك ان الاهتمام بالتعليم قديم في بلاد اليابان

فان نحو ثلث السكان كانوا يحسنون القراءة والكتابة منذ اربع وثلاثين سنة . فلا يتعذر على اناس هذا شأنهم ان يجعلوا التعليم اجبارياً للذكور والاناث لان عندهم العدد الكافي من المعلمين والمعلمات

الاستاذ كارل فوجل

الاستاذ كارل فوجل مدير مرصد بوتسدام من اكبر علماء الفلك واشهر الباحثين بالسبكتروسكوب والذين لهم اليد الطولى في اتقان هذه الآلة واستخدامها للمباحث الفلكية تولى ادارة مرصد بوتسدام منذ سنة ١٨٧٤ وبقي في ادارته الى ان ادركته الوفاة في ١٣ اغسطس الماضي

موتمر الطب الفرنسوي

يعقد هذا المؤتمر في باريس من ١٤ الى ١٦ اكتوبر برئاسة الاستاذ ديوف ومن المسائل التي يبحث فيها اصل السل الرئوي وفعل الراديوم الطبي وفعل التوبركولين والعلاج بالمصل في الدوسنطاريا

المؤتمر الصحي العام

يعقد هذا المؤتمر في مدينة مكسكو من ٢ الى ٧ دسمبر المقبل ومن المواضيع التي يبحث فيها انتقال الامراض المعدية كالطاعون والحمى الصفراء والكوليرا والملاريا والتراخوما

النبات تحت الشجر

من الامور المتعارفة انهُ اذا زرع زرع تحت الشجر فاما انهُ لا ينمو جيداً او انهُ ينمو ويضعف الشجر وقد كثر الخلاف في سبب ذلك واتضح اخيرًا ان المزروعات والاشجار التي تنمو في الارض يتولَّد من جذورها مواد سامة تضرُّ ما يزرع معها من انواع النبات المخالفة لها والقوي منها يتغلب على الضعيف وهذا سبب ضعف المزروعات التي تزرع تحت الاشجار او ضعف الاشجار التي تزرع تحتها المزروعات

الصور الملونة الكبيرة

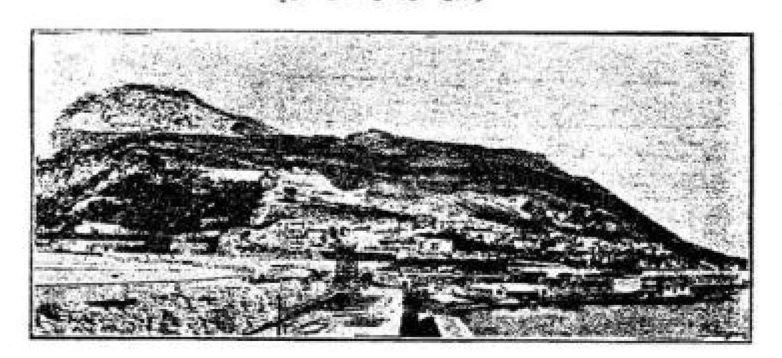
استعملت طريقة لومير في التصوير الشمسي الملون لتصوير الميكروبات ونحوها مكبَّرة من ٣٠ قطرًا الى الف قطر فظهرت الصور واضحة ملونة كما ترى بالميكرسكوب

السفن الكبرى

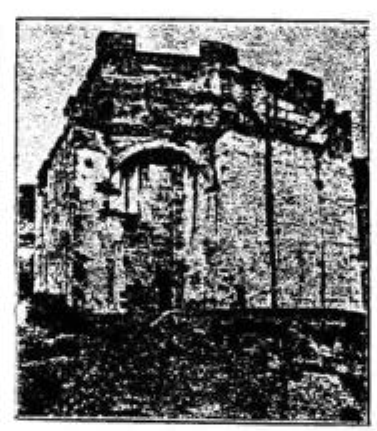
تزداد قوة السفن التجارية عاماً فعاماً فقد كانت قوة آلات السفينة الكبرى سنة ١٨٧٨ ٧٦٥٠ حصاناً وكانت سرعتها ١٤ ميلاً بحرياً في الساعة فبلغت قوة السفينة الكبرى سنة ١٨٨٨ عشرين الف حصان وسرعتها ٢٢ ميلاً بحرياً وسنة ١٨٩٧ ثلاثين الف حصان وسرعتها ٢٢ ميلاً ايضاً والآن بلغت قوة آلات السفينة الكبرى ٦٨ الف حصان وسرعتها نحو ٢٦ ميلاً بحرياً



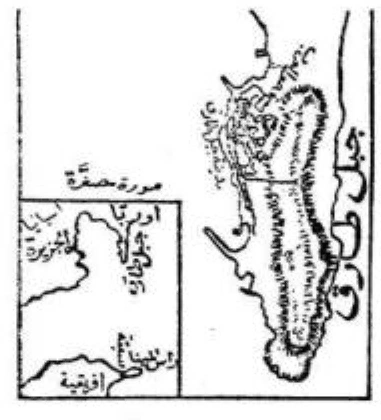
منظر جبل طارق من الشمال الشرقي



منظر جبل طارق من الغرب

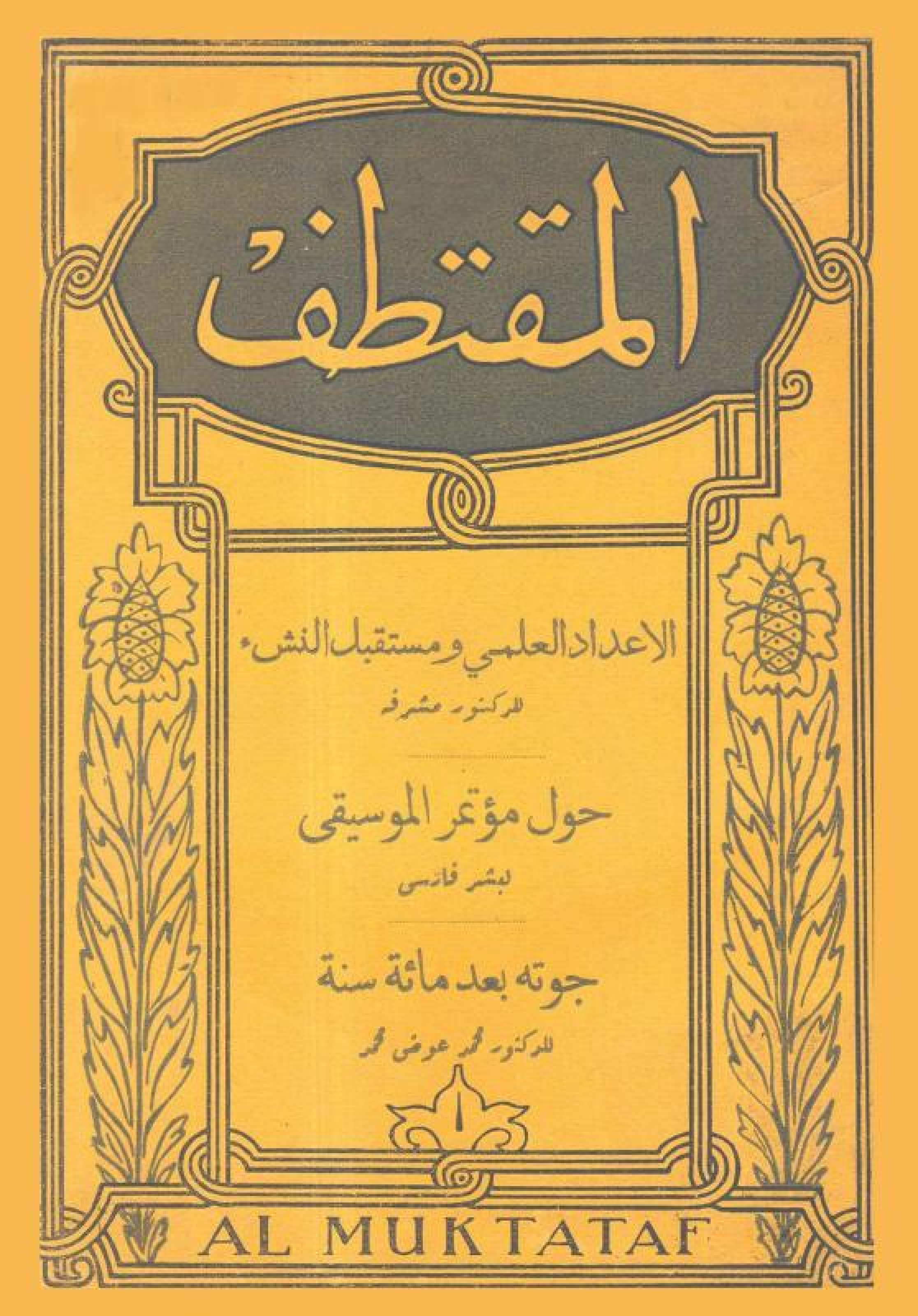


قصر العرب



خريطة الجبل مصغرة ومكبرة

فهرس الجزء العاشر من المجلد الثاني والثلاثين



المقتطف
الاعداد العلمي ومستقبل النشء
للدكتور مشرفة
حول مؤتمر الموسيقى
لبشر فارس
جوته بعد مائة سنة
للدكتور محمد عوض محمد
١
AL MUKTATAF

المقتطف

الجزء الحادي عشر من المجلد الثاني والثلاثين

١ نوفمبر (تشرين الثاني) سنة ١٩٠٧ — الموافق ٢٥ رمضان سنة ١٣٢٥

انجيل برنابا (١)

قد يظن من يطَّلع على هذا العنوان ان بحثنا فيهِ سيكون دينيًّا خلافًا لموضوع المقتطف . ولكن ليس الامر كذلك لان البحث العلمي دخل المواضيع الدينيَّة ايضاً فصار من السهل البحث فيها بحثاً علميًّا محضاً وهذا ما نتوخاهُ الآن فنقول

شاع في هذه الاثناء وجود انجيل للقديس برنابا باللغة الايطالية فيهِ كلام صريح عن مجيء النبي محمد . وقد تُرجم هذا الانجيل الى اللغة الانكليزيَّة ترجمهُ لنسدايل ولورا راغ وطبع مع الاصل الايطالي واهديت الينا نسخة منهُ وطُلب منا ان نبدي رأينا فيهِ . فتصفحنا مقدمات الترجمة الانكليزيَّة وبعض فصولها . ويظهر من المقدمات انهُ عُلم في اوربا في اوائل القرن الثامن عشر ان فيها انجيلاً باللغة الايطالية منسوبًا الى برنابا ولهُ ترجمة اسبانية . وقد كشف النسخة الايطالية رجل اسمهُ كرامر كان مشيرًا لملك بروسيا وجدها في امستردام سنة ١٧٠٩ واعارها لرجل آخر اسمهُ يوحنا تولند ثم اهداها بعد اربع سنوات الى البرنس اوجين برنس ساڤوى وكان مولعاً بجمع الكتب القديمة ونقلت مع كتبهِ الى مكتبة ڤينا الامبراطورية سنة ١٧٣٨ حيث وجدت فيها الآن

ورأى سايل (مترجم القرآن الى اللغة الانكليزيَّة) النسخة الاسبانيَّة وقال " انها مكتوبة بخط واضح وفيها مئتان واثنان وعشرون فصلاً مختلفة الاطوال واربع مئة وعشرون صفحة ويقال في فاتحتها انها مترجمة من اللغة الايطالية ترجمها رجل مسلم ارغوني اسمهُ مصطفى الارندائي

(1) The Gosple of Barnabas. Edited and translated from the Italian MS. in the Imperial library at Vianna by Lonsdale and Lura Ragg. Oxford, Clarendon Press 1907.

ولها مقدمة لمكتشف هذا الانجيل وهو راهب اسمهُ مارينو قال فيها انهُ عثر على كتابة لايرينيوس خطأً فيها بولس الرسول معتمدًا على انجيل للقديس برنابا . فتاقت نفسهُ الى رؤْية هذا الانجيل وقدَّر لهُ الله برحمتهِ ان صادق البابا سكستوس الخامس واتفق انهُ كان معهُ ذات يوم في مكتبتهِ (مكتبة البابا) فرآهُ قد نام واراد ان يسلي نفسهُ فمدَّ يدهُ وتناول كتابًا من المكتبة فاذا هو الانجيل ضالتهُ فغلبهُ السرور بهذا الاكتشاف ولم يأنف من سرقتهِ نخبأَهُ في كم ثوبهِ ولما استيقظ البابا استأذنهُ مارينو في الانصراف آخذًا معهُ الكنز الذي اكتشفهُ ثم قرأَهُ واعتنق الاسلام". انتهى ما ذكرهُ سايل. لكن النسخة الاسبانية التي رآها ضاعت فلا يعلم اين هي الآن ولا يعلم من هو هذا الراهب . وقد ذُكر في اخبار الفاتيكان راهب اسمهُ ميستر مارينو من طغمة الرهبان الفرنسسكانيين ويقال انهُ نشر سنة ١٥٤٩ كتبًا عُدَّت في جدول الكتب المحرومة (اندكس)

اما النسخة الايطالية التي وجدت الآن في مكتبة فينا فصغيرة الحجم فيها ٢٢٥ ورقة مجلدة معًا بجلد لونهُ اخضر غامق مذهب بخطين على اطرافهِ وفي وسط الدفة نقش يحيط بهِ خط مذهب وهي تشبهُ في تجليدها كتابًا في مكتبة فينا تاريخهُ سنة ١٥٧٥ وورق النسخة الايطالية ايطالي عليهِ علامة الدائرة والمرساة كما يظهر لمن يستشفهُ وهذه العلامة كانت توضع على الورق الايطالي في النصف الثاني من القرن السادس عشر وشكل الكتابة يدل على انها ليست اقدم من ذلك

وقد ظن البعض ان هذه النسخة الايطالية مترجمة من اصل عربي لكنهم لم يذكروا دليلاً يرجح هذا الظن بل يظهر من تحقيق الباحثين ان النسخة الايطالية اصلية وان كاتبها اقتبس من ترجمة التوراة اللاتينيَّة المعروفة بالعامة واتبعها في بعض العبارات المبهمة مما يدلُّ على انهُ كان يقرأُ تلك الترجمة ويحفظ كثيرًا من عباراتها او لا شبهة في انهُ كان مطَّلعًا عليها. وكان مطَّلعًا ايضًا على اشعار دانتي الشاعر الايطالي لانهُ يذكر امورًا منهُ يبعد ان تكون ذكرت بتوارد الخواطر . وقد استشهد احيانًا بالتوراة لكن استشهادهُ جاء من الانجيل واشار الى امور لم تكن معروفة الاَّ في القرون الوسطى وذكر اشياء لم تعرف الاَّ بعد عهد الرسل بزمن طويل الى غير ذلك مما يدعو الى الظن ان الراهب مارينو هو الذي ألَّف هذا الانجيل ان لم يكن قد ألَّفهُ رجل غيرهُ في القرون الوسطى . ومهما يكن من ذلك فالنسخة الايطالية اصلية على ما يظهر وضعها واحد يعرف التوراة اللاتينيَّة ويحفظ كثيرًا منها ومن المرجح انهُ يعرف ايضًا اشعار دانتي

ويُعترض على ذلك بان انجيل برنابا مذكور في جدول الكتب المحرومة المنسوب الى البابا جلاسيوس الذي رقي الى السدَّة البابويَّة سنة ٤٩٢ للميلاد فان كان الراهب مارينو قد عثر على نسخة من هذا الانجيل فمن المحتمل انهُ توسَّع فيها والَّف منها النسخة المعروفة الآن لكن العرب لا يعرفون انجيل برنابا ولا اشاروا اليهِ في كل كتبهم ومجادلاتهم على ما يظهر من بحث الاستاذ مرغوليوث ومن بحثنا ايضاً قال الاستاذ مرغوليوث ان ابن حزم الذي توفي سنة ٤٥٦ للهجرة ذكر الاناجيل الاربعة وخطأها ولم يذكر انهُ يوجد انجيل غيرها وابن تيمية الذي توفي سنة ٧٢٨ للهجرة ذكر الاناجيل الاربعة ولم يشر الى انجيل برنابا . ونقل ابو الفضل السعودي عن ابي البقاء الجعفري ذكر الاناجيل الاربعة وخطأ النصارى في تفسيرها ولم يشر الى انجيل برنابا . وذكر حجي خليفة الاناجيل الاربعة في كشف الظنون وقال انها كلها محرَّفة وانجيل عيسى بن مريم غيرها ولم يذكر انجيل برنابا . انتهى

وفي النسخة الايطالية حواشٍ عربيَّة كما ترى من الصفحتين المنشورتين في صدر هذا العدد وقد قلَّدَ كاتبها الخط العربي الذي شاع بعد القرن الثاني عشر وتراهُ يخطئ في التهجئة وتركيب الكلام كأنهُ عامي او غير عربي . وقد ترجمت الحواشي الى اللغة الانكليزيَّة لكن مترجمها اخطأ احياناً في قراءتها او ترجمتها فالحاشية التي يقال فيها " اذا اعطيتم الله تعالى الخ " قرأ فيها كلمة تعالى الثانية "معاهُ" مع انها مثل كلمة تعالى الاولى . وكلمة اعملوا الصدقة قرأها اعلموا الصدقة وصححها بكلمة اعملوا مع انها مكتوبة اعملوا من اصلها

ويظهر لنا من نسق الفصول التي قرأناها من هذا الانجيل ان كاتبها مصاب بما اصيب بهِ سويدنبرج والارشمندريتي خرستوفورس جبارة وكثيرون غيرهما من الذين يكثر توارد الدم الى ادمغتهم فتكثر افكارهم وتصوراتهم ولا تعود خاضعة لارادتهم او للقوة التي تزن الاقوال وتجتنب الخطأ في الاحكام . فإما انهُ عثر على انجيل قديم منسوب الى برنابا رفيق بولس الرسول فتوسع فيهِ وبنى عليهِ هذا الانجيل مضيفاً اليهِ عبارات كثيرة من الترجمة اللاتينيَّة العامَّة ومصطلحات حديثة مما لم يعلم الاَّ في القرون الوسطى ودفعهُ تحمسهُ الى نسبة كل ما كتبهُ الى برنابا نفسهِ وحينئذٍ يخلق باهل البحث والتنقيب ان يفتشوا عن الاصل الذي توسَّع فيهِ . واما انهُ الَّف هذا الانجيل كلهُ من نفسهِ ولم يجد لهُ اصلاً يعتمد عليهِ فلا عبرة بهِ . ونسق كتابتهِ يدلُّ على انهُ كثير الحفظ متوقد الذهن تفيض المعاني على قلمهِ فيذكرها من غير نقد ولا تمحيص

ولا بدَّ من ان يدعو نشر هذا الانجيل الى زيادة البحث والتنقيب وحبذا لو ادَّى الى

غاية يتوق اليها كل شهم محب لنوع الانسان وهي التأليف بين قلوب اصحاب الاديان المختلفة وازالة كل ما يدعو الى التباغض والتقاطع

الخطوط العربية القديمة (١)

نشرت السيدتان الفاضلتان الدكتورة اغنس سمث لويس والدكتورة مرغريت دنلوب جبسن الكتاب الثاني عشر من دروسهما الشرقية وهو يتضمن ٤١ صفحة من المخطوطات العربيَّة التي يعرف تاريخ كتابتها. وقد طبعتا فيهِ صور هذه الصفحات منقولة عن صور شمسيَّة وتليها ترجمتها بالانكليزية واكثرها مما صورتاهُ من الكتب العربيَّة التي وجدتاها في دير طورسينا واقدم هذه الصفحات قرطاس في الكتبخانة الخديوية عليهِ كتابة عربيَّة هذا نص المحفوظ منها

.... كل اهل مدينة ....

اردب وسبعة ع......

——— قبح توفياها في المد ...

.....

عبد الله اخر يوم ذي القعده

——— سبع وثمانين

وتحتها كتابة يونانية . والخط العربي نسخي لا كوفي ولو كان خالياً من النقط وهذا ينقض ما زعمهُ كتَّاب العرب من ان الخط النسخي حديث مشتق من الخط الكوفي . وتليها صفحة من كتاب لاهوتي في المتحف البريطاني يرجح انهُ لثيودورس ابي قرة اسقف حران تاريخ كتابتهِ سنة ٢٦٤ للهجرة وهو اقدم كتاب عربي في دار التحف البريطانية فيهِ تاريخ كتابتهِ وخطهُ نسخي فيهِ حروف كثيرة كوفية او سريانية كأن السريان مزجوا خطهم السرياني بالخط العربي لما انتشرت العربيَّة في بلادهم كما ترى في الصفحة المقابلة . وهاك نص ما كتب فيها ليتضح منهُ اسلوبهم في اللغة والانشاء حينئذٍ

(1) Forty-one facsimiles of dated Christian Arabic Manuscripts; by Agnes Smith Lewis D.D., LL.D., Ph.D., and Margaret Dunlop Gibson D.D., LL.D.

لمجمع السليحين : قانون واحد وسبعين * ايما
اسقف او قسيس او شماس او اغنسط او
ابسلط لا يصوم اربعين يوماً الصيام العام
والجمعة والاربعا فليقطع الأ ان يعتل بمرض
جسد يمنعه من ذلك وان كان علماني يفرز ·
تم المصحف بعون الله وقوته ونعمته
وكان كمال كتابته في اول يوم من ذقبرس
يكون من حساب سني الدنيا على ما يقبل في
كنيسة القيامة ببيت المقدس سنة ست الاف
وثلثماية وتسعة وستين ومن سني الاكسندرس سنة
الف ومائة وثمنية وثمنين * ويكون من سني العرب
في شهر ربيع الاول من سنة اربع وستين ومايتين
* كتبه الخاطي المسكين الحقير اصطافني
بن حكم يعرف بالرملي في سيق ماري حريطن
لمعلمه الاب الفاضل الطهر الروحاني انبا بسيل
عمره الله · اذا انت قرات فاذكرني لا
تنسا لا نسيك الله واقامك عن يمينه واسمعك
ذلك الصوت البهي المحبوب المفرح اذ يقول
تعالوا يا مباركي ابي رثوا الملك المعد لكم من قبل
انشا العالم يكون لنا ذلك بشفاعة مرتمريم الطاهرة
وماري يحنا وصلوات جميع الابا الابرار امين وامين

وقد نقلنا صورة القرطاس وصورة الصفحة المتقدمة ليطلع القارىء على شكل خطها كما رأيت
قالت مسز لويس في كلامها على هذا الكتاب ان اختها حسبت ان كلمة "سيق" هي كلمة
سيقوس اليونانيَّة ومعناها حظيرة لكن الدكتور بروفيريوس اسقف طورسينا قال لها ان كلمة
سيق مشتقة من قولهم باليونانيَّة "ايس ايكون" اي الى الكنيسة فاختصرها العرب وقالوا سيق
ارادوا بها الكنيسة كما اختصروا "ايس تن بوليون" اي الى المدينة فقالوا استانبول
والظاهر ان أبا قرَّة اسقف حران كان يحسن العربيَّة واما الخطاط فلم يكن يحسنها لكثرة

اللحن في كتابتهِ وان الترجمة العربيَّة من الاناجيل التي كانت مستعملة لذلك العهد مثل الترجمات الحديثة المعروفة الآن وان اسم يوحنا كان يكتب من غير واو وهذا ما جعل العرب يحسبون لفظهُ يحيا قبلما وضعت النقط كما ابنا غير مرة

والصفحة الثالثة من كتاب في دار التحف البريطانية ايضاً تاريخ كتابتهِ شهر نيسان من سنة خمس وثلثماية (للهجرة الموافقة لسنة ٩١٧ للميلاد) فهي احدث من كتابة الصفحة الثانية بنحو اربعين سنة ولكن خطها اقرب الى الخط السرياني من خط الصفحة الثانية اما لانها كتبت في بلاد تتغلب فيها اللغة السريانية او لأن كاتبها اراد تقليد الخطوط الكوفية . ولغتها اركّ من لغة الصفحة الثانية فهي كثيرة اللحن سقيمة التركيب وتاريخها هجري فقط كما تقدم مع الشهور الرومية

والخط في الصفحة الثانية والثالثة يشبه الخط المغربي المستعمل الآن في المغرب الاقصى كأن اهالي المشرق عادوا الى استعمال الخط النسخي بعد انتقال الخط الكوفي الى بلاد المغرب . واكثر الحروف المعجمة في هاتين الصفحتين منقوط لكن وضع النقط وصغرها يدلان على ان يد الخطاط لم تكن قد الفتها . والخط كلهُ يدل على تعمُّل مع ان الكاتب ماهر لا يكاد حرفان متماثلان من حروفهِ يختلفان في شيء

والصفحة الرابعة من كتاب في دير طورسينا تاريخ كتابتهِ سنة ٣٧٨ للهجرة اي ٩٨٨ للميلاد وخطهُ اقرب الى الخط النسخي منهُ الى خط الصفحتين السابقتين وفيهِ علامة فوق الراء كهمزة القطع ويقال ان العلامات للحروف المهملة هي لتمييزها من المعجمة حتى اذا سقطت نقطة الزين المعجمة مثلاً لا تلتبس بالراء المهملة

والخامسة من كتاب تاريخي في دير طورسينا ايضاً وقد جاء في آخرها ما نصهُ

"تمَّ نسخ هذا الكتاب وربنا محمود ولهُ المكارم والعلى والجود وذلك في يوم الخميس اليوم الثالث من تشرين الاول وهو سلخ جمدى الاخرة سنة تسع وسبعين وثلثمائة لهجرة العرب"

ويظهر من مقابلة التواريخ الهجرية بالمسيحيَّة ان اليوم الاخير من جمادى الاخرة كان الجمعة وكان موافقاً للرابع من اكتوبر (تشرين الاول) فاذا حسب ان آخرها كان يوم الخميس وان يوم الجمعة كان مستهل رجب فالتاريخ على تمام الصحة . وقد اخطأ قارىء هذه الصفحة في قراءة محمود فقرأها عمود وترجمها كذلك واخطأ ايضاً في قراءة سلخ فقرأها سنخ

والصفحة الثامنة من اخبار القديسين وتاريخ كتابتها يوافق سنة ١٠٩٥ للميلاد ولغتها حسنة غير مألوفة في الكتب المسيحية كقول الكاتب "وضربوها بالعصي الجافية واحرقوا جنبيها بمشاعل نار وطرحوها في الحبس واخرجوها منهُ بعد ستة ايام فطحنوا بالحجارة فكيها

وفتتوا برمانات رصاص فقار ظهرها ثم علقوا في عنقها حجرًا وزجوها في عمق البحر وتمت شهادتها . وصفينيوس المغبوط ضربوهُ على عنقهِ برمانات ثقال وعلقوهُ في خشبة وضربوهُ بسياط من اعصاب البقر واحرقوا جنبيهِ وجوفه بمشاعل نار "

وفي الصفحة الحادية عشرة فصل من كتاب في مكتبة طورسينا ايضاً يستدل منهُ على كيفية تاريخ السنين حينئذٍ فقد جاء فيهِ ما خلاصتهُ

من خروج بني اسرائيل من مصر الى داود النبي	٤٦٠	سنة
من داود النبي الى الاسكندر بن فيلبس اليوناني	٦٣٧	"
من الاسكندر الى المسيح	٣٥٠	"
من المسيح الى تلك السنة	١١٥٥	"
فيكون الماضي من سني العالم الى آخر تلك السنة	٦٦٨٣	"

والظاهر ان الخط المعروف بالرقعة كان قد ابتدأ حينئذٍ فتجد الكاتب قد كتب كلمة ستماية بسين طويلة كما تكتب في الخط الديواني المعروف الآن وعلّق الواو بالالف التي بعدها ومع ذلك بقي بعض الكتّاب يميلون الى تقليد الخط السرياني في بعض الحروف الى اواسط القرن الثالث عشر المسيحي

والصفحة السادسة والعشرون من كتاب في مكتبة باريس العمومية وتاريخهُ قبطي وهو " الثالث عشر من شهر كيهك سنة الف وثلثين للشهداء الابرار الموافق التاسع والعشرين من شهر شعبان سنة اربع عشرة وسبع ماية للهجرة العربية "

والصفحة الثانية والثلاثون من نسخة من تاريخ يوسف بن غوريون وهو الذي كُتب خطأً يوسف بن كريون بالباء الموحدة وحُسب انهُ يوسيفوس المؤرخ اليهودي المشهور . وهذه النسخة موجودة الآن في دار التحف البريطانية وتاريخ كتابتها سنة ١٤٩٣ للميلاد وخطها واضح جميل . وعندنا نسخة حديثة من هذا التاريخ لكن خطها دون خط النسخة الاولى والفرق بينهما في القراءات قليل جدًّا . ولغة الكتاب حسنة واللحن الذي فيها من خطإ النسّاخ على ما يظهر وقد سمي فيهِ الفريسيون بالمعتزلة

وتظهر همة ناشرَي هذا الكتاب وعلمهما في كل صفحة من صفحاتهِ وفي مقدمتهما العلمية . وقد خدمهُ الاستاذ مرغوليوث بمقدمة مسهبة جمع فيها خلاصة بحث العلماء في تنوع الخط العربي . واشار الى ما نشرناهُ في الصفحة ٣٦٧ من المجلد الثامن عشر من المقتطف في كلامنا على كنوز سيناء . وسنأتي على خلاصة هذه المقدمة في الجزء التالي لما فيها من الفوائد

تحقيق مهم في اكتشاف اهم

اتحفنا العلم في هذه السنين الاخيرة باكتشافات باهرة تعززت بها الفلسفة الطبيعية واستفادت منها الانسانية وهي التموجات الكهربائية التي ترسل بها الانباء البرقية من غير سلك. واشعة (رونتجن) والراديوم وعقبها اكتشاف اشعة ن والاشعة الحيوية التي وان تكن المعرفة بها لا تزال قليلة وقاصرة فهي من الاهمية بمكان واذا انكشف الغامض من سرها ظهر لنا من المدهشات الطبيعية ما يفسح المجال للعقل البشري فيمتد في فضاء الطبيعة الى مدى بعيد ويقيم للسلف آثار علم خالدة لان هذه الاكتشافات قد تعاقب ظهورها بعضها قرب بعض وما دام رجال العلم يواصلون البحث بجدّ ونشاط فلا يستحيل ان يكشفوا كل اسرار الطبيعة ويحلّوا رموزها لان اكتشاف اشعة ن حصل بسلسلة امتحانات قانونية والعلم اذا قُرن بالامتحان أدى بالاختبار والقياس والتجريد الى طريقة قويمة ونتيجة حسنة

وقد كان لاكتشاف هذه الاشعة دوي في عالم العلم فاثبتها قوم وانكرها آخرون وأُفردت لها المطبوعات اليومية الفصول الطوال وسعى كثيرون من اهل البحث ليتحققوا وجودها بانفسهم ويروها بالعين فاخفقوا ولذلك وقع الريب في حقيقتها على ان اخفاقهم ناتج عن خلل في الطرق التي استعملوها . والذي عليهِ جمهور العلماء الآن ان وجودها ثابت لا ريب فيهِ ولا سيما بعد ما امكن تصويرها بالفوتوغراف . وقد اصبح من المحقق ان بعض مصادر النور كالشمس ومصباح أوَر وقنديل نرنست الخ تشع اشعة غير الاشعة المعروفة عند علماء الطبيعة الى هذا الحين وموقعها فيما وراء البنفسجي من الطيف الشمسي وتحقق ايضاً انها اذا وقعت على العين تأثر منها البصر وزادت حدتهُ وأدى هذا الاكتشاف الى اكتشاف اشعة ثانية تشبه اشعة ن في احوال كثيرة وتنبعث عن الجسم الحي ولذلك سميت بالاشعة الفيسيولوجية او الحيوية

فهذان الاكتشافان المهمان اي اكتشاف اشعة ن واكتشاف الاشعة الحيوية أثارا خواطر العلماء فكثر فيهما الجدل والمناظرة ولا اظن قراء العربية قرأوا عنهما فاحببت ان اتحفهم بهذه المقالة التي جمعت فيها جل ما هو معروف عن تلك الاشعة وبذلت الجهد في بسط العبارة لتقريب المقصود من الفهم . وافردت لكلٍ منها شرحاً خاصاً لانها وان اتفقت بمصادرها فهي تختلف اختلافاً جوهرياً بتأثيرها في المشاعر فاشعة ن مثلاً تزيد حدة البصر واشعة نَ تقللها. والبحث فيهما ينقسم الى طبيعي اي ما يختص بخصائص النور وبيولوجي اي ما يتعلق بالحياة وقد انتخبت من القسمين ما تهم معرفتهُ

اشعة ن

الفضل في اكتشافها للعلاَّمة بلوندلو استاذ الطبيعيات في مدرسة نانسي الجامعة وقد اكتشفها وهو يبحث في اشعة اكس (اشعة رونتجن) لمعرفة ما اذا كانت تستقطب او لا توجد اشعة خصوصية تستقطب حال تولدها ولها اتجاه خصوصي وصفات خصوصية تميزها عن اشعة رونتجن وسماها اشعة ن وهو الحرف الاول من مدينة نانسي تذكاراً لجامعتها التي اجرى امتحاناته فيها . وبعد قليل عرف ان هذه الاشعة تنفذ الالومينيوم والخشب والورق الاسود وانها تستقطب في خطوط مستقيمة حال صدورها ولكنها لا تصدر نوراً ولا تصوّر بالفوتوغراف

ولاشعة ن مصادر كثيرة منها رئيسيَّة وهي ما تصدر الاشعة عنها رأساً بدون واسطة وثانويَّة وهي ما تخزن فيها الاشعة مدة محدودة بعد عرضها على مصدر اصلي منير فتصدر عنها كما تصدر عن المصدر الاصلي . والرئيسيَّة ايضاً نوعان منيرة كالشمس ومصباح أُوِر وقنديل نرنستً والصفائح المعدنية المحماة الى درجة الحمرة وغيرها وغير منيرة كالاجسام اذا ازيلت موازنتها والاجسام الرنانة والاجسام ذات الروائح والانسجة النباتية والانسجة الحيوانية وغيرها

فالشمس من اقوى المصادر لاشعة ن ولمعرفة ذلك بطريقة بسيطة تعين غرفة يكون احد شبابيكها موجهاً الى الشمس وتقفل من كل جهاتها وتقام سقالة خشب على هيئة شبكة وراء الشباك وتملأ بقطع من خشب السنديان سمك الواحدة منها ١٥ مليمتراً فيتكون خلف السقالة قدر كبير من اشعة ن وتتميز بخصائصها التي سنذكرها في ما يأتي وقس على ذلك الصفائح المعدنية المحماة الى درجة الحمرة ومصباح أُوِر وغيرها

فصدور الاشعة عن المصادر المنيرة ليس بمستغرب ويمكن ان حبلاً من النور صادراً من مصدر منير كالشمس يكون مركَّباً من اشعة مختلفة كما هو الواقع وانما يستغرب صدور الاشعة من اجسام مظلمة كالخشب وخلافهِ مثال ذلك اذا ضغطت بمكبس النجار قطعاً من الخشب او الزجاج او الكاوتشوك او غيرها فاشعة ن تظهر حال الضغط واذا لوينا عصا اعتيادية ظهرت الاشعة واذا قومناها اختفت فالاشعة هنا تظهر بمنع موازنة الدقائق ولكن من المواد ما هو بذاتهِ فاقد الموازنة الداخلية كالفولاذ المسقي والكبريت المتبلور المصهور وغيرهما فهذه المواد تكون مصادر ذاتية لاشعة ن دائمة الفعل بدون حاجة الى ليها او ضغطها . وقوة الفولاذ على تصوير الاشعة لانهاية لها لانهُ وجدت ادوات منهُ من القرن الثامن عشر لم تسقَ طبعاً من وقت صنعها قد اصدرت اشعة كالادوات المسقية حديثاً ووجدت نصلة في مقبرة غليا الرومانية يصل تاريخها الى عهد الماروفينجيين اصدرت اشعة ن مثل نصلة حديثة العهد

فقوة الاشعاع فيها دامت اذاً اكثر من ١٢ قرناً وسبب ذلك على ما يظهر ان خروج هذه القوة من الفولاذ قليل وبطيء فيحفظ فعلها الى مدة طويلة

اما الاجسام الرنانة فتشبه الاجسام غير المتوازنة لان الاهتزاز يكيف حالة الجسم المصوّت تكييفاً متوالياً ويتكرر كثيراً في الثانية والاشعة تظهر وتدوم ما دامت الاهتزازات وتضعف بضعف الصوت وتزول بزواله

وفي هذا القدر من الامثلة كفاءة للاستدلال على كيفية توليد اشعة ن وقد اقتصرنا عليها لما تقدم من الاسباب ولان الغاية الخصوصية من هذه المقالة هو بيان صدور الاشعة عن الاجسام الحية وخصوصاً عن الجسم الانساني وشرح خصائصها

قد ثبت ان اشعة ن تنبعث من اجزاء النبات المختلفة وتكون على اقلها على موازاة الازهار وعلى اعظمها في الاوراق ويظهر ان لها علاقة بقوة البروتوبلاسما ونشاطها. وقد اشرنا آنفاً الى ان المصادر الثانوية تخزن اشعة الشمس مدة محدودة ثم تشعها كالمصدر الاصلي وظن البعض ان اشعاع النبات هو من هذا القبيل فوضعوا النبات في الظلام عدة ايام وزرعوا القطاني في الظلام وتركوها فيه حتى افرخت فصدرت الاشعة منهما كصدورها من النباتات المعرضة للشمس

وعلى اثر هذا الاكتشاف شرع شاربانتيه استاذ الفلسفة البيولوجيَّة في جامعة نانسي بامتحانات جديدة فعرف اموراً كثيرة ذات اهميَّة كبيرة وكشف سرًّا من اسرار الطبيعة كان غامضاً الى ذاك الوقت فاثبت ان الانسجة الحيَّة تولد هي ايضاً اشعة بلوندلو وان الجسم الانساني يصدر اشعة ثانية غير اشعة بلوندلو تختلف عنها بصفاتها وخصائصها وان الاشعة التي صوروها بالفوتوغراف هي هذه وليست اشعة بلوندلو التي لا تؤثر في الصفائح الفوتوغرافية وسماها الاشعة الفسيولوجيَّة وهي تنبعث بنوع خصوصي من على موازاة العضلات ومسير الاعصاب وتزيد وضوحاً بزيادة الانقباض العضلي وبزيادة العمل العصبي بحيث يمكن بواسطتها تتبع مسير الاعصاب السطحيَّة (كالمتوسط والكعبري) وقد تُرى عن بعدٍ من العصب او العضلة كما ترى عن قرب منهما . وهذا الاكتشاف هو غاية في الاهميَّة كما لا يخفى لان بواسطته اصبح من الممكن ان تقاس قوة العمل العضلي والعمل العصبي ولم يكن يعرف ان للجهاز العصبي فعلا داخلياً بل كان يقدَّر فعلهُ تقديراً بواسطة العمل العضلي او بواسطة الحس

ومما هو جدير بالذكر ان شاربانتيه رغماً عن اهمية اكتشافهِ هذا لم يدَّعِ الاسبقية بهِ بل قال انهُ فكر موجود منذ القديم وقد مثَّلهُ المصورون في الصور الدينيَّة وقال بهِ اصحاب التنويم وزعموا انهُ سيَّال مغنطيسي ومثلهم اصحاب السبيرتسم الذين قالوا بوجود قوة تنتقل من جسم الى آخر

واشعة ن ككل شعاع من النور تنعكس وتنكسر وتستقطب وتتفرق وتجمع حين نفوذها بالمدسيات المحدبة وترسل الى بعد وتمتص وتنتقل بالموصلات وبالاجمال لها ما للنور من الخواص ما خلا بعض المميزات ونختصر الكلام في ما تهم معرفتهُ من خواصها الطبيعية

اذا وقعت اشعة ن على عضو من اعضاء الحواس او على مركزهِ العصبي قوي بها الشعور او زادت حدتهُ فهي اذًا تزيد حدة البصر والشم والذوق والحس العام. والامثلة على ذلك كثيرة نقتصر على القليل منها فمن امثلة زيادة حدة البصر السهلة الامتحان ان تغلق الغرفة وتوضع ساعة كبيرة على طاولة او يعلق على الحائط لوح منمر من الورق الابيض شبيه بما يستعملهُ الاطباء لفحص امراض العيون وتعدل الظلمة بحيث لا يكاد الناظر يرى مينا الساعة او اللوح على بعد بضعة امتار ثم ينتظر ١٠ دقائق الى ١٥ دقيقة ريثما يتعدل البصر ويتحقق اذ ذاك عدم رؤية اللوح او المينا بوضوح ثم يأخذ قرميدة مشمسة وبدون ان يغير موضعهُ يوجه وجه القرميدة المشمس الى عينيهِ فيرى حينئذٍ اللوح قد ابيض حتى يستطيع ان يميز حواشيهُ او يرى عقرب الساعة واقطار دائرتها. واذا ابعد القرميدة عن عينيهِ عاد اللوح الى الظلمة فلا يعود يرى. وتعليل ذلك ان اشعة ن الصادرة من المصدر الثانوي وهو القرميدة المشمسة لما وقعت على العين اجتمعت باشعة ن المخزونة في الشبكية فزادت بها حدة البصر ومما يثبت ذلك ولا يبقي مجالاً للريب هو انهُ اذا ارسلت اشعة ن راساً الى اللوح فانهُ لا يستنير بل يبقى مظلماً اي ان استنارتهُ لم تحصل من زيادة اشعاع اثّر فيهِ بل من زيادة حدة البصر

وتزيد حدة الشعور ايضاً بتأثير اشعة ن في المركز الدماغي البصري وقد اظهر شاربانتيه ذلك بامتحانات عديدة منها انهُ وصل بين صفيحة نحاس صغيرة وبين مصدر قوي لاشعة ن بسلك من نحاس فصارت الصفيحة بذلك مصدرًا ثانويًا لاشعة ن تصدرها اما بالملامسة واما عن بعد ثم وضعها على العظم المؤخري على نحو اربعة سنتيمترات الى الوحشية وقليلاً الى الاعلى من قمتهِ اي نحو قمة الراس فاشعر الشخص الواقع الامتحان عليهِ بالنور وهو في الظلام التام. وقد احدث شاربانتيه ايضاً انقباضاً في الحدقة بتوجيهِ الاشعة على خط يمرُّ بالغدد البصرية اي بالحديبات الرباعية في الدماغ واحدث فيها انتشارًا بتوجيه الاشعة الى المركز المدبي من النخاع الشوكي

وتأثيرها في السمع كتأثيرها في البصر فاذا اخذت ساعة ووضعت على بعد من الاذن بحيث تكون على آخر حد السمع ووضع مصدر لاشعة ن فوق الاذن وعلى بعد ٧ او ٨ سنتيمترات من الصماخ تنبه الشعور وتقوى وبما ان الاشعة تنفذ الالومينيوم فتظهر اهمية الامتحان

باستعمال صفيحة منهُ تقع عليها تموجات الصوت بحيث لا تصل مباشرة الى الاذن فالاشعة تنفذ الصفيحة وتصل الى العصب فتنبهُ وتزيد الشعور اذا كان ضعيفاً وتظهرهُ اذا كان مفقوداً وعلى ذلك تأثيرها في الشم والذوق وفي مراكزهما العصبية

على ان هذه الخاصة لا تنحصر في ما تقدم من تقوية الشعور بل تشمل سطح الجسد بكاملهِ وتظهر على اية نقطة كانت منهُ اذا ارسلت الاشعة على مسير الخطوط العصبية . وابان شاربانتيه ذلك برقٍ من كبريتور الكلسيوم المشمس قليلاً وضعهُ على اطراف الاصابع وانتظر ريثما اخذ موازنتهُ بالنور ثم ارسل اشعة ن على الذراع فاستنار الرق وزادت لامعيتهُ وزادت الاستنارة عندما وضع مصدر الاشعة مقابل العصب الذي يتوزع في اليد ولا سيما اذا كانت فروعهُ متوزعة في النقط المجاورة لوضع الرق . وهكذا امكنهُ ان يتتبع مسير الاعصاب كالكعبري والمتوسط الى الضفيرة فالنخاع الشوكي وامكنهُ ايضاً ان يحدد مناشئ الاعصاب الدماغية ويظهر كيفية توزعها في الاطراف بحيث صار ممكناً وسهلاً اجراء البحث التشريحي في الجسم الحي بواسطة اشعة ن كالبحث فيهِ بواسطة الكهربائية الّا انهُ الطف جدًّا مما هو بالكهربائية

اشعة نَ

اكتشفها بلوندلو في بعض امتحاناتهِ حيث وجد ان المادة التي وقعت عليها اشعة ن قد اظلمت عوضاً عن ان تستنير او ان نورها ضعف بدلاً من ان يزيد فحكم ان لا بد من وجود اشعة بجانب اشعة ن تختلف عنها بخصائصها وبعض صفاتها ولتحقيق ذلك اطلق اشعة من قنديل نرنست على مخروط من الالومينيوم ووجهها بعد نفوذها من المخروط الى رق من كبريتور الكلسيوم المشع فرأى ان الرق قلَّ نورهُ في جهة الاشعة الاقل انحرافاً وزاد بعد ان وضع امامهُ حاجزاً من الالومينيوم المبلول

وعليهِ فقنديل نرنست يصدر نوعين من الاشعة الاول اشعة ن التي سبق بيانها والثاني اشعة اخرى يخالف فعلها فعل تلك لانها اذا وقعت على سولفور الكلسيوم قلّلت نورهُ وتلك تزيدهُ وهذه لا تنفذ الالومينيوم وتلك تنفذهُ فسماها اشعة نَ

واما مصادرها فكما ذكر قبلاً اولية وثانوية والاولية منيرة كقنديل نرنست وغير منيرة كاسلاك النحاس والبلاتين والفضة والاجسام التي زالت موازنتها الّا ان اشعة ن تظهر بزوال الموازنة بالتقلص واشعة نَ تظهر بالتمدد فاذا تقلّص غاز وتحول الى سائل ظهرت اشعة ن واذا تمدَّد الغاز فجأة ظهرت اشعة نَ والامثلة على ذلك كثيرة ضربنا عنها صفحاً اجتناباً للملل واكتفاء بما تقدم عن اشعة ن

اما الانسجة الحية التي تصدر اشعة ن عند قضاء وظيفتها فتصدر ايضاً اشعة نَ وهي كقنديل نرنست ترسل حبلاً من الاشعة مركباً من اشعة ن واشعة نَ لاننا اذا وضعنا رقاً من سولفور الكلسيوم المشع على عضلة قوية كذات الراسين واحدثنا فيها انقباضاً شديداً بواسطة الكهربائية فالرق يستنير بتأثير اشعة ن واما اذا احدثنا الانقباض ومنعنا تقصير العضلة بتثبيت الساعد في وضع معين فنور الرق يقل بتأثير اشعة نَ

وقياساً على ذلك تكون خواص هذه الاشعة مخالفة لخواص اشعة ن وقد اتضح ذلك بالامتحان فهي تقلل الشعور بالبصر والسمع والشم والذوق

على ان اشعة ن واشعة نَ تصدران معاً من مصدر واحد وترسلان في خط واحد الاَّ ان كلاً منهما يحافظ على اصله فيؤثر تأثيرهُ الخاص في المشاعر او في السطوح التي تخزنهُ والقاعدة في توليدها ان المصدر المشترك لها يصدر بالاستقامة اشعة ن وبالانحراف اشعة نَ لاننا اذا عرضنا رقاً مشعاً من سولفور الكلسيوم على قرميدة مشمسة فسطحها المشمس يصدر بالاستقامة اشعة ن وبالانحراف اشعة نَ . وقال العلاَّمة بكرل ان الاشعة الصادرة من تقليص جسم (اشعة ن) من خاصتها ان تزيد حدة البصر وان تحدث على سطح قابل لخزنها نفس ما يحدثهُ ذلك السطح عند تقلصهِ والاشعة الصادرة من تمديد جسم (اشعة نَ) من خاصتها ان تقلل حدة البصر وان تحدث على سطح قابل لخزنها نفس ما يحدثهُ ذلك السطح عند تمددهِ . ويعلل بكرل بذلك عن اصل اشعة ن ونَ في الاجسام الحية فيقول انهُ ناتج عن حركة الكريات بما يطرأُ عليها من التقلبات بين حل وتركيب وتغيير وتبديل وان منشأ هذه الحركة هو الحركة المدبية في الكريات عند محاولتها اتخاذ حال جديد من الموازنة بعد تغيير موازنتها الاولى

فعل اشعة ن ونَ في الكيميا

كما ان اشعة بكرل كانت وسيلة ممهدة لابحاث المسيو كوري وزوجتهِ في طبيعة الراديوم فمن الممكن ان اشعة ن في المستقبل البعيد او القريب تكون وسيلة لكشف اسرار كثيرة من الكيمياء لانهُ يظهر ان لها فيها شأناً مهماً كما يتضح من المثال الآتي

ان اكسيد الزنك الهيدراتي يحضَّر من محلول البوتاسا الخفيف ومذوب سولفات الزنك ويظهر ان لا فرق في العمل بين ان يسكب محلول البوتاسا على محلول سولفات الزنك او يسكب محلول سولفات الزنك على محلول البوتاسا الاَّ ان بين العملين فرقاً ظاهراً في الاشعة لانهُ اذا وضع رق من سولفور الكلسيوم المشع في جانب الانبوبة الجاري العمل بها وسكب محلول

البوتاسا على السولفات فنور الرق يضعف دلالةً على توليد اشعة نَ واما اذا سكب محلول السولفات على محلول البوتاسا فالرق لا يتأثر ولو سكب من السولفات بزيادة دلالة على عدم توليد اشعة نَ . فهذه الظاهرة الغريبة تثبت جليًّا وجود فرق واضح بين فعل البوتاسا على سولفات الزنك وبين فعل هذا على البوتاسا

الاشعة الفسيولوجيَّة او الحيويَّة

الاشعة الحيويَّة ليست الَّا اشعة ن ونَ الَّا ان صدورها من الاعضاء الحية يجعل لها مقامًا خصوصيًا لا سيما وقد ظهر من غرائبها ما يوجب اهتمام العلماء بها وحث مطيتهم للوصول الى كشف سرها. ولا حاجة للقول بان الاشعاع الحيوي هو ناموس عام يشمل كافة الحيوانات بدون استثناء لان شاربانتيه تحقق وجوده في الحيوانات ذوات الدم البارد

قد عرفنا مما تقدم ان الجسم الانساني يرسل اشعة على موازاة العضلات عند انقباضها وبجوار الاعصاب عند قضاء وظيفتها واهم مصادر الاشعاع الحيوية هو الجهاز العصبي وخصوصًا المراكز العصبيَّة فقد استطاع شاربانتيه ان يتتبع بوضوح مسير الحبل الشوكي بواسطة رق من سولفور الكلسيوم موضوع قبالة اقسامهِ الخارجيَّة وكانت استنارة الرق على اشدها عند البروز العنقي والبروز القطني وعلى هذا النسق حدَّد مواقع المناطق المركزيَّة السطحيَّة وخصوصًا المعروفة بمناطق الحركات النفسانية في قشرة الدماغ وظهر من ذلك ظواهر مدهشة وغاية في الاهميَّة. مثال ذلك ان منطقة التكلم واقعة في مركز بروكا وهو تلفيف من تلافيف الدماغ وراء الجبهة والى اليسار منها فوضع رقًا من سولفور الكلسيوم على الجبهة مقابل التلفيف المذكور وامر الشخص الموضوع تحت الامتحان ان يتكلم فاستنار الرق وزادت الاستنارة عند ما تكلم بصوت عال ثم وضع الرق على الناحية اليمنى فلم يظهر شيء من ذلك على انهُ يظهر اذا وجد خلل في التركيب اي كان تلفيف بروكا الى اليمين على غير القياس كما يحصل نادرًا . واذا وضع الرق تجاه اية منطقة من مناطق الحركة كالكتابة وحركة الطرفين السفليين الخ فانهُ يستنير عند قضاء وظيفة العضو وتكون الاستنارة اكثر وضوحًا اذا كان المركز الدماغي سطحيًا

واغرب من ذلك تأثير الاشعة في الرق على بعدٍ من الدماغ بواسطة اجهاد الفكر وبدون وجود ظاهرة من ظواهر الملامح الخارجية ومثالها ان شاربانتيه وضع رقًا مشعًا من سولفور الكلسيوم الى يسار الجبهة وبعيدًا عنها بعض الاصابع واوصى الشخص الموضوع تحت الفحص ان يتراوح بين حالتين عقليتين مختلفتين ففي الاولى يجعل نفسهُ في حال من السكون العقلي

بحيث لا يبيح للفكر ان يشتغل باقل شيء وفي الثانية يجهد عقلهُ بمسألة حسابية او يوجه فكرهُ الى شاغل من شواغله ففي الحالة الاولى بقي الرق مظلماً وفي الثانية استنار بنوع ان المفحوص نفسهُ استطاع ان يميز الفرق بين الحالين . فاستنارة الرق هنا تبين للناظر الغريب قوة الدماغ من حيث الارادة والفكر وتبيح للانسان ان يرى نفسهُ مفتكرًا. فالاشعة الحيوية تعتبر من هذا القبيل مرآة للقوى العقليَّة ومقياساً لقوتها . ولا يستبعد ان يكون لهذه الظاهرة من ظواهر الاشعة الحيوية شأن كبير في المستقبل في عالم العلم ولا سيما في الفلسفة العقليَّة

وقد تنبه خاطر شاربانتيه في بعض امتحاناته الى تركيب رقوق من مواد مختلفة لبيان ما يحصل من التأثير في كل منها فركب رقوقاً من اشكال مختلفة من اشباه القلويات وعرضها على اقسام الجسم المختلفة فتأثرت كالعادة الا ان التأثير كان مقابل بعض الاعضاء اكثر منهُ مقابل البعض الآخر وبيان ذلك انهُ اخذ قطعة من الورق الاسود ولصق عليها بقعاً سميكة من اشباه القلويات بين الواحدة والاخرى من ١٠ — ١٢ سنتيمترًا مربعاً ولصق على المركز بقعة رقيقة من سولفور الكلسيوم قطرها من ١ — ٢ سنتيمتر وعرضها على اشعة ن وعلى الاشعة الفيسيولوجية فتأثرت منها كالعادة الا ان التأثر لم يكن على نسبة واحدة فيها كلها بل كان يختلف باختلاف العضو الذي يرسل الاشعة عليها بحيث يصح ان يقال ان لقبول الاشعة صفة الانتخاب لان اشد فعل الاشعة كان يظهر على الشبه القلوي الذي يفعل فعلاً خصوصياً في ذلك العضو . ومن امثلة ذلك ان الدجتال يمتاز بفعله الخصوصي في تنبيه القلب فرقٌ منهُ يستنير بزيادة تجاه القلب بحيث يستطاع بواسطته ان ترسم حدودهُ بوضوح اكثر مما يستطاع بواسطة رق بسيط . والبيلوكاربين يمتاز بفعله الخصوصي في الغدد اللعابية ويمكن بواسطته ان تتبين حدودها بوضوح وان ترسم دائر الكبد ونستدل على موقع البنكرياس . والاتروبين يقلل افراز الغدد ويسرع حركة القلب فرقٌ منهُ يستنير تجاه القلب ويقل نورهُ تجاه الغدد وعلى هذا القياس يستنير الاستركنين تجاه النخاع الشوكي والابومورفين على موازاة البصلة والنيكوتين نحو اعلى الجهة الحلمية والكلورال تجاه مجموع الدماغ وقس على ذلك كل عقار دوائي لهُ فعل انتخابي يُعبَّر عنهُ عند الاطباء بالفعل الفيسيولوجي . وقد ثبت ذلك كلهُ بتكرار التجارب في الحيوانات الحية بعد كشف الاعضاء المطلوب اجراء الامتحان فيها

وقياساً على ما ذكر من الفعل الانتخابي لاشباه القلويات ركب شاربانتيه رقوقاً من المبادي الفعالة للاعضاء الطبيعية لبيان تأثيرها فيما يماثلهُ في الجسم الحي فثبت لهُ التأثير الانتخابي في ثلاث منها وهي خلاصة الغدة الدرقية وخلاصة المبيض وخلاصة الخصية اي ان

رقًا منها كان يستنير بنوع خصوصي مقابل العضو الذي يخصهُ ولا يخفى ما في ذلك من الفائدة في استقصاء الاعضاء

وقد استخدم الاطباء اشعة ن والاشعة الحيوية في احوال كثيرة فيسيولوجية ومرضية.

هذا ما اردت ذكرهُ معتمدًا الاختصار والايضاح على قدر الامكان الدكتور

امين ابو خاطر

التعليم في اليابان

لما فتحت اليابان عينيها ورأَت تقدُّم اوربا واميركا اخذت تقلدهما في كل شيء وتنسج على منوالها. فنظمت جنديتها البرية والبحرية وانشأَت مجلس نوَّاب ومجلس اعيان وسنَّت الشرائع والقوانين وبنت المدارس الجامعة وعمَّمت التعليم ولبس رجالها لباس الاوربيين. لكنها اختارت من كل شيء افضلهُ واعتمدت على الامور الجديدة من غير ان تكون مقيدة بامور قديمة شأْن مَن يبني بيتًا في ارض براح فانهُ يختار لهُ الرسم الذي يريدهُ لا كمن يرمم بيتًا قديمًا يرى نفسهُ مقيدًا بامور كثيرة يتعذَّر عليهِ تغييرها

ثم لم تكد نتائج هذا الاختيار تظهر في احوال اليابانيين بغلبهم على الروس حتى جعل اهالي اوربا واميركا يقتدون بهم ويقلدونهم في امور كثيرة فالنساء الاوربيات يلبسن لبس اليابانيات ويعقصنَ شعورهنَّ مثلهنَّ والرجال ابطلوا القمصان والاثواب الكبيرة التي كانوا يلبسونها في الليل والصباح ولبسوا لباس اليابانيين فيهما. ولم يقتصر تقليدهم على هذه الامور الطفيفة بل هم يقولون الآن ان نظام التعليم في بلاد اليابان اصلح من نظام التعليم في اوربا ونظام مجلس الاعيان الياباني اصلح من نظام مجلس الاعيان الانكليزي ونظام الجندية اليابانية اصلح من نظام الجندية الاوربية. وقد جاءتنا مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية الآن وفيها مقالتان الواحدة عن التعليم في بلاد اليابان والثانية عن مجلس الاعيان فيها وكاتباها انكليزيان وهما يشيران على بلادهما ان تقتدي باليابان في الامرين. وهاك خلاصة المقالة الاولى

قال الكاتب واسمهُ كبتن نورث انهُ تتلمذ في احدى مدارس اليابانيين وهو في السادسة والثلاثين من عمرهِ ودرس كيفيَّة تربيتهم لابنائهم التي هي سبب عظمتهم كامَّة فرأَى انهُ يجدر بالانكليز ان يقتدوا بهم في بعض اساليبهم ويتخلقوا ببعض اخلاقهم. قال ولا اقول

انهُ يحسن بنا ان نتخلّق بكل اخلاقهم لاني لا ازال احسب الانكليز افضل من اليابانيين والاخلاق التي اود ان نقتدي بهم فيها بنوع خاص هي تربية الانسان على لجم نفسهِ ومجاملة الغير وجعلهُ يشعر ان مصلحتهُ الخصوصية لا قيمة لها في جنب المصلحة العمومية

ثم قال ولقد اهتمت حكومة اليابان مزيد الاهتمام بأمر التعليم فانشأت المدارس في كل مدينة وقرية حتى ان من يجل في بلاد اليابان يجد ان كل مبانيها الكبيرة ثكنات ومدارس والمدارس اكثر من الثكنات وكل تلميذ في هذه المدارس يتعلَّم من صغرهِ ان يفضّل مصلحة بلادهِ على مصلحتهِ الخاصَّة · وقد صارت كل القصور القديمة التي كانت لامراء البلاد مدارس وثكنات ورياضاً عموميَّة للنزهة

ومنذ اربعين سنة لم يكن في البلاد الاَّ مدارس الاعيان في قصورهم ومدارس خدمة الدين من الكهنة البوذيين حيث تعلَّم الحروف الصينيَّة اما الآن فانشئت المدارس الابتدائية في كل القرى تقريباً وانشئت المدارس العالية ايضاً الى حد المدارس الجامعة · والتعليم في المدارس الابتدائية قسمان واطىء يدخلهُ التلامذة من السنة السادسة من عمرهم الى العاشرة وهو اجباري عامٌ لا يستثنى منهُ احد من الصبيان والبنات · وعالٍ يدخلهُ التلامذة من السنة العاشرة الى الثالثة عشرة وهو اختياري حتى الآن ولكن في النيَّة جعلهُ اجبارياً ايضاً · وتأتي بعد المدارس الابتدائية المدارس المتوسطة يقيم فيها التلامذة خمس سنوات ثم المدارس العالية يقيمون فيها ثلاث سنوات ثم المدارس الجامعة · والتعلم في هذه المدارس كلها اختياري والتلامذة يدخلونها بالمسابقة والامتحان لان العدد الذي تقبلهُ محدود فالمسابقة شديدة ولا يجوز الامتحان الاَّ النوابغ . ويرغب التلامذة في دخول مدرسة طوكيو الجامعة لكن تلامذتها يكرهون ان ينتظم في سلكهم ابناء الارياف · حدث منذ بضعة اشهر ان ناظر المعارف نقل تلميذاً من احدى مدارس الارياف الى مدرسة طوكيو فاعتصب تلامذتها كلهم وحاولوا مقاومة الحكومة الاَّ ان التلميذ فضَّ المشكل بانهُ عاد من نفسهِ الى مدرستهِ

وتمتاز مدارس اليابان بقصر اوقات الدرس فيها فالصغار يتعلمون في المدارس الابتدائيَّة من الساعة التاسعة صباحاً الى الساعة الثانية بعد الظهر والكبار من الساعة التاسعة صباحاً الى الساعة الثالثة بعد الظهر وهذا الوقت مقسَّم الى حصص للدروس الحصَّة منها ثلاثة ارباع الساعة وبين الحصة والحصة ربع ساعة تقضى في اللعب ويبطل الدرس ايضاً من قبل الظهر بربع ساعة الى ساعة بعدهُ ولا درس يوم الاحد مطلقاً ولا يوم السبت بعد الظهر · ومتى حان وقت الحصة اصطفَّ التلامذة في ساحة اللعب ومشوا صفًّا واحداً الى غرفة الدرس كما يمشي

العسكر فيدخلونها ويقفون في اماكنهم وراء مكاتبهم حتى يدخل المعلم ويشير اليهم فيحنون رؤوسهم له فيحني لهم راسهُ ويجلسون في اماكنهم ويبتدئ الدرس . ومتى انتهى وقتهُ يقفون ويحنون رؤوسهم للمعلم فيحني لهم رأسهُ ويخرجون صفًّا واحدًا الى ساحة اللعب

ولم يذكر الكاتب عدد المدارس ولا عدد التلامذة ولكن يعلم من آخر احصاء وقفنا عليهِ ان عدد المدارس والتلامذة كان سنة ١٩٠٤ على ما في هذا الجدول

	عدد المدارس	عدد المعلمين والمعلمات	عدد التلامذة
المدارس الابتدائيَّة	٢٧٣٨٣	١٠٥٣٠١	٥١٥٤١١٣
« المتوسطة	٠٠٢٦٨	٠٠٤٩٠٢	٠١٠١٨٢١
« العالية	٨	٠٠٠٢٨٦	٠٠٠٤٩٠٤
مدارس البنات العالية	٩٦	٠٠١٤٩٥	٠٠٢٩١٣٤
مدارس المعلمين	٦٤	٠٠١١٠٤	٠٠١٩٤٠٤
« العالية	٣	٠٠٠١٦٨	٠٠٠١٣٢١
المدارس الصناعية والخصوصية	٢٠١٩	٠٠٥٥٣٠	٠١٣٩٩٩٤
مدارس مختلفة	١٩٢٢	٠٠٦٢٤١	٠١١٢١٣٩
مدارس جامعة	٢	٤١٠	٠٠٠٥٨٥١
مدارس الاطفال	٢٩٥	٧٨٣	٠٠٢٦٠٩٢

وبلغ عدد التلامذة الذين سنهم بين ٦ سنوات و ١٤ سنة ٧٥٥١٤٤٥ في الاحصاء الذي تم في ٣١ مارس سنة ١٩٠٥ ولا يبعد ان يكون عددهم الآن ثمانية ملايين الى تسعة اي ان خمس اهالي اليابان كلهم تلامذة في المدارس الابتدائية . فاذا اقتدينا بهم في القطر المصري وجب ان يكون عندنا خمسون الفًا من الكتاتيب والمدارس الابتدائيَّة وخمسون الفًا من المعلمين والمعلمات لمليونين ونصف من التلامذة ولا تقل اجور هؤلاء المعلمين والمعلمات عن مليون ونصف من الجنيهات في السنة وهذا يقضي ان تكون ميزانية نظارة المعارف مليوني جنيه في السنة على الاقل مع ان ميزانية نظارة المعارف في بلاد اليابان لا تزيد على نصف مليون جنيه . ولو انفقت اليابان على نسبة ما ينفق على التعليم عندنا لوجب ان تكون ميزانية المعارف فيها ثمانية ملايين من الجنيهات

ومما هو حريٌّ بالذكر مما اثبتهُ الكبتن نورث ان مدارس اليابان تساوي بين التلامذة

من كل الطبقات فان المدرسة التي كان منتظماً في سلك تلامذتها كان ابن طباخهِ تلميذاً معهُ فيها وكان فيها ايضاً ابن قائد كبير من قواد المملكة. وقال وان احد اصدقائهِ الانكليز المقيمين في بلاد اليابان دعا بعض معارفهِ اليابانيين للطعام هم وبناتهم وكان عندهُ خادمة فلم تدخل غرفة المائدة لتقديم الطعام للمدعوين حسب العادة بل احضرت امها لتقوم مقامها ولما سأل عن سبب ذلك وجد ان البنات المدعوات للطعام كنَّ رفيقات لخادمتهِ في المدرسة فلم تشأ انَّ تخدمهن الآن وقد كانت بالامس رفيقتهنَّ

والامر الجوهري الذي تمتاز بهِ مدارس اليابان هو تمرينها تلامذتها كلهم على الحركات العسكرية وتعليمهم الاناشيد الوطنيَّة فكل حركاتهم عسكرية وكل اناشيدهم حماسية ولذلك لا عجب اذا صارت تلك الامة اقوى امم الارض الحربيَّة. ويوم الاحد عندهم يوم راحة تامة لا يعملون فيهِ عملاً ما اقتداء بالمسيحيين

مجلس الاعيان الياباني

يقال ان رجلاً انكليزيًّا وضع نظام هذا المجلس ولا بدَّ من انهُ كان من اعقل اهل زمانهِ واكثرهم حنكة وانهُ تجنب ما يرى من الشوائب في مجالس الاعيان الاوربيَّة

واعضاء مجلس الاعيان الياباني خمس فرق

الاولى اعضاء بيت الامبراطور الذكور

الثانية امراء المملكة من درجة برنس ومركيز الذين سنهم من ٢٥ سنة فصاعداً

الثالثة خُمس الاعيان الذين معهم لقب كونت وفيكونت وبارون ويجب ان يكون سنهم ٢٥ سنة فصاعداً وينتخب كل فريق منهم اعضاء فريقهِ اي ان الذين معهم لقب كونت ينتخبون خمسهم اعضاء لمجلس الاعيان [illegible]ين معهم لقب فيكونت ينتخبون خمسهم وهلمَّ جرًّا

الرابعة الذين يعينهم ال[illegible]اطور لانهم خدموا بلادهم خدمة فائقة او لانهم اشتهروا بعلمهم او بفضلهم. ويجب ان [illegible]ن سنهم من ٣٠ سنة فصاعداً

الخامسة الاشخاص الذي[illegible]خب كل واحد منهم من ١٥ شخصاً من اهالي عمالتهِ الذين يدفعون اكثر الضرائب ويجب[illegible] يسميهم الامبراطور وينتخبهم رفاقهم. والاعضاء من الفرقة الاولى والثانية والرابعة [illegible]بتهم مدى العمر ومن الثالثة والخامسة سبع سنوات. ويجب ان لا يقل عدد الاشراف في [illegible] الاعيان عن غير الاشراف اي ان المجلس يحوي خيار الامة

اليابانية سواء كانوا من اهل السيادة والوجاهة او من الممتازين بالعلم والفضل · وجانب كبير منهم ينتخب انتخاباً فهم يمثلون الامة اليابانية باحزابها السياسية فلا خوف ان يصيروا من حزب واحد ضد حزب الوزارة او ضد الحزب المتغلب في البلاد · وفيه من اهل الدراية والحنكة ما يجعله خير مسيطر على مجلس النواب حتى اذا تعجَّل هذا في امر لكثرة اشغاله فاخطأ في حكمهِ فمجلس الاعيان يصلح الخطأ · وتأليفهُ هذا يجعله يوازن بين احزاب المملكة ويوفق بينها ويعلو فوقها

ولهذا المجلس رئيس ونائب رئيس مثل مجلس النواب واعضاؤُهُ ينتخبونهما ويعطى الرئيس ٤٠٠ جنيه في السنة ونائب الرئيس ٢٠٠ جنيه · والاعضاء الذين ينتخبون انتخاباً والاعضاء الذين يعينون تعييناً يعطى كلٌّ منهم ٨٠ جنيهاً في السنة ونفقات السفر ولا يجوز لاحد منهم ولا لاحد من اعضاء مجلس النواب ان يتخلَّى عن راتبهِ المعيَّن له

وقد حقق هذا المجلس آمال الامة اليابانية وقام بما يطلب منهُ احسن قيام من حين انشيء منذ ثماني عشرة سنة الى الآن فاعرب اعضاؤُهُ عن سعة في الصدر واخلاص في النصح وحسن نظر في العواقب مع تجنبهم للاحزاب السياسية · هذه خلاصة ما كتبهُ احد الانكليز الآن في مجلة القرن التاسع عشر ثم استطرد من ذلك الى التكلم على مجلس الاعيان الانكليزي وقال انهُ ما من سبب يمنع الانكليز من اقتباس ما يرونهُ في مجلس الاعيان الياباني اصلح مما هو في مجلس الاعيان الانكليزي فان اليابان لم تأنف من اقتباس امور كثيرة من الانكليز ودستورها نفسهُ وضعهُ لها رجل انكليزي فلا يكبر على الانكليز ان يقتدوا بغيرهم في ما هو عند الغير اصلح مما هو عندهم

اما نحن فلا نقصد من تسطير هذه السطور مجرَّد اعتراف رجل انكليزي بان مجلس الاعيان الياباني اصلح من مجلس الاعيان الانكليزي بل الدلالة على ما هو اهمّ من ذلك لنا وهو ان الامم تستطيع ان تستفيد من اختبار غيرها كما يستطيع الافراد ان يستفيدوا من اختبار غيرهم · فكما يستطيع رجل في هذه العاصمة ان يبني بيتاً يماثل بيوت الانكليز او الفرنسويين اذا وجدت عندهُ مواد البناء اللازمة من حجارة وخشب وطين الخ ووجد ايضاً البنَّاء الماهر الذي يضاهي البنَّائين الاوربيين كذلك تستطيع الامم الشرقية ان تنشئ حكومة تماثل الحكومات الاوربيَّة ومجالس نواب واعيان تماثل مجالس النواب والاعيان الاوربيَّة اذا كثرت عندها المواد اللازمة لذلك اي الرجال المتعلمون المتهذبون الذين يفتشون عن المصلحة العامة قبلما يفتشون عن مصلحتهم الخاصَّة بل يضحون مصلحتهم الخاصَّة في سبيل المصلحة العامة ·

فلا يعوزنا والحالة هذه الاَّ التربية الصحيحة والتعليم الصحيح حتى يقوم منا الرجال الاكفاء الذين يدركون احوال العالم ويحسنون النظر في العواقب ويجعلون الحق المجرَّد ضالتهم والانصاف الغاية التي يسعون اليها. وما يقال عنا وعن اليابانيين يقال عن كل الامم والشعوب فان ما يتيسَّر عملهُ في البلاد الواحدة يتيسَّر عملهُ في البلاد الأُخرى اذا تماثل شعباها في الاستعداد

ولقد غالى الكتّاب في ما ذكروهُ عن قِدَم عمران اليابان وتفوقهِ ولكن العيان ارانا ان الامر على ضد ذلك فبحثنا هذا الصيف في مصنوعات اليابان القديمة المجموعة في دار التحف البريطانية فاذا هي لا تدلُّ على تفوُّق عظيم في العلم او الصناعة . ولو جمعت آثار بلاد الدولة العثمانية منذ مئة سنة او منذ مئتي سنة سواءٌ كانت علميَّة او صناعيَّة وقوبلت بآثار بلاد اليابان العلميَّة والصناعيَّة على ما كانت عليهِ منذ مئة سنة او مئتي سنة لفاقت آثار البلاد العثمانية آثار البلاد اليابانية من وجوه كثيرة . وما يقال عن آثار بلادنا العثمانية العلميَّة والصناعيَّة يقال عن آثار بلاد الصين العلميَّة والصناعيَّة فانها ارقى من آثار بلاد اليابان . فنهضة اليابان حديثة بكل معانيها ولولا امبراطورها الحالي ما بلغت عشر ما بلغتهُ من الارتقاء . وهذا لا ينفي ان فيها امرًا آخر يسهل عليها الارتقاء السريع وما يقابلهُ عندنا يقف عثرة في سبيل ارتقائنا وهو ان التحزبات الدينية ضعيفة في بلاد اليابانيين لا تمنعهم من اقتباس ما عند الغير والشعائر الدينية تجيز لهم الجري على سنن غيرهم في كل شيءٍ ولذلك يتعلم نساؤهم كما يتعلم رجالهم ويستفدن من مخالطة الرجال كما يستفيد النساء الاوربيات والاميركيات وقد جعلوا يوم الاحد يوم راحة كما يفعل الاوربيون كأنهم يقولون ما دامت اوربا سائرة امامنا ومرتقية اكثر منا وجب علينا ان نقتدي بها فاذا فقناها بعد ان جاريناها حق لنا ان نخط لانفسنا خططًا جديدة وننتظر منها ان تقتدي بنا فيها . ولقد كادت تبلغ ذلك في بعض الامور فالجيش الياباني والاسطول الياباني والدستور الياباني والتعليم الياباني كل ذلك صار انموذجًا ينظر الاوربيون اليهِ بعين المعجب ولا يأنفون من الاستفادة منهُ والنسج على منوالهِ كما كانوا يفعلون في اقتفاء آثار العرب والنسج على منوالهم لما كانت البلدان العربيَّة ارقى من البلدان الاوربيَّة

الرحلة الحديثة

(٥) الى لندن

لم نكد نغادر سواحل اسبانيا حتى بدت آثار النشاط والإقدام اللذين امتاز بهما سكان الشمال . فعددنا في لحظة عشرة وابورات كبيرة تسير امامنا شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً وكأن البحر استثقل وطأتها فأرغى وازبد وتملل وجعلت السفينة ترتجف ثم تعلو وتهبط . فأخذنا الدوار وهرب كثيرون منا الى اسرَّتهم . وحاولتُ الصبر فما استطعت اليهِ سبيلاً وتذكرت قول مَن قال

البحر صعب المرام جدًّا لا جُعلتْ حاجتي اليهِ
أليس ماء ونحن طينٌ فما عسى صبرنا عليهِ

ولما ضاقت اعصابي ذرعاً بحفظ موازنة جسمي لدى حركات غير مألوفة خفت سوء العاقبة فحذوت حذو غيري وهرعت الى سريري واغمضت عينيَّ وانا الوم نفسي على اختيار طريق البحر وشعرت كأن قلبي وكبدي واحشائي كلها انفصلت عن جسمي وكادت تخرج من صدري وانا احاول ردها الى مواضعها والسفينة تغوص تحتي في اعماق البحر وتتركني معلقاً في الهواء فأحاول النزل معها وقبل ان اصل اليها تصعد وتدفعني الى العلى ثم ترتجف وتنود يمنةً ويسرةً فتقلقل عظامي . وبينما انا احاول التفكير في بعض المواضيع العلمية لعلي انسى الحالة التي انا فيها اخذتني سنة النوم مجدد القوى ومريح المتعبين ومنجي الانسان من رؤية ما يكرهُ وسماع ما يسوءُ فلم استيقظ الاَّ وقد غادرنا خليج بسكي وعاد الجو الى صفائهِ والبحر الى ركود مائهِ فقلت عند الصباح يحمد القوم السرى فقد عبرنا في الليلة الفائتة اكبر عقبة في طريقنا من خليج بسكي المشهور باضطرابهِ وتكاثف ضبابهِ . ومررنا صباح السادس من الشهر امام مرفإ بليموث من البلاد الانكليزية حيث رست السفينة ريثما نزل منها بعض ركابها وتجلت لنا حينئذٍ بلاد الانكليز وقد اتَّشحت ثوباً سندسياً فلا يبين منها شيء الاَّ طرق المركبات ومدارج الاقدام فمن سهول فسيحة كساها الربيع ثوباً قشيباً فتركت مراعي للانعام ومن حقول يموج زرعها بنسيم الصباح و يبشر بخير يصلح سيئات هذا العام

ومن شجر زرَّ الربيع لباسهُ عليهِ كما نشَّرت وشياً منمَّا

وقد قامت القصور بين تلك الحراج كالاعلام في البيداء وارتفعت ابراجها تناطح السحاب وتستنزل الطل من السماء . وظهرت مدينة بليموث في غلالة من الضباب كخود لبست لبسة المتفضّل

ولم يكن الاَّ دقائق حتى برزت الغزالة وراشت سهامها فانجلى لنا وجه المدينة وظهرت مبانيها المتناسقة ولما رأينا البحر قد عاد الى سكونهِ وبشرنا الربان ان هذا السكون سيدوم في كل بحر المانش الى ان ندخل مرفأ لندن عزمنا على البقاء في السفينة بعد ما كنا قد وطنا النفس على الخروج منها والسير في اليابسة ولو على الاقدام · وكان كما قال فسرنا بقية ذلك النهار والليل بعده ونحن كأننا جلوس في بيوتنا · واصبح الصباح ونحن امام تلبري فانتظرنا الى ان علا المد واستطاعت السفينة ان تدخل المرفأ المعد لها وكان ذلك نحو الساعة العاشرة صباحاً . ونزلنا الى البر ونقلت امتعتنا الى شادر كبير ورتبت على حسب حروف الهجاء فعرف كلٌّ امتعتهُ واراها لرجال الجمرك وفتح لهم صندوقاً منها او لم يفتح شيئاً حسب فراستهم فيهِ ودفع الرسم المعين لنقلها الى محطة من محطات لندن ثم ركبنا القطار فسار بنا الى المحطات التي اردناها · والوصول الى الامتعة في محطة تلبري ومحطات لندن ليس بالامر السهل لكثرة المسافرين وامتعتهم ولكن يجري كل شيء على تمام الهدوء والسكينة والانتظام فلا تسمع صوتاً ولا ترى عملاً مخلاً ولا شيئاً تكرههُ او تستاء منهُ · تشير الى مركبة وتقول لسائقها انتظرني فينتظرك في مكانهِ وتشير الى شيال فيتبعك ويرهن نفسهُ لخدمتك فيتناول امتعتك الواحد بعد الآخر ويرصفها على ظهر المركبة ولا احد يزاحمهُ ولا احد يلتفت اليهِ ثم تعطيهِ ما تشاء فيشكرك وتركب المركبة وتقول للسائق خذني الى المكان الفلاني فيأخذك اليهِ وينزل الامتعة ويأخذ اجرتهُ شاكرًا ويتم ذلك كلهُ على غاية الانتظام . ويزيد الامر سهولة ان موقف المركبات داخل المحطة ففي دقائق قليلة تنقل الامتعة من مركبات القطار اليها والناس كلهم على غاية الادب والحشمة والركاب حتى ركاب الدرجة الثالثة بثياب نظيفة وهيئات مقبولة لا تكره ان تجالسهم ولو كنت من الامراء

ولقد كان هذا الامر الاخير يؤلمني كما قابلت احوال السكان في بلادنا باحوال السكان في اوربا فان الناظر الى جمور الفلاحين في القطر المصري لا يصدق انهُ يرى اناساً يعرفون معنى النظافة فتغمض عينيك حتى لا ترى اكسيتهم وامتعتهم وتسد انفك لكي لا تشم رائحتهم · ومع ذلك لا تستطيع ان تحتقرهم لانهم هم قوام الوطن فدخل البلاد ودخل الحكومة ودخل سكة الحديد من تعب يدهم وعرق جبينهم فهل يمكن ان يتعلموا النظافة ويجروا عليها ومتى يكون ذلك . وهل يمكن ان يتم لهم هذا الامر وهم في فقر مدقع

حينما نقول ان القطر المصري ارتقى واغتنى في السنوات الاخيرة نريد انهُ ارتقى واغتنى بالنسبة الى ما كان عليهِ قبل ذلك لا بالنسبة الى البلدان الغنية المرتقية فان ثمن كل ما يمتلكهُ

الواحد منهم نحو اربعين جنيهاً ومتوسط ما يملكهُ الواحد في اميركا ٢٦٣ جنيهاً وفي فرنسا ٣٠٠ جنيه وفي انكلترا ٣٧٥ جنيهاً . الاّ ان النظافة ممكنة ولو كان الانسان فقيرًا لانها لا تحتاج الى نفقة كبيرة وما هي الأعادة يربى عليها الناس ويألفونها وتربيتهم عليها هي الامر الذي نكاد نيأس من الوصول اليهِ الاّ بعد السنين الطوال اي بعد ان ينتشر التعليم في البلاد وتتغير العادات الموروثة عن الآباء والاجداد

كان معنا كثيرون من سكان استراليا فان السفينة ابتدأت سفرها من هناك في رجوعها الى انكلترا وقد حادثناهم عن احوال تلك البلاد فاخبرونا ان السنوات الاخيرة كانت سنوات خير ورخاء فجادت السماء بامطارها والارض بخيراتها وكثرت المعادن المستخرجة وربح الناس من كل عمل لكنهم يخافون ان تنتاب البلاد سنو المحل فتحبس السماء مطرها وتجدب الارض كما يحدث مرارًا ولذلك يهتمون الآن بانشاء خزانات كبيرة يجمعون فيها مياه الامطار لكي يستعملوها اذا انحبس المطر . وسألتهم عن السكان الاصليين فقالوا انهم انقرضوا او كادوا ينقرضون ولم يتحضَّر احد منهم ولا استفادوا من العمران شيئاً . وسألتهم عن قصة المسيو ده رجمون التي ترجمتها عن الانكليزية ونشرت في المقتطف فاكدوا لي انها تلفيق من اولها الى آخرها ولو كان اكثر الوصف الذي فيها منطبقاً على احوال البلاد وسكانها الاصليين وان المسيو ده رجمون ذهب الى استراليا حديثاً ليخطب فيها عن احوال السكان الاصليين فلم يلتفت اليهِ احد لانهم يعرفون من احوالهم اكثر مما يعرف

ووصلنا مدينة لندن بعيد الظهر ونزلنا في اقرب نزل الى محطة فكتوريا وهو نزل غروفنور ووجهتنا مدينة ايستبرن لقضاء جانب من فصل الصيف فيها لانها من مصايف الانكليز المشهورة

واول من قابلناهم في مدينة لندن الصديق القديم الدكتور حنا دخيل وقد رأيت انهُ اقتصر على تطبيب امراض الاذن والانف والحلق فبرع في ذلك براعة فائقة ولهُ طرق مخصوصة في معالجة هذه الآفات وقد شفى كثيرين من المصابين بها او من الذين فقدوا السمع تماماً وقطع اطباء الاذن في انكلترا والمانيا الامل من شفائهم وبعضهم من اكبر سراة الانكليز وجاء كثيرون منهم وشهدوا لهُ في محكمة انكلترا في القضية التي اقامها على لابوشير المشهور فان لابوشير كتب في جريدتهِ "تروث" كتابة تعد قذفاً بطريقة العلاج التي يجري عليها الدكتور دخيل فشكاهُ الدكتور دخيل وانحاز الى لابوشير كثيرون من مشاهير الاطباء فجادلهم الدكتور دخيل في مجلس القضاء وافحمهم فاقتنع القاضي والمحلفون بصحة طريقتهِ وحكموا لهُ

وقد رأيت انهُ اصلح الخزان الكهربائي واضاف اليهِ اضافات كثيرة فصار اصلح خزان لاستعمال الكهربائية في الطب لانهُ جعلهُ بحيث يمكن استعمال المجرى القوي او الضعيف حسب استطاعة المريض على احتمال الكهربائية وحالة مرضهِ . ولم اذكر هذه الامور الا لانها تدل على مقدرة الشرقي اذا اجتهد وتيسرت لهُ الوسائل

ويظهر لي من اقوال الذين كلموني في المسألة المصرية من الانكليز انهم صاروا يحسبون مصر من مستعمراتهم يسألون عن احوالها في مجلس النواب كما يسألون عن مستعمرة انكليزية وهذا الامر قدرتهُ من حين وُكّل بعض نواب الانكليز بالسؤال عن احوال مصر في مجلس نوابهم فان الذين وكّلوهم من المصريين لم يفقهوا الى ان عاقبة ذلك على ضد ما امّلوا . ولكن لا حيلة يرد ما فات ولعلهُ الأصلح حالاً ومآلاً ولو لم يكن مطلوباً

"فكم قد رأينا من تكدر عيشة واخرى صفا بعد اكدرار غديرها
وكم طامع في حاجة لا ينالها ومن آيس منها اتاهُ بشيرها"

ومدينة لندن على ما رأيتها في زيارتي الاولى لها يطلع الصباح فتشرق الشمس ببهائها ثم يستيقظ السكان ويشعلون النيران فيسردق الدخان فوق المدينة ويحجب اشعة الشمس عنها الى قرب الظهيرة . وقيل لي انهُ مضى مايو ولم تظهر الشمس الا نادراً . وقد رأيت تغييراً كبيراً في شوارع المدينة ومركباتها فزادت الشوارع نظافةً بعد ما فرشت بالخشب او بالاسفلت وقلّت مركبات الخيل منها وزادت المركبات الكهربائية ولعلها انظف مدينة في الدنيا على كثرة سكانها

(٦) اكرام اللورد كرومر

ذهبت اليوم الى مدينة لندن لاشغال اقضيها فرأيت الذين يهتمون بمصر والمسألة المصرية ساخطين على بعض الاعضاء الارلنديين الذين ابدوا عدم رضاهم من رسالة الملك التي قرئت البارحة في مجلس النواب طالباً فيها ان يعطي اللورد كرومر خمسين الف جنيه "اعترافاً بخدمهِ الجليلة" حتى اصدقاء هؤلاء الاعضاء الذين يدافعون عنهم قالوا لي انهُ لم يكن غرضهم الانتقاد على سياسة جناب اللورد بل الانتقاد على اعطاء الاموال لرجال الحكومة بعد ان يكونوا قد تقاضوا رواتبهم القانونية فجادلتهم في ذلك وقلت لهم ان عظمة الممالك التي يستفيد منها كل واحد من الرعية يأتي اكثرها على يد بعض الافراد من رجالها فهؤلاء جديرون بالاكرام الفائق والجزاء الذي لا يجازى بهِ عامة الناس اعترافاً بفضلهم وترغيباً لغيرهم في الجري على خطتهم . فاذا كانت الامة الانكليزية تكتسب كل سنة القناطير المقنطرة من

امتلاك الهند وترويج تجارتها فيها فالفضل في ذلك للافراد القلائل الذين ملكوها تلك البلاد . وهل يجوز في شرع ان المالي الجالس في لندن او منشستر او برمنهام يكتسب كل سنة مئة الف جنيه من بلاد الهند والقائد الذي وضع رأسهُ في كفهِ وخاطر بحياتهِ لامتلاك تلك البلاد لا يجازى الاَّ بلقب يزيد نفقاتهِ فيشيخ وهو افقر مما كان في شبابهِ وهل تستحلون ان تقدموا الطعام والشراب والميرة للجيش فيكتسب الواحد منكم الوف الجنيهات بل مئات الالوف والملايين والقواد الذين يقودون ذلك الجيش يعود الواحد منهم بيد مقطوعة او عين مفقوءة او يعيش بقية عمرهِ سقيماً ان لم يقتل في حومة الوغى ويربي اولادهُ في الفقر . ثم ذكرت لهم قصة تاجر مصري من بائعي السكاير ربح من حملة الترنسفال نحو عشرين الف جنيه في سنة واحدة وابنت لهم انهُ لو اراد اللورد كرومر ان يشتغل اشغالاً مالية في مصر مدة اقامتهِ فيها كما اشتغل غيرهُ من رجال الانكليز او من سائر الاوربيين او من الشرقيين عموماً لخرج منها بمليون جنيه على الاقل وقلت لهم أتضنون بهذا الجزاء القليل على من خدم القطر المصري خدمة لا مثيل لها في تاريخهِ وخدم امتكم اعظم خدمة ادبيَّة وماديَّة ايضاً ان كان لحفظ طريق الهند شأن عندكم . فأيدوا كلامي موافقين عليهِ

وقد راجعت جرائد المتطرفين من الاحرار ومن المحافظين فوجدتها كلها مصوّبة تقديم هذا المال الى جناب اللورد مخطئة العضو الارلندي الذي قال انهُ سيعترض على ذلك يوم المناقشة فيهِ . وجرائد المحافظين تغتنم كل فرصة لتخطئة الوزارة الحاضرة في كل اعمالها ومقترحاتها ولكنها مدحتها على اعترافها بفضل اللورد كرومر وهي وجرائد الاحرار كأنها تستعطف اللورد كرومر لكي لا يلتفت الى ما اظهرهُ بعض الاعضاء الارلنديين من عدم الرضى واعتذرت جرائد الاحرار عنهم بان غايتهم انتقاد المبدإ لا غير

وقد كثر تحدث الانكليز باس الصورة التي اشترتها الحكومة الانكليزيَّة بثلاثة عشر وخمس مئة الف جنيه وهي من تصوير فان ديك المشهور وقالوا انها أُخرجت من ايطاليا خلسة ولا بد ان تطلب الحكومة الايطالية ردها اليها وقال غيرهم انها منقولة عن صورة اقدم منها والصورة الاولى موجودة الآن في البلاد الانكليزية وعليها تاريخ تصويرها وهو قبل ولادة فان ديك وتناقلت الجرائد اليومية هذه الاشاعات فاقبل الناس على مشاهدة الصورة اقبالاً لا مثيل لهُ . وقد شاهدتها اليوم وهي نصفية بقطع طبيعي تمثل رجلاً عريض الجبين خفيف شعر الوجه لا تكاد ترى منهُ غير رأسهِ ويديهِ لان لباسهُ اسود وما حولهُ اسود مثلهُ وعينهُ اليسرى اكبر من عينهِ اليمنى . ويقول الثقات في فن التصوير ان هذه الصورة من اتم

الصور ومن اجملها وان الصورة التي وُجدت في بلاد الانكليز منقولة عنها والتاريخ الذي عليها مصطنع وهي دون الاصل بمراحل

ورأيت للناس اهتماماً بالمسألة المالية المصرية وهم واثقون بما قالهُ سعادة بوغوص باشا نوبار يوم ازال الباخرة القاهرة من ان ثروة مصر الحقيقيَّة قائمة باطيانها وهذه لم تتأثر من الحالة المالية الحاضرة بل زادت غلاءً لارتفاع اسعار القطن وسألني بعضهم عن ايجار الفدان عندنا فقلت لهُ ان ايجار الفدان من الاطيان الجيدة قد يبلغ خمسة عشر جنيهاً فتأوَّهَ ثم قال انتم تأخذون خمسة عشر جنيهاً اما نحن فلا نأخذ خمسة عشر شلناً ايجار الفدان من اطياننا

والظاهر من كلام الناس ومن اقوال الجرائد انهُ لم يبقَ للمسألة المصريَّة السياسية شأن كبير هنا . ولولا استعفاء المسيو لمبير ما ذكرت مصر في هذه المدة اما استعفاؤهُ فقد فصَّلهُ لي سعادة امين باشا سامي ونحن آتون من مصر ويظهر من كلامهِ ان ليس لجناب المستر دانلوب اقل شأن في هذا الاستعفاء بل جاء على ضد رغبتهِ وان وقع فيهِ شيء من الخطإ او سوء الفهم فيكون اللوم على الكاتب وعلى تعجُّل المسيو لمبير لا غير

ايستبرن في ٢٥ يوليو سنة ١٩٠٧

(٧) منشستر والسوريون

رأيتُ ان اقضي جانباً من هذا الصيف في بلاد ويلس فانها جبلية طيبة الهواء جميلة المناظر . كستها الطبيعة ثوباً قشيباً من لبالب عانقت صخورها عناق العاشق الولهان . وادواح بواسق تثنت في وهادها تثني الغواني الحسان . ومروج تناسقت فيها طرائق الزروع والبقول . ووشتها الازاهر بطراز معلم يفتن حسنهُ العقول . وطمنت رؤُوس جبالها في البحر فانفسحت بينها الاجوان والخلجان . وقامت عليها المدن والدساكر تجلى بابهى حلل الحضارة والعمران

فقصدتها بعائلتي من مدينة ايستبرن ومررنا في طريقنا اليها على مدينة منشستر دار المنسوجات القطنية التي افاضت ينابيع الثروة على البلاد الانكليزية . وقد كنت احسب اني لا ارى في هذه المدينة غير المعامل والمخازن — معامل غزل القطن ونسجهِ ومخازن رزمهِ وحزمهِ . شوادر كبيرة لا ينظر فيها الا الى السعة لايواء العمال وخزن البضائع والدخان مسردقٌ فوقها سحائب كثيفة لا تخرقها اشعة الشمس ولا تمزقها عواصف الرياح . فاذا انا بمدينة جليلة دورها تناظر قصور لندن و باريس و بيوتها التجارية صروح مشيدة من المرمر او الحجر النحيت او الخزف المدهون كأنهُ من مباني الصين . والابنية العمومية كالبنوك

والاندية والبورصة والمجلس البلدي ودار البريد والفندق المعروف بالمدلند قصور باذخة ناهيك بفندق المدلند فانهُ آية البناء والزخرفة خارجهُ بالمرمر السماقي الصقيل وداخلهُ بالرخام والصيني ولا غرو فان نفقات بنائهِ وفرشهِ بلغت مليوناً وربع مليون من الجنيهات على ما قيل

وناهيك بدار البورصة فانها فاقت كل المباني التي من نوعها في اتساع رواقها وحسن روائها وما شيدت بهِ من المرمر الثمين فهي تنطبق على ما شيدت لهُ لانها دار لاكبر الاشغال المالية

اما الدخان وانتشارهُ فوق المدينة ولاسيما في الصباح والمساء فعلى ما انتظرتُ ولقد جار على مبانيها فالبسها ثوب الحداد الاَّ ما جدَّ منها في الاعوام الاخيرة . ولكن الدخان اخف من الغبار الذي منينا بهِ في الديار المصرية واقل منهُ ضرراً او لا ضرر منهُ واما الغبار فلا جدال في ضررهِ

ولما كانت اقامتي في هذه المدينة قصيرة لم أعنَ الاَّ برؤية مدرستها الجامعة ومكتبتها العمومية

اما المدرسة وهي المعروفة بمدرسة اونس او كلية فكتوريا بمنشستر فقد انشأها المستر جون اونس احد تجار هذه المدينة بمئة الف جنيه وهبها لها منذ ستين سنة . واغنياء الانكليز وكل اغنياء اوربا واميركا يعرفون كيف يخلدون ذكرهم ويفيدون اوطانهم بانشاء المدارس والمكاتب والمستشفيات وما اشبه كأنهم يقولون ما قالهُ الطائي

اماويّ ان المال غادٍ ورائحٌ ويبقى من المال الاحاديث والذكرُ

او ما قالهُ ابو الطيب

ذكر الفتى عمرهُ الثاني وحاجتهُ ما فاتهُ وفضول العيش اشغالُ

ومن لنا بترسيخ هذه الحقيقة في اذهان اغنيائنا حتى نرى منهم من يجود للجامعة المصرية بمثل ما جاد بهِ جون اونس في زمانهِ فيكسب الذكر والاجر. لكن مئة الف جنيه لا تكفي لانشاء مدرسة جامعة والانفاق عليها فتوالت هبات المحسنين على مدرسة منشستر وقطعت لها الحكومة الانكليزيَّة عشرة آلاف جنيه او اثني عشر الف جنيه في السنة لتستعين بها على نفقاتها الكثيرة لان نفقة المدرسة الجامعة قلما تنقص عن ثلاثين الف جنيه في السنة

ولم تمكني الفرصة الآن الاَّ من مشاهدة متحفها وهو متحف منشستر فيهِ الامثلة والآثار الجيولوجية والبليتنولوجية والمعدنية والحيوانية والنباتية والتاريخية. وقسماهُ الجيولوجي والمعدني اتم من غيرهما ولاسيما ما يتعلق منهما بالفحم الحجري وطبقاتهِ والنباتات التي تكوَّن منها . والمتاحف العلميَّة كثيرة في كل مدائن اوربا وهي مدارس للشعب يتعلمون فيها بالنظر

والمشاهدة ما ينقصهم تعلّمهُ في المدارس فتتسع معارفهم ولذلك تراهم اقدر من غيرهم على المباراة في ميدان الحياة

وفي هذه المدرسة مكتبة عمومية كبيرة فيها نحو ٩٦ الف مجلد اي ثلاثة اضعاف ما في المكتبة الخديويَّة من الكتب

ومنشستر وان كانت مدينةً تجاريةً مشهورةٌ بطائفة من العلماء والفضلاء مثل دلتن الكيماوي وجول الطبيعي وجون بريط السياسي ولذلك تراها تفتخر بهؤلاء الرجال وتنصب تماثيلهم في كل ساحاتها ودورها العمومية تخليداً لذكرهم وترغيباً لابنائها في الاقتداء بهم وتماثيلهم منصوبة في هذه المدرسة كما هي منصوبة في غيرها

واما المكتبة العموميَّة فمن اوسع المكاتب على حداثة عهدها فانها انشئت منذ خمسين سنة وفيها الآن مئة وخمسون الف مجلد عدا مكتبة المكاتب التي اضيفت اليها حديثاً وفيها عشرة آلاف مجلد وهذه وحيدة في بابها لان موضوعها محصور في المكاتب وانشاء الكتب وطبعها وتصويرها وتجليدها وفيها امثلة كثيرة من ذلك تمتد في قدمها الى المكاتب الاشورية والبابلية التي كانت على صفائح الخزف وتنتهي في العصر الحاضر وتشمل كل لغة ولسان على وجه البسيطة

ويتصل بمكتبة منشستر مكاتب كثيرة منتشرة في كل انحاء المدينة وضواحيها حتى يسهل على السكان كلهم الوصول اليها والانتفاع بها وقد تكرم مديرها الفاضل المستر ستن C. W. Sutton فاراني غرفها المختلفة واطلعني على احصاءات كثيرة يعلم منها عدد المترددين عليها وعلى المكاتب المتفرعة منها وعدد الكتب التي تستعار منها سنوياً . ويظهر من هذه الاحصاءات ان عدد الكتب في هذه المكتبة وفروعها بلغ سنة ١٩٠٥ نحو ٣٦٠ الف مجلد وعدد الكتب المستعارة بلغ تلك السنة ٢٣٩٧٠٣٩ اي ان القراء كانوا يطالعون يومياً في نحو ١٨٠٠ مجلد وبلغ عدد القراء في المكتبة العموميَّة وحدها ٣٨٤٠٣١ . واكثر الكتب التي طالعوها في العلوم والفنون وتلوها كتب الادب ثم كتب التاريخ والسير والرحلات ثم كتب اللاهوت والفلسفة . وقد استغربت اقبالهم على كتب العلوم والفنون لان الغالب في المكاتب العموميَّة ان تقرأ القصص والروايات اكثر من سواها فاقبال اهالي منشستر على مطالعة الكتب العلمية من ادل الادلة على ارتقائهم او حبهم للارتقاء العقلي والادبي

ولقد كان من نصيب فريق من وجهاء السوريين ان نزلوا هذه المدينة وفتحوا فيها البيوت التجارية لتوريد البضائع الى اخوانهم في سورية ومصر وفي كل البلدان التي هاجر السوريون

اليها من اقصى الشمال الى اقصى الغرب · واول من لقيتهُ منهم الصديق العزيز الخواجه يوسف غبريل فرأيت في مخزنهِ وبيتهِ ومعاملة الانكليز لهُ ما يفتخر بهِ كل شرقي فترى المستخدمين في مخزنهِ من الانكليز وهم يقيدون الحسابات ويكتبون المكاتيب ويحزمون البضائع والخدم في بيتهِ من الانكليز ايضاً وهم يسوسون الخيل ويطبخون الطعام ويربون الاولاد. وترى هناك الجوائز الكثيرة التي اكتسبها بمباراتهِ للانكليز في سباق الخيل والالعاب المختلفة اونالها اولادهُ في مدارسهم · وهو في محاكم الانكليز ومحافلهم مسموع الكلمة مرفوع المقام مثل نخبة الانكليز انفسهم وهذا شأن كل الذين في منشستر من السوريين فانهم يبارون الانكليز في اشغالهم التجارية واولادهم يبارون اولاد الانكليز في مدارسهم واخص منهم بالذكر مصطفى بك الخرسا وكمال باشا مخيش والخواجات ريحان ومجدلاني وشيحا وشقير ودقي وجربدبني وجباره وحوراني وعنزروت

قلتُ ان السوريين نزلاء منشستر تشبهوا بالانكليز وقد فعلوا ذلك مصداقاً لقول من قال "ان التشبه بالكرام فلاحُ" · والظاهر ان هذا التشبه لا بدَّ منهُ لمجاراة الامم الراقية فقد رأيت قُبَيل كتابة هذه السطور صورة فوتوغرافية تمثل الكونت اوكي الياباني سفير اليابان في المانيا وابنتهُ وزوجها وهو الماني وكلهم بالملابس الاوربية وترى صورة الكونت فتظنهُ من شيوخ الاوربيين فلا الجنس ولا المذهب منعاهُ من ان يلبس الثياب الاوربية او يزوج ابنتهُ لرجل اوربي · ولا يرى الاوربيون الآن ان اليابانيين دونهم في شيء من الاشياء بل تراهم يخطبون ودهم ويعترفون لهم بالسبق في امور كثيرة ويتعلمون منهم ويفتخر روساء مدارسهم ان فلاناً الياباني تعلم فيها. وقد رأيت قبيل ذلك منظراً آخر وسمعت كلاماً وجيز اللفظ كبير المعنى يبين لنا علة تأخر شرقنا الادنى بعد ان كان مهد العمران · كنت آتياً الى مدينة لندنو وهي من مصايف منشستر فلما خرجت من القطار رأيت امامي جماعة من التونسيين نزلاء منشستر وهم بالجبب والعمم فانست بهم وحييتهم بالعربية فردوا التحية بمثلها واول كلمة قالوها لي « هل انت مسلم ». فوقفت مبهوتاً وقد خطر على بالي قول ابي محجن الثقفي الذي قال

لا تسألي الناس عن مالي وكثرتهِ وسائلي الناس عن ديني وعن خُلقي

يتبجح بالدين وهو السكير المحدود القائل

اذا متُّ فادفني الى اصل كرمة تروِّي عظامي في التراب عروقها

ألا ان التعصب الديني الذي خرب الشرق لا يزال يتبعنا اينما ذهبنا · فهلاَّ تعلمنا ان الدين عند الله المعاملة. ويقال انهُ مضى زمن على هؤلاء التجار وهم في منشستر ولم يكتفوا بالبقاء

على عاداتهم من حيث المأكل والمشرب والملبس بل قد يخرج الواحد منهم من بيتهِ ويحبس زوجتهُ في غرفة من غرف البيت ويقفل بابها ويضع المفتاح في جيبهِ . والنساء نصف الامة كما لا يخفى فامة تعامل نساءها هذه المعاملة تخسر نصف قوتها العقلية والجسدية . وقد قرأت بُعيد ذلك ان جنود المغرب الاقصى الذين خرجوا لانقاذ القائد مكلين خلعوا ثيابهم العسكرية لانها من ملابس الكفار وباعوا البذلة منها ببضعة ملات والتحفوا بالبرنس المغربي . اللهم ابعث الينا رسلاً من اليابان ليعلمونا كيف نباري الاوربيين

الّا ان ما ذكرتهُ عن التجار التونسيين لايمسّ آدابهم الشخصية ولا يتعدّى الى معاملاتهم التجارية فانهُ لم يبلغني عنهم من هذا القبيل الاّ انهم اهل جد ونشاط وادب كامل وعسى ان يضيفوا الى ذلك الاعتقاد الراسخ ان الدين عند الله المعاملة

النجاح الغريب

يقف المرء حائرًا مبهوتًا كما علم ان انسانًا كان بالامس فقيرًا معدمًا فاصبح اليوم يعدّ من الاغنياء . ومن ثم يسأل عن اسباب نجاحهِ المالي ويسرهُ ان يقف على سر ثروتهِ لعلهُ يقتفي خطواتهِ

وكما ان نجاح الفرد يستنهض الهمم ويستثير العزائم من مكامنها ويدفع ببعض الرغاب الى تحدي الناجحين في ما يظنونهُ سر نجاحهم هكذا يجب على الامم والجماعات ان تقتدي بمن سبقها من امثالها في سبيل الارتقاء

اعتبر ذلك بما كان من ارتقاء الولايات المتحدة الاميركية فانها حديثة العهد في الوجود السياسي والادبي ولم يكن لها من قبل استقلالها شأن يذكر في العلم والتجارة والثروة والصناعة اما وقد تألبت بعد ذلك لنيل حريتها وتألفت دولةً فانها اخذت بجمع معدّات رقيها واستمدت من اوربا مناهج عمرانها اما بتقليدها او بما حمل اليها المهاجرون الراحلون من العالم القديم اليها فنمت وازدهت

ومع ان سكان الولايات المتحدة ليسوا شعبًا بل امةً تراهم كلهم يندفعون الى نصرة بعضهم بعضًا والعمل بما يعزز شأنهم حتى تسنّى لهم تمام النجاح

قلنا ان السكان ليسوا شعبًا لان الشعب على ما في كليات ابي البقاء كل جماعة كثيرة من الناس يرجعون الى ابٍ مشهور بامرٍ زائد فهو شعب والحال ان سكان الولايات من شعوب شتى فلا يطلق عليهم الاّ اسم الامة لانها تطلق على كل جمعٍ من الناس لهم جامعٌ من دينٍ او زمانٍ او مكانٍ او غير ذلك

فالامة الاميركية قائمة باتحادها على جلب المنافع ودرء المفاسد لا يرى افرادها شذوذاً عن صنان المجموع وكلما انضمّ اليهم نفرٌ ونزل بينهم اصطبغ بالصبغة العامة وصار مع اللفيف يداً واحدة على السير في سبل المنافع

ويدهشنا من الامم الساعية في الارتقاء انها تتردد عن تحدي الولايات المتحدة في سيرها وانتهاج مناهجها مع ان نجاحها من غرائب الدهر فكأن قادة الافكار لاسيما في الممالك الشرقية لم يفقهوا سر النجاح الاميركي والاَّ فعلى عيونهم غشاوة وفي آذانهم وقرٌ فهم لا يسمعون

فان لم يُعرفوا بالارتقاء منذ الاستقلال الى منتصف القرن التاسع عشر فذلك حدث تاريخي يقتضي للتمعن فيهِ درساً وتنقيباً ولكنا نحدثهم الآن بنبإٍ جديد كنا نسمع لهُ دويّاً ونرى من آثارهِ عجباً حتى اظهرهُ لنا بحث جديد لعالم اميركي هو تشارلس هارفي نشرهُ في مجلة منسي الشهرية وملأهُ بالارقام فاظهر فيهِ الفرق العظيم بين حالة بلادهِ سنة ١٨٦٥ وحالها في هذه السنة

فان عدد السكان كان نحواً من خمسة وثلاثين مليوناً من النفوس فاصبح لهذا العهد تسعين مليوناً او يزيدون

وكانت الطرق الحديدية آخذةً بالامتداد والانتشار ومدى خطوطها حينئذٍ خمساً وثلاثين الفاً من الاميال ولكن الاميركان لم يكتفوا بما كان عندهم بل اخذوا يزيدون خطوطهم امتداداً وتشعباً ويستطرقون بها الى القرى والمزارع فضلاً عن المدن ليسهل عليهم نقل ما يستغلون الى الاسواق فاصبحوا وقد بلغت عدة الاميال حتى اول ابريل من هذه السنة مئتين وخمساً وعشرين الفاً · ولا خفاء ان مثل هذه الخطوط لا تقوم بالواجب عليها من الخدمة العامة الاَّ اذا كثر سواد العملة فيها من خدَمةٍ وقوَّامين وسوَّاق ووقادين وامثالهم حتى اصبحت عدتهم لهذا العهد تناهز المليون وخمسمئة الف من الناس

واستخدام مثل هذا العدد من ابناء الامة يزيد في منافعها ويغلق باب البطالة في وجه الشاكين منها ويذود عن البلاد ضرر ثورات البطالين وهرج القوم الذين يحسبون عالةً على المجتمع

ومما يذكر ان عدة هؤلاء العملة النافعين يربو كثيراً على عدد الجيوش التي كانت واقفة تحت السلاح يتربص كل فريقٍ منها الشر بالآخر ايام الحرب الاهليَّة الاميركية

والسكك الحديديَّة تنفع البلاد بنقل نتاج زراعتها وصناعتها من موقع الى آخر وبحمل السلع التجاريَّة من سوق الى اخرى فتفيد المشتغلين بالتجارة والزراعة والصناعة وتؤثر في الحالة الاقتصاديَّة تأثيراً يدر الثروة · ولا تنحصر فوائدها الماديَّة في نفع فئة دون اخرى فان

للقوامين عليها منافع خاصة تعود عليهم بالارباح الطائلة جزاء اجادتهم في ضبط اعمالها وقد قدرت واردات سكك الولايات المتحدة في هذه السنة فبلغت الفين واربعمئة الف مليون ريال اميركي وهو مقدار من المال لو سلم ليد الدولة لوفت منهُ دينها مرتين وبقي منهُ بقيَّة تكفيها لنفقات دوائرها ورواتب موظفيها مدى سنة كاملة ثم لو بحث باحث في ثمن ما تملك شركات السكك الحديديَّة من العقار لرأى ان ذلك يربو على ستة عشر الف مليون ريال

الاَّ ان مصادر الثروة لا يسبر غورها بالنظر في كسب السكك الحديديَّة فقط بل بالبحث في سائر ابواب الكسب من الصناعة والزراعة والتجارة وامثالها

فاما في الصناعة فقد كان للولايات المتحدة القدح المعلَّى لانهُ سُبك من الحديد سنة ١٨٦٥ نحو ٨٣٢ الف طن فاطردت الزيادة بعد ذلك حتى بلغ جملة ماسبك هذه السنة ٢٧ مليوناً من الطنات. ومثل ذلك استخراج الفحم الحجري فقد كان سنة ١٨٦٥ نحو عشرة ملايين طن فصار هذه السنة يناهز الاربعمئة مليون. وكان جملة ما يستخرجون من المعادن لاتتجاوز قيمتهُ المئة وخمسين مليوناً من الريالات فاصبح لهذا العهد يناهز الفي مليون من الريالات وكانت الصناعات الاخرى لا تُنتج في السنة الفي مليون ريال فاصبحت قيمة نتاجها الحاليّ تقدر بسبعة عشر الف مليون ريال

واما في الزراعة فقد كانت المزارع والحقول تقوَّم بمبلغ سبعة آلاف مليون ريال وريعها السنوي كان الف مليون فاذا هي اليوم تقوَّم بثلاثين الف مليون ويقدر ريعها بسبعة آلاف مليون

وقصارى القول ان كل ثروة البلاد كانت تقوَّم سنة ١٨٦٥ بنحو عشرين الف مليون ريال فزادت حتى صارت اليوم تقوَّم بمئة وثمانية عشر الف مليون ريال

وكان الاهلون قد شرعوا قبل ذلك الزمن يستودعون بنوك التوفير شيئاً من اموالهم فلما كانت سنة ١٨٦٥ كان جملة المستودع بها مئتي مليون من الريالات فزادت هذه المقادير تدريجاً حتى صارت سنة ١٩٠٧ ثلاثة آلاف واربعمئة مليون ريال اي تضاعفت قيمتها سبع عشرة مرةً في مدى الاثنتين والاربعين سنة

وهذا الارتقاء في الثروة العامة ظهر باعظم مظاهره في غنى الحكومة الاميركيَّة لانها كانت مديونةً سنة ١٨٦٥ بمبلغ الفين ومئتي مليون ريال فلما زاد دخلها بنمو الثروة العامة كانت تفي ما عليها من الربا وتستهلك من اصل الدين حتى تناقص فصار تسعمئة مليون ريال اي اقل بالف وثلثمئة مليون ريال وبالجملة كان الدين لو توزع على كل فردٍ من اهل الولايات المتحدة سنة ١٨٦٥ رجلاً وامرأة وطفلاً لاصاب واحدهم يومئذٍ خمسة وستين ريالاً اما اليوم فاذا

توزع الباقي على الاهلين اصاب واحدهم احد عشر ريالاً ليس الاَّ

فاعظم بهذا الرقيّ لانهُ بلغ من الامة الاميركية مبلغاً انالها المكانة والعزة والثروة وحباها بمسابقة الامم العريقة في الصناعة حتى غالبت الامة البريطانية على صناعة النسيج فغلبتها سنة ١٨٨٠ وعلى سبك الحديد والفولاذ ففازت سنة ١٨٩٥

واذا اعتبرت حالها اليوم وعدد سكانها وان عملهم عظيم جدًّا حتى يستخرجوا من الذهب ربع ما يستخرج في العالم كلهِ ومن الفضة الثلث ومن الفحم نحو النصف ومن الحديد اربعين في المئة ومن الفولاذ اثنين واربعين في المئة ومن البترول خمسين في المئة ومن النحاس ستين في المئة ويستغلون من القطن مقداراً يبلغ خمسة وسبعين في المئة ومن الذرة خمسة وثمانين في المئة والامة الاميركية لا تزيد على خمسة في المئة من عدد بني البشر

ونحن لا نذكر هذا الاَّ تحدثاً بنعم الله على قوم يغتنمون الفرص متى سنحت فان لم يجدوها يسعون جهدهم لاحداثها لا يستنيمون لصروف الدرهم ر . ن

[المقتطف] وقد نشر قلم الاحصاء في الولايات المتحدة كتابهُ الاخير وهو في ١٢٠٠ صفحة كبيرة يمتد في احصائهِ الى سنة ١٩٠٤ وفيهِ ان ثروة الولايات المتحدة كانت تقدر حينئذٍ بنحو ١٠٧ آلاف مليون ريال اي نحو ٢١٤٠٠ مليون جنيه فمتوسط ثروة النفس نحو ٢٦٣ جنيهاً وهي تزيد سنوياً نحو ثمانية جنيهات . فمتوسط ثروة النفس في انكلترا وفرنسا اكثر من متوسط ثروة النفس في الولايات المتحدة . والناس اوفر ثروة في الولايات الاميركية الجديدة منهم في القديمة واكثر الثروة في العقارات ثم في المصنوعات ثم في سكك الحديد كما ترى في هذا الجدول

ثمن العقارات	٦٣٠٠٠	مليون ريال
« المصنوعات	١٨٠٠٠	« «
« سكك الحديد	١٦٠٠٠	« «
« المواشي وآلات الزراعة	٠٣٠٠٠	« «
« آلات الصناعة	٠٣٠٠	« «
« الذهب والفضة	٠٢٠٠٠	« «

وقد نقص دين الحكومة منذ سنة ١٨٧٠ الى الآن وزاد دين المدن والولايات وذلك من ادل علامات النجاح لانَّ الحكومة تنفق الاموال التي تستدينها على الحروب في الغالب واما المدن والولايات فتنفق ديونها على الاصلاحات المحلية والاعمال العمومية النافعة

كيف تصير قويًا

عثرت على سلسلة مقالات ضافية باللغة الانكليزيَّة تحت هذا العنوان فاحببت نقلها الى القراء الكرام لما فيها من الفائدة

(١) ملاك القوَّة

كان لقوة البدن وتناسب الاعضاء المقام الاول والمحل الارفع عند قدماء اليونان والرومان وكثيرًا ما تقلد اقوياؤُهم المناصب وبلغوا المراتب . فقد رُوِيَ ان ملكاً رومانيًا رجع من غزواتهِ مستصحبًا رجلاً ضليعًا آبدًا فنصبهُ وزيرًا في مملكتهِ ناظرًا في ذلك الى شدة عضلهِ وما لبث هذا الوزير حتى توسَّد عرش الملك · ولا غرابة في تفوّق الاقوياء في تلك الاعصار لان انتصار الجيوش واندحارها كان موقوفاً على بسالتها وقوة ابدانها · ولكن اختراع المدافع وسائر الاسلحة النارية غيَّر حال الحروب تغييرًا كليًا فصار الفوز والنصر حليف المهارة في استعمالها وحسن القيادة ولم تعد قوة الابدان تغني فتيلاً

ومن الاسباب التي آلت الى ضعف البنية الآن عما كانت عليهِ في تلك العصور استعمال الآلات في الزراعة وسائر الحرف فان استعمالها قلَّل من الحاجة الى ترويض الاجسام وباتت القوة البدنية قليلة الاهمية ففقدت الاجسام بانحطاط الرياضة البدنية كثيرًا من قوتها وتناسب اعضائها . واين اجسام الناس اليوم من اجسام قدماء اليونان التي لا تزال آثارها ظاهرة من تماثيلهم . اعتبر ذلك في تمثالي ابولو والزهرة المعروفة بزهرة ميلو

فاذا رغب نقاش من نقاشي هذه الايام ان ينحت تمثالاً مشابهًا للتماثيل القديمة في تناسب اعضائها وما يستدل منهُ على قوة ابدان القدماء عجز وقصَّر · لانهُ لا يجد بين الاحياء في هذه الايام من يتخذهُ انموذجًا يتقلدهُ بل يضطر ان يجعل تمثالهُ مركبًا اي انهُ ينقل رسم الذراعين عن واحد والعنق عن آخر والساقين عن غيرهما وهكذا فكأَن عدم العناية بالرياضة البدنية جعل الاجسام اليوم ذميمة ممسوخة · فالاختلاف بين الفريقين اذا تدبرناهُ بمقابلة اجسامنا باجسام اناس كانوا منذ الفي سنة او ثلاثة آلاف سنة عظيم جدًا يكاد يجعلنا من غير طينتهم · فاهل كل جيل يولدون اضعف اجسامًا من الجيل السابق لهم وابناء هذه الايام تنبئ وجوههم الصفراء وابدانهم النحيلة واعصابهم السريعة التهيج بان الذرية الآتية تكون اضعف من ذريتهم · اعتبر الجهاد في الحياة في ذوي البنية الصحيحة والعضلات القوية

بقطع النظر عن الفرق الجوهري العظيم بين معايشنا ومعايش قدماء الرومان واليونان منذ الفي سنة تجد ان الرجال الاشداء الابدان لا يزالون يحرزون قصب السبق في مضمار الحياة

يؤيد ذلك ان عددًا من مشاهير الرجال كغلادستون وثيرس وفكتور هيجو وكثيرين غيرهم كانوا من اقوياء الابدان

فالرياضة البدنية والحالة هذه خير ذريعة لانماء الاجسام وتقويتها . ولا يغرب عن الفطن ان في الطبيعة قاعدة اتفق علماء الطبيعة عليها وهي ان العضو الذي لا يستعمل او لا يمرَّن يضعف رويدًا رويدًا حتى يصير عاجزًا عديم النفع والعكس بالعكس. اعتبر ذلك في الشجرة الصغيرة فانها تزداد قوة ورسوخاً كلما هزتها الزوابع وامالت الرياح اغصانها. لانهُ كلما مال جذعها واهتز زادت جذورها تعمقاً في الارض فترسخ وتصيب غذاء اكثر تمتصهُ جذيراتها المتشعبة

(٢) تأثير الرياضة وعدم الحركة

انظر الى الحداد وقد قبض بيمناهُ على مطرقة ثقيلة و بيسراهُ على ملقط يمسك بهِ الحديدة المحماة على السندان وجعل يضرب بمطرقتهِ ضربات متوالية كيف تقوى يمينهُ وتفتل عضلاتها وتنتفخ فتصير اقوى من شمالهِ . وانظر الى الزاهد الهندي وقد مدَّ يديهِ وابقاها اعواماً بلا حركة نذرًا لمعبودهِ كيف تجفان تدريجاً حتى تصيرا عظماً يابساً يكسوهُ جلد خفيف و بعبارة اخرى انهما تصيران جلدًا على عظم . وسبب ذلك انَّ عدم الحركة اضعف عضلاتهما ولاشاها . وكذلك اذا دعت الحال احدًا لان يربط ذراعهُ ويتركها بلا حركة ولو اسبوعاً واحدًا شعر بان مرفقها وعضلاتها صارت يابسة متجمدة فاذا حرَّكَ ذراعهُ قليلاً تألم ألماً شديدًا . وعضلات الجسم كعضلات الذراع فقد يتفق ان الواحد يحرك جسمهُ حركة مخالفة لعادتهِ مثل الانحناء الى الامام والوراء فيجد ان العضلات التي قامت بهذا الانحناء الجديد ضعيفة جدًّا . واذا كرَّر الانحناء مدة يسيرة اصابهُ ألم في تلك الاعصاب في الايام التالية . ويظهر من هذا ان ترك الرياضة واستعمالها بغير قانونها يجعل الجسم هزيلاً واهناً واذا اضطرَّ احد ان يلزم فراشهُ بضعة ايام فلا يكاد يقف على قدميهِ او يروض بدنهُ حسب عادتهِ حتى يشعر بارتخاء وضعف في ساقيهِ ودوران في رأسهِ . وسبب ذلك سريان الدم الى اسفل جسمهِ فلا يبقى منهُ في دماغهِ مقدار كاف فيصاب رأسهُ بالدوران وربما أُصيبت رجلاهُ بارتجاف لوفرة الدم الذي يسري اليهما وقد يخفق قلبهُ فيوجس خوفاً ظاناً ان في قلبهِ داء فاذا عاد الى فراشهِ فلزمهُ كما هو الواقع او الغالب مؤملاً استرجاع قوتهِ زاد طين ضعفهِ بلة لان بدنهُ يزداد

ارتخاءِ عضلاتهِ وهنًا وضعفًا فتأخذ قواهُ بالانحطاط الى ان يصير مقعدًا عاجزًا

وكثيرًا ما جاؤوا الى الاطباء بسقماء اعلاء وقد قضى بعضهم ثمانية اعوام او عشرة وهم مقعدون في اسرتهم لم يسيروا خطوة واحدة على اقدامهم فاتضح من البحث ان العلة الكبرى في طول مدة مرضهم هي وهن عضلاتهم وانحطاطها من عدم الاستعمال فكان الاطبَّاء يعالجونهم بالرياضة القانونيَّة . ونعني بالقانونية هنا رياضة يجيء الكلام عليها في غير هذه المقالة . فدبت القوة في عضلاتهم متزايدة حتى شفوا تمامًا ونشطوا الى اعمالهم . هذا والذين يطببون بالتنويم المغنطيسي او بغيرهِ من الوسائط الوهميَّة يصلون بمثل هذه الاحوال الى نتائج باهرة . فانَّ المداوي متى ادرك ان علة العليل هي من النوع المشار اليهِ آنفًا تظاهر امامهُ باستمصاء الداء واخذ يقدح زناد فكرهِ ويفرغ غاية جهدهِ ثم يدعي انهُ قادر على شفائهِ بغير دواء فيؤثر تدجيلهُ في العليل ويتمكن بذلك من ايقافهِ على رجليهِ المرة بعد المرة فتدب القوة في العضلات متكاثرة حتى ينال الشفاء

(٣) منافع الرياضة

تبين لنا في بدء هذه المقالة ان الرياضة تنمي العضلات وتقويها والعضلات مؤلفة من الياف دقيقة ولكل منها قوة التقلص والتمدُّد فالتي لا تستعمل منها تدقّ اليافها وتصفر وتفقد كثيرًا من قوة انكماشها واما العضلات القوية النامية فاليافها تكون سميكة حمراء وخاصية التمدد والتقلص فيها قوية جدًّا فاذا روّضت العضلات بعد الانقطاع عن الحركة احمرّت اليافها وانتفى اصفرارها لما يمرُّ في خلاياها من الدم في اثناء الحركة وهذا الدم المستجد يغذي الالياف حتى اذا كرّرت الرياضة المعتدلة غذيت العضلات الغذاء الكافي فازدادت نموًّا وقوة ونشاطًا ولا تزال كذلك حتى تبلغ درجة غير عادية . ومن الحقائق التي شوهدت مؤيدة لما ذكرناهُ ان بعضهم استطاع بترويضهِ بدنهُ ان يرفع عن الارض بيديهِ ويسير يعلق بكتفيهِ ثقلاً زنتهُ ثلاثة آلاف رطل وهو ثقل ترزح تحتهُ اكبر عربيات النقل . ويعرو القراء استغراب متى علموا ان الرجل المشار اليهِ كان في صغرهِ ضعيف البنية واهن القوة وطالما تحمَّل هزء اخوانهِ التلامذة بهِ بالصبر الجميل لانهُ لم يكن يستطيع المدافعة عن نفسهِ بل كان دائمًا مغلوبًا على امرهِ ولكنهُ بعد ما استعمل الرياضة البدنية القانونية احرز قوة نادرة المثال ستأتي البقية

رحمة صرّوف

الدفن قبل الوفاة

وكيف يتلافى ذلك

لا شيء تنقبض منهُ نفسك ويقشعرُّ منهُ بدنك مثل ان يقال لك ان فلاناً حُسب ميتاً وهو لم يمت ودفن وهو في قيد الحياة . واذا خطر لك حينئذٍ انهُ قد يصيبك ما اصابهُ ارتعتَ من ذلك وقلقت اشد القلق . واي بليَّة اشد على المرء من ان يستيقظ فيجد نفسهُ في تابوت ضيق تحت التراب يحاول التخلُّص من اكفانهِ الى ان تخمد انفاسهُ وقد لا يفيق الاَّ بضع دقائق ثم يقضي عليهِ ولكن هول تلك الدقائق لا يضاهيهِ هول

وهل يحتمل ان يخطئ الناس علامات الموت فيحكموا بموت من لم يزل حيًّا . وهل ذلك كثير الوقوع او هو نادر جدًّا لا يقع مرةً في الدهر . وان كان واقعاً فما الادلة على وقوعهِ لان مَن يدفن لا ينهض فيخبر بما جرى لهُ . والجواب ان دفن الاحياء خطأ قليل ولكنهُ غير نادر وما قلَّتهُ الاَّ بالنسبة الى كثرة عدد الوفيات . والادلة على وقوعهِ كثيرة وقد نشرنا مقالة مسهبة في هذا الموضوع للدكتور امين ابي خاطر منذ ٢٨ سنة ورأينا الآن مقالة في موضوعها جمعت فاوعت وامتدت في بحثها الى هذا العام فاقتطفنا منها ما يأتي لاننا نجد الناس في هذا القطر يسرعون في دفن موتاهم اسراعاً لا مسوّغ لهُ ولا يؤمن معهُ ان يدفن كثيرون منهم وهم في قيد الحياة

قال الكاتب ان افلاطون الحكيم اشار منذ الفين وثلثمئة سنة بان لا يدفن الموتى قبل اليوم الثالث لئلاَّ تكون الحياة كامنة فيهم . وذكر بلينيوس بعد ذلك بخمسة قرون ان اناساً كثيرين حسبوا امواتاً ثم افاقوا . وقال ان هذا شأن الناس فيخطئون حتى في حكمهم على الموت

ويظهر من التاريخ ان قدماء المصريين كانوا يراقبون اجساد موتاهم اياماً عديدة قبلما يشرعون في تحنيطها وان قدماء اليونانيين كانوا يمتحنون جسد الميت على اساليب شتى حتى يتحققوا موتهُ قبلما يحرقونهُ بل انهم كانوا يقطعون اصبعاً من اصابعهِ لكي يثبت لهم موتهُ . وكان الرومانيون يحسبون التسرُّع في دفن الموتى جناية فكانوا يبقون الميت بضعة ايام من غير دفن ويغسلون جسمهُ في الماء الحار او يغسلونهُ بماء يكاد يكون غالياً حتى اذا كان فيهِ اثر للحياة ظهر . قال كونتليانوس المؤلف الروماني الذي نشأ في القرن الاول المسيحي ان الرومانيين كانوا يؤخرون دفن موتاهم لانهم رأوا البعض منهم عادوا الى الحياة قبلما دفنوا

وقال لنشيسي العالم الايطالي ان الشرائع منعت الاسراع في دفن الموتى ولا سيما الذين يموتون فجأة ولقد احسنت في ذلك واتبعت جادة الحكمة

والآن يقول الثقات ان تحقيق الموت من الصعاب قال الاستاذ هكسلي انهُ يصعب جدًّا ان نعرف العلامة التي تدلُّ على الموت دلالة لا ريب فيها . وقال السرعذري ضمن ان العلامة الوحيدة التي يثبت بها الموت هي ظهور علامات الفساد (الانحلال) في الجسم او في الاعضاء الرئيسة وهذا رأي كثيرين غيره من كبار الاطباء . وقال الدكتور توماموره هدن " ان غيبوبة الموت او الغيبوبة التي تشبه الموت تستحق ان ينتبه اليها اكثر مما ينتبه عادةً كحالة مرضيةٍ وكسبب لدفن الناس وهم في قيد الحياة لانهُ لا يمكننا ان نرتاب في وجود غيبوبة الموت ولا شبهة في ان البعض دُفنوا بها وهم احياء الاَّ اذا انكرنا كل الاخبار الموثوق بها لمجرد كونها غير منطبقة على اختبارنا او على آرائنا واميالنا "

وقد بحث بعض الكتاب في هذا الموضوع بالاسهاب التام منذ سبع واربعين سنة واهتمت البلدان الالمانية باستخدام الوسائل التي تمنع دفن الاحياء وانشأت منذ سنة ١٧٩٥ دورًا توضع فيها اجساد الموتى بضعة ايام الى ان يثبت موتها ثبوتًا ينفي كل ريب او تعود الى الحياة كما سيجيء . وذلك بعد ان ثبت من بحث الاطباء في المانيا وفرنسا والنمسا ان علامات الموت الظاهرة لا تكفي للدلالة عليهِ

ثم ذكر الكاتب امثلة كثيرة تدلُّ على دفن الناس وهم في قيد الحياة من ذلك ان الدكتور فرتز هارتمن بحث عن الذين دفنوا وهم لا يزالون احياء فعثر على اسماء سبع مئة منهم والَّف كتابًا في هذا الموضوع ومن الذين ذكرهم فيهِ الممثلة راحيل المشهورة فقال انها حسبت ميتة واخذ الاطباء يحنطونها فافاقت بين ايديهم لكنها ماتت بعد عشر ساعات ممَّا اصابها من عملية التحنيط . وذكر ايضا ان مديرًا من مديري البريد مات بنوبة صرع او حسب ميتًا ودفن ثم اريد توسيع الكنيسة التي دفن فيها ففتح قبرهُ واذا فيهِ الادلَّة على انهُ دفن وهو حي ورأى ذلك الطبيب الذي قال انهُ مات بجنونٍ من الاسف

وكتب الدكتور ايكار مقالة في الجريدة الطبيَّة (برس مديكال) في ١٧ اغسطس سنة ١٩٠٤ ذكر فيها ١٢ شخصًا ظُن انهم ماتوا ثم ظهر انهم لم يزالوا احياء ومنهم شخص صلي عليهِ امام الاطباء الذين شهدوا بموتهِ وكان منهم الدكتور بوساكس استاذ الفسيولوجيا في مدرسة اثينا الجامعة . وذكر ولدًا توفي في الصباح في ١٣ يونيو سنة ١٩٠٣ واتي بهِ الى دار الموتى في المساء وفحصهُ الطبيب واكَّد انهُ ميت ولكنهُ لم يقم في دار الموتى ساعة حتى افاق فردَّ الى امهِ

وتوفيت امرأة سنة ١٩٠٥ وعمرها ٣٨ سنة وكتب طبيبها شهادة الموت وجعل ذووها يعدّون لوازم دفنها ولما كانوا يقيسون جسمها لاختيار التابوت رأوا حركة في جفنيها ففتحت من الدفن حيَّة. وذكرت جريدة الدبلي تلغراف في ٧ يناير هذه السنة ان ولدًا عملت فيهِ عملية جراحيَّة فظهر انهُ مات وقال طبيب الصحة انهُ لم يتنفس مدة عشرين دقيقة لكنهُ افاق بعد ذلك . وآخر ما ذكر من هذا القبيل ان امرأة اسمها مسز ريز حُسبت ميتة في ١٤ سبتمبر الماضي وكادت تدفن . وجاء في الغازت في ١٥ اكتوبر الجاري ان ابنة دفنت في شبين الكوم اعتقادًا انها ميتة وحالما انهال التراب على تابوتها صرخت وأُنقذت

ومما يذكر في هذا الصدد الحوادث الثلاث التي ذكرها الدكتور ابو خاطر في مقالتهِ المشار اليها آنفًا " الاولى ان رجلاً فلاحًا ليس لهُ عائلة مات في بيت حقير وما لبث ان برد جسمهُ حتى نقلوهُ من مكانهِ ووضعوهُ على فراش من القش واستأجروا عجوزًا تحافظ عليهِ واشعلوا شمعة ووضعوها بقرب رجليهِ وفي الليل غلب على العجوز النعاس فنامت واستغرقت في النوم ولم يمضِ قليل حتى استفاقت مذعورةً ووجدت نفسها محاطة باللهيب فخافت وصرخت فجاء الجيران اليها ووجدوا شبحًا معرًّى في وسط اللهيب يجر نفسهُ على رجليهِ واذا هو الميت خارج من اللهيب وقد احترق معظم فخذيهِ فاسرعوا لنجاتهِ ومداواتهِ فشفي . واما سبب ذلك فهو ان شرارة طارت على فراش القش مدة نوم العجوز فحرقتهُ وافاق الميت

"والثانية ان امرأة ماتت بالظاهر في حال مخاضها فدعي اليها طبيب ليعمل العمليَّة القيصريَّة لعلهُ بذلك ينجي حياة الجنين فحضر واثبت رأي الحاضرين بموتها لانهُ لم يرَ اثرًا للنبض ولا علامة للتنفس عند وضع المرآة امام الانف والفم ولم يكشف ضربان القلب بالاستقصاء ولذلك حكم بوجوب العمليَّة ولما ابتدأ واعمل سكينهُ في اللحم افاقت المرأة وصرخت ثم ماتت

"والثالثة ان رجلاً كان مصابًا بمرض مزمن من جملة اعراضهِ المزعجة قلق متواصل سلب راحتهُ وحينما يئس من حالتهِ استشار طبيبًا فوصف لهُ الافيون وامرهُ باستعمالهِ بالاحتراس اللازم ولكن المريض كان يجهل خاصة الدواء فاخذ منهُ دفعة واحدة ما كان ينبغي ان يأخذهُ في دفعات كثيرة فاستغرق حالاً في نوم عميق ولم يفق منهُ بعد ٢٤ ساعة فاحضروا اليهِ طبيب البلدة فوجد النبض منقطعًا وحرارة الجلد مفقودة ففصدهُ في ساعديهِ فلم يخرج الاَّ نقطات من الدم الغليظ وفي الغد دُفن . ثم بعد بضعة ايام عرفوا انهُ اكثر جرعة الافيون وان ذلك كان سبب موتهِ فاسرعوا لمشاهدتهِ في القبر واذا بمنظر هائل ترتعد منهُ الفرائص وذلك ان الوريدين اللذين فصدهما الطبيب جرى الدم منهما بغزارة وملأ جوف التابوت

وعاد الميت الى الحياة وحاول النجاة من اسرو فلم يقدر وقضى اجلهُ في ذلك السجن الضيق وكانت هيئتهُ كئيبة مرعبة يرق لمنظرها الجلمود"

وفي الجرائد الطبيَّة وجريدة دافني الموتى الانكليزيَّة امثلة كثيرة من هذا القبيل. ويقال عن ثقة ان الذين يوضعون في دور الموتى بفرنسا يفيق منهم واحد من كل ثلثمئة. وذكر الدكتور تب في الطبعة الاخيرة من كتابهِ عن "الدفن قبل الوفاة" ٢١٩ شخصاً كادوا يدفنون وهم في قيد الحياة و١٤٩ دفنوا احياء و١٠ حسبوا موتى وشرّحوا وهم احياء

ولقد كان الناس عموماً حتى الاطباء يعدون المرء ميتاً اذا انقطع نفسهُ بضع دقائق. ولا يزال بعضهم يفعل ذلك حتى الآن. ولكن ثلاثين نوعاً من الامراض تصحبها اعراض مثل اعراض الموت تماماً تخفى على امهر الاطباء كالغيبوبة والتيبُّس (كتالبسيا) والمسثيريا والخوريا والاستهواء عدا عوارض كثيرة تعرض للانسان ويظهر كأنها قضت عليهِ مثل وقوع الصواعق وضربة الشمس والتبنج بالكلوروفورم والاختناق بالغازات والتخدُّر بالافيون والغرَق والانصراع بالكهربائيَّة والانطمار تحت الثلج او تحت التراب او الحبوب في الاهراء والاختناق والاعياء العصبي والاغماء والبرد الشديد والحر الشديد والسكر والنزف وتوقف الافعال الحيوية بمرض عصبي والرُّعب والتهييج الشديد ونوب السكتة وما اشبه

والمقرر عند الثقات من الاطباء ان الموت لا يأتي فجأة بل هو فعل بطيء ينتقل بهِ الجسم من الحياة الى الموت انتقالاً فكل موت فجائي مظنة ان المرء لم يمت ولكن توقفت الافعال الحيوية فيهِ توقفاً يزول بعد حين الاَّ اذا فقد عضواً رئيسي فعلهُ فجأة وهذا لا يُعلم الاَّ بعد فتح الرمَّة اما النواميس الطبيعية فتنفي الموت الفجائي

وقد رأى الاطباء الذين بحثوا في ما يسمَّى بتوقف الافعال الحيوية ان الذين يشتغلون اشغالاً تنهك اعصابهم قبلما تسترد قوتها ويلجأون الى المنبهات او المخدرات لازالة ما يشعرون بهِ من خوار القوى هؤلاء يكثر فيهم توقف القوى الحيويَّة او الموت الظاهر. وكذلك يكثر الموت الظاهر بين الفقراء الذين تقلُّ تغذيتهم ولا تعود اليهم علامات الحياة الاَّ بعد ستة ايام او سبعة. وقال الدكتور غورس ان الضعف العصبي يُعدُّ الانسان للموت الظاهر ثم اذا اصابهُ فعل نفساني شديد التأثير كالانفعال الديني او الرعب الفجائي او ضربة على الرأس او على الظهر كان ذلك سبباً لظهور هذا الموت

وكثيرًا ما يصاب الانسان بتشنج عصبي فييبس جسمهُ ولا يعود يتحرَّك ولا يعود يتنفس حسب الظاهر ويبقى كذلك اياماً. وقد دفن كثيرون وهم في هذه الحالة اعتقاداً انهم ماتوا

ذكر الدكتور غريدنر استاذ الطب في مدرسة غلاسكو الجامعة حادثة مثل هذه دامت الغيبوبة فيها ٢٣ اسبوعاً (انظر جريدة اللانست الصادر في ٢٢ دسمبر سنة ١٨٨٣ صفحة ١٠٧٨ — ١٠٨٠)

وكثيرون من المشاهير كانوا يصابون بنوب اغماء تدوم اياماً فقد ذكر فتزجرلد مولي ان دزرائلي كان يصاب بنوب الاغماء في صغره وأُغمي عليه مرة وبقي في حالة الغيبوبة اسبوعاً كاملاً ويقال ان الكردينال سبنوزا والكردينال سومغليا أُغمي عليهما فحسبا ميتين وشرع في تحنيطهما وهما في قيد الحياة

والمشهور ان تيبس العضلات من ادل علامات الموت ولكن الدكتور صموئيل باركر برات انكر ذلك وقال ان هذا التيبس من نوع انقباض العضلات الذي يصيب الاحياء وقال الدكتور تشو ان تيبس العضلات قلما يحدث في البلدان الحارة كالهند وكتب الدكتور ده لابوردا الى سكرتير جمعيَّة قوارب تخليص الغرقى ان تقلّص الفكين ليس دليلاً قاطعاً على الموت لان كثيرين ظهر فيهم هذا الامر ثم ردُّوا الى الحياة . ووافق الدكتور برون سيكار الشهير على ذلك

ومن علامات الموت التي حُسبت قاطعة فظهر فسادها الآن الاستدلال باغشية اليد وذلك ان تبسط راحة اليد بين عين الناظر وقنديل ساطع النور حتى تكون الاصابع متماسَّة فاذا ظهر خط قرمزي حول الاصابع فالشخص لا يزال حيًّا والاَّ فلا . وقد سُرَّت الاكادمية الفرنسويَّة بهذه العلامة حتى وعدت ان تُثيب مكتشفها ولكن السر بنيامين ورد رتشردصن امتحنها مراراً كثيرة فوجدها ثانوية لا يعوَّل عليها وحدها وايَّد غيرهُ من الاطباء قولهُ

وبعد ان اطال الكاتب في هذا الموضوع وصل الى الغاية التي قصدها وهي ان تنشأ دور توضع فيها اجساد الموتى اياماً الى ان يفيقوا ان كانوا لا يزالون احياء او يدبّ فيهم الفساد ان كانوا قد ماتوا حقيقةً . وهذه الدور شائعة الآن في مونخ وفرنكفورت وويمر وستتغرت وبرلين من المدن الالمانية وفي فينا وغيرها من المدن النمسوية واول دار من هذه الدور انشئت في ويمر سنة ١٧٩١ . وفي مدينة مونخ الآن عشر من هذه الدور فتنقل اجساد الموتى اليها وتبقى فيها تحت مراقبة الاطباء الاكفاء ويوضع كل جسد على مائدة بثيابهِ العادية وتكون الغرفة معتدلة الحرارة مطلقة الهواء كثيرة النور ويوصل باصابعهِ جرس كهربائي فيدق عند اقل حركة تبدو منهُ ويترك في وضعهِ هذا يومين او ثلاثة ما لم تبدُ عليهِ علامات البلى قبل ذلك ولا يؤذن بدفنهِ ما لم يرهُ الطبيب ويجيز ذلك

هذا ومن المعلوم ان اكثر موتانا يدفنون يوم وفاتهم . وواضح مما تقدم انهُ يحتمل ان البعض منهم لا يكونون قد ماتوا حقيقة فيدفنون وهم في قيد الحياة واطباؤنا ليسوا امهر من اطباء الاوربيين في الاستدلال على الموت افلا تقضي الحكمة والشفقة ان نجاري الاوربيين في اقامة دور يوضع فيها الذين يشتبه في موتهم حتى اذا كانت الحياة لا تزال كامنة فيهم تظهر قبل ان يواروا الثرى و يقطع الرجاء منهم

علوم اليونان وآدابهم

لا ينكر الاوربيون على اليونان انهم مصدر علومهم وفنونهم وان اليهم تنتهي حضارتهم الاَّ ان في ذلك نظرًا حدس بهِ بعض الباحثين من ان اليونان انفسهم اخذوا حضارتهم عن الامم الشرقية من مصريين واشوريين وفينيقيين على ان ذلك القول لا يقدح بالمكانة التي ادركوها لان مضاء عقولهم وذكاء نفوسهم حسَّنا ما انتهى اليهم من سابقيهم وصبغاهُ بصبغتهم اليونانية فزادوا فيهِ من عندياتهم اشياء صيَّرت جرثومة الاصل في حكم الخفيّ عن الانظار ثم اتصل منهم شيء بالامتين الرومانية فالعربيَّة ومنهما باوربا حتى اذا انار ذلك الشيء بعض عقول ساكنيها طلبت المزيد فتوفقت لاحرازهِ والتوسع فيهِ حتى رسخت اقدام الحضارة العصريَّة

ولقد مرَّ على الامة اليونانيَّة زمن جاهليةٍ سرحت فيهِ قبائل البلاسجيين في الاقطار اليونانية بعد ان بلغوها من الشرق منبت اسلتهم اذ هم من الآريين الذين هاجروا الى اوربا في اقدم العصور فاحتلَّ فريقٌ منهم بلاد اليونان ونزل فريق آخر ايطاليا وذلك حوالي القرن العشرين قبل المسيح

ولا تعلم حالهم يومئذٍ لخلو التاريخ من نبإٍ صريح عن شؤُونهم وانما يظن انهم بلغوا منازلهم بعد ان خرجوا من حال الفطرة الساذجة بل ربما كانوا قد حملوا من مواطنهم الاولى شيئًا من معرفة شؤُون الحياة والاجتماع يدلُّ على ذلك اهتمامهم بحرث الارض واستغلالها وبناؤهم المدن وحياطتها بالاسوار وقيام الحكومة المنظمة فيهم واشتراع السنن والقوانين مما لا يتأَتى للفطريين الاَّ وقد تجاوزوا الهمجيَّة . على انهم لم يكونوا يحظرون على انفسهم مخالطة الناس والانتفاع بما عندهم من الحضارة يدل على ذلك تقدمهم في شؤُون الحياة تدريجًا بما اخذوهُ عن غيرهم وما فتقت لهم عقولهم من ايجاد ما يحتاجون اليهِ . على ان اخذهم عن الغرباء مستفيض الرواية في التاريخ ومؤيد باقدم التقليد عهدًا اذ يقال انهُ جاءهم اقوام من المصريين

والفينيقيين والفريجيين فنزلوا بلادهم وسكنوها وعلوم آدابهم . اعتبر ذلك باسطورة مجيء سكروبس المصري بما حمل من صناعات قومهِ وعلومهم وحكمة كهانهم وباسطورة نزول قدم (قدموس) الفينيقي بين ظهرانيهم حاملاً الحروف الهجائية وكذلك بما يروى عن نزول بيلوبس الفريجي في جنوبي بلادهم واتسامها باسمٍ مشتق من اسمهِ فهي بيلوبنسوس . على ان هذه الاساطير كغيرها من امثالها لا تصدَّق بمعناها الحرفي بل يعتمد منها مغزاها ولذلك يرجح ان القصد من وضعها الاشارة الى المواضع التي اخذ اليونان عنها علومهم وآدابهم وسواء كانت هذه الاساطير انباء صحيحة او مجرَّد اشاراتٍ فانها لا تدل على اخذهم شيئاً عن سكان ما بين النهرين مع ان ذلك من رأي جماعةٍ من الثقات وتراه مؤيَّداً بالشبه القريب بين صناعات الفريقين

ثم اشتد ساعد اربع قبائل يونانيَّة هي الايوليَّة والاثينيَّة والايونيَّة والدوريَّة وكانت منازلهم في بقعةٍ من ابيروس اسمها هلس فتسموا بها الهليون وكانوا اهل حربٍ وبسالةٍ ذوي عقول ثاقبة وذكاء مفرط ولذلك سبقوا سائر ابناء ارومتهم فخرجوا من بلادهم مضطرين وانتشروا في سائر البلاد اليونانيَّة سلماً او حرباً فما لبث ان جاراهم البلاسجيون واندمجوا فيهم واطلق عليهم جميعاً اسم الهيلانيين وتسمت بلادهم هلاس واما علوم القوم وآدابهم والفنون التي اتقنوها فانَّا نفصلها تفصيلاً موجزين على قدر الاستطاعة

﴿ الهندسة ﴾ ان البناء من الحاجيات الاولى للانسان على ان الارتقاء في هندستهِ اصليٌّ وتقليدي ومزيج منهما بمعنى ان يقلد بناءٌ بناءً آخر ثم يزيد عليهِ ما يخرجهُ عن ذلك الاصل المقلَّد . وعلماء الهندسة اليوم يعرفون للبنايات اليونانيَّة القديمة ثلاثة ضروبٍ اولها اقدمها عهداً وهو ما كانت الحجارة فيهِ كبيرة الحجم لم يمسها ازميل العامل ثانيها ما كانت الحجارة فيهِ مهندمةً على غير انتظام في شكلها ويغلب فيها كثرة الاضلاع ثالثها ما نحتت الحجارة فيهِ على على شكل قائم الزوايا ثم صفت صفاً منتظماً

ولا خفاء ان معظم مظاهر هندسة البناء قائم بآثار الهياكل والمعابد حيثما كان العبَّاد يبذلون مبلغ جهدهم في تزيين معابدهم واحكام صنعها ولذلك تحسب هياكل كل امةٍ معرضاً لهندسة ابنائها

وكان اليونان في اول تعمير بلادهم يعبدون اربابهم في هياكل لا تبعد كثيراً عن مساكنهم مشابهين في ذلك المصريين الذين جعلوا الكهوف معابد لاربابهم قبل ان اهتدوا الى البناء بالحجر اما اليونان فكانوا يجعلون اصنامهم في تخاريب الشجر ويقيمون لها العبادة

وظلوا على هذا حتى اهتدوا الى بناء اكواخهم من جذوع الاشجار فاصطنعوا مثلها لاربابهم ومن ثم اتخذوا الحجر بديلاً من غصون الشجر وتفتقت لهم عقولهم التوسع في تحسينهِ واستنباط اصولهِ فلم يمضِ عليهم زمن طويل الاَّ شادوا الهياكل الضخام والبنايات العظيمة واحكموا هندستها وما عمَّت طريقتهم الهندسية ان صارت ضرباً من ثلاثة دُوريَّة وايونيَّة وكورنثيَّة فاما الدُّوريَّة فعبارة عن عُمُدٍ من غير قاعدةٍ ترتكز عليها وتاجها بسيط من غير فخامةٍ والايونيَّة ترى تيجان عمدها منقوشةً نقشاً مثنّى تثنيةً لولبيَّةً والكورنثيَّة يكثر في تيجانها النقش الممثل ورق نباتٍ شائك

فللعمد المحل الاول في الهندسة اليونانيَّة ووجودها يدل الباحث على انها انما صارت ركناً من اركان هندستهم لانها اثرٌ لانشائهم المعابد الشجريَّة قديماً اذ كانوا يومئذٍ يجعلون العُمُد حول الموضع ثم يغطونها بغصون الشجر فلما صاروا الى بناء الحجر تفننوا في تزهيرهِ بالنقش وتنسيقهِ ليمثل لهم ما كانوا فيهِ وظلَّت العمد من اركان بنائهم

ومن اهم البنايات اليونانيَّة التي لفتت اليها انظار العالم القديم هيكل افسس المحسوب من عجائب الدنيا فان المهندسين والصنَّاع بدأُوا فيهِ في القرن السادس ق٠م وظلوا يعملون في بنائهِ وزخرفتهِ وتزيينهِ داخلاً وخارجاً مدى مئتين وعشرين سنةً فجاء تحفة للانظار٠ ولم يكن كل اثار الهندسة اليونانيَّة بل اشتهر ثمت هيكل دلفي والاكربول والبرثينون وغيرها وناهيك بالمدفن موزوليوم وغيرهِ

الحفر والنقش الاَّ ان براعة اليونان في الهندسة لم تعطهم قصب السبق في مضمار البناء وانما احرزوا السبق والتبريز في الحفر والنقش واظهروا للعالم من آثارهم ما لا يباريهم فيهِ احدٌ٠ ولقد كان لهم من اساطير معبوداتهم وتخرصات رواتها مواضيع جليلة تمرح فيها اقلام مصوريهم وازاميل النقاشين والحفارين منهم فلا تجارى٠ ولقد كانوا في بدء امرهم يحفرون وينقشون على الخشب ولكن لما استعملوا الرخام والنحاس ظهرت حذاقتهم وتقدمت صناعتهم خطىً واسعة لا سيما بعد ان صار الصناع يطلبون لزخرف المعابد فاتسع لديهم مجال العمل

وكان من اهم نابغيهم في القرن الخامس ق٠م فيدياس النحات المشهور ولهُ مشاركةٌ في هندسة البناء والنقش والحفر فابدع بما اصطنعهُ من التماثيل للارباب العظام اشهرها تمثال المعبودة اثينا والمعبود جوف اوزفس او لمبوس وكلاهما من الذهب والعاج ولهُ غيرها كثير من التماثيل الرخامية والنحاسية

ونبغ في القرن الرابع نحات آخر اسمهُ براكسيتلس اصطنع تماثيل اخرى بديعة الزخرف

واشتهر بعده ليسيبوس عمل كثيرًا وعلّم جمهورًا من التلامذة اشهرهم شارس صانع تمثال رودس المشهور ويلي هؤلاء النوابغ جماعة من كبار المصورين والنحاتين ممن عقدت على براعتهم الخناصر

وليس الغريب في نبوغ بضعة رجال من مشاهير الصنّاع بل في تقدير الامة لاعمالهم وتهافتها من كبيرها الى صغيرها على اجلال عملهم وتعظيم نتاج براعتهم وانزالها من منازلهم ومعابدهم ومجتمعاتهم محلاً رفيعًا. وهذا رفع الفنون الجميلة اليونانيَّة الى مرتبة سامية لان الناس مولعون بالتأثر للرأي العام في اعمالهم فان رأوا منهُ استجادةً لما يصنعون زادوا اتقانًا وهذا سرّ نجاح اليونان وكون عملهم في النقش والحفر لا يجارى وهو حتى اليوم نقطة الدائرة ألتي يرجع اليها ويعوّل في معرفة جمال العمل عليها

﴿ الشعر ﴾ لولا اني اقصد التنويه بكل ما عرفنا عن الآداب اليونانيَّة لاحجمت عن ذكر الشعر بعد ان كتب فيهِ العالم المحقق سليمان افندي البستاني لان كتابهُ جمع فاوعى وانما حسبي ان الم بالموضوع الماماً

فلقد كان للشعر اليوناني زمن الجاهليَّة شأن عظيم اذ نبغ في الامة جماعة من فحول الشعراء اشهرهم هوميروس الذائع الصيت الذي اختلف المؤرخون في زمن نبوغهِ فرجح بعضهم انهُ كان في اواسط القرن التاسع ق.م ولم يتفق رواة اخبارهِ على البلد الذي ولد فيهِ لان مدنًا كثيرة ادّعت انهُ من ابنائها . ومما يقال فيهِ انهُ كان يطوف البلاد ويتغنى بشعرهِ وانهُ كفّ بصرهُ في اثناء تطوافهِ . واشهر قصائدهِ اثنتان الالياذه والاوذيسي نظم الاولى في ما اصاب اليونان من الاحن لغضب اشلس واندفاعهم لحصار تروادهِ وهي التي عرّبها سليمان افندي البستاني ونظمها شعرًا عربيًا وقال هوميروس القصيدة الثانية في ما قاسى البطل اوليس من التيه في البحار وهو قافل الى وطنهِ ايثاكا بعد فتح تروادة

والقصيدتان غاية في البلاغة الا ان الالياذة ارفعها منزلةً وكأنها بيت القصيد في الشعر اليوناني بل في شعر كل الامم الغربيَّة على ما يقول بعض الافرنج لانهم يحسبون شعرهم مستقًى من القريض اليوناني وان الفضل للمتقدم

على ان الجاهليَّة اليونانيَّة كانت حتى يومئذٍ لم تعرف الكتابة ولم تأخذ حروف الهجاء فظلت تلك الاشعار تحفظ في الاذهان وتنقلها الشفاه عصورًا متطاولة كما كان الحال في الامة العربيَّة زمن جاهليتها ولهذا يظهر لبعض النقدة ان الشعر المنسوب الى هوميروس لم يكن كلهُ لهُ بل لا بدَّ ان يكون قد اختلط بهِ شعر آخر لسواهُ واتسع لغير واحد من المشككين مجال

الريب فانكر وجود الشاعر وحسب القريض المنسوب اليهِ من نظم كثيرين من الناس سبحوا في بحار الخيال فتمثلوا حروب تروادة وابطالها وما هنالك من المشاهد والآراء والاقوال وليس هناك حرب ولا رجال ولكنها تخرصات اوهام الشعراء الاّ ان هذا القول ولئن قبلهُ جماعة من الثقات فانهُ اصبح مردودًا بما اظهرتهُ الانقاض في موقعي تروادة ومسينيا من الآثار الناطقة بصدق بعض الوقائع فاتخذها المعجبون بهوميروس برهانًا على صحة وجودهِ وشاعريتهِ وصدق قولهِ وشكروا عناية الدكتور شليمان مكتشف تلك الآثار

ومهما يكن من شأن ذلك القريض فانهُ ان صحت نسبتهُ الى هوميروس او لا فوجودهُ بين ايدينا دليلٌ على علو طبقة ناظمهِ بين الشعراء وانهُ نتاج القريحة في زمن الجاهلية حين لم تكن المخيلة منشغلة بمشاهد الحضارة الراقية

وبعد هوميروس عصرًا ومقامًا الشعراء هسيوس وبندار والسيوس واناكريون والشاعرة سافو

﴿ التمثيل ﴾ كان اليونان لما جاؤوا من موضع هاجرتهم قد حملوا من عقائد امتهم الآرية شيئًا من عبادة السلف وذلك ظاهرٌ من انهم كانوا يحسبون الحياة هي كل الغاية من الوجود وان الموت عدمٌ فهو اذًا خطب جلل لانقطاع الانسان بهِ عن ملاذ الدنيا وبهجتها الاّ انهم يقولون بوجود مكانٍ يسمونهُ رياض النزه في ما وراء مغيب الشمس فيهِ كل المسرات والملاذ ومعدات الرفهِ والرغد ولكن لا يأتيهِ بعد الموت الاّ بضعة مختارة من اهل الفروسيَّة ومن المحسنين لامثيهم بخلاف سائر الناس فانهم يذهبون الى حيث يصيرون اشباحًا ضعافًا غير نائلين رغدًا وان الارواح التي يسمونها ظلالاً كانت تستمر تائهةً في الجحيم حتى تُدفن الجثة ولذلك كان القوم يحسبون الدفن عزيزًا كريمًا غير ان روح الميت لا تلقى ارتياحًا في مقرّها الابدي الاّ اذا استمر الاحياء يجرون الالعاب التي كان يسر بها في حياتهِ فكان الناس يقيمون الالعاب لمسرة الموتى وارتياحهم وهذا هو السبب في ميل اليونان الى الالعاب

ولما راجت بضاعة الشعر عندهم واشرأبت اعناق الامة الى سماع جيدهِ والتغني باطايبهِ نشأ من جملة الالعاب تمثيل الحوادث التي تخيلها الشعراء وكان الناس يجلسون الساعات الطوال في الخلاء يمتعون العين بمرأى المشاهد والاذن بسماع الشعر البليغ وكانت حكومتهم تميل ميلهم لما رأت مبلغ تأثرهم من التمثيل فصارت تساعد الممثلين بالمال

الاَّ ان نشأة هذا التمثيل لم تكن في زمن الجاهلية بل بعد ان استنارت البلاد بانوار الحضارة والعمران عقيب الحرب التي استعرت بين اليونان والفرس . ونشأ بينهم كثيرون من الكتاب المجيدين كاشيلس وسوفوكلس وايريبديس فانصرفوا الى وضع الروايات التمثيلية

وابدعوا في صوغها فواجع تثير العواطف ومثلهم نبغ فيهم اريسطوفانس فكتب الروايات البديعة من المضحكات اودعها كثيرًا من الجد في قالب الهزل

﴿الخطابة﴾ كانت الخطابة عند اليونان من مستلزمات مجتمعهم فبرعوا فيها واكتسبوا بالمراس عليها وبتحري حسن البيان ملكة البلاغة فعلت بخطبائهم مكانًا رفيعًا اعتبر ذلك بما ذاع عن ثيموستكلس وبريكلس واعظم منهما ذيموستنس الذائع الصيت الذي تغلب بصبرهِ ومراسهِ على ضعف صوتهِ وتلعثم لسانهِ فاصبح وهو الخطيب المصقع الذي ترتج لذكرهِ المنابر

﴿الفلسفة والعلوم﴾ ولم يقتصر اليونان على احراز قصب السبق في ما تقدم ذكرهُ من الآداب بل كان لهم القدح المعلّى في الفلسفة وقد نشأت عندهم حين استنارت العقول وانطلقت الاذهان فاجالوا خواطرهم في عقائدهم وارائهم وتفلسفوا في القواعد والاصول حتى برّزوا في ارائهم المجرّدة ليس فقط في الدين بل في سائر الموجودات وقد اختلف المؤرخون في نشأة الفلسفة عندهم فمن ذاهب الى انها من اوضاعهم ومن قائل انها في الاصل من المصريين او من غيرهم من امم المشرق · اما العلوم فقد خاضوا عبابها الاّ انهم لم يبرعوا فيها براعتهم في الفلسفة لانهم كانوا يحسنون التخيّل والتجريد الفلسفي حتى اتصلوا الى اسمى نتائج المعقولات ولكنهم لم يكونوا يعرفون طرق التجربة والامتحان كما تُعرف اليوم فلم يهتدوا الى معرفة قواعد العلم الطبيعي التي وضعت في العصور المتأخرة ولذلك صدق فيهم قول من قال ان اليونان معلمو الفلسفة للعالم ولكنهم لم يكونوا يعرفون من العلوم الطبيعيّة ما يعرفهُ اصغر تلميذ في مدارس عصرنا

وهذا القول المطلق لا يؤخذ بهِ على علاتهِ بحيث يفهم منهُ انهم كانوا لا يعرفون من العلم الطبيعي شيئًا لان الثقات يعترفون لهم بالاشتغال في الطبيعيات ويستشهدون على تقدم الرياضيات عندهم بجدول الضرب المنسوب لفيثاغورس وبكتاب اقليدس الذي خلد في الهندسة اسمهُ فضلاً عن ان لارخميدس ذكرًا مشهورًا يستنتج منهُ ان قدمهُ في الطبيات كانت راسخة

﴿التاريخ والجغرافيا﴾ اشتهر اليونان ايضًا بعلم التاريخ ولئن انكرهُ عليهم كهنة المصريين وقالوا انهم فيهِ كالصبية الصغار · وعهد اليونان بالتاريخ ينتهي الى اول زمن تعلمهم الكتابة وشروعهم بالتأليف نثرًا حوالي القرن السادس ق · م

ومن اشهر مؤرخيهم واقدمهم عصرًا ثلاثة من النوابغ وهم هيرودوتس وثيوسيديدس واكسنفون ويلقب الاول بابي التاريخ وقد ساح في انحاء العالم المعروف يومئذٍ اي في ايطاليا ومصر وسوريا وبابل وحقق ما استطاع الى التحقيق سبيلاً وكتب تاريخهُ وهو ثقة في ما

رأي الآنهُ يبالغ احياناً ويتهافت على تصديق ما يسمع من غير تجريح بخلاف ثيوسيديدس فانهُ اقدر على نقد الروايات وتمحيصها وابداء الملاحظات

واشهر من نبغ من علماء الجغرافيا عند اليونان سترابون وكلوديوس وكلاهما يُعتمَد في معرفة الخطط القديمة ويُستشهَد بهِ حتى اليوم

ولعلَّ كلامنا هذا على ايجازهِ قد بيَّن مكانة الامة اليونانيَّة من الفلسفة والعلوم وانها نالت بجملة العالم المتمدن عن جدارةٍ فانك ترى في مؤلفات علماء العصر شواهد واقتباسات ونقولاً كثيرة عمَّن سبقهم من اليونان فاحرِ بقوم هذا مقامهم العلمي ان يتسنموا غارب الشهرة التي لا تقوى الدهور على تقويض اركانها ر . ي

المتحف الاميركي للآثار المصرية

قرأنا في مجلة السينتفك اميركان نبذةً عن الآثار المصرية التي وجدتها بعثة جامعة كليفورنيا فاخذنا عنها ما يأتي تلخيصاً

انتهى الى جامعة كليفورنيا التقرير النهائي الذي بعث بهِ اليها الدكتور ريزنر Dr. J. C. Reisner بعد ان قضى نحواً من ست سنوات عاملاً مجداً في الحفر والتنقيب وجمع ما يتسنى لهُ العثور عليهِ من الآثار المصرية ليزدان بها متحف عزمت الجامعة المشار اليها على اقامتهِ لافادة الطلاَّب

وقد اصحب تقريرهُ بمئات من الصناديق الناقلة الآثار الثمينة فكشف عنها الغطاء ورتبت ليسهل اجتناء فوائدها على رغابها

ومما بعث بهِ اشياء كثيرة يستدل منها على تدرُّج الصناعة في الارتقاء من العصر الظروي فمدى ازمنة اتقانها في عصر سلالة خوفو حتى زمن انحطاطها عندما اصبح وادي النيل عمالةً رومانية والباحث المدقق يرى اثر الرقيِّ ظاهراً على الخزف والحفر والتماثيل والكتابات التي وجدت في المدافن ومواقع المدن القديمة مما ينتهي زمانهُ الى القرن السبعين قبل المسيح

غير ان اهم مكتشفات الدكتور ريزنر ما وجدهُ في المدافن السابقة زمن التاريخ وهي المعروفة بمدافن نجع الدير وهي البقعة المظنون بها اول موضعٍ طرقتهُ الجالية التي عمَّرت القطر المصري وموقعها على بعد نحو ثلثمئة ميل الى الجنوب الشرقي من القاهرة على تخوم الصحراء الشرقية . وهي موضع لم ينل حتى الآن عناية احدٍ من الباحثين فيهِ. على ان هذه البقعة وما

حولها لم تكن عندما نزلت فيها الجالية الاولى قفرًا يبابًا كما هو حالها اليوم بل كانت ذات خصب ونماء تهطل عليها الامطار وتجعلها صالحة لاعالة كثيرين من الناس . لان القطر المصري لم يكن منذ تسعين قرنًا يحتاج كل هذه الحاجة الى الارتواء من النيل اعتبر ذلك بما تراكم من الرواسب على ضفتي النهر فانها بلغت في مدى تلك العصور علوًا يختلف من ٢٥ قدمًا الى ٣٠ قدمًا فاذا اعتبرت مبلغ ما رسب في كل قرن يناهز اربع عقد انتهى بنا الحساب الى زمن يقارب القرون السبعين قدمًا . ومما ذهب اليهِ كثيرون من جلة الباحثين ان الذين عمّروا مصر في الزمن القديم كانوا من الاسيويين فجاءت هذه الاكتشافات تؤيد هذا المذهب لان المدافن التي نُبشت اظهرت رممًا من اقدم العصور وهي لحسن الحظ لم تزل سليمة كاملة الاعضاء استطاع العلماء البحث فيها بحسب اصول التشريح فحققوا منها مزايا اصحابها وحكموا انهم اسيويون لا نوبيون واغرب من هذا ان محتويات المعى كانت محفوظة حفظًا غريبًا حتى اقتدر الباحثون على معرفة طعام ذويها والعلاج الذي استعملوهُ قبل موتهم وحتى استطاعوا ان يشخصوا العلل التي ماتوا بها والحقيقة الكبرى التي افادها هذا البحث هي ان القوم الذين سكنوا تلك البقعة قبل التاريخ يشابهون سكانها اليوم بخصائصهم الشعبية بحيث لم يقع تغيير قط في شيء من تلك الخصائص مع كرور تسعين قرنًا عليهم

واعظم من ذلك فان تلك المدافن تدل على احوال السكان من حيث العادات والخلال وتقدم المجتمع وانواع الدفن والمطاعم وعقص الشعور وانواع الخزف . وكأن الميل الى الصناعة كان من سليقة ذلك الشعب تدل على هذا الرسوم الخشنة التي ازدانت بها صناعة خزفهم في بادىء الامر حتى ان سلاحهم كان من الظرّ يسوّى احيانًا على شكل رؤوس الثعابين او غيرها من الحيوان ولم يوجد في تلك المدافن شيء من المعدن دلالةً على ان القوم لم يكونوا قد ارتقوا من العصر الظرري

اما النحاس فاول المعادن التي عرفها المصريون الَّا ان زمن استعمالهِ ربما يقع بعد الف سنة من العصر الاول الذي كشف عنهُ ولعلَّ دخولهُ الى مصر كان عن يد شعب افريقي غلب على البلاد فدانت لهُ على ما يظن

وتدل مدافنهم على انهم كانوا يبذلون جهدهم في حفظ الرمة سليمة وذلك ما عرف عن المصريين في الزمن التاريخي وقد اتسعوا في تأييد هذا المبدإ كثيرًا . فالرمم القديمة التي وجدت في المدافن المحكي عنها كانت تحفظ مملحة وتحمل الى الدفن فتلف بحصير تحاك من نبات الحلفاء وكانوا يلحدون مع الرمة شيئًا من الظرّ او الخزف او كليهما معًا

واغرب ما يستفاد من هذا ان بعض العادات القديمة تعمّر طويلاً فتمرّ العصور وهي تنتقل من جيل الى آخر اعتبر ذلك بالحصر المحوكة من نبات الحلفاء فانها طاولت الايام اذ نشأت مع القوم القطريين وظلّت في اعقابهم الى اليوم . واما القبور فكانوا يحتفرونها على شكلين اهليلجي وقائم الزوايا

وكل الرمم التي وُجدت الفاها الناقبون على وضع واحد ذلك ان تلقى الرمة الى جانبها فوق سافٍ او اكثر من الحصر ومن فوق الرمة حصر اخرى مثلها ووجد في بعض المدافن بقايا توابيت من الخشب وهي كبيرة الحجم تكفي الرمة وما يصحبها من النذور كالخزف والظران مما يظهر ان وجودها كان ضرورياً في كل لحدٍ واما اضرحة النساء فقد وجد فيها كثير من الامشاط والخرز والدمالج وكلها من الصناعة القديمة

والظاهر ان موقع نجا الدير كان مخصصاً للمدافن لان القبور فيهِ كثيرة ومن كل ازمنة مصر حتى ان الاقباط يدفنون فيهِ منذ ابتداء تدينهم بالنصرانية الى اليوم . ومدافن الاقباط هذه ممتلئة بالآثار الكبيرة الفائدة للناقبين ومنها تجنى اهم الحقائق في معرفة شؤُون ذلك الشعب . وقد عثر الباحثون على كثير من النقود المضروبة في دولة يوستنيانوس قيصر وكذلك وجدوا مقداراً من الخرز والعقود والاساور والاقراط والخواتم والاكاليل والتعاليق وعلى بعض ما وجدوا رسم الصليب وغيره من شعائر المسيحية وكلها مصنوعة من النحاس وبعضها مموَّه بالذهب ووجدت ايضاً بعض التعاويذ مما كان يصنعهُ قدماء المصريين ولكنَّ عليها رسم شيء من الشعائر المسيحية

والظاهر ان الاقباط كانوا يحنطون رمم موتاهم ايضاً وقد ادَّى البحث في تلك الاجسام المحنطة اذ ازيلت عنها لفائفها الى استنتاج نتائج مهمة منها ان بعض الرمم دفن دفناً جليلاً ومعهُ اطايب من مقتنياتهِ وبعضها ازدان بالنقوش الفاخرة فترى كثيراً من المصنوعات البديعة المزدانة بالورود والزهور والرسوم الهندسية الدالة على حذاقة الصنَّاع

هذه خلاصة ما قرأناهُ في مجلة السينتفك اميركان ولعلها تدلنا على ان الاميركيين اصبحوا يشاركون الاوربيين بل يزاحمونهم بالمناكب لاستطلاع شؤُون بلادنا القديمة ونحن نأخذ عنهم نتفاً من اخبار ما عرفوه عنا ولكننا لا نجد من انفسنا دافعاً لتجشم مثل ما يحملون من العناء وما يبذلون من النفقات الطائلة مشاركةً لهم في اظهار ما نجهل من احوال عمراننا القديم

ل . ي

مدارس القطر المصري

لم نكد نطبع ما كتبناهُ عن مدارس اليابان في هذا الجزء من المقتطف حتى جاءنا من ادارة عموم الاحصاء في القطر المصري كتاب كبير مفعم بالجداول الدالة على عدد المدارس والمدرسين والتلامذة في القطر المصري من الكتاتيب الصغيرة الى المدارس العالية. ولم تترك ادارة الاحصاء امرًا يفيد الوقوف عليهِ الأَّ استقصتهُ وذكرتهُ في هذا الكتاب وقد اعترفت ان عملها هذا غير بالغ حد الكمال الذي تتوخاهُ وانها ستعيد البحث والتنقيب في العام المقبل حتى يصير احصاؤُها للمدارس اوفى واتم مما هو الآن

ويظهر من هذا الاحصاء ان عدد المدارس في القطر المصري ٥٠٥ فقط وعدد الكتاتيب ٤٥٥٤ عدا اصلاحية الاحداث ومدرسة البوليس والادارة وهي على ما في الجدول التالي من حيث انواعها وعدد معلميها وتلامذتها

	عددها	عدد معلميها	تلامذتها	تلميذاتها	الجملة
الكتاتيب	٤٥٥٤	٦٨٥٠	١٥٢٧٤٨	١٢٨٣٩	١٦٥٥٨٧
المدارس المصرية	٠٢٠٠	٢٣٥٥	٠٤٧٥٣٤	٠٣٨٩٧	٠٥١٤٣١
المدارس الفرنساويَّة	٠٠٨٥	٠٩٥٧	٠٠٨٦٤٥	٠٦١٤٠	٠١٤٧٨٥
المدارس الاميركانية	٠١٢٠	٠٣٣٨	٠٠٧٠٤٤	٠٣٠٥٢	٠١٠٠٩٦
المدارس الايطالية	٠٠٣٥	٠٢٦٤	٠٠٢٣١٤	٠٣٣٣٨	٠٠٥٦٥٢
المدارس اليونانية	٠٠٣٩	٠١٥٧	٠٠٣١٠٨	٠٢٣٦٣	٠٠٥٤٧١
المدارس الانكليزيَّة	٠٠٢٠	٠١٢٥	٠٠١٤١٥	٠٠٦١٩	٠٠٢٠٣٤
المدارس النمسويَّة	٠٠٠٩	٠٠٦٩	٠٠٠٧٨١	٠٠٥٥٠	٠٠١٣٣١
المدارس الالمانية	٠٠٠٤	٠٠٤٣	٠٠٠٢٣٣	٠٠٤٤٦	٠٠٠؛٧٩
المدارس الروسيَّة	٠٠٠١	٠٠٢٥	٠٠٠٤٥٠	٠٠٠٠٠	٠٠٠٤٥٠
المدارس الهولنديَّة	٠٠٠٢	٠٠٠٩	٠٠٠١٤٢	٠٠٠٣٦	٠٠٠١٧٨
اصلاحية الاحداث	٠٠٠١	٠٠٠٨	٠٠٠٣٨٣	٠٠٠٠٠	٠٠٠٣٨٣
مدرسة البوليس والادارة	٠٠٠١	٠٠١٦	٠٠٠٣٧٠	٠٠٠٠٠	٠٠٠٣٧٠
والجملة	٥٠٦١	١١٢١٥	٢٣٥١٦٦	٣٣٢٨٠	٢٥٨٤٤٦

وفي هذا الجدول امور كثيرة حريَّة بالنظر والاعتبار فاولاً ان عدد الكتاتيب على كثرتهِ قليل جدًّا بالنسبة الى ما يحتاج اليهِ القطر منها لان الصغار الذين سنهم بين السادسة والعاشرة وهم الذين يتعلمون في الكتاتيب عادة لا يقل عددهم عن مليونين وهؤلاء يحتاجون الى خمسين الف كتَّاب على الاقل حتى يكون في كل كتَّاب منها اربعون ولدًا فعدد الكتاتيب المذكور في الجدول اقل من عشر عدد الكتاتيب المطلوبة

وقد قسمت ادارة الاحصاء هذه الكتاتيب الى ثلاثة اقسام الاول الكتاتيب الاميريَّة والثاني الكتاتيب التي لها اعانة من الحكومة والثالث الكتاتيب التي ليس لها اعانة والقسمان الاخيران تحت مراقبة نظارة المعارف وهذا يشير الى ان في القطر كتاتيب اخرى ليست للحكومة ولا عليها مراقبة من نظارة المعارف فكم عدد هذه الكتاتيب ياترى وكم عدد معلميها ومعلماتها وتلامذتها وتلميذاتها. عسى ادارة الاحصاء ان تجيب عن ذلك في احصائها التالي

وقد ذكر في هذا الاحصاء تزايد عدد الكتاتيب سنة بعد سنة فقد كان عدد الكتاتيب الاميريَّة ٥٠ فقط سنة ١٨٩٠ فصار ١٢٢٠ في العام الماضي وكان عدد تلامذتها ١٩٦١ سنة ١٨٩٠ وكانوا كلهم ذكورًا فصار عددهم في العام الماضي ٩٠٤٥ الذكور منهم ٦٩١٠ والاناث ٢١٣٥ وهي زيادة كبيرة جدًّا في سبع عشرة سنة ولا سيما في تعليم البنات. وقد شرع البنات يدخلن هذه الكتاتيب سنة ١٨٩٥ وكان عددهنَّ حينئذٍ ١٣٩ فزاد ١٦ ضعفًا في اثنتي عشرة سنة. اما الكتاتيب التي لها اعانة من الحكومة فازديادها المستمر ليس من نموها فقط بل من ان الكتاتيب التي كانت خارجة عن مراقبة نظارة المعارف دخل بعضها تحت مراقبتها

هذا من قبيل الكتاتيب اما المدارس الاخرى التي فوق الكتاتيب وهي التحضيرية والابتدائية والثانوية الخ فالعبرة فيها اكبر لان عددها كلها ٥٠٥ والمصريَّة منها ٢٠٠ فقط وما بقي فللامم الاوربيَّة النازلة في هذا القطر اي ان الاوربيين والاميركيين وعددهم لا يبلغ واحدًا في المئة من سكان القطر لهم ثلاثة اخماس المدارس وللحكومة المصريَّة وشعبها خمسان فقط. ولا يعترض على هذا الاستنتاج ان الازهر وقد حسب مدرسة واحدة في هذا الاحصاء فيهِ وحدهُ من الطلبة اكثر من تسعة آلاف طالب وان الجامع الاحمدي في طنطا وهو مدرسة واحدة فيهِ اكثر من خمسة آلاف طالب . لاننا لو حسبنا الازهر والجامع الاحمدي مئة مدرسة لبقيت مدارس الاجانب اكثر من مدارس الوطنيين عددًا وتكاد تماثلها في عدد التلامذة لان في المدارس المصريَّة ٥١ الف طالب وفي المدارس الاجنبيَّة ٤١ الفًا

فللاجانب فضل على هذا القطر لا يستطيع احد انكاره من حيث التعليم والتهذيب · و يظهر من هذا الجدول ايضاً ان المدارس الفرنسوية اكثر تلاميذ من غيرها وتتلوها المدارس الاميركانية ثم اليونانية ثم الايطالية ثم الانكليزية وهلمَّ جرًّا

وهذه المدارس كلها متدرجة من التحضيري الذي يعلم مبادىء العلوم الرياضيَّة والطبيعية الى العالي كمدرسة الطب ومدرسة الحقوق · وترى في الجدول الثاني عدد ما في كل منها من التلامذة وعدد الذكور منهم وعدد الاناث

درجة التعليم	التلامذة	التليذات	المجموع
التحضيري	١٠٢٥٠	٦٢٢٨	١٦٤٧٨
التحضيري الابتدائي	٦٥٧	٣٧٥	١٠٣٢
الابتدائي	٣٨٠٥٠	١٢٨٦٧	٥٠٩١٧
الابتدائي الثانوي	١٤٤	٠٠	١٤٤
الثانوي	٣٤٨٥	٧٢٩	٤٢١٤
التجاري	٦٧	٠٠	٦٧
العالي	١٦٥٩٠	٠٠	١٦٥٩٠
علم التعليم	٧٠٧	٥٥	٧٦٢
الخصوصي	٦٦	٢٧	٩٣
الصناعي الابتدائي	٢٤٣	١١٣	٣٥٦
الصناعي	١٤٠٧	٤٧	١٤٥٤
والجملة	٧١٦٦٦	٢٠٤٤١	٩٢١٠٧

و يظهر من هذا الجدول ان عدد الاناث لا يزال قليلاً بالنسبة الى عدد الذكور حتى في علم التعليم فان عدد الذكور فيهِ ٧٠٧ وعدد الاناث ٥٥ فقط فاذا فرضنا ان هؤلاء الفتيات الخمس والخمسين اخترن كلهن التعليم صناعةً لم يفين بجزء صغير من حاجة البلاد المتزايدة الى مدارس لتعليم البنات والى اناطة تعليم الاطفال بالنساء لا بالرجال

اما التعليم العالي الذي حسب عدد تلامذتهِ ١٦٥٩٠ فيشمل طلبة الازهر وطلبة الجامع الاحمدي بطنطا ومشيخة العلماء في الاسكندرية وفي هذه المدارس الثلاث نحو ١٥٩٩٦ اي نحو ستة عشر الف طالب · ولا ندري باي حق جعلوا كلهم من طلبة العلوم العالية مثل الذين يبدم الشهادة الثانوية · ولعلنا اذا دققنا النظر لا نجد ان طلبة العلوم العالية يزيدون

على الف طالب وعليهِ فطلبة العلوم الابتدائية نحو اربعين الفاً وطلبة العلوم الثانويَّة نحو ٣٥٠٠ وطلبة العلوم الصناعية نحو ١٥٠٠ وطلبة العلوم العالية نحو ١٠٠٠ وطلبة علم التعليم ٧٦٠

واذا التفتنا الى اجناس تلامذة المدارس كلهم وجدناهم ينقسمون على ما في الجدول الثالث

مصريون	٧٠٤٥٥
يونانيون	٠٧٧٠٠
ايطاليون	٠٥٩٠١
فرنسويون	٠١٤٩٢
نمسويون	٠٠٨٦٤
المانيون	٠٠٥٠٦
اجناس اخرى	٠٣٥١٧

فللاوربيين الجانب الاكبر من مدارس القطر واولادهم اكثر من خمس اولاد المدارس كلهم مع ان عددهم لا يبلغ جزءًا في المئة من عدد السكان. ولو علَّم المصريون اولادهم كما يعلم الاوربيون اولادهم لوجب ان يكون عدد التلامذة المصريين في المدارس والكتاتيب مليونين ونصف مليون اي عشرة اضعاف ما هم عليهِ الآن

واذا التفتنا الى تلامذة المدارس من حيث الدين وجدناهم ينقسمون كما في الجدول الرابع

مسلمون	٤٤٠٧٢
اقباط ارثوذكس وكاثوليك وبروتستانت	٢١٦٧٥
روم ارثوذكس	٠٩٠١٣
« كاثوليك	١٠٠٣٥
بروتستانت	٠١٠٤٥
اسرائيليون	٠٥٩٨١
طوائف اخرى	٠٠٢٨٦

وكنا نود ان لا ينظر الى الشعب المصري من حيث اختلاف اديانهِ على الاطلاق لان قسمة الناس بحسب اديانهم هي التي اضعفت شعوب اسيا وافريقية واضعفت قبلهم شعوب اوربا الى ان تغلبوا عليها . فلا يعلم احد الآن هل اعضاء الوزارة الانكليزيَّة بروتستانت كلهم او بعضهم بروتستانت وبعضهم كاثوليك ولا هل اعضاء الوزارة الفرنسوية كاثوليك كلهم او بعضهم بروتستانت ولا ما هي نسبة اهل المذهب الواحد الى اهل المذهب الآخر

ولا نرى هذا التمييز الاَّ في الممالك المنحطة عن غيرها · ولقد حاولنا ان نعرف عدد الكاثوليك في انكلترا وسكتلندا فوجدنا ان عددهم غير معروف الاَّ بالتقريب فيقال انهم في انكلترا وويلس نحو مليون ونصف في اسكتلندا نحو اربع مئة الف اما المدارس فلا تذكر فيها اديان الطلبة مطلقاً

وليس في هذا التقويم جدول رُتبت فيهِ المدارس حسب سني انشائها ولكن فيهِ جدولاً ذُكرت فيهِ سنو تأسيس المدارس ويظهر منهُ ان في مدارس القطر مدرستين قديمتين جدًّا وهما الجامع الازهر وتاريخ انشائهِ اولاً سنة ٩٧٢ للميلاد ومدرسة الجامع الاحمدي في طنطا وتاريخ انشائها سنة ١٣٠١ واكثر مدارس القطر المصري عدداً انشئ في عهد الاحتلال فمن ١٣٦ مدرسة في القاهرة ٤١ انشئت قبل الاحتلال و ٩٥ انشئت في عهد الاحتلال اي ان المدارس التي انشئت في الخمس والعشرين سنة الاخيرة اكثر من ضعفي المدارس الباقية في القاهرة من حين تخطيطها الى الآن . واذا استثنينا الازهر والجامع الاحمدي ومدرسة الطب فالمدارس التي وجدها المحتلون حينما دخلوا القطر المصري اكثرها للرسالات الدينية الاوربية والاميركيَّة وكلها لا تمتد في تاريخها الاَّ الى اواسط القرن الماضي فلولا هؤلاء الافاضل ولولا الجامع الازهر والجامع الاحمدي ما كان للتعليم شأن يذكر في القطر المصري وكأن العلم الذي اشتهرت بهِ مصر ومدارسها في عهد الفراعنة والبطالسة والقياصرة طلَّقها بتاتاً في القرون الاخيرة ولم يبقَ بها الاَّ علوم اللغة والدين محصورة في الجامع الازهر والجامع الاحمدي وعفت آثار مدرسة الاسكندرية ومكتبتها وآثار علومها وفلسفتها حتى لم يبقَ في هذا القطر احد يفهم هندسة اقليدس وفلسفة بلوتينوس ومجسطي بطليموس ولا من يعرف جبر ابن الهيثم وفلسفة ابن سينا وضاقت دائرة العلم حتى لم تعد تسع الاَّ اللغة وفنونها والفقه وفروعهُ وامست البلاد امية لا يزيد عدد القراء فيها عن سبعة في المئة · ولا شبهة انها لم تخلُ من كتاتيب او مدارس صغيرة ملاصقة للجوامع ولكن هذه الكتاتيب كانت ولا تزال مقتصرة على تعليم القراءة والكتابة مع شيء قليل من قواعد اللغة فلم يكن فيها شيء من العلوم التي تعلَّم الآن في المدارس الابتدائية كالتاريخ والجغرافيا والحساب ومبادىء الطبيعة · وقد يكفي الامم القليل من العلم اذا كانت خالية بارض وليس لها فيها مزاحم او مناظر اما وقد احكمت عرى الاتصال بين الامم في عصر البخار فلا تسلم امة تعجز عن مناظرة غيرها

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

مدارس البنات في القطر المصري

لم تحلَّ مسألة تعليم البنات حتى الآن حلاً يرضي بهِ الجميع ولا يزال مجال البحث فيها واسعاً فترى البعض يوجبون تعليم البنات كل العلوم التي يتعلمها البنون وترى البعض يمنعون ذلك وينادون بضرروهِ وترى غيرهم يتخذون طريقاً اوسط فيوجبون تعليم البنات مبادئ القراءة والكتابة والعلوم الابتدائية ويمنعون تعليمهنَّ العلوم العالية . والغالب ان الذين يكثرون الكلام والكتابة في هذا الموضوع لا يعلمون شيئاً من جهتهِ العمليَّة . وقد يكون ذلك نافعاً لنا في هذا القطر فنختار في تعليم البنات اصلح الطرق التي وصل اليها اهل البحث ولم تقيَّد بقيود التقليد

وقد ابنا في فصل سابق في هذا الجزء ان عدد المدارس في القطر المصري حسب احصاء ادارة عموم الاحصاء بلغ ٥٠٥ لا غير وهي مقسومة هكذا ٢٨١ للذكور و ٩١ للاناث و١٣٣ مختلطة فيها ذكور واناث وعدد الذكور في المدارس كلها ٧١٦٦٦ وعدد الاناث ٢٠٤٤١ فقط وهذا يشمل المدارس التحضيرية والابتدائية والثانويَّة والعالية ومدارس التعليم ومدارس الصناعة اي يشمل كل المدارس ما عدا الكتاتيب اما الكتاتيب ففيها ١٥٢٧٤٨ من الذكور و ١٢٨٣٩ من الاناث

فالاناث اقل من عشر الذكور في الكتاتيب مع انهنَّ نحو ثلث الذكور في المدارس وما ذلك الا لان تلامذة المدارس اكثرهم من المسيحيين والاجانب واما تلامذة الكتاتيب فاكثرهم ان لم نقل كلهم من الوطنيين. فالاناث في المدارس المصرية ٣٨٩٧ وفي المدارس الاجنبيَّة ١٦٥٤٤ اي ان عددهنَّ في المدارس الاجنبيَّة اكثر من اربعة اضعاف عددهنَّ في المدارس المصريَّة والمدارس المصرية تشمل المدارس القبطية ايضاً وليس فيها من المسلمات سوى ٢١٩٢ بنتاً وعدد البنات في كل المدارس حسب اديانهنَّ هكذا

المسلمات	٣٦٨١
القبطيات	٥٦٨١
الارثوذكسيات	٣٦٢٧
الكاثوليكيات	٤٣٨٤
البروتستانتيات	٠٣٢١
الاسرائيليات	٢٥٤٦
من مذاهب اخرى	٠٢٠١
والجملة	٢٠٤٤١

وهذه الارقام كافية للدلالة على قلة الاهتمام بتعليم البنات ولاسيما بنات الملة الكبرى من ملل هذا القطر

واول خاطر يخطر على البال هو ان الحكومة مقصرة في ذلك . ولكن يظهر لدى امعان النظر ان اكثر المدارس التي في القطر ليس للحكومة بل للاهالي والرسالات الدينية فالاسرائيليون مثلاً وهم اقل طوائف القطر عدداً لا يوجد من بناتهم في مدارس الحكومة سوى ٨٨ بنتاً والباقيات وهنَّ ٢٤٥٨ بنتاً موزعات في المدارس الانكليزيَّة والاميركيَّة والنمسويَّة والفرنسويَّة والالمانيَّة والايطاليَّة ويظهر لنا ان كل البنات الاسرائيليات يتعلمن كما يتعلم اخواتهنَّ نعم انهنَّ قد لا يتعلمنَّ الصرف والنحو والبيان ولا العلوم العالية ولكنهنَّ يتعلمن القراءة والكتابة باكثر من لغة فيصرنَ قادرات على مطالعة الكتب والجرائد واكتساب ما فيها من المعارف فلا عجب اذا نجح الاسرائيليون اكثر مما ينجح غيرهم من ابناء الوطن الواحد

وقس على ذلك بنات الارثوذكس والكاثوليك والبرتستانت من غير الاقباط . والاقباط اكثر من الاسرائيليين كثيراً وعدد بناتهنَّ في المدارس قليل بالنسبة الى عددهم اذا قابلناهُ بعدد الاسرائيليين او الارثوذكس والكاثوليك ولكنهُ كثير جداً بالنسبة الى عدد بنات المسلمين

نأتي الآن الى مسألة اخرى وهي الزمن الذي انشئت فيهِ مدارس الاناث لانها ان كانت حديثة وهي آخذة في النمو المتزايد ففي ذلك بارقة امل ولذلك وضعنا في الجدول التالي اسماء المدارس المصرية التي يتعلم فيها البنات وتاريخ انشائها وعدد من فيها من البنات المسلمات

في القاهرة

اسم المدرسة	تاريخ انشائها	عدد تلميذاتها المسلمات	غير المسلمات
مدرسة عباس	١٨٩٥	١٠٨	١٢
المدرسة السنية	١٨٧٣	٢١٦	٠١
« « للمعلمات	١٩٠٠	٠١٣	٠٢
مدرسة معلمات الكتاتيب ببولاق	١٩٠٣	٠٤٠	٠٠
« الممرضات والقوابل	١٩٠٦	٠٢٣	٠٤
المدرسة التحضيرية الكبرى للبنات	١٨٩٨	٢٦٢	٠١
مدرسة نجم الترقي	١٩٠٠	١٠٤	٠٠
« شمس المعارف	١٨٩٨	٠٦٦	٠٠
« الاجتهاد الوطنية	١٨٩٦	٠٣٥	٠١
« الاتحاد الوطنية	١٩٠٢	٠٥٧	٠٠
« الكمال	١٨٩٩	٠٥٩	٠١
المدرسة العثمانية	١٨٩٠	٠٣٤	٠٠
مدرسة حسن الاقبال	١٩٠٦	٠٢٢	٠٠
« الوطن	١٩٠١	٠٦٧	٠٠
« التهذيب	١٨٩٦	٠٤٦	٠٠

في الاسكندرية

اسم المدرسة	تاريخ انشائها	عدد تلميذاتها المسلمات	غير المسلمات
مدرسة سليمان مبروك	١٩٠٢	٠٤٠	٠٠
« جمعية حمالي الكمارك	١٩٠١	١١٣	٠٠
« اسمعيل الاول	١٨٩٩	٠٨٠	٠١
« عباس الاول	١٩٠٠	٠٨٤	٠٠
« عمر باشا طوسون	١٩٠٣	٠٢٦	٠٢
« توفيق الاول	١٩٠٢	٠٣٣	٠٠
« حمزة	١٨٨٢	٠٣٨	٠٠

في الاقاليم

اسم المدرسة	تاريخ انشائها	عدد تلميذاتها المسلمات	غير المسلمات
مدرسة الفيض العباسي بسمنود	١٨٩٩	٠٢٢	٠٠

مدرسة الجورجي بكفر الزيات	١٩٠٣	٠١٩	١٢
« المساعي المشكورة بشبين الكوم	١٨٩٧	٠٥٠	٠٥
« اسمعيل بك دبوس تكلا العنب	١٩٠١	٠١٠	٠٠
« ولي العهد الخديوية باسيوط	١٨٨٨	٠٧٤	٠٨

هذه كل المدارس الاسلامية التي يتعلم فيها البنات سواء كانت للحكومة المصرية او للاهلين . واكثرها حديث كما ترى وفيه بارقة امل على ان يزيد عددها رويداً رويداً

وفي هذه المدارس كلها من البنات المسلمات ١٧٣١ تلميذة فقط وقد تقدم ان عدد البنات المسلمات في المدارس كلها ٣٦٨١ فاكثر من نصفهنَّ يتعلم في مدارس المسيحيين مع ان المدارس الاسلامية لا تعلم سوى خمسين بنتاً من بنات المسيحيين والاسرائيليين . فلا مشاحة ان التعليم في هذا القطر ولا سيما تعليم البنات لا يزال زمامهُ في يد المسيحيين

واذا التفتنا الى الكتاتيب رأينا الحال اصلح قليلاً فلم يكن في الكتاتيب الاميريَّة ابنة واحدة سنة ١٨٩٤ فصار عدد البنات فيها في العام الماضي ٢١٣٥ . وكان عدد البنات في الكتاتيب التي لها اعانة من الحكومة ٣١٩ فقط سنة ١٨٩٨ فصار عددهنَّ فيها في العام الماضي ١٠١٣ وكان عددهنَّ في الكتاتيب التي ليس لها اعانة ٢٧٩ سنة ١٨٩٨ فصار عددهنَّ في العام الماضي ٦٠١ اي ان عدد البنات كان في كل هذه الكتاتيب ١٣٩ سنة ١٨٩٥ فصار عددهنَّ فيها ١٢٨٣٩ في العام الماضي . وهذه الزيادة حاصلة من نمو الكتاتيب وازدياد عددها ومن دخول كتاتيب قديمة تحت سيطرة الحكومة . ولا يعلم كم عدد الكتاتيب التي لا تزال خارجة عن سيطرة الحكومة ولا عدد البنات فيها ولكنهُ غير كثير على ما يظهر من قلة عدد العارفات بالقراءة والكتابة في القطر كلهِ . وهنا اعظم مجال للذين يريدون خير وطنهم فان ما يستطيعهُ الاقباط والكاثوليك والارثوذكس والاسرائيليون يجب ان يستطيعهُ المسلمون . ولم نذكر هذا التقسيم الديني الاَّ اضطراراً لاننا نفضل ان ننظر الى الناس كابناء نوع واحد والى سكان القطر المصري كشعب واحد . والعقدة الكبرى على ما يظهر هي في قلَّة عدد المعلمات الوطنيات ولا نرى حلاً لهذه العقدة الاَّ بترغيب القادرات على التعليم في التعليم ولو باعطائهنَّ مضاعف الاجرة التي يعطاها المعلمون . وهو حلٌّ جزئيٌّ كما لا يخفى لاننا لو اردنا ان نعلم كل بنات القطر للزم لهم ثلاثون الف معلمة . واذا اكتفينا بمن يتخرَّج منهنَّ من مدارس القطر لن يبلغ عددهنَّ القدر المطلوب ابد الدهر لكن ما لا يدرك كلهُ لا يترك كلهُ فعلى المرء ان يسعى جهدهُ ولا تكليف فوق المقدرة

ادوية البيت

الصبر

يعطى الصبر حبوبًا على الغالب وذلك في ضعف الكبد ووصفتهُ هكذا : خلاصة الصبر قمحتان خلاصة الجوز المقيء نصف قمحة خلاصة الجنطيانا قمحة ونصف تصنع حبوبًا وتؤخذ حبة منها قبل الاكل

العسل

يمزج العسل بقليل من البورق المسحوق ويمسح بهِ فم الطفل اذا كان متقرحًا

الكافور

روح الكافور يفيد في قطع الاسهال تؤخذ منهُ نقطتان كل عشر دقائق على قطعة من السكر مع قليل من الماء البارد. وزيت الكافور يدلك بهِ الصدر والعنق عند اول حدوث الزكام وتدلك بهِ المفاصل في الم المفاصل ويفيد في التهاب اللوزتين . وحبوب الكافور تفيد في الزكام والم الاحشاء

كلورات البوتاس

يفيد في تقرح الحلق وتصنع منهُ اقراص تمضغ ببطء لتؤثر في الحلق واذا اضيف اليها البورق كان فعلها اسرع

الكلورودين

كبسول الكلورودين يفيد في المغص والاسهال ويفيد الشيوخ الذين يتولاهم الارق لانهُ يدفئهم ويسهل نومهم

الكلوروفورم

يوضع على المكان المصاب بالنفرلجيا فيخفف الألم ويخفف ايضًا وجع الاسنان . ويمزج مع البلادونا اجزاء متساوية فيفيد في النفرلجيا الروماتزمية

اللودنوم

اللودنوم قابض تختلف جرعتهُ حسب السن والعادة ويحسن ان يبدأ بثمان نقط فقط ثم تزاد ولا يجوز ان يعطى الافيون ولا غيرهُ من القوابض للاطفال الاَّ بامر الطبيب . واللودنوم يفيد في تسكين الالم من الداخل ومن الخارج اذا فرك بهِ . ويسكن ألم الاذن اذا وضعت نقط منهُ على قطنة مع الزيت المكوفر او الغليسرين ووضعت القطنة في الاذن ويفيد في تسكين الآلام العصبية مع الكلوروفوم يرش منهُ على قطعة فلانلا وتوضع على مكان الالم ويوضع على الزق لتسكين الالتهاب

ماء الجير

ضع عشرين درهماً من الجير (الكلس) الحي في قنينة ماء كبيرة وهزها جيداً ثم ضعها جانباً حتى يروق الماء ويصفو فرِلهُ الى قنينة اخرى وسدها جيداً وهو يضاف الى اللبن اذا كان يحمض في المعدة فيمنع تحميضهُ

خلاصة الملت

خلاصة الملت تفيد ضعاف البنية ولاسيما الصغار وهي تباع على اشكال مختلفة وكلها مفيدة

مرهم الزنك

المراهم مختلفة منها مرهم الزنك وهو يستعمل للرضوض والحروق بعد ما يغطي الجلد مكان الحرق

المشمع

والمشمع انواع ايضاً كشمع البلادونا لتسكين الالم ومشمع المسامير للمسامير التي تتولد في اصابع الرجل والمشمع البسيط الذي يوضع على الجرح بعد ان تلصق حافتاهُ لتبقيا ملتصقتين الى ان يبرأ

الملح الانكليزي

مسهل قليل الاستعمال الآن ويحسن ان يضاف اليهِ قليل من الزنجبيل لتزول برودتهُ . توضع ملعقة كبيرة منهُ في نصف كوبة ماء حار وتترك الى الصباح ويضاف اليهِ قليل من الزنجبيل وتملأ الكوبة بالماء الفاتر وتشرب

المقيئات

اذا اكل احد مادة سامَّة خطأ واريد ان يتقيأها فاسقهِ كاساً من الماء والملح واذا كان بالغاً ولم يكفهِ الماء والملح فضع ملعقة من الخردل الناعم في كاس من الماء الحار واسقهِ منهُ ثم اسقهِ كثيراً من الماء الفاتر

النسالة

نسالة الكتان تستعمل لتضميد الجروح ويجب ان تكون على تمام النظافة

النعناع

روح النعناع يعطى للاولاد مخففاً بالماء لمنع التشنجات وفي تطبل المعدة بتولد الغازات

الهزلين Hazeline

علاج مفيد جداً في الحروق والرضوض وما اشبه وفي النزف الباطن من الرئتين والمعدة والكليتين والانف تؤخذ منهُ ملعقة صغيرة الى ملعقتين صغيرتين في قليل من الماء كل ساعة حتى ينقطع النزف ثم يؤخذ ثلاث مرات في اليوم . واذا كان النزف من الامعاء فتحقن بثلاث اواقي منهُ ممزوجة بالماء ويستعمل سعوطاً في الرعاف والزكام . ويفرغر بهِ في تقرُّح

الحلق والم الاسنان ويحقن بهِ في البواسير · ويصنع مرهم منهُ ومن اللانولين يفيد في البواسير

البود

تدهن بهِ الاعضاء والمفاصل والغدد اذا ورمت او تألمت · ومرهمهُ افضل من صبغتهِ ولا يسهل استعمالهُ كالصبغة وهو منفط لطيف · والمرهم اصلح من الصبغة لذلك ولكن لا بدَّ من استعمالهِ باحتراس

سيادة النساء

لا يندر ان ترى جماعة من الرجال يختلفون في امرٍ او يرون انفسهم في حاجة الى مَن يشور عليهم في موضوع لم يهتدوا الى وجههِ فيمضون الى والدتهم ويستشيرونها في الامر وقد يكون ابوهم معهم ومع ذلك يستشيرون امهم ويقفون عند رأيها · ولقد شاهدنا ذلك مرارًا ولا بدَّ من ان يكون كثيرون قد شاهدوهُ ورأوا ان المرأة التي تثبت قوتها العقليَّة والادبيَّة لا تبخس حقها من السيادة مهما كان شأن النساء في بلادها

ويقال ان في اميركا وروسيا الآن مدنًا يسودها النساء لا غير فمنذ سنوات قليلة ذهب جماعة من الاميركيين المضاربين الى مكان خالٍ من السكان في ولاية دكوتا الجنوبيَّة حيث تكثر معادن الذهب وذهبت في اثرهم امرأة اسمها مس اما شبرد وهي من المتعلمات المتهذبات وكان غرضها ان تنشئ مدرسة لاولادهم فرأت ان ليس معهم اولاد وكانت ماهرة في صناعة الطبخ فانشأت مطعماً لهم وكانوا في حيرة من امر تدبير طعامهم فاقبلوا على مطعمها ولم يمضِ الَّا القليل حتى صار قيادهم في يدها فأنشأوا مدينة وسلموها ادارتها كما تستلم الزوجة ادارة بيتها فسنَّت الشرائع ووضعت الضرائب ونظمت امور المدينة وصارت الحاكمة المطلقة فيها · وقد تزوجت منذ سنة من الزمان وبقيت السيادة لها في مدينتها برضى سكانها

ومنذ عهد قريب اختار اهالي مدينة في ولاية كنساس باميركا امرأة اسمها مسز توتن حاكمة عليهم وهي في الاربعين من عمرها واختاروا لها كاتمة اسرار فتاة عمرها ثلاث وعشرون سنة وجعلوا ضباط البوليس من النساء

وفي بلاد روسيا ولاية فيها سبع مدن كل حكامها من النساء وكل الموظفين في الحكومة نساء حتى القضاة والاطباء والبوليس

ولا يضعف المرأة الَّا اعتمادها على غيرها وغيرة الرجل عليها فان النساء اللواتي اعتمدن على انفسهن وبارين الرجال في الاعمال جاريتهم فيها كلها حتى الاعمال التي تقتضي عملًا

واسعاً ودقة نظر وحسن فراسة كالطب والتجارة والتعليم · والامة التي تحجر على نسائها وتمنعهن من استعمال قواهن الطبيعية تخسر نصف قوتها

فوائد منزلية

تبيض الثياب

ضع ملعقتين صغيرتين من التربنتينا في الاناء الذي تغلي فيهِ الثياب وقت غسلها فتبيض جيدًا

التربنتينا لازالة العدوى

ضع ملعقة صغيرة من التربنتينا في كل جردل من الماء السخن واغسل بهِ ما في غرفة المريض من الانية فتنظف وتزول منها جراثيم العدوى اذا كانت موجودة فيها

الراحة في المطبخ

الوقوف اتعب شيء على المرأة في المطبخ واكثر ما يشكو منهُ النساء ولاسيما المترفهات ناتج عن وقوفهن المستمر في المطبخ · ويسهل تلافي ذلك بان توضع في المطبخ ثلاثة كراسي مختلفة واحد عالٍ حتى تجلس عليهِ المرأة وتبقى كانها واقفة وواحد واطئ جدًا حتى تجلس عليهِ كأنها متربعة على الارض وواحد عادي حتى تجلس عليهِ كانها جالسة امام مائدة الطعام · فتجلس على هذا الكرسي او ذاك حسب دواعي الحال فاذا ارادت ان تعمل عملاً يقتضي ان تكون واقفة جلست على الكرسي العالي واذا ارادت ان تعمل عملاً يقتضي ان تكون قاعدة وواضعة شيئاً في حضنها جلست على الكرسي الواطئ واذا ارادت ان تعمل عملاً وهي منحنية جلست على الكرسي العادي

الاصبع المهروس

اذا علق اصبعك في صائر باب فانهرس فضعهُ حالاً في ماء سخن جدًا وكلما برد الماء ابدلهُ بماء سخن مدة ربع ساعة

فائدة الغليسرين

اذا اضيفت نقط قليلة من الغليسرين الى الدقيق في عمل الكعك بمعدل ملعقة شاي الى كل رطل من الدقيق صار العجين اسفنجياً خفيفاً · واذا اضيفت ثلاث ملاعق صغيرة من الغليسرين الى كل رطل من الاثمار حينما تعمل المربيات منها حفظتها من الاختمار ومن عود السكر الى حالة التبلور اذا لم يغلَ جيدًا



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناه ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكنّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءٌ منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

التعليم باللغة العربيَّة

حضرة محرّر المقتطف المحترم

حيث يكون العلم ناشراً لواءهُ باسطاً شراعهُ هناك ترى العظمة والسؤدد والجاه والرفعة والعزة والمنعة هناك ترى اساطين العلم والعمل

بين آونة واخرى يخترق آذاننا ضجة وجلبة من عرض البحار ونسمع انهُ قام في انكلترا قوم من اعلام كعباً وابعدهم نظراً يتطيرون و يتشاءمون من فوز الالمان عليهم في مضمار الحياة حتى يخال لمن يسمع اقوالهم ان الجنس السكسوني على شفا الدمار والبوار و يصفون الدواء لذلك بتغيير نظام التعليم فان نابهم عزة او منعة فبهِ وان زالت دولتهم فبسببهِ فهو سلاح الحياة السلمي أما ترى ان بقوتهِ تغلبت انكلترا على خمس المسكونة مع ان عدد سكانها لا يربو على خمسين مليوناً

اذا عرفنا ذلك حَري بنا ان نبحث طرق التعليم في بلادنا ونمحص كل ما يقال فيهِ حتى يتبين الغث من السمين والصحيح من الفاسد . وقد اطلعت على ما كتبهُ حضرة الاديب مظهر الحقيقة في مقتطفكم الاغر فسرني اهتمامهُ بذلك الموضوع الحيوي الآتي ابدي ملحوظاتي على ماقالهُ

قال حفظهُ الله " ان الزارع لا يهمهُ ان كان الكلب من فصيلة الذئب او من فصيلة اخرى وان كان القمح تنوعاً من الزمير او نوعاً قائماً برأسهِ وان كانت الزاوية الخارجة من المثلث تعدل الداخلتين المتقابلتين أو لا تعدلها " وان سلمت معهُ جدلاً بذلك فهل ينكر حضرتهُ النفع الذي يعود على الفلاح من معرفتهِ طبائع الحشرات التي تنتاب زرعهُ وتحصدهُ حصداً من غير أوان وكيفية استئصال تلك الحشرات او معرفتهِ بالطرق الحديثة التي اكتشفت

حتى أنهُ اذا تمشى الزارع على تلك الاساليب كان ناتج زرعهِ اكثر من ضعفهِ لو اهملها

قال رئيس التعليم في انكلترا في احدى خطبهِ ومكانهُ في الفضل مكانهُ " ان العلوم الطبيعية الامتحانية كالفلسفة الطبيعية والكيمياء وما ينبني عليهما لازمة للفلاح "

ولم يقتصر على الفلاح بل تناول السواد الاعظم من الامة وحتم عليهِ معرفة بعض العلوم وبيَّن خسارة الامة من عدم فهم الوقادين والطباخين معنى القوة المذخورة في الفحم وكيفية استعمالها حتى لا يتلف منهُ شيء وقال عن الطبخ " انهُ صناعة كيماوية بل هو فرع من علم الكيمياء "

بيَّن حضرة مظهر الحقيقة ان التعليم بلغة البلاد لا يؤثر في الجمهور واني لتدهشني هذه النتيجة

كيف يعتقد حضرة الاديب ان التعليم بلغة قوم لا يؤثر فيهم ايرتكن حضرتهُ على ما رآهُ واختبرهُ ؟

وانا لا أذهب بالقراء بعيداً فما منهم الاَّ ويعرف ان في البلاد الغربية التي زهت فيها شمس المعارف وسطعت انوار العلوم اناساً من عامة الشعب بلغوا بمفردهم ذروة المجد وتبوأوا اريكتي العلم والسياسة وكانوا علماء يهتدى بهم ونبراساً يستضاء بنورهم فلو لم تكن العلوم تعلم بلغتهم لما امكنهم او لتعذر عليهم ان يبلغوا الدرجة التي بلغوها

واظن اني في غنى عن ذكر بعض من هؤلاء العظام الذين كانت الارض لهم فراشاً والسماء غطاء فهؤلاء لو كانت العلوم تعلم بغير لغتهم لقام في طريقهم صعاب على صعاب

لماذا لا استشهد بما هو بين ظهرانينا

فمن المشاهد والمحسوس ان اناساً قد الجأتهم الفاقة واضطرهم الفقر الى ان لا يتموا دراستهم وانصرفوا عن جني ثمار العلوم الى تكاليف الحياة والانشغال بمتاعبها فهؤلاء لو كانت العلوم تعلم في مصر بلغة البلاد لامكنهم ان يختلسوا شطراً من وقتهم ويتموا ما اثنتهم الضرورة عنهُ وان قال قائل انهُ يمكنهم ان يتموا دراستهم بلغة اجنبية قلت ان هذا فيهِ من الصعوبة ما فيهِ وتبين ذا العزيمة المضاء والهمة الشماء

ويا ليت شعري من ذا الذي يكون عقبة كؤوداً في سبيل تقدم بلادهِ ورقيها بل من ذا الذي تود ان يكون عثرة في سبيل ظهور تلك المواهب التي قضى عليها الفقر بالاعدام فناشدتكم الله ايها القائمون بالامر فينا ان تأخذوا بيد هذه الامة حتى تشكر لكم صنيعكم وتذكركم بجميل الذكرى

ولا يسعني في الختام الاَّ ان اقول كلمة بخصوص الاربعة اوجه التي فضل بها التعليم باللغة الاجنبيَّة

أولاً ان اتقان اللغة الاجنبيَّة لا يمنع من التعلم باللغة العربية فمن اراد ان يكون ضليعاً في احدى اللغات فعليهِ بمراجعة امهات الكتب ومعجماتها ومعرفة مصطلحاتها العلميَّة

ثانياً أما الوجه الثاني فهو نوع من الاول

ثالثاً المجلات كفيلة بنقل المهم الى اللغة العربيَّة وزيادة عن ذلك فلو جادت الاكف وكوفئ المعربون لرأيت الكتب تنقل الى لغتنا قبل ان تنقل الى لغات اخرى حيَّة

رابعاً وهو قول حضرة مظهر الحقيقة بعدم وجود اساتذة أكفاء فاقول انهُ بفرض صحة اقوالهِ فممكن التعليم بالعربيَّة بواسطة معلمين اجانب ومساعدين مصريين خصوصاً وان اللغة العربيَّة الان تدرس في المدارس الكبرى كاكسفورد وكمبردج ولا يعسر ترغيب المتخرجين من هذه المدارس في الاشتغال بمهنة التعليم في مصر ان كان لا بد من وجود مدرسين اجانب

اما تعليم العلوم العالية فاني اوافق الآن على جعلهِ باحدى اللغات الاجنبيَّة حتى يتسنى لنا ان يكون بالعربيَّة وندأب في تحقيق هذه الامنية التي بها نحفظ كيان لغتنا وليس بعسير على تلك اللغة التي وسعت علوم الاولين ان تحيط بعلوم الآخرين اذا وجدت من يأخذ بيدها والاَّ كتب عليها الممات "بمات لعمري لم يقس بممات"

وغرضي من هذه العجالة معرفة الحقيقة فلذا امضي اسمي

طالب حقيقة

[المقتطف] وردت علينا هذه الرسالة في اوائل الصيف الماضي بعد ما نشرنا رسالة "مظهر الحقيقة" وقد تأخر نشرها الى الآن سهواً بسبب غيابنا عن القطر

القاتل البريء

يذكر قرَّاء الصحف اليومية خبر ذلك الغلام الذي فتك بالطبيب في الاسكندرية اذ دعاهُ الى عيادة والدتهِ المريضة فابى اجابة دعوتهِ ما لم يدفع اليهِ سلفاً اجرة عيادتهِ . وحكم القضاة الذين حاكموهُ في ميلان ببراءتهِ . وقد نظمت هذه القصيدة فضمنها ناظمها الشاعر البليغ خبر هذه الحادثة فقال

هو قاتلٌ لا مجرمٌ وعليكمُ ان تحكموا

قالوا الطبيبَ وامهُ مطروحةٌ تتألمُ
تأبى الكلامَ وانما نظراتها تتكلمُ
وكأنَّ فيها روحها فاذا رنت تتجسمُ
تبكي اسًى وتفجعاً واذا رأتهُ تبسمُ
ترجو الحياة وعندها أنَّ الحياةَ توهمُ
نزفُ الدماء أصابها والروحُ لو سالت دمُ
امستْ على قطراته أجزاؤها تتقسمُ
الاَّ القليلَ وانهُ لعلى الذهابِ مصممُ
ورأى ابنها ريبَ المنونِ على الفراشِ يحومُ
فمضى وبين ضلوعهِ نفسٌ تئنُّ وتلطمُ
ما بين كلِّ دقيقةٍ تمضي وأخرى تقدمُ
لا يستقرُّ يخاف ان يقضي القضاءُ المبرمُ
وكأنما ما بين موطىءِ إخمصيهِ جهنمُ
وجيوبهُ قيد الفراغ فليس فيها درهمُ
لقي الاطباء الأُلى اقصاهُ كلٌّ منهمُ
حتى اذا اعياهُ ان يلقى طبيباً يرحمُ
قالوا فلانٌ فهو ان عدَّ الاساةُ مقدَّمُ
فمضى اليهِ وهو محتدمٌ يسبُّ ويشتمُ
ودعاهُ دعوة يائسٍ لو انَّ يأساً يلزمُ
فاجابهُ لبَّيك إن وصلَ المشوقَ المعلمُ
قال الصنيعة انَّ من أسدى يداً لا يندمُ
فأشاح عنهُ معرضاً وكأنهُ لا يفهمُ
فبدت بوادر عارضٍ من يأسهِ لا يكتمُ
واحمرَّ منهُ الوجهُ والعينانِ وانطبق الفمُ
وانقضَّ محتبسَ اللسانِ من القنوط بجمجمُ
بسلاحهِ وكانما ذاك السلاح مترجمُ
فاصابهُ برصاصةٍ فهوى وضرَّجه الدمُ

اما القضاة فانهم قالوا بريءٌ متهمُ
كم من طبيب كالذي اردى بهِ يتعلمُ
حبُّ البنين يقيهمِ شرَّ العقاب و يعصمُ

نقولا رزق الله

[المقتطف] وهذه ايضاً مما ورد علينا وتأخر نشرهُ

اشتقاق العائلة

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين

ذكرت في نبذة لي وردت في باب تدبير المنزل من الجزء السابع ان كلمة عائلة باللغة اللاتينيَّة مشتقة من كلمة معناها الاستعباد . وقد عقبتم على ذلك بقولكم ان المشهور هو ان كلمة عائلة مشتقة من فاما ومعناها بيت اومسكن . اما انا فلي مستند الى جمهرة من العلماء مثل جول سيمون في كتابهِ Le devoir وفرنك في كتابهِ Les morales وما ورد في قاموس الفلسفة وقاموس باشريل الفرنسوي وقاموس وبستر الانكليزي احد القراء

[المقتطف] اننا لم ننفِ صحة قول الكاتب بل قلنا ان المشهور هو ان الكلمة مشتقة اصلاً من كلمة فاما ومعناها بيت فقد جاء في القاموس الانسكلوبيذي الذي طبع حديثاً ان كلمة فاميليا اللاتينيَّة معناها اهل البيت من فاملوس خادم وفاملوس مشتقة من faama بيت وهي في السنسكريت ذامن ومعناهُ بيت او مسكن والاصل فيها ذا ومعناه وَضع . ورجح قاموس القرن الحديث هذا الاشتقاق من السنسكريت



التقرير السنوي
لدار العلم السمثسونية

Annual report of the Smithsonian Institution 1905.

اهدت الينا هذه الدار العلميَّة تقريرها السنوي وفيهِ خلاصة اعمالها سنة ١٩٠٥ ويظهر منها ان مال هذه الدار بلغ نحو مئتي الف جنيه فتنفق ريعها في سبيل العلم وهي ترسل

مطبوعاتها الى كل المكاتب العمومية وتجيز العلماء وتنشر مقالاتهم العلمية ومن المقالات التي نشرت في هذا التقرير ٢٣ مقالة تملأ ٥٦٠ صفحة مثل قياسات بعد الشمس . وتصوير البرق . ومصباح التنتالوم . وتاريخ الفوتوغرافيا . وتولد الماس . والذهب في العلم والصناعة . والغواصات والنتائج الجغرافية من حملة تبت ونحو ذلك من المقالات الكبيرة الفائدة . وهي مزدانة بما يلزم لايضاحها من الرسوم

هواء العباسية

العباسية حي من احياء القاهرة انشئ فيها المرصد الفلكي والمتيورولوجي منذ سنة ١٨٦٨ وبقي فيها الى اخر سنة ١٩٠٣ حين نقل الى حلوان هرباً من تأثير سكة الحديد والتراموا ي الكهربائي . وقد جمع المستر كيلنغ خلاصة الارصاد المتيورولوجية في هذه السنين ونشرتها ادارة عموم المساحة في كراس كبير يظهر منهُ ان اقليم العباسية لم يتغير تغيراً يذكر في هذه السنين فمتوسط ضغط الهواء السنوي كان يزيد سنة وينقص اخرى ولكن الزيادة لم تبلغ مليمتراً واحداً وكذلك النقص لم يبلغ مليمتراً واحداً . وكان متوسط الضغط في هذه السنين كلها ٧٥٨,٦٨ وكان يبلغ اكثره في يناير واقلهُ في يوليو اي كان التأثير الاكبر فيهِ للحرارة

والحرارة كان متوسطها في هذه السنين كلها ٢١,٣٢ سنتغراد ومعظم الزيادة عن هذا المتوسط نحو ثلاث درجات وذلك سنة ١٨٧٧ لكنها سنة وحيدة في حر صيفها ولا تقاربها سنة اخرى لا قبلها ولا بعدها وتتلوها سنة ١٨٨٩ حين زاد متوسط الحرارة السنوي عن المتوسط العمومي درجة واحدة . واعظم ما بلغهُ نقص الحرارة عن المتوسط العمومي نحو درجة ونصف وذلك سنة ١٩٠٣ وعليهِ فاتساع نطاق الري في السنين الاخيرة لم يؤَثر في حرارة الهواء تأثيراً يذكر ولكن يظهر من هذا الجدول امر غريب وهو ان زيادة الحرارة تتمشى في ادوار فترت اولاً خمس سنوات كانت الحرارة في كلٍّ منها فوق المتوسط ولو قليلاً ثم ثلاث سنوات كانت الحرارة فيها دون المتوسط ثم ٥ سنوات كانت الحرارة فيها فوق التوسط ثم اربع سنوات كانت الحرارة فيها تحت المتوسط وبينها سنة زادت الحرارة عن المتوسط زيادة طفيفة . ثم ٦ سنوات كانت الحرارة فيها فوق المتوسط ثم ٨ سنوات كانت الحرارة فيها تحت المتوسط فهل لذلك علاقة برياح الموسم وهواء السودان

والرطوبة كان متوسطها في هذه السنين كلها ٥٨ والمتوسط السنوي زاد عن ذلك حتى بلغ مرةً ١٢ ونقص حتى بلغ مرةً ١٣ والغالب ان الزيادة والنقصان كانا بين ١و٤ والسنون

التي نقصت رطوبتها عن المتوسط ١٢ سنة بلغ مجموع نقصها السنوي ٤٩ والسنون التي زادت رطوبتها عن المتوسط ١٦ بلغ مجموع زيادتها السنويّة ٠٦١ وهنا يظهر تأثير قليل لانتظام الري والرش في شهور الصيف فان الرطوبة زادت في السنوات الاخيرة في يونيو ويوليو واغسطس وسبتمبر عما كانت قبلاً

الهدية السنية

لطلاب اللغة الانكليزية

لا شيء ادلّ على فائدة كتب التعليم من رواجها وقد نفقت الطبعة الاولى والثانية من هذا الكتاب وطبع ثالثةً وحبذا لو اهتمّ حضرة مؤلفهِ الياس افندي انطون الياس بلفظ الكلمات العربيّة لفظاً صحيحاً حيثما كتبها بحروف رومانية فكلمة كذاب حقها ان تكتب Kaththab ويوضع على الحرفين th علامة تدل على انهما يلفظان كما يلفظان في اداة العريف the وكلمة ثقة يجب ان تكتب thiqat مع علامة على th تدل على انهما تلفظا مثل th في thing وقس على ذلك نظيف ٠ وكلمة سهولة يجب ان تلفظ sohoolat بضم السين٠ والقاف في قصير وقصر يجب ان تلفظ قافاً لا همزة وحبذا لو جرى مجرى علماء اللغات الشرقية من الافرنج في وضع علامات للحروف التي يراد ان تدل على الصاد والضاد والطاء وما اشبه من الحروف التي لا مثيل لها في الانكليزية وعسى ان يفعل ذلك في الطبعة التالية

سفينة النجاة

اربعة اجزاء في النحو الاولان منها على طريقة السؤال والجواب وضعها حضرة العالم المتفنن الاخ بلاج مفتش اللغة العربية في مدرسة الفرير بمصر وقسمها الى فصول صغيرة يسهل حفظها والحق كل فصل منها بتمارين كثيرة ليفهم منها الطالب معنى القاعدة وترسخ في ذهنهِ وكأنهُ فرض ان طالب النحو يجب ان يكون كثير الاطلاع فاهماً لمغازي الكلام٠ فمن الامثلة التي اوردها في الصفحة الثانية عشرة من الجزء الاول قولهُ "لا يخفى ان المؤثرات الاولية التي يشعر بها (الاولاد) في صغرهم ترسخ في اذهانهم (رسوخاً) فلما يخفى منها بمرور الزمن الخ ٠

والتلميذ يبلغ هذا الدرس في الاسبوع الاول فلا ينتظر ان يفهم هذه المعاني المجرّدة مثل المؤثرات والاولية والرسوخ والاذهان الاّ اذا كان شاباً متعلماً كثير المطالعة والاّ حسب انهُ يقرأ لغةً اجنبيةً فان كان هذا هو رأي حضرة المؤلف فقد احسن في ما فعل وجارى كثيرين

من الذين يقولون ان النحو يجب ان يعلم في الكبر حينما يصير التلميذ في الثالثة عشرة او الرابعة عشرة من عمره وان كل جهد يبذل في تعليم هذين العلمين قبل ذلك يذهب سدًى. وابواب هذه الاجزاء جامعة لمهم من قواعد الصرف والنحو ومعها من التمارين ما يكفل بايضاحها فنثني على حضرة واضعها الفاضل ثناء طيباً

سفينة البلغاء

هذا كتاب آخر وضعهُ حضرة الاخ بلاج جعل موضوعهُ اصول البلاغة وامهات قواعدها اي علمي المعاني والبيان اللذين يطلق عليهما علم البيان وقد جرى فيهِ مجرى كتَّاب البيان فاكتفى بذكر القواعد وعلَّق عليها شرحاً وجيزًا. وحبذا لو الحقهُ بتمارين كثيرة ترسخ قواعدهُ في اذهان الطلبة

الراوي

مجلة روائيَّة تصدر مرة في الاسبوع في مئة صفحة فيجمع منها في السنة روايات تملأ خمسة آلاف صفحة وقيمة الاشتراك فيها في القطر المصري والسودان خمسة وعشرون فرنكاً في السنة. اقدم على هذا العمل الخطير الشاق حضرة الكاتب المجيد طانيوس افندي عبده وهو القائل

يا عمر ليس التجارة الادبا اخضت في المعمان معتركا
لا ترجُ ان تهتدي السبيل اذا ما ضلَّت السبل بالذي سلكا

ولا ندري كيف ينجو من الخسارة مع هذا الرخص الكثير الاَّ اذا صار القراء يعدون بالالوف ولقد ادرك ذلك فقال

الرسم زهيد لا يذكرُ والصرف كثير لو تدري
ورجائي اني لا اخسرُ بمعونة قرَّائي الكُثُرِ

وعسى ان يتحقق رجاؤُهُ فيكثر عدد قراء الراوي كثرة تنفي الخسارة وتحقق الربح الوافر. فان الانكليز يبيعون بغرشين الرواية التي فيها خمس مئة صفحة كبيرة دقيقة الحرف ويربحون وما ذلك الاَّ لكثرة عدد القراء بلغتهم فاذا فاز الراوي بعشر ما تفوز بهِ روايات هول كاين او كنن دويل فمئة الربح الاكيد لمؤَلفهِ. وقد ابتدأ الجزء الاول بتعريب رواية باردليان وحبذا لو ذكر اسم المؤَلف ورتبتهُ في ديوان الادب وتاريخ نشر الرواية فان ذلك كلهُ مما يود القارئ الاديب ان يطلع عليهِ. وحبذا ايضاً لو علق شرحاً وجيزًا على الاعلام ولا سيما اعلام

الاماكن حتى يألفها القارئ ويرسم لها صورة في ذهنهِ يعلق بها حوادث الرواية فان كل ما يسهل على القراء ادراك المعاني يزيد انتشار الرواية

حفظ الآثار العربية

المجموعة التاسعة عشرة

اصدرت لجنة حفظ الآثار العربية مجموعتها التاسعة عشرة من محاضر جلساتها وتقارير قسمها الهندسي عن سنة ١٩٠٢ . ولا ندري لماذا تأخرت الى الآن مع ان بقية فروع الحكومة لا تتأخر اكثر من بضعة اشهر في اصدار تقاريرها . الاّ ان التأخر في نشر هذه المجموعة لا يقلل من فوائدها ففيها كلام مسهب على قبة السلطان صالح ايوب ومدرستهِ وسبيل خسرو باشا ومسجد جوهر اللالا ووكالة قايتباي ومقعد قصر الامير ماماي وحمام الامير بشتاك من مباني مصر وبرج المسلَّة من مباني الاسكندريَّة وكلها من المباني القديمة وقد نشرت صورها في هذه المجموعة مع الشرح الوافي



عيون التلامذة

ان الخلل المعروف بالحسر او قصر البصر (ميوبيا) كان نادراً جدًّا قبل شيوع المدارس وانتشار الكتب والجرائد اما الآن فقد شاع كثيراً ولا سيما في البلدان الاوربيَّة والاميركية . ويزعم بعض اطباء العيون انهُ علة موروثة لا يمكن دفعها مع انهُ عرض طارئ ويمكن دفعهُ بسهولة اذا اعتني بالمدارس من حيث دخول النور اليها ومنع الصغار من قراءة الكتب والروايات التي هم غير مضطرين الى قراءتها ومنعوا على كل حال من القراءة اذا كان النور ضعيفاً او الحرف دقيقاً

وقد اهتمَّ احد اطباء اميركا بهذا الموضوع وبحث في عيون تلامذة المدارس بحثاً مستفيضاً ولخص ذلك في مقالة نشرتها مجلة العلم العام الاميركية خلاصتها ان كثرة المطالعة ودقة الحروف وضعف النور كل ذلك يتعب العين ويقصر البصر فيصاب التلامذة بالميوبيا وسنوضح ذلك في الجزء التالي

جثة الملكة تي

فحص الدكتور اليوت سمث من اساتذة مدرسة قصر العيني الطبية الجثة التي وجدت في قبر الملكة تي على ما وصفناها في صدر الجزء الثالث من مقتطف هذه السنة فوجد انها ليست جثة امرأة متقدمة في السن بل جثة شاب في نحو الخامسة والعشرين من عمره . وقد كثر الجدال في هذا الموضوع لكن الدكتور اليوت سمث يؤكد ان عظام الجثة تدل على انها عظام رجل لا عظام امرأة والرجل شاب لم تتلف اسنانهُ ولم يظهر الا ثلاثة من اضراس العقل في فكيهِ والدكتور سمث من اكبر الثقات في هذا الموضوع

قدم الكتابة الفينيقية

اكتشف الاستاذ سلن آثار حصن كنعاني قديم في اريحا وجد فيهِ كثيرًا من الادوات الكنعانية القديمة وفي جملتها يد جرَّة عليها حرفان فينيقيان او عبرانيان قديمان وهما حرف اليود وحرف الهاء فدلَّ ذلك على ان الكتابة الفينيقية او العبرانية القديمة كانت معروفة قبل المسيح بنحو الف وخمسمائة سنة

تلغراف مركوني

النجاح التجاري دليل النجاح الحقيقي . كل اختراع واستنباط لا تصير لهُ قيمة تجارية يبقى فكاهة علمية او حقيقة نظرية لا فائدة منها بالذات ولو ادَّت الى فوائد اخرى عملية . لما اعلن مركوني انهُ اكتشف واسطة لنقل الانباء البرقية من مكان الى آخر قام في نفوس الاكثرين انهُ سيكون لهذا الاكتشاف فائدة تجارية فيقوم مقام التلغراف العادي ولذلك تألفت شركة مالية حالاً تساعد مركوني بالمال لتحقيق هذا الامر ومضت هذه السنوات ومركوني يذلل الصعاب ويتقن الآلات ويستفيد من التجارب الى ان تمكَّن في خلال الشهر الماضي (اكتوبر) من ارسال الانباء البرقية بتلغرافهِ على اسلوب تجاري اي بسرعة كثيرة ونفقة قليلة وللحال هبطت قيمة اسهم الشركات التلغرافية لانها تحققت مناظرة تلغراف مركوني لها وانهُ سيفوز عليها . فاذا اثبتت الايام ان هذا التلغراف يبقى سائرًا على نمط واحد ولا تعتورهُ شوائب يعسر دفعها تحقق الفوز لهُ وصار ابدع مكتشفات العصر العلمية . وتبلغ سرعتهُ الآن عشرين كلمة في الدقيقة واجرة الكلمة بين اوربا واميركا غرشان في الرسائل العادية وغرش واحد في رسائل صحف الاخبار والمنتظر ان تزيد السرعة ويرخص السعر كثيرًا لان هذا التلغراف خالٍ من النفقات الطائلة التي تنفق على مد الاسلاك الكبيرة في البحر والبر

ازدياد تجارة القطر

جاء في تقرير ادارة الاحصاء عن السفن التي دخلت مرافئ القطر في النصف الاول من هذه السنة ان عدد التجارية منها كان ١٧٢١ محمولها ٤٤٤٩٩١٤ طنًّا وكان فيها من الركاب ٦٩٧٨٢ والشراعية ٥١٥ ومحمولها ٦٠١٦٠ طنًّا. وكان عدد السفن التجارية في الستة الاشهر الاولى من العام الماضي ١٥٣٤ ومحمولها ٣٧٩٩١١٣ طنًّا وفيها من الركاب ٦٢٦٨٨ وعدد السفن الشراعية ٥١٧ ومحمولها ٦٨١٢٨ طنًّا وفيها من الركاب ٥٠ فالزيادة في محمول السفن التجارية نحو ٦٥٠ الف طن وفي عدد الركاب نحو سبعة آلاف نفس

والسفن التجارية التي خرجت من مرافئ القطر المصري في الستة الاشهر الاولى من هذه السنة ١٦٧٩ محمولها ٤٣٦٢٥٠٢ والشراعية ٥١٢ محمولها ٧٣٠٠٥ وعدد الركاب الذين سافروا فيها ٥٠٦٩٣ وكان عدد السفن التجارية التي خرجت من مرافئ القطر المصري في الستة الاشهر الاولى من العام الماضي ١٥٦٦ محمولها ٣٨٨٢١٧٨ طنًّا والشراعية ٥٣٠ ومحمولها ٦٨٤٨٧ . وسافر فيها ٥٧٠١٢ من الركاب فالذين سافروا في العام الماضي يزيدون سبعة آلاف عن الذين سافروا هذا العام ومحمول السفن هذا العام يزيد نحو ٥٠٠ الف طن عن محمولها في العام الماضي

هبات علمية

وهب المستر ارتشيبلد هنري بلونت مدرسة يايل الجامعة ثمانين الف جنيه وهو انكليزي لم يدخل اميركا والمدرسة اميركية . ووهبتها مسز اوليفر ثلاثين الف جنيه تذكارًا لابنها الذي قتل بالاوتوموبيل

الصفير الصناعي

حاول الكيماويون منذ عهد طويل عمل الحجارة الكريمة فلم يفلحوا الَّا في عمل الياقوت على اسلوب تجاري ثم انهم عملوا الماس الابيض ايضاً لكنَّ الحجارة التي صنعوها منهُ صغيرة جدًّا لا ربح من عملها . وقد نجحوا الآن في عمل الصفير اي الياقوت الازرق لكن الحجارة التي عملوها منهُ اخف وزنًا من الصفير الطبيعي واقل صلابةً منهُ . والطبيعي يكسّر اشعة النور من سطوحهِ المختلفة واما الصناعي فلا يكسّرها كالطبيعي . اما الياقوت الصناعي فيلوَّن بالكوبلت واما الصفير الصناعي فلم يقل صانعوهُ بماذا يلوّنونهُ

سرعة السفن

قطعت السفينة لوزيتانيا البحر بين انكلترا واميركا في اربعة ايام و١٦ ساعة و٥٢ دقيقة

والمسافة ٢٧٨٠ ميلاً بحريًا فتوسط سرعتها ٢٤ ميلاً في الساعة ونحو ست اقدام وقد قطعت في يوم واحد ٦١٧ ميلاً اي كان متوسط سرعتها فيها ٢٥ ميلاً وسبعة اعشار الميل في الساعة

تذليل الفيل

اهتمت حكومة الكونغو بتذليل الفيل واستخدامهِ في الاعمال المختلفة للانتفاع بهِ وعندها الآن خمسة وعشرون فيلاً اليفاً تستخدمها على مدار السنة الا اربعة شهور المطر فانها تطلقها فيها فتذهب الى الغابات والحراج تقيم فيها حتى اذا جاء فصل الربيع عادت الى منازل اصحابها والى خدمتهم وقد تجلب معها افيالاً اخرى ولكن هذه تكون كبيرة السن يصعب تذليلها واستخدامها

آثار الكباش المقدسة

اكتشف المسيو كلرمون غانو مدفن الكباش المقدسة في جزيرة اصوان فوجد فيهِ كثيرًا من اجسامها المحنطة وهي لا تزال في نواويسها والنواويس من الغرانيت وعلى لفائفها كتابات ورموز كثيرة . ووجد هناك ايضاً تمثالين كبيرين من تماثيل تحتمس الثاني . وجمع كثيرًا من قطع الخزف ووجد عليها كتابات قديمة بالاقلام المصرية الثلاثة وباليوناني والقبطي والارامي فهي تدل دلالة قاطعة على ان اليهود الاراميين كانوا يقطنون هناك في نحو القرن الخامس قبل المسيح . والمنتظر الآن ان يكشف هيكل يهوه آله اليهود الذي كان في جزيرة اصوان في عهد داريوس وزركسيس

افواه فراخ الطيور

لا يخفى ان افواه فراخ الطيور تكون ملونة بلون اصفر فاقع وقد اتضح الآن انها تلوَّن كذلك ارشادًا لامَّاتها في زقها فاذا كانت المشاش مبنيَّة في مكان كثير الظل قليل النور زادت هذه الصفرة بهاء لكي تزيد ظهورًا

آثار الفيوم الجيولوجية

كتب الاستاذ اوسبرن مقالة عن البقايا الجيولوجيَّة التي وجدت في الفيوم قال فيها ان مديرية الفيوم كانت في عصر الايوسين وهو الاول من الدور الثلاثي سهلاً تغطيهِ الادغال والحراج وحرارة هوائهِ مثل حرارة هوائهِ الآن ولم تكن الفرس والكركدن وفرس النهر قد وصلت الى افريقية لانها تولدت في مكان آخر في اوربا او اسيا او اميركا الشمالية وكانت افريقية حينئذٍ منفصلة عن اسيا واوربا

المؤتمر الصحي

التأم المؤتمر الصحي في برلين من ٢٣ سبتمبر الى ٢٦ منهُ وحضرهُ اربعة آلاف من

اعضائهِ وهم من كل البلدان والامم . وقد سمحت لهم الحكومة الالمانية بدار مجلس النواب ليجتمعوا فيها . ومن المواضيع التي دار البحث عليها مرض السل وميكروبهُ فقال الاستاذ ارلونج ان ميكروب السل واحد في نوعهِ ولو اختلفت اشكالهُ وافعالهُ باختلاف الحيوانات وانهُ كلهُ ضارٌ . وقال الدكتور راقتل ان ميكروب السل يدخل الجسم بطريق القناة الهضمية ويخرق الاغشية المخاطية والجدران المعدية من غير ان يبقي فيها اثرًا ويحدث ذلك وقت هضم المواد الدهنيَّة و يسير مع الكيلوس في الاقنية اللبنيَّة والصدريَّة الى الدم فينقلهُ الى الرئتين . واكثر ما يحدث ذلك في الصغار السن وسبب العدوى حينئذٍ لبن البقر المصابة بالتدرُّن

وقال الدكتور فلوغ انهُ وجد بالامتحان انهُ يمكن نقل عدوى السل الى الحيوانات بواسطة التنفس وان الكميَّة اللازمة لنقل العدوى بالتنفس اقل جدًّا من الكميَّة اللازمة لنقل العدوى بالقناة الهضميَّة والناس مختلفون في كيفيَّة وصول عدوى السل اليهم فالاطفال قد يُعدَون من شرب اللبن المشوب بميكروب السل ولكن اكثر الناس يعدون من تنفس النفث الخارج من افواه المسلولين فان دقائق النفث تطير في الهواء وتعدي الذين يتنفسونها . ووافق الاستاذ روبرت والاستاذ شروتر على ان اكثر العدوى من التنفس لا من الأكل الَّا ان الاستاذ كلمت اصرَّ على ان اكثر عدوى الاطفال من شرب اللبن المشوب بميكروب السل لا من التنفس

ومن المباحث المهمة التي بحث فيها اعضاءُ المؤتمر انتقال عدوى التيفويد فابان الدكتور لنتز ان ميكروب التيفويد يتصل من القناة الهضميَّة الى الطحال والنخاع والدم ويفرز من الكليتين . وقد تكون التيفويد خفيفة جدًّا حتى لا يكاد المصاب يشعر انهُ مريض ومع ذلك يخرج منهُ ميكروب يعدي غيرهُ والعدوى تكون في المبرزات

ودار البحث على الطاعون فاجمع الباحثون على ان عدوى الطاعون تنتقل بواسطة الجرذان وتنتقل من الجرذ الى الانسان بواسطة البراغيث ونحوها من الحشرات

ودار البحث على الاشربة الروحيَّة فقال الدكتور تربوله ان شرب الاشربة الروحيَّة يعدُّ الاجسام لقبول مرض السل وقال الدكتور مولي ان الاشربة الروحيَّة لا تفيد من حيث الغذاء وانهُ يجب الامتناع عنها

وتكلم الدكتور شانتمس عن المصل الذي اكتشفهُ لعلاج التيفويد وقال ان الذين عولجوا بهِ لم يمت منهم سوى ٤ وثلث في المئة

تذكار كوخ

يهتم الالمانيون الآن بانشاء دار لمعالجة السل والبحث في اساليب مقاومتهِ تسمَّى دار

كوخ تذكاراً لاكتشافهِ ميكروب السل منذ خمس وعشرين سنة وتكون نسبتها الى السل مثل نسبة دار باستور الى الكَلَب

اشعة ن وتأثير الوهم

نشرنا في هذا الجزء مقالة مسهبة للعالم المحقق الدكتور امين ابي خاطر موضوعها "تحقيق مهم في اكتشاف اهم" ومدارها على اشعة ن التي اكتشفها الدكتور بلندلو سنة ١٩٠٣ وقد ابنا غير مرة ان جمهوراً كبيراً من العلماء المحققين يقولون انها وهميةٌ لا حقيقة لها . واطلعنا الآن على خلاصة مقالة للمسيو هنري بيزون في الكتاب الفسيولوجي السنوي لخص فيها تاريخ هذه الاشعة من حين اكتشافها الى الآن وقال انهُ كتب فيها ١٩ مقالة سنة ١٩٠٣ و١٣٩ مقالة سنة ١٩٠٤ و٧ مقالات فقط سنة ١٩٠٥ و١٥ مقالة سنة ١٩٠٦ ولما قام الاستاذ وود وذكر ادلتهُ على الريب في وجود هذه الاشعة ألفت مجلة الرفي سينتيفيك لجنة للبحث عنها فاثبتت هذه اللجنة ان كل الذين حاولوا رؤْية هذه الاشعة من اعضائها لم يروها . واشارت بامتحان بسيط يثبت منهُ هل وجود هذه الاشعة حقيقي او هو وهم من الذين يرونها فصنعت صناديق متماثلة من الخشب ووضعت في بعضها قطعاً من الرصاص وفي البعض الآخر قضباناً من الفولاذ واقفلتها وطلبت من المسيو بلندلو ومساعديهِ ان يعرفوا في اي هذه الصناديق توجد المعادن التي تصدر منها اشعة ن فاحجم المسيو بلندلو عن هذا الامتحان وقال ان التجارب التي جرَّبها كافية لاقناعهِ واقناع الذين يثقون بهِ . ومن ثم لم يعد احد يكتب في هذا الموضوع ورسخ في الاذهان ان اشعة ن وهمية يراها بعض الناس بنوع من الاستهواء الذاتي . وهذا من اغرب ما ذكر في تاريخ العلم لانهُ ان كانت ظواهر التجارب التي ذكرت في المقالة المنشورة في هذا الجزء من المقتطف وهمية كلها فكم من الغرائب التي ذكرت في تاريخ العالم وهمي لا حقيقة لهُ

عمل الماس الاسود

الماس الاسود كالماس الابيض في صلابتهِ وقد استتب للمسيو بونه ان يصنعهُ بطريقة تجارية ونال امتيازاً من الحكومة الفرنسوية بعملهِ . وهو يصنعهُ هكذا : يضع قضيباً من الكربون الصرف بين قطبين من الكربون وتحت القضيب اناء صغير فيهِ في كبريتيد الكربون ويضع كل ذلك في اناء محكم ويبخر الى كبريتيد بالكهربائية فيضغط ضغطاً شديداً على ما حولهُ وحينئذ تمرّ الكهربائية بين القطبين فيصهر قضيب الكربون ويتحول الى ماس اسود فهل يبعد ان يصنع الماس الشفاف كذلك

الله عظيم

Vero euangelio di iesu chiamato christo
nouo profeta mandato da dio al mōdo
secondo la descritione di barna
ba apostolo suo

Barnaba apostolo di iesu nazareno chiama
to christo ● a tutti quelli che habitano sopra la
terra pace e consolatione desidera ● carissimi
il grande e admirabile dio questi giorni pas
sati cia visitati per il suo profeta iesu christo
in gran misericordia di dotrina e miracu
li per la qualle chossa molti inganati da satana
sotto pretesto di pieta predichano empiissima do
trina ● chiamando iesu fiolo di dio repudian
do la circoncisione pato di dio in sempiterno
e concedendo ogni cibo inmondo fra i quali è
paulo è inganato del quale non senza dollo
re io ne parlo ● per la qual chossa io scrivo
quella verita la quale ho veduta e sentita
nella conuersatione ch'io ho conuersato con ie
su a cio che ● siate salui e non siate inganati

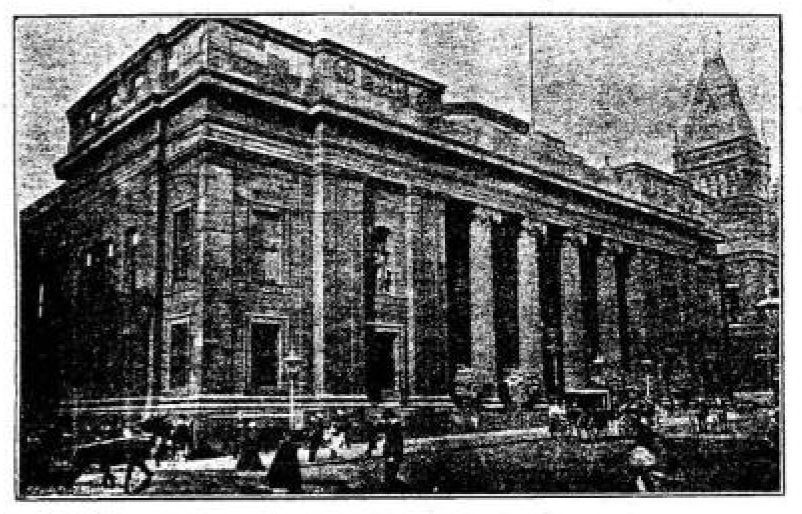
الصفحة الاولى من انجيل برنابا

اذا اعطيتم الله تعالى من الملابس ما قلتم عند الله تعالى

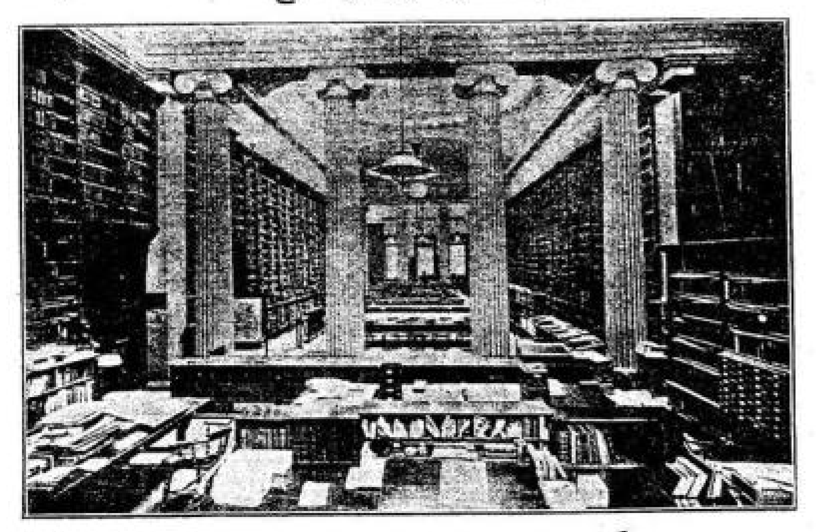
١٣٢

date a dio quanto per ammore di dio ● onde no
siate pigri nel dare e date quello che auete
del milgiore per ammore di dio ● Ditemi volle
te voi ricevere chossa veruna da dio chatiua
no certo o polvere e cenere ● adonque chome
auete fede in voi se darete chossa veruna cha
tiva per ammore di dio ● Melgio saria non da
re niente che dare chossa chatiua perche non da
do avrete qualche scusa secondo il mondo
● ma dando chossa trista e servando per voi il
milgiore quelle sera la scusa e questo è quan
to ho a dire circha la penitenza ● Rispose bar
tolameo quanto tempo deue durare la peniten
za ● rispose iesu mentre che lo homo è in stato
di pechato deba sempre pentirsi e farne peni
tenza onde si chome la vitta humana sempre pe
cha chosi sempre deue fare penitenza ● se voi
non vollete fare piu chonto delle scarpe vostre che
della anima vostra possia che ogni volta che
rompono quelle voi le rachonciate ●

الصفحة ١٣٤ منه

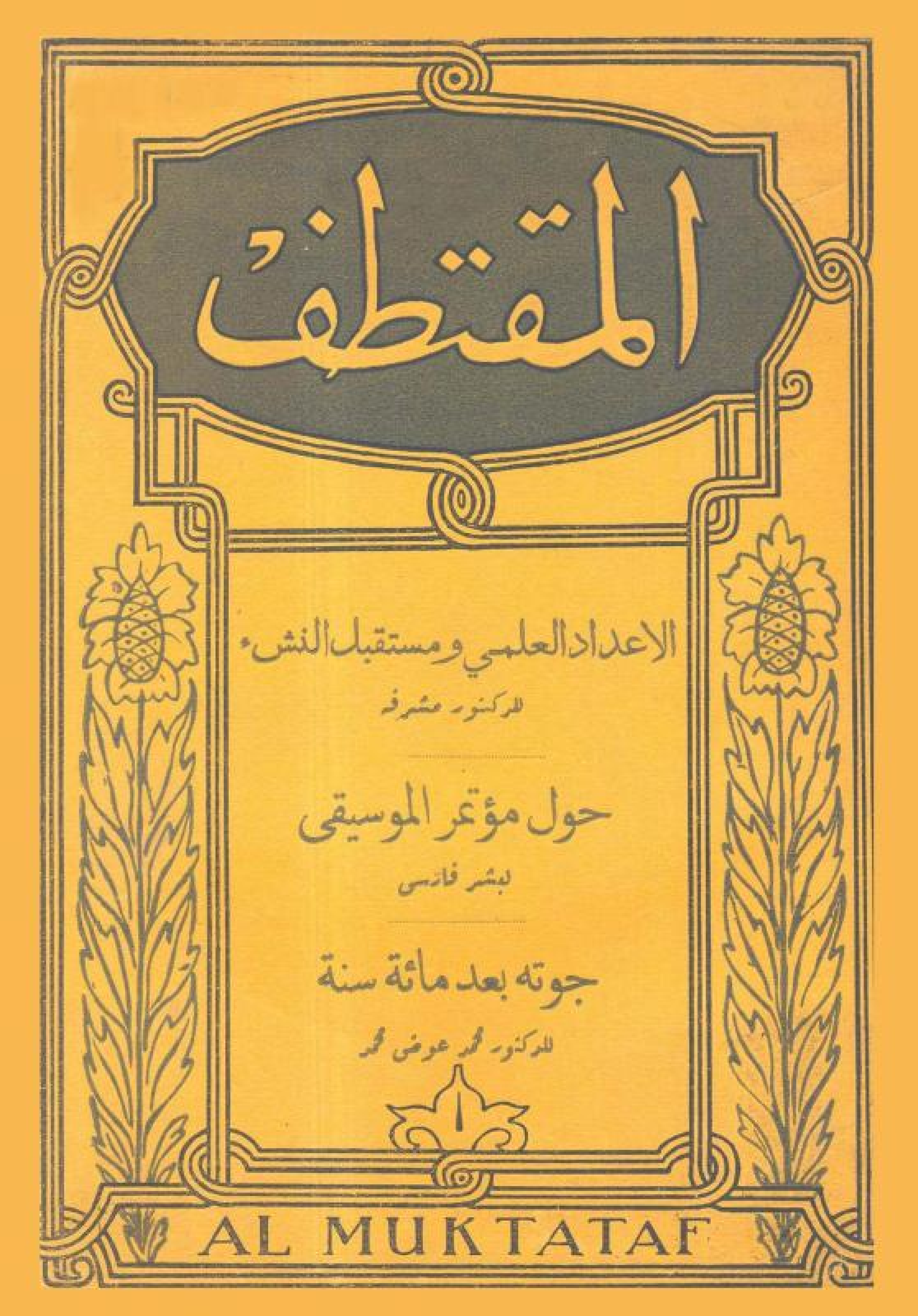


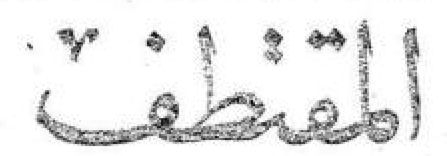
مكتبة منشستر العمومية من الخارج



مكتبة منشستر العمومية من الداخل دار المطالعة

فهرس الجزء الحادي عشر من المجلد الثاني والثلاثين


المقتطف
الاعداد العلمي ومستقبل النشء
للدكتور مشرفه
حول مؤتمر الموسيقى
لبشر فارس
جوته بعد مائة سنة
للدكتور محمد عوض محمد
١
AL MUKTATAF



الجزء الثاني عشر من المجلد الثاني والثلاثين

١ دسمبر (كانون الاول) سنة ١٩٠٧ — الموافق ٢٥ شوال سنة ١٣٢٥

كتاب لباب الآداب

وقع لنا في هذه الايام كتاب من خيرة كتب الادب العربيَّة وضعهُ كاتب من مشاهير الكتَّاب وهو اسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني. والنسخة التي وقعت لنا هي النسخة الاصلية التي كتبت للمؤلف سنة ٥٧٩ للهجرة وقد وهبها لابنهِ وكتب ابنهُ عليها يدو يقول ان اباهُ وهبهُ اياها كما سيجيء. فهي من اقدم كتب الخط العربيَّة المحفوظة الى الآن

والكتاب متوسط الحجم طولهُ ٢٣ سنتيمترًا ونصف سنتيمتر وعرضهُ ١٥ سنتمترًا وفيهِ ٢٤٩ ورقة في واحد وعشرين كراساً لا ينقصهُ الأَ ست ورقات من الكراس الثاني وجانب من حاشية الورقة الاخيرة

واسم الكتاب في الصفحة الاولى ابيض محيط بهِ نقوش مذهبة وزرقاء وتحتهُ اسم المؤلف ويحيط بالاثنين برواز منقوش • وقد تفنن ولدهُ في ما كتبهُ فرسم حولهُ دوائر تحيط بهِ كالنيوم بحبر اسود وذهبي وملأَ ما بين السطور بنقوش هفهاء تدلُّ على ان الناس كانوا قد خرجوا من قيد الخطوط المستقيمة وعكفوا على المنحنيات شأن المصورين. وخط الكتاب واضح جميل وحبرهُ اسود برَّاق وحروفهُ المعجمة منقوطة غالباً ما عدا الكلمة التي تكتب في آخر الصفحة وتعاد في الصفحة التالية فانها غير منقوطة في الغالب ويحتمل ان يكون النقط طارئاً على الكتاب لكنَّ هذا الاحتمال بعيد لان حبر النقط مثل حبر الحروف تماماً وحجمها يدل على انها مكتوبة بالقلم الذي كتبت بهِ الحروف. ويمتاز بتعلق بعض الحروف المنفصلة فاذا وقعت بعد الالف دال او ذال او عين او غين علقت الالف بها كما تعلق باللام في الخط الديواني واذا وقعت بعد الدال ياء متطرفة مثل عندي علقت بها وكثيرًا ما توصل الكلمة الواحدة بالتي

بعدها. وتترك الكاف احياناً من غير شرطة ولاسيما اذا كانت في اول الكلمة. وليس في وسط الكاف الاخيرة كاف صغيرة . وقلما توضع علامة لحروف المهملة

وفي الكتاب علامات تدلُّ على ان الناسخ قرأهُ للمؤلف فاصلح فيهِ قليلاً لكنَّ المؤلف لم يقرأهُ بنفسهِ إما لضعف بصرهِ في شيخوختهِ او لسبب آخر لان الكاتب يخطئ احياناً خطأً صرفيًّا لا يدركهُ مَن يسمع ولا يقرأ ولو رآهُ المؤلف لاصلحهُ حتماً

وهذه الامور العرضية يعنى بها اليوم جماعة من العلماء الذين يبحثون عن الخطوط والكتب القديمة المعنا اليها الماعاً وجوهر الكتاب قائم بموضوعهِ واسلوبهِ فقد قسمهُ المؤلف الى سبعة ابواب وهي باب الوصايا وباب السياسة وباب الكرم وباب الشجاعة وباب الآداب وباب البلاغة وباب الفاظ من الحكمة في معانٍ شتى

ويبتدئ الباب بآيات من القرآن تتلوها احاديث نبوية ثم اقوال حكميَّة يتمثل بها ونوادر واشعار ونحو ذلك مما يرى بعضهُ في كتاب الغرر والعرر للوطواط وكتاب محاضرات الادباء للراغب الاصبهاني

والمؤلف كاتب مشهور ترجمهُ ابن خلكان في وفيات الاعيان وقال انهُ من اكابر بني منقذ اصحاب قلعة شيزر وعلمائهم وشجعانهم لهُ تصانيف عديدة في فنون الادب ذكرهُ ابو البركات بن المستوفي في تاريخ اربل واثنى عليهِ وعدَّهُ في جملة من ورد عليهِ واورد لهُ مقاطيع من شعرهِ وذكرهُ العماد الكاتب في الخريدة وقال بعد الثناء عليهِ سكن دمشق ثم نبت بهِ كما تنبو الدار بالكريم فانتقل الى مصر فبقي بها مؤمَّرًا مشارًا اليهِ بالتعظيم الى ايام الصالح بن رزيك ثم عاد الى الشام وسكن دمشق ثم رماهُ الزمان الى حصن كيفا فاقام بهِ حتى ملك السلطان صلاح الدين رحمهُ الله تعالى دمشق فاستدعاهُ وهو شيخ قد جاوز الثمانين. وقال غير العماد ان قدومهُ مصر كان في ايام الظافر بن الحافظ والوزير يومئذٍ العادل بن السلار فاحسن اليهِ وعمل عليهِ حتى قتل حسبما هو مشروح في ترجمتهِ. قلت ثم وجدت جزءًا كتبهُ بخطهِ للرشيد بن الزبير حتى يلحقهُ بكتاب الجنان وكتب عليهِ انهُ كتبهُ بمصر سنة احدى واربعين وخمسمائة فيكون قد دخل مصر في ايامهِ واقام بها حتى قتل العادل بن السلار اذ لا خلاف انهُ حضر هناك وقت قتلهِ. ولهُ ديوان شعر في جزئين موجود في ايدي الناس ورأيتهُ بخطهِ ونقلت منهُ قولهُ

لا تستعر جلدًا على هجرانهم فقواك تضعف من صدود دائمِ
واعلم بانك ان رجعت اليهم طوعاً والاَّ عدتَ عودة راغمِ

ونقلت منهُ في ابن طليب المصري وقد احترقت دارهُ

انظر الى الايام كيف تسوقنا　قسرًا الى الاقرار بالاقدارِ
ما أوقد ابن طليب قط بدارهِ　نارًا وكان خرابها بالنارِ

ونقلت من ديوانهِ ايضًا ابياتًا كتبها الى ابيهِ مرشد جوابًا عن ابيات كتبها ابوهُ اليهِ وهي

وما اشكو تلوّن اهل ودّي　ولو اجدت شكيتهم شكوتُ
مللت عتابهم ويئست منهم　فما ارجوهمُ فيمن رجوتُ
اذا ادمت قوارضهم فؤادي　كظمت على اذاهم وانطويتُ
ورحت عليهم طلق المحيا　كأني ما سمعت ولا رأيتُ
تجنوا لي ذنوبا ما جنتها　يداي ولا امرتُ ولا نهيتُ
ولا والله ما اضمرتُ غدرًا　كما قد اظهروهُ ولا نويتُ
ويوم الحشر موعدنا وتبدو　صحيفة ما جنوهُ وما جنيتُ

ولهُ بيتان في هذا الروي والوزن كتبهما في صدر كتاب الى بعض اهل بيتهِ في غاية الرقة وهما

شكا المَ الفراق الناس قبلي　وروّع بالنوى حيٌّ وميتُ
واما مثل ما ضمّت ضلوعي　فاني ما سمعتُ ولا رأيتُ

ونقلت من خط الامير ابي مظفر أسامة بن منقذ المذكور لنفسهِ وقد قلع ضرسهُ وقال عملتهما ونحن بظاهر خلاط وهو معنى غريب ويصلح ان يكون لغزًا في الضرس

وصاحب لا أملّ الدهر صحبتهُ　يشقى لنفعي ويسعى سعي مجتهدِ
لم ألقهُ مذ تصاحبنا فحين بدا　لناظريّ افترقنا فرقة الابدِ

قال العماد الكاتب وكنت اتمنى أبدًا لقياهُ واشيم على البعد محياهُ حتى لقيتهُ في صفر سنة احدى وسبعين وسألتهُ عن مولدهِ فقال يوم الاحد السابع والعشرين من جمادى الآخر سنة ثمانٍ وثمانين واربعمائة قلت بقلعة شيزر . وتوفي ليلة الثلاثاء الثالث والعشرين من شهر رمضان سنة اربع وثمانين وخمسمائة بدمشق رحمهُ الله تعالى . ودفن من الغد شرقي جبل قاسيون ودخلت تربتهُ وهي على جانب نهر يزيد الشمالي وقرأت عندهُ شيئًا من القرآن وترحمت عليهِ . وتوفي والدهُ ابو اسامة مرشد سنة احدى وثلاثين وخمسمائة رحمهُ الله تعالى . وشيزر قلعة بالقرب من حماه وهي معروفة بهم . انتهى كلام وفيات الاعيان

وواضح من ذلك ان المؤلف ألّف كتاب لباب الالباب قبل وفاتهِ بنحو خمس سنوات فالّفهُ وهو شيخ عرك الدهر واجتنى ثمار الاخبار

وقد صورنا منهُ النصف الاعلى من الصفحة الاولى بعد الفهرس والنصف الاعلى من الصفحة الاخيرة كما ترى في صدر هذه المقالة . وهاك قراءة ما فيهما سطراً سطراً

الصورة الاولى

كتاب لباب الآداب
تأليف اسامة بن مرشد بن مقلد بن نصر
ابن منقذ الكناني غفر الله لهُ ولوالديهِ ولجميع المسلمين

حباني مولاي والدي مجد الدين مؤيد الدولة
وفقهُ الله بهذا الكتاب الذي هو من تأليفهِ
بدمشق المحروسة في شهور سنة اثنتين وثمانين وخمس مائة
وكتبهُ ولدهُ مرهف بن اسامة حامداً ومصلياً

الصورة الثانية

(ان كر) يما وقف عليهِ وتصدق على مؤلفهِ بدعوة صالحةٍ
.... يثيبهُ الله تعالى عنها ويجزل حظهُ منها فهو سبحانهُ
(من الدا)عي قريب يسمع ويجيب
(وكان الفر)اغ منهُ في صفر سنة تسع وسبعين وخمس مائة
(والحمد لله و)حده وصلواتهُ على سيدنا محمد نبيهِ وصحبهِ وسلامهُ
ناسخهُ الفقير الى رحمة ربهِ
نايم الناسخ المعري غفر الله لهُ ولوالديهِ
ولجميع المسلمين

وقد اشكلت علينا قراءة اسم ابنهِ في خطهِ واتفق اننا فتحنا وفيات الاعيان لنقرأ ترجمة الملك الافضل والد السلطان صلاح الدين فاذا فيهِ ورأيت في تاريخ كمال الدين بن العديم فصلاً نقلهُ من تعليق العضد مرهف بن اسامة بن منقذ الخ . فاتضح لنا من ذلك اسمهُ وانهُ اديب بن اديب

والظاهر ان المؤلف نقح الكتاب بعد ان تمَّ تبييضهُ ونسخهُ فقطع الاوراق الاولى من اوائل الابواب وابدلها بغيرها وزاد فيها كثيراً من الآيات والاحاديث . وهو في الاصل واحد وعشرون كراساً في كل كرّاس منها عشر ورقات اي انهُ كان ٢١٠ ورقات لكن فيهِ الآن ٢٤٩ ورقة . وفي كل صفحة من الصفحات الاصلية ١٣ سطراً لكن الورقات التي زيدت

فيهِ يختلف عدد سطورها فيزيد تارة حتى يبلغ ٢٠ سطرًا وينقص اخرى حتى يبلغ ١١ سطرًا. والخط والحبر في بعض هذه الاوراق غير جيدين كأنها مقحمة في الكتاب بعد حين. ولكن اكثرهُ بالخط الجيد والحبر الجيد ولا شبهة في انهُ هو الاصل كما هو واضح من وضع الكراريس ولأن المؤلف يذكر فيهِ اهلهُ وبلدهُ ومؤلفاتهِ وبعض ما لقيهُ في سفراتهِ كقولهِ عن علي بن ابي طالب " وقد ذكرت شيئًا من حروبهِ ووقعاتهِ في كتابي المترجم بكتاب فضائل الخلفاء الراشدين ". وقولهِ " كان بيننا وبين الاسمعيلية قتال في قلعة شيزر في سنة سبع وعشرين وخمس مائة ". وقولهِ " وقد كان عندنا بشيزر رجل يقال لهُ محمد البشبش كان يخدم جدي سديد الملك ابو الحسن علي بن نصر بن منقذ الكناني رحمهُ الله " وقولهِ " قرأت على حائط مسجد بديار بكر سنة خمس وستين وخمس مائة

صنِ النفس وابذل كل شيءٍ ملكتهُ فانَّ ابتذال المال للعرض اصونُ
ولا تطلقنَّ منك اللسان بسوءةٍ ففي الناس سوآت وللناس السنُ
وعينك ان ابدت لديك معايبًا لقوم فقل يا عين للناس اعينُ
ونفسك ان هانت عليك فانها على كل مَن تلقى اذلُّ واهونُ "

فهل من اديب من ادباء ديار بكر يبحث عن هذا المسجد وينبئنا عما على حائطهِ من الاشعار عساهُ لا يزال قائمًا كما كان

وقد رأينا ان نقتطف شيئًا من باب او اكثر من ابواب هذا الكتاب للدلالة على اسلوب كاتبهِ وكيف كان ينظر اهل زمانهِ في المواضيع التي تكلم عليها ونبدأ بباب السياسة وقد عارض بهِ باب السيادة والولاية في محاضرات الادباء للراغب الاصبهاني والاصبهاني متقدم عليهِ لانهُ كان في اوائل المئة الخامسة. وبينا نرى الاصبهاني يذكر آيات الطاعة واحاديث الخضوع مثل " اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم " ومثل " اسمعوا واطيعوا ولو ولي عليكم عبد حبشي مجدع " نرى اسامة يذكر آيات اللين للرعية ومشاورتها واحاديث العدل فيها والبر بها مثل " فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظًّا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر ". " ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينهُ عداوة كأنهُ ولي حميم ". " امرت لاعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا اعمالنا ولكم اعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا واليهِ المصير ". " يوم من ايام عدل خير من عبادة ستين سنة " " من رفق بامتي رفق الله تعالى بهِ ومن شقَّ على امتي شقَّ الله عليهِ " " ما من الناس اعظم اجرًا من وزير صالح مع سلطان يأمرهُ بذات الله فيطيعهُ "

" الوالي العادل المتواضع ظل الله عزّ وجلّ في ارضهِ "

فترى من ذلك ان الاصبهاني يدعو الى الحكومة المطلقة واسامة الى الحكومة المقيدة · الثاني بوجه الكلام الى عدل الآمر والاول الى طاعة المأمور مع ان الاول اقرب الى عهد الخلفاء الراشدين · لكن الاصبهاني لم يلتزم هذه الخطة في محاضراتهِ

وتقدَّم المؤلف بعد ذكر الآيات القرآنية والاحاديث النبوية الى ذكر اقوال الائمة وغيرهم من اهل الكلمة فقال

قال زياد بن ابيهِ : جمال الولاية شدَّة في غير افراط ولين في غير اهمال · وقال معوية لعمر بن سعيد ما بين ان تملك الملك رعيتهُ وبين ان يملكها الاَّ الحزم والتواني · وعن المدايني قال قال الوليد بن عبد الملك لابيهِ يا ابتِ ما السياسة قال هيبة الخاصة مع صدق محبتها واقتياد قلوب العامة بالانصاف لها واحتمال هفوات الصنائع فان شكرها اقرب للايدي منها · وقالت عائشة ام المؤمنين رضي الله عنها من اراد الله بهِ خيرًا جعل لهُ وزير صدق صالحًا ان نسي ذكَّرهُ وان ذكَرَ اعانهُ · عهد بعض الملوك الى وصيهِ فقال كن بالحق عمولاً قؤولاً وعما جهلت سؤولاً وافحص عن الامور بمجلٍ واستبطن اهل التقوى وذوي الاحساب تزن نفسك وتحكم امرك واياك وقبول التزكية فيما لا تشك انك فيهِ مكذوب فانها خدعة تتبعها صرعة . ولا تختص بسرك الاَّ من يكتمهُ ولا تولِ امرك الاَّ من يهمهُ ولا تثق برجل تتهمهُ ولا تعوّد لسانك الخنا وكثرة التألي ولا تكلف نفسك ما لا تقوى عليهِ واذا هممت بخير فعجّلهُ واذا هممتَ بخلافهِ فتأنَّ فيهِ وارحم ترحمْ

وعهد آخر الى وصيهِ فقال اتقِ مَن فوقك يتقك من تحتك وكما تحب ان يُفعل بك فافعل برعيتك وانظر كل حسن فالزمهُ واستكثر من مثلهِ وكل قبيح فارفضهُ وبالنصحاء يستبين لك ذلك وغيرهم اهل الدين واهل النظر في العواقب . ولا تستنصح غاشًا ولا تستغشَّ ناصحًا فربما غشَّ العاقل اذا وُتر او حُرِمَ اوكان ضعيف الورَع · ولكل طبقة مهنة وكل ذي علم باسٍ فهو اولى بهِ وانما رأيت آفة الملوك في ثلثة امور فاحسم عنك واحدًا واحكم اثنين — اتباع الهوى وتولية من لا يستحق وطي امور الرعية عن الراعي · فانك ان ملكت هواك لم تعمل الاَّ بالحق وان وليت المستحق كان عونًا لك على ما يجب ولم تضع الامور على يديهِ واذا تناهت اليك الامور من امور الرعيَّة على حقائقها عاش الوضيع وحذر الرفيع وامسك الظلوم وامن المظلوم

قال كسرى اني ضبطت ملكي باني لم اهزل في امر ولا نهي قط واعطيت للغنى لا للرضى وعاقبت للادب لا للغضب وصدقتهم الوعد والوعيد وعممت بالعدل والانصاف وكففت

يدي عن دمائهم واموالهم الاَّ بحقها

لما قدم محمد بن عبد الله بن خالد اذربيجان اميرًا عليها جاء قوم الى كاتبهِ فقالوا لهُ هاهنا اموال قد أُخفيت وحقوق قد بطلت فكتب الكاتب بذلك رقعةً الى الامير فاجابهُ الامير في ظهرها اجر الناس على دواوينهم وما صحَّ من قوانينهم واعلم اني ما وردتُ الناحية لاحياء الرسوم الردية والاستماع من سقاط الرعية فلا تركن الى الفضول وتدع الذي توجبهُ العقول فانما هي ايام تمضي ومدة تنقضي فإما ذكر جميل وإما خزي طويل واياك وقول جرير

وكنت اذا نزلت بدار قوم رحلت بخزية وتركت عابا

واعمل على ان يكون الدعاء لنا لا علينا

وقَّع بعض العمَّال الى كسرى قباذ في انطاكية — تملك جماعةً قد فسدت نياتهم وخبثت ضمائرهم وقد همُّوا بما لم يفعلوا وهم غير مأمونين على المملكة وهم فلان وفلان وفلان فان رأى الملك ان يعاجلهم فعل . فوقَّع في رقعة انما املك الاجساد لا النيَّات واحكم بالعدل لا بالرضى وافحص عن الاعمال لا عن السرائر

روي ان الموبذ سمع ضحك الخدم في مجلس انوشروان فقال لهُ اما تمنع هؤلاء الغلمان فقال لهُ انوشروان انما يهابنا اعداؤنا

اوصى الاسكندر صاحب جيش لهُ فقال حبِّبْ الى العدو الهرَب . قال نعم . قال فكيف تصنع . قال ان ثبتوا جدَّدت في قتالهم واذا انهزموا لم اطلبهم . قال اصبت

وقال قتيبة بن مسلم ملاك السلطان الشدَّة على المريب والاغضاء عن المحسن ولين القول لاهل الفضل

وقال بزرجمهر عاملوا احرار الناس بصفو المودَّة وعاملوا العامة بالرغبة والرهبة وعاملوا السفلة بالمخافة صراحًا . وقال بعض ملوك الفرس لحكيم من حكمائهم اي الملوك احزم قال من ملك جدُّهُ هزلهُ وقهر لبُّهُ هواهُ واعرب عن ضميرهِ فعلهُ ولم يخدعهُ رضاهُ عن حظهِ ولا غضبهُ عن كيدهِ . وقيل لملك زال عنهُ ملكهُ ما الذي سلبك ما كنت فيهِ . قال دفع عمل يوم الى غد والتماس عذر بتضييع عمل

قال المدايني لما ولي زياد بن ابيه صعد المنبر بعد صلاة الظهر فحمد الله واثنى عليهِ ثم قال ايها الناس اني رأيت خلالاً ثلاثاً نبذت اليكم فيها بالنصيحة . رأيت اعظام ذي الشرف واجلال ذي العلم وتوقير ذوي الاسنان واني اعاهد الله لا يأتيني شريف بوضيع لم يعرف لهُ شرفهُ على ضعتهِ الاَّ عاقبتهُ ولا يأتيني عالم بجاهل لاحاهُ في علمهِ لهجنة عليهِ الاَّ عاقبتهُ فانما

الناس باعلامهم وذوي اسنانهم ثم تمثَّل

تهدى الامور باهل الرأي ما صلحت فان تولَّت فبالاشرار تنقادُ

لا يصلح القوم فوضى لا سراة لهم ولا سراة اذا جهالهم سادوا

قال ابو الحسن المدايني اوفد زياد بن ابيهِ عبيد بن كعب النميري الى معوية فقال لهُ معوية اخبرني عن زياد. قال يستعمل على الخير والامانة دون الهوى ويعاقب على قدر الذنب ويسمر فيستعرم بحديث الليل تدبير النهار. قال احسن فكيف يعمل في حقوق الناس. قال يأخذ مالهُ عفواً. قال فكيف عطاياهُ. قال يمنع حتى يبخل ويعطي حتى يقال جوَّاد. قال احسن ان البذل رضيع العدل فكيف الشفاعة عندهُ. قال ليس فيها مطمع وما فعل من خير فلك ولهُ

عن المدايني قال لما هلك معوية وملك ابنهُ يزيد اتتهُ بنو امية فاظهر لهم يقظة وتفقدًا لامور الرعية حتى بلغ خسيسها فاعجبهم ما رأوا منهُ وظهر على السن العامة حزمهُ فقال لهم عبد الملك بن مروان ما رأيتم منهُ فقال احدهم انساني معوية. فقال واي امور انساكم معوية فقال من تفقد امور الرعيةِ ما كان اغفلهُ معوية. قال ان معوية لم يكن يغفل من الامور مهماً فهل يتفقد خسيسها. قال نعم. قال ازرى بالمهمّ لانهُ اذا استكفى بالخسيس لم تفرغ نفسهُ للمهم

وقال ابرويز لابنهِ استكثر القليل مما تأخذ واستقلَّ الكثير مما تعطي واعلم ان قرة اعين الكرام في الاعطاء وقرَّة اعين اللئام في الاخذ. وقال ايضاً املك الرعية بالاحسان اليها تظفر بالمحبة منها فان ذلك باحسانك ادوم منهُ باعتسافك وليس الملك ملك الابدان. واعلم ان الرعية ان قدرت ان تقول قدرت ان تفعل فاجتهد لكي لا تقول تسلم من ان تفعل

وقالت حكماء الهند الملوك ثلاثة حازمان وعاجز فاحد الحازمين مَن اذا نزل بهِ الامر المخوف لم يدهش ولم يذهب قلبهُ شعاعاً ولم يعيَ برأيهِ وحيلتهِ ومكيدتهِ التي بها يرجو النجاة والثاني وهو احزم من هذا ذو العدَّة الذي يعرف الامر مقتدماً قبل وقوعهِ فيعظِمهُ اعظامهُ ويحتال لهُ حيلتهُ كأنهُ رأي عين فيحسم الداء قبل ان يبتلى بهِ ويدفع الامر قبل وقوعهِ. واما العاجز فهو الذي لا يزال في التردد والتمني حتى يهلك نفسهُ

وقالت الحكماء الطمأنينة مقرونة بالمضار والحذر مقرون بالنجاة ومَن ضيَّع الحزم وهو غني عنهُ ضيعهُ الحزم حين يفتقر اليهِ. وقالوا من اخذ بالحزم وقدم الحذر وجاءت المقادير بخلاف مرادهِ كان احمد رأياً واظهر عذرًا ممن عمل بالتفريط وان اتفقت لهُ الامور على ما يريد. فليس على العاقل النظر في الغد الذي لا يدري ما يأتيهِ منهُ وما ينصرف عنهُ ولكن عليهِ العمل بالحزم في امرهِ ومحاسبة نفسهِ في ذلك. انتهى وسنعود الى هذا الكتاب

نشأة العلوم

الانسان مولعٌ بالبحث عن النشأة الاولى لما يقع تحت نظرهِ من الشؤون وهو لا يجدُ بالبحث الأ متى شعر من نفسهِ بالحاجة الى الاستطلاع

واول الشؤون التي يضطر اليها الناس في بدء امرهم انما هي الطعام واللباس والمسكن والسلاح وكلها بدأ الانسان فيها بتقليد الحيوان الاعجم ثم تدرَّج في تحسين حالهِ بما فتق لهُ عقلهُ كما بيَّن المقتطف ذلك غير مرةٍ

الأ ان للبشر في اجتماعهم حوائج اخرى طبيعيَّة اهمها التفاهم وقد خص الانسان بالنطق غير ان اللغة التي نطق بها في حال فطرتهِ لم تكن موجودةً ولذلك فهي من اوضاعهِ وقد اوجدتها حاجتهُ اليها فبدأ الاولون يتفاهمون بالاشارات ثم بالاصوات الدالة على الحركات المألوفة ثم تدرجوا الى وضع الاسماء بما يعرف عن شيءٍ من خصائص المسميات المعروفة ومنها اتصلوا الى وضع الالفاظ البسيطة الدالة على الحاجات الساذجة كل هذا التدريج يظهر من دراسة اللغات القديمة التي لم يزل فيها بقية اثريَّة للغة الفطرة ففي الصينية مثلاً يسمون الهرة ماو وهو اسم صوتها اي المواء ومثل هذا اسم العطاس في لغة الداكوتا من البرازيل فانهُ هاتشو أُخذ في الاصل من اسم صوت العاطس

وقد ذهب بعض العلماء الى انهُ مرَّ على اللغات ثلاثة اعصر اولها عصر شبيبتها حين كانت بسيطة ساذجة ذات مقطع واحد كما هو الحال في اللغات التي يتكلم بها لهذا العهد اهل الصين وسيام وتبت · وثانيها عصر نموها ايام استطردت الى التركيب والزيادة على احوالها الاولى · وثالثها عصر الارتقاء حين اضطر المتكلمون الى استخدام كلمات كثيرة للتعبير عن خواطر مستجدة

والكلام في اللغة متصل طرفهُ بالكتابة الأ ان الكتابة ليست من حاجيات الانسان التي يضطر اليها في الفطرة كما هو الحال في اللغة بل هي من الكماليات التي لا يشعر بالاضطرار اليها الأ في المجتمعات الناهضة الى الرقي وحينئذٍ يزداد اضطرارهُ اليها بزيادة نمو مجتمعهِ وارتقائهِ

وكأن المجتمعات الاولى شعرت بالحاجة الى ذكر اعمالها ولم تجد من سبيل الأ تصوير الحادث المراد ذكرهُ تصويرًا يشير اليهِ · وهذا التصوير الفطري كان مبعث الاقلام القديمة

المعروفة بالتصويرية اي الهيروغليف التي اعتمدها كثيرون من الامم القديمة كالكلدان والمصريين وغيرهم

ولا خفاء ان الفطري من الناس لا يعيش منفردًا بل تحمله الالفة الطبيعية على الاجتماع بمثلهِ. واصل هذه الالفة ما في سليقتهِ من الميل لحفظ بقائهِ فهو يحتاج الى النصير في مدافعة الضاريات والى المعين في قيام حاجاتهِ فيضطر الى الانضمام الى مثلهِ ويعمل كل فرد من المجتمع ما يفيدهُ خاصة ولينفع المجتمع لفيفاً. وهذا العمل يكسب الفرد بتوالي الايام وتكرار التجارب معرفة طباع الاشياء الواقعة تحت مشاهدتهِ الا ان هذه المعرفة لا تكون الا بسيطة لا تتعدى الظواهر لان تحري البحث في البواطن من نتاج العقول الثاقبة والخبرة الواسعة التي لم تكن من نصيب اهل الفطرة فترى القوم يعرفون ان النار محرقة وقد استخدموا حرارتها ولكنهم لا يدركون سرها ويعرفون ان الماء سائل وانهُ اذا رُمي بهِ حجر غرق الحجر ولكن ورقات الشجر تطفو على وجههِ ويعرفون النافع من النبات والضار وانيس الوحش وضاريهُ واذا جُرح واحدهم فان لهم الماماً بمعالجة جرحهِ الى غير ذلك من المعارف البسيطة. ومن الطبيعي ان يعرف الفطري حالة القطر الذي هو فيهِ فيصف لك غابهُ وسهولهُ وما يدب ويسرح فيهِ من الحيوان وما يجري فيهِ من الماء ويعرف عن جوهِ اشياء خبرها بنفسهِ او سمعها من سلفائهِ ثم اذا احتاج الى عدٍ وحساب انبرى يعد لك على اصابعهِ

فهذه الحالة الفطرية هي جرثومة العلوم التي ازدان بها الكون لهذا العهد. ألا ترى منها تباشير صبح علم الحساب والجغرافيا وعلم الاحداث الجوية والطب والنبات والحيوان والطبيعة والاجتماع

اما الحساب فعلى قول بعض علماء الانثروبولوجيا انهُ من الحاجيات الاولى التي يهتدى اليها طبيعياً بالعد على الاصابع وقد استشهد بعضهم بفتى كان اصم واخرس فاخذهُ محسن وعلمهُ فكتب عن نفسهِ يقول اني عرفت العد على اصابعي قبل ان علمني مهذبي الحساب

ومما استدلوا بهِ ايضاً ان الزولو يعبّرون عن العدد السادس بكلمة تاتستوبا وهو اسم الابهام عندهم وانما ارادوا بذلك ان العدد تجاوز اصابع اليد الواحدة واخذ من الثانية اصبعاً فكان ستاً

والظاهر من البقايا الاثرية في بعض اللغات ان بعض القوم كانوا يعدون بالحصى الا ترى ان في اللغة العربية احصى احصاء بمعنى عدَّ والحصى صغار الحجارة وهي بمعنى العدد او الكثير منهُ. وكذلك ترى في اللغة اللاتينية Calculatus بمعنى عدَّ واللفظة من اصل كلمة

Caculus اي حصاة. ومن هذا الاصل اللاتيني اشتقت الكلمات المؤدية معنى عدٌ في بعض اللغات الحديثة كالفرنساوية والانكليزية وغيرها

واما الارقام التي استعملت للدلالة على العدد فالآثار تدل على ان الاقدمين كانوا يرسمون الواحد خطاً ثم يكررونهُ ما شاؤُوا ان يبينوا عدة ذلك الواحد ولم ينحصر هذا في الامم الشرقية البائدة بل ان الرومان انفسهم كانوا يعتمدونهُ كما ترى في الارقام اللاتينيَّة المتخلفة عن امتها . واما عقود العشرات فاتخذوا لها ارقاماً تدل عليها . والارقام العربية مأخوذة عن الهنود ومنسوبة اليهم اما الافرنج فاخذوا الارقام العربية ونسبوها الى العرب

ثم ان الاولين كانوا يحتاجون الى استعمال القياس كما يحتاج اليه غيرهم فالمقياس الطبيعي الذي يستطيع الانسان استعمالهُ في كل حال من احوالهِ انما هو الباع والذراع والخطوة والشبر والقبضة ونحوها من الاقيسة الطبيعيَّة . فلما تقدَّم المجتمع بعض الشيء واحتاج الانسان الى قياس ابعادٍ تزيد عن باعهِ اتخذ الميل اصطلاحاً وهو عبارة عن الف باعٍ

وحاجة المجتمعات الفطريَّة للقياس عظيمة في تحديد ممتلكاتهم وتخطيط منازلهم واحيائهم ولكنها ازدادت بنمو حاجيات المجتمع لا سيما على ضفاف النيل والفرات ودجلة وغيرها من الانهار التي جاورتها منازل الاقدمين . فقضت الضرورة ان ينتفعوا بمائها في ريّ الارض لاستغلالها فاحتفروا القنيّ والترع كما شوهد في مصر وبين النهرين منذ بداءة عمرانها

الاَّ ان ضبط المقياس لا يكفي في جرّ المنافع بل يتعين على القائمين بالاعمال المذكورة ان يكونوا على علمٍ باصول الهندسة والمساحة . والمأثور عن سكان ما بين النهرين ووادي النيل انهم كانوا عارفين بذلك وحسبك ان في المتحف البريطاني رقعةً من البردي عليها امثلة مساحة بعض الارضين وهذه الرقعة قديمة العهد سابقة لزمن اقليدس واضع قواعد الهندسة . والقياسات الهندسية في الرقعة مغلوطة ولكنها على غلطها كانت مصدر الحكمة التي تلقنها حكماء اليونان عن كهَّان المصريين . وكأَن اولئك الكهان عرفوا الاصول ولكنهم لم يضبطوها او لم يتحروا تصحيح الخطإِ القديم المتصل اليهم عن السلف فظلَّ ذلك الفضل مخبوءًا لحكماء اليونان او لاحدهم اقليدس الذي ضبط الاصول الهندسية وبرهن القضايا منطقياً حتى كاد يكون هو الواضع لهذا الفن الجليل

ومما عرفناهُ من استطلاع الآثار البابليَّة ان الاشوريين كانوا يعرفون من الهندسة شيئاً لان بناياتهم واقنيتهم وترعهم كل ذلك يدل على براعتهم في الفن . وعلم الهندسة يستدعي معرفة علم الحساب ولا يتأتى التعبير عن القضية الهندسية الاَّ بالحساب ولذلك لا بدَّ ان يكون

عارفوها مطلعين على اصول علم الاعداد · وكان المصريون واليونان من بعدهم يوضحون بالارقام كل قضية هندسية يريدون بيانها فلما اتصل العلم بالهنود واشتغلوا بهِ استعملوا الحروف صدفةً على قولٍ اذ يؤْخذ من كتابٍ قديم باللغة السنسكريتية ان علماء هذا الفن كانوا اذا ارادوا العمل بكمّيةٍ مجهولة عبروا عنها بلفظٍ يدلّ على صفتها او باللون الاسود او الاصفر او غيرهما وللاختصار صاروا يستعملون حروف الالفاظ للدلالة عليها · هذا في الجبر الذي اخترعوهُ واخذهُ العرب عنهم وسموهُ الجبر والمقابلة ولما اخذهُ الافرنج عن العرب سموهُ الجبر وعدوهُ من مصاف العلوم الرياضية

واما علم الجغرافيا اي رسم الارض فهو مما نشأ مع الفطريين منذ وجودهم لانهم بالطبع لم يكونوا ينزلون بقاعاً من الارض الاَّ ويطوفون فيها وفي جوانبها فيحيطون علماً بما هنالك من الانهار والجداول والتلال والسهول والغابات والاشجار والاعشاب وما يسرح في جوانبها من الحيوان والحشرات والدبابات وما يغرّد على افنانها من الطير فلما ارتقى مجتمعهم وامتدت الصلة منهُ الى الجوار وما فيهِ من المجتمعات الاخرى المنظمة او غير المنظمة اتسعت معارفهم بما كسبوا من معرفة البقاع الاخرى · فكان ذلك العلم المستحدث مفيداً لهم في معرفة الطرق الى منازل جيرانهم وشؤون تلك المنازل وما يستغل من نتاج ارضها او صناعاتها واعقب هذا زمن نهضة بعض المجتمعات وعمرانها وشيوع الكتابة فيها فدوّنت الاسفار · وقد وجدت بعضها مكتوبةً على الاجر بالقلم المسماريّ واللغة الاشورية · واما رسم الخرائط فاول ما وجد منها خريطة معادن الذهب في ايتوبيا التي رسمها علماء مصر · وقد ذكر هيرودوتس ان اريستوكوراس اليوناني اصطنع صفيحةً من البرونز نقش عليها دائرة الارض والبحر والانهار · الاَّ ان اليونان ولئن كانوا قد تقدموا في هذا العلم واعطوهُ اسمهُ منحوتاً من لغتهم فان متقدميهم لم يكونوا يعرفون من العالم الاَّ بلاداً ضيقة الدائرة حول اقطارهم حتى استنتج المستر غلادستون من اشعار هوميروس انهم كانوا يعتقدون ان الامم كانوا نازلين حول البحر المتوسط وان الاوقيانوس العظيم محيط ببلادهم · والمستفاد من كلام سترابو انهم صاروا يعرفون العالم ممتداً من اعمدة هرقل حتى الهند ومن الاقطار الاستوائية في افريقية حتى القطب الشمالي في اوربا

اما علماء الحيوان والنبات فانهما استمدا ايضاً من النشأة الاولى لان الفطري الذي يرى الحيوان سارحاً والنبات نامياً لا بدَّ ان يكتسب بتكرار المشاهدات ومرور الايام علماً يميز بهِ النوع الواحد من انواع الجنس عن النوع الآخر وهذا التمييز لا يتأتى الاَّ بمعرفة الخصائص الظاهرة لافراد النوع ومتى عرفت هذه الخصائص وميزت الافراد والانواع كان العلم في بدئهِ

ولما تقدمت المجتمعات وزادت المعرفة باتساع دائرة المشاهدات دوَّن بعض المبرزين ما يعلمون فاتصل بنا من تأليف الاشوريين ما علموهُ مكتوباً بالقلم المسماري على الاجرّ في جملة ما اتصل بنا من تآليفهم

ومما يذكر ان الغاية التي كان يتوخاها بعضهم من معرفة النباتات انما هي الانتفاع بالانواع التي تستخدم علاجاً او عطراً يستعملهُ المصريون في تحنيط جثث الموتى وقد كتبوا في ذلك كتاباتٍ محفوظة

والعلم الطبيعي ايضاً من بنات الاختبار ولا يفوت الفطريين الاضطلاع على حقائقهِ ألا ترى ان البربري كان يعرف انهُ اذا اصطنع لفأسهِ عصاً طويلة يستفيد من استخدامها اكثر مما لو كانت العصا قصيرة ومثل هذا ترى بعض الراقين من الامم القديمة يعرفون المخل والدارك في اقتلاع حجارهم وصخورهم وانهم اذا بنوا استخدموا الزاوية ولكن ذلك لا يحدو بنا الى اثبات كون الفطريين كانوا على علم بالاصول التي بنيت عليها تلك الادوات وانما الاظهر ان اهتداءهم لاستعمال الادوات هو الذي افضى الى ايجاد القواعد والاصول الطبيعيَّة

ولما اتصل العلم باليونان بحث حكماؤهم فيهِ بحثاً دقيقاً بالنسبة للزمن وفي صدرهم انكسغوراس وارسطو وفيثاغورس وغيرهم ثم جاء ارخميدس وارخنياس وغيرهما فبحثوا وكتبوا ولكنهم غلطوا في كثيرٍ من القضايا كما غلط الاقدمون في اشياء اخرى لان الابحاث حتى الزمن الاخير كانت مبنية على الحدس والتخمين بخلاف الحال بعد ذلك فان علماء العصر الحالي يبنون احكامهم على المشاهدات والتجارب

ومن غريب الروايات ان فيثاغورس صنع قيثاراً مضبوطاً ولكنهُ لم يكن يعرف عن الصوت الاَّ انهُ ينتشر كالموج وكأن هذه المعرفة القليلة كفت صنَّاع آلات النغم في كثيرٍ من الامم القديمة

واما النور فالظاهر ان الاقدمين عرفوا عنهُ خصائص اكثر واحكم لانهم كانوا يتخذون المرايا المسطحة والمقعرَّة والمحدَّبة وقد عرفوا منها مبدأ الانعكاس على انهم لم يهتدوا الى مبدإِ الانكسار . وكأن هذه المعرفة كانت قديمة لان الاثريين وجدوا بين انقاض نينوى عدسيات بلوريَّة . وقد عرف اليونان ثم الرومان في عصورهم هذه المبادئ . واصطنعوا عدسيات زجاجيَّة . ومع ان الكلدان والاشوريين والمصريين برعوا في علم الفلك ورصد كواكب السماء وبرع في الارصاد مثلهم من خلفهم من اليونان والرومان والعرب فانهم جميعاً لم يهتدوا الى اتخاذ عدسيتين تؤلفان منظاراً (تلسكوبًا) بل ظلَّ ذلك مستوراً حتى توفق غاليلو الى اكتشافهِ

واما الكهربائية فان خصائصها كانت مجهولة وحدث ان الفيلسوف تالس الملطي كان يفرك قطعة من الكهرباء فسقطت من يده الى الارض ولما رفعها وجدها قد التقطت كثيراً من الهباء وما لبثت ان دفعتها عنها فلم يدرك مبدأها . وكما كان القوم يشعرون بالكهربائية ولا يعرفون خصائصها كذلك كانوا يرون المغنطيس يجذب قطع الحديد ولا يفقهون سر هذه المادة . الا انهُ يقال ان الصينيين كانوا يعرفون اتجاه المغنطيس الى الشمال والجنوب وكان ذلك اتصل بالفينيقيين فاستعملوا الحك وانتفعوا بهِ في اسفارهم

واما علم الفلك فانهُ بالطبع يميل اليهِ الناس في البلاد التي لا يغشو سماءَها ضباب كثيف وهذا ما جعل العلماء الباحثين ينسبون نشأة هذا العلم للقطر المصري او لبلاد النهرين حيث يسهل على الناس رصد السماء الصاحية في مدى ليالٍ طويلة . فاما الكلدان فلهم القدم الراسخة في نشأة هذا العلم الجليل حتى انهم بنوا الهياكل متجهة الى الجهات الاربع واصطنعوا المزاول اي الساعات الشمسية واحكموا حساب السنة احكاماً قريبةً من الصحة والضبط . ولكنهم مزجوا الحقائق العلمية بترهاتٍ وتخرصات اوهام فكان علم التنجيم ظاهرهُ مبنيٌّ على الحقائق العلمية وحقيقتهُ شعوذة وايهام . ولما نهضت الدولة الاشورية ورثت عن سالفتها مقامها من العلم ثم خلفتهُ للبابليين الذين خلفوها فكانت ارصادهم وزيجهم دهشة لليونان الذين فازوا بها عند الفتح الاسكندري

واما المصريون فاعظم شاهد على علو كعبهم في علم الفلك ما في بناء الاهرام من التدقيق الفلكي على انهم كالكلدان وخلفائهم ما لبثوا ان مزجوا العلم الصحيح بالخرافات الا تراهم شهدوا فيضان النيل يبتدئ عند بزوغ الشعرى فقالوا ان النهر خاضع لقوةٍ راشدة قائمة بذلك الكوكب ومثل ذلك شهدوا المد والجزر في مياه البحر الاحمر يحدثان من تأثير الشمس والقمر فيهما فنتج من هذه المشاهدات انهم اعتقدوا ان للنجوم فعلاً في الكائنات الارضية من نباتٍ وحيوان وجماد وانها تتسلط على حياة البشر ولا تخلو من الادلة على سرائهم وضرائهم فكان ذلك منشأ علم التنجيم

ثم ان الفطري مهما كان ساذجاً لا بد وان يرى تقلبات الجو من حرٍّ وبرد وصحوٍ ومطرٍ وان يشهد الجلد ملبدًا بالغيوم في بعض الاحايين ثم يراهُ خالياً منها يرى ذلك مرارًا فيدخر في حافظتهِ ما رأى ويصبح عارفًا بتأثير هذه الاحداث في جو بقعتهِ حتى ان منهم من ينبئك بقرب المطر قبل وقوعهِ من مجرد النظر في الغيوم ومهاب الريح . فهذه المشاهدات والعلم بها هي جرثومة علم الاحداث الجوية . على انهُ لم يتصل بنا نبأ البحث فيهِ بين الامم القديمة اما اليونان

فانهم خاضوا عبابهُ وقد اتصل بنا ما كتبهُ الحكيم ارسطو في جملة ما كتب عن الطبيعة الاَّ ان صيرورة البحث فيهِ علماً قائماً بذاتهِ من نتاج القرن الثامن عشر

اما الدين فانهُ مما يشعر بهِ الانسان من تلقاء نفسهِ في كل حالةٍ من حالاتهِ ولا تعرف امة من غير دينٍ او عقيدةٍ ان لم يكن بارباب علوية تسود على اعمال الناس فعلى الاقل بارواح الموتى السابحة في الفضاء والعاملة على نفع الناس او ضرهم. فالفطريون اذا كانوا يحكم التمثيل على ما يشاهد الآن من تدين رجال الفطرة في القبائل المتبربرة فلما ارتقت مجتمعاتهم تعددت معبوداتهم بعدة من نسبوا اليهِ منها الاعمال الكبرى من خيرٍ وشر وهذه النسبة كانت مصدر الاساطير والاقاصيص التي رووها عن معبوداتهم على انها تمثلهم كالبشر في كثيرٍ من حالاتهم. واقتضى لعبادتها قيام المعابد لها بنسبة موضع عبادها من العزة والمكانة والارتقاء في الحضارة والذي اتصل بنا من اخبار معبودات الامم التي سادت في ما بين النهرين وعلى ضفاف النيل وسواحل فينيقية وفي الهند والصين وعند اليونان والرومان شيء كثير لا يسعنا الخوض فيهِ الآن وكلها تدل على تعدد المعبودات وتنوعها ويستفاد منها تأليه الفضائل تارةً والناهضين بها اونةً. واما الوحدانية فلم تكن شائعة الأبين قبائل معدودة من الاسيويين اخص منهم بني اسرائيل ويظهر انها خلت فيهم من العقيدة الاولى التي طمت عليها آثار الخشونة والجهل والتوهم من فعل ارواح الموتى ولكنها اي عقيدة الوحدانية ظلت مرموزاً اليها في بعض الديانات بتفرد ربٍ خالق عظيم يرأس سائر المعبودات

ولما ازهرت الفلسفة بين اليونان نهض من حكمائهم جماعة خاضوا غمار البحث العقلي فاتصلوا الى تأييد الوحدانية كما ترى في كتابات فيثاغورس واناكساغورس وسقراط وافلاطون. وكما حدث لبعض حكماء الهند والصين. ثم ظهرت المسيحية فأيدت هذا المبدأ العظيم وانتشرت دعاتها في الارض تدعو الناس الى الايمان ومن اعظم مؤثرات الدين في اظهار رقيّ الانسان بناء المعابد فترى الآثار القديمة دالةً على مبلغ حضارة عبَّاد الارباب الجمة ليس فقط بين النهرين وفي بلاد فارس ومادي ومصروفينيقية واليونان والرومان بل في كل موضع عبدت فيهِ المعبودات

وبناء هذه المعابد اقتضى معرفةً بهندسة البناء والمتصل بنا من آثارها يدل على التمكن من اصولها والتفنن فيها وانها لما بلغت الى الزمن اليوناني زادت اتقاناً ورواء

وزخرف المعابد وقيام التماثيل للارباب المعبودة ادّى الى اتقان الحفر والنقش والتصوير وتلك كلها فنون لا يمكن اتقانها ما لم تسبق بمعارف جمّة

مسلمو روسيا والمؤتمر الاسلامي

قدم العاصمة في الشهر الماضي رجل كبير الهمة واسع الاطلاع من مسلمي روسيا اسمهُ اسمعيل بك غصبرنسكي وهو صاحب جريدة "ترجمان" التركيَّة التي تطبع في بلاد القرم وغرضهُ دعوة المسلمين من كل الاقطار الى عقد مؤتمر اسلامي عام. فالقى خطبة نفيسة في هذا الموضوع في اول نوفمبر في الفندق المعروف بالكونتننتال على جمع كبير من العلماء والكبراء القاها باللغة التركيَّة ثم تليت ترجمتها العربيَّة وهذا نصها

شيءٌ من احوال المسلمين في البلاد الروسية

نشأت لمسلمي روسيا في الازمان السالفة دولتان كبيرتان. احداهما دولة "آلتون اوردو وكانت عاصمتها مدينة «سراي» قرب بحر قزوين والاخرى الدولة التيمورية. ولما سقطت هاتان الدولتان الكبيرتان وقامت على انقاضهما خانات (امارات) صغيرة متعددة وهي امارة سيبيريا وامارة قزان وامارة استراخان وامارة قريم وامارات القافقاس نشأت في آسيا الوسطى امارات بخارى وخيوى وخوقند وعدة جمهوريات صغيرة — اذا صح هذا التعبير — في تخوم الدولة الايرانية الشمالية

ثم دار الزمان دورتهُ وقدر لامارتي بخارى وخيوى ان تصيرا داخل حدود الممالك الروسية وتدخلا تحت حمايتها. واما بقية الامارات فقد استولت عليها الروس استيلاء كاملاً وصارت الآن ولايات روسيَّة صرفة

اول الامارات سقوطاً امارة قزان وسيبيريا واما الجمهوريات التركمانيَّة فلم تخضعها روسيا الاَّ في العهد الاخير

نزل معظم مسلمي روسيا في آسيا وفي القافقاس وقسم عظيم منهم يقطنون الولايات الداخلية والشرقية من اوربا الروسية وقليل في شبه جزيرة قريم

وعدد المسلمين الساكنين في القافقاس الشرقية وداغستان وفي تركستان تسعون في المائة بالنسبة لغيرهم من الشعوب هناك. واما في سيبيريا فهم الاقلون. والساكنون منهم في الولايات الشرقية من اوربا الروسية يختلطون بالروس وسائر الاجناس. وهم الاكثرون في ولاية أوفا اذ هم هناك سبعون في المئة بالنسبة لغيرهم

واما عدد مجموعهم فيناهز — بحسب احصاء سنة ١٨٩٧ — سبعة عشر مليون نسمة. واذا ضممنا اليهم أهل بخارى وخيوى جاوز عددهم ٢٠ مليوناً

ولا ينبغي ان يفوتنا العشرة الملايين من الترك الساكنين في تركستان الصينيّة (كشغر) الذين تجمعهم ومسلمي روسيا أواصر اللغة والآداب وبذلك تألف هناك " مجتمع جنسي " مؤلف من ثلاثين مليون نسمة تسعة وعشرون من هؤلاء سنيون ومليون واحد شيعة . واما من حيث الجنسية واللغة فكلهم ترك سوى ثمانمائة الف من قبائل الشراكسة القاطنين في جبال القافقاس ولهم مع ذلك المام باللغة التركية

يشتغل مسلمو روسيا بالزراعة وتربية المواشي وبالتجارة بحسب ما تسمح لهم مواطنهم . وكانت لهم في سالف الايام صناعات تذكر ولكنها اخذت تسقط رويداً رويداً من مكانتها الاولى بمزاحمة مصنوعات المعامل الاوروبيّة الحديثة كما هي الحال في الاقطار الاسلامية قاطبة . والقريميون منهم معروفون بتعهد البساتين وانماء الفواكه المختلفة الطيبة

والقوقاسيون أو القافقاسيون يشتغلون في الغالب بتربية دود القز وصنع البسط والطنافس الجيدة . وقد انتشرت بينهم في العهد الاخير زراعة القطن انتشاراً عظيماً

وأما التركستانيون فيقومون على تربية دود القز وانماء الفواكه وزراعة القطن

والجهات الشمالية من آسيا الوسطى عبارة عن القفار والاراضي القاحلة و يندر فيها الماء العذب السائغ وتتقلب في ارجائها قبائل رحالة بمواشيها وانعامها

في ولايات اوربا الروسية والقوقاس اربع مشيخات اسلامية . ثلاث منها للسنيين وواحدة للشيعة . ولدى كل مشيخة مفتٍ (او شيخ اسلام) وثلاثة قضاة او اعضاء وتنظر هذه المشيخات في الامور الدينية البحتة كالنكاح والطلاق والمواريث والنسب وتقسيم التركات وتوزع السجلات على أئمة المساجد كي يثبتوا فيها المواليد والوفيات وعدد الطلاق والنكاح وما اليها مما يقع في احيائهم

وتقسم التركات الاسلامية في روسيا على وفق الشريعة الاسلامية . وكذلك الوصايا الاسلامية لا يمسها القانون الروسي بسوء

في كل قرية اسلامية — في اوربا الروسية وفي القريم — مسجد وكتّاب . واما القرى الكبرى ففيها عدة مساجد وعدة كتاتيب

وفي اوربا الروسية والقوقاس سبعة آلاف مسجد وثمانية آلاف كتّاب وما ينيف على مائة مدرسة دينية . واكثر مسلمي روسيا عناية بأمور التعليم والمدارس المسلمون الساكنون في الولايات الداخلية الروسية

وعدد المتعلمات من البنات في الكتاتيب يساوي ثلث المتعلمين من الذكور . ومما يحسن

ذكرهُ هنا ان جماعة من الفتيات المسلمات يتعلمن في مدارس البنات التجهيزيَّة الرسمية . وكذلك نتعلم اليوم في القسم الطبي من جامعة بطرسبورغ اربع عشرة فتاة مسلمة . واكملت دروس الطب فيها فتاتان مسلمتان وهما تمارسان اليوم صناعة الطب . وكان دخول السيدة « رضية » احدى تينك الطبيبتين هذه الجامعة بسعي المرحوم شاكر باشا السفير السابق للدولة العثمانية في بطرسبورغ

وليس لديَّ الآن تفصيل بشأن الكتاتيب والمدارس الاسلامية في آسيا الروسيَّة ولكني اعلم ان المدارس الدينية كثيرة ملأى بطلاَّب العلوم في مدينة بخارى وخوقند وسمرقند وغيرها من حواضر البلاد التركستانية

واني لا اتمالك ان اذكر هنا بكل اسف ان تلك المدارس لا تبرح تسود فيها الفوضى والخلل في طرق التعليم . ومن اجل ذلك لا تأتي بفوائد يقتضيها هذا الزمان . ونطاق برجراماتها ضيّق من افكار الاساتذة القائمين فيها بالتعليم والتدريس

وليس عندنا الى الآن مدارس للعلمين والمعلمات ولكن فكرة انشاء المدارس من هذا القبيل قد حدثت في العهد الاخير

انتشرت بين مسلمي الروس فكرة الارتقاء والتمدن منذ ربع قرن انتشاراً يذكر . ومن ثمرات هذه الفكرة انهم جعلوا في العهد الاخير يصلحون كتاتيبهم ومدارسهم وينشرون المؤلفات المفيدة في العلوم العصرية والادبيات التركية وطفقوا ينشئون المعاهد العلميَّة على الطراز الحديث ويرسلون التلاميذ الى المدارس الروسية والاوربية والى الاستانة ومصر لتلقي العلوم الحديثة العصرية والعلوم العربية والدينيَّة

ويناهز عدد الكتب المنتشرة بين مسلمي روسيا في العلوم العصرية والادبية نحو خمسمائة كتاب وعدد المطابع الاسلامية الموجودة في روسيا كما يأتي :

ثلاث في بطرسبورغ وثلاث في قزان واثنتان في تفليس واثنتان في باكو وواحدة في باغجه سراي . وفي قزان ثلاث مطابع روسية ذات حروف عربية فيكون المجموع ثلاث عشرة مطبعة . واما الصحف الاسلامية المنتشرة في البلاد الروسية فهي صحيفتان في بطرسبورغ واربع في قزان وثلاث في اورنبورغ وثلاث في باكو وواحدة في طاشكند قاعدة تركستان اليوم وواحدة في تفليس وواحدة في باغجه سراي . واحدة من هذه الصحف تصدر باللغة العربيَّة والبقيَّة بالتركية . واحدى الصحف التركية تكتب بلهجة تقرب من لهجة الترك العثمانيين والبقية تكتب الآن بلغات تركية مختلفة باختلاف الاقاليم . والرجاء ان تتحد

لغات هذه الصحف او لتقارب كل التقارب في مستقبل قريب او بعيد. وهذا الاتحاد اللغوي غاية ما يرمي اليه المصلحون والمنورون منا

وثلاث صحف من تلك الصحف علمية ادبية . والبقية سياسية واما من جهة الخطة فثلاث عشرة صحيفة منها وطنية معتدلة واثنتان ترميان الى غاية « اشتراكية ديمقرطية » وفي روسيا اثنتاعشرة جمعية خيرية اسلامية غرضها اسعاف المعوزين والاخذ بايدي البائسين والمساكين ولها قوانين مصدق عليها من الحكومة

ويتجاوز عدد الكتاتيب التي اصلح امرها الف كتاب تعلَّم فيها القراءة التركية والكتابة والقرآن والعقائد الدينية ومبادئ الحساب والجغرافية والتاريخ الاسلامي وشيء من علم حفظ الصحة

واما المدارس الدينية فقد اصلحت منها مدرسة في قزان واخرى في اورنبورغ وثالثة في اوفا . وفي تلك المدارس تدرس اليوم العلوم الرياضية والطبيعية وتقويم البلدان والتاريخ عدا العلوم العربية والدينية بانواعها

ولقد نشأ لمسلمي روسيا افراد جادوا باموالهم وانفس املاكهم في سبيل ترقية المعارف واعلاء قدر الامة والملة . واخص منهم بالذكر المرحوم الحاج نعمة الله قراميشف السيبيري الذي بذل اموالاً طائلة في سبيل انشاء مئة كتَّاب ومئة مسجد . وأنفق مبلغاً عظيماً لتأسيس مكتبة عامة اودعها انفس الكتب واندر الآثار . اكرم الله مثواهُ واحلهُ مقاماً كريماً . وانفق التاجر القزاني المرحوم احمد الحسيني في انشاء معاهد العلم وترقية المعارف ثلثمائة الف روبل . وانشأ شقيقهُ عبد الغني الحسيني مئتي كتَّاب على نسق حديث وقد نشر بهمتهِ الشماء فكرة اصلاح الكتاتيب وكذلك الاصول الحديثة المعروفة بالاصول الصوتية التدريجية الى تخوم الصين . وذلك بانشاء الكتاتيب في تلك الديار النائية كما انشأها في الولايات الروسية المتوسطة . جزاهم الله عنا وعن العلم والفقراء جزاء حسناً

ومن تقضي علينا الانسانية ان نذكر اسمهُ مقروناً بالاجلال والاحترام الحاج زين العابدين تاغييف الباكوبي لان خدمة هذا المثري الكريم في سبيل نشر العلم واسعاد الفقراء اكثر وأجزل . انشأ هذا الرجل في داغستان مائة مسجد ومائة كتَّاب . وانشأ في ضواحي مدينة باكو حقلاً انموذجياً . وانشأ للدفاع عن الحقوق الوطنية جرائد متعددة باللغة الروسية والتركية . وبذل ملايين من الروبلات لتعليم اناس كثيرين في الجامعات الروسية والاوربية . وما معظم الاطباء والمحامين والمهندسين المسلمين الذين نفتخر بهم الآن من آثار همة هذا الرجل

الكريم . ولم ينس هذا الرجل العظيم المسلمات ايضاً فقد انشأ في مدينة باكو مدرسة فاخرة للبنات انفق على بنائها فقط عشرين الف جنيه . ووقف عليها وقفاً يأتي بايراد قدره ثلاثون الف جنيه سنوياً ولا يبعد ان تصبح هذه المدرسة ذات يوم "المدرسة الجامعة" للاناث

ولم يجتزئ هذا الرجل بمساعدة من في روسيا فقط بل مد يد المعونة الى ايران ايضاً . وقد طبعت هناك كتب جمة على نفقة هذا الرجل الكريم . ويقدَّر ما ساعد به المنكوبين والبائسين في البلاد الفارسية بمليون روبل وزيادة

ايها السادة : شاركوني في الدعاء لهذا الرجل الناصح للانسانية والخادم للفضيلة . اطال الله بقاءه وحفظه من كوارث الزمان . واما الاغنياء الذين انشأوا كتاباً او كتابين ومدرسة او مدرستين فهم كثيرون جداً يتعذر عليَّ الآن احصاؤهم . وما الخطوة التي خطوناها الى الامام في ميدان التقدم الا بفضل هذه الكتاتيب والمدارس التي أُسست ووصلت بهمة أمثال من ذكرنا أسماءهم من اولي الهمم العالية الى ما وصلت

وها قد آن لنا ان نوجه وجه الكلام الى الامور التجارية والاقتصادية

ان لدى المسلمين الساكنين في آسيا الوسطى واوربا الروسية قوة تذكر في هذا الشأن. ولكنهُ لا بدَّ من اعدادها وتنميتها بنشر العلوم والمعارف بينهم . لان الاقوام الذين يتفق للمسلمين ان يباروهم في ساحة الاعمال التجارية أشداء اقوياء في ما يمارسون . فلمسلمي روسيا — عدا من يسكنون منهم الولايات الداخلية — من الاراضي ما يكفيهم للاستغلال. وقد تولدت بينهم فكرة الحرص عليها وعدم تمكين الآخرين منها تولداً يبشر بحسن المغبة ان شاء الله . واهل تركستان بارعون جداً في امور الفلاحة والزراعة . لا يقدر على نزع الارض الغالة من أيديهم — من الوجهة الاقتصادية — لا الروس ولا مهاجرو الالمان . وهم يكدحون في أمر الزراعة كدحاً لا يعرفون فيه الملل والسآمة . فهم يشبهون من هذه الوجهة كل الشبه المصريين . ولكن اراضيهم الغالة اكثر وافسح بكثير بالنسبة الى القطر المصري . ونصف القطن الذي تحتاج اليه معامل المنسوجات الروسية يرد من الخارج واما النصف الآخر فهو ثمرة كدح اهل تركستان وحدهم . فزراع القطن في تركستان يجلبون من روسيا الاوربية الى بلادهم مبالغ طائلة

واما المسلمون القاطنون في مدينة قزان وما يتاخمها من البلدان فلهم كثير من معامل الصابون والجلد . ومن معامل الجوخ ما فيه ثلاثة آلاف عامل . ومن جملتها معامل "آلجوربن" المثري المسلم الشهير . وتبيع هذه المعامل سنوياً للجيش الروسي من الجوخ

ما يناهز مليون متر . وللثري الشهير الحاج زين العابدين تاغييف الذي تقدم ذكره معمل للمنسوجات القطنية فيهِ اربعة آلاف عامل . واكثرهم من المسلمين وكذلك المهندسون وزعماء العمال فيهِ . واما مديره فكان من قبل انكليزيًا ولم تبق اليوم حاجة الى الانكليزي اذ جعل صاحبهُ يديره بنفسهِ

وهناك بيوت تجارية اسلامية كبيرة تشتغل باستخراج النفط والبترول يبلغ ما يتعامل بهِ احدهم عشرة ملايين روبل

واكثر السفن التي تسير في بحر قزوين ملك للمسلمين

والفواكه الطيبة التي تتفكه بها روسيا كافة يؤْتى بها من بساتين المسلمين في القريم

لا يظنن ظانٌ ان ذلك ارتقاء عظيم وتقدم عميم . لان كل ما ذكرناه عن مسلمي روسيا هو شيءٌ طفيف تافه جدًّا بالنسبة الى الامم الراقية الحية التي تخطو في مهيع التقدم والارتقاء بخطى الجبابرة وتسير في سبيل الخير والصلاح بعزم شديد . ولكنهُ لا ينبغي لنا ان نيأس ونتقاعد عن النظر في ما يرقي شؤُوننا ويصلح حالنا اذ كل من سار على الدرب وصل

ولا شك ان مسلمي روسيا يستفيدون ويفيدون من الانقلاب الذي حدث في روسيا ومن دستورها الذي هو ثمرة ذلك الانقلاب استفادة كبيرة . وقد تنبهت افكار الامة في السنين الثلاث الاخيرة تنبهًا عظيمًا واتسع نطاق الآمال اتساعاً جسيماً . حقًّا ان انقلاب روسيا اثر تأثيرًا يذكر في مسلمي روسيا واتاهم بفوائد جمة . ولست الآن بمكتف بتعداد تلك الفوائد جملة بل احب ان اذكر هنا اهمها واعودها عليهم بالفائدة

ايها السادة : ان مسلمي روسيا انشأُوا لانفسهم حزبًا سياسيًا دستوريًا ديمقراطيًا باسم "اتفاق مسلمي روسيا" فاجتمع مندوبو المسلمين في الولايات المختلفة في اغسطس سنة ١٩٠٥ في مدينة "نيجني نوفغورد" غير ان الوالي لم يسمح بعقد الاجتماع رسميًا . ولم يكن الوقت ليتسع لتحصيل الاذن من العاصمة . فعقد المندوبون اجتماعهم على ظهر باخرة استأْجروها للتنزه عليها في نهر "فولجا" . فقرت الآراء في ذلك الاجتماع على انشاء (حزب اتفاق المسلمين) وانشاء فروع لهُ في الولايات للذب عن حقوق المسلمين السياسية والاقتصادية والادبية

وقد انشئت لهذا الحزب الذي يتقوى يوماً فيوماً فروع في بعض الولايات بالفعل ورفعت قوانينها الى الحكومة لتصادق عليها . وكذلك عقد المسلمون سنة ١٩٠٦ اجتماعاً غير رسمي في بطرسبورغ وآخر رسمياً في "نيجني نوفغورد" وبلغ عدد الحاضرين في الاجتماع الثالث سبعمائة رجل وامتدت مدة المفاوضة والمناقشة خمسة ايام

وبفضل هذه الاجتماعات انتشرت الافكار السياسية بين المسلمين انتشاراً زائداً فتسنى لهم ان ينتخبوا منهم اربعة وعشرين نائباً للدوما الاولى و ٣٦ نائباً للدوما الثانية . ولا يسعنا هنا الا الاعتراف بان هذا النجاح الباهر في الانتخاب في تينك المرتين لم يحصل بهمتنا فقط بل كان فيهِ للقوانين العادلة ومعاملة احرار الروس لنا معاملة شريفة وتأثير كبير لا ينكر

نعم ان احزاب التقهقر من الروس ينظرون الى " اتفاق المسلمين " نظر المغتاظ المستشيط ولكنهُ غير خارج عن دائرة القانون حتى تكرههُ الحكومة وليس حزباً يسعى لايقاع التفرقة بين الرعايا الروسيين حتى ينفرمنهُ الاحرار من الروس . ومما يحسن ذكرهُ هنا ان المسلمين يعيشون مع الروس على غاية من الوفاق والوئام . وامة الروس كثيرة الجنوح الى الائتلاف والسلام . وهم لا ينظرون الى المسلمين نظر المتهن المزدري بل يعاملونهم معاملة القرين لقرينهِ وابواب الجمعيات العلمية والادبية والاندية والمدارس كلها مفتحة في وجوه المسلمين اذا هم رغبوا في اللحاق باهلها

نعم قد حدث في الايام الغابرة بتأثير الكنيسة وجماعة المبشرين بعض الحوادث المؤلمة ولكنها قد زالت اسبابها بعد ان اعلنت الحرية كل الزوال ونؤمل ان تحسن احوالنا في المستقبل اكثر مما تحسنت . رأينا كثيرين ممن اكرهوا زمن الاستبداد على التنصر قد عادوا الى الاسلام وكذلك انتحل الاسلام اناس من الروس الاصليين رجالاً ونساء . والفضل في ذلك كلهِ للحرية التي ترقى بها الامم وتكمل الانسانية

مسألة التعليم العام

اذا ارادت معظم امم الارض ان تدخل في دور التمدن والرقي يكفيها النظر في مستقبلها فقط وعلى العكس من ذلك الامة الاسلامية فانها مطالبة بان تمد بنظرها الى الماضي ايضاً فليس للامم الاخرى في غابر ازمانها ما يستدعي الالتفات نحوهُ . اما الامة الاسلامية فان اعوامها السالفة كلها عبر وحسنات رقي ونجاح . ولما كانت الامة الاسلامية الحاضرة تمتاز على غيرها في هذا المبدإِ فلا بأس من ان تعيد نظرة الى الوراء خصوصاً في مسألة التعليم وانشاء المدارس

ان مصر هذه التي تعد منبعاً للمعارف ومهداً للمدنية وان كانت في سالف ايامها اي منذ ٤٠ قرناً اشتهرت بارتقائها في العلوم الا ان هذه النعمة ما نفعت اذ ذاك غير كونها آلة لتوسيع نفوذ طائفة الكهنة وواسطة لتقوية اهوائهم

ثم انتقلت القراءة والكتابة الى ديار اليونان فظهرت فيها عدة مجامع علمية كمدارس

سقراط وافلاطون وارسطاطاليس الأ ان هذه المجامع لم تكن على شكل مدارسنا اليوم · بل كانت اشبه بمدارس المذاكرة خاصة يختلف اليها المولعون بالبحث والمناظرة واعني بذلك انها لم تكن عامة للتدريس يهرع اليها كل طالب · وانتقلت المدنية اليونانية بعد ذلك الى الرومانيين ثم ظهرت النصرانية بظهور الدولة القسطنطينية فتقدمت معها قوانين ادارة الملك وعلم الحقوق تقدماً عظيماً ولم تنتبه فيهم ايضاً فكرة تعميم التعليم فبقيت هذه المسألة غامضة غريبة عن الافكار الى ان قيض الله تعالى للعالم الانساني الامة الاسلامية التي اهتدت الى هذه الفكرة لاول وهلة فاخذت مسألة التعليم العام بسبب عنايتها حظها من التوسع والانتشار

ومنشأ ذلك الاسلام نفسهُ لانهُ كما اتى بالتوحيد اتى بما يدعو الى وجوب تعليم العالم · فلقد كان من مقتضى ذلك ان المسلمين بنوا عند كل معبد تقام فيهِ الشعائر الاسلامية كتاباً او مدرسة للتعليم العام مجاناً · فاصبح التعليم العام او التعليم المجاني من جملة الخيرات التي انتجتها المدنية الاسلامية في العالم الانساني · ثم لم تلبث هذه النعمة العظمى في ايدي المسلمين زمناً طويلاً حتى انتقلت منهم الى الامم الغربية وهناك نالت ما نالت من الحفاوة والاجلال فتقدمت تقدماً باهراً وانتشرت انتشاراً عظيماً

فوا أسفاه على هذه الخسارة التي لحقت بنا ووا أسفاه على ذلك الاهمال الذي افضى بنا الى ضياع هذه النعمة من ايدينا بعد ان ورثناها عن آبائنا . لقد قصرنا في حفظها تقصيراً لا مزيد عليهِ · فالمعارف التي تركها لنا الاسلاف بقيت طفلة في مهدها ولم نعمل على انمائها بل المدارس والمعاهد العلية التي هي تذكار المتقدمين لنا لم نسعَ في ترقيتها فبدل ان نعمرها ونرفع اعلام مجدها السابق سعينا في تخريبها او هدمها

ان تلك المعاهد العلمية التي نشأ منها امثال ابن سينا والفارابي وابن رشد والغزالي ومحيي الدين بن العربي اصبحت منذ عدة قرون دوراً للعجزة الضعفاء ومسكناً للمعطلين

ولم يكن السبب في حالتنا هذه الأ التكاسل والاهمال الذي اسبل ستار الغفلة علينا وحال دون تنبهنا الى حالة الامم الاخرى

اما الآن فقد اقبل ولله الحمد والثناء على الامة الاسلامية دور التيقظ فأخذت الرغبة في التعليم تتولد في كل جهة من الممالك الاسلاميّة فاصبحنا نسمع صدى بعض الافراد والحكومات للتفكير في شؤون التعليم والمدارس ولكن ذلك من سوء الحظ لم يبلغ الخطة المطلوبة · نحن معشر المسلمين منذ ثمانية قرون قد تركنا لاهالي اوربا غنائم كثيرة وخزائن من المعارف ولم نطالبهم اثناء هذه المدة بردها الينا . ولكن قد حان الآن وقت الاعادة

فعلينا ان نستردها منهم استرداداً يحمل ما توفر لديهم حتى الآن من اثمانها . ولا يقال هنا ان الشرق مدين للغرب اذ ليس هو مديناً الاّ بالذهب الذي لا يساوي شيئاً اذا قيس بالعلوم والمعارف التي هي حقوق الشرق على الغرب فدَيْن الغرب لنا اعظم بكثير من ديننا لهُ وعلى الدائن ان يطالب المدين

وليست هذه الكلمات من بنات افكاري الخاصة كلاَّ بل يقولها فولب المتفنن الالماني ودرابر العالم الامريكي وما سأعرضهُ ايضاً مما يثبتهُ تاريخ التعليم

لا ينكر اليوم احد من العقلاء المستنيرين ضرورة التعليم العام للنوع البشري وخصوصاً للامة الاسلامية فان ديننا القويم يقضي علينا بتصديق هذا الامر وقبوله وابرامهِ ووضعهِ موضع الاجراء . وفي نظري ان هذا الامر ليس من قبيل المسائل الخلافية حتى يتناقش فيهِ بل هو امر ديني قطعي فما علينا الاّ ان نتناقش في كيفية اجرائهِ وايجاد الطرق القويمة الموصلة الى هذا المقصد لتعجيلهِ فقط

ولقد اثبتت تجارب اعظم الامم المتمدنة في هذا العصر انهُ لا يمكن تعميم التعليم ونشرهُ الاّ بوجود كتَّاب واحد لكل ستين اسرة من الامة

واما طريقة اجراء العمل فتكون بحسب الميزان الآتي : —

لو فرضت مملكة من الممالك يسكنها نحو عشرة ملايين نسمة فمقدار ما يلزمها من الكتاتيب يتعين بقسمة هذه العشرة الملايين على خمسة ثم نقسم الحاصل وهو مليونان على ستين فيبلغ عدد الكتاتيب على هذا الحساب نحو ثلاثة وثلاثين الفاً وهذا هو المقدار الكافي لعشرة ملايين نفس

فلو بلغت مصاريف كل كتَّاب مع نفقات الادوات ومرتبات المعلمين نحو ٤٠ جنيهاً في السنة يكون المجموع ١٣٢٠٠٠٠ جنيه . فاذا اضفنا اليهِ مبلغ ٢٠٠٠٠٠ جنيه وهو ما يلزم للانفاق على ادارة تلك الكتاتيب وغيرها من مدارس المعلمين بلغ ما يلزم للتعليم الابتدائي العام مليون ونصف من الجنيهات سنوياً

وهذا لاشك مبلغ جسيم الا انهُ لاينبغي ان يروعنا بجسامتهِ . لان الفائدة التي نستفيدها من هذا المشروع مادية كانت او معنوية اعظم وارقى بكثير من ذلك المبلغ . فما نسبة مبلغ ١٥٠٠٠٠٠ جنيه لعشرة ملايين نسمة الاّ نسبة جزئية جدًّا تقضي بدفع ١٥ قرشاً على كل نفس في السنة او ٧٥ قرشاً على كل اسرة . وربما يقال هنا ان طائفة العمال لا يستطيعون دفع ذلك . فنقول كلا لاننا لو فرضنا ان عاملاً يشتغل في السنة ٣٠٠ يوم فيكون حاصل

قسمة ٧٥ قرشاً عليها مليين ونصفاً فقط وهو ما يطالب باقتصاده من مكسبهِ اليومي الذي لو بلغ خمسة قروش مثلاً لا يكلفهُ اخراج ذلك منهُ الآن يتنازل عن فنجان من القهوة يتناولهُ يومياً وعن سيجارتين على الاكثر

فبقي علينا ان نبحث في النفقة اللازمة لبناء هذه الكتاتيب فاذا فرضنا ان نفقة بناء كل كتّاب على حدتهِ هو ١٥٠ جنيهاً تبلغ نفقات ٣٣ الف كتّاب ٥ ملايين من الجنيهات · وحينئذٍ نقع في مشكلة عظمى ايضاً وهي خلو اليد من النقود · فما الحيلة ؟ الجواب سهل وهو ان الامة ما دامت حية فالنقود توجد او لا بد من وجودها

النقود التي وجدت عند تأسيس الاهرام الجسيمة لِمَ لا توجد لبناء المدارس ؟ واذا كان يجوز للامم الحية اقتراض المال لانشاء السكك الحديدية والبرازخ والترع فلماذا لا يجوز اقتراضها لانشاء المدارس ؟

هذا وهناك طريقة اخرى لسهولة اجراء هذا المشروع وهي تجزئة مدة العمل الى عشر سنين لانهُ من البديهي ان مثل هذه المشروعات المهمة لا تتم دفعة واحدة كما انها لا تتم الا باكتساب ثقة الامة ورغبتها في المشروع

الحاجة الى مؤتمر اسلامي عام

نرى المسلمين اليوم تنبهوا بعض التنبه في الاقطار الاسلامية كافة وهبَّ فضلاؤهم لانشاء الصحف والجرائد التي لها اثر عظيم في تنبيه الافكار والارشاد الى الخير والصلاح ونسمع ان مسلمي بعض البلاد ينشئون جمعيات خيرية وعلمية · هذه علائم خير تقر بها عين كل ناصح للانسانية ولكن لا يجوز لنا البتة ان نجتزئ بهذه العلائم الحسنة ثم نخلد الى الدعة والكسل · فالمستقبل الحسن لمن يدأب و يعمل · لا جرم ان المرء يرى اذا جال طرفهُ في الاقطار الاسلامية من مدينة قزان الشماليّة الى مصر الجنوبيّة ومن مراكش المغربيّة الى جاوى المشرقيّة علائم الانحطاط اكثر من علائم الارتقاء

فقد عادت معظم المدارس مثابة للعاجزين والبطالين · ودثرت الصناعات الوطنيّة او اشرفت الى الدثور واصبح حظنا قليلاً من تجارة العالم و يدنا شثلة في الصرف والشؤون المالية ونصيبنا عدماً في التجارة البحرية · وليس لهذه الامة التي ينيف عددها على ثلاثمائة مليون شركة مؤلفة من ثلاثين سفينة كما انها لا تملك مصرفاً رأس مالهِ خمسة ملايين جنيه مثلاً

ليس في ايدينا ما نعيش بهِ غير الاراضي الخصبة التي ورثناها عن آبائنا · تأتي لنا هذه الاراضي بالقمح والفلفل والبن والقطن والقز والفواكه وغيرها · ولكننا نجهل اساليب بيع

هذه الغلات يعاً رابحاً . ويذهب جزء عظيم من ربح تلك الحاصلات من ايدينا الى ايدي التجار الاجانب وجزء عظيم الى شركات تسيير السفن الاجنبية

ولا تكاد تجد تاجراً مسلماً في جميع البلدان الاميركية والاوربية الاَّ في النادر واذا رأيت هناك تاجراً شرقياً فهو اما ارمني او رومي او يوذي او هندي او صيني

اذا صرفنا النظر عن التجارة الخارجية فما بالنا لا نعمل في بلادنا ايضاً . ها نحن نرى معظم التجارة المهمة في البلاد العثمانية والايرانية ومصر والمغرب الاقصى والهند بايدي النزلاء الذين يتقاطرون الى البلاد الاسلامية من اقطار العالم المختلفة

نحن لا نفتأ نقول : امطرت السماء فشربنا وانبتت الارض فاكلنا ولكن ينبغي لنا ان نعرف اننا وان عشنا على العمل بهذه القضية في الايام الغابرة يستحيل ان نبق بها فيما نستقبلهُ من الايام

اذا فقدت امة من الامم استقلالها ووقعت تحت حكم الاجنبي فانها تخسر خسراناً مبيناً غير ان هذا الخسران لا يقام لهُ وزن — في مذهبي — في جانب الخسارة التي تخسرها الامة التي تقاعدت وتواكلت ثم سقطت من مكانتها في ميدان العمل والاقتصاد

وما هو السبب في هذه الحالة الاليمة التي وقعت فيها الامة الاسلامية ليس لنا ان نقول : ان السبب هو الجهل ثم نسكت اذ يرد عليهِ سؤَال آخر وهو : وما هو سبب الجهل ؟

اذا اغضي عن ترقي الامم الافرنجية الاَّ يجب على كل مسلم ناصح لامتهِ ان يسأل : كيف ارتقى الارمن والروم والكرج والبلغار واليهود والهندوس الذين كانوا قبل اليوم بنصف قرن يعيشون بيننا و يشاركوننا في معظم عاداتنا وآدابنا ونحن بقينا وراءهم ننظر اليهم بعين الاعجاب

حالتنا ايها السادة مما يرثى لهُ ولكن لا يجوز لنا البتة ان نكتمها لان ذلك الكتمان هو عين الخطإ بل هو جناية عظيمة على نفوسنا . بل يحق لنا ان نجاهر بها في كل نادٍ ونسعى لتشخيص الداء حتى نصف لهُ الدواء

هل من الرأي ان يكتم الانسان مرضهُ اذا لم يكن عدوّ نفسهِ ؟ وليست مغبة من يكتم مرضهُ الاَّ الهلاك

اذا كنتم تنتظرون الجواب عن الاسئلة السابقة من الخطيب فهو يبادر الى القول بانهُ اعجز من ان يجيب على امثال هذه الاسئلة العظيمة . لانهُ يبحث عن الجواب ولا يجد

ايها السادة ان استعداد الامة العربية للمدنية قد ثبت عندنا بتاريخها المتلألئ اللامع ويرشدنا الى استعداد الامة التركية للمدنية ما تركهُ لنا علماؤُها من المؤلفات النافعة .

واطلال مرصد سمرقند تشهد بشغف هذه الامة بالعلم والعرفان . ثم الا ترى الفنلنديين والمجر يبارون الاقوام المتمدنة ويجارونهم في كل شؤونهم . ونحن نعرف ان هاتين الامتين والترك يتفرعون من اصل واحد

القصد ايها السادة من سرد جميع هذه الادلة التاريخية اثبات انهُ ليس سبب انحطاط العرب والترك اليوم نقص في فطرتهم وضعف في استعدادهم . واما الدين الاسلامي الذي ندين بهِ فهو دين يخاطب العقل ويحث على العمل والدؤوب وينوط نجاح الانسان بعملهِ . ولكن سيرتنا تخالف هذه الاصول الكريمة الدينية مخالفة ظاهرة . وما السبب في هذه المخالفة ايضاً

اني ارى ايها السادة ان الجواب على تلك الاسئلة المهمة وكشف النقاب عن اسباب انحطاط الامة الاسلامية لا يتيسر تيسراً كاملاً لفرد او فردين بل لا مندوحة للبحث في ذلك عن عقد مؤتمر اسلامي عام يجتمع فيهِ علماؤنا وفضلاؤنا ثم يتفاوضون في الشؤون الاسلامية

لا يفهمنَّ احد اني باقتراح عقد مؤتمر على هذه الصورة ارمي الى غاية " بانسلاميزم " اي الجامعة الاسلامية التي يتشاءم منها الاوربيون . وانما غرضي الوحيد من عقد هذا المؤتمر البحث عن اسباب انحطاط الامة الاسلامية وفتح ابواب النجاح في الامور الاقتصادية والاجتماعية واختيار السبل القويمة التي تصل بنا الى اخذ نصيبنا من المدنية الحاضرة الغربية

ولا تنكر انهُ كان لاكتشاف اميركا ورقي الصناعات والميكانيكات في الغرب تأثير يذكر في افتقار الشعوب الاسلامية وفقدان وجوه الكسب . غير ان العامل القوي في انحطاطها — على ما اظن — هو الجمود على بعض العادات والقواعد الواهية والاوهام والخرافات التي ورثناها عن ابائنا او تسربت الينا من الامم الاخرى بحكم الزمان . ومن اجل ذلك ابدي واعيد ان حاجتنا شديدة الى المؤتمر العام لكشف الحجب عن الحقائق

فاسمحوا لي ايها السادة والامر على ما ذكرت ان اقترح عليكم عقد مؤتمر اسلامي عام لا يتطرف قط الى البحث في الامور السياسية وتكون ابواب دارهِ مفتوحة لكل احد ممن يحبون استماع المذاكرات ونشر خلاصات المناقشات في الصحف المنتشرة وارى ان يعقد المؤتمر في عيد الفطر من السنة القادمة او بعده

ويحسن ان ينعقد هذا المؤتمر في الاستانة العليَّة او في مصر المركز الثاني . ولا ارى سبباً يحملنا على عقد هذا المؤتمر الذي يتفاوض فيهِ بالمسائل الدينية والعلميَّة في جنيف مثلاً

ايها السادة : اذا وافقتموني على هذا الاقتراح فلا بدَّ من التمهيد لهذا الامر الخطير منذ الآن . فيتحتم علينا من اليوم تأليف لجنة من العلماء والمتنورين تشتغل بهذا التمهيد مثلاً : تخبر

هذه اللجنة الحكومة المحلية بجلية الامر وتضع للمؤتمر برنامجاً اجمالياً وتعين زمن انعقاده وتتولى مراسلة من يرجعون اليها من سائر الاقطار

ولا ريب ان هذه اللجنة تفتقر الى قدر من النقود . ولكني لا اظن مطلقاً ان المانع يكون من الوجهة المالية

ومن منا يمتنع ايها السادة ان يتفضل على هذه اللجنة بما في استطاعته من المال

هل يجيب المسلمون الى داعي هذا المؤتمر؟ هذا سؤال أنا اجيب عن جزء منهُ قائلاً اني على ثقة من ان خمسة عشر او عشرين مندوباً روسياً ومن ايران يجيبون الطلب

ايها السادة : هذا ما اردت عرضهُ على حضراتكم في هذا الاجتماع وقد استوقفتكم زمناً طويلاً . فاسألكم ان تصفحوا عن هذا العاجز صفحاً جميلاً . انتهى

هذا وقد رأينا ان نلحق الخطبة بصورة اعضاء الدوما (مجلس النواب) من مسلمي روسيا كما ترى في الصفحة المقابلة وهي مأخوذة عن الصورة التي نشرتها جريدة "وقت" ويظهر منها ان كثيرين من هؤلاء الاعضاء بالزي الاوربي حتى لا يمتازوا عن الاوربيين

وقد اعجب الحضور بما تضمنتهُ الخطبة من المعاني الجليلة وكانوا يصفقون للخطيب تكراراً ثم الفوا لجنة للاهتمام بهذا المؤتمر تشمل جماعة من اكبر العلماء والوجهاء . وعند الخطيب ان العامل القوي في انحطاط الشعوب الاسلامية "هو الجمود على بعض العادات والقواعد الواهية والاوهام والخرافات التي ورثوها عن آبائهم او تسربت اليهم من الامم الاخرى بحكم الزمان" . فان كان الامر كذلك فالمسألة دينيةٌ لا جنسية ولا سياسيةٌ وعند الخطيب ان مدارها ليس على "اصول الدين" بل على "صيرة اهله" . وهذا هو عذرهُ على ما يظهر في جعل المؤتمر خاصاً باهل الاسلام مهما كان جنسهم اي سواء كانوا اصلاً من العرب او الترك او القبط او اليهود او السريان او اليونان او الارمن او الاكراد او الهنود او الزنوج وهلمّ جرّاً من الامم التي تدين الآن بالاسلام . ولا شبهة عندنا انهُ اذا نجح المؤتمر في ابطال "العادات والقواعد الواهية والاوهام والخرافات" التي اشار اليها الخطيب يزيل عقبات صعاباً من سبيل طالبي الارتقاء فلا يبقى مانع يمنع مسلمي روسيا مثلاً من مجاراة سائر سكانها ولكنهُ لا يُصلح وحدهُ حكومة مختلة . ولا بدَّ من ان يشاركهُ امرٌ آخر وهو ازالة الحاجز الذي يفصل بين ملل المملكة الواحدة بجعل الالفة بين ارمن روسيا وارمن تركيا مثلاً اشد من الالفة بين ارمن روسيا ومسلميها وارمن تركيا ومسلميها كما هي الحال الآن حتى لا تبقى

عوامل الانقسام الديني عاملة على خراب البلدان الشرقية فانهُ لو كانت الالفة بين كاثوليك المانيا وكاثوليك فرنسا مثلاً اشد من الالفة بين كاثوليك المانيا وبروتستانتها لما استطاعت المانيا ان تبقى يوماً واحداً امام فرنسا

ويا حبذا لو جعل المؤتمر غرضهُ البحث في ادواء المسلمين خاصة وفي ادواء المشارقة عامة مهما كانت مللهم فانهم كلهم من مسلمين ومسيحيين ويهود وهنود متبارون في الانحطاط اذا قابلناهم بالامم الاوربية الراقية

عيون التلامذة

اشرنا في الجزء الماضي الى هذه المقالة ولما كانت فائدتها جزيلة ومعرفة ما فيها لازمة لكل الوالدين وارباب المدارس ولكل مَن يضنُّ بعينيهِ ان يضعف بصرهما رأينا ان نلخصها في ما يلي

قال الكاتب ان الحيوان يشعر بما يتصل بهِ بحاسة اللمس ويميز طعمهُ بالذوق ورائحتهُ بالشم وصوتهُ بالسمع . والحاستان الاخيران تشعران برائحة الجسم وصوتهِ ولو كان بعيدًا عن صاحبيهما بعدًا غير شاسع فيشعر الحيوان بما يتصل بهِ وبما هو قريب منهُ بهذه الحواس الاربع وتبقى حاسة البصر للشعور بالاشياء البعيدة فاذا دنت الاعداء منهُ فقد لا يسمع صوت مشيها ولا يشم رائحتها اذا جاءتهُ على ضد الجهة التي تهبُّ منها الريح فتفتك بهِ قبل ان يتقي شرَّها لولا حاسة البصر التي يراها بها وهي بعيدة عنهُ ولذلك لحفظ الفرد والنوع يتوقف على حدَّة البصر ورؤْية الاجسام البعيدة وعليهِ تكون العينان موهلتين لرؤْية الاجسام البعيدة اكثر مما هما موهلان لرؤْية الاجسام القريبة لان بقاء الاصلح من الحيوان في الجهاد العام اقتضى ذلك

ينتج مما تقدم انهُ اذا كانت عينا الانسان في حالتهما الطبيعيَّة فهما محكمتان لرؤْية الاجسام البعيدة فاذا اراد ان يرى الاجسام القريبة اضطرَّ ان يجهدهما اي ان يقبض العضلات الهدبيَّة والعضلات التي تحرك كرة العين حتى يرى جليًّا

هذه حالة الانسان الفطرية اي ان عينيهِ مخلوقتان لرؤْية الاجسام البعيدة ويستطيع ان يحكمها لرؤْية الاجسام القريبة . فيرى الاجسام البعيدة من غير جهد ويرى الاجسام القريبة بشيء من الجهد وحالما يقضي غرضهُ من رؤْية الاجسام القريبة تنبسط العضلات التي قبضها فتعود عيناهُ الى وضعها الطبيعي

وهذه حالة الاميين الآن ولقد كانت حالة الذين كبروا قبلما تعلموا اما الذين تعلموا صغارًا

او اكثروا من مطالعة الكتب الدقيقة الحروف فقد اضطرّوا ان يستعملوا عيونهم لغرض لم توضع لهُ اصلاً وهو التحديق لرؤية الحروف القريبة الدقيقة فاجهدوا عضلات عيونهم اجهاداً لم تكن معدَّة لهُ

وفي العين اجزاء اخرى غير العضلات فانها مثل آلة التصوير الشمسي تماماً فيها عدسيَّة وغرفة مظلمة ولوح حساس ولوحها الحساس هو الشبكيَّة التي في مؤخر العين . وهذه الشبكيَّة تتأثر من النور سواء كان ضعيفاً او قوياً . وللنور مقياس يقاس بهِ وهو مقدار ما يقع منهُ من شمعة عادية على سطح يبعد عن الشمعة قدماً واحدة فيقال ان قوة هذا المصباح شمعتان او عشر شمعات او عشرون شمعة اي انهُ مثل نور شمعتين او عشر شمعات او عشرين شمعة على بعد قدم واحد منها . وقد عُلم بالاختبار ان نور الشمعة الواحدة يكفي للمطالعة اذا وقع على صفحة الكتاب عن بعد قدم واحدة فاذا كان اضعف من ذلك لم يؤثر في شبكية العين التأثير الكافي للابصار فتضطر العين ان تجهد نفسها لكي ترى ما يقع عليهِ النور الضعيف . واذا كان النور اقوى من عشر شمعات فهو اسطع من ان تحتملهُ عيون كثيرة بسهولة . والكل متفقون على ان النور القليل الذي هو اضعف من نور شمعة واحدة يتعب العين ولا يكفي للابصار وان النور الساطع الذي يزيد على نور عشر شمعات على بعد قدم واحدة يتعب العين ايضاً

ويختلف لون العين باختلاف لون قزحيتها وفي القزحيَّة ثقب هو ثقب الحدقة وهذا الثقب يضيق ويتسع بحسب كثرة النور وقلتهِ فاذا كان النور كثيراً ضاقت الحدقة لكي لا يدخل منهُ الأ ما يكفي للتأثير في الشبكيَّة واذا كان النور قليلاً اتسعت الحدقة لكي يدخل منهُ ما يكفي للتأثير في الشبكية كما لا يخفى . وضيق الحدقة يكون بنسبة الجذر المالي من زيادة النور فاذا زاد النور تسعة اضعاف صار اتساع الحدقة ثلث ما كان اولاً . واذا صار النور ستة عشر ضعفاً صار اتساع الحدقة رُبع ما كان اولاً ولذلك اذا وضع امام العين مصباح نورهُ يساوي ١٦ شمعة لم يدخل العين منهُ الأ ما يساوي نور ٤ شمعات ولكن درجات النور الذي يستعمل في المطالعة مختلفة جدًّا فتتعب العين في تحكيم نفسها لهُ

وكما تختلف انوار المصابيح يختلف نور النهار حسب ساعاتهِ وحسب انتشار الغيوم في السماء . وقد وجد بالامتحان ان نور النهار يكون على اشدهِ في مدينة شيكاغو بعد الظهر بنصف ساعة فاذا حُسب هذا النور مئة فنور النهار في الساعة التاسعة صباحاً ٦٧ ونور العصر في الساعة الرابعة ونصف ٢٧ فقط اي ان النور في الساعة التاسعة صباحاً نحو ثلثي نور الظهيرة . ونور العصر ربع نور الظهيرة . هذا هو متوسط ٢٢ شهراً في تلك المدينة ولعلَّ المتوسط عندنا

في مصر والشام يختلف عن ذلك في ان نور الصباح يكون مقارباً لنور الظهيرة لان ليس عندنا دخان كثير يحجب نور الصباح كما في المدن الاوربية والاميركية ولكن نور العصر يكون ضعيفاً في الغالب لكثرة ما ينتشر في الهواء من البخار

ثم ان مقدار النور يختلف باختلاف شهور السنة فيكون على اكثره في اشهر الصيف وعلى اقله في اشهر الشتاء وهو بين بين في الربيع والخريف. وقد وجد بالاختبار ان النور في اشهر الشتاء نحو ربع النور في اشهر الصيف وعليه فنور العصر في اشهر الشتاء ضعيف جداً لا يكفي للقراءة ابداً

ولكن اذا شكا اهالي البلدان الشمالية من قلة النور فنحن اهالي البلدان الجنوبية لا نشكو من كثرة النور لما تقدَّم من ان حدقة العين لا تُدخل الاَّ مقدار الجذر المالي منهُ فاذا صار النور تسعة اضعاف ما كان اولاً لم يدخل منهُ الاَّ ثلاثة اضعاف وقد تقدَّم ان العين تحتمل النور بين واحد وعشرة فاذا زاد الاقل مئة ضعف فليس منهُ ضرر. ولكن اذا زاد عن ذلك كثيراً فنهُ ضرر لا محالة

واشار الكاتب ان لا يترك نور الشمس يقع مباشرة على مكان امام عيون التلامذة ولا توضع امامهم الواح صقيلة تعكس نور الشمس الى عيونهم. واما من جهة غرف الدرس فاشار اولاً ان تكون مساحة شبابيكها خمس مساحة ارضها على الاقل وعلو شبابيكها ثلثا عرض الغرفة

ثانياً ان يكون لون جدران الغرفة وسقفها وخشبها واثاثها مما يعكس النور المستطير كثيراً وافضل الالوان لذلك الابيض ثم الاصفر الفاتح ثم الرمادي الفاتح ثم الاخضر الفاتح ثم الازرق الفاتح ثم القرنفلي الفاتح

ثالثاً يجب ان تكون غرفة الدرس طويلة ضيقة وشبابيكها الى جهة مطلقة لا يحجبها شيء حتى يرى التلامذة منها جانباً كبيراً من السماء

رابعاً يجب ان يوضع في الشبابيك قماش ابيض من نوع المبرد الرقيق حتى يمنع دخول اشعة الشمس ولا يمنع دخول النور

خامساً يجب ان يكون في الغرفة ستائر فاتحة اللون تغطى بها الالواح السوداء حالما يقل النور

وهذه القواعد قلما تراعى في غرف الدرس فاذا كان طول الغرفة عشرة امتار وعرضها اربعة وجب ان تكون مساحة شبابيكها ثمانية امتار اي ان يكون فيها اربعة شبابيك عرض الشباك منها متر وعلوهُ متران وارتفاعهُ فوق ارض الغرفة ثلثا المتر ومع ذلك لا يتوزَّع النور فيها على السواء لان النور الذي يصل الى كتاب التلميذ القريب من الشباك هو اضعاف النور

الواصل على كتاب التلميذ البعيد عن الشباك . فقد قاس الكاتب مقدار النور في غرفة شبابيكها من جهة واحدة فوجدهُ قريباً من الشباك نحو عشرة اضعاف النور في الجهة المقابلة من الغرفة. وغطى الالواح السوداء بستائر بيضاء فزاد النور في الزوايا المظلمة خمسين في المئة اي ان النور الذي تمتصهُ الالواح السوداء تعكسهُ الستائر البيضاء ولاسيما اذا كانت صقيلة فينير الغرفة

هذا من حيث غرف الدرس ونورها نأتي الآن الى امر اهم وهو كثرة المطالعة ولا سيما مطالعة القصص فان الصغار والناس اجمع ميالون الى التفكه بالقصص وكانوا قبل انتشار الكتب ورخصها يجتمعون حول مَن يقصُّ عليهم القصص فيتفكهون بها بالسمع ولا يتعبون عيونهم اما بعد انتشار الكتب ورخصها فصار كل من يستطيع ان يشتري قصة بغرش يقرأ تلك القصة في يومهِ ويغتنم كل فرصة للقراءة فيقرأ نائماً وماشياً وراكباً وفي نور الفجر ونور العتمة وعلى نور السراج . وقد يفعل ذلك وهو صغير السن قبل ان تقوى عيناه وعضلاتهما على احتمال التحديق والتغيير والتبديل حسب درجات النور. واذا خاف من والديهِ لجأ الى الزوايا والاماكن المظلمة حيث لا يريانهِ يقرأ فيها ولذلك تضعف العينان وتصابان بالآفات المختلفة واخصها آفة قصر البصر المعروف بالميوبيا او الحسَر

وقد اثبت البحث في عيون التلامذة ان قصر البصر قلما يوجد في مدارس الارياف او الكتاتيب الصغيرة ثم يزيد رويداً رويداً في المدارس التجهيزيَّة ويبلغ اشدَّهُ في المدارس العالية ويكون على اقلهِ في الفرق الدنيا وعلى اكثرهِ في الفرق العليا عدداً وشدةً فيكون عدد المصابين بقصر البصر قليلاً في الفرقة السفلى ثم يزيد رويداً رويداً حتى يبلغ اكثرهُ في الفرقة العليا ويكون مقدار قصر البصر قليلاً في الفرقة السفلى ثم يزيد شدة في الفرَق التي فوقها حتى يبلغ اشدهُ في الفرقة العليا. فالفرقة السفلى لا يكون فيها احد مصاباً بقصر البصر ولكن الفرقة العليا يكون ستون او سبعون في المئة من تلامذتها مصابين بهِ . وهذا كان شأن تلامذة المدارس الاميركية منذ اربعين سنة وقد زاد الآن قصر البصر وصار ابكر مما كان اولاً فقد يبلغ معظمهُ في السنة التاسعة من العمر . ووجد الكاتب ان قصر البصر كان على اكثرهِ في مدرسة بلغ متوسط عدد الكتب التي قرأها كل تلميذ من تلامذتها في اثني عشر شهراً اثنين وعشرين كتاباً وكان بعضهم يقرأ في كل ساعات الفراغ ويأخذ كتابهُ معهُ الى فراشهِ فيقرأ بعضهُ قبل ان ينام ويستيقظ باكراً ويقرأ فيهِ ايضاً . والكتب التي قرأوها روايات وقصص مما يكتب لتسلية الاولاد . والصغار لا يهتمون بعيونهم ووالدوهم لا يردعونهم عن القراءة . وقد استنتج من بحث طويل ان ازدياد قصر البصر ناتج عن كثرة المطالعة بين السنة السادسة

والتاسعة من العمر . وان هذه الآفة لم تكن معروفة عند الاقدمين من اليونان وغيرهم لانهم لم يكونوا يعلّمون الولد القراءة الاّ بعد ان يصير عمره عشر سنوات حتى تقوى عيناه وتعودان غير متأثرتين كثيرًا من ضعف النور وكثرة المطالعة

واستنتج من بحثه كل النتائج التسع التالية

الاولى ان عين الانسان غير مؤهلة لان تستعمل في القراءة والكتابة والرسم مدة طويلة في الوقت الواحد

الثانية ان النور يتغير كثيرًا في اليوم حتى ان الوسائل العادية من فتح الشبابيك واقفالها لا تكفي ولا بدَّ من اهتمام خاص لجعل النور كافيًا كل مدة الدرس

الثالثة ان بناء المدارس واتساع شبابيكها يجب ان يكون حسب الشروط المتقدمة

الرابعة ان جدران غرف الدرس وسقوفها يجب ان يكون لونها باهيًا مما لا يمتص النور

الخامسة يجب ان يرى كل تلميذ جانبًا كبيرًا من السماء من مقعده

السادسة يجب ان يكون على الشبابيك ستر من القماش المبرد او ما يماثله

السابعة يجب ان يكون في كل غرفة ستائر بيضاء تستر بها الالواح السوداء حتى لا تمتص النور حينما يقل

الثامنة يجب ان تمتحن عيون الاولاد كل سنة

التاسعة يجب ان يكون التعليم بالسمع لا بالنظر في السنوات الاولى الى أن تقوى العيون وتتركز على حال واحدة وحينئذٍ يتعلم التلامذة القراءة والكتابة

وعلى كل حال لا يؤمن ضرر القصص والروايات فيجب الاقلال من قراءتها او منع قراءتها على قدر الامكان انتهى

وعندنا في هذا القطر آفة أخرى تتعب البصر وهي ان الحروف التي كانت تستعمل في المطابع المصرية كانت سقيمة وكان ترتيبها سقيمًا ايضًا فيكون الفاصل بين الكلمة والكلمة اقل من الفاصل بين اجزاء الكلمة الواحدة الاّ ان الورق الخشن الذي كان يستعمل حينئذٍ اصلح من الورق الصقيل الذي يستعمل الآن لان هذا يعكس اشعة النور فيتعب العين . واذا بحث اطباء العيون وجدوا ان الورق الخشن القليل البياض مثل ورق المقتطف اصلح من غيره لراحة العين وكذلك الحرف الاسود الواضح مثل حرف المقتطف او ما هو اكبر منهُ قليلاً . واهمّ الامور ان لا يتعلم الصغار القراءة قبلما تبلغ عيونهم حدها من النمو في السنة الثامنة او التاسعة من العمر وكل تعليم قبل ذلك تعب على غير جدوى وضرر على غير نفع

زهد الهنود وترفهم

في الهند فئة من البراهمة كهان الهنود يقضون حياتهم عراة الاجسام او يلبسون رداء غليظاً من قشور الشجر ولا يأكلون اللحم بل يقتاتون من الالبان وما صلح من نبات الارض وثمار الاشجار وقد عرفوا بالزهد فلا يأتون الفحش ولا يرتكبون المنكر ويكثرون الصوم ولا يشكون اذاةً طرّاً وهم ذوو صبر وتجلد حتى ضرب بهم شيشرون الروماني مثلاً في كلامه عن الآلام التي يقاسيها كثير من الناس بثبات عجيب قال ان في الهند حكماء يقضون ازمانهم عراة ويحتملون برد الثلج وظلمة الضباب من غير تأفف ولا ضجر واذا رأوا النار استسلموا لها فتحرق اجسامهم وهم صامتون

وقد حكى رواة حملة الاسكندر المكدوني انهُ يوم بلغ تاكسيلا من بلاد الهند رأى جماعة من هؤلاء الحكماء العراة على ما وصفناهم من الآداب والفضائل فاعجب بهم كثيراً وصحبهُ منهم رجل يقال لهُ كالانيس احبهُ الاسكندر وبالغ في اكرامهِ وكان الرجل شجاعاً فاضلاً وشيخاً نزيهاً . بلغ السبعين من سنيهِ الاَّ ان الشيخوخة وما تجلب من التعب وسوست لهُ التخلص من عناء الكبر فعزم على حرق جسمهِ والاستراحة من مضض الحياة وعين يوم الانتحار ولما جاء اليوم الموعود اجتمع الجند والقواد وجمع غفير من الناس وفي طليعتهم الاسكندر في سهلٍ فسيح قريب من بازاركاد حيث اتى ذلك الشيخ واقترب من موضع النار بجأشٍ رابط غير هيَّاب ولا وجل والقى نفسهُ في وسط اللهيب واخذت النار تلتهم لحمهُ وهو صامت لا يئن ولا يشكو . وايد فلوطرخس هذه الحادثة ثم ذكر حادثةً اخرى من نوعها وهو انَّ هندياً من هؤلاء الحكماء لحق بالاسكندر حتى اثينا وعمل هناك ما عملهُ كالانيس في الهند وان الموضع الذي احترق فيهِ لقب منذ يومئذٍ بالقبر الهندي

ولقد كان الناس يزعمون من قبل انَّ ما دوَّنهُ رواة حملة الاسكندر عن هؤلاء الحكماء وما يعملون لا يخلو من الغلو ولا يخرج عن حد الاقاصيص الموضوعة لما في تلك الحوادث من الغرابة والشذوذ عن المعروف المشاهد من عوائد الامم واعمالهم حتى دخل الافرنج بلاد الهند وافتتحها الانكليز فأمها طلاب العلم واهل التجارة ودعاة الدين من الاوربيين واخذوا في دراسة اخلاق اهلها وعوائدهم فرأوا ان ما كتبهُ المؤرخون الاقدمون لا غبار عليهِ وان الهنود ما برحوا على ما كانوا عليهِ من العوائد والاخلاق وان التمدن الاوربي لم يقوَ حتى اليوم على استئصال تلك العادة الذميمة

وخبر هؤلاء الحكماء معروف عند اليونان من قبل حملة الاسكندر قيل ان ذلك من عهد فيثاغورس يوم جاب الاقطار الشرقية وبلغ الهند واخذ عن حكمائها العلم والفلسفة على قول ولم يكن خبر هؤلاء الحكماء معروفاً لدى علماء اليونان والرومان فقط فقد اتصل تبأهم بعلماء العرب فدونوهُ في مؤلفاتهم وحسبك ما كتبهُ الشهرستاني في كتاب الملل والنحل قال ومنهم (اي من حكماء الهند) من اذا رأى عمرَهُ قد تدنس القى نفسهُ في النار تذكيةً لنفسهِ وتطهيرًا لبدنهِ وتخليصاً لروحهِ اه . وقال ابو الفداء ان الهنود يحرقون انفسهم واذا اراد الرجل منهم ذلك اتى الى باب الملك واستأذنهُ في احراق نفسهِ فاذا اذن لهُ البس ذلك الرجل انواع الحرير المنقوش وجعل على رأسهِ اكليلاً من الريحان وضربت الطبول والصنوج بين يديهِ وقد اججت لهُ النيران و يدور كذلك في الاسواق وحولهُ اهلهُ واقاربهُ حتى اذا دنا من النار أخذ خنجرًا بيدهِ وشق بهِ جوفهُ ثم يهوي بنفسهِ في النار

ومن الغريب ان الشعب الهندي على ما في طباعهِ من حب السكينة والزهد والاحجام عن اراقة الدماء حتى دم الحيوان يقدم حكماؤهُ على حرق اجسامهم تخلصاً من الضعف ووصَب الكبَر او تخليداً للذكر الطيب والصيت البعيد والاغرب من ذلك ان النساء على ضعفهنَّ الطبيعي يعفن الحياة بعد موت رجالهنَّ عن طيبة نفس فيلقين باجسامهنَّ الى النار ليصحبن ازواجهنَّ الى النعيم اقتداء باحدى نساء برهما التي احرقت نفسها يوم وفاة زوجها لتلحق بهِ الى السماء وتشاركهُ في نعيم الخلود . وقد حكي عن امرأة هنديَّة بارعة الجمال تبلغ من العمر تسعة عشر ربيعاً انها لما مات زوجها عزمت على حرق جسمها على ضريحهِ وكان يومئذٍ في مدراس مدام روسل مع زوجها الاميرال الانكليزي واسطولهُ الرامي في مياه تلك المدينة فتقدمت مدام روسل من تلك المسكينة وسألتها ان تعدل عما عولت عليهِ رحمة بأولادها الصغار ان يضنيهم اليتم فيذوقوا مرارة الحياة وهم اطفال ضعاف لا ملاذ لهم ولا معين فما اشفقت الهندية على اولادها ولا حرَّك كلام تلك السيدة فيها حنان الوالدة ولا اخفض من غلوائها شيئاً بل لبثت على عزمها واجابت مدام روسل ان الله خلق اطفالي وهو المسؤول في حفظهم ثم جعلت تعدّ لنفسها المعدات بان احضرت الحطب واضرمت النار فيهِ حتى اذا تأجج وحمي وطيسهُ القت نفسها وسط اللهيب بكل تؤدة وسكينة ولله في خلقهِ آيات

هذا من حيث زهد الهنود اما من حيث ترفهم فتاريخ الشرق مملوءٌ باخبار بذخ امرائهِ وعظمائهِ وترفهم وانهم متى ايسروا جادوا ومتى اخنى عليهم الدهر وقلب لهم ظهر المجن استناموا للفاقة والعسر . فكأن البذخ من خصائصهم والترف مما تصبو اليهِ طباعهم ألا ترى ان الامم

الشرقية الناهضة لهذا العهد بدأت تأخذ عن الافرنج اعلى اسباب ترفهم واغلاها قبل ان يستحكم في سوادها تقليدهم في مناهج الارتقاء

وهذه الهند على رحبها وكثرة ساكنيها كانت منذ عهد قريب في حال من الخمول وتضعضع الشؤُون لا يخفى على احد بحيث ضعفت قواها عن حفظ وجودها السياسي فصارت على عظمتها طعمة للانكليز الذين غلبوها بفئة قليلة من رجالهم حكموا السياسة في مغالبتها فملكوها وشرعوا منذ يومئذٍ يحسنون شؤُونها بالتؤدة والحزم لا يريدون لرقيها افراطاً يزيدها تضعضعاً ووهناً ولا تفريطاً يكثر فيها الخلل ويحط بها الى الحضيض فنالت بالحكمة لها اصلاحاً واناات الاهلين تقدماً وساد في ربوعها الامن والسلام وتدفقت عليها الثروة واليسار

وهبَّ من ملايين الهنود الوفٌ يقلدون المصلحين ويتمثلون بالسابقين في الرقي ومعدانهِ الاَّ انهم اندفعوا الى اخذ الكثير من مظاهر الترف فتراهم وقد تسهلت وسائل النقل عندهم بتأمين السابلة ومد الخطوط الحديديَّة وبناء الجسور المتينة واصلاح الطرق لسير المركبات اصلاحاً حسناً جداً يتابعون مترفي الافرنج في اختيار احدث المركوب اختراعاً واكثرهِ نفقةً بدأوا بالمركبات الحوافل والخاصة واتصلوا بالدراجات وامثالها ولكنهم بلغوا اليوم الى الاوتوموبيل يسيرونهُ في الطرق الرحبة الممتدة مئات من الاميال ويتمرنون على ادارتهِ والمسابقة بهِ حتى برع منهم كثيرون

ومما يذكر عن شأن طرق المركبات في الهند انها انشئت في بادىء امرها لغرضين مهمين اولهما تسهيل التجارة وثانيهما الاسراع في نقل المعسكر من موقع الى اخر واهم الطرق الكبرى هنالك ما امتدَّ من مدينة بشاور في شمالي الهند على تخوم افغانستان حتى مدينة كلكتا مسافة طولها تسعمئة ميل . وثمت طرق اخرى طويلة المدى كلها كانت تعتمد قبل انشاء السكك الحديديَّة الاَّ ان الحكومة الهنديَّة والحكومات المحلية لم تكن لتهمل هذه الطرق بعد ان رأت سكك الحديد وافيةً بحاجيات النقل بل ما برحت تتعهدها بالمرمة والاصلاح

فكان هذا الاعتناء باعثاً على استخدام الطرق الممهدة لسير المركبات على اختلاف انواعها تنزيهاً لخواطر الناس ان لم يكن جرياً لمنافعهم . واندفع القوم من اعاظم امرائهم وحكامهم واغنيائهم لركوب المركبات الفاخرة ذات الاثمان الباهظة حتى كاد يصبح استعمالها عند عظماء الهند من حاجياتهم مع انهُ ما برح عند مخترعيها الافرنج من الكماليات التي يستغنى عنها .
وقد بلغ من ولع امراء الهنود بذلك ان احدهم مهراجا كواليور نشر دليلاً مطبوعاً وخريطة مضبوطة كل الضبط للطرق الصالحة للاوتوموبيل في بلادهِ بحيث يستدل ركابها على خطة

سيرهم وما في طريقهم من المنازل وغيرها

والناس مولعون دائماً بتقليد امرائهم وعظمائهم ومن يظنون فيهم سمو الفكر وعلو المكانة ولذلك ما عتم ان سرت عدوى هذا الترف الى الطبقات الاخرى من الناس فعلق بها اولاً السراة والاغنياء من التجار واهل الصناعات لاسيما من سكان بومباي ثم لحق بهم كثيرون من موظفي الحكومة الا ان هؤلاء ليسوا على سعة من الرزق تمكنهم من الانفاق كالاغنياء فكانت مركباتهم من طبقة ادنى من الطبقة الاولى وما عتم ان انتشرت العدوى فصارت عامة حتى لم يبقَ الاوتوموبيل حاجة لا يتناولها الا المترفون لانهُ عم وشمل ولعل الذين لم يسعدوا بالحصول على واحدة منهُ صاروا يحسبون ذلك نقصاً في نيلهم حاجياتهم . فخرجت تلك الطرفة بين سواد الميسورين ايضاً من بين الكماليات وصارت بين الحاجيات . ومما يدل على سرعة انتشار داء احرازهِ ان الذين استعملوهُ اولاً كانوا يأتون بسوّاقهِ من الانكليز الخبيرين فيها فيكلفهم ذلك نفقة زائدة وعناء قد يقعدان ببعض رغابها عن السعي في نيلها ولكن ما اسرع ما تعلم سوّاق الهنود هذه المهنة حتى برع فيها بعضهم فصار من السهل استخدام الهندي براتب قليل ليقضي حاجة النفس المترفة وظل للامراء والسراة شيء من الميزة ببقائهم على استخدام السواق الانكليز لانهم ينفقون عن سعة . ومنهم من يكثر من مشترى الاوتوموبيلات الفاخرة حتى ان مهراجا كايكوار يعد في حوزتهِ منها ستة عشر اوتوموبيلاً بعضها من آخر ما انتجت مصانع اوربا واميركا

ومن جملة ما يقلد الهنود بهِ الافرنج احياء المنافسة . فقد جرى عندهم السباق مراراً بالمركبات ومنها الاوتوموبيل ايضاً . فدلت على احرازهم المهارة في سوقهِ وان عندهم منهُ من اطايب المصنوع في اوربا

وهذا الحديث عن استعمال الاوتوموبيل ليس فيهِ شيء يذكر سوى الاشارة الى مبلغ الترف الذي يكن في طباع الشرقي ضعيفاً حتى يظهر على اشدهِ عند اشتداد ساعدهم . وهو الدليل القاطع على أن الكبراء يحبون التنافس بما لديهم من مالٍ ومتاعٍ غير مهتمين بسواد الامة وبما يجلبون عليها من الوبال بتظاهرهم والامة تندفع الى تقليدهم تقليداً اعمى قد يوردها موارد العطب

فيا لله متى يستفيق الشرقي من سباتهِ ويفقهُ معنى وجودهِ في امتهِ ونسبتهِ الى المجتمع وما عليهِ من الواجبات الاولية نحو الكل الذي هو جزء منهُ لانهُ متى عرف ذلك اهتدى الى طرق الخير والسعادة

الكهربائية لرفع الاثقال

عرف القدماء ان المغنطيس يجذب الحديد ويحملهُ . وتروى عنهم روايات كثيرة مفادها انهم كانوا يضعون قطعاً كبيرة من المغنطيس في جوانب هياكلهم حتى اذا رموا اداة من الحديد فيها علقت في الهواء لان قطع المغنطيس تجذبها من جهات مختلفة فيتخذ العامة ذلك دليلاً على وجود قوة الهية في الهيكل . وان سفينة من سفنهم كانت سائرة في عرض البحر فدنت من جزيرة كلها حديد مغنطيسي فجذبت الجزيرة مسامير السفينة من خشبها . ونحو ذلك من الاقاصيص المبنيَّة على جذب المغنطيس للحديد . والحقيقة ان القدماء لم يستعملوا هذا الجذب لشيء ولكنهم استعملوا خاصَّة اخرى من خواص المغنطيس وهي اتجاههُ الى الشمال والجنوب اذا وضع بحيث تسهل حركتهُ حركة افقيَّة وصنعوا من ذلك الحك المغنطيسي او ابرة القبلة . ولم تستخدم خاصَّة الجذب في الصناعة الاَّ بعد ما اكتشف ان الحديد اللين يصير مغنطيساً اذا مرَّ المجرى الكهربائي حولهُ وتزول مغنطيسيتهُ اذا انقطع المجرى الكهربائي عنهُ ثم تعود اذا اتصل وهلمَّ جرًّا وكان ذلك منذ نحو تسعين سنة . وعلى هذا الاكتشاف البديع بني التلغراف والتلفون واكثر الآلات التي تُحرك بالكهربائية فلهُ اكبر شأن في الصناعة وعمل الآلات والادوات

ولا يخفى ان المجرى الكهربائي يمكن ان يقوَّى حتى يصير بقوة مئات بل الوف من الاحصنة فاذا كان قويًّا جدًّا وفعل بقطعة كبيرة من الحديد صيَّرها مغنطيساً قويًّا جدًّا قادرًا على جذب الطن والطنين والعشرة الاطنان من الحديد وحملها كما تجذب قطعة الكهربائيَّة قصاصة الورق . وهذا هو الواقع فان الصفائح الكبيرة من الحديد التي تصفَّح بها البوارج وثقل الصفيحة منها عشرة اطنان او اثنا عشر طناً يدنى منها المغنطيس الكهربائي فيجذبها ويحملها كأنها من اخف الاشياء ويكون هذا المغنطيس معلقاً بونش او بجسر يمشي على بكر فينقل صفيحة الحديد من مكان الى آخر على اسهل سبيل وحالما ينقطع المجرى الكهربائي تزول مغنطيستهُ فيترك صفيحة الحديد حيث يراد وضعها اي انهُ يفعل فعل مئات بل الوف من الرجال . وزد على ذلك انهُ يتعذَّر جمع هذا العدد من العمال وجمع قوتهم كلهم لغاية واحدة وعلى ما يراد من السرعة . فقد فعلت الكهربائيَّة في رفع الاثقال فعلاً يتعذَّر الوصول اليهِ بغيرها

ثم اذا كانت قطع الحديد كثيرة ورقيقة او دقيقة فرفعها معاً بغير واسطة المغنطيس الكهربائي امر شاق جدًّا او متعذّر لكن المغنطيس يرفعها كلها معاً حالما يدنى منها وينقلها

الى حيث يراد نقلها . وقد كانت هذه القطع ترفع بواسطة الكلاليب والبكر فيسقط بعضها احياناً ويصيب العمال اما الآن فلا تسقط من المغنطيس الكهربائي ما لم تنقطع الكهربائية عنهُ . وهنا امر مدهش هو انهُ اذا رفع المغنطيس الكهربائي صفائح كثيرة واريد تفريقها في اماكن مختلفة فليس على الذي بيدهِ مفتاح المجرى الكهربائي الّا ان يضعفهُ قليلاً فتسقط الصفيحة السفلى وهكذا يفعل كما اراد رمي صفيحة من الصفائح الى ان تقع كلها

وفي مسابك الحديد الكبيرة مطارق ثقيلة جدًّا تستعمل لسحق قطع الحديد التي خرجت من السبك غير منطبقة على القالب الذي افرغت فيهِ او التي بقيت لاصقة بالمراجل الكبيرة التي ينقل بها الحديد المصهور من الاتون الى القالب فان هذه المطارق قطع كبيرة من الحديد كثرية الشكل ثقل القطعة منها نحو مئتي قنطار مصري تسمى عندهم بما ترجمتهُ ساحقة الجماجم وكانوا يعلقونها بالسلاسل والبكر ثم يجرُّون مزلاجاً حيث هي معلقة فتسقط من علوها وتقع على الحديد الذي يراد سحقهُ فتكسرهُ وتسحقهُ لكي يردّ الى الاتون ويصهر ثانيةً اما الآن فصارت هذه المطارق ترفع بواسطة المغنطيس الكهربائي وتطرح على ما يراد سحقهُ بها فتسحقهُ بسهولة

ثم ان العمال كانوا يجدون اعظم مشقة في رفع قطع الحديد الكبيرة المحماة الى درجة الحمرة والبياض ونقلها من مكان الى آخر لاجل تطريقها او رقها او وضعها حيث يراد تركها الى ان تبرد لان حرارتها تكون شديدة جدًّا حتى يتعذر الدنو منها فقد وقفنا امام هذه الصفائح الكبيرة الى درجة البياض في معمل ارمسترنغ واضطررنا ان نبقى بعيدين عنها بضعة امتار لشدة حرارتها فكيف يتيسر للعمال والحالة هذه ان يدنوا منها ويعلقوها بكلاليب الآلات الرافعة . نعم ان معمل ارمسترنغ يستغني عن الروافع المغنطيسية باصابع من الحديد قطر الاصبع منها نحو قدم ترفع تحت الصفيحة المحماة في اماكن مختلفة بواسطة المضاغط المائية وتحركها وتديرها كأنها الصحفة تحركها باصابعك ولكن هذه الاصابع لا يمكن استعمالها في كل مكان واما المغنطيس الكهربائي فالحر والبرد لديهِ سيئان فيحمل صفيحة الحديد المحماة الى درجة البياض كما يحمل الصفيحة الباردة

والمبدأ الذي بنيت عليهِ الرافعة المغنطيسية بسيط جدًّا كما تقدم وقد عرف منذ نحو تسعين سنة ولكن استعمالهُ في رفع الاثقال حديث العهد والفضل فيهِ لرجل اميركي اسمهُ ولن وقد اتقنت هذه الرافعة الآن وكثر استعمالها في معامل اميركا والمانيا وفي معامل اليابان ايضاً واستعمال اليابانيين لها من ادل الادلة على ان وسائل العمران الحديث مباحة للجميع ولا تعذر امة حيَّة تبقى متمسكة بالقديم وتغض طرفها عن هذه الوسائل الحديثة

الحكومة الشوروية

[كتب صاحب السماحة السيد البكري نقيب الاشراف وشيخ مشايخ الصوفية بالديار المصرية مقالة في هذا الموضوع نشرتها جريدة المؤيد ثم حوّرها واتحف بها قرّاء المقتطف وهي بنصها]

انواع الحكومات

يقولون : ان خوف الانسان من الحيوان اوجد الاجتماع . وخوف الانسان من الانسان اوجد الحكومة " ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض " . ثم اذا اجتمع الناس على شكل امة وحكومة كان السلطان في الحقيقة للامة . وانما الحكومة بمثابة الوكيل عنها ولم يجهل هذه الحقيقة حكماء الاسلام قديماً وان جهلها كثير من حكامهِ . قال التنوخي ابو العلاء

ظلموا الرعيَّة واستجازوا كيدها وعدوا مصالحها وهم اجراؤُها

الّا ان الامة اذا كانت في حال طفوليتها وجهالتها غفلت عن هذا الحق فسلبهُ منها الغاصبون من الحكام وتصرفوا فيهِ تصرف المالك في ملكهِ وتغلبوا عليها بها اذ لا قوة لهم الّا بالجند الذين هم بعضها . وقد قلت في هذا المعنى

الناس يخشون من جاه المليك وما لديهِ لولاهمُ بأس ولا جاهُ
كصانع صنماً يوماً على يدهِ وبعد ذلك يرجوهُ ويخشاهُ

وفي هذه الحالة تكون نسبة الحاكم الى الامة نسبة السيد الى العبد . وهذا ما يسمونهُ بالحكومة الاستبدادية . ثم اذا ترقت الامة قليلاً اخذت بعض ما لها من الحقوق فصارت حكومتها ما يسمونهُ " بالحكومة الملكيَّة المقيدة " . فاذا ارتقت عن ذلك استردت حقوقها جميعها واصبحت الحكومة معها كالوكيل مع سيدهِ . وقيدتها باستشارتها في كل عمل وهذه هي " الحكومة الشوروية " . ثم ان انتقال الامة من هيئة حاكمة الى هيئة اخرى يكون بعد ان تستعد لها . بحيث تكون الهيئة الحاكمة في الحقيقة صورة للحالة الاجتماعيَّة في الهيئة المحكومة . ولذا يقول علماء السياسة " كل امة تنال الحكومة التي تستحقها " وفي الحديث الشريف " كما تكونوا يولى عليكم " . وهذا الانتقال يحصل في الاكثر بالاجبار والغلب . لا بالسؤَال والطلب ولهذا قالوا " ان الحريَّة تؤْخذ لا تعطى " وقال الشاعر العربي

من اطاق التماس شيء غلاباً واغتصاباً لم يلتمسهُ سؤالاً

الحكومة الاسلامية

المسلمون مقيدون بدينهم فلا ينبغي لهم ان يقبلوا شيئاً او ينفوهُ لمجرد موافقتهِ العقل قبل ان يطابقوهُ على الشرع . فلننظر ماذا جاء بهِ الاسلام في امر الحكومة :

جعل الامام عمر بن الخطاب الخلافة بالانتخاب وذلك انهُ اختار ستة من كبار الصحابة يمثلون عشائر الامة العربية وفوض اليهم انتخاب الخليفة بعدهُ وقال " ان انقسموا اثنين واربعة فكونوا مع الاربعة وان انقسموا ثلاثة وثلاثة فكونوا مع من فيهم عبد الرحمن بن عوف " كأنهُ اراد ان يكون للرئيس صوتان كما هو حاصل الآن

ثم ان الخليفة في الاسلام مأمور باستشارة الامة عند وقوع الحوادث لقولهِ تعالى " وشاورهم في الامر " وقد جرى على ذلك الخلفاء في الصدر الاول قال ابو هريرة "ما رأيت اكثر تشاوراً من اصحاب رسول الله"

فحكومة يكون رئيسها بالانتخاب سواء كان ذلك بالانتخاب الخاص او العام ويقيد ذلك الرئيس باستشارة الامة هي الحكومة الشوروية

وقد ذهب بعضهم الى انها من نوع الحكومة الملكية المقيدة لان الحاكم فيها مقيد بقانون وانما هو منفذ لهُ فقط واشترط ذلك عليهِ في صيغة البيعة . والقول الاول هو الصحيح

فيرى ان هذين الشكلين لم يجر عليهما بالفعل كثير من الدول الاسلامية بل كانت كما قال القائل

ان الذين بعثت في اقطارها نبذوا كتابك واستحل المحرمُ
طلس الثياب على منابر ارضنا كلٌّ يجورُ وكلهم يتظلمُ
واردت ان يلي الامانة منهمُ عدلٌ وهيهات الحنيف المسلمُ

الحكومة المصرية

كانت مصر اول بلد خطت فيهِ حكومة منظمة على وجه الارض وقد ظلت حكومتها استبداديةً من عهد الفراعنة الى سنة ١٨٧٨ افرنجية فانتقلت الى شكل الحكومة الملكية المقيدة وذلك في عهد الخديوي اسماعيل باشا حين قيَّد نفسهُ بنظامات مخصوصة واشرك معهُ وزارة مسئولة . ثم بدأت حركة حرة في مصر في اخريات ايام الخديوي المذكور اشترك فيها كثير من عقلاء مصر وكبارها وفضلائها . ولما ضغطت الدول الاوربا وية عليهِ قبيل تنازلهِ دعا الامة لتوافقهُ على مطالب يرضي بها تلك الدول فاجابتهُ الى ذلك وجعلت ثمن تلك الاجابة ان يمنحها "مجلساً نيابياً" وضمت مطلبها هذا الى مطالبهِ في لائحة واحدة هي " اللائحة

الوطنية " المشهورة وقدمتها لهُ على يد نقيب الاشراف وكان اذ ذاك والدي السيد علي البكري فقبلها اسماعيل باشا وزار النقيب في منزلهِ في يوم مشهود احتفل فيهِ احتفالاً باهراً بذلك الايجاب والقبول

ثم اقتضت الاحوال انفصال الخديوي اسمعيل عن اريكة الخديوية فتولاها ولدهُ توفيق باشا فاعلن من يوم ولايتهِ وزارتهُ وكبار امتهِ بانهُ يريد اتمام ما شرع فيهِ والدهُ وان يحكم البلاد بحكومة دستورية ولكنهُ لم يلبث اشهراً على هذا العزم حتى حسَّن لهُ احد القناصل ان يعدل عنهُ لعدم استعداد البلاد لهُ فلما علمت الوزارة بذلك وكان رئيسها شريف باشا استقالت وبينت في استقالتها انها تأبى ان تدير البلاد بغير دستور . فتقلد الوزارة دولتلو رياض باشا وهو وزير المحافظين فضرب الحركة الحرة ضربة كادت تجعلها جذاذاً وتطيرها افلاذاً حتى اضطر كثير من اعضاء الوزارة السابقة ان يهاجروا من القاهرة الى حلوان حيث كانت لهم فيها جمعية خصوصية دعيت بينهم " بجمعية حلوان " ولكن لم يمنع هذا كلهُ سير الحرية وتقدمها بل كانت كالشجرة " كلما شذبت نمت " ولم يلبث ان طار شرارها من رجال الملكية الى العسكرية واتحد في تأييدها السيف والقلم . قال لي عرابي باشا " اول ما بدأْتُ بهِ عملي اني قصدت رئيس النظار رياض باشا فطلبتُ منهُ تأسيس الحكومة النيابية ومطالب اخرى ضرورية فقال لي ليس في الامة المصرية اكفاء يصلحون لمشاركة الحكومة في الحكم فقلتُ لهُ ان الحكومة تدار الآن بسبعة من ابناء مصر ولا يعقل ان تكون مصر قد ولدتهم ثم اعقمت فسكت وسكتنا ثم استعمل دولتهُ القوة في تأييد الحكومة المطلقة فاستعملنا قوة اعظم منها لتأييد الحرية وأسسنا بالفعل الحكومة الشوروية "

الحكومة الشوروية

كان تشكيل الدستور في مصر سنة ١٨٨٢ ولا ريب انهُ لو استقر فيها لنفعها كما نفع غيرها من البلاد . ولأظهر في الزمن القريب خيرهُ لان الانسان يخدم نفسهُ احسن مما يخدم غيرهُ

نعم انهُ كان يكون في اول "مجلس نواب مصري" اميون لا يقرأُون . ولكن هذا كان الشأن في غيرهِ من مجالس الامم . فقد جاء في كتاب سر النجاح " ان البراءة العظمى وهي دستور الحكومة الانكليزية امضاها قوم لا يعرفون الكتابة فامضوها بالعلامات واسسوا حرية الانكليز وهم يجهلون القراءة والكتابة " (انظر الفصل الحادي عشر من الكتاب المذكور) . وقد كانت العرب امة امية وكان فيهم مع ذلك من يقول لعمر بن الخطاب " لو رأَينا فيك اعوجاجاً لقومناك بسيوفنا " وفيهم من يقول " متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم

احراراً " . وقد كان يكون في ذلك المجلس ايضاً سذّج وبسطاء . الاّ ان هذه البساطة قال عنها مونستكيو انها "لم تخطئ قط في الامم الاولية من الاغريق والرومان . في تمييز الصالح من الطالح في خدمة الاوطان "

وربما ان هذا التغيير من شكل حكومة الى شكل آخر ومن رجال الى رجال كان يحدث انحرافاً في مزاج الامة كما يحدث مثلهُ للطفل عند تبديل اسنانهِ باسنان اخرى ولكنها لا تلبث ان يعتدل مزاجها ويكون في دائها علاجها

وربما كان يكون فيهِ غير ذلك من العيوب التي تصحب كل مجلس نيابي . لانهُ في الحقيقة آلة غريبة التركيب والبناء يعمل كل جزء منها ضد سائر الاجزاء. غير انهُ كان ينتج من ذلك ما انجتهُ تلك المجالس من الفوائد العديدة والآثار الحميدة

ولو لم يكن من فائدة المجالس النيابية الاّ ايجاد الحرية السياسية لكفى فان هذه الحرية هي التي تقلب عناصر الاشياء كأنها حجر الكيمياء . وقد ضرب فكتور هوجو لذلك مثلاً فقال: ان سلطان الاستبداد بنى قصراً على بطائح النيفا في الروسيا وقد جمد الماء فشيدت عليهِ القرى والمنازل وسارت العجلات ودارت حركة الاعمال في الاسواق كأكثر ما يكون. وضرب الرجل برجلهِ الارض فوجدها اصلب من الصخر لا تعمل فيها المعاول ولا يقطعها الديناميت فقيل لهُ ان هذا كلهُ ظل زائل وحال حائل. لا يلبث عشيةً او ضحاها حتى يمحى فلا يكون لهُ اثر . فكذب وانكر . وبينما هو كذلك اذا بشعاعة من الشمس سالت على هذه الدنيا الصغيرة فاذا هي حلم حالم . وحصيد غير قائم . قال هوجو هذه الشعاعة هي الحرية

دع الشاعر ومقالهُ . والقريض وخيالهُ . ان اردت شاهداً محسوساً على فائدة الدستور في تدبير الجمهور فاليك ذلك . تشكلت لجنة من اعضاء مجلس شورى القوانين برئاستي سنة ١٨٩٣ لدرس الميزانية فجاء في تقريرها ان المبالغ المتوفرة تصرف في تخفيف الضرائب وتعميم التعليم وقالت في ذلك التقرير " اما تعميم التعليم فالغاية منهُ نشر المعارف في انحاء البلاد جميعها حتى تنكشف الامية الغالبة الآن على الناس ويتسع نطاق المعلومات وتذهب الجهالة التي هي ام الاسباب في كل ما ألمَّ ويلمُّ بهذه البلاد . واذا تأملنا فيما تنفقهُ الحكومة المصرية الآن على معارفها ونتيجة هذا التعليم الحاصل في مدارسها وقارناهُ بما هو عند الامم الاخرى حتى التي هي اقل ثروة واضيق حالاً من الامة المصرية وجدنا ان الحالة التي هي عليها بعيدة عن الكمال غير حسنة على كل حال

" ونرى ان من الامور الرئيسة في ذلك ان تشكل لجنة من عقلاء البلاد واهل المعارف

والراي فيها يرجع اليها في امر تعليم الامة وتربيتها وتنمية الملكات الفاضلة والاحساسات الشريفة ولا يوكل ذلك الى رأي الافراد فان مستقبل الامة وسعادتها او شقاءها بحسب ما يودع في نفوس شبانها (والخطأ في التعليم يفسد امة بامرها)

" ويكون من اعمال هذه اللجنة سن قانون ثابت لسير التعليم وتبيين وجوهه يصدّق عليهِ من مجلس شورى القوانين ويكون قانوناً اساسيًا من قوانين الحكومة فيتمنع بذلك ما هو جارٍ من التغيير والتبديل في نظام التعليم كما تبدل الرؤساء "

وذكرت جريدة الدالينوز في سنة ١٩٠٧ مقالة بقلم المستر برايلسفورد جاء فيها ان مصر وفيها ١٢ مليونًا من الناس لم تحصل حتى الآن على معاهد التعليم الوطنية الذي وجدتهُ ولاية بلقانية ضروريًا لنجاحها وغريب ان هذا النقص غير ناتج عن ضعف اميال الامة المصرية . الى آخر ما قالهُ - فهذا الكلام الحديث كأنهُ فحوى ذلك التقرير القديم . ولو ان مجلس شورى القوانين هو الدستور لاخرج الامة بقرارهِ هذا من الظلمات الى النور . اللهمَّ " لا وطن الاّ مع الحرية " لانهُ بغيرها لا حقوق ولا واجبات سياسية

الحكومة الحالية

جاء الاحتلال فازال عن مصر كثيرًا من النقم . ومنحها جزيلاً من النعم الاّ انهُ نزع منها الحكومة الشوروية والقواعد الدستورية ولو كان ذلك الى حين

مجلس شورى الحكومة

مصر الآن بين ماضي ذهب بحالهِ ومستقبل يبسم بآمالهِ وهي في موقف ينازع سلطانها فيهِ اربعة هيئات عظيمة

١ - الحضرة الخديوية ٢ - الدولة العلية ٣ . الامتيازات الاجنبيةُ . ٤ - الدولة الانجليزيةّ

اما الجناب العالي فقد صرح تصريحًا بليغًا بانهُ يريد ان يحكم الامة بالامة . فلم يبقَ منازعًا لها بل هي هو وهو هي الآن

واما الدولة العلية فهي واقفة بازاء مصر عند حدود دينيةٌ وسياسية رضيها الطرفان وصيبق امرها كما كان . فلا المصريون يريدون نكث الولاء . ولا الدولة تضمر نقض الامتيازات . جرى ذكر مصر وانا ماثل مرة بين يدي الحضرة السلطانية فسمعتها تقول اني في امر مصر على مبدإِ المحافظين . واتذكر انها نطقت كلمة المحافظين بلفظها الافرنجي هكذا (كونسرفاتور) اي انها تريد بقاء القديم على قدمهِ

واما الامتيازات الاجنبية فلا يحسن البحث في امرها مع وجود الاحتلال

واما الدولة الانجليزيَّة فلا نظن الاّ انها منجزة وعدها لنا ولذلك يجب علينا ان نطالبها

اولاً بتنفيذ القوانين النظامية الحالية بمعانيها الحقيقيَّة

ثانياً بالاستقلال الاداري اي مجلس النواب

ثالثاً بالاستقلال السياسي

ومتى اجيب الطلب الاول وتنفذت القوانين النظامية وجد مجلس شورى الحكومة فوجد سلطان الامة بوجوده · ولبيان ذلك نقول ان القانون النظامي جعل اركان التشريع في مصر اربعة وهي مجالس المديريات · والجمعية العمومية · ومجلس شورى القوانين · ومجلس شورى الحكومة · وقد تشكلت جميع هذه المجالس الاّ هذا المجلس الاخير وهو انفعها وارقاها

وتاريخ هذا المجلس في الامم ان اول من انشأهُ ملوك فرنسا اذ كانت الحال هنالك تشبه الحالة عندنا الآن بين امة تنبهت لحقوقها وحاكم يطلب الاستئثار فوضع هذا المجلس ليكون وسطاً بين الفريقين وانتخب اعضاؤهُ من خلاصة رجال الامة وخوّل النظر في شؤُون المملكة جميعها ادارية وسياسية · وما زالت اختصاصاتهُ تتبدل بارتقاء الهيئة التشريعية وانفصال اجزائها بعضها عن بعض الى ان صار الحال في فرنسا سنة ١٨٥٢ على ما يأتي : —

حاكم تنحصر فيهِ القوة التنفيذية · ونظار مسؤُولون لدى الحاكم · ومجلس نواب بالانتخاب العمومي · ومجلس اعيان بانتخاب الملك · ومجلس شورى الحكومة بانتخاب الملك ايضاً

ففي هذه الحالة سلب كثير من اختصاصاته حيث منحت لمجلس النواب والاعيان وانحصرت اعمالهُ في تحضير القوانين القضائية والادارية كاللجنة التشريعية في مصر · ومما تقدم يعلم ان المجلس الذي ارادهُ واضع القانون النظامي المصري انما هو المجلس بشكلهِ الاول لانهُ هو الذي ينطبق على حالتنا

فاذا تشكل هذا المجلس شاركت بهِ الامة الحكومة مشاركة فعلية في ادارة الاعمال وكاد يغنيها عن مجلس النواب لقيامهِ بمعظم وظائفهِ

وقد اخترنا هذا المجلس الآن دون مجلس النواب لتكون الحجة لنا لا علينا ولو في الظاهر · وذلك اننا لو طلبنا المجلس النيابي لعورضنا بعدم الاستعداد لهُ لان الامة لا تزال في نظر اهل الحل والعقد كالطفل لو اعطي السلاح فاول ما يقتل بهِ نفسهُ · اما لو طلبنا هذا المجلس لما امكنهم ان يعارضونا بهذه الحجة لانا قد مُنحناهُ بالفعل منذ ربع قرن فان رؤي اننا غير كفوءٍ لهُ اليوم فذلك دليل على انحطاطنا في الحقيقة لا على ارتقائنا · وشيء آخر وهو ان الدولة الانكليزية لا يزال رجالها يلومون الدولة العليَّة على ابقائها قوانينها الاساسية حبراً على

ورق فان لم تنفذ هي القوانين الاساسية في مصر وقمت في ما آخذت بهِ غيرها

لهذه الاسباب المتقدمة جميعها استقر عندي ان اقرب طريق تصل بهِ الامة المصرية لرد سلطتها اليوم والحصول على استقلالها غدًا هو هذا المجلس الذي طوى ذكرهُ الزمان . وجئت بهذه المقالة لتكون لهُ كالاعلان

توفيق البكري

الرستن وتاريخها

منذ عهدٍ قريب مدَّت السكة الحديدية الى حماة ثم الى حلب فسهلت الانتقال الى بلاد كان يتعسر قديمًا الوصول اليها دون عناء جزيل . ولقد كانت تلك البلاد عامرة في سالف الزمان تحوي الوفًا من السكان وفي غالب الظن انها مهد السوريين . وهي تمتد من بعلبكَّ الى حماة والبلاد غزيرة المياه كثيرة الخصب معتدلة الهواء يسقيها نهرٌ عظيم سماهُ اليونان الاقدمون تيفون ثم اورونتس ودعتهُ العرب العاصي . وبين حمص وحماة مدينة قديمة اسمها الرستن لها شهرة تاريخية . وقد أُخبرنا ان فيها آثارًا قديمة فقصدنا مشاهدتها وركبنا القطار في الصيف الماضي ووصلنا حمص وبتنا فيها ولما كان الغد صمدنا الى حصنها الشاهق وقد كانت لهُ شهرة طائرة في ما سلف وحدثت فيهِ الوقائع العظيمة لكنهُ الآن خراب . وطفنا قليلاً في شوارع المدينة ومنازلها فالفيناها مشحونة بالآثار اليونانية والكوفية والعربية

وعند الساعة العاشرة افرنجية ركبنا مركبة وقصدنا الرستن على طريق المركبات الموصلة الى حماة ومنها الى حلب . فسرنا ما بين المروج والسهول والطريق مستوٍ لا يرى فيهِ اعوجاج . وما مضى علينا ساعة وربع ساعة حتى وصلنا قرية اسمها تلّ بيسه بيوتها غريبة البناء كل بيت منها حجرة واحدة تعلوها قبة فتراها كلها قبابًا وكان الاصح ان تسمى قرية القباب . وبعد ساعة دخلنا قرية الرستن وهي تشرف على نهر العاصي وقد بقي لنا نصف الطريق الى حماة

كانت الرستن تدعى في الزمن القديم اريثوسه او اريطوسا . وقد حدد الجغرافيون القدماء موقعها في شمال مدينة حمص بالقرب من ابيفانيا (حماة) وقالوا ان مؤسسها سلوقس الاول نيقاطور (الذي ملك من سنة ٣١٢ الى ٢٨٠ قبل المسيح) ودعاها اريثوسه على اسم مدينة في بلاد مكدونيا[١] واغلب الظن انهُ سماها كذلك ناظرًا الى موقعها على ضفة النهر . لان اريثوسه من بنات الماء في خرفات اليونان

وجاء عن سترابون[٢] انها كانت قاعدة امارة عربية دخلت في حمى الروم على عهد

(١) ذكرها ابيانوس Appien, Syriaca 57. (٢) Strabon XVI, 753.

اغسطوس وطيباريوس . ويستدل من الكتابة المنقوشة على سكة هذه المدينة انها كانت مستقلة مع انها كانت قبلاً تابعة لولاية حلب

وورد ذكرها في حرب اوريليانس مع زينب او زينوبيا ملكة تدمر . فان المؤرخ اليوناني زوزيموس(١) اخبر عن رجوعها الى حمص تستنجد فرسان العرب فشدّ القيصر اوريليانس في اثرها وفتح في طريقهِ عدة مدن منها افامية ولاريسا واريثوسه حتى بلغ جوار حمص. فكانت اذاً الوقعة العظيمة بين اوريليانس وملكة تدمر في السهل العظيم بين حمص والرستن

ومعلوم من تاريخ الكنيسة ان اريثوسه كانت كرسياً اسقفياً تنصبت فيها جملة اساقفة وذلك من اوائل القرن الرابع حتى اواخر القرن السابع وهاك اسماءهم (٢)

استاثيوس وقد حضر المجمع النيقاوي سنة ٣٢٥ (٣)

مرقص الاول قتلهُ الوثنيون على عهد يوليانُس العاصي

مرقص الثاني وقد حضر المجمع الخلقيدوني سنة ٤٥١ (٤)

اوسابيوس وهو الذي اقام الحجة على مقتل القديس بروتريوس في سنة ٤٥٦ بالاتفاق مع اساقفة سورية الثانية

سويريانُس جلس على كرسي اريثوسه في القرن السادس

ابراهيم وكان في قيد الحياة قبل التئام المجمع المسكوني السادس سنة ٦٨١

واليك الآن ما كتبهُ ايمة العرب عن الرستن مبتدئين من رواية الواقدي في كتاب فتوح الشام(٥) قال بعد ذكرهِ عقد الصلح مع اهل حمص

"وسار ابو عبيدة رضي الله عنهُ الى الرستن فرآها حصناً منيعاً وماؤها غزير حصينة بالرجال فبعث اليهم رسولاً يأمرهم بالصلح وان يكونوا في ذمتهِ . فابوا عليهِ وقالوا انا لا نفعل ذلك حتى نرى ما يؤول اليهِ امركم مع الملك هرقل وبعد ذلك يكون ما شاء الله"

ثم اردف ذلك بقصة يصعب تصديقها وهي ان ابا عبيد اودع صاحب الرستن صناديق مقفلة وضع فيها رجالاً من الصحابة حتى اذا دخل رجال الرستن بيعهم يحمدون الله على

---

(١) Zosime, lis. I. C. 52

(٢) نقلاً عن تاريخ سورية ليوحنا يانسكي الجزء الاول وجه ١٧١

(٣) وقرأنا اسمهُ في مخطوط عربي قديم في الجامع : افسناتيوس اسقف اراتوسيوس من اساقفة سوريا

(٤) وقرأنا اسمهُ في الكتاب نفسهِ : مرقس اسقف اربطوسا مدينة سوريا الثانية

(٥) وجه ١٢٩ من طبعة مصر سنة ١٢٧٨ مصحح على نسخ خطية قديمة عندنا

انصراف ابي عبيدة عنهم خرج الرجال من الصناديق واخذوا مفاتيح المدينة من زوجة صاحب الرستن وفتحوا الابواب فدخلها خالد بن الوليد برجالهِ

وجاءَ في كتاب تقويم البلدان لابي الفداء ما نصهُ :—

ومن الاماكن القديمة المشهورة مدينة الرستن وكانت عامرة في قديم الزمان وهي اليوم خراب . وبها بيوت كالقرية واثار العمارة والجدران وبعض العقود بها ظاهر وكذا بعض ابواب المدينة واسوارها وقنيها . وهي في جنوبي نهر العاصي على جبل اكثرهُ تراب . سطحها في المنبسط الآخذ الى حمص وهي بين حمص وحماة . . . ويقال انها خراب من زمن فتوح الشام

وفي صفحة ٤٧٠ من الجزء الاول من كتاب مراصد الاطلاع على اسماء الاماكن والبقاع طبع باناقيا ما يأتي :—

" الرستن بفتح اولهِ وسكون ثانيهِ وتاء مثناة من فوق واخرهُ نون : بليدة قديمة بين حماة وحمص كانت على نهر الميماس وهو العاصي . وهي الآن خراب . وبها آثار باقية تدل على جلالتها وهي على علو يشرف على العاصي "

وجاءَ في معجم البلدان لياقوت الحموي ان الرستن بليدة قديمة كانت على نهر الميماس وهذا النهر هو اليوم المعروف بالعاصي الذي يمر قدام حماة . والرستن بين حماة وحمص في نصف الطريق بها آثار باقية الى الآن تدل على جلالتها وهي خراب ليس بها ذو مرئ وهي في علو تشرف على العاصي . وقد نسب اليها ابو عيسى حمزة بن سليم العنبسي الرستني . سمع عبد الرحمن بن جبير بن نفير الحضرمي ونفرًا من التابعين روي عن عمر بن الحارث

اما السيَّاح الافرنج فقلَّ ما قصدوا هذا المكان ولم يكتبوا فيهِ الاَّ النزر فالعلاَّمة كرل ريتر الالماني كتب عنها في كتابهِ المسمَّى علم الارض ما يأتي بعد ان ذكر تأسيسها

" ان بقايا جلالتها القديمة هي حطام اسوار وبرجان فقط والسائح الوحيد علي بك في جزء ٢ وجه ٢٩٠ [١] هو وحدهُ كتب عن اخربتها ونبَّه الافكار اليها ومنذ ما كتب عنها ابو الفداء وسماها الرستن لا يظهر انهُ نزل بها نازلة او تغيَّر فيها شيءٌ . وينسب بناء الخان والجامع القائمين على ضفة العاصي الغربيَّة الى السلطان مراد المشهور ببناء الخانات "

وترجمنا الفقرة الآتية من كتاب ركتر [٢]

(١) لم نقدر ان نعلم من هو علي بك الذي استشهد بهِ كارل ريتر ولا اين طبع كتاب رحلتهِ

(٢) Richter's Wallfaprten, page 216.

ولا يرى شيء من اريثوسه القديمة سوى بعض اساسات الابنية او اكوام حجارة . وبيوت القرية كلها من الحجر الاسود في الطابق السفلي وهي مكلّسة في الطابق العلوي . والجسر مبني على عشر قناطر والى جانبه طاحونة ماء وخان كبير

ولم نرَ الآن في الرستن سوى بعض البيوت المبنيَّة بالحجر الاسود واساسات ابنية قديمة واكوام حجارة مبعثرة على مسافة نحو كيلومتر مربع . فلا نعلم هل كان خراب المدينة من عهد قريب او من زمن الفتوح كما قال ابو الفداء . ولا يبعد انها جددت بعد الفتح وخربت في حروب كثيرة تعاقبت فيها فقد قرأنا في تاريخ ابن الشحنة (خط) في الباب التاسع عشر ما نصهُ " انهُ في سنة ٤٩٦ (الموافقة لسنة ١١٠٢ مسيحية) نازل الفرنج الرستن ثم ترحلوا وخرجوا من تل باشر واغاروا على بلد حلب الشمالي واحرقوه "

ويستدل من ذلك انها كانت حصينة في ايام الصليبيين ثم خربت بعدهم

وقد جلنا مدةً بين خرائبها فلم نشاهد اثرًا لمبانٍ عظيمة او قواعد اعمدة تدل على ابنية شاهقة كما يرى في تدمر وبعلبك . ومع ذلك لا تخلو تلك الحطام من دلالة على عمارة هذه المدينة في القديم واتساعها . ورأينا حول البيوت التي يسكنها الآن الرستنيون اثر ابواب جميلة منحوتة في الحجر الاسود على طرز عربي . ولكن يد الخراب عاملة على ردم هذه الآثار ومحوها

ولم نتوفق الى اكتشاف اثر لكنيسة او دير الا انا شاهدنا رأس عمود عليهِ من الجهة الواحدة صليب منحوت نحتًا جميلاً وحولهُ اربعة نجوم ومن جهة اخرى صورة وزة وكانت رمزًا عند البيزنطيين ومن جهة ثالثة اشارة راية الصليب المعروفة باللباروم Labarum ولما تقدمنا الى ضفة العاصي شاهدنا هناك بالقرب من الجسر المبني حديثًا الخان الذي مرَّ ذكرهُ آنفًا وبجانبهِ الطاحونة وانا على يقين ان اهل العلم لو نقبوا هذه الاتربة لوجدوا فيها آثارابنية عظيمة تنبئ عن احوالها القديمة . ثم اننا لا نسلم برأي المؤرخين اليونان الاقدمين الذين زعموا ان اريثوسه تأسست على ايام سلوقوس ملك سورية اي في القرن الثالث قبل المسيح بل نظن انها قديمة جدًّا ترتقي الى عهد الحثيين وان اسمها اليوناني مأخوذ من الرستن لان تلك البقاع جميعها كان يسكنها الحثيون

وما يزيد قولنا تأكيدًا اكتشاف بعض العلماء في الرستن آثار حجارة عليها كتابة باللغة الحثية تشبه الكتابة الهيروغليفية

بيروت يوسف اليان سركيس

قدوم الامام عمر الى بيت المقدس

لقينا احد الادباء بالامس فعاتبنا لاننا انكرنا قدوم الامام عمر بن الخطاب الى بيت المقدس في تقريظنا "تاريخ دول الاسلام" في الجزء العاشر من هذه السنة وقال انكم فتحتم بذلك باباً للهلال حتى خطأكم. فضحكنا وقلنا لهُ الظاهر انك لم تقرأ ما كتبناهُ في المقتطف. فقال كلاَّ ولكنني قرأت ما كتبهُ الهلال ولا بدَّ من ان يكون حضرة محرره قد قرأ ما كتبهُ المقتطف وعقَّب عليهِ. فقلنا وهنا الخطأ لانهُ لو قرأ ما كتبهُ المقتطف لامَّن عليهِ ولم يعقّب عليهِ لا سيما وان التواريخ التي استشهد بها تؤيد ما كتبناهُ فاننا لم ننكر قدوم الامام عمر الى بيت المقدس ولكننا انكرنا قدومهُ راكباً على جمل كما صوّر في تاريخ دول الاسلام وقد كان كلامنا عن تلك الصورة. ونؤكد الآن ما قلناهُ لذلك الاديب وهذا نص عبارة المقتطف بالحرف الواحد

"وحبذا لو نبَّه الى ان بعض ما نشرهُ من الصور خياليٌّ لا حقيقي مثل صورة قدوم الامام عمر على بيت المقدس فانهُ لم يكن هناك مصورون صوَّروا قدومهُ ولا كان التصوير الشمسي معروفاً وقدوم الامام عمر على الشكل الذي ذكرهُ الواقدي من الحوادث المشكوك في صحتها"

وهذا نص كلام الواقدي " وخرج عمر من المدينة وهو على بعير لهُ احمر وعليهِ غرارتان في احداها سويق وفي الاخرى تمر وبين يديهِ قربة مملوءة ماء وخلفهُ جفنة للزاد ... وعليهِ مرقَّعة من صوف وفيها اربع عشرة رقعة بعضها من ادم ... وقدّم لهُ في الطريق برذون من براذين الروم فلما صار على ظهرهِ جعل البرذون يهملج فنزل عنهُ مسرعاً ولما وصل الى بيت المقدس امر ببعيرهِ فقدّم اليهِ فاستوى في ركوبهِ عليهِ وعليهِ مرقعة ليس عليهِ غيرها وعلى رأسهِ قطعة عباءة قطوانية ... حتى قرب السور". والظاهر ان بعض الاوربيين المولعين بالغريب صوَّروا الامام عمر راكباً على بعير حسب هذا الوصف الذي وصفهُ بهِ الواقدي ووصلت هذه الصورة اخيرًا الى تاريخ دول الاسلام فاشرنا في تقريظهِ الى انها خياليَّة لا بصح نشرها من غير تنبيه الى انها خيالية لا سيما وانها مخالفة لما ذكرهُ المؤرخون فقد نقل الطبري عن سيف بن عمر ان الامام عمر دخل الشام اربع مرات الاولى كان راكباً على فرس حين فتح بيت المقدس . وعن عبادة وخالد ان الامام عمر شخص الى بيت المقدس من الجابية فراى فرسهُ يتوجَّى فنزل عنهُ وأتي ببرذون فركبهُ فهزهُ فنزل وضرب وجههُ بردائهِ ثم قال قبّح الله من علمك هذا ثم دعا بفرسهِ بعد ما اجمَّهُ اياماً فركبهُ ثم سار حتى انتهى الى بيت المقدس . وقال ابن الاثير وسار عمر فقدم الجابية على فرس

وقال ابن خلدون "وركب عمر الى بيت المقدس فدخلها" ولم يقل انهُ كان راكباً على بعير والبلاذري الذي استشهد بهِ الهلال قال ان عمر سار الى ايلياء فانفذ صلح اهلها ولم يقل انهُ قدمها راكباً على بعير

وواضح مما تقدم اننا لم ننفِ قدوم الامام عمر الى بيت المقدس بل نفينا قدومهُ راكباً على بعير حسب الوصف الذي وصفهُ بهِ الواقدي . ويظهر لنا ان الصورة المدرجة في تاريخ دول الاسلام لا تنطبق الا على وصف الواقدي من كل المؤرخين الذين ذكرناهم وذكرهم الهلال. ثم ان كلام الطبري صريح في ان الامام عمر كان راكباً فرساً لا بعيراً لما قدم بيت المقدس. فالذي سأل الهلال قائلاً اننا ذيلنا تقريظنا لتاريخ دول الاسلام بما يؤخذ منهُ الشك بقدوم عمر بن الخطاب الى بيت المقدم قد اخطأ فهم كلامنا

ثم اننا لا نعترض على وضع الصور الخيالية في التواريخ اذا أُريد بها اظهار الحوادث التاريخية على اسلوب جلي فانها تكون حينئذٍ من قبيل بلاغة الوصف ولكن كما يشترط في الوصف ان يكون منطبقاً على الواقع في الاخبار التاريخية يشترط في الصور ان تكون منطبقة على الواقع ايضاً فلو بحث المصور عما كان يلبسهُ امراء العرب في زمن الفتح وعن شكل السروج التي كانت خيلهم تسرج بها ورسم صورة تنطبق على ذلك لاعجبنا بها ووفيناها قسطها من المدح وكذلك لو كانت رواية الواقدي صحيحة او مطابقة لما ذكرهُ غيرهُ من المؤرخين لاستحسنا هذه الصورة المنشورة في تاريخ دول الاسلام

هذا من حيث قدوم الامام عمر راكباً على بعير وتحتهُ غرارتان الخ. الا ان في ما كتبناهُ عن تاريخ دول الاسلام امراً آخر جاهرنا بهِ مراراً وهو ان مؤرخينا حفظهم الله يكتفون بالنقل والتلخيص ولا يخطر ببالهم على ما يظهر ان الشك اول مراتب اليقين وان نواميس الكون وعقول البشر لم تتغير في ثلاثة عشر قرناً فان كنا لا نثق الآن برواية مأخوذة بالسماع عن حادثة حدثت منذ عشر سنوات او عشرين سنة ولا نبرئ الناس من الخطإ والغرض في ما يصفون ولو رأوهُ مرأى العين فكيف نثق ثقة تامة بما كتبهُ قوم عما حدث قبل ايامهم بسنين كثيرة ولماذا لا نمحص التواريخ ونطرح منها ما لا يثبتهُ النقل ولا يوافق عليهِ العقل والى مَ نبقى نقلة وملخصين ومبوبين ونحن لا نستطيع ان نقيم دليلاً واحداً على صحة ما نقلناهُ سوى اسنادهِ الى واحد من الذين ذكروهُ ولو لم يروهُ ولا رأوا من رآهُ. ولماذا لا يهتم مؤرخونا بتمحيص تواريخنا حتى تخلو من الشوائب . هذا هو غرضنا من ذكر ما ذكرناهُ في تقريظ ذلك الكتاب ولم نأتِ على ذكر صورة الجمل الا استطراداً. وسنعود الى تفصيل هذا الاجمال

سليم شحاده

قلما رأى شرقنا نهضة علمية في العصور الحديثة كالنهضة التي رأتها مدينة بيروت منذ اربعين سنة حينما اينعت فيها المدارس والجمعيات العلمية وتبارى شبان سورية في تحصيل العلوم ونشر كتب الادب حتى قيل ان مدينة بيروت ستعود الى سالف عهدها في زمن الرومان حينما لقبت مرضعة العلوم . ولو عرفت البلاد كيف تنتفع من ابنائها النابغين لما تركت واحداً منهم يهجرها ولا سمحت لواحد ان يشتغل عن العلم بغيره

وكان المرحوم سليم شحاده من نخبة شبانها الذين اتقنوا العربيَّة والفرنسوية واشتغلوا بفنون الادب فألَّف مع المرحوم سليم الخوري كتاب آثار الادهار وطبعا منهُ ثلاثة مجلدات ولم يتماهُ ونشر في المقتطف مقالة مسهبة في الجغرافيا وجغرافيي الاسلام من اوسع ما كتب في هذا الباب. ولما رأى بضاعة العلم كاسدة اضطرَّ ان ينقطع عنهُ الى الاشتغال بالسياسة بعد ان تقلَّد منصب ابيهِ في القنصليَّة الروسية بمدينة بيروت وبقي في هذا المنصب الى ان توفاهُ الله في مصيفهِ بسوق الغرب في اواخر الشهر الماضي على اثر داء عقام فذهب مبكيًّا من ذويهِ واصدقائهِ وقد رثاهُ العالم الكبير الاستاذ ابرهيم الحوراني فقال

الدهر لا يرعى العهود لجارهِ	فلطالما غدر النزيل بدارهِ
ولكم سقى ذا مطمع من برقهِ	بالغيث وَبْلَ الوَبْلِ من امطارهِ
فالأَمنُ أَبعدُ عنهُ من طاوي الحشا	مَحْلاً بِقفر الخبز عن زوارهِ
ذكر الذينَ صروفهُ لي عبرةً	فلحونهُ وضحكتُ من انذارهِ
لم يدفع الانذار من رزءٍ وما	منعت علوم الكون من اضرارهِ
ومسطرُ الآثار للادهار لم	يسلم فبات اليومَ من آثارهِ
غطَّى ثرى البلوى سليم شحاذةٍ	من بعد ما غطَّى الثرى بنضارهِ
غطَّى الثرى ربَّ المعارف والنُّهى	ونصير آل العلم في امصارهِ
ربَّ السياسة والفراسة مادجا	خطب تجاه القلبِ من انوارهِ
طلق اللسان كلامهُ من مائهِ	سهل البيان ذكاؤهُ من نارهِ
ما كنت اعرفهُ ولكن قال لي	ذا مَن عهدتُ الصدق في اخبارهِ
فرثيتهُ بشهادة الفرد الذي	جَمْعُ الشهود العدل من انصارهِ

لا ينفعُ الميتَ المرثاه فنفعهُ للحيّ ان لاقاهُ باستبصارهِ
كم من رثاه ردَّ ميتَ الجهل من رمسِ الدجى فسرى بضوء منارهِ
والخيرُ نفع المرء في احسانهِ لقريبهِ في ليلهِ ونهارهِ

البرَد الكبير

كُتب الينا من بورت سعيد انهُ في منتصف الساعة الرابعة من الحادي والعشرين من اكتوبر وقعت قطع كبيرة من البرَد بعضها بحجم البطيخ الصغير وبعضها بحجم البرتقال واصغرها بحجم بيض الدجاج فكست الارض حلة بيضاء دامت نصف ساعة ثم تحوَّلت ماء . ولجأ الناس الى حوانيتهم فسلموا لكن البرَد اضر كثيرًا بالمنازل فكسر زجاج نوافذها

ووقع البرَد في القاهرة مساء ذلك اليوم وكان حبهُ كالبندق الكبير والجوز الصغير قطر الحبة منهُ سنتيمتران الى سنتيمترين ونصف . التقطنا كثيرًا منهُ فوجدنا بناءهُ كما يكون بناء البرَد عادة نواة بيضاء غير شفافة في قلب الحبة قطرها نحو نصف سنتيمتر تحيط بها مناطق شفافة وغير شفافة على التوالي ويخرج من النواة اشعة قليلة الوضوح تمتد الى المحيط

ووقوع البرَد امرٌ عاديٌّ في غير هذا القطر وهو غير نادر فيهِ لكن وقوع البرَد الكبير الذي يبلغ حجم البرتقالة نادر جدًّا في هذا القطر وغيرهِ من الاقطار . ومتى بلغ البرَد هذا الحجم تكون حبوبهُ مؤلفة من مجموع حبوب كثيرة او من قطع من الجليد ولم يبلغنا كيف كانت الحبوب التي وقعت في بورت سعيد اما التي وقعت في القاهرة فكانت مفردة

ووقع البرَد الكبير في هذا القطر مرارًا في العشرين سنة الماضية ففي ١٧ سبتمبر سنة ١٨٨٧ كثرت الغيوم الراعدة في نواحي الغرب والشمال من مدينة القاهرة واستطارت البروق بين طبقاتها على ما هو معتاد في الرواعد وامطرت السماء في بعض الجهات مطرًا غزيرًا وفي غيرها بردًا كبيرا وبلغ وزن بعض الحبوب التي وقعت في الزقازيق مئة درهم وكان بعضها مضرسًا

وفي السادس من شهر مايو سنة ١٨٨٨ تكاثفت السحب في سماء القاهرة وابرقت البروق ودمدمت الرعود ورشقت السماء الارض بحب الغمام وكان اكثرهُ كثري الشكل ابيض اللون غير شفاف قطر الحبة منهُ سنتمتر فاكثر وبعضهُ مستدير مسطح كأنهُ مركب من حبوب كثيرة. وفي تلك الاثناء عصفت زوبعة كهربائية في بلاد الهند صحبها برَد كبير الحجم جدًّا بلغ وزن حبة منهُ اكثر من رطلين (ليبرتين) فقتل في مراد اباد نحو مئة وخمسين نفسًا وفي بنغالا

السفلى عشرين نفساً وجرح مئتين جراحاً بالغة وانكسر بهِ في احد بيوت الحكومة مئتا لوح من الزجاج

وكثر وقوع البرد الكبير في اوربا في العام التالي وبلغ حجم بعض حبوبهِ في موراڤيا حجم البرتقال الكبير ووزن بعضهِ ثلاثة ارطال (ليبرات) فقتل كثيراً من الناس

واول ما يخطر على بال الباحث عن الاسباب هو كيف يتكوَّن البرد وكيف يحملهُ الهواء قبلما يقع منهُ

اما من حيث تكوُّن البرَد فللعلماء ثلاثة تعاليل مختلفة التعليل الاول ان يتفق وجود غيمتين كبيرتين في الجو الواحدة فوق الاخرى العليا مكهربة بالكهربائية السلبيَّة والسفلى مكهربة بالكهربائية الايجابيَّة فان الغيوم لا تخلو من الكهربائيَّة وما البرق والرعد سوى فعلين من افعالها فاذا تكوَّنت حبوب الثلج او الندف في الغيمة العليا تكهربت بكهربائيتها فتجذبها الغيمة السفلى فيتكاثف بخار الماء من هذه الغيمة ويرسب على سطحها وتتغير كهربائيتها وتجذب حينئذٍ الى الغيمة العليا فيبرد هذا الماء ويصير جليداً وتصير كهربائيتها مثل كهربائيَّة الغيمة العليا فتدفعها وتجذبها الغيمة السفلى فتكتسي بطبقة اخرى من الماء وتجذب الى الغيمة العليا. ولا تزال تتردَّد بين الغيمتين وتمتنع من الوقوع الى الارض بقوة الجذب والدفع بينهما الى ان تكبر وتثقل ولا تعود قوة الجذب والدفع كافية لحفظها من الوقوع الى الارض فتقع عليها

هذا هو التعليل الاول . والتعليل الثاني ان الغيمة تدور دورة دولابيَّة كما يحدث في الاعاصير والزوابع فيتكاثف بخارها مطراً في الجهات السفلى ومتى بلغت نقط المطر الجهات العليا جمدت وصارت جليداً ثم تعود الى الجهات السفلى بالحركة الدولابية فتكتسي غلالة من بخار الماء وتعود الى الجهات العليا فتجمد هذه الغلالة وتصير جليداً وهلمَّ جرّاً الى ان تضعف الحركة الدولابيَّة او تخرج حبوب البرَد من مدارها او تثقل ولا تعود الغيمة قادرة على حملها فتقع على الارض برداً كبيراً او صغيراً . وتختلف طبقاتها بين كونها من الجليد الشفاف او الثلج غير الشفاف حسب علو الاماكن التي تصل الغيوم اليها فاذا وصلت الى منطقة الثلج العالية كانت الطبقة ثلجاً واذا نزلت الى طبقة التي يتكوَّن المطر فيها اكتست طبقة من الماء تجلد عليها حينما تعلو . ويقال ان بعضهم شاهد هذه الحركة في الغيم وكان واقفاً على قمة جبل في جنوبي فرنسا

والتعليل الثالث مدارهُ على ان في طبقات الجو العليا شيئاً من البخار المائي وصل اليها من مياه الارض او من الاكسجين او الهيدروجين اللذين يندفعان من الشمس مع المشاعل وهذا

البخار يبرد كثيرًا ويتقلص ويجمد ويعود منجذبًا الى الارض ويسرع في نزوله اليها فتتولد الحرارة من احتكاكه بالهواء فيسيل سطحه ويتبخر بعضهُ وحينئذٍ تبطئ سرعتهُ فيقل تولد الحرارة وتتغلب عليها برودة جسمهِ لانهُ جاء من اعالي الجو ببرد شديد فيجلد الماء المحيط بهِ ويكسوهُ طبقة اخرى من الجليد ويتكرر ذلك الى ان يبلغ الارض وقد تطول مدة سفرهِ بعبث الزوابع بهِ فيكبر جرمهُ كثيرًا بما يتلبد حولهُ من الجليد . وقد ثبت بالمراقبة ان حرارة البرَد كانت مرةً ١٨ ½ درجة تحت درجة الجليد حينما كانت حرارة الهواء الذي وقع فيهِ ٧٩ درجة بميزان فارنهيت . وكثيرًا ما يحرق البرَد ورق الاشجار لشدة برودتهِ

وقد تلتقي حبوب البرد بعضها ببعض وهي ساقطة او وهي دائرة في الزوابع فتتلاصق وتصير منها حبوب كبيرة مؤلفة من حبوب صغيرة لكن الحبوب الكبيرة المفردة غير نادرة كما تقدم

كلمات شتى

[اتحفنا حضرة الفاضل الشيخ محمود الشاعر من مدرسي مدرسة سعيد الاول بالسطور التالية قال انهُ كان يقيدها عندما تخطر ببالهِ فوجدناها من ابلغ جوامع الكلم ونشرناها افادة للقراء]

الشهرة غطاء العيوب . ثلاثة من عبدة الاوثان البخيل والعاشق والمتملق . لا سم اقتل من اليأس ولا سيف امضى من الاقدام . كاد المال ان يكون الهًا

واكذب ما يكون المرء يومًا اذا لم تدعهُ للكذب حاجه

الكتب قلوب الناس في ايدي الناس . انت في كل يوم رجل جديد . المناصب قيود من ذهب او فضة او حديد . الغربة تعلّم الجهاد . من هجاك بالباطل فقد هجا نفسهُ بالحق . الناس بعضهم لبعض عدو حتى الاصدقاء

الظلم في الناس طبعٌ والعدل منهم تكلُّفُ

اليائس اخو الميت . كاشف السر ككاشف العورة . ربما هذَّبك ولدك . لا تستقل السيئة ولا تستكثر الحسنة . الشدة للحر كالنار للذهب وللنذل كالنار للحطب . من بدأ في العمل فقد فرغ منهُ . اذا لم تكن عالمًا فكن عاقلاً . اشقى الناس من يحاول اصلاحهم . الحياة دولة ملكها العقل ووزراؤها العلم والتجربة والفضيلة

العزلة روضة الفكر ومهبط الحكمة وطريق السلامة ومهاد الحرية • من صبر على التعليم صبر على كل شيء • الدنيا ثلاثة المال والجمال والجاه • لا باطل اشبه بالحق من السياسة قد افلح من كان فيهِ لسن المحامي ووقار القاضي ورفق الطبيب ودهاء السياسي وسحر الشاعر وصبر المعلم ووداعة الزاهد واقدام الجندي وحرص التاجر • المال شر لا بدَّ منهُ فمن شاء فليقنع ومن شاء فليطمع • الصبر عنصر الاخلاق • المداراة ملح المعاشرة • اتقِ الرئيس كما تتقي العدو • بذرة العداوة سوء الظن • الوهم اكذب منظار • لو انصف الناس استراحوا • كلما قربت النفس من المال شبرًا بعدت من الفضيلة ميلاً • اطلب الحرية تجد الغنى • تأخذ اخلاقك من بين مدح الصديق وذم العدو • الجرائد شعراء هذا العصر والمحامون خطباؤُهُ والاطباء امراؤُهُ • دواء الحماقة الموت • الجمال زهرة قريبة الذبول • ثلاثة تملك ثلاثة الاخلاص يملك الكبار والاحسان يملك الصغار والتواضع يملك الاقران • علمك ولدك فاحسن تربيتهُ • من لم تعلمهُ الايام فالنار اولى بهِ • اذا كان للعمل رجلان يمشي بهما فالصدق والصبر • لا عداوة في الدنيا ولا صداقة وانما هو تنازع البقاء • زمام الاحمق اذنهُ وزمام العاقل قلبهُ • المصيبة في الجزع من المصيبة والشر في حب الشر • البلادة سعادة • نصف المصايب من حب المال • لا تخاصم رجلاً حتى تصادق رجالاً • لو كان في الدنيا صديق حميم لكان العمل • اربع صفات لا بد لصاحبها ان يسود "عفاف واقدام وحزم ونائل" • آفة الحياة اليأس • من لم يعتبر بغيرهِ اعتبر بهِ غيرهُ • اصحب الناس على علاتهم • كثرة الخطاء تعلم الصواب • تفعل الشدائد بالانسان ما يفعل الحجر بالحديد يفلّه او يشحذهُ • الفقر في الوطن خير من الغنى في الغربة • استشر غيرك ثم تخيَّر لنفسك فانت ادرى بها • لكل نابغة وقت • تكاليف الحياة شاقة واشق منها ان لا غنى عنها • اعز ما في الدنيا الحريَّة واغلى ما فيها السرور وابقى ما عليها الحكمة • الغرور احلام المستيقظ • الفخور ابن عم الكذوب • كاتم السر كالقابض على الجمر • الكبر مطية الظلم • افضل الجهاد جهاد الظلم • الطبيعة اقوى دولة وابقاها واعدلها • الشرق في تفريط والغرب في افراط • الحكماء في دنيا غير هذه الدنيا • التوظف رق منتظم • الثبات قوة ثانية • المناصب فتنة • ربما كان المال من اسباب الجنون • ان كان شيء اشرف من العمل فهو اقامة • اعرف الناس وان لم يعرفوك • الظلم جنون • البخيل بخيل ولو والدًا والاحمق احمق ولو عالمًا

اسكندرية محمود الشاعر



مهد الجنس السامي

استاذيَّ العزيزين

قرأْت اعتراض الكاتب الفاضل سوري افندي على خطابي " مهد الجنس السامي " فاشكر لهُ اولاً لانهُ قرأ هذا الخطاب وثانياً لانهُ اعترض عليهِ لكن قبل ان ادفع ما يمكنني دفعهُ من اعتراضات هذا الفاضل ارجوكم اصلاح ما وقع من الخطاءِ في اول القطعة الاخيرة من الخطاب فانَّ القراءة الصحيحة ينبغي ان تكون هكذا " وخلاصة القول ان اللغة السامية المنتشرة بين القراتين وخليج العجم وعمان شمالاً وشرقاً وبحر الهند او العرب جنوباً والنيل والبحر المتوسط غرباً كان مهدها الاول الذي نشأَت فيهِ بلاد العرب - فبلاد العرب هي مهد الجنس السامي ومنشأُ المدنية الاولى الخ "

بعد هذا التصحيح اتقدم للنظر في اعتراضات سوري افندي قال

اولاً ان مهاجرة الامم من جزيرة العرب الى العراق العربي او ما بين النهرين مخالف لطرق المهاجرة التي جرى عليها الناس من اول عهدهم الى الآن وهي السير مع الشمس من الشرق الى الغرب او مع الانهر من الشمال والشمال الشرقي الى الجنوب والجنوب الغربي

والجواب عن هذا الاعتراض ان طريق المهاجرة من الشرق الى الغرب ومن الشمال الى الجنوب ليس في الاسباب الطبيعية المعروفة ما يوجبهُ على المهاجرين ولا في الاستقراء ما يجعلهُ مطرداً وقد هاجر الاقوام قديماً وحديثاً من الجنوب الى الشمال ومن الغرب الى الشرق واقرب شاهد على ذلك ما جاء في عدد اوغسطس سنة ٩٠٧ من المقتطف الاغر وجه ٦٠٥ وهذا نصهُ

"وبلاد نفط هذه على ساحل البحر الاحمر شرقاً وغرباً حيث بلاد اليمن وبلاد الصومال وكان المصريون الاقدمون يقدسونها ويقال في تقاليدهم ان اسلافهم مرُّوا بها وهم آتون الى القطر المصري". اه

وظاهر من هذا انَّ مهاجرتهم كانت من الجنوب الى الشمال

ثمَّ ان العرب هاجروا قديمًا اي قبل التاريخ المسيحي او في اوائله وحديثًا اي بعده (ومهاجرتهم لا شك فيها) من نجد الى العراقين ومن ارض البحرين وعمان واليمن الى العراقين ايضًا . بل جاء في اثبت التواريخ ان العرب استولوا على بابل بمئات من السنين قبل التاريخ المسيحي ومعنى ذلك انهم هاجروا الى ارض بابل غزاةً وفاتحين ولم يحفلوا بالاعتراض الذي اعترضهُ سوري افندي . والخلاصة ان مهاجرة العرب الى العراقين عراق الفرات وعراق دجلة كانت مشاهدة في كل اعصر التاريخ المعروفة ولا تزال جاريةً لحد هذه الساعة فليس اذن من مانع يمنعها في الزمن الذي اشرت اليهِ وان خالف طريقها طريق المهاجرات الذي اشار اليهِ حضرة سوري افندي

على اني مع ذلك اقول ان مهاجرة العرب الى العراقين كان طريقها موافقًا لطريق المهاجرات التي يعترف بها حضرة المعترض لانهم اي العرب يمكن ان يكونوا في مهاجرتهم هذه قد اتبعوا سواحل البحر الى ان بلغوا مصبَّ الفرات والدجلة ثمَّ اتبعوا مجاري الانهار الى الشمال كما فعل اهل قنفط الذين اشرنا اليهم قبيلَ الآن

قال ثانيًا ان الشعوب التي تهاجر تأخذ لغتها معها وهذا الاعتراض لنا لا علينا فان الاساس الذي تستند اليهِ مقالتنا في " مهد الجنس السامي " هو اللغة لانَّا قلنا فيها انَّ الشعب السامي او المتكلم باللغة السامية الذي ترك لنا تلك الآثار العظيمة في بابل واشور آثارًا يمتد عهدها الى نحو من اربعة آلاف سنة ق ٠ م او اكثر على ما يقول علماء العاديات — هذا الشعب جاء ما بين النهرين فاتحًا . فمن اين جاء ؟ وأَرجح ما يمكن ان يقال في الجواب انهُ جاء من البلاد العربيَّة أَمَّا هل كان سكان البلاد العربيَّة كلهم ساميين اي من نسل سام او كانوا حاميين او خليطًا من السلالتين فما لم اتصدَّ للكشف عنهُ ولهُ رجال غيري صرفوا ايامهم في هذا البحث وهم اولى بهِ مني

ولكني اقول انهُ اذا كان الحاميون سكنوا العربيَّة واقتسموها مع ابناء عمهم سام فلغتهم كانت لغة ابناء عمهم او صارت اليها وحينئذٍ فيجوز ان يكون الذين نزحوا الى بابل ومنها الى جهات اشور حاميين او ساميين او خليطًا من القبيلين

قال ثالثًا ان مجيء الفنيقيين من جهات خليج فارس لا يستلزم كونهم من العرب ولا كونهم من جزيرة العرب اذ يحتمل او يرجح انهم من الامم القديمة الذين هاجروا من الشمال الشرقي من اواسط آسيا فركب بعضهم البحر وجاء افريقيا وسار بعضهم برًّا الى بلاد العرب اه

في هذا الاعتراض صوابٌ وهو قولهُ — ان مجيء القوم من جهات خليج فارس لا يستلزم كونهم من العرب — لانهُ يحتمل كونهم اراميين او كوشيين لغتهم الارامية واما ما ذكرهُ في بقيَّة اعتراضهِ الذي نقلناهُ بحرفهِ ففيهِ مغامز كثيرة منها قولهُ اولاً — ان مجيئهم من خليج فارس لا يستلزم كونهم من جزيرة العرب — والذي اراهُ هنا ان حضرة المعترض صانع بلفظ — خليج فارس — فانهُ اقامهُ مقام ارض البحرين على خليج فارس ولولا هذه المصانعة لظهر حالاً المناقضة بين اول عبارتهِ وآخرها لانَّ ارض البحرين على خليج فارس هي قسمٌ من جزيرة العرب كانت ولا تزال لحد هذه الساعة

ومن المغامز ايضاً قولهُ ثانياً — اذ يحتمل او يرجح انهم من الامم القديمة الذين هاجروا من الشمال الشرقي من اواسط آسيا فركب بعضهم البحر وجاء افريقية وسار بعضهم برًّا الى بلاد العرب

فان ترجيح حضرة المعترض ان القوم من الامم القديمة الذين هاجروا من الشمال الشرقي من اواسط آسيا ليس لهُ ما يسندهُ وهو مخالف لتقاليد العرب التي نقلها عنهم اراتوسنيس اليوناني ونحواها ان اهالي جزيرتي تيرس وارادوس في خليج فارس يقولون ان المدن الفينيقيَّة على شواطىء بحر الروم هي مستعمرات من مستعمراتهم . ومخالف ايضاً لما رواهُ هيرودوتوس من ان الفينيقيين جاؤُوا الى شطوط المتوسط من ارض البحرين او من خليج فارس على ما هو متعالَم ومشهور

على انا لو سلَّمنا بترجيح حضرة المعترض انَّ القوم من الامم القديمة الذين هاجروا من الشمال الشرقي من اواسط آسيا لم نرَ بدًّا من السوءال ماذا كانت لغتهم قبل ان هاجروا مهاجرتهم هذه فان قال انها الاراميَّة لغتهم المعروفة قلنا حينئذٍ ان ترجيح حضرتهِ يستلزم ان الفريق الذي هاجر برًّا الى ارض البحرين هاجر اما غازياً او مهزوماً يطلب مقرًّا لسكناهُ فمرَّ على بلاد العراقين من شمالها الى جنوبها حتى وصل اخيرًا الى بلاد البحرين بلاد الجوع والشظف بالنسبة الى البلاد التي كان فيها والبلاد التي مرَّ عليها وقد حفظ في هذه المهاجرة قوام جنسيتهِ حتى وصل الى البلاد التي القى فيها اخيرًا عصاهُ ولم يتعرَّض للامم التي مرَّ بها ولم تتعرَّض لهُ . وفي هذا الفرض من البعد ما فيهِ لانهُ لو هاجر غازياً لكان اولى بهِ ان يحتلَّ بقعة من بلاد اشور او من بلاد الكلدان الخصيبة ولو هاجر مهزوماً لتخطَّفتهُ سكان البلاد التي مرَّ بها ولم تدعهُ يصل عليها الى بلاد البحرين

وان قال ان لغتهُ كانت فرعاً من اللغة اليافثية كانت الصعوبات التي يعترض بها ولا

نجد لها حلاً اكثر من الصعوبات التي ذكرناها لانهُ حينئذٍ فوق ما ذكرناهُ من المستبعدات يكون قد حفظ جنسيتهُ من حيث هو شعب او قبيلة مجتمعة واضاع لغتهُ وهذا مما لا يمكن التعليل عنهُ بوجهٍ من الوجوه تعليلاً ينطبق على شرائع العمران والمهاجرة المعروفة منذ اقدم الازمنة الى الآن . وكيفما قلبنا ترجيع حضرة المعترض نراهُ بعيداً عن المعقول المتعارف فضلاً عن انهُ مخالف للمنقول عن التقاليد القديمة في اصل القوم ومكان هجرتهم الاولى

قال رابعاً ان الاستشهاد بمؤرخي العرب لا يقوم دليلاً لانَّ اقدم مؤرخي العرب نشأُوا منذ عشرة قرون او احد عشر قرناً وهم لم يبحثوا في عاديات الامم السالفة بل جمعوا ما وصل اليهم بالنقل المتواتر ممن كان قبل عصرهم بقرن او قرنين او ترجموا ترجمة سقيمة من كتب اليونان والرومان والفرس . ونحن لا نثق بما كتبوهُ عما حدث في زمنهم فكيف نثق بما كتبوهُ عما حدث قبل زمنهم بالفي سنة او ثلاثة آلاف سنة اه

اقول في دفع هذا الاعتراض ان الكاتب ظلم مؤرخي العرب وتوهم في اهل العربيَّة انهم كلهم أعراب يرعون الابل في قفار الحجاز ونجد وشماليهما بين الفرات وسوريا. والحال أنَّ من بلاد العرب اليمن وحضرموت وعمان وارض البحرين واهل هذه البلدان من اعرق امم العالم في الحضارة والتجارة والصناعة وهم تجار المسكونة في العصور السالفة قبل التاريخ المسيحي . وفي بلاد اليمن وحضرموت من الآثار على الحجارة بالخط المسند ما يكاد يضارع الآثار الباقية في مصر وبلاد ما بين النهرين وما زال هذا الخط يقرأ ويترجم عنهُ الى الجيل الثالث بعد الهجرة . وعليهِ فالمرجح ان مؤرخي العرب — واكثرهم من اليمن وحضرموت او ممن كان لهم اتصال بهما وبآثارهما — نقلوا ما نقلوهُ من الشذرات عن العصور الخالية من تلك الآثار او عن كتب التواريخ التي كانت مكتوبة بالخط المسند . واقرب سندٍ نسند اليهِ قولنا هذا ما جاء في جغرافية بلاد العرب للهمداني في كتابهِ المعروف باسم "وصف جزيرة العرب" قال هناك ما نصهُ "ثم ذمار وساكنها من حمير وفيها نفرٌ من الابناء والذماري المحدّث ولم يزل بها وبالجَنَد وجيشان علماء فقهاء مثل ابن قرّة صاحب المسند وعبد الرحمن ابن عبد الله قارىء المساند" وقال ايضاً — "وصنعاء اقدم مدن الارض لانَّ سام بن نوح الذي اسسها وقد جمعتُ اخبارها في كتاب الاكليل واضربنا عن ذكر قديمها في هذا الموضع صفحاً ولم يزل بها عالم وفقيه وحكيم وزاهد — وهم مع ذلك اهل تمييز لعارض الامور وخدمة السلطان بأُبهةٍ وعلاء وتنعم في المنازل ولهم صنائع في الاطعمة التي لا يلحق بها اطعمة بلد ولهم خط المصاحف الصعاني المكدر والتحسين الذي لا يلحق بهِ ولهم حقائق الشكل ذكرهم بذلك

الخليل ولم الشروط دون غيرهم ولا يكون لفقيه من اهل الامصار شرط الا ولم ابلغ منهُ واعذب لفظاً واوقع معنىً واقرب اختصاراً · ومنهم الخطباء كمطرف بن مازن وابرهيم بن محمد بن يعفر وفيها العلماء كوهب بن منبه وأخويهِ همام ومَعقِل وعبد الرزاق وعبد الرحمن بن داود وابن الشرود وهشام بن يوسف ومطرّف بن مازن المخترع لفارغ الفيول · ومن اصحاب النجوم دردان وابو عصمة وابوجندة وابن عاصم وابن المنيذر وابن عبدالله وغيرهم · ومن الشعراء الخ · الى ان قال ولم يزل فيها من كتبة الديوان بلغاء غير مولدي الكلام ولا مستغني المعاني ومبعدي الاستعارات مثل ابن ابي رجاء وغيرهم · وكان بشر بن ابي كبار البلوي من ابلغ الناس وكانت بلاغتهُ تتهادى في البلاد وكان لهُ فيها مأخذ لم يسبقهُ اليهِ احد ولم يلحقهُ فيهِ وتعجب بلاغتهُ ونفاستها وانهُ فيها أوحد ورتهُ لا يشابهُ بلاغتهُ البلغاء وانهُ منفرد بحسن اختلاس القرآن اثبتنا منها عشر رسائل ليستدل بها على ما وراءها واقل الاثر دليل على المؤثر — كتب بشر الى ابرهيم بن عبد الله الحجبيّ والي صنعاء لهارون الرشيد

اما بعد فإن رأى الامير امتع الله بهِ أن لا يُعلم هشاماً ما يريد من صلتي فانهُ لم يردني والٍ قطّ بخير ولم يفتح لي باب صلةٍ فتكون منهُ خالصةً لا يريد بها الا وجه الله وحدهُ ولا يرجو بها الا ثوابهُ الا عرض هشام من دونها فثقّلها وكرّهها وادار القياس فيها وضرب لها الامثال والقى الحيلة فيها الى الكاتب والحاجب وقاسمهما بالله اني لكما لمن الناصحين ومدحني بما لا يسمع بهِ من اخلاقي وانتقصني فيما لا يطمع بغيرهِ مني ليكون ما اظهر من المدحة مصدّقاً لما اسرّ من العيبة ثمّ زخرف ذلك بالموعظة وزينهُ بالنصيحة وقاربهُ بالمودّة واغراه من ناحية الشفقة وشهد عليهِ اربع شهادات بالله انهُ لمن الصادقين والخامسة ان غضبُ الله عليهِ ان كان من الكاذبين فاذا الحاجب يزلقني ببصرهِ واذا الكاتب يسلقني بلسانهِ واذا الخادم يعرض عني بجانبهِ واذا الوالي ينظرني نظر المغشيّ عليهِ من الموت فصارت وجوهُ النفع مردودة وباب الطمع مسدوداً واصبح الخير الذي كنت ارجوهُ هشيماً تذروهُ الرياح والصلة التي كنت اشرفتُ عليها صعيداً زلقاً واصبح ماؤُها غوراً فما استطيع لهُ طلباً فاسأل الذي جعل لكل نبيّ عدوّاً من المجرمين ان يكفيني شرّهُ ويصرف عني كيدهُ فانهُ يراني هو وقبيلهُ من حيث لا اراهم والسلام

انتهى ما اردت نقلهُ عن الهمداني وقد اطلت في النقل شيئاً ليظهر لك ما كانت عليهِ صنعاء في ايام هرون الرشيد

والمتدبر لهذا النقل يتضح لهُ ان كان في صنعاء علماء وادباء وكتبة مثل بشر هذا ليسوا

يدون اشهر كتابنا في هذا العصر ولكتاب بشرهذا الذي نقلناه بحرفهِ لا يأنف ابلغ كتابنا في مصر والشام ان ينسب اليهِ إن لم نقل انهُ يفخر بنسبة مثلهِ اليهِ . واذا علمت ان صنعاء كانت حينئذٍ في دور انحطاطها وانها كانت قبل التاريخ المسيحي فوق ما كانت عليهِ في زمن الرشيد تغير فكرك في العرب وفي كتبة العرب ومؤرخيهم وعدلت عن رأيك فيهم

قال خامساً — ان الناس مهما بعدت لغاتهم وعاداتهم عن اصلها بالتنوع الطبيعي او بالمخالطة لغيرهم من الامم فلا يستطيعون ان ينوّعوا بنية اجسامهم كاشكال رؤُوسهم والوان شعورهم وملامح وجوههم . واذا ظهر شيء من التنوّع في الكبار لا يظهر في الاطفال الاَّ بعد ان يرسخ رسوخاً تامًّا على مرّ السنين وتوالي الاعقاب . ومعلوم ان شكل رأس البدوي وشكل دماغهِ ووزنهُ وملامح وجههِ ولون شعرهِ طفلاً وبالغاً كل ذلك مخالف لما يُرى في اكثر الشعوب السوريَّة والسريانيَّة . اه

اطال الله عمر حضرة المنتقد العزيز فانهُ اقام القيامة عليَّ بهذا الاعتراض فمن لي ان اكون عالماً محققاً في العلوم المبني عليها هذا الاعتراض — ان الجواب بما تقتضيهِ العلوم المشار اليها فوق وسعي وفوق معرفتي ومع ذلك اسمعهم يقولون ان ملامح العرب (البدو فقط) تشبه ملامح اليهود والسريان واغلب سكان سوريا مع شدة امتزاجهم بغيرهم من الامم . وان كان يعتمد على مجرَّد حكمي من جهة شعوري الخاص اقول اني ارى شبهاً كبيرًا في الملامح الظاهرة كلها فيما قد رأيتهُ من صور العبرانيين والسوريين والسريان وبين صور العرب لكن الصور التي يراد بها تصوير النوع لا تصوير فرد بعينهِ . ولعلَّ كثيرين ممن هم مثلي في المعرفة الاثنولوجيَّة والتشريحية يروق لهم جوابي هذا ويسلمون معي بصحتهِ على حضرة المعترض

قال سادساً — ان البلاد التي ينمو فيها الشعب ويكثر حتى يفيض منها فيضاناً ويهاجر ابناؤُهُ منها يلزم ان تكون بلاداً خصيبة جدًّا لا قفارًا قاحلة كاكثر بلاد العرب — فان كان لدى حضرة الاستاذ ادلة تشريحيَّة واثريَّة يمتدُّ تاريخها الى قبل الزمن الذي كتبت فيهِ التواريخ العربيَّة والى قبل الزمن الذي كتبت فيهِ التوراة تدلُّ على ان البلاد العربيَّة هي مهد الجنس السامي فليتحفنا بها ولهُ الفضل اه

واقول ان البلاد القاحلة كبلاد العرب اذا ضاقت بأهلها اسباب المعيشة وخشوا الهلاك مع الاقامة هاجروا ضرورةً الى ما يجاورهم من البلاد الخصيبة وهذا ما فعلهُ العرب من الوف من السنين لحد هذه الساعة — واما ادلتي التشريحيَّة فلا اتجاسر ان ابدي منها دليلاً واحدًا لاني غير ثقة كما اشرت الى ذلك قبيل الآن

وامَّا ادلتي الاثريَّة او التاريخيَّة فقد ذكرت اهمها واقواها في خطابي وما بقي عندي منها فيدعم ما ذكرتهُ لا غير ولكنهُ لا يصلح في هذا الموقف موقف الردّ على اعتراض وهي ادلة عقلية اراها تقنع لكن لا تلجيء الى التسليم بها كالبراهين الهندسية مثلاً وعندي ايضاً تقليد اهل اليمن وقد اشار اليهِ الهمداني صاحب كتاب (وصف جزيرة العرب) في الكلام عن مدينة صنعاء واعيد نقل هذه الجملة من كلامهِ قال — وصنعاء اقدم مدن الارض لان سام بن نوح أسسها — ومن اراد فليراجع هذا الكتاب طبع ليدن سنة ١٨٨٤ وجه ٥٥ . واختم ردي هذا بتكرار تشكراتي لحضرة المعترض واعتذر لقراء المقتطف عما جاء فيهِ من الاسهاب ولا اظنهُ في غير موضعهِ والسلام

بيروت المدرسة الكليَّة الاميركانيَّة جبر ضومط

وفود المؤتمرات العلمية

حضرات الافاضل اصحاب المقتطف الاغر

كثيرًا ما تنتدب الحكومة المصرية رجالاً من ابنائها لينوبوا عنها في مؤتمر المستشرقين الذي يعقد في اوربا فيذهبون وينتظر منهم ان يكونوا عملوني الوطاب من المواضيع الهامة التي واصلوا الليل بالنهار في درسها وجمع شواردها ليجعلوا لمصر ميزة في النهضة الادبيَّة الحديثة ثم يعودون الى مصر ولا نعلم ما كان من امرهم ولا يطالبهم احد بما عرضوهُ على المؤتمر من بنات افكارهم حتى ان الصحف العربيَّة لم تعر هذا الموضوع اقل اهتمام وهو ما نجل عنهُ المقتطف الذي المّ بكل موضوع مفيد ولذلك نستغرب اغفالهُ هذا الموضوع ونرجو لا تبخلوا علينا في المستقبل بنشر ما يتلوهُ نوابنا في المؤتمرات العلميَّة عبد الرحمن جبيبي

[المقتطف] قلما ذهب وفد الى مؤتمر من هذه المؤتمرات الاَّ طلبنا من اعضائهِ ان يتحفونا بالمقالات التي يتلونها فيهِ لننشرها او ننشر خلاصتها لكنهم لم يفعلوا الاَّ نادرًا اما لانهم ذهبوا للنزهة على حساب الحكومة او لانهم لم يتلوا شيئاً يستحق النشر او لسبب آخر لا نعلمهُ والواجب على الحكومة ان لا تختار للمؤتمرات العلميَّة الاَّ العلماء الفضلاء ذوي الهمة الشماء الذين يفتخر بعلمهم ويستطيعون ان يرفعوا شأن مصر في ما يكتبونهُ وينشرونهُ وان تطالبهم بكل ما يتلونهُ لينشر على الامة التي قامت بنفقات سفرهم



الميكروبات في الزراعة

مشينا بالامس في ابعدية أصلح بعضها منذ بضع سنوات وزرع . وأصلح البعض الآخر هذا الصيف وزرع حالاً فولاً وشعيراً فنبتا ونميا كأنَّ الارض التي زرعا فيها من اجود اطيان الصعيد . والارض رملية حصوية كالارض التي تبنى فيها مدينة الواحات الآن شرقي الزيتون فيها قليل من الطفال ومع ذلك تجد زرعها القديم وزرعها الجديد على غاية النمو فشجر البرتقال الذي فيها غليظ السوق مستويها كبير الاغصان غض الورق كثير الثمر . وكروم العنب الى جانبهِ كأنها في بلاد جبليَّة مشهورة بعنبها . والفول السوداني لا يقلُّ محصول الفدان منهُ عن عشرة ارادب الى خمسة عشر او عشرين اردبًا . والذرة الشامية لا يقل محصول الفدان منها عن ستة ارادب او سبعة . كل ذلك وليس في الارض اثر لطمي النيل الأَّ تحت سطحها بستة امتار او سبعة فكيف تنمو المزروعات في ارض تكاد تكون صحراء قاحلة وما لم يزرع منها لا يزال صحراء قاحلة بالفعل لا ينبت فيهِ شيء . لا بدَّ من وجود فواعل كثيرة تفعل في نمو المزروعات وهي لا تزال مجهولة او لم تعلم حق العلم حتى الآن ومنها الميكروبات التي تغذي النبات من نيتروجين الهواء والكهربائيَّة التي تعين على ذلك

وهذا الموضوع اي البحث عن الميكروبات والكهربائيَّة وفعلهما في الزراعة حديث لم تنتج منهُ نتائج عملية كبيرة حتى الآن ولكن ما نتج منهُ يدلُّ على اننا واصلون الى كنز لا ينفد لان في الهواء من النيتروجين ما يربو على كل انواع السماد ملايين كثيرة من المرات فان فوق كل فدان من الارض ثلاثين الف طن من النيتروجين ولو جعل هذا النيتروجين كلهُ سماداً لبلغ ثمنهُ مليونين من الجنيهات . اي انهُ يوجد فوق كل فدان من الارض سواء كانت ارضاً زراعية او صحراء قاحلة ما يساوي مليونين من الجنيهات لو عرف الناس كيف يستعملونهُ ويستفيدون منهُ

ذكرنا غير مرة ان السباخ الكيماوي المعروف بنيترات الصودا يفيد جدًّا في زراعة القمح وان النيتروجين من اهم اجزاء السباخ على انواعهِ ومن اهم عناصر كل الاراضي الزراعية واذا

قلَّ في الارض او انتفى منها زال خصبها ولم يعد الزرع ينمو فيها فاذا قلَّ نيتروجين الاراضي الزراعيَّة كلها وقلَّ السباخ الطبيعي والحيواني لم تعد الارض تُعطي غلتها وتكون النتيجة هلاك نوع الانسان والحيوان

مَن يقرأ هذه السطور ولا يقف وقفة المهتم الشاكي من تصور المعارف العلميَّة او وقفة المؤمل الراجي ان يستنبط العلم طريقة للانتفاع بهذا النيتروجين اي بهذا الكنز الذي لا ينفد ولا تفرغ خزائنهُ

ما الفائدة من وجود مليونين من الجنيهات فوق كل فدان من الارض اذا لم يكن لنا اليها سبيل . ألا ان السبيل موجود ولا بُدَّ من تمهيدهِ واستخدامهِ

لما وقفنا في الاطيان المشار اليها آنفًا رأينا الفلاحين رجالهم ونساءهم واولادهم وغنمهم وبقرهم وحميرهم عاكفين على قلع الفول السوداني وجمعهِ والاكل منهُ ومن ورقهِ . الرجال والنساء يقلعون الفول والاولاد يلتقطون ما يتناثر منهُ يجمعون البعض ويأكلون البعض الآخر والمواشي تأكل النبات بعد تنقية الفول منهُ . وفي الجذور انتفاخات كثيرة تدلُّ على مساكن الميكروبات التي ساعدت الفلاَّح المصري في تسبيخ مزروعاتهِ وانمائها بما امتصتهُ من نيتروجين الهواء . تلك الصحراء القاحلة تحولت الى جنة غناء بفعل هذه الميكروبات الصغيرة التي لا تراها العين لصغرها

وكيف اتت الميكروبات الى تلك الصحراء . لم نرَ لها سبيلاً الاَّ بالسباخ الكفري الذي يذرُّ فيها كل سنة فقد اطلعنا صاحب الاطيان على شروط الايجار فاذا فيها شرط مربوط على كل مستأجر وهو ان يذرَّ في كل فدان من الارض عشرة امتار من السباخ الكفري . وصاحب الاطيان يأتي بهذا السباخ من مصر العتيقة ويبيعهُ للفلاحين وهو من انقاض المباني القديمة التي مرَّ عليها مئات والوف من السنين ولا بدَّ من ان يكون مخلوطًا بما لا يحصى من الميكروبات التي تولّد نيترات الصودا والبوتاسا (اي ملح البارود) في الخرب القديمة باخذها النيتروجين من الهواء . فصاحب الاطيان والفلاحون يستخدمون احدث طريقة علميَّة لتسميد الارض بنيتروجين الهواء وهم لا يدرون

وقد كشفت هذه الطريقة منذ سنة ١٨٨٦ حينما عرف الاستاذ هلريجل العلاقة بين الثآليل التي توجد في جذور النباتات التي من نوع القطاني كالفول والبرسيم وبين ازدياد خصب الارض بها فان تلك الثآليل الصغيرة التي لا يزيد حجم الواحد منها على بزرة البرسيم تحتوي على ميكروبات صغيرة جدًّا اذا وضع عشرة آلاف ميكروب منها جنبًا لجنب لم يزد

طولها كلها معاً على سنتيمتر واحد وهذه الميكروبات تغتذي بالنيتروجين تتناول منهُ نهاراً وليلاً فتأكل ما تحتاج اليهِ وتذخر ما بقي حولها في تلك الثآليل

فاذا زرع الفول في ارض قاحلة خالية من المواد النيتروجينيَّة وطُعِّم حين زرعهِ بهذه الميكروبات اي مُزج بسائل فيهِ من هذه الميكروبات فحالما تظهر جذور الفول تهجم الميكروبات عليها وتخرقها وتصل الى ساق النبات حيثما يخرج من الارض وتقيم فيهِ وتمتص النيتروجين من الهواء لانها لا تجدهُ في التراب فتأكل ما تأكلهُ منهُ وتذخر الباقي في ما حولها فيكثر النيتروجين حول الجذور فتغتذي بهِ ويزيد خصب الارض

وتُستَنْبَت هذه الميكروبات الآن في المعامل البكتريولوجيَّة وتضاف الى التقاوي قبل زرعها فيسرع نموها ونضجها ومحصولها ويجود نوعها ويزيد خصب الارض التي زرعت فيها بعد نزعها منها

ويشترط لنجاح هذا العمل ان تكون الارض قليلة الخصب طبعاً اي قليلة المواد النيتروجينيَّة من اصلها او من انهاكها بالزرع المتوالي لانها اذا كانت كثيرة المواد النيتروجينيَّة فالميكروبات المشار اليها تجد غذاءها قريباً منها في الارض فتكتفي بهِ شأن الكسلان الذي لا همَّة لهُ ولا تتعب نفسها بامتصاصهِ من الهواء. وهذا هو السبب في ان كثيرين من الذين جرَّبوا هذه الميكروبات لم يستفيدوا منها لانهم جرَّبوها في ارض جيدة كثيرة المواد النيتروجينيَّة او لان الميكروبات نفسها كانت موضوعة في سائل جلاتيني كثير النيتروجين فاغتذت بهِ وسمنت ولم تعد تستطيع العمل مثل اكثر السمان من الناس . ولكن اذا كانت الارض قاحلة او قليلة النيتروجين مع وجود البوتاسا والحامض الفصفوريك فيها واضيفت اليها هذه الميكروبات بسائل غير جلاتيني فانها تشرع حالاً تمتص النيتروجين من الهواء وتضيفهُ اليها واذا لم يكن فيها بوتاسا وحامض فصفوريك فلا اسهل من اضافتهما اليها لان السماد الذي يحويهما رخيص بالنسبة الى السماد الذي يحوي النيتروجين

قال الاستاذ بتملي ان الفول زرع في رماد البراكين في مدرسة الملك ببلاد الانكليز واضيف الى الرماد قليل من مزدرع الميكروبات فنبت فيهِ ونما جيداً . وزرع بزر البازلا الحلوة في ما يتبقى من الفحم الحجري بعد حرقهِ فنبت ونما وازهر لانهُ اضاف اليهِ مزدرع هذه الميكروبات . ومعلوم انهُ لا يوجد شيء من الخصب في الرماد ولا في الدقيق الذي يبقى من الفحم الحجري بعد حرقهِ

وقد وزعت الحكومة الاميركية ١٢ الف رزمة فيها من هذه الميكروبات على الفلاحين

في ولاياتها المختلفة وطلبت منهم ان يجربوها ويخبروا بما يرون من نتائجها فجاءتها الاجوبة من نحو تسعة آلاف منهم يقولون فيها انهم جربوا فكانت النتيجة حسنة جداً. قال واحد منهم انهُ جرَّب ذلك في ارض قاحلة لا ينبت فيها شيء فنمت مزروعاتها وكان حاصلها اربعة اضعاف حاصل الارض الجيدة. وقال آخر انهُ اضطرَّ ان يبوّر ثلثي اطيانهِ لانهُ وجدها قد ضعفت وما عادت تنتج شيئاً فلما عالجها بهذه الميكروبات زادت حاصلاتها خمسة اضعاف

وجرى الاستاذ بتملي هذا المجرى في بلاد الانكليز فوزَّع مستنبتات الميكروبات على المزارعين ليجربوها وكتبوا اليهِ يخبرونهُ بنتائجها وخلاصة ما كتبوا بهِ ان المحصول يزيد ويبكّر ويجود

واختارت مدرسة الزراعة في كلارنوك بسكتلندا قطعة من الارض زرعتها من البرسيم الحجازي وسمدتها باعلى فصفات البوتاسا وقسمتها ثلاثة اقسام متساوية وتركت القسم الاول منها على حالهِ وسمدت القسم الثاني بنيترات الصودا والقسم الثالث بهذه الميكروبات ووزنت ما امكنها قطعهُ من البرسيم من هذه القطع الثلاث مدة السنة الماضية فكان وزنهُ كما يأتي

من القطعة الاولى ١٥٤ قنطاراً مصرياً
« « الثانية ٢٠٦ قناطير
« « الثالثة ٢٦٩ قنطاراً

وكتب رجل من الفلاحين يقول زرعت البازلاً في ربع فدان من الارض بعد ان طعّمتها بهذه الميكروبات فجنيت منهُ ١٤١٦ رطلاً من البازلاً بعتها بسبعة جنيهات و ١٨ شلناً و ٩ بنسات . وسمدت ربع فدان آخر بقنطار من اعلى فصفات الصودا وخمسين رطلاً من سلفات البوتاسا فجنيت منها ٥٨٨ رطلاً فقط من البازلاً بعتها بجنيهين وخمسة شلنات وستة بنسات . فكسب من ربع فدان ٥ جنيهات و١٣ شلناً و٣ بنسات باستعمال هذه الميكروبات

والحبوب التي تعالج ارضها بهذه الميكروبات تكون اكثر غذاء من التي لا تعالج ارضها بها . والارض نفسها يزيد مقدار النيتروجين فيها وقد بلغت زيادة النيتروجين في الفدان الواحد في اميركا ١٢٥ رطلاً وفي المانيا ١٧٥ رطلاً الى ٢٠٠ رطل فاذا زرعت فداناً من الارض فولاً او برسيماً مطعَّماً بهذه الميكروبات وجدت ذلك الفدان بعد جمع الفول او البرسيم منهُ كانهُ تسمَّخ بما يساوي خمسة جنيهات من سماخ نيترات الصودا

وفي شهر يناير سنة ١٩٠٦ طعَّم بعضهم بزور النفل الاحمر وعشب المراعي بهذه الميكروبات وبذرها في ارض ينبت فيها الشيح ونحوهُ من النباتات البرية فنبت النفل والعشب وخنقا النباتات البرية وصارت الارض من ارض المراعي الجيدة

التعليم الزراعي في المدارس الابتدائية

ابنا غير مرة ان ابناء البلاد الذين يتعلمون التعليم العالي في مدارس الطب والقضاء والزراعة والصناعة قليلون جدًّا بالنسبة الى الذين يتعلمون في المدارس الابتدائية وفي الكتاتيب قبلها. فاذا دخل الف ولد الكتاتيب فلا يصل مئة منهم الى المدارس الثانوية ولا يصل عشرة من هؤلاء الى المدارس العالية والذين يتعلمون الزراعة منهم في مدارس الزراعة قليلون جدًّا فلا يصل اليها واحد من عشرة آلاف فاذا كانت البلاد زراعية كالقطر المصري وجب على فريق كبير من سكانها ان يكون لهم المام بالزراعة اي بالاساليب العلمية لخدمة الارض وتربية المواشي واختيار التقاوي ومقاومة الآفات الزراعية وما يتبع ذلك من الاقتصاد الزراعي اي حساب الاثمان وتقدير المساحات والمكعبات وما اشبه مما لا بدّ من معرفته لكل من يفلح في الزراعة • وهذه المعرفة قد لا تكون لازمة للعامل والاجير ولكنها لازمة لكل ناظر زراعة ولكل مالك يمتلك فدادين فاكثر. والفلاحون يعرفون كثيرًا منها بالاختبار والتقليد ولكن اذا اضافوا الى ذلك المعرفة الكتابية في المدارس التي يتعلمون فيها مبادىء القراءة والكتابة والحساب وقواعد اللغة تزيد معارفهم ونجاحهم فبدلاً من تعليمهم قواعد الصرف والنحو في المدارس الابتدائية يتعلمون مبادىء علم النبات والكيمياء الزراعية والقواعد الجوهرية في تربية المواشي وحينما يتعلمون الحساب يمرَّنون على الحساب الزراعي كحساب مكعبات الترع والمصارف وحساب اثمان المحصولات حتى اذا خرجوا من المدارس للاشتغال مع ابائهم بالزراعة يكونون على شيء من الاستعداد العلمي فيقرنون العمل بالعلم ويدركون حقائق الاعمال التي يعملونها اكثر مما يدركها الاميون الذين لم يتعلموا شيئًا ويصيرون اذا طالعوا مجلة زراعيةً يفهمون ما فيها من الفوائد التي تكتشف جديدًا في علم الزراعة والاعمال الزراعيةِ. لكن معلمي المدارس الابتدائية لا يستطيعون ان يعلّموا التلامذة مبادىء العلوم الزراعية ما لم يتعلموها هم قبلهم. وهذا ليس مما يتعذَّر الوصول اليهِ اذا اهتمت نظارة المعارف به فانها تستطيع ان تؤلف كتبًا بسيطة في المبادىء الزراعية وتدعو كل سنة مئة من معلمي المدارس الابتدائية الى مكان يقيمون فيهِ شهرًا من الزمان وتعين لهم اساتذة من المتخرجين في علم الزراعة ليلقوا عليهم خطبًا في مواضيع تلك الكتب. والرجل المتمرن على فهم المواضيع العلمية لا يحتاج الى اكثر من شهر لادراك هذه المبادىء الاولية فاذا فعلت ذلك استطاعت ان تعلم المبادىءَ الزراعية لالف معلم في عشرة شهور اي في سنة مدرسية. واذا لبَّى طلبها كل معلمي المدارس

الابتدائية اتمت تعليمهم في ثلاث سنوات واهلتهم لتعليم تلامذتهم مبادىء الزراعة.

التعليم الزراعي لا الصناعي

اهتمَّ بعض الفضلاء اهتماماً يشكر بانشاء المدارس الصناعية في اسيوط والمنصورة والمنيا والفيوم وحسناً فعلوا ولكن حاجة البلاد الى التعليم الزراعي اشد من حاجتها الى التعليم الصناعي . والصناعة تعلّم في الورش الصناعيّة والصنّاع فيها ليسوا احسن حالاً من سائر العمال واما الزراعة فلا ورش زراعيّة لها والبلاد غير مستعدة طبعاً للنجاح في الصناعة لان ليس فيها مناجم حديد ولا مناجم فحم حجري ولا حراج كثيرة الخشب فلا سبيل لها لان تصنع مصنوعات كثيرة رخيصة وتصدرها الى الخارج كما تصدر القطن مثلاً وغاية ما تستفيده من الصناعة انها تصير تكفي نفسها من بعض المصنوعات الضرورية واما الزراعة فانها مصدر ثروتها وهي ممتازة بها على كل البلدان . كنا نقول لبعض الملاّك في انكلترا ان ايجار الفدان يبلغ عندنا عشرة جنيهات وقد يبلغ خمسة عشر جنيهاً فينظرون الينا مبهوتين ويعسر عليهم ان يصدقوا ما يسمعون لان ايجار الفدان عندهم لا يبلغ عشر هذا المبلغ . والذين يعرفون احوال الزراعة في كل البلدان التي تعتمد على المطر لسقي مزروعاتها يغبطون اهالي القطر المصري على نيلهم وهوائهم وقيظهم . انحبس المطر في اوائل الصيف الماضي في البلاد الانكليزية فكادت المزروعات تتلف ويئس الفلاحون منها ثم توالت الامطار في اغسطس وسبتمبر فلم يستطع الفلاحون ان يحصدوا زرعهم . كنت ترى الفلاح يخرج الى غيطهِ ساعة ينقطع المطر وتشرق الشمس ويشرع في حصد (ضم) مزروعاتهِ ثم لا تمضي ساعتان حتى تتلبد الغيوم وتقع الامطار فيعود الى بيتهِ كاسف البال. رأينا ذلك فاتضح لنا سبب عكف الناس هناك على الصناعة داخل المعامل حيث لا مطر يمنع العمل ولا قيظ يتلف الاعمال ولكن الصنّاع يعيشون كلهم من يدهم الى فمهم فلا يملكون شيئاً ولا الآلات التي يعملون بها واذا مات الواحد منهم لم يخلّف لاولادهِ الاّ الفقر اما الفلاح في القطر المصري فيأتيهِ ماء الري في وقتهِ او قلما يتأخر عنهُ تأخراً تتلف بهِ زراعتهُ ولا مطر يمنع حصد المزروعات او جمعها واذا مات ترك لاولادهِ كل ما يملكهُ ولم ينقصهم الاّ عمل يديهِ . فيجب ان يكون اهتمام كل محب لوطنهِ مصروفاً الى ترغيب الناس في اتقان الزراعة وامتلاك الاراضي الزراعية . واذا اهتمَّ الفضلاء بانشاء مدرسة للصناعة وجب ان يهتموا بانشاء عشر مدارس للزراعة لان الزراعة اهم للبلاد من كل وجه واوفر ربحاً

زرع الصحراء

في القطر المصري صحاري كثيرة منبسطة يستحيل ان ينبت فيها زرع وهي في حالتها الحاضرة لان ماء النيل لا يصل اليها وليس فيها طمي او اتربة يغتذي النبات منها اما الماء فيمكن الحصول عليهِ من الآبار الارتوازية فقد شاهدنا بئرًا منها بالامس عمقها نحو ٤٥ مترًا يخرج منها ماء كالزلال تخرجهُ آلة بخارية وترفعهُ الى علو ١٧ مترًا فوق سطح ماء الترعة المجاورة لتلك الصحراء فيروي الصحراء بسهولة وتبقى مسألة الطمي او التراب الذي تغتذي منهُ المزروعات . لكن يظهر من المقالة السابقة ان علماء الزراعة تمكنوا الآن من تسخير الهواء لتغذية المزروعات بواسطة الميكروبات فاذا دلَّت التجارب على امكان ذلك في صحاري القطر المصري اتسع نطاق الاراضي الزراعية جدًّا



قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

النظافة والشوارع

كان الوطنيون واصحاب الجرائد يشكون من اهمال الحكومة المصرية للشوارع الوطنيَّة فلا ترصفها بالحصى كما ترصف الشوارع في الاحياء الاوربيَّة في هذه العاصمة فسمعت الحكومة شكواهم وجعلت ترصف شوارعهم لا بالحصى كما طلبوا بل بما هو اغلى منهُ جدًّا واجود من كل وجه وهو الاسفلت حتى فاقت تلك الشوارع شوارع لندن وباريس استواء ونظافة حينما رُصفت كذلك . واقامت الحكومة اناسًا يغسلونها ليلاً لكي تبقى نظيفة وهذا امر لم تحلم بهِ مدينة شرقية من عهد الفراعنة والقياصرة والخلفاء الى الآن . ولكن هل نظفت تلك الشوارع . هل تستطيع المشي فيها اذا امطرت السماء . هل تستطيع المشي فيها الاَّ بعد غسلها تمامًا . هل تخلو من الاوساخ والاقذار يومًا واحدًا . يغسل صاحب الدكان اناء فيرمي ماءهُ الوسخ في الشارع امام بابهِ . يأكل ليمونة فيرمي قشرها في الشارع . يمصُّ قصب السكر فيرمي مصاصتهُ في

الشارع. يشتري خسة او بجلة فيرمي ورقها الخارجي في الشارع. يكنس دكانهُ فيرمي كناستهُ في الشارع. يأتي راكباً حمارهُ فيربطهُ امامهُ في الشارع. ولا يأنف من ان يطرح كل قذر في الشارع امام بابهِ او باب جارهِ. وإسفلت الشارع صلب لا يمتص المياه والاقذار فتتراكم عليهِ النهار كلهُ الى ان يأتي الغاسلون ليلاً ويغسلوهُ فلم تنظف الشوارع برصفها بالاسفلت ومن المحتمل انها زادت وساخة

لا يتعلم الانسان النظافة في الدكان والشارع بل يتعلمها في البيت ولا تستطيع الحكومة ان تعلّم احداً النظافة وانما هذا مطلوب من ربة البيت ام الاولاد فهي التي تعلّم اولادها النظافة وتربيهم عليها فيشبون وعيونهم تعاف رؤية الاقذار وانوفهم تعاف رائحتها

لا يمر في الشارع من شوارع مصر من الناس والدواب والمركبات عشر ما يمرُّ في الشارع من شوارع لندن ولا تمطر السماء عندنا عشر ما تمطر في شوارع المدن الاوربيَّة ومع ذلك لا ترى شيئاً من الاقذار في شوارع تلك المدن الاَّ في ايطاليا ونحوها من البلدان المشابهة للمدن الشرقية في قذارتها . اذا مرَّ واحد في شوارع لندن او غيرها من المدن الانكليزية وكان في يدهِ ورقة صغيرة يريد طرحها لا يخطر ببالهِ ان يطرحها في الشارع بل يضعها في سلة معلقة فيهِ لهذه الغاية واذا طرحها في الشارع مرَّ وراءهُ رجل يلتقطها ويضعها في السلة. ولا يخطر على بال صاحب دكان او صاحب بيت ان يرمي شيئاً في الشارع اما اصحاب البيوت عندنا فيجمعون ما يجمعونهُ من زبالة بيوتهم ويطرحونهُ امام الباب كأَن الشوارع قرارة الاقذار

اذا اريد التفتيش عن عيب وطني لا بدَّ من اصلاحهِ لتجود الصحة وتتهذب الاخلاق ويسهل على الوطني ان يعاشر الاجنبي وعلى الاجنبي ان يمازج الوطني فذلك العيب هو قلة الاهتمام بالنظافة نظافة البدن ونظافة اللباس ونظافة البيت ونظافة الشارع . ويجب على الذين يهتمون بالمصالح الوطنيَّة العموميَّة ان يوجهوا همهم قبل كل شيء الى جعل النظافة صفة وطنية تمتاز بها الامة المصرية . ولا يتم ذلك لم الاَّ اذا صار الكلام على النظافة شغلاً شاغلاً للصحف والخطباء والوعاظ في كل مكان

آداب الزيارات

يجري الانكليز والاميركان واكثر الشعوب الاوربيَّة في زياراتهم على القواعد التالية

(١) يزور السيدات بعضهنَّ بعضاً في ايام الزيارة المعتادة وتكون الزيارة الاولى نحو الساعة الرابعة ويجب ان تكون قصيرة ما امكن عشر دقائق الى ربع ساعة وحينما تخرج الزائرة

من البيت تضع فيهِ ورقة زيارة باسمها وورقتين باسم زوجها واحدة لربة البيت وواحدة لزوجها لكي تعلم صاحبة البيت عنوان زائرتها ويوم زيارتها

(٢) ترد الزيارة الاولى بعد بضعة ايام ويحسن ان تُرَد للزائرة في يوم استقبالها او في الوقت الذي تكون فيهِ في البيت

(٣) الذين يأتون الى المدينة او الحي حديثاً يزورهم اولاً الذين يريدون ان يكون بينهم تزاور من جيرانهم في غضون الشهر الاول او الثاني بعد مجيئهم او حينما يعلمون انهم ترتبوا في بيوتهم والغالب ان تزورهم اولاً المرأة التي لها المقام الاول بين الجيران

(٤) اذا اتفق ان اتت امرأة وسكنت في حي وزارتها احدى جاراتها ولم تجدها في البيت وردَّت هي الزيارة لها ولم تجدها في بيتها فالزيارة الثالثة تكون من الجارة التي زارت اولاً

(٥) اذا كان في البيت زائرات كثيرات في وقت الاستقبال فالتي دخلت اولاً تخرج اولاً ما لم تطلب منها ربة البيت ان تطيل زيارتها . ومدة الزيارة من عشر دقائق الى عشرين دقيقة . واذا كثر عدد الزوار فاقصر الزيارات افضلها

(٦) اذا حدث حادث يمنع سيدة من رد الزيارة الاولى وجب عليها ان تكتب ورقة تعتذر بها

(٧) لا يليق رد الزيارة بورقة زيارة بل تُرَد الزيارة بزيارة وورقة الزيارة بورقة زيارة

(٨) اذا كثر الزوار في البيت فليس من الضروري ان تعرّفهم ربة البيت بعضهم ببعض بل يليق بها ان تعرّف الذين يجلسون بجانبها والذين تعلم انهم يسرون بمعرفة بعضهم بعضاً بنوع خاص . ويجوز للزوار ان يحدثوا بعضهم بعضاً ولو لم يتعارفوا وحينما يخرجون يحنون رؤوسهم بعضهم لبعض ولكن تحدثهم في بيت زاروهُ لا يقضي بتعارفهم وتصادقهم

(٩) يجب على ربة البيت ان تقف لمقابلة زوارها رجالاً كانوا او نساء لوداعهم ولا يجب على الزائرات ان يقفنَ لوداع المودعات ولكن يطلب منهنَّ ان يقفن لاستقبال معارفهنَّ ويصافحنهنَّ

الجروح والنظافة

يقول الاطباء الذين شاهدوا وقائع الحروب في بلاد السودان ان جروح الجرحى كانت تلتئم وتشفى حالاً وما ذلك الاَّ لنقاوة الهواء في الصحاري . ومعلوم ان جروح سكان الارياف اسهل شفاء من جروح سكان المدن ولا شبهة في ان الجروح التي تكون نظيفة ولا تصل اليها

جراثيم الفساد تلتئم وتشفى من غير ان تلتهب وتتكون فيها مادة . فعلى ربة البيت ان تهتم بما يقع في ايادي اولادها من الجروح مهما كانت صغيرة وتنظفها لهم بالماء والصابون وتربطها بخرقة نظيفة جيدًا وتمنع عنها كل مادة غريبة والاَّ التهبت الجروح واتعبت الجسم قبل ان يتغلب عليها وتشفى

النحافة والسمن

يطلب النحاف ان يسمنوا ويشربون الادوية التي يدَّعي اصحابها انها تسمن البدن ولو لم يكن فيها شيءٌ مما يغذيهِ وهم مثل من يريد ان يملأَ جيبهُ نقودًا بشرب الدواء . نعم ان الدواء قد يساعد الجسم على هضم الطعام والاغتذاء بهِ او تقليل التحليل منهُ ولكن السمن يأتي من الغذاء فالذي يأكل كثيرًا ويغتذي جسمهُ بما يأكلهُ ينتظر ان يسمن اكثر من الذي يأكل قليلاً او لا يغتذي جسمهُ بما يأكلهُ ومحال ان يسمن النحيف وهو قليل الاكل . وتختلف الاطعمة كثيرًا في مقدار ما يمكن ان يسمن الجسم من اكلها والغالب ان الاطعمة النشوية كالرز والخبز والدهنية كالدهن والزبدة والسكرية كالسكر والعسل كل هذه الاطعمة تسمن الجسم . فاذا اكثر الانسان من اكلها واستطاعت معدتهُ ان تهضم ما اكلهُ ولم يجهد جسمهُ بالحركة بل اكثر من الجلوس والراحة فانهُ يسمن لا محالة . ويستحيل ان يسمن وهو قليل الاكل جدًّا

والسمين الذي يشكو من السمن دواؤهُ الذي يقلل سمنهُ قلة الاكل والتقليل من اكل الاطعمة النشوية والدهنية والسكرية وتكثير الحركة فاذا فعل ذلك رويدًا رويدًا واستمرَّ عليهِ قلَّ سمنهُ ولم يضعف جسمهُ ولا حاجة الى الادوية الاَّ اذا كان مريضًا او منحرف الصحة

مربى الخوخ

يؤْخذ الخوخ (الدراقن) الكبير وينزع بزرهُ ويبسط في اناء واسع ويؤْخذ لكل رطل منهُ رطل من السكر الناعم ويذرعليهِ نصف السكر ويترك الى اليوم التالي . وفي اليوم التالي توضع بقية السكر في الاناء الذي يراد عمل المربى فيهِ مع قليل من الماء ويغلى حتى يذوب ثم يضاف اليهِ الخوخ وما معهُ من السكر والعصير المتحلب منهُ ويغلى الجميع بسرعة وانت تحرك الخوخ وتنزع الزبد عنهُ ويكسر بعض البزر وتقسم كل بزرة الى قسمين وتضاف الى الخوخ ويغلى دقيقة اخرى ثم يرفع عن النار ويوضع في الآنية التي يراد حفظهُ فيها

مربى الكوسا

يقال انهُ من اطيب المربيات . وهو يصنع هكذا يشق الكوسا طولاً وينزع بزره بملعقة صغيرة من الفضة ويقطع قطعاً رقيقة ويوزن ويضاف الى كل رطل منهُ رطل من السكر وعصير نصف ليمونة صغيرة وربع اوقية من الزنجبيل المسحوق ويغلى كل ذلك ساعتين وحينما تصير قطع الكوسا شفافة ترفع عن النار وتضاف اليها كاس صغيرة من الموسكي وتوضع في قناني ويسد عليها الى حين الاستعمال



حكمة العرب

Arabian Wisdom

الذين طالعوا كتابات استاذنا الدكتور ورتبات في المقتطف — مقالاتهِ العلمية ومجموعات الامثال والحكم التي ترجمها عن الانكليزية قد لا يخطر ببالهم انهُ يؤلف باللغة الانكليزية كما يؤلف بالعربية ويفيد ابناء اللغة الانكليزية كما يفيد ابناء اللغة العربية . ولكن هذا هو شأنهُ منذ كان كهلاً الى الآن وقد جاوز الثمانين . وآخر تأليف لهُ باللغة الانكليزية كتاب طبع هذا العام ونشر بين كتب حِكَم المشرق وقد جمع فيهِ مئات من الامثال وجوامع الكلم وبوبها في ٥٤ باباً فاعجب بها الذين طالعوها من الانكليز حتى ان طابعي هذا الكتاب طلبوا من الدكتور ورتبات ان يؤلف لهم كتاباً آخر في هذا الموضوع اوسع من الاول فكان تأليفهُ هذا مفيدًا لهم ومبيناً لفضل العرب وحكمتهم . وحبذا لو اضاف الاصل العربي الى الترجمة الانكليزية وطبع الاثنين معاً افادةً لابناء العربية . ولكن قلة رواج الكتب عندنا تغلُّ ايدي المؤلفين عن نشر كتبهم مهما كانت مفيدة

وقد ارسلت نسخ من هذا الكتاب الى القطر المصري وهي تباع في مكتبة دير فعلى طلاب اللغة الانكليزية ان يقتنوهُ فيروا فيهِ كثيرًا من الآيات والاحاديث والامثال مترجمة احسن ترجمة بقلم رجل عالم كبير لهُ القدح المعلى في الانشاء بالعربية والانكليزية

جورج سيرو

لقد احسن معرب هذه الرواية حضرة زاكي افندي نوفل في اعزائها الى مؤلفها العالم الفلكي المحقق المسيو كاميل فلاماريون . ومعاني الرواية يكفي لوصفها انها من تأليف ذلك العلاّمة الطائر الصيت البليغ الانشاء وقد افرغها المعرّب في قالب عربي ويظهر لنا انهُ اكثر من التصرُّف فيها حتى صارت كأنها عربيةُ الوضع . وعندنا انهُ اذا لم يكن المراد اختصار الرواية لطولها فالمحافظة على الاصل قدر الامكان اولى من زيادة التصرُّف فيهِ . وقد طبعت في الاسكندريَّة في مطبعة جرجي افندي غرزوزي

مواني القطر المصري

نشرت ادارة الاحصاء الجزء الثاني من احصاء السفن التي دخلت موانئ القطر المصري او مرت بها في الثلاثة الاشهر الثانية من سنة ١٩٠٧ ويظهر منهُ ان عدد السفن التي دخلت الاسكندرية من اول السنة الى آخر يونيو ١١٩٧ سفينة محمولها نحو ثلاثة ملايين طن وكانت في هذه المدة في العام السابق ١١٣٣ سفينة محمولها نحو مليونين ونصف مليون طن . وعدد السفن التي دخلت بورت سعيد في هذه المدة ٦٥٠ محمولها نحو مليون وربع مليون طن والتي دخلت السويس ١٥٤ محمولها ٢٦٧ الف طن والتي دخلت بقية المواني المصرية ٢٣٥ اكثرها شراعي ومحمولها ٧٧٧٦٨ طن والجملة ٢٢٣٦ سفينة محمولها كلها اربعة ملايين و ٧٢٩ الف طن وكان في العام الماضي ٢٠٥١ سفينة محمولها ثلاثة ملايين و ٨٦٧ الف طن ودخل القطر المصري في هذه الاشهر ٦٩٧٨٢ نفساً وكان عدد الذين دخلوهُ في العام الماضي في هذه الاشهر ٦٢٧٣٨ نفساً

هذا من حيث الداخل اما السفن التي خرجت من الموانئ المصرية في الاشهر الستة الاولى من هذا العام فبلغ عددها ٢١٩١ ومحمولها اربعة ملايين و٤٣٥ الفاً يقابل ذلك في العام الماضي ٢٠٩٦ سفينة محمولها ثلاثة ملايين و ٩٥٠ الف طن وكان عدد الركاب الذين خرجوا من القطر هذا العام ٥٠٦٩٣ يقابل ذلك في العام الماضي ٥٧٠١٢ اي انهُ سافر من القطر المصري هذا العام اقل ممن سافر منهُ في العام الماضي بنحو سبعة الآف نفس ودخلهُ اكثر ممن دخلهُ في العام الماضي سبعة الآف نفس

وليم كنغ ادي

للمرسلين الاميركيين اكبر فضل على ابناء سورية فان لهم اليد الطولى في النهضة العلمية التي شملت البلاد السورية منذ خمسين سنة الى الآن · والسوريون يعرفون هذا الجميل ويعترفون بهِ سرًّا وعلنًا فلما توفي القس وليم كنغ ادي في العام الماضي ابَّنوهُ احسن تأبين وكتبوا سيرة حياتهِ وجمعوا كل ما قيل في رثائهِ نثرًا ونظمًا وطبعوهُ في كتاب واحد مصدرًا بصورتهِ فجاء من خيرة الكتب في موضوعهِ وحسن طبعهِ وجمعوا مبلغًا طائلًا من المال لاقامة تذكار للفقيد جزاهم الله خيرًا

يد القاتل
او التحقيق الشخصي

تأليف الروائي الشهير ليون سازي وتعريب الكاتب المتفنن وديع افندي حريري

جاء في مقدمة هذه الرواية انها نشرت في ذيل جريدة الجورنال الفرنسوية تحت عنوان "الابهام" وعينت تلك الجريدة جوائز عديدة لمن يتمكن من معرفة القاتل بين الاشخاص الذين يدور عليهم محور الرواية · الجائزة الاولى منها مالية وقيمتها مئة الف فرنك والثانية مالية ايضًا وقيمتها عشرة آلاف فرنك وبقية الجوائز مواد مختلفة ومجموع قيمة الجوائز كلها يساوي خمسمائة الف فرنك · وقد اوقف المؤلف روايتهُ عند حد لم يعين فيهِ القاتل بل سرد الحكاية وترك لذكاء القراء وزكنهم تعيينهُ واولئك القراء يبلغون نحو ثلثمائة الف قارىء وقد وعد المعرب ان يذكر في آخر الرواية اسم القاتل الذي اعتبرتهُ جريدة الجورنال صوابًا

والرواية كبيرة الحجم حسنة السبك عُرِّبت تعريبًا حسنًا كما يظهر لنا ولم نطَّلع على اصلها الفرنسوي وقد طبعت على نفقة مكتبة المعارف ومطبعتها

الصديق المجهول

جاء في اعلان هذه الرواية انها بقلم الروائي المشهور نقولا افندي الحداد وان المؤلف اراد بها ان يمثِّل بعض العادات والاخلاق الشريفة والخسيسة في سياق الحب الجنسي على نوعيهِ الطاهر والفاسد واختار مصر مرسحًا لهذا التمثيل · وقد احسن واجاد في وقائع غريبة مدهشة مؤثرة تأخذ بلب القارىء الى درجة ان يتصور الرواية صادقة حقيقية واقعة امام عينيهِ واخيرًا ينتهي الامر بفوز الفضيلة كما يريد القارىء . والرواية كبيرة الحجم في ٢٥٠ صفحة وثمنها ستة غروش وتطلب من مكتبة المعارف ومطبعتها



(١) الكنغرو او القنقر الكبير

المنيا · مصطفى افندي عثمان · معاون مركز ابي قرصاص · حضر الى جهتنا احد الاجانب ومعهُ حيوان وجههُ كوجه الغزال وفمهُ كفم الارنب ولهُ اذنان كاذني الفرس ويدان كيدي الارنب ورجلان كرجلي الارنب ايضاً ولكنهما طويلتان كثيرًا ولهُ ذيل طولهُ نحو متر ونصف مخروطي الشكل قاعدتهُ العليا قطرها نحو عشرة سنتيمترات وينتهي بقاعدة ناقصة قطرها نحو ثلاثة سنتيمترات شعرهُ اصفر يميل الى السواد ولا يمشي الأ على رجليهِ الخلفيتين ويثبت مرتكزًا على ذنبهِ ويقبض لوازمهُ بيديهِ الاماميتين رأيتهُ يلعب مع صاحبهِ بشكل غريب وهو انهُ يقف على رجليهِ ثم يميل عنقهُ الى ظهرهِ ويمد يديهِ الى صاحبهِ فيتعانقان وحينما يتعب يركز على رجليهِ وذيلهِ · وجسمهُ قريب من جسم الانسان · وسألت صاحبهُ عنهُ فقال انهُ احضرهُ من الهند فما اسم هذا الحيوان وما هو محل وجودهِ

ج اسمهُ الكنغرو (او القنقر) وهو من حيوانات استراليا الخاصة بها ويوجد منهُ كثير في جنائن الحيوانات بالجيزة وقد وصفناهُ وصورناهُ في الجزء الاول من المجلد الخامس عشر وقلنا في وصفهِ ما نصهُ

ومن اغرب حيوانات استراليا واكبرها القنقر وهو حيوان صغير الرأس واسع العينين ضخم الحقوين والعجز قصير اليدين طويل الرجلين ثخين الذنب طويلهُ قويهُ وجههُ كوجه الظبي وفكهُ الاعلى اطول من فكهِ الاسفل وصوفهُ رمادي ناعم وهو كبير الجسم يبلغ طول بدنهِ مترًا ونصف متر وطول ذنبهِ مترًا ويمشي وثبًا على رجليهِ كاليربوع وقلما يستعمل يديهِ في الجري وقد يقف على قدميهِ فيصير اطول من الانسان ويمتاز بأن لهُ كيساً في بطنهِ تقيم فيهِ صغارهُ ولا يكون طول الواحد منها اكثر من عقدة حينما تولد فتلبث في هذا الكيس الى ان تكبر وتصير ترعى النبات فترى الام ترعى وصغارها تمد رؤُوسها من هذا الكيس وترعى معها · وطعام القنقر النبات وهو يرعاهُ في الصباح والمساء ويختبئُ في النهار وكثيرًا ما يوجد في اسراب كبيرة مع انهُ ليس متأجلاً بالطبع . وكان كثيرًا في استراليا حينما دخلها الاوربيون فجعلوا

يصطادونهُ لاجل فرائهِ وعمل مربو الغنم على اهلاكهِ لان الواحد منهُ يرعى في يومهِ ما يكفي ستة اكباش فكان عدد ما بقي منهُ في تلك الجزيرة سنة ١٨٨٧ نحو مليون وثماني مئة وثمانين الفاً فلم يبقَ منهُ سنة ١٨٨٨ الأ مليون ومئة وسبعون الفاً

(٣) زمن الحيوانات البائدة

جمهورية سان دومنكو . الخواجه نعمان خوري . بينما كنت اطالع في بعض المجلات الاسبانيولية التي تصدر في نيويورك عثرت على مقالة عنوانها اكبر وحش وجد على وجه الارض واسمهُ الدبلودوكو طولهُ ٧٠ قدماً ووزنهُ ٢٥ طناً وتوجد جثتهُ الآن في نيويورك تحت ادارة المستر جاكو بو شيف وهو يقصد ان يرسلها الى المانيا لكي تضاف الى غيرها من هياكل الحيوانات القديمة في متحفها . والذي استوقف نظري بنوع خاص ما قيل عن هذا الحيوان وامثالهِ انهُ من حين ظهور نوع منها الى حين انقراضهِ عدة ملايين من السنين وعليهِ فهذه الحيوانات وجدت قبل وجود آدم بملايين من السنين فممَّن نُقل تاريخها وكيف عرف انها انقرضت منذ ملايين من السنين

ج اذا لقينا رجلاً ينسخ كتاباً ينسخ منهُ عشر صفحات كل يوم وقد نسخ منهُ الى الآن الف صفحة سهل علينا ان نعرف انهُ شرع في نسخ هذا الكتاب منذ مئة يوم . هذا اذا كان يجري في عملهِ على نسق واحد اي اذا كان ينسخ عشر صفحات كل يوم بلا زيادة ولا نقصان . ولا يخفى ان النواميس الطبيعية تجري على سنن واحد فالشمس تشرق وتغرب كل يوم والامطار تقع على الارض وتجري الى الانهار والانهار تجرف الاتربة وتحمل الحجارة وتخدّد الاودية . ويجري ذلك كلهُ سنة بعد سنة بلا انقطاع . فاذا رأينا شلالاً كشلال نياغرا ينحت من الصخر الذي ينصبُّ ماؤُهُ من فوقهِ قدمين كل سنة وقسنا مقدار ما نحتهُ الى الآن فوجدناهُ ستين الف قدم حكمنا انهُ ابتدأ يجري من فوقهِ منذ ثلاثين الف سنة . واذا رأينا انهُ يرسب من ماء النيل سنوياً طبقة من الطين تساوي سنتمترًا وقسنا سمك الطين الراسب فوق الرمال فوجدناهُ عشرين مترًا حكمنا ان الطين ابتدأ يرسب من النيل منذ عشرين الف سنة . واذا كانت مياهُ الامطار تجرف من سطح الارض كل سنة ما سمكهُ كذا مليمترات ورأينا انها جرفت من الجبال كذا امتارًا سهل علينا ان نحسب مقدار السنين من حين شرعت الامطار تجرف الارض من فوق تلك الجبال . وعلى هذا النمط قدّرت اعمار طبقات الارض تقديرًا . ومعلوم ان الحيوانات التي عاشت على الارض ابقت آثارها فيها فاذا وجدت الطبقات التي ظهرت فيها اول آثار حيوان

من هذه الحيوانات والطبقات التي ظهرت فيها آخر آثارهِ استُدل من ذلك على زمن ظهورهِ وزمن انقراضهِ وذلك كلهُ بالتقدير لا بالتحقيق

(٣) الحي من غير الحي

بيروت · احد القراء قرأت في مجلة المشرق صفحة ١٠٥٥ ما يستفاد منهُ ان المقتطف شطَّ لما روى ان بعض العلماء كالدكتور بورك توصل الى تركيب جراثيم حيَّة من عناصر معدنية فهل ما رواهُ المقتطف صحيح

ج انا نروي الاخبار العلميَّة كما تذكرها اشدُّ الجرائد العلميَّة تدقيقاً · وتولُّد الجراثيم الحيَّة من العناصر غير الحيَّة لم نروِ خبرهُ كامر ثبت بالامتحان ولم يبقَ فيهِ ريب. وقد نشرنا فصولاً كثيرة في هذا الموضوع كما ترون في المجلد الثلاثين والحادي والثلاثين من المقتطف · ومقالة المجلد الحادي والثلاثين مبنيَّة على تجارب الدكتور بورك بنوع خاص وهي في الصفحة ٦٥٧ وما بعدها طالعوها تجدوا فيها فوائد كثيرة وتجدوا اننا نقلنا ما ذكرهُ جلة العلماء الثقاة بالاحتراس التام لا لان الاعتقاد بتولد الجسم الذي نسميهِ حيَّاً من الجسم الذي نسميهِ جماداً مستحيل لذاتهِ بل لانهُ لم يثبت حتى الآن تولُّد الحي من الجماد بالامتحان . وآخر ما كتبناهُ في هذا الموضوع خبر مسهب في صدر باب الاخبار في الجزء الثالث من اجزاء هذه السنة حيث انتقدنا تجارب العلامة الدكتور بستيان بناء على ان بزور الميكروبات التي قاعدة بنائها الكربون تموت بالحرارة اذا بلغت الدرجة ١١٥ س واما بزور الميكروبات التي قاعدتها السلكا فلا تموت بهذه الحرارة ولا بما هو فوقها ولا تتولَّد الميكروبات منها الاَّ اذا عرضت للنور او للحرارة مدة طويلة · الى ان قلنا "ان تجاربهُ الحديثة مثل تجاربهِ القديمة غير مثبتة لتولُّد الحي من غير الحي ولو كان تولُّدهُ منهُ غير مستحيل لذاتهِ". واذا نظر الى المسألة من وجه ديني فلا يتعذَّر على الله ان يجعل الحي يتولَّد من الجماد كما لا يتعذَّر عليهِ ان يجعل الحي يتولَّد من الحي

(٤) ورق المقتطف

مارنبون بالبرازيل · الخواجه الياس القبرصلي · لماذا لا تجعلون ورق مجلتكم المفيدة احسن مما هو الآن وتزيدون بدل الاشتراك بما يقوم بفرق الثمن فيصير ورقها جميلاً يليق بها وانتم ترون ان احقر المجلات العربيَّة ورقها يفوق ورق المقتطف بالحسن والجودة

ج ان ورق المقتطف من اغلى انواع الورق واجودها وهو ورق انكليزي جيد لا يتلف ولا يتغير لونهُ مهما طال عليهِ الامد وقد اخترناهُ كذلك بعد ما جربنا انواعاً مختلفة وانتقيناهُ قليل البياض وغير صقيل لكي لا يتعب بصر القراء لانهُ وُجد بالاختبار

ان الورق الناصع البياض يتعب البصر وكذلك الورق الصقيل يتعب البصر وكان قصدنا في اختياره منع الضرر عن القراء

(٥) الغين لحرف g

طنطا . محمد افندي امين . ما السبب في وضعكم حرف الغين العربية مقام حرف g الافرنجية في كتابة الاسماء الافرنجية مثل غلادستون

ج انا نتابع كتّاب العرب الاقدمين فانهم كتبوا غريغوريوس واغسطس وايساغوجي واغريق . والغين اقرب الحروف الى حرف g الذي يلفظ كالجيم المصرية أما الجيم فلم يكن العرب يلفظونها كما يلفظها ابناء مصر الآن بل كما يلفظها علماء الازهر بين الجيم السورية والشين

(٦) كتاب كد

ومنهُ ذكرتم في السنة التاسعة من المقتطف في مقالة عنوانها تأليف الكتب ورواجها كتاباً في كيف نشأت الهيئة الاجتماعية فما اسم ذلك الكتاب بالانكليزيَّة

ج ان المقالة التي تشيرون اليها منشورة في المجلد التاسع عشر واسم الكتاب بالانكليزيَّة Social Evolution

(٧) الساعة العربية والافرنجية

المودة . جلال افندي زايد جلال . اذا كانت ساعة مضبوطة جدًّا بحيث لا تقدم ولا تؤخر ضبطت على المدفع الساعة ١٢ وتصادف ان الشمس غابت يومئذ الساعة ٧ بعد الظهر بالحساب الافرنكي . وحيث ان الشمس تغيب الساعة ١٢ يومياً حسب الساعة العربيَّة صيفاً وشتاء ربيعاً وخريفاً فلماذا لا تغيب ايضاً الساعة ٧ دائماً حسب الساعة الافرنكية

ج يظهر لكم باقل نظر ان النهار يطول صيفاً ويقصر شتاء . فاذا كان طولهُ ١٤ ساعة وكان الظهر نصف النهار تماماً فيكون غروب الشمس بعد الظهر بسبع ساعات ولكن اذا كان النهار ١٢ ساعة فقط فيكون الغروب بعد الظهر بست ساعات واذا كان النهار عشر ساعات فيكون الغروب بعد الظهر بخمس ساعات . واليوم كلهُ اي النهار والليل ٢٤ ساعة فاذا جعلنا عقربي الساعة على الساعة ١٢ تماماً عند الظهر حسبما هو في الساعة الافرنجية وكان النهار ١٤ ساعة فيصل عقرب الساعات الى الساعة السابعة عند الغروب والى الساعة ١٢ عند نصف الليل والى الساعة ٥ عند شروق الشمس والى الساعة ١٢ عند الظهر التالي . واذا جعلنا عقرب ساعة اخرى على الساعة ٥ عند الظهر نراهُ يصل الى الساعة ١٢ عند الغروب والى الساعة ٥ عند نصف الليل والى الساعة ١٠ عند شروق الشمس والى الساعة ٥ عند ظهر اليوم التالي والى الساعة ١٢ عند الغروب . واذا كان النهار ثماني ساعات فقط ووضعنا عقرب الساعة على

١٢ عند الظهر وصل الى ٤ عند الغروب والى ١٢ عند نصف الليل والى ٨ عند شروق الشمس وعاد الى ١٢ عند الظهر التالي . واذا وضعنا المقرب على ١٢ عند الغروب حينئذٍ وصل الى ٨ عند نصف الليل والى ٤ عند شروق الشمس والى ٨ عند الظهر والى ١٢ عند الغروب . ولا اشكال في ذلك كلهِ كما يظهر لكم باقل نظر ولكن الامر الذي يستحق ان يسأل عنهُ هو لماذا يطول النهار في الصيف ويقصر في الشتاء ويعتدل في الربيع والخريف . ويظهر لنا ان فهم ذلك يعسر عليكم اذا ذكرناهُ على حقيقتهِ . وتقريباً لفهمهِ نقول انظروا الى الشمس كيف تسير في الصيف وكيف تسير في الشتاء فتروا انها في الصيف تشرق من الجهة الشرقية الشمالية وتسير اولاً منحرفة الى الجنوب ثم تتكبد السماء وتدور قليلاً نحو الشمال وتغيب في الجهة الغربيَّة الشمالية فتقطع اكثر من نصف دائرة فوق الارض واما في الشتاء فتشرق من الجهة الشرقية الجنوبية وتسير قريبة من الافق وتغرب في الجهة الغربيَّة الجنوبيَّة فتقطع اقل من نصف دائرة اي يكون طريقها في الصيف اطول من طريقها في الشتاء فتكون مدة شروقها في الصيف اطول من شروقها في الشتاء فيكون النهار في الصيف اطول من النهار في الشتاء . واما مجموع النهار والليل فيبقى واحداً اي ٢٤ ساعة

(٨) خفقان القلب واحمرار الوجه

ومنهُ . اذا جرى الانسان مسافة شعر بخفقان في قلبهِ واحمرَّ وجههُ واذا خاف شعر بخفقان في قلبهِ ايضاً واصفر وجههُ فلماذا تكون نتيجة خفقان القلب احمرار الوجه في الاول واصفراره في الثاني

ج ان احمرار وجه مَن يجري مسافة طويلة ليس ناتجاً عن خفقان قلبهِ بل عن سرعة حركتهِ وهذه الحركة تسبب انحلالاً في دقائق جسمهِ وزيادة في حركة دمهِ وتنفسهِ فتزيد حركة القلب ليدفع الدم الى الرئتين لكي يطهر فيهما بالتنفس . واما الخوف فيندفع فيهِ الدم من ظاهر الجسد الى باطنهِ كأن دقائقهُ تهرب الى الداخل لتحتمي فيهِ فيكثر تواردها على القلب فيضطر الى سرعة الحركة وخفقانهُ في الحالين نتيجة لا سبب

(٩) ايراد الدولة العثمانية

مصر . محمد آصف بك ما هي ميزانية ايراد ومصروف الدولة العثمانية

ج يقدر ايرادها بنحو ١٧ مليوناً ونصف مليون وكذلك مصروفها بنحو ١٧ مليوناً ونصف مليون من الليرات العثمانية

(١٠) ديون الدولة

ومنهُ . كم على الدولة العلية من الديون بعد توحيدها

ج ان الديون التي هي قروض كانت في

اواسط السنة الماضية هكذا

	ليرة عثمانية
القرض المضمون بويركو مصر	١٩٠٣٣٧٨٤
القرض « بالايرادات	٧٤٢٨٢٥٠٥
فروض اخرى مختلفة	١٠٩١١٧١٤
والجملة	١٠٤٢٢٨٠٠٣

وعلى الدولة ديون اخرى اهمها بقية الغرامة لروسيا يستحق قسطها في ١٤ يناير من كل سنة وهو ٣٥٠٠٠٠ ليرة وكان الباقي من هذه الغرامة منذ تسع سنوات نحو ٢٤ مليون ليرة

(١١) عساكر الدولة العلية

ومنهُ . كم عدد عساكرها الآن وقت السلم ووقت الحرب

ج يقدَّر الجيش العثماني بنحو اربع مئة الف يضاف اليهم طبجيَّة الحصون والمهندسون وعددهم نحو اربعين الفاً والقسم الثاني من الرديف وعددهُ ٣٧٥ الفاً والمستحفظ وعددهُ ٩٠ الفاً هذا وقت الحرب اما وقت السلم فعدد الجيش كلهِ نحو ٣٧٥ الفاً . وفي السلطنة نحو ٤٢ الفاً من الجندرمة الفرسان منهم نحو ١٧ الفاً والباقون مشاة . وميزانيَّة الحربيَّة في تقدير هذه السنة ٤٤٨٩٦٩٨ ليرة عثمانيَّة في ميزانية وزير الحربية ويضاف اليها ٤٦٢١٧٧ ليرة عثمانيَّة في ميزانية ناظر الطبجيَّة والجملة ٤٩٥١٨٧٥ ليرة عثمانيَّة هذا عدا ميزانيَّة الجندرمة وهي نحو نصف مليون ليرة والجملة نحو خمسة ملايين من الجنيهات الانكليزية

(١٢) نفقات التعليم ببلاد الانكليز

الزقازيق ا . حسين . ما هي اقل مصاريف مدرسة يمكن لطالب علم تمّم الدراسة الابتدائيَّة المصريَّة وسنة من القسم الثانوي واشتغل معلماً في المدارس ان يدفعها في مدرسة اكسفرد او كمبردج او ما يماثلهما في البلاد الانكليزية

ج ان نفقات المدارس الانكليزيَّة الجامعة كثيرة جدًّا وهي تختلف من مئة جنيه في السنة الى ثلثمئة او خمس مئة جنيه

(١٣) كتب فن التصوير

الاسكندرية . محمد افندي كامل النويعم . ما هي اسماء الكتب المؤلفة والمترجمة الى اللغة العربية في فن التصوير والرسم بالالوان وهل توجد هذه الكتب في القطر المصري وعند مَن

ج لم نسمع انهُ أُلِّفت او ترجمت كتب في فن التصوير والرسم بالالوان باللغة العربية

(١٤) الصور الفوتوغرافية الملونة

ومنهُ كيف اعمل صوراً فوتوغرافية بالالوان الطبيعية

ج يجب ان تتعلموا اولاً طريقة التصوير الشمسي (الفوتوغرافيا) ثم تمارسوا الطريقة المشروحة في الجزء العاشر من مقتطف هذه

السنة في باب الصناعة

(١٥) اصل الانسان

محمود رمضان القولي . ذكرتم في الجزء الاول من المجلد السابع والعشرين ما يذهب اليهِ بعض العلماء وهو ان طوائف الناس مرتقية من طائفة كبيرة من القرود كانت تسكن بلاداً وسيعة من البلدان الحارة فارتقت رويداً رويداً وهي تنمو وتزيد انتشاراً وتنوعت اصواتها الى ان كثرت مقاطعها وتركبت منها الكلمات فصار لكل فريق منها لغة قائمة برأسها . فكيف تطبقون بين هذا المذهب وبين القول المأثور وهو ان آدم ابو الجنس البشري كلهِ وهو من طين

ج ان الذين يذهبون المذهب الاول لا يقولون بالقول الثاني . وقد قلنا في تلك المقالة عينها ان ما يقولهُ الاستاذ دبوى ومَن جرى مجراهُ من العلماء لا يؤخذ قضية مسلَّمة لا ينازع فيها بل ان جمهوراً من العلماء المحققين ينازع فيها كل المنازعة ويذهب الى ان العظام التي وجدها ليست من عظام الانسان . بل لا يزال فريق منهم يعتقد ان الانسان خُلِق مستقلاً عن غيرهِ من انواع الحيوان

(١٦) سرعة النور

ومنهُ ماهي سرعة الضوء في الثانية وكيف عرفت ومَن الذي اكتشف ذلك

ج ان سرعتهُ نحو مئتي الف ميل في الثانية من الزمان وقد اكتشف ذلك رومر الفلكي الدنمار كي سنة ١٦٧٨ من مراقبة اقمار المشتري فان احدها يدور حولهُ في ٤٢ ساعة و٢٨ دقيقة و٣٦ ثانية ويدخل ظل المشتري في كل دورة فيكسف والارض تدور حول الشمس فتقرب من المشتري وتبعد عنهُ فلاحظ انهُ اذا كانت الارض في ابعد بعدها من المشتري فزمن خروج القمر من ظل المشتري يتأخر عما كان حينما كانت الارض في اقرب بعدها من المشتري نحو ١٦ دقيقة ونصف وتعليل ذلك انهُ لزم للنور نحو ١٦ دقيقة ونصف حتى قطع دائرة الارض حول الشمس وقطر هذه الدائرة نحو ١٩ مليون ميل فاذا قسمت هذه المسافة على ٩٩٠ ثانية وهو عدد الثواني في ١٦ دقيقة ونصف خرج سرعة النور في الثانية

(١٧) بحرية الدولة العلية

منتريال بكندا . الخواجه اسكندر ابو ميمرا . ذكرتم في المجلد الثلاثين قوات الدول الحربيَّة والمقابلة بينها فاوردتم اسم انكلترا ففرنسا فالمانيا فاميركا فايطاليا فاليابان فروسيا فالنمسا ولم ارَ ذكراً لتركيا فلماذا اغفلتم اسمها

ج لانها الآن دولة برية لا بحرية فان عمارتها البحرية لم تعد قوية حتى تُعدَّ بين الدول البحرية وعندها الآن ستة طرادات تفريغ كل منها ٣٢٠٠ طن وستة من قوارب الطربيد وبعض البوارج المدرعة ولكنها

قديمة لكن جنودها البحرية يبلغون ثلاثين الفاً

(١٨) الحزب الجمهوري والديموقراطي

ومنهُ ما هو مبدأ كلٍّ من الحزبين الرئيسين في الولايات المتحدة الاميركية الجمهوري والديموقراطي وما هي الغاية التي يتوخاها كلٌّ منهما

ج الحزب الجمهوري كان غرضهُ الاول مقاومة الرق وهو يميل الى التوسُّع في الدستور وفي نفقات الحكومة وسلطتها ووضع الرسوم الباهظة على الواردات حمايةً للصناعة الاميركية من مناظرة المصنوعات الخارجيَّة لها وهو الذي جعل الحكومة تدفع ديونها نقوداً . والحزب الديموقراطي يميل الى تضييق الدستور وتحديد القوَّة المخوَّلة لرجال الحكومة ومنع الحكومة المركزيَّة من التداخل في حقوق الافراد او في حقوق الحكومات المحلية وتخفيض رسوم الجمارك وتقليل نفقات الحكومة

(١٩) ملاط لا يتأثر بالنار

الاسكندرية . السيد افندي شكري

نرجو ان تصفوا لنا طينة لا تتأثر من النار

ج جربوا هذه الوصفة اضيفوا قليلاً من خل الخمر الى ٦٠ درهماً من اللبن الحليب حتى يتخثَّر اللبن وخذوا المصل وحدهُ واضيفوا اليهِ زلال بيضتين واخفقوا الزلال والمصل جيداً ثم اضيفوا الى ذلك مسحوقاً ناعماً جداً من الجير الحي وامزجوهُ بهِ تماماً بملعقة فيكون من ذلك ملاط جيد للخزف والصيني والمعادن لا تتلفهُ النار ولا يحلُّهُ الماء



الدكتور كوخ وداء النوم

لما عاد الدكتور كوخ الى برلين في اوائل هذا الشهر (نوفمبر) انعم عليهِ امبراطور المانيا برتبة عالية اعترافاً بفضلهِ فصار يلقَّب بصاحب السعادة . ويقال انهُ وجد علاقة بين الذبابة التي تسبب مرض النوم و بين التمساح فان ميكروب مرض النوم لا يتولَّد في تلك الذبابة تولداً ولكنهُ يصل اليها من دم حيوان آخر والظاهر انهُ يكون موجوداً في دم التمساح فتلسعهُ وتمتصهُ مع ما تمتصهُ من دمهِ ثم تلسع الناس فتنقل اليهم عدوى داء النوم ولذلك فلا سبيل لاستئصال هذا الداء الأَّ باستئصال التماسيح . ويقال ان الدكتور كوخ يخشى من امتداد داء النوم في كل شرقي افريقية

كهربائية الشمس والقمر

بحث الدكتور نودون بحثاً دقيقاً عن كهربائية الشمس والقمر فوجد ان للشمس تأثيرًا كهربائياً ايجابياً في الارض يختلف من دقيقة الى اخرى وهو من ڤولط واحد الى ستة ڤولطات في الدقيقة من الزمان وينقطع الفعل الكهربائي اذا مرّت غيمة بين الشمس والآلة التي كان يقيس الكهربائية بها ولا ينقطع اذا غطى الالة بورقة سوداء سميكة . ووجد ايضاً للقمر فعلاً كهربائياً بالارض وهو ايجابي يختلف من ڤولط واحد الى خمسة ڤولطات في الدقيقة

سكة النقود القديمة

ان ما جمع من النقود القديمة كثير جدًّا يملأ صناديق كثيرة ولكن لم يعثر احد على السكة التي كانت تضرب النقود عليها الاَّ منذ عامين حين عثر واحد على سكة في تل اتريب امام بنها وهي قديمة جدًّا من قبل ايام الاسكندر المكدوني معدنها البرنز اي النحاس المقسّى بالقصدير وثقلها ١٦٤ غراماً وعليها صورة بومة . وقد حُلّل نحاسها فوجد فيهِ ٣٢ ١/٢ في المئة من القصدير . ولم يوجد فيها معدن آخر غير النحاس والقصدير فكأنَّ صلابتها من خلو نحاسها وقصديرها من الرصاص والتوتيا

الاستاذ اندرُوُد

نعت اخبار اميركا الاستاذ اندرُوُد العالم النباتي توفي منتحرًا وهو في الرابعة والخمسين من عمرهِ . اصابهُ دَخَل في عقلهِ على اثر الازمة المالية التي حدثت في اميركا فقتل زوجتهُ وحاول قتل ابنتهِ ثم قتل نفسهُ . والذين يروّجون سوق المضاربات يتاجرون بعقول العباد وارواحهم

اصلاح التلغراف الاثيري

اصلحت آلات التلغراف الاثيري التي في السفن الفرنسويَّة فصار يتيسر لها ان تخاطب بهِ على ٤٦٦ ميلاً وكانت لا تستطيع ان تخاطب على ابعد من ١٨٦ ميلاً وخاطبت سفينة منها برج ايفل في باريس وهي على ٥٠٠ ميل منهُ

الدكتور برّي

جاء الدكتور برّي مدرسة غوردون في الخرطوم في العام الماضي وهو من علماء الاثروبولوجيا فذهب الى اقاصي بحر الغزال في اعالي السودان والى حدود بلاد الحبشة وجمع كثيرًا من مصنوعات السكان وبحث في الامراض التي تصيبهم فاصيب بالحمى وعاد الى انكلترا وهو مصاب بها فتوفي في الثاني عشر من نوفمبر ضحية للبحث العلمي في بلاد السودان

مياه العاصمة

كثرت شكوى اهالي العاصمة من المياه التي تخرجها شركة المياه الآن من آبارها في روض الفرج وتوزعها على منازل السكان. وقد قال بعض الذين حللوها ان فيها مواد مضرة بالصحة ويدَّعي الذين يستعملونها انها تضرهم وتتلف شعرهم . والامر المحقق الذي لا ريب فيهِ انها قاسية لا يرغي فيها الصابون بسهولة وانها تلوّن المنسوجات التي تنقع فيها بالوان صفراء كأن فيها املاح الحديد وانهُ يرسب منها رواسب كثيرة سوداء او سمراء. وقد انتدبت الحكومة المصرية ثلاثة من العلماء لتحليل هذه المياه ومعرفة ما فيها بالتدقيق احدهم انكليزي والثاني فرنسوي والثالث الماني فوصلوا في اواسط نوفمبر وشرعوا في عملهم وعسى ان لا يكتفوا بامتحان المياه الخارجة من الآبار رأساً بل يمتحنوا ايضاً المياه التي تنصبُّ من حنفيات البيوت بعد ان تقيم في انابيب الحديد والرصاص مدة طويلة لانهُ يحتمل ان الاسلاك الكهربائية الكثيرة الممدودة قرب تلك الانابيب تؤثر في المياه فتجعلها تذيب حديدها ورصاصها

الدوّامة في السفن

استعملت الدوّامة التي وصفناها في جزء سابق لمنع نودان السفن فوفت بالغرض من حيث منع ميل السفينة على جانبيها

التلغراف السريع

وصف المسيو ديزره كوردا في جرنال الطبيعيات طريقة بولك قراج للتلغراف السريع ويظهر من وصفهِ ان هذا التلغراف ينقل اربع مئة علامة او حرف في الثانية من الزمان فيكون اسرع كل التلغرافات التي تكتب الرسائل كتابة

عبور عطارد على وجه الشمس

عبر عطارد على وجه الشمس في ١٤ نوفمبر. واول مرة شوهد عبورهُ فيها سنة ١٦٢١ حينما رصدهُ كاسندي . ثم عبر سنة ١٦٥١ فذهب ارميا شركلي الى بلاد الهند لكي يرصدهُ منها . ورصد هالي الفلكي عبورهُ سنة ١٦٧٧ في جزيرة القديسة هيلانة

نمو المعامل الصناعية

انشئ معمل في اميركا سنة ١٨٣١ لعمل قاطرات سكك الحديد فصنع قاطرة واحدة سنة ١٨٣٢ وكان فيهِ ٣٠ عاملاً . وقد صنع هذا المعمل في العام الماضي ٢٦٥٢ قاطرة وبلغ عدد العمال فيهِ ١٧٤٣٢ عاملاً لكن هذا النمو لا يكون الاَّ في بلاد العلم والحرية

زحلة كبيرة

زحلت قطعة من الارض من جبل برنتز بفرنسا مساحتها ٤٠٠٠٠٠ متر مكعب مسافة ٤٠٠ متر فجرفت كل ما في طريقها من

الحقول والاشجار والطرق والجسور وكان نامياً فيها غابة من شجر الكستنا فانتقلت من مكانها مسافة ٥٠٠ قدم وبقيت اشجارها قائمة

جنائن الحيوانات المصرية

عاد الكبتن فلور مدير جنائن الحيوانات من الرصيرص في اعالي السودان وجلب معهُ كثيرًا من الحيوانات السودانية كالاسود والتياتل والايائل والنمورة والقرود والنعام والتماسيح ويقال ان جنائن الجيزة صارت الآن اغنى الجنائن بالحيوانات الافريقية

الفقر في اليابان

كتب بعضهم ان ربا الدين الياباني يبلغ ١٦ مليونًا و٦٠٠ الف جنيه سنويًا والمال قليل في بلاد اليابان فاجرة النجار ستة غروش في اليوم واجرة الطبّاع اربعة غروش واجرة العامل اليومي ٣٠٠ غرش في السنة ولقد كان في معامل اليابان نحو ٥٨٨ الف عامل وعاملة والعاملات ٣٤٧ الفًا وكثيرات منهن بنات لم يدركن ومدة العمل ١٤ ساعة كل يوم ومتوسط اجرة العامل غرش واحد في اليوم. وعدد الحاكة في البيوت نحو ثمانمئة الف اكثرهم نساء واجرة الحائكة غرشان في اليوم والحكومة تتقاضى الرسوم من كل من دخلهُ يزيد على ٣٠ جنيهًا في السنة . فمن هؤلاء الفقراء ومن هذا الدخل القليل تضطر حكومة اليابان ان تأخذ نفقاتها وربا دينها . ويقال ان اهالي اليابان فقدوا ما كانوا يوصفون بهِ من الميل الى البهجة والسرور حتى اولادهم وشبانهم ابطلوا اللعب وصرت تراهم كاسفي البال تلوح على وجوههم امارات التعب والهم لكثرة ما يشتغلون ولم يبقَ لهم من مزاياهم السابقة الأ حبهم لوطنهم اي ان حربهم مع روسيا افقدتهم راحتهم ولذتهم

الياقوت من السنباذج

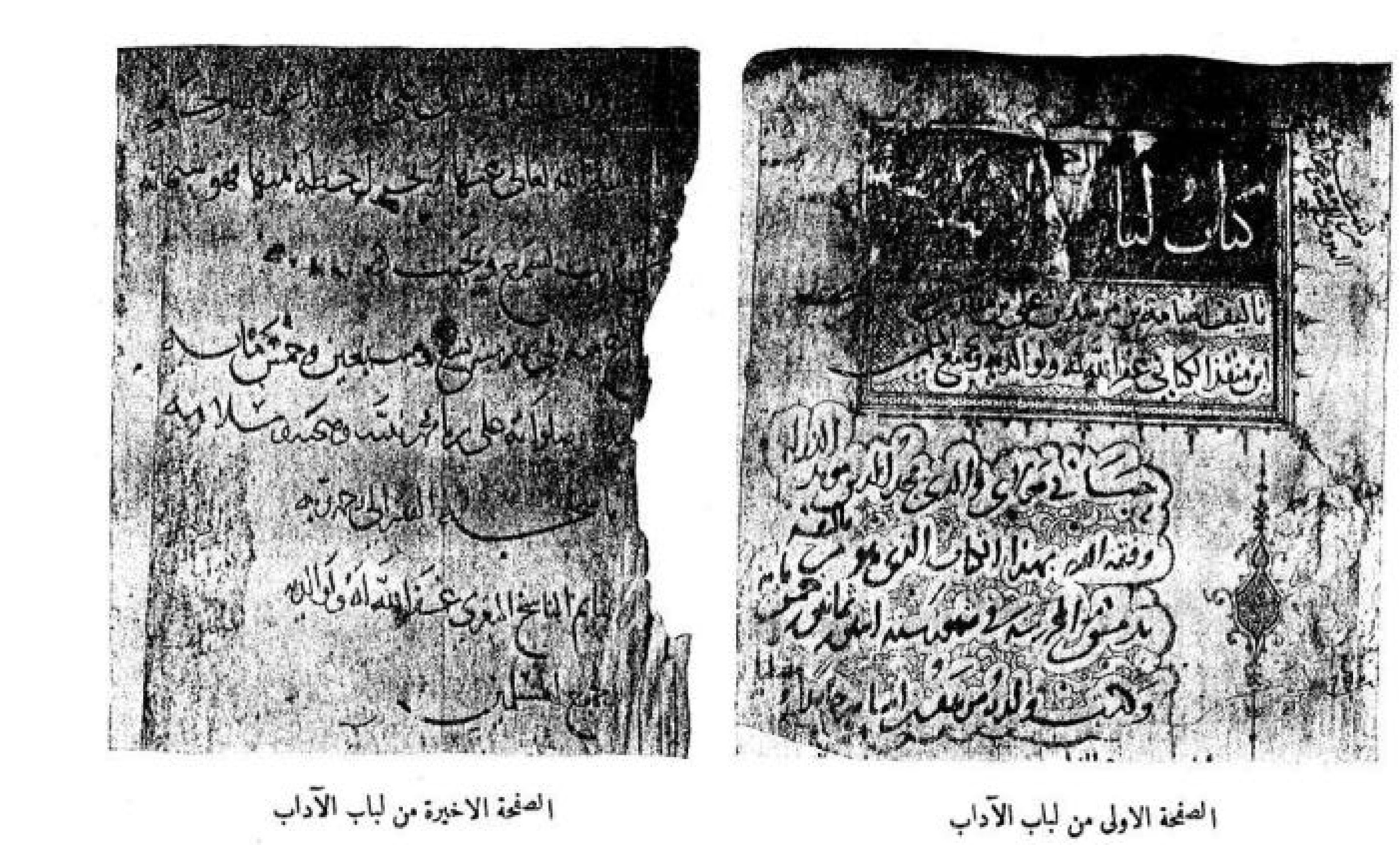
تمكّن الاستاذ بوردا من تحويل حجر السنباذج الى ياقوت بواسطة الراديوم وذلك انهُ وضع قليلاً من الراديوم في انبوب ووضع معهُ حجارة صغيرة من السنباذج فتبلورت وصار بعضها اصفر وبعضها بنفسجيًا وبعضها ازرق وبعضها احمر والاحمر ياقوت احمر في كل خواصهِ وقد عرض على باعة الجواهر فلم يستطيعوا ان يفرقوهُ عن الياقوت الطبيعي. ذكر ذلك الاستاذ لابرنت في اكادمية العلوم بباريس

زلزلة ايطاليا

اصيبت بلاد كالبريا بزلزلة شديدة في ٢٣ اكتوبر فقتل بها نحو ستمئة نفس وتكررت الزلزلة في ٢٤ و٢٨ اكتوبر

زلزلة بخارى

حدثت زلزلة في بخارى في ٢١ اكتوبر خرّبت مدينة قرهطاغ وقتلت ٢٠٠ من سكانها



الصفحة الاولى من لباب الآداب

الصفحة الاخيرة من لباب الآداب

اعضاء الدوما من مسلمي روسيا

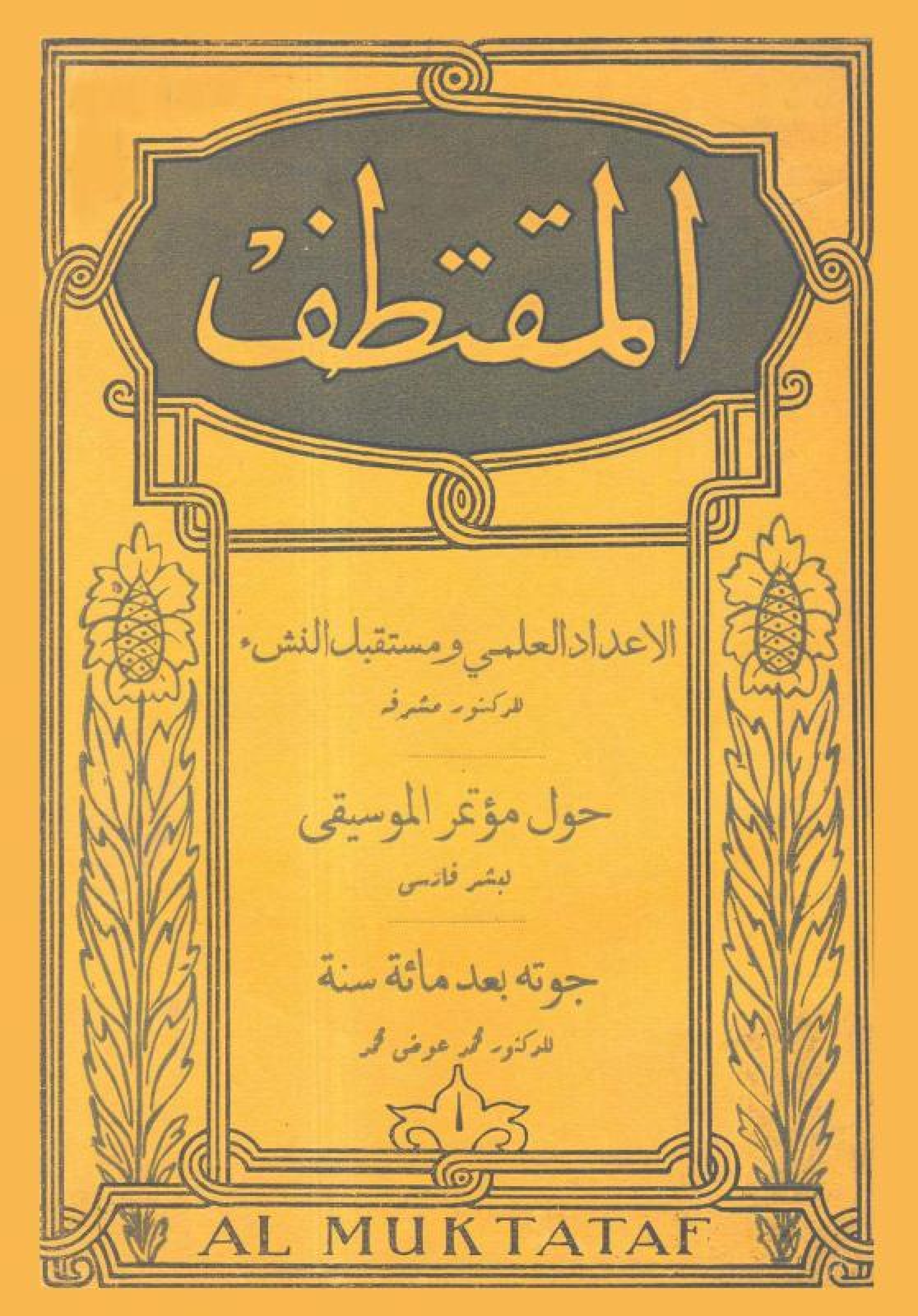


الصف الواقف خان خابسكي · رشيد مهديف · امام نجم الدينوف · خاص محمدوف · امام شاكر توتيف · سلطانوف · زينالوف · قولباقوف · يغلوف · محمودف

الصف الجالس قطلوغ محمد تعكيلوف · شاهبال سيف الدينوف · امام خيرالله عثمانوف · مخدوم تلي خانوف · امام محمد صابر حسنوف · سيف الله مقصودف · عمرموسين

فهرس الجزء الثاني عشر من المجلد الثاني والثلاثين

فهرس المجلد الثاني والثلاثين


المقتطف
الاعداد العلمي ومستقبل النشء
للدكتور مشرفة
حول مؤتمر الموسيقى
لبشر فارس
جوته بعد مائة سنة
للدكتور محمد عوض محمد
AL MUKTATAF

المقتطف

الجزء الثاني من المجلد الثاني والثلاثين

١ فبراير (شباط) سنة ١٩٠٧ — الموافق ١٨ ذي الحجة سنة ١٣٢٤

رثاء الشيخ ابرهيم اليازجي

لصديقهِ الاستاذ ابرهيم الحوراني

أَضحى البسي حلك الدُّياجي واَخلعي   حلل الشعاع على كواكب مدمعي
لا تلمعي ودعي الشروق لأَنَّهُ   غربت اشعة ذي الضياء الالمعِ
نعت النعاةُ ولم اثِق اذ لم يزل   في ناظري وحديثهُ في مسمعي
كيف التفتُّ أراهُ مبتسماً على   عهدي بهِ فكأَنهُ يحيا معي
صورٌ بها انسى البليَّة لحظةً   تمحى فيتلوها اشدُّ تفجُّعِ
ياليت أَخيلةَ السلوّ حقيقةٌ   فأُبشِّرَ الدنيا بمحيا من نعي

نفذ القضاء فما الخيال بدافعِ   جاءت جبينة باليقينِ الموجعِ
سبحتْ بابراهيم سابحة النوى   في اللجِّ من عبراتِ كلِّ مشيعِ
لم يبقَ بعد اليازجيّ لرائدٍ   من نجعةٍ غير الثَّرى في البلقعِ
عقد اللسان عن البيانِ وعقدهُ   نثرت فرائدهُ الحسانُ كأَدمعي
لك يا ابا البلغاء معجز منطقٍ   في طرس ما كتبت يمينُ المبدعِ
لك يا ابن ناصيف بن عبد الله في   نسبِ العلا آيٌ الدليل المقنعِ
اشقيقَ وردةٍ شامنا ذكر اسمكم   وردٌ حديقتهُ بوادٍ ممرعِ
أَأَخا الخليل العينُ سال عبابها   فتولد القاموسُ من ذا المنبعِ
لم أبككم لكن بكيتُ بكم على   قلب بسيف بعادكم متقطعِ
ولهان ودَّعت الحياة وطيبها   اسفاً على من سار غير مودّعِ

جهد البلاء فقضى بذا ورضيتهُ يرضى الوجيع من المصاب الاوجعِ
يا نفس يوم الجمع يوم الملتقى بالصحب بعد تفرُّقِ التجمعِ
لم تفنَ تلك الذات لكن غيرت صوَرُ المركبِ من فتات اليرمعِ
دفنوا حجاب النفس في جوف الثرى والنفس حلت بالمحلِّ الارفعِ
والو البلاغة والنهى دفنوهُ في جدثٍ تحيط بهِ حنايا الاضلعِ
ياذا اليقين غدًا اراك فما بني اهل الشكوك على سوى المتزعزعِ
قالوا الممات من الحياة وما دروا ان الحياة من الممات المفجعِ
ما ذا تخيُّل شاعرٍ بل حكمة نزلت على روع الحكيم الاروعِ
فالحبُّ ينبت بعد ما يبلى اما للحيِّ بعد ذهابهِ من مرجعِ
غربت لتطلع شمس طلعتكم ألا ان الغروب السير نحو المطلعِ
ما ميتة الانسان الَّا رقدة فقيامة الموتى انتباهُ المهجعِ
ومعادنا كالحتف يحدث مرَّةً ما للتناسخ عندنا من موضعِ
ان الخلود حقيقة ازليَّةٌ نفي النفاة لها هباءة زعزعِ
لم ينفها العلم الحديث واُثبتت في مجمع العلم القديم المجمعِ
اذوي الحجى دون الحقائق برقعٌ والكل يجهل ماوراء البرقعِ
لو اسفرت هان الردى وبدا لنا حزن الضريح الصعبُ سهلَ المضجعِ
وعلى مَ لا نهوى شعوبَ وحبها لأُلي الاسى طبع بغير تصنعِ
يوم الولادة للمنيَّة مشرعٌ والعمر مدَّة وِردِ ذاك المشرعِ
يأتي الوليدُ الى بُسيطةَ باكيًا فكأنهُ قد ودَّ لو لم يوضعِ
وكأنهُ ميتٌ بلا كفنٍ وقد خِيطت لهُ كفنًا ثياب الرضعِ
قل ياخبيرُ لمن يريدُ سعادةً في الارض تطلب مستحيلاً فاربعِ
كم من عزيزٍ ذي غنىً وكرامةٍ حسد الصريع على سرير المصرعِ
لله سرٌّ في البرية ما طوى من نهجهِ الحكماء عرض الاصبعِ
لو شمت لمحة بارقٍ من كنههِ لكشفتُ اسرار الجهات الاربعِ
اني جهلتُ فكان غيث مدامعي جودًا وما في الجوِّ غير اليلمعِ
ياساكن الرمس الذي اقصيتهُ ودنا بطيب نشرهِ المتضوعِ
اعطيت مصر النفس غير مطالبٍ فتمسكت بنزيلها المتبرعِ

شربت هوى النيلين مصر فغيبت اصفاها في قلبها المتصدع
يامصرُ أبكارُ العلوم استودعت أنى صعيدكِ أنفسَ المستودَعِ
فسقاهُ قطر الشام قطر نجيعهِ من مقلتيهِ وقال يا ارض ابلعي
ودجاهُ قال لاعين ترعى السها امواه طوفانِ الاسى لا تقلعي
نُظم الرثاه فيامطوَّقة اسجعي وسلاف احزاني اجرعيهِ ورجعي
امسيت بعد ضيائهِ احيي الدجى بين الغوارب والنجوم الطلّعِ
وشغلت اسحاري بسمع حمائمٍ تبكي هديلاً غائباً لم يرجعِ
وعلى غريب الدار نحت فأرخوا ناح الاسيف على غريب المربعِ ١٩٠٦
وهجرت شدوي والسرورَ ختمتهُ بغموم تاريخي وفاة اللوذعِ ١٣٢٤

مظفر الدين شاه

وبلاد ايران

قضى هذا الملك العادل بعد ان وهب أُمتهُ حكومة دستورية . فعل ما لم يفعلهُ اكثر الملوك الدستوريين الاَّ تحت صليل السيوف ودوي المدافع فابقى لهُ أطيب ذكر في قلوب رعيتهِ

وُلدَ في الخامس والعشرين من شهر مارس سنة ١٨٥٣ وخلف اباهُ ناصر الدين شاه في غرة مايو سنة ١٨٩٦ فلم يتمتع بالملك سوى عشر سنوات وبضعة اشهر . ومملكتهُ من أقدم ممالك المشرق أسَّسها قورش المادي وعزَّزها داريوس وزركسيس . وهو الشاه السادس من بيت قاجار الذي رقي الى سرير الملك سنة ١٧٩٤ بعد حرب اهلية دامت خمس عشرة سنة

واحتُفل بتتويجهِ في الثامن من شهر يونيو سنة ١٨٩٦ نخاطب وزراءهُ وكبار رجال دولتهِ حينئذٍ قائلاً " بدء كل عمل حمد الله وشكرهُ على نعمهِ السابغة فنشرع بحمدهِ ونستعين بهِ ونكل أُمورنا اليهِ في قيامنا بهذا العمل العظيم وهو ادارة بلاد فارس وحماية الاسلام . ونرجو أننا بمعونة الله القدير نحتفظ برعايانا الذين هم وديعة الله في يدنا ونسوسهم بالعدل ونوردهم موارد السلام ونبذل جهدنا في اسعادهم وفي حفظ الروابط الوديَّة بين مملكتنا وسائر الممالك " انتهى نقلاً عن كتاب " ملوك الناس " الموضوع باللغة الانكليزية. وفي هذا الكتاب ان لورد كرزن حاكم الهند وصفهُ قبل ان وَلِيَ عرش الملك فقال ان لهُ معرفة بالتاريخ والماماً بعلم النبات وهو أنيس المحضر لين العريكة بعيد عن الدعوى وحب الترفُّع ميَّال الى طريقة الشيخية

عن تديُّن لا عن تعصُّب . وان المستر جون فورستر فريزر الذي طاف حول الارض ومثل لدى الشاه مراراً قال انهُ كثير الاهتمام بالمسائل السياسية الاوربيَّة يستغرب انقطاع ملوك اوربا عن الاهتمام بها وتركهم الفصل فيها لوزرائهم . انتهى

وقد كانت اقامتهُ وهو وليٌّ للعهد في مدينة تبريز والياً لولاية ازربيجان . واغتيل ابوهُ سنة ١٨٩٦ فاسرع الى طهران وخاف في اول الامر من أخويهِ ظل السلطان والي اصفهان ونائب السلطنة الذي كان وزير الحرب ولكن انكلترا وروسيا عضدتاهُ دفعاً لما ينجم عن الشقاق من الحروب الاهليَّة وبادر الجنرال قوزاقوسكي الروسي قائد قزاق الفرس واستلَّ سيفهُ ووقف في صدر الحفلة التي اقيمت لتنصيبهِ على تخت الملك

ووعد شعبهُ حينئذٍ بانُ خطط الحكومة والالقاب والاوسمة الملكيَّة والحربية لم تعد تعطَ الاَّ لمستحقيها ولا يباع شيءٌ منها بالمال. لكن دخل الحكومة كان قليلاً ونفقاتها كثيرة فشعرت بالضيقة المالية حالاً واضطرَّ ان يقترض الاموال من روسيا و يتركها ديناً على البلاد . وعزل امين السلطان وزير ابيهِ واقام مكانهُ امين الدولة فوعد باصلاح الاحكام وكتب لائحة بالاصلاح الموعود ولكنهُ لم يخرجهُ من القوة الى الفعل . واشتدَّت الضيقة المالية ثانيةً فعزل امين الدولة واعاد امين السلطان واعطاهُ لقب اتابك وامرهُ بتدبير المال اللازم لنفقاتهِ ونفقات الحكومة فلجأ الى انكلترا وكاد يعقد قرضاً فيها مقدارهُ مليون ومئتا الف جنيه ورهن لهُ دخل الجمارك في جنوبي مملكة ايران ولكن لورد سلسبري لم يقبل بذلك فاضطرَّت ايران ان تلجأ الى روسيا واقترضت الاموال منها ومن ثم رجحت السياسة الروسية في طهران على السياسة الانكليزية ونتج عن ذلك ان تقيدت دولة ايران بقيود قد تمنعها من الارتقاء مثل انها لا تنشئ سككاً حديدية في بلادها ولا تسمح لاحد ان ينشئ فيها سككاً حديدية ما لم ترضَ روسيا بذلك . واعطيت الامتيازات كلها لتجار الروس وهم عاجزون عن ان يصلحوا بلادهم فكيف يصلحون بلاد غيرهم

وزار اوربا سنة ١٩٠٠ وقوبل في بطرس برج باحتفال عظيم واتى باريس لزيارة معرضها وهجم احد الفوضويين على مركبتهِ قاصداً الايقاع بهِ فقابلهُ بجنان رابط وشجاعة امتاز بها بيت قاجار . وسرَّ سروراً عظيماً بزيارتهِ لاوربا فاعادها على كثرة ما تقتضيهِ من النفقات . وبعث اليهِ ملك الانكليز وفداً خاصاً بنشان الغارتر وفي اليوم الذي قلد فيهِ بهذا النشان اعلنت روسيا انها اتفقت مع ايران اتفاقاً تجارياً يضرُّ بمصالح انكلترا

وظلت المناظرة على شدتها بين الروس والانكليز في بلاد ايران الى ان نشبت الحرب

بين الروس واليابان وشغلت بها روسيا فمالت كفة السياسة الى جهة انكلترا . ثم لما أحكمت الصلات بين روسيا وانكلترا بعد الحرب قلّ التنافر بين مصالحهما . والدولتان تتناظران لترويج مصالح رعاياهما في بلاد ايران قصد الكسب التجاري كما لا يخفى ولكن الكسب التجاري قد لا يكون منهُ ضرر بل قد لا يكون منهُ الاَّ النفع اذا ساعد التجار اهالي البلاد على استثمار خيراتها وتعليم اهاليها

وقد ظهر لنا من محادثة بعض الايرانيين انهم عالمون بمصلحة بلادهم غير راضين عن بقاء احوالها على ما كانت عليهِ لاسيما وانهم اهل تجارة وقد جابوا الاقطار وعرفوا ما ينفع البلاد وما يضرها . وقيل لنا ان ائمة الدين ليسوا اقل من التجار تنوُّرًا وان بعضهم درس في المدارس الاوربيَّة ولذلك كثرت شكواهم من تأخر البلاد وبلغ من امرهم في الصيف الماضي ان جاهروا بمقاومة الشاه ولما عجزوا عن ان ينالوا منهُ شيئًا انطلقوا الى كربلاء وأُقفلت الاسواق وخاف الناس سوء العاقبة فلجأ التجار منهم الى السفارة البريطانية فرأى الشاه من الصواب ان ينقاد لمطالب الامة فعزل وزيرهُ عين الدولة ومنح البلاد حكومة دستورية ومجلس نواب انتخب اعضاؤهُ في شهر سبتمبر الماضي واجتمعوا الاجتماع الاول في ١٢ اكتوبر وافتتح هذا المجلس بنفسهِ ولقي حينئذٍ من شعبهِ كل دلائل الطاعة والولاء

وكان من اول اعمال المجلس انهُ اعترض على اقتراض الاموال من اوربا حاسبًا ان الامة تنشيء بنكًا اهليًا يقرض حكومتها المال اللازم لها ولكنهُ لما اراد الانتقال من الاقوال الى الافعال وجد ان الامة لا تهتم بذلك او لا تستطيعهُ . ولا بدَّ من ان تمرَّ السنون وتُستثمر موارد الثروة وينتشر العلم في البلاد قبلما يصير اهلوها قادرين على الاستغناء عن الاجانب

وكان مصابًا بداء في كليتيهِ فجاءت هذه الاحوال مقوية للداء لانها زادت قلقهُ فدعي لهُ مشاهير اطباء طهران في شهر اكتوبر الماضي فتشاوروا واتفقوا على نوع المرض وعلى انهُ مصاب ايضًا بداء الاستسقاء . واشتدَّ الاستسقاء عليهِ في شهر نوفمبر فمنعهُ اطباؤهُ عن المآكل الجامدة واقتصروا على تغذيتهِ بالمآكل السائلة . واتى طهران حينئذٍ طبيب المانى مشهور بمعالجة هذا الداء اسمهُ الدكتور دمتش فاضطرَّ الشاه الى البقاء في قصرهِ وعدم الخروج منهُ وكان يُجبَر على الخروج يوميًا اقناعًا للشعب انهُ في قيد الحياة وعلى تمام الصحة . واباح لهُ اكل المآكل الجامدة فاصطلحت حالهُ في اواسط نوفمبر وظُن حينئذٍ ان الخطر زال تمامًا او تأخر طويلاً ولكن لم يفرغ الشهر حتى اشتدَّ الاستسقاء عليهِ وبقي جسمهُ يغالب الداء الى ان غلبهُ الداء في الثامن من يناير الماضي الساعة الحادية عشرة ليلاً واعلن ذلك في الصباح التالي

والحال جاء ولي عهده الامير محمد علي مرزا الى القصر وبايعهُ الامراء والعلماء وكبار رجال الدولة

وسيبقى اسم مظفر الدين شاه مذكورًا في تاريخ ايران بانهُ منحها حكومة دستورية نيابية تستطيع ان ترقى بواسطتها الى اعلى مراتب الدول العظيمة

وبلاد ايران شرقي بلاد الدولة العلية طولها من الشمال الى الجنوب ٧٠٠ ميل ومن الشرق الى الغرب ٩٠٠ ميل ومساحتها نحو ٦٢٨٠٠٠ ميل مربع وكثير منها قفار قاحلة وسكانها قلال جدًّا فلا يصيب الميل منها ١٦ نفسًا. وقد قدّر عدد سكانها سنة ١٨٨١ بسبعة ملايين و٦٥٣ الف نفس. سكان المدن منهم نحو مليونين والقبائل الرحّل نحو مليونين والباقون يسكنون القرى والارياف. ويقدر عدد السكان الآن بنحو عشرة ملايين من النفوس

والعاصمة طهران وفيها نحو ٢٨٠ الف نفس وتتلوها تبريز وفيها مئتا الف واصفهان وسكانها نحو سبعين الفًا ومن امهات مدنها مشهد وقرمان ويزد وشيراز وهمذان وقزوين وكلها اسماء مشهورة في كتب العرب لخروج كثيرين من العلماء والائمة منها

واكثر اهالي ايران على مذهب الشيعة وفيها قليل من الفرس واليهود والارمن والنساطرة

وفي البلاد كثير من المدارس يتعلم فيها الطلبة قواعد الدين والفارسية والعربية وبعض العلوم الابتدائية. وفي طهران مدرسة صناعية فتحت سنة ١٨٤٩ اساتذتها من الاوربيين وفيها ايضًا مدرسة حربية وفي تبريز مدرسة أُخرى ويدير الاولى استاذ ايراني درس في برلين وفيها مئة طالب. وفي طهران وغيرها من المدن مدارس ابتدائية كثيرة تحت ادارة نظارة المعارف. وسنة ١٩٠٠ فتحت في طهران مدرسة لتعليم فنون السياسة

وكان دخل الحكومة سنة ١٨٩١ نحو مليون و٧٧٥ الف جنيه ولكن لما صارت الحكومة مضطرة ان تدفع الاموال لأوربا ذهبًا ودخلها من رعاياها فضة بلغت قيمة دخلها مليونًا و٣٢٧ الف جنيه فقط سنة ١٩٠٤ لان الحكومة تتقاضى الاموال من الاهالي فضةً وتدفع ربى دينها وثمن ما تشتريهِ من اوربا ذهبًا فينقص دخلها على حسب نقص قيمة الفضة. ولكن اصلحت ادارة البلاد منذ سنة ١٩٠٣ اصلاحًا يمنع الزيادة في نفقات الحكومة والنقص في دخلها وينتظر ان لا تزيد النفقات على الدخل بعد الآن. ونصف دخل الحكومة من الجمارك والمصايد والمعادن والبوسطة والتلغراف والنصف الآخر من الضرائب المفروضة على الاهالي. وتدفع الحكومة ربًا لدينها خمسة في المئة كما كانت مصر تدفع قبل الاحتلال

وجيش ايران ١٣٠ الفًا ولكن الجيش العامل لا يزيد على ثلاثين الفًا وهو مقسوم الى اثني عشر فيلقًا عدد رجال كل فيلق من ٥٠٠٠ الى ١١ الفًا ولكل فيلق منها سردار خاص

بهِ . ولايران سفينتان حربيتان صغيرتان قوة آلة احداها ٤٥٠ حصاناً وفيها اربعة مدافع صغيرة قطر فوهة المدفع منها ثلاث عقد وقوة آلة الاخرى ٣٠ حصاناً والسفينتان تابعتان لادارة الجمارك لمنع التهريب

والبلاد زراعية يصدر منها القمح والشعير والارز والاثمار المختلفة والعقاقير الطبيَّة والصوف والقطن والحرير والجلد والافيون

وصدر منها سنة ١٩٠٤ من الحرير والمنسوجات الحريريَّة ما ثمنهُ مليون و٢٢٧ الف جنيه ومن الافيون ما ثمنهُ ٣٠٠ الف جنيه ومن صمغ الكثيراء ما ثمنهُ ١٢٠ الف جنيه ومن التنباك ما ثمنهُ ٢٤ الف جنيه ومن القطن والمنسوجات القطنيَّة ما ثمنهُ ٤٤٢ الف جنيه ومن الصوف ما ثمنهُ ١٧٣ الف جنيه ومن البسط ما ثمنهُ ٤٠٧ آلاف جنيه ومن اللؤلؤ والحجارة الكريمة ما ثمنهُ ٦١ الف جنيه

وفي البلاد كثير من مناجم الرصاص والنحاس والقصدير والانتيمون والنكل والتوتيا والمنغنيس والبورق . والحديد كثير جداً فيها ومعادنهُ غنيَّة وفيها فحم حجري جيد قرب طهران وفيها النفط وزيت البترول ويكثر فيها الفيروز

ومراكز تجارتها في تبريز وطهران واصفهان ولها تجارة واسعة مع اوربا . وقد بلغت قيمة صادراتها ووارداتها سنة ١٩٠٤ نحو ١٢ مليوناً من الجنيهات واكثر تجارتها مع روسيا وانكلترا

وفيها سكة حديدية طولها ستة اميال من طهران الى شاه عبد العظيم فتحت سنة ١٨٨٨ وهي لشركة بلجيكية وسكة للمركبات بين طهران وكوم وطولها ٩١ ميلاً وبين طهران ورشت طولها ٢٢٠ ميلاً . وسكة للقوافل بين الاهواز واصفهان وسكك اخرى يسهل السير فيها ولكنها لا تقوم مقام السكك الحديدية في تسهيل التجارة واستثمار خيرات البلاد

ونظام التلغراف فيها حسن فان فيها نحو عشرة آلاف ميل من اسلاكهِ و١٣٠ مكتباً لهُ

وادخل نظام البوسطة اليها سنة ١٨٧٧ ادخلهُ رجل نمسوي في خدمة حكومة ايران وكان دخلها يضمن ضماناً فأبطل ذلك سنة ١٩٠٢ واضيفت ادارة البوسطة الى ادارة الجمارك . ويظهر لنا من انتظام وصول جرائدنا وكتبنا اليها ان نظام البوسطة على ما يرام

والبلاد كثيرة الخيرات واهلها على غاية الذكاء والنشاط وكان لاسلافهم شأن عظيم وقد زال الاستبداد الذي اخنى عليهم واضعفهم فيرجى ان يعودوا الى سابق مجدهم ويصيّروا بلادهم من اغنى بلدان المشرق واوسعها عمراناً

ولا تذكر بلاد ايران ومدينة طهران الاَّ ويخطر على البال غنى ملوكها وما في قصورهم من

التحف والحجارة الكريمة . اما الغنى فلم يعد احد يصدق به ولا من الايرانيين انفسهم على ما سمعناه من الذين ذاكرناهم في هذا الموضوع من وجه الايرانيين

واما التحف والجواهر فكثيرة عندهم قالت مسز بشوب في رحلتها في ايران وكردستان (على ما في كتاب ملوك الناس) انها دخلت دار الكنوز في قصر طهران فرأتها غرفة فسيحة كثيرة النقش فيها مائدة مغطاة بالذهب حولها صناديق من الزجاج على موائد من المرمر . وفي هذه الصناديق جواهر الشاه وكنوز المملكة من اللؤلؤ والماس والياقوت والزمرد والصفير والاسلحة القديمة المرصعة بالجواهر الكريمة من التروس والسيوف والخوذ والدروع وفيها كلها من حجارة الماس والياقوت والزمرد واللؤلؤ ما يفوق الوصف حتى ان الناظر اليها يظن انهُ في حلم لا في يقظة

وهناك صندوق فيهِ كل نياشين الشاه مرصعة بالحجارة الكريمة وصناديق كثيرة علو الصندوق منها قدمان او ثلاث وعرضهُ قدم او اكثر وهي مملوءة باللآلئ وحجارة الياقوت والماس والصفير والزمرد تتألق بالوان شتى . والجواهر مكومة كوماً كأنها عرم الشاي او الارز . وهناك كرة من الذهب قطرها عشرون عقدةً تدور في منطقة من الذهب ومنطقة خط الاستواء ومنطقة البروج مرصعتان بحجارة الماس الكبيرة والبلدان محدودة على الكرة بحجارة الياقوت واما بلاد ايران فحدودها من الماس والاوقيانوس مرصع بالزمرد . وكأنَّ هذا لايكفي لاظهار الابهة والمجد فترى حولها كوماً من النقود الذهبية كل قطعة منها تساوي ثلاثة وثلاثين جنيهاً

ولا مشاحة في صدق هذه السيدة وفي ان قصور ايران من افخر قصور الملوك وفيها من الجواهر والتحف ما يعز وجود نظيرهِ ولكن ما هي هذه الجواهر وهذه التحف بالنسبة الى غنى الممالك وما قيمة النقود الذهبية ولو كوّمت كوماً بالنسبة الى غنى الاغنياء من الاوربيين الاميركيين فان غنياً واحداً من اغنياء اميركا يستطيع ان يشتري كل تحف شاه ايران بدخل سنة واحدة من اموالهِ . والغنى الحقيقي هو غنى البلاد والثروة الحقيقيَّة هي ثروة الامة . بلاد مثل ايران لا يبلغ دخل حكومتها السنوي مليوناً ونصف مليون من الجنيهات لا يحقُّ لها ان تعدَّ بين الممالك الكبيرة ولا بين الممالك الغنيَّة فان مصر على صغرها يبلغ دخل حكومتها السنوي عشرة اضعاف ذلك . ومن الاغنياء من دخلهُ السنوي ضعفا ذلك او ثلاثة اضعافهِ ولكن اذا صلحت احوال البلاد واستثمرت موارد ثروتها حتى صار دخل حكومتها السنوي عشرة ملايين من الجنيهات او اكثر وصارت قيمة صادراتها ووارداتها عشرين او ثلاثين مليوناً فحينئذٍ يقال انها دخلت في مصاف البلدان الغنية

المفاضلة بين الشعراء

لامراء انهُ ما تعدَّد اهل صناعةٍ ما او اهل علمٍ ما في عصرٍ من الاعصار او امةٍ من الامم حتى لهج الناس بامر الموازنة بينهم وحمل لواء كلٍ منهم جماعة وصار كل فريق يقدّم صاحبهُ ويدّعي لهُ الافضليَّة على سائر اهل فنهِ او صناعتهِ فاشتدَّ التنازع بينهم واتَّسعت مسافة الخلاف حتى خفضوا من خفضوا واعلوا من اعلوا ذاهبين في ذلك مذاهب اغراضهم او مذاهب اذواقهم ولكن قلَّ بينهم من بنوا احكامهم على بيناتٍ تثبت اذا عصفت بها الحجج وهبَّ عليها زعازع [1] البحث واكثر ما ترى ذلك متى تولَّى المفاضلة من لم يستنيروا بنور العلم او من هم عبيد الاغراض واسرى الاهواء · فهنالك يعلو الصياح ويرتفع ضجيج الجدال ويخيم غبار الاهواء على البصائر حتى ما ترى للمفضول حسنةً ولا للفاضل سيئةً . وقد يتمادى كلٌّ في اطراء صاحبهِ والغض من صاحب مجادلهِ الى حدٍ ان يقول المنتصر لهُ أقصروا فقد البستموني ثوباً اطول من قامتي واعرض من حجم جسمي · سنة الدهر في مدح الاغرار واهل المآرب

ولما كان أُدباء العصر بل العوامُّ من اهلهِ كثيرًا ما يخوضون لجج هذا البحث كما خاض الذين من قبلهم عنَّ لي ان اتجه صوبهُ فانشأْت هذه المقالة ابيّن بها كيف يفضل الشاعرُ الشاعرَ ذاكرًا وجوه المفاضلة وفاتحاً ابواب الموازنة آملاً انها ترشد من ضلال . وتهدي الى سداد · حتى اذا حكم ذو علمٍ ان زيدًا اشعر من عمرو لا يكتفي بنظرةٍ اجمالية بل يطيل نظرهُ في قصائد الاثنين ثم يحكم ايهما اشعر ولكن بادلةٍ لا يبطلها بحث محقق ولا يجرحها تنقيب مدقق

تمهيد

قبل الافاضة في بيان وجوه المفاضلة اقول لا بدَّ لمن شاقهُ ان يعرف ايَّ الشعراء اشعر ان ترسم في فكرهِ حقيقة الشعر كما ترتسم فيهِ صور الكائنات المنظورة فمن ارتسم في لوح ذهنهِ صورة الفهد والذئب والسبع مثلاً فايَّان رأى الواحد منها او رآها كلها عرفها بمقابلة صورها يوم تمرُّ بهِ بما كان قد انطبع لها من الصور على صحيفة ذاكرتهِ

اما الشعر فهو خيالات فكرية تلبس البرود البهيَّة حتى تكاد تبرز بها اجمل من الغادة الميفاء في انفر ملابس الثراء فهو يجسم المعنويات ويمثّل الحالات ويصوّر الموصوفات فاذا

(١) الزعازع رياح شديدة الهبوب تقلقل الاشياء

كلفتُ الشاعر وصف بستانٍ كدت ترى الوان زهرهِ وخضرة شجرهِ ولدونة غصونهِ وشهي ثمارهِ حتى لتظنك واقفاً فوق ذلك البستان تسمع تغريد اطيارهِ وتتنسم نفحات ازهارهِ وتخال الشاعر قد صوّر البستان في ابيات زهريتهِ على حدّ قولهِ

ما زالتِ الاوراقُ توجد في الريا ضِ وقد أراني الروضَ في الاوراقِ

ومن هذا الباب قول ابن الوردي

واصباغ الوانٍ واحداق نرجسٍ وقاحٌ ابتْ اجفانها ان تغمضا
وقامات اغصانٍ رشاقٌ تعانقت فمنثورُ منظوم الازاهر قد أضا
وشقّ الشقيقُ عنهُ ثوباً كشا كلٍ عليها ثيابٌ للدما ليس أتنتضى
ومنها على جانبيهِ الدوحُ لا بل عرائسٌ تروم لنثر الدرّ ان تنتفضا

ولصفيّ الدين الحلي زهرية لطيفة منها

وردَ الربيعُ فمرحباً بوُرودهِ وبنورِ بهجتهِ ونَورِ ورودهِ
وبحسن منظرهِ وطيب نسيمهِ وأنيقِ ملبسهِ ووشيِ برودهِ

ولابي فراس الحمداني

ويومٍ جلا فيهِ الربيع رياضهُ بانواع حليٍ فوق اثوابهِ الخضرِ
كأن ذيولَ الجلنارِ مطلّةً فضولُ ذيول الغانيات من الأزرِ[1]

ولابن الساعاتي

والطلّ في سلك الغصون كلؤلؤٍ رطبٍ يصافحهُ النسيم فيسقطُ
والطير تقرأ والغديرُ صحيفةٌ والريح تكتبُ والغمام ينقطُ

واذا وصف لك معركةً فكأنما اراك الجيشين بين الكرّ والفرّ والهجوم والدفاع والسيوف مسلولة والدماء متفجّرة واسمعك صهيل الخيل وغمغمة[2] الابطال ودويّ الرصاص ومثّل لعينيك المدافع ترسل قذائف المنايا تحطم الاعضاء وتخطف الارواح وذلك كقول ابن هانئ من قصيدة

فُتقت لكم ريحُ الجلاد بعنبرٍ وامدّكم فلقُ الصباح المسفرِ
وجنيتمُ ثمرَ الوقائع يانعاً بالنصر من ورق الحديد الاخضرِ

ومنها

ومشوا على قطع النفوس كأنما تمشي سنابك خيلهم سيفٍ مرمرِ

وللقاضي ابن عطية في وصف معركة ابيات تمثل الجيشين يتقاتلان فمن يقرأها او يسمعها منشدةً يخيّل اليهِ انهُ على ربوة تطلّ على حومة الوغى وهي

(١) الجلنار زهر الرمان (٢) الغمغمة اصوات الابطال عند القتال

كم صدمةٍ لك فيهم مشهورةٍ ٠ غصَّ العراقُ بذكرها والشام
في مأزقٍ (١) فيهِ الاسنَّة والظبى برقٌ ونقع (٢) العاديات غمامُ
والضربُ قد صبغ النصولَ كأنما يجري على ماء الحديد ضرامُ
والطعنُ يبعثُ النجيع (٣) كأنما تنشق عن زهر الشقيق كمامُ (٤)

وان وصف ظالماً يفتك بمظلوم مثَّل لك سبعاً ضارياً يفترس شاة جماء . وان استجار اراك ضعيفاً يصرعهُ قويّ او عصفوراً انقضَّ عليهِ نسر او ثعلباً وثب عليهِ اسد فيثير بذلك نجدتك ويستصرخ حميتك . ومن احسن ما ورد من ذلك قول الشاعر

اذا كان ذئبُ الغاب يرعى نعاجهُ كتبتُ على اعناقها الدائمُ اللهُ

فلا اوقع في النفس من هذا البيت في بابهِ فهو يريك الظالم ذئباً والمظلوم نعجةً ولو ان رافائيل المصوّر الشهير الذي يتغالى العظماء في اشتراء ما ترك من الصور البديعة لقي صاحب هذا البيت لاعترف لهُ بمزيَّة التقدم في التمثيل

ومن جيّد ما قيل في الاستجارة والاستجداء هذان البيتان المشهوران

أيغدرني الزمانُ وانت فيهِ وتأكلني الكلابُ وانت ليثُ
ويروى من حياضك كل صادٍ واعطش في حماك وانت غيثُ

وان استعطفك صوَّر لك حالة تثير كامن الرحمة وتدعو الى الشفقة دعوة تليّن القلوب الصلدة واراك نفسهُ على حاجةٍ لا تستريح النفس الشريفة الاّ بسدّها وذلك كما قال الحطيئة

ماذا تقول لافراخ بذي مرخ حُمر الحواصل لا ماء ولا شجرُ
ألقيتَ كاسبهم في قعر مظلمةٍ فاغفر عليك سلام الله يا عمرُ

وان وصف المحاسن استحسنت وصفهُ على عروس شعرهِ من ذلك قول ابن معتوق

خفرت بسيف الغنج ذمة مغفري وفرتْ برمح القدّ درع تصبري
وجلت لنا من تحت مسكة خالها كافورَ فجر شقَّ ليل العنبرِ
وغدت تذبُّ عن الرضاب لحاظها فحمت علينا الحورُ وردَ الكوثرِ
ودنت الى فمها أراقم فرعها فتكفلت بحفاظ كنز الجوهرِ
يا حامل السيف الصحيح اذا رنت اياك ضربة جفنها المتكسّرِ
وتوقَّ يا ربَّ القناة الطعن إن حملت عليك من القوام باسمرِ

(١) المضيق وموضع الحروب (٢) الغبار (٣) الدم (٤) الكمام جمع الكم وهو غلاف الزهرة

الى ان يقول

فزعتْ فضرَّست العقيقَ بلؤلؤ ... سكنت فرائدهُ غديرَ السكّرِ
وتنهّدت جزعاً فأثّر كفُّها ... في صدرها فنظرتُ ما لم انظرِ
اقلام مرجانٍ كتبنَ بعنبر ... بصحيفة البلور خمسة اسطرِ

ومن هذا الباب قولهُ من داليّةٍ لهُ

نبتت رياحينُ العذار بوردهِ ... فكسا زمرّدُها عقيقة خدّهِ
وبدا فلاح لنا الهلالُ بتاجهِ ... وسعى فمرَّ بنا القضيبُ ببُردهِ

الى ان يقول

وسطت على حرب الرماح معاشر ال ... اغصانِ فانتصرت بدولة قدّهِ

واذا مدح كسا ممدوحهُ رداءً تروق العين رؤيتهُ والبسهُ مجداً حاكت المآثر بردتهُ واذا هجا خيَّل المهجوَّ ملطخاً باقذار المثالب وذكر من فعلاتهِ ما هو اخبث رائحة من الجيف وكذا شأنهُ في سائر ابواب الشعر

ومن اقدر الشعراء على الوصف الشنفرى فقد وصف الذئاب الجائعة في لاميتهِ وصفاً بلغ من المطابقة للموصوف ما لا غاية بعدهُ فاذا قرأت ذلك الوصف فكأنك ابصرت تلك الذئاب بعينك من ذلك قولهُ

مهلهلةٌ (١) شيبُ (٢) الوجوه كأنها ... قداحٌ (٣) بكفي ياسرٍ (٤) تتقلقلُ
مهرّتةٌ (٥) فوهٌ (٦) كأنّ شدوقها ... شقوق العصيّ كالحاتٌ وبُسّلُ (٧)

وجوه المفاضلة بين الشعراء

لا مندوحة لمن يفاضل بين الشعراء من ان يراعي هذه الوجوه وهي (١) اشراق الديباجة ومتانة النسج و (٢) تمكُّن القوافي و (٣) ابتكار المعاني وابتكار الاساليب و (٤) النظم في كل باب من ابواب الشعر و (٥) النظم على كل بحرٍ من بحورهِ و (٦) التخلُّص من الجوازات الشعرية المكروهة و (٧) الاجادة في اسوار القصيدة وهي بيت المطلع وبيت التخلص وبيت الختام و (٨) طول القصيدة و (٩) التقارب في الطبقة كما بين جرير والاخطل والفرزدق والاَّ أُغلق في وجههِ باب المفاضلة واصبح كمن يريد ان يثبت حقاً لواحدٍ على آخر ولا دليل لهُ من ادلة الاثبات

(١) رقيقة اللحم (٢) جمع شيباء مأخوذ من شاب اذا ابيضَّ (٣) السهام قبل ان تراش (٤) المقامر (٥) الواسعة الاشداق (٦) مفتوحة الفم (٧) كريهة المرأى

اما اشراق الديباجة ورشاقة العبارة ومؤاخاة الالفاظ للمعاني فمنبتهُ تعلق النفس من كل شيء باجوده . ومعلوم ان الالفاظ حُلل المعاني وشتان ما بين فاخر الثياب وخسيسها وجيدها ورديئها والاَّ فاين الشعر من الحرير والخزف من الذهب

واما تمكن القوافي فيريك التحام اول البيت بآخره وارتباط صدره بعجزه ويقضي للشاعر بان الكلام طوع لسانه او قلمه اذا دعاهُ لبَّاهُ ولا يدعو منهُ الاَّ ما يراهُ الأجدر بالمقام كالبنَّاء فانهُ يطلب من الحجارة ما هو على قدر الموضع الذي يريد ان يضعهُ فيه فان كان اكبر او اصغر ردَّهُ لان الاكبر يضيق عنهُ المكان والاصغر لا يملأهُ

واما ابتكار المعاني فناطق بان لصاحبه فكرًا يقود الافكار وراءهُ وذهنًا مخصبًا تغتذي الاذهان من ثماره فهو الغنيُّ الذي يجود على العقول بما يكشف من كنوز المعاني . ولا اعلم مزيَّةً للعقل وراء هذه

واما ابتكار الاساليب فهو فضل منبتهُ صدق الحس وقوَّة الخيال ورقة الفطنة وهو يقرب من فضل ابتكار المعاني . ألا وان المعنى الواحد الذي يتعاورهُ الشعراء يتفاوت وقعهُ في النفوس بتفاوت الصور والاساليب فقد تراهُ سمينًا ناضرًا وقد تجدهُ غثًّا باردًا وقد يأتي في عبارة الواحد خرزًا وفي عبارة الآخر دُرًّا فمن أُوتي التفنن في لطف الاسلوب يُعدُّ ولا ريب في الطراز الاوَّل

واما النظم في كل ابواب الشعر وهي المدح والهجاء والفخر والنسيب وما يتفرَّع منها فهو قاضٍ لصاحبه بالفضل من الجانبين جانب اللفظ وجانب المعنى . وقريحة المقتدر على ذلك شبيهة بمخزنٍ كبيرٍ يحوي كل صنفٍ من البضائع الثمينة وذلك غاية الغايات في الانشاء نظمًا ونثرًا

واما النظم على كل بحور العروض فيدلُّ على ان الناظم ملك مطاع الامر نافذ الكلمة في بحار مملكة الشعر كلها واما من ينظم على بعض الابحر واذا كُلّف ان ينظم على غيرها رجع الى حالة المغزرم (١) كما نظم بيتًا بقطعةٍ خشيةَ ان يخرج عن ميزانه اما بنقص او بزيادة فهو لا يتجاوز مقام الوزير الذي لا سلطة لهُ ولا حيث سلطةُ السلطان على ان هذا الوجه لا علاقة لهُ بجودة الشعر ورداءته

واما التخلص من الجوازات الشعرية المكروهة فدليل سلطة مطلقة للشاعر في اللغة والعروض فاذا كانت اللفظة لا توافق الوزن الاَّ بمخالفة قاعدة نحوية او صرفية جاء بغيرها ولم يتكلف عناء ولا مشقة فان محفوظهُ من مختار اللفظ كثير وكلهُ قائم لديه قيام العبيد بين ايدي اسيادهم

(١) المغزرم المبتدئ بقول الشعر كما جاء في الاغاني

ومطاوعة اللفظ للناظم مزية لا تنكر . واعلم ان لا اعون على السلامة من الجوازات المستهجنة كاستنكاف الشاعر منها وعدّها دمامل يسيل صديدها على محيا شعرهِ

على ان فحول الشعراء قد لاذوا احياناً ببعض الجوازات ولم يبالوا وذلك انهم بما نالوا من رفعة القدر وعظمة الشان في النفوس صارت لهم إمارة على الكلام فيمدون مقصورهُ ويحركون ساكنهُ ويسكّنون متحركهُ ويؤنّثون المذكّر ويذكّرون المؤنّث وكان الاجدر بهم ان لا ينزلوا هذه المنازل السافلة ولاسيما وقياد الكلام بايديهم ولكن هو الاستخفاف ينزل بصاحبهِ الى حيث لا يجمل

واما الاجادة في اسوار القصيدة وهي بيت المطلع وبيت التخلص وبيت الختام فكفى بها رفعةً انهم قالوا اذا اجاد الشاعر في المطلع والتخلص والختام فقد سلمت قصيدتهُ من نظر النقاد. اما براعة الاستهلال فلما وراءها من اجتذاب القلوب واقبال النفوس بلذةٍ وشوق . واما براعة التخلص فلما فيها من الدلالة على ترتيب المعاني واحكام ربطها وحسن تعلق بعضها ببعض بحيث لو وقف الشاعر عن المعنى المتخلص اليهِ لاستطاع السامع اللبيب ان يعرفهُ وتلك مزية بينة واما براعة الختام فلأن حسنها اشبه شيءٍ بانتهاء المسافر الى بلدهِ وسرورهِ بمشاهدة اهلهِ على افضل ما يريد لهم. ومن لم يحسن الختام فكمن يطعم الفاكهة قبل النضج. وقصارى القول ان من طلبت نفسهُ الجلوس على كرسي القضاء بين الشعراء فلا بد ان يأخذ شعر كلٍ منهم ويجمع ما لهم من الاجادات في ابواب الشعر فمن كانت اجاداتهُ اكثر ولم يخرج بهِ ضيق الذرع بالكلم عن الاقيسة اللغوية الى المكروه من الجوازات الشعرية وتوفرت لهُ كل تلك الوجوه كان هو الاشعر واما من ساواهُ في الاجادة ولكنهُ لم ينظم الاَّ في بعض ابواب الشعر وعلى بعض الابحر فلا يعدُّ في طبقتهِ. على ان من قصَّد القصائد في جميع الابواب واطال ولكن كانت اساليبهُ كالوجوه المنقوفة ومعانيهِ كالأنوار الضعيفة وقوافيهِ قلقةً لا ينتظر مثلها من يقرأ صدر البيت واضطرّهُ القصور الى استعمال الجوازات المستهجنة فيقدَّمُ عليهِ صاحب قصيدةٍ واحدة غرّاء كقصيدة السموأل في الفخر وقصيدة بشر بن عوانة التي يصف بها قتالهُ للاسد وقصيدة ابن الانباري في الوزير الطاهر بن بقيَّة بل يقدَّم عليهِ صاحب بيتٍ واحدٍ من مثل هذا المطلع البديع

منابتَ العشب لاحامٍ ولا راعٍ مضى الردى بطويل الرمح والباعِ

واما طول القصيدة فيستلزم بسطة فكر وقوَّة على التفنن في المعاني واستيفائها بجميع اطرافها وغزارة مادَّة من اللغة . ومن يعجز عن نظم القصائد الطويلة فهو بلا مراء دون من يقدر عليهِ

فليست القصيدة المؤلفة من مائة بيت او من مائتي بيت كقصيدةٍ مؤلفة من خمسة عشر او عشرين بيتاً فتلك لا تخرج الاَّ من قريحةٍ سيَّالة وفكرة متوقدة وحافظةٍ قوية تكسوها الخر الحلل وتمدّها بالفاظ تواجه المعاني وقوافٍ تراها راسخةً في اواخر الابيات رسوخ الاطواد

على اني لا اقصد بهذا ان ادعو الشعراء الى الاطالة في القصائد فلكل مقام مقال والكلام كلهُ منظومهُ ومنثورهُ يطوَّل و يقصَّر على حكم مقتضى الحال وانما اردت ان أُثبت مزيةً لمن ينظم مائة بيت او ما فوق ذلك على رويٍ واحدٍ وبحرٍ واحد ويجعلها خدوراً لبدائع المعاني فهو ولا مشاحةَ اغزر مادَّةً واقوى فطرةً ممن ينظم القصائد القصار ولا قِبل لهُ بنظم الطوال

واما التقارب في الطبقة فانما كان مجال المفاضلة وداعي الموازنة لخفائهِ الاَّ على اهل الخبرة بجيّد الشعر ورديئهِ ولا تفاضل بين من شعرهُ في الاوج ومن شعرهُ في الحضيض فان ذلك مما هو معلوم عند اهل الذوق لا يجهلهُ الاَّ من يجهل ان السيف امضى من العصا والدرّ اغلى من الخرز

واما الحكم بأنَّ فلاناً اشعر من فلانٍ قبل ان يقضى من الوقت ما يكفي للموازنة بينهما على الاعتبارات والوجوه التي ذكرت فهو حكم قابل للنقض ولو حكم بهِ ائمة الكون كلهم اجمعون

هذا واني قد عزمت ان اجمع في هذه المقالة ما لكلٍ من حبيب الطائي وابي عبادة البحتري وابي الطيّب المتنبي من الابيات في المعاني التي تعاوروها كالمدح بالجود والشجاعة ابتغاء ان اضع نصب عين المطالع كلَّ او جلَّ ما جاء بهِ كلٌّ منهم من الاساليب في ايراد ذلك المعنى وهو افيد درس لطلاَّب القريض

سعيد الخوري الشرتوني

العصر العباسي

نشرت اولاً في المقطم في ٨ يناير عيد جلوس الجناب الخديوي

استقبل اهالي القطر هذا العيد السعيد بالبشر والايناس وهم جديرون بذلك لان الخمس عشرة سنة التي مضت منذ تولى سمو الخديوي المعظم عباس الثاني اريكة الخديويةّ المصريةّ كانت اعوام خير ونعم عمت القطر المصري واشترك فيها القطر السوداني

ان خمس عشرة سنة ليست بالزمن الطويل في حياة الامم والممالك وقد تمرُّ ولا يتغير في غضونها حال البلاد تغيراً يشعر بهِ بل قد يمرُّ القرن والقرنان والامم على حالها من حيث مقامها السياسي والمعاشي والاجتماعي ولكن الخمس عشرة سنة التي مرت على القطر المصري من حين

تولى الجناب الخديوي اريكة اجداده الى الآن ابقت في تاريخ هذا القطر اثرًا لا ينسى مدى الدهر لانهُ ارتقى في غضونها ماليًّا وادبيًّا ارتقاء لا مثيل لهُ في تاريخهِ السالف ولا في تاريخ مملكة من الممالك الاخرى شرقية كانت او غربية

فاولاً بلغ في عدد سكانهِ مبلغًا لم يصل اليهِ في عهد الفراعنة ولا في عهد البطالسة ولا في عهد الروم ولا في عهد العرب . وما ذلك الا لتوفر اسباب المعيشة ووسائل الاعتناء بالصحة العمومية ودفع عوادي الادواء والاوباء. ولم تشرع الحكومة المصرية في الاحصاء الجديد حتى الآن مع انها اعدت معداتهِ كلها ولكنها ستشرع فيهِ قريبًا والمرجح انها تجد عدد السكان نحو اثني عشر مليونًا من النفوس فيكونون قد زادوا في العصر العباسي ثلاثة ملايين او اكثر او ثلاثين في المئة وهذه زيادة عظيمة لا نرى مثلها في بلاد اخرى

وثانيًا قدرت ايرادات الحكومة المصرية حينما تولى الجناب الخديوي بتسعة ملايين و ٩٥٠ الف جنيه اي باقل من عشرة ملايين جنيه وقدرت المصروفات بتسعة ملايين واربع مئة الف جنيه اما هذه السنة فتقدر الايرادات بنحو خمسة عشر مليون جنيه والمصروفات بنحو اربعة عشر مليونًا وربع مليون

وهذه الزيادة العظيمة في ايرادات الحكومة ليست ناتجة من زيادة الضرائب لان ضرائب الاطيان صارت الآن اخف مما كانت منذ خمس عشرة سنة بل من نمو الثروة العمومية اي من زيادة ايراد الجمارك وسكك الحديد والبوسطة والتلغرافات ورسوم التسجيل وما اشبه

وثالثًا ان هذا النمو في عدد السكان وفي ايراد الحكومة بلغ ثلاثين في المئة في مدة خمس عشرة سنة اما النمو في نفقات التعليم العمومية فبلغ اكثر من اربع مئة في المئة لان ميزانية نظارة المعارف كانت ٩١ الف جنيه سنة ١٨٩٢ فصارت الآن نحو اربعمئة الف جنيه وقس على ذلك النفقات التي يراد بها نفع الاهلين خاصة كالادارة الطبية

ورابعًا ان مقتنيات هذا القطر كلها من اطيان وعقار لم تكن قيمتها تزيد على مئتي مليون جنيه منذ خمس عشرة سنة اما الآن فلا تقل قيمتها عن ستمئة مليون جنيه فزادت ضعفين في خمس عشرة سنة مع ان عدد السكان زاد نحو ثلاثين في المئة فقط وعليهِ فالثروة العمومية صارت ثلاثة اضعاف ما كانت عليهِ قبل هذه السنين القليلة

وخامسًا ان هذه الزيادة في قيمة الممتلكات بعضها اعتباري فقط كما لا يخفى ولكن اكثرها حقيقي مبني على زيادة الايراد باصلاح طرق الري والصرف وارتفاع اسعار الحاصلات في الاسواق التي ترسل اليها حاصلات القطر المصري . فان قيمة الصادرات من القطر المصري

بلغت سنة ١٨٩٢ اقل من ١٤ مليونًا من الجنيهات والمرجح انها بلغت في العام الماضي اكثر من اربعة وعشرين مليونًا مع ان ثمن قنطار القطن قدّر فيها بثلثمئة غرش وهو اكثر من اربع مئة غرش فتكون قيمة الصادرات الحقيقية نحو ٢٨ مليونًا من الجنيهات . أي ان قيمة صادرات القطر تضاعفت في الخمس عشرة سنة الماضية

وسادسًا لما تولى الجناب الخديوي كان الظلم ناشرًا رواقهُ على كل بلاد السودان وكانت احوال تلك البلاد تدعو الى الخوفِ والقلق — الخوف على الحدود المصرية من غارات الدراويش والقلق على النيل لئلاَّ تقع مصادرهُ في يد دولة قوية تصادر مصر وتمنعها من التحكم فيهِ . فزال كل ذلك الآن ونشر العدل لواءهُ في ربوع السودان وصار السودانيون يطالبون الحكومة بكل اساليب الحضارة الجديدة حتى بانارة مدنهم بالنور الكهربائي . وتيسر للحكومة المصرية ان تدرس طبائع النيل والبلاد التي يمرُّ فيها حتى تتحكم فيهِ وتجلب من مائهِ الى القطر المصري ما يفي بري اطيانهِ كلها ولو في اشد السنين شرقًا

هذه نظرة مجملة في احوال القطر المصري والنجاح الذي نجحهُ والارتقاء الذي ارتقاهُ في العصر العباسي نعم ان القطر المصري لم يبنِ اساطيل حربية يغزو بها البلدان المجاورة ولا زاد عدد جيشهِ زيادة تمكنهُ من الزحف على البلدان الاخرى ولكنهُ احتفظ بحدودهِ كلها واسترجع السودان الى اقصاهُ وتحكم بماء النيل حتى صار يروي بهِ ارضًا لم تروَ في عصر من العصور الغابرة وصارت مصر في بحبوحةٍ من الامن بحيث تقاطر الماليون اليها من اوربا لاستثمار اموالهم فيها والفضل في ذلك كلهِ لرجالها وللمحتلين الذين ساعدوهم ولا سيما لعميدهم السياسي الحكيم

وربَّ سائل يسأل ما هو نصيب الجناب الخديوي من كل ما تمَّ في بلادهِ مدة حكمهِ . والجواب عن ذلك ان نصيبهُ منهُ هو مثل نصيب كل ملك من الارتقاء الذي ترتقيهِ بلادهُ في عهدهِ فان البلدان الدستورية لا تطلب من ملوكها ان يقبضوا على مقاليد الحكومة ويتصرفوا فيها كيف شاءوا بل تكتفي منهم بتقليد المناصب اربابها واستخدام الرجال الامناء الذين يديرون دفة الحكومة ويسيرون بالبلاد في طريق الرقي والاسعاد . وكل ملك يتعرض لشؤون مملكتهِ حتى يديرها كلها بيدهِ يوردها موارد الخراب والدمار لانهُ يستحيل عليهِ ان يجمع في رأسهِ من القوى العقلية والاختبارات العلمية والفنية ما يؤهلهُ للقيام باعمال المئات والالوف من الرجال

فمن نعم الله على مولانا الخديوي المعظم ان قد اسعد حكمهُ برجالٍ اكفاء اداروا دفة بلادهِ واوردوها موارد السعادة اجانب كانوا او وطنيين . وكل من قام منهم بما يجب عليهِ من

أكبر وزير الى اصغر خفير كل واحدٍ من هؤلاء يبني حجرًا في بناء الارتقاء الوطني الذي ارتقاؤه هذا القطر. والجناب الخديوي رئيس هذه الحكومة السعيدة يهنأ بهم ويحق له ان تفاخر آباءه واجداده وكل من وليَ عرش مصر حتى من البطالسة والفراعنة لان البلاد لم ترتقِ في ايامهم كما ارتقت في ايامهِ . ادام الله له سني الاسعاد ومتَّع رعيتهُ بالرفاهة واعاد عليهِ وعليهم هذا العيد السعيد اعوامًا عديدة وهم رافلون بحلل المجد والهناء

سرُّ نجاح الاساتذة

اقترحت مجلة انكليزية على جماعة من نظار المدارس الكبيرة الذين اشتهروا بنجاحهم في صناعة التعليم ان يكتبوا لها فصولاً وجيزة عن سر نجاحهم فاجابوها الى اقتراحها وكتبوا اليها ما يلي :

قال الدكتور سبنسر ناظر المدرسة الجامعة بلندن وصاحب المقالات الكثيرة في فن التعليم

ان الاستاذ نفسهُ هو الدرس الاول الذي يدرسهُ التلامذة وقد جمع بعضهم المناقب اللازمة لنجاح الاستاذ فقال انها المزايا الشخصية وجودة البنية وذكاء العقل ودماثة الاخلاق وسعة المعارف هذه هي اغراض التعليم الخمسة وهي مرتبة حسب اهميتها واذا اريد التخصيص فالمزايا اللازمة لنجاح الاستاذ هي تدبُّر الامور وشدة الانتباه وبشاشة الوجه والمودة للتلامذة وقوة الارادة . هذه المزايا لازمة لكل من يطلب النجاح في صناعة التعليم واذا كان ناظرًا لمدرسة وتُطلَبُ منهُ ادارتها وجب ان يكون خبيرًا بادارة المدارس واسع النظر مقتدرًا على التنظيم والترتيب

اما سعة العلم وقوة العارضة والتظاهر بمظاهر رجال الفضل والترفع عن مخالطة التلامذة الصفات التي يظنُّ انها تعلي شأن ناظر المدرسة فلا تقوم مقام المقدرة على التنظيم والترتيب اذا كانت هذه المقدرة مفقودة

ولا يجري نظام المدرسة على ما يجب من السهولة ما لم تحدد واجبات اساتذتها وتلامذتها تحديدًا تامًّا حتى يُعرَف ما يطلَب من كل واحد وما يطلَب له . نعم ان الواسع الحيلة يستطيع ان يحل المشاكل حالما تعرض له ولكن ذلك لا يغني عن التنظيم والترتيب ومن يحاول ان يستبدل النظام المحكم بالمقدرة الشخصية لا ينال الا الفائدة الاقل بالتعب الاكثر

وقال المستر جلكس ناظر مدرسة دلوتش الكلية

ان الصفات التي اراني الاختبار انها لازمة لنجاح الاساتذة هي معرفة الله والناس لان هذه المعرفة تجعل الانسان ليّن العريكة بشوشاً يرثي لغيرهِ ولا يؤثر نفسهُ على احد . ويجب ان يضاف الى ذلك قوة ادراك ما تنظر اليهِ البصيرة وسرعة الانتباه وحسن الصوت

وقالت مس دوروثي بيل ناظرة مدرسة البنات الكلية في شلتنهام

ان اهم مزايا المعلم (او المعلمة) ان تكون افكارهُ جلية وتعبيرهُ عنها واضحاً ولا يتم لهُ ذلك الاّ اذا كان فاهماً الموضوع الذي يتكلم عنهُ تمام الفهم وكانت مخيلتهُ قوية حتى يوضح مرادهُ بصورة جلية . ويتعذَّر تعداد كل الصفات التي تجعل الانسان انيس المحضر يسرّ معاشريهِ ولكن التلامذة يفضلون ان يكون معلمهم بشوش الوجه متمسكاً باهداب الصدق والانصاف حسن المحاضرة . ولا بدَّ للاستاذ من ان يودَّ تلامذتهُ حتى تصل ربط المودَّة بينهُ وبينهم

وهذه الصفات تبلغ غايتها من الفائدة اذا بُنيت على رغبة حقيقية في نفع التلامذة فان الاساتذة الذين يحبون تلامذتهم ويريدون خيرهم هم الذين ينجحون في تعليمهم ولو نقصتهم صفات اخرى من الصفات اللازمة للنجاح

وقال الدكتور ادموند وار ناظر مدرسة اتن

اذا كان الاساتذة متصفين بكل الصفات العقلية والادبيَّة اللازمة تبقى صفتان لازمتان للنجاح الاولى ان يودَّ الاساتذة تلامذتهم والثانية ان يؤثروا تلامذتهم على انفسهم

وقال المستر باتون ناظر مدرسة منشستر

هي المآثر السبع الاولى مودة التلامذة التي تظهر بالاشتراك معهم في العابهم واحاديثهم. الثانية الاخلاص لهم ولو دعى الى استعمال الصرامة . الثالثة الصبر عليهم ويحسن بالاستاذ ان يكون انوفاً ولكن لا يحسن بهِ ان يتجاوز في اللين حد الصبر . الرابعة جلاء الفكر الذي بدونهِ لا يستطيع الاستاذ ان يعبّر عما في ذهنهِ بصراحة . الخامسة حسن الترتيب والتنظيم في العقل والعادة . السادسة الهمَّة في اجراء الاعمال جدّاً وعقلاً . السابعة حسن التفاؤُل بالمستقبل الاعتقاد بان كل الاشياء تعمل معاً للخير

وقالت مس مينارد ناظرة مدرسة وستفلد الكلية

ان الفعل "علَّم" يتعدَّى الى مفعولين وهما التلميذ والعلم الذي يُعلَّمهُ. والغالب ان المتعلمين يهتمون بتعليم العلم ويهملون التلميذ وهذا خطأ فيجب عليهم ان يهتموا بالاثنين على السواء وهذا الاهتمام قد لا يظهر جلياً ولكن التلميذ ينتبه لهُ ويعلمهُ فيرغب في العلم ويهتم بتحصيله وهذه الرغبة اثمن من تحصيل العلم · والتلميذ الذي يخرج من المدرسة وهو يعلم يقيناً ان في العالم علوماً تستحقُ ان تعلم وتستحق ان تبذل الهمَّة في تعلمها يكون قد استفاد فائدة كبيرة تنفعهُ مدى العمر

وقال الدكتور مكنامارا الذي اقام عشرين سنة مدرّساً في المدارس الابتدائية ان نجاح التعليم يتوقف على الصفات التالية

(١) جودة الصحة والبنية

(٢) شدة الصبر

(٣) محبة الاستاذ للتلامذة

(٤) شدة الانتباه للامور ولو كانت طفيفة جداً

وقال القس فوثرب ناظر مدرسة هومتلند التي تعلم المعلمين ان الصفات اللازمة لنجاح الاساتذة في التعليم هي

اولاً المحبة الفطرية للتعليم وللتلامذة

ثانياً المقدرة على ادارة التلامذة وجعلهم يخضعون للقوانين والاوامر

ثالثاً طلاقة الوجه والنظر الى الحسنات والاغضاء عن السيئات

رابعاً عين ترى المدرسة كلها في لحظة واحدة

خامساً الشعور بالواجب على الاستاذ لدينهِ ولوطنهِ

وقالت مس برستل ناظرة مدرسة منشستر العالية

يظهر لي بالاختبار والمشاهدة ان الصفات اللازمة للنجاح في التعليم هي شخصية اهمها مقدرة المعلمة على ارشاد المتعلمات الى ما بهِ خيرهنَّ وهذه المقدرة تصاحب محبة التعليم ومحبة التلميذات وبدونها لا نجاح . ويتلو ذلك المقدرة على ازالة المصاعب والدخول الى عقل التلميذ او التلميذة ووضع المعرفة امامهُ على اسلوب يمكنهُ من اكتسابها بنفسهِ وجعلها جزءا من معارفهِ وهذه المقدرة اكتسابية تنال بالتعلم والتمرُّن اللذين يطلبان الآن من كل من يتولى صناعة التعليم ولا بد منها لكل من يعلّم الاولاد الى السنة الثانية عشرة او الثالثة عشرة من عمرهم والاولاد الذين سنهم

اقل من ذلك تعليمهم اصعب ونجاحهُ يتوقف على حسن اسلوبهِ . وفي سن المراهقة بين الثانية عشرة والسادسة عشرة لا تحتاج التلميذات الى تعلم الدروس كما يحتجن الى حسن الارشاد فيستفدن من مناقب معلمتهنَّ اكثر مما يستفدنَ من علمها واذا جزن سن السادسة عشرة صرنَ يستفدن من علمها ومن مناقبها معاً

وقد يذهب عن البال ان المعلم يجب ان يتعلم دائماً . يجب ان يواظب على الدرس وان يسافر احياناً لكي يوسع معارفهُ و ينعش قواهُ العقلية والأَّصار آلةً للتعليم . وهذا كلهُ يصدق على المعلمة كما يصدق على المعلم و يدعو الى طول الاجازات المدرسية . وقد عرف اهالي اميركا ذلك وعملوا بهِ فيطيلون اجازات المدارس لكي يدرس المعلمون والمعلمات في غضونها و يوسعوا معارفهم ويزيدوا استعدادهم للتعليم

واخيراً لا بدَّ للمعلم والمعلمة من جودة البنية وحسن الصحة وطلاقة الوجه وحسن الصوت ولين العريكة وان يكون جسمهُ او جسمها خالياً من العيوب الخلقية

وقال المستر يوكسل الذي علَّم سنين كثيرة قبلما صار سكرتيراً لمجلس اتحاد المعلمين ونائباً عنهم في مجلس النواب

أرى ان نجاح المعلم يتوقف اكثرهُ على صفاتهِ الشخصية اي على جودة صحتهِ وطلاقة وجههِ فيصعب على من كان ضعيف البنية خامل الذهن شكس الاخلاق ان يفلح في صناعة التعليم

ويتلو ذلك مقدرتهُ في التعبير عن افكارهِ بصورة جلية واضحة فان ذلك لا يتمُّ الأَّ لمن عرف الموضوع الذي يريد تفهيمهُ لتلامذتهِ حق المعرفة وعرف ايضاً ما يجب ابلاغهُ الى اذهانهم والصورة التي يبلّغ فيها . ولابدَّ من رابطة بين عقل التلميذ وعقل المعلم وهذا يناقض تعليم الصبيان والبنات معاً اذا كانوا فوق العاشرة لان المعلم يدرك عقول الصبيان ومناحيها والمعلمة تدرك عقول البنات ومناحيها ولكن لا المعلم يدرك عقول البنات حق الادراك ولا المعلمة تدرك عقول الصبيان ولذلك فاذا أُريد النجاح في تعليم الصبيان والبنات فوق السنة العاشرة من العمر وجب ان يختار المعلمون لتعليم الصبيان والمعلمات لتعليم البنات

البرق الارضي السموي

مرَّت القرون والناس لا يعلمون شيئًا عن حقيقة البرق الى ان قام فرنكلين العالم الطبيعي الاميركي واثبت انهُ من الكهربائية وانهُ والشرارة الكهربائية سيان فهو تفريغ كهربائي من سحابة مكهربة بالكهربائية الايجابية الى سحابة سلبية او الى الارض. هذا هو المعتاد في سير البرق ولا بدَّ من ان يكون كثيرون قد شاهدوا سيرهُ احيانًا من الارض الى السماء على خلاف المعتاد فقد ذكر بعضهم في مجمع تقدُّم العلوم البريطاني سنة ١٨٥٦ انهُ راقب بعض البروق مراقبة دقيقة فوجد انها تسير من الارض الى السماء. وقال احد امراء البحر انهُ شاهد نوءًا كهربائيًا من شاطىء لابلاتا ظهرت فيهِ السماء كشعلة من نار لكثرة البروق ولكن لم تصب سفينتهُ ولا سفينة أُخرى من السفن التي كانت هناك بصاعقة منها. وشاهد البرق مرةً يصعد من الارض الى السماء

وقد كتب الدكتور لكيَر مقالة مسهبة في هذا الموضوع نشرها في مجلة المعرفة والاخبار العلمية قال فيها ان صديقهُ المستر بيل كان مرةً يرقب الجو عند الظهر وكان اليوم شديد الحرارة فسمع هزيم الرعد عن بعد ثم جعل الصوت يدنو وتكاثفت الغيوم بهيئة مريعة ثم اومض البرق واذا جهتهُ من الارض الى السماء قال — وقد شاهدت ذلك النوع من البرق يسير من الارض الى السماء مرارًا قبل الآن ولكنني شاهدتهُ في هذا المكان دون سواهُ وكان بُعد البرق عني حينئذٍ ثلاثة اميال ثم تلتهُ بروق كثيرة من السماء الى الارض

قال الدكتور لكيَر والمستر بيل دقيق النظر وقد فرق جيدًا بين البرق النازل والبرق الصاعد وقال انهُ انما رأى البرق الصاعد في ذلك المكان دون سواهُ

وخطب الاستاذ تايت خطبة مشهورة في الانواء الكهربائية سنة ١٨٨٠ قال فيها ان مدة سير البرق قصيرة جدًّا فيستحيل على العين ان تتبعهُ في سيرهِ فتحكم ما اذا كان نازلًا او صاعدًا واما شعور الرائي بسير البرق من هذه الجهة الى تلك فسببهُ ان مركز شبكية العين اشد شعورًا من غيرهِ فالنقطة التي يتفق ان تقع صورتها على مركز الشبكية اولًا ترى قبل غيرها اي تشعر العين بها قبل غيرها ثم تشعر ببقية النقط فيظهر لها كأن سير البرق خط متحرك من النقطة التي التفتت اليها اولًا الى النقطة التي رأتها اخيرًا مثال ذلك لنفرض ان البرق سار في الخط ا———ب وان العين التفتت اولًا الى النقطة ا فان المركز البصري يرى النقطة ا قبلما يرى النقط التي بعدها الى ب فيظهر لهُ كأن خط النور تحرَّك

من ا الى ب واذا التفتت العين الى النقطة ب اولاً ظهر سير البرق من ب الى ا . لكن هذا التعليل لا يوضح كيف يرى سير البرق متعرجاً في بعض الاحيان حتى يظهر كأنهُ ينزول الى اسفل ثم يصعد الى اعلى ثم ينزل الى اسفل ولا كيف لا يرى البرق صاعداً الاَّ نادراً مع ان العين قد تنظر الى اسفل قبلما تنظر الى اعلى كما تنظر الى اعلى قبلما تنظر الى اسفل

وعاد الدكتور لكيَر فقال انهُ لم يتفق لهُ ان رأى برقاً يصعد من الارض الى السماء مع انهُ وقف مراراً يراقب البرق وعينهُ متجهة الى الافق . ورأى بروقاً كثيرة متشعبة كانها نهر لهُ فروع كثيرة تصبُّ فيهِ وظهر لهُ كأنها لم تحدث في لحظة واحدة ولكنهُ صوَّرها بالفوتوغرافيا فدلَّت صورها على حدوثها في لحظة واحدة لان التصوير الفوتوغرافي كان من النوع السريع اي الذي يؤْخذ في لحظة واحدة وكانت صورة البرق وشعبهِ تظهر متصلة كلها مما يدلُّ على انها حدثت في وقت واحد

وقد صادق الدكتور لكير على ما قالهُ الاستاذ تايت وهو ان سير البرق اسرع من ان تشعر بهِ العين . ثم قال انهُ يمكن الحكم على سير البرق وكونهِ من السماء الى الارض او من الارض الى السماء بفحص صورهِ الفوتوغرافية فما كان متشعباً من اعلى الى اسفل فهو سائر من اعلى الى اسفل وما كان متشعباً من اسفل الى اعلى فهو سائر من اسفل الى اعلى كما ترى في الصورتين المقابلتين . ففي الحالة الاولى اي حينما يكون البرق سائراً من اعلى الى اسفل تكون كهربائية الغيم ايجابية وكهربائية الارض سلبية كما هو الغالب فيجري المجرى الكهربائي والشرارة الكهربائية من الغيم الى الارض . وفي الحالة الثانية اي حينما يسير البرق من اسفل الى اعلى تكون كهربائية الغيم سلبية وكهربائية الارض ايجابية فيجري المجرى الكهربائي من اسفل الى اعلى على ما هو معلوم في سير المجرى الكهربائي فقد اثبت الاستاذ سلڤانوس طمسن ان تشعب المجرى الكهربائي يكون دائماً في جهة القطب السلبي

وقال الدكتور لكير انهُ ظهر لهُ من تفحص صور البروق الفوتوغرافية ان سير البرق يكون في ٩٩ في المئة منها من السماء الى الارض وفي ا في المئة فقط من الارض الى السماء ولذلك فكهربائية الغيوم ايجابية في الاغلب وكهربائية الارض تحتها سلبية الاَّ في احوال نادرة جداً تصير فيها كهربائية الارض ايجابية وكهربائية الغيم فوقها سلبية وحينئذ يكون سير البرق من اسفل الى اعلى كما ترى في الصورة السفلى

والانواء الكهربائية كثيرة في بلاد العرب وكل البلدان التي دخلها العرب فلا بدَّ من ان يكونوا قد رأوا كل انواعهِ وسموها باسماء تمتاز بها على جاري عادتهم . ومن اسمائهِ عندهم

الاسكوب وهو البرق الذي يمتد الى جهة الارض كأَنهُ منسكب عليها انسكاباً . والخذروف وهو اللامع في السحاب المنقطع منهُ كانهُ خذروف الوليد يضيءُ بهِ السحاب متشعشعاً . والعقة وهي البرقة المستطيلة في السماء والشقيقة وهي من البرق ما انتشر في الافق ولعلَّ المراد بهِ البرق المتشقق او المتشعب ويقال انعقَّ البرق اي تشقق . ولم نرَ بين مواد اللغة مادةً تدلُّ على ان العرب انتبهوا الى البرق الذي يظهر صاعداً من الارض الى السماء اما لندرتهِ في بلادهم او لأَنهم لم يروهُ قط اما البرق الذي يسير بين سحابة واخرى في خط افقي فلا شبهة في انهم رأَوهُ وميزوهُ لكثرة حدوثهِ في بلادهم

السبرتزم والاستاذ لمبروز

الاستاذ لمبروز عالم ايطالي اشتهر ببحثهِ في قوى العقل ومخادع الدماغ واستنتج ان المجرمين كلهم مصابون بدَخَل في عقولهم وان ارتكاب الجرائم من نتائج خلل العقل . ولم يصادق علماءُ العقليات كلهم على هذا الاستنتاج ولكنهم لم يرفضوهُ بتاتاً بل لا يزالون يبحثون فيهِ الى الآن . وقد كان مخالفاً لمدعي السبرتزم اي مناجاة الارواح وما يتصل بها فاقنعوهُ بصحة دعواهم وانشأَ الآن مقالة في هذا الموضوع رأَينا ان نلخصها عنهُ قال

بقيت الى سنة ١٨٩٠ وانا من اشد الناس مناقضة لاهل السبرتزم وكنت اجيب الذين يطلبون مني ان ابحث في هذا الموضوع بقولي ان دعاوي اصحابهِ في حد السخافة وانهُ يستحيل ان توجد القوَّة مجردة عن المادة وان يُعمَل عمَل من غير آلة او اداة يُعمل بها فقضيت الجانب الاكبر من عمري وانا لا اصدق الأَ بما يقع تحت الحس والمشاهدة معتقداً ان الافكار كلها من متولدات الدماغ وان الجرائم والافعال العقلية الخارقة العادة ناتجة كلها عن نمو غير عادي في بعض اجزاء الدماغ وضمور في البعض الآخر كما اوضحت ذلك في كتابي (نوابغ الرجال) وكتابي الثاني (المجرمون) وكتابي الثالث (البيض والسود) . وفضلاً عن ذلك كنت قد بلغت السن الذي يستنكف فيهِ الانسان من قبول الآراء الجديدة ولو كانت حقيقتها جليَّةً وقد خارت قواي من مناظرة الذين ناظروني في اصل الجرائم وخالفوا رأْيي فيها وكنت اضن بما بقي لي من الجلد ان انفقهُ في غير الدفاع عن آرائي التي قضيت فيها عمري واخاف من الدخول في مباحث جديدة تثير عليَّ الخصوم وتدعوني الى الحروب والدفاع

وزد على ذلك اني كنت اكرهُ البحث في امور لا يمكن تحققها بالامتحان الدقيق ولا

البحث فيها في نور النهار فان اعمال اهل السبرتزم تظهر في الليل او في الظلمة ولا تحتمل الامتحان العلمي المدقق

وفي نحو ذلك الوقت اتفق لي ان شاهدت حادثة من اغرب الحوادث التي وقعت تحت نظري فاني دُعيت لمعالجة ابنة رجل له مقام رفيع في بلدي وكانت قد أصيبت بنوبة هستيرية وبدت منها امور لا يمكن تعليلها فسيولوجيًّا ولا باثولوجيًّا فكانت تفقد حاسة البصر تمامًا فلا تعود ترى شيئًا بعينيها ولكنها كانت ترى بأذنيها فاذا عُصبت عيناها وفتح كتاب امام أذنها قرأت ما فيهِ . واذا جُمع النور ببلورة على اذنها اضطربت منهُ كأنهُ بهر عينيها ونادت قائلة لماذا تريدون ان تعموني

وبعد ذلك انتقلت حاسة الذوق من فمها الى ركبتها وحاسة الشم من انفها الى اصابع رجلها وصارت تشعر بما يحدث بعيدًا عنها وتنبأ بما سيحدث في المستقبل . فكانت ترى اخاها وهو في دار الموسيقى على كيلومتر من البيت الذي هي فيهِ وجعلت تصف تلك الدار ومخادعها وصفًا دقيقًا مع انها لم ترَها من قبل ولا سمعت وصفها وتصف ايضًا ثياب الراقصات فيها . وكانت تشعر بمجيء ابيها وهو آتٍ الى البيت قبل ان يصل اليهِ بمئات من الامتار مع انها كانت في غرفة مقفلة الشبابيك

وجعلت تنبأ بما سيحدث لها وتعين وقت حدوثهِ بالدقة التامة مثال ذلك انها قالت مرةً انها ستفقد قوة المشي بعد اسبوعين تمامًا في الساعة التاسعة من النهار . فتمَّ ما أنبأت بهِ في اليوم والساعة والدقيقة . وقالت مرةً اخرى انها ستصاب بميل لا تستطيع مقاومتهُ الى العض وان ذلك سيحدث لها وسط النهار بعد شهر وثلاثة ايام فأبقيتها تحت المراقبة الشديدة واستعملت كل الوسائل لاصرف فكرها عن ذلك واوقفت كل ساعة في البيت عن الحركة حتى لا تعلم بدنو الاجل ولكن لم يجدِ ذلك نفعًا فان الميل الى العض تولاها في اليوم المعين والساعة المعينة ولم يعد يهدأ لها روع الاَّ اذا مزَّقت ارطالاً كثيرة من ورق الجرائد باسنانها وملأت غرفتها بها

وأنبأت ان فالجها يشفى بالالومينيوم فجعلنا نضع على جسمها معادن اخرى تشبهُ الالومينيوم فتقول حالاً انهُ غيرهُ واخيرًا وضعنا عليهِ معدن الالومينيوم نفسهُ وكان نادرًا حينئذٍ ولم يرَهُ احد في بلدها من قبل فاصطلح حالها

فاستغربتُ امرها جدًّا وحاولت ان اجد لهُ تعليلاً مقبولاً فلم اجد واضطررت ان اسلم بان كل ما يعلم من حقائق الفسيولوجيا والباثولوجيا لا يعللهُ واتضح لي حينئذٍ ان حالتها الهستيرية

نبهت فيها قوى قامت مقام الحواس العادية ثم خطر لي انهُ قد يوجد في السبرتزم ما يعلل ذلك

وبعد بضع سنوات كنت في نابلي أتفقد بيمارستاناتها فالتقيت هناك ببعض المعجبين بأسابيا بلادينو ولا سيما بالمسيو شياين وهذا طلب مني ان امتحن اسابيا بلادينو (وكانت مشهورة بمناجاة الارواح) فرفضت ان امتحن شيئًا في الظلام او في مشهد عمومي فقال لي انهُ يمكنني ان امتحنها في غرفتي في ظهيرة النهار فرضيت بذلك لان الحوادث المار ذكرها كانت قد أثرت في ذهني تأثيرًا شديدًا وأتت أسابيا الى غرفتي ورفعت امامي مائدة من مكانها وجعلت بوقًا ينهض من نفسهِ وينتقل من عن السرير الى المائدة ثم يعود من المائدة الى السرير فزال ما كان يخامرني من الريب وملت الى تصديق ما اراهُ وسلمت حينئذٍ بامتحان قواها امام ثلاثة من رصفائي

وفي الوقت المعين حضرت مع الرصفاء الى غرفتي وعملت الاعمال العادية من مثل نقل الاشياء من اماكنها والقرع على المائدة ثم رأيت الستارة التي فوق سريري قد دنت مني والتفت عليَّ وحاولتُ التخلص منها فلم استطع بل كنت اشعر كأنها ورق من الرصاص اكتنفني وكان في الغرفة صحفة فيها دقيق جاف فارتفعت في الهواء وانقلبت اسفلها اعلاها ولم يقع الدقيق منها ولمستهُ فاذا هو غروي مع انهُ كان قبلاً جافًا وبقي كذلك ربع ساعة . ولما قمنا وهممنا بالخروج من الغرفة رأيت خزانة كبيرة كانت في زاويتها قد اخذت تسير الهوينا نحوي كأنها فيل يمشي التجنترية

وفي جلسة أخرى وضعت آلة قياس القوة (دينومتر) على مائدة امام أسابيا وطلبت منها ان تمتحن قوتها بها فدلت ابرة الآلة على ٤٢ كيلوغرامًا وقالت انها كانت ترى طيفها (او روحها) يضغط على الآلة . ووضعنا جرسًا على الارض بعيدًا عنها وطلبنا منها ان تقرعهُ فجعل ذيل ثوبها ينتفخ و يمتد نحو الجرس ونحن نمنعهُ من ذلك واخيرًا رأينا كأن يدًا غير منظورة مسكت الجرس ودقتهُ

وحضرنا مشهدًا روحيًا في ميلان انا والدكتور ريشه فرأينا غصنين من الورد النضير خرجا من كمينا

ووضع شبارلي (الفلكي) رزمة من الورق امام اسابيا وطلب منها ان تكتب اسمها عليها باصبعهِ فقالت بعد قليل انها كتبت اسمها فالتفتنا الى الورق ولم نرَ عليهِ شيئًا اما هي فاكدت انها كتبت اسمها واخيرًا وجدنا اسمها مكتوبًا على الورقة الاخيرة من رزمة الورق وفي مرة ثالثة رأيناهُ مكتوبًا على عصا الستارة وهي على ثلاثة امتار فوق رؤُوسنا

ووضعنا اسابيا على قبان فرأَيت انها تزيد ثقلها او تنقصهُ اكثر من عشرين رطلاً . ووضعنا كرسيًا على القبان فزاد ثقلها ولكنهُ لم يكن يزد الا اذا مس القبان ذيل ثوب أُسابيا ولم يكن هناك سبيل للخداع لاننا كنا ممسكين بيدي أُسابيا ورجليها وكثيرًا ما كنا ندعها تخلع ثيابها وتلبس ثيابًا اخرى نحضرها لها ونربط رجليها حتى لا تحركهما

والتعليل الذي ارتأَيته لذلك كله بناء على درسي الطويل هو ان بعض المراكز العصبيَّة تزيد قوتها فتضعف قوة المراكز الاخرى وهذه القوة الزائدة تفعل الافعال المشار اليها كما يحدث في النوابغ فان الذي ينبغ في بعض القوى العقلية تضعف قواهُ العقلية الاخرى او قواهُ الادبيَّة

وقد كانت أُسابيا مصابة بآلام عصبية بسبب جرح اصابها في رأسها وهي طفلة ولكن هذه الآلام العصبية كانت تفارقها كلما اصابتها غيبوبة او نامت النوم المغنطيسي وبدت منها الاعمال المتقدمة . ومما قوَّى اعتقادي بهذا التعليل ان الفكر نفسهُ نوع من الحركة وان افعال السبرتزم تؤثر في الاشخاص والاشياء القريبة من الوسيط (الميديوم) اي الذي تصيبهُ هذه الغيبوبة اكثر مما تؤثر في الاشخاص والاشياء البعيدة عنهُ وان انتقال الافكار يمكن ان يعلل بانتقال الحركات الفكرية في الفضاء كانتقال الامواج الكهربائية في تلغراف مركوني ولكن المسيو ارما كورا الذي درس السبرتزم اكثر مني كثيرًا اثبت لي بالدليل ان معارفنا الحاضرة لا تكفي لتعليل حوادث السبرتزم تعليلاً شافيًا. فقد ابان لي ان الفكر ينتقل الى ابعاد شاسعة جدًا ولا يضعف مع ان الحركات الكهربائية ونحوها تضعف قوتها في انتقالها كمربَّع البعد وان الدماغ ليس عمودًا منصوبًا في الجو كاعمدة تلغراف مركوني

ثم رأَيت امورًا اخرى غريبة من أُسابيا رأَيتها تتكلم بلغات لا تعلمها وتجيب على مسائل بتلك اللغات ورأَيت تجارب كروكس وهوم وكاتي كنج وريشه Richet رأَيت كل ذلك وجدتني مضطرًا الى التسليم بان ظواهر السبرتزم سببها الاكبر موجودات غير ارضيَّة تتقابل بالقوة المشعة التي تبقى في الانابيب الزجاجية بعد اخراج الراديوم منها

والظواهر التي ترى كثيرًا من مثل ارتفاع الاشخاص عن الارض وانتقال الاجسام من مكان الى آخر على خلاف نواميس الجاذبية ومن مثل خرق الاجسام الكثيفة وملاشاة الزمان والمكان تدلُّ كلها على ان الانسان الذي يكون في هذه الحالة يقوى على نقض النواميس الطبيعيَّة المعروفة

انتهى كلام الاستاذ لمبروز وقد وقع للدكتور شميل حادثة مثل حادثة الفتاة التي نبهت افكار الاستاذ لمبروز الى هذا الموضوع شاهدناها نحن ايضاً ووصفها الدكتور شميل في مجلة الشفاء في الجزء الصادر في اغسطس سنة ١٨٨٧ اي قبل الحادثة التي شاهدها لمبروز بثلاث سنوات فرأينا ان ننقل ذلك الوصف عن الشفاء اتماماً للفائدة وجعلناهُ في المقالة التالية بعنوانها الاصلي

اختلاط ذهنٍ هستيري

يؤثر عن اراغو احد علماء الهيئة الفرنساويين انهُ قال في آخر ايام حياتهِ وقد جرى امامهُ ذكر المغناطيس الحيواني وهو مع ذلك لم يكن يصدق بهِ هذا القول "ان الذي يلفظ اليوم لفظة "مستحيل" في ما خلا العلوم الرياضية لا يعد حكيماً" ولقد كان العلماء من عهد قريب بخلاف عامة الناس ينكرون ما يروى عن الانسان من الافعال الغريبة كقراءة الافكار والاهتداء الى كشف المخبإ ومعرفة امور حاصلة ولكنها مجهولة والانباء بما سيحصل عادّين كل ذلك اكاذيب مختلقة وناسبين اصحابها الى الدجل ورواتها الى عدم التحقيق او الغرض في الرواية . وما ذلك الاَّ لانَّ العلماء كانوا يجدون صعوبة في تطبيق مثل هذه الامور على مبادىء العلوم الطبيعية بخلاف عامة الناس فانهم لم يكونوا يجدون ادنى صعوبة في تفسيرها لاعتمادهم في ذلك على ما وراء المنظور . واما اليوم فانك تجد كثيراً من العلماء الذين تهيأ لهم مشاهدة مثل هذه الحوادث مضطرين للتسليم بها مجتهدين في معرفة اسبابها . ولقد وجدوا ان بين هذه الحوادث الغريبة والامراض العصبية الهستيرية نسبة شديدة . ولا يخفى ما أبان لهم درس هذه الامراض في هذه الايام الاخيرة من الامور الممكنة التي وان كانت في ظاهرها غريبة جدًّا الاَّ انها غير خارجة عن مدار العلم الطبيعي ولقد تهيأ لهم معرفة كثير من نواميسها نعم انهُ لا تزال امور كثيرة منها مغلقة امامهم الاَّ ان ذلك لا يوجب انكارها منهم ولا ركوب متن الاغراب في تفسيرها . ولا ريب ان البحث فيها بحثاً علمياً سيكشف في المستقبل كثيراً من اسرارها ويعلم الناس حينئذٍ ان ليس شيء غريب تحت السماء خارج عن سنن هذا الكون . واذا كانت هذه الامور قد بقيت لهذا العهد موضوعاً للانكار والريب وسرًّا مغلقاً فلأن الناس لم يدرسوها قبل ذلك درساً دقيقاً ولم يبحثوا فيها بحثاً علمياً . ونخشى جدًّا ان يطول امر الوقوف على اسرارها لندرتها وعدم تمكن درسها

لذلك كما ينبغي لان الذي يتهيأ لهُ ان يرى حادثة قلما يتهيأ لهُ ان يرى سواها ولا يخفى ان البحث في الاشياء لا يستطاع ان يستفاد منهُ معرفة طبائع هذه الاشياء الاَّ بمشاهدة كثير منها وتدقيق النظر فيها والمقابلة بينها وهذا لا يتيسر لأُولئك الذين لا يتاح لهم الاَّ رؤْيتها متفرقة . أليس ان غرائب الهستيريا كانت من عهد قريب موضوعاً لريب العلماء وما ذلك الاَّ لان الحوادث التي تبلغهم عنها كان رواتها من العامة او كانت هي من مشاهدات افرادٍ منهم متفرقين ولم يتحقق امرها الاَّ بعد ان اعتنوا بها اعتناء خصوصياً ودرسوا منها ميئات والوفاً وقابلوا بينها ودققوا النظر فيها وذلك في المستشفيات ولولاهُ لما أمكن ان يجتمع تحت نظر واحدٍ كثيرٌ منها ولا امكن ان يتقدم العلم فيها عما كان عليهِ من عهدٍ قريب . وهو فضلٌ عظيم للعلاَّمة شركو الفرنساوي الشهير فانهُ هو الذي فتح ابواب المستشفيات لهذه الامراض وفتح بها باباً رحباً للعلم ولكنَّ ذلك وحدهُ دون ما يلزم لسرعة الوقوف على حقائق افعال المجموع العصبي فان العالم واسعٌ جداً ومثل هذه الحوادث المتفرقة كثيرة فيهِ ومع ذلك فلا يعتني بدرسها الاَّ في مستشفى واحد في مدينة واحدة من مملكة واحدة وهو مستشفى السلبتريار بباريس من فرانسا ولهذا سيطول امر الوقوف على اسرارها ومعرفة سائر غرائبها وخصوصياتها

ولقد رأينا من عهدٍ قريب في رجل من ابناء هذه البلاد حالةً هستيرية من اغرب ما سمعنا وقد رآها معنا اناس آخرون من اطباء وغير اطباء وذكرنا لمعاً منها في العدد الماضي من الشفاء . وغرابتها ليس من حيث اعراض المرض فانها كانت اعراضاً هستيرية مألوفة ما خلا اعراض اختلاط الذهن الذي طال امرهُ جداً ولا من حيث ذكر الوقائع الماضية المعروفة منهُ بالتدقيق بل من حيث الانباء بامور صحيحة ماضية او حاضرة مجهولة منهُ ومستقبلة مجهولة من الجميع ومرادنا ان نذكر ملخصها في هذا العدد

وقبل ذلك لا بد من تمهيدٍ نبين بهِ الامور المهمة منها تسهيلاً لفهمها

فالرجل المذكور ربعة عصبي المزاج نحيف الجسم سنهُ نحو ٣٧ سنة عرض لهُ منذ نحو ١٨ سنة تشنج فيما يقول اهلهُ بقي فيهِ نحو ثلاثة اشهر والظاهر من وصفهم لهُ انهُ الهستيريا ولم يكن بهِ مرض قبل ذلك ثم زالت التشنجات وعاد الى صحتهِ . والظاهر من كلامهم انها بقيت تتردد عليهِ من حينٍ الى آخر ولكنها كانت خفيفة اشبه بغشية لا تدوم الاَّ بضع ثوانٍ او دقائق ثم من عهد احدى عشرة سنة توفي ابوهُ والظاهر من وصفهم انهُ توفي بالسكتة فعرض لهُ حينئذٍ نوب هستيرية فيما قالوا دامت ثمانية ايام متواصلة لا يذوق فيها طعاماً وكانت النوب تتكرَّر عليهِ في النهار مراراً ولما كانت تتركهُ كان يستيقظ كالعادة ثم اخذت الاعراض

العصبية تخف حتى انها من عهد نحو سنتين كادت تفارقهُ تماماً

اما ابوهُ فكانت صحتهُ جيدة طول ايام حياتهِ انما في السنين الاخيرة عرضت لهُ اعراض سكتة وفالج وقد تكررت عليهِ مرتين او ثلاثاً وفي كل مرة لم تكن شديدة ولم تطل زماناً الى ان توفي اخيراً بغتةً . اما امهُ فكانت صحتها جيدة جداً الى حين وفاة زوجها فحصل لها على اثر ذلك ديسنطاريا دامت بها مدة ثم برئت منها ولكنهُ تخلف لها بعد ذلك ألم في المعدة شديد بقي نحو ثلاث سنين

والرجل متزوج من عهد ١٨ سنة وولد لهُ اولاد كثيرون ذكور واناث ولم يعش لهُ منهم سوى بنت واحدة عمرها نحو ثلاث سنين وتوفوا جميعهم بالتشنج قبل ان يبلغوا سن سنة . وكان لطيف المعاشرة جداً متودداً متقرباً من الناس متكلماً فصيحاً وهو ذكي جداً ومهذب ويعرف اللغة العربية والفرنساوية جيداً ويحسن التكلم بالايطالية والتركية والفارسية وقد خسر اموالاً كثيرة في الاشغال . الاَّ انهُ ذو عند غريب وكان ذا ثبات في متابعة بعض البواعث وربما كان في افعالهِ شيء من الشذوذ وكان سريع التأثر الاَّ انهُ كان يصبر على مضض البلوى ولا يظهر تأثرهُ . فعرض لهُ منذ خمس سنين اشتباك في دعوى مهمة جداً يتوقف عليها مستقبل ثروتهِ وقد تابع هذه الدعوى بثبات وصبر لا مزيد عليهما الى ان خسرها اخيراً خسارة نهائية وذلك في اول يونيو سنة ١٨٨٧ فحصل لهُ بعد ذلك بقليل اي الساعة الثانية افرنجية بعد الظهر نوع من الذهول وانقطع عن الكلام وكان عند ذلك في الاسكندرية فلما رآهُ بعض اصدقائهِ بهذه الحالة سافر بهِ عند المساء الى مصر ليكون بين اهلهِ وكان وصولهُ اليها الساعة التاسعة ليلاً فدعيت اليهِ بعد وصولهِ حالاً فرأيتهُ جالساً لا يتكلم واذا سئل فلا يجيب وعيناهُ شاخصتان وفي العين اليمنى حول الى الجهة الوحشية وعلمت السبب ولم اعلم شيئاً غير ذلك وكنت لم ارهُ من قبل الأمرة واحدة فوصفت لهُ حجامات دموية على القفا ولبثت منتظراً وبعد الحجامات وصفت صبَّ الماء على رأسهِ فما لبث الماء ان اصاب رأسهُ حتى تشنج فللحال سألت اهلهُ هل يصيبهُ هذا التشنج عادةً فقالوا نعم فعلمت حينئذٍ ان الرجل هستيري وحسن انذاري فيهِ بعد ان كنت قد اوجست من ذلك عليهِ خوفاً . وما لبثت النوبة بضع دقائق حتى انصرفت فاستيقظ حينئذٍ وعرف اهلهُ وبكى ولم يطل بهِ ذلك بضع ثوانٍ حتى عاد الى ذهولهِ الذي كان قبل النوبة فأمرتهم بتكرار صب الماء على رأسهِ وان امكن فوضع الثلج عليهِ وانصرفت وعدتهُ في اليوم التالي فوجدتهُ كما تركتهُ الاَّ انهُ غير صامتٍ كالاول بل يتكلم ويطلب الانتقام من شخصٍ معلوم واكثر كلامهِ في الدعوى وكان يأبى

كل ما يعرض عليهِ من ماكلٍ ومشربٍ وطلب ان يسقى مسهلاً او مقيئاً فوُصف لهُ مسهل من ماء معدني فشربهُ بكل سهولة

والمسائل المهمة التي نريد تنبيه النظر اليها في هذه الحادثة هي ان هذا الرجل بقي ١٥ يوماً منقطعاً عن الطعام وفيما يقول هو ١٨ يوماً (كما عرفت منهُ اذ صار يخبر عن مرضهِ في ما بعد اي بعد تغير حالة المرض) لم يذق فيها سوى قليل من الماء والقهوة وكان يدخن كثيراً ولم يستيقظ فيها الاَّ كما صبَّ الماء على رأسهِ اذ كان يقع اولاً في النوبة المستيرية . ثم ينتبه منها ويعرف الذين حولهُ واين هو لحظاتٍ قليلة ثم يرجع الى اختلاط الذهن وقد تناول فيها المسهل ثلاث مرارٍ وكان يحسُّ بتعب قبلهُ وبراحة بعدهُ فيطلبهُ من نفسهِ وكان كما عرض عليهِ الطعام ينفر جدًّا . وفي هذا التاريخ غصبناهُ بقليل من المرق فقضى ليلهُ في عذاب شديد واول ما اصبح طلب المسهل ولم يسترح حتى فعل المسهل فعلهُ وبعد وبعد ذلك صار يقبل قليلاً جدًّا من اللبن نحو نصف لتر طول النهار يشربهُ على مرارٍ متوالية وفي ٢١ يونيو ابتدأ بهِ الرعاف وتكرَّر بهِ سبعاً وثلاثين دفعة الى يوم الاحد الواقع في ٦ اغسطس الساعة العاشرة وسبع عشرة دقيقة بعد الظهر ونزف منهُ دمٌ كثيرٌ حتى كنا خائفين عليهِ منهُ . وكان يرى في اول الامر قبل الدم بساعات شيئاً احمر ويقول لنا وهو في اختلاط الذهن انهُ خائف من نزولهِ وكان مقدارهُ يختلف من بعض نقط الى رطل مصري ورطلين واكثر وهذا ما حيَّرنا جدًّا لان مقدار السوائل التي كان يتناولها لم يكن كثيراً والمساهل التي لم يكن يستريح الاَّ بها لم يكن المستفرغ بها قليلاً وهو مع ذلك اي بعد نحو سبعين يوماً لم يهزل كثيراً بالنسبة الى ذلك كلهِ وهذا ما يجعل هذهِ الحادثة مهمة واهم من كثير من الحوادث الاخرى المعروفة وان طال بها الانقطاع عن الطعام اشهراً لانهُ في تلك كان يصاحب ذلك غالباً انحباس المفرزات اما هنا فانطلاق الامعاء بالمسهل وادرار البول كان كثيراً جدًّا في اكثر الاحيان. نعم انهُ كان ينحبس بعض الايام ولكنهُ في البعض الآخر كان يكثر افرازهُ ويتكرَّر في الساعة مراراً وزد على ذلك خسارة الدم التي كانت وحدها كافية لقتل اقوى البشر ولم ينتقل في كل هذه المدة عن يومهِ الذي اصابهُ فيهِ المرض ولا عن ساعتهِ ولا عن مكانهِ فكان يقول ان اليوم يوم الاربعاء الواقع في اول يونيو والساعة الثانية افرنجية بعد الظهر وان المكان اللوكندة وفي الاسكندرية ثم صار يعرف الايام بالضبط وذلك بعد الاقناع ويعرف انهُ مريض من اول يونيو وهو في دور اختلاط الذهن ولكنهُ لم ينتقل من الاسكندرية واللوكندة . وكان يرى جميع الاشخاص امامهُ بصورة شخص واحد وهو الذي كان معهُ

حين عروض العارض ويسمعهم يتكلمون بصوتهِ الاَّ انهُ كان يميز جيداً قوة معانيهم واختلاف حديثهم وكان ذلك لهُ موضوع استغراب

وكان لهُ ذاكرة غريبة لذكر جميع الحوادث المتعلقة بحياتهِ قبل يوم يونيو ويذكرها بالتدقيق بتواريخها واحياناً كثيرة بايامها ودقائقها وكانت افعالهُ تدل عليهِ انهُ في شخصين وجدانين فلم يكن يذكر شيئاً في اليقظة مما كان يعرض لهُ في اختلاط الذهن ولا في اختلاط الذهن مما يعرض لهُ في اليقظة وكان يبدو ضعيفاً جداً في اليقظة لا يستطيع ان يقطع خيط القطن وشديداً جداً في اختلاط الذهن حتى يخال لنا انهُ يكسر الحديد وكان في اختلاط الذهن يكره المرق جداً ولا يقبل الاَّ اللبن ويحب التدخين وفي اليقظة لا يقبل الاَّ المرق ويكره التدخين ولم يكن يستطيع القيام من فراشهِ الاَّ في دور اختلاط الذهن . واخذ ذات يوم وذلك في اواخر مدتهِ بعد ان طالت اوقات يقظتهِ وهو متهيج حبتين من حبوب مسهلة فلم تفعل الحبتان فعلهما وكانت حبة واحدة من قبل كافية لاسهالهِ . وتعب جداً من الامساك فزرتهُ وكان في اليقظة فطلب ان يأخذ مسهلاً لانهُ يشعر في نفسهِ بتعب ولم يكن يذكر الحبتين فسمح لهُ بكوبة ماء معدني يشربها في اليقظة ثم بعد حين حصل الاسهال المطلوب في دور اختلاط الذهن فاستغرب حينئذٍ ابطاء الحبتين في فعلهما اذ لم يكن يذكر الماء المعدني. وفي اليقظة كان يقول ان الماء المعدني لم يفعل فعلهُ المطلوب ولكنهُ كان يشعر في نفسهِ براحة وغير ذلك من الامور الكثيرة التي تدل على انهُ في وجدانين

وكان في هذه المدة يظهر امرين غريبين وهما معرفة الساعة باوقاتها بالضبط فيقول الساعة كذا والدقائق كذا ولا يغلط وقد امتحناهُ مراراً وامتحنهُ غيرنا اناس كثيرون وابعدنا جميع الساعات من الغرفة التي هو فيها حتى صرنا لشدة يقيننا بقولهِ اذا رأينا فرق دقيقتين او ثلاث دقائق بين ساعتهِ وساعتنا نعوّل على ساعتهِ . وكان يقول لنا ان الساعة مرتسمة في دماغهِ ويشير الى مقدم رأسهِ . واغرب من ذلك انهُ كان اذا وصف لهُ الطبيب دواء وقال لهُ خذهُ كل ساعة او ساعتين يطلبهُ في ميعادهِ ولو كان نائماً فكان يستيقظ لهُ . وثانياً معرفة البقرة من اللبن الذي يأكلهُ فيقول ان هذا لبن بقرة حمراء وهذا لبن بقرة صفراء واكد لنا الاهل بان ذلك صحيح لانهم يأخذون اللبن من البقر عن باب البيت وقال لنا مرة ان عمر البقرة الفلانية كذا وعمر ولدها كذا فسألوا فوجدوا قولهُ صحيحاً الاَّ ان اصحابها لم يدققوا التدقيق الذي دققهُ لانهُ هو عيَّن الاشهر والايام والساعات والدقائق واغرب من ذلك انهُ في نومهِ المغناطيسي او السمنبولسي الذي صار يعرض لهُ فيما بعد من نفسهِ عندادنى مؤثر قال

في نومهِ " انهم يمتحنونني وقد سألوا اصحاب البقرة عن زمن ولادتها " وذلك في نفس اليوم الذي صار السؤَال فيهِ

وفي ٢٩ يوليو تغيرت حالتهُ فزاد على اختلاط الذهن النوم السمنمبولسمي الحقيقي فصار يغمض عينيهِ و يتكلم وهو نائم كأنهُ يتخاطب مع شخصٍ آخر لهُ عليهِ سلطة غريبة وكان دائماً يدير وجههُ الى يسارهِ اذ يعرض لهُ ذلك وترتسم حينئذٍ على هيئتهِ صورة الحالة التي يكون فيها سامعاً كان او مجاوباً بابدع ما يمكن بحيث ان الناظر الى اسرَّة وجههِ يكاد يعلم ما يسمعهُ هو ثم ينتبه من ذلك اما مستيقظاً واما الى اختلاط الذهن وكان في هذه الحالة الاخيرة يخبر باكثر ما يقولهُ وهو نائم اذا سئل. وثاني يوم قال وهو في هذه الحالة اني قتلت فلاناً يريد بهِ الرجل الذي كان يريد الانتقام منهُ وغداً ساسافر الى مصر بالاكسبرس. وفي الغد في ميعاد سفر القابور المذكور عرض لهُ النوم الهبنوتسمي وصار يعدّد المحطات التي يمرُّ بها في مواعيدها حتى وصل الى القاهرة في وقت وصول القطار نفسهِ ففتح عينيهِ حينئذٍ واخذ يقبّل الاهل ويسلّم على كل احد منهم بمفردهِ وكان العرق يقطر من جسدهِ طول مدة سفرهِ حتى بلَّت اثوابهُ . وهذا العرق كان يعرض لهُ كلما نام هذا النوم ولكن كان يقلُّ كل مرَّة عن مرَّة . وبعد ذلك صار اذا سئل اين هو يعرف ويقول انهُ في القاهرة منذ اوَّل آب اي من حين سفرهِ الوهمي . ثم صار هذا النوم يتكرَّر مراراً في اليوم وصار يتكلم فيهِ بامور مختلفة يتعلق بهِ . والغريب انهُ راجع فيهِ تاريخ حياتهِ والوقائع التي جرت لهُ وتاريخ مرضهِ الاخير وجميع الوسائل التي استعملت لهُ وانواع الطعام الذي اكلهُ والشراب الذي شربهُ والادوية التي تناولها بمقاديرها واوقاتها اما الادوية فلم يكن يذكرها بتركيبها بل بصورتها التي أُعطيت لهُ فيقول حبوب كذا لكذا مثلاً . وقد تأكدنا صدقهُ في جملة اشياء نعرفها فاخبر كم اقةً من الثلج استعمل على رأسهِ وفي اي الايام وكم تناول من الحبوب الفلانية والحبوب الفلانية وكان يذكر الاحوال التي وُصف فيها والايام مما نعرفهُ ولكنهُ كان يدقق ايضاً في ذكر الساعات والدقائق مما نرجح صحتهُ ولا نجزم بها لعدم ذكرنا ذلك بهذا التدقيق وكان يتغير كلامهُ وصوتهُ بحسب الموجبات ففي ذات يوم اخذ يرافع في قضيةٍ ذاكراً اياها بكل تفاصيلها وتواريخها ولما كان يصل فيها الى عبارات تقتضي الحدة كان صوتهُ يرتفع بقوةٍ عجيبة وكان اكثر كلامهِ باللغة الفرنساوية بعبارةٍ فصيحة جداً وكنا نعجب من هذه القوة التي يصبح فيها مع علمنا ضعفهُ الزائد اذ يكون مستيقظاً

وكان ينبئُ بما سيعرض لهُ بعد يوم او ايام او يشعر بما سيجد عليهِ وكان صادقاً في كثيرٍ

منها . فكان يقول مثلاً ان غداً في الساعة الفلانية ينزل الدم من انفهِ ويكون كثيراً او قليلاً فيصدق . وفي يوم الخميس الواقع في ٣ آب سألتهُ وهو في دور اختلاط الذهن هل يعرف كم مرَّة سينزل الدم ايضاً فاجاب بعد التأمل ان غداً في الساعة الفلانية سينزل واما بعد غدٍ فلا ولكن يوم الاحد ما بين الساعة الخامسة والسادسة صباحاً سينزف منهُ مقدارٌ كثيرٌ ولا يعود ينزف بعد ذلك . وكان كذلك بكل تدقيق الاَّ انهُ عاد فنزف ثانيةً في مساء يوم الاحد الساعة العاشرة وسبع عشرة دقيقة وقد انبأ بهِ قبل مجيئهِ بعشرين دقيقة وقد استغرب ذلك وابدى استغرابهُ في نومهِ بعدهُ ثم قال من جملة كلامهِ " في اول يونيو الساعة العاشرة وسبع عشرة دقيقة كان اول نزول الدم وفي الساعة العاشرة وسبع عشرة دقيقة كان آخره " . وكنت حاضراً اسمعهُ فكدت ان اخطئهُ لانهُ لم يرعف الاَّ في ٢١ يونيو بعد الظهر حتى فطنت الى انني ليلة مجيئهِ الى القاهرة في اول يونيو بقطار الاكسبرس الذي يصل اليها الساعة التاسعة وخمس عشرة دقيقة ليلاً امرت لهُ بالحجامات فترجح عندي ان يكون قولهُ صحيحاً لان ذلك كان بعد وصولهِ وبعد استدعائي اليهِ الذي كان حالاً وبعد وصولي وفحصي لهُ فلابدَّ ان يكون كل ذلك قد اخذ نحو ساعة من الزمان . ولما هبَّ من نومهِ الى اختلاط ذهنهِ قلت لهُ وهل ينزل الدم بعد ذلك قال كلاَّ الاَّ في ١٨ نوفمبر سنة ١٨٨٧ عند الساعة السابعة والدقيقة الخامسة عشرة صباحاً فانهُ ينزل منهُ بعض نقط قليلة الاَّ انهُ مساء يوم الجمعة نزف منهُ شيء وكان قد حصل لهُ انفعال عظيم ثم قال ولولاهُ لبقيت ستين يوماً ايضاً

وسألناهُ في ذلك اليوم ايضاً اي يوم الخميس في ٣ اغسطس متى يشفى فقال يوم الاحد بعد العشرين من الشهر القمري سيكتب كثيراً ويشفى ثم اردف ذلك بقولهِ انهُ ينام نوم اهل الكهف " . واعلم ان النوم عندهُ اذ يكون متهيجاً هو اليقظة واذ يكون مستيقظاً هو التهيج . ثم في يوم الاثنين مساء وهو نائم النوم المينوتسمي اكد شفاءهُ في ١٤ اغسطس ولكنهُ جعل كتابتهُ حينئذٍ مشروطة بعدم كدرهِ . وفي يوم الثلثاء لم يسمع منهُ ذكرٌ للكتابة في كل نومهِ وفي مساء هذا اليوم نحو الساعة السابعة كنت عندهُ مع احد الاطباء فسمعناهُ يتكلم في نومهِ (ولا يخفى ان هذا النوم كان متقطعاً ويتكرر مراراً في اليوم) ويشكر لحسنهِ على تأكيدهِ لهُ الشفاء في ١٤ اغسطس ثم قال باللغة الفرنساوية يا الله ان غداً يومٌ رديءٌ جداً وسأتكدَّر فيهِ كثيراً

وفي ثاني يوم وكان يوم الاربعاء حصل لهُ الكدر الذي اشار اليهِ عند الساعة السادسة بعد الظهر بظروف غريبة فان رجلاً من اقاربهِ ممن يكرههُ جداً ويسيء بهِ الظن وكان قاطناً

بالاسكندرية حضر في ذلك اليوم من الاسكندرية الى القاهرة وعند الساعة السادسة بعد الظهر زار بيتهُ وكان يظنهُ لا يعي فمرَّ من امام باب غرفتهِ وكان مفتوحاً وصادف ذلك عند يقظتهِ ووعيهِ فاوَّل ما رآهُ غضب غضباً شديداً وامرهم بان يقفلوا الباب في وجههِ وبقي يرتجف نحو عشر دقائق ثم جعل بعد ذلك يظهر غضبهُ في نومهِ. وكان بينهُ و بين هذا الرجل علاقة في دعوى فاخذ يترافع بها وهو نائم وكنت حاضراً اسمعهُ يتكلَّم بصوتٍ جهوري وحدة غريبة . وذكر في نومهِ اشياء كثيرة صادق الاهل على صحتها وزعموا انها مجهولة منهُ قبل ذلك و بالتحري من الرجل ورفيقهِ تحققت انهما قبل سفرهما من الاسكندرية الى القاهرة اجتمعا يوم الثلاثاء واتفقا على ساعة السفر في الغد وكان ذلك عند المساء نحو الساعة السابعة بعد الظهر ولا يخفى انهُ في مثل هذه الساعة سوَّف على هذا الكدر كما تقدَّم . واغرب من ذلك انهُ قال في نومهِ في اليوم التالي وكنت حاضراً انهُ سيضحك كثيراً عند الساعة الرابعة بعد الظهر و يتكدر عند الساعة السادسة فاوصيتهم بان ينتبهوا ويبعدوا الاسباب الموجبة لكدرهِ ما امكن ثم عدتهُ في المساء نحو الساعة السابعة الاَّ خمس عشرة دقيقة فوجدت الرجل المعهود مع رفيقهِ جالساً في بلكون البيت فلتهم على ذلك فاكدوا انهُ لم يرهُ ولم يعلم بهِ وكان البلكون بعيداً عن غرفتهِ . فدخلت اليهِ ووجدتهُ نائماً يتكلم باللغة الفرنسوية و يقول" اما قلت لها (يعني امرأتهُ) انهم على الطريق وقد خرجوا من مكانهم الساعة السادسة وثماني عشرة دقيقة وهم آتون الى هنا وقد اخبرتها عن سيرهم دقيقة فدقيقة" فلم تصدّق و بقوا خمس عشرة دقيقة حتى وصلوا وهم الآن هنا من ست دقائق . فسألت فعلمت ان الرجلين وصلا قبل وصولي بقليل اي من نحو خمس او ست دقائق ثم هبَّ من نومهِ الى اختلاط ذهنهِ فسألتهُ حينئذٍ وهل في عزمهِ ان يكتب بعد فقال ان الذين حولي لا يهمهم شأني فقد اخبرتهم بمجيئهم (وهذا صحيح على قولهم قبل وصولهم وعينت لهم الوقت الذي خرج فيهِ احدهم من اللوكندة واجتمع برفيقهِ (وهذا صحيح لان الواحد كان ينتظر الثاني في القهوة) اما كان في امكانهم ان يمنعوا الاسباب . فسألتهُ وكم هم قال اثنان فقلت وما اسماهما قال لا اقول (لانهُ كان يكره ان يلفظ اسم احدهما) ثم قال والذي يقهرني على ما بي ان الواحد يقول ان بي شيطاناً والآخر ان ذلك مني حيلة فمن هو ياترى الرجل الذي يستطيع ان يصوم ثمانية عشر يوماً لا يذوق فيها طعاماً ويخسر من دمهِ ٦٥ رطلاً (مصرياً على موجب تقديرهِ لانهُ كان يقدّر الدم كلما نزل بمقدار معلوم) و يبقى حياً وبهذه القوة . ثم تهيج عصبهُ حتى خيّل لنا انهُ يكسر الحديد . وبالواقع كانوا قبل قولهِ ذلك بقليل يتكلمون في البلكون هذا الكلام والرجل المعلوم كان يقول ان كل ذلك حيلة منهُ

لانهُ لم يكن يصدّق بمرضهِ . ولو أتينا على ذكر جميع ماذكرهُ في مرضهِ من الامور المؤكدة صحتها والمشبوهة لملأ نا بهِ صفحات كثيرة وانما قصدنا بذكر ما ذكرنا بيان المهم فقط . واما انباؤُهُ بحالتهِ فقد تحققت صحتهُ يوماً فيوماً الى هذا اليوم يوم السبت صباحاً حيث كُتبت هذه الاسطر وارسلت الى المطبعة كي تطبع وتلحق بما تقدَّمها . ونحن بانتظار ما يكون من امر شفائهِ هذا المساء على حسب وعدهِ الساعة السابعة افرنجيَّة اعني زوال النوب العصبية والنوم السمنبمولسمي واختلاط الذهن

وفي مساء السبت تمَّ انباؤُهُ فانهُ عند الساعة السادسة الاَّ عشرين دقيقة نام وكان قبل ذلك في اختلاط الذهن واخذ يتكلم في نومهِ مع صاحبهِ وكان يسميهِ اباهُ ويودعهُ (ويودع بهِ مرضهُ) واستمرَّ وداعهُ الى الساعة السابعة الاَّ عشرين دقيقة وكان اثنان وهما جناب العالم صاحب المقتطف فارس افندي نمر وجناب اخنوخ افندي فانوس المحامي ينتظرانهِ منذ الساعة الخامسة ويسمعانهِ يتكلم . واما انا فلم اتمكن من الحضور الاَّ عند الساعة السابعة الاَّ خمس عشرة دقيقة وكان قد فرغ من وداع صاحبهِ فوجدتهُ صامتاً وبهِ كزاز وذقنهُ ترتجف وعيناهُ تدمعان ويعرق عرقاً خفيفاً وهذا الكزاز عرض لهُ مراراً متوالية في اواسط مرضهِ وكان يستيقظ بهِ من نومهِ منعقد اللسان بضع دقائق . وبقي على ذلك الى الساعة السابعة الاَّ خمس دقائق فتشنج كما يحصل دائماً في آخر النوبة الهستيرية وبقي غائباً الى الساعة السابعة تماماً ففتح عينيهِ ولكنهُ بقي مدة قليلة صامتاً منعقد اللسان واذا خاطبهُ احد اشار اليهِ بيدهِ ان ينتظر. ثم استيقظ تماماً ولكنهُ كان في غاية الضعف ومن ثم لم يعاودهُ النوم الهستيري ولا اختلاط الذهن وانما كان يعرض لهُ في يوم الاحد والاثنين احلام متكرّرة اشبه بالكابوس

[المقتطف] ثم حاول الدكتور شميل تعليل هذه الحوادث كما سيجيء في الجزء التالي

اصدرت مصر ١٨٨٥٦٣٣ كيلوجراماً من الطماطم (البندوره) الى البلدان الخارجية في سنة ١٩٠٦ بقيمة ٢٠٦٦٥ جنيهاً مصرياً واصدرت في السنة التي قبلها ٢٢٧٦١٠٢ كيلوجرام بقيمة ٢٠٢٩٢ جنيهاً مصرياً

واصدرت ٦٢٤٨٥٠٠٠ بيضة بقيمة ١٠٦٢٣١ جنيهاً مصرياً سنة ١٩٠٦ واصدرت في السنة التي قبلها ٥٨٣٧١٠٠ بيضة بقيمة ٨٢٠٣٦ جنيهاً مصرياً في السنة التي قبلها

الاغنياء والفقراء

كتب المستر اندرو كارنجي الغني الكبير والمحسن الشهير مقالة موضوعها ما يجب على الاغنياء نحو الفقراء ونحو الامة كلها نشرتها مجلة المجلات الانكليزية في جزئها الاخير فرأينا ان نترجمها عنها لانها حرية بان يقرأها كل من جمع ثروة تزيد عن حاجتهِ وحاجة اولادهِ قال :—

ان الغنى متوزّع على الناس الآن توزّعاً ليس فيهِ شيء من المساواة ولا من الانصاف ولا بدّ للناس من ان يسنّوا قانوناً لتوزيعهِ بالقسط وهم ينظرون في ذلك الآن بدليل ما سمعناه بالامس من كلام روزفلت رئيس الولايات المتحدة الاميركية حيث قال معرباً عن الرأي العام

"يجب على اهالي الولايات المتحدة ان يبحثوا في المسائل المتعلقة بتوزيع الاموال الوافرة التي جمعها بعض الناس واستخدامها لما فيهِ النفع العام والخاص . ويجب علينا ان نميز بين الاموال التي كسبها اصحابها بطرق الحلال والاموال التي كسبوها بطرق الحرام — وبين الاموال التي كسبها ذووها وهم يخدمون ابناء جلدتهم خدماً كبيرة نافعة والاموال التي جمعها ذووها بطرق غير محللة ولكن سلطة القانون لا تصل اليها وهذه الاموال لا تصير رزقاً حلالاً مهما أُنفق منها في سُبُل الخير والمبرّات . وعندي انهُ لا بدّ لنا يوماً ما من ان نسنّ قانوناً يخوّل الحكومة الحقّ بان تأخذ جانباً كبيراً من اموال الاغنياء حينما يهبونها او يورثونها اذا زادت عما يحتاج اليهِ مَن توهب لهُ او مَن يرثها. وهذا القانون تسنّهُ الامة نفسها لا حكومتها ويكون خاصا بالثروة التي تزيد عن الحاجة زيادة يخشى ضررها"

وانا اوافق الرئيس على هذا القول كلهِ ولقد مرّ الآن سبع عشرة سنة منذ كتبت في هذا الموضوع في مجلة اميركا الشمالية واشرت بان توضع ضريبة على الاموال الموروثة تزيد بزيادتها حاسباً ان ذلك اصلح الطرق لإنالة الامة نصيباً عادلاً من مال الاغنياء الكبار. وقد مرّت السنون فلم تزدني الاّ رسوخاً في هذا الرأي واعتقاداً لعدالتهِ ونفعهِ للامة كلها ولزومهِ في المستقبل القريب

ولقد كتب كثيرون في تسفيهِ هذا الرأي وقالوا انهُ من آراء الاشتراكيين فهو مناقض لمصالح الافراد ومقوّض لدعائم اهل الهمم العالية واصحاب الاعمال الكبيرة. ولكنني لو حسبتُ انهُ موافق مذاهب الاشتراكيين او مخالف لمصالح الافراد لكنت آخر من يقول كلمة في تأييدهِ

لاني لا اثق بشيء اكثر مما اثق بان النجاح والعمران متوقفان على مساعي الافراد فاذا كان الانسان يحصد غير ما يزرعهُ تقوَّضت دعائم العمران كلها ومن سعى رعى ومن جال نال ومن زرع الكسل حصد الندامة والمجتهد الحاذق يجب ان ينال مالا يناله الكسلان الجاهل ومن يزرع الريح يحصد الزوبعة

ولقد كانت الاموال ملكاً مشاعاً تشترك فيهِ القبيلة كلها ثم تخصصت الاملاك بارتقاء الناس في الحضارة والعمران وانتقالهم من الحالة الاشتراكية الى الحالة الافرادية المستقلة . ولم يجمع الناس على ذلك الا لانهم رأوا ان الاشتراك في الاموال والمقتنيات لا يؤول الى النجاح ولا ينطبق على مقتضيات العمران . والاستقلال بالاملاك بعد شيوعها لم يبنَ على امر فطري او ديني بل على ما بيَّنهُ الاختبار واثبت انهُ لازم للنجاح ولذلك لا يخشى ان يعود الانسان القهقرى الى الحالة الهمجية التي كانوا فيها حينما كانت الاملاك كلها مشاعةً لان ناموس الارتقاء يمنع الرجوع الى الوراء واذا تطرَّف الانسان في الاستقلال بالاموال وحشدها حتى آل ذلك الى ضرر فلا بدَّ من استنباط طريقة تزيل الضرر وتزيد النفع وتعمّمهُ . وعندي ان هذه الطريقة هي وضع ضريبة متزايدة على الثروات الطائلة التي يموت عنها اصحابها تنفق في مصلحة الامة . ووضع الضريبة المتزايدة على المواريث ليس امرًا جديدًا بل قد عملت بهِ بريطانيا العظمى من عهدٍ طويل واشار بهِ العالم الاقتصادي ادم سمث حيث قال انهُ يفرض على رعايا كل مملكة ان يساعدوا حكومتها بالنسبة الى مقدرتهم

ولنبحث الآن عن اصل الثروة لنرى كيف تجمع وما هو سببها

افرض ان رجلاً فلاحاً من اهل الجد والنشاط اتسعت ثروتهُ بعض الاتساع ولهُ ولدان فاستطاع ان يعطي كلاًّ منهما ابعدية (حقلاً) من اباعدهِ واقترن كلٌّ منهما بفتاة من فضليات النساء عرفها وعرفتهُ منذ الصغر وربيا معاً في العفة والنزاهة وكانت احدى الابعديتين الى الشمال من مدينة نيويورك والاخرى الى الجنوب منها فألقى الولدان قرعة فأصابت الجنوبية الاكبر والشمالية الاصغر ولم يكن لهما يد في هذا الاختيار ولا كان على ضد ارادتهما ولم تكن الابعديتان كبيرتين ولا ثمينتين بل ثمن كلٍّ منهما بضع مئات من الريالات . فاخذ الاخوان يعملان كلٌّ في ابعديتهِ والناس ينظرون اليهما بما يستحقانهِ من الاكرام لاجتهادهما واستقامتهما وكانا كريمين يجودان على اعمال البرّ بما في طاقتهما ويساعدان المحتاجين والمعوزين بما تصل اليهِ ايديهما وكانا متساويين في الهمة والاجتهاد والمواظبة وفي طاعتهما لشرائع بلادهما . وولد لهما اولاد وشبوا فاحسنا تربيتهم وتعليمهم

ثم جعلت مدينة نيويورك تنمو وتتسع الى جهة الشمال فاغتنى اولاد الاخ الاصغر وصاروا من اصحاب الملايين واما اولاد الاخ الاكبر فبقوا فلاحين متوسطي الحال يحصلون خبزهم بعرق جبينهم

فمن فرّق بين اولاد الاخ الاكبر واولاد الاخ الاصغر فأبقى الاولين من الفلاحين المتوسطي الحال ورفع الآخرين الى درجة الاغنياء الكبار . ليس الاجتهاد ولا المهارة ولا الهمة ولا الحكمة ولا الاستبسال في خدمة الوطن ولا شيء من كل ذلك بل نموّ الامة هو الذي اعظم الثروة ونمت ثروتهم وهم نيام كما نمت وهم قيام ولو وقعت ابعديتهم من نصيب عمهم واولاده لكانت هذه الثروة لهؤلاء لا لهم فليس لهم يد في تحصيلها على الاطلاق

ثم مات هؤلاء الاولاد وخلفوا ثروة تقدر بالملايين الكثيرة لان ابعديتهم صارت جزءا من المدينة وبُنيت فيها المباني الفخيمة ذات الريع الوافر فأي قانون من قوانين العدل والانصاف لا يجيز للامة التي هي سبب هذا الغنى ان تنهض وتطالب بجانب كبير منهُ . وهي لم تنهض وتطالب بجانب من هذا الغنى في حياة الاولاد الاولين بل تركتهم يتمتعون بالثروة التي نمت في ايامهم لانها حسبت انهم بذلوا بعض الجهد في انمائها وخير للامة ان تترك المجتهد يتمتع بثمرة اجتهاده ما دام حيًّا اذا كان هناك وجه للظن انهُ بذل بعض الجهد في انماء الثروة وليس من الحكمة التعرّض للنحلة التي تجني العسل ما دامت تسعى في جنيهِ ولكن اذا مات هؤلاء الاولاد لم يبقَ سبيل للشك في ان ثروتهم تأتي اولادهم عفوًا من غير اقل تعب في تحصيلها والامة أحق بها منهم لانها اشتغلت في انمائها اكثر مما اشتغل والدوهم

والبلاد التي يزيد سكانها زيادة عظيمة كالولايات المتحدة يكون اكثر الزيادة في ثروتها من زيادة ثمن العقار فقد كان ثمن العقارات في الولايات المتحدة سنة ١٨٩٠ نحو ٣٩٥٤٥ مليون ريال فصار سنة ١٩٠٠ نحو ٥٢٥٣٨ مليون ريال فزاد ١٢٩٩٣ مليون ريال في عشر سنوات وسبب هذه الزيادة نمو السكان المستمر ولا بد لاصحاب العقار فيهِ كما اتضح من مثال الاخوين المتقدم والجهة التي لا يزيد سكانها يبقى ثمن عقارها على حالهِ واذا قلّ عدد سكانها هبط ثمن العقار فيها اي ان نمو الامة هو الذي يزيد ثمن الممتلكات فيزيد الثروة فاذا لم تنم بل قلّ عددها هبطت الاثمان وقلّت الثروة العقارية فهي مديونة للامة اكثر من كل ممتلكات الانسان

ولننظر الآن في سائر الاعمال التي يثري اصحابها لنرى ما هو نصيبهم من زيادة الثروة لنفرض ان خمسة اخوة اولاد فلاح واحد مشهور بهمتهِ واجتهادهِ تفرقوا في طول

البلاد وعرض احدهم سكن ولاية نيويورك والثاني مدينة بتسبرج والثالث شيكاغو والرابع مونتانا والخامس مدينة نيويورك

فرأى الاول ان سكك الحديد لازمة لمدينة نيويورك وستزيد بزيادة نموها فجعل يشتري من اسهم شركاتها وجعلت قيمة هذه الاسهم ترتفع بنمو البلاد وازدياد السكان ولاسيما في العاصمة وكانت تلك الشركات تمتلك ارضاً واسعة على جوانب خطوطها فزادت قيمتها زيادة فاحشة وظلَّ يشتري الاسهم كلما هبط سعرها ويسعى في انشاء سكك حديدية الى ان صار من الاغنياء الكبار . ولقد كان له يد في نمو ثروتهِ ولكن اليد الطولى لنموّ الامة وازدياد عدد السكان اذ لولا ذلك ما زادت ثروتهُ مهما زادت همتهُ وزاد اهتمامهُ فالامة شريكة لهُ في هذه الثروة ولها الحق بأن تأخذ جانباً كبيرًا منها

وسكن الولد الثاني مدينة بتسبرج حينما كشفت مناجم الفحم فيها وظهر ان فحمها جيد لسبك الحديد وكشف فيها منجم آخر يصلح فحمهُ للاحراق في الآلات البخارية فبنيت مسابك الحديد هناك ودلَّت الدلائل كلها على ان تلك المدينة ستصير مركزًا لمسابك الحديد وانها سترخّص عمل الفولاذ فيصير فولاذها ارخص فولاذ في الدنيا فانتبه الى حفظ الامر واهتمَّ بهِ وليس في ذلك شيء خارق العادة ولا فيهِ دليل تفوّق في الهمة والذكاء وغاية ما فعلهُ انهُ وثق بنمو بلادهِ وبنجاح تجارة الفولاذ لاحتياج الاعمال اليهِ وخاطر بالقليل الذي يمتلكهُ في هذا السبيل واقنع بعض الماليين حتى مدوهُ بالمال واشترك مع اناس من رأيهِ وبنوا المسابك والمعامل فنجحوا وكسبوا ملايين كثيرة ثم زادوا في اماكن اخرى وفتشوا عن مناجم الحديد فيها وابتاعوها وابتاعوا ايضاً اراضي كثيرة فيها مناجم الفحم والغاز الطبيعي وكل ما يلزم لاستخراج الحديد وسبكهِ وعمل الفولاذ منهُ فاحسنوا صنعاً لا لانهم كانوا من نوابغ الرجال بل لانهم احسنوا نظرهم في الامور وتقدير العواقب . فلم يكوّنوا المعادن بل رأوها في الارض فاشتروها بثمن يعدُّ الآن بخساً جدًّا وكانت حينئذٍ ملكاً مشاعاً ولايخفى ان اكثر ثروتهم منها واكثر ثروتهم كان ملكاً للامة ولم تصر ثروة حقيقية الاَّ بنمو الامة وكثرة طلبها للحديد والفولاذ ولولم تنمُ ما كانت ثروتهم ولا كان لهم شيء من الغنى فبأي حق تحرم الامة من هذه الثروة حينما يقف جامعوها عن جمعها ويحين الزمن لتوزيعها اي لاعطائها للذين لم يتعبوا في جمع دينار منها

والولد الثالث ذهب الى شيكاغو فدعتهُ احوالها الى الاتجار باللحم فجعل يضعهُ في العلب ويرسلهُ الى الجهات . ابتدأ برأس مال طفيف فزادهُ رويدًا رويدًا حتى صار من الاغنياء

الكبار بسبب نمو السكان وكثرة طلبهم للحم . ولو بقيت شيكاغو على ما كانت عليهِ حينما دخلها وبقيت البلاد كلها على ما كانت عليهِ من حيث عدد السكان لما كسب شيئاً من الثروة التي كسبها . فنموُّ الامة واحتياجها الى اللحم الكثير هما سبب اتساع عمله وازدياد ثروتهِ فيجب ان تكون شريكة لاولادهِ في هذه الثروة

والولد الرابع سمع عن غنى المناجم المعدنية فذهب الى منتانا وأصاب فيها منجماً كثير النحاس والفضة ولولا ازدياد السكان في هذه البلاد وغيرها لرخص ثمن النحاس والفضة كثيرًا لكثرتهما في تلك المناجم ولكن ازدياد السكان وازدياد الطلب على النحاس والفضة أبقيا لهُ ربحاً وافرًا فصار من اصحاب الملايين ولو لم يوجد النحاس والفضة في مناجمهما ولكنهُ وجدها هناك فاستخرجهما واشتراهما الناس منهُ بثمن غالٍ بسبب ازدياد عددهم وشدة احتياجهم اليهما فالناس الذين زادوا قيمة هذين المعدنين او منعوهما من الهبوط يستحقون جانباً من الكسب الذي صار بسببهم

والولد الخامس سكن مدينة نيويورك نفسها وانضمَّ الى احد سماسرة الاسهم وجعل يضارب ويكتسب وكان الزمن زمن ارتفاع الاسعار في كل شيء فجمع ثروةً طائلة من غير ان يفيد احدًا من الناس لان مال المضاربة لافائدة منهُ لاحد وماالمضاربون سوى حيوانات طفيلية تعيش من امتصاص دماء الناس ثم قادهُ حب الكسب الى احتكار صنف من الاوراق فرأى ان الذي يأخذ الناس بالحيلة والخداع يأخذهُ الناس بالحيلة والخداع فخسر كل ما كسبهُ وصرم حبل حياتهِ بيدهِ ورأى اخوتهُ ذلك فزاد اجتنابهم للمضاربة . والمضارب لا يموت عن ثروة الاَّ اذا اتفق انهُ مات قبلما يضيع ما كسبهُ بالمضاربة. وفي هذه الحالة يحقُّ للامة ان تأخذ الجانب الاكبر من ثروتهِ لانهُ اختلسها اختلاساً من اموال الذين خدعهم فاضرَّ نفسهُ واضرهم

ومن الاغنياء اناس جمعوا اكثر ثروتهم بجدهم وذكاء عقولهم ومن هؤلاء المخترعون الكبار الذين شاعت مخترعاتهم فانتفعوا منها ونفعوا غيرهم مثل غرام بك مخترع التلفون وادبصن مخترع المخترعات الكهربائية الكثيرة فان هؤلاء استنبطوا امورًا مفيدة وعرفوا انها ستشيع وتربح فابقوا لانفسهم سهماً كبيرًا في الشركات التي تألفت لها فصدر ثروتهم ذكاء عقولهم وهم جديرون بكل تجلة واحترام

وقد يقال ان ارباب الاعمال كلهم كأصحاب المعامل ومنشئي سكك الحديد ونحوهم استنبطوا اساليب جديدة لنجاح اعمالهم فامتازوا على غيرهم وفازوا بالنجاح . وهذا صحيح ولكن

المخترعات التي اعتمدوا عليها لم تكن لهم بل لغيرهم وغاية ما فعلوهُ هو انهم عرفوا نفعها واستخدموها في اعمالهم . وهم احق من غيرهم بجانب من الربح الذي ربحوهُ ولكن يبقى الفضل الاكبر والنصيب الاوفر لنمو الامة حتى في استعمال مخترعات المخترعين

ولذلك كلهِ لا ارى وجهاً لحرمان الامة من جانب كبير من اموال الاغنياء حينما يموتون بل من الجانب الاكبر منها ما دام نمو الامة هو السبب الحقيقي لزيادة هذه الاموال ولا ينكر ان بعض الناس فاقوا غيرهم في ادارة الاعمال الكبيرة وانجاحها ومنهم اكثر منشئي سكك الحديد وباقي السفن التجارية ومقيمي المعامل الصناعية والتجار واصحاب البنوك . رجال مثل هؤلاء جمعوا ثروتهم بالهمة والاستقامة وحسن النظر في العواقب والتفوُّق على غيرهم من معاصريهم جديرون ان يتمتعوا بثروتهم ولا يحسن ان يضيَّق عليهم بوجه من الوجوه لانهم من بناة المعالي ومنشئي ثروة الامة . لكن هؤلاء الرجال قلَّما ينفقون شيئاً يذكر من اموالهم بل هم في الغالب من اشد الناس اقتصاداً فترك الثروة لهم كتركها لخزنةٍ امناء يحتفظون بها اشدَّ الاحتفاظ . والذين يبذرونها ويبدّدونها انما هم اولادهم الذين لم يتعبوا في جمعها

ولقد اشار بعضهم بضريبة الايراد دواءً لهذا الداء ولكن ضريبة الايراد تغري الناس بالكذب فتفسد آداب الامة كما قال غلادستون . وخير منها اخذ جانب من ميراث الاغنياء وهو المعروف بضريبة المواريث التي تزيد نسبتها بزيادة الثروة حتى لا يبقى لاولاد الغني الاَّ ما يكفيهم ولا يضرهم . انتهى بايجاز

المفاضلة بين الشعراء

باب في اختلاف الصور على المعنى الواحد او في اظهارهِ تحت مظاهر مختلفة

ان اختلاف الصور والاساليب مع وحدة المعنى لأشبه شيءٍ بضروب النقوش التي تنقش على قطعة من نسيج ابيض او بالالوان التي تلوَّن بها تلك النقوش فما كانت الوانها ناصعة متآخية يشبهُ بعضها بعضاً كانت جميلة وكلما عظم تناسب الالوان علت درجة الجمال وتزايد رونق الحسن لكن مع ذلك قد يستحسن زيد ما لا يستحسن عمرو وكلاهما يؤثر ما استحسن على ما استحسن الآخر وكذا الامر في ما يؤدى بهِ المعنى الواحد من الاساليب المختلفة وبهذا الاعتبار تقع المفاضلة بين ابيات الشاعر الواحد او ابيات الشعراء الواردة بمعنًى حتى يكون بيت اشعر من بيت كما يكون شخص اشعر من شخص

هذا واعلم ان اشعر بيت هو ما هشَّ لهُ القلب ومال اليهِ الطبع كما يهشُّ الحبيب عند لقاء الحبيب . وها انذا أُورد لك عدَّة صالحة من الابيات الواردة في المعنى الواحد واما الحكم بالافضلية فأكلهُ الى ذوق القارىء الاديب

فصل فيها لأبي تمام في باب المدح بالجود والشجاعة

قال في المعتصم بالله

(١) هو البحر من اي النواحي أتيتهُ   فلجتهُ المعروف والجود ساحلهُ
تعوَّد بسط الكف حتى لو أنهُ   ثناها لقبضٍ لم تطعهُ انامله
ولو لم يكن في كفهِ غير روحهِ   لجاد بها فليتقِ الله سائلهُ

وقال في احمد بن ابي دُؤَاد

(٢) فما من ندًى الاَّ اليك محلهُ   ولا رفقةٌ الاَّ اليك تسيرُ

وقال فيهِ ايضاً

(٣) فرْ بإذنٍ فان الجدب ارسلنا   وفداً اليك وانت الغيث ينتظرُ

ولهُ في مدح ابي سعيد

(٤) هل اجتمعت احياءُ عدنان كلها   بملتحمٍ (١) الاَّ وانت اميرها
بك اليمن استعلت على كل موطنٍ   وصار لعليٍّ تاجها وسريرُها
محرَّمة اكفال خيلك في الوغى   ومكلومةٌ لباتها (٢) ونحورها
حرامٌ على ارماحنا طعن مدبرٍ   وتندقُّ في اعلى الصدور صدورها

ولهُ في مدح جعفر الخياط

(٥) حلفت بمستنّ المنى تسترشهُ (٣)   سحابة كفيهِ بالرغائب تمطرُ
اذا درجت فيهِ الصبا كفكفت لها   وقام يباريها ابو الفضل جعفرُ (٤)
بسيبٍ كأن السيب من ثرّ نوئهِ   واندية منها ندى النوء يعصرُ (٥)
فتًى من يديهِ البأس يضحك والندى   وفي سرجهِ بدرٌ وليث غضنفرُ
أَبا المجد اني يوم جئتك مادحاً   رأيت وجوه الجود كيف تصوَّرُ
وايقنتُ اني واجلٌ غمر زاخر   تنوب اليهِ بالسماحة البحرُ

(١) الملتحم : ساحة القتال (٢) اللبات : جمع لبة وهي موضع النحر من الحلق (٣) المستنّ : المنصب المنسكب وتسترشهُ : تسألهُ الرشّ والصبّ (٤) درجت جرت جرياً شديداً . وكفكفت : دفعت . ويباريها : يجاريها . (٥) السيب : العطاء . والثرّ . كثرة الماء . والنوء : نجم المطر

ولهُ في المعتصم من قصيدة

(٦) ملكٌ يضلُّ الفكرُ في ايامهِ ويقلُّ في نفحاتهِ ما يكثرُ
فليمسرنَّ على الليالي بعدهُ أن يبتلى بصروفهنَّ المعسرُ

وقال

(٧) لم يغلقِ اللهُ بابَ العرفِ عن احدٍ باب الامير لهُ المألوفُ مألوفُ

ولهُ من قصيدة يمدح بها عبد الله بن ابي دوّاد

(٨) تفرّج عنهم الغمراتِ بيضٌ جلادٌ تحت قسطلة الجلادِ [١]
لهم جهلُ السباع اذا المنايا تمشّت في قناً وحلوم عادِ
وما سافرت في الآفاقِ الاّ ومن جدواك راحلتي وزادي
مقيم الظنّ عندكَ والاماني وان قلقت ركابي في البلادِ
معادُ البعثِ معروفٌ ولكن ندى كفّيك في الدنيا معادي

ولهُ من قصيدة يمدح بها عبد الله المشار اليهِ

(٩) كادت المكرماتُ تنهدُّ لولا أنها أيّدت بحيّ إيادِ
عندهم فرجة اللهيف وتصديقُ ظنون الروّاد والورّادِ [٢]
وكأنّ الاعناق يوم الوغى أولى بأسيافهم من الأغمادِ

ولهُ من قصيدة يمدح بها عمرو بن طوق

(١٠) وطيُّ الخطوبَ وكفَّ من غلوائها عمرو بن طوق نجم اهل المغربِ [٣]
يعطي عطاء المحسن الخضل الندى عفواً ويعتذر اعتذار المذنبِ
ومرحبٌ بالزائرين وبشرهُ يغنيك عن اهل لديهِ ومرحبِ
بحرٌ يطمّ على العفاةِ وان تهجْ ريحُ السؤال بموجهِ يغلولبِ [٤]
صلبٌ اذا اعوجّ الزمانُ ولم يكن ليلينَ صلبَ الخطب من لم يصلبِ

ولهُ من قصيدة يمدح بها ابا دُلف القاسم بن عيسى العجليّ

(١١) اذا العيس لاقت بي ابا دلفٍ فقد تقطّع ما بيني وبين النوائبِ

---

(١) القسطلة : الغبار . والجلاد : المضاربة بالسيوف (٢) اللهيف : المظلوم والحزين ذهب له مال او فجع بحميم والرُوّاد : الطلاّب . والورّاد : المقبلون على الماء ليشربوا (٣) الغلواء مثل الغلوّ والمراد بها الشدّة (٤) يطمّ اسمه يعلو والعفاة : طالبو الرزق . ويغلولب : يتكاثف يقال اغلولب العشب اذا تكاثف

هنالك تلقى المجد حيث تقطعت ... تمائمهُ والجود مرخى الذوائبِ

تكاد عطاياهُ يجنُّ جنونها ... اذا لم يعوذها بنغمة طالبِ

اذا حرَّكتهُ هزَّة المجد غيَّرت ... عطاياهُ اسماء الأماني الكواذبِ

تكاد مغانيهِ تهشُّ عراصها ... فتركبُ من شوقٍ الى كل راكبِ

اذا ما غدا أغدى كريمة مالهِ ... هديًّا ولو زُفّت لألأم خاطبِ [1]

يرى اقبح الاشياء اوبة آملٍ ... كستهُ يد المأمول حلة خائبِ

واحسن من نورٍ تفتحهُ الصبا ... بياض العطايا في سواد المطالبِ

أقول لاصحابي هو القاسم الذي ... بهِ شرحَ الجود التباس المذاهبِ

واني لأرجو عاجلاً ان تردَّني ... مواهبهُ بحرًا ترجّى مواهبي

ومنها

فانَّ المنايا والصوارم والقنا ... اقاربهم في الروعِ دون الاقاربِ

جحافلُ لا يتركنَ ذا جبريةٍ ... سليمًا ولا يحربنَ من لم يحاربِ [2]

يمدُّون من ايدٍ عواصٍ عواصمٍ ... تصول باسيافٍ قواضٍ قواضبِ [3]

اذا الخيلُ جابت قسطل الحرب صدَّعوا ... صدور العوالي في صدور الكتائبِ [4]

ولهُ من قصيدة في مدح ابي العباس عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب

(١٢) الى ملكٍ لم يلقِ كلكلَ بأسهِ ... على ملكٍ الاَّ وللذلّ جانبهْ [5]

الى سالب الجبار بيضة ملكهِ ... وآملهُ غادٍ عليهِ فسالبهْ [6]

فنوَّل حتى لم يجد من ينيلهُ ... وحارب حتى لم يجدْ من يحاربهْ

أرى الناس منهاج الندى بعد ما عفت ... مهايعهُ المثلى ومحت لواحبهْ [7]

ومنها

فلو نطقت حرب لقالت محقةً ... ألاَ هكذا فليكسب المجد كاسبهْ

ليعلم ان الغرَّ من آل مصعب ... غداة الوغى آل الوغى وأقاربهْ

ولهُ من قصيدة يمدح بها ابا الحسين محمد بن الهيثم بن شبابة

(١٣) ملك اذا نسب الندى من ملتقى ... طرفيهِ فهو لهُ اخٌ وحميمُ

كالليثِ ليثِ الغاب الاَّ ان ذا ... في الروح بسَّامٌ وذاك شتيمُ [8]

طحطحتَ بالخيل الجبال من العدى ... والكفر يقعد بالهدى ويقومُ [9]

---

(١) الهديّ: العروس واغدى كريمة مالهِ: سيرها في الغداة (٢) المجبره ولا يحربن اي لا يسلبن (٣) العواصم: جمع العاصمة وهي المانعة والقواضب: القواطع (٤) صدعوا كسروا وشققوا (٥) الكلكل: الصدر (٦) بيضة الملك: حوزته (٧) المهايع: الطرق الواسعة · ومحت: اي محيت واللواحب: الطرق الواضحة (٨) الشتيم القبيح (٩) طحطحت: هدمت

ومنها ضربت انوف المحل حتى أقلعت والعُدم تحت غمامها معدوم[١]

ومنها الأندى كالدين حتى قضاؤه ان الكريم لمعتفيه غريم[٢]

عرفٌ غدا ضرباً نحيفاً عنده شكرُ الرجال واذهُ لحميم[٣]

قاسي الفؤاد على كرائم ماله ولزائريه ومعتفيه رحيمُ

(١٤) ولهُ في مدح ابي سعيد

كرمت راحتاهُ في ازمات[٤] كان فيها صوب الغمام لثيما

(١٥) ولهُ فيهِ ايضاً

اذا سار فيه الظن كان بكل ما تؤمل من جدواه اول قادم

اساءت يداه عشرة المال بالندى واحسنتا فينا خلافة حاتم

(١٦) ولهُ فيهِ ايضاً

كذا أخوك الندى لو أنه بشر لم يلفَ طرفة عين غير مبتسم

(١٧) ولهُ من قصيدة في مدح بعض بني عبد الحميد الطائيين

يكاد نداهُ يتركهُ عديماً اذا هطلت يداهُ على عديم

(١٨) ولهُ من قصيدة يمدح بها الفضل بن صالح الهاشمي

اذا القصائدُ كانت من مدائحهم يوماً فأنت لعمري من مدائحها

وان غرائبها اجدبن في بلد كانت عطاياك من اندى مسارحها

(١٩) أحلهم الندى سطة المعالي[٥] اذا نزل البخيل على التخوم

قرومٌ للجدير بهم اسودٌ نكالٌ للاسود وللقروم[٦]

اذا نزلوا بمحلٍ روّضوهُ بآثارٍ كآثار الغيوم

ومنها سفيهُ الرمح جاهلهُ اذا ما بدا فضلُ السفيه على الحليم

(٢٠) ولهُ في مدح احمد بن ابي دوّاد

الى سالم الاخلاق من كل عائبٍ وليس لهُ مال على الجود سالمُ

جدير بأن لا يصبح المال عندهُ جديراً بأن يبقى وفي الارض غارمُ

وليس بباني للعلى خلقٌ امرىءٍ وان جلّ الا وهو للمال هادمُ

(١) العدم: الفقر (٢) المعتفي: طالب المعروف (٣) الضرب: الضعيف واحدة من الرجل الضرب بمعنى الخفيف اللحم (٤) الازمات. جمع الأزمة وهي الشدة والقحط (٥) السطة: الوسط (٦) القروم: السادات. والنكال: المصيبة

الى ان يقول

أُناسٌ اذا راحوا الى الروع لم تُرحْ ... مسالمةً أسيافهم والقوائمُ (١)

ولهُ من قصيدةٍ يمدح بها ابا سعيد

(٢١) وتؤامُ الندى يرى الكرمَ الفا ... ردَ في اكثر المواطن لوما (٢)

كلما زرتهُ وجدتَ لديهِ ... نشبًا ظاعنًا ومجدًا مقيما (٣)

ومنها واذا كان عارض والموتِ سحًّا ... خضلاً بالردى اجشَّ هزيما (٤)

في ضرامٍ من الوغى واشتعالٍ ... تحسبُ الجوَّ منهما محموما

واكتست ضمرُ الجياد المذاكي ... من لباس الهيجا دمًا وحميما (٥)

في مكرٍّ تلوكها الحربُ فيهِ ... وهي مقورّة تلوكُ الشكيما (٦)

قمتَ فيها بحجة الله لما ... ان جعلت السيوف عنك خصوما

(٢٢) ولهُ من قصيدةٍ اخرى يمدح بها ابا سعيد مطلعها

قل للأميرِ ابي سعيدٍ ذي الندى ... والمجد زاد الله في اكرامهِ

ومنها وتقسمَ الناسُ السخاء مجزءًا ... فذهبتَ انتَ برأسهِ وسنامهِ

وتركت للناس الإهاب وما بقي ... من فرثهِ وعروقهِ وعظامهِ

(٢٣) ابا سعيدٍ تلاقت عندكَ النعمُ ... فانتَ طودٌ لنا ملجٌ ومعتصمُ

لازال جودك يخشى المحلُ صولتهُ ... وزال عودُك تسقي روضهُ الديمُ

أشرفتُ منك على بحر الغنى ويدي ... يجول في مستواها الفقرُ والعدمُ

(٢٤) ولهُ في مدح بني عبد الكريم من قصيدة يهجو بها عتبة بن ابي عاصم

ما أُنشئت للمكرماتِ سحابةٌ ... الاَّ ومن ايديهم تتدفقُ

انظر بحيث ترى السيوف لوامعًا ... ابدًا فوق رؤوسهم تتألقُ

شوسٌ اذا خفقت عقاب لوائهم ... ظلت قلوب الموت منهُ تخفق (٧)

بلهٌ اذا لبسوا الحديد حسبتهم ... لم يحسبوا أنَّ المنيَّة تخلقُ

---

(١) القوائم : مقابض السيوف (٢) الفارد : المنفرد واللوم : الشحّ واصلة اللؤم بالهمز (٣) النشب : المال والظاعن : الراحل (٤) العارض : السحاب والخضل : المبتلّ . والأجشّ : الخشن الصوت . والهزيم الصوت المنبعق (٥) المذاكي الخيل المسنة والحميم : الماء الحارّ واراد به هنا العرق (٦) المقورّة : الضامرة . والشكيم : حديدة اللجام المعترضة في الفم (٧) الشوس : جمع الاشوس وهو الجريء على القتال الشديد والأروع : من تعجب خصاله . والنكس : الضعيف

(٢٥) لقيتهم والمنايا غيرُ دافعةٍ لما امرتَ بهِ والملتقى كبدُ

ومنها من كلّ اروعَ ترتاعُ المنونُ لهُ اذا تجرَّدَ لا نكسٌ ولا جحدُ (١)

(٢٦) ولهُ من قصيدة يمدح بها محمد بن الهيثم بن شبابة

أغرُّ يداهُ فرضتا كل طالب وجدواهُ وقفٌ في سبيل المحامدِ (٢)

ومنها همُ شغلوا يوميك بالبأس والندى وآتوك زنداً في العلى غير خامدِ

وان كان عامٌ عادم المحل فاكفهِ وان كان يوم ذا جلاد فجالدِ (٣)

ومنها فكم ديةٍ تمٍّ غدوتَ تسوقها لها أثرٌ في تالدٍ غير تالدِ (٤)

وليست دياتٍ من دماءٍ هرقتها حراماً ولكن من دماء القصائدِ

(٢٧) ولهُ فيهِ ايضاً من قصيدة

لدى ملكٍ من أيكة الجود لم يزلِ على كبد المعروف من فعلهِ بردُ

الى ان يقول

فقد نزلَ المرتاد منهُ بماجدٍ مواهبهُ غورٌ وسؤددهُ نجدُ

غدا بالأماني لم يرق ماء وجههِ مطالٌ ولم يظفر بآمالهِ الردُّ

أبلهمُ ريقاً وكفّاً لسائلٍ وأنضرهم وعداً اذا صوّح الوعدُ (٥)

فتىً لا يرى بدّاً من البأس والندى ولا شيءَ الأ منهُ غيرهما بدُّ

بهِ أسلم المعروفُ بالشام بعدما ثوى منذ أودى خالدٌ وهو مرتدُّ (٦)

ولهُ من قصيدة يمدح بها موسى بن ابرهيم الرافقي

(٢٨) الى مشرق الاخلاق للجود ما حوى ويحوي وما يخفي من الامر او يبدي

فتىً لم يزل تفضي بهِ طاعة الندى الى العيشة العسراء والسؤدد الرغدِ

اذا وعد انهلت يداهُ فاهدتا لك النجح محمولاً على كاهل الوعدِ

الى ان يقول

كريم متى امدحهُ امدحهُ والورى معي واذا ما لمتهُ لمتهُ وحدي

ولهُ في مدح خالد بن يزيد الشيباني

---

(١) والجحد : القليل : الخير — الفرث : السرجين في الكرش (٢) الفرضة : ثلمة من النهر يستقى منها (٣) العارم : الكثير الفائض والجلاد : المضاربة بالسيوف (٤) الدية : ثمن دم القتيل واستعملت هنا بمعنى الجائزة وجعل القصيدة بمنزلة القتيل وهو معنى بديع (٥) صوّح : يبس وجفّ (٦) ثوى : اقام ومكث · وأودى : هلك

(٢٩) جذبت نداهُ غدوة السبت جذبةً نخرَّ صريعاً بين ايدي القصائدِ
فأبتُ بنعمى منهُ بيضاء لدنةٍ كثيرة فرح في قلوب الحواسدِ (١)

ولهُ فيهِ من قصيدة أُخرى

(٣٠) رمى الله منهُ بابكاً وجيوشهُ بقاصمة الاصلاب في كل مشهدِ (٢)
بأسمحَ من صوب الغمام سماحةً واشجع من صرف الزمان وانجدِ (٣)

ولهُ من قصيدة يمدح بها ابا سعيد محمد بن يوسف الطائي

(٣١) فقيدتَ بالاقدام مطلق بأسهم واطلقت فيهم كلَّ حتفٍ مقيدِ
وبالهضبِ من ابرشتويم ودروزٍ سمت بك اطراف القنا فاسمُ وازددِ (٤)
أفادتكَ منها المرهفاتُ مكارماً تعمرُ عمر الدهر ان لم تخلدِ (٥)

ولهُ من قصيدة في مدح الحسن بن رجاء

(٣٢) ورأيتني فسألت نفسك سيبها لي ثمَّ جدت وما انتظرت سؤالي
كالغيث ليس لهُ أُريد نوالهُ او لم يرد بدٌّ من التهطالِ
ومنها لا تنكري عطل الكريم من الغنى فالسيل حربٌ للمكان العالي
ومنها لما وردنا ساحة الحسن انقضى عنا تعجرف دولة الإمحالِ
احيا الرجاء لنا برغم نوائبٍ كثرت بهنَّ مصارعُ الآمالِ
اغلى عذارى الشعر ان مهورها عند الكريم اذا رخصنَ غوالِ
تردُ الظنون بنا على تصديقها ويحكّم الآمال في الاموالِ

ولهُ من قصيدة يمدح بها ابا سعيد

(٣٣) شهدتُ لقد لبست ابا سعيدٍ مكارم تبهر الشرف الطوالاَ (٦)
اذا ما الدهر جار جرت ايادي يديك فغشت الدنيا ظلالاَ (٧)

ولهُ من قصيدة يمدح بها مالك بن طوق

(٣٤) فما الربيع على أُنس البلاد بهِ اشدُّ خضرة عودٍ منهُ في القحمِ
ولا أرى ديمةً أكفى لنائبةٍ منهُ على ان ذكراً طار للديمِ
ومنها اذا بلغنا أبا كلثومٍ اتصلت تلك المنى واخذنَ الحاج من أَممِ

---

(١) لدنة رخصة ولينة . والفرح : المجرح (٢) وقاصمة الاصلاب : اي كاسرها (٣) انجد : اي اشجع
(٤) ابرشتويم ودروز : موضعان (٥) المرهفات : السيوف الرقيقة الشفار (٦) الشرف جمع الشرفة وهي اعلى كل شيء (٧) الايادي : النعم . وغشت : اي غطت — والسيب : العطاء

رأتهُ في المهدِ عتابٌ فقال لها ذوو القراسة هذا صفوة الكرمِ
خذوا هنيئاً مريئاً يا بني جشمٍ منهُ امانين من خوفٍ ومن عدمِ

ولهُ من قصيدة يمدح بها حفص بن عمر الازدي

(٣٥) ومن شكَّ ان الجود والبأس فيهم كمن شكَّ في ان الفصاحة في نجدِ

الى ان يقول

فلم اغشَ باباً انكرتني كلابهُ ولم أتشبث بالوسيلة من بعدِ
فأصبحتُ لا ذلُّ السؤال اصابني ولا قدحت في خاطري روعة الردِّ
يرى الوعدَ اخزى العار ان هو لم تكن مواهبهُ تأتي مقدمة الوعدِ
فلو كان ما يعطيهِ غيثاً لأمطرت سحائبهُ من غير برقٍ ولا رعدِ
دربة خيل لا يزال لدى الوغى لهُ مخلبٌ وردٌ من الاسد الوردِ

ولهُ من قصيدة في مدح احمد بن عبد الكريم

(٣٦) كم جئتَ في الهيجا بيوم ابيضٍ والحرب قد جاءت بيومٍ اسودا
أقدمت لم ترك الحمية مصدراً عنها ولم يرَ فيك قرنك موردا
لم تغمد السيف الذي قلدتهُ حتى تمنى نصلهُ ان يغمدا

ولهُ من قصيدة يمدح بها المعتصم ويذكر اخذ بابك

(٣٧) غضب الخليفة للخلافة غضبةً رخصت لها المهجات وهي غوالِ
لما انقضى جهل السيوف لبابكٍ أغمدنَ عنهُ جهالة الجهالِ
ومنها أسرى بنو الاسلام فيهِ وأدلجوا بقلوب أسدٍ في صدور رجالِ
قد شمروا عن سوقهم في ساعةٍ أمرت ازار الحرب بالإسبالِ
وكذاك ما تُنجز اذيال الوغى الا غداة تشمر الأذيالِ
ومنها قد أترعت منهُ الجوانح رهبةً بطلت لديها سورة الابطالِ
لو لم يزاحفهم لزاحفهم لهُ ما في صدورهم من الأوجالِ

ولهُ في مدح اسحق بن ابرهيم

(٣٨) لقيتهمُ بجلاب المنايا بعيد الزرِّ نادي المحرتين
فما أبقيتَ للسيف اليماني نجيّ فيهم ولا الرمح الرديني

الى ان يقول

ألا ان الندى اضحى اميراً على مال الامير أبي الحسينِ

اذا يدهُ بنائلهِ استهلت فويلٌ للنضار وللجبين
نوالك ردَّ حسادي فلولاً واصلح بين ايامي وبيني

ومنها ففاداهم هوبت الشدق جهمٌ لدى اشبالهِ ذو لبدتين
فأضحوا بعد عزّ واختيالٍ وهم عبرٌ لاهل المشرقين

ولهُ من قصيدة في ابي الحسن عليّ بن مرّة

(٣٩) اذا تبدّى عليٌّ في كتائبهِ لم يحجب الموتُ عن روحٍ ولا بدنِ

ومنها كم حال فيض نداه يوم معضلةٍ وبأسهُ بين من يرجوه والمحنِ
وتشتري نفسهُ المعروف بالثمن الا غالي ولو انها كانت من الثمنِ
امواله وعداتٌ من مواهبهِ وبأسهُ يطلبون الدهرَ بالإحنِ

ولهُ من قصيدة يمدح بها يحيى بن عبد الله

(٤٠) شمنا ندى عيناه فانبجست لنا بمواهبٍ لم تنبجس بمياهِ

ولهُ من قصيدة يمدح بها الحسن بن وهب

(٤١) وانّ لديّ للحسن بن وهبٍ حباء مثل شؤبوب الحبيّ (١)

الى ان يقول

نبتُّ على منابت منك بيضٍ كما نبت الخليُّ على الوليّ (٢)
فمن جودٍ تدفق فيهِ سيلٌ على مطرٍ ومن جودٍ أتيّ (٣)

ولهُ في مدح المأمون

(٤٢) تخذوا الحديد من الحديد معاقلاً سكانها الارواحُ والاجسامُ
مسترسلين الى الحتوف كأنما بين الحتوف وبينهم أرحامُ
آسادُ موت مخدراتٌ مالها الاّ الصوارم والقنا آجامُ

(٤٣) ولهُ من قصيدة يمدح بها المأمون

من شرّدَ الإعدامَ عن أوطانهِ بالبذل حتى استُطرف الإعدامُ (٤)
وتكفّل الأيتامَ عن آبائهم حتى وددنا أننا ايتامُ

ولهُ في مدح مالك بن طوق

---

(١) الشؤبوب: الدفعة من المطر. والحبيّ: السحاب المسف (٢) الخليّ: نبات جميل. والوليّ: المطر الذي يلي الوسميّ (٣) الأتيّ: السيل يأتي من حيث لا يدري (٤) استطرف اي اخذ طريفاً والاعدام: الفقر

(٤٤) لهُ لواءُ ندًى ما هزَّ عاملهُ الاَّ اراكَ لواء البخل منكوسا

ولهُ من قصيدة يمدح بها المعتصم

(٤٥) فاضحت عطاياهُ نوازع شُرَّبًا تسائلُ في الآفاق عن كل سائلِ (١)

مواهبُ جُدْنَ الارض حتى كانما اخذن باذناب السحاب الهواطلِ (٢)

ومنها وسارت بهِ بين القنابل والقنا عزائمُ كانت كالقنا والقنابلِ (٣)

رأوهُ الى الهيجاء اوَّل راكبٍ وتحت صبير الموت اوَّل نازلِ (٤)

ولهُ في مدح الحسن بن سهل

(٤٦) صدفتُ عنهُ ولم تصدف مواهبهُ عني وعاودهُ ظني ولم يخبِ

كالغيث ان جئتهُ وافاك ريقهُ وان ترحلّت عنهُ لجَّ في الطلب

صيغت لهُ شيمٌ غراء من ذهبٍ لكنها اهلكُ الاشياء للذهبِ

ولهُ في مدح مالك بن طرق

(٤٧) يا خاطبًا مدحي اليهِ بجودهِ ولقد خطبت قليلةَ الخطَّابِ

ولهُ في مدح العيَّاش بن لهيعة الحضرمي

(٤٨) اذا امَّهُ العافون الفوا حياضهُ ملاءً والفوا روضةً غير مجدبِ

اذا قال اهلاً مرحبًا نبعت لهم مياه الندى من تحت اهلٍ ومرحبِ

يهولك ان تلقاهُ صدرًا لمحفلٍ ونحرًا لاعداءٍ وقلبًا لموكبِ

الى ان يقول

همامٌ كنصل السيف كيف هززتهُ وجدتَ المنايا منهُ في كل مضربِ

تركتُ حطامًا منكب الدهر اذ نوى زحامي لما ان جعلتك منكبي

هذا واعلم ان لابي تمام في الجود والشجاعة اكثر مما رويت لهُ وانما اجتزأت بهذا القدر خوف الإملال . فنزِّه يارعاك الله طرف البصيرة في هذه الصور البديعة والالوان المختلفة الجميلة ترَ ان كل صورةٍ من صورهِ او لونٍ من الوانهِ كأنهُ فتاة حسناء تمتاز عمن سواها بملامح تشخصها وفي هذا دلالة على ان المواليد الفكريَّة كالمواليد البشريَّة تتفق في الحقيقة وتختلف في الصورة واما المفاضلة بينها فموكولة الى ذوقك وراجعة الى حكمك واما انا فحسبي اني ذكرت

---

(١) الشزَّب : الضوامر (٢) جدنَ : اي مطرن (٣) القنابل : جمع القنبلة وهي الطائفة من الخيل ومن الناس (٤) الصبير : السحاب

في مقالتي الماضية وجوه المفاضلة وبينت طرقها ثم ادخلتك الى غرفةٍ واحدة من غرف معرض ابي تمام وسادخلك الى غرفةٍ مشحونةٍ بالوانٍ مختلفة من نفس هذا الصنف ولكنها من معرض البحتري وبعد ذلك افتح لك باب غرفةٍ لهُ أُخرى من معرض المتنبي ولا ازيدك على هذا فاختر لنفسك ما يحلو

سعيد الخوري الشرتوني

البقاء (الخلود) [1]

ايها الأُدباء اني لا أقصد بهذه المقالة الاَّ مجرَّد البحث والتنقيب عن الحقائق وتنبيه افكار البعض من رفقائي الى اتخاذ البحث في استنباط الحقائق رائدهم والاستقراء والمقابلة مرشدهم والى عدم الاعتصام بحبال الأُولى تادوا عن المحجة الفضلى بان سطروا للناس سفاسف وترهات هي من الحقيقة براء كما جرى لاحدهم اذ كان يدافع عن مذهب داروِن ولا اعني ان هذا المذهب وهم على اساس موهوم بل ان المدافع نفسهُ لم يكن يفقه منهُ اكثر مما يفقه بائع الخضر والمرطبات او كما قال احدهم ما كتابات فولتير الاَّ وحي هبط على قلب ذلك النبي فالذين من هذا الصنف في الغالب لا ينتمون الى داروِن او الى سبنسر او الى بختر لانهم اوضحوا معالم الحقائق بل لاعتقادهم ان ذلك ينيلهم فخرًا عظيمًا وكان الاجدر بهم ان يعتصموا بالحقائق كما تظهر لهم بعد البحث والتأمل الطويل لا كما بدت لهذا او لذلك . نعم ان هذا الموضوع عسر البرهان فلا استطيع ان اقنع بهِ المكابر بالبراهين عنهُ كما اقنعهُ بان اثنين واثنين تعدل اربعة او ان ثقل الرطل عبارة عن جذب الارض لتلك المادة بقوة رطل ولكني استطيع ان اقرب لهُ الاعتقاد بالخلود من وجهٍ عِلميّ . وعليهِ اقول

ان التركيب والتحليل في معمل الطبيعة يعلماننا ان لا فناء في عالم المادة فان الصخور الخاضعة للفواعل الطبيعية من هواء ومطر وثلج وصقيع يتفتت منها اجزاء على غاية الصغر ولا يفقد منها جزء واحد حتى لو هبط الى قعر الوديان او الى اسفل اليمّ العظيم وهذه ترسب في الاماكن الغائرة حيث تتماسك وترجع صخورًا شاهقة تنطح الجوزاء . وان الاصوات على تباين شدتها التي ليست الاَّ اهتزازات في دقائق الاجسام الصائتة غير قابلة للفناء فانك اذا أحدثت صوتًا بوقع اقدامك هنا فتنتقل الاهتزازات الى ما يجاورها من اقسام الارض وتتقدم

---

(١) هذه المقالة تلاها حضرة الاديب ملحم افندي ابرهيم فريجه في احدى جلسات الجمعية العلمية العربية في المدرسة الكلية ببيروت

من دقائق الى اخرى وتعود فتراجع دورتها ولا تنتهي الاَّ بانتهاء المادة . ايضاً ان كية التبغ التي تحرقها فلا يفنى منها جزء حتى ولا جوهر من جواهرها الفردة لانهُ لو امكن لك ان تجمع ما تصاعد من الغازات وما بقي من الرماد ووزنتها جميعاً لوجدت الثقل الاصلي بعينهِ . ونفس الناموس ينطبق برمتهِ على ما يدخل الى جوف الانسان حيث يلحقهُ التغير النوعي والكمي كما يظهر . وما يدخل الاشجار من الغازات والسوائل والجوامد وما يفور من المياه في قلب الارض الخ . ففي هذه كلها عبرة للمنكرين . كذلك ذرة الهباء ونقطة الماء لا تعرفان فناء ولا تخشيان انقضاء اجل . والعناصر البسيطة التي تؤلف المركبات (كالاكسوجين والكورين والصوديوم والنكل والذهب الخ) لا يفقد جوهر من جواهرها فاذا غاب احدها من هذا المركب فلا بدَّ من وجودهِ في المركب الآخر والخلاصة ان العلوم الطبيعية وارباربها يثبتون البقاء بالتجارب والادلة الحسية

لقد أجمع علماء العقليات (السيكولوجيين) على ان القول في تساوي نهاية الحياة وبداءتها لامر بعيد المتناول يدق على الاذهان ادراكهُ ولكنهم يعتقدون بان القوة التي تسنى لها ان تعطينا الوجود تقدر ان تمنحنا الخلود ايضاً ويعتقد بعضهم ان الغرض من الجسم الحيواني في الانسان هو ان يوصل مشاعر النفس وافكارها وما يصدر عنها بالعالم المادي وبأن النفس تقدر ان تتمَّ عملها بدون تداخل الاجسام المادية وبأن هذه الحياة ليست غاية في ذاتها بل ذريعة الى حياة افضل . ولا لزوم ان اذكر القارئ الكريم باعتقادات شيوخ الفلاسفة مما يتعلق بخلود النفس كسقراط وافلاطون ومن شاكلهما ولي على خلود النفس ادلة بسيطة اوردها بغاية الاختصار

اولاً الميل الطبيعي . خذ الفلاح ذلك المخلوق الساذج واعتبر حياتهُ فانهُ حينما يستغل محصولاتهِ يفرز منها ما يحتاج اليهِ ثم يبدل الباقي بذهب لعلمهِ ان هذا ابقى من الحنطة ثم يبدل الذهب بما هو ابقى منهُ كالفرس حيث هذا لا يسرق ولا يصرف بسهولة ثم يبدل الفرس بالعلم الذي هو ابقى مما ذكر وان اغارهُ دانية القطوف دائماً ابداً وجنة العلم لا تذوي ولا تذبل كجنان النبات واعتبر ذلك في امر الملبوس فان الانسان ينتقي القماش القوي الباقي ولو كلفهُ مقداراً عظيماً من الدراهم . ولا يغرب عن الافهام ان الاهرام المشهورة والمعاهد الفخيمة التي شادها الاقدمون والكتابات على الصخور والاعمدة والقبور وتلك الاسوار المدهشة والتحنيط والعجائب السبع كلها ادلة دامغة على ان الانسان مدفوع بعامل البداهة الى محبة البقاء . استقرِ اديان البشر ولاحظ التباين في الاعتقادات وكتب

العبادة واسلوب الصلاة والطقوس والاعياد وكثرة الآلهة يبدو انهم كلهم يجمعون على ان نهاية هذا الوجود هو الخلود

تأمل الاشجار وجميع انواع الازهار تدرك معنى دقيقاً من معاني الطبيعة الا وهو البقاء فان الاشجار تثمر وتبذر بزراً حتى اذا ما ذوت الشجرة كان لنا غنى عنها بما تأتيك البزور . وفي ظهور النسل من الجيل الاول الى الجيل الآخر بحيث تحفظ القوى العاقلة والملامح والهيآت والالوان عبرة لذوي الالباب فيظهر مما تقدم بيانهُ ان كمال الطبيعة يتمّ بالبقاء وثبوت نواميسها يصرح بعدم الفناء وان الانسان نبيّ ذاتهِ ومعلن اسرار طبيعتهِ ويرى ان اعلان طبيعتهِ في البقاء

ثانياً في ان الحياة الارضية ناقصة . ان من نظر بعين نقادة الى افراد المجتمع الانساني من حيث مراكزهم ومعاملة بعضهم لبعض وسبر ذلك بمقياس الحكمة والاعتبار وصل الى نتيجة مرموز عنها بثلاث كلمات وهي استبداد . طمع . محاباة . وغاية ما تنتجهُ هذه الكلمات هضم حقوق الضعفاء وامتهانهم وشن الغارة على قليلي العدد واجتياح بلادهم وترقية المداهنين والنظر اليهم بعين الرضى . هذه هي نظرة في سكان الغبراء وهذه هي الحقيقة التي اودّ ان استخلصها : ان مجمل البشر من حيث الحقوق والواجبات سواء فالواحد من الحقوق وعليهِ من الواجبات ما للآخر وعليهِ ولما لم يكن يتسنّى ذلك هنا لزم بشرع العدل لهذه الحياة اصلاح اعني بهِ البقاء

ان من احصى اعمار البشر علم بان قسماً كبيراً منهم يموتون في سن الطفولية او قبل الحلم والرشد فالبصير الحكيم لا بدّ ان يسأل هذا السؤال وهو الا تتفتح هذه البراعم في مكان آخر حيث انها قطعت قبل اوانها ؟ لان الغاية من البراعم ان تصير ازهاراً جميلة تعطر بشذاها الارجاء ! واذا كانت الحالة كذلك فهذه الحياة ناقصة والاختلاف الظاهر بين البشر في الصفات والسجايا يدفعنا الى الاعتقاد بالبقاء ليحصل الاصطلاح والمساواة

الانسان يدرك الفضائل في ذهنهِ ادراكاً تاماً ويستعملها مقاييس يقيس عليها فضائل البشر وتراهُ كثيراً ما يقول ان ذلك شحيح بمقتهُ السواد الاعظم من الناس وهذا سريع الغضب كثير العطب وان محبة ذاك ناقصة مشوهة بالنسبة الى المحبة الكاملة المرسومة في ذهنهِ ولا تنفكُ صفات الانسان ناقصة مهما اصلحت بالتربية والانذار لاعتبارنا ان القلب المفعم بالحب لا يكون فيهِ سخيمة ولا غضب ولاحسد ولا دهاء وهذا متعذر على سكان الغبراء وهكذا قل في الصداقة فانك ترغب ان يكون صديقك صادقاً لا يبدي اقلّ خشونة يعاملك

كذاته شأن الصديق الكامل ولكن لا تعتم ان ترى منهُ نشوزًا وصدًّا وهجرانًا واجحافًا بحقك فتقول ان الخلَّ الكامل ثالث المستحيلات فهذا النقص العام لا بدَّ لهُ من اكمال اذ الكمال نتيجة لازمة لادراك النقص

ثالثًا في معرفة الاسرار وماهيات الحقائق . اجل لقد صدق ذلك الفيلسوف الحكيم القائل اني الآن اعرف بعض المعرفة ولكنني اخيرًا سأعرف كما عرفت . قال العلاَّمة الاستاذ هكسلي ان الطبيعة تبسط امامنا قضايا كثيرة وتطلب منا حلها فاذا شرعنا نتأملها وجدنا انفسنا انا من اللادريين . معارف الانسان لا تزال ناقصة وعلمهُ بكنهِ الحقائق وماهيتها سطحي فالنقص يقتفي ملازمًا لهُ مهما شحذ قريحتهُ على مسنّ التجارب ومهما زادتهُ السنون حنكةً وخبرة

ان معالم الحقائق التي اوضحها العلماء ليست بإزاء المجاهل الشاسعة الاَّ كزهو هباء في قلب الصحراء . قال سبنسر قطب دهره ان كنه الحقائق يزداد غموضًا كلما زدنا فيهِ بحثًا فهو كالظلمة الدهماء التي نقصد ان نمزقها بشعاع شمعة ضئيلة . وعلى ما يخيل لي ان حياة العالم الطويلة تنشيء قضايا معضلة اكثر مما تحل فتراهُ يعلل النفس بأمل حلها في المستقبل العاجل . فاذا اعتبرنا ما تقدم بيانهُ وجب الاعتقاد بالخلود لتتمتع النفس بالحقائق التي كانت تجهلها وتدرك كنهها وماهيتها ادراكًا كاملاً

رابعًا الناموس الطبيعي كل شيء في الطبيعة مزدوج الواحد ضد الآخر فهو نور وظلمة راحة وتعب سعادة وشقاء والطبيعة لا تعرف الوجوه بل تعمل بالعدل ولا تخاف لومًا ولا ترهب وعيدًا وكأن لسان حالها يخاطب الشمس قائلاً انتِ يا ملكة النور ومصدر الحياة اعلمي بانك لو عرجت عن السبيل المستقيم لاسقطت بك الى قعر الجحيم وهي تنادي كل عمل لا بد لهُ من جزاء وان خفي على الناس فعلي لا يخفى حيث اني ارى ما يُرى وما لا يرى . ألا تبصر كيف اذا اهف خدنيك لقيت هوانًا وان ضربت زيدًا لزمك القصاص ولا تنسَ انك ستحاسب على افكارك ونياتك كما تحاسب على سلبك ونهبك فان المحاسبة على الاثام للانام والمحاسبة على الافكار للذي يحكم على الاقدار فالواجب لا يترك حقهُ وحكمهُ لا ينفذ الاَّ في محكمة البقاء

باب الزراعة

خمر ولا سكر

الخمر مسكرة ولكنها لا تكون مسكرة حينما تعصر من العنب بل تتولّد المادة المسكرة فيها بعد ذلك بواسطة ميكروبات الاختمار فانها تحلّ السكّر الذي فيها الى مادتين الواحدة غاز الحامض الكربونيك الذي يخنق من يتنفسهُ والثانية الالكحول الذي يسكر من يشربهُ فمادّة الاختمار تتلف سكّر العنب وتحولهُ من مادة نافعة الى مادّة ضارّة

وقد قام رجل في جنوبي فرنسا اسمهُ المسيو بيرون لهُ كروم عنب واسعة وانشأ معملاً كبيراً يعصر فيهِ العنب و يعالج العصير حتى لا يدخلهُ الاختمار مطلقاً فيبقى كما كان حال عصرهِ حتى اذا شربهُ الانسان شعر انهُ يأكل العنب او يشرب عصيرهُ. وارسلت مجلة المجلاّت الانكليزية رجلاً الى هذا المعمل فرآهُ ورأى كروم العنب ووصف ما رآهُ في مقالة سهبة لخصنا منها ما يلي

قال الكاتب ان اسلوب الطبيعة مزدوج فهي تبني دواماً وهي تهدم دواماً تجمع وتفرّق تركّب وتحلّل على الدوام. كأن الحياة دولاب كبير يلتقط دقائق المادة ويحولها الى مادة نباتية حيّة بقوة الحياة العجيبة ثم ينقلها الى اجسام الحيوانات فتتحوّل فيها الى ما هو اكثر تركيباً من مواد النبات. وكأن مقدرة الحياة تنتهي هناك و يفرغ مجهودها فيدور بها الدولاب وتموت الاجسام الحيّة ولكنها لا تبقى متراكمة بعضها فوق بعض لان في الارض ملايين لا تحصى من الميكروبات مهيأة لكي تقبض عليها وتغتذي بها وتحلها الى عناصرها الاصلية او الى اجسام اقل تركيباً مما كانت عليهِ وهذا الانحلال او الاختمار او الفساد مستمرّ كاستمرار تركّب الاجسام الحيّة من الاجسام غير الحيّة

هذا النظام الطبيعي بديع في ذاتهِ لكنهُ قد يضرّ الانسان في بعض احوالهِ وقد بحث الانسان للوقوف على حقيقتهِ لعلهُ يزيل ضررهُ فاكتشف ان كل انواع الاختمار والفساد ناتجة عن فعل الميكروبات او الجراثيم الحيّة فاذا أزيلت هذه الجراثيم او أبعدت عن المواد امتنع اختمارها او فسادها. وهذا الاكتشاف اعظم اكتشافات القرن الماضي ولا شيء بقي المواد الآلية سواء كانت لحماً او لبناً او ثمراً او عصيراً مثل ابعاد جراثيم الفساد والاختمار عنها فانها توقى بذلك من الفساد والاختمار وتحفظ سليمة مدى الدهر

وهذا الامر بسيط لذاتهِ ولكن جراثيم الاختمار والفساد لا تعدُّ بالعشرات والمئات حتى يسهل اتقاؤُها بل تعدُّ بالملايين وملايين الملايين ولا تكاد توجد بقعة خالية منها

لما حاول المسيو بيرون ان يمنع الاختمار عن عصير عنبهِ علم ان عليهِ ان يحارب جيوش الميكروبات وهي لا تعدُّ ولا تحصى ولا يخلو مكان منها وان يجعل عصيرهُ بحيث لا تصل اليهِ اينما ارسلهُ

اذا كان مقدار العصير قليلاً فقد لا تكون الصعوبة كبيرة في منع الميكروبات عنهُ وازالتها منهُ لانهُ اذا وُضع في زجاجة ووضعت الزجاجة في ماءٍ غالٍ فحرارة الماء تقتل كل جراثيم الاختمار النامية فيهِ ثم اذا ترك قليلاً حتى تنمو بزور جراثيم الاختمار التي فيهِ ووضعت الزجاجة في الماء الغالي ثانية حتى ماتت هذه الجراثيم الثانية وسدَّت الزجاجة سدًّا محكماً يمنع دخول الغبار والهواء اليها بقي العصير فيها سالماً من الاختمار الى ما شاء الله ولكن ما يسهل عملهُ بالزجاجة الواحدة لا يسهل اذا كان العصير الوفاً من القناطير واريد ان لا يبقى فيهِ جرثومة واحدة من جراثيم الاختمار وهي تكون عادة من خمسة ملايين جرثومة الى ستة ملايين جرثومة في كل اوقية من الخمر الفرنسوية

وقبل ان اصف للقارىءِ كيفية نزع جراثيم الاختمار من العصير ووقايتهِ منها اخبرهُ كيف وجدت كروم العنب وكيف يقطف العنب منها

يقوم الفرنسويون باكرًا الى اعمالهم فقمت معهم الساعة السادسة صباحاً وتبعتهم الى الكروم في طريق كثير الغبار فرأيت العنب قد احمرَّ بعضهُ واسودَّ البعض الآخر وجعل الكرَّامون يقطفون العناقيد بالسكاكين لان بعضها يصعب قطفهُ باليد . وعصير العنب ابيض ولو كان جلد العنب اسود ولا تسود الخمر غالباً اذا كان عنبها اسود الاَّ بعد الاختمار ولكن من العنب ما يكون لون عصيرهِ محمرًّا ولو لم يختمر . وتوضع العناقيد بعد قطفها في صناديق كبيرة وتنقل على العربات الى المعصرة فتعصر بين اسطوانتين كبيرتين من الحديد فيخرج بعض عصيرها ويبقى البعض الآخر ثم تعصر ثانية بمعاصر قوية تدار بالكهربائية فلا يبقى في القشر الاَّ قليل جدًّا من العصير وهذا القشر علف جيد للمواشي اذا لم يختمر . ويجري العصير من هذه المعاصر في قناة كبيرة يجري فيها نحو الفي جالون في الساعة ويصب في حوض كبير من السمنت وتكون جراثيم الاختمار في انتظارهِ هناك فتمتزج بهِ حالاً . وفي عمل الخمر العادية تترك هذه الجراثيم لتفعل فعلها فيختمر العصير ويصير خمرًا اي ان العنصر الفعال في الخميرة وهو الديستاس يقبض على دقائق سكر العنب ويحلها الى الكحول وحامض كربونيك والى مواد اخرى غير مهمة لقلة مقدارها

لكن المسيو بيرون يمنع ذلك في معمله فانهُ وضع فيهِ آلةً لمنع الاختمار بطريقة بستور اي بالتسخين وهي الطريقة المسماة بسترة نسبة الى بستور مستنبطها وهذه الآلة كبيرة جداً تبستر ٤٥٠٠ جالون من العصير في الساعة وهي تدار بآلتين بخاريتين قوة كل آلةٍ منهما ١٠٠ حصان وفيها حوضان كبيران من الحديد في كلٍّ منهما اربع مئة انبوب من القصدير التي فيمر العصير في هذه الانابيب وهو جارٍ من حوض السمنت ويكون البخار محيطاً بها فيحفظها على درجة محدودة من الحرارة ويخرجهُ الطلبات البخارية من الانابيب بعد ان يقيم فيها ٤٥ ثانية لا غير ثم يعاد الى الحياض والى انابيب اخرى حتى تتم بسترتهُ فتموت منهُ كل الجراثيم الحية التي دخلتهُ من عصره وترسب فيهِ فيصفى بالترشيح ويوضع في آنية لكي يبرد فيها ويجب الحذر التام لئلاَّ يدخلهُ حينئذ هواءٌ غير نقي او فيهِ شيءٌ من جراثيم الاختمار فلا يمكن تركهُ مكشوفاً للهواء ولا يمكن سد الآنية التي يوضع فيها سداً محكماً لان العصير يقلُّ حجمهُ حينما يبرد فتنضغط جدران الآنية الى الداخل بضغط الهواء الجوي وتشقق فيترك مكان مفتوح يوصل بهواء منقًّى حتى اذا برد العصير دخل اليهِ هذا الهواء دون سواهُ

ولا بدَّ بعد البسترة من عملية اخرى تسمَّى التندلة نسبة الى الاستاذ تندل الانكليزي فان التسخين الاول يقتل الجراثيم النامية ولكنهُ لا يقتل بزورها التي قد تكون في العصير فيترك العصير مدة الى ان تنمو هذه البزور كلها ويسخَّن حالاً قبلما يمر وقت كافٍ لتتولَّد بزور اخرى منها فتستأصل الجراثيم من العصير

ولا بد بعد التندلة من تبريد العصير بآلات التجليد حتى يصفو ويروق ويصير برَّاق اللون ويحقَّق موت كل جراثيم الاختمار منهُ

الزراعة في السودان

تمهيد

أبنَّا في مقالات سابقة ان اطيان القطر المصري ستضيق على سكانهِ في المستقبل القريب لان السكان يزيدون نحو اثنين في المئة كل سنة ويتضاعف عددهم في نحو ثلاثين سنة واما الاراضي الزراعية والتي يمكن ان تزرع فمساحتها محدودة لا تبلغ سبعة ملايين فدان فلا يمضي عشرون سنة حتى تضيق البلاد بسكانها ويضطروا الى المهاجرة وليس لديهم بلاد زراعية يمكن الانتقال اليها الاَّ بلاد السودان وهي على اتساعها قليلة السكان جداً وما يزرع منها الآن لا يعد شيئاً بالنسبة الى ما يمكن زرعهُ فعدد السكان لا يزيد على مليون وثمانمئة

الف نفس وهي لو سكنها اربعون او خمسون مليوناً من النفوس لوجدوا فيها كل اسباب المعيشة ميسورة لهم كما هي ميسورة في القسم الجنوبي من الولايات المتحدة الاميركية

هذه البلاد الشاسعة لا يزرع منها الآن سوى ثمانمئة او تسع مئة الف فدان مما يروى بالمطر ونحو مئتي الف فدان مما يروى بالسواقي والشواديف ونحو مئة الف فدان مما يروى بفيضان النيل . وليس فيها من المواشي الا نحو مئتي الف من البقر ومئة الف من الجمال وسبع مئة الف من الغنم وستمئة الف من المعزى . وتجود فيها كل المزروعات التي تزرع في القطر المصري كالقطن والقمح والذرة والشعير والفول والسمسم والبصل والخروع وفيها غابات فسيحة مملوءة باشجار السنط وهو من اجود الانواع وصمغها العربي مشهور والمانع الاكبر لاتساع نطاق الزراعة فيها قلة سكانها واكتفاؤهم بالكفاف من العيش حتى اذا استغل احدهم ما يكفيه طعاماً من الذرة انقطع عن العمل الى ان يأكل كل ما عندهُ منها . لكن هذه الحال لا تدوم بعد ان تتغير اساليب المعيشة وتكثر لوازمها . ويتلو هذا المانع مانع آخر وهو غلاء اجرة النقل ولكن لا بدّ من مدّ سكك الحديد الى كل اطراف السودان وتسهيل الملاحة في النيل فيسهل نقل الحاصلات الى المرافىء البحرية ويرخص وحينئذٍ تصير السودان تصدر من حاصلاتها كما يصدر القطر المصري من حاصلاتهِ . واذا تمّ التحكم بماء النيل على ما اشار اللورد كرومر والسر وليم جارستن لم يبقَ مانع من صيرورة بلاد السودان في مقدمة البلدان الزراعية اذا سرت روح الهمة والنشاط في عروق سكانها وانضمّ اليهم اناس خبيرون بالزراعة مهتمون بها مثل فلاحي القطر المصري . ومما يقوّي الآمال بحسن المآل اهتمام حكومة السودان بما يقوي الزراعة فانها قد اخذت من الآن في درس طبائع البلاد ومزروعاتها درساً دقيقاً محكماً حتى اذا انشأت مدرسة زراعية تكون على علم في ما يجب ان تعلمهُ لتلامذتها . وهذا الامر ليس شيئاً مذكوراً بالنسبة الى اهتمامها بتنشيط الاهلين للاعتناء بالزراعة ومنع الآفات الطبيعية التي تصيبها والاهتمام بامراض المواشي وتسهيل سبل النقل واقامة المعارض الزراعية ونحو ذلك مما سنذكرهُ مفصلاً

اراضي السودان الزراعية

بلغت مساحة الاطيان التي زرعت في العام الماضي في بلاد السودان ١٠٦٣٩٤٢ فداناً اى مليوناً ونحو ٦٤ الف فدان وهي مقسومة ثلاثة اقسام الاول يروى بالمطر لا غير وكانت مساحتهُ في العام الماضي ٨٥١٦٢٨ وفي العام الذي قبلهُ ٨٤٦١٠٣ والثاني يروى بالسواقي

والشواديف والآلات البخارية وكانت مساحتهُ في العام الماضي ١١٧٠٧٣ وفي العام الذي قبلهُ ١٠٨٣١٢ والثالث يروى بمياه الفيضان وكانت مساحتهُ في العام الماضي ٩٥٢٤١ وفي العام الذي قبله ٨٤١١٦ . وهذه الاراضي تزرع ذرة وسمسماً ودخناً وتبغاً وقمحاً وشعيراً وبصلاً وفولاً وقطناً ولوبياء ومزروعات أخرى مختلفة وتختلف غلة الفدان باختلاف طرق الري فالذرة التي تروى بمياه المطر يبلغ متوسط غلة الفدان منها نحو اردبين ونصف والتي تروى بالآلات يبلغ متوسط غلة الفدان منها نحو خمسة ارادب والتي تروى بماء الفيضان فقط يبلغ متوسط الفدان منها اقل من ثلاثة ارادب . وقد بلغت مساحة الاطيان المزروعة قطناً في العام الماضي مما يروى بالآلات ٦٤٤٨ فداناً وبلغ محصولها ٣٩٣٦٧ قنطاراً صغيراً كل قنطار منها مئة رطل فمتوسط محصول الفدان نحو قنطارين كبيرين . وبلغت مساحتها مما يروى بماء الفيضان والآلات الآخذة من ماء الفيضان فقط ٩٧٣٤ فداناً ومحصولها ٤٤٥٠٧ قنطاراً صغيراً او اقل من قنطار ونصف بالقنطار المصري الكبير

هذا هو المتوسط وهو قليل جدًّا في كل ما تقدَّم ولا بدَّ من ان يكون محصول بعض الاطيان اكثر من ذلك كثيراً ومحصول البعض الآخر اقل من ذلك والاراضي التي يمكن زرعها اضعاف اضعاف ذلك ولو بلغ عدد سكان السودان عشرين مليوناً من النفوس لوجدوا اراضي زراعية تكفيهم ولكن يتعذر ري هذه الاراضي من النيل ولو باستخدام مياه الفيضان في اواخره والاراضي التي يرويها المطر واسعة النطاق جدًّا ولكن لا يعلم حتى الآن هل مطرها منتظم ولو بعض الانتظام كمطر بلاد الشام وبلاد الهند حتى يصح الاعتماد عليهِ او هو غير منتظم فيغزر سنة ويقلُّ اخرى فلا يصحُّ الاعتماد عليهِ ولا بدَّ من ان يعلم ذلك جيدًا بعد البحث والتحري

خصب اطيان السودان

لم نكد نصل مدينة الخرطوم حتى ذهبنا الى بعض الاراضي الزراعية المجاورة لها وشاهدنا زراعة القمح والقطن والذرة البيضاء . والاطيان التي شاهدناها تعلو عن النيل الآن نحو سبعة امتار وهي مؤلفة من الطمي كلها ويغمرها النيل وقت الفيضان وتروى الآن بالآلات البخارية وغير المزروع منها سهل منبسط لا يحتاج الى تقصيب ولا الى مصارف . والذي زرع مقسوم الى حواش او حياض صغيرة لحفظ المياه . والقمح بعضهُ كاد يفرك وهو جيد جدًّا يقدَّر محصول فدانهِ بخمسة ارادب الى ستة وبعضهُ لا يزال حبهُ لبناً ويقدَّر محصول فدانهِ

باربعة ارادب الى خمسة . والقطن الذي شاهدناهُ اكثرهُ من النوع العفيفي او العباسي وبينهُ اشجار من القطن الهندي . ونموُّهُ جيدٌ جدًّا يكاد ارتفاع بعض اشجارهِ يبلغ مترين ولوزهُ كبير ولكنهُ غير كثير بالنسبة الى نموّ الشجر والتيلة بعضها طويل يبلغ بوصة وربع بوصة الى بوصتين وبعضها يقلُّ عن بوصة وهي دقيقة ناعمة متجعدة غير مستوية . وقد قدرنا محصول الفدان من الاطيان التي شاهدناها بخمسة قناطير وربما خمسة قناطير ونصف من القناطير الكبيرة ولكننا رأينا في اكثر اللوزات التي نظرنا فيها كثيرًا من الحشرات الصغيرة وهي زيزان كالقمل حجماً ولا شبهة في انها تتلف لون القطن اذا حلج وهي فيهِ وقد رأينا حشرات مثل هذه في بعض القطن الذي يزرع في القطر المصري قرب القاهرة ولكنها اكبر جرماً وأخبث رائحة . وقد قال مدير الخرطوم في تقريره عن سنة ١٩٠٥ ان المسيو انجلو كاباتو ارسل قطنهُ الذي زرعهُ في جوار الخرطوم الى الاسكندرية وباعهُ فيها فبلغ ما بقي لهُ من ثمن القنطار بعد طرح مصاريف الشحن ٢٣٩ غرشاً وخطار افندي كنعان ارسل قطنهُ ايضاً الى الاسكندرية واطيانهُ في جوار اطيان كاباتو فبقي لهُ من ثمن القنطار بعد طرح مصاريف الشحن ٢٩٠ غرشاً . وقد مدح المستر برون هذين الرجلين على همتهما وقال ان بلاد السودان تحتاج الى فلاحين ذوي همة واقتدار مثل المسيو انجلو كاباتو وخطار افندي كنعان

النخل في السودان

لا يخفى ان تمر السودان من اطيب انواع التمر . والنخل يجود على ضفتي النيل في بلاد السودان كما يجود في القطر المصري حتى لا تكاد تجد بقعة خالية منهُ من اصوان فصاعدًا ويقال انهُ كثير جدًّا في مديرية دنقله فقد كان فيها في العام الماضي ٣٦٦٠٠٠ نخلة كبيرة عدا الالوف من النخل الصغير ولابدَّ من زيادة الاعتناء بغرس النخل بعد ما تمت سكة كريمة

واكثر التمر يصدر الآن من البصرة فيبلغ ثمن ما يصدر منها سنويًّا ٣١٣٠٠٠ جنيه ويصدر من تونس اكثر من ٣٠٠٠٠٠ قنطار ومن جدة ٦١٠٠٠ قنطار ومن الحديدة ٤٠٠٠٠ قنطار ومن بربرا ٩٨٠٠٠ قنطار ومن البحرين ٧٧٠٠٠ قنطار ومن بندر عباس ١٩٠٠٠ قنطار ومن المحمرة ٧٩٠٠٠ قنطار (من تقرير مدير زراعة السودان)

الجمعية الزراعية الخديوية

ارسل صاحب الدولة البرنس حسين باشا كامل رئيس الجمعية الزراعية الخديوية الكتاب الآتي الى نظارة المعارف وهو

معارف عمومية ناظري سعادتلو افندم حضرتلري

اتشرف بان اخبر سعادتكم انهُ نظرًا لاتساع نطاق اعمال الجمعية الزراعية الخديويَّة فهي مستعدة لاستخدام عدد ليس بالقليل من الطلبة الحاصلين على دبلوم مدرسة الزراعة وذلك لان التعليم بهذه المدرسة يوافق حاجات الجمعية غير ان عدد من نالوا دبلوم المدرسة المذكورة في السنوات الاخيرة لم يكن كافيًا لاحتياجاتنا الآخذة في الازدياد من يوم الى آخر اذ يمكن للجمعية ان تستخدم سنويًا من ستة الى عشرة من هؤلاء الطلبة

والوظائف الفنية التابعة للجمعية بالاقاليم يشغلها الآن متخرجون من هذه المدرسة وترغب الجمعية في حفظ الوظائف التي من هذا القبيل لمثل هؤلاء الطلبة على قدر الاستطاعة

وللجمعية مندوبون بكثير من المديريات وسيكون لها مندوبون بسائر المديريات عند ما يتيسر لها الحصول على الموظفين الفنيين اللازمين ثم توسع الجمعية في هذا المشروع بتعيين مندوبين لها في المراكز على الراجح

ومساعدو التفتيش الذين يؤدون وظائف السكرتارية بالمأموريات في المديريات جار تعيينهم براتب شهري قدرهُ ١٥ جنيهًا مصريًا عدا خمسة جنيهات تعطى لكلٍ منهم في كل شهر بصفة مكافأة والذين تعينوا في اول الامر بلغت رواتبهم عشرين جنيهًا مصريًا في الشهر اما مكافاءاتهم فقد بلغت عشرة جنيهات في كل شهر وبما ان توسيع نطاق الجمعية وتعيين مندوبي المديريات والمراكز يتوقف على وجود الرجال الفنيين فالجمعية مستعدة لاستخدام صفوة الطلبة بعد خروجهم من المدرسة فالذين يحصلون على الدبلوم ولم يكونوا حاصلين على شهادة الاهلية او شهادة الدراسة الثانويَّة تعينهم الجمعية في اول الامر براتب شهري قدرهُ ١٠ جنيهات مصريَّة اما الذين يكونون حائزين لاحدى الشهادتين المذكورتين علاوة على الدبلوم فيعطون راتبًا شهريًا قدرهُ ١٢ جنيهًا مصريًا في بادىء الامر ويكون تعيينهم على سبيل التجربة لمدة سنة على الاقل وسنتين على الاكثر حتى اذا حسنت الشهادة في حقهم يرقون الى وظائف مندوبين اما وظائف المفتشين التي تخلو فيعين فيها الاليق من مساعدي التفتيش وهذا الترقي يتوقف على اهلية الموظف انما يفضل من يكون حائزًا لشهادة الدراسة الثانوية ويوجد الآن بالجمعية مفتش تخرج من هذه المدرسة وراتبهُ الحالي ثلاثون جنيهًا مصريًا في الشهر

وبما ان مدرسة الزراعة هي المكان الوحيد بالقطر المصري الذي يعلم فيهِ التعليم الموافق لحاجات الجمعية فيهمها معرفة عدد الطلبة الذين يحرزون دبلوم هذه المدرسة سنويًّا وترى الجمعية انهُ من صالح الآباء الاستفادة بما يعلم في هذه المدرسة سواء كانوا يرغبون في اعداد ابنائهم لزراعة اراضيهم او استخدامهم بالوظائف التي لها علاقة بالزراعة ولا يخفى ان نجاح القطر وتقدمهُ مرتبط تمام الارتباط بمهنة الزراعة

فاجابهُ سعادة سعد باشا زغلول ناظر المعارف بالكتاب الآتي

الى صاحب الدولة الامير حسين كامل باشا

تشرفت بورود خطاب دولتكم المؤَرَّخ في ١٠ يناير الجاري الذي اخبرتموني بهِ ان الجمعية الزراعية ستحفظ الوظائف الفنية التي تخلو بها لمتخرجي مدرسة الزراعة بقدر الاستطاعة واني على يقين من ان الفوائد الجليلة التي ستحصل عليها من تستخدمهم الجمعية من هؤُلاء الطلبة لا بدَّ وان توجد عظيم الرغبة لطلبة المدرسة وآبائهم كما ان استعداد الجمعية الزراعية لاستخدام الشبان الحاصلين على دبلوم فن الزراعة مما يساعد على زيادة الاقبال على هذه المدرسة ويزيد التلاميذ تشجيعًا وتنشيطًا ولذلك تقدم نظارة المعارف العمومية لدولتكم عظيم الشكر وجزيل الثناء على حسن اهتمامكم بتوسيع نطاق الزراعة وتقدمها في البلاد وعلى ما اظهرتموهُ من العناية الخصوصية بنجاح مدرسة الزراعة افندم

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

اقترحت مجلة البركتشنر الطبية على جماعة من مشاهير الاطباء ان يكتب لها كلٌّ منهم فصلاً عن الانفلونزا يذكر فيهِ خلاصة اختبارهِ في انتشارها وعلاجها فصدر عدد دسمبر وفيهِ ١٦٠ صفحة مخصصة لهذا الموضوع

وقد اتفق الكتَّاب على نصح من يصاب بالانفلونزا بان ينام في سريرهِ حالما يشعر بها . وقال السر وليم برودبنت انهُ وجد الكينا أنجع علاج لها وان الوصفة التي يصفها غالبًا

للصابين بها هي درهم من الكينا النشادرية ودرهمان من سائل خلاّت الامونيا تعطى كل ساعة مدة ثلاث ساعات ثم كل اربع ساعات . واذا غاب المصاب عن الرشد حقنهُ تحت الجلد بمقادير كبيرة من هيدروبرومات الكينا فتفيده كثيرًا . وعنده ان الكينا مفيدة جدًّا في التوقي من الانفلونزا . فخير علاج للوقاية منها ومن شدتها الكينا والفراش

وقال السر ديس بكورث ان الانفلونزا تكثر في الذين يترددون على باريس وسواحل البحر المتوسط لانها تصل اليهم بالعدوى من نومهم في اسرة سكك الحديد التي نام فيها غيرهم من المصابين بالانفلونزا

وقال السر جون مور ان عدد الوفيات بالانفلونزا لا يزيد على اثنين في المئة لكن الانفلونزا تبقي اثرًا سيئًا في القلب فانها تسمّهُ سمًّا ولذلك فهي تفتك بالذين قلوبهم دهنية ومدمني المسكرات . والذين يصفون الاشربة الروحية للصابين بالانفلونزا لانعاش قواهم يضرونهم ضررًا كبيرًا . واذا كان لا بدَّ من الاشربة الروحية فيجب ان تكون جزءًا من الطعام وان تستعمل مدة قصيرة كأنها دواء

وقال الدكتور ارثر نيوزهلم ان خير الوسائط لمنع انتشار الانفلونزا عزل المصابين بها حتى لا يخالطوا الاصحاء ولا نعلم المدة اللازمة لعزل المرضى ولكن اذا اقام كل مريض عشرة ايام في غرفتهِ ولم يخالط احدًا قلَّ انتشار الانفلونزا جدًّا لانها معدية حتمًا

وقال احد الاطباء ان الهواء النقي افضل علاج للانفلونزا واشار بانشاء مصاحّ لها مثل مصاحّ المسلولين

منع البعوض (الناموس)

لم تبقَ شبهة في ان البعوض يتولد في المياه الراكدة كما ابنا ذلك مرارًا ولم تبقَ شبهة ايضًا في انهُ اذا اهتمَّ كل الناس بمنع ركود الماء في بيوتهم وحولها زال البعوض تمامًا . ولكن اذا نسي اناء فيهِ ماء في المطبخ او الحمام او غرفة النوم او كان حول البيت حديقة فيها بركة ماء صغيرة او ركد الماء في حفرة او حفظ في اناء على السطح لاجل غسل الثياب فكل ماء يترك كذلك بضعة ايام يكون سببًا لتولد الناموس لان الناموس يقصدهُ ويبيض فيهِ ويتولَّد من بيضهِ دود يعيش في الماء ثم يصير ناموسًا . فالسبيل الوحيد لمنع تولُّد الناموس في البيوت ان تنتبهَ ربتهُ الى كل آنية الماء ولا تدع الماء يقيم فيها بضعة ايام

الَّا انهُ اذا اعتنت ربةُ بيت بمنع تولُّد الناموس في بيتها فقد لا يعتني جاراتها اعتناءها

فيتولّد الناموس في بيوتهنّ ويصل الى بيتها فيجب ان يكون الاعتناء تاماً شاملاً حتى تستأصل شأفة الناموس من البيوت كلها

واذا اعتنى كل اصحاب البيوت هذا الاعتناء وكان على مقربة منها بُرَك ماء راكد تولّد الناموس فيها وطار منها الي البيوت المجاورة لها فيجب على الحكومة او المجالس البلديَّة ان تنزح مياه كل المستنقعات ولا تترك ماء راكداً بالقرب من المساكن واذا تعذّر نزحها وجب ان تصب فيها زيت الكاز (البترول) حتى يمتنع تولُّد الناموس فيها

ونحن نكتب هذه السطور الآن من مدينة الخرطوم وقد نمنا الليلة البارحة والتي قبلها من غير كلة (ناموسية) ولم نرَ بعوضة واحدة ولا ذبابة مع ان هذه المدينة كانت مشهورة بكثرة بعوضها وذبابها وكثرة الحميات الملارية فيها ولكن لما اهتمت حكومتها بمنع تجمع المياه في بيوتها وبصب زيت البترول في البرك المجاورة لها امتنع تولد البعوض فيها

وقد يظن لاول وهلة ان صب زيت البترول في مدينة يحيط بها النيل والبرك من كل ناحية يقتضي نفقات كثيرة جدًّا ولكن ليست الحال كذلك لان مياه النيل جارية فلا يتولد فيها بعوض فيصب زيت البترول في البرك التي تبقى على جانبيهِ بعد هبوط مائهِ والنفقات السنويَّة اللازمة لذلك لا تزيد على ثلاثمائة جنيه . وما تمَّ في مدينة الخرطوم يمكن ان يتم في كل مدينة من مدن القطر المصري وفي كل قرية من قراهُ اذا عرف ولاة الامر الحقائق المتقدمة وعملوا بها ولكن عملهم لا يجدي نفعاً مالم تنتبه ربات البيوت الى منع ركود الماء في البيوت وفي ما حولها

والبعوض يقلق السكان اشد القلق كما لا يخفى ولكن لا يقتصر ضررهُ على ذلك بل قد ثبت الآن ان الحمى الملارية مسببة عن لسع نوع منهُ وكذلك الحمى الصفراء . وان مرض الدنج (ابا الركب) مسبب عن لسع البعوض العادي . اي ان البعوضة التي تلسع المصاب ثم تلسع السليم تنقل العدوى بخرطومها من الاول الى الثاني وهذا الامر وحدهُ كافٍ لبذل اشد الاعتناء في منع تولد البعوض في البيوت وما جاورها

الضرر من زيادة الاعتناء

اخبرنا احد اصدقائنا الاطباء بالامس ان سيدة من اشدّ السيدات اعتناء بصحتهن أُصيبت بالحمى التيفويدية من شدة اعتنائها وذلك انها لا تأكل شيئًا غير مطبوخ ولا تشرب الاَّ ماء مقطرًا وبلغ من اعتنائها ان صارت تجلب اللبن من مكان على غاية النظافة واصحابهُ

يضعونهُ في قناني ويسدونها ويختمونها وهي تفك ختامها وتشرب لبنها او تضيفهُ الى الشاي او القهوة ولشدة حرصها واعتنائها لم يتيسر لميكروب التيفويد ان يدخل جسمها ويطعمهُ . والظاهر انهُ اتفق ذات يوم ان أضيف الى اللبن ماء غير نقي او غسل اناؤهُ بماء غير نقي فدخلهُ قليل من ميكروب التيفويد ولما لم يكن جسمها معتاداً عليهِ أثر فيهِ شديداً فأصيبت بالحمى التيفويدية

وهذا التعليل صحيح والمرجح ان ميكروب الحمى التيفويدية وصل الى هذه السيدة على هذه الطريقة او وصل اليها من اكلها الخس ونحوه من البقول التي تؤكل سلطةً لان هذه البقول تروى بماء غير نقي وتغسل بماء غير نقي ۰ وكيفما كانت الحال فالذين اكلوا معها واجسامهم معتادة ميكروب التيفويد لم يؤثر فيهم كما أثر فيها. فهل الاصلح للانسان والحالة هذه ان يواظب على اتقاء اسباب الامراض او الاصلح لهُ ان لا يتقيها بل يعرّض نفسهُ لها حتى يعتادها جسمهُ ولا تعود تفعل بهِ

لا شبهة ان التوقي اسلم عاقبة وان وفيات الذين لا يتقون اسباب الامراض اكثر من وفيات الذين يتقون اسبابها

الصحة وازدياد السكان

أثبت بعضهم بالاحصاء ان متوسط عمر الذكور في الاماكن الزراعية ببلاد الانكليز ٥١ سنة ومتوسط عمر الاناث فيها ٥٤ سنة ولكن متوسط عمر الذكور في مدينة منشستر نحو ٢٩ سنة ومتوسط عمر الاناث نحو ٣٣ سنة فالذي يولد في المدينة يخسر ٢٢ سنة من عمره اذا كان ذكراً و٢١ سنة اذا كان انثى . ثم ان اولاد المدن لا يستطيعون ان يجاروا اولاد الارياف اذا تساوت وسائط الفريقين كما يظهر من المقابلة بين اولاد المدن واولاد الارياف بعد ان يقضوا بضع سنوات في المدارس فان اولاد المدن يفوقون اولاد الارياف في السنوات الاولى ثم تنقلب الحال ويصير السبق لاولاد الارياف

فالذي يولد في المدن يخسر جسداً وعقلاً بالنسبة الى ما يمكن ان يكون لو ولد في الارياف ولكن الوسائط قلما تتساوى لاولاد المدن واولاد الارياف ۰ والغالب ان تكون وسائل النجاح لاولاد المدن اقوى واكثر. ومن استطاع ان يولد اولادهُ في الريف ويربوا فيهِ الى ان يبلغوا اشدهم يفيدهم جسداً وعقلاً اكثر مما لو خلف لهم ثروة طائلة

الطماطم

كتبت السيدة لوسي يانس في كتاب الطبخ الفرنسوي تقول :—

كان الطماطم من اندر الخضر واغلاها فصار الآن من اكثرها شيوعاً وارخصها وصار الناس يأكلونهُ في الشوارع من غير طبخ كما يأكلون الكرز والتفاح وشاع استعمالهُ في الطبخ حتى لا يكاد لون من الطعام يخلو منهُ . واذا أُكل نيئاً من غير طبخ فهو من اطيب الاثمار وانفعها ولكن يجب ان يكون جديداً ناضجاً من اصلهِ لكي يؤْكل نيئاً او سلطةً

وسلطة الطماطم تتبَّل بالملح والبهار والخل والزيت واذا قطعت بصلة صغيرة قطعاً دقيقةً جدًّا وأُضيفت اليها زاد طعمها طيباً وهي اطيب من سلطة الخيار والقثاء

ويطبخ الطماطم بوره كما يطبخ الاسبانخ ويؤْكل مع اللحم سواء كان لحم ضان او لحم عجل او لحم دجاج او لحم حمام وذلك بشيّ اللحم وتقديمهِ مع الطماطم المسلوق (بوره)

وبقايا اللحم تقلى قليلاً وتوضع على الطماطم المسلوق وهو سخن حتى تسخن معهُ فيكون منهما لون جيد الطعم . ويحتاج الطماطم الى كثير من البهار ليجود طعمهُ ويحسن ان يضاف اليهِ قليل من الفلفل ايضاً

شوربة الطماطم

هي اسهل انواع الشوربا استحضاراً واطيبها طعماً . وتستحضر هكذا :— يقطع الطماطم قطعاً صغيرة ويقلى بقليل من السمن او الزبدة على نار خفيفة مدة نصف ساعة على الاقل . وتقطع جزرة اقماراً رقيقة وبصلة صغيرة وتقليان في مقلاة اخرى ثم يصفى الطماطم بمصفاة لتنزع قشرهِ وبزرهِ ويضاف اليهِ ما يكفي من الماء الغالي . ثم تمزج ملعقة صغيرة من دقيق البطاطس بقليل من الماء البارد ويضاف ذلك الى ماء الطماطم ويضاف اليهِ ملح وبهار وفلفل ويترك حتى يغلي جيداً ثم يضاف اليهِ الجزر والبصل ويمزجان بهِ جيداً ويترك الجميع على نارٍ خفيفة ويحسن ان تقلى قطع صغيرة مكعبة من الخبز وتوضع في اسفل الاناء الذي تصب الشوربا فيهِ



علاج السل

ذكر المقتطف الاغرّ في عدد دسمبر الفائت خبر وفاة المرحوم والدي الدكتور سليم ناصيف عطية وانهُ اكتشف علاجاً لداء السل الوبيل وجرّبهُ فنجح وعليهِ اقول ان المرحوم والدي قد نجح في معالجة بعض الاصابات بداء السل منها اصابة في ابن احد اعيان القطر المصري وذلك بدواء اخذ في امتحانهِ بعد ان توفق الى ايجادهِ ولما كان القضاء لم يفسح لهُ بالاجل لتتمة هذا العمل العظيم وكان العلاج محفوظاً لذلك وضعناهُ الآن تحت الاختبار والامتحان سائلين الحق ان ينفعنا بهِ وسأوافيكم في مقام آخر بما يجدُّ من امرهِ والله حسبنا وولي السداد ناصيف سليم عطية

الحقيقة بنت البحث وام اليقين

نشر المقتطف سنة ٩٠٦ مقالة عنوانها " اعتقادات وعادات " عليها مسحة من روح الفيلسوف سبنسر فيها ان عقيدة الخلود لم تكن معروفةً عند قدماء اليهود بدليل عدم ورودها في كتبهم الدينيَّة لا نصاً ولا تلميحاً . فابتدرناهُ بآيات عديدة من كتب اليهود الدينيَّة اقتصر المقتطف على نشر ثلاث منها في الجزء ١١ من سنة ٩٠٦ فيها يثبت بالنص الواضح ان اليهود عرفوا من قدمٍ امر الخلود والبعث وصدقوهُ . ولكن المقتطف عقّب على ذلك ان مراد الكاتب الاوَّل بكتب اليهود القديمة اسفار موسى الخمسة دون سائرها . وان تلك الاسفار التي استشهدنا بها يُزعَم انها حديثة . ففهمنا من ذلك ان سبنسر او من حلَّ محلهُ يزعم قدمية كتب موسى الخمسة ويستند اليها في تأييد دعواهُ . على اننا رأينا في عدد ١٠ من المقتطف مقالة للفيلسوف سبنسر يبسط فيها استقراءاتهِ في سبق الهمجيَّة على الاخاء في تاريخ العمران ومما فيها ان اليهود ظلوا يأتون العداء وشن الغارات على من جاورهم من الامم الى ما بعد الرجوع من السبي "بازمان ساد فيها السلام" وبعد تلك الازمان على ما يزعم انزلت عليهم آية الاخاء القائلة " تحب قريبك كنفسك " فاجبناهُ بان هذه الآية من اسفار موسى الخمسة القديمة وانها قبل الرجوع من السبي بنحو الف سنة عدا عن الازمان التي ساد فيها السلام

فعقب المقتطف على ذلك ان الفيلسوف سبنسر يتابع قوماً من الزاعمين ان اسفار موسى الخمسة وغيرها من سائر اسفار الكتاب المقدس هي حديثة النشأة وكتبت بعد الرجوع من السبي . ولو كان القائل غير سبنسر والناشر غير المقتطف لما اكترثنا بما قيل وما نشر ولكن منزلة الاثنين عندنا وما لهما من الاحترام في قلوبنا توجب علينا النظر في ما اورداهُ فنقول

اولاً . ظهر مما كتبتموهُ سابقاً انكم تصدقون قدمية اسفار موسى واليها تستندون في نفي عقيدة الخلود . ولمّا اوجب ذلك عليكم تخطئة ما قالهُ الفيلسوف سبنسر عدتم فغيرتم رأيكم وقلتم بحدوث الاسفار الخمسة . فما هذا الذي نراهُ منكم . واذا صحَّ رأيكم الاخير او رأي من تنقلون عنهم وثبت ان اسفار موسى حديثة وكتبت بعد السبي فأية قوّة ترون في استنادكم اليها في نفي عقيدة الخلود

ثانياً . هل نسيتم امر السمرة الذين نشأُوا في بلاد نابلس في القرن الثامن قبل المسيح وما زالت بقاياهم الى اليوم وهم متمسكون باسفار موسى الخمسة مع انهم مشهورون بالعداء والمناظرة لليهود . فلو اخترع اليهود بعد الرجوع من السبي توراة لم تكن قبل افمن الممكن حمل السمرة على قبولها وهم على ما نعلمهُ من العداء والبغضاء لامة اليهود . فماذا يقول اولئك المغرون حين يرون ان توراة السمرة هي نفس توراة اليهود . مع انهُ يستحيل الوفاق بين الطائفتين على زيادة او تبديل او تنقيص حرف واحد او نقطة واحدة في التوراة . افلا يرون انهُ يستحيل احداث التوراة بعد السبي

ثالثاً . نعلم من التاريخ ومن الآثار الحجرية ايضاً ان مملكة العبرانيين كانت منقسمة بعد داود النبي الى قسمين جنوبي وعاصمتهُ اورشليم ويسمَّى مملكة يهوذا . وشمالي وعاصمتهُ غالباً السامرة ويسمى مملكة اسرائيل . وكانت المناظرة بين القسمين غاية في الاحتدام افكان من من الممكن لكهنة احدى المملكتين اختراع التوراة وحمل خصومهم على الاتفاق معهم في قبولها . افلا يرى سادتنا المنتقدون ان اختراع التوراة بعد انقسام مملكة العبرانيين مستحيل كما انهُ مستحيل بعد نشأة طائفة السمرة . واذا ثبت ان اسفار موسى كانت في عالم الوجود قبل انقسام المملكة العبرانية وذلك يكون قبل الرجوع من السبي بنحو خمسمئة سنة افلا يتعين خطأُ الفيلسوف سبنسر وخطأُ من جاراهُ في زعمهِ بان اسفار موسى أُوجدت بعد السبي . ان زعماء الفلاسفة واكابر الجهابذة صغار امام الحق السرمد . والحق التاريخي كغيرهِ من الحقائق العلمية لا يجوز تضحيتهُ اكراماً لخيالات الفلاسفة بل يجب تأييدهُ والدفاع عنهُ . وان الحق كالفراغ لا يقوى احد على تكييفهِ بل هو سرمديُّ الوجود

زرت مرَّةً صديقاً لي واذا بهِ مسرور وقد اعدَّ لي دليلاً جديداً على اختراع التوراة وهو ما جاء في سفر الايام الثاني من ان التوراة فقدت وبقيت مدَّة طويلة تحت الردم . وكان قد وقع نظري على هذا القول قبل ذلك بمدة ١٥ سنة . فضحكت من صديقي وأبنتُ لهُ خطأ المنتقد الفظيع . وان الذي فقد تحت الردم انما كان النسخة الاصلية التي كتبت بقلم موسى النبي . وانها لم تكن النسخة الوحيدة عند العبرانيين بدليل النص انهُ يجب ان تنسخ نسخة جديدة لكل ملك في اسرائيل حين تنصيبهِ هذا فضلاً عن تعداد الكهنة ورؤساء الكهنة وكانت التوراة مرجعهم في احكامهم وموردهم اذا قصدوا التحقيق فكان ثمت عندهم نسخ عديدة منها . وفقدُ نسخةِ موسى الاصلية لا يوجب فقد كل النسخ . وبمثل ذلك يطعن المنتقدون الكتاب لانهم يجهلونهُ ومن المضحك ان امثال اولئك يدعون "مفسرين" . واري ان التفسير الصحيح للكتاب هو الكتاب نفسهُ وكل ما يقال فيهِ من السوى فالتبعة فيهِ على السوى

حنا خباز

[المقتطف] نشرنا رسالة حضرة الكاتب بحروفها ويا حبذا لو كان الامر سهلاً كما يظن ولكن علماء اللاهوت واعضاء الجمعيات العلمية الذين درسوا كل اللغات السامية وبحثوا عن كل الآثار الشرقية وانفقوا من الاموال القناطير المقنطرة والفوا المجلدات في الدفاع عن التوراة لم يستطيعوا ان يثبتوا حتى الآن وجود الكتابة العبرانية في زمن موسى . ونحن لا رأي لنا في هذه المواضيع لاننا لسنا من علماء التفسير ولا من المشتغلين بهِ

نسل القلم

يقولون ذكر المرء يحيا بنسلهِ ... وليس لهُ ذكر اذا لم يكن نسلُ
فقلت لهم نسلي بدائع حكمتي ... فان فاتنا نسل فانا بها نسلو

قد اخذت هذا العنوان من قول الشاعر وصدَّرت بهِ الاقوال الآتية وهي مما عثرت عليهِ في دفتر للمرحومة اختي انيسة قرينة احد اقاربنا الخواجه ميخائيل الخوري الشرتوني المنتقلة الى رحمة الله في ١٨ آب سنة ١٩٠٦ لا ارانا الله مثلها سنة . غير ان بعض هذه الاقوال للمرحومة شقيقتي عفيفة التي تقدَّمت اختها الى دار البقاء بستة اشهر واثني عشر يوماً . والاخوَّة لا تسمح لي ان اذكر صفاتها وكفى بما انتشر لها وبالحكم الآتية شاهداً بما كانتا عليهِ رحمهما الله من الأدب والذكاء

للمرحومة انيسة

(١) مجد الغنى السخاء وحياتهُ حسن التدبير واهلاكهُ التبذير

(٢) لا زينة اجمل من العلم المصحوب بالسيرة الحميدة

(٣) قد يدفع للمغني في ليلةٍ ما لا يُدفع لخادم الدين في اعوام

(٤) غاية الغايات في الايجاز قول المسيح "حبَّ قريبك كنفسك" فهي كبحر في قدَح وكمجلد في عبارة

(٥) اصدق تراجم البشر آثارهم لا اطراء اصحابهم

(٦) بقاء الكلام احفظ للذكر من نصب التمثال

(٧) الكلام البليغ شرف الدهر ومجد الأبد

(٨) لا احد يحطُّ من قدرهِ مثل الجاهل المفاخر بعلم آبائهِ والحقير المفاخر بشرف اجدادهِ والكسلان المفاخر بنشاط اسلافهِ

(٩) افعال الخبيث اقذار يلطخ بها ذكرهُ

(١٠) اقصر السلطة عمرًا سلطة الظلم والبغي

(١١) من ادلّ الادلة على شرف النفس وكرم العنصر اتفاق الشركاء وامانتهم

(١٢) حسن السيرة واعظ صامت

(١٣) العلوم افضل ذخائر القرون الخالية

(١٤) العلوم اللغوية لا تطلب لذاتها بل لما هي وسيلة اليهِ

(١٥) نواهي الشريعة كقوانين المدارس ثقيلة على اصحاب المطامع والشهوات

(١٦) افضل ما يمدح بهِ رؤساء الدين بذل الجهد على تهذيب الاخلاق ومساعدة من يعينهم على ذلك

(١٧) لو عرف الولد ان لا شيء يسرّ قلب والدهِ كسماع الثناء على اعمال ولدهِ ما حاد عن سبيل الخير والفلاح

(١٨) اقلّ الناس حياءً من لا تسمع اذنهُ ما يقول فمهُ

(١٩) نظافة الضمير انفع للناس من نظافة الثوب

(٢٠) كم من نظيف الملبس وسخ السيرة

(٢٦) اعلى الناس في مملكة العلم المخترعون

والمرحومة عفيفة

(١) نسبة العقول التابعة الى العقول المتبوعة كنسبة الرأس الى البدن
(٢) من رُزق الحكمة والفصاحة كان من قوّاد العقول والقلوب
(٣) الكتاب من العقل ولكن العقل ليس من الكتاب
(٤) لا معرّف للمرء كعمله
(٥) الرأي الصحيح أنفع من اللسان الفصيح
(٦) لا موّثر في النفس البشريَّة كالاعتقاد
(٧) لا شيء يخرج بالانسان عن مالهِ بل وعن حياتهِ كالاعتقاد
(٨) اشرف سلطة في الكون سلطة العقل والصلاح
(٩) تركة العلم كنور الشمس او كالكنز المباح
(١٠) سلطة العلم قد تكون فوق سلطة الملك
(١١) الاقوال السديدة مصابيح لا تنطفي
(١٢) الحياء للانسان كاللجام للفرس
(١٣) حبّ الصيت الحميد يجعل البخيل كريمًا والجاهل عالمًا والطالح صالحًا
(١٤) لاخير في نفس لا تهشّ لحسن الذكر وطيب الاثر
(١٥) العلم في العقول الفاترة كالزرع في الارض السباخ
(١٦) التفاوت بين عقل وعقل كالتفاوت بين الساقية والبحر
(١٧) في بعض الرؤُوس كنوز لا تكشف الَّا بالتعليم
(١٨) اجلّ امرأة عند النصارى عذراء يهوديَّة
(١٩) اقوال الحكماء اغلى من سبائك الذهب
(٢٠) اسمّ من الحيَّة رئيس دينيّ يصرف همتهُ الى الشرّ
(٢١) ما وطئَ الحقَّ احد وفاز
(٢٢) كما لا تغلّ الارض المهملة كذلك لا تنفع الشريعة المهجورة
(٢٣) افضل الكتابات العصرية ما كانت علاجًا لما فشا من الامراض الادبيَّة
(٢٤) كلام المتعصبين والمتزلّفين والتصار النظر اعدل شاهد على ضعف في نفوس اصحابهِ
(٢٥) ليس في يدك ان تصوّر وجهك كما تريد لكن في يدك ان تجعل ذكرك كما تريد

هذا ما اخترتهُ مما كتبتاهُ رحمهما الله في باب الحكم واظنهُ لائقًا ان يهدى الى قرَّاء مجلتكم المقتطف

اسماء سعيد الخوري الشرتوني



قصور سيلان

ابان النقب في سيلان آثار قصور وهياكل قديمة غاية في الفخامة بنيت بين القرن الثامن والثالث عشر للميلاد . اعظمها بناهُ الملك براكراما باهو الذي رقي الى عرش الملك سنة ١١٥٣ للميلاد ومن منشآتهِ ١٤٧٠ صهريجاً لجمع مياه المطر فانهُ قال يجب علينا ان لا ندع نقطة من ماء المطر تذهب ضياعاً ولا شبراً من الارض يبقى من غير زرع وبنى لنفسهِ قصرًا فيهِ اربعة آلاف غرفة

مجاهل اسيا

بعث الدكتور ستين الرحالة المشهور بكتاب الى المجلة الجغرافية الانكليزيَّة في العاشر من اكتوبر الماضي ذكر فيهِ خلاصة مكتشفاتهِ في رحلتهِ الى خوطان وما اليها قال : —

وصلت كشغر وجمعت قافلة منها في آخر يونيو الماضي لترافقني الى جهة الجنوب الشرقي وكانت خوطان على خمس عشرة مرحلة منها فسرت اليها لكي اجعلها مقرًّا للبحث عن آثار تلك البلاد واخلاق اهلها لان السير في الصحراء كان ضربًا من المحال حينئذٍ لشدة الحرّ فيها فسرنا في طريق يركند الى ككيار ومنها الى الآكام المجاورة لخوطان

ووصلتُ خوطان في اوائل اغسطس وللحال شرعت في جمع الآثار والبحث عن مواقع المدن القديمة في الصحراء الشرقية وكنت قد اكتشفت بعضها سنة ١٩٠٠ فوجدت الرمال قد علت على ايوان رواك ستًّا اكثر مما كانت عالية قبلاً . واكتشفت آثار هيكل قديم وجدت بينها قطعاً منقوشة من الخزف كانت تزين جدرانهُ ويدلُّ نقشها على انها من الصناعة اليونانية البوذية من القرن الخامس او السادس للميلاد وبينها قطع مذهبة بديعة الصنع . والظاهر ان الناس استمروا على سكن تلك الجهة بعد خراب الهيكل لان قطع الخزف كانت مطمورة في ارض زراعية ومقرها الآن على ميلين من حد الاراضي الزراعية . والزراعة تتقدم الآن نحوها بعد ان بعدت عنها . والماء غزير لري المزروعات فاذا بقي عدد السكان يزيد على النمط الحالي فلا يبعد ان تعود الزراعة الى حالها الاول فتعود تلك القفار التي تغطيها الآن كثبان الرمال مروجاً نضرة

ولقد استغربت مقدار ما احيي من الارض الموات في غضون السنوات الست الماضية . فان اراضي واسعة كانت حينئذٍ قفاراً مغطاة بالرمال عادت الآن ارضاً زراعية . والتقدم السريع الذي تتقدمهُ الآن تركستان الصينية يظهر على اجلاءِ في واحة خوطان بزيادة السكان وزيادة الاراضي الزراعية

واول شيء وجهت اليهِ نظري في شرقي واحة خوطان خرائب منتشرة الى شرقيها تطمرها الرمال فان رجلاً كان يبحث هناك عن القراطيس القديمة ليبيعها للباحثين عن الآثار فاسترشدت بهِ واتيت الى خرائب خوالك فوجدت فيها انقاض هيكل بوذي قديم واستخرجت منهُ كثيراً من القراطيس مكتوبة بالسنسكريتية والصينية وبلغة خوطان القديمة المجهولة والواحاً مكتوبة بهذه اللغة وبلغة تبت وفي اكثر القراطيس كتابات من كتب بوذا . ووجدت هناك كثيراً من النقوش التي كانت جدران الهيكل مزدانة بها ووجدت على مقربة منها نقوداً نحاسية صينية يدلُّ تاريخها على انها من القرن الثامن للميلاد وكتابة سنسكريتية قديمة على لحاء شجر الشربين وهي اقدم من الكتابات الاولى ولعلها اتت من الهند ودرجاً من كتاب بوذا باللغة الصينية وعلى قفاهُ ترجمتها باللغة المجهولة ولعلها تكون مرشداً لحلّ هذه الكتابة وكشف غامضها

وتدلُّ آثار المنازل التي كشفتها على انها هُجرت في اواخر القرن الثامن المسيحي حينما غزا اهالي تبت تلك البلاد واكتسحوها

مس اغنس كلارك

خسر علم الفلك خسارة كبيرة بوفاة هذه السيدة لانها كانت من خدّامهِ الذين كتبوا تاريخهُ وجمعوا حقائقهُ واوضحوها بعبارة بليغة يفهمها البسطاء ويعجب بها كبار العلماء . ومن كتبها تاريخ علم الفلك في القرن التاسع عشر . ومسائل علم الفلك الطبيعي . ونظام النجوم . وهراشل علم الفلك الحديث . وكتابها في تاريخ علم الفلك مشهور متداول وقد جمعت فيهِ بين دقة العلم وبلاغة التعبير ولم تترك مبحثاً من مباحث علماء الفلك الاَّ طرقتهُ واعطت كلَّ عالم منهم حقَّهُ منهُ . قال احد مؤبنيها في جريدة التيمس "انها لم تغفل ذكر احد من الذين اشتغلوا بعلم الفلك الحديث الذي فتحت قريحة هرشل بابهُ ووسَّعهُ استخدام السبكتروسكوب لحل المسائل الكيماوية والطبيعية المتعلقة بالكون . وقد فعلت ما لم يستطعهُ كاتب آخر من حيث جمع هذه الحقائق الكثيرة وتبويبها وتفسيرها مشيرة الى الجهات التي يجب ان يتجه البحث اليها"

وكانت وفاتها في العشرين من شهر

يناير الماضي وهي في الرابعة والستين من عمرها. وقد أبنتها الجرائد العلمية كلها واطنبت في مدحها ورثاها احد العلماء بابيات نشرتها جريدة المعرفة والاخبار العلمية قال فيها ما ترجمتهُ

"لقد كان من نصيبها اقتطاف الحقائق المتفرقة التي تصل الينا من رياض السماء . ووزن النتائج التي انتجها الحساب ومعرفة الجهات التي تتجه اليها وجمع ثمار الرصد والمراقبة . وستبق اميرة البلاغة التي ربطت بلاغتها باسمى العلوم واعربت بها عن درس كثير وتبحر عميق وحسن نظر في الامور البعيدة ودلالاتها . عرفت علم نظام الافلاك وما ينقصهُ فعلمت ان وراء الطبعة قوة تحركها وترشدها وقوةً تجي وتعلي . ذهبت عنا وسقطت عن عينيها الاغشية الارضية التي كانت تحجب بصرها"

كسوف الشمس التام

جاء من سمرقند ان كسوف الشمس التام الذي وقع في ١٤ يناير روقب هناك بعيد الساعة التاسعة صباحاً وكان الانحجاب التام قبل الساعة العاشرة بسبع دقائق ودام دقيقتين وانتهى الكسوف بعيد الساعة العاشرة . واكثر الذين رصدوا هذا الكسوف في اماكن اخرى لم يروهُ لان السماء كانت غائمة او كان الثلج يقع منها كثيراً

النبات والواح التصوير

اثبت الدكتور رسل بالامتحان ان كل اجزاء النبات خشبهُ وورقهُ وثمرهُ تؤثر في الواح التصوير الشمسي اذا وضعت قريبة منها في الظلام فترتسم صورها عليها كأن مادةً كيماوية تخرج منها وتؤثر في الواح التصوير

الماء المعدني الطبيعي

في المياه المعدنية الطبيعية املاح يمكن اضافة مثلها الى المياه المقطرة فتصير مثل المياه المعدنية في طعمها وتركيبها الكيماوي . وكان المظنون انها تصير مثلها في كل خواصها الطبيعية . ولكن ابان بعضهم الآن ان المياه المعدنية الطبيعية تفرق عن المياه المعدنية الصناعية في مقاومتها لمرور المجرى الكهربائي فمقاومة مياه فيشي ١٤٠ ومياه فتل ٥٠٠ ومياه اقيان ١٢٨٠ ؛ واما مياه فيشي الصناعية فمقاومتها ١١٢ ومياه اقيان الصناعية ١١٢٠

تمييز الدم

اكتشف بعضهم طريقة لتمييز الدماء بعضها من بعض حتى اذا وجد اثر دم في مكان عُرف ما اذا كان دم انسان او دم حيوان آخر بسهولة وذلك بان يوضع قليل من مصل دم الانسان في انبوبة كشف صغيرة و يذاب الدم الذي يراد كشفهُ في قليل من الماء والملح

ويصب فوق المصل ويترك ٤٥ دقيقة ثم ينظر فيهِ فاذا كان الاثر من دم الانسان رسب في المصل راسب احمر ويبقى السائل فوقهُ صافياً واذا كان الاثر من دم حيوان آخر ذاب في المصل ولوَّنهُ كلهُ باللون الاحمر

زلزلة جاميكا

جاميكا جزيرة في الاوقيانوس الاتلنتيكي مساحتها ٤٢٠٠ ميل وعدد سكانها نحو ثمانمئة الف نفس عاصمتها كنجستن سكانها نحو ستين الف نفس . أُصيبت هذه المدينة بزلزلة في الثامن عشر من شهر يناير الماضي تخربتها . فاجأتها الزلزلة بغتةً فشعر اهاليها كأنهم في سفينة تتقاذفها الامواج وكانت حركة الارض عمودية من اسفل الى اعلى حتى كانت الاجسام تتشاق في الجو دليلاً على ان مركز الزلزلة كان تحت المدينة او قريباً منها تحت المرفإِ الذي بين كنجستن وبورت رويال . وقد قتل بها اكثر من ٦٠٠ نفس وتلف من الاموال ما يقدَّر بالملايين . والمرجح الآن ان لتكاثر كلف الشمس في السنتين الاخيرتين يداً في ما وقع في الارض من الزلازل لانها حرفت كرة الارض عن محورها قليلاً

قنديل كهربائي جديد

استنبط الاستاذ باركر والمستر كلارك من اساتذة مدرسة كولمبيا الجامعة باميركا قنديلاً كهربائياً جديداً اطلقا عليهِ اسم الهليون نسبة الى الشمس لان نورهُ ساطع مثل نور الشمس وهو يمتاز على القناديل الكهربائية العادية بان نورهُ ابيض ساطع ونفقتهُ من الكهربائية قليلة واقامتهُ طويلة ولا يضعف نورهُ الاَّ قليلاً اذا عتق ونور القنديل منهُ نحو اربعة اضعاف نور القنديل العادي وقد يقيم اكثر من الف ساعة ولا ينقص نورهُ الاَّ اثنين في المئة . وهو مثل القنديل العادي من كل وجه الاَّ في خيط الكربون الذي فيهِ فان اكثر مادتهِ من السلكا

اطول الانابيب

وُضع انبوب بين باكو والبحر الاسود طولهُ ٥٥٠ ميلاً لكي يجري زيت البترول فيهِ من نفسهِ فلا تدعو الحال الى نقلهِ بالمركبات . ويمكن ان يجري فيهِ في السنة ٤٠٠ مليون جالون من الزيت

عدوى السل

نشرت اللجنة الملكية الانكليزية التي عينت للبحث في ما بين السل البشري والبقري من العلاقة تقريراً آخر جاء فيهِ انهُ ثبت بعد طول التجربة والاختبار ان حقن الحيوانات بالمادة التدرنية التي تستخرج من اجسام مسلولي البشر يفعل في الحيوانات كما يفعل ميكروب

السل البقري تماماً . ولا تشك هذه اللجنة في ان السل البقري ينتقل الى الناس بالعدوى وان لبن البقر المحتوي على ميكروب السل هو من اسباب السل في الناس ولذلك يجب الاحتراس الشديد عند شربهِ واتخاذ الوسائل الفعالة لكي لا يباع منهُ ما يشتبه فيهِ

مجمع تقدُّم العلوم الاميركي

عقد هذا المجمع اجتماعهُ السابع والخمسين في مدينة نيويورك في اواخر دسمبر الماضي واوائل يناير وحضر الاجتماع نحو ١٨٠٠ من العلماء رجالاً ونساء وخطب الرئيس السابق الاستاذ ودورد خطبة الرئاسة وموضوعها علم التعليم وتلا رؤساء الفروع خطبهم وقرئت مقالات شتى في كثير من المواضيع العلمية وتباحث العلماء فيها. وعينت لجنة لاقامة تذكار لمضي خمسين سنة على نشر كتاب داروين اصل الانواع . واختيرت مدينة شيكاغو لعقد الاجتماع التالي

حرارة الشمس

استنتج الاستاذ سي الفلكي من البحث في طبيعة الشمس ان حرارتها الحالية تكفي عشرة ملايين من السنين اذا بقي جرمها على حالهِ واذا تقلَّص دامت حرارتها ثلاثين مليون سنة ورجح ان حرارة الارض لم تشتد في وقت من الاوقات حتى كانت تكفي لان تظهر الارض منيرة بين كواكب السماء وان حرارة السيارات الكبيرة تختلف من ٣٠٠ درجة الى ٨٠٠ درجة وهي لا تقلُّ الآن سنة عن سنة بل قد تزيد سنة بعد سنة

قنديل لوسول

يقال ان النور الذي يصدر من هذا القنديل اذا بلغت نفقتهُ غرشاً فالنور الذي يساويهِ من زيت البترول تبلغ نفقتهُ اربعة غروش او خمسة ومن الكهربائية ثمانية غروش الى عشرة ومن الزيوت النباتية والحيوانية ١٥ غرشاً الى ٢٠ غرشاً

واللوسول بنزين غير نقي يستحضر باستقطار قطران الفحم الحجري ويشعل في قناديل خاصَّة بهِ مصنوعة على شكل يمنع التهاب اللوسول اذا انقلب القنديل . وفي القنديل فتيلة انبوبيَّة تملأُ الانبوب الذي توضع فيهِ الى اسفل القنديل فيصعد اللوسول بها بالجاذبيَّة الشعرية ويتبخر في اعلاها ويخرج البخار من انبوب دقيق جدًّا وحولهُ غلاف من السلك الدقيق يسهّل امتزاجهُ بالهواء ولا بدَّ من احماء هذا الغلاف اولاً حتى يسهل تبخر اللوسول واشتعالهُ وهو يحمى باشعال قليل من القطن المبلل بالالكحول واذا كان القنديل كبيرًا من القناديل التي تعلق في الشوارع فلا بدَّ من ان يضاف اليهِ طلمبا صغيرة تدفع البنزين اليهِ بقوة الهواء المضغط

الكتابة النوبية

كان العالم كارل شمت ينظر في بعض الرقوق المكتوبة بالحروف القبطية فوجد كلمة اورو مكررة فيها كثيرًا ومعناها ملك او عظيم بلغة النوبة فاستدل من ذلك على ان الكتابة بلغة النوبة التي يتكلمها البرابرة الى الآن ولكنهم لا يكتبونها . والرقوق مكتوبة في القرن الثامن للميلاد وفيها مقتبسات من الانجيل وترنيمة لا يعلم اصلها اليوناني . وكان علماء الآثار قد رأوا كتابات مصرية قديمة على بعض الآثار في بلاد النوبة ولم يعلموا معناها والمرجح الآن انها بلغة النوبة

النسف بالهواء السائل

جعل الانكليز يقتلعون الفحم الحجري من مناجمه بنسفه بالهواء السائل بدل البارود وذلك انهم صنعوا خراطيش من المعدن ينزلونها في ثقوب يثقبونها لها كما يفعلون في النسف بالبارود ثم يصبون الهواء السائل في الخراطيش حتى اذا امتلأ الخرطوش منهُ انسدَّ من نفسهِ لان فيهِ تمامًا يجيز دخول السائل ويمنع خروجهُ ولا تمضي ثماني دقائق بعد ذلك حتى يتمدَّد الهواء السائل بحرارة المنجم التي حولهُ وينتشر غازًا بسرعة فيفعل فعل البارود المشتعل . ويفضل الهواء السائل على البارود وعلى كل المواد التي تستعمل لنسف المناجم لانهُ لا يشتعل اشتعالاً ولان فعلهُ منتظم

الاكستوفون

لا يخفى ان صوت الفونوغراف لا يكون جليًا واضحًا تمام الوضوح كصوت الانسان الَّا اذا كبر قرنهُ كثيرًا ويكتسب حينئذٍ من وجه ويخسر من آخر لكن شركة الآلات الناطقة استنبطت الآن طريقة لجعل الصوت جليًا واضحًا ولو لم يكبَّر القرن كثيرًا وذلك باضافة آلة فيها هواء منضغط يحركها القلم الذي يمرُّ على آثار الكلام فيخرج الهواء منها ويجعل الصوت واضحًا كصوت المتكلم الاصلي تمامًا وقد سميت هذه الآلة بالاكستوفون

عرش الطاووس

هو عرش ملوك الهند الذي غنمهُ نادر شاه من دهلي ويقال انهُ يساوي مليونين ونصف مليون من الجنيهات وهو مقعد كبير لهُ شرفات يعلوها سندٌ مفروش والعرش كلهُ من الذهب والمينا مرصع بحجارة الماس والياقوت وعليهِ بساط مطرَّز بالدر النظيم

موت الاطفال

كتب بعضهم مقالة في احدى المجلات العلمية موضوعها "الاسراف في حياة الاطفال" قدَّر فيها عدد الاطفال الذين يموتون سنويًا في البلاد الانكليزية اهمالاً باربعين الفًا . وقدَّرهُ المستر جون بارنس زعيم حزب العمال واحد الوزراء الحاليين بمئة الف وهذا العدد كبير بالنسبة الى ما هو عليهِ في البلدان الاخرى



مظفر الدين شاه ايران وُلد سنة ١٨٥٣ وتوفي سنة ١٩٠٧

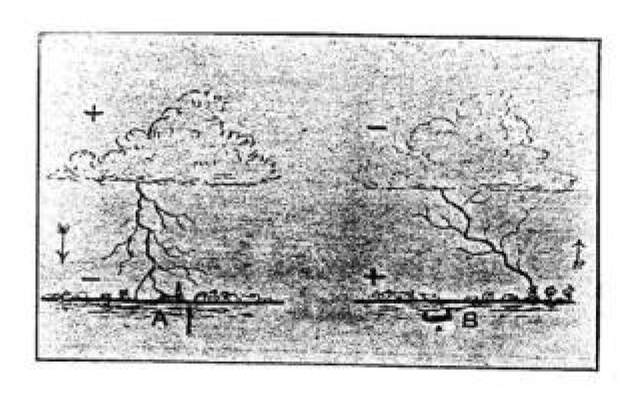


مظفر الدين شاه سلطان ايران

ولد في ١٤ جمادى الاولى سنة ١٢٦٩ وتوفي في ٢٤ القعدة سنة ١٣٢٤

توضع هذه الصورة بدل الصورة المقابلة لصفحة ٩١ من هذا المجلد

اما تلك فصورة والده ناصر الدين شاه



البرق من الارض الى الغيم　　　البرق من الغيم الى الارض

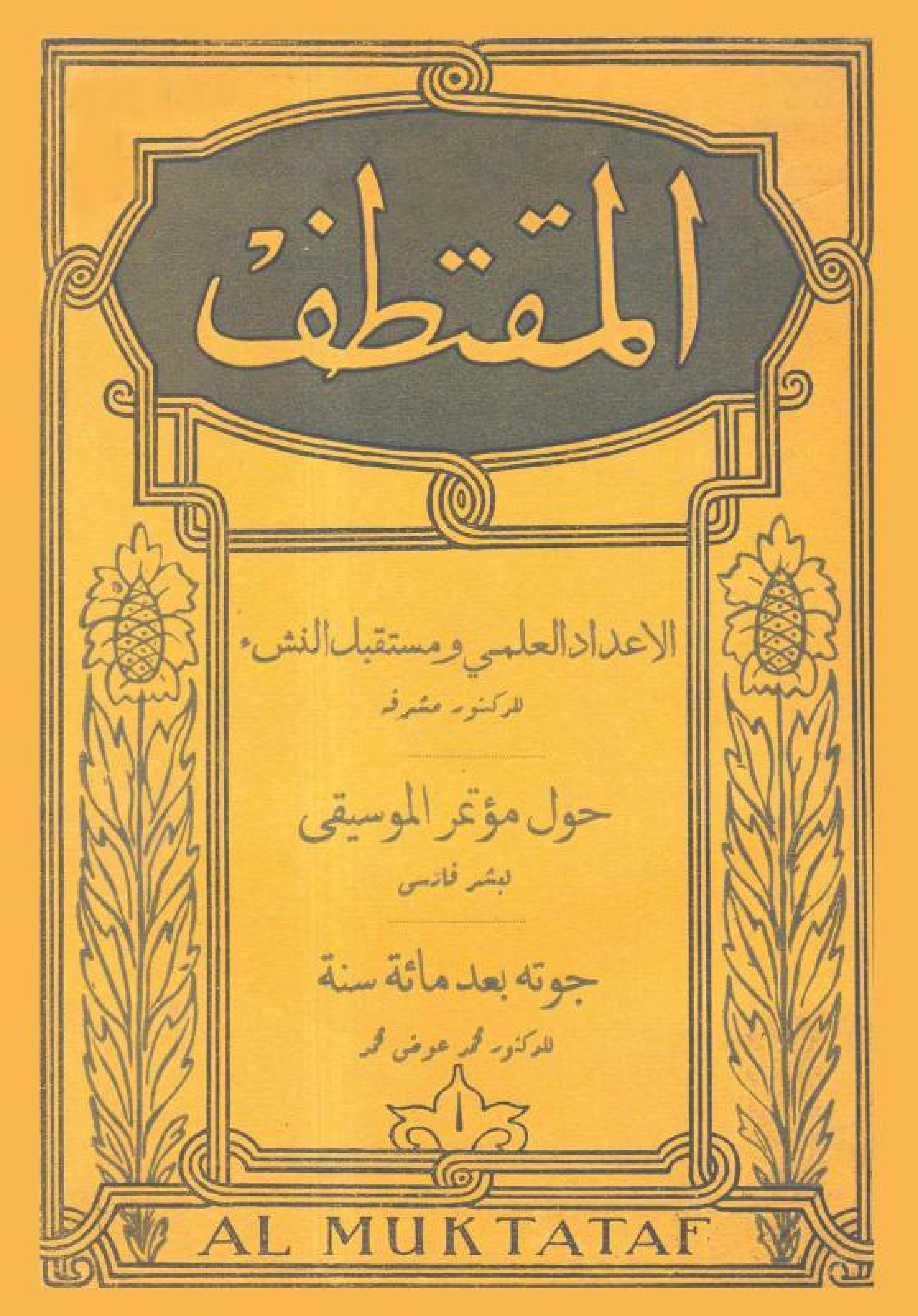


البرق من الغيم الى الارض والتشعب نحو الارض

فهرس الجزء الثاني من المجلد الثاني والثلاثين

تنبيه

وقع خطأ في هذا الجزء فنشرت فيهِ مقالة ثانية في المفاضلة بين الشعراء بدل مقالتين أُعدّتا للنشر فاهملتا سهوًا واضطرنا السفر الى اختصارهِ وسنعوض ذلك في الجزء التالي


المقتطف
الاعداد العلمي ومستقبل النشء
للدكتور مشرفة
حول مؤتمر الموسيقى
لبشر فارس
جوته بعد مائة سنة
للدكتور محمد عوض محمد
AL MUKTATAF

المقتطف

الجزء الثالث من المجلد الثاني والثلاثين

١ مارس (اذار) سنة ١٩٠٧ — الموافق ١٦ محرم سنة ١٣٢٥

قبر الملكة تي

كل ما بقي من آثار المصريين القدماء ودلائل عظمتهم هياكل آلهتهم ومدافن ملوكهم وعظمائهم . وقد افنت العصور الغابرة وايدي العتاة والطغام كثيرًا من هذه الآثار ولكن الذي بقي منها كافٍ للدلالة على عظمة اصحابها واحوالهم الاجتماعية والمعاشية حتى اننا لنعلم الآن من تاريخهم بواسطة آثارهم اكثر مما نعلم من تاريخ الذين جاءوا بعدهم ودوَّنوا اخبارهم في كتب محفوظة

ولقد حرص الاقدمون على اخفاء قبورهم حتى لا يهتدي اليها العداة فينتهكوا حرمتها لكن ابناء هذا العصر لا يقصدون انتهاك المحارم بل الاطّلاع على اخبار الامم السالفة وقد وُفقوا الى اكتشاف كثير من المدافن القديمة ولا يمضي عام الاَّ ويكتشفون اكتشافًا جديدًا

ومما وُفقوا الى اكتشافهِ في اول هذا العام جثة الملكة تي زوجة الملك امنهوتب الثالث وام الملك امنهوتب الرابع وكلاهما من الدولة الثامنة عشرة التي انتهى ملكها سنة ١٤٠٠ قبل المسيح اي منذ ثلاثة آلاف وثلثمئة سنة

وكان امنهوتب الثالث من اعظم ملوك مصر وامتدَّت سلطتهُ من نهر الاتبرة في السودان جنوبًا الى مدينة حلب شمالاً وصاهر ملوك سورية فتزوج بابنة ملك بابل وابنة ملك متني وغيرهنَّ من بنات الملوك والامراء وحظيت عندهُ الملكة تي وهي ليست من بنات الملوك بل من بنات الامراء فلقِّبت ملكة مصر . ويظهر من امرها انها كانت بيضاء الجسم شقراء الشعر زرقاء العينين مثل نساء شمالي سورية في هذا العهد . وهي ام الملك امنهوتب الرابع وقد ربتهُ حسب ديانة قومها فنشأ كارهًا للديانة المصرية ناقمًا على كهنتها فترك عبادة امون اله اجدادهِ واضطهد كهنتهُ وحاول ادخال ديانة امهِ الى القطر المصري وكانت تؤَله الشمس او توجب

عبادة اله الكون في صورة الشمس لكن الكهنة كانوا اصحاب الصولة والطول فلم يقوَ عليهم واضطرَّ ان يخرج بيلاطهِ من طيبة عاصمة المملكة ويبني لهُ عاصمة اخرى على الضفة الشرقية شمالي طيبة وعلى مئتي ميل من القاهرة شرقًا حيث القريتان المعروفتان الآن باسم حج قنديل وتل العمرنة . شرع في بنائها في السنة الخامسة من ملكهِ واقام فيها هيكلاً للمعبود الجديد وقصرًا لهُ ودورًا لاعوانهِ . وغيَّر اسمهُ فسمَّى نفسهُ اخن اتن اي مجد الشمس . وكانت عبادة الشمس مرعيَّة في مصر قبل زمانهِ ولكنها لم تكن على الصورة التي وضعها فيها ولذلك نقم الكهنة عليهِ لا سيما وانهُ جعل نفسهُ مبشرًا بها وداعياً اليها

وتوفيت امهُ وهو في اوج مجدهِ ودفنت في مدافن طيبة غربي لقصر بجانب قبور آبائهِ وقبرها منحوت في الصخر وهو مربع الشكل ينزل اليهِ بدرج فيها ٢٠ درجة اكتشفهُ المستر دافس الاميركي في اول هذا العام ووجد فوقهُ ما سمكهُ عشرون قدماً من الردم والظاهر ان هذا الردم قديم الَّتي عليهِ من عهد الدولة العشرين . والقبر في منخفض من الارض فيجتمع ماء السيل فوقهُ احياناً ولذلك رشح الماء اليهِ واتلف ما يلي منهُ من خشب التابوت واضرَّ بالجسم المحنَّط وفي ما سوى ذلك لا تغيير في القبر عما كان عليهِ لمَّا خرج الكهنة منهُ واغلقوا بابهُ منذ اكثر من ثلاثة وثلاثين قرناً فان بدعة ملكهم لم يطل امرها فعادوا الى سابق عهدهم بعد موتهِ ومزَّقوا جسدهُ المحنط تمزيقاً وقتلوا اتباعهُ وخربوا عاصمتهُ ودخلوا قبر امهِ وفعلوا بهِ ما يدلُّ على احترامهم لشخصها وكراهتهم لابنها فانهم فتحوا باب الحجر ونزعوا باب الخشب ونقضوا القبة التي كانت فوق التابوت وقلبوا الجثة ومحوا اسم اخن اتن الذي كان منقوشاً على صفيحة من الذهب تحتها ومحوهُ ايضاً من كل مكان كتب فيهِ . وكانت صورتهُ منقوشة على صفيحة من الذهب في القبة التي كانت فوق التابوت وهو يعبد الشمس فازيلت منها . والذين فعلوا هذه الفعال لم يكونوا لصوصاً يدخلون المدافن لنهب ما فيها بل كهنة غرضهم ديني لا غير لانهم ابقوا حلي الملكة وجواهرها وصفائح الذهب التي كانت تملأُ القبر لم يأْخذوا شيئاً منها

ولم تكن الجثة موضوعة في ناووس بل كانت موضوعة في تابوت ملقاة على صفائح الذهب والقبة التي فوق التابوت مصفحة بصفائح الذهب من داخل ومن خارج وقد نقش عليها اسم الملكة تي والقابها واسم ابنها وصورتاهما وهما يعبدان الشمس فمحيت صورة الملك واما صورة امهِ فلم تمحَ والظاهر ان الكهنة لم يكونوا يلومون الملكة لعبادتها الشمس لانها جرت على دين اسلافها ولكنهم لاموا ابنها لانهُ ترك دين اسلافهِ وتديَّن بدين آخر

والتابوت من الخشب ولكنهُ مغطًّى بصفائح من الذهب مرصَّعة بحجارة اللازورد والعقيق

والزجاج الاخضر وعليهِ كتابة يقال فيها ان الملك صنعهُ لامهِ . والجثة ملفوفة بصفائح الذهب كلها من رأسها الى قدميها ولكن المياه دخلت من بين الصفائح واتلفتها وحولتها الى مادة كالعجين وقد كان على ذراعيها اساور وحول عنقها عقد حبوبهُ من الذهب مرصعة بالحجارة الكريمة وعلى رأسها تاج ملكات مصر وهو بديع الصنع يمثل الصقر الملكي وقد مسك خاتمين بقدميهِ وبسط جناحيهِ على رأس الملكة وضمَّ جناحاهُ من الوراء بدبوس . والصقر كلهُ من الذهب الابريز

ووجد قرب الجثة بقايا صندوق فيهِ مصنوعات من الخزف المدهون تمثل ادوات الزينة التي كانت الملكة تستعملها وكاس من الخماهان[1] عليهِ اسم اخن اتن وقد محيَ عنهُ . وابدع ما وجد هناك من باب فني صورة رأس الملكة في الالباستر المصري الذي تغطى بهِ الحقق الاربع التي توضع في القبر عادةً وقد صنعت حدقتاها وحاجباها من اللازورد والسبج[2] . والصورة تدلُّ على ان هذهِ الملكة كانت ذات سيادة ومهابة وانفها دقيق اقنى يدلُّ دلالة واضحة على انها غير مصريةٍ . ووجدت في القبر اشياء اخرى صغيرة وبينها صفيحة كتب فيها انها تذكار للملك اخن اتن المتوفى فاوقعت العلماء في حيرة لان اخن اتن مات بعد امهِ

المدارس والتعليم

اصبحت مسألة التعليم من اهم المسائل الاجتماعية وقد اتجهت اليها الانظار في هذا القطر كما اتجهت في سائر الاقطار . وهي من اقدم المسائل طرقها المصريون القدماء لما استأثر كهانهم بالعلوم المعروفة لعهدهم ولم يشركوا عامة الشعب فيها وكانوا يضنّون على الملوك ان هم اطلعوهم على اسرارها . وخاض فيها اليونان لما ميَّزوا المتعلمين منهم على غيرهم ففاق علماؤهم وفلاسفتهم ابناء نوعهم حتى كأنهم من جبلَّة مخصوصة وخضعت العقول لعلومهم وفنونهم في العصور الغابرة ولم تزل خاضعةً لها الى الآن حتى ان العرب على ما بهم من النعرة القومية والانفة الدينيَّة لم يأنفوا من تلقيب ارسطوطاليس بالمعلم الاكبر ونشأ تمدنهم واينع ثم انحط وتضعضعت احوالهُ وهم مسحورون بعلوم اليونان وفلسفتهم

الاَّ ان التعليم بالمعنى الحقيقي الذي نفهمهُ الآن لم ينظر فيهِ الاَّ منذ عهد قريب حين رأى الباحثون انهُ لا بد من معرفة النواميس الفسيولوجيَّة التي ينمو الدماغ بموجبها والمؤثرات الخارجيَّة التي تؤثر فيهِ والمعارف اللازمة لما يقصد الانسان ان يتعاطاهُ من الاعمال

(١) حجر الدم (٢) حجر اسود كالزجاج الاسود

وقد اطلعنا الآن على خطبة للاستاذ ولبور جاكمن الاميركي القاها في مؤتمر التعليم الذي عُقد في مدينة بوستن في آخر شهر نوفمبر الماضي رأيناها حاوية لفوائد كثيرة في هذا الموضوع فاقتطفنا منها اكثر الفقرات التالية . قال الخطيب

جاء في خبر الخليقة ان الله جبل الانسان من تراب الارض ونفخ في انفهِ نسمة حياة فصار ذا نفس حيَّة . ولقد حسب الناس ان التعليم يجري على هذا النمط اي ان المعلم ينفث العلم في انف التلميذ او يصبُّهُ في عقلهِ صبًّا وبقي هذا معتقدهم الى القرن الماضي ثم تغيَّر رويدًا رويدًا كما تغير معتقدهم في اصل الانسان وهم يقولون الآن ان العلم ينمو في النفس نموًّا بفعل المؤثرات الخارجية ولا يصبُّ فيها صبًّا كما يصبُّ الماء في الاناء وان للمدارس الشأن الاول في اصلاح الهيئة الاجتماعية اذا أُحسن تنظيمها

والذي يعتقدهُ اكثر الناس حتى الآن ان المدرسة سجن يسجن فيهِ التلميذ او حظيرة يوضع فيها كي يفرغ العلم في قلبهِ ولا ينظر اليهِ فيها كجزء من الهيئة الاجتماعية بل كفردٍ مستقلٍ او كواحد من فرقة كبيرة او صغيرة فيقسم تلامذة المدرسة الى ثلاث فرق او اربع او خمس او اكثر او اقل وتلقى الدروس على الفرقة منهم كأن كل واحد منهم مثل الآخر في قوى عقلهِ وتنوُّع مداركهِ ولكنهُ مستقلٌّ عنهُ تمام الاستقلال يعمل وحدهُ لنفسهِ او لارضاء المعلم . والمعلمون والنظار يبذلون اقصى جهدهم في استنباط الوسائل التي تمنع ائتلاف التلامذة بعضهم مع بعض ومساعدة بعضهم بعضاً لئلا يفضي ائتلافهم الى تعصبهم وعصيانهم كأن المعلمين والنظار يجرون على القاعدة القائلة فرّق تسُدْ وغرضهم الاول — والاخير السيادة على التلامذة مع ان غرض الامة ان يعاون افرادها بعضهم بعضاً . والتعاون ممدوح في كل مكان على ما يظهر الاَّ في المدرسة وفي السجن كأن المعلم والسجان من قبيل واحد وطينة واحدة . وهذا مما يؤسف عليهِ جدًّا لان التعاون خير صفة ادبيَّة ارتقى اليها نوع الانسان ويجب ان تكون المدرسة مهدهُ الذي ينشأ فيهِ ويربى وهو حجر الزاوية الذي رفضهُ البناؤُون حتى الآن لانهُ (اي التعاون) اهم ما تمسُّ الحاجة اليهِ لارتقاء نوع الانسان . ولا عبرة بما ينشأ عن التعاون احيانًا من الثورات المدرسية كما حدث في المدرسة الكلية الاميركية في بيروت لما ثار تلامذة الطب فيها منذ نحو اربع وعشرين سنة وكما حدث في مدرسة الحقوق والمدرسة الزراعية في القطر المصري في العام الماضي وكما يحدث في مدارس روسيا الآن لان الثورة نفسها توجه عقول التلامذة الى غرض معلوم وتقويهم في متابعة ذلك الغرض فتظهر قواهم الكامنة فيهم ولا يعترض على ثورتهم الاَّ اذا كانت لغرض غير حميد او لغرض اخطأُوا في حسبانهِ

صواباً وهو غير صواب اما اذا كان الغرض حميداً فلا ضرر من الثورة بل منها النفع الاعظم. ولا شيء يبث الحياة في نفوس التلامذة مثل تعصبهم لغرض حميد وتعاونهم عليهِ كأنهم يأتمرون بالآية القائلة وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على المنكر

ولا تخلو المدارس من التعاون مهما حاول معلموها واساتذتها منعهم عنهُ فان انقسامهم في ساحة اللعب الى فرَق واحتيالهم على معاكسة المعلمين وتحزبهم في جمعياتهم العلمية والادبيَّة كل ذلك يبث الحياة في معيشتهم المدرسية ويزيل السآمة منها والضجر ولولاهُ لملوها وامسي الدرس اتعب الاشغال لكن المعلمين لا يرضون عن ذلك لانهم يحسبونهُ مخالفاً لنظام المدرسة وفاتهم ان المدرسة جزء من الدنيا والتلامذة جماعة من الناس ويجب ان يظهر فيهم مبدأ التعاون كما يظهر في غيرهم من ابناء نوعهم فاذا لم يجد لهُ غرضاً حميداً يتجه اليهِ فلا يبعد ان يتجه الى غرض غير حميد فعلى المعلمين ان يوجهوا هذا الميل الى الاغراض الحميدة ويستخدموهُ لتقوية الملكات الحسنة في النفوس. ويجب ان يبتدئ ذلك في الكتاتيب الصغيرة حين يكون الولد طفلاً لان الاطفال ميالون الى العمل والتعاون عليهِ من تلقاء انفسهم مثل الكبار ولا يحجم الطفل عن العمل الا اذا كان مريضاً او خاملاً

قال الاستاذ جاكن جاءني تلميذ ذات يوم وقال ان معلمهُ يقول انهُ كسلان فلا يريد بقاءهُ في المدرسة. فقلت لهُ وانت ماذا تقول لو تركنا الامر لك فقال "اني اترك المدرسة وامضي واعمل عملاً ما". فشكرتهُ في قلبي لاني رأيت في كلامهِ انتقاداً لنظام المدرسة وقع في محلهِ. والعمل الذي طلبهُ ذلك الولد كان يجب ان يكون في المدرسة وقد يجدهُ خارجاً عنها ولكن الغالب انهُ لا يجدهُ بل يجد عملاً آخر لا تميل اليهِ نفسهُ ويدخل في خدمة رجل يستخدمهُ استخدام العبد لينتفع بقواهُ من غير ان ينميها او يتركها حرَّةً لتنمو نموها الطبيعي. وكأنَّ كسل التلامذة اسلوب استنبطتهُ الطبيعة لانقاذ الاولاد من سخافة المدارس واماتتها لقوى النفس والجسد

ومن اغرب ما يذكر في تاريخ المدارس انها جعلت العمل قصاصاً للكسل حتى تغرس كراهة العمل في النفوس بدلاً من ان تجعلهُ جائزة للاجتهاد فتغري التلامذة بهِ وتشوقهم اليهِ ولكن يجيء الامر على احسن مما تريد لان التلامذة يتركون المدارس رويداً رويداً ويعودون الى العمل ولا يبلغ منهم الدرجات العليا في المدارس العليا الا نفر قليل جداً كأن العلم والعمل يتجاذبان الانسان من سن الطفولة الى سن الشباب والفوز للعمل لا للعلم ولا غرابة في ذلك لان العمل هو المعلم الحقيقي للعالم

من ينعم نظره في المدارس عموماً واحوال تلامذتها يجد ان التلامذة قادرون على ان يعملوا اعمالاً مفيدة وهم يتعلمون علومهم وانهم شديدو الميل الى ذلك والرغبة فيهِ . وهذا ليس بالامر الوحيد الذي يجب الانتباه لهُ بل يجب الانتباه ايضاً لامرٍ آخر اهم منهُ وألزم وهو ان العلم والعمل يجب ان لا يكونا فرضاً واجباً على التلميذ بل ان يكونا مما يميل اليهِ ويرغب فيهِ من تلقاء نفسهِ والا فلا فائدة منهما . فالذين يحسبونهما فرضاً واجباً يحسبون عقل التلميذ اناء يصب العلم فيهِ والعمل قيداً تقيَّدُ يداهُ بهِ فلا العقل يستفيد من العلم ولا اليد تتقن العمل بل يبقى التلميذ في الحالين مقلّداً لا مبتكراً . واذا راجعت لوائح المدارس ونظرت في كيفية القاء الدروس وتمرين التلامذة فيها تجد ان المراد منها تقوية ملكة التقليد واماتة ملكة الابتكار فاذا خالف التلميذ الخطة المقرَّرة لهُ عدَّت مخالفتهُ خطأً كبيراً حتى ان علماء الانشاء لا يجيزون مخالفة القواعد التي جرت عليها أئمة اللغة منذ الف سنة مع ان الاسلوب الذي جرى عليهِ اولئك الائمة حتى صاروا أئمة هو اسلوب الابتكار ولو قلّدوا من قبلهم ما صاروا ائمة

وقوة الابتكار موجودة في كل الاولاد ذكوراً واناثاً ولذلك تراهم يميلون اليها من صغرهم . تشتري لعبة لابنتك بريال او ريالين فلا تسرُّ بها اكثر مما تسرُّ بلعبة تصنعها هي من الخرق البالية . وتشتري لعبة لابنك فلا يسر بها اكثر مما يسرُّ بلعبة يصنعها بيده لان قوة الابتكار موجودة في نفس الطفل واليها يميل بالطبع والتقليد يميتها ولذلك اذا اوقفتهُ امامك وحاولت تعليمهُ حروف الهجاء او غيرها وطلبت منهُ ان يقلدها يملُّ من التقليد حالاً لانهُ على خلاف طبعهِ ولا يصدق ان ينتهي وقت الدرس حتى يخرج من بين يديك ويعود الى العابهِ يحفر الآبار في التراب ويبني البيوت بالرمل ويركب خيلاً من العصي وهذا الابتكار هو الذي يكوّن الانسان وبهِ ينمو ويقوى ويمتاز عن غيرهِ

والمحك الذي تعرف فيهِ فائدة التعليم ومزيتهُ هو شعور التلميذ بفائدتهِ وبانهُ مطابق لميل في نفسهِ فاذا لم توجه قواهُ دائماً الى غرض معلوم ذهبت وسائل التعليم سدًى كالآلة التي تدور على الفارغ من غير ان تعمل عملاً . ويحق لكل معلم ان ينتظر من تلامذتهِ انهم كلهم يلبُّون طلبهُ اذا طلب منهم شيئاً يفهمونهُ ويشعرون بالحاجة اليهِ

واذا اريد الجري على رغبة التلامذة ومزج العلم بالعمل فالغالب ان آباءهم لا يرضون بذلك بل يقولون ان المدرسة للعلم لا للعمل وان اولادهم يستطيعون العمل في بيوتهم اذا ارادوا ذلك . آباءٌ مثل هؤلاء يريدون ان يخرج اولادهم من المدرسة محدودبي الظهر مصفري

اوجه قصيري البصر . ولا يخفى ان التلامذة يدرسون بعض العلوم في المدارس الصناعية لكي تساعدهم على العمل فيجب ان يعملوا بعض الاعمال في المدارس العلمية لكي تساعدهم على العلم

يظهر مما تقدَّم ان في التلامذة استعداداً طبيعياً يستطيع المعلم ان يستخدمهُ لما يبنى عليهِ من ارتقاء الوطن وهذا الاستعداد يظهر باربعة اوجه الوجه الاول الميل الطبيعي الى التعاون والثاني المحبة الفطرية للعمل والثالث الرغبة الشديدة في الابتكار والرابع الاهتمام الصحيح بالمطالب الوطنية . فيجب ان تكون دروس المدرسة واشغالها مقوية لهذه الصفات مرقية لها على اسلوب صحيح اي يجب ان تكون الدروس آيلة الى ما منهُ النفع العام وان يكون نظام المدرسة كلهُ مما يُطلق الحريَّة التامَّة لكل مَن يفتكر ويعمل في المصلحة العمومية . وما من احد ينكر ان الصفات المتقدمة تكفي من يتَّصف بها للنجاح في اعمال الحياة المختلفة فلماذا لا تكفي للنجاح في المدارس هل تتغيَّر نواميس الكون بدخول المدرسة ولماذا لا يصدق على المدارس ما يصدق على غيرها حتى يوضع لها نظام خاص يختلف عن النظام المتبع في سائر الاعمال

اذا اراد صنَّاع المركبات ان يعملوا مركبة تقاسموا عملها وصنعوها بحيث يجتمع فيها كل ما يمكن من الاقتصاد والمنفعة فلا يضعون فيها خشباً اكثر مما يلزم ولا حديداً اكثر مما يلزم بل القدر الكافي منهما والاَّ خسر المعمل وجاءت المركبة على غير المراد اما في المدرسة فاذا أُريد تعليم علم اهتمَّ استاذهُ او اساتذتهُ بجعل موادهِ فوق طاقة التلميذ وعندهم ان التفوُّق يكون بزيادة الشروح والفصول لا بالاقتصار على الكافي منها كأنَّ صانع المركبة يصنع عشرين عجلة وهو لا يحتاج الاَّ الى اربع ومئة قطعة من الحديد وهو انما يحتاج الى عشرين. ولا يقف هذا الخلل عند ذلك بل يتبارى بعض الاساتذة في جعل العلوم التي يعلمونها تشغل الجانب الاكبر من وقت التلميذ واهتمامهِ

وهناك خلل آخر في نظام المدارس وهو ان تقسيم الفرق فيها ينظر فيهِ الى المماثلة بين افراد الفرقة الواحدة في السن والعلم والحذق فلا يبقى مجال ليعاون التلامذة بعضهم بعضاً لانهم يكونون متساوين في معارفهم فيصير كلٌّ منهم يسعى لنفسهِ وهذا على غير ما يجري عليهِ الناس في اعمالهم ومعاملاتهم فلو انقسموا هذا الانقسام واقام الرجال وحدهم والاولاد وحدهم والنساء وحدهنَّ وافترقت طبقات الرجال والنساء والاولاد حسب السن وانفصلت بعضها عن بعض لخرب نظام الامم

وقس على ذلك تلامذة المدارس فان صغارهم يتعلمون من كبارهم وكبارهم يعلّمون صغارهم اذا تركوا لشأنهم من غير ان يفصلوا بعضهم عن بعض والتلميذ يستفيد من تلميذ آخر اكبر

منهُ اكثر مما يستفيد من استاذهِ والتلميذ الكبير يستفيد من تعليم الصغير ومما يشعر بهِ من الاهتمام بتعليم غيرهِ

وقس على ذلك تقسيم التلامذة حسب درجات معارفهم او مهارتهم فانهُ لو استعمل خارج المدرسة لعدَّ من ضروب الحماقة . ما قولك في رجل يريد ان يبني بيتاً فيقسم العمال الى ثلاثة اقسام يضع البنائين وحدهم والنحاتين وحدهم وحاملي الطين وحدهم ولا يشرك فريقاً منهم مع الفريق الآخر فان البيت لا يبنى ابد الدهر

اضف الى تقسيم التلامذة في المدارس الابتدائية وضع العلامات لهم وامتحانهم الامتحان الرسمي وما ينجم عن ذلك من الخداع والايثار فيخرج الولد منها خدَّاعاً مؤثراً لنفسهِ غير مهتم بأمر غيرهِ

لذلك يجب ان ينظر في تقسيم التلامذة الى جعلهم مساعدين بعضهم لبعض كأنهم يعلمون انهم اعضاء جسم واحد وعلى كل واحد منهم ان يسعى في مصلحة الجسم كلهِ او انهم عاملون في بناء واحد

ولا يتمُّ نظام المدارس على هذا الاسلوب الاَّ بعد ان يتعلم المعلمون مطالب الامة وما تحتاج اليهِ لنموها وارتقائها كما يتعلمون فسيولوجية الدماغ وفلسفة القوى العقلية وكيفية تثقيفها فيسيروا على هدًى في ترقية عقول التلامذة وتعليمهم العلوم التي يحتاجون اليها كأعضاء عاملين لخير الامة على الاسلوب الذي يرسخ العلم في النفس ويمكّن منها ملكة التعاون وحب الخير العام

هذا وان من ينظر نظرة عامة في تاريخ الرجال الذين اشتهروا بالعلم وافادوا وطنهم بهِ يجد ان كثيرين منهم لم يقتصروا على ما تعلموهُ في المدارس بل تعلموا كثيراً فوقهُ خارج المدرسة وانهم كلهم كانوا يعملون في طلب العلم ويطبقونهُ على العمل ويجرون فيهِ على ما تقتضيهِ حاجة البلاد كارهين التقليد مائلين الى الابتكار ولو خالف المألوف . ويجد ايضاً ان اكثر الذين فاقوا غيرهم في حفظ الدروس حسب رغبة الاساتذة ونالوا اكثر العلامات في الامتحانات اليومية والسنوية ولم يقرنوا العلم بالعمل لم ينتفعوا بعلمهم ولا نفعوا بهِ وطنهم . وان التلامذة الذين يساعدون اخوانهم في دروسهم يستفيدون اكثر من غيرهم . وانهُ لا يرسخ في الذهن من علوم المدارس كلها الاَّ ما يستعمل منها وما بقي يذهب ضياعاً يضيع بهِ جهد الاستاذ وجهد التلميذ وتذهب فيهِ قوَّة عقلية كان يمكن ان تستخدم في ما ينفع صاحبها ووطنهُ ولذلك لا يُستغرَب قول من قال ان التعليم قد يفضي الى البله والحماقة . فعلى الامة التي تطلب تعميم التعليم في بلادها ان تطلب اولاً اصلاحهُ حتى يكون منهُ النفع الاكبر والاَّ فنهُ ضرر كبير

الذبّان وطبائعهُ

مضى البرد واقبل الحرّ وخرجت الحشرات من مكامنها وانتشر الذبّان في كل مكان لا يُعتنى بنظافتهِ . خرج دفعةً واحدةً لانهُ لا يولد صغيرًا ثم يكبر ككبار الحيوانات وبعض الحشرات بل يولد كبيرًا بالغًا بحجمهِ الطبيعي . وهو والبعوض (الناموس) سيّان في هذا الامر كأنهُ خلق ليكون الضربة المؤلمة من اول ولادتهِ . واما الذبان الصغير الذي يرى احيانًا متجمعًا على الواح الزجاج في البيوت فليس من الذبان العادي ولا يكبر عن الحجم الذي يرى فيهِ

والذبان من اكثر الحشرات انتشارًا وما من احد الّا ورأى الالوف والوف الالوف منها ولكن قلَّ من يخطر بباله ان يبحث في طبائعها اين تولد وكيف تولد وما هي الاطوار التي تمرُّ عليها قبلما تظهر في منازلنا وكيف تظهر فيها دفعةً واحدة ضيفًا غير محتشم فلا تترك شيئًا من طعامنا حتى تذوقهُ قبلنا وتسابقنا على الشراب وتقع على ايدينا ووجوهنا تصافحنا وتقبلنا رضينا او لم نرضَ

رأى العلماء الباحثون في طبائع الحشرات ان الذبابة تبيض بيضها في الزبل وفضلات المطابخ التي تلقى في المزابل اي حيث تجد صغارها طعامًا حالما تولد

وهي نهمة الى الغاية القصوى فلا يمضي عليها بضع ساعات حتى تخرج من بيضها . وقد رأيناها تخرج منهُ حالما يخرج من جوف امها . وتشرع حالاً تلتهم ما حولها حتى اذا مرَّ عليها يومان او ثلاثة او اربعة وقفت عن الاكل كأنها تشعر حينئذٍ بدنس المعيشة التي عاشتها فتصوم لتكفّر عن ذنبها وتغور في الارض ويجف جلدها ويصلب وتتحوَّل اعضاؤُها كلها وسائر جسمها الى سائل شفاف فتذوب داخل جلدها ذوبانًا وتصير كالزلال في البيضة . واذا فحص هذا السائل بميكرسكوب قوي لا يرى فيهِ اثر للدودة التي كانت ولا للذبابة التي ستكون بل قشور دقيقة جدًّا وهذه القشور تشرع تغتذي من السائل وتكبر فيتكوَّن منها جسم الذبابة واعضاؤُها المختلفة

اي ان الذبابة من الذبان الذي نراهُ حولنا تكون في طفوليتها بيضة صغيرة جدًّا ثم تصير دودة فتاكل وتكبر حتى تبلغ اشدها ثم تعود بيضة كبيرة وبعد ذلك تخلق الذبابة بجسمها واعضائها وجناحيها من مادة هذه البيضة ويتمّ هذا كلهُ في خمسة ايام او ستة حسب حرارة الهواء . واذا برد الهواء جدًّا وقف تكوُّن الذبابة الى ان تشتد الحرارة ولكن البرد لا يقتلها ولذلك لا يظهر الذبان في البرد الشديد بل يتأخر ظهورهُ الى ان تشتدّ الحرارة فيظهر كلهُ

دفعةً واحدة كأنَّ الارض فاضت بهِ كما فاضت في زمن موسى

وخروج الذبابة من البيضة كخروج الفراشة من الشرنقة والفرخ من البيضة تقوم بهِ وحدها من غير قابلة ولا معينة وذلك ان رأسها يكون متجهاً الى الجزء الاوهن من بيضتها وفي مقدمهِ كيس صغير تتنفث فيهِ كل سوائل جسمها فينتشر ثم يجمد ويصلب فتستعملهُ كالمنجنيق وتضرب بهِ جدار البيضة الى ان ينشق فتخرج منها ثم تعود السوائل من هذا الكيس الى جسمها وتنتشر فيهِ وبعد قليل يجف جسمها فتصير ذبابة كاملة بالغة اشدها كاخواتها اللواتي خرجن قبلها . وان اقلقت راحة الناس فشأنها في ذلك شأن كل امرءٍ رأى اليسر دفعة واحدة بعد العسر وكأنها تكون قد ملَّت الاقامة في الخلاء فتدخل البيوت ولا تعود تخرج منها الاَّ نادراً فتقاسمنا منازلنا رغماً عنا وتواكلنا وتشاربنا رضينا او لم نرضَ

وقد يظن لاول وهلة انها نظيفة جدًّا لكثرة ما نراها تحكُّ ذراعها بذراعها كما قال عنترة العبسي وتنظف بدنها بيديها ورجليها وهذا صحيح ولكنها لا تعاف القذارة ولا يبعد ان تقع على مادة فيها جراثيم الامراض ثم تقع على طعامك فتنقلها اليك وتطعمك اياها وانت لا تدري . اما حكها لذراعيها ومسحها لجناحيها وسائر جسمها فلهُ سبب آخر غير حب النظافة وهو انها لا تتنفس من انفها كما نتنفس نحن بل من مسام دقيقة منتشرة في جسمها فيدخل الهواء هذه المسام و ينتقل بانابيب دقيقة الى دمها فيطهرهُ فاذا سدَّت المسام ماتت الذبابة اختناقاً ولذلك تضطر ان تنظف جسمها دائماً من الغبار الذي يلصق بهِ وشأنها في ذلك شأن كل الحشرات التي تتنفس من ابدانها ولهذا السبب تموت اذا وقع عليها مسحوق الحشرات الناعم لا لانهُ سم يميتها بل لانهُ مسحوق ناعم وفيهِ مزية الالتصاق فيلتصق بها و يسد منافسها فيميتها اختناقاً

ثم ان الذبابة تتنفس بهذه المنافس اي تأخذ الهواء بها ولكنها لا تخرجهُ بها من جسمها كما ندخل الهواء من انوفنا ونخرجهُ منها فان عند مدخل كل انبوب من انابيب هذه المنافس طلبا تمتصُّ الهواء من الخارج وتدخلهُ الى جسم الذبابة وفي الانابيب مصاريع او صمامات كصمامات الاوردة تسمح للهواء بالدخول ولكنها لا تسمح لهُ بالخروج فيجري فيها ويصل الى الانابيب الدقيقة . وحول هذه الانابيب الاوعية الدموية وجدرانها دقيقة جدًّا وكذلك جدران الانابيب الدقيقة فينفذها الهواء و يصل الى الدم و يطهرهُ ثم يخرج من جلد الذبابة

وهذا الامر يفسر اموراً كثيرة متعلقة بالذباب فيفسر خفتهُ وقوتهُ العظيمة بالنسبة الى صغر جسمهِ فان الذبابة ترفع ما يزيد ثقلهُ على ثقلها ستين مرة مع ان الحصان يرفع ما يزيد ثقلهُ على ثقلهِ مرتين فقط وسبب ذلك ان دم الذبابة يتطهر ويتأكسد كلهُ دواماً فتتولد

منهُ قوة كثيرة . ولعلَّ طنين الذباب يفسَّر بذلك اي بدخول الهواء وخروجهِ من مسام جسمهِ بسرعة وتفسَّر بهِ ايضاً كيفيَّة امتصاص الذبابة للطعام فانها تمدُّ خرطومها الى قطعة السكر مثلاً وتصبُّ منهُ لعاباً يذيب قليلاً من السكر ثم تخرج الهواء من انابيب دقيقة في جوف الخرطوم فيصير فيهِ فراغ فيمتصُّ بضغط هواء الجو السكر الذي ذاب واذا لم يكن الطعام مما يقبل الذوبان فلها اسنان صغيرة فتقضمهُ بها وتفت منهُ اجزاء دقيقة جدًّا وتبتلعها

وفي رأس الذبابة عينان كبيرتان مستديرتان غير متحركتين وكلٌّ منهما مؤلفة من الفي عين صغيرة كما يظهر بالميكرسكوب وفي كل عوينة من هذه العوينات بلورة متصلة بفرع من العصب البصري فكل عوينة عين مستقلة بذاتها ويجب ان ترى ما امامها كما نراهُ بعيوننا فاذا وضعنا تفاحة امام الذبابة فهل ترى تفاحة واحدة او اربعة آلاف تفاحة فان كانت ترى تفاحة واحدة فما ذلك الَّا لان كل عوينة ترى جزءًا صغيرًا من التفاحة ومجموع هذه الاجزاء يكوّن صورة التفاحة . وان كانت ترى صورة تفاحة بكل عوينة فالصور كلها تجتمع في المركز البصري فتشعر الذبابة بها كأنها صورة واحدة كما نرى نحن صورتين للشيء الواحد بالعينين وتجتمع الصورتان على المركز البصري ونشعر بهما صورة واحدة الَّا اذا حرفنا عيناً عن موقعها الطبيعي نحوًا ما فنرى حينئذٍ الشيء الواحد اثنين

ثم ان في رأس الذبابة ثلاثة اعين اخرى بسيطة عدا العينين المركبتين فما هي فائدتها يا ترى . ويظن بعض العلماء ان الذباب لا يرى ابدًا ولكنهُ يشعر بوجود المرئيات من حركة الهواء . فاذا وضعت نحلة في كاس من الزجاج وادير قعرها الى النور فان النحلة تحاول الخروج منهُ مدة ساعات متوالية ولكن اذا وضعت ذبابة في تلك الكاس وادير قعرها الى النور فالذبابة لا تحاول الخروج من قعر الكاس مع انهُ مواجه للنور بل تخرج حالاً من فم الكاس . واذا وضع لوح زجاج على فم الكاس يمنع الذبابة من الخروج ثم ازيح قليلاً حتى انكشف من فمها ما يكفي لمرور الذبابة فانها تخرج منهُ حالاً . وهذا دليل على انها تهتدي الى المخرج بالهواء لا بالنور ولذلك اذا وضعت الرتيلاء في اناء ورمي لها الذباب فأكلت منهُ وشبعت وبقي ذباب لم تأكلهُ فانهُ يقيم معها في الاناء غير خائف منها كأنهُ لا يراها او كأنهُ انما يهرب من حركة الهواء فان الذبابة تهرب من الرتيلاء ولو كان ظهرها لا وجهها متجهاً اليها ولذلك يحتال بعض العناكب على الذباب ويأتيهِ رويدًا رويدًا من غير ان يحرك الهواء حتى اذا قاربهُ وثب عليهِ وامسك بهِ

وللذبابة قرنان وهما منخراها اللذان تشم بهما وعلى صغرها في كلٍّ منهما ١٧٠٠٠ ثقب

متصلة بالاعصاب فتساعدها على استرواح الاطعمة . واذا ايف احد هذين القرنين بقي القرن الآخر فيقوم مقامهُ ولكن اذا نزع القرنان لم تمد الدبابة تشم ولو وضعت الى جانب لحم منتن

وتمشي الذبابة على السطح التام وعلى السطح المقلوب كأعلى سقف البيت من غير ان تقع لان في اخمص قوائمها الاربع المؤخرة مادة اسفنجيَّة تفرز منها عند ما تريد سائلاً لزجاً فتلصق بهِ بما تلمسهُ اما يداها المقدمتان فتستعملها لتناول طعامها وغسل بدنها . ولها في كل قائمة مخلبان اعقفان طويلان تنزع بهما القائمة بعد ما تلصق بالسائل اللزج

من الاقوال الشائعة في هذه البلاد ان الذبان نجس واذا وقعت ذبابة في فنجان لبن او كاس ماء او صحفة طعام قالوا انها نجستهُ وهذا قد يكون صحيحاً لان الذبان يقع على المواد التي فيها جراثيم الامراض فتلصق بهِ وينقلها الى ما يقع فيهِ

وللذباب اعداء كثيرة تصطادهُ وتغتذي بهِ . وتقع عليهِ بزور الفطر المنتشرة في الهواء وتنمو على جسمهِ وتميتهُ فيسير في طريق كل حي يولد ويعيش ويلد ويموت وهلمَّ جرًّا

اختلاط الذهن الهستيري

تعليل الدكتور شميل للحادثة المذكورة في الجزء الماضي

يتبغي علينا ان نفحص هذه الحادثة فحصاً دقيقاً لنعلم ما اذا كان الامر صحيحاً او احتيالياً اذ لا يخفى ان اصحاب الهستيريا كثيرًا ما يخدعون فيدعون امورًا ويتقلدون اعراضاً ليست فيهم حقيقة ولا سيما ان الرجل من الاذكياء المتعلمين . فنبحث اولاً في نوب الهستيريا هل كانت حقيقية او لا . ثانياً في اختلاط الذهن هل كان المصاب لا يرى صور الاشخاص الاَّ بصورة معلومة ولا يسمعهم يتكلمون الاَّ بصوت معلوم . وثالثاً في انبائهِ بالامور هل كان انباءه لم يسبقهُ علم او كلاماً في امرٍ معلوم . ثم نبحث عن ذلك كلهِ هل هو ممكن طبيعياً او هو خارج من مدار العلم الطبيعي لاننا لا نريد ان نثبت شيئاً هنا الاَّ بعد تمحيصهِ بنار الانتقاد ومحاولة تعليلهِ تعليلاً علمياً

اما الرجل فهستيري لا غش فيهِ وتاريخهُ الماضي والحاضر لا يدع ادنى شبهة فيهِ وقد عالجهُ اطباء كثيرون من قبل ومن بعد . واذا فحصت جلدهُ بالدبوس وجدتهُ في بعض النقط فاقد الحس اي بهِ "انستيزيا" خصوصاً في مساحة بقدر الريال تحت اللوح الايسر وكذلك النوب التي عرضت لهُ في هذه الحالة نوب هستيريا لا يشك فيها من رآها فيهِ مرَّة . وهي

كانت تعرض لهُ منذ اول الامر كما صبَّ الماء البارد على رأسهِ ثم صار صب الماء على الرأس وحدهُ غير كافٍ وصارت لا تعرض لهُ الاَّ اذا صبَّ الماء على كل جسدهِ " بالدوش " وقد تحققنا ذلك بنفسنا وتحققهُ معنا اطباء آخرون وكان بهِ عدا ذلك اعراض أُخرى تدلُّ حقيقة على انهُ كان مريضاً . منها الحمى العمومية التي كانت تتناوبهُ اياماً والحمى الموضعية العصبية المحرقة السريعة الزوال التي كان يشتكيها في اماكن متفرقة من جسدهِ وعلى الخصوص في القسم المعدي من البطن والقلبي من الصدر ووجود نقط مؤْلمة خاصة في قمة الرأس ووجود نتوّ عظمي مؤْلم بقدر البندقة الكبيرة في الجزء الجداري الصدغي الجبهي الايسر exostose ولم نحقق ما اذا كان النتو موجوداً بهِ من قبل المرض اوحدث في سيرهِ لاننا لم نتنبه لهُ الاَّ بعد ايام ولم نستطع ان نهتدي اليهِ لا منهُ ولا من الاهل . والعرق الذي كان يحصل لهُ بعد النوب العصبيَّة والذي كان احياناً غزيراً جداً . وجفاف اللسان واكتساؤُهُ طبقة سمراء . وتعبهُ من الطعام اذا غصب عليهِ وخصوصاً اذا كان من مواد جامدة وحينئذٍ لا بدَّ من ان يتقيأهُ ولو مهما كان قليلاً . والعرض الاهم الذي لا يبقي ادنى ريبة هو الرعاف المتكرر الذي كان في اكثر الاحيان دورياً والذي كان ينزف بهِ احياناً دم كثيرٌ جداً . وشدَّة اشتكاء اعراض الطنين في الاذنين والازيز في الدماغ قبل ان ابتدأ الرعاف وخفتها بهِ شيئاً فشيئاً . وكذلك قصر مدة رجوعهِ الى اليقظة الحقيقيَّة قبلهُ (اي قبل الرعاف) واستطالتها بعدهُ . وهذه كلها امورٌ تدلُّ على ان المرض كان حقيقياً لا احتيالياً وليس من البشر من يستطيع ان يحتال كل هذه الاعراض الطبيعيَّة

اما اعراض اختلاط الذهن وتنبُّه الدماغ فالحكم فيها لا شكَّ انهُ اصعب من تلك لانها من الاعراض الداخلية (Subjectifs) التي يشتكيها المريض ولا يراها الطبيب ولكن اذا دققنا النظر نرى اننا لم نعدم فيهِ ايضاً اعراضاً خارجية (Objectifs) يراها الطبيب مثل تغيُّر منظر العينين وانفتاحها والحوَل الوحشي في العين اليمنى . ومعرفة جميع الالوان الاَّ اللون الازرق فكان يظهر لهُ اسود واللون الرمادي فكان يظهر لهُ ابيض واما في اليقظة فكان يعرفهما . وعدم معرفة الشعر اذا قدّمت لهُ جديلةٌ منهُ والذي جعلنا نمتحنهُ بالشعر رؤْيتهُ جميع الصور بصورةٍ واحدةٍ سواء كان الاشخاص ملتحين او حليقين او مرداً فانهُ كان يراهم جميعاً بصورة صاحبهِ الحليق مع انهُ كان يرى ادق الاشياء كالبراغيث والنمل الخ . والقوة الغريبة التي كانت لهُ في هذه الحالة . والرُّعاف المتكرر كما قلنا الدال على تهيُّج الدماغ وطول مدة هذا الاختلاط قبل الرعاف فانهُ لم يكن يستيقظ منهُ في اوَّل الامر الاَّ ثواني

قليلة بعد حصول النوبة الهستيرية بصب الماء البارد على رأسهِ وقصرها وطول مدة اليقظة بعده فمن المستحيل ان يحتال المريض كل ذلك مهما كان ذكيًّا . واصعب من ذلك ايضاً الحكم في النوم السمنمبولسمي فلولا ان كان مرنوقاً في اكثر الاحيان بعرض طبيعي كالعرق الذي كان غزيرًا في نوبتهِ الاولى لكان بهِ محلٌّ واسع للشك على ان هذا العرض وارتسام صور المؤثرات على الوجه بابدع ما يمكن مما لا يستطيع تقليده اعظم الممثلين والمقدرة على التصرُّف بالصوت والكلام مع فصاحة النطق الغريبة مما يقصر عنهُ اعظم الخطباء كل ذلك يرجح عدم الاحتيال في هذا النوم ولقد قال فيهِ بعض من رآهُ يتكلم وكان في نومهِ الاخير يودع صاحبهُ الذي كان يدعوهُ اباهُ ومخلصهُ والمحسن اليهِ لاعتنائهِ بهِ في كل مدة مرضهِ وتخليصهِ لهُ من الموت وكان المشهد موثرًا جدًّا " لو يخطب في مجلس وهو صحيح مثلما تكلم في هذه الحالة لأثر في الجماد "

اما الانباء بالامور فالحكم فيهِ يحتاج الى زيادة تدقيق وهي ثلاثة اقسام امور معلومة منهُ قبل تاريخ مرضهِ وامورٌ مشتبه في كونها معلومة او مجهولة منهُ في تاريخ مرضهِ وامور منتظرة . فالامور المعلومة منهُ هي كذكرهِ جميع الوقائع المتعلقة بتاريخ حياتهِ قبل مرضهِ بالتدقيق في تواريخها بالسنين والشهور والايام وهذه ليس فيها شيء غريب فهي ممكنة ولاسيما في الهستيريا حيث تبقى الذاكرة سليمة مهما اختلط العقل وربما قويت عن قبل . والامور المشتبه في كونها معلومة منهُ او مجهولة هي مثل معرفة الساعة ولون البقرة وعمرها وعمر ولدها من لبنها ووجود الرجلين في البيت ومعرفة جميع وقائع مرضهِ والوسائل العلاجية التي استعملت له ومقدار ما نزفهُ من الدم وكم مرة نزف وما اكلهُ من اللبن وانواع المرق المختلفة بايامها وساعاتها ودقائقها. اما معرفة الساعة فربما كانت الامر الذي هو اقل شبهة من الجميع فقد امتحناهُ نحن وامتحنهُ اناس كثيرون غيرنا من اطباء وغير اطباء وكان جوابهُ صحيحاً دائماً وهذه المعرفة كانت بهِ منذ اواسط مرضهِ وقد انتبه اليها الاهل ونبهونا اليها من طلبهِ الدواء ليلاً ونهارًا بمواعيدهِ بدون ان ينظر في الساعة . واذا كان بها احتيال فليس لهُ الاَّ فرضان احدهما من معرفة الاوقات مرتين او ثلاث مرات في النهار وهو مستيقظ اذ كان يسأل كم الساعة ثم يعرف سائر اوقات النهار بالتقدير . وهذا لا يصح الاَّ في اواخر مرضهِ حين صار يستيقظ كثيرًا ويسأل عن الساعة واما في اواسط مرضهِ فكان يستيقظ مرة او مرتين بحسب صب الماء البارد عليهِ ويبقى مستيقظاً دقائق قليلة يشتغل فيها بغير السوَال عن الساعة . والفرض الثاني وهو ما نبهنا اليهِ بعضهم هو مواعيد سفر قطارات سكة الحديد من المحطة اذ كان صفيرها يسمع

من بيته وتقدير سائر الاوقات عليها ولا نعلم كيف نقابل هذين الفرضين لانهُ بالحقيقة يقتضي ان يكون عقلهُ مع ذلك خارقًا للعادة ولاسيما اذا علمنا ان هذا الموضوع ليس الموضوع الوحيد الذي كان يشتغل بهِ بل كان يشتغل ايضًا بالوف من المسائل الاخرى التي ذكرها ودقق في تواريخها وخاصةً وقائع مرضهِ . واما معرفة لون البقرة فهذا تحققناهُ على شهادة الاهل وهو يحتمل الشبهة لان اللبن الذي كانوا يأخذونهُ في الصباح كان من بقرة حمراء والذي كانوا يأخذونهُ في المساء كان من بقرة صفراء فقد يمكن انهم ذكروا هذا الامر امامهُ مرةً فصار يعرف ذلك من مواعيد تقديم اللبن لهُ . واما عمر البقرة وعمر ولدها فهذان لم يكن الاهل يعلمونهما الاَّ بعد ان سألناهُ عنهما واوصيناهم بان يستعلموا عنهما من صاحبهما ولذلك يرجح صدقهُ في قولهِ . اما معرفة وجود الرجلين في البيت والوقت الذي وصلا فيهِ فهذا ذكرهُ امامنا وقد تقدم ان الاهل اكدوا عدم علمهِ بهما لا منهما ولا من ادنى حركةٍ عند دخولها لانهما دخلا ومرَّا من مكان بعيد عن غرفتهِ محجوب لا يصلهُ النظر ولا الصوت ونحن متيقنون ان الاهل ليس لهم ادنى غرض في التواطوء معهُ ولا سيما اذا علمنا ان اكثرهم مرتابون في امره واما جميع وقائع مرضهِ من كل ما يتعلق بهِ بايامها وساعاتها ودقائقها متقطعة كانت او مستمرَّة فان لم يكن عن اختلاط الذهن فلا شك انهُ يكون من اغرب ما سمع وروي عن قوة الذاكرة في الصحة

اما الامور المنتظرة التي انبأ بها قبل وقوعها فالمهم منها ثلاثة اولاً انباؤهُ بكدره قبل وقوعهِ بساعات . ثانيًا انباؤهُ بالرعاف . ثالثًا انباؤهُ بتغير مرضهِ وبيوم شفائهِ . ولا يخفى ان الامرين الاول والثالث يحتملان الريب لانهما يقبلان الحيلة وان تكن الظروف الخصوصيَّة التي حصلا فيها تجعل هذا الريب نفسهُ محلاً للنظر . واما الرعاف فقد تمَّ فعلاً كما كان ينبئ بهِ وهو مما لا يحتمل الاحتيال ولا سيما ان مقدارهُ كان في بعض الاحيان كثيرًا جدًّا . على ان كل هذه الامور منضمة الى بعضها والى سائر اعراض المرض الطبيعيَّة يضعف الظن بالاحتيال بها ويرجح كونها صحيحة والاَّ فيكون امرها اغرب ايضًا جدًّا مما لو كانت مرضية

اما تعليل هذه الامور وامثالها فربما لم يكن اليوم صعبًا مثلما كان يبدو لنا في الماضي وربما وجدنا لنا من مكتشفات العلم مرشدًا يهدينا . فلا يخفى ان هذه الامور اما ماضية واما مستقبلة فالماضية اذا كانت معلومة ليس في ذكرها شيءٌ من الصعوبة ولا سيما اذا علم ان الذاكرة في اصحاب المستيريا قوية جدًّا فان كان المريض قد ذكر وقائع حياتهِ قبل المرض فلأن هذه الوقائع معلومة لهُ في وجدانهِ الصحيح وان كان قد ذكر الوقائع التي جرت لهُ في

حين المرض بكل تدقيق فلأنها جميعها ايضاً معلومة له في وجدانه المريض فهي في كلا الأمرين معلومة له وذكرها ليس الا دليل على قوة الذاكرة وهذه كما قلنا قوية جدًا في الهستيريا فليس في تعليلها ادنى صعوبة . وانما الصعوبة في تعليل معرفة الاشياء الواقعة المجهولة مثل معرفة الاوقات بالساعات والدقائق ومثل الشعور بامرٍ سيحدث . فاما معرفة الاوقات بالضبط بدون نظر الى الساعة فربما كان لنا في مكتشفات العلم الطبيعي ما يسهل علينا فهمهُ . فلا يخفى ان لكل تأثير لا بدَّ من عوامل ثلاثة فاعل يحدث هذا التأثير وناقل ينقلهُ وقابل يحس بهِ والا لم يتمَّ التأثير فالناظر الى شيء انما يبصر هذا الشيء لان النور ينعكس عن صورتهِ ويقع بها على عصبهِ البصري فالشيء هو الفاعل والنور هو الناقل والعصب البصري او الدماغ هو القابل فاذا تعطل احد هذه العوامل لم يتم الابصار لضعف الفاعل في الاول كما لو كان الشيء بعيدًا او محجوبًا وفقد الناقل في الثاني كما لو كان عوضاً عن النور ظلمة او كان حاجز يمنع نفوذ النور او تعطل القابل في الثالث كما في العمى لو تعطل قوى الدماغ . وماقيل عن البصر يقال ايضاً عن السمع وسائر حواس الانسان

وعليهِ فمن الممكن اذا امكن تقوية احد هذه العوامل ان يرى الانسان ويسمع اشياء لا يراها ولا يسمعها عادةً لضعف عواملها . والظاهر من الاختراعات التي اخترعها الانسان ان تقوية احد هذه العوامل ممكنة . فقد تمكَّن بواسطة الكهربائية ان ينقل الصوت من مكان الى مكان آخر بعيد بحيث صار يسمع غيره يتكلم وهو بعيد عنهُ محجوب بكل ما يبدد صوتهُ ويمنعهُ عن الوصول اليهِ كما في الآلة المعروفة بالتلفون وفيما نذكر قد تمكن من نقل الصور بها ايضاً وذلك بتقوية الناقل مع بقاء الفاعل والقابل على حاليهما . وهذا يستنتج منهُ انهُ لو وجدت احوال امكن فيها تقوية القابل مع بقاء الفاعل والناقل على حاليهما لامكن الحصول على نفس النتيجة ايضاً ومعلوم ان الكهربائية مالئة الكون وانهُ لا يقف امامها حاجز وان كل شيء في هذا الكون لهُ اثر واثرهُ منقول بالكهربائية او بقوَّة أُخرى عالية لا نعلمها الى جميع الجهات ومنطبع على صفحات هذا العالم واذا كنا لا نشعر به دائماً فلانَّ حواسنا في حالتها المعروفة ضعيفة عن ادراكهِ . ومعلوم كذلك ان في الامراض حالاتٍ يقوى بها تأثر العصب جدًا فاذا كانت مثل هذه الامور الخارقة العادة تحصل احياناً فربما تمت على موجب هذا التعليل فيرى حينئذٍ الانسان صور الاشخاص ويسمعهم يتكلمون ولو كانوا بعيدين عنهُ وعلى هذا التعليل يكون صاحبنا قد رأى الساعة وعرف لون البقرة ووجود الرجلين في البيت

واما توقع الكدر فهو من الامور المشتركة بين الماضي والمستقبل فما كان منهُ كما في قولهِ

" سأتكدَّر غداً جداً " فهو جزمٌ في الامر ويعتبر انباء بأمرٍ حاصل لا توقعاً لامرٍ آتٍ حقيقةً واذا صحَّ ان الوقت الذي انبأ فيهِ هو نفس الوقت الذي اجتمع فيهِ الرجل بصاحبهِ وقرَّرا فيهِ ميعاد سفرهما في الغد فيكون تعليلهُ كتعليل رؤْية الساعة وسماع كلام المتكلمين لتقوية " القابل " كما تقدَّم . والاَّ فان كان كما في قولهِ " ربما تكدَّرت عند المساء " فهو توقُّع حقيقي وربما كان تعليلهُ صعباً كتعليل قراءة الافكار اللهمَّ الاَّ ان تكون القوى القابلة (العصبيَّة) متنبهة تنبهاً شديداً بحيث تؤَثّر فيها الحركات الكهربائيَّة الناقلة المسبَّبة عن اختلاج الافكار وعقد النيات فيكون تعليلها ايضاً على نسق التعليل السابق . ولا يخفى ان توقُّع شيءٍ اعني تقدُّم الشعور pressentiment امرٌ كثيرٌ في البشر ولا سيما في النساء واصحاب المستيريا اعني في ذوي العصب المتنبه وهو عبارة عن صوت مبهم في الانسان فربما كان ابهامهُ لضعف وصول التأثير اليهِ كسائر تأثُّر الحواس كالبصر والسمع الخ بالمؤَثرات اذا بلغتها ضعيفة فتشعر بها مبهمة . واعلم ان هذه التأثيرات الخارقة العادة مع ما فيها من الغرابة لا تأتي اعتباطاً بل هي واقعة تحت شرائط معلومة فكاشف الخبءِ وقارئ الافكار لايهتديان في كشفهما وقراءتهما ان لم يساعدهما صاحب الحاجة العارف بمكانها وصاحب الفكر بتوجيه النيَّة الى الحاجة المطلوبة في الاوَّل والاستقرار على الفكر المقصود في الثاني واحياناً بوصل الجسد بالجسد ايضاً كالقبض باليد على اليد وذلك لسهولة انتقال التأثير اليهِ . ويمكن ان تحصر هذه الشرائط في امرين احدهما " تنبه مساعد " كما في تنبيه اللبن الى معرفة البقرة في مسأَلة صاحبنا او " انتباه موجه " اي استعداد في العصب لشدَّة تأثرهِ من امرٍ كأنهُ متكيف لهُ لقبول تأثيرهِ فيكفي في تنبيه هذا التأثير فيهِ اقل حركة من المؤَثر كما في مسأَلة معرفة مجيءِ الرجل ووجوده في البيت فكأنهُ يقتضي نسبة خصوصية بين الفاعل والقابل حتى يحس بهِ ولذلك لم يكن ينبئ صاحبنا من بين المؤَثرات الكثيرة المختلفة التي حولهُ الاَّ بما لهُ علاقة خصوصية بهِ شديدة . وهذا ما يجعل هذه الحادثة وغيرها من الحوادث التي في ظاهرها غريبة تحت روابط خصوصية وسنن معلومة كالسنن الطبيعية

واما الانباء بمجيءِ الدم فتعليلهُ اسهل من ذلك فلا يخفى انهُ كان في الاول يرى قبل مجيءِ الدم بساعات شيئاً احمر فاما انهُ بقي يرى هذا الشيء الاحمر واما انهُ لكثرة تكرار النزف صار المجموع العصبي مؤَلفاً للتغيرات التي تحصل فيهِ والتي تسبق الرعاف فصار يحس بها وينبئ بهِ . ولذلك لم يكن حكمهُ فيهِ الاَّ لوقتٍ قريب كاربع وعشرين ساعة او ثمانٍ واربعين ساعة على الاكثر ولهذا اصاب فيهِ لغاية هذا الميعاد ولما اراد ان يتخطاهُ أخطأ فرعف مرتين اكثر

مما كان قد عيَّن كما تقدَّم . وحصول مثل ذلك كثيرٌ بين الناس ايضاً فكثيرًا ما يعرف احدهم بانهُ سيعرض لهُ صداع مثلاً قبل عروضهِ بساعات من تأثيرٍ يشعر بهِ ولا يستطيع ان يعبّر عنهُ . واما الانباء بتغيُّر حال مرضه وبيوم شفائهِ فهذا سهل الفهم اليوم جدًّا وقد جرى على قواعد التعزيم او الاستهواء المعروف عند الافرنج بلفظة Suggestion فلا يخفى ان شركو وتلامذتهُ تمكنوا في هذه الايام من احياء التعزيم المستعمل منذ القديم في برءِ هذه العلل ولكن على وجهٍ علمي وقد تمكنوا بهِ من برءِ علل كثيرة عصبيَّة ومن التصرُّف باحوال اصحاب هذه الامراض كما يشاؤون فيقولون لهم مثلاً بعد ان ينوّموهم النوم المغنطيسي " ينبغي ان تبقوا نياماً ساعات كذا وان تأكلوا وأنتم نيام دفعتين في وقت كذا ووقت كذا وان تهبّوا من نومكم ولا تفتكروا الاَّ كذا وكذا " ويتم كل ذلك فيهم فعلاً لانهم يصيرون تحت فعل المغنوتسم ألين من الشمع . يحكى عن احد تلامذة شركو انهُ نوَّم امرأة هستيريَّة وكانت متزوّجة وأمرها بأن تتزوّج فلاناً وسمَّى لها راهباً شيخاً جليلاً فلما استيقظت لم ترضَ الاَّ ان تتزوّج بهذا الشيخ واعرضت عن زوجها حتى استغرب الناس صنيعها وخجل زوجها من جنونها الى ان علم اخيرًا انها مستهواة ولم تنصرف عن فكرها حتى صرفت عنهُ باستهواء آخر . ولا يخفى ما اخذت هذه المسألة من الاهمية اليوم في الهيئة الاجتماعية لانهُ علم ان الاستهواء قد يمكن ان يتم ايضاً عن بعد لذلك تغيَّر نظرهم في المسئولية الادبية لان المذنب قد يمكن ان يكون قد ارتكب ذنبهُ بقوَّة قاهرة فيهِ صادرة اليهِ من شخص آخر فلا يكون الذنب عليهِ حقيقةً بل على هذا الشخص . فانباء المريض بشفائهِ وتغيُّر احوال مرضهِ هو من هذا القبيل ايضاً لانهُ لما كان يتكلم عنهما كان تحت سلطان شخص آخر يخاطب معهُ دائماً في نومهِ وكان هذا الشخص يأمرهُ كما دلَّ كلامهُ عليهِ وأوامرهُ عليهِ كانت مطاعة عندهُ كالاوامر التي يفعلها تلامذة شركو . الاَّ ان الاستهواء هنا لم يكن من شخص غريب كما في تلك بل كان من نفس المريض فانهُ حصل فيهِ تثنية في الوجدان من حيث حاله في الصحة والمرض واستهواء ذاتي: Dedoublement de la personnalité dans ses deux états de santé et de maladie et suggestion spotanée ou, comme je l'appellerais aussi, auto-suggestion.

وعليهِ فيكون برؤهُ قد تمَّ على قواعد معلومة ايضاً على ان حالهُ تغيرت من بعد ذلك الى حالة أُخرى كما قلنا وسنرى ما يكون من امرها ونبسطها فيما بعد . ولولا ضيق المقام لفسحنا المجال للتعليل اكثر من ذلك

مصر والسودان

اتيحت لنا زيارة السودان في الشهر الماضي فسرى بنا القطار على جناح البخار الى ان تبلج وجه الصباح . وهبَّت ذوات الجناح . وتصاعدت انفاس الطلى يعبث بها النسيم جنوباً . وبسطت الغزالة اشعتها على مروج كساها الزمرد ثوباً قشيباً . وجرى النيل فيها يحمل النضار . ويقلّ بواخر التجار والسفّار . وهياكل القدماء تشرف عليه كالخفر . وتنبئ عما مرَّ بها وبه من العبر . فتذكرت السنين الخالية ونبهت القريحة الخاملة فجادت بالابيات التالية . فقلت مخاطباً النيل وما ابقاه القدماء من آثار عظمتهم

١

ابا مصر[1] ومصدر نعمتيها لقد شاخ الزمان وانت كهلُ

بنى لك آل فرعون صروحاً عُبدتَ بها وانت لذاك اهلُ

فما نفس رأت نعماً غزاراً وخصباً لا يقوم لديه محلُ

وكان الشكر مرمى ناظريها وربُّ الكون لم يدركه عقلُ

بمشركةٍ اذا شكرت صنيعاً عن الادراك صانعهُ يجلُّ

فان الفضل يعرفهُ ذووهُ وفضل النيل لا يعلوهُ فضلُ

٢

ابا مصر مضت حِقَبٌ طوالٌ وانت تجودُ بالخيرات مِصْرا

تجيءُ بها من السودان عفواً وتنثرها على الارضين نثرا

بحيرات الجنوب لك الجواري نواصرها[2] لديك تطيع امرا

فتجرف تُرْب احباش ودنكا[3] وتسبكهُ فيصبح فيك تبرا

وتحملهُ على حمر المطايا تسيل بها البطاح الجردُ بحرا

سخاء لا يُرى شحٌّ لديهِ وجودُ البحر عند النيل بخلُ

٣

ابا مصر اتدري كم شعوب بواديك استعزُّوا ثم هانوا

(١) كناية عن النيل لان بلاد مصر متكونة من ترابه (٢) النواصر الانهر الصغيرة التي تصب في غيرها (٣) بلاد الدنكا في جنوب بلاد السودان

مواتَ الارض احيوهُ قديماً فحلَّ محلَّ قاحلها جنانُ
مهندسهم درى مسح الاراضي وجرَّ الثقل ما كان الوزانُ
بنوا الاهرام محكمة الزوايا لديها كل صرحٍ مستهانُ
لها الشعرى دليل مستمرٌّ ونجم القطب ما كرَّ الزمانُ
وفيها من بديع الصنع آيٌ الى صنَّاعنا لم يوحَ مثلٌ (١)

٤

هيا كلهم كتاب جاء فيهِ حديث ملوكهم من قبل مينا (٢)
ترى جدرانها والنقش فيها فتحسبهُ طلاسم ساحرينا
رآهُ العرب منذ الفتح لغزاً فاسى مغلقاً هذي السنينا
ولكن في بلاد الغرب قوم رأَوا مجد الحال هدًى ودينا
فامضوا خيل عزمهم فجلَّت وحازت كشف سرِّ الغابرينا
تواريخ واخبار ووصف لملك دام لم يدخلهُ فصلُ

٥

صروح الدين لم يحصَ سواها بوادي النيل من اثرٍ مجيدِ
تعلقت النفوس بها فكرَّت دهور وهي في عيش رغيدِ
يواصلها العواهل بالهدايا وكهان الهياكل بالنشيدِ
واهل القطر طرًّا بالعطايا لرب الغيب عن كرم وجودِ
عبادات النفوس الامرُ فيها لآمال النفوس بلا محيدِ
ومال في سبيل البرّ يُعطى لأفضل ما ازدرعت وتستغلُّ

٦

مدافنهم خلود النفس فيها ادلَّتهُ على نهجٍ انيقِ
ترى ماضي الدفين كأن سفرًا يترجمهُ بتفصيلٍ دقيقِ
مغازيهِ وما قد نال منها من الاموال فيئاً والرقيقِ
معيشتهُ وما اعطى واسدى وما اولاهُ في سعةٍ وضيقِ
وما يرجوهُ من نعم وزلفى بآخرةٍ لدى ربٍّ شفيقِ
حنوط الجسم يحفظهُ دواماً ونفس الميت آيَ الحمد تتلو

(١) اي مثله (٢) اسم اول ملك من ملوك مصر

٧

مفاخر حازها اهلوك دهراً وأورثها البطالس حين سادوا
مشاعر دينهم حفظوا حراماً (١) واعلوا في هياكلهم وشادوا
أئمة دينهم ارضوا فارضوا لفيف الشعب وارتفت البلادُ
وجاء الروم بعدهمُ فجاروا وجزُّوا الصوف واحتلبوا وقادوا (٢)
وبعدهم تتابعت الرزايا جيوشاً تُستحثُّ وتستزادُ
بناء الملك صعب لم يرمهُ سوى العظماء والتخريب سهلُ

٨

ابا مصر مضت حجج طوال اواصرها التخاذلُ والفناء
وسلب المال والارواح عفواً كأن الخلق أنعام وشاء
وتخريب البلاد فلا زروعٌ وتشتيت العباد ولا عداء
فضجَّ القطر من ظلم وجور وكم داء يكون بهِ الدواء
فشاء الله ان مضت الليالي ليالي السوء وانتشر الضياء
وارسل آل اصلاح وَعدل وحسْب الشعب اصلاحٌ وعدلُ

وكنت قد عقدتُ النيَّة على ان اتابع السير حثيثاً حتى اصل الخرطوم ثم اعود منها على مهل واتعهَّد المعاهد القديمة لأرى ما كُشف فيها بعد زيارتي الاولى لها (٣) . فبلغت الشلال وركبت سفينة بخارية اجتازت بنا النيل الى حلفا والبلاد على ضفتيهِ ضيقة النطاق قد لا يزيد عرضها على اشبار ولكن نخيلها وزروعها على غاية الخصب والنماء واهلها من البرابرة وهم يروونها بالسواقي والشواديف وكلما هبط النيل عن شبر من الارض زرعوهُ الترمس واللوبياء وعندهم نحو ثلثمئة الف نخلة لهم منها ريع وافر . وجمهور كبير منهم متفرق في مدن القطر المصري لخدمة اهله يرسلون ما يفيض معهم من اجورهم الى اهاليهم في تلك البلاد فيبلغ خمسين او ستين الفاً من الجنيهات في السنة على ما يُعلم من دفاتر البريد. وقد بنوا قرى كثيرة على الضفتين وشادوا بعض بيوتها بالشيد فتظهر كالثوب الابيض على ما وراءها من الصخور الجرداء . ولكن شتان بين ما هم فيهِ الآن وما كانوا عليهِ في غابر الازمان ان كانوا من نسل النوبة سكان تلك البلاد في عصر الفراعنة فان ملوكها كانوا يغزون القطر المصري المرَّة بعد الاخرى وقد تسلَّطوا

(١) اي محرمين (٢) من قادهُ الى القتل (٣) ترى وصف هذه الزيارة في رسائل النيل التي نشرت في المجلد الخامس عشر من المقتطف

عليهِ غير مرَّة ففي القرن الرابع والعشرين قبل المسيح غزوا مقالع اسوان وفي القرن العاشر قبل المسيح اقتبسوا العمران المصري وتدينوا بالديانة المصرية وعبدوا معبودات مصر وامتدوا في فتوحهم الى القطر المصري حتى اذا كان القرن الثامن قبل الميلاد استولوا عليهِ كلهِ وصارت منهم الدولة الخامسة والعشرون من الدول المصرية

وحارب النوبيون البطالسة وكانت الحرب بينهم سجالاً وتنصروا في القرن الخامس والسادس وغزاهم العرب لما فتحوا مصر وظلوا يدافعون العرب تارة ويهاجمونهم أُخرى الى اواخر القرن الثالث عشر للميلاد فانحط شأنهم بعد ذلك وراجت النخاسة في بلادهم وتدرَّجوا في الانحطاط حتى صاروا لا ملك ولا رئيس ولا شأن يذكر

والبحث عن ملوك النوبة وآثارهم واخبارهم لا يخلو من فائدة ولذلك سنعقد لهُ فصلاً طويلاً بعد الانتهاء من مفاخر البطالسة

ووصلنا مدينة حلفا عصارى النهار وركبنا منها قطاراً بخارياً قطع بنا مفاوز السودان وفدافدهُ الى ان وصلنا مدينة الخرطوم ونحن لا نصدّق اننا نمرُّ في بلاد كانت بالامس ميداناً لسفك الدماء واجتراح المنكرات ولم اكد اصل الخرطوم حتى سئلت عما رأيتهُ في سفري اليها وما وجدتهُ فيها فكتبت الرسائل التالية في جريدة السودان وها انا انقلها واضيف اليها ما منعني ضيق المقام عن اثباتهِ فيها

الرسالة الاولى

ترى كثيرين من اهل السياحة والرحلات يكتبون المجلدات الضخمة عن بلادٍ مرُّوا بها ولم يقيموا في كل بلد منها سوى بضعة ايام او بضع ساعات واهل تلك البلاد الذين ولدوا فيها واقاموا السنين الطوال يتعذَّر عليهم ان يكتبوا عنها فصلاً واحداً ولو حاولوا ذلك لرأوا في ما يعلمونهُ من التفاصيل ما يتعذَّر معهُ الكلام المجمل الذي يكتفي بهِ السيَّاح. الاَّ ان النظرة المجملة التي يكتفي بها عابر السبيل قد تدلُّ على الكليات ومجمل الاحوال اكثر مما تدل عليها الامور الجزئية التي تملأُ ذهن الساكن المقيم

على هذا البناء تجاسرت وكتبت السطور التالية ذاكرًا فيها ما اثرتهُ في نفسي النظرة الاولى التي شاهدت بها بلاد السودان

اول بلد دخلناهُ من بلاد السودان حلفا. لم ارَ فيها بناءً فخماً ولا شيئاً يدلُّ على غنى واسع او ثروة طائلة لكنني وجدتها تفوق ما كنت انتظرهُ من حيث انتظام مبانيها وشوارعها

وهي في ذلك تفوق كل بلد من حجمها من بلدان القطر المصري . والامر الاهم الذي اتجه اليهِ نظري حالما دخلتها وسرت في شوارعها هو نظافتها التامة مما ليس لهُ مثيل في بلدان القطر المصري ولا في مدنهِ الكبيرة ولا استثني القاهرة عاصمة الديار المصرية . فالذين في يدهم نظافة المدينة حريون بكل شكر من هذا القبيل لا سيما وان الاموال التي تنفق في تنظيفها مجموعة من اهاليها

ثم زرت المستشفى الملكي وسألت حضرة طبيبهِ الدكتور نجيب ابلاً عن الصحة العمومية والامراض الشائعة في المدينة فاكد لي ان الصحة على غاية ما يرام وان الامراض قليلة جدًّا اكثرها حميات ملارية اصيب بها اصحابها في اواسط السودان لا في حلفا نفسها وتتلوها امراض العيون الناتجة عن كثرة الغبار وشدة الحرارة والنور . ولم يزل السكان الاصليون بعيدين عن النظافة المطلوبة لحفظ الصحة

وقد راقني ما رأيتهُ في بيت التلغراف وهو ان عمالهُ من الشبان السودانيين وهم على صغر سنهم يحسنون القراءة العربية والانكليزيَّة ورأيت في احد الشوارع بالات كثيرة مرصوفة بعضها فوق بعض فسألت عمَّا فيها فقيل لي انها بالات شاي جلبها حضرة التاجر الهمام عمر افندي نخري وحضرة اخيهِ وهي برسم السودان فوقفت مدهوشاً من سرعة انتشار التجارة والحضارة ولم اصدق ان البلاد التي كانت بالامس تئن من ظلم التعايشي ولا يجد اهاليها الذرة يتبلغون بها صارت الآن تجلب الشاي من بلاد الهند بهذه المقادير الكبيرة وهو مشروب اهل الرفاهة . وسألت عن حضرة عمر افندي نخري فقيل لي انهُ ذهب الى بورت سودان ليزور المحل التجاري الذي فتحهُ هناك ويراجع حساباتهِ في آخر السنة . ومن لا يندهش لذلك فان بورت سودان لم يمر عليها الاَّ سنة من حين فتحت للتجارة وللحال انتفعت منها بيوت التجارة السودانية . ولقد اصاب مصلح مصر وحاكم السودان العام في بذلهما الوسع لانشاء سكة حديد البحر الاحمر لان للتجارة اليد الطولى في نشر لواء العمران

ويشكو اهالي حلفا من ان هذه السكة ستضعف شأن مدينتهم وقد يكون ذلك صحيحاً ولكن ما كان يمكن للتجارة ان تعزز لا في الوارد ولا في الصادر ما دام طريقها على مصر ولقصر واسوان وحلفا والعطمور لطول الشقة وكثرة نفقات النقل . ومصلحة الجمهور مفضلة على مصلحة الافراد

وسكة الحديد من حلفا الى الخرطوم مستوفية كل لوازم الراحة حتى كأَننا كنا سائرين في افضل قطارات سكك الحديد في اوربا وكنا نحو عشرين راكباً اكثرهم من الاوربيين

والاميركيين ليس بينهم من المصريين غير المسيو ابلي قطاوي البكير المشهور والمسيوموصيري وظهر لي من الحديث معهم انهم كانوا مسرورين من حسن الادارة والمعاملة شاكرين لمستر فسكردي الذي اقام القطار من حلفا في الدقيقة المعينة لقيامهِ واوصلهُ الى الخرطوم في الدقيقة المعينة لوصولهِ

وقد رأيت في الطريق ما زادني اعجاباً بهمة الشعب الانكليزي فقد شاهدت رجالهم في المحطات المختلفة ولا سيما محطة الاتبرة لا يعبأُون بالحرّ ولا بالغبار ولا بالانقطاع عن وسائل الراحة والرفاهة التي الفوها . وتجلَّت لي الحالة التي يمكن ان يوصلوا هذه البلاد اليها ولا سيما من بربر الى الخرطوم حينما يتيسر لهم التحكم بماء النيل حتى يرووا الوفاً ومئات الوف من الفدادين التي تنتظر الماء فتتدفق خيراتها على السكان وعلى اضعاف اضعافهم . ورأيت المدن القديمة التي خربها ظلم الدراويش وقرض سكانها وآثار المدن الاقدم منها التي لاشتها مظالم العصور الغابرة وكانت عزيزة منيعة منذ الف سنة او الفي سنة فتجلت لي الحالة التي يمكن ان تعود اليها قبل انتهاء القرن العشرين حينما يصير اهالي مصر واهالي السودان ثلاثة اضعاف ما هم الآن

فان هذه البلاد كانت ممالك عظيمة كثيرة السكان وافرة الخيرات ولا سيما مملكة مروي التي لا تزال اهرامها قائمة تناطح السحاب وآثار ملوكها منقوشة في الصخور تقاوي انياب الدهر كما ترى في الصورتين التاليتين فان الاولى منهما صورة اهرام مروي كما يراها السائر الى الخرطوم وهي كالاهرام المصرية الاَّ انها اضيق قاعدةً بالنسبة الى ارتفاعها . والثانية صورة ملك من ملوك النوبة الاولين ووراءهُ الملكة زوجتهُ والالهة ايسس . والصورة منقوشة على الهرم التاسع من هذه الاهرام وهي كثيرة مختلفة الاقدار وساسهب الكلام عليها في فصل خاص اجمع فيهِ خلاصة ما يعلم عن تلك البلاد

وكل ما تمَّ الى الآن من النجاح وكل ما يمكن ان يتم في المستقبل القريب والبعيد متوقف على اعتناء الحكومة وعلى اهتمام الاهالي اما الحكومة فقد برهنت الى الآن على انها لا تحيد عن سبيل العدل والانصاف ولا تترك واسطة لانجاح البلاد الاَّ وتستعملها فلم اسأل احداً من اهالي السودان عن احوال العدل والامن الاَّ شكر الحكومة وحمد الله ولم ارَ في الاساليب المتبعة الاَّ غاية ما وصل اليهِ العلم والاختراع فالقطار الذي اتينا فيهِ ينار بالنور الكهربائي ويبرد هواؤُهُ بالمراوح الكهربائية ويقدم الطعام الفاخر للمسافرين فيهِ . ومع طول الشقة وقلة الماء في جانب كبير من الطريق وشدة الحرّ وكثرة الغبار وصل القطار في الدقيقة المعينة لوصولهِ بعد سير ست وعشرين ساعة ونصف ساعة

فالحكومة قائمة وستقوم بكل ما يطلب منها لانجاح البلاد ونشر العمران فيها وايرادها موارد السعادة . واما الاهلون فامرهم في يدهم فان ارادوا ان ينتفعوا من هذه الفرص من علم الانكليز ومهارتهم ومن خيرات ارضهم فسيكون لهم افضل مستقبل يرجى لقوم يسكنون هذا الاقليم . وقد رأيت من نجابة المستخدمين السودانيين الذين شاهدتهم اثناء سفري ما يحمل على الامل ان كل ابناء جنسهم يصيرون مثلهم اذا احسنت تربيتهم

الرسالة الثانية في الخرطوم

لم يكن من نصيبي ان شاهدت الخرطوم قبلما خربها الدراويش ولا حينما شرعت الحكومة الحاضرة في عمارتها لكي تسهل عليَّ المقابلة بين ما كانت عليهِ وما صارت اليهِ لكنني قرأت عنها وسمعت ورأيت من صورها القديمة ما يكفي لهذه المقابلة

فقد كانت الخرطوم قبل ان خربها الدراويش قرية كبيرة نشأت نشوءًا طبيعياً من غير نظر الى ما يمكن ان تبلغهُ البلاد التي هي عاصمتها ثم استولت عليها الهمجية فخربتها لكي لا يبقى للعمران اثر في هذه الانحاء فامست ركاماً من الاتربة والانقاض ولقد سمعت عن عمارتها الحديثة ورأيت رسمها ولكن ليس السمع كالعيان ولا الرسم كالحقيقة

فأول شيء وقع عليهِ نظري بعد سفر طويل في بلاد قليلة العمارة كثيرة الاراضي الصالحة للزراعة محطة الحلفاية او الخرطوم البحرية وما ترك لها من المجال الفسيح لتوسيعها ولم يكن يخطر لي ببال ان اجد في قلب افريقية محطة كبيرة مثل هذه ولا انها تشاد في هذا الوقت القصير وادركت غاية الحكومة من تشييدها على هذا المنهاج الكبير ونظرت بعين الخيال الى السنين التالية حينما تترا كم فيها بضائع الصادر قبل بضائع الوارد حينما ترصف فيها بالات القطن بعضها فوق بعض كما ترصف الآن في محطات القطر المصري والتجار يطلبون سرعة شحنها ومعامل اوربا تنتظرها يوماً فيوماً ومياز يب الذهب تنهال على هذا القطر ثمناً لها فان المليون والنصف من الافدنة التي زرعت قطناً في القطر المصري في العام الماضي انتجت من القطن ما ثمنهُ نحو ثمانية وعشرين مليوناً من الجنيهات فماذا يكون من ملايين الافدنة في كل بلاد الجزيرة وعلى ضفاف النيل واي مستقبل مذخور لها في زوايا الغيب

لقد قال احد الامريكيين واصاب " ان بلاد الجزيرة الآن كما كانت بلاد المسسبي في اميركا الشمالية منذ نحو مئة سنة " افلا تصير مثل تلك البلاد مصدراً لثروة طائلة تقدر بمئات الملايين من الجنيهات والقطن الذي جربت زراعتهُ في السودان اجود من القطن الاميركي واثمن

وكل ما يزرع ويجود في البلدان الحارة يزرع ويجود في بلاد السودان كالقمح والذرة والفول والسمسم وقصب السكر ونبات الخروع وشجر اللستك وكلها من الحاصلات التي يمكن اصدارها عدا ما يصدر من البلاد من الصمغ والريش والعاج وفيها مجال واسع لتربية المواشي واصدارها . وكل ما يصدق على البلدان الزراعية يمكن ان يصدق على هذا القطر. ولا يخفى ان الزراعة هي المصدر الحقيقي للثروة لانها تستثمر خيرات الارض وربح الزراعة اوفر من ربح الصناعة والتجارة حتى في اكثر البلدان الصناعية التجارية ولكن لا بدّ لنجاح الزراعة من سهولة النقل وكثرة العمال وغزارة الماء . اما النقل فستكون هذه السكة من اكبر مسهلاته ولا سيما بعد ان تنتشر فروعها في البلاد كلها وقد بدت تباشير ذلك فان الحكومة مدت فرعاً الى مروي في مديرية دنقله ولا شك في ان فروعاً اخرى ستنشأ قريباً من الخرطوم جنوباً فالذين انشأوها وانشأوا لها هذه الخطة الواسعة نظروا بعين العقل الى ما يمكن ان ينتظر لهذه البلاد من النجاح

اما السكان فقليل عددهم لان ظلم السنين الغابرة افناهم فلا يبلغون الآن مليونين في كل بلاد السودان واكثرهم لا يزال على الفطرة فلا ينتظر منهم شيء كثير الآن وقد بلغني انهم ليسوا اهل جد ونشاط فاذا كان عندهم طعام يومهم فلا يهتمون بغدهم ولعل ذلك لا يصدق على الذين اصلهم عربي لكن السكان يزيدون زيادة عظيمة في البلدان الشرقية حالما ينتشر فيها لواء الامن وتهتم حكومتها بالصحة العمومية ومنع الاوبئة كما هو مشاهد الآن في القطر المصري فان سكانهُ يزيدون نحو اثنين في المئة كل سنة وهذه الزيادة لا مثيل لها في مملكة من الممالك الاوربية ولا بد من ان يزيد عدد السكان في بلاد السودان على هذه النسبة او اكثر. هذا من حيث العدد اما النشاط والاهتمام بالمستقبل فقد رأيت الطريق الموصلة اليهما في اول بناء عمومي دخلتهُ في مدينة الخرطوم وهو مدرسة غوردون التي هي من اعظم الاعمال نفعاً لهذا القطر وسيزيد نفعها متى ضُمَّت اليها مدرسة للزراعة يبنى العلم فيها على الاختبار الخاص ببلاد السودان وطبيعة ارضهِ واقليمهِ وهذا الشيء منوي الآن كما اخبرني المستر كري مدير هذه المدرسة

وقد رأيت في الوقت القصير الذي جلت فيهِ في غرف الدرس واماكن العمل ما يحقق ذلك فاني رأيت التلامذة دئبون على دروسهم واعمالهم المختلفة دأب من قبلهُ في عملهِ هؤلاء يكتبون واولئك يعملون الاعمال الحسابية او يحدِّدون او ينجرون يتعلمون اليوم ما يفيدهم في مستقبل حياتهم. ونقارير هذه المدرسة ومباحث اساتذتها في زراعة البلاد وحشراتها والآفات

التي تعتري مزروعاتها ومواشيها وسائر ما يبحث اهل العلم فيهِ تقابل باحسن تقارير دواوين المعارف في ارقى البلدان عمراناً

ثم انهُ يرجح ان يهاجر كثيرون من سكان مصر الى هذه البلاد والفلاح المصري مشهور باجتهادهِ ومواظبتهِ على العمل فيتساعد بهم سكان السودان ويتعلمون منهم بالقدوة . واول ارض زراعية دخلتها في بري بجوار الخرطوم رأيت فلاحها مصري الاصل وهو شيخ طاعن وقد خدم الاطيان التي هو فيها خدمة خبير بالزراعة والعمال الذين معهُ سودانيون ولكنهم يعملون معهُ بنشاط على ما يظهر اقتداء بهِ . سأَلتهُ عما لقيهُ في زمن حكم الدراويش فتنهد ثم تبسم وقال عذبونا كثيرًا ولكن الحمد لله فقد خلصنا من ذلك الظلم

ومياه النيل غزيرة جدًّا اغزر مما يحتاج اليهِ القطر المصري لو امكن التحكم فيها ولاسيما زمن الفيضان حين ينصبُّ جانب كبير منها في بحر الروم . والبناء الذي يبنى للري في هذه العاصمة هيكل يجتمع فيهِ مهندسو الري لدرس الاعمال التي يمكن عملها لري بلاد السودان من غير ان يلحق بالقطر المصري ضرر ولا يتعذر على اهل الهمة والنشاط والعلم والتدبر ان يستنبطوا طرقًا لخزن مياه الفيضان التي تزيد عما يلزم لري القطر المصري واستعمالها في بلاد السودان كما لا يتعذر عليهم ان يقللوا ما يتبخر من المياه بانتشارها في البطائح الاستوائية

ولكن نجاح الزراعة لا يكفي وحدهُ لارتقاء البلاد وان كان لهُ اليد الطولى في ارتقائها فلا بد من ادارة ماليتها واحكامها وسائر اعمالها . واهتمام رجال المالية بادارة مالية البلاد وتقديم الاموال اللازمة لما يجري فيها من الاعمال والاعتدال في ذلك حتى لا يبلغ التوفير درجة الشح ولا الكرم درجة الاسراف ولا ينفق غرش في غير موضعهِ يضمن لمالية السودان السير في سبيل التقدم المستمر واستعمال المال في اصلح ما يستعمل لهُ

وقد بلغني من الكولونل برنارد باشا ان المال الذي توفر لديهِ في آخر العام الماضي من زيادة الايرادات والتوفير في المصروفات بلغ ٢٢٥٠٠٠ جنيه وسينفق هذا المبلغ كلهُ في اصلاح البلاد واستثمار مصادر ثروتها

وبلغني من الذين حادثتهم في شؤُون السودان ان محاكمهُ تعدّ مثلاً في سهولة التقاضي وعدل الاحكام وسرعة انجاز الاعمال وودوا لو رأَوا مثل هذه السهولة وهذه السرعة في القطر المصري . ورأيت في المستشفى الاميري من الاستعداد التام لمعالجة الامراض والآفات والاعتناء بالمرضى الذين يعالجون فيهِ ما يتضح منهُ ان الهمم مبذولة في ترقية البلاد واسعاد سكانها

ولا يخفى ان الاشراف على هذه الاعمال كلها مع ادارة الجيش المصري منوطة برجل

اشتهر بوداعتهِ ولين عريكتهِ كما اشتهر بهمتهِ و بسالتهِ اعني بهِ السر رجينلد ونجت باشا سردار الجيش المصري وحاكم السودان العام ولقد ادهشني ما رأيتهُ في وجوه علماء البلاد واعيانها يوم خلع عليهم في عيد الاضحى فانهم كانوا يصافحونهُ مسرورين مبتهجين لا كأنهُ حاكم سامٍ وآمر مطاع بل كأنهُ صديق حميم ووالد شفيق تجب طاعتهُ كما تجب طاعة الوالد

هذا هو الاساس الواسع الجدران الذي رأيتهُ في مدينة الخرطوم قبل ان اطلعت على التفاصيل وكيفما نظرت اليهِ من وجهٍ حسي او معنوي رأيت فيهِ دليلاً كبيرًا على مستقبل بسَّام تمهناً بهِ هذه البلاد

اما الخرطوم نفسها كمدينة من المدن فاتساع شوارعها ونظافتها التامة وانارتها بالنور الكهربائي الساطع الذي انيرت بهِ بعَيد دخولي اليها وفخامة مباني الحكومة فيها وانتظام المساكن الجديدة واتمام ذلك كلهِ في بضع سنوات تدل على انهُ لا تمر بضع سنوات أُخرى حتى ترصف الشوارع كلها وتصير ترش يومياً لمنع الغبار وتغرس الاشجار على جوانبها وينشأ الكبريان اللذان يصلان بينها و بين الحلفاية وام درمان فتصبر هي وهما مركزًا لتجارة السودان ومصدرًا ينتشر منهُ نور العلم والعرفان في كل مجاهل افريقية

وهنا امر لا يصح الاغضاء عنهُ وهو ان كل الذين يساعدون الحكومة في بناء هذه المدينة وتوسيع تجارتها وزرع الاطيان القريبة منها ليسوا من اهالي البلاد الاصليين بل من الذين هاجروا اليها من السوريين واليونان والايطاليين وان بعض فضلاء الاوربيين انشأوا فيها البنوك والفنادق فلهم كلهم فضل لا ينكر في مساعدة حكومة السودان وان كانت الحكومة قد سهلت لهم كل السبل وساعدتهم مساعدة كبيرة · وعسى ان يستمروا على هذا الاجتهاد وهذا الدأب وان لا يكون منهم للبلاد الأكل نفع

وما تمَّ حتى الآن على كثرتهِ يعدُّ قليلاً جدًّا بالنسبة الى ما تحتاج البلاد اليهِ حتى تصير من البلدان المرتقية الناجحة في زراعتها وصناعتها وتجارتها ولا بدَّ من ان يتم اضعاف اضعافهِ وتمر سنون كثيرة قبل البلوغ الى الغاية المطلوبة

ولكن مهما بذل رجال الحكومة من العناية لانجاح هذه البلاد ومهما ساعدهم في ذلك النزلاء لا يتم نجاحها ما لم يساعدهم سكانها وفي مقدمتهم علماؤُها واعيانها فالسبيل المفتوح امامهم الآن سبيل مجد وفلاح وما عليهم الاَّ اغتنام الفرص لنيل ما تصبو اليهِ نفس كل حر كريم

مفاخر البطالسة

بطليموس العاشر الملقّب بسوتر الثاني

هو ابن بطليموس التاسع من زوجتهِ كليوباطرة الثالثة . فان كليوباطرة هذه اخذت على زوجها عهداً ان تملك بعدهُ ووافقها اهالي الاسكندرية على ذلك وعزمت ان تشرك ابنها الاصغر معها وهو بطليموس الحادي عشر ويسمَّى بالاسكندر الاول ولكن الشعب لم يرضَ بهِ فعدلت عن عزمها واشركت معها اخاهُ بطليموس العاشر وكان قد تزوج باختهِ كليوباطرة الرابعة لكن امهُ الزمتهُ بتركها والتزوج باختهِ الصغرى سليني وارسلت ابنها الثاني بطليموس الحادي عشر الى قبرص وجعلتهُ ملكاً عليها

ومرَّت السنون وهذه الملكة وابنها الاكبر على تمام الوفاق ثم اختلفا في مسألة اليهود على ما قالهُ يوسيفوس وغيرهُ من المؤرخين فان الملكة اقامت اثنين من اليهود على قيادة الجيش ولم تعد تبرم امراً حربياً بغير رأيهما وهما ابنا اونياس الذي بنى هيكلاً لليهود في قسم المطرية مثل هيكل اورشليم وكانا معززين من اغنياء اليهود في القطر المصري فوقع الخلاف بين الملكة وابنها لان ابنها كان يودُّ ان يساعد انطيوخس كيزمنوس على اليهود في سورية وامهُ تأبى ذلك عملاً بمشورة هذين الرجلين فاشتدَّ الخلاف بينهما واقنعت اهالي الاسكندرية ان ابنها عامل على قتلها فاضطرَّ ان يترك مصر ويلجأ الى قبرص فاستدعت ابنها الاصغر واشركتهُ معها في الملك فاستولى ابنها الاكبر على قبرص رغماً عن امهِ وارسل اليهِ اهالي عكاء يستنجدونهُ على الاسكندر ملك اليهود فجاءهم بسفن قبرص وثلاثين الف مقاتل ولما درى ملك اليهود بذلك رفع الحصار عن عكاء وحاول الايقاع بجنود بطليموس غدراً ثم كتب الى امهِ يحرضها عليهِ وجمع خمسين الف مقاتل وقابلهُ بها والتقى الجيشان قرب الاردن فدارت الدائرة على اليهود ويقال انهُ قتل منهم ثلاثون الفاً وخرب البلاد واستولى على عكاء ومثَّل بالنساء والاولاد . وعاد من سورية قاصداً مصر لكنهُ رجع عنها خائباً وارتدَّ الى قبرص

وفي نحو سنة ١٠١ قبل المسيح قتل بطليموس الحادي عشر امهُ اذ بلغهُ انها عازمة ان تغدر بهِ فسخط اهالي الاسكندرية عليهِ وثاروا فهرب بزوجتهِ وابنهِ الى قبرص وتبعتهُ الجيوش المصرية اليها وقتلتهُ . ولما شاع خبر قتلهِ استدعى الاسكندريون بطليموس العاشر من قبرص واعادوهُ الى كرسي الملك فملك وحدهُ من سنة ٨٩ قبل المسيح الى سنة ٨١ اي نحو ثماني سنوات وثار الصعيد في هذه المدة باغراء ملوك النوبة وعصت تبت وقاومت جنود بطليموس سنتين

كاملتين لكنهُ فتحها اخيرًا عنوة واستباحها نهبًا وقتل اهلها ولم تقم لها قائمة من ذلك الحين

وصادق بطليموس هذا اهالي اثينا فنصبوا لهُ ولابنتهِ برنيكي تمثالين من النحاس اكرامًا لهُ ورمم الهيكل الذي بناه ترهاقا في مدينة هبو وهيكل الكاب وزاد في نقش هيكل ادفو وهيكل ايسس في انس الوجود وبنى هيكلاً صغيرًا في كلبشة ورمم هيكلها الكبير والمظنون انهُ رمم هيكل الواحة الخارجة وقد فعل ذلك وهو مشارك لامهِ من سنة ١١٧ الى سنة ١٠٦ قبل المسيح

بطليموس الحادي عشر الملقب اسكندر الاول

تقدَّم تاريخهُ مع تاريخ اخيهِ وانهُ غدر بامهِ خوفًا من ان تغدر بهِ وكان الجنود يحبونها فقاموا عليهِ هم واهالي الاسكندرية فهرب من وجههم ثم قتل. ولما كان شريكاً لامهِ في الملك كانت العمارة قائمة في هيكل ادفو وفي ايامهِ بني السور الخارجي وطولهُ ٢٤٠ ذراعًا وعرضهُ ٩٠ ذراعًا وعلوهُ ٢٠ ذراعًا وسمكهُ عند اساسهِ خمس اذرع وترى صورتهُ عليهِ والاله منثو يمسُّ شفتيهِ بعلامة الحياة

وفي عهدهِ توفي بطليموس ابيون وهو ابن بطليموس التاسع من غير زوجتهِ الشرعية وكان ملكاً على كيرين فوهبها للرومان وكان ذلك سنة ٩٧ قبل المسيح

بطليموس الثاني عشر الملقب اسكندر الثاني

هو ابن بطليموس الحادي عشر. ارسلتهُ جدتهُ كليوباطرة الثالثة الى جزيرة كوس خوفًا من ابنها بطليموس العاشر وارسلت معهُ اكثر كنوزها فبقي في الجزيرة الى ان استولى عليها متريداتس سنة ٨٨ قبل المسيح فوقع في اسروفا كرمهُ ولكنهُ هرب الى سلاَّ القائد الروماني الشهير واقام عندهُ في رومية الى ان توفي عمهُ بطليموس العاشر فارسل اهالي الاسكندرية وطلبوهُ من رومية. وكانت ابنة بطليموس العاشر قد استوت على عرش الملك بعد ابيها فتزوَّج بطليموس الثاني عشر بها واشركها معهُ في الملك ثم قتلها بعد ثمانية عشر يومًا فسخط عليهِ اهالي الاسكندرية وجروهُ في الشوارع وقتلوهُ وبهِ انقرضت سلالة البطالسة الشرعية اي انقرضت سلالتهم من نسائهم اللواتي من نسل البطالسة

بطليموس الثالث عشر المعروف بالزمَّار

لُقب هذا الملك فيلوباتور فيلادلفس وسمَّى نفسهُ نيوس ديونسس وهو ابن بطليموس العاشر من زوجة من غير نسل الملك ولذلك لم يهتم احد بتوليتهِ لما كان للبطالسة اولاد شرعيون فلما قتل آخر واحد منهم كما تقدم قام فريق كبير من اهالي الاسكندرية واجلسوهُ على كرسي الملك وتزوج باختهِ كليوباطرة الخامسة وبامرأة اخرى مجهولة النسب ورزق من الاولى

ابنتين كليوباطرة السادسة وبرنيكي الرابعة ومن الثانية اربعة اولاد وهم ارسنوي الرابعة وبطليموس الرابع عشر وبطليموس الخامس عشر وكليوباطرة السابعة وهي المشهورة في التاريخ وبها انتهت دولة البطالسة وكانت ولادتها سنة ٦٩ قبل المسيح وتزوجت باخيها بطليموس الرابع عشر سنة ٥١ قبل المسيح ثم باخيها بطليموس الخامس عشر سنة ٤٧ قبل المسيح وكانت خليلة ليوليوس قيصر ومرقس انطونيوس كما سيجيء

لما استولى بطليموس الثالث عشر على تخت الملك حاول التقرُّب من الرومانيين لكي يعترفوا به ملكاً على مصر فاعترف به يوليوس قيصر سنة ٥٩ · واضطرَّ ان يرشي كثيرين من كبراء رومية وبتزّ الاموال الطائلة من رعيتهِ فكرههُ المصريون واضطرَّ ان يهرب من وجههم الى رومية فملَّكوا ابنتهُ برنيكي بدلاً منهُ حاسبين انهُ مات ولكن لما علموا انهُ لم يزل حيًّا ارسلوا وفدًا كبيرًا الى رومية ليرفعوا شكاويهم الى مجلس الشيوخ عليهِ فاحتال بطليموس على اهلاك رجال هذا الوفد فقتل بعضهم وخاف البعض الآخر فرجعوا مخذولين . وشاع الامر في رومية وطلب البعض محاكمة الذين فعلوا ذلك فجعل بطليموس يرشي الكبراء وكان شيشرون الخطيب المشهور قد نصرهُ واقنع مجلس الشيوخ ببلاغتهِ حتى امروا بارجاعهِ الى كرسي ملكهِ فلما علموا بما فعل بالوفد المصري استشاروا كتب الجفر (سبيلا) فكان جوابها ان لا يُحرَم ملك مصر من صداقة رومية اذا طلبها ولكن لا يحسن برومية ان ترسل جنودها لنصرتهِ والاَّ فامامهم المشاق والمخاطر · فانقسم رأي الرومانيين حينئذٍ وخرج بطليموس من رومية ولجأ الى هيكل ديانا في افسس ثم تصادق مع غابنيوس حاكم سورية وكتب بمبايوس الى غابنيوس ليساعدهُ ويردهُ الى ملكهِ ففعل ودخل القطر المصري عنوة وقتل ارخلاوس زوج برنيكي ابنة بطليموس وكانت قد ملكت في مكان ابيها فاسترجع ابوها تخت مصر سنة ٥٥ قبل المسيح واول شيء فعلهُ انهُ قتلها وقتل كثيرين من اغنى اهالي الاسكندرية لكي يستصفي اموالهم ويعطيها لغابنيوس · وعاش بعد ذلك نحو ثلاث سنوات ونصف وكان خليعاً سكيرًا

وبقيت اعمال البناء والترميم جارية مجراها في هياكل مصر مدة ملكهِ ولذلك يرى اسمهُ في هيكل الكرنك وادفو وهيكل كوم امبو وهيكل ايسس في جزيرة انس الوجود وصُوِّر هناك وهو قابض على اعدائهِ وهامٌ بذبحهم امام الالهة ايسس

ولما توفي سنة ٥١ قبل المسيح اوصى بمملكتهِ لابنتهِ كليوباطرة السابعة وابنهِ الاكبر بطليموس الرابع عشر على شرط ان يقترن باختهِ وهي المشهورة في التاريخ وسيأتي الكلام عليها في الجزء التالي

قبل الولادة وبعد الموت

اقترحنا على حضرة الاب صالحاني مكاتب مجلّة المشرق ان يرشدنا الى حل المسائل التالية وهي :—

(١) اين تكون نفس الانسان قبلما يتكوَّن في بطن امهِ

(٢) في اي وقت تدخل جسم الجنين

(٣) هل تكون حينئذٍ كاملة في كل مداركها

(٤) الى اين تذهب بعد موتهِ

وطلبنا منهُ لرفع الاشكال واتمام الايضاح ان يفرض رجلاً معيناً مثل احمد باشا الجزار او الامير بشيرًا الشهابي المعروف بالمالطي او يوسف بك كرم ويوضح لنا اين كانت نفسهُ قبلما تكوَّن في بطن امهِ وفي اي وقت حلَّت في جسمهِ وهل كانت حينئذٍ كاملة في كل مداركها والى اين ذهبت بعد موتهِ مثبتاً ذلك بادلَّة كتابيَّة او غير كتابيَّة

فاجابنا في مجلة المشرق بمقالة طافحة بدلائل ادبهِ وتقواهُ والشيء من معدنهِ لا يستغرب وقال بعد كلام طويل لا يهمنا الالتفات اليهِ ما يأتي

" اولها : « اين تكون نفس الانسان قبلما يتكوَّن في بطن امهِ » . فالجواب هو ان النفس قبل تكوُّن الجنين في بطن امهِ لا وجود لها البتة بل هي عدم . انما يخلقها الله رأساً حال تكوُّن الجنين . نبيّن ذلك بتشبيهٍ قريب لا يمكن للمقتطف ان ينكرهُ . هذه المادَّة التي تكوَّن منها العالم الارض والقمر والشمس والنجوم نسأل المقتطف أهي مخلوقة ام غير مخلوقة . فاذا قال انها مخلوقة فنسألهُ اين كانت قبل ان يخلقها الله . وان قال انها غير مخلوقة فيكون قد سلم بقول الدهريين والطبيعيين والماديين وهو قول الكفر لانهُ يجعل المادة ازلية اي يجعلها الله وينفي الاله الحقيقي . والعجب كل العجب ان الماديين يسلّمون بمادة ازلية تكوَّن منها العالم ولا يسلمون بعقل ازلي كلّي الكمال هو الله . ومن ثمَّ فلا بدَّ للمقتطف من الجواب بان الله خلق المادة من العدم اي انهُ لم يكن لها وجود قبل ان تخلق ولم تكن في محلّ بل كانت عدماً . وهكذا نقول عن النفس . فانها قبل ان يتكوَّن الجنين في بطن امهِ كانت عدماً اي غير موجودة فلم تكن في محلّ وانما اوجدها الله اي خلقها لتتحد بالجنين حال ابتداء تكوُّنهِ وعليهِ فسؤال المقتطف « اين تكون نفس الانسان قبلما يتكوَّن في بطن امهِ » هو باطل لا معنى لهُ ولا فائدة إن علم الحقيقة

" والبرهان على ان الله يخلق رأساً النفس حال ابتداء تكوّن الجنين بيّنٌ . لان النفس بما انها بسيطة لا اجزاء لها فلا يمكن ان توجد بان تشتقّ من نفس الامّ . وبما انها روحيَّة وعقليَّة فلا يمكن ان توجد بان تستخرج من المادة . فلم يبقَ الأ ان يخلقها الله رأساً كما خلق المادة

" السؤال الثاني : " في اي وقت تدخل (النفس) جسم الجنين " . قبل ان نجيب على هذا السؤال نقول ان الكلمة " دخل " التي استعملها المقتطف ليست مناسبة ولا صوابية لان النفس لا تدخل في الجسم كأنها ضمنهُ ويحتوي عليها . فليست في الجسد كالماء في الاناء او كالحنطة في الكيس . بل هي متحدة بالجسم اتحاداً جوهرياً فيتكوَّن من النفس والجسم شخص واحد هو شخص الانسان

" فبعد ان قدَّمنا هذه الملاحظة نجيب اوَّلاً : على افتراض انهُ لا يمكننا ان نعيّن ونحدّد الوقت الذي فيهِ تتحد النفس بالجسم فهذا لا ينفي وجودها واتحادها بهِ . كما انهُ لا يسوغ للعالم في العلوم الطبيعية ان ينفي وجود المادة ان لم يمكنهُ ان يعين الوقت الذي فيهِ خلقت . وكما لا يجوز لهُ ان ينفي الشمس ان لم يمكنهُ ان يعين ويحدّد الوقت الذي فيهِ كوّنت . وكما لا ينفي احد الحريق المشتعل في غابة او في بناية وان لم يتمكن من تعيين الساعة التي فيها ابتدأ

" نجيب ثانياً : ان النفس يخلقها الله رأساً حالما يصير الحبل اي حالما يتمّ تلقيح البويضة هذا هو اشهر تعليم العلماء سواء كانوا لاهوتيين او فلاسفة او اطباء . ومن ثم تميز النفس جسم الجنين في كونهِ جنين انسان عاقل لا جنين حيوان غير عاقل

" السؤال الثالث : " هل تكون (النفس) حينئذٍ كاملة في كل مداركها "

" الجواب : ان مدارك النفس تستلزم بعض النموّ في الجسم وكمال الجهاز الحسي والدماغ لان النفس في حال اتحادها بالجسم لا تدرك الأ بالحواس او بعد ان تكون الحواس تممت وظائفها اي شعورها . فالنفس تدرك الماديات ويشترك الحس بهذا الادراك . وتدرك غير الماديات اي تعلمها بشرط ان يوافق معرفتها شعور حسي او تخيُّل حسي فانها تجرّد من الشعور الحسي موضوع ادراكها العقلي اي المعاني . وعليهِ فطالما لم تبلغ الحواس والدماغ الدرجة اللازمة من النمو والكمال لا يمكن لقوى النفس ان تخرج الى حيز العمل . فتكون كالنار الكامنة تحت الرماد التي تضطرم وتلتهب حين يكشف عنها الرماد ويُلقى عليها الوقود . ويحسن ان نوضح ذلك بتشابيه اخرى : ان شجرة النخلة مثلاً لما تكون نبتة صغيرة تكون كاملة في

جنسها . ومع ذلك طالما لم تبلغ النموّ اللازم لا تزهر ولا تثمر . وهذا النموّ اللازم يختلف في النبات والاشجار المختلفة . والولد هو كامل في جنسهِ الانساني لا يقوى على التناسل طالما لم يبلغ مع ان فيهِ مبادئ قوة التناسل . ومبادىء النطق كامنة في الرضيع ولا تظهر بالفعل الاَّ بعد مدة . فهذه التشابيه تقرّب لنا فهم ما يخص قوى النفس ومداركها . فانها موجودة فيها كامنة فتنتبه شيئًا فشيئًا مع نمو الجسم وتهيوء الحواس والدماغ لمساعدة النفس في ادراكها . وهذا لا يتمّ الاَّ بعد زمن من الولادة . فتدرك بالحواس وتدرك بالعقل بان تجرّد من الشعور الحسي موضوعها العقلي اي المعاني . ومن هنا المعرفة الحسيَّة التي نشترك فيها مع الحيوانات . والمعرفة العقليَّة المختصة بالانسان

" السؤال الرابع : " الى اين تذهب (النفس) بعد الموت "

" الجواب : انها تمثل حالاً امام الله الديان الموجود في كل مكان لتؤدي الحساب عما عملت في حال اتحادها مع الجسد . وتكون في سلطتهِ تعالى . لا كما يقول بعض العلماء الذين تثقون بهم واوردتم زعمهم " ان نفوس الموتى تبقى حول الاحياء تؤثر فيهم على طرق مختلفة " . فان هذا متعلق بمشيئة الله وسلطة القدير العادل . فيضع النفس اما في السماء محل السعادة الابدية اذا كانت خالية من كل خطيئة او معصية . اما في جهنم محلّ العذاب الابدي اذا مات الانسان وهو اثيم بخطيَّة مميتة او معصية باهظة لشريعة الله ولم ينل المغفرة عنها قبل موتهِ بالتوبة الصادقة . واما في المطهر الى زمنٍ محدود يعرفهُ الله وحدهُ اذا مات الانسان وعليهِ بعض زلاَّت او مخالفات عرضية لوصايا الله ولم يغفر عنها قبل الموت . لانهُ لا يدخلها (السماء) شيءٌ نجس (رؤيا ٢١ : ٢٧) . وهذا التعليم يبرهنهُ العقل فضلاً عن الايمان . لانهُ ليس من العدل الالهي ان الرجل الملطخ باشنع الخطايا المرتكب لكثير من الآثام وقد يكون معززًا مكرمًا متلذذًا غنيًّا في دنياهُ يرحل من هذه الحياة دون ان يلقى بعد الموت جزاء ما جنت يداهُ من الشرّ كما انهُ ليس من العدل الالهي انّ البار الطاهر العادل المحب لقريبهِ الحافظ لشريعة الله ولحقوق الناس وكثيرًا ما يكون مجهولاً مظلومًا مبتلى بمصائب متنوعة يرحل دون ان يجازى بعد الموت على ما تممهُ من الخير والبرّ في ايام حياتهِ

"ولا يخيلنَّ المقتطف ان النفس توضع في المكان كالجسم . لان الروح البسيطة لا اجزاء لها ولا طول ولا عرض ولا يمين ولا شمال فلا تشغل المكان كما تشغلهُ المادة . فنفسك يا هذا هي كلها في جسمك وكلها في كل جزء من جسمك . فلا تقطع ولا تنقص اذا قطعت يدك او رجلك طالما جسمك هو في الاستعداد اللازم لحفظ اتحاد النفس بهِ . لكن متى فقدت

الشروط لحفظ هذا الاتحاد فتنفصل النفس · وبما ان النفس هي غير مادية فلا تتلاشى بالانحلال كالاجسام لان لا اجزاء فيها قابلة الانحلال . ولا تعود الى العدم لان الله الذي خلقها ويقدر ان يعدمها الوجود يريد حفظها ليجازيها على اعمالها ان صالحة بالخير اي بالسعادة وان طالحة بالشرّ اي بالعذاب"

انتهى كلام حضرة الكاتب وخلاصتهُ ان نفس الانسان يخلقها الله من لا شيء حالما يتم تلقيح البيضة التي يتكوَّن منها جنين الانسان وفي تلك اللحظة عينها تحلُّ هذه النفس في البيضة الملقحة فتصير انساناً ذا نفس خالدة وهذه النفس لا تخرج الى حيز العمل الاَّ بعد ان تبلغ الحواس والدماغ الدرجة اللازمة من النمو والكمال وحالما تخرج من الجسد تمثل امام الله الديان لتؤدي الحساب عما عملت في حال اتحادها بالجسد فيضمها اما في السماء او في جهنم او في المطهر

ولم يبيّن لنا حضرتهُ ماذا يصيب نفوس البويضات التي تُلقح ثم لا يتكوَّن منها جنين كامل او يتكوَّن الجنين ويسقط من غير ان يعمل عملاً يثاب عليهِ او يعاقب · ولا بيَّن مقدار زمن الحساب لانهُ يموت في كل دقيقة من الزمان اكثر من مئة انسان وقد يموت الوف في الدقيقة الواحدة كما اذا خربت المدن بالزلازل وغرقت السفن في البحار وحصدت النفوس في الحروب · ثم هل يستطيع الكاتب ان يورد دليلاً كتابياً على ان الله يحاسب هذه النفوس كلها في الدقيقة التي تخرج فيها من اجسادها وفي الكتاب نصوص على ان الحساب يكون في انقضاء العالم . وكذلك لم يبين ما يصيب الناس الذين لا يعتقدون معتقدهُ من اهالي الصين والهند واليابان ومن المسلمين والروم والبروتستانت هل تحشر نفوس هؤلاء كلهم في جهنم النار كما يعتقد ابناء طغمتهِ او يسمح لها بدخول السماء ولا ما هي ادلتهُ على ذلك ولا ما اذا كانت النفس تشعر بعد خروجها من الجسد وقد قال ان الجسد آلتها للشعور

وليعلم حضرتهُ اننا نسألهُ هذه المسائل عساهُ يعترف معنا بانهُ يجهل اموراً كثيرة كما نجهلها نحن لا لاننا ننكر وجود النفس كما يظن فاننا لا ننكر وجود النفس مطلقاً ولكننا لا ندَّعي اننا نعرف ما نجهلهُ ويجهلهُ كل احد

قيل ان ولداً قال لامهِ ذات يوم انني استغرب ادعاء فلان الواعظ فقالت لهُ امهُ وما دليل ادعائهِ فقال " انهُ يتكلم عن الله كأنهُ ابن خالتهِ وعن السماء وجهنم كأنهُ قضى عمرهُ فيهما وقاسهما بالشبر " · ولكن اين ادعاء ذلك الواعظ من ادعاء بعض الوعاظ فانا سمعناهم غير مرة يعظون ورأيناهم يصورون الناس في جهنم رجالاً ونساء وطرق العذاب التي يعذَّبون بها وقد بلغت الدعوى منهم انهم يتهمون بالكفر من يتكلم بالحق ويقول اننا نجهل هذه الامور وامثالها

الحالة المالية في العام الماضي

مرَّ على القطر المصري عام من اكثر الاعوام يسرًا زاد فيهِ ثمن صادراتهِ على ثمن وارداتهِ زيادة تكفي لايفاء ربا دين الحكومة والاهالي وتزيد ولو لم يظهر ذلك في تقرير الجمارك المصرية

فقد بلغ ثمن الصادرات المصرية حسب تقدير الجمارك ٢٤٨٧٧٢٨٠ اي نحو ٢٥ مليونًا من الجنيهات فزادت عما كانت عليهِ في العام الذي قبلهُ اربعة ملايين ونصف مليون ويضاف الى ثمن الصادرات العشرة في المئة التي تطرحها مصلحة الجمارك عمدًا من ثمن الصادر فيصير ٢٧ مليونًا ونصف مليون من الجنيهات . ويظهر باقل نظر في ثمن القطن ان الثمن الذي وضع لهُ في تقدير الجمارك كان نحو ٣٠٠ غرش القنطار مع ان ثمنهُ كان في اكتوبر ونوفمبر ودسمبر اربع مئة غرش فاذا فرضنا ان ثمنهُ خُفض عشرين في المئة فقط وجب ان نضيف الى ثمن الصادرات عشرة اخرى في المئة من ثمن القطن اي مليونين من الجنيهات لان ثمن القطن الذي صدر في العام الماضي بلغ عشرين مليونًا و ٥٢٩ الف جنيه فتصير قيمة كل الصادرات ٢٩ مليونًا ونصف مليون من الجنيهات . أضف الى ذلك مليون جنيه ينفقها السيَّاح في هذا القطر فوق ما ينفقهُ ابناؤُهُ في الخارج ومليونًا آخر مما ينفقهُ فيهِ جيش الاحتلال من الاموال الانكليزيَّة وما تنفقهُ شركة كنال السويس والبواخر التي تدخل القطر المصري فجملة ما طلب للقطر المصري في العام الماضي ثمن حاصلاتهِ التي صدرت منهُ وما انفقهُ الاجانب فيهِ من الاموال التي اتوا بها من الخارج ٣١ مليونًا ونصف مليون من الجنيهات وتبقى مبالغ اخرى أُنفقت فيهِ او دخلت اليهِ من ريع املاك النزلاء الخارجيَّة ومن ربح الاسهم والسندات التي في يد ابنائهِ ولكن تتعذَّر معرفة هذهِ المبالغ ولو تقديرًا وكذلك تتعذَّر معرفة ما ربحهُ سكان القطر من البورصات الخارجيَّة كما تتعذَّر معرفة ما خسروهُ فيها ولا بدَّ من الاغضاء عن ذلك كلهِ ولو كان الاغضاء عنهُ يوقع خللاً في حساب القطر

هذا من حيث الاموال التي طُلبت لهذا القطر في العام الماضي سواء كانت ثمن صادراتهِ او مما انفق فيهِ من الاموال الاجنبيَّة وسواء أُرسلت اليهِ نقودًا او اوفي بها ثمن البضائع التي وردت اليهِ وربا ديونهِ

ننظر الآن في الاموال التي طُلبت منهُ في العام الماضي وهي اولاً ثمن وارداتهِ كلها. وقد

بلغ ثمن الواردات في تقرير الجمارك ٢٤ مليونًا و١٠٧٩٥ جنيهًا فزادت عما كانت عليهِ في العام الذي قبلهُ نحو مليونين ونصف من الجنيهات · ولا نظن ان قيمة الواردات اكثر من ذلك لان ادارة الجمارك تدقق اشد التدقيق وتطّلع على دفاتر التجار وتأخذ رسم الجمرك على ثمن البضائع واجرة شحنها ايضًا . فهذا المبلغ وهو ٢٤ مليونًا من الجنيهات يعادل كل ما دفعهُ القطر المصري ثمن البضائع التي وردت اليه في العام الماضي من كل الاصناف· ودفع القطر المصري ايضًا في العام الماضي ربا دين الحكومة وربا دين الاهالي المستدان من اوربا وبركو مصر ولا يقلُّ مجموع هذه المبالغ عن ستة ملايين من الجنيهات فكلُّ ما طلب من القطر المصري في العام الماضي ثمن وارداتهِ وربا ديونهِ ٣٠ مليونًا من الجنيهات فصار حسابهُ هكذا بالتقريب

الذي طُلب لهُ

ثمن صادراتهِ		٢٥ مليونًا
يضاف اليها ١٠ في المئة تطرحها الجمارك اي	١/٢	٢ مليون
ويضاف ايضًا على ثمن القطن		٢ "
وما انفقهُ السياح		١ "
وما انفقهُ جيش الاحتلال وشركة كنال السويس والسفن الخ		١ "
والجملة	١/٢	٣١ مليون

الذي طُلب منهُ

ثمن الواردات	٢٤ مليونًا
ربا دين الحكومة والاهالي	٦ ملايين
والجملة	٣٠

فزاد ما طلب للقطر المصري عما طلب منهُ في العام الماضي مليونًا ونصف مليون من الجنيهات

وقد يقول قائل ان الفلاح المصري مديون للتجار والمرابين بمبالغ كبيرة فوق ما هو مديون بهِ للبنوك فاضطرَّ ان يوفيهم جانبًا كبيرًا من دخلهِ· وهذا صحيح ولكن التاجر والمرابي من سكان القطر وبحثنا الآن ليس في ما ربحهُ زيد وخسرهُ عمر ولا في ما خرج من صندوق هذا ودخل صندوق ذاك بل في ما ربحهُ القطر المصري كلهُ او خسرهُ في معاملتهِ مع الخارج وخلاصة هذه المعاملة ان السنة الماضية ابقت ربحًا للقطر المصري نحو مليون ونصف من الجنيهات

وليس هذا كل الربح الذي ربحهُ القطر المصري بل ربح ايضًا ربحًا آخر من ثلاث جهات

الواحدة ان جانباً غير قليل من ثمن الواردات هو ثمن آلات وادوات ومواد لم تستهلك في القطر المصري بل هي باقية فيهِ كرأس مال لهُ فهي من قبيل زيادة ثروتهِ ومن هذا القبيل المواد التالية مع اثمانها

١٣١٨٥٧٠	خشب البناء
٠٤٦٤٠٨٣	الامتعة الخشبيَّة
٠٢٥٦٧٦٤	الرخام والحجارة والسمنت الخ
٣٨٦٨٧٤٧	المعادن والآلات والادوات المعدنية على انواعها
٥٩٠٨١٦٤	

اي ان القطر المصري دفع نحو ستة ملايين من الجنيهات ثمن مواد باقية فيهِ ولبعضها ربح كبير لانهُ يدخل فيها وابورات الري المختلفة وآلات الحراثة وما اشبه

هذا هو الربح الاول. والربح الثاني ان جانباً من النفقات التي انفقت في العام الماضي انفق على احياء الارض الموات فأُتي بآلات بخارية كثيرة لتقصيب الاراضي البور وجعلها ارضاً زراعية وبسفن بخارية وقاطرات بخارية وقضبان سكك الحديد وكلها مما يقلل نفقات النقل ويزيد المكاسب

والثالث ان جانباً كبيراً من دين الاهالي هو ثمن اطيان يزيد ربحها سنة فسنة او تعمل بهِ اعمال تزيد الربح وقس على ذلك جانباً من الاموال التي تنفقها الحكومة على تحويل الاطيان في الوجه القبلي الى الري الصيفي بدلاً من ابقاء دينها بها

فيتضح مما تقدَّم ان الاموال التي طلبت من القطر المصري في العام الماضي فخرجت منهُ حقيقةً وفقدها لا تزيد على ٢٤ مليوناً من الجنيهات وان بعض هذه الاموال أُنفق في سبل منها ربح للقطر فكأَنهُ من رأس المال. وقد تقدَّم ان الاموال التي طلبت للقطر المصري في العام الماضي بلغت ٣١ مليوناً من الجنيهات فكأَنهُ خرج من السنة الماضية ولهُ ربح لا يقلّ عن سبعة ملايين من الجنيهات زادت بها ثروتهُ فوق ما زادتهُ باحياء الاراضي البور وتحويل الاطيان في الوجه القبلي الى الري الصيفي

اما الضيقة المالية الحاضرة فسببها الاكبر ان اصحاب الاطيان والاملاك اضطروا يوفوا القسط السنوي المطلوب منهم فوق ربا دينهم وهذا القسط يبلغ نحو ثلاثة ملايين من الجنيهات فاستغرق كل النقود التي فاضت لهم وزاد عليها

المؤنثات السماعيّة

نقلاً عن مجلة المشرق

استنسخنا هذه الرسالة عن كتاب مخطوط فيهِ عدّة مقالات لغويّة اوّلها مقالة مطولة في الفروق لنور الدين بن نعمة الله الحسيني الجزائري من كتبة القرون المتأخرة. ونظن انّ الرسالة في المؤنثات السماعيّة لهُ ايضاً وهي في المجموع عينهِ دون فاتحة ل٠ش

(قال) ان معرفة المؤنث السماعيّ متعسّرة . اما طريق معرفتها فتتبُّع كلام العرب. وكلامهم قد جمع على الاكثر. ونحن نذكرهنا المؤنثات السماعيّة بحيث لا يبقى منها الاَّ النادر ونرتّب اوائلها على ترتيب حروف المعجم :

❖ الهمزة ❖ أذن . إصبع . أروَى (اي الوعل الجبليّ) . أرض . إنس . آل (وهي السراب) . ألوب (وهي النشاط والريح) . أرنب . اجا (اسم جبل) . إبل . استٌ أفعى . أضحى

❖ الباء ❖ بُنصر . بئر . باع . بشَر (يجوز تأنيثهُ وتذكيرهُ)

❖ الثاء ❖ الثمام (للنبت يصنع منهُ الحصر) . واما ثَعلَب وثُعبان وثَدي فتؤنث وتذكر

❖ الجيم ❖ جراد . جن . جحيم . جِعار (حبل يشدُّهُ الرجل على وسطهِ اذا نزل الى البئر) . جهنم . جَزُورُ . جام . جَنُوب

❖ الحاء ❖ حلاق (وهي الموت) حضا (اسم نجم) . حرب . حضاجر (وهي الضبع) حَرُور (وهي الريح الحارّة بالليل) . حدُور (وهي الطريق من علو الى أسفل) . حانوت . واما الحال والحمّام فيذكّران ويؤنثان

❖ الخاء ❖ خَيْل . خِنصِر . خَمر . وجميع اسماء الخمر ومعانيها . واما الخِرْنِق (ولد الارنب . بكسر الخاء) فيذكّر ويؤنث

❖ الدال ❖ دَبر . دار . دَلو . دِرْع (التي تلبس لدفع السلاح . اما الدّرع الذي هو قميص النساء فمذكّر) . دَبُور

❖ الذال ❖ ذراع . ذُكاء (وهو اسم للشمس) . ذَنُوب (الدلو الكبيرة) . اما الذَّهب فيذكّر ويؤنث . الذَّوْد (وهي الثلث الى العشر من النوق)

❖ الراء ❖ الرّيح وجميع اسمائها كالجنوب والشمال وغيرهما . الرِّجْل (التي هي العضو

المعروف من الحيوان) والرِّجل (التي هي قطعة من الجراد) . رَحِم . رَحى . رُوح (بمعنى النفس . واما الروح بمعنى المهجة فمذكَّر)

❖ الزاي ❖ زَنْد . زَوْج

❖ السين ❖ سَه (وهي الإست) . ساق . سعير . سلطان (اي السلطة) . سماء . سِلْم (وهي الصلح) . سبيل . سفط . سلْم . سلاح . سراويل . سَباط (وهي الحمى) . سقر . سوق . سرى . سَموم (وهي الريح الحارّة في النهار)

❖ الشين ❖ شمال . شَعوب (وهي الموت) . شمس

❖ الصاد ❖ صاع . صدر . صراط . صَعود (وهي مثل الحدور) . صبا . صَعوب (وهي ضد الصبر) . واما صليف (وهي صفحة العنق) فتذكّر وتؤنّث

❖ الضاد ❖ ضِلع . ضرَب (بفتح الراء وهي العسل الابيض) . ضبُع . ضان . ضحًى

❖ الطاء ❖ طاغوت . طبق طويّ (وهي اسم البئر) . طير . طست . طاووس

❖ الظاء ❖ الظهر (بضمّ الظاء)

❖ العين ❖ عين . عضُد . عُمر . عرُوض (وهي آخر المصرع الاوّل من البيت . واسم لمكة والمدينة) . عُقاب . عقرب . عانق . عُقار . عِير . عِرس (وهي الزوجة) . عواء (بالفتح وهي منزل من منازل القمر) . عجز . عشاء . عصًا . عنكبوت . عنز . عنق . عقب

❖ الغين ❖ غول . غنم

❖ الفاء ❖ فخذ . فرَس . فرسِن (وهي تحت خفّ البعير) . فهر . (وهي الحجر الصغير واسم لقبيلة) فأس فلك

❖ القاف ❖ قتب (وهي المعى) قفا . قِدْر . قلب (وهي الحفرة في الجبل) . قوس . قدوم . قدّام . قليب وهي البئر

❖ الكاف ❖ كفّ . كراع (وهي الخيل ولما دون الكعب من الدوابّ) كبد . كِرش . كتف . كؤود (وهي الطريق الى موضع مرتفع صعب) . كأس . كحل

❖ اللام ❖ لظىً . ليل . لبوس . لسان

❖ الميم ❖ مِعًا (وهي الكرش) . مِلح . مسك . موسى (وهو ما يحلق بهِ الرأس) . مَنون (وهي الموت) . مَنجنيق . منجنون (وهو الشيء الذي يقال لهُ بالفارسية كِردون)

❖ النون ❖ نار . نعل . نفس . نوًى

❖ الهاء ❖ هَبوط (مثل الحدُور) . هَدًى

﴿ الواو ﴾ وَطيس · وَرِك · وَعل (وهي الحماة) · وَراء

﴿ الياء ﴾ اليمين بجميع معانيها · يد · يسار · يَعْرُب (اسم قبيلة) · يزاد عليها اسماء البلدان . وحروف الهجاء . والحروف نحو : في وعلى · كلها مؤنثات سماعية · وقد نظم ابن الحاجب المؤنثات السماعية في قصيدة هذا لفظها :

نفسي الفداء لسائلٍ وافاني — بمسائلٍ فاحت كغصن البانِ
اسماء تأنيث بغير علامةٍ — هي يا فتى في عرفهم ضربانِ
قد كان منها ما يؤنث ثم ما — هو فيهِ خيرٌ باختلاف معانِ
اما التي لا بدَّ من تأنيثها — ستون منها العين والاذنانِ
والنفس ثم الدار ثم الدلو من — اعدادها والسنُّ والكتفانِ
وجهنم ثم السعير وعقرب — والارض ثم الاستُ والعضدانِ
ثم الجحيم ونارها ثم العصا — والريحُ منها واللظى ويدانِ
والغول والفردوس والفلك التي — تجري وهي في البحر في العرّانِ
وعروض شعرٍ والذراعُ وثعلبٌ — والملح ثم الفأس والوركانِ
والقوس ثم المنجنيق وارنبٌ — والخمرُ ثم التبرُ والفخذانِ
وكذاك في ذهبٍ ومهرٍ حكمهم — ابداً وفي ضربٍ بكل بنانِ
والعين للينبوع والدرعُ التي — هي من حديدٍ قدكَ والقدمانِ
وكذاك في كبد وفي كرشٍ وفي — سقرٍ ومنها الحرب والنعلانِ
وكذاك في فرس فكأسٍ ثم في — افعى ومنها الشمس والعقبانِ
والعنكبوت منها والموسى معاً — ثم اليمين واصبع الانسانِ
والرجل منها والسراويلُ التي — في الرجل كانت زينة العربانِ
وكذا الشمال من الاناث ومثلها — ضبعٌ كذاك الكفُّ والساقانِ
اما الذي قد كنتَ فيهِ مخيراً — هو كان سبعة عشر للتبيانِ
السلّم ثم المسك ثم الصدر في — لغة ومثل الحال كل أوانِ
والليث منها والطريق وكالسرى — ويقال في عنقٍ كذا ولسانِ
وكذاك اسماء السبيل وكالضحى — وكذا السلاح لقاتلٍ طعّانِ
والحكم هذا في القفا ابداً وفي — رحمٍ وفي السكين والسلطانِ
وقصيدتي تبقى واني اكتسي — ثوب الفناء وكل شيءٍ فانِ

الحق والباطل

يقول زيد قولاً او يرتئي رأياً ويكتشف اكتشافاً او يصنع آلة فيذيع قولهُ ويُعمل برأيهِ وينتشر اكتشافهُ وتُستعمل آلتهُ باسرع مما قدَّر كأن الناس كانوا في انتظار ما قال او ارتأى او صنع فاغتنموهُ حالما خرج من القوة الى الفعل

ويحاول غيرهُ ان يفعل فعلهُ فلا يلتفت احد اليهِ او يلتفت الناس اليهِ في اول الامر ثم يهملهُ اكثرهم ولا يبقى معهُ الاَّ نفر قليل منهم واكثرهم من سخاف العقول

مثال ذلك القول بالجاذبيَّة العامة والرأي بالانتخاب الطبيعي واكتشاف ميكروبات الامراض وعمل الآلات الكهربائية كالتلغراف والتلفون والنور الكهربائي فانها كلها صارت من ممتلكات الناس اجمع فتجد ان كتب العلم صارت تبنى على الجاذبيَّة العامة والانتخاب الطبيعي وكتب الطب وتدبير الصحة على وجود ميكروبات الامراض وقلما تجد مدينة خالية من التلغراف والتلفون والنور الكهربائي. ولكن انظر الى دعاوي المدَّعين شفاء الامراض بالمغنطيس الحيواني واكتشاف الخفايا بالسحر وشفاء المجانين بالتعزيم ومعرفة الغيب بمناجاة الارواح ونحو ذلك مما يقوم المدَّعون بهِ آونة بعد اخرى ويصدقهم بعض ضعاف العقول ولكن جمهور العقلاء لا يقبل لهم دعوى ولا يعتمد على اقوالهم في مصلحة عامة او خاصة . وما ذلك الاَّ لان الامور الاولى حق ترتاح اليهِ العقول والامور الثانية باطل ترفضهُ الافهام

جاءنا رجل لبناني قبيل كتابة هذه السطور وقصَّ علينا القصة التالية قال — : بلغني ان في القرية الفلانيَّة فتاة صغيرة السن ترى الغيب فقصدتها مع جماعة وسألها كلٌّ منا مسائل مختلفة فكانت تجيب عنها بالدقة التامة وسألتها انا ان تذهب بروحها الى غرفتي في سوق الغرب وترى ما فيها وتخبرني عنهُ . فنظرت الى ظفر ابهامها وامعنت نظرها فيهِ ثم قالت ذهبتُ فرأيتُ غرفتك وفيها كذا وكذا. وعدَّدت لي اسماء الاشياء التي فيها ووصفت ما لا تعرف اسمهُ منها وصفاً ينطبق عليهِ فقالت انها رأت ذنب فرس معلقاً في الحائط . وكان هناك منشة ذبان من شعر الخيل وهي لم ترَ غرفتي في حياتها ولا أتت سوق الغرب قط ولا يزيد عمرها على خمس سنوات

ثم سألنا عن رأينا في ذلك فقلنا لهُ انهُ يصعب علينا تصديق ما رواهُ ونرجح انهُ سمع ما هو قائم في ذهنهِ لا ما تكلمت بهِ الابنة اي ان الابنة تكلمت كلاماً مبهماً لا معنى لهُ وهو فسرهُ او فهمهُ حسب ما هو قائم في ذهنهِ

وجاء آخر بعد ذلك وهو من العلماء المدققين في امور كثيرة وروى لنا حادثة لا تقلُّ في

غرابتها عن الحادثة الاولى . قال أُصيبت فتاة برمد في احدى عينيها وكان المهُ شديداً جداً حرمها النوم والراحة ودعي لها طبيب العيون فوصف لها قطرة وقال انها تزيل الأَلم فلم تزلهُ فاعطاها قطرة أُخرى وقال انها ان لم تزل الالم في ساعة من الزمان فلا امل بشفاء عينها . فسهرنا نراقبها دقيقة بعد دقيقة وهي تزداد المًا الى ان انقضت الساعة والالم على حالهِ فقطعنا الرجاء من شفائها . وتذكَّر ابوها حينئذٍ ان رجلاً من معارفهِ يرقي العيون برقية يكتبها في ورقة توضع على العين فتشفى . فمضى اليهِ وكان الوقت عند الفجر وايقظهُ من نومهِ وطلب منهُ ان يكتب لهُ الرقية المشار اليها فكتبها وجاء بالورقة ووضعها على العين المصابة وربطها عليها وللحال صرخت الفتاة ووقعت على الارض كأنَّهُ اغمي عليها فقال ابوها ان الرجل قال لي ان ذلك يحدث لها حالما توضع الورقة على عينها . ونامت الفتاة قليلاً ثم استيقظت وقد زال الالم وشفيت عينها تماماً

وتعليل هذه الحادثة صعب ولكن لو حضرها كاتب مدقق وكتب كل ما حدث بالتدقيق لما ظهرت غريبة الى هذا الحد ولأَمكن تعليلها بسهولة. ويظهر لنا ان الراوي زاد اموراً واهمل اموراً على غير قصد منهُ وان القطرة التي استعملها الطبيب هي التي شفت العين وازالت الأَلم او ان الالم كان عصبياً محضاً والفتاة اعتقدت ان الرقية تشفيها فاثر اعتقادها في مجموعها العصبي تأْثيراً ازال الالم الوهمي. ولو كان لهذه الرقية الفعل الذي ينسب اليها لانتشر استعمالها انتشار التلغراف والتلفون والكينا ولكن الناس يحفظون الحوادث القليلة التي تصيب فيها العلاجات الوهميَّة ولو اتفاقاً وينسون الحوادث الكثيرة التي لا تصيب فيها فيذكرون الاولى ويغفلون الثانية

ومن هذا القبيل كل ما يروى عن فعل بعض المياه المقدسة واستعمال الحجب والكتابات التي تشفي الامراض فهو اما مبالغ فيهِ الى حد الغرابة ولو عن غير قصد واما ان الشفاء كان قاصراً على بعض الآفات العصبيَّة التي تشفى من نفسها غالباً

لما كان الرجل المدعي القداسة في الشويفات من اعمال لبنان في اوج مجدهِ جاءنا استاذ احدى المدارس وقال لنا ان ولداً من تلامذتهِ كان افدع وعالجهُ احد الجراحين المشهورين فلم يتمكن من اصلاح قدمهِ فذهب الى الشويفات وغسل رجله بماء اغتسل بهِ ذلك القديس فشفي تماماً وانهُ رآهُ بنفسهِ يمشي سليماً بعد ان كان افدع واتخذ ذلك دليلاً لاقناعنا بقداسة الرجل وبانهُ يفعل العجائب . فطلبنا منهُ ان يحضر الولد لنراهُ فوعدنا باحضارهِ ومضت الايام ونحن نطالبهُ باحضارهِ وهو يماطلنا واخيراً اعترف لنا ان الولد لم يشفَ وانهُ نقل الخبر الذي اخبرنا اياهُ نقلاً عن اناس صدقهم فلما طالبناهُ باحضار الولد المرة بعد الاخرى ذهب

وراَهُ فاذا هو لا يزال افدع كما كان ولا حجة لما اخبرنا بهِ قبلاً من انهُ رآهُ يمشي سليماً

والغالب ان الذين يرون الغرائب ويروونها هم من الذين تخدعهم اوهامهم وفيهم ميل الى تصديق الغرائب. وقد يقوى هذا الميل في بعض الناس حتى يصدّقوا ما لا يصدّق ولا دليل على صحتهِ

قيل ان رجلاً ضاف عالماً من علماء الحيوان وكان العالم مغرماً بجمع الافاعي وتصبيرها وحفظها. وذهب الرجل لينام في الغرفة التي اعدّها لهُ مضيفهُ فلما خلع ثيابهُ التفت واذا في الغرفة افعى كبيرة رفعت رأسها وفغرت فاها كأنها تهمُّ بالوثوب عليهِ والشرر يقدح من عينيها والظاهر انهُ كان يعتقد ان الافعى تسحر الانسان ثم تلسعهُ فوقف في مكانهِ مسحوراً ووُجد في الصباح ميتاً في مكانهِ مع ان الافعى مصبرة تصبيراً وعينيها من زجاج ولا يعقل ان مضيفهُ ينومهُ في غرفة فيها افعي سامة

وقد تنظر في دعاوي المخرفين فتراها شبيهة بالنتائج التي يصل اليها العلماء بعد البحث والتحري ولكن نتائج العلماء ثابتة يقبلها العقل لانها مبنيَّة على اصول حسابيَّة وحقائق طبيعيَّة مقرَّرة واما دعاوي المخرفين فلا تحتمل البحث ولا الامتحان. يقول لك علماء الفلك ان الكواكب تسير في افلاكها بكذا من السرعة ويستدلون من حركاتها على الاوقات التي يكسف بها بعضها بعضاً فيقع الكسوف والخسوف في الايام والدقائق التي عينوها تماماً لانهم اكتشفوا نواميس سيرها وعرفوا اشكال حركاتها ولم يبقَ عليهم الاَّ ان يستنتجوا مواقعها بالقواعد الحسابية واذا وجدوا ان الواقع لا ينطبق على النتائج الحسابية عرفوا سببهُ حتى لقد استدلوا على وجود بعض السيارات قبل ان رآها احد

ويدّعي مناجو الارواح انهم يعرجون في غيبوبتهم الى السماء ويجولون بين الكواكب ويخبرون عمَّا رأوا فيها او يزورون منازل الاموات ويتحدثون مع ارواحها وينقلون اليك ما سمعوهُ منها. فهل تصدّق اقوالهم كما تصدّق اقوال علماء الفلك. ألا يرى كل ذي عقل سليم ان اقوال علماء الفلك نتائج من مقدمات يشهد العقل بصحتها ويؤيدها الاختبار وان اقوال الذين يدّعون مناجاة الارواح خرافات وخزعبلات ليس لها اساس علمي يصدّقهُ العقل ولا منها نتائج صحيحة يؤيدها الاختبار ولذلك تشيع النتائج العلمية لانها صحيحة مفيدة وتهمل خزعبلات المخرفين لانها فاسدة عقيمة

تجلس على مكتبك وتكتب بضع كلمات الى صديقك المقيم في فرنسا او انكلترا او اميركا وترسلها الى بيت التلغراف وانت واثق انهُ لا تمضي دقائق كثيرة حتى يطلع صديقك على ما

كتبتهُ في الورقة لا لانهُ يمكن ارسال الورقة اليهِ في هذه الدقائق القليلة مسافة مئات والوف من الاميال بل لان عامل التلغراف يستعمل قوَّة طبيعية خفية تحرك قلماً في فرنسا او انكلترا او اميركا فيكتب هناك اشارات تدل على الكتابة التي كتبتها في الورقة . وهذه القوة ترسل على سلك التلغراف وقد ترسل من غير سلك كما في تلغراف مركوني . والناس كلهم يصدقون ذلك الآن ويعتمدون عليهِ وقد صارت اكثر معاملاتهم بهِ حتى الفلاح الصعيدي الذي يجهل مبادئ القراءة والكتابة وكل علم ولا يعرف الاَّ الفاس والمحراث يذهب الى بيت التلغراف ويرسل اشارة برقية الى اللورد كروم ورئيس النظار ومستشار الداخلية والجرائد المحلية يشكي من ظلم مأمور المركز لهُ ويدفع اجرتها وهو واثق تمام الثقة ان شكواهُ تصل حالاً الى الذين ارسلها اليهم

ويدَّعي قوم انهم يرسلون افكارهم الى اصدقائهم او معارفهم البعيدين عنهم او أن افكار اصدقائهم ومعارفهم تنقل اليهم من مسافات شاسعة كما تنقل حركات التلغراف بالكهربائية . يدَّعون هذه الدعوى ويجاهرون بها ويوردون لك شواهد كثيرة على صدقها ولكن لا يستطيع احد منهم ان يخبرك بنتيجة واحدة عمليَّة لهذا التأثير يمكن الاعتماد عليها في المعاملات. فبالتلغراف مثلاً تعلم اسعار البورصة في لندن ونيويورك واخبار الحروب الناشبة في اقصى الارض ولكن هل استطاع احد في هذه المدينة او غيرها ان يعرف افكار تاجر او قائد في مدينة اخرى بهذا الشعور الموهوم

ومثل ذلك ما يرى من نجاح صناعة الطب في شفاء الامراض واستئصال الأَوبئة فان علم الطب مبنيٌّ على امور اكثرها يقيني ولذلك خضعت لهُ العقول واجمع الناس على العمل بهِ فزال الخطر من العمليَّات الجراحية بعد اكتشاف اسباب الفساد وطرق اتقائها وخفت وطأة الاوبئة بعد اكتشاف طرق انتشارها وعولجت الامراض المعدية بالمصل الذي يزيل تأثيرها. ومن الناس من يدَّعي انهُ يشفي الامراض بطرق روحيَّة فتروج بضاعتهُ مدة ثم تكسد لا لان الناس يكرهون الشفاء بغير مرارة الدواء وألم سكين الجراح بل لان دعاوي الذين يدَّعون شفاء الامراض بالوسائل الروحيَّة لم تثبت على الامتحان وان نجحت احياناً فنجاحها وهمي او اتفاقي

ويضيق بنا المقام لو اردنا تعداد كل اساليب الاوهام والخزعبلات التي يستعملها بعض الناس عن سخافة في عقولهم او عن خبث واحتيال ويصدقها كثيرون لضعف عقولهم او لقلة تجاربهم واختبارهم ولعلَّ دليل الشيوع والاستعمال اقربُ دليل للتمييز بين الحق والباطل والصحيح والفاسد

منديليف الكيماوي

يأتي الشتاء فيكثر الموت بين الشيوخ. والغالب ان العلماء يعمّرون كثيرًا فيموت كثيرون منهم في هذا الفصل فقد مات منهم الآن ثلاثة من اشهر علماء العصر مندليف الروسي وفوستر الانكليزي ومواسان الفرنسوي . وفقد الروس عالمين آخرين من كبار الكيماويين وهما بيلستين ومنشتكين ولكن ليس لهما الشهرة التي حازها منديليف. وقد ذكرنا طرفًا من ترجمتهِ في المجلد الثالث عشر سنة ١٨٨٩ ولا بأس باعادتهِ ثم الحاقهِ بما وقفنا عليهِ من وصف حالهِ بعد ذلك . قلنا حينئذٍ

"ان من ينظر الى اهالي اوربا واميركا وما هم فيهِ من المحاضرة في ميدان الصناعة والتجارة والثروة والعزَّة لا يفرق بينهم وبين فرسان امتطوا صهوات الجياد واطلقوا لها الاعنة وغرضهم الكسب والفخار . والقادة لهؤُلاء الفرسان افراد قلائل نرى نفرًا منهم في المانيا ونفرًا في فرنسا ونفرًا في انكلترا ونفرًا في اميركا ونفرًا في غيرها من الممالك . وهؤُلاء القوَّاد العظام يخططون مواقع القتال ويديرون حركات الجيوش بثاقب فكرهم وصائب رأيهم وهم ارباب الحضارة ومعززو دعائمها واذا افتخر قوَّاد الجيوش ووزراء الممالك بما فتحوهُ من البلدان ومهدوهُ من العراقيب السياسيَّة فلقادة العقول الفخر الاوَّل بالتغلب على مصاعب الطبيعة وترقية الانسان جسدًا وعقلاً

"ومنديليف المترجَم ههنا من هؤُلاء القواد العظام فقد ولد بمدينة تبولسك بسيبيريا في السابع من فبراير سنة ١٨٣٤ وكان ابوهُ مديرًا لمدرسة كبيرة في المدينة فكُفَّ بصرهُ لما كان ديمتري طفلاً فاضطرَّ ان يستعفي من المدرسة وكان لهُ سبعة عشر ولدًا ديمتري اصغرهم فقامت زوجتهُ لاعالتهم وكانت تفوق الرجال همَّةً واقدامًا فانشأَت معملاً للزجاج في تلك المدينة وكانت تديرهُ بنفسها وتربح منهُ ما يكفي للقيام بعائلتها وتعليم اولادها

"فدرس ديمتري في مدرسة تبولسك واتمَّ دروسهُ فيها وهو في السادسة عشرة من عمرهِ وحينئذٍ أُرسل الى مدرسة بطرسبرج وبرع في العلوم الطبيعية وألَّف وهو في المدرسة رسالة في المواد الكيماويَّة المتماثلة تركيبًا . ثم عيّن مدرسًا لمدرسة سمفربول في بلاد القرم ولما نشبت حرب القرم نقل الى مدرسة اودسا وبعد ان تقلَّب في مناصب التعليم عين استاذًا للكيمياء في مدرسة بطرس برج الجامعة وهو الآن استاذ شرف فيها

"ومؤَلفاتهُ ومصنفاتهُ كثيرة جدًّا واكثرها في الكيمياء وفلسفتها وتطبيقها على الصناعة

واشهر كتبهِ الانسكلوبيديا الكيماوية واليهِ ينسب تقدُّم روسيا في الصناعة وكتاب مبادىء الكيمياء وكتاب الكيمياء الآلية وهما من اشهر الكتب المؤلفة في هذا الفن

" واشهر اكتشافاتهِ الكيماوية ما يسمى بالناموس الدوري . وبموجب هذا الناموس انبأ بوجود عناصر جديدة قبل ان كشفت واخبر عن خواصها الكيماوية وصفاتها الطبيعيَّة وهي في عالم الخفاء ثم لما كشفت وجدت كما انبأ عنها وهذا من اعظم مكتشفات العلوم الطبيعيَّة ويقال انهُ ما من رجل افاد العلوم الطبيعيَّة في سلطنة الروس اكثر من هذا الشهير "

ونزيد على ذلك ان كتابهُ في مبادىء الكيمياء لم ينسج على منوالهِ حتى الآن لانهُ جرى فيهِ مجرًى جديدًا في تحقيق القضايا الكيماوية وايضاحها ولذلك ترجم الى كثير من اللغات الاوربية ولا يزال الكيماويون يجدون اكبر لذة في مطالعتهِ

ولم يترك فرعاً من فروع الكيمياء الاَّ طرقهُ وبحث فيهِ بحث العالِم المدقق مدة الثلاثين سنة التي قضاها في تعليم هذا العلم وهذا سبب شهرتهِ الواسعة كفيلسوف كيماوي ولكن اكثر شهرتهِ في الكيمياء الطبيعية بنوع عام وفي اكتشاف الناموس الدوري بنوع خاص فانهُ وجد ان بين العناصر الكيماوية نسبة محدودة كأنها صفوف مرتبط بعضها ببعض ارتباطاً حسابياً كحلقات سلسلة واحدة

قال الاستاذ ثروب الذي نقلنا عنهُ هذه السطور ان مندليف كان طويل القامة مهيب الطلعة طويل الشعر ابيضهُ تجد في كلامهِ من الدقة والظرف وفي معانيهِ من الحكمة والابتكار ما يريك انهُ رجل ممتاز بين الرجال موقَّر عزيز الجانب على ما فيهِ من الدعة الفطرية ولين العريكة . وكان من الاحرار المحبين لوطنهم المسموعين الكلمة بين تلامذتهم ولذلك لم يكن محبو الاستبداد راضين عنهُ. ولما تلا خطبة فاراداي في الجمعية الكيماوية الملكية ببلاد الانكليز قُدم اليهِ كيس من الحرير عليهِ شعار روسيا وفيهِ النقود الذهبية التي تعطى لمقدم تلك الخطبة فسرَّ بالكيس جدًّا ولاسيما لما علم انهُ من صنع احدى السيدات اللواتي كنَّ حاضرات حينئذٍ لسماع خطبتهِ ولكنهُ اخرج النقود منهُ وردَّها الى الجمعية قائلاً انهُ لا يقبل مالاً من جمعية شرَّفتهُ باختيارهِ لاكرام ذكرى فاراداي في مكان قدَّستهُ اعمال فاراداي

وكانت وفاتهُ في الثاني من فبراير ولهُ من العمر ٧٣ سنة ولما بلغت وفاتهُ القيصر بعث بتلغراف الى زوجتهِ يقول فيهِ " اقبلي تعزيتي القلبية عن هذه الخسارة العظيمة التي اشاركك فيها . ان روسيا فقدت رجلاً من افضل ابنائها في شخص الاستاذ مندليف الذي لا يزول اسمهُ من ذاكرتنا "

السر ميخائيل فوستر

قلما تعرض لنا مسألة فسيولوجية نريد تحقيقها في المطوَّلات الاَّ ونلتفت الى كتاب فوستر في علم الفسيولوجيا لعلمنا ان مؤلفهُ من المحققين المدققين وان لهُ اليد الطولى في ترقية هذا العلم وتوسيع نطاقهِ . ولد في الثالث من شهر مارس سنة ١٨٣٦ ودرس علم الطب في مدرسة لندن الجامعة فنال منها الدبلوما الطبيَّة سنة ١٨٥٩ ومارس صناعة الجراحة مدة ثم خلف هكسلي في تعليم الفسيولوجيا العملية سنة ١٨٦٩ ودعي في السنة التالية لتعليم الفسيولوجيا في مدرسة كمبردج الجامعة فاقام فيها يدرّس الى سنة ١٩٠٣ مدة ثلاث وثلاثين سنة ولم يكن لهذا العلم شأن فيها قبل ذلك فصار من اهم العلوم لا سيما وان طريقة فوستر في التعليم مبنيَّة على قرن العلم بالعمل وبث محبة التعليم في نفوس التلامذة فنبغ من تلامذتهِ علماء كثيرون اشتهروا بمباحثهم العلمية . وكما امتاز باسلوبهِ في التعليم امتاز باسلوبهِ في الانشاء فلا يماثلهُ في فصاحة العبارة الاَّ الاستاذ هكسلي . ولهُ كتب كثيرة اشهرها كتابهُ في الفسيولوجيا وقد طبع الطبعة الاولى سنة ١٨٧٦ والثانية سنة ١٨٧٨ واعيد طبعهُ بعد ذلك خمس مرات وكان في الطبعة الثانية مجلداً واحداً فيهِ ٦٤٠ صفحة فصار في الطبعة الاخيرة خمسة مجلدات كبيرة

ولهُ كتاب تاريخ الفسيولوجيا طبع سنة ١٩٠٠ ومبادئ علم الاجنة الفهُ بالاشتراك مع تلميذهِ الاستاذ بلفور . ومبادئ الفسيولوجيا الفهُ بالاشتراك مع الدكتور لنغلي وترجمة كلود برنار وترجمة هكسلي . وكان محرراً لجرنال الفسيولوجيا ورأس مجمع ترقية العلوم البريطاني في اجتماعهِ بمدينة دوفر سنة ١٨٩٩ وخطب فيهِ خطبة الرئاسة وموضوعها تاريخ العلم في القرن التاسع عشر وقد نشرناها في عددي اكتوبر ونوفمبر سنة ١٨٩٩ واعطي حينئذٍ لقب سر

ولما استعفى من مدرسة كمبردج الجامعة انتخب عضواً في البارلمنت عن مدرسة لندن الجامعة بدلاً من السرجون لُبك الذي رقي الى مصاف الاشراف باسم لورد افبري وخطب في مجلس النواب في المواضيع العلمية التي هو ثقة فيها كالتعليم والصحة العمومية والتجارب العلمية وما اشبه وكان النواب من الحزبين يصغون الى اقوالهِ واثقين انهُ يتكلم عن علم واخلاص

واختير عضواً في اللجان التي عينتها الحكومة للبحث في بعض المسائل العلمية كالتطعيم الواقي من الجدري وانتقال عدوى السل . والتقرير الاخير الذي قدمتهُ هذه اللجنة امضاهُ قبل وفاتهِ بايام قليلة

وكان بشوش الوجه انيس المحضر غاية في الظرف على علو منزلتهِ العلمية محبوباً من جميع اصدقائهِ ومعارفهِ وكانت وفاتهُ بلندن في التاسع والعشرين من شهر يناير الماضي

جمال الطبيعة [1]

سلامٌ كرامَ الانام سلامْ يفوحُ شذاهُ كنشر الخزامْ
وبعد فانَّ جمالَ الطبيعة م خيرُ جمالٍ بهِ المرءُ هامْ
تسيلُ القرائح في وصفهِ فيحلو النثيرُ ويحلو النظامْ
واني اردتُ الكلام عليهِ بقول يناسب هذا المقامْ
فمنُّوا عليَّ بسترِ خطائي ومن شاء صفَّق لي في الختامْ

لا يخفى عليكم ايها السادة الالباء ما حوتهُ الطبيعة من جميل المناظر وبديع المشاهد التي يقف المفكّر لديها مأخوذًا بجمالها مسحورًا بما يرى فيها من دقيق التركيب وكمال الاتقان . وكم سحرت حسناء الطبيعة عقولاً فتفقتها واذكتها وهامت بها نفوسٌ فلطفتها ورقتها . فايُّ امرىءٍ لا ترتاح نفسهُ وينشرح صدرهُ لرؤية جمال الطبيعة في ايام الربيع بعد ان ينقضي فصل الشتاء وتبرز الارض في اثوابها القشب فيخيَّل لهُ ان يدًا غير منظورة قد مدَّت عصاً سحرية فكست الطبيعة تلك الملابس البديعة او كأن ازاهر الارض ورياحينها رسائل عطرية يبعث بها الينا في هذا الفصل احباؤُنا الذين ثوت جسومُهم في قلب الارض

انظروا اي شعور يقوم في نفس الانسان اذا صعدَ في جبلٍ شامخٍ تعممهُ الثلوج البيضاء وتمنطقهُ الاشجار النبياء وتزينهُ الرياض الغناء وتتفجر في جوانبهِ عيون الماء ثم وقف يسرّح الطرف في هذه المشاهد وفي البحر المنبسط امامهُ يغسل قدمي الجبل وقد اختلطت في نظرهِ زُرقة الماء بزرقة السماء او جلس في احدى الخمائل يتأمل مداعبة النسيم للاغصان ويصغي للاطيار بعضها يخطب على منابر الاشجار وبعضها يغني على نغمات خرير المياه الجارية على الحصباء كالدر — لا شك انهُ يقرأُ عندئذٍ صفحة من ابلغ صفحات الطبيعة فتخشع نفسهُ امام سلطان هذا الجمال البديع ويزداد ولوعاً وتعلقاً بهِ . ولقد كان جان جاك روسو " اذا نظر الى الحقول والرياض وهو خارج المدينة يبكي مسرورًا بها وانقباضاً لما كانت تجدهُ نفسهُ من الضغط المُبهم عليها امام منظرٍ عظيم سريّ كهذا المنظر " ومثلهُ مدام دي ستايل التي اقلقت بكتاباتها البليغة نابليون مقلق الارض ومزعجها " فكم وقفت امام الحقول تنظر اليها

(١) خطبة القتها السيدة لبيبه ديتري فاخوري في حفلة توزيع الشهادات على التلميذات المتخرجات من المدرسة الانجيلية بالازبكية في ٢٨ دسمبر الماضي

وتبكي من غير علة ولا سبب غير اختباط سري مبهم

ارأيتِ ايتها السيدة كم تنبسط نفسكِ لرؤية الورد الغض وهو بعد في الاكمام او بعد ان تفتقت عنهُ ونقطهُ حب الغمام وكم يسرّكِ ان تأخذي بيدك مليكة الازاهر التي اذا بلغتك رائحتها انتعشت نفسك وذهب ما عليها من صدإ الاشجان واصابكِ من الارتياح ما يعجز عن وصفهِ ابلغ قلم وافصح لسان . والفرق عظيم بين زهرة كوّنتها يد الطبيعة واخرى اشتغلتها يد الصناعة فان هذه مهما تأنقت في عملها يد الانسان تبق عليها مسحة التقليد واما تلك فان اليد اللطيفة الخفية اخذت بزرتها الصغيرة وكرّرتها من الشوائب وارسلت اليها الرطوبة من اعماق الارض فسرت فيها بحكمة سماوية الى ان نبتت وظهرت على وجه الارض شجيرة تستمد ما يغذوها من التراب والماء والهواء وتزينها اوراق خضراء . ثم بدت في هذه الشجيرة زهرة جميلة احتجبت بها تلك الاوراق فسوّدتها عليها ملكة بديعة الجمال واحاطت بها خاشعة تقدم لها ضروب التكريم والاجلال . اجل انهُ مهما بذل الانسان من الجهد لكي يقلّد اعمال الطبيعة يظل قاصرًا عاجزًا فشتان بين منظر البحر العجاج تتلاطم امواجهُ مزبدة وتهدر هديرًا متواصلاً ليل نهار وبين منظر بحيرة صناعية ملأناها ماء وبثثنا فيها انواع السمك لتزيدها جمالاً — اننا اذا اهملنا مياه هذه البحيرة اسبوعًا واحدًا اسنت وتصاعدت منها الروائح الكريهة وربما دبّ الموت في اسماكها ايضًا واصبح النظر اليها من كاربات النفوس ومضيقات الصدور اما البحر ففضلاً عما خصتهُ بهِ الطبيعة من جمال المنظر والعظمة فان مياههُ التي فيهِ منذ الوف والوف من السنين لا تزال على نقاوتها وصفائها

اي عقل راجح يا سادتي لا يندهش من نظام الطبيعة البديع في ارسالها اشعة الشمس في ايام الحرّ على مجتمعات الماء الملح في البحار وغيرها فيتبخّر منهُ جزء كبير تخزنهُ في خزائن الجلد العظيم ثم تمطرهُ علينا ماء عذبًا نقيًا . بعضهُ يجري على وجه الارض فتفيض الانهار وتمتلئ الغدران والسواقي وبعضهُ يغور في الارض ويجري في قلبها مخترقًا طبقاتها الى حيث ينفجر ينابيع وعيونًا او تحفر الآبار فيستقي الانسان ويشرب الحيوان ويرتوي النبات ويحوّل الصحاري الرمضاء الى رياض غناء

اما ابلغ صفحة في سفر الطبيعة العظيم فهي بلا شك صفحة السماء — ارفع بصرك اليها في ليلة صافية الاديم وقلّب الاجفان في ذلك الفضاء الفسيح المرصّع بالدراري كالماس وابهت لدى رؤية هذه المصابيح التي علقتها يد الطبيعة منائر تهدي الناس . تأمّل في تلك العوالم السابحة واعجب لسيرها على ذلك الترتيب البديع التنظيم تضبطها قوتا الجذب والدفع بحيث لا يتعدى

احداها مداهُ ولا يخرج عن الطريق التي رسمتها له يد الله . سرّح نظرك في المجرة المؤلفة من ملايين لا تحصى من الشموس والنجوم فهنالك

كوائنُ ليس يدري السرَّ منها سوى من امره كافٌ ونونُ

ثم ارقب طلوع القمر وانظر ما يهيج او يسكن في نفسك من الشجون اذا امتلأت عينك منهُ بل ادهش لرؤيته وهو يتنقل في منازله يحفّ به سكون الليل

فتصفرّ النجوم اذا تبدّى كما يصفرُّ من حسدٍ جبينُ
يسير فتختفي من جانبيهِ نوافرَ وهو مجتازٌ رزينُ
كما طلعَ المليك عليهِ تاجٌ فاطرقت الوجوهُ لهُ تدينُ
كأن كواكب الافلاك درٌّ تبدّى بينها حجرٌ ثمينُ

واذهل عند ما تراهُ يرسل اشعتهُ اللجينيَّة الى كل جهة في الفضاء ويخلع على الارض رداء فضياً خيوطهُ مما انبعث عنهُ من الضياء . ولكن لا تنسوا يا سادتي ان اجمل سطور هذه الصفحة انما تقرأ عند شروق الشمس فاذا بكّر محبُّ الطبيعة وقرأ تلك السطور اطربتهُ معانيها الباهرة واختلبت لبّهُ بلاغتها الساحرة — فانهُ يرى عندما تبدو تباشير الصباح ان النجوم بدأت بالانسراب فاسرع كلٌّ الى مخبإهِ في جوانب السماء واغارت جيوش النور على فيالق الظلام فدحرتها ونهضت مليكة النهار من مرقدها تنثر تبرًا على الارض وتمد اشعتها اليها مصافحةً وتحيي الخلائق بوجهها البسام فتستقبلها الطيور باناشيدها الشجية فيطوي يديهِ على صدرهِ وهو شاخص اليها مأخوذ بجمال هذا المنظر وتحدر من عينيهِ دمعة وربما ولّى وجههُ شطر البلاد التي يقيم فيها ذووهُ وانشد

اذا بزغت شمسُ الصباح فانها علامة اهدائي السلامَ فسلموا

واذا كان من المفكرين ذوي النفوس الحساسة فلا يبعد ان يخاطب مليكة النهار بما معناه : انتِ تطلعين الآن ايتها الشمس وبطلوعكِ تهبينَ الحياة لهذه الارض . وكل حيوان فيها ونبات يستقبلكِ بثغرٍ باسم كما يستقبل الطفل امهُ التي تحبهُ وتحن عليهِ . ولكن هل ذكرتِ أنّ بين الذين تشرقين عليهم كثيرين من الضعفاء المظلومين والفقراء البائسين وقد ثقلت الحياة عليهم فودّوا لو انك لا تطلعين عليهم اي تمنّوا ان تغرب شمس حياتهم قبل شروقكِ . وهل دريتِ وانتِ تقبلين الناس قبلة الصباح كم واحد قد ذبل غصن حياتهِ لغياب شمس آمالهِ

لله ما اعمّ نفعك فانك تطلعين على الصالحين والطالحين فكما تصافحين ذوي النفوس الطيبة والقلوب النقية تصافحين الذين اسودّت اكبادهم وتصلبت رقابهم وقست قلوبهم وخبثت

ضمائرهم وذوي الشراهة واهل الطمع والظالمين والمفترين الذين لا خلاق لهم المتطاولين على اهل الدعة والفضل الناهشين اعراضهم كما تنهش الافعى فريستها . انا اعلم ايتها الشمس انكِ غير راضية عن هؤلاء الذين اصبحوا شجىً في حلق الانسانية وقذىً في عينها ومنخساً في جنبها . ولكن ماذا تصنعين انقتربين من الارض الى حدٍ يحترقون فيهِ بنارك ؟ وكيف ينجو من الهلاك معهم غيرهم من الابرياء ؟ ام تبتعدين عنها الى حدٍ يهلك فيهِ اولئك الظلمة بزمهرير البرد القارس ؟ وفي هذا ايضاً هلاك الفضلاء معهم . انني اتخذ هذا ايتها الشمس دليلاً ساطعاً على ان وراء هذا العالم عالماً آخر تثاب فيهِ الفضيلة المتألمة في ارضنا التعيسة

وليس عجيباً ياسادتي صدور هذه الاقوال من صاحب العقل المفكر والنفس الرقيقة الشديدة الاحساس لانهُ من القوم الذين لاتلهيهم رؤية الجهات البراقة في هذا العالم عن النظر الى الجهات المظلمة فيهِ والتوجع للضعفاء البائسين وهو خاضع لما يحيط بهِ من المؤثرات فاذا احتاطت المبهجات ابتهج او رأى ما تنقبض لهُ النفس اكتأب . ولا غرابة في ذلك ان العالم بمثابة بيانو ضخم والذي يوقع عليهِ هو الانسان فاذا كان فرحاً جذلاً وضع اصابعهُ على مفاتيحهِ ونقر نقراً حسب ان الكون يهتز لهُ طرباً ويتمايل من نشوة الفرح اما اذا رأى ما لا يسرهُ وتولتهُ الكآبة فانهُ يعزف على ذلك البيانو عزفاً يثير الاشجان من مكامن نفسهِ ويحبب اليهِ الموت والتكفين في ظلمات رمسهِ

وما ذا عساني ان اذكر لكم ياسادتي من بدائع جمال الطبيعة وهو ظاهر في صفحة السماء وعلى وجه الغبراء والعمر كلهُ اقصر من ان يكفي للنظر في فصل واحد من فصول سفر الطبيعة الكبير والتأمل في جمالهِ او الوقوف على شيءٍ من اسرار ما يحوي مما يقف العقل مندهشاً امام دقة تركيبهِ وكيفية تألفهِ . وكيف لايندهش ويقرُّ بالعجز والقصور لدى رؤيتهِ "في الاجسام الحية تلك الجراثيم الصغيرة اللزجة الشفافة التي لا لون لها والتي لا تنفك متحركة تتناول ما يجاورها من المواد غير الحية فتحييها وتصنع منها خيوطاً عصبية او شريانية او عظمية او عضلية او نحو ذلك وتنسج هذه الخيوط اعصاباً وشرايين وعظاماً وعضلات فان كانت مما تكوّن عظماً لا يمكن ان تكوّن عصباً مهما استعمل لها من الوسائط . وكذا ما يكوّن منها ورقاً لايمكن ان يكوّن ثمراً وما يكوّن زهراً لا يكوّن خشباً وقس على ذلك . هذا مع ان جراثيم الورق والزهر والثمر واللحم والعظم والشرايين والاوردة هي بحسب ما يُعلم واحدة ابداً ودائماً في كل انواع النبات والحيوان وفي كل ادوار الحياة [1] "

(١) من خطاب عنوانهُ (الله والعالم) للدكتور يعقوب صرّوف

هذا ومما تشوق النفس رؤيتهُ الجمال الطبيعي كما صنعهُ الخالق فالفتاة التي افرغت عليها الطبيعة حلل الجمال فوهبتها وجهاً يحاكي البدر في استدارتهِ والورد في حمرتهِ والياسمين في ناصع بياضهِ وعيناً دعجاء وقامةً هيفاء ترتاح النفس الى رؤيتها ولكنها تنفر وتنقبض اذا رأت فتاة تستعير جمالها من يد الصناعة لانها تقول

ان المليحة من كانت محاسنها من صنعة الله لا من صنعة البشرِ

والفرق واضح بين الشخص المطبوع على كرم النفس وجمال الاخلاق ومن يتكلف التجمل في طباعهِ تكلفاً

وقد قام في العالم فئة امتازت بالشعور اللطيف وسلامة الذوق وجعلت همها دعوة الناس وخصوصاً المتمدنين منهم الذين اكتظت بهم المدن للرجوع الى الطبيعة من حين الى آخر والتمتع بجمالها وحامل لواء هذه الفئة واكثرهم جهاداً جون رسكين ومن مبادئهِ قولهُ " ان كل جمال مصدرهُ حب الطبيعة العذراء كما خلقها الله اي بجبالها وانهارها وبحارها ونجومها ونباتها وازهارها لا الطبيعة التي شوَّهها الانسان بصناعتهِ واختراعاتهِ". وهناك اناس اعملوا الفكرة في نظام الاجتماع فحكموا ان ما فيهِ من النقص والعيوب في الشرائع والاحكام المؤيدة للاقوياء والهاضمة لحقوق الضعفاء انما دخلت عليهِ لخروجهِ عن مبدإِ النظام الطبيعي وصيرورتهِ نظاماً مصطنعاً

وعلى الجملة فان جمال الطبيعة فتان واسرارها مدهشة للعقل . واذا كان كتاب الشريعة الذي يقرأهُ جزءٌ من البشر يشهد بوجود الله فسفر الطبيعة التي يقرأ صفحاتهِ كل البشر في كل يوم يبدي هذه الشهادة عينها وينطق بحكمة الخالق وعظمتهِ . قال داود الملك الشاعر العبراني العظيم " السماوات تحدث بمجد الله والفلك يخبر بعمل يديهِ يومٌ الى يوم يذيع كلاماً وليل الى ليل يبدي علماً " وقال ابن الفارض وهو من بدائع الاقوال

تراهُ ان غاب عني كلُّ جارحةٍ في كل معنى لطيف رائقٍ بهجِ
في نغمة العود والناي الرخيم اذا تألفا بين الحانٍ من الهزجِ
وفي مسارح غزلان الخمائل في بردِ الاصائل والاصباح في البلجِ
وفي مساقط انداء الغمام على بساطِ نورٍ من الازهار منتسجِ
وفي مساحب اذيال النسيم اذا اهدى اليَّ سحيرًا اطيب الارجِ

وقال رسكين " الطبيعة من صنع الله فمن يحبها يحب عمل الله " وقال احد[1] علماء هذا

---

(١) الاستاذ ابرهيم الحوراني في بيروت

العصر ونجعل قوله مسك الختام

يا شمس كل الورى لولاك ما بزغت	شمس وما لاح في جنح الدجى قمرُ
قد سبحتك النجوم الزهر شاهدة	بانك الله والآصال والسحرُ
والجوهر الفرد والاعراض قاطبة	والعقل والنفس والاعيان والصورُ
فانت كونت ما الابصار تدركه	وانت ابدعت ما لا يدركه البصرُ

حكم العرب

من كتاب الايجاز والاعجاز للامام ابي منصور الثعالبي النيسابوري

الخلفاء الراشدون والصحابة والتابعون

(ابو بكر الصديق) صنائع المعروف تقي مصارع السوء · الموت اهون مما قبله واشد مما بعده

(عمر بن الخطاب) من كتم سرّه كان الخيار في يده · لا تؤخر عمل يومك الى غدك · اشقى الولاة من شقيت به رعيته

(عثمان بن عفان) يكفيك من الحاسد انه يغتم وقت سرورك · تاجروا الله بالصدقة تربحوا

(علي بن ابي طالب) قيمة كل امرء ما يحسنه · الناس من خوف الذل في الذل · الناس اعداء لما جهلوا · استغن عمن شئت فانت نظيره واحتج الى من شئت فانت اسيره واعطِ من شئت فانت اميره · خير اموالك ما كفاك وخير اخوانك من آساك

(معاوية بن ابي سفيان) اولى الناس بالعفو اقدرهم على العقوبة

(الحسن بن علي) خير المال ما وُقي به العرض · العلم اكثر من ان يحصى فخذوا من كل شيء احسنه

(محمد بن الحنفية) من كرمت عليه نفسه هانت عليه الدنيا

ملوك الاسلام وامراؤه

(عمرو بن العاص) من كثر اصدقاؤه كثر غرماؤه · الكلام كالدواء ان اقللت منه نفع وان اكثرت منه قتل · عزة الغضب تؤدي الى ذلة الاعتذار

(المغيرة بن شعبة) تارك الاخوان متروك · في كل شيء سرف الاَّ في المعروف

(الاحنف بن قيس) من لم يصبر على كلمة يسمع كلمات · الكامل من عدّت هفواتهُ

(عبد الله بن الزبير) الوحدة خيرٌ من جليس السوء

(مصعب بن الزبير) اني لاعشق الشرف كما اعشق الجمال

(عبد الملك بن مروان) افضل الناس من عفا عن قدرة وتواضع عن رفعة وانصف عن قوّة

(المهلّب بن ابي حفرة) عجبت لمن يشتري العبد بمالهِ ولا يشتري الاحرار بفعالهِ · الإقدام على الهلكة تغرير والإحجام عن الفرصة جبن شديد

(عمر بن عبد العزيز) كتب اليهِ عامل حمص يقول انها تحتاج الى حصن فقال حصنها بالعدل والسلم

(مسلمة بن عبد الملك) ما لمت نفسي على خطإٍ افتتحتهُ بحزم ولا حمدتها على صواب افتتحتهُ بعجز

(مروان بن محمد بن مروان) كنزنا الكنوز فما وجدنا كنزًا انفع من معروف في قلب حرّ

(نصر بن سيار) كل شيء يبدو صغيرًا ثم يكبر الاَّ المصيبة فانها تبدو كبيرة ثم تصغر وكل شيء يرخص إذا كثر خلا الادب فانهُ اذا كثر غلا

(ابو مسلم) ما تاه الاَّ وضيع ولا فاخر الاَّ لقيط ولا تعصَّب الاَّ دخيل . اشدُّ اهل القتال ممتعض من ذلة او محام عن ديانة او غيور على حرمة

(ابو العباس السفاح) ما اقبح بنا ان تكون الدنيا لنا واولياؤنا خالون من حسن اثارنا . اذا عظمت القدرة قلّت الشهوة

(المأمون) الثناء با كثر من الاستحقاق ملق والتقصير عن الاستحقاق عي او حسد . اقرباء المرء بمنزلة الشعر على الجسد فمنهُ ما يحفى وينفى ومنهُ ما يخدم ويكرم · ان النفس لتملُّ الراحة كما تملُّ التعب

(المعتصم) اذا نصر الهوى بطل الرأي . وذكر التيه عندهُ فقال حظ صاحبهِ من الناس المقت ومن الله اللعن

(اسحق بن ابراهيم المصعبي) كيمياء الملوك العمارة ولا تحسن بهم التجارة · لذة الدنيا في السعة والدعة

(المنتصر) ما ذلّ ذو حق وان اطبق العالم عليهِ ولا عزّ ذو باطل ولو طلع من جبينهِ القمر . التقدير يجري بخلاف التدبير

(المهتدي) عاون على الخير تسلم ولا تجزهُ فتندم

(المعتمد) مَن عرف بالحلم كسرت الجراة عليهِ . لم يطع الله من عصى سلطانهُ

(عمرو بن الليث) الطير بالطير تصاد والمال بالمال يكسب والرجال بالرجال تعان

(احمد بن طولون) ان في الصلح تأخير الآجال وتثمير الاموال وتحقيق الآمال

(عبد الله بن المعتز) اهل الدنيا كصور في صحيفة اذا طوي بعضها نشر بعضها . افقرك الولد او عاداك . بشّر مال البخيل بحادث او وارث . اهل الدنيا كركب يسار بهم وهم نيام . من احبّ البقاء فليعدّ للنوائب قلبًا صبورًا . أغنى من وليتهُ عن السرقة فليس يكفيك من لم تكفهِ . عقوبة الحاسد من نفسهِ

(القاهر) من صنع خيرًا او شرًا بدأ بنفسهِ

(الراضي) من طلب عزًا بباطل اورثهُ الله ذلاً بحق

(الحسن بن علي الاطروش) اثقل الناس من شغل مشغولاً

(الربيع بن يونس وزير المنصور) موائد الملوك للتشرف لا للتشبُّع

(ابو عبد الله وزير المهدي) حسن البشر من اعلام النجح . عقول الرجال تحت أسنة اقلامها . خير الكلام ما قلّ ودلّ ولم يمل

(يحيى بن خالد البرمكي وزير الرشيد) ما احد رأى في ولدهِ ما يحب الاَّ رأى في نفسهِ ما يكره

(جعفر بن يحيى وزيره ايضًا) شر المال ما لزمك اثم مكسبهِ وحرمت الاجر من انفاقهِ . الخراج عمود الملك وما استغزر بمثل العدل وما استنزر بمثل الجور . اذ كان الايجاز كافيًا كان الاكثار عيًّا واذا كان الايجاز مقصرًا كان الاكثار ابلغ

(الفضل ابن الربيع وزير الرشيد والامين) ما اظن النعمة الاَّ مسخوطًا عليها اما تراها ابدًا عند غير اهلها

(الفضل بن سهل وزير المأمون) الامور بتمامها والمال بخواتيمها

(اخوهُ حسن بن سهل وزير المأمون ايضًا) عجبت لمن يرجو من فوقهُ كيف يحرم من دونهُ . لا يصلح للصدر الاَّ واسع الصدر

(محمد بن عبد الملك وزير مروان) الإرجاف مقدمة الفتنة

(عبيد الله بن خاقان وزير المتوكل) لسان الحال انطق من لسان المقال

(سليمان بن وهب وزير المهتدي) احق الناس بالتفضل اهل الفضل

(صاعد بن مخلد وزير المعتمد) المنع الجميل احسن من المطل الطويل

(ابو جعفر وزير المستكفي) الاصاغر يهفون والاكابر يعفون . من عمل ما يحب لقي ما يكرهُ . اياك والافراط الممل والتفريط المخل

(الصاحب بن عباد وزير فخر الدولة) الضمائر الصحاح ابلغ من الالسن الفصاح . وعد الكريم الزم من دين الغريم . لكل امرٍ أجل ولكل وقت رجل . قد يبلغ الكلام حيث تقصر السهام . كتاب المرء عنوان عقله

(ابو الحسن الاهوازي وزير صاحب الصاغانيان) مَن حسن حالهُ استحسن محالهُ . العدل اقوى جيش واهنأ عيش . مَن زرع الإحن حصد المحن

حكم الكتاب

(عبد الحميد بن يحيى كاتب مروان) القلم شجرة ثمرها المعاني والفكر بحر لؤلؤهُ الحكمة . البلاغة ما رضيتهُ الخاصة وفهمتهُ العامَّة

(عمرو بن مسعدة كاتب المأمون) قليل دائم خير من كثير منقطع

(ابو عثمان الجاحظ) من صنَّف فقد استهدف فان احسن فقد استطرف وان اساء فقد استقذف

(ابو بكر الخوارزمي) الكريم مَن اكرم الاحرار والكبير من حقَّر الدينار . الاذكار حيث التناسي والتقاضي حيث التغاضي

(البديع الهمذاني) الخبر اذا تواتر بهِ النقل قبلهُ العقل . من لم يجد الحميم رعى الهشيم

(ابو الفتح البستي) الرشوة رشاء الحاجة والمعاشرة ترك المياسرة اذا بقي ما فاتك فلا تأسَ على ما فاتك . لا ضمان على الزمان ولا ضياع بين الصناعة والقناعة

(يحيى بن معاذ) الفقر خوف الفقر والزهد اخفاه الزهد

(ابن سمعون الواعظ) قال لهُ السلطان محمود عظني واوجز فقال افعل برعيتك كما تحب ان يفعل الله بك

(ومن حكم الثعالبي نفسهِ) استظهر على الدهر بخفة الظهر . خلف الوعد خلق الوغد . لو كانت المشاجرة شجرًا لم تثمر الاَّ ضجرًا . ما الخلاص الاَّ في الاخلاص . الدواة انفع الادوات والحبر اجدى من التبر

اكلة الناس في جزائر هبريد الجديدة

جزائر هبريد الجديدة من جزائر ملقًا في غربي الاوقيانوس الباسيفيكي مخفرية بركانية شديدة الخصب يكثر فيها ثمر الخبز وجوز الهند والموز والساغو وقصب السكر وجوز الطيب ونحو ذلك من اشجار المنطقة الحارة وفي بحارها السمك وصدف اللؤلوء والسلاحف. مساحتها ٥٣٠٠ ميل مربع وعدد سكانها ٧٥ الفًا اكثرهم عبدة اصنام ولا يزال اكل لحوم الناس شائعًا عندهم

زارت سيدة اوربيَّة هذه الجزائر منذ عهد قريب ووصفتها في مجلة وندزور الانكليزية فاقتطفنا منها السطور التالية قالت

ان اهالي ملكولا احدى هذه الجزائر من اكلة لحوم الناس شهروا الحرب على الانكليز قبل وصولي الى جزيرتهم باسابيع قليلة ونزلوا الى الساحل ببنادقهم وجعلوا يطلقونها حيث تمر الباخرة الآتية من سدني لكن جاءتهم سفينتان حربيتان احداها فرنسوية والاخرى انكليزية واستأصلتا الداء قبل استفحاله

واهالي هذه الجزيرة خونة يخشى شرهم ولا يرجى خيرهم يأكلون لحوم الناس ولكنهم لا يوقعون بالبيض بغير سبب صحيحًا كان او وهميًّا. وقد يضيفون زائرهم ويرحبون بهِ وهم لصوص قتلة ولا يقتلون البيض الاَّ اذا اتفق ووقعت بهم مصيبة فيوجسون منهم شرًّا ويقومون عليهم كالمجانين ويوقعون بهم واما قتل بعضهم بعضًا فشائع بينهم

ولا يزال كثير من هذه الجزائر مجاهل لم تطأها اقدام البيض ولا سيما جزيرة ملكولا وهي ثانية هذه الجزائر اتساعًا واشدها اهوالاً ولا يعرف منها الاَّ ساحلها وجزءٌ من نصفها الجنوبي. وفي وسطها حرجة كثيفة طولها سبعون ميلاً وعرضها ثلاثون يسكنها المتوحشون واكثرهم لم يروا الساحل ولا رأوا وجه انسان ابيض ولا يمكن السير في بلادهم من غير دليل ولا بدَّ من ان يكون مع السائر جنود مسلحون يحمونهُ لان الاهالي على جانب عظيم من الغدر. واسلحتهم البنادق والسهام المسمومة ويطرحون في الارض اسنة سهام مسمومة حتى تنشب في ارجل المارة وتسمهم وحول قراهم طرق متشعبة تضل السائر فيها ولا اسهل عليهم من رمي كل من يعتدي على حماهم بالرصاص

وجزيرة سنتو اكبر من جزيرة ملكولا وهي اول جزيرة رآها الاوربيون وكان ذلك سنة

١٦٠٥ وهي جبلية تعلو عن سطح البحر ٥٠٠٠ قدم وفيها حراج كثيفة واودية عميقة . والذي كشفها اولاً جاءها من بيرو وظن انها قارَّة جنوبيَّة فسماها استراليا دل اسبيرتو سنتو اي بلاد الروح القدس الجنوبيَّة . ونزل في مرفإٍ امين سماهُ ڤرا كروز اي الصليب الحقيقي وسمّى النهر الذي يصبُّ فيهِ بالاردن وشرع في بناء مدينة على ضفتهِ سماها اورشليم الجديدة ولكن الحمّى وعدوان الاهالي طردا النزلاء قبلما اتموا بناء المدينة فعادوا الى اميركا الجنوبيَّة . وزار كوك الشهير هذه الجزائر سنة ١٧٧٤ وسماها هبريد الجديدة

واسم عاصمة هذه الجزائر الآن ڤيلا وهي في جزيرة افات وعلى نحو اسبوع من مدينة سدني باستراليا بالسفن التجارية . وموقعها من اجمل المواقع ماء مرفإها فيروزي مشوب بحمرة نارية يحفُّ بها من جهات البر الثلاث آكام تغطيها الانجم والاشجار كأنها زمرد مبثوث حولها . اكثر سكانها من الفرنسويين وفيها شارع واسع هو شارع التجار ولكن بيوتها قليلة حقيرة كانها طفلة ضلَّت من امها بين الحراج . وجزيرة افات نفسها اكثر جزائر الهبريد تمدُّناً لان اهاليها متنصرون اكثرهم واراضيها في ملك الاجانب من الفرنسويين والانكليز وهم يزرعون فيها الشاي والذرة وليس في الدنيا مكان يستحلُّ اهاليهِ المحرمات مثل هذه المدينة ومع ذلك يعيشون على سلام بعضهم مع بعض . وفيها مأموران احدهما انكليزي والآخر فرنسوي لكن سلطتهما محدودة او لا يستطيعان شيئاً . والحرُّ هناك شديد يضعف الهمم ويزهق النفوس ويعد بالحميات ويفي بوعدهِ . ولا يستطيع احد الانتقال من مكان الى آخر الاَّ بحرًا واذا اراد السفر برًّا اضطرَّ ان يجتاز بين الادغال واذا كان من رجال الحكومة واجهد نفسهُ فجزاؤهُ اللوم والتوبيخ ولذلك يعيش المأموران بالمسالمة و يتضايفان حينما يجدان طعامًا يستحق ان تولم منهُ وليمة ويقضيان بقية الوقت في النزهة وصيد السمك وهذا كل ما تطلبهُ حكومتاهما منهما

ويراد الآن انشاء محاكم يحاكم بها البيض اذا خالفوا وصيَّة من الوصايا العشر او اعتدوا على قانون من قوانين بلادهم مما يضرُّ بجيرانهم . ولما زرت تلك الجزائر لم يكن فيها شيءٌ من ذلك ولا ما توقى بهِ الاموال والاعراض بل كان الحق للقوة ومع ذلك كان الناس عائشين كما يعيش غيرهم من النزلاء في غيرها من البلدان فلا يقتل بعضهم بعضاً مع انهم يختصمون احياناً لاسباب تدعو الى الخصام في كل الدنيا ويقال انهم قد يقتلون العمَّال في المزارع البعيدة في ساعة الغيظ لان الحرَّ الشديد يذيب الآداب على ما يظهر

لما وقع نظري على الاهالي البرابرة لم اوجس منهم شرًّا لانني لم احسب انهم يقدمون على اكل احد في شارع المدينة او على ساحل البحر بمرأًى من السفن التجاريَّة ولم اخشَ اسلحتهم

لانها جزء من ثيابهم يحملونها قياماً وقعوداً وتبقى معهم وهم نيام . ولا سبيل لجعلهم يتخلون عنها ما دام التجار الانكليز والفرنسويون يأتونهم بها وبالرصاص والبارود . وحملهم لبنادقهم دائماً وهي محشوة لا يخلو من الخطر ولو عرضاً . ثم انهم قد اعتادوا صيد السمك بالديناميت وهذا ايضاً لا يخلو من الخطر على الارواح

واقمت برهة وجيزة في ڤيلا ولقيت فيها من حسن الضيافة ما لا انساه ثم انتقلت الى مزرعة من مزارع الشاي تبعد عنها ثلاثين ميلاً وشاهدت من المناظر البديعة في طريقي ما يعجز عن وصفهِ قلم الكاتب فاترك وصفهُ لقلم المصور لان تلك الجزائر اجمل جزائر البحر الجنوبي

والمعيشة في مزارع الشاي في حد الشظف فان العمال كلهم من البرابرة اكلة لحوم الناس يؤتى بهم من الجزائر الشمالية ويعطى الواحد منهم جنيهين في السنة وطعامهُ . ومدة استخدامهم ثلاث سنوات ولكنهم قلما يقضونها كلها بل يهربون بعد ما يرون مشقة الاستمرار على العمل والغالب انهم يأتون اولاً من تلقاء انفسهم هرباً من ثأر يطالبون بهِ

ويجد اصحاب هذه المزارع من المشقة في استخدام العمال ما يجدهُ غيرهم في سائر البلدان الحارَّة وكثيراً ما يقوم العمال عليهم ويقتلونهم ولذلك تراهم على تمام الحذر دائماً وكثيراً ما يغير الواحد مكان نومهِ كل ليلة لكي لا يهتدي اولئك البرابرة اليهِ فيغتالوهُ فيهِ ويأكلوهُ . ولا يخلو بيت من البنادق وهي محشوة دائماً احتياطاً . ولا يبرأ النزلاء من الاساءة الى الوطنيين لانهُ يصعب على المرء ان يعامل البرابرة اكلة لحوم الناس باللين والرفق

وبنُّ هذه الجزائر جيد جداً وسوقهُ رابحة في انكلترا وكذلك نارجيلها المجفف فانهُ يستعمل في طبخ الصابون . وشجر النارجيل كثير فيها وهو كثير الثمر فتغل الشجرة منهُ مضاعف ما تغلهُ في بلاد اخرى ولكن الاهالي لا يبيعون اشجارهم ولا يؤجرونها

وتاريخ هذه الجزائر غامض جداً فقد رأيت في جزيرة سوباي منها اناساً من سكانها الاصليين يشبهون اليهود في سحنتهم وغيرهم مثل زنوج غربي افريقية وغيرهم كالقرود سحنة وغيرهم لا مثيل لهم بل هم نسيج وحدهِ . وسمعتهم يتكلمون ثلاث لغات مختلفة والذين يتكلمون اللغة الواحدة لا يفهمون غيرها ويقال ان في الجزيرة سبع لغات اخرى واهل كل لغة لا يفهمون غيرها . واكواخهم في حد الحقارة لا تزيد على مظلات من القش قائمة على اعواد من القنا الهندي ولكن هياكلهم كبيرة لها كوًى عالية وعندهم طقوس ورموز تشبه ما عند اليهود وهم يحنطون موتاهم مثل المصريين القدماء وكلهم من اكلة لحوم الناس ويعبدون الصقر ويكرمون الخنزير اكراماً يقرب من العبادة ويضعون اجساد امواتهم المحنطة في هياكلهم ولا يبيحون

دخولها لاحد ولا سيما للنساء ولذلك تعذَّر عليَّ دخولها في اول الامر ولكنني وجدت هيكلاً لا يحرسهُ الاَّ بعض النساء العجائز وكنَّ جالسات امامهُ غافلات فغافلتهنَّ ودخلتهُ فرأيت فيهِ كثيرًا من الاجساد المحنطة موضوعة على رفوف مدهونة بالدهان الاحمر والازرق ومن الجماجم ووجوهها مغطاة باغطية منسوجة ومدهونة بدهان احمر ومن الرماح والمطارق معلقة فوق جدرانهِ · ثم خرجت منهُ من غير ان يراني احد وسافرت من الجزيرة ذلك اليوم · ثم بلغني ان الاهالي دروا بانتهاكي حرمة هيكلهم فاغتاظوا جدًّا

ومما شاهدتهُ في هذه الجزائر ولم يشاهدهُ احد قبلي حصن في قلب احدى الحراج حيث يُقتل الناس ويؤكلون فان الدليل قال لي اننا اذا قصدناهُ ولا سلاح معنا لم يهتم الاهالي بنا لانهم لا يوجسون شرًّا ممن لا سلاح معهُ ولا سيما اذا كان امرأة فلما وصلنا اليهِ كان الاهالي قد شرعوا في الرقص وهم كالشياطين يثبون ويطفرون على اشكال مربعة وبنادقهم في ايديهم وفي وسط حلقتهم طبول في شكل الاصنام كان المفتنون منهم يقرعونها فتصوت اصواتًا مزعجة تصمُّ الآذان ورئيسهم في شكل صقر يطفر وينقضُّ على فريستهِ وآخر حمل خنزيرًا حيًّا على كتفيهِ وجعل يرقص بهِ

وزرت مرةً اخرى مكانًا أُولمت فيهِ وليمة من ولائمهم البشرية وصدت منها بعظم فخذ فحفظتهُ تذكارًا · وصعدت الى قمة البركان الثائر الذي رآهُ الربان كوك حينما زار هذه الجزائر سنة ١٧٧٤ ولم يزل يقذف النيران من جوفهِ نهارًا وليلاً من ذلك العهد الى الآن · وغادرت هذه الجزائر وانا على يقين انها اغنى واثمن مما يظن وان الدولتين العظيمتين انكلترا وفرنسا تحسنان صنعًا اذا اتفقتا عليها باسرع ما يمكن · انتهى

وقد اوضحت الكاتبة مقالتها بثماني عشرة صورة فوتوغرافية الاولى صورة النزول الى البر فترى شاطئ البحر وهو مثل بستان ملتف الاشجار والسكان البرابرة واقفين عليهِ عراة والثانية صورة ابنة من بناتهم صاعدة على شجيرة من شجر النارجيل كأنها حلزونة تصعد على ساق سنبلة والثالثة صورة فتاة اخرى ومعها ثمرة من شجر الخبز والرابعة صورة اصنامهم وهي من اقبح ما صنعهُ البشر منظرًا والخامسة صورة رقصهم بالبنادق وهلمَّ جرًّا · ويظهر من صورهم انهم ممتلئو الابدان مجدولو العضل لا يلبسون الاَّ ثيابًا ومنطقة الخرطوش اذا لم يكونوا في خدمة الاوربيين واما الذين في خدمة الاوربيين فيلبسون ثيابًا تكسوهم ولا ندري أَلسعدهم ام لنحسهم دخل الاوربيون بلادهم واقاموا فيها



حاجة من حاجات المدرسة الكلية السورية الانجيلية

في سنة ثلاث وسبعين كانت ابنية المدرسة الكلية ثلاثة — البناء العلمي والبناء الطبي والمرصد الفلكي — اما اليوم فيبلغ عدد الابنية ثلاثة عشر وبعض هذه الابنية المستجدة يكاد يكون اتساعهُ مضاعف اتساع البناء العلمي القديم . وفيما عدا هذه الابنية ساحات كبيرة للعب والتمشي وساحات "للجمنازيوم" "وللتنس" حتى يخيل لمن يزورها من ابنائها الذين تركوها قبل سنة تسعين انها بلغت غاية لا تحتاج الى مزيد بعدها . والحقيقة ان الحاجة تستجد مع الزمان وحاجة الكلية اليوم غير حاجتها منذ عشر سنوات كما ان حاجتها منذ عشر سنوات كانت غير حاجتها منذ عشرين سنة وهلمَّ جرًّا

ربما يقال وما هي حاجة المدرسة الكلية اليوم فنقول ان حاجتها اليوم انما هي وجود بناء خصوصي لراحة التلامذة والطلبة . يحتوي على قاعات فسيحة لكل دائرة من دوائرها وفيهِ عدا عن ذلك منتدى كبير لجمعيات المدرسة العلمية والادبية والدينية وغرف خاصةٌ لاجتماعات لجانها المتعددة وغرف يكتب فيها التلامذة للاهل والاصدقاء وبالجملة بناء فيهِ كل ما يلزم لراحة التلامذة—الراحة التي تكسبهم النشاط العقلي والادبي وتربي فيهم روح الترتيب والاستقلال مع روح التعاون والائتلاف

فان قيل ولماذا لا تبني المدرسة مثل هذا البناء لتلامذتها قلنا ان المدرسة ترى الحاجة امس الى غير هذا البناء الآن . وهناك كثير من الحاجات التي لا يمكن لها ان تصرف نظرها عنها اذا تابعت الخطة الراقية التي هي سائرة عليها وذلك يستغرق كل ما عندها من المال الى سنين طويلة — ومن تلك الحاجات ابنية لسكن تلامذة الطب والصيدلة وابنية مستشفيات متعددة فضلاً عن زيادة دوائر غير دوائرها الحاضرة كدائرة للهندسة ودائرة للزراعة واخرى للشريعة والنظامات واخرى للآثار واللغات الشرقية القديمة وكل هذه تحتاج الى المال الكثير فان نحن صبرنا على المدرسة الى ان تفرغ عمدتها ودائرة امنائها من الاعداد لكل هذه الحاجات مرَّت بنا عشرات السنين وحاجة التلامذة التي اشرنا اليها مطروحة الى جانب

لما رأى ذلك معلمو المدرسة الذين يشاركون التلامذة في السكن والمنامة والاكل والتنزه والالعاب خطر لهم ان يسعوا بانفسهم وبواسطة رصفائهم السابقين واصحابهم ومعارفهم الى جمع مال مخصوص يكفي لاقامة البناء الذي اشرنا اليهِ . اما المعلمون من الاميركان فاصدروا الى اخوانهم ومعارفهم في الولايات المتحدة كتاباً طويلاً بسطوا لهم فيهِ حاجة المدرسة هذه بكل اسهاب وافاضوا في بيان المنافع التي تنشأ من اقامة مثل هذا البناء وذكَّروا الذين درَّسوا قبلهم من اخوانهم بحالة التلميذ في الكلية وكيفية صرف اوقات فراغهِ ولا سيما في ايام الشتاء والبرد عند ما لا يجد التلميذ الداخلي مقرًّا لهُ او ملجأً سوى قاعة النوم الكبيرة الباردة فيجلس على سريرهِ او صندوقهِ بعيدًا عن الراحة التي يحصل عليها فيما لو كان في بيتهِ . فاذا شاء ان يكتب كتاباً لاهلهِ جلس على صندوقهِ يكتب وهو محدودب الظهر ودواتهُ معرَّضةٌ ان تنقلب على فراشهِ او ثيابهِ . واذا لم يكتب او يطالع قام لحركة ما محظورة عليهِ في غرف النوم فيأتيهِ الناظر باوامر السكينة والهدوّ — وهكذا صوَّروا حالة تلميذ الكلية في ايام الشتاء وفي اوقات الفراغ وبعد ظهر الاربعاء والسبت وايام الآحاد وفي العطل الصغيرة التي تعطى في مدار السنة المدرسية ثم قابلوها على حالة تلميذ كليات اميركا ومعدَّات الراحة التي يحصل هذا عليها في الابنية المفرزة لتلك الغاية واستنهضوا هممهم للمعاضدة والسخاء لاقامة بناء في المدرسة الكلية لتلامذتها المتعدّدي المذاهب والاجناس لجمع بينهم ويزيد في راحتهم ويشعرهم بالهدوء البيتي الذي يشتهيهِ كل تلميذ احياناً — بناء لا يكون كتلك الابنية من حيث الاتساع وجمال الهندسة فيستغرق تشييدهُ عشرات الالوف من الجنيهات بل يكفي ان يكون بين بينَ فيتألف من بناية وسطى لها جناحان الواحد لتلامذة الدائرة العلمية والدائرة التجارية والآخر للدائرة الاستعدادية (اما تلامذة الطب والصيدلة فستقام لهم قاعات كهذه في البناء الجديد الذي تقرر انشاؤهُ في السنة القادمة) وسيكون في كل جناح قاعة كبيرة معدَّة باثاث متين — بمائدة كبيرة في الوسط للجرائد والمجلاَّت وبكراسي مريحة وموقد للنار ولها غرف صغيرة على جانب معدَّة ايضاً بموائد وادوات لمن يريدون الانفراد للكتابة والمطالعة. ثم يكون في الطابق العلوي منتدى كبير للجمعيات العلمية والادبية لاجتماعاتها ولاحتفالاتها مع غرف لانعقاد جلسات اللجان في هذه الجمعيات العديدة . وقدروا نفقات هذا البناء بثلاثين الف ريال يشترك في جمعها معلمو المدرسة ومتخرجوها واصحابهم ومعارفهم وكنائسهم وجمعياتهم الخيرية وكل من يمكن ان يفتح يدهُ في تحقيق هذا المشروع النبيل. وقد جمعوا ابتداء بضعمئة من الجنيهات والهمم منصرفة لجمع الباقي من النفقات فلا تمر سنتان او ثلاث حتى تستكمل

معدات هذا البناء ويتم تشييده' بمساعي الذين علّموا في المدرسة والمعلّمين الحاليين واخوانهم ومعارفهم ثم يقدم للتلامذة اثرًا باقياً يكون واسطة لزيادة راحتهم وائتلافهم ويصبح مجتمعاً للعوامل الفعالة في حياة المدرسة العلمية والادبية والاجتماعية

هذا ملخص ما نشره' اخواننا الاميركان اثبتناه' ببعض التصرف واما نحن المعلمين من ابناء العربية فقد رأينا ان نصدر اولاً هذه المقالة على صفحات شيخ المجلات ونبراسها الزاهر ونوجهها الى قرائهِ اخواننا من المعلمين وتلامذة الكلية اجمعين من سنة ٦٧ الى هذا الحين ونعرض لديهم هذه الحاجة ليتبصروا فيها ويعدونا بآرائهم واياديهم ثم نشفعها بكتاب مطبوع ننفذه' الى كلٍ منهم ونتابعهم باخبار المشروع وارتقائهِ حتى يستكمل ويروا اياديهم في استكمالهِ

فيا ايها الاخوان الاعزاء اساتذتنا ورصفاءنا ورفاقنا ومتخرجي مدرستنا ومحبيها ابناء القطر المصري والشامي في مصر والشام والولايات المتحدة وكندا والمكسيك والبرازيل واستراليا وحيثما كانوا من جهات المعمور تبصروا في الامر وتصوروا ما يصنع لراحة اكثر من سبعمئة شاب من نخبة شبان سوريا ومصر وبعضهم من اخواننا او من ابنائنا او ابناء اصحابنا واقاربنا . تفكروا وليوفقكم الله الى كل خير . واما نحن اخوتكم المعلمين الآن في المدرسة فنؤمل ان يجاب نداؤنا كما يجاب نداء رفاقنا من المعلمين الاميركان ولا نقول اكثر في بلاد اجنبية عنهم ولكنها مسقط رؤوسنا ورؤوسكم والسلام

[المقتطف] اتتنا هذه الرسالة من حضرة الاستاذين الفاضلين جبر ضومط وبولس خولي من الاساتذة الوطنيين في المدرسة الكلية وقد كتبا الينا يستنهضان هم قرّاء المقتطف وابناء المدرسة الكلية اجمعين واصدقائهم في هذا القطر وسائر الاقطار . ونحن نضمّ صوتنا الى صوتهم واثقين مثلهم ان هذه الدار التي يراد انشاؤها تفيد التلامذة فائدة كبيرة . ولم نكن نظن ان المباني الكثيرة التي بنيت في المدرسة الكلية خالية من غرف يستريح فيها التلامذة ويكتبون لاهاليهم بل هم يجلسون في غرف النوم ويكتبون على الفراش وهذا لم يكن في عهدنا لا وقتما كنا ندرس ولا وقتما كنا ندرّس بل كان التلامذة يكتبون مكاتيبهم في الغرف التي يطالعون فيها دروسهم وقلما كانوا يهتمون بالراحة بل كان وقتهم يقضى في الدرس والرياضة والاكل والنوم وكانت الجمعيات تلتئم في غرفة كبيرة في البناء القديم ولكن كان عدد التلامذة قليلاً فتسعهم اما الآن وقد بلغ عددهم المآت فلا بدَّ من غرف كبيرة جداً لكي تسعهم . وسننشر في المقطم ما يقرُّ عليهِ قرار الذين نذاكرهم في هذا الموضوع ونعود الى البحث فيهِ في الجزء التالي

قراءة الافكار

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين

اراكم تنفون وجود الارواح وقراءة الافكار وتحاولون تعليل ما يرى من هذا القبيل باسباب طبيعيَّة فاليكم اموراً رأيتها بعيني في تياترو الازبكية ورآها كثيرون معي . وذلك انهُ كان في التياترو امرأة تقرأ الافكار وتكتشف الخبايا ومعها زوجها وهو يرى مايراد قراءتهُ فتقرأهُ وهي مغمضة العينين . فتحنا كتاباً وأريناهُ فقرة منهُ وكانت هي واقفة على دكة التياترو فاشار اليها بيدهِ فنزلت وقالت افتحوا الصفحة الفلانية ففتحناها لها واخذت تقرأ الفقرة المطلوبة وهي مغمضة العينين لا ترى شيئاً

وامسك احد الحضور بطاقة الزيارة (كارت فيزيت) التي فيها اسمهُ واراها للرجل والاسم عربي غريب ولكنهُ مكتوب بحروف افرنجية فنظر الرجل اليها فتلفظت هي بهِ كأنها رأتهُ بعينيها . واخرج آخر ورقة من جيبهِ عليها ارقام هندية افرنجيَّة واراها للرجل ثم لفها ورماها في كيس كان مع احدى السيدات الحاضرات فيهِ خناجر صغيرة وادوات زينة مما يحملهُ بعض النساء . واشار الرجل الى المرأة التي تقرأ الافكار فحضرت واخذت تفتش في الكيس واستخرجت الورقة منهُ وقرأت الارقام التي فيها قبل ان تفتحها . فكيف حصل ذلك كلهُ اذا كانت هذه المرأة لا تقرأ افكار زوجها

مصر — احد المشتركين

[المقتطف] لقد رأينا نحن شيئاً من ذلك وفسَّرناهُ تفسيراً معقولاً مقبولاً وهو ان الرجل بارع في التكلم من بطنهِ فان بعض الناس يتكلمون من غير ان يحركوا افواههم وشفاههم و يوهمونك ان المتكلم غيرهم و يكيفون صوتهم على اساليب مختلفة فتظن ان الصوت آتٍ من السقف او من الحائط او من شخص آخر غير الشخص المتكلم . فلما وقفت المرأة امام الكتاب وقالت افتحوا الصفحة المئتين والعشرين مثلاً كان هو المتكلم لا هي ولكن ظهر الكلام آتياً منها ولما فتح الكتاب وجعلت تنظر فيهِ وتقرأ كان القارئ هو لا هي . وكذلك هو قرأ الاسم الذي في بطاقة الزيارة وظهر كأن القارئ لها امرأتهُ . اما اهتداؤُها الى الورقة في الكيس فنظن ان سببهُ تواطوء بينها و بين المرأة صاحبة الكيس فتعلم ما في كيسها من المواد وتعلم ان الشيء الذي يطلب منها معرفتهُ سيوضع في ذلك الكيس . ثم ان زوجها قرأ ما في الورقة لا هي ولكن ظهر الصوت كأنهُ صادر منها على ما تقدَّم

ويحتمل ان لا يكون تعليلنا هو التعليل الصحيح ولكن لا يحتمل ان توجد امرأة

تستطيع قراءة افكار غيرها ومعرفة الغيب ولا تستخدم قوتها هذه في ما يكسبها اموالاً طائلة ويكفيها مؤونة الوقوف في المشاهد العمومية والتعرض للنوم المغنطيسي الذي تدعيهِ وهو يضعف الجسم والعقل . وان وجد واحد في الدنيا يستطيع ان يقرأ افكار غيرهِ ويكتشف الغيب لم يتعذَّر عليهِ ان يكتشف افكار الماليين والمضاربين الكبار ويكتسب منهم او بواسطتهم الوفاً من الجنيهات كل يوم او يعرف الورق الذي في يد لاعبي القمار ويكتسب كل اموالهم

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

البارونة برُدت كوتس

هي اكبر المحسنات توفيت في الثلاثين من دسمبر الماضي عن ٩٢ سنة . وهي ابنة السر فرنسيس بردت وامها ابنة توما كوتس منشيء بنك كوتس المشهور . كان لهُ ثلاث بنات موصوفات بجمالهنَّ الكبرى واسمها سوسان اقترنت بارل غلفرد والوسطى واسمها فرنسس اقترنت بمركيز بط والصغرى واسمها صوفيا اقترنت بالسر فرنسيس بردت وهي ام البارونة بردت كوتس صاحبة الترجمة . وتوفيت زوجة توما كوتس فاقترن بزوجة أُخرى ومات عنها سنة ١٨٢١ من غير ان يرزق منها ولداً وخلَّف لها ثروتهُ الطائلة كلها وتوفيت هي سنة ١٨٣٧ وتركت هذه الثروة الى ابنة ابنتهِ صاحبة الترجمة وكان عمرها حينئذٍ ٢٣ سنة فاضافت اسم جدها ابي امها الى اسم ابيها وسميت من ذلك الحين مس بردت كوتس . وتقدَّر الثروة التي انتقلت اليها حينئذٍ بمليون جنيه . ومليون جنيه حينئذٍ بمثابة ملايين كثيرة في هذا العصر ولعلها كانت اغنى بنات عصرها ولذلك اتجهت اليها الانظار من كل صوب وجعلت مكاتيب الخطَّاب تنهال عليها بالالوف لكنها بقيت عزباء واشتغلت بتوزيع الصدقات وعمل المبرات على اسلوب يكون منهُ النفع الاعظم والضرر الاقل . فبنت ملجأً للبنات اللواتي اكرهن على البغاء فجمعتهنَّ اليهِ واصلحت شؤُونهنَّ وارسلتهنَّ الى المستعمرات حيث تزوَّجن او عملن اعمالاً محللة شريفة

عشن منها . ولما كسدت سوق عمل الحرير جمعت النساء العاملات بهِ وانشأَت لهنَّ مدارس خياطة تعلمنَ فيها وصرن قادرات على تحصيل معيشتهنَّ . وانشأَت مدارس صناعية ومكاتب عمومية وسبلاً يشرب منها المارَّة

ولما نشبت الحرب بين روسيا والدولة العلية سنة ١٨٧٧ ارسلت الاموال الطائلة لتنفق على جرحى الاتراك والفقراء المهاجرين منهم فانفق ثلاثون الف جنيه في هذا السبيل وانفقت خمسين الف جنيه على انشاء اسقفية كولمبيا

قلنا انها ورثت مليون جنيه منذ اكثر من سبعين سنة والظاهر انها تركت عند وفاتها اقل من ذلك فكانت تتصدَّق بكل ما يزيد من ريع اموالها عن نفقاتها الخصوصية . ولم نطَّلع على تقدير الاموال التي تصدَّقت بها في حياتها ولكننا لانظن انها تقل عن خمسين الف جنيه كل سنة فلو جُمعت مدة السبعين سنة من حين تُرك المال لها الى حين وفاتها واضيف اليها ربح بمعدل اربعة في المئة فقط لبلغت نحو ثلاثين مليونًا من الجنيهات

ومن اغرب ما جرى لهذه السيدة انها عاشت كأن لا غرض لها من الدنيا الاَّ توزيع الاموال التي ورثتها على اسلوب يكون منهُ النفع الاعظم للمحتاجين الى المساعدة ولم تقتصر على مساعدة الناس وتخفيف متاعبهم بل ساعدت الحيوانات وكان لها اليد الطولى في انشاء الجمعيات لمنع معاملة الحيوانات بالقسوة كما انشأَت جمعية لمنع معاملة الاولاد بالقسوة وانفقت اموالاً طائلة في هذا السبيل واستمرَّت عزباء الى ان صار عمرها ٦٧ سنة وحينئذٍ اقترنت بالمستر وليم اشمد بارتلت سكرتيرها الخاص وكان عمرهُ اذ ذاك ثلاثين سنة فقط فتسمَّى باسمها

وكانت من اعزّ صديقات الملكة فكتوريا وقد منحتها الملكة لقب بارونة سنة ١٨٧١ . ومنحتها مدينة لندن حريتها وهو امتياز لم تنلهُ سيدة قبلها كما انها السيدة الوحيدة التي نالت لقب شرف باستحقاقها الخاص . وكتَّاب سيرتها يجمعون على انها كانت مثالاً في الهمة وبذل الوسع في مساعدة ابناء نوعها وانها ماتت بشيبةٍ صالحة وقد شبعت اياماً وغنىً وكرامة وخدمت جيلها بمشورة الله

دفتر الحساب

دفتر الحساب من الزم اللوازم لربة البيت وعليها ان تهتم بهِ اهتمامها بملابسها وادوات زينتها وان تشتري دفترًا جديدًا لكل سنة وتقابل الاسعار بعضها ببعض من يوم الى يوم ومن شهر الى آخر لئلا يخدعها الطباخ او الخادم الذي يشتري الاطعمة . ويجب عليها ان لا تكتفي بكتابة اثمان الاطعمة بل يجب ان تكتب ايضاً كل ما تصرفهُ يومياً وكل ما تأخذهُ من زوجها

ادارة البيت

من حين يقترن الرجل بزوجتهِ تترتب عليهما واجبات كثيرة لا بدَّ من القيام بها والاَّ ساءت حال البيت والامة لان الامة مؤلفة من بيوت فاذا عاش اهالي البيوت بالمحبة والوئام حسنت حال الامة كلها والاَّ فلا

ما دام الزوج والزوجة خطيبين فقلما يخطر ببالهما امر المعيشة من حيث المأكل والملبس والمأوى ولكن لا بدَّ من الاهتمام بذلك كلهِ بعد الزواج . والانسان نفس وجسد فلا تقتصر معيشتهُ على المأكل والمشرب والمأوى والملبس بل لابدَّ لها من امور ادبيَّة تنعش النفس والاَّ صارت الحياة بهيميَّة . فاذا ثقلت واجبات المعيشة على الزوجين خيف ان ينسيا المحبة الادبيَّة التي تنعش النفس وهما يسعيان وراء المعيشة المادية اللازمة لحياة الجسديَّة ولذلك يترتب عليهما ان يحذرا من الوقوع في هذه الورطة التي تزيل كل ما في الحياة من السعادة الادبيَّة وان يبذلا جهدهما دائماً لانعاش قواهما النفسية . والمرأة التي لا يهتمُّ زوجها بها ولايسعى الاَّ الى جلب الطعام والكساء لاتفرق عن المطلَّقة . والرجل الذي لا تبالي زوجتهُ الاَّ بتدبير طعامهِ وكسائهِ لا يفرق عن الرجل الذي هجرتهُ زوجتهُ او عن رجل قائم في فندق . وقد لا يكون ذلك مقصوداً لا من الزوج ولا من الزوجة بل يكون مجرَّد اهمال لغير سبب فيزول بقليل من الانتباه والاَّ فاذا تمادى الزوجان فيهِ ساءت العاقبة واظلم نهار الحياة . قالت الدكتورة فلورنس درسلر وافادت " ان شمس المحبة يجب ان تشرق في البيت دائماً حتى تهجرهُ خفافيش الاختلاف ولا يقيم فيهِ بوم الخراب "

وادارة البيت صعبة لا يسهلها الاَّ ما تجدهُ الزوجة في نفسها من المحبة لزوجها واولادها . وتزيد صعوبتها لانها دائمة مستمرَّة تتجدَّد كل يوم مدى العمر لكن المحبة تخفف هذه الصعوبة او تزيلها . والاهتمام بتدبير النفقة اللازمة لا يقلُّ صعوبة عن ادارة البيت وهو دائم متصل ايضاً لكن المحبة تزيل مشقتهُ ولا سيما اذا شاركت الزوجة زوجها في الاهتمام بشؤُونهِ والتقتير على نفسها لكي يبقى في سعة او لكي لا يضطر ان يجهد نفسهُ فوق طاقتهِ . وكم من زوجة تبيت بلا اكلٍ لكي لا تستدين ديناً يعجز زوجها عن ايفائهِ . وعلى الزوج ان يطلع زوجتهُ على اشغالهِ كلها ويأتمنها على اموالهِ وما يوفرهُ من نفقات البيت لانها احرص منهُ . واما اذا احتقر رأيها ولم يطلعها على اشغالهِ ادّعاء منهُ انها لا تفهم ذلك صغرت في عيني نفسها وتألمت في باطنها . وقد لا تفهم طرق اشغالهِ ولكنها تصير تفهمها بعد ان يطلعها عليها وتكون اكبر مساعد لهُ فيها . والغالب ان يكون رأيها اصح من رأيهِ لانها تدرك بفراستها مالا يدركهُ هو

بعقلهِ . واذا اعتمد عليها زادت مهارة حتى تصير اكبر معين لهُ في تدبير اشغالهِ . وهي المعين الوحيد المخلص لهُ الذي لا يطلب منهُ اجرًا ولا شكرًا

فاذا جرى الزوجان على ما يجب في ادارة بيتهما زادت راحتهما ورفاهتهما جسدًا وعقلاً والاَّ صار بيتهما فندقًا للاكل والشرب والنوم لا غير

وادارة البيت عمل شاق كما تقدم يقتضي الماماً بكثير من العلوم والفنون ولكن لا يراد بحسن ادارة البيت ان تعمل الزوجة كل اعمالهِ بيدها الاَّ اذا كان صغيرًا جدًّا اي اذا كانت احوال زوجها المالية لا تسمح لهُ ليسكن بيتاً كبيرًا . فان الزوج والزوجة يستطيعان ان يعيشا في غرفة واحدة وحينئذٍ تكون واجبات البيت قليلة جدًّا وتستطيع الزوجة ان تقوم بها كلها وان تساعد زوجها في اعمالهِ ايضاً كما يفعل اكثر الفلاحين ولكن اذا كانت احوال الزوج المالية ومركزهُ الاجتماعي تسمح لهُ وتوجب عليهِ ان يسكن بيتاً كبيرًا ويزور ويزار صارت واجبات البيت كثيرة متنوعة فتعجز الزوجة عن القيام بها كلها وتضطر ان تستخدم خادماً او اثنين او اكثر . واذا حتم عليها زوجها لبخلهِ او لقصر نظرهِ في العواقب ان لا تستخدم احدًا بل تقوم بكل اعمال بيتها بنفسها فتطبخ وتغسل وتكوي وتنظف البيت وهلمَّ جرًّا فالغالب انها تفعل حسب ارادتهِ ولكن تنحط قواها حالاً وتسوء صحتها ويضطر ان يعطي الطبيب اكثر مما كان يضطر ان يعطي الخادم واستحال البيت من فردوس نعيم الى هوَّة شقاء وهمٍّ مقيم . وكم من فتاة خطبها شاب وقضيا زمن الخطبة في حديقة الحب تحف بهما ازهارهُ ورياحينهُ وهي تحسب ان حياتها كلها تكون بهجة وسرورًا ثم لما تزوَّجت وجدت زوجها طاغية لا يشفق ولا يرحم فانتفت البهجة من حياتها وحملت همها في قلبها فنحل جسمها واعتلَّ وبدت عليها علامات الشيخوخة قبل ان تبلغ سن الكهولة. وكم من بيت تظنهُ مرتعاً للسعادة وفردوساً للنعيم وهو سجن مؤبد لساكنيهِ والسبب في ذلك جور الزوج واهمالهُ لما يجب عليهِ نحو زوجتهِ واولادهِ . والبيت للمرأة وهي التي تديرهُ ولكن ان كان زوجها لا يساعدها في ذلك بل يقوم حائلاً في وجهها ويطلب منها اكثر مما تستطيعهُ عجزت عن ادارتهِ وساءت حالهُ وحالها . ولا يكون البيت بيتاً ما لم يكن فيهِ غذاء كافٍ وشراب منعش للجسد وللنفس معاً . وامرهُ موكول للمرأة وهي تدير حركتهُ بحكمتها وصبرها لانها تفعل ما يطلب منها بهمة وسرور اذا رأت زوجها يعرف قيمة تعبها ويساعدها ولو بنظرة استحسان وكلمة طيبة لان اعمالها تقتضي شجاعة ادبية شديدة والمرأة قليلة الشجاعة بالطبع ولكن نظرة تشجيع من زوجها تبث في نفسها الشجاعة المطلوبة . وسنعود الى هذا الموضوع في الجزء التالي



المعرض الزراعي الصناعي

لقد كان هذا المعرض في السنوات الماضية زراعياً محضاً يمثل زراعة القطر ولا يتعرَّض لما فيهِ من الصناعة الاَّ قليلاً في عرض مصنوعات السجون ومعمل الخزف والمصنوعات المرتبطة بالزراعة كالسكر والجبن والزبدة وما اشبه اما هذا العام فعرضت فيهِ كل صنائع القطر كما عرضت فيهِ كل حاصلاتهِ الزراعية

والقسم الزراعي منهُ تام كما كان في الاعوام السالفة او اتم فالقطن والذرة والقمح والفول والشعير والارز والبرسيم وقصب السكر والعدس والحمص والدخن والنيل والكتان والسمار والخضر على اشكالها وانواعها كل ذلك معروض من جهات مختلفة من القطر وعلى درجات مختلفة من الجودة وكذلك مواشي القطر الاهلية والمولدة فيهِ من البقر والجواميس والخيل والبغال والحمير والغنم

وعرضت البيوت التجارية التي تتاجر بالآلات الزراعية مالا يحصى من الآلات والادوات كآلات الري على انواعها وآلات النقل وآلات الحرث وآلات الحلج وآلات الدراسة وآلات التقصيب وما اشبه مما يطول شرحهُ وسيأتي ذكرهُ

وهذه المعروضات كلها من قبيل ما كان يعرض في السنوات الماضية وان زادت عليهِ في مقاديرها وتنوعاتها وهي تشغل بناء المعرض والجانب الشمالي منهُ الذي كانت تشغلهُ في الاعوام الماضية اما الجانب الجنوبي الذي لم يكن يعرض فيهِ شيء بل كانت تجرب فيهِ المحاريث البخارية فقد ملئ هذا العام بخيم الصناع الذين يمثلون صنائع القطر المصري كلها كالنساجين والخراطين والنجارين والنحاسين والمطرزين والخياميين والمجلدين والنقاشين وعمال البسط فترى بينهم حاكة المحلة الكبرى ينسجون المنسوجات القطنية والحريرية والممتزجة وكذلك حاكة اسيوط والبدويات اللواتي يصنعن البسط الملوَّنة والنقاشين الذين ينقشون النحاس بالدق والذين ينقشونهُ بضغط الآلات ونحو ذلك مما سيأتي بيانهُ . وقد عرضت مدارس الصناعة مصنوعاتها ومن ذلك آلة بخارية صنعت كلها في مدرسة الصنائع والفنون ببولاق

فالمعرض الزراعي والحالة هذه صار ممثلاً لزراعة القطر ولصناعتهِ ايضاً ولو كان اكثر خيم الصناع حقيراً بالنسبة الى خيم تجار الآلات والادوات الزراعية لانهُ لا ينتظر من الحائك الفقير ان يناظر التاجر الغني ومع ذلك فبعض ارباب المعامل الصناعية نصبوا خياماً وفرشوها احسن فرش لاستقبال المشاهدين

ولما ازفت الساعة الثانية من اليوم الثامن والعشرين من شهر فبراير اقبل الجناب العالي بموكبهِ الحافل لفتح المعرض فاستقبلهُ سعادة اللواء حسين باشا محرم الياور الخديوي الاول وسعادة علي باشا شاهين التشريفاتي الخديوي الثاني وكان في انتظارهِ حضرات الامراء والنظار والمستشارين واعضاء لجنة الجمعية الزراعية وارباب الصحف بخيام مصالحة وصدحت الموسيقى الانكليزية بالسلام الخديوي ثم دخل قاعة المعرض الكبرى حيث كان ينتظرهُ جناب اللورد كرومر والكونتيسه قرينتهُ فسلم عليهما ومشى وعن يمينهِ اللادي كرومر وعن يسارهِ دولة البرنس حسين باشا كامل متعهداً المعروضات فبقي اكثر من ساعة يجول في جهات المعرض ويشاهد ما فيهِ ويثني على اصحاب المعروضات التي يراها تفوق غيرها ولما اتمَّ التجوال في المعرض كلهِ ورأى كل المعروضات استقلَّ مركبتهُ وعاد فودّع بمثل ما قوبل بهِ من الاجلال والاكرام وصدحت الموسيقى بالسلام الخديوي ثم فتحت الابواب لاعضاء الجمعية الزراعية وغيرهم من الذين قصدوا مشاهدة المعرض رجالاً ونساء وهم خلق كثير. وغادرنا المعرض نحو الساعة الرابعة وكانت المركبات ترد اليهِ في رتل متصل من بابهِ الى ما بعد قصر النيل وقد بلغ عدد التذاكر التي بيعت في ذلك اليوم نحو اربعة آلاف تذكرة عدا عن نحو مثلها مما وزع على اعضاء الجمعية الزراعية

ولا يستطيع زائر المعرض في هذا العام احصاء ما عرض فيهِ وايفاءهُ حقهُ من الوصف ولكن يسعهُ الحكم لاول وهلة بارتقاء الزراعة والصناعة في هذا القطر في السنوات الاربع الاخيرة ارتقاء عظيماً ولا سيما مما عرضتهُ الجمعية الزراعية الخديوية لجمهور المشاهدين من نتائج تحليلها للاسمدة ودرسها لامراض النباتات واطوار نمو الحشرات التي تتسلط على النبات فتتلفهُ وعلى الاغصان فتذويها وعلى الثمر فتأكلهُ وارت للجمهور ما اسفرت عنهُ ابحاثها لاهلاك دودة القطن. ويلي هذه المعروضات في الاهمية ما عرضهُ تلامذة مدرسة الصنائع في بولاق من الآلات الزراعية التي صنعوها وما حاكهُ المسجونون في سجون العاصمة وسوهاج وقنا واسيوط وغيرها حتى قال بعضهم ان السجادات المعروضة تحاكي السجادات العجمية بجمال الوانها ومتانتها

ويرى الزائر جمهورًا مزدحمًا في السرادق الذي نصبتهُ شركة اورنستين وكوبل حول مائدة حولها خطوط حديدية ومركبات صغيرة تمثل ما انشأتهُ هذه الشركة من السكك الزراعية في هذا القطر · ولقد عرضت كثيرًا من الآلات الزراعية والعربات النقالة والثابتة والكهربائية والهوائية وعربات مسطحة وركوب وغير ذلك ومحاريث بخارية تختلف في كبرها باختلاف قوتها وكانت تدير محراثين قوة كل منهما ستة عشر حصانًا

ومما استوقف الانظار طنبور رافع للمياه يروي فدان قطن في ساعة وتديرهُ بهيمة واحدة وقد ابلغهُ الى هذه الدرجة من التحسين المسيو بني جيرونيمدس وعرض ايضاً آلة اخترعها لنحت الاحجار على اشكال مختلفة

وعرض محل الخواجات سقيفان وعزيز جرجس مباردي وشركائهم آلات كثيرة لدرس المحاصيل وتذرية الحبوب . وعرض محل الخواجا قلاده انطون محاريث كثيرة مختلفة الانواع وآلة لرفع الماء من اكبر الآلات التي عرضت في معرض هذا العام

ومما استوقف نظرنا بين الآلات الزراعية آلة بسيطة لحلج القطن تنزع البزر منهُ من غير ان تقطع شعر القطن او تكسر بزرهُ · وآلة للتقصيب عرضها محل مكلرن بجرها وابوران فتجرف التراب في طريقها وتلقيهِ حيثما يريد رجل راكب عليها فتمتاز عن القصابية البخارية العادية في انها لا تجرف التراب الى آخر مداها بل تجرفهُ من حيثما يريد الرجل الراكب عليها وتلقيهِ حيثما يريد ايضاً . وقد بلغنا ان الذين استعملوا هذه القصابية البخارية سروا بها لانهم وجدوها وافية بالمراد

اما المصنوعات الوطنية فمن اتقنها ماعرضهُ السيد محمدعبد السلام الحصاني التاجر بالغورية من قماش الملابس والاثاث فقد كان الزائرون ولاسيما الاجانب منهم يمعنون النظر في الانوال المنصوبة والعمال يعملون عليها . وما عرضهُ السيد محمد الطاوي النجد في شارع عبد العزيز من الاثاث الجميل الصنع المختلف الاشكال · وعرض محمد البرديسي شيخ حصرية منوف حصرًا تستوقف النظر برسومها البديعة ونقوشها الكثيرة ·وعرض محمد افندي فهمي الحصري حصرًا غاية في الدقة والجمال لا يسع الزائر الاَّ الوقوف طويلاً للتفرس فيها

اما ملجأ العميان في الزيتون فالذي يرى اشغالهُ من كراسي قش وسلال وغيرها لا يصدق ان الذين فيهِ فاقدو البصر

وعرض محل جريس وجبران نصان وشركائهم امتعة خشبية "موبيليات" ونحاسية حفرت عليها رسوم بديعة ورصعت بالاصداف وغيرها · وعرض السيد محمد علي الحسيني اصنافًا

عديدة من الاواني النحاسية كحلل الطبخ والطشوت والطاسات والاباريق وغيرها من حاجيات المنازل . وكثير من هذه المعروضات مصنوع في محلهِ بآلة اخترعها حديثاً ومزيتها انها تصنع الاواني نظيفة ملساء متقنة وتوفر وقتاً طويلاً فان الآلة الواحدة تعمل عمل مئة عامل او اكثر وهي تصنع في كل دقيقة ثلاث اوانٍ . وعرض ايضاً القوالب التي تصنع فيها هذه الاواني ولم يبخل على الجمهور بافهامهم كل ما يريدون الاستعلام عنهُ

وعرض بعض الوطنيين حلى نفيسة وجواهر ثمينة صاغوها على اشكال متعددة ومن ذلك ما عرضهُ طه افندي شكري السرجاني من الحلى الذهبية والفضية التي استوقفت الانظار لدقة صنعها . وعرض الخواجه يوسف معاري اواني واساور واطقمة شاي بعضها من الذهب وبعضها من الفضة وكلها دقيقة الصنع حتى ان الناظر اليها يرى اشجاراً واغصاناً

وفي معروضات ورشة الصنائع مائدة مدورة صنعها تلميذ عمرهُ عشر سنوات

البلدان الزراعية

٨ بريطانيا

تبلغ مساحة انكلترا وسكتلندا وارلندا معاً وجزائرها نحو ٧٧ مليون فدان يخرج منها ١٣ مليوناً ونصف مليون فدان اراضٍ غير صالحة للزراعة وثلاثة ملايين فدان حراج وغابات و٢٣ مليون فدان ونصف مليون مراعٍ للمواشي وما بقي وهو ٣٧ مليون فدان اراضٍ تزرع حبوباً وغيرها من المزروعات وعلفاً للمواشي . وقد كانت اراضي انكلترا وسكتلندا مقسومة في زراعتها سنة ١٩٠٥ كما في هذا الجدول

الحبوب	٧٠٥٤٢٣٢ فداناً
الخضر	٣٠٧٧٠٤٢ "
الكتان	٠٠٠٠٤٤١ "
حشيشة الدينار	٠٠٤٨٩٦٧ "
اثمار صغيرة	٠٠٧٨٨٢٥ "
نفل واعشاب اخرى	٤٤٧٧٥١٨ "
مراعٍ دائمة	١٧٢٠٠٤٩٤ "
اراض محوَّلة	٠٣٤٩٣١٣ "
والجملة	٣٢٢٨٦٨٣٢ "

وكانت مواشيهما كما في هذا الجدول

عدد الخيل	٠١٥٧٢٤٣٣
« البقر	٠٦٠٩٧٠٢٠
« الغنم	٢٥٢٥٧١٩٣
« الخنازير	٠٢٤٣٤٩١٩

اما اراضي ارلندا الزراعية فكانت مزروعة سنة ١٩٠٥ هكذا

الحبوب	١٣٧١١٥٠ فداناً
الخضر	١٠٤٤٣٩٣ «
الكتان	٠٠٤٦١٥٣ «
النفل ونحوهُ من العشب	١٢٥٥٠٩٢ «
مراع دائمة	١١٦٣٧٣٣٠ «
ارض محوّلة	٨٠٩٠٣ «
والجملة	١٥٢٦٣٠٢١ «

وزراعة النفل في اوربا مثل زراعة البرسيم في القطر المصري وهو من فصيلة البرسيم ويستعمل مثلهُ علفاً للمواشي

وكان في ارلندا من المواشي حينئذٍ ما تراهُ في هذا الجدول

خيل	٥٤١٨٦٨
بقر	٤٦٤٥٢٢٢
غنم	٣٧٤٩٣١٣
خنازير	١١٦٤٣٢٢

ويراد بالحبوب في ما تقدم القمح والشعير والاوت والفول واللوبياء . وبالخضر البطاطس واللفت وما اشبه . وقد كانت مساحة الارض المزروعة من كل نوع من الحبوب والخضر في انكلترا واسكتلندا هكذا

قمح	شعير	اوت	فول	لوبيا
١٧٩٦٨١٠	١٧١٣٦٦٤	٣٠٥١٣٧٦	٢٥٤٠٩٥	١٧٢٦٧٨

بطاطس	لفت
٦٠٨٤٧٣	١٥٨٩٢٨٠

وفي ارلندا

قمح	شعير	اوت	فول	لوبيا
٣٨٠٣٩	١٥٤٤٤٣	١٠٦٦٥٩٢	١٤٧٢	٢٥٣

بطاطس	لفت
٦١٦٦٢٣	٢٨٢٢١٧

وبلغت الحاصلات في انكلترا وسكتلندا وارلندا هكذا

	انكلترا وسكتلندا سنة ١٩٠٥		ارلندا سنة ١٩٠٤	بشل
قمح	٥٨٩٠٢٠٠٠	بشل	١٠٤٠٠٠٠	«
شعير	٥٨١١٠٠٠٠	«	٥٢٦٠٠٠٠	«
اوت	١١٦٤٣٧٠٠٠	«	٤٩٣٤٧٠٠٠	«
فول	٠٠٨٢٠٢٠٠٠	«	٧٢٠٠٠	«
لوبياء	٤٤٣٩٠٠٠	«	٥٠٠٠	«
بطاطس	٣٧٦٣٠٠٠	طن	٢٦٤٢٠٠٠	طن
لفت الخ	٢١٨٤١٠٠٠	«	٤٩٩٧٠٠٠	«

ومتوسط محصول الفدان من كل من هذه المحصولات هكذا :—

القمح ٣٢ بشلاً و ٧٨ في المئة في انكلترا وسكتلندا و ٣٣ بشلاً و ٧٢ في المئة في ارلندا

والشعير ٣٤ بشلاً في انكلترا وسكتلندا و ٣٣ بشلاً وربع في ارلندا

والاوت ٣٨ بشلاً في انكلترا و ٤٥ بشلاً و ٧٤ في المئة في ارلندا

والفول ٣٢ بشلاً وربع في انكلترا و ٣٨ بشلاً و ٦٣ في المئة في ارلندا

واللوبياء ٢٥ بشلاً و ٧١ في المئة في انكلترا و ٢٥ بشلاً و ٣١ في المئة في ارلندا

وتستورد بريطانيا العظمى كل سنة من الحبوب والدقيق ما ثمنهُ نحو ٧٠ مليوناً من الجنيهات ومن اللحم ما ثمنة نحو ٥٠ مليوناً ومن سائر الاطعمة والاشربة ما ثمنهُ ١١٠ ملايين ومن التبغ ما ثمنهُ نحو اربعة ملايين . ومن القطن ما ثمنهُ نحو ٥٥ مليوناً والصوف ما ثمنهُ ٢٦ مليوناً وسائر مواد النسج ما ثمنهُ ١٤ مليوناً ومن الزيت والصمغ والدهن ما ثمنهُ ٢٤ مليوناً ومن الجلود ما ثمنهُ ٨ ملايين ومن المواد التي يصنع منها الورق ما ثمنهُ نحو اربعة ملايين

ومَن يطّلع على هذه الجداول والارقام يعرف احوال البلدان الزراعيَّة ويقابلها ببلادهِ ويعرف ايضاً ما يمكن ان يروج فيها من حاصلات بلادهِ وهذا هو غرضنا من نشرها

الصادرات الزراعية

من القطر المصري

القطن اهم الصادرات الزراعية من القطر المصري ويتلوهُ بزرة القطن وكسب بزر القطن والبصل والصمغ العربي والارز الخ وقد صدر منها في العام الماضي ما هو مذكور في الجدول التالي مع ثمنهِ

الصنف	المقدار	الوحدة			الثمن	
القطن	٦٦٩٦٥٦٩	قنطاراً	قدّر	ثمنها	٢٠٥٢٨٠٠٤	جنيهاً
بزرة القطن	٣٦٩٣١٥٦	اردباً 〃	〃	〃	٠٢١٨٠٦٤٩	〃
كسب بزر القطن	٠٠٧٤٤٥٦	طناً	〃	〃	٠٠٢٣٨٣٠١	〃
البصل	٠٠٨٠٥٩٨	〃	〃	〃	٠٠٢١٧٠٣١	〃
الجلود			〃	〃	٠٠١٨٠٣١٥	〃
الصمغ العربي	٧٦٨٩٩٤٠	كيلو	〃	〃	٠٠١٥٧٣٣٠	〃
الرز	١٣٨٥١٦٤٤	〃	〃	〃	٠٠١٣١٠٤٩	〃
كتان	٢١٤٤٤٨٣	〃	〃	〃	٠٠١٢٠٣١٤	〃
بيض	٦٢٤٨٥٠٠٠	مليوناً	〃	〃	٠٠١٠٦٢٣١	〃
سكَّر	١٠٥٩٧٣	قنطاراً	〃	〃	٠٠٠٤٣٢٠٦	〃
حنَّاء	١٣١٨٤٧٤	كيلو	〃	〃	٠٠٠٣٦٣٨١	〃
قمح	٠٠٢٣٣٥٩	اردب	〃	〃	٠٠٠٣٣١٧٥	〃
طماطم	١٨٨٥٦٣٣	كيلو	〃	〃	٠٠٠٢٠٦٦٥	〃
تمر	٨٣٦٤٦١	〃	〃	〃	٠٠٠١٣١٩٧	〃
فول	٠١١٩٧٧	اردب	〃	〃	٠٠٠١١٤٧٧	〃
عدس	٠٠٦٩٢٨	〃	〃	〃	٠٠٠٠٦٧٤٨	〃
فول سوداني	٥٣٥٣٦٤	كيلو	〃	〃	٠٠٠٠٦٠٩٥	〃
ذرة	٠٠٣٨٠٦	اردب	〃	〃	٠٠٠٠٣٠٤٤	〃

ويجب ان يضاف الى اثمان هذه الاصناف عشرة في المئة تسقطها مصلحة الجمارك عمداً والى ثمن القطن نحو عشرة في المئة فوقها



منهل الورَّاد

في علم الانتقاد

وضع هذا الكتاب حضرة الكاتب الفاضل قسطاكي بك الحمصي الحلبي وجعلهُ قسمين مدار القسم الاول منهما تاريخ النقد عند العرب وغيرهم من الامم ومدار القسم الثاني قواعد الانتقاد ويتلوها رتب الشعر والموازنة بين الشعراء

والموضوع مبتكر في العربيَّة كما قال حضرة المؤلف لم نرَ لاحد كتاباً فيهِ وان كنا قد طرقناهُ غير مرة في المقتطف فنشرنا فصلاً طويلاً في الانتقاد في المجلد الثاني عشر منهُ شغل ثماني صفحات وانتقدنا كتباً كثيرة كان جزاؤنا من اصحابها اللوم والتعنيف فعدلنا عن الانتقاد الاَّ في ما ندر

ومنهل الورَّاد جامع لفوائد كثيرة في تاريخ الانتقاد واساليبهِ تشهد لحضرة مؤلفهِ بدقة البحث والاهتمام بجمع ما يفيد في هذا الباب وقد اقتطفنا منهُ بعض الفصل الذي ذكر فيهِ تاريخ الانتقاد عند العرب . قال

"لم يكن النقد من العلوم المعروفة عند العرب في عصر من العصور ومع ان الانتقاد من الغرائز التي عُرفوا بها في كل زمن فلم يحدّدوا لهُ رسماً ولا عرفوا لهُ اسماً ولا اشتقوا من اسمهِ فنَّا غير ما هو معلوم عندهم من نقد الدراهم اي تمييز جيدها من زيفها قال في لسان العرب : النقدُ والتنقاد تمييز الدراهم واخراج الزيف منها .. ونقدَ الشيء ينقدهُ نقداً اذا نقرهُ باصبعهِ كما تنقر الجوزة .. وناقدت فلاناً اذا ناقشتهُ في الامر : ومع ان المعنيين الاخيرين يفيدان جل المفهوم من كلمة الانتقاد لهذا العهد فلم يصل الينا شيء يدلُّ على استعمالهم مغزى هذه اللفظة بمعناها المفهوم منا اليوم الى ما بعد الاسلام بمدة طويلة

"بيد ان ذلك لم يمنعهم من محاولة الاشتغال بهذا الفن جرياً مع ميلهم الطبيعي اليهِ فكان حالهم حال الطفل تدفعهُ الغريزة الى الوقوف اولاً ثم المشي فلا يقف حتى يقعد ولا يمشي الاَّ ليقع ثم ينهض ليعود الى عملهِ من السير على غير هدًى فيسقط في حفرة قد تكون سبب هلاكه

لانهُ طلب الشيء قبل اوانهِ ولا ذنب لهُ بذلك فهو كما تقدم القول مدفوع بميل طبيعي الى غايتهِ وهي المشي على قدميهِ

" فهذه معارضاتهم واستدراكاتهم وتعقيباتهم واعتراضاتهم وجدالاتهم ومشاحناتهم وغير ذلك مما فندوهُ وذيَّلوهُ وعلَّقوهُ وحشوهُ وزيَّفوهُ وغلَّطوهُ كلها شاهدة بما طُبعوا عليهِ من الميل الى الانتقاد الاَّ انهُ لما لم يكن عندهم علماً مقيداً بقواعد وشروط ولا فنّاً ذا أُصول وفروع قد ضلوا في سبلهِ وتاهوا في بواديهِ ومالوا مع الاهواء فزاغوا عن سواء القصد وابعدوا عنهُ كل البعد

" فمن هذا القبيل معارضات دعبل ومسلم بن الوليد لابي نواس ومعارضاتهُ لهما ولغيرهما .

وان ارتقينا بالبحث عن طفولية هذا الفن عند العرب فابو محمد عبد الله بن قتيبة صاحب أدب الكاتب هو من اقدم النقّاد ومقدمة كتابهِ المذكور شاهدة بعلوّ كعبهِ في قسم من هذا الفن ولا بأس من ايراد شيء من المقدمة المذكورة قال :

" ونحن نستحبُّ لمن قبلَ عنا وائتمَّ بكتبنا ان يؤدب لسانهُ ويهذب اخلاقهُ قبل ان يهذب الفاظهُ ويصون مروءتهُ عن دناءة الغيبة وصناعتهُ عن شين الكذب ويجانب الوقيعة قبل مجانبتهِ اللحن وخطل القول وشنيع الكلام ورفث المزاح (ما اشرف هذه المبادئ واسمى هذه القواعد) الى ان قال ونستحب لهُ ايضاً ان يترك (كذا) الفاظهُ في كتبهِ فيجعلها على قدر الكاتب والمكتوب اليهِ وان لا يعطي خسيس الناس رفيع الكلام ولا رفيع الناس وضيع الكلام فاني رأيت الكتّاب قد تركوا تفقد هذا من انفسهم وخلطوا فيهِ فليس يفرقون بين من يُكتب اليهِ — فرأيتُ في هكذا — وبين من يكتب اليهِ — فاني رأيتُ كذا — ورأيت انما يكتب بها الى الاكفاء والمساوين ولا يجوز ان يكتب بها الى الرؤساء والاساتذة لان فيها معنى الامر ولذلك نُصبَتْ . ولا يفرقون بين من يكتب اليهِ — وانا فعلت ذلك — وبين من يكتب اليهِ — ونحن فعلنا ذلك — ونحن لا يكتب بها عن نفسهِ الاَّ امراؤنا لانها من كلام الملوك والعظماء [1] الى ان قال وقال ابرويز لكاتبهِ في تنزيل الكلام انما الكلام اربعة سؤالك الشيء وسؤالك عن الشيء وامرك بالشيء وخبرك عن الشيء فهذه دعائم المقالات ان التمس لها خامس لم يوجد وان نقص منها رابع لم تتم فاذا طلبت فاسجح واذا سألت فأوضح واذا امرت فاحكم واذا اخبرت فحقق واجمع الكثير مما تريد في القليل مما تقول قال

(1) ما يحسن نقدهُ هنا ان ابن قتيبة قد افتتح هذا الكلام بقولهِ ونحن نستحب الخ فكيف ذهل عن ذلك فاما ان يكون قولهُ ونحن لا يكتب بها عن نفسهِ الخ خطأً وصحتها ونحن فعلنا لا يكتب بها الخ واما انهُ اتى مثل ما نهى عنهُ وهذا من العجب بمكان

ابن قتيبة وليس هذا بمحمود في كل موضع ولا مختار في كل كتاب بل لكل مقام مقال

" وعبد الله بن المقفع صاحب الدرة اليتيمة هو من النقاد السابقين ومن انعم النظر في كتابه المذكور علم منزلته من النقد وحسبك جوابه لمن قال له من ادبك قال نفسي اذا رأيت من غيري حسناً أتيته وان رأيت قبيحاً ابيته

" ومعارضة ابي فراس الحمداني للمتنبي عند انشاده قصيدته التي مطلعها واحرّ قلباه ممن قلبه شبم هي من هذا القبيل ومن شاء الوقوف عليها فليراجعها في العرف الطيب في شرح ديوان ابي الطيب

" والخوارزمي صاحب كتاب مفاتيح العلوم كتب في الباب الخامس الفصل الخامس في نقد الشعر وهو على حد ما كتب سائر علماء البديع في عيوب الشعر لم يخرج عن ذلك في شيء

" ومن اكابر العلماء الذين ألمّوا بقسم من هذا العلم وظهر ميلهم اليه القاضي ابو الحسن علي بن عبد العزيز وهو صاحب كتاب الوساطة بين المتنبي وخصومه في الشعر وانا ذاكرٌ له فصلاً من هذا الكتاب ليقف المطالع على مكانه من النقد . وان كان قوله هنا في وصف الكتابة قال :

" ومتى سمعتني اختار للمحدث هذا الاختار — اي الكلام السهل اللطيف الرشيق — وابعثه على التطبع واحسّن له في التسهل فلا تظنّن اني اريد بالسهل السمج الضعيف الركيك ولا باللطيف الرشيق الخنث المؤنث بل اريد النمط الاوسط وما ارتفع عن الساقط السوقي وانحط عن البدوي الوحشي وما جاوز سفسفة نصر ونظرائه ولم يبلغ تعجرف هميان بن قحافة واضرابه نعم ولا آمرك باجراء انواع الشعر كله مجرى واحداً ولا ان تذهب بجميعه مذهب بعضه بل ارى لك ان تقسم الالفاظ على رتب المعاني فلا يكون غزلك كافتخارك ولا مديحك كوعيدك ولا هجاؤك كاستبطائك ولاهزلك بمنزلة جدك ولا تعريضك مثل تصريحك بل ترتب كلاً مرتبته وتوفيه حقه فتتلطف اذا تغزلت وتفخم اذا افتخرت وتتصرف للمديح تصرف مواقعه فان المدح بالشجاعة والبأس يتميز عن المدح باللباقة والظرف ووصف الحرب والسلاح ليس كوصف المجلس والمدام ولكل واحد من الامرين نهج هو به املك وطريق لا يشاركه الآخر فيه وليس ما رسمته لك في هذا الباب بمقصور على الشعر دون الكتابة ولا بمختص بالنظم دون النثر بل يجب ان يكون كتابك في الشوق او التهنئة أو اقتضاء المواصلة وخطابك اذا حذّرت وزجرت افخم منه اذا وعدت ومنيت فاما الهجو فأبلغه ما جرى مجرى التهكم والتهافت وما اعترض بين التعريض والتصريح وما قربت معانيه وسهل حفظه وسرع علوقه بالقلب

ولصوقهُ بالنفس فاما القذف والافحاش فسبابٌ محض . انتهى كلامهُ "

والكتاب على هذا النسق وهو ثلثمئة صفحة وقد طبع طبعاً متقناً فلمؤلفهِ الفاضل جزيل الشكر على هذه التحفة النفيسة التي خدم بها اللغة العربيَّة

حديث عيسى بن هشام

لمحمد بك المويلحي القدح المعلَّى في صناعة الانشاء كما كان للمرحوم والدهِ تشهد لهُ بذلك هذه الفصول فقد تحدَّى فيها الهمذاني والحريري ونسج على منوالهما وفاتهما في إلباس الحقائق لباس المزاح ولو بالغ في ذلك احياناً . وقد رأى ملكتهُ المرحوم الاستاذ جمال الدين الافغاني منذ خمس عشرة سنة فكتب اليهِ يقول

حبيبي الفاضل

تقلُّبك في شؤُون الكمال يشرح الصدور الحرجة من حسرتها وخوضُك في فنون الآداب يريح قلوباً علقتْ بك آمالها وليس بعد الإرهاص الاَّ الإعجاز ولك يومئذٍ التحدّي ولقد تمثلت اللطيفةُ الموسويَّةُ في مصر كرَّةً أُخرى وهذا توفيق من الله تعالى فاشدد ازرها وأبرم بما أُوتيتَ من الكياسة والحذق أمرها حتى تكون كلمة الحق هي العليا ولا تكن كالذين غرّتهم انفسهم بباطل اهوائها وساقتهم الظنون الى مهواة شقائها وحسبوا انهم يحسنون صنعاً ويصلحون امرًا وكنْ عوناً للحق ولو على نفسك ولا تقف في سيرك الى الفضائل عند عُجبك لا نهاية للفضيلة ولا حدَّ للكمال ولا موقف للعرفان وانت بغريزتك السامية اولى بها من غيرك والسلام

جمال الدين الحسيني الافغاني

والكتاب منشور في صدر هذه الفصول منقولاً بالزنكوغرافيا عن خط الاستاذ جمال الدين وهو كما ترى سحر في البيان وحكمة في البلاغة ولم يكتب اعجمي كتابة عربية ابلغ مما كتب ذلك الحكيم الافغاني

وفصول هذا الحديث نشرت اولاً متفرقة في جريدة مصباح الشرق على نسق التخيل والتصوير لكنها حقيقة متبرجة في ثوب الخيال كما قال منشئها الفاضل قصد بها ان يشرح الاخلاق والاطوار ويصف ما عليهِ الناس من النقائص التي يجب اجتنابها والفضائل التي يجب التزامها . وقد افرغها الآن في قالب كتاب بعد ان اجال فيها نظرة تدقيق وتحقيق دعت الى التهذيب والتنقيح

ومدار الحديث على رجل اسمهُ احمد باشا المنيكلي بُعث من قبرهِ وسار مع رجل اسمهُ عيسى ابن هشام يرى احوال القطر في هذا العصر ويقابل بينها وبين ما كانت عليهِ لما كان حيًّا في زمن محمد علي وابرهيم باشا . وقد بالغ حضرة الكاتب في وصف مساوىء هذا العصر حتى يظهر الحسن والقبيح على اتم ما يكونان عليهِ . وايضاحاً لذلك نورد الفقرات التالية وهي من محاكمة الباشا لانهُ اختصم مع حمَّار ورجل من رجال البوليس فاتي بهِ الى المحكمة الابتدائية وذهب معهُ عيسى بن هشام شاهداً وشرح لهُ كيف أُنشئت المحاكم ووضع القانون الجديد وكيف ان مفتي نظارة الحقانية اقسم الايمان المغلظة على فتواهُ التي افتاها بان هذا القانون الفرنسوي غير مخالف للشرع الاسلامي مع ان الإجماع تام عند علماء الشريعة في السر والنجوى على انهُ مخالف للشرع وان كل من يقضي بهِ داخل تحت نص الآية الشريفة "ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون"

قال عيسى بن هشام وبينا نحن في هذا الحديث إذ ارتجَّ المكان وتماوج الزحام واقبل القاضي وهو في عنفوان شبابهِ وصبا ايامهِ يتألق وجههُ حسناً . ويشاكل في القدّ غصناً وكأنهُ طائر في مشيتهِ . من نشاطهِ وخفتهِ . ولما دخل الجلسة ذهبت اسأل عن دور القضيَّة ثم عدت الى صاحبي ومكثنا في الانتظار زمناً طويلاً الى ان جاء الدور ونودي الباشا فدخل مع المحامي في الجلسة وقام النائب فطلب الحكم على المتهم بمقتضى مادتي "١٢٤" و "١٢٦" عقوبات لتعديهِ بالضرب على احد رجال "الضبطيَّة القضائيَّة" في اثناء تأدية وظيفتهِ وبالمادة "٣٤٦" مخالفات لتعديهِ على المكاري بالإيذاء الخفيف

(القاضي للمتهم) — هل فعلت هذه التهمة

(المتهم) — لم افعل

قال عيسى بن هشام واستحضروني شاهداً فسألني القاضي عما اعلمهُ في هذه الواقعة فاجبتهُ: ان لهذه الحادثة قصة عجيبة وحكاية غريبة وهي انهُ ....

(القاضي مقاطعاً) — لا لزوم لتفصيل القصة والحكاية وقل لي عن معلوماتك فيها

(عيسى بن هشام) — معلوماتي هي اني كنت ازور المقابر ذات ليلة في وقت الفجر ابغي الموعظة وانشد الاعتبار ....

(القاضي) مستثقلاً — لا لزوم لكثرة الكلام واجبني على النقطة التي سألتك عنها فقط

(عيسى بن هشام) — ذلك ما افعلهُ من حكاية الواقع وهو اني رأيت رجلاً خرج من ...

(القاضي) متململاً — قلت لك اني لا اقبل التطويل ولا الشرح في الواقعة ولكن هل ضرب المتهمُ العسكريَّ والحمّار ام لا

(عيسى بن هشام) — ما ضرب المتهمُ الحمّار وانما دفعهُ عنهُ من شدة إلحاحهِ وما ضرب العسكريَّ وانما سقط عليهِ مما غشيهُ بغير عمد ولا قصد وهو يجهل ...

(القاضي) — بكفي . بكفي . هلمَّ " النيابة "

(النائب) — " ان هذا الباشا متهمٌ بتعديهِ بالضرب على احد رجال البوليس في اثناء تأدية وظيفتهِ بالقسم ومتهمٌ بالتعدي بالإيذاء على مرسي الحمار . والتهمة ثابتة من شهادة الشهود التي في الاوراق واطلاع المحكمة عليها كافٍ وبناء عليهِ فالنيابة تطلب الحكم على المتهم بالمادة ١٢٤ و ١٢٦ عقوبات وبالفقرة الثانية من المادة ٣٤٦ مخالفات وتطلب من عدالة المحكمة التشديد في العقوبة لان حالة المتهم تستدعي ذلك فانهُ يخيل ان رتبتهُ تجعلهُ خارجاً عن سلطة القانون وتخولهُ الحق في اعتبارهِ بقية الناس اصغر منهُ شأناً فيؤدبهم بنفسهِ مع عدم مراعاة حقوقهم وحرمة القانون ولا شك ان تشديد العقوبة عليهِ واجب لاعتبار امثالهِ بهِ وللمساواة في العدالة وافوض الامر الى المحكمة "

(القاضي للمحامي) — المحاماة . مع الاختصار

(المحامي) بعد ان يتنحنح ويقلب في اوراقهِ — " اننا نتعجب من ان النيابة العمومية استحضرتنا اليوم بصفة متهمين ونقول ان اصل وقوع الجرائم يا حضرة القاضي والاصل في وضع الشرائع والقوانين في هذا العالم منذ البداوة وعصور الهمجيَّة كان يقصد منهُ ...

(القاضي) مشمئزًا اختصرْ يا حضرة المحامي وادخلْ في الموضوع

(المحامي) — ... ومن المعلوم ان نظام الترتيب يا حضرة القاضي في طبقات الهيئة الاجتماعية يقضي ....

(القاضي) متضجرًا — اختصر يا بك

(المحامي) الموضوع يقتضي ذلك

(القاضي) متأففاً — لا لزوم لهُ

(المحامي متحيرًا — قالت النيابة العمومية (ويسرد شيئاً من اقوالها) ونحن نقول اننا لو سلمنا جدلاً ...

(القاضي مغضباً — بكفي يا بك الموضوع

(المحامي) متلعثماً مضطرباً — ان هذا المتهم ياحضرة المحكمة الواقف الآن بين يدي

القضاء هو رجل عظيم وامير خطير من اهل العصر القديم ولهُ حديث منشور في الجرائد – وهذه اعداد جريدة "مصباح الشرق" تطلعون عليها – وقد اعترضهُ في طريقهِ احد المكارين فدفعهُ عن نفسهِ والناس يعلمون إلحاح الحمارة وسوء ادبهم ومثل هذه الطبقات التي ليس فيها تربية ....

(القاضي) نافداً صبرهُ – قلنا اختصر يا بك

(المحامي) وهو يتصبب عرقاً – ... ولما توجه المتهم الى القسم أغمي عليهِ فسقط بدون تعمد على عسكري كان يكنس ارض القسم بغير ملابسهِ الرسمية . وعدالة المحكمة تقضي بعدم الالتفات الى دعوى البوليس ولا عقاب على المتهم ألبتة لانهُ كان في عصر غير عصرنا وفي نظام خلاف نظامنا ولم تبلغهُ دعوة القانون فهو يجهل احكامهُ وحضرة القاضي الفاضل ادرى بالاحوال وان .....

(القاضي) منفعلاً ضارباً بيدهِ على المكتبة – المحكمة تنورت يا بك ولا لزوم للكلام مطلقاً فبلغ طلباتك

(المحامي ساخطاً في نفسهِ) – طلباتنا هي اننا نطلب من باب اصلي الحكم ببراءة المتهم وان رأت المحكمة غير ذلك فنرجو استعمال الرأفة بالمادة ٣٥٣ عقوبات

قال عيسى بن هشام وبعد ذلك نطق القاضي بالحكم فحكم على الباشا بالحبس سنة ونصفاً بمقتضى المادتين المذكورتين من قانون العقوبات وبخمسة قروش والمصاريف بالمادة المذكورة ايضاً من المخالفات . فضاقت الارض بي واظلمت الدنيا في عيني وكدت اشترك مع صاحبي في الذهول والاغماء لولا ان المحامي اكد لي كل التأكيد انهُ لابدَّ من البراءة في محكمة الاستئناف لعدالة رجالها ولكن يجب مع ذلك ان نرفع عريضة شكوى الى "لجنة المراقبة" لحسن التأثير على القضية عند نظرها في الاستئناف ثم قال لي اعلم ان السبب في كل ما صدر عن هذا القاضي من المقاطعة والمماكسة والاستعجال هو لانهُ مدعوٌّ في وليمة بعض رفقائهِ عند الظهر تماماً وامامهُ في اول القضايا ثلاثون قضية يريد ان يأتي عليها كلها حكماً قبل حلول الميعاد

والكتاب كلهُ على هذا النسق تشرق فيهِ شمس البلاغة فيكسف نورها بدور المعلقات ويفيض معين المزاح فتحسب السروجي نشر بداعب عيسى بابدع النكات

وهو مجلد في ثلثمائة واربعين صحيفة ثمنهُ عشرون غرشاً ويباع في مكتبة المعارف باول شارع الفجالة وفي مكتبة الاصلاح باول شارع محمد علي

مجلة التنترا

International Journal Tantrik Order.

التنترا كلمة سنسكريتية معناها الايمان او الاعتقاد ويراد بها الكتب والمحاورات الدينية بين معبود الهنود سيڤا وزوجتهِ . وعند الهنود طريقة يعتقد اصحابها ان هذه الكتابات قديمة وهي في منزلة الفيدا . والظاهر ان طريقة التنترا شاعت في اميركا بلاد الغرائب وانشئت لها فيها مجلة كبيرة جاءنا منها الآن الجزء الاول من المجلد الخامس وهو مفتتح بابيات انكليزيَّة يقال انها لعبد العلا معناها ان الاديان كلها على حدٍّ سوى عند مَن دينهُ محبة الناس وفي هذا الجزء ١٩٠ صفحة كبيرة مشحونة بالاقتباسات والحكم من اقوال كبار الكتاب والمنشئين شرقاً وغرباً ويتخلَّل ذلك شروح وصور تدلُّ على فساد في الذوق وتصديق للخرافات والخزعبلات

والذين بحثوا في فلسفة المشارقة قالوا انها لباب الفلسفة كلها قال مكس ملر ان تاريخ الفلسفة في الهند هو خلاصة تاريخ العالم الفلسفي. وقال شوبنهور لا درس يفيد الانسان ويرقيهِ مثل درس فلسفة الڤيدا فانها كانت تعزية حياتي وستكون تعزية مماتي

وقال مكس ملر اذا احتاج كلام شوبنهور الى تأييد فانا أُؤيدهُ عن طيب نفس لان ذلك نتيجة اختباري في الزمن الطويل الذي وقفتهُ على درس فلسفات الاديان الكثيرة فاذا اريد بالفلسفة الاستعداد لموت سعيد فلا اعرف شيئاً اصلح لذلك من فلسفة الڤيدا فاننا بمقدار ما نرجع في البحث عن اصول الاديان نجد تصور الخالق اطهر . وما من احد قرأ الڤيدا وشرحهُ الاَّ وشعر بعد ذلك انهُ صار احكم مما كان

اما التنترا التي نحن في صددها فجاء عنها في السكلوبيديا الهندية انهُ لا يعلم مَن الَّفها ولكن يقال ان سيڤا نفسهُ مؤلفها وهي كثيرة جدًّا واتباعها يمارسون كثيرًا من الاعمال السرية التي لا يطلع الجمهور عليها . . . وتمتاز الديانة التي تعلم بها التنترا بعبادة السكتي وهي القوَّة الالهية المتجسدة في جسم امرأَة

وجاء في المهنيفاناتنترا ان الزوج قبلة الزوجة وصدقاتها ونذورها ومشترعها ولذلك يجب عليها ان تخدم زوجها بكل طاقتها

هذا والمقياس الذي يعرف بهِ كل ناموس او دين او نظام هل هو مفيد لنوع الانسان او غير مفيد انما هو نتائج ذلك الناموس او الدين او النظام في احوال الشعب الذي يستسير بهِ ويجري بموجبهِ فانظر في احوال الهنود المتبعين تعاليم التنترا يتضح لك ان ذلك الزرع لا

يثمر الاَّ ذلك الثمر من الانحطاط ولو استطاع ان يثمر غيره لاثمر وقس على ذلك كل دين من الاديان وكل ناموس من النواميس

مطمح الفصحاء

كتاب نفيس وضعهُ حضرة المنشئ الاديب علي افندي فؤاد المنوفي وجعلهُ فصولاً في قواعد الانشاء واساليبهِ والحق كل فصل منهُ بمقامة عذبة الالفاظ مرصعة باشعار رائقة كقولهِ في وصف الازهر

لأزهر مصر تنتسب المعارف ومن ازهارهِ تجني اللطائف
ينابيع العلوم تفيض منهُ فتروي كل مغترف وراشف

وقولهِ

نزلنا بشبرا والاحبَّة في نوى وما بيننا الاَّ النسيم سفيرُ
تعللني منهم على البعد نسمة كما فاح من اردانهنَّ عبيرُ
وتعبث في لبي احاديث ذكرهم كما عبثت بالشاربين خمورُ
فنومي وتسهيدي مقيم وراحل وقلبي ودمعي مطلقٌ واسيرُ

وفي البيت الاخير الطي والنشر

وقولهِ

نبذتم وراء الظهر عون بلادكم وخولتمُ التقليد حق جهادكم
وفاتكمُ الجدوى بفضل عنادكم ويرجى صلاح لا وحق ودادكم

وفي الكتاب ٢٢٥ صفحة واكثرهُ على هذا النسق فنثني على همة مؤلفهِ

جغرافية جديدة

A NEW GEOGRAPHY
SPECIALLY PREPARED FOR USE IN
EGYPTIAN SHOOLS.

لقد راج هذا الكتاب وطبع مرة ثالثة ورواجهُ هذا دليل على نفعهِ وحاجة المدارس اليهِ فنهنىء حضرة مؤلفهِ احمد افندي حافظ بذلك

باب المسائل

(١) تدبير المسلولين

مصر. محمد افندي حلمي. ارجو افادتي عن الوسائل التي يلزم ان يتخذها من يصاب بداء السل الرئوي والمأكولات التي يجب ان يأكلها وهل يدفأ المكان الذي يقيم فيهِ او تترك ابوابهُ وشبابيكه مفتوحة ليتجدَّد فيها الهواء

ج ان تدبير المسلول مذكور بالتفصيل في المقتطف وخلاصتهُ ان الغذاء الكثير والهواء النقي لازمان للمصاب اشد اللزوم ومن المأكل المغذية البيض واللبن والزبدة واللحوم السمينة على انواعها. والهواء النقي لازم اشدَّ اللزوم فيحسن ان يقيم المصاب في الخلاء نهارًا وليلاً او في غرفة مفتوحة الكوى بشرط ان يلبس ويتدثَّر حتى يوقى من البرد او حتى لا يأتيهُ الهواء البارد من جهة دون أُخرى فيعرّضهُ للنزلات الصدرية بسبب احتقان الدم في جهة دون أُخرى من جسمهِ ويجب ان يكون الهواء خاليًا من الغبار ومن مكروبات الامراض والغازات المضرَّة كهواء البحر وهواء اعالي الجبال وهواء الصحاري البعيدة عن مساكن الناس فاذا كان الداء في الدرجة الاولى واستعملت هذه التدابير فالغالب ان المصاب يتغلَّبُ على الداء ويشفى منهُ. والظاهر ان اكثر الناس يصابون بالسل الرئوي ويشفون منهُ وهم لا يدرون لانهُ يكون في بداءتهِ ويتغلَّب الجسم عليهِ كما ثبت من تشريح جثث الموتى اما اذا تقدَّم الداء فلابد من التعويل في معالجتهِ على طبيب ماهر يراقب الاعراض والاختلاطات ويعالجها والغالب ان الداء لا يشفى بعد ذلك ولكن وسائل العلاج تطيل الحياة وتخفف الآلام

(٢) التعصب لليابان

سان جوان. الخواجه عازر بنضو لما كانت الحرب قائمة بين الروس واليابان سألتُ بعض ابناء الوطن (اي السوريين) المقيمين في هذه البلاد عن سبب ميلهم الى اليابان لاني رأيتهم متحزبين لها ومعرضين عن روسيا فكان جوابهم اننا نحن واليابانيون ابناء وطن واحد وهو الشرق. فهل بلاد اليابانيين اقرب الينا من بلاد الروس وما هي الجامعة بيننا وبينهم

ج ان روسيا اقرب الينا من اليابان والجنس الروسي اقرب الينا من الجنس الياباني واديان الروس اقرب الى اديانا من اديان اليابان سواء كنا يهودًا او مسيحيين او

مسلمين ولا جامعة تجمعنا باليابانيين لا من حيث الوطن ولا من حيث الجنس ولا من حيث الدين ولا من حيث اللغة . ولا نرى انهُ يجمعنا باليابانيين الاَّ حسباننا اياهم متأخرين مثلنا فارتقاؤُهم السريع جعلنا نرجو ان نرتقي مثلهم . ولو عرف هؤُلاء المتحزبون لليابان ان عمران اليابانيين قديم وانهم يحتقرون من سواهم من امم المشرق ويعدون انفسهم فوق كل العثمانيين من كل الطبقات والمذاهب لعدلوا عن تعصبهم لهم

(٣) تاريخ اليابان

ومنهُ . هل يوجد تاريخ عربي لبلاد اليابان واين يباع

ج لم يبلغنا انهُ يوجد تاريخ عربي لها ونظن ان ما كتبناهُ عنها في السنوات الماضية من المقتطف هو اوسع ما كتب عنها بالعربيَّة . انظروا الفصول التي عنوانها نبأ من اليابان في المجلدين السابع والشرين والثامن والعشرين من المقتطف

(٤) قسمة المتر

ومنهُ . لماذا قسم المتر الى مئة سانتي لا اكثر ولا اقل وما الغرض من ذلك

ج قصد الفرنسويون الذين وضعوا المتر مقياساً للاطوال وقسموهُ الى اقسام ان يكون الحساب بهِ بالعشرات حتى يكون كالحساب الهندي الذي كل منزلة منهُ عشرة اضعاف المنزلة التي تحتها فالمتر يقسم الى عشرة دسيمترات والدسيمتر الى عشرة سنتيمترات والسنتيمتر الى عشرة مليمترات هذا في اجزاء المتر ثم ان الدكامتر عشرة امتار والهكتومتر مئة متر والكيلومتر الف متر والميريامتر عشرة آلاف متر. والكلمات التي تزاد في كسر المتر لاتينيَّة وفي عقود المتر يونانيَّة . وسمَّوا وزن السنتيمتر المكعب من الماء غراماً وجعلوهُ معيار الاوزان وكسورهُ الدسغرام والسنتغرام والمليغرام . وعقودهُ الدكاغرام والهكتوغرام والكيلوغرام والميرياغرام وجعلوا الدسيمتر المكعب مقياساً للمكيلات وسمَّوهُ لتراً وجعلوا كسورهُ الدسيلتر والسنتيلتر والمليلتر وعقدهُ الديكالتر والهكتولتر وذلك كلهُ لتسهيل الحساب

(٥) فقد المشي والنطق

موبيل بالاماما . الخواجه كال زهره . ولد عمرهُ اكثر من سنتين ضخم الجثة صحيح البنية الاَّ انهُ الآن لا يتكلم ولا يمشي ولا يجلس واذا اريد اجلاسهُ لوى ظهرهُ ورقبتهُ ووقع . وهو شديد اليدين حتى انهُ يصعب فتح يدهِ اذا طبقها . واذا مدَّ رجليهِ صعب طيهما واذا استلقى على ظهرهِ جعل يلعب برجليهِ ويضحك . ويمسك احياناً شعر رأسهِ ويشدهُ فيتألم ويبكي ولكنهُ لا يترك شعرهُ من تلقاء نفسهِ . واسنانهُ واضراسهُ كاملة تقريباً ولكنهُ لا يعرف يلوك الاكل فما سبب ذلك

ج السبب آفة في المخيخ والنخاع المستطيل

فان المخيخ اي الجزء المؤخر من الدماغ فوق النقرة وظيفتهُ حفظ موازنة الجسم فبعضهُ يحفظ الجسم من الوقوع الى الامام وبعضهُ يحفظهُ من الوقوع الى الوراء . والنخاع المستطيل تحت المخيخ يتصل بالنخاع الشوكي وهو متسلط على قوة النطق وبلع الطعام . والظاهر ان هذه الآفة خلقية فيهِ فان كان الامر كذلك فلا نظن انهُ يمكن شفاؤُهُ ولكن ان كانت الآفة عارضة من وقعة او صدمة فيحتمل شفاؤُها اوتلطيفها . واطباء الامراض العصبية يعلمون ذلك فاعرضوهُ عليهم

(٦) هيكل جبل الشيخ

ومنهُ . في قنة جبل الشيخ آثار بناء تدلُّ على ان ذلك المكان المرتفع كان مأهولاً وبعض العامة يسمونهُ قصر شبيب فهل يدل التاريخ على انهُ كان هناك سكان مع ما هو عليهِ ذلك المكان من الارتفاع

ج يظهر من شكل الانقاض الباقية هناك انها بقايا هيكل قديم من عهد الفينيقيين فانهم كانوا يبنون هياكلهم على المرتفعات . وقد ذكر القديس ايرونيموس هذا الهيكل في القرن الرابع للميلاد . والظاهر ان جبل الشيخ كلهُ كان حرماً دينياً عند قدماء الفينيقيين

(٧) اقدم لغة

ومنهُ . ما هي اقدم لغة تكلمها البشر

ج يظهر من تحقيقات علماء اللغات وتاريخ الانسان ان البشر لم يتكلموا اولاً بلغة من اللغات المعروفة الآن بل كان كلامهم الاول اصواتاً متقطعة كل صوت منها مخرج واحد ثم تألفت من ذلك كلمات ذات مخرجين او ثلاثة على تمادي الازمان . هذا هو مذهب العلماء الطبيعيين الآن واما علماء الاديان فبعضهم يقول ان اللغة الاولى هي العبرانية وبعضهم يقول انها العربية وبعضهم يقول انها الصينيَّة او السنسكريتية ودليلهم على ذلك ما جاء في كتبهم الدينية

(٨) الحكومة الفرنسوية والكنيسة

مصر . فؤاد افندي عبود هل يخشى ان تزول ثقة الامة الافرنسية بحكومتها الجمهورية في هذه الاثناء على اثر عزم الوزارة ومجلس الشيوخ على فصل الكنيسة عن الحكومة

ج لابدَّ من ان كثيرين من الفرنسويين نقموا على حكومتهم ولكن يظهر ان جمهور الامَّة الفرنسويَّة راضٍ عنها حتى الآن بدليل اتفاق اكثرية النواب لا سيما وان جمهوراً كبيراً من اشد الناس تديناً في اوربا يعتقدون ان فصل الكنيسة عن الحكومة اصلح للكنيسة والحكومة معاً

(٩) ارجاع الملكية

ومنهُ . هل من امل بارجاع البوربون او البنابرتيين الى عرش فرنسا

ج الظاهر ان الامل بارجاعهم ضعيف الآن وان كان اتباعهم لم يقطعوا الرجاء منهُ . لكن سياسات الامم مرتبطة بفواعل كثيرة بعضها مما تسهل معرفتهُ وبعضها مما لا تمكن معرفتهُ قبل حدوثهِ كموت الملوك والرؤساء وحدوث المجاعات وقيام القوّاد او الثوار العظام . فلو توفي نبوليون شاباً ما ظهرت الامبراطورية ولو فسح في اجل بولنجه لقاد فرنسا الى الامبراطورية او الملكية كما شاء واذا مات المطالبون بالملكية انقطع امل اتباعهم وكذا اذا مات المطالبون بالامبراطورية واذا حدث قحط في فرنسا الآن بسبب انحباس المطر واستمرَّ سنتين او ثلاثاً فلا يبعد ان يثور الشعب على الجمهورية ويسقطها ولذلك يستحيل الانباء بما تأول اليهِ احوال الممالك

(١٠) تأثير ذلك في اوربا

ومنهُ ماهو تأثير هذا الحادث في الاندية السياسية في عواصم اوربا وهل يرتاح اليهِ جمهور الالمان الاشتراكي

ج يظهر ان اهل السياسة راضون عن ذلك بنوع عام وان كانوا يضمرون غير ما يظهرون فلا سبيل الى معرفتهِ

(١١) المدارس الفرنسوية في الشرق

ومنهُ كيف تصير ادارة المدارس في الشرق التي كانت الطغمات الرهبانية تديرها حينما تستلمها الحكومة الفرنسوية وتجعلها عثمانية

ج ان الحكومة الفرنسوية تنازلت لايطاليا عن حماية بعض المدارس الشرقية ولم يقرَّ قرارها حتى الآن على البعض الآخر على ما يظهر . ولا ندري كيف ينتهي هذا المشكل لا سيما وان حكومة ايطاليا محرومة حرماً دينياً على ما تتذكر ولكننا نرجو ان تزول هذه المشاكل وتعود فرنسا الى عضد مدارسها كلها في الشرق مهما كان نوعها لان العلم نافع على كل حال وان كان منهُ شيء غير نافع فيزول من نفسهِ جرياً على ناموس بقاء الاصلح ومصداقاً للآية القائلة " اما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض " . واذا تولت الحكومة الفرنسوية ادارة هذه المدارس يبعد ان لا يرتقي العلم فيها . وقد يقال ان العلم يرتقي والدين ينحط وهذا صحيح في الغالب ولكن اصحاب الاديان المختلفة متفقون في امور عمومية ويختلفون في امور خصوصيَّة فالامور العمومية متعلقة بسيرة المرء حتى يكون مستقيماً نافعاً لنفسهِ ولغيرهِ وهذه يجب ادخالها الى كل المدارس وتدريب التلامذة عليها حتى تتدمث اخلاقهم وتتمكن منهم ملكات الخير والامور الخصوصيَّة لا يرضى والدوهم او اوصياؤهم ان يتعلموا منها ما لا وجود لهُ في دينهم او يناقضهُ على خط مستقيم فلا نرى كيف يمكن ادخالهُ في مدارس الحكومة التي يجب ان تكون عمومية لكل اولاد الامة . فمن الامور الاولى العمومية تحريم الكذب والسرقة والقتل

والغيبة . ومن الامور الثانية اعتقاد اليهود بان المسيح لم يأت واعتقاد النصارى ان المسيح اله واعتقاد المسلمين ان محمدًا نبيٌّ مرسل واعتقاد البراهمة ببرهم والبوذيين ببوذا وهلمَّ ومن قبيل ذلك معتقدات اصحاب المذاهب المختلفة بما يميز كل مذهب منها عن غيره

باب الاخبار العلمية

الحي من غير الحي

كان القدماء يقولون بتولُّد الاحياء الواطئة كالديدان والضفادع من الطين مباشرة ولم يكن احد يقول انهم ملحدون او مخطئون . ثم وجد علماء الطبيعة منذ عهد غير بعيد ان تلك الاحياء انما تتولد من بيوض احياء مثلها فقالوا ان الحي لا يتولد الاَّ من حيٍّ مثلهِ فاتخذ علماء الاديان ذلك ذريعة الى تكفير من يقول بتولد الحي من غير الحي زاعمين ان القول بهذا التولد ينفي وجود الخالق ناسين ان اسلافهم من علماء الاديان كانوا يقولون بتولد الحي من غير الحي ولا يحسبون ذلك نافيًا لوجود الخالق . ومهما يكن من ذلك فان بين علماء البيولوجيا عالمًا مشهورًا اسمهُ الدكتور بستيان وهو من اكبر علماء الطب سنًّا واكثرهم بحثًا في هذا الموضوع وقد ادَّعى منذ عهد طويل ان الاحياء تولدت معهُ في سوائل لا اثر لبزور الاحياء فيها فافسد تندل و باستور وغيرهما من العلماء قولهُ بالامتحان واثبتوا ان تلك الاحياء انما تولدت من بزور دخلت الانابيب التي اجرى التجارب فيها مع الهواء . وقد اوضحنا ذلك منذ نحو ثلاثين سنة كما ترى في المجلد الثالث من المقتطف

لكن الدكتور بستيان لم ينفك عن الامتحان والتجربة حاسبًا ان الحيَّ تولَّد اولاً من غير الحي وان ما امكن حدوثهُ منذ الوف من السنين يمكن ان يحدث الآن ولهُ مقالات وكتب في هذا الموضوع . وقد خطب في اواخر شهر يناير الماضي في الجمعية الطبيَّة الملكية ببلاد الانكليز خطبة في هذا الموضوع اثبت فيها انهُ ولَّد الحيَّ من غير الحي فاستحضر سائلاً فيهِ مقادير قليلة من سلكات الصودا وفصفات الامونيا وحامض فصفوريك مخفف بالماء المقطر . وسائلاً آخر فيهِ مذوب سلكات الصودا ومذوب برنترات الحديد ووضع السائلين في انابيب نظيفة من الزجاج

وعرضها للنور المستطير حيث الحرارة ٦٠ درجة الى ٦٥ بميزان فارنهيت فتولدت فيها جراثيم حيَّة من نفسها وكانت هذه الاحياء تتولد فيها ايضاً اذا وضعت في مستفرغ مظلم درجة حرارتهِ ٩٥ بميزان فارنهيت

وحذراً من دخول بزور الميكروبات الى السائل كان يضعهُ في الانابيب ويسدها سدًّا هرمسيًّا ثم يضعها في حمَّام من كلوريد الكلسيوم درجة حرارتهِ ٢٦٦ بميزان فارنهيت (١٣٠ سنتغراد) من عشر دقائق الى عشرين دقيقة فيرسب فيها راسب من السلكا وحدها او من السلكا والحديد. ثم يعرّض الانابيب للنور او يضعها في المستفرغ الذي حرارتهُ ٩٥ درجة من خمسة اسابيع الى اربعة اشهر فيتولد فيها جراثيم حيَّة توجد بين رواسب السلكا التي ترسب فيها . واذا كسر انبوب بعد احمائهِ وقبل ان يعرض للنور او يوضع في المستفرغ لم يوجد فيهِ شيء من الجراثيم الحية على الاطلاق ولكن الانابيب التي تعرض للنور او لحرارة المستفرغ مدة طويلة توجد فيها الجراثيم الحيَّة بكثرة . وغنيٌّ عن البيان ان الميكروبات كلها تموت في حرارة الماء الغالي اي عند الدرجة ١٠٠ بميزان سنتغراد وبزور الميكروبات تموت عند الدرجة ١١٥ بميزان سنتغراد اذا عرضت لها دقيقة او دقيقتين فقط اما هذا السائل فعرض لحرارة ١٣٠ درجة سنتغراد من عشر دقائق الى عشرين دقيقة فلو كان فيهِ شيء من الميكروبات او من بزورها لاماتتهُ الحرارة حتماً . وعند الدكتور بستيان ان هذه الاحياء تتولد في السائل كما تتولد البلورات في السوائل الملحية

اما نحن فنظن ان بزور الميكروبات التي قاعدة بنائها الكربون تموت بالحرارة اذا بلغت الدرجة ١١٥ س واما بزور الميكروبات التي قاعدتها السلكا فلا تموت بهذه الحرارة ولا بما هو فوقها ولا تتولَّد الميكروبات منها الَّا اذا عرضت للنور او للحرارة مدة طويلة وان المواد التي استعملها الدكتور بستيان كان فيها بزور ميكروبات قاعدتها السلكا فلم تمت بالحرارة التي استعملها ثم نمت بتعريضها للنور او للحرارة مدة طويلة . فان اصاب ظننا فتكون تجارب الدكتور بستيان الحديثة مثل تجاربهِ القديمة غير مثبتة لتولد الحيّ من غير الحي ولو كان تولُّدهُ منهُ ليس مستحيلاً لذاتهِ

الاستاذ مواسان

فجع علم الكيمياء وعلماء الطبيعة عموماً بوفاة العلاَّمة الفرنسوي المشهور الاستاذ مواسان في العشرين من شهر فبراير وهو كهل في الخامسة والخمسين من عمرهِ . وُلد بباريس في ٢٨ سبتمبر سنة ١٨٥٢ وبرع في علم الكيمياء واشتغل مع فرمي ودفيل ودبرى وغيرهم من كبار الكيماويين فزاد تعلقاً بهذا العلم الجليل وبراعة فيهِ ونشر سنة ١٨٧٤

اول رسالة علمية لهُ وهي بحث في امتصاص النباتات للاكسجين وافرازها للحامض الكربونيك وهي في غرفة مظلمة ثم نشر مقالات عديدة سنة ١٨٧٧ في اكاسيد المعادن ونال عليها رتبة دكتور في العلوم من مدرسة باريس الجامعة وقد صارت تجاربهُ في هذا الشان معتمد العاملين في سبك الحديد والمنغنيس والنكل والكروم واكتشف طريقة لاستحضار غاز الفلور سنة ١٨٨٦ فجعل مجرّباً في الكيمياء ومعلماً لعلم السموم ثم استاذاً للكيمياء المعدنية وذلك سنة ١٨٩٩ . وكان قد جعل مركبات الكروم درسهُ الخاص . واستحضارهُ للفلور اذاع شهرتهُ في الاقطار لان كبار الكيماويين مثل دافي وفراداي وفرمي عجزوا عن ايجاد طريقة لاستحضاره مع انهم بذلوا كل الوسائل في هذا السبيل ثم سيل غاز الفلور سنة ١٨٩٧ بالاشتراك مع السر جمس دور

واهتمّ منذ سنة ١٨٩٢ باكتشاف طريقة لعمل الماس فكلل عملهُ بالنجاح وصنع حجارة الماس حقيقي ولكنها صغيرة جدًّا مستخدماً الاتون الكهربائي وبهِ استحضر الكروم والتنجستن والمولبدنوم والاورانيوم والتيتانيوم ومعادن اخرى على درجة متناهية في النقاوة . وانتبه الى مركبات الكربون التي تتكون في الاتون فاكتشف مركبات كثيرة مع الكربون والبور والسليكون لم تكن معروفة . وعُيّن استاذاً للكيمياء غير الالية في مدرسة سربون سنة ١٩٠٠ وهو مشهور بحسن اسلوبهِ في التعليم و بقوة عارضتهِ في القاء الخطب ومهارتهِ في اجراء التجارب العلميَّة

الجذام والسمك

نشر المستر هتشنصن كتابهُ الذي يبحث فيهِ عن علة الجذام وادَّعى انهُ وجد علتهُ في اكل السمك المنتن او الذي ابتدأ فيهِ الفساد لكن استقراءهُ ناقص من كل وجه . وان كان لاكل السمك المنتن علاقة بانتشار داء الجذام فتكون علاقتهُ من حيث انهُ يضعف الجسم عن مقاومة جراثيم هذا الداء

جزيرة جديدة

ظهرت جزيرة جديدة في خليج بنغالا ببلاد الهند طولها ٩٢١ قدماً وعرضها ٦٥١ قدماً وارتفاع اعلاها فوق سطح البحر وقت المد ١٩ قدماً وهي بركانية كما يظهر من ينابيع الطين التي تنبع من جوانبها ومن انهُ اذا وضع الترمومتر على قنتها وجدت حرارتها ٨١ درجة مثل حرارة الهواء واذا وضع تحت قدم من وجه الارض وجدت الحرارة ١٠٤ واذا وضع تحت قدمين وجدت الحرارة ١٠٨ واذا وضع تحت ثلاث اقدام وجدت الحرارة ١٣٨ . ولم يمضِ عليها ١٦ يوماً من حين ظهورها فوق سطح الماء حتى اخذت امواج البحر تلقي عليها قطع الخشب وبزور النبات

مواني القطر المصري

بلغ عدد السفن التي دخلت مواني القطر المصري في العام الماضي ٣٢٤٣ سفينة محمولها كلها ٧٨٨٧٠٥٨ طناً وهي لدول مختلفة كما ترى في هذا الجدول

	عدد السفن	محمولها طناً
انكليزية	١٦٣٣	٣٩١٧٢٦٣ "
فرنسوية	٠٣٥٦	٠٩٢٤٧٢٩ "
نمسوية	٠٣٤١	٧١٨٤٣٦ "
ايطالية	٠٢٢٧	٦٠٩٣٥٣ "
المانية	٠١١١	٠٤٣٩٧٦٠ "
يونانية	٠٣٢٤	٠٤١١٩٠٣ "
روسية	٠١٥٩	٠٤٠٩٩٦٤ "
تركية	٠١٠٩	٠١١٦٣٢٧ "
بقية الدول	٠١٨٦	٠٣٣٩٨٢٣ "
والجملة	٣٢٤٣	٧٨٨٧٠٥٨

ترعة السويس في العام الماضي

ان ترعة السويس التي كان منها اكبر خسارة على تجارة القطر المصري والقطر السوري لا تزال امورها في تحسّن وقد مرّ بها في العام الماضي ٣٩٧٥ سفينة محمولها ١٨٨٨٩١٣٩ طناً ومن ذلك ٢٢٩٤ سفينة محمولها ١١٣٣٥٣٤١ لانكلترا والباقي لبقية امم الارض . وهذا المقدار من محمول السفن يفوق كل ما تقدمهُ في السنين الماضية ففي سنة ١٨٧٠ كان محمول السفن التي مرّت في ترعة السويس نحو ٤٣٦ الف طن فصار اربعة ملايين و ٤٣٤ الف طن سنة ١٨٨٠ وتسعة ملايين و ٧٤٩ الف طن سنة ١٨٩٠ وثلاثة عشر مليوناً و ٦٩٩ الف طن سنة ١٩٠٠ والآن بلغ ثمانية عشر مليوناً واكثر من ٨٠٠ الف طن

سبب الزلازل والبراكين

تكلم لورد كلفن في جمعية ادنبرج الملكية عن اصل الزلازل والبراكين فقال انهُ لما بردت قشرة الارض بالاشعاع وجمدت وبقي باطنها مصهوراً جعلت اجزاء قشرتها تنكسر وتقع على باطنها المصهور فامتلأ بقطع كبيرة من الصخور الجامدة الواقعة فيهِ من قشرة الارض وهي مختلفة الاشكال والاقدار وكلما وقعت قطعة كبيرة اهتزت لها الارض في ما يجاورها وهذه هي الزلازل وانضغطت المواد المصهورة التي في جوف الارض فاضطرت الى الخروج من اقرب مخرج اليها وهي البراكين. وستبقى البراكين في الارض مادام في جوفها مواد مصهورة · ومن رأيهِ ان باطن الارض الآن جامد لا سائل ولكن لا يزال فيهِ مواد مصهورة ومنها المواد التي تخرج من البراكين ومتى خرجت كل المواد المصهورة من جوف الارض وجمدت على سطحها يبقى في الارض كهوف كثيرة فارغة بسبب تقلصها فتسقط

فيها قطع كبيرة من قشرتها بسبب التقلص والضغط فتستمرُّ الزلازل بعد زوال البراكين الى ان تبرد الارض كلها

هبة فرنسوية عظيمة

ترك المسيو دانيال اوسيرس مليون جنيه لمستوصف باستور وريع هذا المال نحو اربعين الف جنيه في السنة

زيت البترول

ان زيت البترول الذي استخرج من الولايات المتحدة الاميركية سنة ١٩٠٥ بلغ نحو ١٣٤ مليون برميل وكان في السنة التي قبلها ١١٧ مليون برميل اي ان مقدارهُ زاد ١٧ مليون برميل في سنة واحدة ولكن ثمن ما استخرج سنة ١٩٠٥ نقص عن ثمن ما استخرج في السنة التي قبلها ١٧ مليون ريال

رحلة سفن هدن

نشرت جريدة التيمس تلغرافاً من كلكتا في ٥ فبراير يقال فيهِ ان الدكتور سفن هدن الرحالة المشهور يكاد يتم رحلتهُ في تبت وانهُ قد اكتشف فيها مكتشفات جديدة اعظم من كل ما اكتشفهُ في الاثنتين والعشرين سنة الماضية وفي جملة ذلك بحيرات وانهار وجبال ومناجم ذهب لم تكن معروفة عند الاوربيين وقد رسم ذلك كلهُ في ١٨٤ خريطة

كلف الشمس

ظهرت كلف كبيرة على قرص الشمس في شهر فبراير الماضي ظهرت كلفتان منها في ٦ فبراير عند الحد الشرقي وعلى ١٥ درجة من خط الاستواء الشمسي جنوباً وتبعتها كلفتان اخريان في ٨ فبراير وكلفة كبيرة في ٩ منهُ تسهل رؤيتها بالعين من خلال لوح مدخن من الزجاج وانتصف الشهر وهي ترى بالعين لكبرها

زلزلة كنجستن

كتب الاستاذ كارمودي الى جريدة التيمس يصف زلزلة كنجستن التي حدثت في ١٨ يناير الماضي وكان قد شاهد افعالها بنفسهِ فقال ان المباني الخشبية كانت اشد مقاومة من غيرها لفعل الزلزلة وتلتها مباني السمنت وكانت مباني الطوب المشوي (القرميد) اقل مقاومة من غيرها وتلتها مباني الحجر وان الجدران الشرقية والغربية هدمت واما الجدران الشمالية والجنوبية فلم تهدم دلالة على ان حركة الارض كانت شرقاً وغرباً. وفي الطرف الجنوبي من ساحة المدينة تمثال الملكة فكتوريا حرفتهُ الزلزلة الى الشمال قليلاً لكنهُ بقي قائماً على قاعدتهِ وفي جنوبي الساحة تمثال آخر حرفتهُ الزلزلة الى اليمين وفي الساحة تمثال للاب دبون وجههُ

الى الشمال الشرقي وقع عن قاعدته وانكسر وتمثال آخر وجهه الى الغرب انكسر من نصفه ووقع جزؤه الاعلى على قاعدته من غير ان ينقلب. والتماثيل الاربعة لا يبعد بعضها عن بعض اكثر من مئة قدم

شجرة الصابون

في بلاد الجزائر شجرة تحمل اثماراً صغيرة كالكرز لها بزور سوداء تصنع منها المسابح واللب الذي حول البزر كثير المادة الصابونية فيرغي في الماء كالصابون وينظف مثله وهو يرسل الى المانيا ويصنع الصابون منه

اصل الانسان

ذكرنا غير مرة انهم وجدوا في جزيرة جاوى قليلاً من عظام حيوان متوسط بين الانسان والقرود . وقد جاء الآن ان ارملة الاستاذ سلنكا الالماني وعدت باعطاء ما يلزم من النفقات للبحث في جزيرة جاوى عن بقايا الحيوانات التي من هذا النوع فتألفت بعثة من العلماء لهذا الغرض عساها تكتشف ما يزيح الستار عن اصل الانسان وكيفية تولده

هبات اميركية

وهبت مسز ساج الاميركية مئتي الف جنيه لمدرسة رنسلر الصناعية ومئتي الف جنيه اخرى لمدرسة اما ولرد والمدرستان من مدارس اميركا

ووهب المستر جون ركفلر مدرسة شيكاكو الجامعة ٥٤٠ الف جنيه فوق هباته الكثيرة لها ووهبها ايضاً ٤٣٤٠٠ جنيه لنفقاتها الجارية ومن ذلك ٨٠٠٠ جنيه لتزاد بها اجور اساتذتها . وقد صارت هباته لهذه المدرسة الآن اربعة ملايين من الجنيهات

هبة هندية

وهب السر كواسجي جهانجير ريدي لكين ونصفاً من الربيات (١٦٦٦٦ جنيهاً) لانشاء دار كبيرة في بمباي لامتحان تلامذة المدارس الجامعة جارياً في ذلك على خطة المرحوم والدو الذي انشأ مدرسة الفنستون الكلية ودار شيوخ المدرسة

الكتان البرازيلي

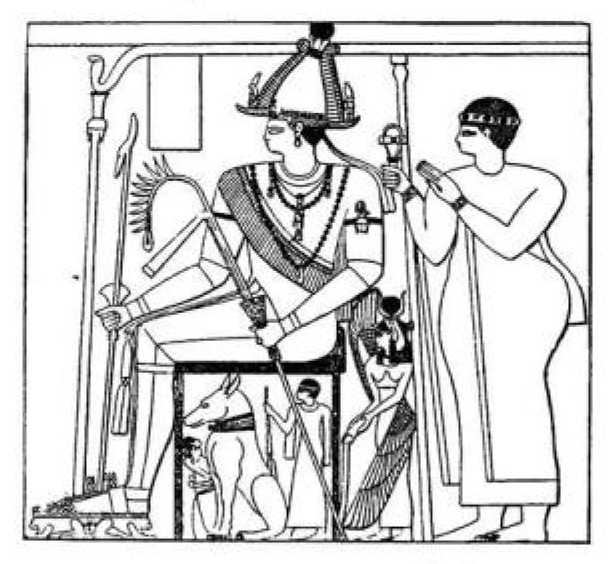
وجد في بلاد برازيل نبات سنوي تطول سوقه نحو ١٨ قدماً في السنة وله الياف دقيقة كالياف الكتان يسهل نزعها وقصرها وصبغها وغزلها وقد جربت زراعته واشترى اصحاب معامل الغزل والنسج كل ما نتج منه

زيت الزيزان

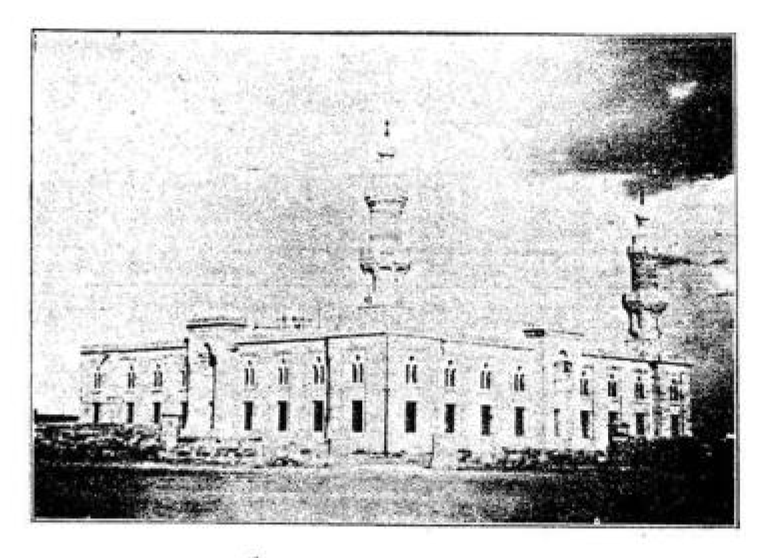
وجدوا في زيزان شرانق الحرير زيتاً كزيت السمك يمكن تنقيته بالترشيح ويمكن استعماله في عمل الصابون فيصنع منه صابون جيد



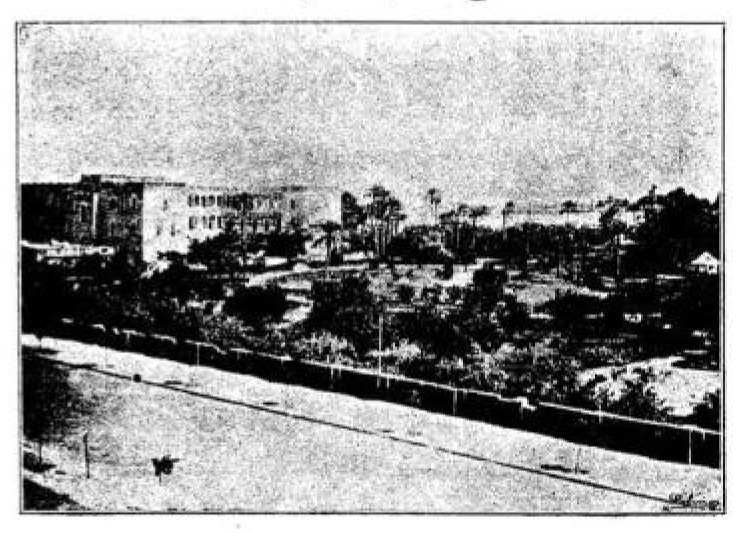
صورة اهرام مروي المعروفة الآن باسم البقراوية



صورة ملك من ملوك النوبة جالس على عرشهِ والملكة زوجتهُ واقفة وراءهُ وكذلك الالهة ايسس • وهذه الصورة منقوشة على الهرم التاسع من اهرام مروي

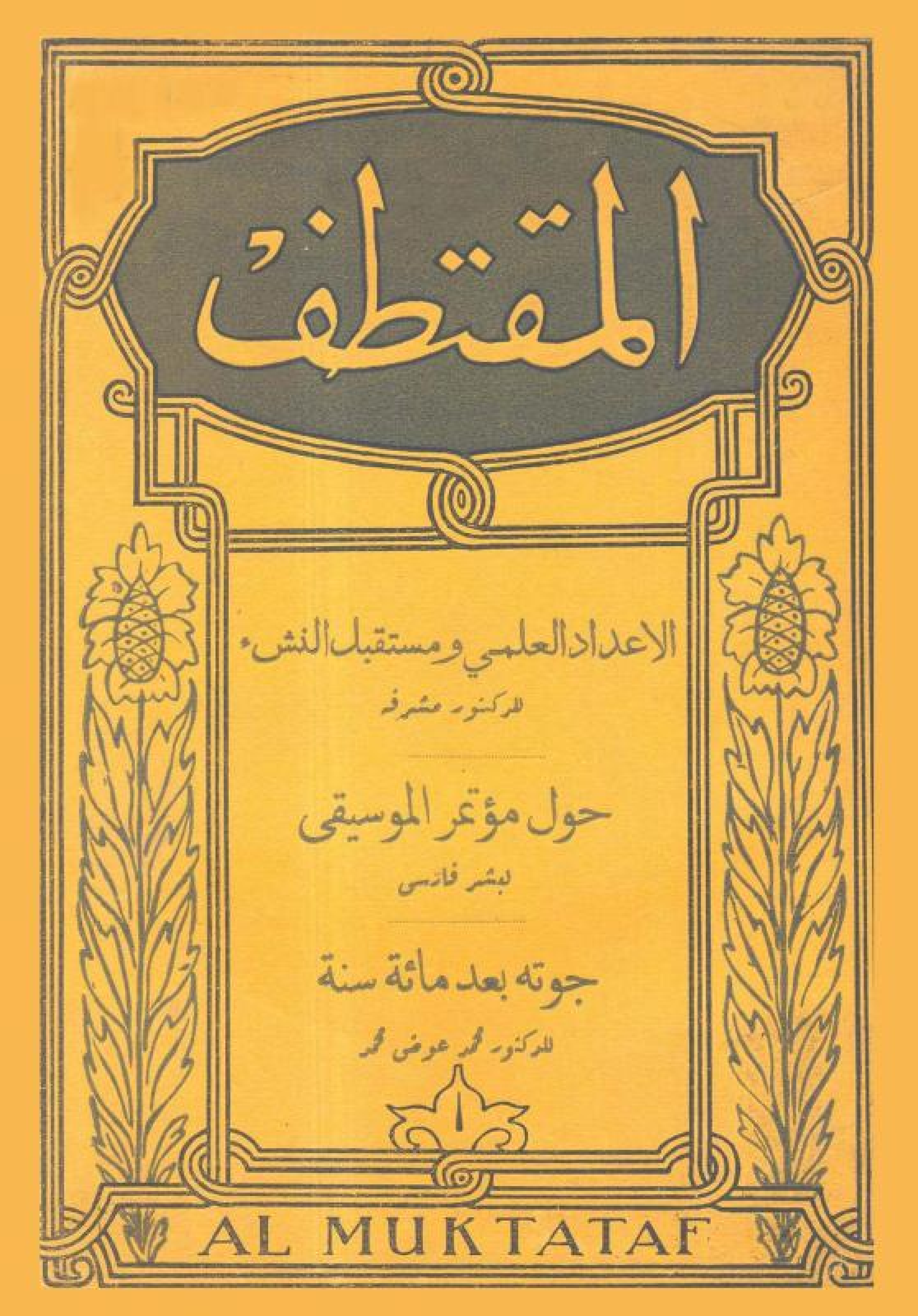


جامع الخرطوم الذي بني حديثاً



قصر الحاكم العام في الخرطوم وحديقته

فهرس الجزء الثالث من المجلد الثاني والثلاثين


المقتطف
الاعداد العلمي ومستقبل النشء
للدكتور مشرفه
حول مؤتمر الموسيقى
لبشر فارس
جوته بعد مائة سنة
للدكتور محمد عوض محمد
AL MUKTATAF

المقتطف

الجزء الرابع من المجلد الثاني والثلاثين

١ ابريل (نيسان) سنة ١٩٠٧ — الموافق ١٨ صفر سنة ١٣٢٥

الجمعية العمومية والتعليم

التعليم باللغة العربية

عقدت الجمعية العمومية المصرية في اوائل شهر مارس واقترحت على الحكومة اقتراحات كثيرة يهمُّ المجلات العلمية البحث فيهما ومنها تعليم العلوم باللغة العربية وهذا نص الاقتراح على ما اوردهُ سعادة محمود سليمان باشا

تقترح على الجمعية العمومية ان تلتمس من حكومة الجناب العالي ان توجه نظرها الى تعليم العلوم باللغة العربية في المدارس الابتدائية والثانوية لأن هذه اللغة بصفتها لغة البلاد يجب ان يعلمها الطلبة حق العلم واكمل ما يكون ذلك اذا درسوا بها العلوم ولأن التلامذة في هاتين الدرجتين من درجات التعليم هم احدث سنًّا من ان يتقنوا فهم العلوم بلغة غير لغتهم . وبالجملة نقول ان تدريس العلوم باللغة الاجنبيَّة يضيع على التلامذة كثيرًا من العلم

اما اللغات الاجنبيَّة فيصير تعليمها قائمة بذاتها لتلامذة المدارس المذكورة

وتلاهُ حضرة الشيخ علي يوسف صاحب جريدة المؤيد فقال : — من القواعد التي لا خلاف فيها ان تعليم العلوم بلغة الامة اكثر نفعاً واعظم فائدة مما لا يقدر من تعليمها بلغة اجنبية عنها . ذلك لان التعليم بلغة الامة ينقل العلوم بكليتها اليها بخلاف التعليم باللغة الاجنبيَّة فانهُ ينقل افراد المتعلمين فقط من الامة لهذه العلوم

التعليم بلغة الامة يوجد الاساتذة الاكفاء منها ويوجد الكتب فيها بلغتها فينشر العلم في المنازل وفي المنتديات الى حدّ ان يأخذ كل من يحسن القراءة منها نصيباً . وان العلم طوَّاف في العالم ينزل ضيفاً على الامم ولا يستوطن الَّا اللغات فان وجد لهُ متسعاً منها ولا يكون ذلك الَّا بالاستعمال اتخذها وطنهُ وكانت بهِ حياتها الى ان تحدث الحوادث التي تحل بالامم

فتوقف حركة النموّ فيها او تقلبها رأساً على عقب فاول مقاتل العلم اللغة وآخرها اللغة

واذا كان بالعلم حياة الام فهو لا يحييها الاَّ اذا دبَّ في جسمها كالدم في الشرايين ولا طريق لهُ في حلولهِ سوى اللغة التي هي آلة التفاهم . لذلك كانت الحكومة الخديويَّة اول ما فكرت في انشاء المدارس المنظمة على سنن الحكومات المرتقية قد جعلت اللغة العربية اساساً للتعليم حتى كان الاستاذ الاوربي يعلّم والمترجم المصري بجانبهِ يترجم اقوالهُ للطلبة الى ان وجد من المصريين الاساتذة الاكفاء في جميع العلوم العصرية وهؤلاء كانوا يترجمون الكتب ويؤلفونها بالعربية في جميع العلوم . وفي الكتبخانة الخديويَّة مئات من المؤلفات المدرسية التي كانت تدرَّس في المدارس الاميريَّة ولو استمرَّ الحال على هذا المنوال الى الآن لوجدت الالوف من هذه الكتب ترقى وتتهذب في نوعها سنة فسنة على مثال ما يرقى ويتهذب مثلها في البلاد الاوربية

ولكن حصل خطأ في طريقة التعليم في المدارس الاميرية من بعض الذين كانوا قابضين على ازمتها منذ بضع عشرة سنة اذ قال باستعمال اللغات الاجنبيَّة آلة للتعليم في المدارس العالية ثم حصل التوسع في هذا الخطإ بمعاذير تزيد كلما طال الزمن لانها محصرة في ثلاث علل كما يقولون . الاولى قلة الاساتذة الوطنيين الاكفاء . الثانية قلة الكتب العربية المؤلفة في العلوم المدرسية او عدم صلاحية ما يوجد منها . الثالثة فقر اللغة في الاصطلاحات الفنية التي تزيد كل يوم في العلوم باللغات الاجنبيَّة

والحقيقة ان ما يسمونهُ عللاً هو في الواقع نتائج معلولة لعلة واحدة هي هجر اللغة العربيَّة من تعليم العلوم لان هذا الهجر استدعى جلب الاساتذة من غير المصريين وفي كل عام منذ تقرر التعليم باللغات الاجنبيَّة يزيد عددهم في مدارس الحكومة وهذا الجلب افضى الى قلة الاساتذة المصريين الاكفاء بالضرورة كما افضى الى قلة الكتب المدرسيَّة بل الى فقدانها بالمرة

وان اللغة كالبناء الذي يشاد وتحفظ معالمهُ بالتعهد والعناية — تحيا باستعمالها في العلوم وتموت بعدم الاستعمال فالذي يهجر بيتهُ ويهملهُ زمناً طويلاً انما يهدمهُ بيدهِ فان كانت اللغة العربيَّة خالية من الاصطلاحات الفنيَّة الآن كما يقولون فليس هذا مع تسليمهِ ذنب اللغة ولكنهُ ذنب مهمليها من ادخال الاصطلاحات المتجددة فيها . واللغة العربيَّة لا تأبى الدخيل فيها من اللغات الاجنبيَّة متى كانت الحاجة ماسة اليهِ وقد ترجمت اليها العلوم اليونانيَّة باصطلاحاتها قبل الف سنة فلم تضق ذرعاً عن كل دخيل اقتضاهُ التوسع في العلوم . فشأن اللغة العربيَّة اليوم شأن اللغات التركيَّة والبلغاريَّة والمجريَّة والروسيَّة والصربيَّة واليابانيَّة وما

شاكلها فان العلوم العصريَّة الاوربيَّة تعلم في تلك الممالك بلغاتها الوطنيَّة ولم تقف الاصطلاحات الفنية عقبة دون استعمالها

فتعليم العلوم كلها في المدارس الاميريَّة باللغة العربيَّة موقوف على ارادة نظارة المعارف العموميَّة التي لو ارادت اوجدت مدرسة معلمين كبرى تكفي لتخريج خمسين او ستين استاذاً كل سنة بدلاً من مدرسة المعلمين الموجودة الآن تفتح سنة وتقفل اخرى حيث لا يقصدها الاَّ مرتاب في مستقبله عالم ان منتهى امره ان يكون معلماً صغيرًا في مدرسة ابتدائيَّة بمرتب يتناول مثلهُ كاتب بسيط في احد الدواوين

ولو ارادت ايضاً لتابعت الارساليات الى كليات اوروبا العالية للنبوغ في اصول التربية والتعليم كما كانت تفعل والتعليم يجرى باللغة العربيَّة وهي محتمة بترقيته ولو فعلت ذلك لكان عندها كل ما تريد من صفات الاساتذة الاكفاء بين الوطنيين

ولما كان استمرار طريقة التعليم باللغات الاجنبيَّة مؤديًا ولا ريب الى حصر العلم في دائرة ضيقة جدًّا من الامة ومقللاً بالضرورة للاساتذة الاكفاء من الوطنيين وملاشياً للكتب العلميَّة والفنية التي بلغة البلاد ومميتاً لهذه اللغة شيئاً فشيئاً. وكل هذه النتائج مضار كبرى تلحق بالامة المصريَّة ولا علاج لها الاَّ تعديل طريقة التعليم الجارية الآن باللغة الاجنبيَّة . فانا التمس من هيئة الجمعية العمومية الموافقة على طلب تعليم العلوم في مدارس الحكومة وامتحان طلبتها باللغة العربيَّة وان يكون الشروع في ذلك من السنة المقبلة باستعمال هذه الطريقة في المدارس الابتدائيَّة حيث الاساتذة الذين يعلمون علومها وطنيون يعرفون اللغة العربيَّة اكثر من معرفتهم اللغات الاجنبيَّة وفي قدرتهم ان يترجموا الدروس التي يلقونها على الطلبة من الكتب الافرنجية وان تتخذ الحكومة الوسائل الفعالة لايجاد الكتب العربيَّة الصالحة في كل علم وفن . وان تتدرج من ذلك الى استعمال هذه الطريقة نفسها في المدارس الثانويَّة فالعالية . انتهى

وكان سعادة ناظر المعارف حاضرًا فاجابهُ قائلاً : — اني اتمنى بصفة كوني مصريًّا ان يكون التعليم في المدارس جميعها بلغة بلادنا ولكن ما كل ما يتمنى المرء يدركهُ لان هناك صعوبات كثيرة تحول بيننا وبين بلوغ هذه الامنية الآن . وهذه الصعوبات وان كان يجب السعي لتذليلها وصرف العناية لتسهيلها الاَّ انهُ يلزم ان نحسب الآن حسابها

ان الحكومة لم تقرر التعليم باللغة الاجنبية لمحض رغبتها او اتباعها لشهوتها ولكنها فعلت ذلك مراعاة لمصلحة الامة واقتداء بالامة نفسها

ان مركز الامة من الامم الاخرى واختلاطها بالاجانب واشتباك المصالح الاجنبية بالمصالح

الوطنية كل ذلك يوجب ان يكون تعليم العلوم باللغة الاجنبية لكي يتقوى التلاميذ فيها كما ينبغي ويمكنهم بها ان يستفيدوا من المدنية الاوروبية ويفيدوا بلادهم بها ويقووا على الدخول مع الاجانب في معترك هذه الحياة حياة العلم والعمل. شعرت الامة بهذه الضرورة قبل شعور الحكومة بها فارسلت كثيرًا من ابنائها الى المدارس الاجنبية كمدارس الفرير والجيزويت والامريكان التي تعلم العلوم فيها بلغات اجنبيَّة لكي يجيدوا تعلمها وتركوا مدارس الحكومة التي كان التعليم فيها باللغة العربيَّة لشعورهم بانها لم تكن كافية لسد حاجاتهم ولذلك امتلأت تلك المدارس الاجنبية بالطلاَّب قبل ان تقرر الحكومة التعليم باللغة الاجنبيَّة

لما رأَت الحكومة ذلك وتحققت ان في بقاء التعليم في مدارسها باللغة العربيَّة ضررًا بتلاميذ هذه المدارس لضعفهم عن مجاراة اخوانهم بالمدارس الاجنبية في معترك هذه الحياة ومسابقة غيرهم من الاجانب الذين كانوا ينسلون الينا من كل حدب ويتسابقون الى مزاحمتنا على منافع بلادنا اضطرت ان توجب التعليم باللغة الاجنبيَّة (الفرنسيَّة او الانكليزيَّة) وكان اول من سعى في ذلك ونفذهُ سنة ١٨٨٩ هو المرحوم علي مبارك باشا الذي يعرف كلنا منزلتهُ من العلم وفن التربية وحرصهُ على منفعة البلاد

ومع كون التعليم حاصلاً من ذلك العهد بلغة اجنبيَّة فلا تزال الشكوى تتقدم بعد الشكوى لذوي الحل والعقد من ضعف التلاميذ في اللغة الاجنبيَّة وقد تقدم اليَّ كثير منها مع قرب عهدي بوظيفتي حتى ان احد رؤساء المصالح حضر عندي واخبرني بان لديهِ ٢٤ وظيفة خالية ولم يجد من بين حاملي الشهادة الابتدائيَّة من يمكنهُ القيام بواحدة منها وانهُ مضطر لذلك ان يعين فيها من الاجانب وطلب مني النظر في طريقة تقوي تلامذتنا في اللغات الاجنبيَّة. وكثيرًا ما تكلمت الجرائد عن هذا الضعف واقرب كلامها ما نشر في بعض الجرائد بامضاء مصطفى صبري يشكو فيهِ مر الشكوى من ذلك

زرت مدرسة للبنات في مدينة الفيوم ووجدت تلميذاتها قليلات ولما سأَلت عن ذلك قيل ان السبب فيهِ هو عدم تعليم لغة اجنبية فيها

عندما انشئت مدارس الجمعية الخيرية الاسلامية التي انا احد مؤسسيها رأينا ان لا ندخل اللغات الاجنبية فيها ولكننا لم نلبث ان شعرنا بهذا الخطإ فعدلنا عنهُ واضطررنا لادخالها وان جميع المدارس الحرة اي التي ليست تابعة للحكومة حتى التي يديرها اشد الناس تعصبًا للغة العربية يعلم فيها باللغة الاجنبية

وما ذلك الاَّ لشعور الامة بشدة احتياجها الى تقوية ابنائها في اللغات الاجنبية وفي

الحقيقة اذا فرضنا انهُ يمكننا ان نجعل التعليم من الآن باللغة العربية وشرعنا فيهِ فعلاً فاننا نكون اسأنا الى بلادنا والى انفسنا اساءة كبرى لانهُ لايمكن للذين يتعلمون على هذا النحو ان يتوظفوا في الجمارك والبوستة والمحاكم المختلطة والمصالح العديدة المختلفة التابعة للحكومة التي يقتضي نظامها وجود كثيرٍ من الموظفين العارفين باحدى اللغات الاجنبية حق المعرفة ولا ان يستخدموا في بنك او مصرف ولا ان يشتركوا في شركة من الشركات التي كثر تأسيسها الآن في بلادنا ولا ان يكونوا محامين امام المحاكم المختلطة ولا مترجمين ولا غير ذلك من كل ما يحتاج فيهِ الى البراعة في لغة اجنبية وهو كثير جدًّا في بلادنا

اذا قطعنا النظر عن ذلك كلهِ واردنا ان نشرع من فورنا في التعليم باللغة العربية صادفتنا صعوبة مادية وهي قلة المعلمين الاكفاء الذين يمكنهم تعليم الفنون المختلفة باللغة العربية وسواء كانت هذه الصعوبة ناشئة من فعل نظارة المعارف كما يقول سعادة الشيخ علي يوسف في اقتراحهِ او ناشئة كما هو الواقع عن امور اخرى لا محل الآن لتفصيلها فالحقيقة انها موجودة ويستحيل مع وجودها الشروع الآن في التعليم باللغة العربية فاذا كنتم مع ذلك توافقون على الاقتراح المقدم لكم كنتم كمن يحاول الصعود الى السماء بلا سلم

لذلك كلهِ ارجو ان لا تندفعوا في هذه المسألة وراء احساسكم وان تستشيروا قبل البت فيها العقل والحكمة اذ لا فائدة لكم من ان تطلبوا طلبًا تعلمون من الآن انهُ لا يقابل بغير الرفض لاستحالة تنفيذهِ . وكل ما يمكنكم ان ترغبوهُ مني وما يمكنني ان اشتغل بهِ واقدمهُ خدمة لوطني هو السعي في تذليل تلك الصعوبة المادية وهو ما عقدت النية عليهِ وتشتغل بهِ نظارة المعارف الآن من توسيع نطاق مدارس المعلمين والارساليات الى اوربا وتحسين حالة موظفي المدارس حتى يمكن وجود عدد كاف يتولى التعليم باللغة العربية كما ارغب وترغبون واني اذا وفقت لتحقيق هذه الامور الثلاثة خدمت بلادي خدمة جليلة فارجوكم ان تساعدوني عليها وان لا تضعوا في طريقي عقبات تحول بيني وبين تحقيق امانيكم

يقول سعادة الشيخ علي يوسف انهُ يمكن مع الاساتذة الموجودين الآن في المدارس الابتدائية ان تعلم فيها كل العلوم باللغة العربية ولكن اذا شرعنا في ذلك من السنة المقبلة كما يقول سعادة المقترح فلا يمكن للتلاميذ الذين يتخرجون منها على هذا النحو ان يسيروا مع اخوانهم في المدارس الثانوية لوجود التعليم فيها باللغة الاجنبية ولا يمكن التعليم في هذه الاخيرة باللغة العربية لعدم وجود الاكفاء من المعلمين الآن وهذا يوضح لكم ان نظام المدارس كبناء يجب ان لاينقض حجر منهُ قبل النظر الى جملتهِ خشية ان يتداعى البناء كلهُ الى السقوط

اني اردت ان ادخل معكم في هذا البيان خلافاً لما تعودتموهُ لانقل اليكم احساسي وما في نفسي ولأبين لكم الاسباب التي تحملكم على التأمل والتفكر في هذا الموضوع الخطير واني واثق من انكم اذا تأملتم تأملي ودققتم النظر فيهِ كما ينبغي وافقتموني على رفض ذلك الاقتراح الآن . انتهى

واقرَّت الجمعية العمومية اخيرًا على قبول الاقتراح بعد تعديلهِ اي ان يجعل التعليم باللغة العربية شيئاً فشيئاً

ولقد كان غرض الحكومة من جعل التعليم بالفرنسويَّة او الانكليزيَّة تمكين المتعلمين من هاتين اللغتين كما تقدم لان الغرض الاكبر من مدارس الحكومة تخريج العدد الكافي من الشبان لاجل الخدم الاميريَّة واللغة الانكليزيَّة او الفرنسويَّة لازمة لهم والاَّ اضطرَّت الحكومة ان تستخدم سواهم في مصالحها . وسواء اصاب الذين نقلوا التعليم من اللغة العربيَّة الى غيرها او لم يصيبوا فتلقي العلوم باللغة العربية او بغيرها امرٌ هامٌ جدًّا لذاتهِ من حيث مصلحة التلامذة بنوع خاص ومن حيث مصلحة البلاد بنوع عام ولكلٍ منهما مزايا

فاولاً — اذا عرف التلميذ اللغة الاجنبية معرفةً كافية لفهم كتبها البسيطة لم يعسر عليهِ فهم كتبها العلمية اكثر مما يعسر عليهِ فهمها اذا كانت تلك الكتب بالعربية ويؤيد ذلك ان الذين تلقوا العلوم في فرنسا او انكلترا من المصريين والسوريين نبغوا فيها كما نبغ رفاقهم من الفرنسويين والانكليز وكما نبغ اخوانهم الذين تلقوا العلوم بالعربية في مصر وسوريَّة

وثانياً — ان الذين يتلقون العلوم بلغة اجنبية يسهل عليهم استعمال تلك اللغة كتابةً ونكلماً اكثر مما يسهل على الذين لم يتعلموا العلوم بها

وثالثاً — ان وسائل الدرس والمراجعة باللغات الاجنبية اكثر واقرب من وسائل الدرس والمراجعة بالعربية وكتب التعليم اكثر واحدث مما يمكن ان يوجد بالعربية

ورابعاً — يسهل وجود الاساتذة المختصين بالعلوم من الاوربيين اكثر مما يسهل وجود اساتذة مثلهم من الوطنيين لان الاستاذ الوطني الذي يبرع في الطب او الحقوق او الكيمياء يجد الباب مفتوحاً امامهُ لوظائف عالية كثيرة الريع او للكسب الوافر من معاطاة الاعمال لقلة المتعلمين عندنا حتى الآن واما البارعون في هذه العلوم في المانيا وفرنسا وانكلترا فكثار جدًّا ولا يصعب استخدامهم في التعليم كما يستخدمهم غيرنا من امم المشرق ولا يسهل عليهم التعليم الاَّ بلغتهم . هذه اهم المزايا التي يمتاز بها التعليم بلغة اجنبية على التعليم بالعربية

وللتعليم بالعربية مزايا لا تنكر اولها انهُ يدفع الحكومة الى الانفاق على ترجمة الكتب

العلمية ونشرها وتجديد تنقيحها ونشرها كلما جدّ في العلم شيء يستحق اعادة طبعها . ونشر الكتب العلمية باللغة العربية يفيد كثيرين من الذين يحبون المطالعة و يستفيدون منها ولو لم يكونوا من تلامذة المدارس . وثانيها ان اللغة تستفيد من نقل المصطلحات العلمية الجديدة اليها ومن التفتيش عن المصطلحات العلمية القديمة واستعمالها ولا عبرة بما يقال عن صعوبة وجود المصطلحات العلمية بالعربية فاننا لا نجد في ذلك صعوبة كبيرة واسهل على المترجم ان يترجم كتاباً كبيراً في التشريح او الفيسولوجيا او الحساب او الجبر او الهندسة من ان يترجم رواية فيها احاديث بيتية مما يتكلم بهِ الانكليز او الفرنسويون في بيوتهم او افكار اجتماعية جديدة . فان الصعوبة قائمة بنقل الافكار الجديدة التي يعسر تحديد المراد منها لا في نقل القواعد والمصطلحات العلمية المحدودة المعنى . وكثيراً ما سألنا علماء الاوربيين قائلين كيف تنقلون المصطلحات العلمية الى العربية فكنا نجيبهم انكم انتم تعتمدون على اليونانية واللاتينية في وضع الكلمات للمعاني العلمية الجديدة ونحن نجري على طريق من طريقين فاما ان نشتق للمعنى الجديد اسماً عربياً يؤديهِ او نكتفي بنقل الاسم اللاتيني او اليوناني على حالهِ كما فعل اسلافنا الذين ترجموا كتب اليونان

فاذا وازنّا بين هذه المزايا وجدنا ان مزايا التعليم بلغة اجنبية تفوق مزايا التعليم بالعربية لطلاب التوظف في الحكومة ولطلاَّب الاشغال التجارية دون سواهم . و يمكن نقل التعليم الى العربية تدريجاً ولا يحرم طلاب الوظائف الاميرية من سبيل لاتقان اللغة الاجنبية وذلك بقسمة الدرس في المدارس الثانوية الى قسمين قسم يراد بهِ تعليم العلوم بنوع عام وهذا يكون الدرس فيهِ باللغة العربية وقسم يراد بهِ اتقان اللغة الانكليزية او الفرنسوية لاجل الدخول في وظائف الحكومة والاشتغال بالاشغال التجارية وهذا يقتصر فيهِ على تعليم هذه اللغة والتمرن فيها وبذلك تحصل الفائدة المطلوبة سواء اراد الطالب الاستعداد لخدمة الحكومة او للاشغال التجارية

اما العلوم العالية فيفضل ان يكون تعليمها باللغة العربيَّة ولكن يجب ان يكون طلاَّبها قد تعلموا ما يكفي من لغة اجنبيَّة حتى يستطيعوا مراجعة المطوَّلات فيها وحتى يسهل عليهم ان يتوسعوا في بعض المدارس الاوربيَّة اذا ارادوا التفوُّق على غيرهم كما يفعلون الآن . فان طلاَّب العلوم العالية من الانكليز يتعلمون الفرنسويَّة او الالمانيَّة او كليتهما لكي يقصدوا مدارس فرنسا والمانيا ويزيدوا توسعاً فيهما وكذا يفعل الفرنسويون والاميركيون والروسيون واليابانيون وكل الامم التي تطلب الارتقاء

المستر مون صاحب السينتفك اميركان

من حين انشأْنا المقتطف منذ نحو اثنتين وثلاثين سنة الى الآن وجريدة السينتفك اميركان من الجرائد العلمية التي نعتمد عليها لصدق اخبارها ودقة مباحثها فلا يكاد جزء من اجزاء المقتطف يخلو من ذكرها. وقد نعت السينتفك اميركان الينا الآن مديرها الاول المستر مون توفي مساء الثامن والعشرين من شهر فبراير الماضي وهو في الثالثة والثمانين من عمره وبقي بين المحابر والدفاتر الى الخامس عشر من شهر فبراير واصيب حينئذٍ بفالج طفيف قضى عليهِ وهو من بيت انكليزي قدم هاجر الى اميركا سنة ١٦٣٧

درس في مدرسة منصون ورغّبهُ احد رفاقهِ واسمهُ بيتش بابتياع السينتفك اميركان فابتاعاها سنة ١٨٤٦ وعكفا على ادارتها وكانت الجريدة العلمية الوحيدة في اميركا فكان لصاحبيها اختلاط كبيرة بالمكتشفين والمخترعين فانشأَا ادارة لتسجيل المخترعات والمكتشفات الجديدة وصارت ادارة الجريدة نادياً يجتمع فيهِ كبار العلماء والمخترعين

وسنة ١٨٧٦ انشأَا ملحقاً بالسينتفك اميركان ليصفا فيهِ ما يعرض في معرض اميركا الذي انشئ حينئذٍ ورأَيا بعد حين ان يبقيا ذلك الملحق كجريدة اسبوعيَّة مستقلة تنشر فيها المقالات العلمية الطويلة والمباحث الصناعية المسهبة . ثم انشأَا سنة ١٨٨٥ مجلة شهرية للمباني وما يتعلق بها ووسعاها سنة ١٩٠٥ وسمياها بما معناهُ البيت والبستان . وتوفي المستر بيتش منذ اكثر من احدى عشرة سنة وبقي المستر مون يدير هذا العمل الواسع بمهارتهِ ويبذل جهدهُ في اذاعة الفوائد ومحاربة الاباطيل وارشاد الحكومة الاميركية الى ما فيهِ النفع العام. وكان موصوفاً بالدعة وكرم الاخلاق ولكنهُ اذا رأَى واجب الحق والعدل يقضي عليهِ بان يلوم ويعنف لم يتأَخر عن ذلك ولا سيما اذا قام الدجالون وادعوا اختراع آلة يستحيل اختراعها كي يبتزوا اموال الناس بها او اذا رأَى رجال الحكومة قد اغضوا عما يطلب منهم او اضاعوا اموال الامة في اعمال لا نفع منها فانهُ كان يندد ويهدد ويقرّع وكثيرًا ما كان ينفق النفقات الطائلة لاظهار خداع الخادعين كما فعل في اكتشاف خداع كيلي الذي ادعى انهُ اكتشف قوة غير معروفة لادارة الآلات وكما شدد النكير على صانعي الجسر بين نيويورك وبروكلين لانهم قدروا النفقات باقل مما بلغت ثم لم يتقنوا العمل كما يجب تخدم العلم والصناعة وخدم بلادهُ اجل خدمة

مدارس المانيا الجامعة

بلغ عدد التلامذة في مدارس المانيا الجامعة هذا العام ٤٥١٣٦ وكان في العام الماضي ٤٤٩٤٢ ومنذ خمس سنوات ٣٥٥١٨ ومنذ عشر سنوات ٣٠٠٤٣ ومنذ عشرين سنة ٢٧٠٨٠ ومنذ ثلاثين سنة ١٧٤٥٧ فزاد في ثلاثين سنة ٢٧٦٧٩ كما يظهر من الجدول التالي

	سنة ١٩٠٧	سنة ١٨٧٧
مدرسة برلين	٨١٨٨	٢٤٩٠
« مونخ	٥٥٦٧	١٢٨٠
« ليبسك	٤٤٦٦	٣٠٣٦
« بون	٢٩٩٢	٧٩٣
« هال	٢٢٥٠	٨٥٤
« برسلو	١٩٦١	١٢١٩
« غوتنجن	١٨٣١	٩٩١
« فريبرج	١٧٤٤	٢٩٣
« ستراسبرج	١٦٥٢	٧٠٧
« هيدلبرج	١٦٠٣	٤٧٣
« مونستر	١٥٣٣	٣١٣
« توبنجن	١٥٢٢	٩٠٣
« ماربرج	١٥٠٣	٣٨٢
« ورزبرج	١٤٠٧	١٠٢٨
« ينا	١٢٧٥	٤٣٩
« كونجسبرج	١١٤٠	٦٢١
« جيسن	١٠٩٢	٣١٨
« ارلنجن	١٠٥٦	٤٧٤
« كيل	٠٨٧٧	٢١٩
« غرنسفلد	٠٨٢٧	٤٦٨
« روستك	٠٦٤٥	١٥٦

وطلبة الحقوق أكثر من غيرهم ويتلوهم طلبة الفنون فطلبة الطب والعلوم الرياضية الخ على ما ترى في الجدول التالي

	سنة ١٩٠٧	سنة ١٨٧٧
طلبة الحقوق	١٢٢١٥	٤٨٣٥
" الفنون	١٠٨٧٣	٣٨٧٤
" الطب	٠٧٠٣٥	٣٣٧٤
" الرياضيات والعلوم الطبيعيَّة	٠٦١١٦	٢٠٠٩
" اللاهوت الانجيلي	٠٢٢٠٨	١٥١٨
" علم الصيدلة	٠١٨٦٥	٠٦٨٥
" اللاهوت الكاثوليكي	٠١٧٠٨	١١٦٤
" العلوم الاقتصادية	٠١٢٣٥	٠١٥٥
" " الزراعية	٠٠٩٨٥	٠٣٦٩
" طب الاسنان	٠٠٨٧٠	٠٠٠٨
" الطب البيطري	٠٠١١٠	٠٠٠٠

ولا يدخل في ذلك طلبة المدارس الصناعيَّة من المشتغلين بالعلوم المحضة والممتزجة

ثم ان في هذه المدارس ٤١٥١ طالبًا من الاجانب وكان عدد التلامذة الاجانب في العام الماضي ٣٥٥٥ فقط . وهم من بلدان مختلفة فمن النمسا ٦٨١ ومن سويسرا ٣٤١ ومن انكلترا ١٤٤ ومن البلغار ١٣٩ ومن رومانيا ٨٣ ومن السرب ٦١ ومن فرنسا ٥٨ ومن هولندا ٥٧ ومن لكسمبرج ٥٣ ومن اليونان ٤٧ ومن تركيا ٤٠ ومن ايطاليا ٣٣ ومن سكنديناقيا ٣٢ ومن اسبانيا ٢٣ ومن بلجكا ١٩ ومن البرتغال ٩ ومن الدنمارك ٥ ومن اميركا ٣٠٢ ومن اسيا واكثرهم من اليابان ١١٣ ومن افريقية ١٣ ومن استراليا ٦

واهم ما في ذلك اهتمام اهالي اليابان بتلقي العلوم العالية في مدارس المانيا الجامعة وانهُ ليس في تلك المدارس من كل قارة افريقية ومصر في جملتها سوى ثلاثة عشر تلميذًا ولكن فيها من تركيا اربعون تلميذًا ولعلَّ اكثرهم من الارمن

واكثر التلامذة الاجانب في مدرسة برلين وليبسك وهيدلبرج ويانا فهم في مدرسة برلين اكثر من ١٤ في المئة من عدد التلامذة وفي ليبسك نحو ١٥ في المئة وفي هيدلبرج ١٦ في المئة وفي يانا ١٤ ونصف في المئة ولا تخلو مدرسة منهم كما ترى في هذا الجدول

في مدرسة برلين	١١٨٩	اي ١٤٫٥	في المئة
« « ليبسك	٠٦٦٢	« ١٤٫٨	«
« « مونخ	٠٤٩٦	« ٨٫٨	«
« « هيدلبرج	٠٢٥٩	« ١٦٫١	«
« « هال	٠٢٥٤	« ١١٫٣	«
« « يانا	٠١٨٦	« ١٤٫٦	«
« « كوتنجن	٠١٦٩	« ٩٫٢	«
« « فريبرج	٠١٦٤	« ٩٫٤	«
« « كونجسبرج	٠١٣٤	« ١١٫٧	«
« « ستراسبرج	٠٠٩٦	« ٥٫٨	«
« « بون	٠٠٨٨	« ٢٫٩	«
« « جيسن	٠٠٨٤	« ٧٫٦	«
« « برسلو	٠٠٧٧	« ٣٫٩	«
« « ورزبرج	٠٠٦٧	« ٤٫٧	«
« « ماربرج	٠٠٦٠	« ٤٫٩	«
« « توبنجن	٠٠٥٩	« ٣٫٩	«
« « غرنسفلد	٠٠٤٣	« ٥٫٢	«
« « ارلنجن	٠٠٢٨	« ٢٫٦	«
« « روستوك	٠٠١٣	« ٢٫٠	«
« « كيل	٠٠١٢	« ١٫٤	«
« « مونستر	٠٠١١	« ٠٫٧	«

واكثر هؤلاء التلامذة يدرس الطب واللغات والطبيعيات والحقوق كما ترى في هذا الجدول

طلبة الطب	١٠٨٠	الزراعة	٠٥٧٣
اللغات والتاريخ	٠٩٥١	اللاهوت الانجيلي	٠١٨٥
الرياضيات والطبيعيات	٠٧١٤	« الكاثوليكي	٠٠٣٤
القانون	٠٥٨٠	طب الاسنان	٠٠٢٤

وغنيٌّ عن البيان ان هؤلاء التلامذة يتلقون العلوم في المدارس الالمانية باللغة الالمانية معها

كانت لغتهم الاصلية ولا غرض لهم ولذويهم الأ اكتساب المعارف للانتفاع بها ونفع ابناء اوطانهم . فلالمانيا فضل لا ينكر على العالم كلهِ في فتحها مدارسها لتعليم الناس

المفاضلة بين الشعراء

قد ادخلتك منذ شهر الى غرفة من معرض ابي تمام وأريتك فيها ما أريتك من روائع المدح بالجود والشجاعة فلا بدَّ ان تكون قد تمثَّلت بها قريحة تلبس المعنى الواحد من حلل الفصاحة اشكالاً والواناً يقبح بازائها الدبياج الخسرواني وقريحة تخلق للمعنى الواحد من الوجوه الجميلة ما يمثّل لك وجه الازهر (١) ليلة البدر

وهنذا أَلج بك الى غرفة مثلها من معرض البحتري بل الى روضةٍ من رياض شعرهِ تشتمل على ما شاء التفنن من الوجوه الزاهية والاشكال الزاهرة

قال من دالية يمدح بها المتوكل على الله

(١) حتى وردنا بحرهُ فتقطعت ... غلل الظما عن بحرهِ المورودِ
في حيث يعتصر الندى من عودهِ ... ويرى مكان السؤدد المنشودِ
ومنها : واذا السلاحُ اضاء فيهِ رأى العدى ... برقاً تألّق فيهِ بحر حديدِ
ومدرّبين على اللقاء يشفّهم ... شوقٌ الى يوم الوغى المشهودِ
ومنها: نعتدُّ عزَّك عزَّ دين محمدٍ ... ونرى بقاءك من بقاء الجودِ

ولهُ من قصيدة اخرى في مدحهِ

(٢) لقد لجأ الاسلامُ من سيف جعفرٍ ... الى صارمٍ في النائباتِ حسامِ
يسدُّ بهِ الثغر المخوف انثلامهُ ... وان رامهُ الاعداء كلَّ مرامِ

ولهُ فيهِ ايضاً من قصيدةٍ

(٣) غشيَ الربيعُ ديارهم وغشيتها ... وكلاكما ذو عارضٍ متهلّلِ (٢)
فاضاء منها كل فجٍ مظلمٍ ... بكما واخصب كل وادٍ ممحلِ (٣)
فمتى تخيم بالشآم فيكتسي ... بلدي نباتاً من نداك المسبلِ (٤)

(١) الازهر : القمر (٢) العارض : السحاب المعترض في الافق . والمتهلل : المتلألئ او الصابُّ المطر
(٣) الفج : الطريق الواسع بين جبلين (٤) المسبل : الماطل

ولهُ فيهِ ايضاً من قصيدة

(٤) قل للامام الذي عمت فواضلهُ شرقاً وغرباً فما نحصي لها عددا

ولهُ فيهِ ايضاً من قصيدة

(٥) يا اكثر الناس احساناً واعرضهم سيباً واطولهم في المكرمات يدا (١)

ولهُ فيهِ ايضاً من قصيدة

(٦) وحكى القطر بل أبرَّ على القطـ ـرِ بكفٍ على البريَّة تندى (٢)

هو بحر السماح والجود فازدد منهُ قرباً تزدد من الفقر بُعدا

يا ثمال الدنيا عطاء وبذلاً وجمال الدنيا ثناء ومجدا (٣)

ولهُ فيهِ مكارمُ قد وزنتَ بها ثبيرًا فلم يرجح وطلتَ بها شماما (٤)

ومنها: شهرتم في جوانب كل ثغر ظبات البيض والاسل المقاما (٥)

واقدمتم وفي الاقدام كرهٌ على الغمرات تقتحمُ اقتحاما (٦)

الى ان يقول ولو لم يستهلَّ لها غمامٌ بريقهِ لكنتَ لها غماما (٧)

ولهُ فيهِ ايضاً من عينيةٍ

(٧) يا ايها الملك الذي سقت الورى من راحتيهِ غمامةٌ ما تقلعُ

ولهُ فيهِ ايضاً من نونيةٍ

(٨) ملأت يداهُ يدي وشرَّد جودُهُ بخلي فافقرني كما اغناني

ووثقتُ بالخلف الجميل معجلاً منهُ فاعطيتُ الذي اعطاني

وقال يمدحهُ ايضاً من قصيدة لاميةٍ

(٩) ترى الارض تسقى غيثها بروره عليها وتكسى نبتها بنزوله

وقال ايضاً من قصيدة اخرى دالية

(١٠) قد قلتُ للغيم الرُّكام ولجَّ في إبراقهِ وألحَّ في إرعادهِ

لا تعرضنَّ لجعفرٍ متشبهاً بندى يديهِ فلستَ من أندادهِ

ولهُ من داليةٍ يمدح بها الفتح بن خاقان

(١١) جادت يدُ الفتح والانواء باخلةٌ وذاب نائلهُ والغيث قد جمدا

---

(١) السيب : العطاء (٢) أبرَّ : زاد (٣) الثمال : الغياث ويقال هو ثمال قومهِ اي غياثهم القائم بامرهم (٤) ثبير وشمام : جبلان (٥) الظبات : حدود السيوف والاسل الرماح (٦) الغمرات : الشدائد والمكاره (٧) يستهلّ : ينصبّ (٨) الغيم الركام : المتراكم بعضهُ فوق بعض

ومنها : سلّت دون بني العباس سيف وغىً يدمي وعزماً اذا ضرّمته وقدا
آثارُ بأسك في اعداءِ دولتهم أضحت طرائق شتّى بينهم قددا (١)
إما قتيلاً يخوض السيف مهجتهُ او نازعاً ليس ينوي عودةً أبدا
الى ان يقول اما اياديك عندي فهي واضحةٌ ما ان تزال يدٌ منها تسوق يدا
أصبحت أجدي على العافين مبتدئاً منها وما كنتُ الأَ مستبيحَ جدا

ولهُ فيهِ من لاميَّةٍ

(١٢) ويحكمُ في ذخائرهِ نداهُ كما حكم العزيزُ على الذليلِ
اخٌ في المكرمات يعدُّ فيها لهُ فضل الشقيق على الحميلِ (٢)
خلائق كالغيوث تفيض عنها مواهب مثل جمات السيولِ
ووجهٌ رقَّ ماءُ الجود منهُ على العرنين والخدّ الاسيلِ (٣)
يريك تألقُ المعروف فيهِ شعاع الشمس في السيف الصقيلِ

ولهُ فيهِ ايضاً من لاميَّةٍ

(١) وقد قلتُ للعلي الى المجد طرفهُ دع المجدَ فالفتح بنُ خاقان شاغلهُ
سنانُ امير المؤمنين وسيفهُ وسيبُ امير المؤمنين ونائلهُ
يشبُّ بهِ للناكثين حروبهُ ويدنو بهِ للخابطين نوافلهُ
ايلحقهُ بالبذل قوم وقد سعوا فما بلغوا بعضَ الذي هو باذلهُ
( ) : يداني بمعروفٍ هو الغيث في الثرى توالى نداهُ واستنارت خمائلهُ

ولهُ من داليَّة في مدح الفتح ابن خاقان المشار اليهِ

(١) كفى رأيهُ الجُلّى وألقى سماحهُ نفاقاً على علقٍ من الشعر كاسدِ (٤)
وكاين لهُ في ساحتي من صنيعةٍ قطعتُ لها عقل القوافي الشواردِ (٥)
واني لمحقوقٌ بان لا يطولني نداهُ اذا طاولتهُ بالقصائدِ
يُحَكّنَ لهُ حوكَ البرود لزينةٍ وينظمنَ عن جدواهُ نظم القلائدِ
وحسبُ اخي النعمى جزاءً اذا امتطى سوائرَ من شعرٍ على الدهر خالدِ

ولهُ منها اذا راوحتها مزنةٌ بكرت لها شآبيب مجتازٍ عليها وقاصدِ

---

(١) القدد : الفرق من الناس هوى كل واحدة على حدتهِ (٢) الحميل : الغريب (٣) العرنين : الانف والاسيل اللين (٤) الجلّى : الامر الشديد · والعلق : النفيس من كل شيء (٥) الصنيعة : الاحسان · والعقل جمع عقال وهو حبل يعقل بهِ البعير في وسط ذراعهِ

كأنَّ يد الفتح بن خاقان اقبلت ... تليها بتلك البارقات الرواعدِ
رأيتُ الندى امسى حميماً مناسباً ... لأخلاقهِ دون الحليف المعاقدِ

ولهُ ايضاً من حائيةٍ

(١٥) ردَّ المكارم فينا بعد ما فُقدت ... وقرَّب الجود منَّا بعد ما نزحا

ولهُ فيهِ ايضاً من حائيةٍ أُخرى

(١٦) غمرُ النوال اذا الآمال اكذبها ... ثماد نيلٍ من الاقوام ضحضاحِ (١)
مواهبٌ ضربت في كل ذي عدمٍ ... بثروة وأماحت كل ممتاحِ (٢)
كأنما بات يهمي في جوانبها ... ركام منتثر الحضنين دلّاحِ (٣)

ولهُ فيهِ ايضاً من لاميةٍ

(١٧) وما عمَّهم عمرو بن غنمٍ بنسبةٍ ... كما عمَّهم بالامس نائلك الجزل (٤)

ولهُ فيهِ ايضاً من حائيةٍ

(١٨) هل الفتح الا البدر في الأُفق المضحي ... تجلَّى فأجلى الليل جنحاً على جنحِ
او الضيغم الضرغام يحمي عرينهُ ... او الوابل الداني من الديمة السحِّ

ولهُ فيهِ ايضاً من داليةٍ

(١٩) أخذتْ أمنها من البؤس ارضٌ ... فوقها ظلُّ سيبك الممدودُ
ذهبت جدَّة الشتاء ووافا ... نا شبيهاً بك الربيع الجديد

ولهُ فيهِ ايضاً من فائيةٍ

(٢٠) او نائل الفتح بن خاقان الذي ... للمكرمات تليدهُ وطريفهُ
لم آلفهُ حتى لقيت عطاءهُ ... جزلاً وعرَّفني الغنى معروفهُ
عالي المحل اتاني بنوالهِ ... شرفاً اطلَّ على النجوم منيفهُ
ايُّ اليدين اجلُّ عندي نعمةً ... إغناؤهُ اياي ام تشريفهُ
غيثٌ تدفق والجبين رهامهُ ... فينا وليثٌ والرماح غريفهُ (٥)
اما السماح فان افضل خلقهِ ... نالتهُ انك صنوهُ وحليفهُ (٦)

---

(١) الثماد جمع الثمد وهو الماء القليل لا مادة لهُ . والضحضاح : الماء القريب القعر (٢) ذو العدم : الفقير والممتاح الذي يغرف الماء واماحهُ : جعلهُ يمتاح (٣) الدلّاح مبالغة الدالح وهو السحاب الكثير الماء (٤) النائل العطاء والجزل : الكثير (٥) الجبين : الفضة والرهام الامطار الضعيفة الدائمة والغريف بالغين الغيضة وفي الديوان بالعين المهملة وهو خطأ (٦) الصنو : الاخ الشقيق

لما لقيت بك الزمان تصدّعت عن ساحتي احداثهُ وصروفهُ

ولهُ فيهِ ايضاً من داليَّةٍ

(٢١) وأكبرُ أن اشبّهَ جودَ فتحٍ بصوبِ غمامةٍ او سيلِ وادِ
كريمٌ لا يزال لهُ عطاءٌ يغيرُ سنَّةَ السنة الجمادِ
تعدُّ بهِ بنو العباس ذخراً ليوم الرأيِ او يوم الجلادِ

ولهُ فيهِ ايضاً من رائيَّةٍ

(٢٢) وكيف شكريك عن سواه وما يداني نداك شكرُ

ولهُ فيهِ ايضاً من عينيَّةٍ

(٢٣) ثنى أملي فاحتازهُ عن معاشرٍ يبيتون والآمال فيهم مطامعُ
جنابٌ من الفتح بن خاقان ممرع وفضل من الفتح بن خاقان شائعُ
اغرُّ لنا من جودهِ وسماحهِ ظهيرٌ عليهِ ما يخيبُ وشافعُ
منيفٌ على هام الرجال اذا مشى اطال الخطى بادي البسالة رائعُ
واغلب ما تنفك من يقظاتهِ ربايا على اعدائهِ وطلائعُ(١)
جنانٌ على ما جرّت الحرب جامعٌ وصدرٌ لما يأتي بهِ الدهر واسعُ
يدٌ لامير المؤمنين وعدَّةٌ اذا الثاث خطب(٢) وتغلب خالعُ(٢)
مغامس حربٍ ما تزال جيادهُ مطلحةً منها حسيرٌ وظالعُ(٣)

ولهُ فيهِ ايضاً من بائيَّةٍ

(٢٤) تلافاكم الفتح بن خاقان بعد ما تدهدهتم من حالقٍ متصوبِ(٤)
بعارفةٍ اهدت اماناً لخائفٍ وغوثاً لملهوفٍ وعفواً لمذنبِ
رددت الردى عن اهل حرصٍ وقد بدا لهم جانب اليوم العبوس العصبصبِ(٥)

ولهُ فيهِ ايضاً من قافيَّةٍ

(٢٥) رباع من الفتح بن خاقان لم تزل غنىً لعديمٍ او فكاكاً لمرهقِ(٦)
فلا العائذ اللاجي اليها بمسلمٍ ولا الطالب الممتاح منها بمخفقِ

---

(١) الربايا: الرقبا (٢) الثاث: التبس (٣) المغامس من يرمي نفسهُ وسط الحرب والمطلحة: المعيية والحسير الضعيف والظالع: الذي يغمز في مشيهِ (٤) تدهدهتم: تدحرجتم والحالق الجبل المنيف (٥) العصبصب: الشديد (٦) الرباع: المواضع يرتبع فيها الواحد ربع والعديم: الفقير. والمرهق: المضيق عليهِ

توالت اياديهِ على الناس فاكتفى بها كل حيٍّ من شآمٍ ومعرقِ
وكم نفّست في حمص من متأسفٍ غدا الموت منهُ آخذاً بالخنقِ (١)
له خلقٌ في الجود لا يستطيعهُ رجالٌ يرومون العلى بالتخلقِ
اطلّ على الاعداء من كل وجهةٍ وشارفهم من كل غربٍ ومشرقِ
ببيضٍ متى تشهر على القوم يغلبوا وخيل متى تركض الى النصر تسبقِ
أُعين بنو العباس منهُ بصارمٍ جراز وعزم كالشهاب المحرقِ (٢)

بيروت سعيد الخوري الشرتوني

الهبة العلمية الكبرى

لما ظهر مشروع الجامعة المصرية استحسناهُ كما استحسنهُ كل احد وشكرنا القائمين بهِ لكننا خفنا من ان الهبات الصغيرة لا يبلغ مجموعها ما يكفي لهذا المشروع الجليل ورجونا ان يقوم احد الاغنياء الكبار الذين يقولون كما قال حاتم الطائي " ان المال غادٍ ورائحٌ ويبقى من المال الاحاديث والذكر " فيجود بجانب كبير من امواله فيخفف ثقلها عن عاتقهِ ولا يتركها لاولادهِ مفسدة لهم وينفع بها ابناء وطنهِ ويكتسب الذكر الحسن . لكن ان كان انصار العلم في العالم القديم قاعدين عن نصرتهِ فانصارهُ في العالم الحديث يبذلون كل مرخص وغالٍ في خدمتهِ . وقد نقلت الينا المجلات الاميركية خبر اكبر هبة علمية وهبها انسان في هذا العصر او في غيرهِ من العصور فقد جاء فيها ان المستر جون ركفلر المثري الاميركي الشهير وهب مجلس التعليم العمومي في الولايات المتحدة الاميركية اثنين وثلاثين مليون ريال اميركي وكان قد وهبهُ منذ عهد قريب احد عشر مليون ريال فمجموع الهبتين ٤٣ مليون ريال اي ثمانية ملايين وستمئة الف جنيه مصري . وكتب ابنهُ في ٦ فبراير الماضي الى اعضاء ذلك المجلس يقول

ايها السادة

خوَّلني ابي ان ابلغكم انهُ في غرة ابريل سنة ١٩٠٧ او قبل ذلك يهب مجلس التعليم العام اوراقاً مالية تساوي الآن اثنين وثلاثين مليون ريال يضاف ثلثها الى اموال المجلس ويبقى الثلثان الاخيران تحت تصرفهِ او تصرفي لكي ينفقا في الوجوه التي انشئ لها هذا المجلس واذا

(١) الخنق : الحلق ونفست المتأسف : فرّجت كربتهُ (٢) جراز قاطع وفي الاصل جران بالنون وهو من خطاء الطبع

بقي منهما شيءٌ بعد موتنا اضيف الى مال المجلس العمومي

فكتب اعضاء المجلس الى ابيهِ يقولون

" وصل الى مجلس التعليم العام كتاب من ولدكم يعلن فيهِ عزمكم على اعطاء هذا المجلس اثنين وثلاثين مليونًا من الجنيهات . فمجلس التعليم العام يقبل هذه الهبة السنيَّة بالشكر الجزيل ويتعهَّدان يكون امينًا عليها وعلى الاحد عشر مليون ريال التي وهبتموهُ اياها قبلاً

" وهذه الهبة هي اكبر هبة ذُكرت في تاريخ الانسان لعمل نافع . والمجلس يهنئكم على الشعور الحكيم النبيل الذي دفعكم الى هذا العمل الشريف ويشكركم بالنيابة عن كل المعاهد العلمية التي ستستفيد من هبتكم وعن هذه البلاد التي ستقوّي هبتكم عمرانها وترقيهِ وعن كل بني البشر الذين سينتفعون منها

" وادارة هذه الاموال الطائلة تلقي على عاتق مجلس التعليم العام واجبات واسعة النطاق جدًّا اوسع من كل واجبات يطالَب بها مجلس من مجالس التعليم في المسكونة كلها . ونحن اعضاء هذا المجلس نقبل هذه الواجبات عارفين ما فيها من المصاعب وما لها من المنافع وسنبذل جهدنا في تحويل هذه الهبة الى قوة عقليَّة وادبيَّة مفتخرين ببذل كل ما فينا من القوة لاستخدامها في نفع الناس "

ومجلس التعليم العام هذا انشئ حديثًا وغرضهُ الاهم اعطاء الاموال للمدارس العالية مشترطًا عليها ان تجمع هي ثلاثة اضعاف ما يعطيها اياهُ . اما هذه الهبة فلا يراد حصرها في المدارس العالية بل يراد بها مساعدة المدارس عمومًا ولاسيما مدارس الزراعة في جنوبي الولايات المتحدة وقد ابقى المستر ركفلر الحق لهُ ولابنهِ في توزيع ثلثي هذه الهبة على المدارس من غير شرط

ولا يخفى ان هذا الرجل من اغنى اغنياء الارض الآن وتقدَّر ثروتهُ بمئتي مليون من الجنيهات فالثمانية ملايين من الجنيهات التي وهبها لمجلس التعليم العام لا تزيد على دخلهِ في سنة واحدة . وهو مقتصد جدًّا في نفقاتهِ الخصوصية فهذه الهبة انما اخَّرت ازدياد ثروتهِ سنة واحدة لا غير ومع ذلك فقد كان في طاقتهِ ان ينفق هذه الاموال على ملذاتهِ الخصوصية او على ما لا فائدة منهُ لاحد او يتركها لابنهِ حتى يزيد حقد الناس عليهِ لكنهُ لم يفعل شيئًا من ذلك بل فعل ما هو افضل منهُ وابقى . وهبها لانفع الاعمال التي ترقي الامم وتزيد قوتها ورفاهتها — للتعليم والتهذيب حتى تزيد قوة البلاد العقليَّة والادبيَّة فلم ينقص راحتهُ ورفاهتهُ مثقال ذرة وكسب الشكر والذكر الحسن وشعر في ضميرهِ بالسرور الذي يشعر بهِ كل احد حينما يعمل

عملاً صالحاً مفيداً يشكر عليهِ. وانّ تنافس اغنياء اميركا في اعطاء الاموال الطائلة للاعمال النافعة يرفع عنهم عار التفاني في طلب المال ويحلّهم اعلى محل بين موطدي دعائم العمران . ولو اقتدى بهم اغنياء هذا القطر لرأيت الاكتتاب بالمال الكافي للمدرسة الجامعة تمّ في اليوم الاول ولرأيت مدارس كثيرة مثلها منتشرة في القطر لان فيهِ كثيرين يزيد دخل الواحد منهم على عشرة آلاف جنيه في السنة فما ضرّهم لو جادوا بدخل سنة واحدة او نصف سنة على اعمال يتالون منها الفخر وحسن الذكر

فائدة علم الفلك

علم الفلك او علم الهيئة اسمى العلوم كلها بحثاً وموضوعاً وهو عويص المسائل صعب الادراك على مَن يقصد التعمق فيهِ لا يتقنهُ الاَّ كبار العلماء المدققين ولكن اذا أُريد الاطّلاع على حقائقهِ العامَّة وجد القارئ فيها لذة وفكاهة كأنهُ يقرأُ رواية غريبة النوادر . ولاخلاف في سمو موضوعهِ ولذة البحث فيهِ ولكن هل منهُ فائدة توازي ما ينفق عليهِ من المال وقوى العقل . قال الاستاذ بوانكره رئيس اكادمية العلوم بباريس ما مؤَدّاهُ ان حكومات الامم ومجالس نوابها لا بدّ ان تجد نفقات هذا العلم كثيرة جدًّا فان الآلة من آلاتهِ تساوي الالوف والمرصد من مراصدهِ يساوي الملايين ورصد الكسوف الواحد يقتضي انفاق المبالغ الطائلة وذلك كلهُ متعلق بنجوم بعيدة عنا ولا يهمها شيءٌ من امورنا السياسية . فلا يرتضي رجال السياسة بالانفاق عليهِ الاَّ لانهُ لا يزال فيهم شيءٌ من محبة الامور النظرية والاهتمام بما هو عظيم لذاتهِ . والذين يتهمونهم بالانتصار على طلب الماديات يظلمونهم ويجب ان يشجعوهم على الاستمرار في تعضيد الامور النظرية التي يميل اليها ذوقهم السليم

ويمكننا ان نبين لهم فائدة علم الفلك للملاحة (سلك الابحر) ولكن اذا لم يكن لهُ الاَّ هذه الفائدة فهي لا تستحق كل ما ينفق عليهِ من النفقات . وعندي ان علم الفلك نافع لانهُ يرفعنا فوق نفوسنا — وهو عظيم سامٍ في ذاتهِ لانهُ يرينا صغر جسم الانسان وكبر عقلهِ الذي يصل بهِ الى ابعد ابعاد هذا الكون وجسمهُ فيهِ ذرة صغيرة لا تذكر فنشعر حينئذٍ بما فينا من القوة وهذا الشعور يستحق كل ما ينفق على هذا العلم من الاموال

لكن علم الفلك لا يقتصر على ذلك بل قد جعل الناس يدركون بهِ الطبيعة ويعرفون سننها فلو كان جوّنا محجوباً بالغيوم دائماً كجو المشتري حتى لا نرى السماء ونجومها لبقي نوع

الانسان غائصاً في بحار الجهالة · ولو كان هذا الحجاب كثيفاً لا يخرقهُ نور الشمس لما وجد على الارض حي ولكن لو فرضنا — والفرض لا يكلفنا شيئاً — ان الغيوم كانت فصفورية يأتينا منها نور يكفينا لنحيا ونرى طريقنا فهل كان ذلك كافياً لبلوغ نوع الانسان ما بلغهُ الآن

ان النور الذي يأتينا من كواكب السماء لا يقتصر على النور المادي الذي يؤثر في عيوننا بل يشمل نوراً آخر ينير عقولنا فان الانسان وُجد على هذه البسيطة منذ الوف من السنين وغرائب الطبيعة تحيط بهِ من كل ناحية وهو لا يدرك شيئاً منها ولا يعرف شيئاً من نواميسها بل يحسب انها جارية حسب الاهواء متقلبة كالرياح فنسب كل فعل منها الى روح من الارواح وحسب ان هذه الارواح تجري في اعمالها على حسب اهوائها فجعل يترضاها بالوسائل التي يترضّى بها رؤساءهُ بالطلبات والصلوات والهدايا والقرابين · واذا لم يجد منها عطفاً عليهِ لم يحسب انها عاجزة عن اجابة طلبهِ بل القى اللوم على نفسهِ لا عليها

اما الآن فلم نعد ننظر الى الطبيعة هذا النظر نظر العبد الذليل الى السيد الجليل بل صرنا ننظر اليها نظر الآمر الى المأمور لاننا اكتشفنا بعض اسرارها وسنكتشف البعض الآخر ونأمرها باسم السنن التي لا يمكنها مخالفتها لانها سننها ولم نعد نطلب منها تغيير هذه السنن لاننا نعلم انها ثابتة لا تتغير

ما اعظم التغيُّر الذي تغيرتهُ نفوسنا في انتقالها من الحالة الواحدة الى الاخرى · هل كان يمكن ان تتغير هذا التغير السريع لو كانت كواكب السماء محجوبة عن الابصار

ان علم الفلك هو الذي علَّم الناس ان للكون سنناً ثابتة فان الكلدانيين الذين كانوا اول من راقب حركات النجوم رأوا انها تجري على سنن واحد · ورأوا ان سيرها منتظم حتى استطاعوا ان ينبئوا بالكسوفات والخسوفات قبل اوقاتها · ثم كُشفت تلك السنن لعلماء الفلك هبَرخس وبطليموس وكوبرنيكس وكبلر الواحد بعد الآخر واخيراً كُشف ناموسها الاعظم والاعم لامحقق نوتن

من ثمَّ صرنا ندرك شيئاً من امر ارضنا ونرى بين الافعال الطبيعية الكثيرة شيئاً من الانتظام ولولا نجاح علماء الفلك في اكتشاف نواميس الاجرام السموية لما اشتدَّت عزائم علماء الطبيعة على اكتشاف النواميس الطبيعية لان نجاح اولئك اقنع هؤلاء ان للكون سنناً لا تتغير تجري اعمالهُ بموجبها

فاول فائدة استفدناها من علم الفلك ان للكون سنناً لا تتغير

والفائدة الثانية ان هذه السنن لا مناص منها · ولولا علم الفلك لمرَّت قرون كثيرة قبل ان

تحقق ثبوت ذلك بالاستقراء التام مع ما نراهُ من التشويش وعدم الانتظام في الافعال الطبيعية التي يعارض بعضها بعضاً حسب الظاهر. فقد اثبت لنا علم الفلك ان سنن الكون على غاية الدقة تستدلُّ منها اليوم على كسوف يحدث بعد عشرين سنة فيحدث في اليوم والساعة والدقيقة التي دلَّت الحساب عليها وان ما نراهُ منها تقريبياً انما نراهُ كذلك لاننا لا نعلم كل الفواعل التي تفعل معاً

لقد ظن ارسطوطاليس وهو اعلم علماء الاولين ان للصدفة يداً في كثير من الحوادث التي تحدث في الكون وظن ان النواميس الطبيعية لا تتسلط الاَّ على الامور العظيمة واما الامور الطفيفة فتحدث عرضاً. غير ان ما ابانهُ علم الفلك من الدقة التامَّة في سير نواميس الكون اصلح هذا الخطأ ولولا ذلك لبقينا نخبط على غير هدًى في امور كثيرة

ولكن ما ادرانا ان هذه النواميس ليست خصوصية محلية مثل القوانين التي يسنها الناس فما يصدق منها في هذه الناحية لا يصدق في اخرى وما ينطبق على ارضنا لا ينطبق على غيرها من اجرام السماء فتختلف باختلاف الامكنة. ثم ما ادرانا انها لا تختلف ايضاً باختلاف الازمنة فتكون في زمان غير ما تكون عليهِ في زمان آخر. ان علم الفلك ينفي هذه الظنون ويثبت لنا ان سنن الكون ثابتة لا تتغير في كل مكان يصل اليهِ حد النظر باكبر النظارات المعروفة ولم تتغير في زمن من الازمنة المعروفة فهو الذي اوضح لنا مزايا سنن الكون

وقد علَّمنا ايضاً ان لا نعتدَّ بالظواهر فانهُ لما بيَّن كوبرنيكس ان الارض دائرة والشمس ثابتة مخالفاً شعور الناس كلهم اثبت لنا ان الاعتماد على شهادة الحواس الظاهرة قد يكون خداعاً في خداع. نعم ان الناس لم يأخذوا بقولهِ حالاً ولكنهم اخذوا بهِ رويداً رويداً وتعلَّموا منهُ ان لا يعتمدوا على الظواهر اذا خالفت الحقائق

ولقد اعتقد القدماء ان كل شيءٍ صُنع لاجل الانسان. وهذا الاعتقاد راسخ في النفوس على ما يظهر لانهُ لا يزال عاماً مع كل ما قيل في نقضهِ ولا بدَّ من تجريد النفس منهُ والاَّ بقي الانسان قصير النظر عاجزاً عن روْية الحقائق. ولا يدرك احد الطبيعة الاَّ اذا تجرَّد عن نفسهِ ونظر في الطبيعة من وجوه مختلفة. ولا يتجرد عن نفسهِ اذا بقي معتقداً ان كل شيءٍ خُلق لاجلهِ. ومَن ساعدنا على نفي هذا الوهم. علم الفلك الذي ارانا ان الكرة الارضية انما هي سيَّار من اصغر السيارات التي تدور حول الشمس وان الشمس وسياراتها كلها نقطة صغيرة في هذا الكون العظيم

وقد علَّمنا علم الفلك ان لا نخاف كبر الاعداد وذلك لازم لمعرفة ما في السماء وما في

الارض ايضاً ولم يستسهلهُ اسلافنا كما نستسهلهُ نحن · لو قيل لرجل من اليونان الاقدمين ان النور الاحمر يتموَّج اربع مئة مليون مليون موجة في الثانية من الزمان لحسب انك مجنون تهذي ولم يهتم بالنظر في قولك اما الآن فلم نعد نستبعد قولاً او فعلاً اذا وجدنا فيهِ اموراً اكبر او اصغر مما يقع تحت حواسنا · ولا نقف عند الحد الذي كان اسلافنا يقفون عندهُ ويخافون ان يتجاوزوهُ وما ذلك الاّ لاننا رأينا وجه السماء ينبسط امامنا على الدوام وعلمنا ان الشمس تبعد عنا ١٥٠ مليوناً من الكيلومترات وان اقرب النجوم الينا هو ابعد عنا من الشمس مئات الوف من المرات · واعتيادنا تصور الامور العظيمة الى ما لا نهاية لهُ سهَّل علينا تصور الامور الصغيرة الى ما لا نهاية لهُ فصارت عقولنا تنظر الى الحق ولا تنبهر منهُ والفضل في ذلك لعلم الفلك

فهل اخطأْتُ حينما قلتُ ان علم الفلك هو الذي قوَّانا على ادراك الطبيعة وانهُ لو كانت السماء محجوبة عن عيون الناس لبقينا في الجهل المطبق لا ندرك شيئاً من احوال ارضنا ولا نرى فيها الاّ حوادث تجري جزافاً على غير انتظام ومن غير قانون ولا نستطيع ان نتسلط على شيء من افعال الطبيعة · فاي علم انفع من هذا العلم ولو من حيث النفع المادي الذي لا انظر اليهِ انا · فاني ان كنت أُعجب بالفوائد المادية التي بلغتها أعمال الناس فانما ذلك لانها تسهّل علينا امور المعاش وتمكننا من التفرُّغ للبحث في الطبيعة . ولا أقول ان العلم نافع لانهُ يعلمنا كيف نصنع الآلات بل اقول ان الآلات نافعة لانها تمكننا من التفرُّغ للعلم . وليس بين هذين القولين تناقض لأن الانسان الذي يسعى سعياً حميداً يزاد لهُ كل نفع

وقد يقال ان علم الفلك افاد العلوم الطبيعيَّة كل ما يمكنهُ ان يفيدها بهِ وانالنا الوسائل التي يمكننا ان نستخدمها لدرس ارضنا فلا ضرر من احتجاب السماء عنا بعد الآن · وغنيٌّ عن البيان ان هذا القول كان يمكن ان يقال في عصر بطليموس لان الناس كانوا يظنون انهم علموا كل شيء مع انهم لم يعلموا شيئاً بالنسبة الى ما علموهُ بعدئذٍ

فان النجوم معامل كيماوية وبوادق عظيمة لم يحلم الكيماويون بمثلها ويستحيل علينا ان ندرك درجة حرارتها · وما عيبها الاّ انها بعيدة عنا ولكن لا بدَّ من ان يقربها التلسكوب الينا فنرى كيف تتصرف المواد فيها ويتعلم الكيماوي والطبيعي منها ما لا يعلمانهِ الآن فان احوال المادة هناك من السديم المنير الى النجوم المشعَّة الى السيارات القريبة منا تختلف عن احوالها عندنا

وقد يحتمل ان تنبئنا النجوم يوماً ما بسر الحياة · وهذا الامل بعيد التصوُّر الآن ولكن مَن كان يظن منذ مئة سنة اننا نتمكن من معرفة عناصر النجوم · وان كان الماضي قد كشف

لنا غوامض كثيرة فالمستقبل يكشف لنا غوامض اكثر منها

واقول في الختام ان علم التنجيم نفسهُ لم يخلُ من فائدة فان كبلر وتيخوبراهي كانا يعيشان من حساب الاقترانات وإخبار الملوك بها ولولا مخافة عقول اولئك الملوك وتصديقهم تلك الخرافات لكنا الآن نجهل كثيرًا مما صرنا نعرفهُ من سنن الكون · انتهى ملخصًا

اسباب الزلازل

ذكرنا في الجزء الماضي رأي لورد كلفن في سبب الزلازل ثم وقفنا على حديث في هذا الموضوع جرى مع الاستاذ ملن وهو اكبر ثقة في علم رصد الزلازل فانهُ اقام عشرين سنة في بلاد اليابان يدرس زلازلها وهي اكثر البلدان زلازل واستنبط لها آلات لرصدها· وهو يرصد الزلازل الآن في بيتهِ بجزيرة ويط ببلاد الانكليز بالآلة التي استنبطها لذلك وآلتهُ تشعر بحدوث الزلازل في كل المسكونة وتدلُّ عليها دلالة واضحة

قال محدثهُ سألتهُ هل الزلازل آخذة في الازدياد

فقال كلاَّ فقد حدثت زلازل في الاشهر القليلة الماضية انتبه لها الناس بنوع خاص لانها خرَّبت مدنًا كبيرة ولكن ما حدث منها ليس اكثر مما يحدث عادةً واذا حدثت الزلازل الشديدة في القفار او في البلدان القليلة السكان لم يُنتبه لها كما لو حدثت في المدن الكبيرة · والتغير مستمر في الكرة الارضية ولا دليل على ان هذا التغير يزيد في المستقبل عما هو في الحاضر او عما كان عليهِ في الماضي

(المحدث) — كم زلزلة يحدث كل سنة على ما تقدّر

(الاستاذ) — ان التقدير صعب لان اماكن كثيرة لم ترصد فيها الزلازل حتى الآن ولكنني ارجح ان عدد الزلازل التي تحدث كل سنة يبلغ ثلاثين الفًا

(المحدث) — اتعني انهُ يحدث نحو مئة زلزلة كل يوم من ايام السنة

(الاستاذ) — نعم واكثرها هزات طفيفة لا يشعر بها الناس او لا يلتفتون اليها ولكن آلات رصد الزلازل القائمة على مقربة منها تشعر بها وتدلُّ عليها ويحدث كل سنة نحو ستين زلزلة شديدة تشعر بها كل الآلات في مراصد رصد الزلازل . وقد حسبوا ان الزلزلة الشديدة تؤثر في صخور الارض على عمق ثلاثين ميلاً من وجهها

(المحدث) — ما هي اسباب الزلازل

(الاستاذ) — اسبابها التغيرات المستمرة التي تحدث في الارض فان قشرة الارض كبيرة ثقيلة وهي مرتكزة على باطن الارض وهذا الباطن آخذ في التقلُّص المستمر بسبب خروج الحرارة منهُ فينتج من ذلك تشقق الصخور وتصدُّعها واتساع الشقوق القديمة فيها اي ان طبقات الصخور التي زحلت عن مكانها في الزمن الماضي وهزت الارض بزحلتها تزحل ثانية وتسبب هزة اخرى · ثم ان للثقل يداً في إحداث الزلازل فاذا رسبت رواسب كثيرة في قاع البحر في البلدان المعرَّضة للزلازل ثقلت عليهِ فينصدع ويهزُّ الارض ويحدث عكس ذلك في الجبال والنجود التي تجرف الامطار جانباً كبيراً منها فانها تخفُّ عما كانت عليهِ وترتفع وقد يكون ارتفاعها هذا متدرجاً وقد يكون دفعةً واحدة فيزلزل الارض

(المحدث) — ولكن الا تحدث الزلازل من ثوران البراكين

(الاستاذ) — لقد كان هذا هو الراي الشائع ولكن ظهر الآن ان تأثير البراكين في الزلازل قليل جداً والغالب ان الزلزلة تسبق ثوران البركان فتكون سبباً لهُ لا نتيجة عنهُ اي ان اسباب الثوران تكون مهيأةً ويعوزها حركة شديدة لازالة ما يعوقها عن العمل فتأتي الزلزلة وتزيل العائق من طريقها · مثال ذلك ان الزلزلة التي حدثت في غواتمالا قبل ثوران بركان بالي الذي خرب سان بيير ايقظت ذلك البركان او ازالت العائق الذي كان يعوقهُ عن الثوران فثار وخرب المدينة

(المحدث) — لماذا تتلو الهزة الشديدة هزات خفيفة في اكثر الزلازل

(الاستاذ) — ان الهزة الشديدة تحدث غالباً من شق كبير يقع في جانب واسع من الارض والهزات الخفيفة التي تتلوها تحدث من ان الصخور التي انقدَّت بالشق الاول تأخذ تستقرُّ في اماكنها التي انتقلت اليها · ولذلك ينتظر ان تحدث هزات خفيفة في جاميكا في الشهرين التاليين

(المحدث) — هل دلَّت آلتك التي ترصد بها الزلازل (سسموغراف) على زلزلة كنجستون التي حدثت منذ عهد قريب

(الاستاذ) نعم وعرفتُ انهُ حدثت زلزلة قبلما وصلني خبرها بالتلغراف

ثم التفت الى الآلة واوضح لمحدثهِ كيف تدلُّ على اهتزاز الارض وشدَّة تأثرها من ذلك فانهُ اذا وضع يدهُ على الحائط المتصلة بهِ تحرَّك عقربها حالاً ودلَّ على الاهتزاز الطفيف الذي اهتزهُ الحائط من وضع اليد عليهِ . ثم قال لهُ المحدّث

حينما تدلُّ هذه الآلة على حدوث الزلزلة فهل تعلم اين حدثت

(الاستاذ) — نعم اني استطيع ذلك غالباً فان الزلزلة تسبب حركتين الواحدة تنتقل بسطح الارض والثانية بجسمها وهاتان الحركتان لا تصلان في وقت واحد بل في وقتين مختلفين والفرق بينهما يدلُّ على بعد الزلزلة · انظر الى هذه الورقة فانك ترى فيها خطوطاً متوازية وقد كانت ملفوفة على اسطوانة تدور بسرعة معلومة وعقرب الآلة يرسم هذه الخطوط المتوازية عليها و ينقطع الخط عند آخر كل ساعة فالنقط التي ينقطع فيها تدلُّ على الساعات· وترى فيها ارتجاجًا في مكانين الاول حدث الساعة ٨ والدقيقة ٤٧ والثانية ٤١ وهو مسبب عن الحركة التي وصلت الى هنا بجسم الارض والثاني حدث بعدهُ بثمانٍ وعشرين دقيقة · وقد ظهر لي بالاستقراء انهُ اذا كان الفرق بين الحركتين ٢٨ دقيقة فالبعد ٦٠ درجة فليس عليَّ الا ان اجعل هذا المكان مركزًا وارسم دائرة حولهُ قطرها ٦٠ درجة فتمرُّ بكندا واواسط الولايات المتحدة وجزائر الهند الغربية والقسم الجنوبي من الاوقيانوس الاتلنتيكي وجنوبي افريقية والاوقيانوس الهندي وبلاد تبت وبلاد سيبيريا · والبلدان التي تتتابع الزلازل من هذه الاماكن هي جزائر الهند الغربية وبلاد تبت فاذا حدثت الزلزلة في تبت لاتبلغنا اخبارها ولكنها اذا حدثت في جزائر الهند الغربية نسمع اخبارها حالاً في اليوم التالي وهذا هو الذي حدث

(المحدث) — اذًا انت تعتمدعلى كروية الارض في تعيينك المكانالتي تحدث فيهِ الزلزلة

(الاستاذ) — نعم

(المحدث) — قلتَ لي في اول الامر ان الزلازل الكبيرة التي تحدث في السنة الواحدة لا تقلُّ عن ستين عدًّا ولكننا لا نسمع بحدوث ستين زلزلة في السنة فما سبب ذلك

(الاستاذ) — سببهُ ان جانباً كبيرًا من الزلازل يحدث في البحار فلا يدري بهِ احد وجانباً آخر يحدث في القفار والاماكن القاصية التي لا تصلنا اخبارها

(المحدث) — اتظن انهُ يخشى من انتشار الزلازل وكثرة حدوثها حيث لا تحدث الآن

(الاستاذ) — كلاَّ ولكن يجدر بالناس الذين يسكنون في الاماكن المعرضة لحدوث الزلازل ان يستفيدوا ممَّا عرفناهُ بالاختبار ويبنوا مبانيهم على الاسلوب الذي عرف الآن انهُ اقوى من غيرهِ على احتمال فعل الزلازل

ثم بيَّن لهُ فوائد هذا العلم ولا سيما في مد اسلاك التلغراف البحري حيث لا تكثر الزلازل لانها تقطعها وعدَّد المراصد التي انشئت لرصد الزلازل في الدنيا واهتمام العلماء بها

اسهم التأسيس في الشركات

اعلن البنك الزراعي المصري منذ عهد قريب انهُ سيدفع ربحاً لحاملي اسهمهِ العادية بمعدل ٩ في المئة بالنسبة الى ثمن السهم الاصلي . وهو ربح كبير لا ينتظر ارباب الاموال ان يربحوا اكثر منهُ والغالب انهُ مضاعف ما يربحونهُ عادة ولذلك يكاد ثمن السهم العادي يتضاعف فان ثمنهُ الاصلي خمسة جنيهات ولكنهُ يساوي الآن اكثر من تسعة جنيهات . ولولا الخوف من هبوط الربح قليلاً في السنوات التالية بتخفيض معدَّل الفائدة من تسعة الى ثمانية لبلغ سعرهُ الآن اكثر من عشرة جنيهات

واسهم البنك الزراعي العادية التي نالت هذا الربح وهو تسعة في المئة تبلغ ٤٩٦٠٠٠ سهم قيمة السهم منها خمسة جنيهات . وللبنك سندات فائدتها محدودة واسهم ممتازة فائدتها محدودة ايضاً فهي كالسندات . واسهم تأسيس وهي الفا سهم فقط قيمة السهم الاصلية منها خمسة جنيهات لا غير وقد نالت في توزيع الارباح الاخير ٩٩٥٠٠ جنيه تخص السهم منها ٤٩ جنيهاً و١٥ شلناً اي ان سهم التأسيس الذي ثمنهُ الاصلي خمسة جنيهات ربح في سنة واحدة نحو خمسين جنيهاً فكأنهُ صار يساوي الف جنيه

ولا بد من ان يتساءَل الناس قائلين من اخذ هذه الاسهم الاخيرة حينما انشئَ البنك الزراعي وباي حق اخذها وكيف اجازت الحكومة ان تخص هذه الاسهم القليلة بهذا الربح الطائل وهل يبقى ربح هذه الاسهم على حالهِ او يزيد او ينقص

ولا تتعذَّر الاجابة على هذه المسائل كلها والذي يهمُّ الجمهور من ذلك ان الذين انشأوا هذا البنك وضمنوا جلب المال اللازم لهُ سواءٌ كان من الاسهم العادية او من السندات هم الذين اخذوا اسهم التأسيس لانهم عملوا عملاً كبيراً مفيداً فاستحقوا جانباً كبيراً من ربحهِ ولو لم تبح لهم الحكومة ذلك لما اقدموا على انشاء هذا البنك وضمانة المال اللازم لهُ . واذا نقص معدَّل الفائدة عن ٩ في المئة قلَّ ربح اسهم التاسيس نوعاً . وقد اعلن البنك الآن انهُ جعل معدل الفائدة ثمانية في المئة ولابدَّ من ان ينقصها ايضاً مع الزمن فاذا بلغت ٧ في المئة نقص نصيب اسهم التاسيس كثيراً لان ربح البنك تدفع منهُ اولاً فوائد السندات والاسهم الممتازة ومعدلها نحو ٤ في المئة ومقدار هذه الاسهم والسندات نحو ثلاثة ارباع رأس المال فاذا ديَّن البنك اربعة جنيهات بثمانية وعشرين غرشاً فمنها جنيه واحد من

الاسهم العادية وثلاثة من السندات والاسهم الممتازة وهو ينفق اربعة غروش على ادارته اي واحدًا في المئة فيبقى ٢٤ غرشًا يدفع منها نحو ١٢ غرشًا للسندات والاسهم الممتازة وللبنك الاهلي فيبقى ١٢ غرشًا يعطي منها خمسة غروش للمئة التي تقابل الاسهم العادية والباقي وهو ٧ غروش يقسم مناصفة بين الاسهم العادية واسهم التاسيس فيصيب السهم من الاسهم العادية ٣ ١/٢ فوق الخمسة ويصيب اسهم التاسيس مثلها وهذا اقل مما اصابها هذه السنة لان المبلغ الذي يمكن ان يوزع حينئذٍ على اسهم التأسيس لا يزيد على ٨٦٩٧٥ جنيهًا فيصيب السهم منها ٤٣ جنيهًا ونحو ٩ شلنات ولكن الزمن الذي تحط فيهِ الفائدة الى ٧ في المئة بعيد على ما يظهر فسيبقى ربح اسهم التاسيس وافرًا كما هو الآن بضع سنوات اخرى

وقد انتبهت الحكومة المصرية الى الغبن الذي يلحق اصحاب الاسهم الاعتيادية احيانًا من اعطاء جانب كبير من الربح لاسهم التاسيس فابطلتها في الشركات المصرية حاسبة ان ابطالها يمنع هذه الشركات عن اصدارها فجعل اصحاب الشركات ينشئون شركاتهم على حسب القوانين الانكليزية او البلجيكية التي تبيح اصدار اسهم التأسيس فلم تستفد البلاد شيئًا من امتناع الحكومة المصرية عن الترخيص باصدار اسهم التاسيس ان كانت قد قصدت فائدة الناس بذلك

ويظهر لدى امعان النظر ان الحكومة المصرية قد اخطأَت في امتناعها عن الترخيص باصدار اسهم التأسيس لان منشئي الشركات لا بد من ان يخصُّوا انفسهم بشيءٍ من الربح لقاء انشائها والاَّ امتنعوا عن ذلك وبطلت الفائدة من انشاء الشركات ان كان من انشائها فائدة. وهذا الربح الذي يختص بهِ منشئو الشركات إما ان يأخذوهُ معجَّلاً بتأليف نقابة تبيع المشروع للشركة بثمن تتقاضاهُ نقدًا او يأخذوهُ موَجلاً باسهم التأسيس ففي الحالة الاولى يؤخذ الثمن من المساهمين سواءٌ نجحت الشركة او لم تنجح كما فعل منشئو شركة الغزل والنسج المصرية وفي الحالة الثانية يؤخذ ربح اسهم التاسيس من المساهمين الاَّ اذا ربحت الشركة وزاد ربحها عن ريع الاموال التي يدفعها المساهمون فهي اقرب الى العدل وابعد عن الغبن من الحالة الاولى

نعم ان ربح اسهم التاسيس يظهر كبيرًا جدًّا اكبر من ربح الاسهم العادية سهمًا سهمًا ولكن سبب ذلك قلة اسهم التاسيس في المثل المتقدم عن البنك الزراعي لو جعل عدد اسهم التاسيس ٢٠٠٠٠٠ بدل ٢٠٠٠ لخص السهم منها اقل من نصف جنيه بدل خمسين جنيهًا ولم يظهر الربح كبيرًا كما ظهر الآن

وقد نشرت مجلة الاكونومست الانكليزية فصلاً اعترضت فيهِ على اسهم التأسيس مدعية ان الشركات تجدها عبئاً ثقيلاً عليها لكثرة ما تنالهُ من الربح فابدلت شركات كثيرة اسهم التاسيس باسهم عادية وكانت تبدل السهم الواحد من اسهم التاسيس باسهم كثيرة من اسهمها العادية فان شركة برمبتون وكنجستون الكهربائية ابدلت ما قيمتهُ الاصلية ٥٠٠ جنيه من اسهم التاسيس بما قيمتهُ اربعون الف جنيه من الاسهم العادية وعشرة آلاف جنيه من الاسهم الممتازة · وشركة ثانية ابدلت ما قيمتهُ الاصلية خمس مئة جنيه من اسهم التاسيس بما قيمتهُ ٢٥ الف جنيه من اسهمها العادية وشركة ثالثة ابدلت ما قيمتهُ الاصلية الف جنيه من اسهم التاسيس بما قيمتهُ مئة وعشرة آلاف جنيه من الاسهم العادية وشركة رابعة ابدلت ما قيمتهُ الاصلية مئة جنيه من اسهم التاسيس بما يساوي ستين الف جنيه من الاسهم العادية · وتحسب مجلة الاكونومست ان الشركات فعلت ذلك لفائدة اصحاب الاسهم العادية ولكننا نرجح ان اصحاب اسهم التاسيس اغتنموا فرصة السنين التي زاد فيها ربحهم واقنعوا مديري الشركات (ان لم يكونوا هم مديريها) حتى ابدلوا لهم اسهمهم باسهم عادية لان السهم العادي ربحهُ مضمون دائماً ويزيد وينقص ضمن حدود ضيقة واما سهم التأسيس فقد لا يربح شيئاً كما اذا لم يزد الربح عن خمسة او ستة في المئة فانهُ يعطى حينئذٍ كلهُ للاسهم العادية. فالسهم من اسهم التأسيس في البنك الزراعي المصري ربح في التوزيع الاخير قدر ما وزع على ١١٠ اسهم من الاسهم العادية فلو ابدل بمئة وعشرة اسهم عادية لبلغ ثمنهُ اكثر من الف جنيه فاذا ابدل البنك الزراعي كل سهم من اسهم التأسيس بمئة وعشرة اسهم من الاسهم العادية يكون قد اعطى اصحاب اسهم التأسيس ربحاً مستمرّاً يعادل ربح هذه السنة تقريباً وهم لا يطمعون باكثر من ذلك ولا بمثلهِ ولهذا لا يؤخذ ابدال الشركات اسهم التاسيس بالاسهم العادية دليلاً على استثقال الاسهم العادية وحب التخلص منها

هذا وعسى ان تعيد الحكومة نظرها في منع اسهم التاسيس لكي لا تضطر سكان القطر الى تأليف الشركات حسب القوانين الانكليزية والبلجيكية وعندها سبيل آخر تمنع بهِ الغبن عن اصحاب الاسهم العادية وهو ان تخصها بربح لا ينقص عن ٦ في المئة وما زاد على ذلك تعطى منهُ الجانب الاكبر حتى يبلغ ربحها ٨ او ٩ في المئة ثم تبدل الحال فيصير اكثر الربح الباقي لاسهم التاسيس فلا ينتفع اصحابها كثيراً الاّ اذا كان مشروعهم الذي اسسوهُ رابحاً جدّاً . لنفرض ان اسهم التاسيس تعطي الربح كلهُ حتى يبلغ ربحها ٦ في المئة وما زاد على ذلك

من الربح تعطى منهُ ثمانين في المئة والعشرون الباقية تعطى لاسهم التأسيس حتى يبلغ ربح الاسهم العادية ٩ في المئة وبعد ذلك تقلب النسبة فتصير زيادة الربح يعطى منها ٢٠ في المئة للاسهم العادية و٨٠ لاسهم التاسيس فتكون الاسهم العادية قد اخذت ٩ في المئة وما زاد فاكثرهُ لاسهم التاسيس . ولا يحق لمن يشتري سهماً من السوق لم يتعب في وضع مشروعهِ ولا في ادارتهِ ان ينتظر ربحاً اكثر من ذلك اما الذي وضع المشروع وتعب في ادارتهِ فيحق لهُ ان يتمتع بما يزيد من الربح جزاء لهُ وتنشيطاً لغيرهِ والاَّ بطلت المشروعات النافعة وبطل اهتمام الناس بها

اغنى اغنياء اميركا

المستر ويرهوسر

لقد كان المظنون ان جون ركفلر اغنى اغنياء اميركا ولكن ظهر الآن ان في اميركا رجلاً اغنى منهُ اسمهُ ويرهوسر واغرب من غنى هذا الرجل جهل الناس لهُ وما ذلك الاَّ لانهُ يكره الظهور ويتجنَّب المجتمعات العمومية وليس في احوالهِ المعاشية لا في بيتهِ ولا في لبسهِ ولا في نفقاتهِ ما يميزهُ عن عامة الناس . وتقوم ثروتهُ بثلاثين مليون فدان من الحراج (الغابات) التي امتلكها في مدة خمسين سنة . ولكن معرفة ما تقوم بهِ ثروتهُ لا يزيل الغرابة لانهُ كيف يمتلك انسان واحد ثلاثين مليون فدان اي ما تعادل مساحتهُ خمسة اضعاف اطيان القطر المصري ويبقى امرهُ مجهولاً ولا تذيعهُ جرائد اميركا التي تذيع كل كبيرة وصغيرة . لكن الجرائد بل المجلات الاميركية عرفت امرهُ اخيراً وصوَّرتهُ جريدة الكوسموبوليتان ووصفتهُ وصفاً مسهباً وقالت انهُ يكره المتباهين باموالهم ولا يحلو لهُ عيش الاَّ بالعمل فتصل يدهُ الى اقاصي البلاد المنتشرة فيها املاكهُ الواسعة وكأنهُ تعلَّم من الغابات الغبياء ان يبقي الناس غافلين عن امرهِ وهو يشارك كثيرين في ما يقتنونهُ ولكن لا يعلم احد من شركائهِ ما لهُ من الاشتراك مع غيرهِ فهو ملك اصحاب الغابات كلهم واذا وقعوا في مشكل او اعتاصت عليهم المسالك التفتوا اليهِ فيقول كلمتهُ وفيها فصل الخطاب لانهُ الحاكم الآمر في تلك البلاد

قالت المجلَّة المشار اليها ان ثروة هذا الرجل نتجت عن اسراف اهالي اميركا في قطع غاباتهم فانهُ رأَى ذلك منذ خمسين سنة وعلم انهُ اذا بقيت البلاد جارية هذا المجرى عزَّ وجود الغابات وغلا الخشب كثيراً فجعل يشتري كل ما يستطيع مشتراهُ من الغابات وقد تحقق

تقديره فغلا ثمن الخشب في السنوات العشر الاخيرة وسيزيد غلاؤُهُ جدًّا في العشرين سنة التالية. واذا بقي هذا الرجل حيًّا الى آخرها وبقيت غاباتهُ لهُ فاقت ثروتهُ كل احصاء وكل تقدير فان غابة الشجر التي كانت تساوي ٧٥ الف ريال منذ عشر سنوات لا تباع الآن بسبع مئة وخمسين الف ريال وقد بيعت غابة شجر منذ خمس سنوات باثني عشر الف ريال ثم بيعت الآن بخمس مئة الف ريال ويمكن ذكر امثلة كثيرة من هذا القبيل

ولا تعلم بالتحقيق مساحة الغابات التي يمتلكها ويرهوسر ولكن يرجح الخبيرون انها لا تقل عن ثلاثين مليون فدان اي خمسين الفًا من الاميال المربعة . وكذلك لا يمكن تعيين الثمن الذي تساويهِ هذه الغابات بالتدقيق ولكن ويرهوسر باع منذ عهد قريب ميلاً مربعاً من غاباتهِ بستة وسبعين الف ريال فاذا بيعت غاباتهُ كلها بهذا السعر بلغ ثمنها ٣٨٠٠ مليون ريال اي ٧٦٠ مليون جنيه وهذا يجعل ثمن الفدان ١٣٠ ريالاً او نحو ٢٦ جنيهاً وهو ليس ثمناً غالياً للغابات المملوءة بالاشجار واذا فُرض ان ثمن الفدان عشرة جنيهات فقط فثروة هذا الرجل تساوي ثلثمئة مليون جنيه وثروة جون ركفلر لا تقدَّر باكثر من مئتي مليون جنيه

وويرهوسر الماني مولدًا واميركي منشئاً ومقاماً. ولد في جنوبي المانيا سنة ١٨٣٤ وكان فلاحاً يحرث الارض فاقام فيها الى ان صار عمرهُ ١٨ سنة ثم هاجر الى اميركا واتى ولاية بنسلفانيا وانتقل منها الى الينويز ودخل معملاً لنشر الخشب تخدم فيهِ وكان دئباً على عملهِ دقيق النظر فيهِ فلم تمضِ عليهِ ستة اشهر حتى صار مديرًا لذلك المعمل وتعرَّف بشاب آخر الماني الاصل اسمهُ دنكمن وتصادقا وكانا كلاهما مقتصدين مجتهدين واراد اصحاب المعمل ان يبيعوهُ فاشترياهُ منهم. وطاف ويرهوسر في ولاية وسكونسن ليرى ما فيها من الغابات فاستغرب اسراف الناس في قطع شجرها وزاد هو وشريكهُ اقتصادًا واجتهادًا حتى جمعا من المال ما يكفي لمشترى بعض تلك الغابات فاشتريا كثيرًا منها بثمن بخس جدًّا وانشأا معامل لنشر الخشب فزادت ثروتهما وزاد عملهما . وجعل ويرهوسر يمدّ عروقهُ في البلاد وانشأ الشركة العظيمة المعروفة بسنديكات ويرهوسر وانتخب رئيساً لشركات اخرى واشترى شركات غيرها فاشترى شركة نلسن بمليوني ريال وعندها من الغابات ما يقدَّر خشبهُ بست مئة مليون قدم

وظلَّ يبتاع الغابات وينشئ الشركات حتى صارت شركاتهُ تقطع كل سنة من الخشب ما يساوي الف مليون قدم وامتلك كل الغابات في وادي المسسبي . وقد ذكرت مجلة الكسمو بولتن ثلاث عشرة شركة قالت انها لهُ فعلاً لان شركاءهُ فيها لا يمتلكون الا قليلاً منها وهو يدير الاعمال ويقطع الاسعار كما يشاء

وقد يقال ان كبار الاغنياء حصّلوا ثروتهم بطرق غير محللة كما اتضح اخيراً فهل جرى ويرهوسر مجراهم . والجواب انهُ جرى هذا المجرى على نوع ما لان غيره اختلس وهو اخذ الغنيمة وتفصيل ذلك ان الحكومة الاميركية كانت تهب كل احد مئة وستين فداناً من اراضيها الزراعية اذا تعهد باحيائها وزرعها . وعندها غابات واسعة جداً من الاشجار حكمت ان لا تباع ولا تؤجر واجتمع مجلسها النيابي سنة ١٨٩٧ واقرَّ في الجلسة الاخيرة من جلساتهِ انهُ اذا أُعطي احد ارضاً وجدها غير صالحة للزراعة حق لهُ ان يبدلها بغيرها من اراضي الحكومة فداناً بفدان من غير قيد . والذين سنُّوا هذا القانون ارادوا الاحسان الى الذين اخذ الواحد منهم مئة وستين فداناً ووجدها غير صالحة للزراعة ولكن كان في البلاد كثير من شركات سكك الحديد ولكل شركةٍ منها اراضٍ واسعة جداً على جانبي خطها منحتها اياها الحكومة مع الامتياز فباعت الجيد منها وبقي لها القفار القاحلة فلم يكد ذلك القانون يسن حتى جعلت هذه الشركات تترك اراضيها القاحلة وتبدلها بالغابات المملوءة بالاشجار الكبيرة فابدلت ما مساحتهُ اربعة ملايين فدان من القفار بما لا يثمن من الغابات وكأنها كانت متواطئة مع اعوان ويرهوسر فاشتروها منها حالاً بثمن بخس ستة ريالات الفدان الذي يساوي مئة ريال على الاقل ومنها الغابات التي بيع مئة وستون فداناً منها بستة وسبعين الف ريال كما تقدم

ومن هذا القبيل ان ولاية اوريغون وهبت احدى الشركات ارضاً واسعة منذ نحو خمسين سنة لكي تنشئ سكة مركبات فيها ثم خربت السكة وكان في ارضها غابات فسيحة كبيرة الشجر فاستردت الحكومة ثمانمئة الف فدان منها واضافتها الى غاباتها العمومية ثم انتقلت هذه الارض الى يد رجل واحد بطرق خفية واشتراها ويرهوسر منهُ بمليون ريال اي انهُ اشترى الفدان منها بريال وربع لا غير ولم يكد يتم ذلك حتى خولت شركتهُ ان تبدل مئة واحد عشر الف فدان من اراضٍ قاحلة تملكها بسبعة وثمانين الف فدان من الغابات التي يقدَّر ثمنها باكثر من ثلاثة ملايين ومئتي الف ريال

هذه الاعمال يعملها اعوان ويرهوسر وهو مقيم في بيتهِ شيخاً ساذجاً في معاملاتهِ كريماً في اخلاقهِ. وعلى هذا النمط اغتنى كثيرون او جمعت لهم الاموال ووكلوا بها كانهم خزنتها الى ان يموتوا فتنتقل الى ورثتهم فيبددوها وتعود الى الامة التي جمعت منها

مفاخر البطالسة

كليوباطرة السابعة

هي اشهر ملكات مصر ان لم تكن اشهر ملكات الارض . وُلدت في شتاء سنة ٦٩ قبل المسيح . واوصى ابوها بالملك لها ولاخيها الاكبر وحلّف الرومانيين بكل آلهتهم ان ينفذوا وصيتهُ وارسل نسخةً منها الى رومية لكي توضع في خزانة المملكة لكن الاضطراب كان سائدًا حينئذٍ فنعم من وضعها حيث اراد فابقاها بمبايوس عندهُ وترك النسخة الثانية في الاسكندرية . وانتقل الملك الى كليوباطرة وعمرها سبع عشرة سنة واقترنت باخيها بطليموس الرابع عشر واشركتهُ معها في الملك حسب وصية ابيها لكنهُ كان ولدًا في التاسعة من عمرهِ فكان الملك كلهُ في يدها وبعد سنتين او ثلاث اختصمت مع مشيرهِ بوثينوس الخصي وكان هذا الرجل مسموع الكلمة وتحزَّب بطليموس لهُ فاضطرت كليوباطرة ان تغادر القطر المصري وتلجأ الى بلاد الشام وكان لها اصدقاء فيها فتمكنت بواسطتهم من جمع الجنود وعادت بهم الى مصر وبلغ اخاها خبرها فجيش الجيوش وقام للقائها عند حدود الديار المصرية وكان معهُ كثيرون من جنود بمبايوس الذين جاء بهم غابنيوس من بلاد الشام وتركهم في الاسكندرية لحراسة ابيهِ بطليموس الثالث عشر . واتفق انهُ بينما كان بطليموس الرابع عشر مخيماً عند جبل قاسيوس متربصاً للقاء اختهِ وفد عليهِ بمبايوس لاجئاً الى مصر مع زوجتهِ كورناليا منتظرًا ان يجد عونًا من ملكها على اعدائهِ وفاء بما لهُ من الفضل على ابيهِ فوصل الى بلوزيوم (الفرما) بالفي مقاتل وارسل امامهُ رسلاً يخبر بطليموس بقدومهِ فقابل وزراء بطليموس الرسل وارسلوا يستدعون بمبايوس الى مصر وقد كادوا لهُ ليقتلوهُ وارسلوا اليهِ اخلاّس معلم الملك ولوسيوس سبتيموس الذي كان ضابطاً من ضباط بمبيوس وارسلوا معهما زورقًا صغيرًا ليأتي بهِ من سفينتهِ الى البر فاستغرب بمبايوس هذا الاستقبال المهين لكنهُ نزل في القارب وسار فيهِ وهو لا يوجس شرًّا والتفت الى لوسيوس سبتيموس فعرفهُ وكلمهُ في ذلك ولكنهُ لم يشعر الاَّ وسبتيموس طعنهُ بخنجر في صدرهِ وقام اعوانهُ واجهزوا عليهِ وكان رجال بوثينوس الخصي هناك فقطعوا رأسهُ ليحضروهُ الى قيصر لكن قيصر اغتاظ من هذه الفعلة الشنعاء وامر بقتل بوثينوس واخلاّس

والظاهر انهُ لم تقع حينئذٍ معركة فاصلة بين كليوباطرة واخيها . وفي السنة التالية جاءها

المدد من يوليوس قيصر فانهُ دخل الاسكندرية بثلاثة آلاف ومئتي مقاتل وسار والصولجان امامهُ فظن الاسكندريون انهُ جاءهم ليمتلك بلادهم باسم رومية فثاروا عليهِ وقتلوا كثيرين من رجالهِ حتى اضطر ان يستدعي الجنود من سورية ولما وصلوا اخذ يسكّن هياج الشعب مدعياً ان ما وقع من الخلاف بين كليوباطرة واخيها اضطرهُ الى الحضور اليهم لان ملكهم السابق عقد محالفة مع رومية وهو قنصل رومية . وكان لهُ دافع آخر يدفعهُ الى هذا العمل وهو ان بطليموس استدان منهُ ١٧ مليوناً ونصف مليون من الغروش فقصد ان يستوفيها . فلما علم بوثينوس مرادهُ بعث الى الفرما واستدعى الجنود وعقد لواءهم لاخلاَّس واوقد نار الفتنة في البلاد كلها فوصلت الجنود واستولى اخلاَّس على الاسكندرية كلها الاَّ حيث كان يوليوس قيصر مقيماً والحال نشبت الحرب بينهُ وبين قيصر فكان الفوز لقيصر وحرق السفن المصرية التي كانت تحمي المرفأ واستولى على جزيرة المنارة ويقال ان النار وصلت الى اهراء الحبوب فحرقتها وانها احرقت ايضاً كتباً ثمينة

وعزمت كليوباطرة على ان تجتمع بقيصر ويقال انهُ هو استدعاها اليهِ فاخذت ابلودورس الصقلي ونزلت في زورق صغير وسارت بهِ الى القصر وكان الوقت ليلاً والتفت بفراش وحملها ابلودورس ودخل بها من باب القصر لانهُ لم يكن في الامكان ان تدخلهُ بطريقة اخرى من غير ان يُعلم امرها . ويقال ان هذه الحيلة سرَّت قيصر لانها ابانت لهُ اقدام هذه المرأة وجسارتها فسمع لها معجباً بفصاحتها وجمالها ولم تخرج من حضرتهِ الاَّ وقد صار عبداً لها . جاء ليفصل بينها وبين اخيها باسم رومية وعلى حسب العدل الروماني فاصبح ولا غرض لهُ الاَّ نصرتها

ولما بلغ بطليموس ان قيصر صار من عشاق اختهِ احتدم غيظاً ونزع تاجهُ عن رأسهِ ونادى برجالهِ قائلاً هل تصبرون على هذه الخيانة فنهضوا كلهم كرجل واحد وهجموا على قيصر وتغلبوا على رجالهِ وكادوا يصلون اليهِ ويفتكون بهِ فخاف منهم ووعدهم ان يعطيهم كل ما يطلبون ثم امر فاجتمع مجلس عام وقرأ عليهم وصية ملكهم المتوفى واعطى قبرص لارسنوي واخيها بطليموس الخامس عشر لكن الشغب لم يخمد لان غانيميدس الخصي اخذ ارسنوي ونادى بها ملكة فزادت الفتنة استحكاماً . واشار غانيميدس على الشعب فقتلوا اخلاَّس وجعلوهُ هو قائداً لهم وقامت الحرب على قدم وساق في المدينة كلها وقتل كثيرون من رجال قيصر وكاد هو يغرق في البحر لو لم يكن ماهراً في السباحة فانهُ وقع في الماء ورداءُ الارجوان على كتفيهِ واوراق في يدهِ فطرح الرداء عنهُ ورفع الاوراق بيسارهِ وسبح بيمينهِ فنجا واخذ الاسكندريون الرداء ورفعوهُ على بيرق غنيمةً

ومضت شهور وقيصر يحاول الاصلاح بين كليوباطرة واخيها فلا يستطيع واخيرًا نشبت الحرب بينهُ وبين المصريين على ضفة النيل ففاز عليهم وكاد يفنيهم وغرق ملكهم وهو يحاول عبور النيل فتم الفوز لقيصر بعد جهاد تسعة اشهر . وركب النيل هو وكليوباطرة وسارا باربع مئة مركب يتفقدان احوال البلاد وزوَّجها باخيها بطليموس الخامس عشر فشاركها في الملك حسب الظاهر وحقيقة الحال انها استقلَّت بالملك وصارت خليلة لقيصر ورزقت منهُ ولدًا . ولما عاد قيصر الى رومية دعاها اليهِ فتبعتهُ واخذت معها ابنها منهُ وزوجها . وسمي ابنها قيصريون اي قيصر الصغير ويقال انهُ كان شديد الشبه بابيهِ . وبقيت كليوباطرة في رومية الى ان قتل قيصر غيلةً فعادت الى مصر

وسنة ٤١ قبل المسيح امرها مرقص انطونيوس ان تأتي اليهِ الى طرسوس وتبين لهُ الاسباب التي حملتها على مساعدة خصومهِ فتلكأت عن اجابة طلبهِ ولما ألحَّ عليها بالحضور وتهددها سارت اليهِ وصعدت في نهر قدنس راكبة سفينة مذهبة شراعها من الارجوان ومجاذيفها من اللجين والمجذفون يجذفون على نغم العود والقيثار وكانت لابسة لبس الزهرة متكئة تحت خيمة مزركشة بالذهب والغلمان حولها في صور آلهة الحب يروّحون لها بالمراوح والجواري الحسان يدرنَ دفة السفينة ويشددنَ حبالها وهنَّ لابسات لباس عرائس البحر والاهات اليونان ورائحة العود والصندل والطيوب الكثيرة تملأ ضفتي النهر . فارسل انطونيوس ودعاها اليهِ لتتعشى معهُ فاجابتهُ بدعوتهِ اليها ليتعشى معها . فرأى ان من الشهامة اجابتها الى طلبها واندهش مما رآهُ عندها من دلائل المجد والابهة وزارتهُ في اليوم التالي لتتغدى عندهُ فرأت انهُ لا يستطيع ان يكرمها كما اكرمتهُ لان ما عندهُ من ادوات الطعام والشراب ووسائل الراحة والرفاهة لا يعدُّ شيئًا في جنب ما عندها . ولما رأت انهُ رجل حرب وجلادٍ لا رجل ملك وابهة جعلت حديثها من نوع حديثهِ فاستهوتهُ وفتنتهُ . وكانت زوجتهُ فلفيا تحارب اكتافيانوس قيصر رومية لاجلهِ والفرس يتحفزون للهجوم على سورية ومع ذلك انقاد الى كليوباطرة ورافقها الى الاسكندرية وعاش معها عيشة التنعُّم والبذخ والبطر كأنهُ استعبد لها ولم يعد شيءٌ يشغلهُ عنها حتى قال اكتافيانوس "لقد رسخ في ذهني الآن ان تلك الملعونة سحرتهُ"

واقامت كلوباطرة مع انطونيوس نهارًا وليلاً ولم تعد تفارقهُ ساعة وكانت تلعب معهُ بالنرد وتخرج معهُ للصيد وتسري معهُ ليلاً في شوارع المدينة لابسة لبس غلام وهو يضحك ويمزح مع الغوغاء وكان الاسكندريون يسرون بمزحهِ معهم ومداعبتهِ لهم ويكيلون لهُ الصاع

صاعين ويقولون انهُ يلبس عُدة الحرب للرومانيين وثياب المجون للمصريين واباح لكليوباطرة ان تفعل ما تريد وتعتدي على كل الشرائع الدينية والدنيوية فقتلت اختها ارسنوى في هيكل ارطاميس بمغنيسيا وسرابيون حاكم قبرص واخاها بطليموس الخامس عشر الذي زوَّجها بهِ يوليوس قيصر

وجملة القول ان انطونيوس تعبَّد لها ولم يعد يهمهُ شيءٌ سواها واباح لها ان تفعل كل ما تشاء . واخيرًا بلغهُ ان زوجتهُ فلفيا اضطرت ان تهرب من رومية وان الفرس اجتاحوا سورية فاستيقظ من سباتهِ وصحا من سكرهِ وقام لمناوأة اعدائهِ وكتبت اليهِ زوجتهُ تستدعيهِ اليها فاقلع الى ايطاليا بمئتي سفينة لكن زوجتهُ ماتت قبل وصولهِ . واصطلح اكتافيانوس معهُ على ان يقتسما المملكة الرومانية مناصفةً . ثم تزوَّج با كتافيا اخت اكتافيانوس لانهُ كان يحسب كليوباطرة خليلةً لا حليلةً . واقام مع اكتافيا مدة وهو على تمام الوئام والصفاء ثم سلم اولادهُ من فلفيا زوجتهِ الاولى ومن اكتافيا زوجتهِ الثانية لاكتافيانوس واقلع قاصدًا اسيا ولم يكد يبلغ سواحل الشام حتى خطرت كليوباطرة على بالهِ واتقدت نار حبها في فؤَادهِ فارسل استدعاها اليهِ ولما وصلت منحها فينيقية ولبنان وقبرص وقسمًا من كليكية ومن اليهودية حيث ينبت البلسم وقسمًا من بلاد الانباط . قال يوسيفوس وبلاد البلسم قرب اريحا فاستأجرها منها هيردوس ملك اليهود . وزعم يوسيفوس ان كليوباطرة احبت هيردوس ونصبت لهُ شراك حبها فعزم على قتلها لكن مشيريهِ نهوهُ عن ذلك وحذروهُ العاقبة فاحسن وفادتها واهدى اليها هدايا كثيرة وشيعها الى مصر . ورواية يوسيفوس لا تعقل لان هيردوس كان يعلم بطش انطونيوس فلا يجسر ان يمدَّ الى كليوباطرة يدًا

وحارب انطونيوس الفرس وقهرهم وعاد الى سورية واقام بين بيروت وصيداء في قرية تسمى القرية البيضاء منتظرًا كليوباطرة وكان عازمًا على الذهاب الى ارمينية لكن بلغهُ ان اكتافيانوس بعث اليهِ زوجتهُ اكتافيا . والظاهر ان اكتافيانوس علم بافتتان انطونيوس بكليوباطرة فارسل اليهِ زوجتهُ حتى اذا اغضبها بشيءٍ من الاشياء وجد لهُ سبيلاً عليهِ . فلما وصلت الى اثينا رأَت مكاتيب انطونيوس تنتظرها هناك لكي لا تأتي اليهِ وكانت كليوباطرة قد سمعت بعزم اكتافيا على المجيء فأسقط في يدها وجعلت تبدي الحب والدلال لانطونيوس حتى اقنعتهُ انها لا يهنأُ لها عيش في الابتعاد عنهُ وانهُ اذا تركها ماتت وجدًا وجعلت اخصاءها يكررون ذلك على مسمعهِ فابطل ما كان عازمًا عليهِ من الحملة على بلاد

الارمن وخطب ابنة ملك الفرس لاحد ولديهِ من كليوباطرة وعاد مع كليوباطرة الى مصر واقام في الاسكندرية كأنهُ من عامة الناس ولبس لباس اليونان بدلاً من لباس الرومان وجمل بمجالس اليونانيين دون سواهم اكراماً لكليوباطرة ولم يعد يذهب الاَّ الى الهياكل والمدارس للمذاكرة مع العلماء واولم وليمة فاخرة عند اول مجيئهِ الى الاسكندرية نصب فيها عرشين مذهبين عرشاً لهُ وعرشاً لكليوباطرة ونصب عروشاً اصغر منهما لاولادهِ ونادى بكليوباطرة ملكة مصر وقبرص وليبية ولبنان واقام قيصريون ابنها من يوليوس قيصر شريكاً لها في الملك ولقبها ملكة الملوك ولقب كل ولد من ولديها منهُ ملك الملوك واعطى الاول منهما ارمينية وبلاد مادي وفارس والثاني فينيقية وسورية وكليكية . وجعلت كليوباطرة تلبس لبس ايسس الهة مصر وسمت نفسها ايسس الجديدة والبست انطونيوس لبس اوسيرس وديونيسوس وفتنت الجميع بجمالها وفصاحتها

وعادت اكتافيا الى رومية فاغتاظ اكتافيانوس من اهانة انطونيوس لاختهِ وحرك مجلس الشيوخ واوغر صدورهم وصدور الجنود فاعلنوا الحرب على كليوباطرة فتحفز انطونيوس للقائهم ومضى الى افسس وجمع منها ثمانمئة سفينة وذهبت كليوباطرة معهُ فاولما الولائم في ساموس ومضت ايام ولا يسمع في تلك الجزيرة سوى اصوات المغنين . ووصل انطونيوس الى اثينا وواصل الملذات وارسل اناساً من هناك الى رومية ليطردوا اكتافيا من بيتهِ . فدهش الناس من ذلك لان اكتافيا كانت اجمل من كليوباطرة واصغر سناً ومن ثم جعل انطونيوس واكتافيانوس يستعدان للحرب والتقيا عند اكتيوم وبينما رحى الحرب دائرة والفوز فيها غير محقق لفريق على فريق رفعت سفن كليوباطرة شراعها وخرجت من حومة الوغى عائدة الى مصر ورآها انطونيوس فنسي ما هو فيهِ وترك جنودهُ وركب سفينة صغيرة واسرع وراءها حتى اذا دنا منها اوقفت سفينتها واصعدتهُ اليها ولما وصل الى ساحل ليبية نزل الى البر وترك كليوباطرة تعود الى مصر وحدها وحاول الانتحار فمنعهُ اعوانهُ من ذلك واتوا بهِ الى الاسكندرية

وحاولت كليوباطرة ان تهرب من مصر بطريق البحر الاحمر وجرت بعض السفن براً الى برزخ السويس فحرقها العرب فعادت تحصن مصر لكي تمنع اكتافيانوس من دخولها وقطعت رأس ملك ارمينية (وكان انطونيوس قد احضرهُ معهُ الى مصر) وارسلتهُ الى ملك الفرس لكي تستنجد بهِ لان ملك الفرس كان معادياً لملك ارمينية . ووصل انطونيوس اليها وعادا الى ابلام الولائم واقامة مجالس الانس والطرب وجعلت كليوباطرة تجرّب السموم المختلفة في

المحكوم عليهم بالقتل لتعلم ايها اقتل حتى تلجأ اليهِ اذا غلبها اكتافيانوس فوجدت ان سم الصل اقتل من سائر السموم واقلّها المًا · وارسلت وفدًا الى اكتافيانوس تسترضيهِ وتطلب منهُ ان يسمح لاولادها بملك مصر ولانطونيوس ان يذهب الى اثينا و يعيش فيها معتزلاً فاجابها انهُ يعطيها كل ما تريد اذا قتلت انطونيوس · وارسل اليها ثرسوس الخطيب ليقنعها بذلك فاغتاظ انطونيوس منهُ وجلدهُ وردَّهُ الى اكتافيانوس

واخيرًا وصل اكتافيانوس الى مصر بطريق سوريَّة فامرت كلوباطرة سلوقس والي بلوز يوم (الفرما) ان يسلّمهُ تلك المدينة ثم جمعت كل ما عندها من الذهب والفضة والزمرُّد واللؤلؤ والعاج والابنوس والقرفة وما اشبه ووضعتها في قبر فخيم كانت قد بنتهُ لنفسها قرب هيكل ايسس · وخاف اكتافيانوس ان تقتل نفسها وتحرق كل كنوزها فجاء بجنودهِ الى الهيبودروم (ميدان السباق) وخرج انطونيوس اليهِ محاربًا فهرب فرسان اكتافيانوس من وجههِ · ودعا انطونيوس اكتافيانوس الى المبارزة فلم يلبِّ طلبهُ كبرًا فعزم انطونيوس ان يحاربهُ برًّا وبحرًا لكن الجنود والبحارة تركوهُ بخيانة كليوباطرة وانضموا الى اكتافيانوس على ما قالهُ المؤرخ ديون كاسيوس فصرخ انطونيوس قائلاً خيانة خيانة · وخافت كليوباطرة منهُ فهربت الى قبرها من وجههِ واقفلت الباب وارسلت رجالاً يخبرونهُ انها ماتت فدخل مخدعهُ وامر عبدهُ اروس ان يقتلهُ اما العبد فاستلَّ سيفهُ واغمدهُ في صدرهِ بدلاً من ان يغمدهُ في صدر سيدهِ ورأى انطونيوس ذلك منهُ فاستلَّ سيفهُ واغمدهُ في صدرهِ اقتداء بعبدهِ فجرح جرحًا بالغًا ولكنهُ لم يمت ونادى الذين حولهُ وطلب منهم ان يجهزوا عليهِ فلم يجسروا واتى حينئذٍ ديوميدس كاتب كليوباطرة ليأخذهُ اليها فلما سمع انها لم تزل حية امر الذين حولهُ ان يحملوهُ اليها لكنها لم تستطع ان تفتح لهُ الباب فدلَّت حبالاً من كوة وربطهُ الخدام بها وكان معها جاريتان فرفعتاهُ معها بالحبال ووضعتهُ على سرير وجعلت تبكي وتنوح وتمزق ثيابها وتلطم صدرها وتمرّغ وجهها بدمهِ · وطلب هو قليلاً من الخمر واوصاها ببعض الوصايا واسلم الروح

ولما بلغ اكتافيانوس خبر موتهِ دخل خيمتهُ وبكاهُ ثم ارسل بركليوس ليأتيهُ بكلوباطرة حيَّة حتى يعود بها الى رومية مقيدة في موكبهِ ودخل بركليوس القبر بحيلة وكانت عازمة على الانتحار فنزع الخنجر من يدها

وسمح اكتافيانوس لكليوباطرة ان تدفن انطونيوس بما يليق من الاكرام كملك عظيم الشأن · ثم مرضت بالحمى فنحل جسمها وامتنعت عن الاكل لعلها تموت جوعًا وزارها

آكتافيانوس حينئذٍ ورآها لابسة لبسة المتفضل ومتكئة في سريرها وحولها صوَر يوليوس قيصر ومكاتيبهُ فجعلت تقبّل تلك المكاتيب وتبكي وتتأسف لانها لم تمت قبله فوقف امامها مطرقًا ولم يرفع نظره اليها بل قال لها تشجعي واطمأني فانهُ لا ينالك مني اذًى . ولما رأت انهُ لم ينظر اليها انطرحت على قدميهِ وجعلت تتوسل اليهِ ليسمح لها ان تموت وتلحق بانطونيوس فعاد الى كلام التعزية والتشجيع ثم خرج من غرفتها وامر عتيقهُ ابا فروديتوس ان يراقب حركاتها وسكناتها لئلا تقتل نفسها

ولما رأت ذلك غيّرت اطوارها واوهمت الناس انها عدلت عن عزمها الاول وصارت تحب الحياة حتى انخدع آكتافيانوس وسمح لها ان تذهب الى قبر انطونيوس لتسكب السكائب عليهِ فلما وصلت اليهِ اغتسلت واكلت وجاءها رجل بسلّة تين فيها صلٌّ صغير فاخرجت كل احد من القبر غير جاريتيها ايراس وشارميون واتكأت على سرير ذهبي وجعلت الصل يلسعها في ذراعها او صدرها واقتدت جاريتاها بها . وكانت قد كتبت الى آكتافيانوس تطلب منهُ ان يسمح بدفنها الى جانب انطونيوس فاوجس شرًّا وارسل رجالاً ليأتوهُ بجلية خبرها فوجدوها ميتة على سرير ذهبي بحلتها الملكية وشارميون تصلح التاج على رأسها وهي تتسكع في حالة النزع وايراس مطروحة عند قدميها في النزع ايضًا وهي تقول احسنتِ ياشارميون وشارميون تقول نعم ومَن احرى بالتاج من سليلة البطالسة . وامر انطونيوس بدفن كليوباطرة الى جانب انطونيوس بما يليق من الاكرام والاجلال وبدفن جاريتيها ايضًا

وكان عمر كليوباطرة تسعًا وثلاثين سنة لا غير فملكت اثنتين وعشرين سنة . وقد رآها انطونيوس اول مرة وهي فتاة صغيرة وكان وقتئذٍ في حاشية غابنيوس لما كان في الاسكندريةَ والظاهر انهُ احبها من ذلك الحين ثم رآها في طرسوس وكان كهلاً في الاربعين من عمرهِ ففتن بها حالاً ولما مات كان عمرهُ نحو ست وخمسين سنة . وقتل آكتافيانوس قيصرون ابنها من يوليوس قيصر وانتلوس ابن انطونيوس من فُلفيا لكنهُ ابقى على اولادها من انطونيوس وامر ان يربوا ويعلَّموا كما يليق باولاد الملوك كأنهم من انسبائهِ

وقد اختلف المؤرخون الاقدمون في وصف كليوباطرة وتقدير مزاياها العقلية وجمالها الفتان لكنهم متفقون على انها كانت من اجمل نساء عصرها واعذبهم منطقًا يعشقها كل من يراها ويسمعها ولو كان طاعنًا في السن الاّ ان فلوطرخس المؤرخ انكر نسبة الجمال المفرط اليها ولو لم ينكر انها كانت فتانة ونسب مهارتها في اجتذاب القلوب الى عذوبة منطقها وذلاقة لسانها وحسن بيانها وقال انها قلما كانت تحتاج الى مترجم حينما تكلم البرابرة لانها كانت

تتكلم بلسان الاحباش والعبرانيين والعرب والسوريين والماديين والفرس وتعرف لغات اخرى مع ان اسلافها البطالسة لم يكونوا يتعلمون لغة ولا اللغة المصرية وبعضهم كان يجهل اللسان المكدوني

واناخ يوسيفوس عليها فوصفها بكل وصف قبيح وقال انها كانت فاسدة السيرة والسريرة طمّاعة الى الدرجة القصوى تستبيح المحرمات وتستحلّ نهب الهياكل والقبور وكانت عبدةً لشهواتها سخرت انطونيوس وجعلته يعمل كل ما تريد وتشتهي

ووصفها ديون كاسيوس بمثل ذلك وقال انها كانت غيورة طمّاعة تحب الأبّهة والمباهاة

والظاهر من كلام فلوطرخس ان اكتافيا زوجة انطونيوس كانت اجمل منها · ولا شبهة في ان كليوباطرة كانت جميلة وانها استخدمت جمالها لنيل مآربها ولكن ذلك لا يفسّر تغلبها على اثنين من اعظم قوّاد الرومانيين واشدهم بأساً وهما يوليوس قيصر ومرقص انطونيوس فلا بدَّ من انها كانت ممتازة بذكاء عقلها وعذوبة منطقها · والظاهر انها كانت تحب العلوم والفنون كما يستدل من استيهابها انطونيوس مكتبة برغاموس وفيها مئتا الف كتاب ونقلها الى الاسكندريَّة بدل الكتب التي حرقت في عهد يوليوس قيصر

وقد اكتفى المؤرخون الاولون بقولهم انها كانت جميلة ولم يصفوا شكلها فلا يعلم مما كتبوهُ ولا مما وجد من رسومها انها كانت بيضاء او سمراء شقراء الشعر او سوداءهُ · اما الصور التي على المباني المصرية فلا فائدة منها لانها ترسمها رسماً دينيًّا مثل كل الملكات · واما النقود فادلُّ منها على شكل وجهها في زمن من حياتها ولا يظهر من نقودها التي رأيناها انها كانت على شيء من الجمال · وقد رجح الدكتور بدج ان في عروقها شيئًا من الدم السامي وانها كانت بيضاء الوجه شقراء الشعر مثل نسل الاوربيين والساميين المقيمين في سورية ومصر · ومهما كانت عيوبها فلا شبهة في انها انتحرت لتنجو من الذل والعار وفي ذلك من الشجاعة ما فيهِ

وبنيت في ايامها بعض المباني الدينيَّة في دندرا وارمنت وبها انقرضت دولة البطالسة العظيمة وزال استقلال مصر من ذلك الحين

ومن شاء زيادة التفصيل فليقرأ رواية كليوباطرة التي نشرناها في المقتطف منذ اربع سنوات

مصر والسودان

الرسالة الثالثة في ام درمان

من يقرأ كتاب سلاتين باشا لا يسعهُ ان يزور السودان من غير ان يدخل ام درمان ويرى ما فيها من الاماكن المذكورة فيهِ ولو كانت ذكراها ترتعش منها المفاصل وتقشعر لها الابدان. ولم اكد ادخل باب هذه المدينة حتى تذكرت كل ما قرأتهُ عنها فتخيلت الجموع في ساحة الجامع تنصبُّ عليهم اشعة الشمس المحرقة وهم الوف شملهم الظلم واشتركوا في الضراء وسلاتين باشا نفسهُ راكع تحت الكوة التي يطل منها الخليفة يفكر في وسيلة ينجو بها من الاسر والعذاب وكأن بلاد السودان تركت للسيف والجوع والاوبئة حتى يفنى سكانها وتخرب ديارها ولا يبقى فيها للحضارة اثر. ثم خطرت ببالي الساحة التي كان الاسرى والمتهمون يعلقون فيها او تضرب اعناقهم او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف لا لذنب جنوهُ بل ارضاء لاهواء الخليفة وتلتها صورة السجن الذي كره ذلك الطاغية ان يسميهُ سجناً فسماهُ "سائراً" وكان الاولى بهِ ان يسميهُ سعيراً وكأني كنت ارى فيهِ المئات من الرجال بعضهم فوق بعض والقيود والاغلال في اياديهم وارجلهم واعناقهم وهم عجاف الابدان يتبلغون بحفنة من الذرة او يئنون من الحميات وألسنتهم تكاد تنشق من حرارتها ولا احد يبرد لظاهم بقطرة ماء

هذه الصور ترددت على مخيلتي قبلما دخلنا بيت الامانة الذي كان بمثابة دار التحف والاسلحة ثم دخلناهُ ورأينا ما فيهِ من المدافع القديمة المحفوظة من ايام محمد علي وسعيد باشا والمدافع الكثيرة الطلقات المأخوذة من حملة هكس باشا ومطبعة الحجر التي كانت في الخرطوم يوم خربها الدراويش والبنادق والحراب والفرود وآلات صك النقود وعمل الخرطوش التي صنعوها فوقفت مدهوشاً من رجل تسلط على بلاد فيها عمران يفوق في كثير من وسائله العمران الذي كان في عهد الفراعنة والبطالسة والقياصرة ورأى فيها اناساً يعرفون الطباعة وعمل البارود واستعمال الآلات الميكانيكية الحديثة الاختراع ويصنعون آلات عمل الخرطوش ويصكون النقود ومع ذلك لم يستطع ان يبني ذلك العمران ولا ان يحتفظ بهِ وغاية ما استفادهُ منهُ انهُ استخدمهُ لقتل الناس وتعذيبهم

ولقد سألت كثيرين من الشيوخ الذين لقيتهم في ام درمان عما اذا كان قد انشأ مدرسة في تلك المدينة او غيرها من المدن او عمل عملاً نافعاً يشكر عليهِ فاجابوني بالنفي المطلق

وانتقلنا من بيت الامانة الى بيت الخليفة وجلنا في غرفهِ المختلفة وصعدنا الى العلية التي كان الخليفة يقيم فيها فيشرف على المصلين (لان الجامع ساحة كبيرة مكشوفة يحيط بها سور غير مرتفع) ويصعد على سطحها فيرى كل ام درمان وما حولها وشاهدنا ما في بيتهِ من السراديب الكثيرة التي تمكنهُ من الهرب والاختفاء اذا فاجأهُ عدوٌّ مفاجيءٌ وتدل على انهُ كان يعلم مقدار ما ابقاهُ في النفوس من الحقد والعداء

وبناء هذا البيت وبيت الامانة وبيت اخيهِ يعقوب وغيرها من البيوت المشهورة حقير زريٌّ بعضها بالطوب الاحمر المأخوذ من بناء القصر والجامع والكنيسة في الخرطوم وبعضها بالطوب الاخضر المجفف في الشمس ولا شيءَ فيها من حسن الهندسة والرونق . ولم اصدق وانا في بيت الخليفة اني في بيت رجل كانت بلاد السودان كلها ترتجف من مهابتهِ والحكومة المصرية تخشى سطوتهُ وتحسب لهُ الف حساب . ولا يُفسَّر انصياع اهالي السودان لاوامرهِ وبينهم الامراء والعلماء والجنود والضباط والتجار الاَّ بان الدعوة الدينيَّة تستهوي النفوس وتتغلب على العقول ولا سيما اذا اقترنت بالتخويف والارهاب

ثم وصلنا الى قبر المهدي وهنا وقفت مفكرًا في امر ذلك الرجل وكيف خدعهُ الخليفة حتى ادعى دعوة دينيَّة وفي سهولة انقياد الناس للذين يأتونهم من طريق الدين . وانتقلتُ من التفكير في ذلك الى شكل البناء ومتانتهِ وحسن هندستهِ وكنت قد قرأت وسمعت ان بانيهُ ايطالي ولم يزل حيًّا يرزق فكان في طاقة الخليفة ان يستعين بهِ وبامثالهِ على بناء المباني المتقنة ولكنهُ لم يفعل ذلك حتى يبقى مدفن المهدي ممتازًا على كل المباني في السودان فيكون كعبة يحج الناس اليها ويمتنع الحج الى البيت الحرام

ثم جلنا في اسواق المدينة فدهشت من كثرتها وحقارتها ولكنني لم البث ان رأيت آثار الحكم الجديد فيها فان الدكاكين التي بنيت حديثًا كبيرة واسعة الابواب كأنها في مدينة من مدن القطر المصري وعلى وجوه الناس سمات الرضى والسرور فقابلت بين ذلك وبين ما ذكرهُ السر رجينلد ونجت باشا في كتابهِ " المهدوية " وما كتبهُ سلاتين باشا والاب اهرولدر ونعوم بك شقير عن احوال الناس في ايام المهدوية فقلت انهُ جدير بهؤلاء ان يشكروا الله ومنقذيهم صباح مساء والاَّ فالانسان ناكر للجميل وكافر بالنعم . ولا شبهة في انهُ كان لاختبار سلاتين باشا وما تحمَّلهُ مدة اسرهِ شأن كبير في استرجاع السودان فلهُ في ذلك فضل كبير لا ينكر

وشوارع ام درمان نظيفة كلها لحسن اعتناء الحكومة . وسكانها نحو خمسين الفًا وارضها

صخرية عالية وهواؤُها طيب وبيوتها متفرقة وحول كل بيت منها حوش كبير . وفيها تجارة واسعة فان اهالي جنوب السودان وغربهِ يتبضعون منها ولاهلها مهارة في صياغة الفضة وخرط العاج والقرن والابنوس وحياكة القطن البلدي وفيها مئات من التجار السوريين واكثرهم من اهالي حلب وتشم رائحة العود والصندل والافاويه في اسواقها كما تشم في اسواق دمشق . وبلغني ان الحكومة عينت مبلغاً طائلاً من المال لتنظيم شوارعها واصلاحها

وقد لقيت في ام درمان ضابطاً مصرياً عربي الاصل (حمدي افندي سيف النصر) لا يزال كثيرون من اقاربهِ يلبسون ملابس البدو في هذا القطر الى الآن . دعانا الى بيتهِ لتناول الشاي فيهِ فجلسنا حول مائدة كأننا في بيت رجل اوربي من السراة وهو يحسن الانكليزية ويجاري ضباط الانكليز في اشهر لعبة من العابهم الرياضية التي نقلوها عن امراء الهند والفرس وهي لعبة البولو او الكرة والصولجان وعندهُ اثمن الجياد واسرعها لهذه الغاية والغالب انهُ يجاري ملاعبيهِ او يفوز عليهم فيحسبونهُ واحداً منهم وهم قلما يعترفون بذلك لضابط اوربي من غير جنسهم

ودعينا في المساء لمشاهدة الرقص السوداني المعروف بالدلوكة ولا يرقصهُ الحرائر بل الجواري اللواتي اصلهنَّ من الرقيق وهو قبيح لذاتهِ لكنهُ يري تأثير الاصوات الموقعة في الاعصاب فان اولئك الجواري كنَّ يتحركن ويتمايلن كأنهنَّ مرتبطات بايدي الضاربات على الدربكة . والناس مهما انحطَّ شأنهم واخنت عليهم السنون لا ينفكون عن محبة الطرب . ولا غرابة في ذلك فان العجماوات نفسها تطرب على نغم الموسيقى وفي اصواتها وحركاتها شيءٌ من التوقيع

وشاهدت الترمواي البخاري في ام درمان والسودانيون يصعدون اليهِ وينزلون منهُ كأنهُ من مراكبهم التي الفوها هم واسلافهم من قبلهم فقلت في نفسي ما اسرع انتشار اسباب الحضارة وما اسهل اعتياد الانسان عليها ولكن هل تتأصل هذه الاسباب في البلاد وتنمو فيها كما ينمو الغرس في التربة الصالحة لهُ او تبقى عارية كالازهار الصناعية على شجرة عيد الميلاد . هل يقوم من السودانيين انفسهم اناس يناظرون الاوربيين في عمل المركبات البخارية والآلات الكهربائية ويخترعون ويستنبطون كما يقوم من سكان سويسرا اناس يناظرون الانكليز ومن سكان المانيا اناس يناظرون الفرنسويين ومن سكان اميركا اناس يناظرون الاوربيين فلا يكتشف انسان اكتشافاً ولا يخترع اختراعاً حتى ترى كثيرين استعملوا اكتشافهُ او اختراعهُ او اكتشفوا واخترعوا ما يماثلهُ او يفوقهُ احكاماً فلم يكد هرتز الالماني يكتشف الامواج الكهربائية المنسوبة اليهِ حتى استخدمها مركوني في تلغرافهِ ولم يكد مركوني يشتهر

تلغرافة حتى ناظره سلابي الالماني ودفرست الاميركاني وغيرهما من الانكليز والفرنسويين. فهل يتأصل العمران الحديث في مصر والسودان وينمو فيهما او يبقى عمراننا عارية وتقليداً. هذه مسالة يطرق لديها الكرى خنوعاً ولم انظر فيها مرة الا اعترتني دهشة وخفت ان يصدق علينا ما قيل من اننا شعوب قديمة شاخت وانحطت ولا يرجى ان يتجدد شبابها ولولا ما بدا من اهل يابان حديثاً لما بقي في قوس الرجاء منزع

واتفق دخولي ام درمان في يوم حرّه قليل بالنسبة الى حر السودان ولكنه ليس قليلاً بالنسبة الى حر هذا القطر بلغت درجته في النهار السادسة والثلاثين ثم انحطت في المساء جداً حتى اضطررنا ان نلبس اردينا فوق ثيابنا. ولقيت بعد ذلك اثنين من شبان الانكليز ابن وزير ماليتهم الحالي وابن السر كولن سكوت منكريف وكنت اظنهما مقيمين في الخرطوم فقالا كلاَّ بل اقامتنا في ام درمان نفسها ونحن نفضلها عن الخرطوم حتى في شهور الحر لاننا نكون فيها مع الوطنيين ولاجلهم اتينا هذه البلاد. فادهشني ذلك منهما وقلت كم شاب من اولاد وزراء مصر يرضى ان يقيم في مدن السودان في شهور الحر لكي يخدم اهاليها. لا شبهة ان الشعب السكسوني عالي الهمة شديد العزيمة والا ما دان له ربع المعمور

الرسالة الرابعة في معاهد التعليم في السودان

ليس من غرضي وصف مدارس السودان وذكر عدد تلامذتها ومقدار نفقاتها وانواع العلوم التي تدرَّس فيها فاني لا اعلم من ذلك غير ما يمكن الاطلاع عليه في تقارير حكومة السودان السنوية ولاسيما تقرير مدير المعارف بل غرضي وصف ما رأيته حيث يتعلم الانسان بعينيه ويديه اي حيث ينتج العلم من العمل لا حيث يراد ان ينتج العمل من العلم فيبقى العلم عقيماً والعمل سقيماً

لما دخلت مدرسة غوردون وجلت في غرفها المختلفة ورأيت تلامذتها يعملون الاعمال الحسابية او يتمرنون في الكتابة والترجمة لم ادقق نظري في ذلك لعلمي انها مثل غيرها من نوعها وان اكثر هذا التعليم النظري يذهب ضياعاً فان من مئة تلميذ يتمون دروسهم في مدرسة ابتدائية لا يشتغل اكثر من خمسة منهم بالعلم والباقون يبلغون سن الشباب والكهولة وهم لا يتذكرون من قواعد الحساب غير الجمع والطرح والضرب والقسمة ومن علم الجغرافية غير اسماء عواصم بعض الممالك وينسون كل قواعد النحو والبيان ولا يفرقون عن الذين لم يتعلموا مثلهم لا في اعمالهم ولا في معاملاتهم

اتاني رجل منذ اربع سنوات واستشارني في امر ولدهِ وهو فتى في الرابعة عشرة من عمرهِ وسألني هل يبعث بهِ الى مدرسة يتعلم فيها قواعد العربية والانكليزية او يخدمهُ في مكان حيث يتمرَّن على هاتين اللغتين كتابةً وانشاء فاشرت عليهِ بالثاني . وولدهُ الآن اقدر على الكتابة بالعربية والانكليزية من الذين درسوا سنين كثيرة في المدارس الكلية . وهذا الامر مضطرد في سائر الاعمال فان العمل والمزاولة اقدر من المدارس على تعليمها

قلت اني لم ادقق النظر في غرف التدريس في مدرسة غوردون لعلمي انها مثل غيرها من نوعها ولكنني كنت التفت لارى نسبة السودانيين الى غيرهم كما يعلم من هيآتهم والوانهم فوجدت ان التلامذة الذين من اصل غير سوداني اكثر من الذين من اصل سوداني ولكن لا يظهر ان بين الفريقين بوناً في الذكاء والاجتهاد . وكنت قد سمعت ان في المدرسة امكنة للعمل (ورشاً) فبادرت اليها ورأيت فيها العلم الحقيقي الذي يربي فريقاً كبيراً من رجال السودان ولا اريد بذلك انهُ يربي القضاة والمفتين والكتَّاب والمعلمين بل اريد انهُ يربي رجال الاعمال — يربي الصناع والتجار والملاك — يربي رجالاً مثل ستفنصن واديصن وركفلر وويرهوسر كما يربي الحدادين والنجارين والفلاحين وكل الذين يستثمرون خيرات الارض ويوجدون ثروتها ومن تعب ايديهم يعيش القاضي والمفتي والكاتب والمعلم . الى هؤلاء الصناع والعمال تحتاج البلاد وعليهم يتوقف عمرانها

وفي المدرسة فرع لتعليم المعلمين وفرع آخر لتعليم القضاة ولكن البلد الذي يكفيهِ معلم واحد وقاضٍ واحد لا يكفيهِ الف صانع وعامل فالبلاد احوج الى الصناع والعمال منها الى كل احد سواهم هؤلاء يستخرجون الخيرات من الارض ويوجدون النفع بعملهم في ما لا نفع منهُ من الخشب والمعدن ولو كانت البلاد لا تستغني عن القضاة والمعلمين

وقد رأيت في هذه الاماكن اعمال الحدادة على انواعها كسبك الحديد وتطريقهِ وخرطهِ وتسهيلهِ وصقلهِ ودهنهِ وعمل الآلات والادوات منهُ . واعمال النجارة على انواعها كنشر الخشب وجليهِ وصقلهِ وعمل الخزاين والموائد والصناديق ودهنها بالادهان المختلفة . والآلات التي تعرف بها متانة مواد البناء على انواعها واشكالها . والعمال من تلامذة المدرسة ومعلوهم من الاوربيين والمصريين وهم دئبون على عملهم كما هم دئبون على دروسهم ولقد احسن السر ولیم ماذر الذي منح المدرسة هذه المعامل فانهُ انفق ما انفقهُ من المال على انفع الامور لبلاد السودان

وقبل عودتي من الخرطوم زرت دار الصنعة حيث تبنى السفن الصغيرة والكبيرة وهناك معمل كبير جدًّا يديرهُ بوند بك بمهارة فائقة فرأيت فيهِ سفينة تبنى على الشاطىء واكثر

خشبها من بلاد السودان وهو صلب جداً اصلب من خشب السنديان واحشك منهُ دقائق حتى يجد العمال اكبر مشقة في نشره . وسفينة بخارية تم تجديدها او بناؤها لان اكثر اجزائها صنع جديداً وفيها من اتقان الصنعة ووسائل الراحة والرفاهة ما لا يرى اوفى منهُ في السفن البخارية النيلية التي يؤتى بها من اوربا وكان الدهانون لا يزالون يمدون الورنيش على دهانها

ودخلت اماكن النجارين فرأيتهم يصنعون ادوات مختلفة ويستخدمون احدث الآلات لنشر الخشب وخرطهِ وجليهِ وصقله وعمل الادوات المختلفة منهُ والمناشير القائمة والمستديرة تدور بالبخار وكذا آلات الجلي ليست من نوع الفارة التي يعتمد فيها على مهارة اليد بل من النوع الذي يدور دوراناً سريعاً فيجلو سطح الخشب على تمام الدقة والانتظام . ورايت هناك نوعاً من الخشب يشبه خشب الجوز تماماً في لونهِ وتموجه وانحشاك دقائقهِ واحتمالهِ للصقل قال لي بوند بك انهُ من اعالي السودان . وهناك نجار شيخ من عهد غوردون باشا مشهور بعمل القوالب واتقان صناعة النجارة فصنع لي منهُ محفظة لعيدان الكبريت يفضل خشبها على خشب الجوز . والظاهر ان البلاد غنيَّة بالخشب الجيد الذي يسهل نقلهُ بالنيل ولا يبعد ان تستغني بهِ عن اكثر ما يرد اليها من البلدان الاخرى

ثم دخلت اماكن الحدادين والبرادين فرايتهم يصنعون كل ما يحتاج اليهِ اصلاح سكك الحديد وسفن النيل وما تدعو الحال الى عملهِ جديداً في بلاد السودان والآلات كلها تدار بالكهربائية وتنار بالكهربائية واكثر العمال من السودانيين والمصريين وبعضهم كانوا في عهد غوردون باشا وباكر باشا ومرَّ عليهم حكم الدراويش بفظائعهِ ولم يفقدهم مهارتهم

ورؤساء العمل في هذه المعامل كلها يعترفون للعمال الوطنيين مصريين كانوا او سودانيين بالمهارة ولكنهم يشكون مرَّ الشكوى من قلة العمال السودانيين ومن انهم اذا شبعوا وكان عندهم قوت يومين ابطلوا العمل . وقد عنيت الحكومة ببناء البيوت لهم ليسكنوا فيها هم ونساؤهم واولادهم لكي لا ينقطعوا عن العمل ومع ذلك لا تستطيع ان تعتمد عليهم دائماً كأن طبع الكسل او القناعة متمكن منهم يصعب عليهم نزعهُ وكثيرون منهم يدمنون المسكرات اذا وجدوا في يدهم نقوداً يبتاعونها بها وعندهم نوع من المسكر يصنعونهُ ويسكرون بهِ ويشربون ايضاً المسكرات الاوربية اذا امكنهم الوصول اليها حتى لقد يشربون الالكحول. وهذه آفة أخرى فوق الكسل وضغث على ابَّالة . فاذا لم تنشأ فيهم اخلاق جديدة تقوي ملكة الاجتهاد وتمنعهم من ادمان المسكرات فمستقبلهم غير مأمون . وهنا اوسع مجال للعلمين والمرشدين الذين يتمنون خير تلك البلاد وفلاح سكانها

ديون الرهنيات العقارية

اطلعنا على نسخة عربية من التقرير الذي رفعهُ حضرة الدكتور الفريد عيد بالفرنسوية الى نظارة الخارجية البلجيكية في سنة ١٩٠٦ عن ديون الرهنيات العقارية في القطر المصري ولا يخفى ان مسالة الديون المعقودة على رهن في هذا القطر هي من اعظم المسائل المصرية شأناً ومن اهمها اعتباراً عند الذين يبحثون عن حاضر القطر ومستقبلهِ وقد قسم حضرة الدكتور عيد بحثهُ في هذه المسألة الى اربعة اقسام

الاول تقدير الديون المعقودة على رهن

والثاني تاريخ هذه الديون في الماضي والحال

والثالث تأثيرها في حالة القطر الاقتصادية وفي مستقبلهِ

والرابع النتيجة ومقابلة ديون القطر المعقودة على رهن بديون البلاد الأُخرى

اما الاول اي تقدير الديون المعقودة على رهن فقد اسهب فيهِ وفصَّل ثم استنتج ان الديون المعقودة على رهن حقيقي في البنوك وخارجها الى سنة ١٩٠٥ هي نحو ٢٨ مليون جنيه . والديون المطلوبة على اطيان مبيعة بالتقسيط ومضمونة بامتياز البائع في الرهن هي نحو ٣/٤ ١٠ مليون جنيه فتكون قيمة كل الديون المعقودة على رهن نحو ٣٩ مليون جنيه الى سنة ١٩٠٦

واما الثاني اي تاريخ هذه الديون فقد وجد حضرتهُ انها زادت ٢٥٥ في المئة من سنة ١٨٩٥ الى سنة ١٩٠٦ ولكن سكان القطر ايضاً زادوا في تلك المدة من ٨ ملايين نفس الى ١١ مليوناً ومساحة الاراضي الزراعية زادت من ٤٧٢٩٣٠٠ فدان في سنة ١٨٩٤ الى ٥٦٠٠٠٠٠ فدان سنة ١٩٠٥ وقيمة الاطيان زادت من ١٢٠ مليون جنيه سنة ١٨٩٥ الى ٣٥٠ مليوناً . وعليهِ كانت قيمة الديون المعقودة على رهن حقيقي ٩ في المئة من قيمة اطيان القطر سنة ١٨٩٥ كما قدرها المرحوم السر الون بالمر ولا تزال كذلك (٨،٩ في المئة) سنة ١٩٠٦ في تقدير الدكتور عيد

واما الثالث وهو تأثير هذه الرهنيات في تقدم القطر حالاً واستقبالاً فرأي الدكتور عيد ان تأثيرها بالتقسيط حسن . ومن ادلتهِ على ذلك ازدياد قيمة اراضي القطر . وان الذين اشتروا اراضي بالتقسيط وخصوصاً من الاراضي الاميرية كسبوا بتقسيمها وبيعها بربح وتركوا للذين اشتروها منهم مجالاً واسعاً للكسب ايضاً باصلاحها وزيادة استثمارها . وان البيع

بالتقسيط لم يثقل كاهل الاهالي بالديون اذ فائدتهُ خفيفة من جهة وقد نفع المشترين بازدياد قيمة الاراضي من جهة أُخرى . ولان البراهين كثيرة على ان ديون الرهنيات العقارية المصرية صرفت في وجوه نافعة الاَّ في ما ندر كديون المسرفين من اولاد بعض العائلات ومن هذه البراهين عدم وجود حراج واراضٍ خاصة بالصيد في القطر المصري . والبساتين الواسعة التي تقتضي نفقات عظيمة قليلة فيهِ ولا يزال الفلاح بعيداً عن الترف في مسكنهِ وملبسهِ . والمزارعون اشتروا اطياناً كثيرة نقداً بالمال الذي استلفوهُ من البنوك على اطيان اخرى علاوة على ما اشتروهُ بالتقسيط وصرفوا اموالاً طائلة على اصلاح اطيانهم وترقية زراعتهم كما يستدلُّ عليهِ من احصاء الجمارك لقيمة ما ورد على القطر من الادوات والآلات الزراعية على اختلاف انواعها فقد كانت قيمة الوارد منها نحو مليون جنيه فقط من سنة ١٨٨٦ الى سنة ١٨٩٠ فصارت نحو ثلثة ملايين من سنة ١٩٠١ الى ١٩٠٥ وقد زاد محصول القطن من ٣ ملايين قنطار في المدة الاولى الى ٦ ملايين في المدة الثانية · وبقية المحصولات ازداد الصادر منها او لم ينقص ما عدا الغلال وبزرة القطن لا لان محصولها قلَّ بل لان طلب القطر لها ازداد عما كان عليهِ

وقد استنتج الدكتور عيد بعد بحث مطول ان فائدة الديون المعقودة على رهن تبلغ ٢٤٣٠٦٦٠ جنيهاً مصرياً في السنة الآن وانها كانت ٨٨٠٠٠٠ جنيه مصري سنة ١٨٩٥ وقد تقدم ان هذه الديون زادت ٢٥٥ في المئة من سنة ١٨٩٥ الى ١٩٠٦ واما الفائدة المطلوبة من الاهالي عليها فلم تزد الاَّ ١٩٤ في المئة فقط

ثم اذا نظرنا الى قيمة الصادر من حاصلات القطر الزراعية وجدنا ان متوسطها كان ١٠٦٣٠٠٠٠ جنيه مصري سنوياً من سنة ١٨٨٦ الى ١٨٩٠ وانهُ اصبح ١٨٠٧٤٠٠٠ سنوياً من سنة ١٩٠١ الى ١٩٠٥ فيكون قد زاد ٧٠ في المئة في تلك المدة وعليهِ تكون الفوائد التي يدفعها الاهالي على ديونهم العقارية قد زادت ١٥٥٠٠٠٠ جنيه في السنة واما قيمة المحصولات الزراعية فزادت ٧٤٤٤٠٠٠ جنيه في السنة · وزد على ذلك ان رأس المال الموظف في القطر لم يأتِ كلهُ من الخارج بل بعضهُ مأخوذ من سكان القطر نفسهِ وفائدتهُ عائدة على القطر ايضاً

والرابع وهو نتيجة التقرير ان هذا الدين وان كان قد ازداد سريعاً لكنهُ لا يعد جسيماً اذا قارناهُ بالدين المعقود على رهن في البلاد الاخرى لانهُ في فرنسا ١٠ في المئة من الثروة العقارية وفي النمسا ٣٧ في المئة وفي المانيا ٣٠ في المئة وفي روسيا ٤٠ في المئة وفي انكلترا

٥٠ في المئة وفي رومانيا ٢٢ في المئة وفي زوج ٣٧ في المئة وفي الدنمرك ٥٠ في المئة وفي الولايات المتحدة الاميركية ١٧ في المئة

وان ورود الاموال الاجنبية على هذا القطر افاده كثيرًا واذا أُريد استمرار هذه الفائدة وجب استمرار ذلك الورود قال "وهذا هو رأْينا الصريح ولكن مع ذلك نحتاط لهُ ببعض ملحوظات وهي ان نمو البلاد يشبه نمو كل جسم حي بمعنى ان هذا النمو يتم باطوار يتخللها سكون وراحة حتى يمكن تمثيل النتائج التي صار الحصول عليها وتوزيعها توزيعًا مناسبًا"

هذه خلاصة التقرير المفيد الذي وضعهُ الدكتور عيد وعسى ان يستعملهُ واسطة لتخفيض معدل الفائدة التي يأخذها اصحاب الاموال الاوربيَّة من القطر المصري . فانهُ ان كانت ديون الرهينات العقارية مضمونة الى هذا الحد فلا داعي لجعل فائدتها ٦ او سبعة في المئة لان زيادة الفائدة تكون بمثابة تأمين على احتمال العجز عن الايفاء اما اذا كان ايفاء الدين وفائدتهِ مضمونًا فلا داعي لهذا التأمين ويصير دين الفلاَّح المصري الذي رهن لهُ عقارهُ بمثابة دين الحكومة المصرية او دين الحكومة الانكليزيَّة يكفي ان تكون فائدتهُ ثلاثة في المئة . وكان الواجب على الحكومة المصرية ان تهتم بجعل الفائدة التي تعطى للبنك الزراعي اربعة او خمسة في المئة لانها ضمنت سنداتهِ كلها . وان يكتفي بالسندات ولا يصدر اسهمًا يعطي السهم العادي منها تسعة في المئة وسهم التأسيس الفًا في المئة كما فعل هذه السنة . وان كان دين الفلاَّح غير مضمون ضمانًا كافيًا بريع اطيانهِ فمن تدينهِ خطر كبير عليهِ لانهُ ان عجز عن ايفاء فائدة الدين واقساطهِ سنة او سنتين تراكمت الديون عليهِ فيضطر ان يبيع بعض اطيانهِ لايفائها

ثم ان طبع الناس الاسراف في الاموال المستدانة لانهم لا يتعبون في كسبها وطباع اهالي القطر المصري لا تخالف طباع سائر الناس في كل البلدان ولذلك يقول لك الذين خبروا حال الفلاَّحين المالكين انهم كثيرو الاسراف على افراحهم وولائمهم يستدين الواحد منهم الف جنيه فينفق نصفها على تزويج ابنهِ او ابنتهِ او على الاقتران بزوجة اخرى ويعطي من يتوسَّط لهُ بعقد الدين اثنين في المئة الى خمسة في المئة . ومعلوم ان ثمن ما يزيد عن الحاجة من الطعام والشراب والاثاث مال تالف تخسرهُ البلاد ولا ينتفع بهِ احد

وقد ذكر الدكتور عيد مثلين استدلَّ بهما على ان المال المستدان على الاطيان يمكن ايفاؤُهُ مع فائدتهِ من ريعها بسهولة كأنهُ ايجار يدفعهُ المستأجر ويفضَّل المستدين على المستأجر لان المستدين يمتلك الطين بعد ايفاء الدين وفائدتهِ

قال ولنفرض فلاحاً لا يملك الاّ خمسة افدنة من نوع الاطيان الجيدة التي يساوي الفدان منها ١٠٠ جنيه فتكون قيمة الخمسة افدنة ٥٠٠ جنيه . ولنفرض هذه الاطيان كلها مرهونة فبما ان البنوك لا تسلف اكثر من ٦٠ في المائة من قيمة الطين كان ما يمكن ان يستلفهُ هذا الفلاّح ٢٥٠ الى ٣٠٠ جنيه بفائدة ٧ في المائة يضاف اليها ½ في المائة قيمة المصاريف فيكون مضطراً الى سداد سلفة قدرها ٢٥٠ الى ٣٠٠ جنيه بفائدة ٧ ونصف في المائة على مدة ١٥ سنة اي الدفعة السنويَّة التي تستحق عليهِ هي من ٢٨ الى ٣٤ جنيهاً

فايراد الاطيان التي من هذا النوع هو بمعدل ٧ و ٧ ونصف في المائة من قيمتها وعليهِ يكون ايراد فلاحنا هذا من ٣٥ الى ٣٧ جنيهاً ونصف على الاقل في السنة فيتضح من ذلك ان الفلاّح الذي رهن جميع اطيانهِ يوجد في حالة اقتصاديَّة تشابه تماماً حالة فلاّح آخر استأجر نفس هذه الاطيان . وكلٌّ يعرف في القطر المصري ان مستأجر الطين يتمكن من دفع الايجار والانفاق على نفسهِ واقتصاد شيءٍ ايضاً من ايراد الاطيان في بعض الاحيان . فالفلاّح الذي اتخذناهُ مثلاً لا يختلف بمعيشتهِ وحالتهِ في الهيئة الاجتماعية عن المستأجر المذكور . ويتمكن هو ايضاً من سداد المطلوب منهُ سنوياً للدين مع الانفاق على نفسهِ غير انهُ يختلف عن المستأجر ويمتاز عليهِ بأمر عظيم وهو انهُ بعد ان يكون اوفى المطلوب منهُ سنوياً على مدة ١٥ سنة ينتفع بزيادة قيمة الطين الناشئة عما يكون انفقهُ من مال السلفة على الارض لزيادة قيمتها . اما المستأجر فيبقى غير مالك بعد نفس هذه المدة انتهى

ويعترض على ذلك ان صافي ايراد الاطيان الآن لا يبلغ ½ ٧ ولا ٧ في المئة بالنسبة الى ثمنها الحالي فالفدان الذي ثمنهُ مئة جنيه لا يؤجر باكثر من سبعة جنيهات في السنة يطرح منها مال الحكومة ومصاريف من يهتم بتحصيل الايجار وتدبير ما يلزم للاطيان فلا يكون الربح الصافي اكثر من خمسة جنيهات اي خمسة في المئة فاذا كانت هذه الاطيان كلها مرهونة على ما يساوي ٦٠ في المئة من ثمنها فلا امل بتخليصها من الرهن مطلقاً

وفرض الدكتور عيد حالة ثانية وهي ان يمتلك انسان اطياناً كثيرة فيرهنها كلها على ما يساوي ٦٠ في المئة من ثمنها اي يستدين ستين جنيهاً على الفدان الذي يساوي مئة جنيه وقال ان الخمسين فداناً التي ترهن كذلك يبلغ ايجارها في السنة ٣٥٠ جنيهاً وتبلغ فائدة الدين وقسطهُ في السنة من ٢٣٥ جنيهاً الى ٢٨٠ جنيهاً فقط فيبقى للمالك ٧٠ جنيهاً الى ١١٥ . ولكن اذا فرضنا انهُ لا يبقى لهُ من ايجار الفدان سوى خمسة جنيهات بعد طرح مال الحكومة ومصاريف الادارة كما هو الواقع وجدنا ان الربح الباقي من الزراعة يساوي القسط المطلوب او يقل عنهُ

لكن هاتين الحالتين نادرتان جداً بدليل ان الاموال المستدانة تبلغ عشر ثمن الاطيان وبدليل ان الاطيان المرهونة عند البنك العقاري تبلغ نحو مليون فدان والمبالغ المرهونة عليها تبلغ نحو ١٨ مليون جنيه فكأن الفدان منها مرهون على ١٨ جنيهاً فقط وذلك يسهل ايفاء الدين وفائدته والغالب ان المالك يرهن جانباً من اطيانه ويترك جانباً بلا رهن فيوفي عجز المرهون من ايراد غير المرهون اما الذي يرهن اطيانهُ كلها على ما يساوي ستين في المئة من ثمنها في الوقت الحاضر فلا نرى كيف يستطيع ان يوفي الدين ويتخلص من الرهن

ثم ان الرخاء الحاضر ناتج عن غلاء سعر الحاصلات نعم ان كمية الحاصلات زادت ايضاً كما قال الدكتور عيد ولكن زيادتها ليست ناتجة من زيادة محصول الفدان الواحد بل من زيادة الافدنة التي صارت تزرع قطناً هذا هو الغالب . ولارتفاع السعر اهمية كبيرة لان نفقات زرع فدان القطن تبلغ الآن اربعة جنيهات اذا كان يروى بالراحة فاذا فرضنا ان متوسط محصوله اربعة قناطير وبيع القنطار منها بجنيهين لم يبقَ من محصول الفدان سوى اربعة جنيهات واذا بيع القنطار باربعة جنيهات بقي من ثمن المحصول ١٢ جنيهاً اي اذا تضاعف الثمن لا يتضاعف الربح فقط بل يصير ثلاثة اضعاف واذا بيع القنطار بخمسة جنيهات صار صافي الربح ١٦ جنيهاً اي اربعة اضعاف ما كان اولاً

فاسعار الحاصلات ولاسيما القطن اهم شيء يجب النظر اليهِ في تقدير ما يستطيع الفلاح استدانتهُ من الاموال . ولا يخفى ان سعر القطن المصري متوقف على موسم اميركا وكما يحتمل ان يكون موسم اميركا عشرة ملايين بالة يحتمل ان يكون ١٤ مليون بالة والاحتمال الثاني اقوى من الاحتمال الاول لان الاحتمالين متساويان من حيث الحوادث الجوية الآ ان الاحتمال الثاني يضاف اليهِ اعتناء ارباب الزراعة فان هذا الاعتناء يأول الى جودة المحصول وهو مستمرّ ويؤيد ذلك مواسم السنين الماضية فان عدد المواسم الكبيرة اكثر من عدد المواسم الصغيرة بالنسبة الى مساحة الاطيان المزروعة . فكما يحتمل ان يبقى ثمن قنطار القطن خمسة جنيهات او اربعة يحتمل ايضاً ان يعود الى ثلاثة جنيهات بزيادة موسم اميركا واذا حدث ذلك في سنتين متواليتين عجز المستدينون عن ايفاء الاقساط المطلوبة منهم اذا كانت اطيانهم كلها مرهونة فلا يليق باحد ان يرهن اطيانهُ كلها ولا ضمانة لهُ اذا رهن اكثر من نصفها . والبنك الذي يسلّف على اكثر من نصف اطيان مالك او على اكثر من نصف ثمنها لا يكون دينهُ مضموناً الضمان الكافي الآ اذا قصد امتلاك الاطيان

وخلاصة رأينا في هذ الموضوع انهُ ليس من الحكمة ان يرهن احد اكثر من نصف اطيانهِ

او ان يسلف بنك على اكثر من نصف الاطيان او نصف ثمنها اذا لم يكن لمالكها مورد ريع آخر يستطيع الايفاء منهُ عند الحاجة وحينئذٍ يصير دين الفلاح المصري في غاية الامن

هذا ويظهر من تقرير البنك العقاري المصري والبنك الزراعي المصري لسنة ١٩٠٦ ان قيمة ديون البنك الاول بلغت الى اخر سنة ١٩٠٦ خمسة وثلاثين مليونًا و٨٥١ الفًا و٢٤٩ جنيهًا (٣٥٨٥١٢٤٩) وهي معقودة على اطيان مساحتها ٩٨٦٢١٥ فدانًا اي نحو مليون فدان او نحو خمس اطيان القطر المصري وعلى عقارات لم تبين انواعها في التقرير. والديون المعقودة على عقارات تبلغ نحو ستة ملايين من الجنيهات فكأن خمس اطيان القطر المصري كان رهونًا عند البنك العقاري على ثلاثين مليون جنيه الاَّ ان المستدينين اوفوا من هذه الديون واقساطها الى آخر العام الماضي نحو ١٥ مليون جنيه فلم يبق منها الاَّ نحو ٢١ مليون جنيه

وقد بلغت قيمة الفوائد التي اخذها البنك العقاري في خلال السنة الماضية ١٩٨ ١١٧٦ جنيهًا ارسل اكثرها الى اوربا فوائد السندات والاسهم التي فيها. اما البنك الزراعي فبلغت السلفيات التي سلفها في العام الماضي ٢٢٨٠٦٠ وقيمتها اكثر من ثمانية ملايين من الجنيهات وبلغ صافي ارباحهِ منها بعد طرح مصاريفهِ العمومية ٥٥٨٢٧٥ جنيهًا

فالقطر المصري يدفع الآن للبنك العقاري والبنك الزراعي فوائد ٢٩ مليونًا من الجنيهات عدا ما يدفعهُ للبنوك والشركات الاخرى ولا نظن انهُ يخرج منهُ فوائد في السنة اكثر من مليونين ونصف من الجنيهات ولو بلغت الديون اكثر من اربعين مليونًا من الجنيهات

علاج السرطان بالحشائش

لا يخفى ان الثآليل تقع احيانًا من نفسها او بمجرد الوهم او بعلاجات بسيطة غير مذكورة في كتب الطب. وهي اجسام لحميَّة نامية كالسرطان وقد تكون مؤلمة مثلهُ . كثرت الثآليل مرة في اصابع فتاة فاضفنا نقطتين من عصير الليمون ونقطتين من ماء كولونيا الى حنجر من الماء وقلنا لها ان تدهن الثآليل بهِ كل يوم ففعلت وشفيت الثآليل . وكان في يد كاتب هذه السطور ثؤلول كبير في ذراعهِ وكان مولمًا جدًّا فوضع عليهِ حليب التين فزاد المهُ وبعد ايام قليلة كان يحكهُ فسقط من ساعدهِ وذلك منذ اكثر من اربعين سنة ولم يزل مكانهُ ندبة الى الآن ورأَى ثآليل اخرى ظهرت في اصابعهِ وهو فتى ثمَّ زالت من نفسها بغير علاج.

وقد شاع في بلاد الانكليز الآن ان اثنين من اهالي ويلس يداويان السرطان الخارجي بمواد

نباتية على هذا الاسلوب فيقع من نفسهِ ويشفى المصاب منهُ . فانتدب المستر ستد صاحب مجلة المجلات الانكليزية رجلاً ليذهب الى ويلس ويرى كيفية هذه المعالجة وفعلها في شفاء السرطان فعاد المندوب وهو يقول ان الشفاء حقيقي وان الامر يستحق الامتحان المدقق

قال ان الرجلين اخوان متقدمان في السن لهما مشاركة في فن الموسيقى ونظم الشعر بلغة اهالي ويلس فسألتهما كيف خطر لكما ان تعالجا السرطان

فقالا اننا ورثنا الميل الى المعالجة وراثةً فان ابانا كان يعالج الناس بالحشائش وكان المرضى يأتونهُ من كل الجهات لهذه الغاية وقد تعلمنا منهُ فوائدها

فقلت لهما وكيف شرعتما في معالجة المرضى

فقالا كنا نجول في البلاد نعلّم فيها فن الموسيقى واذا رأينا مريضاً او مصاباً بآفةٍ ما نعالجهُ شفقةً عليهِ

فقلت هل كنتما تعالجان السرطان

فقالا لم نكن نعالج السرطان في اول الامر بل نعالج امراض العيون ورأينا مرةً فتاة ذهبت الى المستشفى وهي تكاد تعمى وعادت منهُ واليأس ملء فؤادها لان الاطباء قطعوا رجاءها من عينيها وكانت تعول امها وهي ارملة مقطوعة ليس لها احد يعولها غير ابنتها فاخذتنا الشفقة عليها وجعلنا نجرب بعض الحشائش في معالجتها الى ان تمكنا من شفائها تماماً وهذا الامر شدد عزائمنا وشجعنا على معالجة السرطان. وقد جربنا حشائش كثيرة في معالجتهِ قبلما اكتشفنا النبات الذي تشفي اوراقهُ السرطان اكتشفناهُ منذ عشرين سنة ولكننا لم نحقق فعلهُ تماماً الاَّ منذ عهد قريب

فقلت انكما لم تتعلما الطب فكيف تميزان السرطان عن غيرهِ من الاورام

فقالا اننا نميزهُ برائحة خصوصية نشمها منهُ . واذا التبس علينا وخفنا ان يكون ورماً عادياً لا سرطاناً آسيناهُ باللزق فاذا كان ورماً ارتخى واذا كان سرطاناً زاد صلابةً فنعالجهُ حينئذٍ علاج السرطان

فقلت وكيف تعالجانهِ

فقالا ندهنهُ بدهان مخصوص ونضع عليهِ اوراق النبات الذي يشفي من السرطان ونغطيها بورقة من ورق الكرنب (الملفوف) ونربطها جيداً فيجتمع جذور السرطان تحتهُ ويقع من نفسهِ ويشفى المصاب فقلت هل العلاج مؤْلم

فقالا اذا استعجلنا فيهِ فهو مؤْلم والاَّ فلا ونحن الآن نعالج مصاباً على مهل فهو لا يشكو الماً

فقلت ما هو اعتقادكما في السرطان

فقالا نعتقد انهُ جسم ينمو كما تنمو الشجرة فاذا قطع زاد نموًّا وتمكّنًا ولذلك نفضل معالجة السراطين التي لم تقطع بعملية جراحية لانها تكون اكثر اذعانًا للعلاج اذ تكون جذور السرطان قريبة من اصلهِ والدهان الذي ندهن بهِ السرطان اولاً يرينا امتداد جذورهِ احيانًا ونرى تألم الجلد حيث تُسحب الجذور منهُ

واخبرني ابن رجل من الذين شفوا من السرطان انهُ سهل عليهِ في اليوم الثاني من استعمال العلاج ان يرى جذور السرطان تنتزع من حول انف ابيهِ ثم من تحت حاجبيهِ وصدغهِ الى ان وقع السرطان كلهُ كما تقع التفاحة من الشجرة

فقلت لهما هل تعالجان السرطان الباطن

فقالا كلاً لا نعالجهُ حتى الآن ولكنا نرجو ان نتوصل الى طريقة لمعالجتهِ

فقلت في كم يوم يتم الشفاء

فقالا ان ذلك يتوقف على الزمن الذي مضى على السرطان من حين ظهورهِ

فقلت كم يشفى من الذين تعالجونهم

فقالا يشفون كلهم وقد عالجنا كل الذين وجدنا سرطانهم خارجيًّا ولم تعمل بهِ عملية جراحيةٌ فشفوا كلهم ونحن لا نطلب اجرةً بل نكتفي بما يعطينا اياهُ الذين نعالجهم بعد ما يشفون

وعقّب المسترستد على ذلك بقولهِ ان طريقة العلاج التي يستعملها هذان الاخوان مؤلمة وتدوم بضعة اسابيع والمكان الذي هما فيهِ واسمهُ كارديغان (Cardigan) غير خالٍ من وسائل الراحة واذا وجد ثلاثة او اربعة من الذين بهم سرطان حقيقي ظاهر يريدون ان يجربوا هذا العلاج فهو مستعد ان يكاتب الاخوين ويدبر الوسائط اللازمة لمعالجتهم في كارديغان على شرط ان يسمحوا لهُ بنشر نتيجة معالجتهم افادةً للجمهور

فاذا اراد احد من قارئي المقتطف او اصدقائهم ان يكاتب المسترستد في هذا الموضوع فعنوانهُ هكذا

W. T. Stead Esq.
14, Norfolk st., Strand, London.

ونحن نرجح ان الامر يستحق الامتحان اذا لم يكن في ذهاب المصاب الى بلاد وايلس ببلاد الانكليز مشقة كبيرة ونفقة كثيرة عليهِ وترجيحنا هذا مبنيٌّ على ما تقدم من وجود الشبه بين السراطين والثآليل وشفاء الثآليل بالوهم وببعض المواد النباتية

باب الزراعة

زراعة التبغ في القطر المصري

اقترحت الجمعية العمومية على الحكومة المصرية ان تجيز زرع التبغ في هذا القطر. ولا بدَّ من ان يجب كثيرون من ان الحكومة المصرية منعت زرع التبغ في بلادها والبلاد زراعية ولا ريع لها الاَّ من الزراعة وكان يجب على الحكومة ان تنشط زراعة التبغ بكل واسطة كما تنشط زراعة القطن

هذا هو ظن الاكثرين ولم نسمع احدًا تكلم في هذا الموضوع الاَّ رأيناهُ ساخطاً على الحكومة لمنعها زرع التبغ في البلاد مع انها لا تمنع دخول التبغ الوارد اليها من الخارج وهم يحسبون ان الحكومة فعلت ذلك اما جهلاً منها بمصلحة البلاد او طمعاً بمليون الجنيه التي تأخذها من الجمرك لانهم لا يدركون الاسباب الحقيقية التي حملت الحكومة على منع زراعة التبغ في القطر المصري وايضاحاً لذلك نقول

اولاً ان الحكومة تربح الآن من ورود التبغ من الخارج اكثر من مليون جنيه تنفقها في مصالح القطر المختلفة كما تنفق سائر ايراداتها او توفرها لتنفقها في مصالح القطر. ولا ينكر ان هذا الربح غير وارد من الخارج بل هو من اهالي القطر انفسهم فهو بمثابة ضريبة على القطر ولكنها ضريبة خفيفة يدفعها الذين يحبون لذة التدخين فهي ضريبة عليهم وحدهم مقابل طلبهم هذه اللذة الوقتية التي لا فائدة منها لهم ولا للقطر ويا حبذا لو كانت كل اموال الحكومة من هذا القبيل

ثانياً انهُ اذا اباحت الحكومة للناس زرع التبغ بدون قيد اقبل كل احد على زرعهِ فيزيد حاصلهُ على مقطوعية البلاد زيادة كبيرة جدًا وهو لا يؤْكل ولا تأْكلهُ المواشي فيرخص ثمنهُ كثيرًا حتى لا يعود من زراعتهِ اقل ربح بل يصير زرع البرسيم اربح منهُ وحينئذٍ فاما ان يكتفي كل فلاح بزرع ما يكفيهِ منهُ كما يزرع الآن التيل الذي يصنع منهُ حبالهُ او ينفرد بزرعهِ بعض المجيدين اتقان زراعتهِ ويستغل الواحد منهم الفي اقة او اكثر من الفدان الواحد فتنحصر زراعتهُ في ثلاثة آلاف فدان والغالب انها تكون لاناس من

اليونان لانهم امهر من غيرهم في زراعة التبغ فلا يستفيد من زراعتهِ احد سواهم من كل المصريين. فالحكومة تخسر اكثر من مليون جنيه من ايرادها وارباب الزراعة لا يربحون شيئاً وانما يتوفر على شاربي التبغ شيء من ثمنهِ اذا احبوا التبغ البلدي وفضَّلوهُ على التبغ التركي او الرومي

ولا بدَّ من ان يقول قائل كما قال احد اعضاء الجمعية العمومية فيها اننا نكثر من زرع التبغ ونصدرهُ الى الخارج فيصير منهُ ربح وافر لهذا القطر مثل ربحهِ من القطن . ويصدق هذا القول لو كان التبغ المصري مطلوباً في البلدان الاخرى . ولو كان مطلوباً كالتبغ التركي وتبغ كوبا لزاد ربحهُ على ربح القطن اضعافاً ولوفى القطر المصري وحدهُ بمقطوعية الدنيا كلها وزاد عليها ولكن التبغ المصري وتبغ كل البلدان الحارة الخالية من الظل غير مطلوب ولا مرغوب فيهِ ويقول الخبيرون انهُ لا يمكن تصديرهُ الى الخارج وكثيرون من اهالي القطر المصري نفسهِ لا يستطيبونهُ بل يفضلون عليهِ التبغ التركي والسوري والرومي وهذا كان شأنهم من قديم الزمان قبل ان منعت الحكومة زراعة التبغ في القطر المصري

فاذا اباحت الحكومة المصرية زراعة التبغ غداً تكون النتيجة انها تضطر ان تبطل الرسم الذي تتقاضاهُ الآن على التبغ التركي والرومي وتجعل رسمها مثل رسم سائر الواردات فينقص ايرادها السنوي اكثر من مليون جنيه ولا يستفيد من زرع التبغ المصري الاَّ مالكو ثلاثة آلاف فدان من كل سكان القطر

ولكن اذا استطاع احد ان يثبت بدليل قاطع ان التبغ المصري يروج في البلدان الاخرى حتى يمكن ان يصدر منهُ في السنة ما يساوي مليون جنيه او اكثر وجب حينئذٍ على الحكومة ان تبيح زراعتهُ حتماً

ولا يستغربنَّ احد قولنا ان التبغ المصري غير مطلوب لان الذين يزرعون التبغ يعلمون ان تبغ بعض الاراضي يستحب وتباع الاقة منهُ بمئة غرش او اكثر وتبغ غيرها لا يستحب ولا تباع الاقة منهُ بغرش . وهذا يصدق على اشياء كثيرة من الحاصلات الزراعية فالقطن المصري جيد ويباع قنطارهُ الآن باربعة جنيهات او خمسة والقطن الهندي غير جيد ولا يباع قنطارهُ بجنيهين فلو اتفق ان كانت اراضي القطر المصري مثل اراضي الهند ولم يبع قنطار القطن المصري الآن الاَّ بجنيهين مع غلاء اجرة الانفار عندنا لاضطر اهالي هذا القطر ان يبطلوا زرع القطن من تلقاء انفسهم

هذا وقد ذكرنا في المقتطف غير مرة انهم وجدوا بالامتحان ان تبغ البلدان الحارة يجود اذا نصبت فوقهُ خيام تظللهُ من حر الشمس . فيليق بالجمعية الزراعيَّة ان تجرب ذلك حتى اذا

وجدتهُ صحيحاً ووجدت ان التبغ المصري يجود ويصير مثل التبغ التركي او الرومي وان شاربي التبغ في هذا القطر وفي البلدان الاخرى يبتاعونهُ كما يبتاعون التبغ التركي لم يبقَ عذر للحكومة في منع زراعتهِ بل صار يجب عليها ان تبيح زراعتهُ وتنشطها بكل واسطة ممكنة

اصلاح القمح

بحث احد علماء الانكليز في مقدار ما في القمح من الغذاء وعما اذا كان في الامكان زيادة المادة المغذية فيهِ بنوع خاص اي الغلوتن الذي يشبه اللحم في تغذيتهِ للجسم . وفي بعض انواع القمح عيب كبير وهو ان كثيرًا من حبوبهِ يتساقط من السنبل اذا ترك السنبل قائمًا حتى يجف جيداً فوجدت بعد التجارب الكثيرة مدة اربعين سنة انهُ اذا لقح القمح الانكليزي بلقاح قمح من جنوبي اسيا صار يبلغ باكرًا ويبقى حبهُ في سنبلتهِ لا يسقط منها وكثرت المادة المغذية فيهِ . واستخرج تقاوي (بذارًا) من ذلك يقال انهُ يجود في البلدان الحارة مثل مصر والهند واستراليا

نظارة الزراعة

اقترح حضرة محمد بك السباعي المصري في الجمعية العمومية ان تنشئ الحكومة المصرية نظارة خاصة بالامور الزراعية ومهَّد لاقتراحهِ تمهيداً مفيداً قال فيهِ

من المعلوم ان كل بلاد ميزها الله تعالى بمورد من موارد الرزق تحول حكومتها اجتهادها الى انماء هذا المورد بكل ما يمكنها من الوسائل والقطر المصري لم يميزهُ الله باكثر من الزراعة حتى في الزمن الغابر كذلك اصبح من المستحيل على المصري ان يجد في ارض بلادهِ مورداً للرزق يعادل الزراعة فاذا كانت حياة الامة المصرية موقوفة على الزراعة فمن الواجب على الحكومة ان يكون اكبرهمّها منصرفاً الى ترقيتها بكل الوسائل لانهُ من المعلوم ان اقبال سنة واحدة تعود بالخير الكثير على البلاد وامحال سنة واحدة لا سمح الله تعالى يؤخر البلاد سنوات . رأت البلاد المصرية ذلك مرارًا وهذه السنة اكبر شاهد فان زيادة محصول القطن عادت على البلاد بفوائد جمة وقد ادرك ذلك كل من حكم هذه البلاد من المتقدمين وهذا ساكن الجنان محمد علي باشا اهتم بالزراعة ورقى شؤونها كثيرًا نعم قد تمت في الزمن الاخير اصلاحات عظيمة حتى اغنت الزراعة خزينة الحكومة ولكن ذلك لا يقضي علينا بالوقوف عند الحد الذي وصلنا اليهِ ونحن نعترف ان الحكومة تبذل كل جهد تحمد عليهِ ولكن البلاد

تشعر باحتياج شديد الى نظارة زراعة فلهذا اقترح على الحكومة انشاء هذه النظارة او بعبارة اوضح تحويل الجمعية الزراعية الى نظارة وضم مدرسة الزراعة وكل فرع يليق بها ويتبع الى مصلحة اخرى اليها مع انشاء قلم احصاء زراعة يكون من اختصاصهِ احصاء زراعة البلاد ومحصولها وارشاد الاهالي الى الطرق النافعة واخبارهم عن الطرق والمخترعات الحديثة فالجمعية الزراعية على صغرها وقلة اموالها قد افادت البلاد ولكن فائدتها لا تكاد تذكر بالنسبة لما ينتظر من نظارة زراعة . فالمسألة الصغيرة من المسائل الزراعية الآن لا تستطيع هذه الجمعية حلها الاَّ بعد البحث الطويل والمخابرة الطويلة لانهُ لا سلطة لها في العمل من تلقاء نفسها فاذا وجدت امرًا نافعاً لا تستطيع تنفيذهُ لعدم سلطتها وقلة ماليتها ففي مشروع تنقية الدودة مضت مدة قبل ان ينفذ فلو كانت الجمعيَّة الزراعيَّة نظارة لوضعت المشروع حالاً ونفذتهُ وهذه مسألة التقاوي وتنقيتها ومسألة المعارض والتردد فيها بل هذه جمعية تحسين نسل الخيل كادت تنسى وتضمحل ومسألة توزيع السباخ كادت تحول الى تجارة ويقاس على ذلك مسألة الوزن والقبانة للمحاصيل ومسألة الالبان وغشها وتربية الابقار وتشجيع الفلاحين على اتباع الطرق الحديثة في الزراعة ومكافأة المجتهدين منهم حتى يدركوا ان حرفة الزراعة هي اشرف الحرف واسماها واكثرها فخرًا ومجدًا في بلاد كهذه كل ما فيها قائم على الزراعة فاذا قسنا حاجة الزراعة في البلاد الى ما تفعلهُ الجمعيَّة الزراعية وجدنا انهُ قليل بالرغم عن اجتهادها في ان تفعل واذا كان للبلاد الصناعيَّة التي لا تعيش من الزراعة وحدها كالقطر المصري نظارات زراعيَّة مثل بلجيكا وبلغاريا ورومانيا فضلاً عن الدول الكبرى فكم تكون مصر جديرة بهذه النظارة حتى تُوحد في ديوان واحد كل المصالح والاقلام المتفرقة التي تشتغل بالزراعة لتسهل المعاملة وتنال البلاد امنيتها فالحكومة التي دلت على حسن قصدها وعلى اهتمامها بكل ما يعود بالخير على البلاد يؤمل منها قبول اقتراحنا هذا والله وليّ التوفيق

النمل ودود القطن الاميركي

يسطو على لوز القطن الاميركي حشرة تتلفهُ وهي نوع من السوس لا من الفراش وقد بان لهذه الآفة آفة تهلكها وهي نوع من النمل يسمَّى نمل تكساس فان النملة تقبض على السوسة وتميتها حالاً وهذا النمل منتشر الآن في ولاية تكساس وغربي لويزيانا ويراد نشرهُ في كل الاماكن التي يزرع القطن فيها رجاء ان ينقذ قطنها من دود اللوز وهو انتك ما يكون بالقطن

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم اهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

نصيب المرأة

المرأة اما ان تكون زوجة لاحد الاغنياء فتعيش بالراحة والرفاهة وتستطيع ان لا تعمل عملاً ولا تُسأل عن شيء. تراها في هذه العاصمة وغيرها من العواصم تنام الى الظهر وتسهر الى نصف الليل وتركب افخر المركبات وزوجها يدير اطيانهُ واعمالهُ ويجادل ويناضل ويسعى ويكدح حتى يكسب ما يكفي لنفقاتها وتنعمها

واما ان تكون زوجة لاحد الاواسط او الفقراء وهو الاكثر فيكون نصيبها التعب والنصب نهارًا وليلاً غير مأجورة ولا مشكورة

كتبت الكاتبة الانكليزية اليصابات غلر فصلاً وصفتها فيهِ ابلغ وصف قالت ما تعريبهُ

حبذا لو خولتُ توزيع النياشين التي وهبها كارنجي لتوزع على الابطال فكنت اوزعها على هؤلاء النساء نعم انهنَّ لم يركبن القوارب التي تنجي الغرق ولا خضن الانهار لتخليصهم ولا اوقفن فرسًا جامحًا ولا اقتحمن بيتًا مشتعلاً ولكنهنَّ فعلن ما هو اعظم من ذلك فان المرأة منهنَّ تقيم ثلاثين سنة او اربعين او خمسين تجارب الفقر والوحدة والمرض من غير ان تسمع لها صوتًا او تسمع منها شكوى حتى لا يكاد الناس يشعرون بوجودها ولكن اذا التقى بها اشجع بطل شهد المعارك الكبار وامتلأ صدرهُ بنياشين الشرف والفخار وجب عليهِ ان يقف امامها مطرقًا حاسر الراس لانهُ يرى امامهُ شخصًا اشجع منهُ

لا شيء في منظر هذه المرأة يدل على شجاعتها وبسالتها فهي مثل غيرها من اخواتها في هيئتها ولبسها تراها كل يوم فلا تلتفت اليها وهي مع ذلك تستحق الالتفات والاكرام مثل ابسل بطل خاض معامع القتال

لقد كانت منذ سنوات كثيرة فتاة غضة الشباب وكانت كثيرة الاماني والآمال مثل

غيرها من الفتيات فتزوجت وهي تحسب ان زوجها ممتاز بين الرجال وانهُ يحبها حبًا مفرطًا فيراها جنتهُ وملاكهُ كما كان يقول لها . ثم تزول هذه الاحلام رويدًا رويدًا وترى فتورًا في محبتهِ لانهماكهِ باعمالهِ ولا يعود يعجب بجمالها كما كان يفعل من قبل فتعكف على اعمال بيتها تخيط وتطبخ وتغسل وتنظف لكي يكون زوجها مستريحًا في معيشتهِ وهي لا تسمع منهُ الَّا كلام اللوم والتعنيف واذا لم يوفَّق في اعمالهِ ويكتسب منها ما يكفي لنفقات بيتهِ او يزيد عليها اضطرَّت ان تحارب الفقر بكل جهدها فتراها توفر من هنا ومن هناك لكي يظهر زوجها بثياب لائقة بين الناس ولا يكون اولادها دون اولاد جيرانها في ملابسهم وتحرم نفسها كل الملذات والمسرات لاجل زوجها واولادها فتكتفي بفضلات الطعام لا لانها تفضلها على غيرها بل لانها تحرم نفسها لكي تطعم زوجها واولادها

اما تعبها الاشد وشجاعتها العظمى فليس هنا بل في ولادة الاولاد وتربيتهم والسهر عليهم . تمضي الايام والسنون وهي لا تنام ليلة واحدة من غير ان تقوم لاولادها ترضع هذا وتغطي ذاك . واذا مرضوا — واي ولد لا يمرض مرارًا في صغرهِ — فهي الممرضة والمعتنية فوق واجباتها البيتية الكثيرة فتمر بها الايام وهي لا تجد راحة لا نهارًا ولا ليلاً وكثيرًا ما تمرض وتخور قواها ولكنها لا تغفل الاهتمام باولادها اذا نادوها

لا احد يصفها بالشجاعة ولكن يأتي ابنها والدفتيريا في حلقهِ فلا تتركهُ لحظة بل تخاطر بحياتها الف مرة كل يوم لاجلهِ وهي تضع فمها فوق فمهِ وتقبل شفتيهِ واذا قضى نحبهُ ودفن في رمسهِ فهي اول من يظهر الجلد وتعود للاهتمام ببقية اولادها مع فرط حبها لهُ وحزنها عليهِ

تحرم نفسها كل راحة لكي تعلّم اولادها وهي تعلم انهم يرتقون بذلك ويعلون عليها ولا يعود يرضيهم طعامها ولا لباسها ولا حديثها لكنها تفعل ذلك برضاها وتزيد في حرمان نفسها حتى يرتقي اولادها ويفوقوا عليها . تخيط وتطبخ وتغسل وتكوي وتحفر بيديها الهوَّة التي تفصل بينها وبين اولادها ولكنها تفعل ذلك مسرورة ولو كان فيهِ موتها

هذه هي المرأة الباسلة التي تستحق نياشين الافتخار ولو اغفى الناس عنها ولم يخصوها بكلمة واحدة من الاكرام

الامراض المعدية

الامراض المعدية كثيرة ولكل مرض منها مدة بين دخول العدوى في الجسم وظهور المرض فيهِ تسمَّى مدة الحضانة كأن بزور المرض تقيم في الجسم مدة معلومة قبلما تفرخ كما تقيم

البيضة تحت الدجاجة اياماً معلومة قبلما تفرخ . ثمَّ ان لكل مرض من الامراض المعدية زماناً معلوماً تبقى العدوى فيهِ من المصاب ولو شفي وتزول بعد ذلك . وترى في الجدول التالي اسماء الامراض المعدية ومدة الحضانة في كلٍّ منها ومدة العدوى

اسم المرض	مدة الحضانة	مدة العدوى
الاسهال (الديزيا)	يوم الى ٤ ايام	اسبوعان
التهاب اللوزتين	١٤ يوماً الى ٢٢	٣ اسابيع
الانفلونزا	١ » » ٢١	٣ »
التيفوس	٦ » » ١٤	٤ »
التيفويد	٨ » » ١٤	٦ »
الجدري	— » » ١٢	٦ »
الحصبة	٨ » » ٢٠	٤ »
الحماق	١٠ » » ١٤	٣ »
الحمرة	١ » » ٥	١ »
الدفثيريا	١ » » ٨	٣ »
السل	مجهول	مجهول
الشهقة	٤ » » ١٤	٨ »
القرمزية	١ » » ٦	٦ الى ٨
الكوليرا	١ » » ٥	٣

قواعد لمنع انتشار الامراض المعدية

(١) التطعيم يفيد في كثير من الامراض المعدية لانهُ يقي الجسم منها و يجعلهُ قليل التأثر بها

(٢) الاعتناء بالصحة بنوع عام يقوي الجسم على مقاومة الامراض المعدية

(٣) لا بدَّ من عزل كل من يصاب بمرض معدٍ عن غيرهِ

(٤) لا بدَّ من اتلاف كل الثياب الملوَّثة ببرزاتهِ او نفثهِ

(٥) لا بدَّ من تطهير ثيابهِ وفراشهِ وملابسهِ بالبخار . والبخار افضل من الهواء السخن لهذه الغاية لانهُ يحتمل حراة كثيرة

(٦) ان المحلول الذي فيهِ جزء من خمسة آلاف جزء من السليماني يقتل كل الميكروبات والمحلول الذي فيهِ جزء من الف من السليماني يقتل كل بزور الميكروبات

(٧) مفرزات المصابين بالتيفويد لا يطهرها الحامض الكربوليك لانهُ لا يقتل جراثيم التيفويد مع انهُ يقتل جراثيم كل الامراض المعدية وانما يقتلها الحامض الكبريتيك وبرمنغنات البوتاسيوم ثم يضاف اليها ما يكفي من الجير (الكلس) قبل صبها في المرتفق لكي لا يتلف الحامض الكبريتيك انابيب المرتفق

المنزل الصحي

اذا اريد ان يكون المنزل مستوفياً شروط الصحة وجب ان يبنى في ارض جافة غير رطبة . واذا كانت الارض رطبة من طبيعتها ولا بدَّ من بنائهِ فيها وجب ان يركَّب تحتهُ طبقة من الخرسانة تمنع نفوذ الرطوبة اليهِ . ويفضل ان لا يوجه الى الجهات الاربع بل ان تكون زواياهُ في الجهات الاربع اي تكون جهة منهُ شمالية شرقية وجهة شمالية غربية وجهة جنوبية شرقية وجهة جنوبية غربية فالغرف التي يقيم فيها اهل البيت يجب ان تكون متجهة الى الجنوب والغرب والغرف التي يأكلون فيها ويصعدون منها الى الطبقة العليا ويضعون فيها المؤونة يجب ان تكون متجهة الى الشمال والشرق وغرف النوم تكون الى الشمال الشرقي فتدخلها شمس الصباح ولا تدخلها شمس المساء فتخف حرارتها ليلاً وبعد الظهر . والغرفة التي يقيم فيها المرضى والغرفة التي يلعب فيها الاولاد يجب ان تكونا متجهتين الى الجنوب الشرقي . ولا بدَّ ان تكون حيطان البيت الخارجية سميكة حتى تمنع دخول الرطوبة اليهِ وان يكون سقفهُ مانعاً لنزول ماء المطر منهُ وان يدخل نور الشمس كل غرفهِ ويتجدد الهواء فيها وفي كل دورهِ وممراتهِ

الطوب الاخضر والاحمر يحتويان مقداراً كبيراً من الماء وهذا الماء يتبخر مع الزمن ويقوم الهواء مكانهُ فالبيوت المبنية بالطوب الاخضر او الاحمر لا تكون صالحة للسكن الاَّ بعد ان يمضي عليها مدة طويلة حتى تجف جيداً ويتبخر الماء منها

الورق الملون الذي تبطَّن بهِ جدران البيوت من الداخل قلما يخلو من الزرنيخ والزرنيخ يتحات من الورق ويطير مع الغبار فيسم السكان ويكون فعلهُ طفيفاً لا يشعر بهِ وقد يكون شديداً فيظهر السم فيهم باعراضهِ المختلفة فلا يجوز استعمال الورق لتبطين غرف البيوت الاَّ بعد ما يثبت انهُ خالٍ من الزرنيخ



قراءة الافكار والنوم المغنطيسي

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين .

سألكم احد المشتركين في الجزء الثالث من المقتطف الصادر في الشهر الماضي تفسير ما يشاهد في تياترو الازبكية من اعمال المرأة المدهشة في قراءة الافكار فعللتم ذلك تعليلاً لا يكشف سر المسئلة وكان الاولى ان ترجعوا بالجواب الى مقالاتكم الرنانة في النوم المغنطيسي في سني المقتطف السابقة حيث يجد السائل الجواب الشافي والتعليل الكافي . وقد شاهدت هذه الاعمال في سورية وتحققت بنفسي اموراً جديرة بالذكر لا تخلو من فكاهة للقارىء وفيها تعليل علمي يقنع السائل فتكرموا بادراجها اذا رأيتم منها فائدة

ان ما ورد في سؤال السائل صحيح فالمرأة تقرأ الكتابة وهي مغمضة العينين وتقرأ افكار كل طالب يطلب منها ذلك وتفعل افعالاً عجيبة غريبة تدهش الحاضرين على ان ليس في كل ما تفعله شيء يستحيل تعليله لانها ليست سوى آلة عمياء في يد قائدها اي المنوّم المتسلط على ارادتها فما تكشفهُ من الضمائر ليس من باب قراءة الافكار ولا دخل فيهِ ايضاً لمناجاة الارواح وليس هو من الشعوذة في شيء بل هو حقيقة علمية كما يتضح مما يأتي

اضمر ما شئت واطلب منها معرفة ما اضمرت فتجيبك جواباً صحيحاً مدهشاً واذا غالطتها بان كنت عازباً واضمرت انك متزوج ولك ابنة مريضة بحالة الخطر وتودّ ان تعرف هل تشفى او لا فتجيبك عن ذلك اي انها لا تكشف المغالطة بل تكشف لك فكرك فقط . ويشترط في معرفتها ذلك انك تسرّ بما اضمرت الى المنوّم والاَّ ما استطاعت الى الكشف سبيلاً واما نفي الظن بالتكلم البطني فلانها تعمل اعمالاً تنفي الشبهة بهِ منها ان المنوّم يرسم بالطباشير خطاً متعرجاً على طول ارض المرسح ويأمرها ان تمشي عليهِ متتبعة التعاريج فتفعل . ويرسم لها رسماً على قطعة قماش فتأخذ ابرة وخيطاً وتسّل خطوط الرسم بالخيط بدون خلل . ويخبيء مادةً ما كساعة او خاتم او خلافهما فتكتشفها حيثما كانت ويؤلف الحضور رواية فاجعة ويتفقون على ان زيداً القاتل وعمراً المقتول وحنا السارق فتعرف كلاً منهم وتعمل عملهُ المفروض لهُ

كل ذلك وهي معصوبة العينين بطبقة من القطن وعصابة سوداء سميكة وكله بدون تكلم وبدون تداخل المنوّم بحسب الظاهر فالتعليل عن ذلك اذًا بالتكلم البطني يزيد المسئلة اشكالاً وتعقيدًا

واغرب ما شاهدتهُ منها اننا كتبنا لها نحو ثلاثين ورقة كلٌّ منا كتب ما عنَّ لهُ من ادب اوهزل ووضعناها في كيس بدون ترتيب فطفقت تأخذ الورقة بعد الورقة وتضعها على صدغها مما يلي الحاجب وتقرأ ما فيها وميزت من بينها ورقة مكتوبة بقلم رصاص كوبيا ازرق وسيأتي التعليل عن ذلك فيما يلي

قلت آنفًا ان لا بدَّ للمنوّم من الوقوف على فكر السائل لتستطيع المرأة قراءته فيبقى هنا محل للظن بالمواطاة مع المرأة على كيفية تخفى على الحاضرين واليكم ما ينفي ذلك ايضاً . لما حضرت هذه الرواية في سورية طلبت من الرجل ان يجعل المرأة تحت سلطة ارادتي فنوّمها وامرها ان تطيع اوامري فعصبت عينيها عصابة لا تبقي محلاً للشبهة وافتكرتُ بانهُ يجب ان تذهب الى رجل من الحضور وتنزع خاتمًا من اصبعهِ وتضعهُ في اصبع رجل آخر فلم تهتدِ الى ذلك واخذت تتأفف وتتململ وانزعجت انزعاجًا شديدًا والحت عليَّ ان اجمع فكري لتستطيع كشفهُ فعرف زوجها موقع الخلل وأسرَّ اليَّ ان مجرَّد الفكر وحدهُ لا يكفي بل يجب ان آمرها ففعلتُ واخذت اصدر لها اوامري الفكرية اي بدون ان اتلفظ بكلمة بل بدون ان احرك شفتيَّ فسارت امامي سير العارف المهتدي حتى اذا وصلت الى الصف الذي فيهِ الرجل الاول امرتها ان تعرج عليهِ ولما وصلت اليهِ قلت هذا هو فبدأت بالتفتيش من رأسهِ فما دون فقلت لها في نفسي لا لزوم لذلك كلهِ امسكي البنصر وانزعي الخاتم وارجعي على عقبيكِ وسيري الى الصف الامامي ولما وصلت الى الرجل الثاني قلت هذا هو البسيهِ الخاتم ففعلت . ولزيادة التحقيق اتفقت مع بعض الحاضرين على تلفيق رواية فاجعة فتتبعتْ حوادثها واكتشفت اسرارها طبقًا للاوامر التي كنت اصدرها من مخيلتي وكنت في هذه الحادثة اخالف ما اتفقنا عليهِ من وقائع الفاجعة لا تحقق تاثير اوامري فيها فكانت تطيعني في كل الاحوال . مثال ذلك اتفقنا ان يكون احد الحضور الضارب وآخر المضروب واتفقنا ان الاول يطعن الثاني بخنجر في صدرهِ فلما امسكت الثاني امرتها ان تطعنهُ في بطنهِ فهمَّت فقلت لا لا بل في صدرهِ ففعلت

فهذه الافعال اذهلت كل من شاهدها وكان يتوارد اليَّ الاصحاب مستفسرين فعقدت النيَّة على امتحان هذه الامور بنفسي ففعلت ونجحت بعض النجاح . فنومت البعض وفرضت

عليهم بعد ان عصبت اعينهم ان يعملوا اعمالاً خصوصية فعملوها واذكر من هذا القبيل ان شاباً هيستيرياً سألني عن كيفيَّة حصول التنويم فنام من مجرد تحديق نظري بهِ ووضع يدي على جبهتهِ ولما امررت يديَّ على جسمهِ حصلت لهُ الكاتالبسيا وآخر لم استطع تنويمهُ جيداً وكنت وضعت يدي فوق رأسهِ على بعد بضع عقد اخبرني انهُ لم ينم ولكنهُ كان يشعر ان يدي كانت تنسل شعر رأسهِ واحدةً فواحدة · وكان من جملة حضور هذه الجلسات البيتيَّة احد معلمي المدرسة الشرقية فشغف بهذا الفن واخذ يمحنهُ ويزاولهُ وكانت اكثر امتحاناتهِ على تلميذ هيستيري حصل لهُ من تكرار التنويم وعدم خبرة المنوّم اختلاط ذهني هيستيري ونسي اللغة الافرنسية مدةً وعاد فتذكرها بعد ان شفي

فالتنويم المغنطيسي فن يستعملهُ المشعوذون مشوباً ببعض الشعوذات للارتزاق ويستعملهُ الاطباء علاجاً شافياً لبعض الامراض وحكومات اوربا منعت غير الاطباء من تعاطيهِ لما فيهِ من المحذورات والمخاوف كما حدث للتلميذ المذكور آنفاً ولغيرهِ مما لا محل لذكرهِ هنا

ويقول الاطباء الذين يزاولون هذا الفن انهم يشفون بهِ كل احوال الهيستيريا وينزعون بواسطتهِ ميل السكيرين الى المشروبات الروحية ويقتلعون بعض العوائد السيئة من اصحابها ويقولون ايضاً بان بعض المجرمين قد يكونون محمولين على ارتكاب الجريمة بفعل التنويم المغنطيسي وهم وان ارتكبوها عن رويَّةٍ وتدبُّرٍ فانهم مع ذلك مساقون بارادة المنوم اليها وهم لا يعلمون واذا افاقوا لا يذكرون ما فعلوا كأن لهم وجداناً ثانياً غير وجدانهم الاول

واما سر هذا التنويم فلا يزال غامضاً والمعروف من امرهِ هو ان كل ذي ارادة قويَّة يؤثر على ذي الارادة الضعيفة فالمنوم لا يستطيع تنويم كل من يطلب تنويمهُ بل ينجح في تنويم الضعيف الارادة وذوي الامزجة العصبيَّة ولاسيما المزاج الهيستيري ومتى نوَّم شخصاً مرةً استطاع تنويمهُ ثانيةً بسهولةٍ وبالتكرار يصير آلة بين يديهِ وينام من مجرَّد النظر اليهِ فمثل هذا يكون مثالاً للتنويم المغنطيسي ويتجرد من ارادتهِ ويصبح آلة عمياء في يد المنوم وهذه هي حالة الامرأة في تياترو الازبكية

اما كيفية وصول اوامر ارادة المنوم الى دماغ النائم فتتم كما يأتي وهو اذا كان المنوم طبيباً والنائم مريضاً ولنفرضهُ امرأة هيستيرية مشلولة اليد او الرجل فبعد تنويمها يأخذ الطبيب باقناعها بصوت جهوري دالٍ على الثقة والسلطة بانها ليست مريضة او بانها شفيت من مرضها فتفيق وقد شفيت . وهذا النوع من تبليغ الاوامر ظاهر لا يحتاج الى ايضاح وبيان واما الاوامر التي تصدر من المخيّلة على النحو المذكور آنفاً فالنائم لا يسمعها كما هو ظاهر لنا لان

المنوم لا يتلفظ بها فهذه تحتاج الى كشف الغامض منها والعلم يتكفل بكشفهِ ولعل ما اوردهُ من هذا القبيل حقيقة او قريب من الحقيقة

اطلعت في احدى المجلات الطبية على اكتشاف حديث غاية في الاهمية وكنت اود ان انقلهُ بالحرف الى المقتطف الاغر تفكهة للقراء ولكن الاسفار والعارية اضاعت بعض الاعداد فاقتصرت على ايراد ما علق بالذاكرة مما يقتضيهِ المقام الآن واعد القراء بالعودة الى هذا الموضوع في فرصة اخرى ان شاء الله

قد اكتشفوا اشعة طبيعية سموها اشعة N واطلقوا عليها اسم الاشعة الحيوية وهي تظهر عند قضاء وظيفة العضو الطبيعية وتنبعث عن سطحهِ . مثال ذلك ان الدجتال عقار يفعل بالقلب فعلاً خصوصياً معروفاً عند الاطباء فاذا غمسنا الورق الحساس في محلول الدجتالين اي المبدإ الفعال في الدجتال ووضعناهُ على الصدر فوق القلب فيأخذ الورق بالضياء والاشعاع واما اذا وضعناهُ على اي محل آخر كالزند او الفخذ مثلاً فلا يتأثر . ومثل ذلك اذا وضعنا ورقاً حساساً على صدغ خطيب مفوه فيضيء ويشع ويزيد الضياء والاشعاع بزيادة قوة عارضة الخطيب وزيادة تأثرهِ بموضوع خطابهِ . وقد اطلعت ايضاً في احدى المجلات العلمية على صورة فوتوغرافية يزعم مصورها انهُ ارتسم فيها اشعة الغضب ويزعم ايضاً ان لكل من الملامح والعواطف اشعة خاصة . فاذا صدق الزعم كان ذلك من ظواهر اشعة ن . فهذه الاشعة تتكفل بتفسير اعمال امرأة مرسح الازبكية وامثالها ومما يزيدني اقتناعاً بذلك ان الامرأة التي ذكرتها ووضعها المنوم تحت سلطة ارادتي كان يختلف تأثرها باختلاف اوامري ويظهر عليها من الانفعال ما يظهر على الولد بعد زجر او تهديد او ملاطفة فاذا صممت بفكري ان تعمل عملاً فاخطأتهُ زجرتها ووبختها وربما شتمتها وكل ذلك بالافتكار فقط فترتعش وتضطرب ثم تهتدي الى ما اريد فاستعيض اذ ذاك عن الخشونة باللطف فاقول لها تفكري أحسنتِ الآن عافاكِ . سيري . فيظهر عليها وفي مشيتها نوع من الرضى وتسير بدون خوف ولا اضطراب . وبعد ان تتم العمل المفروض عليها وتوقظ من نومها تنظر الى الجمهور نظر المفتخر بعملهِ ولسان حالها يقول ان فيَّ سرًّا ومقدرة ليسا في سواي وهي ليست سوى حيوان ضعيف الارادة ومختل الشعور تنقاد بدون تعقل الى تنفيذ اوامر ترد الى مخيلتها وهي لا تعرف مصدرها . فيتضح من ذلك ان اشعة ن تنتقل من دماغ المنوِّم الى دماغ النائم حاملة اليهِ الاوامر كما يحمل تلغراف مركوني الرسائل البرقية من محل الى آخر

وقد اتضح مما سبق ان المسئلة ليست في شيء من مناجاة الارواح ولا من قراءة الافكار

ولا من التكلم البطني ولا من المواطئة ولعلَّ المستقبل يكشف لنا من الغوامض والاسرار ولم يكن في الحسبان

الدكتور امين ابو خاطر

[المقتطف] ان الاعمال التي عللناها بالتكلم من البطن تعلل كلها بهِ بسهولة فلا داعي لفرض تعليل آخر ولكن اذا وجدت افعال اخرى لا تعلَّل بهِ فحينئذٍ تدعو الحال الى اكتشاف تعليل اوفى منهُ ولقد استدركنا على ذلك وقلنا ما نصهُ "ويحتمل ان لا يكون تعليلنا هو التعليل الصحيح ولكن لا يحتمل ان توجد امرأة تستطيع قراءة افكار غيرها ومعرفة الغيب ولا تستخدم قوتها هذه في ما يكسبها اموالاً طائلة ويكفيها مؤُونة الوقوف في المشاهد العمومية والتعرُّض للنوم المغنطيسي الذي تدَّعيهِ وهو يضعف الجسم والعقل". ولقد شاهدنا المرأة التي شاهدتموها ونساء غيرها في هذه العاصمة وفي باريس ورأينا اعمالهنَّ ولم نرَ فيها شيئاً لا يمكن تفسيرهُ بالتكلم البطني او بالتواطؤ بينها وبين بعض الحضور او بالاتفاق مع زوجها على الفاظ مخصوصة تستدلُّ منها على امور كثيرة او بارشاد الحضور لها على غير قصد منهم الى ما يضمرونهُ. وهي في كل حال لم تكن نائمة النوم المغنطيسي ولو تظاهرت انها نائمة . ولقد اعترفت لنا واحدة في باريس انها لم تكن نائمة ولا فعلت شيئاً بقوة خفية

اما الامر الذي ذكرتموهُ وهو ان زوج المرأة امرها ان تكون تحت امركم ثم جعلتم تأمرونها بفكركم فتفعل ما تأمرونها بهِ فهو شيء جديد لم نُسأَل عنهُ قبلاً ولا سمعنا بهِ ويمكن تعليلهُ على وجهين الوجه الاول ان المرأة غير نائمة كما تدعي وهي شديدة الشعور جدًّا فتشعر بكل حركة تبدو منكم ولو كانت مغمضة العينين . وانتم كنتم ترشدونها بحركاتكم وتنفسكم الى ما تريدون كأنكم ترشدونها بالكلام المسموع . وهذا التعليل معقول ومقبول وقد قال كمبرلند اشهر قارئي الافكار انهُ يشعر بحركات الناس كذلك ويهتدي بها الى معرفة مرادهم . هذا هو الوجه الاول والوجه الثاني هو التعليل الذي عللتموهُ انتم وهو انهُ كان يخرج من ذهنكم قوة مثل امواج النور او الامواج الكهربائيَّة وهي التي سميتموها باشعة ن فتؤَثر في ذهن المرأة . ويعترض على ذلك اولاً ان اشعة ن لم يثبت وجودها حتى الآن ثبوتاً ينفي الريب وثانياً ان ما ذكر من حوادث التلبثي هذه (اي تأثير الذهن بالذهن عن بعد) كثير جدًّا ولكن لم تثبت حادثة منها حتى الآن ثبوتاً علمياً نافياً للريب

الاَّ ان عدم ثبوت هذه الحوادث حتى الآن لا يثبت انها كلها باطلة لان النفي ليس دليلاً كالايجاب فيحتمل انهُ يصدر من دماغ اشعة تؤَثر في غيره من الادمغة ولكننا لانضطر

لهذا الفرض الاَّ اذا وجدنا اموراً لا تعلَّل الاَّ بهِ او اذا قامت على صحتهِ ادلَّة قاطعة غير انكم قلتم ان الناس الذين نوَّمتموهم النوم المغنطيسي كانوا يفعلون كما تفعل المرأة فان كان المراد انكم تأمرونهم امرًا فكريًا فيفعلون حسب ما تأمرونهم بهِ من غير ان تلفظوا بشيءٍ فهذا امرٌ يصعب تعليلهُ بغير هذا الفرض . وعلى كلٍّ نشكر لحضرتكم ما ابديتموهُ من الاهتمام بهذا الموضوع ونرجو ان تزيدوا فيهِ بحثًا اثباتًا للحقائق

تأبين اليازجي [1]

لما دعوتموني ايها السادة الى رئاسة هذا المحفل كان ذلك اكرامًا عظيمًا لي . ولما اعتذرت عن قبولها لسبب حالة صحتي زدتموني تكريمًا بانتخابي لرئاسة الشرف . واني انسب كل ذلك الى معروف منكم لا الى شيءٍ فيَّ من الفضل او الاهليَّة فاقبلوا جزيل شكري . ولكنني اذ كنت مشاركًا لكم في الحزن على فقد استاذٍ كبير وعالمٍ شهير رأيت من الواجب ان اقول كلمة يتلوها عني واحد من كرامكم

لم يكن لي معرفة كبيرة او علاقة شديدة بالمرحوم الشيخ ابرهيم اليازجي الذي اقيم لذكرهِ هذا المأتم . بيد ان كل ما رأيتهُ فيهِ وسمعتهُ عنهُ وقرأت مما كتبهُ يؤدي الى اليقين انهُ كان من كبار العلماء باللغة العربيَّة وآدابها شاعرًا مجيدًا وكاتبًا بليغًا وانهُ كان من اهل الفضل العظيم في رفعة النفس وسلامة النيَّة وطهارة الحياة . وكان على ما بلغني مستغنيًا عن الناس يختار عيشة البساطة والقناعة والفقر لا يطلب ولا يرضى مساعدة احد وان مسرات حياتهِ لم تكن في ما تطلبهُ العامة بل في ما يجدهُ العالِمُ في عالم العقل اي في الدرس والتفكُّر والكتابة فهو جديرٌ حقًّا بهذه الذكرى التي الاكرام فيها لهُ ولكم ايضًا

قيل انهُ مات ودُفن علمهُ معهُ وليس الامر كذلك لان في ما ذاع مما كتبهُ في حياتهِ وفي ما سيطبع بعد موتهِ آثارًا تُذكر وتبقى . وانني ارى في هذا المجتمع مثالاً حسنًا يقتفى واسمع صوتًا مما وراء صموت القبر يحثكم ايها الجماعة ولا سيما الشبان منكم على طلب العلم وطهارة الفكر والحياة . ووددت لو كان لي ان اضع اكليلاً من الزهور على ضريحٍ كريم واذ لم يكن ذلك ممكنًا فالقي عليهِ عن بُعد كلمة خطيرة تلقَّيتها من شيوخ الزمن القديم وهي "موت الفاضل خسارة للدنيا"

---

(١) تلي في افتتاح حفلة التأبين التي أُقيمت في بيروت في ١٣ مارس ١٩٠٧ تذكارًا للمرحوم الشيخ ابرهيم اليازجي

ومن هذا الوداع وداع الاسف والحسرة يحملني الفكر الى ما قبل ولادتهِ لما كنت شاباً اطلب العلم على والدهِ المرحوم الشيخ ناصيف ثم الى بعد ما انقضت مدة التلمذة لما اكرمني بصداقة خالصة ومودة ثابتة دامت اكثر من اربعين سنة . وكنت اتردد اليهِ واعجب من قوة ذاكرتهِ التي حفظت كل ما تعلَّمهُ او قرأهُ في زمانهِ ووعت اكثر العلوم العربيَّة وحكايات الاقدمين وقصصهم التاريخة واشعارهم وحكمهم . وصنَّف كتباً كثيرة في تلك العلوم فكان لارجوزتهِ المعروفة بجوف الفرا وشرحها مقام كريم بجانب ارجوزة ابن مالك وشرحها لابن عقيل وكذلك لمقاماتهِ بجانب مقامات الحريري وربما دامت بعض كتبهِ في آداب اللغة العربيَّة يتعهدها العلماء زمناً طويلاً بعد ان يكون قد امحى ذكر اهل هذا الزمان

وقال لي اكثر من مرَّة انهُ يكره التكلف والتصنع في الانشاء وكل من قرأ مصنَّفاتهِ رأى فيها غاية البساطة المقرونة بغاية الصحة والبلاغة وهو شأن اصحاب الذوق السليم خلافاً لبعض كتَّاب هذا العصر الذين لا ينكر عليهم العلم الواسع باللغة وانما ينكر عليهم التفنن في الانشاء والتعقيد في المعاني والغريب من الكلام الذي معناهُ غير ظاهر واستعمالهُ غير مأنوس . وربما بلغ امرهم ان لا يفهم ما يكتبونهُ الاَّ من عمد مثلهم الى ما قد هُجر من اللغة او ندر فيها لا يُعثر عليهِ الاَّ في كثيرٍ وضُعت للمعجمات . وقد قال كبار العلماء من العرب لا يدخل الإغراب في الكلام الاَّ افسدهُ . وقال كتَّاب الانكليز جمال الانشاء في بساطتهِ

وكل هذا غير ما كان عليهِ ذلك الشيخ الجليل من العفاف والمروَّة والشهامة والرصانة والوقار والتواضع والصدق بحيث لم ارَ منهُ مرة واحدة شيئاً يخفض رفعة نفسهِ او يعيب كرامة منزلتهِ . ولم اسمعهُ مرة واحدة يهجو احداً او يهزأُ باحد او يحتقر احداً او يفوه بكلمة لا تليق بهِ . وكان اذا عرف خيراً في انسان قالهُ او شرًّا صمت عنهُ فلم يكن من الذين شدَّد عليهم الذمَّ ابو العلاء في قولهِ

اعوذُ بالله من قوم اذا سمعوا   خيرًا اسرُّوهُ او شرًّا اذاعوهُ

وكما كان الاب هكذا كان الابن — الاثنان على غاية من علوّ الشأن في العلم والعمل والفضل والصلاح . وكنت اقول رحمهما الله لولا يقيني الثابت انهُ تعالى قد تغمَّدهما بالرحمة الواسعة التي افضل البشر يحتاج اليها وادخلهما جنَّة الصالحين وكأني ارى خيالهما معكم الآن منعطفاً اليكم سامعاً كل ما يقال ناظرًا الى كل ما يتحرك فيكم من الشوق الى معالي النفس ونقاوة القلب ونظافة الافكار والسيرة مما يتلى عليكم في هذه الساعة فاذكروا ان ما تتوقون اليهِ

تبلغون شيئاً منهُ كثر او قلَّ · ولقد اجاد الاستاذ العالم الفاضل ابرهيم الحوراني في رثائهِ صديقهُ حيث قال

دفنوا حجابَ النفس في جوف الثرى والنفسُ حلَّتْ بالمحلِّ الأرفعِ
قالوا المماتَ من الحياةِ وما دَرَوا أنَّ الحياةَ من المماتِ المفجعِ
فالحبُّ ينبتُ بعد ما يبلى أما للحيِّ بعد ذهابهِ من مرجعِ
إنَّ الخلودَ حقيقةٌ ازليَّةٌ نفيُ النفاةِ لها هباءةُ زعزعِ
لم ينفها العلمُ الحديثُ وأثبتتْ في مجمعِ العلمِ القديمِ المجمعِ

بيروت يوحنا ورتبات

باب التقريظ والانتقاد

فتح الرحمن لطالب آيات القرآن

اقترح حضرة الاديب محمد افندي عمر على العلماء وضع كتاب تسهل بهِ مراجعة الآيات القرآنية في اماكنها ونشرنا اقتراحهُ في الجزء السابع من المجلد الحادي والعشرين من المقتطف فاطلع عليهِ حضرة السيد علي زاده فيض الله الحسني القدسي مدير بيت لحم واجاب في الجزء الثامن من المجلد الحادي والعشرين انهُ يوجد مفتاح للآيات الشريفة اسمهُ ترتيب زيبا مطبوع في الاستانة ومفتاح آخر لكلمات القرآن المعظم اسمهُ نجوم الفرقان في اطراف القرآن مطبوع في المانيا وانهُ لا مانع شرعي من وضع مثل هذه الكتب · واجاب احد علماء دمشق ذاكرًا ترتيب زيبا واثنى على حسن ترتيبهِ وسهولة استعمالهِ · وقفَّينا على ذلك بما معناهُ انهُ اذا كان عدد السور والآيات في المصاحف المنتشرة في بلاد الشرق مثل عدد السور والآيات في المصاحف المطبوعة في اوربا فنجوم الفرقان وافٍ بالغرض

وأطلع حضرة علي زاده على ما قالهُ العالم الدمشقي وما قلناهُ نحن فدعاهُ ذلك الى ترتيب هذا المفتاح الذي سماهُ فتح الرحمن وبسط في مقدمتهِ الخبر المتقدم ثم قال انهُ وقف على ما مرَّ من جوابنا وجواب الدمشقي فنبههُ ما تضمن كلٌّ منهما من استحسان احد الكتابين المذكورين فاقبل عليهما لينظر فيهما بعين التأمل والانتقاد فرأى انهما غير وافيين بالمراد · وحملهُ ذلك

على ترتيب هذا المفتاح وقد دلَّ فيهِ على السور بحروف مقطوعة منها مثل فا للفاتحة وبق للبقرة وذكر اعداد الآيات بحسب التقسيم المعول عليهِ عند جمهور العلماء . ويمتاز هذا المفتاح على ترتيب زيبا في انهُ ذكر كل كلمة رئيسة في الآية اي الافعال المشتقة والاسماء المتمكنة ولم يكتفِ بذكر اول الآية · ويمتاز على نجوم الفرقان في انهُ يذكر كلمات من كل آية عند ذكر كلمة منها حتى يستدل الباحث على الآية المطلوبة حالاً · ولا شبهة في ان هذا المفتاح اوفى من كل مفتاح رأيناهُ قبلهُ

فنهنئ حضرتهُ بهذا الاثر النفيس ونؤكد لهُ ان خدمتهُ الجليلة يقدرها قدرها كل ابناء العربية وكل المطلعين على آدابها من علماء اوربا واميركا · والمفتاح مطبوع طبعاً حسناً جدًّا في المطبعة الاهلية ببيروت

محاورات المصلح والمقلد

يظهر لنا مما نطالعهُ في مجلة المنار ان منشئها السيد محمد رشيد رضا وقف علمهُ وقلمهُ لمحاربة البدع والاوهام التي تسلطت على عقول المشارقة من قديم الزمان · وقد وضع في المنار محاورة بين مقلد ومصلح اظهارًا لضرر التقليد وفائدة الاجتهاد ثم جمع ما نشر منها في المجلد الثالث والرابع واضاف اليهِ اجوبة نشرها في المجلد السادس عن اسئلة سئلها موضوعها الاجتهاد والتقليد وكليات الدين الاسلامي وطبعها في مجلد على حدة وهاك فقرات من هذه المحاورات للدلالة على اسلوبها قال

اجتمع احد الشيوخ المتفقهين · واكابر الوعاظ المدرسين · بشاب من النابتة الجديدة الذين جمعوا بين العلوم العصريَّة والدينيَّة كما جمعوا بين المال والجاه بجدهم وكدهم ولولا ذلك لم يتنازل الشيخ لمحاورتهِ

نظر الشيخ الى الشاب فالفاهُ ضجرًا متبرّمًا تلوح عليهِ مخايل الحزن كأنما اصابتهُ مصيبة في نفسهِ او اهلهِ ومالهِ فقال لهُ ما بالك فانني اراك على غير ما اعهد وانني اعجب ان ارى مثلك يهتم لشيء من الاشياء فالحمد لله خير كثير وصحة جيدة والله قد وفقك للبر والتقوى والصدقات والمبرات والكريم لا يضام

(المصلح) : مهلاً ايها الاستاذ فانني انسان ومعنى " انسان " خلق اجتماعي يشعر بانهُ عضو من امة يسعد بسعادتها ويشقى بشقائها وانني ارى امتي اشقى الامم واتعسها فكيف اكون انا سعيدًا ناعم البال · في امة هذا شأنها من الخذلان والنكال

(المقلد) : ما هذا الذي اسمع منك فانك قد اخطأت خطأً منطقياً وخطأ دينياً اما الخطأ المنطقي فانك قد عرّفت الانسان بغير تعريفهِ الذي اجمع عليهِ علماء المنطق وهو "حيوان ناطق" واما الخطأ الديني فهو انك اغتبت المسلمين جميعاً وجعلت امة النبي صلى الله عليهِ وسلم شقية بل جعلتها اشقى الامم وخالفت الكلمة المجمع عليها بين المسلمين وهي "امة محمد على خير"

(المصلح) : اننا لسنا بصدد تحديد ماهيات الانواع والاجناس فنذكر تعريف المنطق للانسان وانما نريد الكلام في موضوع اجتماعي فاذا لم يصح ما قلتهُ في الانسان عند المنطق فهو صحيح عند اهل علم الاجتماع واما الغيبة فلا تظهر هنا لانني لم احتقر انساناً بخصوصهِ . واما كون الامة الاسلامية اشقى الامم في هذا العصر فلا يشك فيهِ الاَّ من لا يعرف من احوال العالم شيئاً ولا يعرف بلاد المسلمين ومن يحكمهم وما هم عليهِ من الجهل والفقر والذل وكيف يسامون سوء العذاب في جميع الاقطار وهم وادعون ساكنون . غارّون آمنون . كأنهم عجماوات لا يعقلون . او جمادات لا يحسون ولا يشعرون . فهل من العقل وصحة الفكر التي استفدناها من المنطق ان نكذب المحسوسات اليقينيَّة . لكلمات كاذبة سميناها اجماعية ؟

(المقلد) : انت لم تشاهد احوال جميع المسلمين فيصح حكمك عليهم ولمَ لا يجوز ان يكون في البلاد البعيدة عنا من لهُ منهم دولة قوية وعز وسؤدد . هذا اذا سلمنا لك جدلاً ان المسلمين في هذه البلاد اقل من غيرهم من اهل الملل الاخرى علماً ومالاً . وكيف نسلم بهذا واننا نرى المسلمين اغنى من القبط واما العلم فليس عند غير المسلمين علم مطلقاً

(المصلح) : ان علم تقويم البلدان والجرائد السيارة قد مثلت لنا ما لم نشاهدهُ من بلاد المسلمين وغيرها حتى كأننا نشاهدهُ دائماً لا يغيب عنا منهُ شيء ولكنني اراك غير محيط بعلم ما بين يديك من حال ثروة المسلمين هنا وعلمهم ولا اناقشك فيهِ الآن فان غرضي ان تقتنع بان المسلمين في شقاء ليكون هذا اساساً وقاعدة للكلام بيني وبينك

(المقلد) : كيف اقتنع بكلام لا حجة لك عليهِ الاَّ كتب تقويم البلدان وكلام الجرائد وكلاهما كذب لا يوثق بهِ فان مصادرهُ كلها كفرية والكافر لا تقبل روايتهُ ؟

(المصلح) : ان الكافر لا تقبل روايتهُ في موضوع كفرهِ وما يتعلق باثباتهِ وابطال ما يخالفهُ . واما ما ليس لهُ غرض في الكذب فيهِ وانما غرضهُ ومنفعتهُ في الصدق بهِ لأن فيهِ فائدتهُ وفائدة قومهِ فان العقل يقضي بانهُ يتحرى الصدق فيهِ لئلاَّ يغش نفسهُ وأُمتهُ ومن هذا النحو علم تقويم البلدان . وثم وجه آخر يجلي لنا تحريهم الصدق في مثل هذا الموضوع وهو

ان كل كاتب يعلم ان كتابتهُ تنتشر بالطبع و يطلع عليها اهل العلم بموضوعها فيسلقونهُ بألسنة الانتقاد الحداد . واقوى من هذين الوجهين ان معظم المسائل التي استند عليها في حكمي على المسلمين من المتواتر الذي يفيد اليقين فان معظم مسائل علم تقويم البلدان واخبار الجرائد الشهيرة متفق عليهِ بين الشركات البرقية والمراسلات البريدية في جميع بلاد المدنية . ولا يخفاكم ان التواتر لا يشترط في رواتهِ الدين وانما آيتهُ حصول العلم اليقيني بهِ لمن بلغهُ كما في كتب الاصول

(المقلد) : يشترط في التواتر ان يؤمن تواطؤ الرواة على الكذب ولا يتحقق هذا الشرط الاَّ اذا لم يكن لاولئك الرواة غرض وهوى فيما يروونهُ فاذا تحقق هذا الشرط بالنسبة لمسائل علم تقويم البلدان على ما قلت فلا يتحقق في اخبار الجرائد البرقية ولا البريدية لان لرواتها ومذيعيها اهواء واغراضاً سياسية

(المصلح) : انا لا اقول ان كل ما يروونهُ حق وصدق ولا أبرئهم من الهوى والغرض مطلقاً ولكن لا نتوهم ان اهواءهم تخفي الحقيقة وانما قصاراها ان تتصرف فيها بعض التصرف كالاعتذار والتلطف . كما نرى في برقيات شركة روتر الانكليزيَّة في هذه الحرب الترانسفالية . فقد كانت تخبرنا بجميع انكسارات قومها الانكليز. وهذا هو الشأن في الاعتماد على رواة شركة واحدة فيما نتهم فيهِ فما بالك بما ترويهِ رواة شركات مختلفة الاهواء والاغراض وتتفق فيهِ مع رواة البرد الذين يراسلون الجرائد المختلفة المشارب والمذاهب؟

(المقلد) : انني بصرف النظر عن صدق الجرائد وغيرها اسلم لك بان المسلمين في حال سيئة على الجملة فان هذا آخر الزمان وكل هذه الاحوال من علامات قيام الساعة وهي كائنة لا بد منها وستزداد يوماً بعد يوم حتى لا يبقى الا لكع بن لكع وعليهم تقوم الساعة فلا ينبغي ان نهتم بهذا الامر ولا ان نحزن لهُ لانهُ مصداق اخبار النبي صلى الله عليهِ وسلم ويستحيل زوالهُ

(المصلح) : هذا بعض ما اريد مذاكرتك بهِ فان عندي ريباً في كثير مما يروونهُ في الكتب من علامات الساعة وما سيكون قبلها اقوى من ريبك في اخبار الجرائد وعلم تقويم البلدان ولا يسعنا في هذا المجلس ان نبحث في متونها واسانيدها ونبين ما يقبل منها وما لا يقبل ولكننا لا ننكر على اي حال ان لكل شيء وقعنا فيهِ سبباً وان لكل مرض علاجاً فان الهيئة الاجتماعية كالهيئة الشخصية تمرض بسبب وما دام فيها زمق من الحياة فلا يأس من شفائها فما رأيك ايها الاستاذ في أسباب مرض الامة الاسلاميَّة العام وما رأيك في علاجهِ ؟

(المقلد) : اما سببهُ فهو ترك الشريعة عملاً وحكماً وليس لهُ علاج لان قيام الساعة

قريب وهي لا تقوم الا على شرار الخلق كما قلت لك الا ان الملوك والحكام الذين افسدوا الدين والدنيا اذا حكموا بالشريعة والزموا الناس بالعمل بها يندمل جرحهم و ينشعب صدعهم ويصلح شأنهم وما هم بفاعلين حتى يظهر المهدي وقد بشرني بعض الصالحين بانهُ يظهر في هذا القرن والساعة تقوم في اول القرن الخامس عشر واستدل على هذا بقولهِ تعالى " لا تأتيكم الا بغتة " فان حروف " بغتة " تبلغ بحساب الجمل ١٤٠٧ وبحديث " ان اساءت امتي فلها يوم وان احسنت فلها يوم ونصف " واليوم عند الله الف سنة وقد احسنت ولله الحمد ولذلك جاوزت الالف وفي اواخر النصف تقوم الساعة

(المصلح) : اما قولك ان ترك العمل بالدين والحكم بالشريعة هو سبب ضعف المسلمين فهو مسلَّم عندي ولكن لي فيهِ فهماً ربما كان غير ما تريد . واما قولك ان رجوعهم الى الشريعة لا يكون الا بقوة المهدي المنتظر فانا لا اعتقد بصحة هذا بل اقول ان هذا الاعتقاد من ادواءِ ادواءِ المسلمين واقتل امراضهم وان كان فيما قالوهُ عنهُ كلمة اصلاح وهي ابطال المذاهب وجعل المسلمين على طريقة واحدة كما هو اصل الاسلام . واغرب من هذا استدلالك على قيام الساعة بالآية فان هذه الطريقة من الاستدلال ليست معروفة في الاصول وكذلك الحديث لا اراهُ يصح . ثم انصرفا على ان يعودا للكلام بعد ايام . انتهى

والمحاورات كلها على هذا النسق وهي تكشف القناع عن كثير من الاوهام والخرافات وترشد الى صحيح القول وصواب العمل . وقد يشكر المسلمون صاحب المنار كما نشكر اكبر المصلحين وقد يقوم علماؤهم عليهِ ويكفرونهُ ويتهمونهُ بالالحاد فلا يصل الى الغرض المطلوب . وفي الكتاب ١٥٠ صفحة وثمن النسخة منهُ ٥ غروش وهو يباع في مكتبة المنار

سلافة العصر

ان من يطالع تاريخ القطر المصري والقطر الشامي وبلاد العرب والهند وتونس والمغرب الاقصى في القرن الحادي عشر الهجري اي منذ ثلثمئة سنة يحسب ان العلم هجرها والجور اناخ عليها ولكن من يمعن نظرهُ في هذا الكتاب " سلافة العصر " يجد ان ديوان الادب كان حافلاً بار بابهِ وانهُ لم يكن يتعذَّر على واحد منهم ان يجمع منظومات اولئك الادباء ويقف على ترجماتهم وهو امر لو توخاهُ احد ابناء هذا العصر لوجد دون البلوغ اليهِ خرط القتاد . ومدير السلافة وناظم عقدها صدر الدين المدني احد اعلام الادب في القرن الحادي عشر وسنبحث فيها بشيء من الاسهاب في جزء تالٍ . وهي كتاب كبير فيهِ اكثر من ٦٠٠ صفحة بقطع المقتطف

باب المسائل

(١) البلبل

مصر . مصطفى افندي سعيد . اهدى اليَّ احد المحبين من الشام طائرًا صغيرًا يسمَّى بلبلاً فرأيت من احوالهِ ما ادهشني من الفتهِ الغريبة وصوتهِ الرخيم وقد سمعت انهُ اذا أُخرج من قفصهِ لا يتجاوز في طيرانهِ المنزل الذي هو فيهِ مع انهُ سريع الطيران ويأتي الى من يشير اليهِ ويقف على يدهِ كأَنهُ الفهُ منذ عهد طويل ويخرج من قفصهِ ويقف على المائدة ويلتقط حبوب الارز عنها كأَنهُ يأْكل مع الآكلين ويغتسل مرارًا . وقيل لي انهُ لا يعيش مع آخر من جنسهِ بل كلٌّ منهما يقتل نفسهُ فهل ذلك صحيح كلهُ وما سببهُ

ج ان ما قيل لكم عن الفة البلبل صحيح اذا ربي صغيرًا . وقد يُسك كبيرًا فيظهر اليفًا كأَنهُ ربي صغيرًا ولكن يُرجح حينئذٍ انهُ يكون قد طار من بيت ربي فيهِ فالف الناس . واكثر الطيور تأْلف من يربيها ويطعمها وقد تكون اليفة قليلة النفور بالطبع وقد تأْلف بالتطبع وقد لا تالف ابدًا . اهدي الينا مرة ببغاءان سودانيان نادران احدهما اخضر الريش طويل الذنب شديد النفور لم يأْلف احدًا تعلَّم النطق حالاً والقن بعض الكلمات والجمل والانغام فكان يتلفظ بها كأَنهُ آدمي وكثيرًا ما سمع البواب صوتهُ فظن ان احد اصحاب البيت يناديهِ . والآخر رمادي واخضر قصير الذنب الف الذين كانوا يطعمونهُ فصار لا يهنأُ لهُ عيش الاَّ اذا جثم على يد الفتاة التي كانت تطعمهُ وتغسلهُ ولكنهُ لم يتعلم النطق قط . والبلبل شديد الالفة كما تقدم ويقف على المائدة ويلتقط حبوب الارز ويغتسل بالماء كما يغتسل الكنار ولكننا لم نسمع انهُ يقتل نفسهُ او انهُ لا يعيش مع آخر

(٢) جنود اليونان

مصر . امين افندي نجيب . كم عدد جنود مملكة اليونان البريَّة والبحريَّة

ج عدد جنودها البريَّة من الانفار والضباط نحو ثلاثين الفًا وعدد بحارتها في سفنها الحربيَّة نحو اربعة آلاف ومئتين

(٣) الخزان وانس الوجود

ومنهُ . هل اذا علي خزان اصوان ستة امتار كما يراد تعليتهُ الآن تغمر مياههُ هيكل انس الوجود تمامًا وهل يتلف ذلك الاثر من غمر المياه لهُ

ج تغمر اكثر الهيكل والمرجح انهُ يتلف بغمر المياه لهُ وانحسارها عنهُ سنة بعد سنة ولو نقلتهُ الحكومة الى مكان آخر كما قصدت اولاً لاحسنت صنعاً بدل ما انفقتهُ على ترميمهِ وتقويتهِ

(٤) تولد الخفاش

ومنهُ . هل الخفاش من الطيور وكيف يتولّد

ج الخفاش يطير كالطيور ولكنهُ ليس من الطيور في شيء بل هو كالفار والجرذ يلد صغارهُ ولادةً وقد بحث بعضهم في طباع الخفافيش الانكليزيَّة فوجد انها تلد في شهر يوليو ومدة حملها ٤١ يوماً الى ٤٢ يوماً ويكون لون اجرائها حينما تولد احمر لحمياً وجلدها املط لا صوف فيهِ غير شعرات قليلات على فمها ويأخذ صوفها يظهر في اواخر الاسبوع الاول بعد ولادتها ويكون اصفر عند ظهرها وابيض عند بطنها ولا تحاول الطيران ولو صار عمرها ثلاثين يوماً

(٥) طيران الانسان

ومنهُ . هل انحلّت مسأَلة طيران الانسان اي اخترع احد آلة يسهل الانتقال بها في الهواء من مكان الى آخر كما يسهل الانتقال بالمراكب على سطح الماء

ج كلاَّ ولكن يظن كثيرون من العلماء ان ذلك صار في حيز الامكان ومن المحتمل ان تصنع آلة يركبها الانسان ويطير بها من مكان الى آخر وتكون اسهل قياداً من البالون واسرع منهُ سيراً ولكن ليس من المحتمل ان تكون نفقاتها قليلة مثل نفقات سكة الحديد او يكون ركوبها مأموناً كركوب سكة الحديد . ولولا توقُّع الفائدة منها في الحرب ما رأينا هذا الاهتمام الكثير بها

(٦) ارتعاش العين

الاسكندريَّة . محمد افندي كامل النويعم ما هو سبب ارتعاش العين

ج هو فعل عصبي منعكس يحدث الآن لضعف في الاعصاب وهو من الحركات الموروثة من قديم الزمان على ما يظن فالحيوان الاعجم الذي لا يستطيع تحريك يديهِ لجزر الذباب عنهُ تتحرك عضلات بدنهِ السطحيَّة لكي تزجر الذباب اما الانسان فيجزرها بيديهِ لذلك ضعف فعل العضلات الجلدية ولم تعد اعصابهُ تهتم بتحريكها ولكن اذا ضعفت اعصابهُ او ضعفت قوة تحكيمها فعلت بعض الافعال القديمة الموروثة التي لا داعي لها الآن

(٧) رعوية المهاجرين السوريين

مونتريول بكندا . ١٠ م٠ ١ هل تعترف الدولة العلية برعويَّة السوريين الذين يهاجرون الى اميركا ويقيمون فيها مدة كافية لاكتساب الرعويَّة الاميركية ثم يعودون الى بلادهم وهل تحميهم دولة اميركا وهم في سوريَّة كما لو كانوا من اهاليها الاميركيين

ج ان مسأَلة الاعتراف بالرعوية

الاميركية لم تحلّ حتى الآن فان الدولة العلية متفقة مع دول اوربا على ان مَن يقيم في اوربا من رعاياها ثم يعود الى بلادهِ يخسر الرعويَّة الاوربية التي اكتسبها وهي تريد ان تعامل الذين يكتسبون الرعوية الاميركية كذلك وحكومة اميركا لم توافقها عليهِ حتى الآن ولا تزال تحمي السوريين الذين اكتسبوا الرعوية الاميركية ولو لم تعترف الدولة العلية برعويتهم الاميركية

(٨) رعوية المهاجرين الاوربيين

ومنهُ . ما شأْن الاوربيين الذين يقيمون في اميركا و يكتسبون الرعوية الاميركية اذا عادوا الى بلادهم بعد ذلك فهل تعدُّهم بلادهم من الرعايا الاميركيين

ج نعم تعدهم من الرعايا الاميركيين اي تحسب انهم خسروا رعويتها ولكن الدول الاوربيَّة تعامل كل من يكون في بلادها من غير رعاياها معاملة رعاياها تماماً فليس للاميركي امتياز على اهالي بلادها الاَّ من حيث الخدمة العسكرية وليس الامر كذلك في تركيا لان للاجانب امتيازات فيها فهي لا تريد ان تشرك بهذه الامتيازات رعاياها الذين تجنَّسوا بجنسيَّة اجنبيَّة

(٩) مرفأُ لبنان

ومنهُ . بلغنا ان اهالي لبنان اهتموا بتوسيع مرفإِ جونية وجعلهِ مرفأ لجبلهم بدل بيروت فهل تمَّ لهم ذلك

ج كلاَّ والظاهر ان الحكومة العثمانيَّة تعارض في ذلك ليبقى دخل الجمرك في بيروت على حالهِ وحكومة فرنسا تعارض ايضاً كي لا يقل دخل مرفإِ بيروت وهو لشركة فرنسوية مع انهُ لا يتعذَّر التوفيق بين مصالح الجميع اذا كانت المسأَلة ماليَّة فقط



الاستاذ برتلو

خسرت فرنسا وخسر علم الكيمياء خسارة لا تقدَّر بوفاة الاستاذ الاكبر المسيو برتلو اكبر كيماوي في فرنسا ان لم يكن اكبر كيماوي في العصر . نعاهُ البرق في الثامن عشر من شهر مارس الماضي وقال انهُ توفي على اسلوب مفجع توفيت زوجتهُ فلحق بها حالاً . وقد اعترفت فرنسا بفضلهِ حيًّا فاحتفلت منذ خمس سنوات بمرور خمسين سنة على اول تأليف نشرهُ من تآليفهِ وكان الاحتفال عظيماً جدًّا برئاسة المسيو لوبه رئيس الجمهورية الفرنسوية

حينئذٍ وقد نشرنا تفصيلهُ في حينهِ واحتفلت بوفاتهِ الآن ميتاً على نفقة الحكومة ودفنتهُ هو وزوجتهُ في البنتيون مدفن اعاظم رجالها وسنأتي على ترجمتهِ في الجزء التالي

الدكتور الان مكفدن

خسر علم البكتيريا خسارة كبيرة بموت الدكتور مكفدن الانكليزي ذهب ضحيَّة علمهِ فقد عدي بمادة مرضية وهو يمتحن فعلها وتوفي بها في غرة مارس. وهو مكتشف طريقة الاندوتكسين اي سحق الميكروبات المرضية في الهواء السائل واستعمالها لقاحاً واقياً من الامراض التي تحدثها فان الحيوان الذي يلقح بها يصير مصل دمهِ دواء واقياً من تلك الامراض وشافياً منها. وقبل ان يتم بحثهُ في هذا الموضوع ويثبت نتائجهُ بالامتحان وافاهُ القدر المحتوم فخسر علم الطب بموتهِ خسارة عظيمة وقد كان رئيساً لقسم البكتيريولوجيا في دار لستر التي يبحث فيها عن وسائل الوقاية الطبية

كهربائية الشمس

اثبت الدكتور نودون على ما في الرڤي سينتفيك ان الشمس تؤثر في الارض تأثيراً كهربائياً عدا ما في نورها وحرارتها من الفعل الكهربائي وقال ان كثيراً من الاحداث الجوية يمكن تعليلهُ بكهربائية الشمس

نفقات التعليم في بلاد الانكليز

قدرت نفقات المعارف في بلاد الانكليز في السنة المقبلة ١٧ مليوناً و ٤٩٥ الفاً و٢٣٧ جنيهاً وهي مقسومة هكذا

لمجلس التعليم العمومي	١٣٥٩٣٦٤٦	جنيهاً
لدار التحف البريطانية	٠٠١٧١٠٤١	"
للبحث العلمي	٠٠٠٥٤٤٧٩	"
لمساعدة المدارس الجامعة والكلية	٠٠٢٠١٤٠٠	"
للتعليم العمومي في اسكتلندا	٠٢٠٣٣٥٥٤	"
للتعليم العمومي في ارلندا	٠١٤٠٨٣٦٠	"
لمدرسة الملكة	٠٠٠٠٤٧٠٠	"

فلو انفق القطر المصري على التعليم العمومي على نسبة ما تنفقهُ البلاد الانكليزيَّة لكانت ميزانية التعليم فيهِ اربعة ملايين من الجنيهات اما الآن فاذا جمعنا كل ما تنفقهُ الحكومة على التعليم وما ينفقهُ الاهالي على مدارسهم وعلى تعليم اولادهم وما تنفقهُ الرسالات الاوربية والاميركية في هذا القطر فلا نظن ان مجموع ذلك يزيد على مليون جنيه في السنة

نجيمات جديدة

بلغ عدد النجيمات التي كشفت من اغسطس سنة ١٩٠٥ الى ابريل سنة ١٩٠٦ تسعاً وعشرين نجيمة تعدُّ من ٥٧٠ الى ٥٩٨

اكبر المقاصير

في جامع لكنو ببلاد الهند مقصورة كبيرة طولها ١٦٢ قدماً وعرضها ٦٤ قدماً وارتفاعها ٥٣ قدماً ولا عمود فيها فهي اكبر مقصورة من غير عمد وقد بنيت سنة ١٧٨٤ حين حدوث المجاعة الشديدة في بلاد الهند لتشغيل الفقراء وقد مضى عليها الآن ١٢٣ سنة ولا تزال سليمة مع انها مبنية من الكنكريت او الخرسانة فقد صنعت توابيت من الخشب وجبل الطين والحصى وافرغت فيها وتركت سنة حتى جفت تماماً فصارت حجارة متينة

اعلى جبال القمر

قاس دوق ابروزي ارتفاع اعالي جبال القمر المعروفة بجبال روتزوري فوجد ارتفاع اعلى قننها ١٦٨١٦ قدماً والقنن العالية ست ولا ينقص ارتفاع واحدة منها عن ١٥٠٠٠ قدم وكلها لا يتعذر الصعود اليها وقد سمى واحدة منها باسم الملكة الكسندرا ملكة الانكليز وواحدة باسم الملكة مرغريتا ملكة ايطاليا وواحدة باسم الملك ادوارد ملك الانكليز . والقنن التي يبقى فيها الثلج على مدار السنة واقعة في دائرة قطرها عشرة اميال فقط والجليد يزحف من الجبل في شكل نهر فيصل الى ما ارتفاعه ١٣٦٨٢ قدماً فوق سطح البحر . ولا يخفى ان جبال القمر او جبال روتزوري في قلب افريقية الشرقية عند منابع النيل وان العرب وصلوا اليها وذكروها في كتبهم من قديم الزمان وقد تعمر تلك البلاد وتمد سكك الحديد الى تلك الجبال فتصير مصيفاً لاهالي السودان ولكن لا يكون ذلك على يد سكانها الاصليين

قراءة الافكار

اشرنا في السطور التي كتبناها في هذا الموضوع في باب المراسلة الى ما يحدث احياناً من الاتفاق بين المشعوذ وزوجته على كلمات يتلفظ بها فتستدل منها على امور اخرى ويظهر كأنها قرأت افكاره . ثم وقفنا على مقالة في هذا الموضوع لمستر مسكلين وهو اشهر مشعوذي الانكليز الذين اتقنوا الشعوذة وبرعوا فيها براعة فائقة ثم تركوها وقد شرح في هذه المقالة كيفية الاتفاق بين المشعوذ وزوجته على الفاظ معلومة فقال ما مؤداه : —

ان هذه الحيلة قديمة جداً اقدم من استعملها بينتي الايطالي الذي لعب في هايماركت ببلاد الانكليز سنة ١٧٨٤ اي منذ مئة و١٢٣ سنة فانه كان يضع امرأته في غرفة في المشهد ويدور بين الحضور يرى ما يريدون سؤالها عنه ثم يسألها فتصفه وصفاً صحيحاً كأنها تقرأ افكار زوجها والسر في ذلك انها كانت متفقة معه على كلمات يدخلها

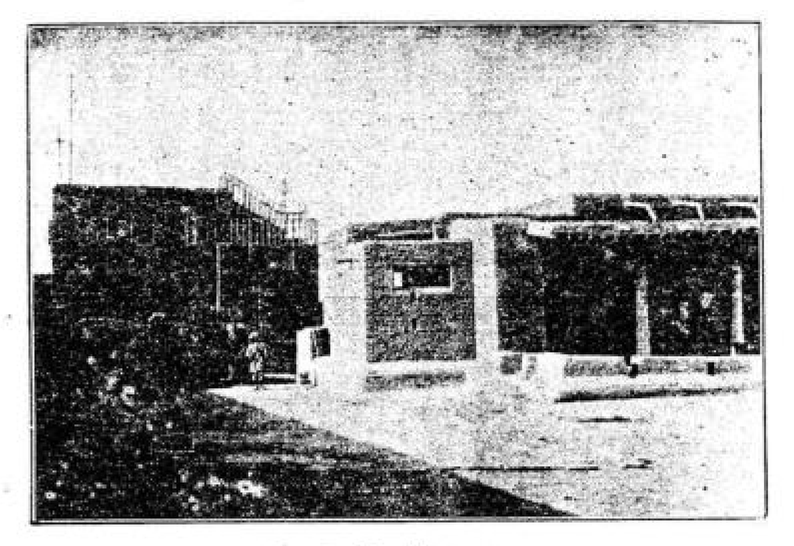
في السؤال فتعلم منها الشيء المسأول عنهُ فانهما جعلا لكل شيء من الاشياء التي يظن انها تُسأل عنها عدداً من الاعداد . مثلاً جعلا لساعة الذهب العدد ١ ولساعة الفضة العدد اثنين ولقلم الرصاص العدد ٣ وهلم جرًّا الى مئة شيء او اكثر واصطلحا على عشر كلمات واحدة منها للصفر واحدة للرقم اثنين وواحدة للرقم ثلاثة وهلم جرًّا الى التسعة فاذا اراد ان يقول لها ان في يدهِ ساعة ذهب ذكر الكلمة التي تدل على الواحد واذا اراد ان يقول لها ان في يدهِ قلم رصاص ذكر الكلمة التي تدل على الثلاثة واذا اراد ان يقول لها ان في يدهِ شيئاً عددهُ ٧٤ ذكر كلمتين الكلمة التي تدل على الاربعة والكلمة التي تدل على السبعة وهلم جرًّا ولا يخفى انهُ يستطيع ان يدل بهذه الكلمات العشر على مئات والوف من الاشياء بشرط ان يحفظا الاعداد التي تدل عليها حسب اتفاقهما. والكلمات العشر القائمة مقام الارقام هي مثل ماذا . قولي . اخبريني . هذا . بيدي . احزري الخ واذا ذكر جملة فيها هذه الكلمات وكلمات اخرى غيرها اهملت الكلمات الاخرى التي في الجملة ولم تلتفت الاَّ الى الكلمات العشر المتفق عليها فاذا كانت الكلمة "ماذا" تدل على الواحد وقال لها ماذا انا ماسك فهمت من كلمة ماذا ان في يدهِ ساعة ذهب واذا كانت الكلمة احزري تدل على العدد ثلاثة وقال لها احزري اي شيء انا مخبئ بين يدي قالت لهُ قلم رصاص لان كلمة احزري تدل على الرقم ثلاثة والرقم ثلاثة يدل على قلم الرصاص حسب اتفاقهما

ثم اتقن المشعوذون هذه الطريقة وصاروا يقسمون الاشياء الى انواع ويدلون على كل نوع منها بكلمة او رقم وكل فرد من افراد ذلك النوع بكلمة او رقم فجعلوا الالوان نوعاً ودلوا على الابيض منها بكلمة او رقم وعلى الاحمر بكلمة او رقم وهلم جرًّا . وجعلوا المعادن نوعاً ودلوا على كل معدن منها بكلمة او رقم . وجعلوا اللغات نوعاً ودلوا على كل لغة منها بكلمة او رقم وهلم جرًّا فيستطيع السائل ان يسأل سؤالاً واحداً فيهِ بضع كلمات فيعلم المسأول منها ماهية الشيء المسأول عنهُ فيقول لهُ مثلاً هات اخبرني عما في يدي فيقول لهُ خاتم ذهب مرصع بالماس والزمرد اذا كانت كلمة هات تدل على المصاغ وكلمة اخبرني تدل على الخاتم وكلمة عما تدل على الذهب وكلمة في تدل على الماس وكلمة يد تدل على الزمرد . واذا اتفق ان عرض احد الحضور شيئاً لا يخطر على البال ان يسأل عنهُ لم يصعب على المشعوذ ان يتخلص منهُ بحيلة ما

واشهر هؤلاء المشعوذين روبرت هلر فانهُ رتب مئتي كلمة في عشرين صفاً وجعلها تدل على الارقام والمعادن والالوان والاشكال حتى كان يستطيع ان يصف بها كل شيء يمكن ان يسأل عنهُ



صورة الملكة كليوباطرة كما هي منقوشة على المباني المصرية
وهي صورة تقليدية لا حقيقية

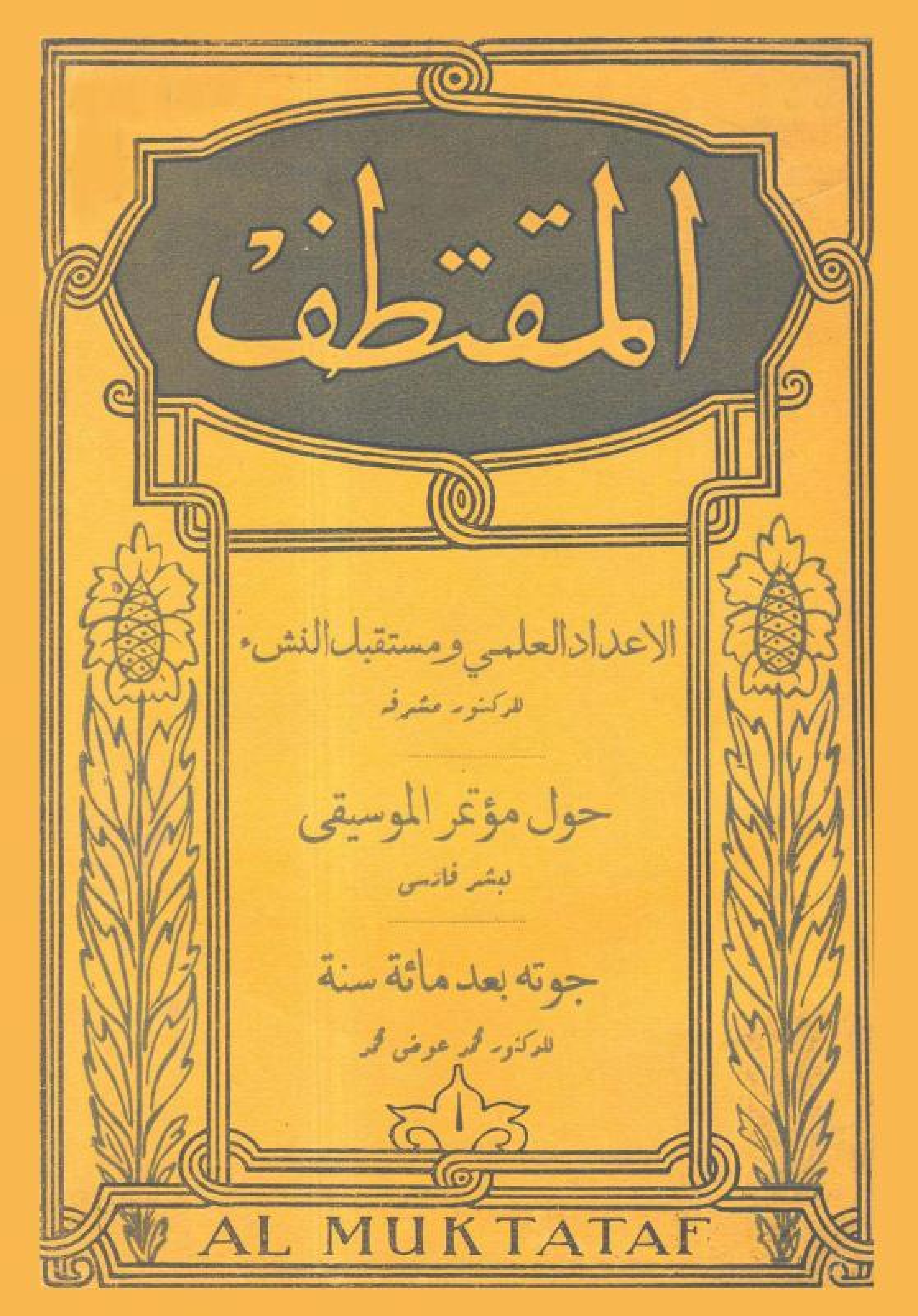


صورة بيت الخليفة في ام درمان



صورة قبر المهدي في ام درمان في حالته الحاضرة

فهرس الجزء الرابع من المجلد الثاني والثلاثين


المقتطف
الاعداد العلمي ومستقبل النشء
للدكتور مشرفه
حول مؤتمر الموسيقى
لبشر فارس
جوته بعد مائة سنة
للدكتور محمد عوض محمد
AL MUKTATAF

المقتطف

الجزء الخامس من المجلد الثاني والثلاثين

١ مايو (ايار) سنة ١٩٠٧ — الموافق ١٨ ربيع اول سنة ١٣٢٥

الفلسفة العملية

الاستاذ وليم جمس الاميركي من اكبر فلاسفة العصر وقد قام الآن يخطب في موضوع سماهُ البرغمتزم Pragmatism اي الفلسفة العملية كأنهُ يقول ان ما كان من الفلسفة عمليًّا فهو الفلسفة الحقيقية وما سواهُ اوهام وسنلخص خطبهُ مقتطفين منها ما يسهل تناولهُ على جمهور القراء

ابتدأ الخطبة الاولى بفقرة لمستر تشسترتن قال فيها " انا نحسب ان اهم شيء لقائد الجيش اذا وقف امام عدوهِ ان يعرف عدد جيش العدو ولكن هناك ما هو اهم من ذلك وهو ان يعرف ما هي فلسفة العدو" . اي ان يعرف كيف ينظر عدوهُ الى الحياة والمعاد

ثم قال الخطيب ان المواضيع الفلسفية غامضة عويصة ولكن الناس يميلون الى الخوض فيها. وتاريخ الفلسفة مؤلف اكثرهُ من مناقضات الفلاسفة المبنيَّة على اختلاف امزجتهم . وكثيرًا ما يحاول الفيلسوف او المشتغل بالفلسفة ان يخفي تأثير مزاجهِ في اقوالهِ وآرائهِ ولكن المزاج لا يُغلَب بل يحرف الادلة على مقتضاهُ وهذا هو هوى النفس الذي يستسلم لهُ المرء رغمًا عنهُ فيعتقد ان الكون جارٍ حسب هواهُ وهو على هدى وكل الذين يخالفونهُ على ضلال

وهذا الحكم خاص بكبار الفلاسفة الذين لهم في الفلسفة مذاهب معلومة مثل افلاطون ولوك وهيجل وسبنسر اما جمهور الباحثين في الفلسفة فليس لهم مزاج فلسفي معلوم بل آراؤهم ومعتقداتهم الفلسفية خليط من آراء غيرهم ومعتقدات غيرهم وقلما يعرفون ما يفضلونهُ على غيره من هذه الآراء والمعتقدات وكثيرًا ما ينزعون عن رأْي الى ضدهِ على اسهل سبيل كأن الآراء من الازياء التي تتغير بتغير الزمان والمكان .

والناس على هذا النمط من اختلاف الامزجة في كل المطالب ففي السياسة ترى المستبد الذي لا يحتمل تغيير السلطة والفوضوي الذي خلع كل سلطة . وفي الانشاء ترى المقلد الذي لا يحيد عما كان عليهِ السلف والمجتهد الذي يسير على خطة يخطها لنفسهِ . وفي الاخلاق

ترى من يتتبع القواعد الموضوعة لذلك ومن يجاري الزمان ولا يتبع الاَّ ما يرشده اليهِ عقله

والفلاسفة مقسومون الى فريقين كبيرين اهل النظر واهل العمل فاهل النظر هم الذين يبنون احكامهم على المبادىء النظرية المجرَّدة واهل العمل هم الذين يبنون احكامهم على الحوادث الفعلية. وما من احد يستطيع ان يعيش ساعة من غير الاعتماد على المبادىء النظرية والحوادث الفعلية ومع ذلك ترى الناس ينقسمون هذا الانقسام في الاعتماد عليها ويختلفون ويتشاحنون بسبب ما في امزجتهم من الميل الى تفضيل هذه الجهة او تلك. وقد انقسموا الى فريقين كبيرين كالفلاسفة ولقبوا انفسهم القاباً مختلفة بحسبها فمن الفريق الاول او اهل النظر العقلية والصورية والتفاؤلية والدينية والقدَرية. ومن الفريق الثاني او اهل العمل الحسيَّة والمادية والتشاؤمية والرافضة والجبرية. وعندي ان الفريق الاول اي اهل النظر عقولهم او امزجتهم سهلة المراس والفريق الثاني اي اهل العمل عقولهم او امزجتهم صعبة المراس وكل فريق من هذين الفريقين يحسب انهُ على هدًى وغيره على ضلال. والجمهور بين بين يميلون تارة الى هؤلاء وتارة الى هؤلاء بحسب ما يستحسنونهُ او يستهجنونهُ من اعمالهم وتعاليمهم فتراهم قدرية او جبرية حسب ميلهم الى الاعتقاد بانهم احرار الارادة يفعلون ما يشاؤون او مقيدون بارادة الخالق لا يفعلون الاَّ ما قدَّر لهم فعله

والظاهر ان اهل العمل من الفلاسفة ومريديهم صاروا الآن اكثر مما كانوا في العصور السالفة لكنهم اميل الى التدين مما ينتظر من الفلاسفة الماديين

وقد مضى الآن مئة وخمسون سنة والعلوم تؤول الى تكبير العالم المادي وتصغير الانسان بالنسبة اليهِ وثبت ان الطبيعة لا تتغير مرضاة للانسان بل هي ثابتة وعلى الانسان ان يجري حسب مرضاتها وزال ما كنا نتوهمهُ من اننا احرار مطلقون في هذا الكون نفعل بهِ ما نشاء فيجري طوع ارادتنا. ولا نريد ان نكون ماديين ولكننا لا نتخلص من هذه الوصمة الاَّ اذا اغضينا الطرف عن كثير مما نعدهُ حقيقياً في الحياة لاننا لا نستطيع ان نتصوَّر ما هو غير مادي الاَّ بواسطة المادي حتى الخالق سبحانهُ لا يمكننا ان نتصوَّر وجوده الاَّ من شعورنا بمخلوقاته كأن شعورنا بوجود المخلوقات المادية شرط لازم لاعتقادنا وجود الخالق غير المادي

والفلاسفة الذين حاولوا التوفيق بين مبادىء الفلسفة النظرية ومقتضيات العمل والاختبار جروا غالباً على خطة غريبة مستهجنة مثال ذلك ان ليبنتس كان من زعماء الفلسفة النظرية ولكنهُ كان ايضاً يقف عند الحقائق الفعلية ويحاول التوفيق بين الطرفين كما استدل على رحمة الخالق من قلة عدد الهالكين حيث قال

" ان الشر يظهر كلا شيء بالنسبة الى الخير اذا اعتبرنا سعة مدينة الله . فان القدماء لم يكونوا يعرفون عظم اعمال الله فكانوا يظنون الارض وحدها مسكونة وقد ارتابوا في وجود الناس على الجهة المقابلة منها وكانوا يحسبون بقية العوالم كرات مشرقة وكواكب درية اما الآن فمهما كان حد الكون الذي نسلّم به فلا شبهة ان فيه كرات لا تحصى وكلٌّ منها مثل كرتنا الارضية او اكبر منها ولها حق ان تكون مسكونة بمخلوقات عاقلة مثل ارضنا ولو لم يكونوا كلهم بشرًا مثلنا . وارضنا سيّار من السيارات الستة التابعة للشمس . والنجوم الثوابت شموس كلها فما اصغر ارضنا في جنب العالم المنظور لانها لا تخرج عن كونها تابعة من توابع شمس من هذه الشموس . وقد تكون هذه الشموس كلها مسكونة وسكانها من اهل السعادة . فلا شيء يوجب علينا اذًا ان نعتقد كثرة عدد الهالكين لان عددًا قليلاً منهم يكفي لاظهار الخير الذي ينتج من الشر . ثم انهُ ليس من الضروري ان تكون النجوم موجودة في كل مكان افلا يمكن ان يكون وراءها فضاء خالٍ منها وان يكون ذلك الفضاء الواسع مملوءًا بالسعادة والمجد . فما هو شأن ارضنا وسكانها ألا تصير هي وهم اصغر من نقطة واحدة في هذا الكون الواسع وهي في الحقيقة ليست سوى نقطة بالنسبة الى بعد النجوم الثوابت . ولذلك فالجزء الذي نعرفهُ من العالم لا يحسب شيئًا مذكورًا بالنسبة الى العالم الذي لا نعرفهُ ولكننا مضطرون الى التسليم بوجوده وكل الشرور التي نعرفها محصورة في ارضنا هذه التي هي كلا شيء بالنسبة الى غيرها من العوالم فينتج عن ذلك ان الشر قد لا يكون شيئًا مذكورًا في جانب الخير الموجود في العالم "

وقال في مكان آخر " من العدل ما لا يقصد بهِ اصلاح المجرم ولا جعلهُ عبرةً لغيرهِ ولا التعويض على المجرَم اليهِ بل يقصد بهِ مجرد ارضاء العدل بقصاص المجرم . ومن هذا القبيل العدل او الانتقام الذي حفظهُ الله لنفسهِ وهو يرضي المجرم ويسر كل حكيم ينظر اليهِ كما يُسَر العقل المستنير بالغناء الحسن الايقاع والبناء الحسن الهندام وعلى هذا الاساس يدوم عذاب الخطاة ولو لم يكن منهُ فائدة في ارجاع احد منهم عن خطاياهُ ويدوم ثواب الصالحين ولو لم يثبّت احدًا منهم في طريق الصلاح والامران صالحان على حدّ سوى لان الله صنع كل شيء كاملاً وعلى تمام الانتظام "

ولا يخفى ما في هذا الاحتجاج من الضعف والظاهر ان ليبنتس لم يتصور قط الحالة التي يكون فيها من يحكم عليهِ بالعقاب الابدي ولا خطر لهُ انهُ كلما قلّ عدد الهالكين الذين يطرحون في جهنم ليكونوا عبرة لغيرهم تزيد سعادة الخالصين وما احتجاجهُ سوى سفسطة باردة لا تدفئها نار جهنم

ولا داعي للرجوع الى العصور الغابرة حتى نبين ضعف الفلسفة النظرية فان ادلة النظريين في عصرنا هذا ليست اقوى من ادلة اسلافهم لدى العقول التي تقف عند حد المعقول ولقد رأيت مثالاً لثورة العقول على الفلسفة النظرية في رسالة لموريصن سوفت . ابتدأها باخبار وردت في الصحف السيارة من ذلك الخبر التالي

جون كوركودان كاتب في محل تجاري طاف في المدينة من طرف الى طرف ماشياً على الثلج يفتش عن عمل يعمل بهِ وزوجتهُ واولادهُ الستة بلا طعام وقد أُمروا بالخروج من البيت الذي هم فيهِ لانهم لم يدفعوا اجرتهُ فانتحر اليوم بجرعة من الحامض الكربوليك . أُخرج منذ ثلاثة اسابيع من المحل الذي كان يعمل فيهِ لانهُ مرض فانفق في مرضهِ كل الدريهمات التي كان قد وفَّرها واستُخدم امس في جرف الثلج من الشوارع ولكنهُ كان لا يزال ضعيفاً خائر القوى فطردهُ الوكيل بعد ما اشتغل ساعة فعاد يفتش عن عمل يعمل فيهِ ولم يجد ورجع الى بيتهِ في المساء مصدوع القلب فوجد زوجتهُ واولادهُ بلا طعام والاعلان بالخروج من البيت ملصق على بابهِ فتجرع السم في الصباح

قال المستر سوفت ان امامي الآن حوادث كثيرة مثل هذه تملأُ مجلداً كبيراً وقد اقتبست منها ما تفسَّر بهِ احوال هذا الكون . فقد قال احد الفلاسفة حديثاً ان وجود الشر في العالم شرط لازم لكمالهِ وقال آخر ان هؤُلاء الملكى يزيدون كمال العالم . هذا ما يقولهُ الفلاسفة الطاعمون الكاسون الجالسون على بساط الراحة ويتخذونهُ دليلاً على القدرة والرحمة ونحن لا نعلم من امر هذا الكون غير ما نراهُ في ارضنا وقياس التمثيل يقتضي ان يكون الكون كلهُ مثل هذه الارض ولكن الظاهر ان الفلاسفة يتركون الحقائق المحسوسة التي يرونها بعيونهم ويلمسونها بايديهم و يتشبثون بفروض يفرضونها واوهام يختلقونها

وتطرَّف المستر سوفت الى اكثر من ذلك وحسب الاديان كلها من قبيل العبث . وقال الاستاذ جمس ان هذا هو معتقد كثيرين من الباحثين في الفلسفة الآن ولو لم يبلغوا في تطرفهم مبلغ المستر سوفت وكل باحث منهم يلتفت الى اساتذة الفلسفة ويطلب منهم ما يقنع نفسهُ المشوقة الى الحقائق فيأتيهِ الفلاسفة النظريون بالفلسفة الدينية والفلاسفة العمليون بالفلسفة المادية فيزن الفريقين ويجدهم ناقصين . ولا يليق بنا نحن الفلاسفة ان نستخف بحكمهِ لانهُ مثل حكم غيرهِ من ذوي العقول الثاقبة الذين سيكون لهم القول الفصل على مرّ الزمان

وهنا شرع الاستاذ جمس في شرح فلسفتهِ الجديدة التي توفق بين الفلسفة الدينية والفلسفة المادية كما سترى في الجزء التالي

تاريخ المكروب

وثورة العلم والطب

من يطّلع على هذه المقالة لا يجد فيها حقائق جديدة ولا اكتشافات كانت مجهولة لان كل ما فيها معروف عند الاطباء والعلماء واكثر الخاصة وانما اوردت فيها حوادث تاريخيّة تخلد اسم المجتهدين الذين خدموا العلم والانسانية فيجد فيها القارئ لذة وفكاهة ويقف منها على كيفيّة ارتباط حلقات الاكتشافات بعضها ببعض حتى تكوّنت منها سلسلة علميّة محكمة

وقد حدا بي الى هذا الموضوع ما ارى من البعد الشاسع بين المعارف في هذه الايام وما كانت عليهِ في النصف الثاني من القرن الماضي لاني اذا قابلت بين المؤلفات التي اطالعها اليوم والتي تخرّجت عليها منذ ثلاثين سنة رأيت من الفرق ما يتجه بهِ الحكم بان الطب قد انقلب في هذه المدة بطناً لظهرٍ ويقضي على الطبيب الذي يرغب في حفظ مكانتهِ من العلم ان يصل ليلهُ بنهارهِ بالدرس والمطالعة ليمكنهُ السير مع تيّار العلم والاَّ فاتهُ شوطاً بعيداً وعسر عليهِ بعدئذٍ اللحاق بهِ فقد يطالع الطبيب مؤلفاً حديثاً ويرى نفسهُ كأنهُ يلج علماً جديداً قد تنغلق عليهِ بعض ابوابهِ ويعجز عن استيعاب كل حقائقهِ ولا سيما اذا لم يكن ضليعاً باللغة الاجنبيّة التي يأخذ عنها ويستفيد بمعارف علمائها

فالكيمياء قد تحوّلت في ابحاثها واكتشافاتها الى ما يختلف كثيرًا عما كانت عليهِ في السابق فتغيرت اسماؤها ومسمياتها الكيماوية وتنوّعت عباراتها واسرعت خطاها في المواد الآلية وسارت سيرًا حثيثاً في المواد المعدنية كأن علماءها استوفوا فيها البحث والنظر . وقد تبعتها المادة الطبية لان بين العلمين من الرابطة مالا يقبل انفكاك احدهما عن الآخر فاتسع نطاق هذه ايضاً وكثرت موادها الى حدٍ يعجز المستفيد والدارس عن استيفائهِ واستيعابهِ . الاّ ان الجانب الاكبر من هذه المواد لا يكاد يظهر الى الوجود ويطرح على مائدة البحث والتجربة حتى يسقط ويلقى في زوايا النسيان فتزيد الثقة بالعقاقير القديمة التي تزيد ثبوتاً ورسوخاً في بيت العلم ودار الطب . واذا راجعنا تاريخ المادة الطبيّة من ربع قرن الى الآن رأينا ان مئاتٍ بل الوفاً من العقاقير الطبية لم تكد تظهر الى حيز الوجود حتى سقطت لسقوط الثقة بها ولم يثبت منها سوى النزر القليل كالانتيبيرين واخواتهِ ومع ذلك هي اليوم اقل منها اعتبارًا من ذي قبل . ثم ظهرت العقاقير المستخرجة من الانسجة العضوية وقد وجه الافكار اليها العلامة برونسكار بعد ما وقف على طريقة الطب الاهلي القديم المستعملة الى الآن في الشرق الاقصى

وهي معالجة الاعضاء المريضة باعضاء مثلها سليمة فاثارت امتحاناته خواطر العلماء واندفعوا الى تكرار التجارب وتوسعوا في الابحاث وامتدوا في الاكتشافات وغالوا بالفوائد الناجمة عن هذه الطريقة حتى لم يبقَ عضو الاَّ جعلوا له علاجاً من عضو مثلهِ ولكن لم يثبت لسوء الحظ من كل ذلك الى الآن سوى الفائدة من استعمال التيرويدين اي خلاصة الغدة الدرقية وتحقق اخيرًا فعل الادرنالين (وهو خلاصة الحنفظة فوق الكلية) بتوقيف نزف الدم وبقيت البواقي تحت البحث والتحقيق. ولهذا اقف عند هذا الحد من البحث في المادة الطبية لوقوفها هي عند هذا الحد من القصور في شفاء الامراض واستطرد الى فرع آخر من الطب كان من وفرة الجولان فيهِ والتعمق في البحث عنهُ جليل فائدة للعلم وكبير خدمة للانسانية اعني بهِ الباثولوجي لانهُ من الاهمية بمكان وهو المعوَّل عليهِ في الباثولوجيا والجراحة بل هو اساس الطب ودعامتهُ الوطيدة. واری انهُ الفرع الوحيد من الطب الذي تقدم تقدماً مبيناً وخطا خطوة كبرى وتأسس البحث فيهِ على اسس متينة وحقائق راهنة واذا قام الجدال في مسئلة من مسائلهِ كان سلاحهُ الامتحان وبرهانهُ التجربة ونتيجتهُ الحقيقة وبهِ وبانوارهِ سارت بقية الفروع ولا سيما الجراحة وتقدمت التقدم الباهر ولهذا خصصت لهُ في هذه المقالة نصيباً وافرًا من الكلام لاني لو تتبعت تاريخ الطب من نصف قرن الى الآن واتيت على شرح تقلباتهِ وبيان تقدمهِ من باب وتأخرهِ من آخر ونجاحهِ من وجهٍ وفشلهِ من آخر لاتسع المجال كثيرًا وقفي عليَّ ان اكتب مئات من الصفحات وانا مع ذلك لا اوفي الموضوع حقهُ ولا ازيد المطالع توسعاً في العلم فحصر البحث على ما تقدم فيهِ من العذر ما يشفع بالقصور

كان الطب في بداءة القرن التاسع عشر لا يزال في المهد وكان التقليد فيهِ غالباً على التنقيب والتنقير. واما في النصف الثاني منهُ فدرج من المهد وخطا خطوة كبرى الى الامام ولاسيما في الكيمياء كما تقدم وبدأ الطبيب يحسن المراقبة ويمعن الروية ويدقق البحث حتى اوصل عملهُ الى مجدهِ واصبح في الثلث الاخير منهُ على ما هو عليهِ الآن من اتساع المعرفة بهِ وانحلت المشاكل التي استحال على المتقدمين حلها بجلاء الغامض منها وبكشف الاسرار الكامنة في الطبيعة

لما كنت اتلقى العلم في المدرسة كان اول العهد باكتشاف البكتيريا وبدحض مزاعم القائلين بالتولد الذاتي وكنا تلامذة واساتذة تائهين في فضاء لاقرار لهُ من شكٍ ويقين وكنا نتتبع البحث في هذه المسائل بشوق ولذة وننتظر نتيجة الجدال بفارغ الصبر. ففي هذا العهد توصل باستور الى معرفة سبب الاختمار وتحقق انهُ يحدث من تولد احياء متناهية في الصغر في

احوال وشروط معلومة وكان الجدال حينئذٍ على التولد الذاتي قائماً على قدم وساق ولم ينكشف سره الاّ لباستور نابغة عصره فكان لمباحثهِ وامتحاناتهِ واكتشافاتهِ تأثير في العلم وفضل على الانسانية . على اني رأيت قبل الخوض في تاريخ هذه الاكتشافات ان ابين فضل المتقدمين واشرح كيفيَّة معرفتهم بالمكروب لنرى كيف تدرَّج البحث فيهِ وافضى الى الحصول على اكتشافهِ

كان الاطباء في ذاك العهد غاية في حسن الروية وبعد المرمى وكانوا يقولون بالمكروب وهم لا يعرفونهُ ويدرسون فعلهُ وهم لا يرونهُ ويتقون عواقبهُ وهم يجهلون مصادرهُ فالامراض التي يسميها اطباء هذه الايام امراضاً مكروبية كانوا يسمونها هم امراضاً خميريَّة ويعترفون مع ذلك بان هذه التسمية ليست صحيحة ولكنهم اصطلحوا عليها من قبيل التمثيل لانهُ لا بد من اسمٍ عمومي يطلق على جنس من الامراض تشترك افرادهُ في صفات شتَّى فاطلقوا هذه التسمية على الامراض الوبائية الوافدة والمستوطنة وعلى الامراض الحادثة عن فسادٍ حيواني او نباتي او الناتجة عن مادةٍ خصوصية تنتقل اما باللمس او بواسطة اخرى كالماء والهواء او الحيوانات المريضة وعلى الامراض الناتجة من سوء التغذية او فسادها والامراض التي تتولَّد من حيوينات حيَّة تعيش في اقسام مختلفة من الجسم وعليهِ قسموا الامراض الخميرية الى اربعة اقسام الاول الحميات والامراض المعدية كالتيفويد والتيفوس والجدري والطاعون والهواء الاصفر والنزلة الوبائية وغيرها من الامراض التي من طبيعتها ان تعتري كثيرين في وقت واحد والثاني داء الزهري والثالث الاسكربوط وتيفوس الثكنات والرابع الجرب وديدان القناة الهضمية . وبنوا معرفتهم هذه على المراقبة والروئية اذ وجدوا انها تنتشر في محال هواؤُها فاسد او فيها اسباب اُخرى غير موافقة للصحة كالمستنقعات المائية او مواد الكنف ومجاريها او الاوساخ والاقذار الحيوانية والنباتية . وقد عرفوا ايضاً ان في قسم كبير من هذه الامراض يتغير الدم عن حالتهِ الطبيعية وزعم البعض ان الدم هو مجلس الامراض الحادثة عن مواد معدية آلية الاصل سواء تولدت داخل الجسم او خارجهُ لان هذه المواد من شانها ان تزيد في الدم كمية تلك المواد الآلية

فاتضح لهم مما تقدم ان اسباب الامراض سموم خصوصية اذا دخلت الجسم استطرقت الى الدم وفعلت فعل الخميرة في العجين اي تكاثرت بالتوالد والتبزير وظهرت افعالها باعراض خاصة ولكل مرض اعراضهُ الخصوصيَّة فاعراض الحمى ارتفاع الحرارة وسرعة النبض والم الراس ووسخ اللسان وضعف القابلية وهبوط القوى وغيرها من الاعراض المعروفة . واعراض الهواء الاصفر القيء والاسهال وغور العينين والتهور وهلم جرّاً . وقد تحققوا ان لكل علة من علل الامراض الخميريَّة مادة او سماً خصوصياً يحدث اعراض علتهِ ولا يحدث اعراض علة

اخرى فكما انهُ لا اشتباه بين اعراض الجدري والزهري والبرداء والهواء الاصفر فلا سبيل للريب ان لكلٍّ من هذه العلل مادة خصوصية في اصلها وتولدها وسيرها وكونها واعراضها . ولم يخفَ عنهم ايضاً ان قليلاً من السم المرضي يساوي ذرَّةً يحدث مرضاً من نوعهِ ومتى ظهر كان فيهِ من السم ما يكفي لاصابة مئات بل الوف آخرين كالجدري مثلاً فان ما دون حبة الرمل يولدها فتظهر مئات من البثور وفي كل واحدة منها صديد يكفي لتلقيح كثيرين والمادة المرضية في طفل مصاب بالشهقة تكفي لان تعدي مدينة بكاملها . وعرفوا ايضاً إعداد الجسم لقبول هذه السموم بواسطة امراض اخرى من سم آخر فالنفساء مثلاً تصاب بحمى النفاس من مجرد دخول طبيب الى غرفتها كان يعالج مريضاً بالحمراء او بمرض آخر معدٍ او من دخول تلميذ كان في دار التشريح

وقد عرفوا مصدر الامراض المياسمية وقالوا انها تتولَّد من النبات الابخرة الفاسدة من عن سطوح مستنقعات فيها مواد حيوانية ونباتية في حالة الانحلال والفساد تصعد في الهواء وتحمل بزوراً تدخل الرئة بالاستنشاق وتسير في الدم حيث تلقي بيوضها وتتوالد وتتكاثر فتحدث فيهِ تغييراً يحرفهُ عن حالتهِ الصحية فيظهر اذ ذاك فعل السم المرضي الذي كمن الى ذاك الحين وهذا كما لايخفى هو نفس الكلام بالمكروب . وكان استاذنا الدكتور فانديك يقول ان للبرغوث برغوثاً يلسعهُ ولبرغوث البرغوث برغوثاً يلسعهُ

وفي هذا القدر كفاية لبيان فضل اولئك الافاضل الذين وفوا البحث حقهُ وعرفوا الحقائق بالاستنتاج من المقدمات المنطقية التي اثبتوها ومهدوا السبيل الى اكتشاف المكروبات وحل كثير من الرموز الغامضة الى ذلك العهد لانهم عرفوا كثيراً من طبائعها بدون ان يكتشفوها كما يظهر مما سبق بيانهُ وبقي على من درس على هؤلاء الجهابذة وتحدى عملهم واخذ مأخذهم ان يحذو حذوهم وان يحصر بحثهُ في معرفة ماهية هذه المادة السميَّة ويدرى طبيعتها ويعيّن صنفها . وهذا ما جرى عليهِ علماؤنا المتأخرون فعرفوا المكروبات ولا تزال تزداد معرفتهم بها وسوف يُعرف لكل مرضٍ مكروبهُ الخاص ويتسع المجال لاكتشاف الدواء الشافي لهُ لانهُ كما تيسر للعلم كشف مطعوم الكلب ومصل الدفتيريا ومن ثم شفاء هذين المرضين الذريعين فلا يستحيل ان يشمل ذلك بقية الامراض المكروبية كالسل وغيرهِ

اما اكتشاف المكروب فمهَّد السبيل اليهِ بنوع خصوصي مسألة التولد الذاتي التي كان الجدال فيها قائماً على قدم وساق في النصف الثاني من القرن التاسع عشر كما سبقت الاشارة اليهِ وسأبين ذلك بقدر ما يسمح المقام

الدكتور امين ابو خاطر

الماس الطبيعي والصناعي

تمهيد

لما ذهب اعضاء مجمع تقدُّم العلوم البريطاني الى جنوبي افريقية في صيف سنة ١٩٠٥ واجتمعوا فيهِ اجتماعهم السنوي خطب فيهم العالم الكبير والكيماوي الشهير السر وليم كروكس خطبة نفيسة في الماس حاسبًا ان مشاهدتهم مناجمهُ في جنوبي افريقية مهَّدت لهُ السبيل لاتخاذ ذلك الحجر الثمين موضوعًا لخطبتهِ · وقد سرَّ العلماء اعضاء ذلك المجمع بتلك الخطبة وطلبوا من الخطيب ان يعيدها لهم في اليوم التالي ففعل وهذا امر لم يعهد لهُ مثيل على ما نعلم · وكنا عازمين على ترجمة الخطبة حينئذٍ فحالت المشاغل دون ذلك واكتفينا بالاشارة اليها ولا سيما الى الاسلوب البديع الذي اكتشفهُ الخطيب لعمل الماس الصناعي وهو غير الاسلوب الذي جرى عليهِ الاستاذ مواسان الفرنسوي

وتوفي الاستاذ مواسان منذ شهرين واشرنا اليهِ والى مكتشفاتهِ العلمية في المقتطف على جاري عادتنا واطَّلعت مجلة المشرق على ما كتبناهُ في هذا الصدد فقالت في غرة ابريل ما نصهُ :—

" توفي آخرًا الاستاذ الكيماوي الشهير مواسان الفرنسوي فبادرت الجرائد والمجلات الى ذكر مآثرهِ وممن اطراهُ صاحب مجلة المقتطف في عددهِ الاخير على انهُ روى في جملة مكتشفاتهِ اصطناعهُ للماس قال " واهتم (اي مواسان) سنة ١٨٩٢ باكتشاف طريقة لعمل الماس فكلل عملهُ بالنجاح وصنع حجارة الماس حقيقي ولكنها صغيرة جدًّا مستخدمًا الاتون الكهربائي" . قلنا هذا وهو خبر عارٍ من الصحة سبق لنا كلام فيهِ في المشرق (٦-١٠٧٣ و٧-١٠٤٧) حيث بيَّن حضرة الاب ده فراجيل ان مدَّعى المرحوم مواسان لا اساس لهُ وان ما اصطنعهُ ليس هو ماسًا صناعيًا بل عنصرًا اخر ليس فيهِ شيءٌ من خواص الماس فتأمل " · انتهى كلام المشرق

ونحن لا نلوم محرّر المشرق اذا فاتهُ الاطلاع على ما اثبتهُ مواسان وغيرهُ بعد مناقضة المناقضين لهُ . لانهُ يتعذَّر على المرء في هذا العصران يطَّلع على كل ما يجدُّ في ابواب العلوم · والذي قلناهُ عن عمل مواسان للماس الصناعي قالهُ كل العلماء الذين ذكروهُ حديثًا واطَّلعنا على اقوالهم وهم من اكبر الثقات في هذا الموضوع · ولا ينكران بعض العلماء قاموا على

مواسان وحاولوا ان يثبتوا ان ما صنعهُ ليس ماساً حقيقياً إما لانهم كانوا معتقدين صحة قولهم او لان اصحاب مناجم الماس هالهم اكتشاف طريقة لعملهِ فخافوا ان تكسد سوقهُ بسبب ذلك فرشوا بعض العلماء الذين يفضّلون المال على العلم فقاموا يخطئون مواسان ويدَّعون ان ما صنعهُ ليس ماساً . وقد اشارت جريدة نانشر الى ذلك وهي ادق الجرائد العلمية واحرصهنّ على تحري الحقائق فجاء فيها في الثامن والعشرين من شهر فبراير سنة ١٩٠٧ ما ترجمتهُ " ان امتحان قطع من نيزك كنون ديابلو اثبت ان فيها حجارة صغيرة من الماس يحيط بها خطوط رقيقة من الكربون المنضغط وهي في قلب الحديد فارشدهُ ذلك (اي ارشد مواسان) الى كيفية حل هذه المسألة (اي مسألة عمل الماس) . ويعلم الجميع انهُ اثبت ذلك بالامتحان وصنع حجارة صغيرة لا يشك في انها حجارة ماس (Minute but unmistakable diamonds) وقد اعترض البعض مراراً كثيرة على صحة عملهِ ولكنهُ اثبت صحة نتائجهِ حديثاً سنة ١٩٠٥ وذلك باعادتهِ التجارب السابقة مع زيادة الاحتراس وباستعمال ما عُرف بعد تجاربهِ الاولى من امر المركبات التي تتكوَّن في مثل تلك الاحوال "

وهذا الكلام للدكتور هتون .Dr. R.S. Hutton وقد اوردهُ في ٢٨ فبراير الماضي وهو صريح في ان مواسان افسد اعتراضات المعترضين واثبت ان الحجارة التي صنعها هي حجارة الماس حقيقي في كل خواصهِ الطبيعيَّة والكيماوية وفي ان الدكتور هتون مؤيد لذلك ولا يرى ما ينقضهُ

وقالت مجلة السينتفك اميركان في كلامها على وفاة مواسان في عددها الصادر في ٩ مارس سنة ١٩٠٧ " انهُ صنع الماس بالاتون الكهربائي وان ذلك كان من ادعى الامور لشهرتهِ في كل العالم المتمدن "

وقالت جريدة التيمس في قسمها العلمي الادبي الصادر في ٢٩ مارس (اي بعد صدور المقتطف بشهر من الزمان) في ترجمة الاستاذ برتلو ما تعريبهُ " ان الاثني عشر شهرًا الماضية اخنت على علم الكيمياء في فرنسا ولم ترحم فاغتالت كوري ومواسان وبرتلو فان مكتشف الراديوم وصانع الماس لا يقلاَّن عن برتلو عظمة ولا هما اقل منهُ جرأة على اقناع الغير ولا اقل منهُ صبرًا على البحث والتنقيب "

فهذه شهادات صريحة حديثة تمتد الى اليوم التاسع والعشرين من شهر مارس سنة ١٩٠٧ . وقد نكون اطلنا على غير طائل في اثبات امرٍ ليس في اثباتهِ فائدة غير ذكر حقيقة صارت تاريخية فنكتفي بما تقدَّم عنها شاكرين المشرق لانهُ نبهنا الى هذا الموضوع فاعدنا قراءة الخطبة

النفيسة التي تلاها السر وليم كروكس وها نحن متحفون القراء بخلاصتها لما فيها من الفكاهة والفائدة قال الخطيب

لقد فُتن الناس بالماس من قديم الزمان ولم يعرفوا كيفيَّة تولُّده · جاء في تاريخ الجمعيَّة الملكيَّة عن سنة ١٦٦٧ انها سألت السر فيليبرتو فرناتي نائب الحكومة في بتافيا عما اذا كان الماس قد نما ثانية في الثلاث السنوات او الاربع الاخيرة حيث استخرج اولا فاجابها قائلاً " كلاَّ ولا يتذكر احد انهُ رآهُ نما "

ثم ان رجال العلم اهتموا حديثاً بهذا الموضوع لان ما حدث من التوسع في علم الكهربائية ومن استعمال الاتون الكهربائي سهَّلا البحث كثيرًا . ويحق لي ان اقول الآن ان مسألة اصل الماس (اي كيف تكوَّن في الطبيعة) كادت تحلُّ ان لم تكن قد حلَّت تماماً . وسأبين لكم ان جنوبي افريقية من اصلح الاماكن لتكونهِ فيها وهذه البلاد مثل استراليا وكليفورنيا من هذا القبيل كما انها مثلهما في كثرة مناجم الذهب . ولا يقتصر غنى جنوبي افريقية على الذهب والماس بل هو غنيٌّ ايضاً بالفحم الحجري واغنى مكان على وجه البسيطة من هذا القبيل ففي ناتال وحدها من الفحم الحجري اكثر مما كان ومما لا يزال موجودًا في بريطانيا العظمى وتمتد طبقاتهُ الى مستعمرة نهر اورنج وفي هذه البلاد ايضاً مناجم حديد ثمينة

انابيب كمبرلي

ان مناجم الماس ههنا خمسة تجمعها بقعة ضيقة قطرها ثلاثة اميال ونصف ميل وهي انابيب او آبار عميقة بعضها مستدير وبعضها بيضي الشكل والغالب ان يبقى قطرها على حالهِ مهما غارت في الارض والمظنون انها مما يسمَّى باعناق البراكين وقد ملئت بخليط من المواد المندفعة اليها من الاسفل والمنقدَّة من الصخور المحيطة بها ومزجت بطين لازب ضارب الى الزرقة وفي هذا الطين توجد حجارة الماس

وقد اشكل على العلماء كيف تكوَّنت هذه الانابيب فانها ليست ناتجة عن خروج المواد البركانية من جوف الارض لانهُ ليس في جدرانها ولا في ما يحيط بها ما يدل على فعل النار او على شيء من الانفجار الذي يمزق الصخور تمزيقاً . ويكاد يثبت انها ملئت من الاسفل بعد ما ثقبت وان الماس تكوَّن في زمن سابق وامتزج بطين بركاني وبانواع مختلفة من الشقف المتحاتة من الصخور وصار معها خليطاً واندفع معها الى الاعلى · وهذا الخليط المسمَّى بالغضار او الارض الزرقاء مزيج من الطفال والحجارة البركانية والحجارة التي جرفتها المياه

وبلورات معدنية مختلفة الانواع · والقسم الاعلى من مناجم كمبرلي الى عمق ٧٠ او ٨٠ قدماً مملوء بما يسمّى بالارض الصفراء وتحتهُ الارض الزرقاء

وهذا الامر اي وجود الارض الصفراء فوق الارض الزرقاء مطّرد في كل المناجم · والارض الزرقاء هي الاصلية وسبب زرقتها وجود اكاسيد الحديد الدنيا فيها فاذا وصل اليها اكسجين الهواء صيَّرها اكاسيد عالية صفراء اللون ولذلك فغور الارض الصفراء يدل على مقدار نفوذ الهواء والرطوبة فيها · والماس يوجد في الارضين على حدٍّ سوى

وملمس هذه الارض صابوني ويسهل تفتتها بعد تعرُّضها للهواء وقد وجد فيها نحو ثمانين نوعاً من الحجارة المعدنيَّة غير الماس

وفي جوار كمبرلي كثير من انابيب الماس وكل انبوب منها متصل بمعمل كيماوي في جوف الارض لم يُسبَر غورهُ حتى الآن لعمقهِ والحرارة فيهِ اشد من حرارة الاتون الكهربائي والضغط اشد من اشد ضغط يمكن إحداثهُ في معاملنا ولا اكسجين هناك فيذوب الكربون[1] لشدَّة الحرارة والضغط وتمرُّ عليهِ القرون والدهور قبلما يبرد ويجمد ويتبلور · الكيماوي يصنع حجارة صغيرة جدًّا من الماس لا تصلح لان تصاغ الحلى منها لصغرها ولكن الطبيعة وفي يدها حرارة لا حدَّ لها وضغط لا مثيل لهُ ودهور طوال تفوق الحد تمكنت من صنع هذه الجواهر البديعة المتألقة الخالية من كل شائبة كما ترون في يدي الآن

وهذا الرأي في تولد الماس تؤيدهُ امور كثيرة فاذا حُرق الماس وجد في رمادهِ قليل من الحديد واذا لم يكن الماس ابيض فالغالب ان يكون ضارباً الى الصفرة وقد تزيد صفرتهُ وتشتدّ حتى يصير اسمر اللون · وقد يضرب لونهُ الى الخضرة او الزرقة او الحمرة او يكون برتقاليًّا وهذا يؤيد ما ذهب اليهِ مواسان وهو ان الماس تكوَّن في الحديد المصهور (وساعود الى الكلام على مذهبهِ هذا) ويفسر كيف ان حجارة الماس التي من مناجم مختلفة او من جهات مختلفة في المنجم الواحد يختلف بعضها عن بعض · والارض حول كمبرلي كثيرة الحديد واذا كثر الحديد في مكان هنا استدلوا من كثرتهِ على وجود الماس فيهِ · وقد يكون مع الحديد مواد اخرى تصهر معهُ فتلوّن الماس الواناً مختلفة

قلت ان الخليط الذي يوجد في هذه الانابيب لا دليل فيهِ على انهُ وجد هناك بفعل بركاني عنيف واقول الآن انهُ اذا قطعت من هذا الخليط قطع رقيقة جدًّا ونظر اليها

(١) الكربون هو اسم النوع واشكالهُ اربعة وهي الفحم الاعتيادي وفحم الحجر والماس والغرافيت او البلمباجين

بالميكرسكوب ظهر انها لم تتكون بفعل ناري بل بفعل مائي اي ان المياه المنفجرة من باطن الارض رفعتها معها وملأَت انابيب البراكين بها . والظاهر ان ذلك حدث على الصورة التالية : —

ذاب الكربون مع الحديد من فعل الحرارة في باطن الارض وتشققت قشرة الارض فوقهُ لما جمدت وتقلصت واتفق ان كان عليها ماءٌ ففار الماء في الشقوق ووصل الى الحديد الذائب فانحلَّ واستحال الى غاز واندفع الى الاعلى فوسَّع الشقوق وصيَّرها انابيب وتبعتهُ غازات اخرى من اتحادهِ بالكربون فزادت تلك الانابيب اتساعاً . ولا غرابة في ذلك فقد ابان السر اندرو نوبل انهُ اذا وضع البارود في اسطوانة من الصلب (الفولاذ) وسدَّها بلولب واشعل البارود فيها وكان في اللولب ثقب دقيق جدًّا خرجت غازات البارود منهُ ووسعتهُ من نفسها فجعلتهُ ثقباً واسعاً مستديرًا . اي ان غاز البارود يذيب الفولاذ في خروجهِ منهُ لشدَّة انضغاطهِ كما ترون في هذه اللوالب التي تكرَّم بها السر اندرو نوبل لاعرضها عليكم وقد تكرَّم ايضاً فامتحن الرأي الذي ارتأيتهُ وذلك انهُ ثقب ثقباً قطرهُ خمس المليمتر في سدادة من الغرانيت وسدَّ بهذه السدادة وعاء فيهِ كرديت (نوع من البارود الشديد الفعل) واشعل الكرديت فخرج غازهُ من هذا الثقب الدقيق وكانت قوة ضغط الغاز ١٥٠٠ جلد ومدة خروجهِ نصف ثانية فقط لكنهُ وسَّع الثقب في نصف الثانية هذه وجعل قطرهُ نصف عقدة اي ١٢ مليمترًا وصهر الغرانيت صهرًا في كل مجراهُ . فاذا كان غاز البارود الذي ضغطهُ عادي يصهر الفولاذ والغرانيت في خروجهِ منهما فلا غرابة في ان غاز الهيدروجين يثقب الارض في خروجهِ منها ويمزق صخورها تمزيقاً ويحفر فيها حفرًا عميقة كالآبار ويملأُ ما حولها بالمواد المقذوفة معهُ ثم اذا سكن ثائرهُ وخمد جاشهُ ملأَ الآبار التي حفرها بالمواد التي حملتها المياه الى جوف الارض وبينها ما وجدتهُ في ذلك المرجل المتقد من الحديد والماس والطفال واكاسيد الحديد ومتى انقطع خروج الغاز خرجت بعدهُ المياه ومزجت المواد التي اخرجها مزجاً فصيرتها في حالتها الحاضرة

وكل انفجار يجمع فوق البئر كثيباً من المواد المقذوفة من باطن الارض لكن الامطار والثلوج تفتتها وتجرفها فتمهّد الارض ولا يبقى فيها اثر ظاهر لتلك الآبار او الانابيب . وليس هناك ما يوجب ان تكون الآبار كلها قد حدثت في زمن واحد ولذلك ترى ماسها مختلفاً لوناً وصفاء وصلابة باختلاف الاماكن والازمنة التي تولّد فيها

كيفية تكوُّن الماس

ان مباحث الاستاذ مواسان واتقانهُ للوسائل التي يمكن الوصول بها الى درجة عالية جدًّا من الحرارة قد رجحت صحة الرأي المتقدم لتولد الماس في الطبيعة

ولقد كان المظنون ان الكربون لا يتبخر ولا يُصهر ولكن الحرارة الشديدة التي يمكن الحصول عليها بواسطة الكهربائية اثبتت انهُ لا يشذُّ عن غيره من العناصر بل يجري مجراها فقد ثبت انهُ يتبخر عند الدرجة ٣٦٠٠ بميزان سنتغراد اذا كان الضغط عاديًّا ويتحول من الجمود الى الغازية دفعة واحدة من غير ان يسيل. وهذا شأن اجسام اخرى تتحوَّل من الجمود الى الغازيَّة على الضغط العادي من غير ان تسيل ولكن اذا اشتدَّ الضغط عليها سالت قبلما تصير غازًا. وقياسًا على ذلك يجب ان يسيل الكربون قبلما يصير غازًا اذا اشتد الضغط عليهِ مع اشتداد الحرارة واذا برد بعد ذلك تبلور كما تتبلور المواد التي تصهر اذا بردت. ولكن اذا اشتدت حرارة الكربون اشتدت ألفتهُ الكيماوية فيأخذ الاكسجين من الهواء ومن اي مادة تحتوي اكسجينًا ويتحد بهِ حالاً فلا فائدة من صهرهِ ما لم يُصهر محجوبًا عن كل ما يتحد بهِ

وقد عُلم من زمن طويل ان الحديد المصهور يذيب الكربون وحينما يبرد ينفصل الكربون عنهُ في شكل الغرافيت (البلمباجين) وقد اكتشف مواسان ان معادن اخرى تفعل فعل الحديد ولا سيما الفضة ولكن الحديد اقوى منها على اذابة الكربون وتزيد قوتهُ على التذويب بارتفاع حرارتهِ

ويلزم لعمل الماس حديد نقيٌّ خالٍ من الكبريت والسليكون والفصفور الخ وان يوضع في بوتقة من الكربون مع فحم نقي من فحم السكَّر ثم توضع البوتقة في قلب الاتون الكهربائي وتكون قوة الكهربائيَّة ٧٠٠ امبر وضغطها ٥٤٠ فولطًا فيصهر الحديد حالاً ويمتص الكربون وبعد بضع دقائق ترتفع الحرارة فيها الى الدرجة ٤٠٠٠ (وهذه الحرارة تصهر الحديد وتصيره بخارًا) ويوقف المجرى الكهربائي حينئذٍ وتوضع البوتقة في ماء بارد الى ان تصير حرارتها تحت درجة الحمرة. ومعلوم ان جرم الحديد يتسع حين الانتقال من السيولة الى الجمود وتبريدهُ السريع يجمّد ظاهرهُ فيضغط على باطنهِ ثم حينما يجمد الباطن ويطلب الاتساع ينضغط ضغطًا شديدًا جدًّا وينفصل عنهُ الكربون الذي كان ذائبًا فيهِ باشكال بلورات شفافة وهي الماس حقيقي (veritable diamonds) ولو كانت في غاية الصغر لا تفرق عن الماس

الطبيعي في شكل تبلورها ولا في لونها وصلابتها وفعلها بالنور

والآن يبتدئ العمل الشاق جداً وهو فصل هذه البلورات عن غيرها . فيذاب الحديد التي هي فيهِ بالحامض النيتروهيدروكلوريك (ماء الذهب) والقسم الذي لا يذوب يكون مؤلفاً من الغرافيت ومن قشور كربون بنيَّة اللون ومن كربون ثقيل ثقلهُ النوعي ٣ الى ٣ ½ وهو صلب كالماس ومن ماس اسود ومن حجارة ماس متبلورة شفافة خالية من اللون . وقد يكون معها كربيد السليكون وسنباذج وهي من الشوائب التي كانت في المواد المستعملة فيحمى هذا المجموع اولاً بضع ساعات في الحامض الكبريتيك القوي الى درجة الغليان ويضاف اليهِ حامض نيتريك بالاحتراس التام ثم يغسل مدة يومين ويوضع في الحامض الهيدروفلوريك القوي بارداً ثم غالياً فيزول منهُ اكثر الغرافيت وتنحل مركبات السليكون . ثم يستعمل الحامض الكبريتيك السخن لازالة الفلوريدات ويغسل الباقي جيداً ويعالج بمزيج من اقوى انواع الحامض النيتريك ومسحوق كلورات البوتاسيوم وتكون حرارتهُ ٦٠ درجة بميزان سنتغراد لا اكثر من ذلك خوفاً من التفرقع . ويكرَّر ذلك ست مرات الى ثماني مرات فيذوب كل الغرافيت ولا يبقى الاَّ اكسيد الغرافيت والماس الحقيقي الشفاف والماس الاسود والماس المدخن (boart) . ثم يصهر هذا المزيج مدة ساعة في فلوروهيدرات فلوريد البوتاسيوم ويغلي في الماء ثم في الحامض الكبريتيك ويغسل فما بقي منهُ غير ذائب يجفف ويوضع على زجاجات الفحص الميكرسكوبي ويفحص فتوجد فيهِ قطع صغيرة من الماس الاسود وقطع اخرى شفافة لا لون لها بعضها متبلور وبعضها غير متبلور ولم اشاهد فيها حتى الآن بلورة كاملة تماماً لان البلورات الكاملة تتكسر من نفسها حين تخلصها بغتةً من الضغط الشديد الذي كان عليها .

وكان عندي قطعة جميلة من الماس الصناعي وضعتها على زجاجة الميكروسكوب وقمت في الصباح فوجدت انها تكسرت مدة الليل وانتشرت كسرها على زجاجة الميكرسكوب . وقد صنع مواسان حجارة ماس بقيت عندهُ بضع اسابيع قبل ان تكسَّرت وبعضها بقي عدة اشهر قبلما تكسَّر وهذا الامر يقع ايضاً في الماس الطبيعي المستخرج من مناجم كمبرلي .

وترون على الستار صور الماس الصناعي وكل حجارتهِ صغيرة قطر اكبرها اقل من مليمتر وهي في لمعانها وشكل تبلورها وفعلها بالنور وثقلها النوعي وصلابتها مثل حجارة الماس الطبيعي تماماً (identical with the natural stone) وكثيراً ما كان مواسان يصنع في العملية الواحدة عشرة حجارة الى خمسة عشر حجراً ولكنها صغيرة طول اكبرها ٧٥ في المئة من المليمتر والمثمن السطوح منها قطرهُ عشرا المليمتر

طريقة جديدة لعمل الماس

كثيرًا ما خطر لي انهُ يمكن الحصول على حرارة شديدة وضغط شديد لعمل الماس على غير الطريقة التي جرى مواسان عليها فان السر فردرك ابل والسر اندرو نوبل وصلا الى جعل الضغط ٩٥ طنًا على العقدة المربعة والحرارة ٤٠٠٠ درجة اذا أُشعل بارود الكرديت في اسطوانة مسدودة . وقد قال السر اندرو نوبل في مقالة تليت في الجمعية الملكية حديثًا انهُ اشعل الكرديت في اسطوانة مسدودة فبلغ الضغط فيها ٥٠ طنًا للعقدة المربعة والحرارة ٥٤٠٠ درجة فهنا طريقة مناسبة جدًّا لصهر الكربون واذا كان الوقت الذي تمَّ فيهِ اشتعال هذا البارود كافيًا ذاب الكربون ثم جمد وتبلوَّر

وقد تكرَّم السر اندرو نوبل فاعطاني المواد الباقية بعد اشعال المتفرقعات في آنية مسدودة فعالجتها كما يعالج الحديد في عملية مواسان وبعد اسابيع من التعب والعناء ازلتُ منها الغرافيت والسلكا والكربون غير المتبلور ورماد الكرديت وبقي لديَّ بقية نظرت اليها بالميكرسكوب فوجدت فيها حجارة متبلورة اتضح لي ان بعضها كربيد السليكون وترجح ان البعض الآخر ماس فجففت البقية كلها وصهرتها مع بيفلوريد البوتاسيوم وملح البارود لان التجارب ارتني ان هذا المزيج يحل كربيد السليكون ولو كان يفعل بالماس ايضًا بعض الفعل . ثم غسلت الباقي وسخنتهُ في الحامض الكبريتيك المدخن وغسلتهُ ثانية وجففتهُ وانتقيت الحجارة الكبيرة ووضعتها على زجاجة الميكرسكوب وها انا اريكم الآن على استار صور بعضها . ويوافقني الكياويون ان المعالجة التي عالجت هذه المادة بها لا يحتملها الاَّ الماس وقد فحص هذه الحجارة ثقات العلماء بعلم البلورات فحققوا انها حجارة ماس والحجر الذي ترون صورتهُ هنا (مكبرة بالفانوس السحري) قال الاستاذ بوني عنهُ انهُ "ماس سطوحهُ ثمانيةُ الاضلاع حدودها مظلمة من ارتفاع دليل الانكسار" واظن انهُ لم تبقَ شبهة في ان اشعال بارود الكرديت في الآنية المسدودة يكوِّن فيها حجارة ماس صغيرة وهي طريقة ثانية لعمل الماس another method of producing the diamond artificially.

نقف الآن عند هذا الحد من خطبة السر وليم كروكس واثقين اننا اوضحنا مراد الخطيب تمامًا وان حجتهُ قاطعة تؤيد ما قالهُ غيرهُ من العلماء وهو ان الحجارة التي صنعها مواسان ماس حقيقي . وسنتم خطبة السر وليم كروكس في الجزء التالي لان فيها بحثًا شهيًا مفيدًا عن وجود الماس في النيازك وعن اكتشاف طريقة لجعل الماس الاصفر ابيض ضاربًا الى الزرقة

المتوسط العادل

للعالم فرنسيس غلتون مباحث مبتكرة تبتدئ بشيء طفيف ثم تتسع وتعمّ فائدتها . فهو مستنبط طريقة الاستدلال على الناس بآثار انامِلهم. ولما كتب عن هذه الطريقة لم يخطر على بال احد انها تكون من ادل الدلائل على الناس او انها تستعمل في القضاء والسجون لتحقيق الشخصيَّة اما الآن فقد ثبت انها من ادل الدلائل ودلالتها ثابتة لا تتغير ابداً

وهو ايضاً مستنبط قانون الوراثة الذي بموجبهِ يرث الولد نصف صفاتهِ واخلاقهِ من والديهِ والنصف الآخر من اسلافهما واذا تحقق هذا القانون وجرى الناس عليهِ أُصلح النسل وزالت منهُ عيوب كثيرة . وقد استنبط الآن قاعدة لمعرفة المتوسط الحقيقي بين الآراء والتقديرات المختلفة . فاذا اوقع زيدٌ ضرراً بعمرو واراد القضاة ان يقدروا قيمة الضرر وما يستحقهُ عمرو تعويضاً من زيد فالغالب ان الذي يشط منهم في تقدير الضرر والتعويض اما في تكثيرهِ او في تقليلهِ يقنع الباقين بصحة رأيهِ لانهُ يكون اشد منهم تحمساً مع ان رأيهُ ابعد عن الصواب من آراء الباقين لانهُ هو متحمس واما هم فغير متحمسين ولذلك لا ينتظر ان يغالوا كما يغالي هو لا في الكثرة ولا في القلة . ولا يحسن اخذ المعدل لانهُ يدخل فيهِ تقدير المفرط او المفرّط اي المغالي في الكثرة او المغالي في القلة بل الاقرب الى العدل اخذ التقدير الاوسط فاذا كان عدد المقدرين سواء كانوا قضاة او غيرهم وتراً او مفرداً أُخذ تقدير الشخص الاوسط منهم واذا كان عددهم شفعاً اي مزدوجاً أُخذ متوسط الاوسطين فيكون التقدير الاوسط . فان كان عددهم ١١ ورتبت تقديراتهم من الادنى الى الاعلى فتقدير الشخص السادس منهم في هذا الترتيب هو المتوسط العادل واذا كان عددهم ١٢ ورتبت تقديراتهم من الادنى الى الاعلى فمتوسط تقديري الشخصين السادس والسابع هو المتوسط العادل

واتفق للمستر غلتون ان امتحن ذلك على اسلوب بديع قال انهُ لما اقيم معرض المواشي في غربي انكلترا منذ عهد قريب اختار بعضهم ثوراً كبيراً سميناً وطلب من الناس ان يقدّروا وزنهُ بعد ذبحهِ وسلخهِ ونزع امعائهِ . ووزع عليهم ثمانمئة ورقة ليكتب فيها كلٌّ منهم اسمهُ وتقدير الوزن الذي يقدرهُ وجعل ثمن الورقة نصف شلن ووعد باعطاء المال المجموع جوائز للذين يصيبون الحقيقة في تقديرهم او يكونون اقرب اليها من غيرهم . وتمَّ التقدير وذبح الثور وسلخ ونظف ووزن فوجد وزنهُ ١١٩٨ ليبرة وأُعطيت الاوراق كلها الى المستر غلتون فوجد

فيها ١٣ ورقة تعذَّر عليهِ قراءة المكتوب فيها بالتدقيق فاهملها ورتب الاوراق الباقية حسب مافيها من التقدير وهي ٧٨٧ ورقة فوجد التقدير الاوسط منها يجعل وزن الثور ١٢٠٧ ليبرات اي انهُ يزيد تسع ليبرات فقط على الوزن الحقيقي او اقل من واحد في المئة ووجد ان التقديرات التي اقل من ذلك تتناقص رويداً رويداً حتى يبلغ اوطاها ١٠٧٤ ليبرة . والتي اكثر منهُ تتزايد رويداً رويداً حتى تبلغ اعلاها ١٢٩٣ ليبرة فالتقدير الذي في آخر التقادير القليلة ينحط عن التقدير الاوسط ١٣٣ ليبرة والذي في اعلى التقادير الكبيرة يزيد على التقدير الاوسط ٨٦ ليبرة اي ان المقدرين فرَّطوا في تقدير وزن الثور اكثر مما افرطوا

والناس يتوصلون الى تقدير ثقل المواشي وثقل الاشياء عموماً بالقياس على اختبارهم السابق وعلى صور في اذهانهم عرفوها بالاختبار او بالسمع تقوم لديهم مقام عيار يزنون بهِ ما يقدرون ثقلهُ ولكنهم يختلفون في ذلك حسب اختبارهم وصحة احكامهم . ولا يبعد انهُ اذا امتحنت طريقة المستر غلتون هذه في اشياء كثيرة من هذا القبيل وجدت اصح الطرق كلها لمعرفة المتوسط العادل في كل الاحكام التي يتعذَّر فيها استعمال القياس والحساب المدقق . افلا يحتمل ان يتخذها القضاة قانوناً في المحاكم يجرون عليهِ في تقدير العقاب فاذا كانوا خمسة وكتب كلٌّ منهم ورقة بمقدار ما يستحقهُ المجرم من السجن حسب رأيهِ ثم ترتبت الاوراق حسب مقدار العقاب من الادنى الى الاعلى فالعقاب المقدَّر في الورقة الثالثة اي الوسطى اقرب الى العدل حسبما هو راسخ في اذهان اولئك القضاة

ومما يحسن سوقهُ هنا ان تقدير العقاب في احكام المحاكم اقرب الى المجازفة منهُ الى العدل فان جرائم المجرمين تتفاوت كثيراً في احوالها ودرجاتها حتى اذا كان عقاب اصغرها حبس شهر وعقاب اكبرها سجن ١٥ سنة وجب ان يتنوع عقاب الف من المجرمين بين هذين الطرفين فيعاقب بعضهم بحبس شهر وبعضهم بحبس شهر وايام وبعضهم بحبس شهرين وبعضهم بحبس شهرين وايام وبعضهم بحبس ثلاثة اشهر وهلمَّ جرًّا الى سنة وسنة وشهور وسنتين وسنتين وشهور الخ ولكنك اذا راجعت جدول الاحكام رأيت فيهِ كثيرين يعاقبون بحبس ثلاثة اشهر او نصف سنة او سنة اوسنتين او ثلاث سنوات او ست سنوات . ولكن قلما نرى احداً يعاقب بحبس شهرين وعشرين يوماً اوخمسة اشهر او سبعة اشهر اوعشرة اشهر اواحد عشر شهراً او سنتين وشهرا و سنتين وشهرين او ثلاث سنوات وسبعة اشهر او ثلاث سنوات واحد عشر شهرًا او اربع سنوات او ثماني سنوات وهلمَّ جرًّا . وما ذلك الَّا لان عدد الاشهر او عدد السنين الذي يخطر على بال القضاة قبل غيره يدفعهم الى تحديد مدة العقاب بهِ وهذا هو

الجزاف بعينهِ وهم لا يستحلون ان يفعلوا ذلك في تقدير ثمن رطل طماطم يشترونهُ . فاذا اعتمدوا على قاعدة غلتون كان حكمهم اقرب الى العدل

ولا يبعد ان تستعمل هذه القاعدة في امور كثيرة مما يعمل فيهِ برأي الجماعة ولا سيما اذا عبَّر كلٌّ منهم عن رأيهِ برقم حسابي ولكن لا يُعمل بها الاَّ حيث يراد تقدير القيمة او تقدير زمن العقاب او نحو ذلك من المقادير العددية ولكن اذا اريد الحكم على القبول او الرفض او اختيار هذا الشخص او ذاك فلا بدَّ من الاعتماد على اكثرية الاصوات

مصر والسودان

الرسالة الخامسة . بلاد النوبة

رجعت من السودان آسفاً لانني لم اتمكن من الصعود الى اعالي النيل ومشاهدة بلاد الجزيرة وسكانها والوصول الى البحيرات الاستوائيَّة التي تغذّي نهر مصر وتجعلهُ اعجوبة الدهر في انتظام فيضانهِ وعذوبة مائهِ . فودَّعت اخواناً اصفياء غمروني بفضلهم مدة اقامتي بينهم وعاصمة اغتسلت من المهجيَّة بدماء الالوف لتكون منارة في قلب افريقية ودخلنا محطة الحلفاية الساعة العاشرة ليلاً فزدت بها اعجاباً ووددت لو ان مهندسها زاد في ارتفاعها لتزيد رونقاً . ثم سرى بنا القطار على جنح الدجى يخترق البلدان التي مررنا بها نهاراً حتى اذا تبلج وجه الصباح سرنا في الاماكن التي مررنا بها ليلاً في صعودنا فلم يفتنا شيء من كل بلاد النوبة من الخرطوم الى اسوان مما تخترقهُ سكة الحديد ولكن البلاد التي كانت عامرة مجاورة للنيل فلا يراها عابر السبيل كلها الاَّ اذا جعل النيل طريقهُ . وحبذا الزمان الذي تقام فيهِ الاهوسة(١) على كل الشلالات كما اقيمت في اسوان فيتيسر السفر في السفن على مدار السنة وحينئذٍ يصير الصعود الى اعالي السودان من افكه الاسفار ونقل البضائع بهِ من ارخص اساليب التجارة

قلت في رسالتي الاولى ان ملوك النوبة كانوا يغزون القطر المصري المرَّة بعد الاخرى وقد تسلطوا عليهِ غير مرة . وفي القرن العاشر قبل المسيح اقتبسوا العمران المصري وتديَّنوا بالديانة المصرية وعبدوا معبودات مصر وامتدوا في فتوحهم الى القطر المصري حتى اذا كان

(١) الاهوسة جمع هويس وهو تحريف حوض العربية ويراد بهِ باب كبير تسدُّ بهِ الترعة ليرتفع الماء فوقها

القرن الثامن قبل الميلاد استولوا عليهِ كلهِ وكانت منهم الدولة الخامسة والعشرون من الدول المصرية · وكانت بلادهم كثيرة السكان وافرة الخيرات ولاسيما مملكة مروي التي لا تزال اهرامها قائمة تناطح السحاب وآثار ملوكها منقوشة في الصخور تقاوي انياب الدهر · وقد حاربوا البطالسة وكانت الحرب سجالاً ثم تنصروا في القرن الخامس والسادس وغزاهم العرب لما فتحوا مصر وظلوا يدافعون العرب تارة ويهاجمونهم اخرى الى اواخر القرن الثالث عشر للميلاد فانحط شأنهم بعد ذلك وراجت النخاسة في بلادهم وتدرَّجوا في الانحطاط حتى امسوا ولا ملك ولا رئيس ولا شأن يذكر · ووعدت ان اعقد لهم فصلاً طويلاً بعد الانتهاء من مفاخر البطالسة فرأيت الآن ان افي بذلك في هذه الرسالة

يطلق اسم النوبة على كل البلاد بين اسوان والخرطوم وكان المصريون الاقدمون يعدونها من القطر المصري ويسمونها بلاد السود ويقسمونها الى ثلاثة عشر قسماً لكنها كانت في الغالب مستقلة عن مصر ولو حاول المصريون الاستيلاء عليها مرة بعد اخرى طمعاً بما فيها من مناجم الذهب

واكثر البلاد صحاري وقفار لكنها كثيرة المعادن وما قارب النيل منها كثير الخصب وكذلك البلاد التي تروى من نهر الاتبرة وغيره من الغدران المجاورة لهُ

وطول البلاد من الشمال الى الجنوب نحو الف ميل وعرضها من الشرق الى الغرب نحو ثمانمئة ميل وكان المصريون الاقدمون يطلقون على اهلها اسم كش او كوش وهم اقرب الى الزنوج في شكلهم ولونهم منهم الى المصريين · والمظنون ان سكان مصر الاقدمين كانوا منهم ثم جاءها اقوام من الساميين إما من الشمال الشرقي بطريق السويس واما من الجنوب الشرقي من بلاد العرب فدخلوا قارَّة افريقية من عند بوغاز باب المندب وساروا على شاطىء البحر الاحمر الى وادي الحمامات عند القصير ثم ضربوا في البلاد غرباً الى ان دخلوا القطر المصري وتغلبوا على سكانهِ وامتزجوا بهم فتنوَّع شكل سكان مصر بما دخلهم من الدم الاسيوي من بلاد العرب او من بين النهرين اذ المظنون ان اصل اولئك الغزاة من جهات بابل فاختلف سكان القطر المصري عن سكان بلاد النوبة!

ولم ينقطع الاتصال بين سكان مصر وسكان بلاد النوبة فقد قيل في كتابة وجدت في قبر قديم باسيوط من عهد الدولة السادسة ان الملك اسا وهو السابع من ملوك الدولة الخامسة ارسل رجلاً من قوَّادهِ الى بلاد الاقزام ليأتيهُ بقزم منها لتسليتهِ فذهب وقطع بلاد النوبة ووصل الى بلاد قفط وعاد منها بالقزم المطلوب· بل يظهر من العظام التي وُجدت في مدافن

الدولة الاولى ان ملوكها كانوا يأتون بالاقزام من بلاد السودان . وجاء في سيرة اونا وزير الملك بيي من ملوك الدولة السادسة ان سيده ارسلهُ الى بلاد النوبة ليجمع الجنود من اهاليها ومن الزنوج ويحارب بهم سكان جزيرة سيناء . وجاء في تاريخ الملك منتوحتب الثالث من ملوك الدولة الحادية عشرة انهُ حارب بعض القبائل القاطنة في بلاد النوبة وذلك نحو سنة ٢٥٣٠ قبل المسيح. وجرى الملك اوسرتسن الاول مجراهُ في محاربة قبائل النوبة والتنكيل بهم وهو الثاني من ملوك الدولة الثانية عشرة

وبلغ من اهتمام ملوك مصر الاقدمين ببلاد النوبة ان الملك اوسرتسن الثالث حفر في شلال اسوان ترعة طولها ٢٥٠ قدماً وعرضها ٣٤ قدماً وعمقها ٢٦ قدماً وسار فيها الى بلاد النوبة لكي يحارب اهاليها ويخضعهم لسلطتهِ . وجاء في كتابة اخرى ان الملك تحتمس الاول سار في هذه الترعة وهو صاعد لعقاب النوبة . وان الملك تحتمس الثالث طهرها بعد ان رُدمت وامر ان يطهرها اصحاب المراكب كل سنة . وعند الشلال الثاني فوق وادي حلفا كتابات من عهد الملك سبك حتب الاول من الدولة الثالثة عشرة تدل على الحد الذي ارتفع اليهِ ماء النيل في السنوات الاربع الاولى من ملكهِ

والظاهر ان اهتمام ملوك مصر بجنوبيها وببلاد السودان صرفهم عن حفظ ثغورهم الشرقية الشمالية من جهة اسيا فنقلوا عاصمتهم الى طيبة (حيث خرائب لقصر وكرنك) وتوالى قدوم الغزاة الى مصر واخيرًا دخلها الرعاة (الهكسوس) وامتلكوها . ولا ذكر لبلاد النوبة مدة ملكهم فبقي امرها مغفلاً الى زمن اماسس من الدولة الثامنة عشرة فانهُ لما فرغ من طرد الهكسوس واخضاع القبائل النازلة في الشمال الشرقي من مصر صعد في النيل حتى بلغ البلاد التي بين وادي حلفا وشلال سمنة واوقع بالنوب وذبح منهم مذبحة كبيرة ثم عاد وقد دانت لهُ البلاد شمالاً وجنوباً وردَّ ملك الفراعنة الى ما كان عليهِ ولكنهُ لم يكد يغادر بلاد النوبة حتى قام رجل من اهلها يلقب في الكتابات المصريَّة بالنجس فشق عصا الطاعة وخرب المياكل فعاد الملك اماسس الى بلاد النوبة وتغلب عليهِ وامرهُ . واقتفى ابنهُ امنحتب خطواتهِ فغزا بلاد النوبة وضمها الى املاكهِ واقام عليها والياً لقب امير كوش كانت اقامتهُ في مصر غالباً وجرى تحتمس الاول مجراهُ فغزاها ايضاً وقتل ملكها واتى بجثتهِ الى طيبة . ولما توفي عصى النوب ونهبوا امتعة حكامهم المصريين وحاولوا النزول الى مصر فجهز عليهم تحتمس الثاني واثخن فيهم واسر ابن ملكهم

وتوالت الغزوات في عهد تحتمس الثالث وابنهِ امنحتب الثاني وخلفهِ امنحتب الثالث

فأوصل حدود مصر الى الشلال الرابع فان بلاد النوبة عصت في السنة الرابعة من ملكهِ وكان مركز العصيان في مكان يبعد ثلاثين ميلاً عن وادي حلفا جنوباً فذهب اليهِ وادَّب العصاة واسر منهم ٧٥٠ اسيراً ونقش اخبار حروبهِ على حجر عند شلال سمنة وبنى هناك هيكلاً عظيماً باربعة ابراج وهو اكبر هيكل مصري بني في بلاد النوبة فان طولهُ كان اكثر من ٣٠٠ قدم وصوّر على ابراجهِ وهو يقطع رؤُوس خصومهِ · ولا تزال خرائب هذا الهيكل الى الآن محفوظة اكثر من غيرها من خرائب المباني المصرية في بلاد النوبة لبعدها عن قرى الاهالي ولو كانت قريبة منها لنقضوها واخذوا حجارتها · وفي الهيكل اعمدة كبيرة مما قطرهُ سبع اقدام ولا بدَّ من ان امنهتب اراد ارهاب اهالي النوبة ببناء هذا الهيكل الفخيم في بلادهم

وابتدأَت الدولة التاسعة عشرة قبل المسيح بنحو ١٤٠٠ سنة ومنها الملك ستي الاول والملك رعمسيس الثاني وهما من اعظم ملوك مصر فبنيا الهياكل في بلاد النوبة كما بنياها في غيرها اي ان الكهنة كانوا يبنون الهياكل باسمهما · وقوي شأن هؤلاء الكهنة في مروي واينع العمران فيها لخصبها وبعدها عن الحدود التي تكثر فيها الحروب والقلاقل وشاعت فيها الديانة المصرية بكل رسومها وجعل الكهنة ينقشون الكتابات بالقلم المصري سواءٌ كانت بلغة مصر او بلغة النوبة فعلا شأن تلك البلاد رويداً رويداً وصار ملوكها او ولاتها يظاهرون ملوك مصر او الخارجين عليهم من رعاياهم ويتحزبون لفريق على فريق من مدعي سرير الملك الى ان كانت الدولة الثانية والعشرون وملوكها من ليبية او من العراق فجاروا على بيت هرحرو الذين كان منهم رؤَساء الكهنة وعمال الفراعنة في النوبة فهاجروا الى مدينة نبتة او نباتا في اعالي بلاد النوبة وصاهروا ملوكها وصار منهم رؤَساء كهنتها وارتقت البلاد في عهدهم وبنيت فيها المباني الفخيمة والهياكل الكبيرة وجعلوا يقيمون الاهرام لدفن موتاهم اقتداء بملوك مصر وكان مقرُّ ملكهم بين الاتبرة شمالاً والخرطوم جنوباً والنيل غرباً وجبال الحبشة شرقاً وتلك البلاد وافرة الخيرات كثيرة المعادن من الذهب والنحاس والحديد وفيها حراج واسعة ومراعٍ نضرة ومروج خصيبة ونهر الاتبرة كثير السمك وموقعها الجغرافي من احسن المواقع للتجارة مع البلدان الكثيرة العاج والجلود وريش النعام فلم تكد تقوى وتستعز حتى امتدت سلطتها جنوباً الى اسوان بل الى طيبة حتى اذا قام منها ملك اسمهُ بيانخي غزا مصر سنة ٧٥٠ قبل المسيح ثم عاد الى عاصمتهِ في جبل برقل او الجبل المقدس ونقش اخبار حروبهِ على صفيحة كبيرة من الحجر في هيكل بناهُ في ذلك الجبل · ويظهر منها انهُ دوَّخ بلاد مصر كلها فاستولى على طيبة والبهنسى وغيرها من مدن الصعيد الكبيرة ووصل الى منف فاقفلت ابوابها في وجههِ فخاطب

اهلها وقال لهم انهُ آتٍ ليعبد معبودهم فتاح وانهُ لا يقصد لهم شرًّا فلم يفتحوا ابواب مدينتهم لهُ ثم جاء امير صاالحجر وحرَّضهم على المقاومة وذهب يستنجد بامراء البلاد المجاورة فلما رأى الملك يانخي ذلك هجم على المدينة من جهة النيل ودخلها عنوة وقتل واسر كثيرين من اهلها وقدَّم القرابين للاله فتاح وطهَّر المدينة بالنطرون والبخور وسلمت لهُ المدن المجاورة وجاءهُ ولاتها خاضعين وانتقل في اليوم الثاني الى مدينة هليو بولس (المطريَّة) وجاءهُ الملك اوسركون الثالث وهو هناك وقدَّم لهُ الطاعة واقتدى بهِ غيرهُ من امراء البلاد ورؤَسائها وحلفوا لهُ يمين الطاعة وقدموا لهُ الهدايا الثمينة . ويقال في ختام الكتابة ان الملك يانخي جمع ملكي الوجه البحري وملكي الوجه القبلي وكل امراء الوجه البحري قبل رجوعهِ الى بلادهِ . ولا يذكر ماذا جرى في هذا الاجتماع . ثم عاد الى بلادهِ ومراكبهُ مشحونة من خيرات بلاد الشام وبلاد قفط ومن الذهب والفضة والنحاس والثياب

والظاهر من هذه الكتابة ان الوجه القبلي كان قد صار من اعمال مملكة النوبة قبل غزوة يانخي هذه وان مملكة النوبة لم تكن اقل من مملكة مصر عظمة وارتقاء في الفنون الحربيَّة وان الملك يانخي كان من القواد العظام الذين لا يغزون البلدان قصد النهب والسلب بل قصد تعزيز سلطتهم فيها فانهُ عفا عن كل الذين سلموا لهُ واكتفى من الملوك والامراء بان اقسموا يمين الطاعة فأقرَّهم في مناصبهم واكتفى من مسايس ملك منف بالتسليم ولم يصرَّ على حضورهِ اليهِ لكي لا يحقرهُ في عيون شعبهِ

ولم يعد الملك يانخي الى مصر فقامت فيها الدولة الرابعة والعشرون ولا يذكر منها الا ملك واحد ثم الدولة الخامسة والعشرون ابتدأت بشبا كا النوبي ابن كشتا ملك طيبة وهي دولة نوبيَّة محضة وكان الملك شبا كا معاصرًا لسرجون وسنحاريب ملكي اشور وقد وجد في المكتبة الملكية بنينوى صفيحتان مختومتان بخاتمهِ وفيهما اسمهُ والقابهُ . والظاهر انهما كانتا متصلتين بهدايا اهداها الى سرجون ملك نينوي

وذكر هيرودوتس الملك شبا كا وسماهُ سبا كوس وقال انهُ ملك مصر خمسين سنة ولم يعاقب احدًا بالقتل بل برفع التراب في جوار المدن حتى علت عن الارض المجاورة لها وفي جملة ذلك مدينة بوبستس (تل بسطة) . ثم وصف هيكلها وقال ان الملك شبا كا حلم حلمًا أُمر فيهِ بقتل الكهنة فخاف وهرب من القطر المصري لكي لا يفعل فعلاً يلام عليهِ . وذكرهُ المؤرخ ديودورس ايضًا وقال انهُ كان مغاليًا في عبادة الالهة والحنان على الرعية وكان يبدل عقاب القتل بجعل المحكوم عليهم يرفعون الجسور ويحفرون الترع فينفع البلاد . ثم ذكر مسألة

الحلم الذي أُمر فيهِ بقتل الكهنة وقال انهُ استدعاهم اليهِ وقال لهم انهُ أُمر بما يغيظ الله وخير لهُ ان يموت او يهجر البلاد من ان يفعل فعلاً يغيظ الهة . ثم ترك مملكتهُ وعاد الى بلاد النوبة وخلفهُ ابنهُ شبتاكا وهو الذي انجد حزقيا ملك يهوذا على سنحاريب ملك اشور فكان الفوز لسنحاريب . واستنجد ملك مصر بترهاقا ملك بلاد النوبة فجاءهُ وخلعهُ وخلفهُ على سرير الملك سنة ٦٩٢ قبل المسيح وهو الاخير من الدولة الخامسة والعشرين وانشأ هيكلاً في جبل برقل حفرهُ في الصخر وجعل طولهُ ١٢٠ قدماً واقام امامهُ برجين عرضهما ٦٣ قدماً واقام في صحنهِ ١٦ عموداً ارتفاع كلٍّ منها ١٨ قدماً ووضع في محرابهِ مذبحاً من حجر الغرانيت . ولهُ منشآت كثيرة في طيبة في كرنك ومدينة هبو وفي مدينة صان واستراحت البلاد في ايامهِ لان سنحاريب ملك اشور كان مشغولاً عنها بمحاربة مملكتي عيلام وبابل فلما تغلب عليهما انقلب راجعاً الى سورية وارسل احد قوادهِ لمحاصرة اورشليم وسار هو قاصداً مصر لكنهُ اضطرَّ ان يعود عنها لاسباب ذُكرت في التوراة وفي تاريخ يوسيفوس وتاريخ هيرودوتس على روايات مختلفة . ثم اتى في المرة الثالثة وتغلب على اورشليم واخذ الجزية من حزقيا وعاد الى بلادهِ فقام عليهِ ابناهُ وقتلاهُ وكان ذلك سنة ٦٨١ قبل المسيح وخلفهُ اسرحدون فقصد مصر وفتحها عنوة ودخل منف ونهبها وولى فيها الولاة وهرب ترهاقا من وجههِ

ثم قصد اسرحدُّون مصر سنة ٦٦٨ لكنهُ مات في الطريق فعاد ترهاقا الى منف . وبلغ اشور بني بال خلف اسرحدون ان ترهاقا عاد الى منف وازدرى سطوة اشور وطرد الولاة الذين اقامهم اسرحدون فيها فاخذ منهُ الغيظ كل مأخذ وقام قاصداً مصر فهرب ترهاقا من وجههِ ورد اشور بني بال الولاة الى مناصبهم وعاد الى بلادهِ بالغنائم ولم يكد يبعد عن مصر حتى تآمر بعض هؤلاء الولاة وتواطأُوا مع ترهاقا لكن أُولي الامر من الاشوريين دروا بهم وبعثوا فاخبروا اشور بني بال فبعث بجنود اخمدوا الثورة وعاقبوا الثائرين

ومن الغريب انهُ وجدت كتابات مصرية يقال فيها ان ترهاقا كان يمتلك بلاد الحيثيين والاشوريين والليبيين وذلك دليل قاطع على انهُ لا يمكن الاعتداد دائماً بالكتابات المصرية ما لم تؤيدها ادلة اخرى إما لان الكهنة والنقاشين كانوا ينقشون على التماثيل والحجارة نقوشاً لا يفهمون معناها او لأنهم كانوا يتملقون الملوك بالاكاذيب

وخلف ترهاقا ملك نوبي اسمهُ ثوت آمن ويسمّى في الكتابات الاشورية تندماني وقد وجد في جبل برقل صفيحة مكتوبة من عهدهِ يقال فيها انهُ سافر الى بحر الروم (الاخضر الكبير) وملك مصر ومضى الى هيكل آمن في نبتة وقرَّب فيهِ ٣٦ ثوراً واربعين كيلةً من

البيرة ومئة ريشة من ريش النعام ثم عاد الى الفنتين (جزيرة اصوان) وطيبة ومنها الى منف وتغلب على مقاوميهِ

ويقال في الاخبار الاشورية انهُ بينما كان تنوت آمن يحاصر منف بلغ خبره اشوربني بال فاسرع الى مصر والحال هرب تنوت آمن من وجههِ الى طيبة وتبعتهُ جنود اشور اليها فتركها وذهب الى كبكبة فنهب الاشوريون طيبة وغنموا منها غنائم وافرة واسروا كثيرين من الرجال والنساء والاولاد وعادوا الى نينوى وكان ذلك نحو سنة ٦٦١ قبل المسيح فخربت طيبة من ذلك الحين وكان سبب خرابها اعتداء هذا الملك النوبي على رجال ملك اشور

ثم قامت الدولة السادسة والعشرون واول ملك منها بسمتك وهو اول من جند الجنود من اليونان وحمى بهم ثغور مصر وقد ظن البعض انهُ نوبي الاصل وظنَّ غيرهم انهُ لبي. ومن اعظم آثارهِ المسلَّة الكبيرة التي نقلها الامبراطور اغسطس الى رومية. وساد السلام والامن في ايامهِ وكانت مدة ملكهِ ٥٤ سنة . وخلفهُ ابنهُ نخو الثاني وحاول فتح ترعة السويس التي كانت مفتوحة في عهد رعمسيس الثاني فلم يفلح مع انهُ استعمل ١٢٠ الف عامل وهو الذي ارسل بحارة من الفينيقيين ليدوروا حول افريقية لانهُ كان يعتقد ان البحر يحيط بها من كل ناحية فنزلوا في البحر الاحمر وداروا حتى وصلوا الى بحر الروم. ثم غزا سوريةَ وامتلكها لكن حاربهُ نبوخذنصَّر في كركيش وقهره فاضطر ان يعود الى مصر مخذولاً ومات فيها بعد سنتين وخلفهُ ابنهُ بسمتك الثاني فملك ست سنوات فقط وخلفهُ ابريس او خفرع وفي عهدهِ هرب ارميا النبي الى مصر. وخلفهُ اماسس الثاني وارسل كمبيسس ملك فارس سفارةً الى مصر وخطب الى اماسس الثاني ابنتهُ فارسل اليهِ ابنة ابريس مدعيًا انها ابنتهُ على ما قالهُ هيرودوتس فاغتاظ كمبيسس من ذلك وغزا مصر وفتح منف عنوة ويقال انهُ وصل الى عاصمة بلاد النوبة وبنى فيها مدينة مروي وسماها كذلك باسم اختهِ او زوجتهِ وقوي شأن الفرس في مصر فلم يعد ملوك النوبة يجسرون على اجتياحها

واعظم مدن النوبة التي بنى فيها ملوكها المباني العظيمة دنقلا ونبتة ومروي (البقراوية) ونقا وبان النقا والمصورات والصفراء. وقد وجد فيها علماء الآثار كتابات كثيرة استدلوا منها على اسماء ملوكها ومنهم ملك اسمهُ اسبلتا نشأ في النصف الثاني من القرن السابع قبل المسيح فكان معاصرًا للدولة السادسة والعشرين من الدول المصرية وقد وجد خبر تتويجهِ على بلاطة في جبل برقل ويقال فيهِ ان ستة من اشراف المملكة انتخبوهُ واتي بهِ الى هيكل الجبل المقدَّس واوقف امام تمثال آمن حتى اذا وافق على انتخابهِ صار ملكًا على البلاد

ووجد في ذلك الجبل صفيحة تسمَّى صفيحة الحرم وقد محي منها اسم هذا الملك وصورة رأسهِ كما ترى في الشكل المقابل . ومما كتب فيها ان الملك ذهب الى هيكل آمن في نبتة في الجبل المقدَّس وطرد منهُ الرجال الذين يكرهم الاله رع لانهم لا يطبخون اللحم بل يأكلونهُ نيئاً وكان الملك قد طلب منهم ان يقلعوا عن هذه العادة فتآمروا عليهِ وحاولوا الايقاع بهِ فاكتشف مؤَامرتهم ومضى الى الهيكل وقتلهم وامر ان لا يدخل احد من نسلهم ذلك الهيكل. والظاهر ان نسلهم ارادوا الانتقام منهُ فمحوا اسمهُ ورسمهُ من هذه الصفيحة

ومن ملوك النوبة الذين وجدت آثارهم الملك هروسانف الذي رقي الى عرش الملك سنة ٥٦٠ قبل المسيح والملك نستسنن ويقال في آثارهِ ان في ايامهِ دخل كمبستن بلاد النوبة فحاربهُ نستسنن وتغلب عليهِ واخذ سفنهُ وقتل رجالهُ وغنم امواله. والمظنون ان كمبستن هذا هو كمبيسس ملك الفرس

وقد بقي من اخبار ملوك النوبة في عهد اليونان والرومان والعرب شيءٌ كثير تلذ مطالعتهُ ارجأْت تلخيصهُ الى فرصة اخرى . ولا يكاد المرء يصدق ان تلك الجبال القاحلة والسهول التي لا ينبت فيها الآن الا شجر السنط وقليل من النخل الشائك كانت كثيرة السكان عامرة المدن تحارب القطر المصري وقد استولت عليهِ سنين كثيرة . والبلاد حيث كانت والنيل والانهرة يجريان الآن كما كانا يجريان في العصور الغابرة ولا ينقصها الا العقول والهمم لتشييد سالف مجدها ولقد كانت تشقى وتسعد في تلك الازمان ولكنها لم تصل في شقائها الى ما وصلت اليهِ الآن ولا سيما في زمن المهدوية . وقد حلَّ بها قبلاً ما حلَّ بمصر واشور وبابل وفينيقية ثم زيدت ضغثاً على ابالة في عهد التعايشي فهل يقوى العهد الجديد والحكومة الجديدة على اسعادها ثانية وهل تسعد باهلها او بغيرهم مسألتان تصعب الاجابة عنهما الآن

الرسالة السادسة . آثار مصر في بلاد النوبة

اعني بذلك الآثار القديمة الباقية من عهد الفراعنة . ولم ارَ منها الا هيكل ابي سنبل وهيكل وادي السبوع . اما هيكل ابي سنبل فاعظم الهياكل التي انشأَها رعمسيس الثاني وهو محفور في الصخر على الضفة الغربيَّة من النيل وعلى ١٧٠ ميلاً من اسوان وقد بناهُ تذكاراً لحروبهِ مع الحثيين وجعلهُ لعبادة آمن اله طيبة ورع حروخوتي اله المطرية وفتاح اله منف ثم عبد هو فيهِ . وظن البعض ان هذا الهيكل صنع قبل زمانهِ وهو انما اتمهُ ونقشهُ وسواهُ

صحّ ذلك او لم يصح فلا شبهة في انهُ من اعظم مباني المصريين بعد الهرم الاكبر

طول واجهتهِ نحو مئة قدم وعلوها اكثر من تسعين قدماً وقد نحت الصخر من اعلاهُ الى اسفلهِ حتى صارت منهُ هذه الواجهة . وفي اعلاها افريز فيهِ تماثيل ٢١ قرداً من القرود التي رؤوسها تشبهُ رؤوس الكلاب وتحتها نقوش وكتابات هيروغليفية يقال فيها " اني اعطيك الحياة والقوة " وفوق الباب تمثال الاله هرماخس وعلى يمينهِ ويسارهِ تمثال رعمسيس الثاني يقدم لهُ التقادم وعلى جانبي الباب اربعة تماثيل كبيرة تمثل رعمسيس الثاني جالساً على عرشهِ ارتفاع كل تمثال منها ٦٥ قدماً واسم رعمسيس على اكتافها وصدورها . وعلى ساق واحد منها كتابة يونانية يقال انها من عهد بسمتك الاول كتبها جنودهُ المسترزقة من اليونان وهم صاعدون الى بلاد النوبة . وداخل الهيكل دار كبيرة فيها ثمانية اعمدة ارتفاع كلٍّ منها ١٧ قدماً ويوصل منها الى دار ثانية اصغر منها فيها اربعة اعمدة ومنها الى دار مستطيلة لا اعمدة فيها ويتفرَّع من الدار الاولى ثماني غرف عن جانبيها ومن الثالثة ثلاث غرف كما ترى في الرسم وفي الغرفة الوسطى من هذه الغرف الثلاث مذبح واربع تماثيل جالسة لهرماخس ورعمسيس الثاني وامن رع وفتاح . وجدران الهيكل مغطاة بالنقوش من اخبار الملك رعمسيس وهناك صفيحة فيها وصف مسهب للواقعة الشهيرة التي تغلب فيها على ملك الحثيين وهاك ترجمتهُ

" في التاسع من الشهر الثالث من فصل شمت (شهر ابيب) في مدة ملك جلالة الثور الجبَّار محبوب ماّت ملك الجنوب والشمال شمس الشمس رعمسو محبوب آمن معطي الحياة الى الابد . لقد كان في بلاد ظخاه في غزوتهِ الثانية واقام الحرَّاس في معسكرهِ الى الجنوب من مدينة قادش [1] . نهض مثل الاله رع وارتدى بحلتهِ المجيدة مثل ابيهِ منثو وظلَّ السيد يسير امامهُ حتى وصل الى مدينة شبطون وحينئذٍ جاء اثنان من الشاسو وقالا لهُ " ان اخوتنا الذين هم رؤساء القبائل المحالفة للحثيين الملاعين ارسلونا الى جلالتك لنخبرك اننا نريد ان نكون من خدَّامك ولسنا بمحالفين للحثيين الملاعين . وقد نزل الحثيون في بلاد خربو (حلب) شمالي طونب لانهم خافوا منك " . هذ ما قالهُ هذان الرجلان لكنهما كانا كاذبين لان الحثيين الملاعين بعثوا بهما ليتجسسا المكان الذي نزل فيهِ جلالتهُ قبلما يوقف جنودهُ في مواقف القتال . واجتمع الحثيون الملاعين هم ورؤساء الامم المجاورة وجنودهم وفرسانهم الذين جمعوهم وعددهم كبير جداً وكمنوا بهم وراء مدينة قادش الحقيرة ولم يكن جلالتهُ يعلم ذلك

(١) قادش عاصمة الحثيين في سورية كانت مبنية على بحيرة حمص حيث يخرج منها نهر العاصي (انظر وصفها في المقتطف مجلد ١٣ صفحة ٣٦٦)

فسار جلالتهُ الى الشمال الغربي من مدينة قادش حيث نصب جنوده خيامهم وجلس على عرشهِ الذهبي واذا بكشافةٍ من كشافتهِ جاءوه بجاسوسين من جواسيس الحثيين الملاعين فلما اوقفوهما في حضرتهِ سألهما قائلاً من انتما فاجابا نحن من اتباع رئيس الحثيين الملاعين الذي بعث باعوانهِ ليأتوا و يعرفوا اين انت نازل . فقال لهما جلالتهُ اين رئيس الحثيين الملاعين فقد سمعت انهُ في بلاد حلب فقالا ان رئيس الحثيين الملاعين ومعهُ جيش لا يحصى من بلاد الحثيين و بلاد النهرين وفينيقية (قطي) جنود وفرسان عددهم كالرمل على شاطىء البحر وقوف الآن وراء مدينة قادش اللعينة على اهبة الهجوم. حينئذٍ استدعى جلالتهُ قوَّاد جيشهِ لكي يطلعهم على ما اخبره بهِ الجاسوسان وقال لهم ليخبروه كيف قال رؤساء الجند والرقباء والكشافة ان رئيس الحثيين الملاعين هرب الى بلاد حلب حالما سمع بقدومهِ لانهُ يجب عليهم ان يتحققوا الاخبار قبلما يخبرونهُ بها . ثم قال انظروا فاني قد علمت من هذين الجاسوسين ان رئيس الحثيين وصل بخيلهِ ورجلهِ وعددُ جنودهِ كالرمل الذي على شاطىء البحر وهو الآن وراء مدينة قادش اللعينة ومع ذلك لم يعلم بهذا رؤساء الجند ولا رؤساء الكشافة

ولما قال ذلك اعترف القوَّاد الذين كانوا في حضرتهِ ان الموكلين بذلك اخطأوا خطأ فظيعاً لانهم لم يخبروا جلالتهُ عن مكان رئيس الحثيين اللعين ولما قالوا ذلك امرهم جلالتهُ ان يستدعوا الجنود الذين كانوا الى جنوبي مدينة شبتون ويأتوا بهم الى حيث كان هو باسرع ما يمكن . وبينما كان جلالتهُ في مجلس شوراه هذا هجم رئيس الحثيين اللعين بمشاتهِ وفرسانهِ وحلفائهِ الذين تألبوا حولهُ من كل الامم وعبروا الترعة التي الى جنوبي قادش وسدَّدوا خطواتهم الى وسط جنود جلالتهِ وهم لا يدرون فخاف جنوده وركضوا الى حيث كان هو واقفاً وزحم جنود الحثيين الملاعين الحرس الخاص بجلالتهِ فلما رآهم سخط عليهم كابيهِ منثو رب طيبة وتمنطق فوق عدة حربهِ واختطف رمحهُ ووقف كالاله بار وصعد الى مركبتهِ واقتحم الاعداء وهجم على قلبهم مثل الاله سوتخ الجبار وحصدهم حصداً واثخن فيهم وطرح اشلاءهم في نهر عرنوث (العاصي) وقال " انا لرجالي ولكن فرساني تركوني ولم يجسر احد منهم ان يتقدم لمعونتي فاخصُّ الاله رع بمحبتي وابي تمو بشكر قلبي . هذا الذي فعلتهُ على مشهد من جنودي وفرساني وصفتهُ بالحق ولم ابالغ "

ويؤخذ من القصيدة البليغة التي نظمها شاعر اسمهُ بنتاورت ونقشت في كثير من الهياكل المصرية ان جنود الحثيين غطوا الجبال والاودية كالجراد واضطروا كل سكان

البلاد ان يحاربوا معهم وكان الجيش المصري مقسوماً الى اربعة فيالق فيلق آمن وكان سائراً مع الملك وفيلق رع وكان في المنخفض غربي مدينة شبتون وفيلق فتاح وكان في الوسط وفيلق سوتخ وكان ماسكاً الطرق فهجم الحثيون اولاً على فيلق رع وكانوا نخبة الجند ومعهم مركبات كثيرة في كل مركبة منها ثلاثة جنود فهجم الملك عليهم واوغل بين مركباتهم ثم التفت فاذا هو وحده وحوله الفان وخمس مئة مركبة من مركبات الاعداء وقد سدّوا عليهِ طريق الرجوع فنادى الاله آمن قائلاً " لماذا لا تأتي لمعونتي الم اقم لك هياكل ملأتها بالاسرى . اعطيتك من كل ما املك وجعلت البلاد كلها تدفع الجزية لك عشرة آلاف ثور عدا الخشب الطيب من كل نوع . ولم امنع يدي عن عمل كل ما تريده بنيت لك ابراجاً ومباني أخرى واقمت لك اعمدة تثبت الى الابد ونصبت لك المسلاَّت من ابو (جزيرة اسوان) وارسلت السفن لتأتي بخيرات البلدان القاصية . هانذا في وسط الجموع الذين تألبوا عليَّ وانا وحيد وليس معي احد وقد تركني جنودي كلهم ورجال مركباتي ناديتهم فلم يصغوا اليَّ ولكن انت خير لي من ملايين من الجنود ومئات الوف من الخيل وعشرات الوف من الاخوة والابناء . جيوش البشر كلا شيء وآمن خيرٌ منهم كلهم "

فمدَّ الاله آمن يده الى الملك وقال انا معك انا ابوك رع قوتي معك وانا افضل من مئات الالوف . ثم هجم الملك على اعدائهِ فهربت الخمسة الآلاف من خيول الاعداء امام جواديهِ ولم يستطع احد ان يقف امامهُ بل سقطوا كلهم ولم يعودوا يستطيعون القيام

ولما رأى ملك الحثيين والملوك الذين معهُ ما حلَّ بهم اركنوا الى الفرار ولكن سائق مركبة الملك رعمسيس خاف من ابتعاد مولاه عن جيشهِ لاسيما وان العدو احدق بهِ من كل ناحية فتوسل اليهِ ان يقف فضحك الملك وقال ان لا بدَّ من قتل كل اعدائهِ وامرهُ ان يتشجع ويهجم على الاعداء هجمة سادسة ثم وبخ رجالهُ ركاب المركبات على جبنهم وقال لهم ان صداقتهم لا تغني وقت الشدَّة وعدَّد لهم النعم التي منحها لمصر ثم شدَّد عليهم النكير لجبانتهم . ولم يصبهُ مكروه في هذه المعركة ولما انقضت التفت الى فرسيهِ اللذين كانا يجران مركبتهُ وقد انقذاه لما احاط بهِ الاعداء وامر انهُ بعد عودتهِ الى قصرهِ يقدَّم لهما العلف امامهُ دائماً ولم ينسَ سائق مركبتهِ لانهُ هو الرجل الوحيد الذي بقي معهُ من كل رجالهِ فجعلهُ رئيس الفرسان . وكان في مركبتهِ اسد اليف كان يهجم على الاعداء كلما لاحت لهُ فرصة

ولما رأى ملك الحثيين ما حلَّ بهِ ارسل الى رعمسيس يطلب منهُ الصفح لئلاَّ تقفر البلاد فاجاب طلبهُ وعزم على الرجوع الى مصر . ولا يذكر ان رعمسيس غنم غنيمة او اخذ

جزية لكنهُ امر ان يكتب خبر ظفرهِ على جدران الهياكل في ايدوس وطيبة وان يشفع الخبر بالصور الممثلة لتلك الواقعة فترى فيها رعمسيس في مركبتهِ والمركبات امامهُ ووراءهُ والارض جبليَّة والمركبات تصعد عليها والجنود مجندلة على الصعيد اوغائصة في الماء والخيل شاردة تدوس الجرحى بحوافرها وفي بعضها الجنود المشاة سائرون بتروسهم ومزاريقهم او واقفون في اعالي الابراج وقد انعقدت سحابة العجاج فوق الرؤُوس وفي بعضها الاسرى موثقين بايديهم وراء ظهورهم او فوق رؤُوسهم والجلادون يقطعون ايادي القتلى والكتَّاب يعدُّونها ويحصونها في سجلاتهم الى غير ذلك مما يطول شرحهُ ولا يغني وصفهُ عن مشاهدتهِ

لكن المحققين في هذه الايام يرجحون ان الحرب كانت سجالاً بين المصريين والحثيين سكان شمالي افريقية فرضي رعمسيس من الغنيمة بالاياب وعاد ولم يمتلك بلاداً ولا اخذ اسيرًا وعُقدت شروط الصلح بينهُ وبين ملك الحثيين وفيها الحقوق متبادلة متساوية بين الطرفين ولم تزل المعاهدة التي كتباها محفوظة الى الآن وهي تدلُّ دلالة واضحة على ان الحثيين كسبوا بهذه الحرب اكثر مما خسروا وانهُ كان للمصالح التجارية المقام الاول حتى في ذلك العهد . لكن الكهنة يتجرون بالتملُّق والعامة انعام مسوقة والخاصة تقطع المناصب السنتهم ولولا اكتشاف الحقائق بالبحث والتحري لكانت تواريخ الملوك والعظماء اشد ما كتبهُ البشر تضليلاً

والى الشمال من هذا الهيكل هيكل الالهة هثور الهة ابو شك (ابو سمبل) وهو محفور في الصخر ايضاً وارتفاع واجهتهِ ٩٢ قدماً وعرضها ٤٠ وفيها ستة تماثيل كبيرة ارتفاع كلٍّ منها ثلاث وثلاثون قدماً اربعة منها لرعمسيس الثاني واثنان لزوجتهِ نفرتاري وطول الهيكل من بابهِ الى محرابهِ ٩٠ قدماً وطول الهيكل الاول ١٨٥ قدماً

وهيكل وادي السبوع على الضفة الغربية ايضاً بناهُ رعمسيس الثاني بعضهُ مبني بالحجر الرملي وبعضهُ منقور في الصخر وقد بناهُ للمعبود رع ملك الالهة وفيهِ صورتهُ واقفاً يعبد رع ورع يقول لهُ اعطيك كل قوة واعطيك العالم بسلام . والظاهر ان النوبيين جعلوا هذا الهيكل كنيسة لما تنصروا ولا شأن لهُ بالنسبة الى غيرهِ من الهياكل المصرية . ولم تقف السفينة بنا لارى غير ذلك من الآثار لكن ما رأيتهُ يكفي للدلالة على قوة السلف وضعف الخلف فانهم يعجزون عن ان يأتوا باقل شيء مما اتى بهِ اسلافهم كأن سمًا دخل البلاد فسمها وسمَّ سكانها منذ مئات من السنين . وقد نقلت خبر حرب الحثيين عن تاريخ مصر للدكتور بدج عن النسخة المطبوعة سنة ١٩٠٢

اللغة السامرية

يدّعي السامريون كما يدّعي غيرهم من اهل اللغات الساميَّة ان لغتهم هي اللغة التي فتق الله بها لسان آدم وانها بقيت متسلسلة من آدم الى نوح ومن نوح الى ابرهيم الى موسى وعنهُ تلقاها بنو اسرائيل وهكذا ظلت متناقلة من الآباء الى الابناء الى يومنا هذا لم يطرأ عليها خلل ولا اعتراها زيادة ولا نقصان وانها خارجة عن لغات الذين بنوا برج بابل فلم يعرض لها ما عرض لسائر الالسنة من البلبلة . على ان هذا الاعتقاد لا يُعتدُّ بهِ لدى علماء اللغات وعندهم ان هذه اللغة كاخواتها من اللغات الساميَّة التي لا يزال اصلها مجهولاً وهي كسائر اللغات الساميَّة من حيث الكتابة من اليمين الى الشمال وتراكيب الافعال ومن الغريب انها اقرب الى العربية منها الى غيرها من سائر اللغات عدا اليهوديَّة كما ترى في الكلمات التالية

العربي	السامري	اليهودي
اب	اب	اب
ام	إم	ام
اخ	إح	اخ
بنات	بَنوت	بِنوت
نفس	نَفش	نِفش
يتيم	يتوم	يتوم
جار	جِر (جيم مصريَّة)	جر
اسم	شِم	شِم
قريب	قروب	قاروب
تلميذ	تلميد	تلميد
حج	حج (جيم مصريَّة)	حج
مقام	مَقوم	مقوم
كلب	كلب	كِلب
حي	حي	حي
بركه	برَكه	برَخه

العربي	السامري	اليهودي
ملاك	مالاك	مالاك
ملك	مَلك	ملخ
صديق	صديق	صديق
يمين	يمين	يَمين
شمال	شمال	شمال
موروثه	موراشه	مورشه
سبط	شبط	شبط
متن	مَتن	متن
مجن (ترس)	مِجن (جيم مصريَّة)	مجن
جدي	جدي (جيم مصريَّة)	جدي
حلم	حِلوم	حلوم
رمح	رَمح	رمح
دم	دم	دم
نذر	نزر	نزر
نحاس	نَحشت	نِحشت

العربي	السامري	اليهودي
قِدَم	قِدِم	قدِم
طل	طل	طل
نهر	نهر	نهر
سن	شِن	شن
عين	عين	عين
يد	يد	يد
قبر	قِبَر	قِبَر
عاقر	عاقر	عاقر
سماوات	شميم	شمايم
ارض	أرص	ارث
أذن	إذن	إذن
شمس	شمش	شمش
يوم	يوم	يوم
ليل	ليل	ليل
راس	راش	راش
الله	الله	إله
ريح	ريح	ريح
بقر	بقر	بقر

العربي	السامري	اليهودي
بتول	بتول	بتول
عبد	عبد	عبد
أمه	أمه	امه
عظم	عصم	عصم
سلام	شلوم	شلوم
روح	روح	روح
ذهب	زهب	زهب
يم (بحر)	يم	يم
مطر	مِطر	مَطر
رجل	رجل (جيم مصرية)	رجل
عجل	عجل	عجل
ملحمه	ملحمه	ملحمه
قش	قش	قش
ميت	ميت	ميت
نور	نور	نور
كبش	كبش	كبش
كوكب	كوكب	كوكب
سمن	شمن	شمن

وغير ذلك من الاسماء التي تتجاوز الميئات وقد تناهز الالف مما يدل على وحدة الاصل معنًى وتركيباً وما تراه من الاختلافات البسيطة الطارئة على اللفظ انما هو من قبيل التغيرات التي تحدث بتوالي الايام عملاً بناموس الارتقاء

وهاك امثلة من الافعال

كتب	كتب	كتب
فعل	فعل	فعل
رجم	رجم	رجم

أحب	أئب	اهاب
قم	قم	قوم
سأل	شأل	شأل

العربي	السامري	اليهودي
آكل	آكل	آخل
	الحروف	
لا	لا	لا
ام	ام	ام
الى	أل	إل
على	علْ	عل
من	من	من

العربي	السامري	اليهودي
	الضمائر	
انا	آني	آني
انت	اتّا	اتا
هو	هوا	هوا
انتم	إتم	إتم
نحن	انحنوا	انحنوا
هم	هِمْ	هم

ومما تقدم من الامثلة يرى بداهة ان اللغتين السامرية واليهودية متفقتان لفظاً ومعنى وهما توافقان اللغة العربية في بعض تراكيبها ومصطلحاتها وافعالها الاّ ان اللغة السامرية تختلف عن كليهما بالكتابة اختلافاً ظاهرًا ويتعذَّر التوفيق بينهما وذلك فيما نظن دليل على انها اللغة العبرانية التي كانت مستعملة في ايام موسى وظلت متداولة بين السامريين على حين ان اليهود اضطروا الى ابدال لغتهم باللغة الاشورية واليهود انفسهم يعترفون ان اللغة السامرية هي اللغة العبرانية القديمة و يؤيد ذلك ما نراهُ في متاحف اوربا من النقود القديمة التي كانت مستعملة في ايام سليمان وعليها كتابة سامرية هذا نصها (منقال اسرائيل) والعهد بين موسى وسليمان قريب جدًا لا يتجاوز بضع مئاتٍ من السنين ٠ اما القائلون ان لغة السامريين مزيج من لغاتٍ مختلفة فلا يحتفل بقولهم لان من تصفح توراة الطائفتين وقابل بين النسختين آية آية وكلمة كلمة وجدها على اسلوب واحد واللفظ يكاد يكون واحدًا لا تغيير في اصليهما كما ترى في هذه الآية

سامرية	براشيت برا الويم إت اشاميم وإتِ هارص
يهودية	براشيت برا الوهيم إت هشاميم وإتِ هارث
عربية	في البدء خلق الله السموات والارض

وبرأ في السامرية واليهودية مثل برأ العربية بمعنى خلق ومنهُ الباري

ولو تتبعت اللفظ وتركيب حروف الآيات الى آخر الاسفار الخمسة لرأيتهما على هذا المنهاج ولا تجد في اللفظ الاّ فروقاً طفيفة ٠ وتختلف الحروف الابجدية السامرية عن سائر اللغات السامية لكنها تشبه الخط الفينيقي كل الشبه ٠ وهذا ما حمل البعض على القول ان

برتلو الكيماوي

هو مرسلين بيرايجن برتلو . ولد بباريس في ٢٥ اكتوبر سنة ١٨٢٧ وابوهُ طبيب اسمهُ جاك مرتين برتلو فنشأ في بيت علم وفضل ونبغ من حداثتهِ فنال جائزة الشرف في الفلسفة وامتاز على مناظريهِ وهم نخبة الطلاب من الفرق العليا في مدارس باريس وجُعل مساعداً لمسيو بالار مكتشف عنصر البروم واستاذ الكيمياء في مدرسة فرنسا (كولاج ده فرنس) ثم استاذاً للكيمياء الآلية في مدرسة الصيدلة ثم استاذاً للكيمياء الآلية في مدرسة فرنسا واوجدت هذه الاستاذية لكي تعطى لهُ وكان ذلك سنة ١٨٦٥ . ولما نشبت الحرب بين فرنسا والمانيا سنة ١٨٧٠ و ١٨٧١ جُعل رئيساً للجنة العلمية التي أُنيط بها استنباط الوسائل للدفاع عن الوطن مدة حصار باريس . وسنة ١٨٧٣ انتخب عضواً في اكادمية العلوم ثم جعل سكرتيراً دائماً لها . وسنة ١٨٧٦ عين مفتشاً عاماً للتعليم العالي في فرنسا ثم عضواً دائماً في مجلس الشيوخ ثم وزيراً للمعارف ثم وزيراً للخارجية ثم عضواً في الاكادمية الفرنسوية

ونشر اول مقالة علمية سنة ١٨٥٠ في تسييل الغازات ومن ذلك الحين الى سنة ١٨٨٣ نشر نحو الف مقالة وعشرين كتاباً . وظهرت تباشير مقدرتهِ العلمية في رسالة نشرها سنة ١٨٥٤ موضوعها غليسرين الادهان وبيّن فيها ان نسبة الغليسرين الى الالكحول كنسبة الحامض الفصفوريك الى الحامض النيتريك . ثم اثبت هذه المقدرة بنقضهِ معتقداً كان راسخاً في اذهان الكيماويين وهو ان المركبات الآلية لا تتركب الاَّ بواسطة القوة الحيوية فاثبت انهُ يمكن تركيبها كيماوياً كما تركَّب المركبات الجمادية ولم يكن الكيماويون قد ركَّبوا قبل عهدهِ الاَّ اليوريا والحامض الخليك اما هو فركَّب الحامض الخليك والالكحول والاسيتيلين والبنزين ونقض المذهب الحيوي في تركيب المركبات الآلية

ثم اهتمَّ بحل مسألة اخرى لا تقلُّ عن المسألة الاولى شأناً وهي اكتشاف السبب الميكانيكي للافعال الكيماوية وقد طرق هذا الموضوع من حيث تغيرات الحرارة التي تسببها الافعال الكيماوية ومات ولم يصل الى النتيجة المطلوبة مع انهُ اشتغل في هذا الموضوع سنين كثيرة اكتشف في خلالها مكتشفات جمة ووضع اساساً متيناً لكل المباحث المتعلقة بهِ

واهتمَّ بالكيمياء النباتية منذ سنة ١٨٧٦ واكتشف فعل الميكروبات في تغذية النبات بنيتروجين الهواء وجمع مكتشفاتهِ ومباحثهُ في الكيمياء النباتية في اربعة مجلدات كبيرة طبعت سنة ١٨٩٩ (La Chimie végétale et agricole.) ومن اشهر مؤلفاتهِ كتبهُ في

تاريخ الكيمياء فانهُ استقصى اصل الكيمياء القديمة الى المصريين الذين كانوا يسبكون المعادن ويمزجونها بعضها ببعض والى اليونانيين الذين كانوا يعتقدون باستحالة العناصر في مدرسة الاسكندرية . ومن اشهر هذه الكتب تاريخ الكيمياء في العصور الوسطى حين كانت في يد السريان والعرب . وقد اثبت ان الكتاب اللاتيني المزعوم انهُ ترجمة كتاب عربي لجابر بن حيان الطوسي انما هو من الكتب الموضوعة ونشر فصولاً حقيقية لجابر وكتاباً لاتينياً مترجماً من كتب جابر وقد فقد اصلهُ العربي . وكان فيلسوفاً ومعلماً مرشداً فكتب في كثير من المواضيع الفلسفية "كالعلم والفلسفة" "والعلم والآداب" "والعلم والتعليم" "والعلم والضمير الحر"

والفرنسويون من اعرف الناس باقدار الرجال وقد عرفوا قدر برتلو حياً وميتاً فلما مضت خمسون سنة منذ نشر اول تأليف علمي من تآليفهِ احتفلوا بهِ احتفالاً عظيماً في مدرسة السوربون بباريس في الرابع والعشرين من شهر نوفمبر سنة ١٩٠١ برئاسة المسيو لوبه الذي كان رئيساً للجمهورية حينئذٍ وكان معهُ وزراؤُه وسفراء الدول ونوَّاب الجمعيات العلمية الفرنسوية والاجنبية

ونادي السوربون يسع ثلاثة آلاف نفس فغصَّ بجلّة القوم الذين حضروا اكراماً لشيخ الكيماويين الفرنسويين في هذا العصر وكان فيهِ تماثيل اشهر رجال فرنسا الذين اعلوا مقامها العلمي بين ممالك الارض مثل روبرت ده سوربون منشىء مدرسة السوربون ورشليه وباسكال وده كارت ولافوازيه ورولين . وكأَنَّ تماثيل اولئك العظام حضرت بدلاً منهم لتحيي من استحق بعلمهِ وعملهِ ان يُقرن اسمهُ باسمائهم

وفتح الاحتفال بخطبة تلاها وزير المعارف عدَّد فيها مآثر برتلو العلمية في ترقية شأن التعليم في فرنسا لانهُ لم يقتصر على المباحث العلمية بل التفت الى حال التعليم في المدارس الابتدائية والعالية . وتلاهُ المسيو داربو سكرتير اكادمية العلوم وعدَّد الفوائد التي استفادها العلم بنوع عام من الاستاذ برتلو . ثم قام المسيو فوكه رئيس اكادمية الطب وكرَّر ما قالهُ المسيو داربو واعرب عن سرور الاكادمية ببلوغ واحد من اعضائها هذا المقام السامي في نظر العالم المتمدن وقال ان رجلاً مثلهُ شرفٌ لكل جماعة ينضمُّ اليها . وتلاهُ المسيو مواسان استاذ الكيمياء في السوربون وعدد مكتشفات برتلو في علم الكيمياء وقال انهُ بحث منذ سنة ١٨٥٥ في السكَّر بحثاً ادى الى تركيب الحامض الفورميك والالكحول وفتح باباً جديداً للكيماويين الذين كانوا يحسبون التحليل الكيماوي غاية ما يتوخونهُ فصاروا يرون التركيب الكيماوي من مطالب الكيمياء كالتحليل . وكان وهلر وليبغ قد نفيا وجود القوة الحيوية تخالفهما وفنَّد كثيراً من مزاعمهما

وساعده في ذلك صديقاه باستور وكلود برنار وكلٌّ منهم خالد اسمهُ في سجل العلم

وقام بعده المسيو غاستون باري وتكلم عن علاقة الاستاذ برتلو بمدرسة فرنسا وقال انهُ دُعي سنة ١٨٥١ ليكون مساعداً فيها وذهب بعد ذلك الى مدرسة الصيدلة ثم اعيد الى مدرسة فرنسا وبقي فيها الى الآن رافضاً مناصب كثيرة اكثر ريعاً لهُ منها

وكان في المحفل نوّاب من المانيا وانكلترا والنمسا وايطاليا واسبانيا فقام الاستاذ فشر الالماني استاذ الكيمياء في مدرسة برلين الجامعة وتكلم بالنيابة عن اكادمية بروسيا العلمية والجمعية الكيماوية الالمانية وتلاهُ الاستاذ غلادستون الانكليزي وقدم الاستاذ رمسي الاميركي فتلا خطبة مرسلة من الجمعية الملكية وتبعهُ الاستاذ رينلدز الانكليزي فتلا خطبة من الجمعية الكيماوية وبعد خطب أُخرى من هذا القبيل قام المسيو برتلو وفاه بالخطبة التالية قال

ان ما اراهُ من اكرامكم لي قد حرّك عواطفي واوقعني في حيرة شديدة وانا عالم انكم لم تبدوا هذا الاكرام لمجرّد حبكم لي بل قد راعيتم فيهِ سني واشتغالي الطويل بالعلم وبعض الخدم التي اتيح لي ان اخدم بها بلادي وابناء نوعي . وهذا الحب الذي اظهرتموهُ لي قد زاد النور والبهاء في سراج حياتي الذي يكاد ينطفئ في ظلمة الابدية . وما اكرام الناس للشيوخ سوى دليل على ارتباط ابناء الزمان الحاضر بالذين سبقوهم وبالذين يأتون بعدهم وما نحن سوى نتيجة لازمة عمّا كانهُ اسلافنا فلهم نحن مديونون بكل ما لنا وان استطاع احد منا ان يزيد شيئاً في ابواب العلم او الصناعة او الآداب فما ذلك الاّ لان كثيرين قد اشتغلوا قبلهُ وكدّوا وجدّوا . فاشتغال اسلافنا بالعلم هو الذي تكرمونهُ الآن . وعلى كلٍّ منا ان ينسب جانباً كبيراً من نجاحهِ الى العلماء المعاصرين لهُ المشتغلين مثلهُ . وما من احد يستطيع ان يدّعي انهُ اكتشف وحدهُ شيئاً من المكتشفات الكبيرة التي تمت في القرن الماضي وما عِلْمُنا سوى مجموع ما وضعهُ كثيرون من المشتغلين بهِ مدة العصور الحاضرة والغابرة وقد خلفت الامم بعضها بعضاً وهي ساعية سعياً واحداً في كشف الحقائق واستخدامها في ما ينفع نوع الانسان ويرقيهِ من درجة الى اعلى منها

كان الناس قبلاً يحسبون العلماء رجالاً عائشين على نفقة غيرهم يبحثون في العلم ليسلّوا بهِ العظماء واهل السيادة . لكن هذا الحكم الجائر الذي يبخس رجال العلم حقهم ويحط من قدر اهتمامهم بالبحث عن الحقائق العلمية قد زال الآن لمّا ثبت ان حقائق العلم يمكن استخدامها في ترقية الصنائع والاعمال وان العلم يبدل القواعد القديمة المبنية على الحدس والتخمين بقواعد جديدة نافعة مبنية على الملاحظة والامتحان . ومن يجسر الآن ان يصف العلم بانهُ بحث عقيم لا فائدة منهُ وهو يرى فوائدهُ الجمة في زيادة ثروة الامة . واذا قصرنا النظر على ما يمكن ان

يعد في المنزلة العليا من فوائد العلم كفانا ان نقابل الحالة السيئة التي كان فيها عامة الناس على ما يعلم من التاريخ بحالتهم في العصر الحاضر وما يرجى من زيادة الاصلاح في المستقبل مما لا يرتاب فيهِ احد . العلم يصلح العالم . ولقد رأى رجال السياسة فوائدهُ المحسوسة فجعلوا ينشئون المعامل العلمية وينفقون عليها لانهم وجدوا منها ربحاً للبلاد يفوق نفقاتها اضعافاً كثيرة . وللعلم حقوق اعظم من هذه فانهُ يدَّعي ودعواهُ حق انهُ هدًى للناس في الامور المادية والعقلية والادبية . وتحت رايتهِ يسير العمران سيراً ذميلاً

ولقد غيَّر العلم وجه المسكونة منذ نصف قرن الى الآن فان الناس الذين من عمري رأَوا شيئاً مخالفاً للطبيعة ان لم يكن مضاداً لها وهو اسمى منها بما لا يقدَّر رأَوهُ يتكامل امامهم ورأَوا قوَّة الفرد تتضاعف بهِ مئة ضعف بتحويل النور والكهربائيَّة والمغنطيسيَّة . ولم يقف الارتقاء عند هذا الحد بل ان زيادة التعمُّق في معرفة الكون وبناء الانسان جسداً وعقلاً دعت الى اعتبار نوع الانسان بصورة جديدة مبنيَّة على الالتحام التام بين كل طوائفهِ . وكما تكثر روابط الناس ويزيد التحامها بتقدُّم العلم وبتوحيد القوانين التي يستخرجها العلم ممَّا يجري في الكون ويفرضها على الناس كلهم فرضاً واجباً من غير عنف كذلك تكثر هذه الفوائد وتزيد اهميتها حتى لا يبقى مناص منها وستكون اساس الآداب والسياسات ولذلك صار للعلماء شأن كبير بين رجال السياسة ايضاً

لكن واجباتنا لغيرنا تزيد بزيادة اهميتنا وهذا يجب ان نتذكرهُ دائماً ولا ننساهُ . واحترام الناس للعلماء لا يقصد بهِ تبجيلهم وارضاؤُهم كلاَّ بل يقصد بهِ الاعتراف بانهم خدموا ابناء نوعهم غير منتظرين اجراً ولا شكوراً — خدموا ابناء نوعهم باصلاح احوالهم وتقليل متاعبهم فاستفاد منهم الجميع الاغنياء والفقراء. ولهذا السبب اتفقت الحكومة والامة منذ تسع سنوات على اكرام باستور في هذا النادي . وهذا عين ما كتب على الوسام الذي يريد رئيس الجمهورية ان يقدمهُ لي . ولا اعلم هل قمتُ بما كتبهُ النقَّاش عليهِ ولكنني اعلم انني بذلت جهدي دائماً لاقوم بهِ . انتهى

قال مكاتب التيمس وكان لهذه الخطبة وقع عظيم في نفوس السامعين ولا سيما القسم الاخير منها فصفقوا للخطيب طويلاً ودنا رئيس الجمهورية منهُ وعانقهُ ثم قلدهُ الوسام المشار اليهِ آنفاً

وكان برتلو قصير القامة نحيف الجسم فيهِ احديداب طلبة العلم ضعيف الصوت في الخطابة بهِ انفة وشمم لا يهتم الاَّ بعملهِ واهل بيتهِ . ابلغ ما قرأْناهُ في تأبينهِ ما كتبتهُ عنهُ جريدة التيمس في نشرتها الادبية في التاسع والعشرين من شهر مارس الماضي حيث قالت ان الاثني عشر شهراً الماضية اخنت على علم الكيمياء في فرنسا ولم ترحم فاغتالت كوري ومواسان وبرتلو

فان مكتشف الراديوم وصانع الماس لا يقلاَّن عن برتلو عظمة ولا هما اقل منهُ جرأَةً على اقناع الغير ولا اقل منهُ صبرًا على البحث والتنقيب ولكنهما كانا دونهُ في امر آخر فان برتلو كان عالمًا وكان اديبًا فهو من رجال العهد القديم المتضلعين من فنون الادب

ولعلهُ كان اعظم كيماوي في عصرهِ وكان ايضًا فيلسوفًا ومؤرخًا ووزيرًا ومنشئًا . كان الانشاء فطرة فيهِ فقد ولد منشئًا مثل باستور ودبكلو وكثيرًا ما كانت فصولهُ الانشائية تتشرَّب من معارفهِ العلمية فتزيد رونقًا وتدقيقًا . ولم تضعف مقالاتهُ العلمية من بلاغتهِ الانشائية . وكان ايضًا كيماويًا بالطبع وبالتطبُّع واشتغل بالكيمياء الى آخر يوم من حياتهِ مع انهُ كان يستطيع عند الحاجة ان يشكّل وزارة او يؤلف كتابًا في تاريخ الكيمياء لا يستطيع تأليفهُ الاَّ خبير بالمؤلفات اليونانية والعربية وهو بذلك مثال لنا نحن الذين نكتفي بفرع واحد ولا نتقنهُ فانهُ عرف علومًا كثيرة وعرفها كلها جيدًا كأنهُ كان يذكر قول احد علماء اليهود ان الاناء المملوء من الجوز يسع ايضًا مقدارًا كبيرًا من الزيت

وقد احتفلت فرنسا بوفاتهِ كما احتفلت بوفاة اعظم ابنائها فكتور هيغو ورنان وباستور فاكرمت بهم كل متفضل على امتهِ . وذلك خليق بالشعب الروماني فان الرومانيين كانوا يقولون ان الجدير باكرام امتهِ هو الذي يوسع نطاق وطنهِ ولقد اشار رنان الى ذلك في وليمة أُولمت لبرتلو سنة ١٨٨٥ فقال انهُ وسع نطاق العقل . ومَن اجدر بهذا الوصف من الرجل الذي اكتشف سر تركيب المواد الآلية واختار بعض العناصر وركب منها ما كان يظن ان تركيبهُ خاص بالحياة فنقض الحاجز الذي ظُن انهُ حصين بين المواد الآلية وغير الآلية وان المواد الآلية لا تتركب الاَّ بواسطة ما سموهُ بالقوة الحيوية فلما صنع الاسيتلين والبنزين والالكحول نقض هذا الحاجز ولو لم يزلهُ تمامًا كما قال المسيو بوانكره الذي هو اعظم علماء فرنسا الآن بعد موت برتلو. نعم ان الكيماويين لا يوجدون الحياة الآن ولكنهم صاروا يركّبون المواد التي قيل اولاً انها لا تتركب الاَّ بواسطة الحياة

وكان برتلو فيلسوفًا يعتقد وحدة الكون ويسترشد بهذا الاعتقاد في تيه المعارف . ولا يفلح في مطالب كثيرة الاَّ من كان عقلهُ حازمًا رزينًا ينتبه لكل شيء ويستفيد من كل شيء يكبُّ على موضوعهِ ولا ينصرف عنهُ . وهذا الحزم والاصرار من صفات كل النوابغ فانهم يكبُّون على مطالبهم وينصرفون بكليتهم اليها ولا يكلون ولقد كان باستور كذلك وهكذا كان ندُّهُ برتلو

طالت حياتهُ فافعم بحر المعارف بعلمهِ وعُرِف فضلهُ في المانيا اكثر مما عرف في فرنسا واشتركت الامم كلها بفوائد مكتشفاتهِ العلمية . ولقد كان مدار اشغالهِ على امرين الاول وحدة

الطبيعة اي ان حوادث الكون كلها خاضعة لنواميس واحدة فالمركبات الكيماوية التي تتولد في اتربة الارض وجذور النباتات وامعاء الحيوانات متماثلة ولا بدَّ للانسان من ان يصنعها يوماً ما . هذا هو المبدأ الذي بني برتلو ابحاثهُ عليهِ . والمبدأ الثاني تعاون البشر وتكافلهم

ولقد قال غير مرة ان كل اكتشاف علمي انما هو نتيجة اعمال لا تحصى تعاون الناس عليها وهم لا يدرون . والمخترع او المكتشف لا يقف وحده بل يعاونهُ كثيرون من اسلافهِ ومعاصريهِ وهو يستمد من روحهم ومن انفاسهم وما الحضارة الا نتيجة هذا التعاون وهو كالزمان قدماً وكالبسيطة اتساعاً

لما كان وزيراً للمعاوف جعل همهُ الاكبر تعليم جمهور الامة لكن بقيت مسرّتهُ الكبرى في معملهِ الكيماوي فكان يسرُّ في المدرسة ويزيد سرورهُ وهو في بلڤي حيث بني لهُ معمل كيماوي وغرس لهُ بستان نباتي وكان يقيم هناك كل سنة من ابريل الى نوفمبر يبحث في الكيمياء النباتية بين الانجم والاشجار

كان من عادة رنان ان يقول اذا اختار الانسان دقيقة من حياتهِ ليحلم بها وهو في قبرهِ فالمرجح عندي ان برتلو يختار عصر يوم من ايام الصيف وهو في اعالي مدون (حيث بيتهُ ومعملهُ) فانهُ كان هناك سعيداً بعملهِ سعيداً بحبهِ للطبيعة سعيداً بعشرة زوجتهِ الجميلة واولادهِ الاذكياء . وقال بعض واصفيهِ يصف بيتهُ هذا وما فيهِ . "بيت صغير في الحراج وحديقة مملوءة بالاولاد ومقصورة حافلة بالسيدات ومدام برتلو بجمالها الرائع لا ينساها كل من رآها . حسن فتَّان وعقل رزين . جمال في العقل والنفس كأنها من عالم سموي العالم الذي وصفهُ الشاعر بوي . كأنها من عرائس الشعراء بعينين نجلاوين وقدٍ اهيف وصوت رخيم . رقة بأنفة واحتشام ولطف تمتاز بهِ العقائل وابنها البكر الى جانبها كأنهُ من غلمان الجنة"

ولقد كانت هذه المرأة الفاضلة ملاك زوجها وكان رجال العلم يكرمونها كما يكرمونهُ ويعجبون بها كما يعجبون بهِ . وهو على انفتهِ وما يظهر فيهِ من الجفاء كان من ارق الناس قلباً كما اثبتت وفاتهُ . ففي يوم الاحد في السابع عشر من شهر مارس الماضي قال لابنهِ ان امك لا ترجي وان ماتت لم اعش بعدها . وذهب عصر ذلك اليوم الى بلڤي ورتب امور بيتهِ فيها وحضر اجتماع اكادمية العلوم يوم الاثنين حسب العادة لانهُ سكرتيرها الدائم واعتذر عن البقاء فيها بمرض زوجتهِ ولما وصل الى البيت وجدها في حالة النزع حتى اذا لفظت النفس الاخير قال "انقطع نفسي" ودخل غرفة مجاورة لغرفتها وانطرح على مقعد واسلم الروح فدفن الاثنان تحت قبة البنثيون مدفن عظماء فرنسا واحتفل بجنازتهما احتفالاً عظيماً على نفقة الحكومة

آلة الطيران وحروب المستقبل

تنوَّعت آلات الطيران حتى لم تعد كلمة بلون كافية للتعبير عنها وتناول الاتقان شكلها ومادتها والقوة المحركة لها . فاختيرت لها الاشكال التي تسهل معها الحركة وتقل فيها مقاومة الرياح · والمادة التي هي اخف من غيرها وامتن . والقوة التي لا تفوقها قوة بالنسبة الى خفة آلتها ووقودها · فصار ركوب الهواء اقرب منالاً مما كان في السنين الماضية واذا استمرَّ الاتقان على هذا المنوال فلا يبعد ان يصير ركوب الهواء ميسورًا لعامة الناس بعد عشر سنوات او حواليها لاسيما وان المنشطين للاعمال اغروا المخترعين بالجوائز الطائلة ان هم بلغوا الغاية المطلوبة فان جريدة الدايلي ميل الانكليزية وعدت ان تعطي عشرة آلاف جنيه لمن يستنبط آلة يطير بها من مدينة لندن الى مدينة منشستر مسافة ١٦١ ميلاً ونصف ميل · ووعد سنتوس ديمون ان يعطي من ينال جائزة الدايلي ميل نشاناً من ذهب ووعدتهُ شركة ادمس بالفي جنيه اذا كانت آلتهُ مصنوعة في البلاد الانكليزية وشركة الاوتوكار بخمس مئة جنيه

وجرت جريدة الماتن الفرنسوية هذا المجرى فاتفقت هي واثنان من فضلاء الفرنسويين ووعدوا انهم يعطون عشرة آلاف جنيه لمن يطير من باريس الى لندن في اربع وعشرين ساعة او اقل بشرط ان تكون آلتهُ مصنوعة في فرنسا ويجري هذا السباق في ١٤ يوليو سنة ١٩٠٨ وان لم يفز فيهِ احد حينئذٍ يكرَّر في الاحد الثاني من اغسطس وسبتمبر واكتوبر

ووعدت شركة حمَّامات البحر في اوستند بثمانية آلاف جنيه لمن يطير من باريس الى اوستند في اربع وعشرين ساعة في الحادي عشر من اغسطس او الثامن عشر منهُ

ووعد نادي اميركا الهوائي بعشرين الف جنيه جائزة لآلة الطيران التي تفوق غيرها · وتبلغ قيمة الجوائز التي يراد اعطاؤها الآن للذين يفوقون غيرهم في اتقان آلات الطيران ثلاثة وستين الفاً من الجنيهات عدا الجوائز غير المالية . وهذا كلهُ مما يغري المكتشفين ويشدّد عزائمهم · أضف الى ذلك اهتمام الحكومات المختلفة باتقان آلات الطيران لاستعمالها في الحرب والظاهر انها تكتم ما يصل اليهِ رجالها من هذا القبيل حتى تستأثر بفائدتهِ

ويظهر مما يرد الآن في المجلات العلميَّة والادبيَّة ان دول اوربا مهتمة بامر الآلات الطيارة اهتماماً عظيماً فقد قال المستر ستيد في مجلة المجلات الانكليزية ان وزير الخارجية في المانيا قال لهُ بالامس ان آلة الطيران اهم ما ينتظر في المستقبل وان حكومتهُ لا تغفل عنها

طرفة عين . وقال لهُ رئيس وزراء النمسا والمجر ان آلة الطيران قد تغير كل شيء البوارج والقلاع والتخوم وقد تقضي على كل انواع الاسلحة فاذا شئت ان يعم السلام فاقنع مجالس النواب في كل الممالك لتتفق على اتقانها . وقال لهُ وزير التجارة في بلاد المجر ان مسألة الطيران قد حلّت حالما اكتشفت طريقة لتوليد قوة عظيمة من آلة خفيفة وقد بقيت امور طفيفة لا بدّ من اتقانها ولكن مستقبل آلة الطيران مكفول . وقال لهُ ملك ايطاليا على مَ أُنفق مليوني جنيه على بناء بارجة كبيرة وآلة من آلات الطيران تتلفها قبلما تغادر مرفأها

قال ويقول المهندسون الآن انهُ لا تمضي خمس سنوات حتى يمتلئ الهواء بالطيارات كما امتلأت الشوارع بالموطرات(1) وتهتم بعض الدول الآن بسن قانون من مقتضاهُ منع آلات الطيران من ان تطير فوق بلادها

ثم اورد المستر ستيد خلاصة رواية تخيلية وضعها رجل الماني اسمهُ رودلف مارتن وسماها "من برلين الى بغداد" تخيَّل فيها ان آلات الطيران أُتقنت تمام الاتقان ففاقت بساط سليمان وصارت السفن الحربيَّة تصنع منها فيركبها الجنود ويطيرون بها في الهواء ويخربون المدن والقلاع بما يرمونهُ عليها من الديناميت . والرواية موضوعة كما تقدَّم وحوادثها ليست مما يسهل وقوعهُ والمرجح انها ليست مما يمكن ادراكهُ ولو بعد الاعوام الطوال لمخالفتها قواعد العلم ونواميس المادة ومع ذلك لا تخلو من الفكاهة فآثرنا تلخيصها عن الجزء الاخير من مجلة المجلات الانكليزية بما يأتي

مستقبل المانيا في الهواء

في غرة يناير من سنة ١٩١٠ اجتمع قواد الجيش الالماني وامراء البحر في برلين ليهنئوا الامبراطور برأس السنة فخاطبهم ذاكرًا اهميَّة آلات الطيران للعالم بنوع عام ولالمانيا بنوع خاص وقال ان اكتشاف هذه الآلات التي تسهل ادارتها في الهواء لا يقلُّ شأنًا عن اكتشاف البارود ومن الآن فصاعدًا يضاف الى كل فيلق من الجيش الالماني فرقة من ركاب آلات الطيران . وطلب المستشار الامبراطوري خمس مئة الف جنيه للاسراع في عمل الآلات اللازمة لانهُ لا بدَّ من ثلاثين الف طيارة مربعة الطيران يركبها ثلاثون الفًا من الجنود . وقد أُمر معمل كروب بعمل الف طيارة حالاً بما يلزم لها من المدافع وهي والاربع مئة من السفن الهوائية المصنوعة على اسلوب زبلن تستطيع ان تنقل اربع مئة الف جندي من

(1) الموطرات جمع موطر المحرّك او المحرِّك وقد اطلقهُ الافرنج على الاوتوموبيل وبنوا منهُ فعلاً معناهُ ركب الاوتوموبيل او سار في الاوتوموبيل فما احرانا باستعمال كلمة موطر اسماً وموطر فعلاً

المانيا الى انكلترا في ثلاث ساعات ولذلك فمستقبل المانيا في الهواء . ثم مضت عشرون سنة وكلها مؤيدة لما قالهُ الامبراطور

اول حرب هوائية

بقيت الثورة ضاربة اطنابها في بلاد الروس حتى سنة ١٩١٣ . واتخذت اليابان ذلك ذريعة لاعادة الحرب فدارت الدائرة على روسيا واستأمن جيشها كلهُ في صحراء غوبي في شهر مارس سنة ١٩١٣ . وكان اعتماد اليابان على آلات الطيران من مدرعات ونقالات فقام الروس على العائلة القيصرية وخلعوها ونادوا بالجمهورية . وهرب القيصر واقرباؤهُ الى المانيا بسفينتين هوائيتين المانيتين

وانقسمت الجمهورية الروسية الى جمهوريات صغيرة تحارب بعضها بعضاً حتى كادت تفنى لو لم يقم فيها رجل مثل نبوليون اسمهُ ميخائيل سوفاروف فان هذا الرجل اقنع اكبر رئيس من رؤساء الجمهوريات الروسية بعمل سفن هوائية ثم ركبها وطار بها الى بخارى وتغلَّب عليها وغنم اموال اميرها وصنع بها كثيراً من السفن الحربيَّة الهوائية واستردَّ بها بلاد القوقاس وكان يقيم في سفينة لم يكن اسرع منها بين كل السفن الهوائية التي صنعها الناس الى ذلك الحين وانشأ نادٍ بالسفن الهوائية في باكو وجُعل رئيساً لهُ . وبلغت سرعة السفن الهوائية سنة ١٩١٥ نحو ٢٥٠ ميلاً في الساعة فصار الانسان يستطيع ان يطير بها من خوقند الى بكين في عشر ساعات . وعزم سوفاروف على غزوة الصين واجتياحها لكنهُ اخَّر ذلك بسبب نشوب الحرب بين روسيا والمانيا سنة ١٩١٦ لان المانيا كانت قد اكثرت من بناء السفن الهوائية واتقانها حتى صارت الاولى في الدنيا من هذا القبيل وتلتها فرنسا واوجست روسيا منها شرًّا فاكثرت هي ايضاً من بناء السفن الهوائية وساعدها على ذلك رخصها لان السفينة التي تحمل ستمئة رجل لا تزيد نفقات انشائها على ١٥ الف جنيه . وقُطعت العلاقات السياسية بين روسيا والمانيا في ١٩ ابريل سنة ١٩١٦ وكان سوفاروف في ورسو فأمر في الحال خمسة من البوارج الهوائية ان تصعد الى اعالي الجو وتستطلع اخبار العدو فرأت بوارج الالمان الهوائية قد انتشرت فوق بلاد الروس وجعلت تمطر الجنود الروسية بالقنابل والطربيد ورصاص الروس لا يصل اليها لانها كانت تطير على ستة آلاف الى سبعة آلاف قدم فوق سطح الارض وكان فيها سفن نقل كبيرة في كل سفينة منها ١٥٠ بلوناً صغيراً فاذا اصابت رصاصة واحداً منها فخرقتهُ لم يؤثر ذلك في طيران السفينة

فرأى سوفاروف ان لا قِبَل لهُ بمقاومة الالمان الّا اذا خرَّب عاصمتهم حاسباً ان الدفاع

في الحرب الهوائية ضربٌ من الحماقة ولا بدَّ فيها من الهجوم لمن اراد الظفر فأمر باطفاء كل المصابيح من مدينة ورسو وانتظر حتى خيم الظلام وقام ببوارجهِ الهوائية وسار اولاً بطريق بطرس برج تضليلاً للالمان ثم عطف على برلين ودرت بهِ السفن الالمانية فاسرعت وراءهُ ودارت رحى الحرب في الهواء فاصيب خمس من بوارج الالمان فانجرت وسقطت بمن فيها ثم اصيب مئة وخمس وعشرون من السفن الهوائية فسقط بعضها وهرب البعض الآخر واجتمع خمسون سفينة من سفن الروس فوق برلين وجعلت تمطرها بالقنابل والطرابيد فخربت الثكنات العسكرية وقتلت من فيها وتركت محطات سكة الحديد انقاضاً وكادت المدينة تمحى من صفحة الوجود لو لم تأتِ بوارج المانية كثيرة لانقاذها وحاولت سفن الروس ان تهرب منها بالارتفاع في طبقات الجو فاصابت قنبلة سفينة سوفاروف فشقتها وكان لا بسًا ما يقيهِ السقوط السريع ورمت اليهِ سفينة اخرى من سفنهِ حبلاً فتمسك بهِ وحاول الصعود فاصيبت هذه السفينة بقنبلة فاتت سفينة ثالثة وانقذتهُ وارتفعت بهِ في اعالي الجو الى ستة عشر الف قدم فوق سطح الارض ولا تصل سفن الالمان الهوائية الى ذلك الارتفاع ثم طارت بهِ تلك السفينة الى جبال بامير في قلب اسيا ولم يتبلج وجه الصباح حتى كانت بوارج الروس كلها في جبال بامير آمنة طوارق الحدثان

ومرَّت السنون وسوفاروف يدبر التدابير لغزوة المانيا وهو مقيم برجالهِ فوق جبال حملايا وتزوَّج بابنة امير بخارى وكانت تركب الهواء معهُ ولم ينقطع الاتصال مع روسيا بالتلغراف الاثيري

وعقد الالمان شروط الصلح في ورسو وضموا اليهم بلاد النمسا فاتسعت سلطنتهم ودخلت بطرس برج وورسو وكيف في حمايتها وانضمت اليها تركيا وبلاد اليونان والبلقان وانشئ لهذه السلطنة الواسعة مجلس نواب عام تمتد سلطتهُ من همبرج الى البصرة على خليج فارس ولم تمر ١٤ سنة حتى ارتقت المانيا اكثر مما ارتقت في ١٤٠٠ سنة قبلها وتدفقت الخيرات من العراق وبلغ سكانهُ اثني عشر مليونًا وبلغ سكان السلطنة الالمانية كلها سنة ١٩٣٠ نحو ٢١٥ مليونًا وعدد جيشها العامل ١٣ مليونًا من الجيوش البرية والبحرية و٤ ملايين من الجيوش الهوائية

وبقيت روسيا على استقلالها وعظمتها مع ما خسرتهُ من البلاد وتوّج سوفاروف قيصرًا عليها سنة ١٩١٧ واستولت اليابان على سيبيريا كلها شرقي نهر جنسي

سفن السفار وشفاء السل

صارت السفن الهوائية تنقل الناس بدل السفن البحرية. والسفينة التي تحمل الف راكب

لا تزيد نفقات بنائها على ٢٥٠ الف جنيه اي ربع ما يلزم لبناء السفينة البحرية الكبيرة وصارت نفقة السفر من اوربا الى اميركا او من اميركا الى اوربا عشرة جنيهات لا غير في الدرجة الاولى

وكانت السفن تسير احياناً في اعالي الجو فيشفى الركاب المصابون بداء السل اذ ثبت ان الاقامة ١٢ ساعة الى عشرين ساعة حيث الارتفاع ١٩٠٠٠ الى ٢٠٠٠٠ قدم تشفي من هذا الداء الوبيل . وجعلت السفن الهوائية تسير من برلين الى البصرة في احدى عشرة ساعة والمسافة بينهما اكثر من الفي ميل واجرة السفر خمسة جنيهات في الدرجة الاولى واما سكك الحديد فلا تقطع هذه المسافة الا في احدى وعشرين ساعة واجرة السفر فيها عشرون جنيهاً في الدرجة الاولى

بل صار الناس يذهبون الى القطب الشمالي لاجل النزهة ويولمون الولائم فيه وعزموا على انشاء فندق هناك يأكلون فيهِ ويشربون وذهب بعضهم الى القطب الجنوبي لاجل النزهة . وكانت اخبار الدنيا تصل الى ركاب السفن الهوائية بالتلغراف الاثيري وصار اكثر ركابها من الاميركيين ولم يندر ان ترى سفينة في الهواء ذاهبة من مصر الى بلاد القرم او من نيويورك الى سان فرنسسكو وليس فيها الا فتاة اميركية

احوال مختلفة

وسنة ١٩٣٠ بلغ سكان برلين ستة ملايين من النفوس وكثرت سفن الهواء في جوها واناطت الحكومة حفظ النظام فيهِ بفرقة من البوليس الهوائي وصار كثيرون من السكان يبيتون في جبال سويسرا ويعودون في النهار الى برلين لقضاء اشغالهم فيها وانشأوا جنائن في الهواء غرسوها في سفن كبيرة طيَّارة . وجُعلت بيوت السفن الطيارة على سطوح المساكن فصار المرء يصعد الى سطح بيتهِ ويركب سفينتهُ ويطير بها الى حيث يشاء

ورأت هولندا وانفرس انهُ لا يحسن بهما البقاء منفصلتين عن الاتحاد الالماني ورأت المانيا ان لا بدَّ لها من سويسرا لانها تطيّر سفنها من جبالها الى المغرب الاقصى فنظر رجالها ملياً في الامر واجمعوا على ان يعرضوا بقية بلجكا على فرنسا ويعطوا الكنغو لانكلترا ويأخذوا بدل ذلك هولندا ومستعمراتها والقسم الفلنكي من بلجكا ويضموا اليهم سويسرا وتكون ادارة المغرب الاقصى وبلاد ايران في يدهم . وقابل وزير المانيا السفير الانكليزي وعرض عليهِ ذلك فرأى السفير غبناً كبيرًا على دولتهِ ولاسيما باعطاء سويسرا وايران لالمانيا فقال الوزير ان كانت المانيا لا تستطيع ان تفعل ما تريد برضى الانكليز فهي تفعلهُ بغير رضاهم وكانت

بوارج الالمان الهوائيَّة قد صارت اكثر واقوى من بوارج الانكليز والفرنسويين معاً وسفنهم الهوائيَّة تستطيع ان تشحن مليوني جندي الى انكلترا في ثلاث ساعات وكان عندهم اربعة ملايين آلة حربيَّة طيارة تستطيع ان تطير فوق البوارج الانكليزيَّة وتمطرها بالقنابل والطرابيد وقنبلة واحدة من قنابلها تغرق بارجة برنس اوف ويلس وهي اعظم البوارج الانكليزيَّة واذا نشبت الحرب بين المانيا وانكلترا فسوفاروف قيصر روسيا يرسل الى الهند مليونين من جنود الروس من جبال بامير بالسفن الطيارة فيصلونها في ثمان وعشرين ساعة ويمتلكونها وتضطر المانيا ان تترك الهند لروسيا وتكتفي بمصر وجنوبي افريقية وشرقيها . وتأخذ اليابان كل ما تستطيع اخذهُ من بلاد الصين . وطلب الوزير جواباً من السفير في الساعة الاولى بعد الظهر

فطار السفير من برلين الساعة العاشرة صباحاً وقبل الساعة الثانية عشرة ورد جواب انكلترا بالقبول لكن سوفاروف لم يقنعهُ ذلك فقام من جبال بامير بثمانمئة الف من الآلات الطيارة واربع مئة الف من السفن الهوائيَّة وحلَّ في بلاد الهند وامتلكها ونودي بهِ امبراطوراً في كلكتا ولجأَت انكلترا الى المانيا واليابان فاعتذرت اليابان بانشغالها بالصين وطلبت المانيا ان تعطى ما تمتلكهُ انكلترا من رأس الرجاء الصالح الى القاهرة فتساعدها على استرداد الهند

والرواية تخيليَّة كما تقدَّم ولا يحتمل ان يتم شيء منها الاَّ استعمال الآلات الطيارة لركوب الهواء والقاء المواد المتفرقعة منها على الجنود والسفن ولعلها تكون من اقوى الاسباب على ابطال الحرب

المفاضلة بين الشعراء

تابع ما قبلهُ

وللبحتري في المستعين بالله من لاميَّة

(٢٦) ما الغيثُ يهمي صوبُ اسبالهِ والليث يحمي خيس أشبالهِ [١]
كالمستعين المستعان الذي تمَّت لنا النعمى بافضالهِ

ولهُ من قصيدة يمدح بها أبا صالح

(٢٧) هو الغيثُ ينهلُّ في صوبهِ دراكاً ويعذب في وِرْدهِ

ولهُ فيهِ ايضاً من قصيدةٍ داليَّة

(٢٨) فالله يكلأُ عبدَالله انَّ لهُ مكارماً منْ يحوّلْ بعضها يَسُدِ
بحرٌ متى تستمح امواج جمتهِ يفض وغيثٌ متى ما تستجد يجُدِ [٢]

(١) غابة الاسد . والاسبال : المطل (٢) الجمة : معظم الماء

ومنها إِسلمْ ابا صالحٍ للمكرمات فقد أحييتها وهي من موت على حذرِ
عمّت صنائعك الراجين وابتعثت آمالُ ما لم يرُمْ سعياً ولم يردِ

ولهُ فيهِ من قصيدةٍ أُخرى بائية

(٢٩) إِن استرفدته خليجُ بحرٍ او استنهضتهُ فسليلُ غابِ

ولهُ فيهِ ايضاً من بائيةٍ

(٣٠) ولدى بني يزدان حيث لقيتهم كرمٌ كغادية السحاب الصيّبِ (١)
ومنها وتبسماتك للعطاء كأنها زهرُ الربيع خلالَ روضٍ معشبِ

ولهُ من ميميةٍ يمدح بها الهيثم الغنوي

(٣١) وازارَ ارضَ الرومِ اطرافَ الظبي حتى اقام ملوكهم في المقسمِ
وثنى الى علو الجزيرة خيلهُ متمطرات في العجاج الأقتمِ (٢)

الى ان يقول

ونفى الأراقم أُفعوانٌ مضلةٍ يفري بنابيهِ قميصَ الأرقمِ (٣)
قاري سباعٍ قد لغبنَ حوائمٍ في نقعهِ ومضيفُ طيرٍ حوّمٍ (٤)
يدلي بدًا بيضاء يخلطُ الندى فيها اذا لقي الفوارسَ بالدمِ

ولهُ فيهِ ايضاً

(٣٢) اقول لثجّاج الغمام وقد سرى بمحتفل الشؤبوب صابَ فعمّما (٥)
أقلّ واكثر لست تدرك غايةً تبين بها حتى تضارع هيثما
ولموت وبلٌ منهُ لا تلقَ حدّهُ فموتك ان تلقاهُ في النقع معلَما (٦)
ومنها لكل قبيلٍ شعبةٌ من نوالهِ ويختصهُ منهم قبيلٌ اذا انتمى
تقصّاهُمُ بالجود حتى لأقسموا بانّ نداهُ كان والبحر توأما (٧)

ولهُ من قصيدة لامية يمدح بها المعتز بالله

(٣٣) ما زال يكلأُ ديننا ويحوطهُ بالمشرفيةِ والوشيج الذابلِ (٨)

---

(١) الصيب : المنصبّ (٢) متمطرات : متسابقات (٣) الأراقم : احياء من بني تغلب . وجمع الأرقم لاخبث الحيات . ويفري : يقطع ويشق (٤) اي مضيف . ولغبن : تعبنَ
(٥) الثجاج : السيال الشديد الانصباب . والشؤبوب : الدفعة من المطر . وصاب : انصبّ (٦) معلماً اي موسوماً بسيماء الحرب (٧) تقصاهم : اي عمهم (٨) المشرفية السيوف والوشيج الرماح

يتخرّق المعروف يوم عطائهِ ... عن جود مخرق اليدين حلاحلِ (١)

متهللٌ طلقٌ اذا وعد الغنى ... بالبشر اتبع بشرهُ بالنائلِ

كالمزن ان سطعت لوامع برقهِ ... اجلت لنا عن ديمةٍ او وابلِ

ولهُ فيهِ ايضاً من عينيةٍ

(٣٤) كيف اخشى فوت الغنى ووليُّ الله ... م من هاشمٍ وليُّ اصطناعي

مستهلُّ اليدين كالغيث ذي الشؤ ... بوب يهمي والسيل ذي الدُفّاع (٢)

ولهُ فيهِ ايضاً يمدحهُ ويستشفعهُ الى ابنهِ عبدالله من قصيدة داليةٍ

(٣٥) نضا السيف حتى انقاد من كان آبيا ... فلما استقرَّ الحقُّ شيمت مضاربه

وما زال مصبوباً على من يطيعهُ ... بفضلٍ ومنصوراً على من يحاربه

ولهُ فيهِ ايضاً من نونيةٍ

(٣٦) تناولَ جودُهُ أقصى الاماني ... وصدَّق فعلهُ حسنَ الظنونِ

ولم تخلق يدُ المعتزّ الاّ ... لحوزِ الحمد بالخطر الثمينِ

تروعُ المال ضحكتهُ اذا ما ... غدا متهللاً طلقَ الجبينِ

ومنها وقد صدمت عظيمَ الروم عظمى ... من الاحداث قاطعةُ الوتينِ (٣)

ولهُ من ميميةٍ يمدح بها أبا مسلم بن حميد

(٣٧) اسودٌ يفرُّ الموتُ منهم مهابةً ... اذا فرَّ منهُ كلُّ أروعَ صارمِ

مصارعهم حولَ العلى وقبورهم ... مجامعُ اوصال النسور الحوائمِ

أبا مسلم ان كان عِرضك سالماً ... فما لك من عافيك ليس بسالمِ

اذا ارتدَّ يوم الحرب ليلاً رددتهُ ... نهاراً بلألاء السيوف الصوارمِ

وان غلت الارواحُ ارخصت سومها ... هنالك في سوق من الموتِ قائمِ

بضربٍ يشيد المجد في كل موقفٍ ... ويسرع في هدم الطلى والجماجمِ (٤)

فتصرف وجه المجد ابيض مشرقاً ... بوجهٍ من الهيجاء اسودَ قاتمِ

ولهُ ايضاً من دالية يمدح بها ابا نهشل محمد بن حميد بن عبد الحميد الطوسي

(٣٨) بنو حميدٍ اناسٌ في سيوفهم ... عزُّ الذليل وحتفُ الفارس النجدِ (٥)

لهم عزائمُ رأيٍ لو رميتُ بها ... عند الهياج نجوم الليل لم تقدِ

(١) يتخرّق: يتوسع والمخرق اليدين: كناية عن الكريم. والحلاحل: السيد في عشيرته (٢) الدُفّاع: طحمة الموج والسيل (٣) عرق لاصق بالقلب (٤) الطلى الأعناق (٥) الشجاع

تحيّرَ الجودُ والاحسانُ بينهمُ … فما يجوزهمُ جودٌ الى احدِ

ومنها تبسّمٌ وقطوبٌ في ندًى ووغًى … كالبرق والرعد وسط العارض البَرِدِ

اعطيتَ حتى تركتَ الريحَ حاسرةً … وجُدْتَ حتى كأنَّ الغيثَ لم يَجُدِ

ولهُ فيهِ ايضاً من داليَّةٍ اخرى

(٣٩) تظلُّ العطايا والمنايا قرائناً … لعافٍ يرجّيهِ وغاوٍ يعاندُهُ

اذا افترقت اسيافهُ وسط جحفلٍ … تفرّق عنهُ هامهُ وسواعده

ومنها لهُ بدعٌ في الجود تدعو عذولهُ … عليهِ الى استحسانها فيساعده

اذا ذهبت امواله نحو اوجهٍ … من البذل جاءت من وجوهٍ محامده

ولهُ في مدح عبدالله بن دينار بن عبدالله من قصيدة

(٤٠) فلم املَ الّا منْ مودتهِ يدي … ولا قلتُ الّا من مواهبهِ حسبي

لقيتُ بهِ حدَّ الزمان ففلَّهُ … وقد يثلم العضب المهنّد في العضبِ[1]

ومنها مديرُ حربٍ لم يبت عند غرَّةٍ … ولم يسرِ في احشائهِ وهلُ الرعبِ[2]

ويقلقهُ شوقٌ الى القرن معجلٌ … لدى الطعن حتى يستريح الى الضربِ

ولهُ في المعتز بالله من ميميَّةٍ

(٤١) ابوهُ البحرُ ساح لنا نداهُ … ففاض وامهُ ماء الغمامِ

سقتْ هلكى الحجيج واطعمتهم … واحيتْ ساكني البلد الحرامِ

ولهُ فيهِ ايضاً من رائيَّةٍ

(٤٢) لقد زلزلَ الشامَ العريضةَ ذكرُهُ … واقلق سكان الجزيرة بالذُعرِ

الى ان يقول

وملّيتَ عبدَالله انَّ سماحهُ … هو القطرُ في إسبالهِ واخو القطرِ[3]

ثم قال وجاور ربعي بالشآم رباعهُ … وليس الغنى الّا مجاورة البحرِ

ولهُ في محمد بن يحيى الواثقي

(٤٣) تأبى يدُ الغيثِ ان تساجلها … ويقصر الدهرُ ان يطاولها

ولهُ من داليَّة يمدح بها ابن الفيّاض

(٤٤) بنو الحسين كنوزُ الدهر من كرمٍ … لا يورث الدهرُ اقصاهنَّ إنفادا

---

(١) فلَّهُ : كسر حدهُ (٢) الغرة : الغفلة والوهل : الضعف · والقرن الكفوء والمقاوم

(٣) مليتهُ اي عشت معهُ وتمتعت بهِ طويلاً · والاسبال · هطل المطر

مكرّرون على الايام في شيمٍ ... تقيّلوها اباءً واجدادا [1]
إن ساوق المحل اقوامٌ لبخلهم ... جاوَوا مع المطر الربعيِّ اجوادا [2]

ولهُ من قصيدة يمدح بها ابن الفرات

(٤٥) يعجزُ الشعرُ عن مكافاة خرقٍ ... أريحيٍّ اذا اجتديناهُ أجدى
كلما قلت اعتق المدح رقّي ... رجعتني لهُ اياديهِ عبدا
ان لقينا بهِ الخطوب مشيحاً ... كان خصماً على الخطوب الدًّا [3]
لو تعاطى السحابُ ادراك ما تبلغُ آلاؤهُ لقلنا تعدّى

ولهُ من قصيدة يستسقي بها نبيذاً من ابي نوح

(٤٦) بكرتْ لهم سقيا الربيع وقصَّرت ... عنهم اوانَ تعلّةٍ سقياكا [4]
ماكان صوبُ المزنِ يطمعُ قبلها ... في ان يجيءَ نداهُ قبل نداكا
ولديك صهباءُ كأن نسيمها ... من طيب عرفك او جميل ثناكا

ولهُ من نونيةٍ في عليّ بن يحيى

(٤٧) بقومي جميعاً لا احاشي ولا اكني ... ابو جعفرٍ نجمُ العلى وحيا المزنِ
فتى العرب المدعوّ في السلم للندى ... وفارسها المدعوُّ في الحرب للطعنِ
سحابٌ اذا اعطى حريق اذا سطا ... لهُ عزّةُ المنديّ في هزّة الغصنِ [5]
لجأنا الى معروفهِ فكأننا ... لمنعتنا فيهِ لجأنا الى حصنِ [6]

ولهُ من بائيّةٍ في مدح عبدالله بن تهيك

(٤٨) انّ أبا جعفرٍ اطال يدي ... بنائلٍ من يداهُ موهوبِ
سرتْ يداهُ بكل ساريةٍ ... من الندى ثرّةِ الشآبيبِ [7]

ولهُ من بائية يمدح بها ابا سعيد

(٤٩) ولو داسكم بالخيل دوسة مغضبٍ ... لطرتم غباراً فوق خرسِ الكتائبِ [8]
ومنها ومن نائلٍ ما تدعي مثل صوبهِ ... اذا جاد اكباد الغمام الصوائبِ

---

(١) تقيّل اباهُ : اشبههُ والاشبه انها مصحفة عن تقبلوها بالباء الموحدة بمعنى انهم تلقوها واخذوها عن اسلافهم (٢) ساوقهُ وساواهُ (٣) مشيحاً : اي معرضاً منكراً :

(٤) الربيع : المطر في الربيع . والتعلة : ما يشتغل بهِ من طعام وغيرهِ (٥) المنديُّ السيف المطبوع من حديد الهند كالمندُوِلي والمهند (٦) المنعة محركةً وسكن النون للضرورة : العز الذي تمنع بهِ العدوّ

(٧) السارية : السحابة الآتية ليلاً والثرة : الغزيرة يقال عينٌ ثرة وسحابة ثرة والشآبيب جمع الشؤبوب وهو بمعنى الدفعة من المطر (٨) الكتائب الخرس : التي لا يسمع فيها صوت ولا جلبة

ولهُ من قافية في مدحهِ

(٥٠) رفع الامير ابو سعيدٍ ذكرها واقام فيها للمكارم سوقا
يستمطرون يدًا يفيض نوالها فيفرّق المحروم والمرزوقا
ومنها فدعا فريقًا من سيوفك حتفهم وشددتَ في عقد الحديد فريقا

ولهُ من لامية يمدح بها محمد بن يوسف

(٥١) رمى الروم بالغزو التي ما تتابعت نوافذهُ حتى اصبنَ المقاتلا
غزاهم فاتناهم ولم يقتصر لهم على العام حتى جدّد الغزو قابلا
وقد غرت بالغارات في وهداتهم وليًا ووسميًا رذاذًا ووابلا [1]
وسقت الذي فوق المعاقل منهمُ فلم يبقَ الاَّ ان تسوق المعاقلا [2]

هذا ولنقف عند هذا المقدار مما لابي عبادة البحتري في هذا الباب فهو كاف لان يبيّن طول باعهِ وبسطة اقتدارهِ على اظهار المعنى الواحد تحت صور تتلاحظ [3] في الجمال والابداع

سعيد الخوري الشرتوني

هيكل منتوهتب

كتب المسيو ادوار نافيل الى جريدة التيمس ما تعريبهُ

اوشكت جمعية النقب المصريَّة تتم اعمالها في الدير البحري وقد سعيت بمعاونة المستر كوريلي والمستر دنيس والمستر دليون في استكشاف ما خفي في بطن الارض من اقدم هيكل في طيبة وهو هيكل منتوهتب الملك الثالث من ملوك الدولة الحادية عشرة . فقد خلد هذا الملك اسماً كبيرًا في وادي النيل ولبث خلفاؤهُ يجلونهُ ويحترمون اسمهُ حتى زمن رعمسيس الثاني من ملوك الدولة التاسعة عشرة

ولم نتمكن في هذا الشتاء من اكتشاف ما ينبه الخواطر ويجتذب النواظر كما فعلنا في السنة الماضية فلم يتيسر لنا اظهار ما يدل على دقة في الصناعة كتمثال الالهة حتور الذي نقل مع مزارهِ الى دار التحف المصريَّة

على ان ما اكتشفناهُ يرشدنا الى عبادة الملك منتوهتب ولذلك فهو لا يخلو من الفائدة

(١) الوسمي : اول مطر يقع على الارض والوليّ : المطر الذي يسقط بعدهُ والرذاذ : المطر الضعيف . والوابل : المطر الشديد الضخم القطر (٢) المعاقل : الحصون (٣) تتشابه

وان لم يكن لهُ حظ من الوضع في المتاحف . فان هيكل الدولة الحادية عشرة الذي اكتشف منذ ثلاث سنوات لهُ شكل خاص ينفرد بهِ عن غيرهِ في هذه الايام لانهُ عبارة عن مصطبة يدخل اليها بمنعطف وفي وسطها بناء مربع كان في الاصل مكسوًّا بحجارة بيضاء ويحتمل انهُ بني ليكون اساساً لهرم يعلو فوق الرواق لان الاعمدة تحيط بهِ ويمتد الهيكل الى ناحية الصخور الشاهقة بحيث يتكوَّن منهُ دائرة نخيمة في طرف وادي الدير البحري . ولقد كان شغل البعثة في الاسابيع الاخيرة منهُ سنة ١٩٠٦ تطهير هذه الدائرة مما فيها من الانقاض . وبعد ما بدأنا بالحفر انتهينا اولاً الى صحن على جانبيهِ صفان من الاعمدة ثم تقدمنا فوجدنا بقايا رواق معمَّد ووجدنا ٧٢ عمودًا من اعمدتهِ نقش عليها اسم منتوحتب . وكنا في السنة الماضية قد وصلنا في هذا الصحن الى مدخل ممر منحدر يمتد الى اسفل الرواق وعلى بابهِ سد من الحجارة الضخمة وركام الردم فتركناهُ في ذلك الحين وارجأْنا انجاز العمل فيهِ الى الآن فدخلناهُ منذ اسبوعين فوجدناهُ نفقاً منقورًا في الصخر يمتد على خط مستقيم الى مسافة ١٥٠ مترًا قرب اكثر من نصفهِ ووجدنا السعة التي بين جدرانهِ كافية لمرور رجل ونزولهِ الى الاسفل . وفي طرفهِ غرفة من الغرانيت مصنوعة من حجارة كبيرة محكمة الالتحام على نحو ما يشاهد في غرف الاهرام . وكان باب هذه الغرفة مسدودًا بحجر بحيث لا يخطر بالبال الاَّ انها كانت قبرًا ولكن يظهر انها ليست كذلك فان فيها مقاماً من الابستر (المرمر الشفاف) وهو ساذج لا نقش فيهِ ولا زخرف الاَّ على افريزهِ . وقد بني بحجارة كبيرة وسقفهُ حجر واحد من الغرانيت الاحمر وفوقهُ طبقة من المرمر . وليس في هذا المقام الاَّ بعض حجارة من الغرانيت الاسود حسنة الهندام والقطع مما كانت جدران الغرفة مبطنة بهِ وفي رأْيي انهُ كان مقاماً لنفس الملك وكانت ممثلة فيهِ بتمثال ازيل منهُ والدليل على ذلك ما وجدناهُ من ركام الاخشاب المحطمة وحتات الاثاث وبعض المنسوجات التي كانت تلف بها القرابين او الحيوانات المحنطة (المومياء) ووجدنا ايضاً قطعاً صغيرة من عظام يقال انها بشرية ولكننا لم نجد اثرًا لتابوت حجري او خشبي ولا دليلاً يشير الى ان هذا المحل كان مدفناً وهذا ما جعلني ارجح انهُ كان مقاماً لنفس الملك او شبههِ وزاد اعتقادي بالكتابة التي رأَيتها على صفيحة في المدخل وترجمتها ان احد خلفاء منتوحتب امر بوضع الطعام والشراب كل يوم في هذا الموضع الذي يسميهِ "كهف منتوحتب" وقال انهُ كلما ذبح ثور في هيكل امون العظيم فيجب ان يقطع شيء من لحمهِ ويشوى ويوضع في هذا الكهف . ولا يخفى ان مثل هذه التقادم والقرابين لا تكون الاَّ لالهٍ او ملك وعليهِ فالغرفة ليست مدفناً بل موضع كان الكهنة ينزلون اليهِ . ثم انها

لو كانت مدفناً لما احتيج الى جعل سقف ممرها مقوّساً . اما مساحة هذا المقام فثلاثة امتار ونصف طولاً ومتران وربع عرضاً ومتران ونصف علوّاً وهو يدلُّ على دقة الهندسة واتقان الصناعة ولكن يصعب جدًّا نقلهُ الى احد المتاحف لما يقتضيهِ من النفقات الباهظة فضلاً عن التعرض للخطر وعليهِ فسيبقى الآن في مكانهِ في باطن الارض ويجعل لممرّهِ باب يقفل عند اللزوم ولا يُستحسن ان يدخل اليهِ الاَّ علماء الآثار المصرية . ومهما يكن من امر هذا المزار فقد زاد ذلك الهيكل باكتشافهِ رونقاً فوق ما فيهِ من بدائع الصناعة

والمأمول اننا ننتهي من النقب في الدير البحري قريباً وحينئذٍ نفرغ من كشف الهيكلين اللذين تم بناؤُهما في ما يزيد على الف سنة

عملاء مصر

نريد بعملاء مصر الممالك التي تتجر مع القطر المصري تبتاع حاصلاتهِ وتبيعهُ مصنوعاتها كانكلترا وفرنسا والنمسا والمانيا . وهذه الممالك كانت تعاملهُ قبل الاحتلال البريطاني ولا تزال تعاملهُ . وقد يخطر على البال بادئ بدء ان انكلترا ربحت باحتلالها هذا القطر ربحاً كبيرًا فزادت تجارتها فيهِ اضعاف ما زادت تجارات الممالك الاخرى ولكن ليس الامر كذلك فان تجارتها لم تزد بل نقصت عما كانت عليهِ بالنسبة الى سائر الممالك الاوربيَّة لان الانكليز لم يميزوا تجارتهم بحق من الحقوق بل تركوا امر التجارة حرًّا حتى في ما تستوردهُ الحكومة كقاطرات سكة الحديد ومركباتها فان معامل اوربا واميركا تناظر معامل انكلترا والحكومة المصريَّة تختار الرخيص الذي يأتيها في الميعاد قبل غيرهِ . وقد شكا تجار الانكليز واصحاب معاملهم من ذلك ولكن لا تسمع شكواهم ما دام باب التجارة مفتوحاً للجميع على حدّ سوى

واغرب من ذلك ان قسم التجارة الذي يعدّ ربحاً للانكليز وهو الوارد من بلادهم الى القطر المصري لم يستفيدوا منهُ كما استفاد غيرهم واما قسمها الذي يستفيد منهُ القطر المصري وهو الصادر فلم يقصّر فيهِ الانكليز عن غيرهم الاَّ قليلاً اي ان القطر المصري لا يزال يستفيد من معاملاتهم كما كان يستفيد قبل الاحتلال تقريباً ولكنهم هم لا يستفيدون الآن من معاملتهِ كما كانوا يستفيدون قبل الاحتلال واثباتاً لذلك ننقل نسبة التجارة الانكليزيَّة الى غيرها من تجارات الممالك الاوربية الكبرى في كل سنة من السنوات الثلاث والعشرين الماضية . والاعداد المذكورة في الجدول هي اجزاء في الالف من قيمة التجارة الواردة الى القطر المصري

جدول نسبة الوارد

سنة	انكلترا وتوابعها	فرنسا	النمسا	المانيا	ايطاليا	بلجيكا	روسيا	اميركا
١٩٠٦	٣٧٦	١١٤	٧٢	٥٥	٥١	٥١	٢٢	٢٥
١٩٠٥	٣٧٢	١٠٦	٦٩	٤٤	٥٣	٣٨	٣٤	٢٣
١٩ ؛	٣٩٩	٠٩٣	٧٠	٥٠	٥٧	٣٦	٣٦	١٤
١٩٠٣	٤١٠	٠٩١	٧٣	٤٤	٥٣	٣١	٣٦	١٤
١٩٠٢	٤٢٩	٠٨٦	٧٩	٣٩	٥٤	٣٢	٣٧	١٣
١٩٠١	٤٣٢	٠٩٠	٦٩	٣٥	٥٣	٣٣	٤٠	٢١
١٩٠٠	٤٣٥	٠٩١	٦٤	٣٤	٤٧	٣٥	٤٣	٢١
١٨٩٩	٤٣٩	٠٩١	٦٤	٣١	٤٩	٥٥	٣٨	٢٠
١٨٩٨	٤١٣	٠٩٥	٦٨	٢٩	٤٥	٤٩	٤٣	٣٠
١٨٩٧	٣٩٢	١١٤	٧١	٢٨	٤٠	٤٧	٣٦	١١
١٨٩٦	٣٧٥	١٣١	٧١	٢٩	٣٤	٤٧	٣٨	٠٨
١٨٩٥	٣٨٩	١١١	٧٩	٢٦	٣٦	٤٠	٤٣	٠٦
١٨٩٤	٤٠٩	٠٩٦	٨١	٢٥	٣٦	٤٠	٤٠	٠٥
١٨٩٣	٣٩٠	١٠٣	٨٣	٢٢	٣٨	٢٦	٤٤	٠٤
١٨٩٢	٤١٩	٠٩٤	٨٦	٢٠	٣١	٤٠	٣٨	٠٤
١٨٩١	٤٤٨	٠٩٦	٩٣	١٦	٣١	٢٨	٣٨	٠٢
١٨٩٠	٤٥٤	٠٩٦	٩٦	٠٨	٢٩	١٤	٤٠	٠٥
١٨٨٩	٤١٦	٠٩٧	٩٤	٠٧	٣١	١١	٥٠	٠٨
١٨٨٨	٤٤٩	١٠٣	٩٧	٠٦	٣٢	١٦	٥١	٠٤
١٨٨٧	٤٦٩	١٠٩	٩٤	٠٣	٣٠	١٥	٤٨	١١
١٨٨٦	٤٥١	١٠٩	١١٦	٠٣	٣٤	١١	٥٧	٠٨
١٨٨٥	٤٤٣	١١١	١٢٣	٠٥	٣٧	٠٨	٤٤	١٣
١٨٨٤	٤٤٩	١١٣	١٢٢	٠٥	٣٨	٠٨	٢٨	١٧

وظاهر من هذا الجدول ان الواردات من البلاد الانكليزية كانت منذ ٢٣ سنة ٤٤٩ في الالف اي نحو ٤٥ في المئة من واردات القطر المصري كلها وهي في السنين الاخيرة اقل

من اربعين في المئة مع ان تجارة فرنسا كانت ١١ في المئة ولا تزال ١١ في المئة وتجارة المانيا كانت نصفاً في المئة وهي الآن اكثر من خمسة في المئة اي انها زادت اكثر من عشرة اضعاف وتجارة ايطاليا كانت اقل من اربعة في المئة وهي الآن اكثر من خمسة في المئة وتجارة بلجيكا كانت ثمانية في الالف اي اقل من واحد في المئة وهي الآن اكثر من خمسة في المئة فزادت اكثر من ستة اضعاف وتجارة روسيا قلت في العام الماضي لاسباب معلومة ولكنها كانت باقية على نسبة واحدة تقريباً. وتجارة اميركا انحطت الى اثنين في الالف ثم زادت حتى بلغت ٢٥ في الالف. وقبل الاحتلال كانت قيمة الواردات الانكليزية نصف قيمة الواردات كلها ومن سنة ١٨٧٤ الى ١٨٧٨ كانت قيمة الواردات الانكليزية نحو ٥٥ في المئة من قيمة الواردات كلها

ولا مشاحة ان الانكليز انتفعوا كثيراً من احتلال هذا القطر ولكن الشيء الذي انتفعوا بهِ لم يخسرهُ القطر المصري اي انهم انتفعوا بواسطتهِ لا منهُ وذلك انهم اطمأنوا على طريق الهند اكثر مما كانوا مطمئنين قبلاً وقد استفادوا ايضاً بعض الفائدة المالية من توظيف رجالهم في القطر المصري ولكنهم خسروا مالياً اكثر مما استفادوا كثيراً فلو بقيت نسبة تجارتهم مع القطر على ما كانت عليهِ لوجب ان تكون قيمة وارداتهم في العام الماضي مثلاً ١٠ ملايين و٨٠٠ الف جنيه ولكنها لم تبلغ سوى تسعة ملايين جنيه فكأنها نقصت مليوناً وثمانمئة الف جنيه واذا قدرنا ربحها من هذا المبلغ واجرة نقل بضاعتهِ عشرين في المئة فقد نقص ربحهم بسبب الاحتلال نحو ٣٦٠ الف جنيه وزد على ذلك ان الاموال التي انفقوها في حروب السودان الاولى لا يقل رباها السنوي عن اربع مئة الف جنيه فكأنهم خسروا باحتلال القطر المصري ما يساوي ٧٦٠ الف جنيه كل سنة

هذا واذا نظرنا نظر التاجر الى الذين يعاملوننا وحسبنا ان ربحنا الاكبر هو من الذين يشترون بضائعنا لا من الذين يبيعوننا بضائعهم وجدنا ان انكلترا اربح لمصر من كل عملائها فان الانكليز اشتروا منا في السنة الماضية ما ثمنهُ اكثر من ثلاثة عشر مليوناً من الجنيهات واشترينا نحن منهم ما ثمنهُ اقل من ثمانية ملايين من الجنيهات ففاض لنا عندهم اكثر من خمسة ملايين من الجنيهات واذا حسبنا ان ثمن الصادر من موافي القطر المصري يقدر دون ما هو عليهِ حقيقة بنحو ١٥ في المئة بلغ ثمن ما اشتروهُ منا خمسة عشر مليوناً فقد فاض لنا عندهم نحو سبعة ملايين من الجنيهات اخذناها منهم ذهباً عيناً اما سائر عملائنا فليس منهم سوى الخسارة علينا لانهم يشترون منا ما ثمنهُ ١١ مليوناً من الجنيهات ويبيعوننا ما ثمنهُ اكثر من خمسة عشر

مليوناً من الجنيهات فنضطر ان نوفيهم بجانب من الاموال التي نربحها من الانكليز. وهذه الحقيقة الباهرة قلما يلتفت اليها احد

وقد يقول قائل ان الانكليز لا يشترون حاصلاتنا اكراماً لسواد عيوننا بل لانهم محتاجون اليها . ولكن هذا شأن كل من يشتري من تاجر فانه لا يشتري البضاعة منهُ اكراماً لهُ بل لانهُ يحتاج اليها ومع ذلك ترى التاجر يكرم زبائنهُ الذين يشترون منهُ ويتودَّد اليهم جهدهُ وترى المهتمين بمصالح بلادهم من ساسة اوربا واميركا يبذلون كل مرتخص وغالٍ لاصطناع الامم التي تشتري بضائعهم . وعندهم ان النجاح في سياستهم يقوم بتوسيع الاسواق التي تروج بضائعهم فيها واذا ذهب تاجر من هذا القطر الى مدينة من مدن اوربا ولقيهُ صاحب المعمل او المحل التجاري الذي يستورد منهُ بضائعهُ اكرم صاحب المعمل او المحل التجاري وفادتهُ كأنهُ من اعز اصدقائهِ لانهُ يشتري بضاعتهُ منهُ

الطوب الاخضر والطوب الاحمر

الطوب على اطلاقهِ او الطوب الاخضر كلمة مصريَّة للَّبِن . والطوب الاحمر للبن المشوي او الآجرّ وكل ذلك معروف لا يحتاج الى تعريف

وقفنا بالامس في خرائب طيبة امام لقصر وجعل الدليل ينزع امامنا الطوب الاخضر من مباني رعمسيس الثاني فلا يستطيع نزع الطوبة منهُ الاَّ بعد العناء الشديد واسم ذلك الملك العظيم على كل طوبة منهُ والطوب لا يزال سليماً مع انهُ قد مرَّ عليهِ الآن اكثر من ثلاثة آلاف ومئتي سنة وسيبقى سليماً ابد الدهر ان لم تنزعهُ يد الانسان وتتلفهُ وهو اصلب من كل طوب رأيناهُ حتى الآن ما عدا الطوب الذي بني بهِ هرم دهشور فانهُ ليس دون طوب رعمسيس متانة وان كان قد صنع قبلهُ باكثر من الف سنة

ثم وقفنا قُبيل كتابة هذه السطور امام بيت كبير بني منذ نحو عشر سنوات جُعل اسفلهُ من الطوب الاحمر وفوقهُ طوب اخضر وقد بلي طوبهُ الاخضر مما يلي الطوب الاحمر وعاد تراباً وبلي منهُ بعض الطوب الاحمر ايضاً. فما صنعهُ الاقدمون منذ اكثر من اربعة آلاف سنة بقي سليماً الى الآن وسيبقى سليماً قروناً كثيرة وما صنعهُ المحدثون لم يسلم عشر سنوات

والظاهر ان الناس صنعوا الطوب اولاً في بابل منذ اكثر من عشرة آلاف سنة فان البلاد بين النهرين خالية من الحجارة وكان سكانها يبنون بيوتهم من القصب ثم بنوها من

الطين وتعلموا بالاختبار انهم اذا مزجوا الطين بالتبن وجبلوهُ جيدًا وافرغوهُ في القوالب وجففوهُ في الشمس زاد جسمهُ متانةً وشكلهُ رونقاً

وقد وجد الطوب في اسفل خرائب بسميا من مدن البابليين القديمة وهو قطع غير منتظمة الشكل وفوق ذلك قطع منتظمة الشكل قائمة الزوايا كالطوب الذي يصنع الآن وطوب المصريين القدماء

ولا يعلم من اكتشف حرق الطوب اولاً ولكن لا يبعد ان يكون الناس انتبهوا الى صلابة الطوب الذي يكون في البيوت المحروقة او يكون اثافي للقدور فاستدلوا من ذلك على ان الحرق او الشيّ يصلّب الطوب جدًّا فصاروا يشوونهُ واتصلوا من ذلك الى عمل الخزف

قال الاستاذ ادجر بنكس مدير لجنة النقب في آثار بابل من قبل مدرسة شيكاغو الجامعة ان اول مَن اكتشف حرق الطوب سكان بابل منذ اكثر من ستة آلاف واربع مئة سنة وكان طوبهم غير منتظم الشكل كأنهُ قطعة من الطين تُركت على الارض حتى انبسط اسفلها واستدار اعلاها. وكان الطوب القديم صغير الحجم طول الطوبة منهُ نحو ٢٠ سنتيمترًا وسمكها نحو ٥ سنتيمترات ثم أتقن رويدًا رويدًا وكُبّر حجمهُ حتى صار طول الطوبة منهُ نحو اربعين سنتيمترًا

وكان البابليون يطبعون الطوب بطابع فيهِ اسم صانعهِ او اسم الملك الذي صنع لاجلهِ ابتدأوا بطبع ابهام الصانع وتدرجوا الى رسم خط مستقيم على طول الطوبة ثم الى خط مائل من زاوية الى زاوية ثم الى خطين متقاطعين وهلمَّ جرًّا

وسنة ٣٨٠٠ قبل المسيح غزا الساميون بابل وجعل الملك سرجون شكل الطوب مربعاً وجعل صانعيهِ يطبعون اسمهُ عليهِ وكان طوبهُ كبيرًا طول الطوبة منهُ ٤٢ سنتيمترًا وعلوها ٩ سنتيمترات فصغَّرها ابنهُ نرام سن وجعل طولها ٣٢ سنتيمترًا وبعد الف سنة جُعل طولها ٣٠ سنتيمترًا فقط وبقيت كذلك الى آخر مملكة بابل

وكانت الكتابة على الطوب اولاً مختصرة ثم زيدت اسهاباً فطوب الملك نرام سن كان يكتب عليهِ "نرام سن باني هيكل عشتار" . ثم جعل الملوك يزيدون الكتابة وقد وجد الاستاذ بنكس طوباً على الطوبة منهُ تسعة اسطر من الكتابة . واكتفى نبوخذنصر بان طبع على طوبهِ "نبوخذنصر ملك بابل مجدِّد هيا كل ساجيل وازيدا بكر نبو بولاسَّر ملك بابل"

ثم وجد البناؤون ان الطوب المربع لا يفي بغايتهم عند الزاوية اي عند نهاية الساف وانهم يضطرون حينئذٍ ان يكسروا الطوبة الى نصفين فصاروا يصنعون طوباً الطوبة منهُ مثل نصف

الطوبة المربعة اي طولها مضاعف عرضها . ومن ثم شاع هذا الشكل في عمل الطوب ولم يزل شائعاً الى عصرنا هذا . وتفنن البابليون ايضاً في زخرفة الزوايا والشرفات والاطناف في مبانيهم فصنعوا لها الطوب المستدير والمحدَّد والمنقوش وكانوا يلصقونها بعضها ببعض بالحمر او بالطين او بالكلس وشاع استعمال الكلس عندهم قبل ايام نبوخذنصَّر وكانوا يأْتون بهِ من حدود بلاد العرب . وطوبهم اي المشوي منهُ امتن من الطوب المشوي الذي يصنع الآن في اوربا واميركا. قال الاستاذ بنكس انهُ وجد في بسميا طوباً صُنع قبل المسيح باربعة آلاف وخمس مئة سنة وهو لا يزال سليماً كأَنهُ صنع امس فبني منهُ البيت الذي اقام فيهِ هناك وسيبقى سليماً بعد ان يتلف الطوب المشوي الذي يصنع في اميركا الآن

ثم اكتشف البابليون كيفية دهن الطوب بدهان زجاجي مختلف الالوان وصاروا يرسمون فيهِ صور الحيوانات وقد تكون صورة الحيوان مؤَلفة من طوبات كثيرة في كل منها جزء صغير منهُ ومع ذلك تأْتي صورتهُ من مجموعها محكمة طبق المرام

ولم يقتصر البابليون على عمل الطوب وشيهِ لكي يبنوا بهِ بيوتهم وهياكلهم بل استخدموهُ بدل القرطاس لكتابة كتبهم ورسائلهم فقد كانوا ينقشون كتاباتهم على صفائح الحجارة فلما صنعوا الطوب وشووهُ ووجدوا انهُ يبقى ازماناً طويلة من غير ان يبلى او يتلف ورأَوا ان نقش الكتابة فيهِ اسهل من نقشها في الحجر استخدموهُ للكتابة بدل الحجر . وكأَنهم كانوا القائلين كل علم ليس في القرطاس ضاع فكانوا يكتبون بهِ كل شيء العقود والصكوك والسفاتج ورسائل التجار ودفاتر الجباة والعلوم والفنون والتواريخ . وقد وجدت مكاتب كبيرة من الطوب المكتوب . ومن اغرب ما فيها دفاتر جباة الاموال فانهم كانوا يكتبون فيها الاموال التي جبوها والجهات التي انفقوها فيها ودفاتر التجار وطرق المعاملات . من ذلك طوبة يقال فيها ان رجلاً استعار ثوراً من جارهِ واشترط صاحبهُ على مستعيرهِ ان يردهُ اليهِ في وقت معين لكي يحرث ارضهُ بهِ لكن اتفق ان وقع الثور وكسر رجلهُ فاضطرَّ المستعير ان ان يعطي صاحب الثور قيمة غلّة الارض التي خسرها بسبب كسر رجل الثور

وبعض الطوب صكوك وللصك منها غلاف من الطوب يغلف بهِ ويختم بخاتم من كتب الصك عليهِ فلا يستطيع صاحبهُ ان يزورهُ وفي الاجل المعين يفض الختم ويفتح الغلاف ويقرأ الصك

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم اهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

فوائد طبية

بزر القطن وادرار اللبن

نشرت احدى المجلات الطبية الفرنساوية تقريرًا لبعض الاطباء يؤْخذ منهُ ان خلاصة بزر القطن المعروفة باسم اللكتاغول تزيد ادرار اللبن زيادة كبيرة وتزيد ايضاً خواصهُ الغذائيَّة وبالنتيجة تزيد قوة الرضيع ووزنهُ

وشهد الاطباء الذين وصفوها والمراضع اللواتي استعملنها انها افضل كل عقاقير هذا الصنف المعروفة الى الآن . ويظهر فعلها بعد استعمالها بثمانٍ واربعين ساعة لحد ثلاثة ايام او اربعة ولكنهُ ينقطع بالانقطاع عنها اي ان الفائدة لا تدوم طويلاً بل تكون مدة الاستعمال

الانسون وادرار اللبن

من عادة النفاس في سورية ان يستعملن مغلي الانسون لغايتين الاولى زيادة النزف الرحمي مدة النفاس لاعتقادهن بفائدتهِ والثانية تخفيف المغص المعروف بالخوالف . وكنت اجتهد في منع هذه العادة لمعرفتي ان خسارة الدم تقلل اللبن ولكن وجدت بعد طول المراقبة انهُ رغماً عن خسارة الدم الكبيرة التي تستحسنها النفساء وترغب فيها القوابل الجاهلات يكون الافراز اللبني غزيرًا حتى تضطر احياناً الى تخفيفهِ اما بحلب الثدي او بارضاع طفل آخر غير رضيعها فنسبت ذلك للانسون وتحققت لهُ هذه الخاصة بالتجارب الكثيرة مدة سنوات عديدة ومثل الانسون الشمر والكراويا والكزبرة وما هو من صنفها

الشاي وحمى التيفويد

نشرت احدى المجلاَّت الطبية الفرنساوية نقلاً عن مجلة انكليزيَّة رسالة بهذا العنوان لطبيب برتبة ماجور في الجيش الانكليزي ابان فيها فعل نقيع الشاي بميكروب التيفويد فقال ان الجراثيم التي تكون في مستنبت صرف يقل عددها بعد اربع ساعات من عرضها على نقيع

الشاي وبعد ٢٤ ساعة لا يبقى لها اثر واستنتج انهُ يجدر بالعسكري العامل ان يستعمل نقيع الشاي عوضاً عن الماء لان الماء ولو عقّم قد يفسد بسهولةٍ واذا وضع في زجاجةٍ كان فيها ماءٌ ملوث بميكروب التيفويد فقد تنتقل العدوى ولو بعد مدة طويلة

فاذا صحَّ ذلك كان الشاي واقياً من عدوى التيفويد وهو بكل حال لا ضرر من استعمالهِ لانهُ اذا حضّر على طريقة حسنة كان منهُ مشروب مبرّد ومنعش معاً واما المواد المضرَّة فيهِ كالتنين وغيرهِ فلا تظهر الاَّ بالغلي او بعد النقع مدة طويلة ولهذا يجدر استعمالهُ دائماً حيثما ظهرت وافدة تيفويد الدكتور امين ابو خاطر

الطعام في الاشغال العقلية

قال القدماء ان اكثر الاوصاب من الطعام والشراب وقالوا ان المعدة بيت الداء وهذا القول يكرره كل من ينتبه الى فعل الطعام بهِ ولكنهُ لا يلبث ان ينساهُ حالما يزول المهُ او تعبهُ . والذين لا ينسونهُ بل يتذكرونهُ دواماً ليسوا اصلح حالاً من غيرهم بل هم في الغالب كثيرو الوساوس يخافون من كل طعام لئلا يكون مجلبة للسقام وبين هذين الحدين — بين من يضرُّهُ الطعام وينسى ضررهُ حالما يزول ويرتكب اليوم الخطأ الذي ارتكبهُ امس وبين من يوجس شرًّا من كل طعام يتناولهُ حدٌّ اوسط وهو معرفة النافع والضار من الطعام في النوع والمقدار والوقوف عند النفع وعدم تجاوزهِ الى الضرر

ويختلف فعل الطعام ايضاً من حيث نفعهُ وضررهُ باختلاف الناس وعاداتهم واعمالهم واعمارهم مما يكاد يتجاوز الحصر ويهمنا من ذلك الآن البحث عن طعام الذين اشغالهم عقلية فان هؤلاء يحسبون انهُ يحل من ادمغتهم مقدار كبير كل يوم وانهُ لا بدَّ لهم من الطعام الكثير المواد النيتروجينية والفصفورية ليغذي ادمغتهم ويقوم مقام ما انحل منها . ولكن الذين يشتغلون اشغالاً عقلية قلما يعملون اعمالاً بدنية شاقة بل هم في الغالب من قليلي الحركة . وقد ظهر بالاختبار انهم ان اكثروا من الاطعمة الوافرة الغذاء اصابهم ما يصيب من يكثر المسكرات فتكثر الفضول النيتروجينية والفصفورية في ابدانهم وتبليهم بسوء الهضم والنقرس وما اشبه وعلاجهم حينئذٍ الاقلال من هذه الاطعمة او الاكتفاء بالمآكل النباتية واللبن

وقد اشار الدكتور ده فلري على المشتغلين بالاشغال العقلية ان يجعلوا طعام الصباح كأساً من اللبن مع قليل من القهوة وكسرة من الخبز والزبدة . وطعام الظهر قليلاً من الخبز والبيض

المسلوق ونحو اربعين درهماً من لحم الضان او لحم الطير او لحم السمك وقليلاً من الطعام المطبوخ باللبن . وطعام المساء الشوربا والمكروني والخضر او الاثمار المطبوخة

والخمر غير لازمة لهم ولا هي نافعة وكذلك كل الاشربة الروحية وهو لا يشير بشرب الشاي الاَّ بين الغداء والعشاء بشرط ان يكون خفيفاً جداً

وقد قال المثل " قليل مما يضر ولا كثير مما ينفع " فان المعدة التي لا تقوى على هضم الطعام الكثير وتمثيلهِ ولو كان نافعاً تقوى على هضم الطعام القليل وتمثيلهِ فلا يبقى منهُ ما يفسد فيها ويتعبها ولو لم يكن نافعاً

وسخ الاظافر

استُخرج الوسخ من تحت ٦٨ ظفراً وبحث فيهِ بحثاً بكتيريولوجيًّا فوجد فيهِ ٥٧ نوعاً من الميكروبات وبزورها فلا يليق بمن يمرّض مريضاً او يوآسي جرحاً ان يفعل ذلك ما لم ينظف اظافرهُ تنظيفاً تامًّا

زيت الزيتون

قيل في خرافات اليونان ان اهل اثينا كانوا يفتشون عن اسم يسمون بهِ مدينتهم فوقع النزاع بين اثينا الهة الحكمة وبوسيدون اله البحر وكلٌّ منهما يريد ان تسمى المدينة باسمهِ وجعل كل منهما يهب الهبات لاهل المدينة اغراءً لهم فغرست لهم الالهة اثينا شجرة زيتون ووعدهم بوسيدون بالسلطة على البحر ففضلوا هبة اثينا وسموا المدينة باسمها وقدسوا شجر الزيتون لها من ذلك الحين

وكان القدماء يكرمون هذه الشجرة المباركة ويطبخون طعامهم بزيتها ويستصبحون بهِ ولا يزال كثيرون من اهالي البلاد الذين يزرع الزيتون في بلادهم يعتمدون على زيتهِ في طبخ طعامهم حتى الطباخون الماهرون من الفرنسويين يكثرون من استعمال زيت الزيتون الخالص في الطعام . وقد ثبت الآن ان الزيت في الطعام اسهل هضماً من الدهن والسمن والشحم واطول اقامةً . والحلويات التي تقلى بالزيت اسهل هضماً من التي تقلى بالسمن واذا استعمل الزيت مرةً لقلي السمك امكن استعمالهُ ثانيةً وثالثةً ولو لقلي الفراخ لانهُ اذا وضعت فيهِ ورقة من ورق الغار زال ما بقي فيهِ من طعم السمك . ويقال ان طباخ نبوليون الاول هو اول من قلا الفراخ بزيت الزيتون في واقعة مارنجو لانهُ لم يجد زبدة يقلوها بها فسميت الفراخ المقلوة بالزيت فراخ مارنجو الى الآن

فعسى ان تبقى هذه الحقيقة العلمية راسخة في الاذهان وهي ان زيت الزيتون اسهل هضماً من كل الادهان الحيوانية الاصل كالشحم والدهن والزبدة. ولا يحتاج الاّ ان يعتاده الذوق حتى يعود الناس الى الاكثار من استعماله في الطعام

السبيرتو للوقود

لقد ثبت ان السبيرتو ارخص مواد الوقود كلها بالنسبة الى الحرارة التي تتولد منهُ واسهلها استعمالاً كما انهُ انظفها كلها لانهُ يحترق كلهُ وليس لهُ دخان ولا يبقى منهُ سناج وليس على الناس الاّ ان يشتروا الكوانين الصالحة لايقادهِ

مخلل الكرنب (الملفوف)

خذ اربع كرنبات صغيرة وما يساويها وزناً من الطماطم الاخضر والخيار وقرناً من الفلفل الاخضر وافرم كل ذلك وصب عليهِ خلاً غالياً حتى ينسلق بهِ ثم صفِّ الخل عنهُ واضف اليهِ قليلاً من الخردل والملح والفلفل الاسود والسكر وصب فوق الجميع خلاً بارداً حتى يغمر فيصلح في اسبوع

مخلل الخيار

اضف الى اقتين من الخل فنجاناً من الملح وملعقتين من بزر الكرفس وملعقة من الخردل الابيض وقبضة من كبش القرنفل وسخن الجميع على النار ثم صب الخل فوق الخيار بعد ان تغسلهُ وتنشفهُ جيداً

تنظيف البيت

النظافة من الزم اللوازم ولا سيما في البيت . والمرأة التي اعتادت ان ترى بيتها نظيفاً لا تحتمل رؤيتهُ والوسخ والغبار متراكمان فيهِ . ولكنها تجهد نفسها وخدمها اكثر مما يلزم اذا طلبت منهم ان ينظفوا غرف البيت كلها مرة كل يوم او كل اسبوع . وخير من ذلك ان تنظف غرفة واحدة كل يوم فلا يمضي اسبوع او اسبوعان حتى تتنظف غرف البيت كلها ونعني بالتنظيف هنا رفع الاثاث والحصر والبسط وتنظيفها كلها وتنظيف ارض الغرفة ايضاً . واما التنظيف الخارجي كالكنس ومسح الغبار عن الآثاث فلا بد منهُ كل يوم ولا سيما في هذا القطر حيث يكثر الغبار جداً . وكلما اتسع البيت وزادت غرفهُ زاد تعب ربة البيت وخدمها . والانسان يطلب الرفاهة ليستريح فتجلب عليهِ الرفاهة تعباً فوق تعبهِ



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءٍ منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقَّان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تُستختار على المطوَّلة

استفتاء

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين

جرى عندنا احتفال بامتحان تلميذات مدرستنا وقدَّمنا للمدعوين لائحة بالعربيَّة والانكليزيَّة ذكرنا فيها ترتيب الامتحان وكتبنا في صدرها هكذا " لائحة الاحتفال السنوي لمدرسة البنات الاميركية " . وتحتهُ " ترتيب الوقائع " . وقد انتقد البعض استعمالنا كلمة لائحة وقالوا كان الواجب ان تستعمل كلمة بروجرام وانتقدوا ايضاً كلمة ترتيب الوقائع ولكنهم لم يذكروا كلمة تقوم مقامها

ولا يخفى ان كلمة بروجرام قد شاعت الآن كثيراً حتى لا نرى غيرها في لوائح نظارة المعارف ولكن أليس كلمة لائحة افضل منها فانها عربيَّة خفيفة اللفظ مفرداً وجمعاً وكلمة بروجرام اعجميَّة ثقيلة اللفظ مفرداً وجمعاً . اما ترتيب الوقائع فلعلَّ الاعتراض كان على كلمة وقائع لا على كلمة ترتيب فبأي لفظ عربي نعبر عن المراد بها ساره حداد

بمدرسة الاميركان بالاقصر

[المقتطف] ان كلمة بروجرام الافرنجية مركبة من كلمتين يونانيتين وهما برو ومعناها امام او ظاهراً وجراما ومعناها الكتابة كأَن المراد بها الكتابة التي تكتب امام غيرها كالعنوان او الاعلان او البيان . ولا نرى غباراً على كلمة لائحة ولوائح لان لوائح الشيء ظواهرهُ اوما يبدو منهُ قال في الاساس نظرت الى لوائحهِ اي الى ظواهرهِ وقد استعملها المولدون او المحدثون للاوراق التي يدرج فيها التجار اعمالهم الحسابيَّة . وكلمة بيان تقوم مقامها او تفضل عليها . اما الوقائع فهي ترجمة Proceedigs الانكليزية اي الاعمال التي يتبع بعضها بعضاً من كلمتين

معناها يمضي امام او يتقدَّم · والوقائع جمع وقعة او وقيعة وهي الصدمة بعد الصدمة في الحرب ومن ذلك وقائع العرب اي ايام حروبها · ولو خُيّرنا لاخترنا كلمة الاعمال او المواضيع او اكتفينا بلائحة الامتحان او لائحة الاحتفال

ولا يخفى ان ما يجري عليهِ الاستعمال يألفهُ الذوق ويفضل على غيره ولو كان اعجمياً فكلمة "صرف" وكلمة "نحو" ليس فيهما شيء من الدلالة على العلمين اللذين وضعتا لهما ومع ذلك صارت كل كلمة منهما علماً للعلم الذي وضعت لهُ . وكلمة موسيقى اعجمية ومع ذلك الفتها الاذن واقتصر كتَّاب العربية عليها . وتنازع البقاء وبقاء الاصلح يقضيان ان تتنازع هذه الكلمات وان يبقى منها ما هو اصلح من غيره للبقاء اما لانهُ صالح لذاته او لان مستعمليهِ اقدر من غيرهم على اشاعتهِ وحفظهِ

والخلاصة ان كلمة لائحة لاغبار عليها وهي افصح واسهل من كلمة بروجرام ولكن قد لا تقوى على القيام مقامها لان مدارس الحكومة كلها جرت على كلمة بروجرام وكل دارسي اللغات الاجنبية يفهمون المراد بها · وكلمة وقائع حسنة وكأن الذي استعملها اولاً ونظنهُ الدكتور فان ديك التفت فيها الى كلمة وقائع العرب اي حروبهم المتوالية او التي توالى وقوعها · ولا داعي لاستعمال المفرد في ما كان كذلك · وكلمة اعمال او مواضيع تقوم مقامها ويحسن الاكتفاء بلائحة الامتحان او لائحة الاحتفال

بقاء الاصلح

الى حضرة العالمين الدكتورين منشئي المقتطف الاغر

قرأنا الجزء الثالث من المجلد الثاني والثلاثين من مقتطفكم البديع فرأيناكم ذكرتم في الجواب عن السؤَال الحادي عشر المتعلق بالمدارس الفرنساوية في الشرق قاعدة الانتخاب الطبيعي او الطبيعة تنتخب الافضل واستشهدتم على ثبوتها بقول القرآن الكريم "فاما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض" · ولا يخفى ان هذه القاعدة العمرانية هي ركن عظيم من اركان المدنية الاورباوية وعليها وعلى قواعد اخرى علمية شادت صروح مجدها ونشرت الوية علمها في العالم الانساني . وقد جاء القرآن بهذه القاعدة قبل ان يتبلج صبح المدنية الاوربا وية بقرون متطاولة على ان الرجل الذي جاء بها نشأ امياً لا يكتب ولا يحسب كما هي اخص صفاتهِ وربي يتيماً في وسط جاهلين بين امة ليس لها مقام معلوم في علم من العلوم كما يشهد بذلك التاريخ

على انهُ لم يجيء بهذهِ القاعدة فقط بل بقواعد اخرى اساسية للمدنية الاوربياوية نقرأها كل يوم في القرآن ولم يكتشف عليها علماء اوربا الاَّ بعد القرون الطويلة وجهد وعناء شديد ولقد اشكل علينا وجه استشهادكم بالآية الشريفة فاحببنا ان نسترشدكم لتكشفوا لنا القناع عن مقصودكم الفلسفي العلمي في هذه المسألة الخطيرة والله يحرسكم

تونس في ابريل ١٩٠٧ وكتبهُ محبكم محمد بن الخوجه

[المقتطف] استشهدنا بها لاننا نراها كما ترونها تعبّر احسن تعبير عن القاعدة العلميَّة الطبيعيَّة وهي بقاء الاصلح · وسواء اعتقدنا مع المعتقدين ان اقوال الكتب الدينية وحي الهي او جارينا الحلوليين وقلنا ان كل اقوال الحكماء وحي من الروح الحال فيهم او اكتفينا بما يقولهُ العلماء المحدثون وهو ان هذه الاقوال مبنيَّة على نتائج الاختبار فلا شبهة انها من جوامع الكلم المؤيدة بالاستقراء ولقد كان للعرب فطرة سليمة يستقرون بها ما يجري حولهم و يستنتجون الكليات من الجزئيات ولهم في ذلك اقوال مأثورة كقول المنذر بن ماء السماء العز تحت ظلال السيوف · وقول النعمان ابنهِ الملك حلو الطعم مرُّ التكاليف · وقول عمرو بن هند المحاجزة قبل المناجزة · وقول الحارث بن ابي شمّر الغساني اذا التقى السيفان بطل الخيار · وقول امرء القيس البرُّ خير حقيبة الرحل · واقوال زهير في معلقتهِ المشهورة · وقول طرفة اذا ذلَّ مولى المرء فهو ذليل · وقول لبيد ألا كل شيء ما خلا الله باطلُ · وقول ابي ذئب الهذلي والنفس راغبة اذا رغبتها · وقول المرار بن سعيد

اذا شئت يوماً ان تسود قبيلةً فبالحلم سُدْ لا بالتسرُّع والشتم

وقول معن بن اولى

اذا انت لم تنصف اخاك وجدتهُ على طرف الهجران ان كان يعقلُ

وقول سالم بن وابصة الاسدي

وحبُّ الفتى ينفي الفواحش سمعهُ كأنَّ بهِ عن كلّ فاحشة وقرا
سليم دواعي الصدر لا باسطاً أذى ولا مانعاً خيرًا ولا قائلاً هجرا

وهو مثل قول صاحب الزبور حد عن الشر واصنع الخير · وقول سليمان الحكيم لا تمنع الخير من اهلهِ وفي طاقة يدك عملهُ · ويزيد عليهما في طلبهِ من الانسان ان يكون مخلصاً بقلبهِ ولسانهِ

وقول يزيد بن الحكم الثقفي

وَالبغيُ يصرع اهلهُ والظلمُ مرتعهُ وخيمُ

والقصيدة كلها حكم · وقول ابي محجن الثقفي

لا تسألي الناس عن مالي وكثرتهِ وسائلي القوم عن ديني وعن خُلُقي

وهو مثل قول احد الفلاسفة المحدثين " انهُ اذا نزل امرؤٌ في فندق فيهمُّ صاحب الفندق ان يعرف هل هو ذو مال فيستطيع ان يقوم باجرة الفندق ولكن اهم من ذلك ان يعرف ما هي فلسفتهُ اي دينهُ وخلقهُ " · وهذه خلاصة الفلسفة العملية كما ترون في المقالة التي صدَّرنا بها هذا الجزء وفي ما سيتبعها من المقالات . والظاهر ان العرب لم يتفرَّدوا بذلك بل جاراهم فيهِ كل فلاسفة الامم من هنود وفرس ويونان وكفى بحكم افلاطون وارسطو طاليس وبيدبا الهندي امثلة لذلك

مسائل من تبريز

الى حضرة الفاضلين :

قد سألنا من جنابكم سابقاً عن كتاب كشف الظنون فاجبتم عن بعض ما سئلنا في الجزء الثالث من سنة احدى وثلثين ووعدتم بزيادة البيان في فرصة اخرى ولكنكم ما تعرضتم لذلك فلهذا اعدنا تتمة السؤال

ذكر مؤلف سلك الدرر في ترجمة كمال الدين محمد بن مصطفى بن كمال الدين البكري . " وجمع كتاباً في اسماء الكتب على طريقة غريبة سماهُ كشف الظنون في اسماء الشروح والمتون " وكانت ولادتهُ كما ذكرها في ترجمة والدهِ سنة ١١٤٠ ووفاتهُ كما ذكرها في ترجمتهِ نفسهِ سنة ١١٩٦ · فهل لكم علم بهذا الكتاب وانهُ كتاب آخر غير كتاب كشف الظنون المعروف او انهُ انتُحِلَ منهُ

ولنا سؤال آخر وهو البحث عن مؤلف كتاب الانوار ومفتاح السرور والافكار في مولد النبي المختار . فقد نسبهُ في كشف الظنون الى ابي الحسن احمد بن عبدالله البكري المتوفَّى سنة . قال وهو كتاب جامع مفيد في مجلد اولهُ الحمد لله الذي خلق روح حبيبهِ الخ جمعها لتقرأ في شهر ربيع الاول وجعلها سبعة اجزاء · انتهى ولم يذكر سنة وفاتهِ

ونسب العلاَّمة المولى محمد باقر المجلسي المتوفَّى سنة ١١١٠ من علماء الامامية كتاب

الانوار في مولد النبيّ المختار الى الشيخ الجليل ابي الحسن البكري استاذ الشهيد الثاني وكذا غيره · والمراد من الشهيد الثاني هو الشيخ زين الدين بن علي بن احمد الشامي من علماء الامامية المتوفَّى قتيلاً في سنة خمس اوست وستين وتسعمائة · وهو قد دخل مصر في سنة ٩٤٢ وعاشر علماءها ومنهم الشيخ ابو الحسن البكري المتوفَّى كما في بغية الطالب لتلميذ الشهيد الثاني سنة ٩٥٣· او في سنة ٩٥٢ كما في الخطط الجديدة لعلي باشا مبارك نقلاً عن خط ولده محمد زين العابدين ابيض الوجه · ذكر ذلك في الجزء الثالث وان كان ارَّخ وفاتهُ لسنة نيف وعشرين وتسعمائة في الجزء الخامس عند ذكره المدفونين في مقبرة الشافعي فانهُ سهو قطعاً

فقد ذكر في الخطط الجديدة بعض تأليفات هذا الشيخ الجليل وذكر اختصاص اقامة مراسم المولد الشريف بهذا البيت النبيل ولكنهُ لم ينسب اليهِ كتاب الانوار ولا كتاباً آخر في المولد الشريف النبوي صلعم

فهل عند اهل بيتهِ الشريف علم بهذا الكتاب وانهُ من مؤلفات جدهم ابي الحسن المفسر السابق ذكرهُ او غيرهِ من اجدادهم ؟ ثم انهُ مما يزيد الرَّيب هو وقوع الاختلاف في اسم المؤلف فانهُ كما ذكرهُ في كشف الظنون احمد بن عبدالله ولكن المصرح في الخطط ان اسمهُ محمد ابو الحسن بن السيد محمد ابي البقاء جلال الدين · ويظهر من خلاصة الاثر في ترجمة ابي السرور حفيد هذا الشيخ انهُ علي بن عبد الرحمن بن احمد الخ

ونسب في الكشف كتاب ترتيب السور وتركيب الصور الى الشيخ شمس الدين ابي الحسن محمد البكري المصري وكتاب تحفة واهب المواهب الى الشيخ ابي الحسن محمد بن عبد الرحمن البكري · قال : فرغ منها في ذي الحجة سنة ٩٢٢ · ونسب النبذة الى شمس الدين ابي الحسن محمد بن عبد الرحمن البكري المتوفَّى سنة ٩٥٤ والكتب الثلثة لابي الحسن المفسر السابق ذكرهُ · نسب الاولين اليهِ صاحب الخطط الجديدة والثالث مؤلف خلاصة الاثر في ترجمة حفيدهِ ابي السرور

ومع ذلك كلهِ فقد نقل بعض الامامية عن بعض المؤرخين انهُ رأى نسخةً قديمةً من هذا الكتاب تاريخ كتابتها سنة ٦٩٦ والذي يظهر لي ان هذا الكتاب ليس للشيخ ابي الحسن المفسر البكري المصري ولكن لما كان اهل البيت أدرى بما فيهِ راجعت جنابكم في كشف هذه المعضلة ولكم الفضل

اقا ميرزا علي ثقة الاسلام

[المقتطف] عرضنا مسائلكم على عماد البيت البكري الكريم في هذا العصر سماحة السيد محمد توفيق البكري فاجاب عنها بما يأتي

(١) عن كتاب كشف الظنون فالظاهر انهُ غير كشف الظنون لمصطفى جلبي المعروف بحاج خليفة ولكننا لم نقف عليهِ

(٢) وكذلك كتاب الانوار ومفتاح السرور والافكار لم نقف عليهِ . ولعلهُ من مؤلفات الامام المذكور فقد رأينا لهُ مؤلفات كثيرة لم تذكر في تراجمهِ العديدة التي وقفنا عليها في كتب التاريخ

(٣) واما عن اسمهِ فقد اخطأَ فيهِ بعض المؤلفين والحقيقة ان اسمهُ محمد ابو الحسن بن محمد ابي البقاء جلال الدين بن عبد الرحمن جلال الدين دفين الجامع الابيض ببركة الرطلي بالقاهرة . والذي يؤيدهُ قول حفيدهِ محمد بن ابي السرور (انا محمد بن محمد يعني ابا السرور ابن محمد يعني زين العابدين ابيض الوجه بن محمد يعني ابا الحسن المذكور ابن محمد يعني ابا البقاء جلال الدين)

(٤) واما عن كتاب ترتيب السور فهو للشيخ ابي الحسن البكري وموجود في الكتبخانة البكرية

(٥) واما تحفة واهب المواهب والنبذة فلم نقف عليهما ولعلهما من مؤلفاتهِ . انتهى



باب الزراعة

تقسيم الزراعة

يجب ان ينظر في الزراعة الى ثلاثة امور مهمة الاول زرع ما تباع غلتهُ باغلى ثمن والثاني زرع ما تكفي غلتهُ طعاماً للاهالي في اقل ما يمكن من الاطيان والثالث زرع ما يكفي علفاً للمواشي التي تقوم بخدمة الزراعة

وقد ثبت الآن ان القطن والكتان من اصلح المزروعات لان محصول الفدان منهما يباع بعشرة جنيهات الى عشرين او ثلاثين جنيهاً ومهما كثر عدد الفدن المزروعة منهما لا يخشى ان يزيد المحصول على المقطوعية لان مقطوعية الدنيا من القطن والكتان تفوق ما يمكن ان يستغل من القطر المصري كلهِ ومن اضعافهِ ومحصولها يباع حالاً بالثمن النقد ولا يضطر الفلاح ان يحمل محصولهُ ويعرضهُ على التجار ويعرّضهُ للكساد والتلف بل يأتي التجار او

عملاؤهم الى غيطهِ ويبتاعونهُ منهُ وقد يسلفونهُ عليهِ كما هو واقع · ولا خوف عليهِ ان يخدع في الثمن لان الاثمان تُشهر كل يوم وتنشر في الجرائد اليومية

ويظهر من باب زراعي انهُ يمكن زرع الارض قطناً مرة كل سنتين واحسن منهُ مرة كل ثلاث سنوات ولذلك تهتمُ الحكومة المصريَّة واهالي القطر بتكثير الماء الصيفي لزرع القطن في القطر كلهِ

ويظهر ان الاراضي الشديدة الخصب التي يهيف فيها القطن فتنمو اشجارهُ كثيراً ويكثر ورقها ويقلُّ طرحها تصلح لزرع الكتان فيجود فيها ويباع محصول فدانهِ بخمسة عشر جنيهاً الى عشرين جنيهاً ونفقة زرعهِ وريهِ قليلة جدًّا ولا بدَّ أن تتسع زراعتهُ اذا عرفت الاسواق الاوربيَّة كتان القطر المصري واعتمدت عليهِ وبذلت الهمة في انتقاء اصلح التقاوي التي يكون كتانها اجود من غيرهِ

اما سائر الحاصلات التي يمكن تصديرها فالاعتماد عليها ضعيف جدًّا فقد صدر من القطن مثلاً في العام الماضي ما ثمنهُ نحو ٢٥ مليوناً من الجنيهات ولكن صدر من القمح ما ثمنهُ ٢٣ الف جنيه لا غير ومن الذرة ما ثمنهُ ثلاثة آلاف جنيه ومن الشعير ما ثمنهُ ٩١ جنيهاً لا غير ومن الرز ما ثمنهُ ١٣١ الف جنيه ومن العدس ما ثمنهُ اقل من سبعة آلاف جنيه ومن الفول ما ثمنهُ نحو ١١ الف جنيه ومن البصل ما ثمنهُ ٢١٧ الف جنيه · وكل ما صدر من هذه الحاصلات الزراعية لا يزيد ثمنهُ على سبع مئة الف جنيه · ولم يصدر من الكتَّان شيء يستحق الذكر وكل ما صدر منهُ لا يزيد ثمنهُ على ١٢٠ الف جنيه ولكن لو كان اكثر من ذلك عشرة اضعاف لما وُجدت صعوبة في تصديرهِ · والبصل الذي صدر في العام الماضي ثمنهُ ٢١٧ الف جنيه وفي العام الذي قبلهُ ثمنهُ ٣٩٣ الف جنيه ولكن لا يعتمد عليهِ لانهُ اذا لم يصل قبل غيرهِ من بصل جنوبي اوربا لم ترُج سوقهُ ولانهُ يتلف اذا طالت اقامتهُ وخير منهُ الرز والفول وكل الحبوب اذا امكن ان يزرع منها ما يفيض عن حاجة القطر ولكن تبقى الافضلية للقطن والكتان وعليهما يجب ان يكون الاعتماد في الصادر

هذا من حيث الامر الاول اي زرع ما تباع غلتهُ باغلى ثمن · والامر الثاني زرع ما تكفي غلتهُ طعاماً للاهالي في اقل ما يمكن من الاطيان وهذا يتناول الذرة على انواعها والقمح والرز والفول والعدس والحمص والسمسم . ويجب ان يضاف الى ذلك البطاطس فان غلتها كثيرة جدًّا وهي طعام لكثيرين من الناس في بلدان اخرى والغذاء في غلة الفدان منها اكثر من الغذاء في غلة الفدان من الحنطة ولو اضفنا الى ذلك ما يلزم لها للعزق والتقليع

فزراعتها رابحة في الاطيان التي تجود فيها ولكن جمهور الفلاحين لم يألف أكلها حتى الآن واذا زاد محصولها على المقطوعية امكن عمل النشا والالكحول منها · ولا امل ان تزرع للتصدير لانها تتلف سريعاً ولان حجمها كبير وثمنها رخيص بالنسبة الى ثقلها فتزيد اجرة نقلها

ومثلها او احسن منها البطاطا الحلوة فان زراعتها سهلة وهي تجود جدًّا في اراضي الجزائر ويباع محصول الفدان منها بعشرين جنيهاً او اكثر ولا سيما اذا كانت قرب المدن حتى يسهل نقلها اليها وبيعها فيها

وحبذا لو اعتني بزراعة الجذور الاخرى التي تجود في البلاد الحارة كالكسافا التي يستخرج منها نشا التبيوكا واليام الذي يستعمل طعاماً في جزائر الهند الغربية

والامر الثالث وهو زرع ما يكفي علفاً للمواشي التي تقوم بخدمة الزراعة الاعتماد فيه على البرسيم والفول ومن حسن الحظ انهما من المزروعات التي لا تتعب الارض بل تريحها و يضاف اليهما الذنيبة وهي من المزروعات التي تصلح الارض الجديدة

واردات القطن الى انكلترا

تستورد انكلترا الآن اكثر من نصف القطن المصري وكل بزرته تقريباً . وكل ما تستورده من القطن المصري لا يزيد عن سدس ما تستورده من سائر الجهات · وقد كانت تجلب ٧٥ في المئة من قطنها من بلاد الهند منذ مئة وعشرين سنة وهي الآن تجلب اكثر قطنها من اميركا ويبلغ الوارد اليها سنوياً كما ترى في هذا الجدول

من اميركا	١٤٢٤٠٠٠٠	قنطاراً
من مصر	٠٣١٤٤٠٠٠	«
من الهند	٠٠٦١٩٠٠٠	«
من برازيل	٠٠٣١٥٠٠٠	«
من بيرو	٠٠٠٨٦٠٠٠	«
من شلي	٠٠٠٢٢٠٠٠	«
من تركيا	٠٠٠١١٠٠٠	«
من سائر البلدان	٠٠٠٥٠٠٠	«
والجملة	١٨٤٨٧٠٠٠	

فلا يزال مجال زراعة القطن في القطر المصري واسعاً جدًّا ولو بلغ محصوله ضعفي ما هو الآن

الكهربائية في الزراعة

من الاقوال الشائعة في بلاد الشام ان الكمأة تنمو سريعاً حينما يكثر البرق والرعد اي حينما تكثر كهربائية الجو . وقد وجد الاستاذ لمستورم بالامتحان ان الكهربائية تزيد نمو النبات كثيرًا فيزيد بها نمو الشليخ (كبوش القش) خمسين في المئة الى ١٢٨ في المئة والذرة ٣٥ في المئة الى ٤٠ في المئة والبطاطس ٢٠ في المئة الى ٢٦ في المئة . ومتوسط ما تزيده المزروعات بواسطة الكهربائية ٤٥ في المئة هذا في الارض الجيدة . قال وقد انتبه لذلك من مشاهدته زيادة خصب المزروعات في البلدان القطبية في السنين التي يكثر فيها ظهور الشفق القطبي المسبب عن كثرة الكهربائية وقد نصب بعضهم قضيباً من قضبان الصاعقة في حقل بطاطس بفرنسا ومدَّ منهُ اسلاكاً في الحقل كلهِ فزادت غلة البطاطس خمسين في المئة من كهربائية الجو الواصلة اليها بهذه الاسلاك

وكما تفعل الكهربائية بنمو النبات يفعل نورها بنموهِ كما يفعل نور الشمس فاذا انيرت الحقول بالكهربائية ليلاً زاد خصب المزروعات بها

وقد جرَّب المسيو فلامريون فعل النور بالنبات الحساس فزرع بعضهُ في مكان مسقوف بالزجاج العادي وبعضهُ في مكان زجاجهُ ازرق وبعضهُ في مكان زجاجهُ اخضر وبعضهُ في مكان زجاجهُ احمر فوجد بعد اشهر ان النبات الموضوع في البيت الازرق الزجاج كما كان لما زرعهُ كأنهُ نام هذه المدة كلها والنبات في البيت الاخضر نما اكثر من النبات في البيت الذي زجاجهُ عادي ولكنهُ كان عشبياً . والنبات في البيت الاحمر نما جدًّا فصار اكبر من النبات المزروع في البيت الازرق خمسة عشر ضعفاً واكبر من النبات المزروع في البيت الذي زجاجهُ عادي اربعة اضعاف

والظاهر ان فعل الكهربائية بالمزروعات كبير جدًّا ومنهُ ربح يقوم بنفقاتهِ

فعل المخدرات بالنبات

اكتشف الدكتور جونسن الدنماركي ان المخدرات كالايثير تفعل بالنباتات فاذا وضع النبات في صندوق واطلق عليهِ بخار الايثير اربعاً وعشرين ساعة ثم أُخرج من الصندوق ووضع في مكان بارد جملت ازهارهُ وازرارهُ تنمو بسرعة كأنهُ نام فاستراح ثم قام للعمل بنشاط والكلوروفورم يفعل فعل الايثير

القراد والامراض

لقد ثبت الآن ان القراد الذي يلصق بالحيوانات الاهلية ويمتص دمها لا يكتفي بذلك بل ينقل الامراض الوبيلة من حيوان الى حيوان وقد ينقلها الى الانسان ايضاً ولذلك فمعالجة الحيوانات الاهلية بما يميت القراد منها من الزم اللوازم لمنع انتقال الامراض الوبائية من المريض الى السليم والى الانسان ايضاً

تقليم الاشجار

نشرت دار الامتحان الزراعي الخاصة بدوق بوفورد ببلاد الانكليز تقريراً مسهباً عن فوائد التقليم ومضاره يظهر منهُ ان التقليم يضرُّ الاشجار المثمرة غالباً ولا يفيدها الاَّ في بعض الاحوال . وهاك خلاصة التقرير لما فيهِ من الفائدة اللازمة لكل الذين يغرسون الجنائن والبساتين

جرت التجارب في اشجار التفاح مدة اثنتي عشرة سنة متوالية مع التدقيق التام فنتج منها النتائج التالية

(١) انهُ كلما زاد تقليم الاشجار الجديدة النامية قلَّ نموها وكلما نقص تقليمها زاد نموها فبعد مضي اثنتي عشرة سنة وجدت الاشجار التي لم تقلم قط (وكان قد صار عمرها حينئذٍ ١٥ سنة) اثقل بعشرين في المئة من الاشجار التي قلمت تقليماً معتدلاً وبستة وثلاثين في المئة من الاشجار التي قلمت تقليماً بالغاً فتقليم الاشجار الجديدة النامية يقلل نموها

(٢) ان تقليم الاشجار الجديدة النامية يقلل اثمارها ايضاً فقد ظهر ان اثمار الاشجار التي لم تقلم بلغت مضاعف اثمار الاشجار التي قلمت تقليماً معتدلاً وثلاثة اضعاف اثمار الاشجار التي قلمت تقليماً بالغاً وذلك في الخمس السنوات الاولى ثم زاد الفرق في الخمس السنوات التالية وبلغ اشدهُ في السنة الثانية عشرة وحينئذٍ صارت اثمار الاشجار التي لم تقلم قط مثل ثلاثة اضعاف اثمار الاشجار التي قلمت تقليماً معتدلاً اما الاشجار التي قلمت تقليماً بالغاً فلم تعد تحمل ثمراً ولم يتغير جرم الثمر بل بقي على حالهِ فلا فائدة من التقليم بوجه من الوجوه لا من حيث جرم الاشجار ولا من حيث كثرة اثمارها ولا من حيث كبر اثمارها بل منهُ ضرر في تقليل نموها وتقليل ثمرها

هذا من حيث الاشجار التي لا تزال في درجة النمو اما الاشجار التي بلغت حدها من النمو وابتدأت تشيخ فعل التقليم بها مخالف لذلك من حيث النمو لا من حيث الاثمار فان الاشجار

التي بلغت مبلغها من النمو لا تعود تنمو فيها اغصان جديدة . فاذا قلمت اخرجت اغصاناً جديدة كأنها تعيد شبابها ولكن هذه الاغصان الجديدة تنمو فيها على نفقة الثمر لان ثمرها لا يزيد بهذا التقليم بل ينقص عما كان

وما يطلق على الاشجار التي شاخت يطلق على الاشجار الكبيرة التي توقف نموها بنقلها من مكان الى آخر او بقطع جذورها

اما الاشجار الصغيرة التي تغرس جديداً وبقطع كثير من جذورها فيقل نمو اغصانها وورقها ويزيد ثمرها وهذا يضعفها وقد يميتها ودواؤه ان تقلّم حال زرعها تقليماً بالغاً جداً اي بقطع كل اغصانها وجانب من ساقها لكي لا تثمر قبلما تقوى وتكبر . وتأخير هذا التقليم الى الصيف ضارٌ جداً فيجب ان تقلم قبلما يبتدئ ظهور الورق فيها والاَّ ضاع عليها سنة كاملة من سني النمو. وقد قوبل بين الاشجار التي غرست ولم تقلم والاشجار التي قلمت قبلما ظهر الورق فيها فاذا اثمار التي قلمت حين زرعها ثلاثة اضعاف اثمار التي لم تقلم حين زرعها وذلك مدة السنوات العشر الاولى

وجربت هذه التجارب في غير التفاح من الاشجار المثمرة فكانت النتيجة كما في التفاح

وخلاصة ما تقدم ان الاغراس يجب تقليمها حينما تغرس بل قطعها حتى لا يبقى منها الاَّ جانب من ساقها وبعد ذلك يصير التقليم مضرًّا بها فيقلل نموها ويقلل ثمرها وهذا لا يمنع قطع بعض الاغصان التي تدنو من الارض فتمنع سير البقر وقت الحرث والاغصان التي يتشوه بها منظر الشجرة والتي يعارض بعضها بعضاً وفي ما سوى ذلك لا فائدة من تقليم الاشجار بل تترك للطبيعة ما دامت آخذة في النمو ومتى شاخت فالتقليم قلما ينفعها ايضاً فيجب قلعها وابدالها بغيرها

وظاهر ما تقدم انهُ مخالف للمشاهد في هذا القطر والقطر الشامي ولكننا لا نظن ان الذين ينفون صحتهُ يبنون حكمهم على التجارب فعسى ان يجربوا ذلك ويروا الفرق بين الشجر الذي يقلَّم والشجر الذي لا يقلَّم . ولا يخفى ان ما ذكرناه لا يطلق على الكرم ونحوه مما لا بدَّ من قطع عيدانهِ كل سنة وهو غير داخل في صف الاشجار . والفائدة الاخيرة اي تقليم الاغراس حالما تغرس حرية بالنظر وهي مما يعلم البستانيون صحتهُ



رسائل في الوقف

للمحامي الشرعي المشهور عزيز بك خانكي رسائل مستفيضة في الوقف نشر اكثرها في المقطم وقد جمعها الآن وطبعها على حدة وقدم لها حضرة العالم القانوني عمر بك لطفي مقدمة وجيزة وصفها فيها احسن وصف قال : — لعلَّ هذا اول كتاب يبحث في الوقف من وجوهه الاربعة التاريخي والشرعي والقضائي والعمراني

" فالرسالة الاولى والثانية والثالثة منهُ بحثت في تنازع السلطة بين القضاء الاهلي والقضاء الشرعي في المنازعات المتعلقة بالنظر والتحدث على الاوقاف وفي امكان حسم النزاع بينهما بتخويل المحاكم الاهلية حق الفصل فيها ما دامت ولاية الواقف باقية لم تنفد وحصر اختصاص المحاكم الشرعية في المنازعات التي تكون فيها ولاية القاضي العامة قد حلت محل ولاية الواقف الخاصة . وقد شغلت هذه المسألة نظارة الحقانية زمناً طويلاً واشار جناب المستشار القضائي الى رأي النظارة فيها ورأيهُ في هذه الرسائل فعسى الله ان يوفقهُ الى حل يرضى عنهُ الفريقان

" والرسالة الرابعة والخامسة فيهما اجلّ واحسن ابحاث الكتاب لانهما تضمنتا تاريخ الوقف في عهد النبي عليهِ الصلاة والسلام وفي عهد الخلفاء الراشدين عليهم رضوان الله وشيئاً من اقوال وآراء بعض ائمة الدين في صدر الاسلام وقد تناول الكلام بحثاً في علاقة الوقف بالتجارة والعمران

" وعندي انهُ اذا اثبت الاستقراء حقيقةً ان الوقف آخذ في النمو والانتشار وان نموهُ يضرُّ بحركة البلاد المالية والعمرانية كان من المفروض على علمائنا وولاة امورنا التدبر في الامر بوضع قواعد جديدة توفق بين احكام الشرع ونواميس العمران والاَّ حاق بالبلاد مصاب في ماليتها وعمرانها دونهُ كل مصاب

" وما احرى الرسالتين السادسة والسابعة بنظر وتأمل الواقفين عموماً والمسلمين منهم خصوصاً فان الواقفين في هذا العصر اعتادوا ان ينسجوا على منوال كتب الوقف القديمة فيشرطون صرف غلات اوقافهم على مصارف ليست من وجوه البر في شيء مع ان وجوه البر الحقيقية

كثيرة في مصر وكلها في امس الحاجات الى احسان المحسنين مثل المدارس والكتاتيب ودور العجزة والقطاء وذوي العاهات وملاجئ الايتام والمستشفيات وغيرها

"وقد ختم الكاتب رسائله ببحث شرعي جليل خلاصته أن نظار الاوقاف يملكون شرعاً بغير اذن من الحاكم الشرعي تحويل صرف غلات اوقافهم من جهة الى جهة وتقديم الاجزل ثواباً والاعم نفعاً اذا اتحدت جهات البر جنساً وباذن اذا اختلفت وبناء على هذه القاعدة الشرعية التي استنبطها من كتب الوقف دعا نظار الاوقاف عموماً وديوان الاوقاف خصوصاً الى مساعدة جميع القائمين بالمشروعات الخيرية والعلمية العائدة منفعتها على الامة باسرها مثل مشروع انشاء الجامعة وغيره

"وما اجمل دعوته اوقاف المسيحيين الى التضامن مع اوقاف المسلمين في تعضيد هذه المشروعات باموالها ما دامت الغاية فيها كلها عمل البر

"وكفى كاتب هذه الرسائل مدحاً وهذه الرسائل تقريظاً ما قاله له احد علمائنا يوم نشر رسالتيه الاخيرتين : "ان تسعة اعشار المسلمين يوافقونك ويشكرونك ويطلبون منك المزيد" "

تربية النفس بالنفس

لصالح بك حمدي حماد اهتمام شديد بنشر المقالات والكتب المفيدة وقد اطلع على كتاب للاستاذ بلاكي من اساتذة مدرسة ايدنبرج الجامعة موضوعه كيف يتعلم الانسان ويتهذب من غير معلم ومهذب وهو ما عبر عنه بتربية النفس بالنفس فترجمه الى العربية عن الترجمة الفرنسوية وطبعه على نفقته واهداه الى المدرسة الجامعة المصرية لكي تعطى ثمنه

والكتاب من انفع ما كتب في بابه وفصوله صغيرة ولكنها مفعمة بالفوائد الاختبارية والفلسفة العملية فننقل منها الفصل الثاني من المقالة الاولى والفصل العاشر من المقالة الثالثة للدلالة على اسلوب الكتاب

الفصل ٢ . واني لأ كلف كل الشبان تكليفاً قوياً ان يبدأوا دراستهم بالنظر مباشرة الى الاشياء بدل الاقتصار على درس مواضيعها فقط في الكتب . ولقد ألف بعضهم كتاباً سماه "فن النظر والتأمل" فهاته الكلمات يمكن ان تكون ضالة حكمتنا المنشودة وقاعدة سيرنا في هذا النوع الأولي للتربية الذي مع عظيم اهميته فانه بالاسف مهمل جداً عندنا اذ ها هي كل

مواضيع العلوم الطبيعية على الخصوص ذات فائدة جليلة ليس فقط لكي نحشو عقولنا بمواضيعها الخلاقة الجميلة ولكن لتعلمنا ايضاً احسن الفنون ألا وهو استعمال اعيننا لانهُ لا اغرب ولا اعجب مما تعوَّدناهُ من السير مغمضي الاعين ولكن بلا تأمل ولا تدقيق نظر في عجائب وبدائع ما نراهُ والسبب في ذلك ان العين ككل اعضاء جسمنا محتاجة الى التمرين فقصرها على الكتب قد يعطل من نشاطها وحدتها وينتهي اخيراً بابطال وظيفتها بالمعنى المقصود بها هنا (قال الله تعالى انها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) فلنعر التفاتنا اذن الى تلك الدروس الاولية العملية التي تعلم الناشئة كيف تعرف ما تراهُ وكيف تعمل جهدها لكشف خفاء ما خفي عليها وميادين ذلك الواسعة هي اشياء وحقائق كل من علوم النبات والحيوان والمعدن وطبقات الارض والكيمياء وفن العمارة والرسم والفنون الجميلة اذ كم من مرة صعد ويصعد شباننا المتعلمون والمتثقفون بواسطة الكتب في الجبال وتوغلوا بالسياحة والتجوال في البراري ومع ذلك لم يستفيدوا أية فائدة ولم يجنوا كبير نفع علمي وما ذلك الاَّ بسبب ما تعوَّدت الناشئة عندنا عليهِ من فقدان مبادىء "علم النظر والتأمل" وجهلها لفوائدهِ الجلّى واكتفائها بدرس الاشياء بالانكباب على الكتب دون درس حقائقها بالذات وبئست الخصلة

الفصل ١٠ ان بريطانيا العظمى هي بلا نزاع من اغنى بلدان كرتنا الارضية فهي لهذا السبب يمكن اعتبار قول الحكيم الفاضل سيدني سمث (Sydney Smith) فيها انها "البلد الوحيد الذي يعتبر فيها الفقرجناية" حقيقة حرية بالعناية ثم انهُ لمن اول ما يجب ان يهتم بهِ هو ان يسطر الشاب الانكليزي الداخل في غمار الحياة لاول مرة على صفحات قلبهِ هذا المبدأ الجوهري لكل فلسفة اخلاقية وهو ان الكفاءة الصحيحة للمرء هي فيما يكون عليهِ لا فيما تحرز يداهُ فاحذر من ان تصاب بالعدوى الادبية مما يفسد الآن قليلاً او كثيراً جو البيئات التجارية والاوساط الصناعية واحرص ان تقدر رأي امرىءِ بظاهر امرهِ بدون احاطة بشرف باطنهِ فان الرجل القصير القامة الذي يصعد فوق بعض المرتفعات يشرف منها ويطل على الجمهور لا يستفيد من تلك الميزة الاَّ ما دام حافظاً لمركزهِ هذا كذلك الرجل الغني الذي لا ميزة لهُ ولا فضل غير كونهِ موسراً وغنياً غنى قد يستفيد بهِ في العالم بعض الفائدة وشيئاً من الحيثية الوجودية حتى ولقد يتوصل بذلك الى ان يضيف الى جانب اسمهِ في بطاقاتهِ ومكاتباتهِ حرفي (ع · ب) (اى عضو في البرلمان) ولكن جردهُ من حالتهِ الطارئة هذه ثم انظر اليهِ بعد ذلك نظر خبير تجدهُ احياناً انساناً خالياً بما لا يمكن ان تقيس نفوسنا بهِ · فاجعل نصب عينيك اذن انهُ ليس في الاحوال الاجتماعية احقر من حال امرىءِ يعكف على التكالب على

الغنى فقط لانهُ باعتبارهِ واعتدادهِ بذلك الذي لا قيمة لهُ الاَّ في الخارج قد يفقد الصفة الحقيقية لكمال الجنس البشري وعكس اي عكس قيمة الانسان الصحيحة . نعم كسب الدرهم انا من اول من يقول بهِ وينصح لكن بالقدر اللازم للعيش والنفقة في الشؤون الحيوية وتوفير بعض الشيء للمستقبل ولكن احذرك من ان تجعل كل همك منصرفاً الى الجشع والتكالب على "جمع المال" او الثروة كما يقولون فلقد تضافرت الآراء ووقع الاجماع بين عظماء الحكماء وكبار الفلاسفة كسقراط وافلاطن وارسطاطاليس والقديس بولس على ان من الانهماك الشائن الاشتغال بجمع المال وانهُ كما كان احلالهُ بالمنزلة السامية من النفوس كما سقطت همم تلك النفوس وسفلت حتى في اعين ذاتها

فينبغي عليك اذن ان لا تعتد ولا تحفل الاَّ بالكفاءة العقلية والادبية من ذاتك — وقيمة المرء ما يحسن — وانت على طول المدى تظهر لك حقائق الاشياء على حقيقتها فلا ترى من ثم "عظيماً" ولا صاحب "قناطير من الذهب والفضة" قد يرى نفسهُ انهُ اسمى منك منزلة واجل قدراً ولا ترى انت نفسك احط منهُ مقاماً . انتهى

ويظهر ان ترجمة الكتاب مرتين اضاعت بعض رونقهِ او ان لغتهُ كانت كثيرة التعقيد فلم يسهل على المترجم افراغهُ في قالب عربي بعبارة سلسلة ويا حبذا لو زاد عناية بتنقيحهِ وتصحيحهِ لا سيما وان كتَّاب العرب طرقوا اكثر مواضيعهِ فيسهل على المترجم ان يأخذ إخذهم فيأتي الكتاب كأنهُ من اوضاعهم

الريحانة

مجلة تاريخية ادبية قصصية لصاحبها ومحررها السيدة جميلة حافظ

ان كان ما في هذه المجلة من انشاء السيدات اللواتي نُسب اليهن فقد فقن الرجال في بلاغة الانشاء وحسن البيان كما يرى من الرسالة التالية وقد قالت حضرة المحررة انها جاءتها من صديقة عزيزة جمعتها بها الايام حيناً من الدهر مرَّ كاحلام النائم وما اسفت على شيء اسفها على فراقها قالت

صديقتي جميله

وصلني العدد الاول من ريحانتك الزاهرة فانتعشت بانتشاق عبيرها الطيب ووددت لو انني كنت معك في بلد واحد كما كنا من قبلُ حتى اتمتع بسماع كلماتك العذبة وحديثك الرقيق فانعم بسماع تلك العبارات العالية خارجة من مصدرها الكريم فيغنيني ذلك عن تتبعها

بنظري على صفحات القرطاس بعد ان ادمجتها يد الطابع في اسطر من الحديد ومرت عليها آلة الطباعة بعنف وقساوة فجوفت على الطرس كلمات لونها اسود وقلبها ابيض ينبعث النور من بين احرفها انبعاث شعاع الروح من الجسد

كلمات ملؤُها الحياة ان سمعتها من فمك فانني اراها كأَنها مصورة امام عيني باحرف من نور وان قرأتها على القرطاس فانني اسمعها كأَنها تملى عليَّ من فمك بعذوبة تأخذ بمجامع قلبي فاطير شوقاً اليك

أتعلمين في ماذا افكّر عند قراءة كلماتك ؟

انني افكر في سر الحياة البعيد الغور ذلك السر الذي اشرت اليهِ في فاتحة مجلتك الرائقة افكر في ذلك السر لانهُ يعنيني ولهُ علاقة كبيرة بحياتي كما ستعلمين من رسالاتي المقبلة اقرأ كلماتك فاتصور الحياة . كيف ذلك ؟

ذلك انني ارى معانيك روحاً لطيفة والكلمات التي تحويها اجساماً رقيقة تعرض على الاعين فتصل الى القلوب فتنشرح لها وتمتزج بها امتزاجاً روحانياً

وان من المعاني لما هو لطيف رقيق يأسر النفوس ويخلب الالباب فتخضع لهُ العقول وهذا مثال ما قرأتهُ في ريحانتك

وان منها لما هو ثقيل تنفر منهُ الاذواق ويغشى العقول بسحابة قاتمة كما يغشى الغمام ضوء القمر

وهذا مثال اقوال كثيرة شوشت على عقول القارئين

كذلك الارواح يا عزيزتي منها ما يألف الخير فيرفع على العالم سماء السعادة والهناء . ومنها ما جُبل على الشر فيعكر صفاء تلك السعادة ويجلب الهم والاسى

فلا تسلي عما لقيتهُ من التسلية عند وصول ريحانتك اليَّ فقد انتشقت منها عبيراً زكياً وصل الى قلبي فانعش روحي وذكرني بايام لنا سلفت

لعلكِ ايتها الصديقة العزيزة تحسبينني لا ازال بعد الزواج كما كنت من قبل .. فتاة منبسطة النفس منشرحة الصدر طروبة سعيدة لا افكر في غير الهناء ولا احلم بسوى السعادة . لعلك تحسبينني لا ازال كما كنت ايام اجتماعنا في مجالس الكمال لا نشعر الأ بمودة صادقة ومحبة متناهية يؤْنسنا حديث الادب ونتسلى بمطالعة الكتب ؟

آه ايتها العزيزة لقد مر ذلك الزمان وانقضى واعقبتهُ ايام ما كنت لاحلم بها في افظع الاوقات ومن ذا الذي يفكر في الشقاء في ايام سعادته ؟

صديقتي ان هذا الانقلاب الغريب هو الذي جعلني افكر في سر هذه الحياة المدهشة ولكنني ما حاولت مرة التفكير حتى غلب عليَّ اليأس واستحكم من نفسي الشقاء فانصرف مرة الى البكاء كالاطفال وطوراً يستولي علي جمود غريب فيلهيني عن كل شيء حتى عن التفكير ولعل هذا ما يسميه الناس ذهولاً

ولقد كان لي من ريحانتك اكبر مسلٍّ على ما انا فيهِ تخففتْ عني بعض الهموم ذكرتني باياىنا الماضية حتى تصورتها مجسمة امام عيني في اجمل الحلل وابهاها فهممت بلمسها

صديقتي . من رسالتي هذه اتضح لك ان حالي قبل الزواج انقلبت الى ضدها بعده واظنك اصبحت متشوقة لمعرفة ما تمَّ لي بالتفصيل واني مطلعتك على ما تريدين فانتظري رسالتي الآتية . انتهى م . ح .

وسواء كانت الرسالة حقيقيَّة او تخيليَّة فانشاؤُها في الطبقة الاولى وهو ادلُّ دليل على نجاح المدارس المصريَّة واساتذتها في تعليم اللغة العربيَّة وعلى نفي ما قيل من ان درس العلوم باللغات الاجنبيَّة اضعف العربية فاننا لا نرى اصح من هذا الانشاء في الازهر مع انقطاع طلبتهِ للعربية وعلومها . وهو بالجملة كلها من ادلِّ الادلَّة على الفائدة من تعلُّم اللغات الاجنبيَّة لان انشاءها حافل بالمعاني العصريَّة الجديدة التي قلما تخطر على بال من لا يعرف لغة اجنبيَّة او من لم يطالع كثيراً مما ترجم منها

فنثني على حضرة السيدة الفاضلة محررة هذه المجلَّة ثناء جميلاً ونتمنى لمجلتها النجاح التام

السجل المصري

من الغريب ان عصراً مثل عصر المماليك قام فيهِ رجل مثل الجبرتي كتب حوادث كل يوم من ايامهِ وعصرنا هذا يكتفي ابناؤُه بما ينشر في الصحف السيارة ولا يقوم منهم من يكتب حوادث الايام يوماً يوماً حتى لو اراد احد ان يجمع حوادث الثورة العرابية واكثر الذين شاهدوها لم يزالوا في قيد الحياة لتعذر عليهِ ذلك . ولهذا احسن حضرة الكاتب الاديب علي افندي يوسف الكريدلي بنشرهِ كتاباً دوريّاً يصدر في منتصف كل شهر مشتملاً على كل ما جرى في الشهر السابق من الحوادث والوقائع واعمال الحكومة من اوامر عالية ومنشورات ولوائح وتنقلات ورتب ونياشين ووفيات ومواليد وافراح الخ . فعسى ان يوفق الى الجري في هذا السجل دواماً

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف. ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) الشيخ ابرهيم اليازجي

الاسكندرية . محمد افندي صادق. اشرتم في جريدتكم المقطم الى بعض صفات فقيد اللغة العربيَّة الشيخ ابرهيم اليازجي وقلتم انكم ستكتبون عنهُ بالاسهاب في المقتطف وحتى الآن لم تنجزوا الوعد فما سبب ذلك

ج ان من كان لهُ مقام علمي لا يليق ان يترجم في المقتطف من غير ان يذكر ما امتاز بهِ وما افاد بهِ العلم ولا بدَّ من الوقوف في ذلك عند الحقائق المقرَّرة والاَّ كان الكلام مثل نظم الشعراء يصفون كل احد بانهُ بحر كرم واسد حرب وقس فصاحة ولو لم يكن شيئاً من ذلك. ونحن نعلم ان للفقيد آثاراً يذكر بها ولكننا لم نطَّلع الاَّ على الملحق الذي الحق بهِ شرح ديوان المتنبي ولما رأينا اننا عاجزون عن الوقوف على آثارهِ العلميَّة والبحث فيها بحثاً يجيز لنا ان نصفهُ بما هو اهلهُ اقترحنا على رجل من اعز اصدقائهِ واكتبهم ان يكتب لنا ترجمة مسهبة لهُ وكان ذلك بعد وفاتهِ بيوم او يومين فوعدنا انهُ يفعل حالاً ومضى ذلك الشهر فذكَّرناهُ بوعدهِ فاعاد الوعد ثم كررنا فكرَّر والظاهر ان انحراف صحتهِ وكثرة اشغالهِ اخَّراهُ عن الوفاء بوعدهِ حتى الآن

وقد جرى لنا في ذلك مثل ما جرى في ترجمة السيد جمال الدين الافغاني فاننا اقترحنا كتابة ترجمتهِ على اعز اصدقائهِ ومريديهِ الشيخ محمد عبده فوعدنا انهُ يفعل ذلك ثم لم يتمكن من انجاز الوعد

هذا من جهة الترجمة اما الرثاء والتأبين فلم يقصر المقتطف فيهما لاننا نشرنا مرثية فيهِ لاعز اصدقائهِ واوسعهم علماً وابلغهم انشاء وتأبيناً لاكبر علماء المشرق

(٢) اول ناطق بالعربية

ومنهُ. من اول ناطق باللغة العربية ومن اول راسم لحروفها الابجديَّة

ج ان البحث العلمي في اصل اللغات اسفر عن ان الناس ابتدأوا ينطقون منذ عصور قديمة جدًّا إما في مكان واحد او في اماكن مختلفة وكانت لغاتهم الاولى اصواتاً

قليلة ثم زادت عدداً وتركباً على توالي الازمان وكل شعب انفصل عن غيره تنوعت لغتهُ على مرور الزمن حتى اختلفت عن لغات سائر الشعوب · فالشعب الذي سكن بلاد العرب ومرَّت عليهِ سنون كافية لفصل لغتهِ عن سائر اللغات الساميَّة هو اول من نطق بالعربيَّة · وقد كان العرب يكتبون قبل الاسلام بقرون كما يظهر من آثارهم الباقية الى الآن ولا يُعقل انهم كانوا يتجرون في مصر والشام والعراق وهم يجهلون الكتابة لا سيما وان اخوانهم اهالي بابل واشور وسورية ومصر كانوا يكتبون ويتراسلون كتابة منذ اكثر من اربعة آلاف سنة وكان الخط في القرن الاول للهجرة شبيهاً بالخط الذي يكتب بهِ الآن ولذلك فالخط العربي سابق لزمن التاريخ عند العرب فلا يعلم كيف ابتدأ ولا عبرة بما ذكرهُ مؤرخو العرب من هذا القبيل لانهُ ليس اسهل مما كتبوهُ عما حدث قبل زمانهم

(٣) شجر البان

مصر · ابرهيم بك زكي · كثيرًا ما نسمع في كلام الشعراء عن شجر اسمهُ البان يصفونهُ في شعرهم وقد اطلعنا في كتب الطب القديمة على انهُ يوجد كثيرًا بارض مصر . وقد سألنا كثيرًا من الزراع عنهُ فلم نجد مَن يرشدنا اليهِ فنرجو منكم ان تصفوا لنا هذا النبات وتخبرونا هل يوجد في مصر وما هو اسمهُ فيها

ج قيل في كتاب نبات سورية وفلسطين والقطر المصري ان البان موجود "في الغور وبادية سينا ومصر". وقد رأيناهُ في سورية ولكننا لا نتذكر اننا رأيناهُ في مصر ولا نعلم ماذا يسميهِ اهل مصر واسمهُ العلمي مورنجا Moringa وهو شجيرات اوراقها ثنائية التفصيل الريشي بلا ذنيبات والموجود منهُ في سورية اوراقهُ مستطيلة كالَّة والسفلى منها مترادفة غالبًا يحمل قرونًا ذات ستة ميازيب فيها بزور بلبليَّة بلا اجنحة · ومنهُ صنف مجنَّح البزور ينبت في جزيرة مليبار وجزيرة جاوى وطعم بزوره حرِّيف وجذورهُ حريفة جدًّا كجذر الفجل وهي منفطة كاوراقهِ وغير المجنَّح البزور ينبت في بلاد العرب وفلسطين ومصر قال ابن البيطار هو شجر يسمو ويطول في استواء مثل نبات الاثل وورقهُ هدب كهدب الاثل وخشبهُ خوَّار رخو ضعيف وقضبانهُ سمجة خضر وهدبهُ ينبت في القضب وهو طويل اخضر شديد الخضرة وثمرتهُ تشبه قرون اللوبياء الاَّ ان خضرتها شديدة وفيها حبهُ واذا انتهى انفتق وانتثر حبهُ وهو ابيض اغبر مثل الفستق ومنهُ يستخرج دهن البان وتنبت هذه الشجرة ببلاد الحبش ومصر وبلاد المغرب وبالموضع من فلسطين المسمَّى بطبرا ونقل عن جالينوس انهُ ينفع من الكلف والنمش والجرب والحكة والعلَّة التي يتقشَّر منها الجلد

(٤) ناظم بيت

مصر . محمد افندي امين . هل تعلمون من هو ناظم هذا البيت

لم اكن من جناتها علم الله
وأني بحرها اليوم صالي

ج قال الثعالبي في رسالة الايجاز والاعجاز انهُ للمهلهل وقيل انهُ للحارث بن عباد من قصيدتهِ التي مطلعها قرّبا مربط النعامة مني . ويظهر لنا ان القصيدتين موضوعتان وقصة الحرب كلها موضوعة مثل قصة عنتر وضعها الاصمعي او غيرهُ من كتاب العرب ونظم اشعارها

ومنهُ . ما هو البيت الذي قبل هذا البيت

لو بغير الماء حلقي شرقٌ
كنت كالغصان بالماء إعتصاري

ج قائلهُ عدي بن زيد وقبلهُ

ابلغِ النعمانَ عني مالكاً
انهُ قد طال حبسي وانتظاري

(٥) نسيج وحدهُ

ومنهُ . رأيت كلمة نسيج وحده فلم افهم المراد بها ولا كيفية استعمالها فهل لكم ان تبينوا لنا ذلك

ج قال المفضل في غاية الارب يقال فلان نسيج وحدهُ اي ليس لهُ ثانٍ كانهُ ثوب نسج على حدتهِ ليس معهُ غيرهُ قال الراجز

جاءت بهِ معتجرًا ببرده
سفواء تردي بنسيج وحده

ووحدهُ منصوبة ابدًا الاَّ في ثلاثة مواضع وهنَّ نسيج وحدهُ وعيين وحدهُ وجحيش وحدهُ

(٦) عيد الفصح الشرقي

الزقازيق . السيدة ماري مقلع . من المعلوم من مطالعة تاريخ الكنيسة العام ان قانون عيد الفصح عند الغربيين هو متى وقع الاعتدال الربيعي في ٢١ مارس فبدر القمر الذي يقع بعدهُ والاحد الاول يكون عيد الفصح . اما عند الشرقيين فالاحد الاول الذي يقع بعد عيد اليهود يكون عيد الفصح ولكن هذه السنة يقع عيد الشرقيين بعد عيد اليهود باربعة اسابيع او خمسة فاسبب ذلك

ج كان الشرقيون يفعلون ذلك ثم جروا على القاعدة التي وضعها المجمع النيقاوي سنة ٣٢٥ وهي ان عيد الفصح يكون في الاحد التابع للبدر الواقع بعد ٢١ مارس . وهذه السنة وقع ٢١ مارس الغربي في ٧ من الشهر القمري ووقع بدرهُ يوم الخميس في ٢٨ مارس الغربي فالاحد الواقع بعدهُ وقع في ٣١ مارس وهو عيد الفصح الغربي

ووقع ٢١ مارس الشرقي في ٢٠ من الشهر القمري فتقدم العيد الى الشهر القمري التالي وبدرهُ واقع في ١٥ ابريل (نيسان) الشرقي اي يوم الاحد فتقضي القاعدة المتقدمة ان يتأخر العيد الى الاحد التالي الواقع في ٢٢ ابريل الشرقي او ٥ مايو الغربي



استعفاء اللورد كرومر

لقد كان للورد كرومر الشأن الاكبر في ارتقاء القطر المصري وبلوغهِ الدرجة التي بلغها من حيث السعة المالية وحرية اللسان والقلم والامن على الارواح والاعراض. وكل ذلك مما لا بدَّ منهُ لترقية العلوم والفنون فقد ابنَّا غير مرة ان تاريخ العمران يدلُّ على ان السعة تمهد السبيل للعلم وان الامم التي اينع العلم فيها هي الامم التي توفرت ارزاقها اولاً وسهل على النابغين من ابنائها ان ينقطعوا للاشغال العلمية. وحتى الآن لم نرَ احداً من ابناء هذا القطر انقطع للبحث في موضوع علمي كبير الشأن ولكن كثر اقبالهم على طلب العلم في المدارس العالية وعلى المطالعة والترجمة والتأليف والفضل في ذلك للذين رقَّوهم مادياً فسهلوا عليهم الارتقاء الادبي واللورد كرومر احرى من غيرهِ بالجانب الاكبر من هذا الفضل ولذلك وقع استعفاؤُهُ اشد وقع على النفوس في هذا القطر وفي كل البلدان التي لها علاقة بهِ. وجاء خبر استعفائهِ فجأَةً نقلهُ البرق عن لسان السر ادوارد جراي وزير الخارجية الانكليزية فقد قال في مجلس النواب في الحادي عشر من ابريل ما تعريبهُ

قرَّ رأي اللورد كرومر بمشورة اطبائهِ على وجوب استعفائهِ من وظيفتهِ لاسباب صحية. وأرى الاحسن ان اقرأَ للمجلس التلغراف الذي جاء منهُ منذ ايام قليلة وهو "اعتمدت ان اطلب منكم قبول استعفائي وانما اعتمدت على ذلك بعد تأمل طويل واستشارة طبيبي والسر ستيفن مكنزي الذي هو هنا الآن. واود كثيراً ان يعلم الناس ان اسباب استعفائي كلها هي حالة صحتي ولا دخل في ذلك للاعتبارات السياسة على الاطلاق. واود بالاخص ان اقول ان الوزارة الحالية ايدتني تأييداً لا يفوقهُ تأييد فانا متأسف اشدَّ الاسف لاضطراري الى قطع الصلات الرسمية معكم ولكن ليس في اليد حيلة بعد ما قضيت تسعاً واربعين سنة في خدمة الحكومة فقد ضني جسمي ولم اعد استطيع ان احتمل اثقال الاشغال الزائدة التي تقتضي وظيفتي هنا احتمالها. واشعر ايضاً انهُ لم يبقَ لي صحة ولا قوَّة على القيام بحق المهام ومصالح العباد المتعلقة بتلك الاشغال. فالطبيبان كلاهما متفقان رأياً على وجوب تركي للشغل"

فهذا الخبر اوجب اسفنا العظيم وسيوجب اسف هذا المجلس كذلك · اما انا شخصياً فلساني قاصر عن وصف اسفي . فاننا كنا نلقي اتكالنا على اللورد كرومر ونضع ثقتنا به كما فعلت الوزارات الانكليزية المتتابعة منذ سنين كثيرة · وقد دارت المراسلات بيننا وبينهُ بعد ذلك على امل ان لا يكون استعفاؤُهُ نهائياً . ولكننا لما ثبت لنا ان رجوع عافيتهِ (المأمول رجوعها في المستقبل ان شاء الله) متوقف لا محالة على اعتزالهِ للاشغال التزمنا ان نقبل استعفاءهُ

وليس هذا محل الكلام عن العمل الذي عملهُ اللورد كرومر في مصر فستسنح فرص أُخرى لبسط الكلام عنهُ ولكنني اروم ان اقول في الحال ان حكومة جلالة الملك تقصد ان تحافظ على عملهِ وان تستمرَّ على اتباع السياسة التي استنبطها وشرحها ابدع شرح في تقريرهِ الاخير الذي عرضناهُ على البرلمان الآن

على اني لا استخف المشقة التي سنلاقيها لنديم من دونهِ ذلك العمل الذي كان متوقفاً كل هذا التوقف عليهِ . فمفارقتهُ لمصر اعظم خسارة شخصيةٍ يمكن ان تقع على خدمة الحكومة في هذه البلاد . فانهُ في اوائل سني الاحتلال لم يكن احد يصدق ان انساناً يفجع نجاح اللورد كرومر لو لم يكن قد نجحهُ فعلاً لكثرة ما كان في مصر من الصعوبات والمشكلات حينئذٍ . وان كانت سبل التقدم والنجاح قد سهلت بعد ذلك بسبب الثقة بالاحتلال وما حاز من السطوة والنفوذ فان اللورد كرومر نفسهُ هو الذي اوجد تلك الثقة والسطوة

وقد صادق الملك على تعيين السر الدن غورست للوظيفة التي خلت باستعفائهِ في القاهرة وكان تعيينهُ لها بعد مشاورة اللورد كرومر في ذلك . فان السر الدن غورست يعرف مصر معرفة خصوصيَّةً ولم يكتسب احد ثقة اللورد كرومر كما اكتسبها ولا شاركهُ احدٌ في اشغالهِ قدر مشاركتهِ لهُ وانا واثق ان اختيارهُ لتولي عمل اللورد كرومر احسن واسطة لحفظ ذلك العمل والاستمرار عليهِ · انتهى

ولم يكد هذا الخبر يشيع في القطر حتى جعل وجهاؤُهُ وعظماؤُهُ واصحاب الكلمة فيهِ يفدون الى الوكالة البريطانية لاظهار اسفهم على استعفائهِ او يرسلون اليها بالتلغرافات معربة عن اسفهم واسف مَن ينوبون عنهم وعن اعترافهم بفضلهِ العميم وربما عدنا الى تفصيل ذلك في فرصة أُخرى

اعلاء خزان اصوان

ارسل جناب اللورد كرومر رسالة الى نظارة الخارجية الانكليزية في ١٥ مارس الماضي عن اعلاء خزان اصوان لزيادة مياه

الري الصيفي وارسل معها مذكرات بقلم السر وليم جارستن والسر بنيامين بيكر والمستر وب والكبتن ليونس مدير مصلحة المساحة فعرضتها النظارة على مجلس النواب مساء الاربعاء الماضي ونشرتها من جملة اوراق ذلك المجلس

ومن اهم ما تضمنتهُ رسالة جناب اللورد ان بناء خزان اصوان عاد على اهل القطر المصري بخير عظيم ولكنهُ لم يعد على الخزينة المصرية بمال كثير لان الحكومة ضربت ضريبة خفيفة على الاطيان التي تروى صيفاً بماء الخزان وتركت معظم الربح لاصحاب تلك الاطيان فقد قدر السر وليم جارستن ان ثمن تلك الاطيان زاد ٢٤٥١٠٠٠٠ جنيه مصري وانهُ سيزيد بعد اتمام الترع والمصارف المراد حفرها حتى تبلغ زيادتهُ ٢٨٨١٢٩٠٠ ج م وان قيمة الايجار زادت ١٤٦٥٠٠٠ ج م وانها ستزيد ايضاً حتى تبلغ زيادتها ٢٠٢٢٣٥٠ ج.م وقد استفادت مصر ايضاً من الخزان وقاية محصول القطن من شر الظلم فقدرت قيمة المحصول الماضي بمبلغ ٢٨٠٠٠٠٠ ج.م

ويقدر ان الخزان يعطي القطر المصري نحو ربع ما يحتاج اليهِ من الماء في المستقبل فاذا أُعلي كما يطلب السر وليم جارستن الآن تضاعف مقدار الماء الذي يجري منهُ الى القطر المصري بعد تجزما يتجزمنهُ فيمكن حينئذٍ ارواء ٩٥٠٠٠٠ فدان من الارض البائرة التي لا تزرع الآن وتكون قيمة محصولها من ٣٥٠٠٠٠٠ ج م الى ٤٠٠٠٠٠٠ ج م في السنة

ويرى السر وليم جارستن ان لزيادة المياه طريقتين احداهما خزنها في خزانات تقام في وادي النيل والاخرى حفظ المياه التي تضيع الآن في مستنقعات بحر الجبل وتوجيهها في النيل صيفاً الى الخرطوم حتى تأتي الى هذا القطر وقد تبين بعد استيفاء البحث انهُ لا بد من هاتين الطريقتين معاً لاعطاء القطر المصري ما يحتاج اليهِ من الماء الصيفي لارواء اطيانهِ كلها. وقد نظر المهندسون كل موقع يمكن انشاء الخزانات فيهِ فاجمعت آراؤهم على انهُ لا يفي شيء بالغرض المطلوب غير اعلاء خزان اصوان وهذا يقتضي غمر جزيرة انس الوجود بالماء وهو مما يقضي بالاسف ولكن لا غنى عنهُ اذ لا يجوز ان نضحي مصالح المصريين في الحال والاستقبال لحفظ هياكل تلك الجزيرة من ضرر الماء. انتهى

وصف الفلسفة

قال الاستاذ جمس الاميركي يجتمع جماعة في غرفة التدخين ويذكر احدهم موضوعاً من المواضيع الفلسفية كحرية الارادة او علم الله بكل شيء او الخير والشر فترى كلًّا منهم قد اصغى الى البحث او اشترك فيهِ. والفلسفة تتناول كل ما يشتغل بهِ عقل

الانسان سامياً كان او تافهاً نعم انها لا تخبز خبزاً كما قيل ولكنها تبث الشجاعة في النفس ولا احد يستطيع ان يعيش من غير ان يستنير باشعة من نورها مهما كانت مباحثها عويصة ومناقشات رجالها عقيمة . وهذه الاشعة مع ما يصاحبها من الظلمة الدامسة ظلمة الغموض والابهام تزيد الرغبة فيها وتحببها الى النفوس

وقد يظنُّ كثيرون كما ظن احد الطلبة في مقالة كتبها واطلعني عليها ان من يدخل مدرسة الفلسفة يحسب انهُ دخل عالماً روحياً سامياً يختلف عن العالم المادي كل الاختلاف حتى يتعذر عليهِ ان يشغل عقلهُ بهما في وقت واحد . والعالم المادي الذي تركهُ في السوق مختبط مرتبك كثير التشويش واما العالم الروحي الذي تقود الفلسفة اليهِ فجميل منتظم كأنهُ هيكل من المرمر الناصع البياض على قمة جبل فهو ليس مما تتضح بهِ حقيقة عالمنا المادي بل هو ملجأ تلجأ اليهِ النفوس من الاختباط والارتباك اللذين في هذا العالم المادي

والجمال والانتظام حسنان لذاتهما ولكن الفلسفة التي ليس فيها غيرهما لا تشبع نفس طالب الحقيقة المفتش عن علاقتهِ بالعالم المادي ولذلك تجد علماء الطبيعة يديرون ظهورهم الى الفلسفة كأنها شيء لا يحق لهُ ان يخرج من ديارات الرهبان . ورجال الاعمال ينفضون غبارها عن ارجلهم ويجرون في ميدان الحياة

دار كارنجي

ان كارنجي المثري الاميركي المشهور جمع اكثر ثروتهِ في مدينة بتسبرج باميركا فانشأ فيها داراً علمية كبيرة اعترافاً بذلك انفق عليها ثلاثة ملايين واربع مئة الف جنيه . وهي مؤلفة من مدارس علمية وصناعية ومكاتب ومتاحف من اعظم ما انشئ في المسكونة حتى الآن . وقد فتح جانب من هذه الدار بصورة رسمية في الحادي عشر من شهر ابريل باحتفال عظيم

وبلغ ما وهبهُ كارنجي لبتسبرج واليغني حتى الآن ستة ملايين واربع مئة الف جنيه وجملة ما وهبهُ للمنافع العمومية ثلاثة وثلاثون مليوناً وثلثمئة الف جنيه . وهب منها في الاربع السنوات الاخيرة عشرة ملايين وثمانمئة الف جنيه . فرجل مثلهُ يستحق ما نالهُ من الغنى لانهُ ينفقهُ في انفع الاعمال

هبة عظيمة

تبرعت مسز رسل ساج الاميركية بمليوني جنيه ينفق ريعها في ما يصلح حال الناس في الولايات المتحدة الاميركية بالتعليم والتهذيب والبحث العلمي ونشر الكتب العلمية وما اشبه

النفقات الحربية

كانت دول اوربا تنفق على حربيتها سنة ١٨٩٩ نحو ١٤٦ مليون جنيه وعلى بحريتها نحو ٦٠ مليون جنيه والجملة ٢٠٦ ملايين جنيه وستنفق هذا العام على حربيتها ٢٠٠ مليون جنيه وعلى بحريتها اكثر من ٨٠ مليوناً والجملة ٢٨٠ مليون جنيه فتكون نفقاتها السنوية على الحربية والبحرية قد زادت ٧٤ مليون جنيه وهذا المبلغ يعادل فائدة ١٨٥٠ مليون جنيه فلو عملت دول اوربا سنة ١٨٩٩ حسب مشورة القيصر وابطلت زيادة نفقاتها الحربية والبحرية واقتصرت على ما كانت تنفقة حينئذٍ لانقذت شعبها من انفاق هذا المبلغ الطائل من المال على غير جدوى لانها ليست الآن اقوى مما كانت قبلاً على مقاومة بعضها بعضاً . والدول التي زادت نفقاتها الحربية والبحرية اكثر من غيرها هي المانيا وانكلترا وروسيا والنمسا كما ترى في الجدول التالي وهو بملايين الجنيهات

	١٨٩٩	١٩٠٧	الزيادة
المانيا	٣٤	٥٤	٢٠
انكلترا	٤٢	٦٢	٢٠
النمسا	١٦	٣٦	٢٠
روسيا	٣٤	٥١	١٧

فعسى ان تتفق هذه الدول في مؤتمر السلم التالي على تقليل النفقات الحربية او ربطها عند الحد الذي وصلت والاَّ فلا يبعد ان تقوم شعوبها عليها وتطلب النجاة من هذا الاسراف الذي تكاد ترزح تحت اعبائهِ

اعتناء السمك بصغاره

قال ارسطوطاليس ان سمك القط المكدوني يهيئ المكان الذي تولد فيهِ صغارهُ وقد انكر علماء الطبيعة بعد ذلك على السمك كل اهتمام بامر صغارهِ وقالوا ان السمكة تبيض بيضها وتتركهُ لكن اثبت الآن احد العلماء ان سمك الماء العذب يهتم باعداد المكان الذي تولد فيهِ صغارهُ وبعضهُ يصنع شيئاً شبه عش تولد الصغار فيهِ

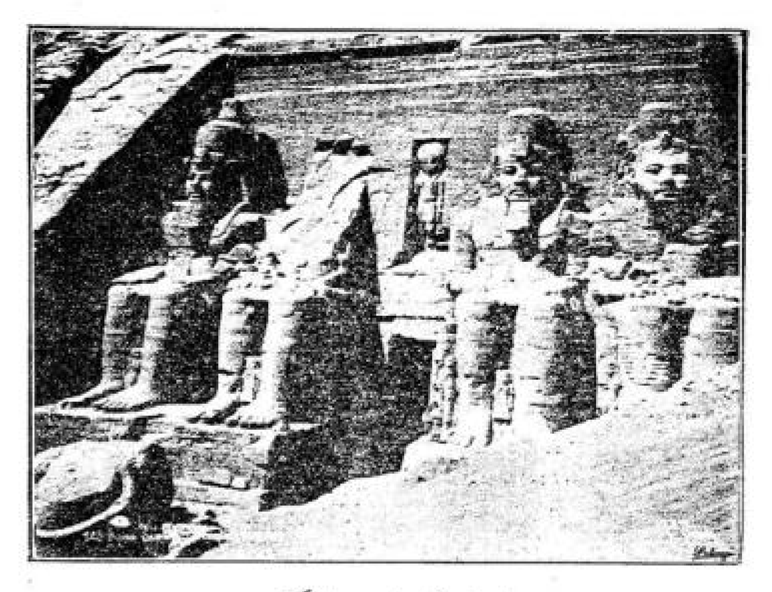
النيل الصناعي والطبيعي

ان الذين يصنعون النيل ويتجرون بهِ يدَّعون انهُ مثل النيل الطبيعي تماماً في صبغهِ ولكن الصباغين يقولون ان للنيل الطبيعي رونقاً لا يوجد في النيل الصناعي . وقد وضعت هذه المسألة الآن موضع البحث المدقق فقوبل بين النيل الطبيعي والصناعي مقابلة دقيقة بعد صبغ مقدار كبير من المنسوجات بكل منهما فثبت ان لما يصبغ بالنيل الطبيعي رونقاً لا يوجد في ما يصبغ بالنيل الصناعي وان لون الصبغ بالنيل الطبيعي اشد من لونهِ بالنيل الصناعي فثبتت افضلية الطبيعي على الصناعي من هذا القبيل

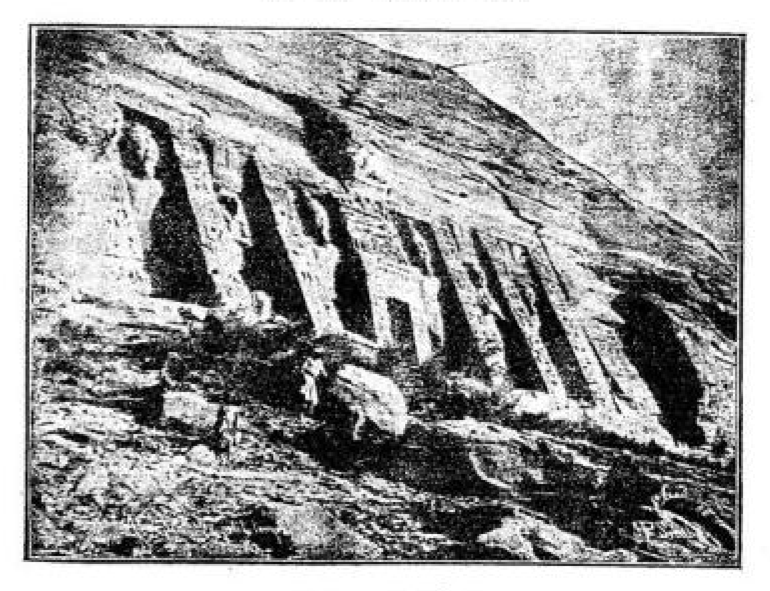
صفيحة المرمان



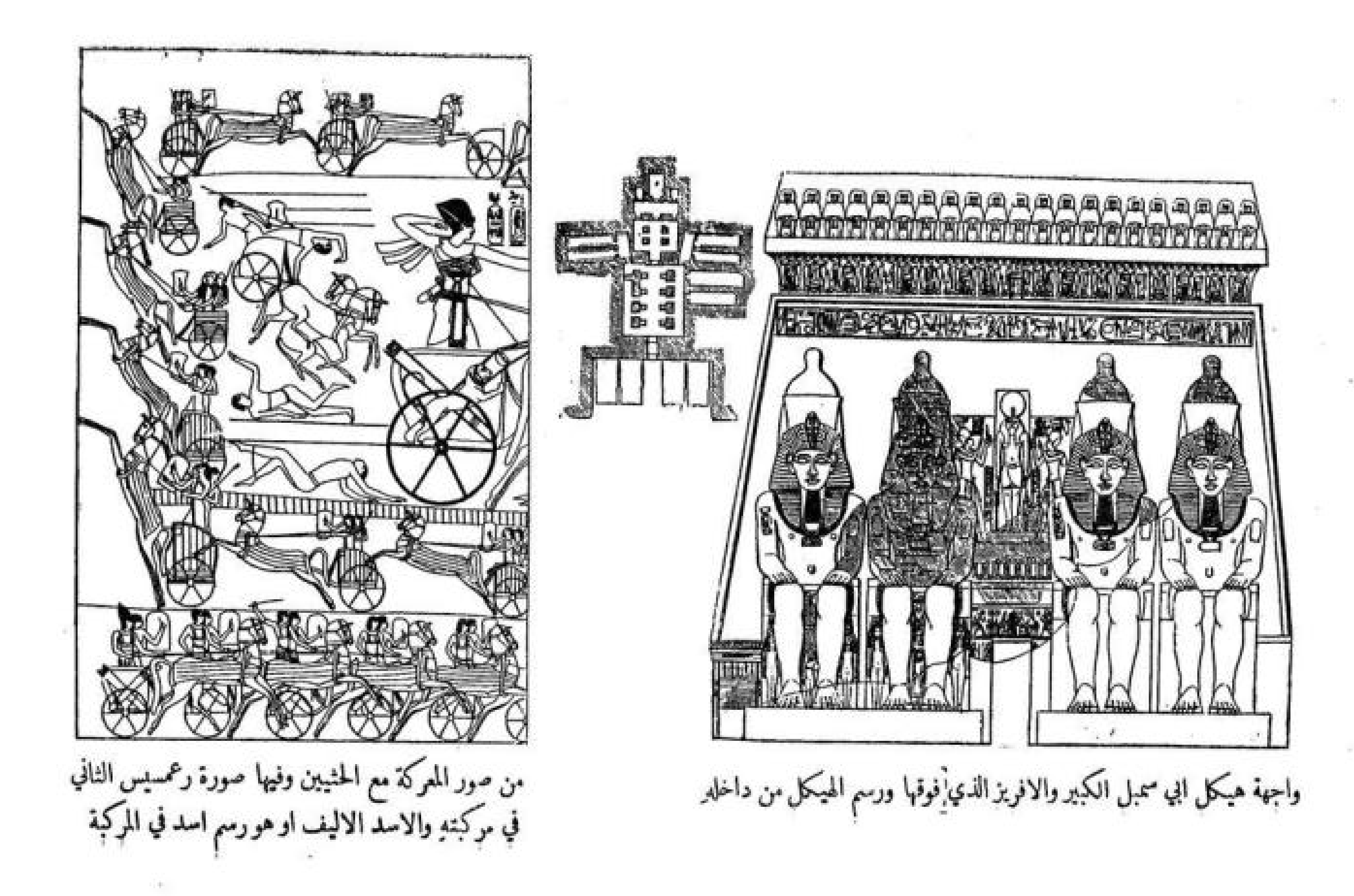
صورة ملك من ملوك النوبة وزوجته على جدار هيكل النقا



واجهة هيكل ابي سمبل الكبير



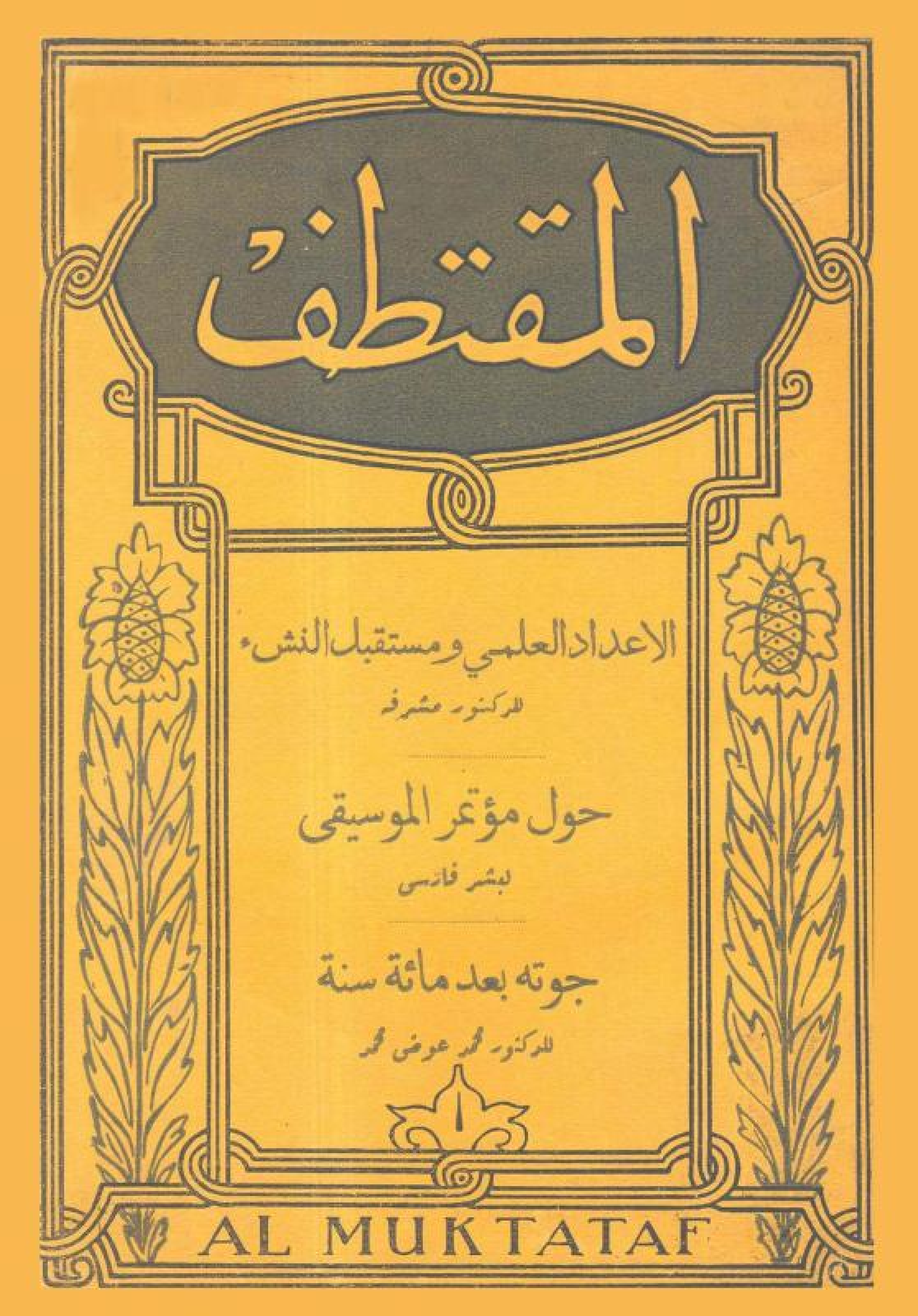
واجهة هيكل ابي سمبل الصغير



واجهة هيكل ابي سمبل الكبير والافريز الذي فوقها ورسم الهيكل من داخله

من صور المعركة مع الحثيين وفيها صورة رعمسيس الثاني في مركبته والاسد الاليف او هو رسم اسد في المركبة

فهرس الجزء الخامس من المجلد الثاني والثلاثين


المقتطف
الاعداد العلمي ومستقبل النشء
للدكتور مشرفة
حول مؤتمر الموسيقى
لبشر فارس
جوته بعد مائة سنة
للدكتور محمد عوض محمد
AL MUKTATAF

المقتطف

الجزء السادس من المجلد الثاني والثلاثين

١ يونيو (حزيران) سنة ١٩٠٧ — الموافق ٢٠ ربيع الثاني سنة ١٣٢٥

لورد كرومر

ليس غرضنا من هذه السطور ترجمة لورد كرومر وذكر اخلاقهِ ومزاياهُ التي امتاز بها وارائهِ السياسية واشغالهِ الادبية التي حاز بها قصب السبق على رجال السياسة في هذا العصر لان هذا الموضوع يقتضي كتاباً كبيراً . ولا غرضنا ان نستقصي ما عمل من الاعمال التي رقت مصر واوصلتها الى ما وصلت اليهِ الآن لان هذا الموضوع اوسع من الاول وتقارير لورد كرومر السنوية تتكفل ببيانهِ والذين يبصرون ويسمعون ويقابلون بين الماضي والحاضر يعرفون اكثر هذه الاعمال ونتائجها سواء اعترفوا بها او لم يعترفوا . وانما غرضنا ان ننظر نظرة عامة الى حال القطر المصري قبل الاحتلال وحالهِ الان ونقابل بين الحالين من بعض الوجوه الجوهرية التي لاشبهة في انهُ كان للورد كرومر اليد الطولى في تغييرها ثم نستطرد الى وداعهِ القطر المصري

زرنا هذا القطر قبيل الثورة العرابية ولقينا كثيرين من نوابغ رجالهِ حينئذٍ وتكرم الجناب الخديوي المغفور لهُ توفيق باشا بمقابلتنا كما قابلنا نظار حكومتهِ رياض باشا ومصطفى باشا وفخري باشا وعلي باشا مبارك ومحمود باشا سامي وتحدثنا معهم ملياً في احوال القطر المصري والقطر السوري وكثر اجتماعنا بالمرحوم الشيخ محمد عبده واصدقائهِ في الايام القليلة التي قضيناها في هذه العاصمة . ثم خرجنا من القطر المصري وقد رسخ في ذهننا مما رأيناهُ فيهِ وسمعناهُ من نخبة رجالهِ ان الضغط على النفوس بلغ اقصاهُ فكادت تتمزق وتنفجر انفجاراً لان الاسراف السابق ترك البلاد في العسر الشديد مديونة بمئة مليون من الجنيهات لم يصلها منها النصف ولم ينفق فيها مما وصلها العشر وهي مضطرة ان تحمل عبئها وتوفي رباها عدا الدين الاهلي الباهظ الذي اثقل كاهل الاهلين . واجود الاطيان قد خرج من ايدي مالكيهِ قسراً فصاروا اجراء فيهِ . وظهر الفرق حينئذٍ بين مصر والشام كظهورهِ الآن ولكنهُ كان معكوساً

كانت بلاد الشام متمتعة بالعدل تخاضر في سبيل الارتقاء مطلقة القلم واللسان تحبّر اقلام الاحرار جرائدها وترصّع السنة الخطباء منابرها . ومصر بلاد الضيم والضغط يحاول نفر من اهاليها اخراجها مما هي فيهِ فيجدونها مقيدة بالمشاكل المالية والامتيازات الاجنبية ويجدون جمهور الامة في حضيض الذل والعسر . ولحظنا حينئذٍ ان جماعة من الافاقين يحاولون اضرام نار الثورة في نفوس ذلك النفر القليل من المتنورين ويمنونهم بما يتعذَّر نيلهُ فتجمعت الاسباب وولدت الثورة

وقد يركب الخطب الذي هو قاتل اذا لم يكن الاَّ عليهِ معرَّجُ

واتت الجيوش الانكليزية فاخمدت الثورة واحتلت البلاد . وكان في الامكان ان تخرج منها بعد استتباب الامن ومعاقبة الثائرين وحل الجيش المصري وكان في الامكان ان تبقى فيها ولا تحرك يداً في اصلاحها فتلبث على ما كانت عليهِ او تزيد تأخراً فلا تكون الآن اصلح من بلاد الشام كما لم تكن اصلح منها قبل الثورة لان اهاليها ليسوا اعلى همة ولا اشد عزيمة من اهالي الشام ولا هم اعلى همة من العرب الصميم سكان اليمن والحجاز وحالهم الآن معلوم لكن قدَّر الله ان وكيل الدولة المحتلة اهتمَّ باصلاح البلاد بميل فطري فيهِ وايدتهُ دولتهُ في ما كان يرتئيهِ وقدَّر ايضاً ان الذين عليهم الاعتماد من رجال الحكومة وطنيين كانوا او غير وطنيين جاروهُ في هذا المضمار فتغلبوا على المشاكل السياسية والمصاعب الطبيعية والآفات الجوية ورقُّوا البلاد هذا الرقيّ الذي لم ترَهُ في عصر من عصورها السالفة

وضعت بعض الدول العراقيل في سبيلهم فلم تعقهم بل تغلبوا عليها وحولوا الجفاء الى صفاء . ثار السودان واستفحلت الثورة فيهِ فخرَّبت البلاد واهلكت العباد وتهددت مصر وكاد لسانها يتدلع اليها وضنَّت محاكم مصر بخمس مئة الف جنيه تستخدم لانقاذ السودان ولكن صبر كروم وهمة كتشنر وبسالة الجنود وقوادهم استردت السودان وردتهُ الى معالم الحضارة

قصَّر النيل عن الوفاء كما جرت عادتهُ في السنين الغابرة وبالغ في التقصير ولكن تقصيرهُ لم يفضِ الى جدب ومجاعة كما افضى في زمن يوسف الصديق وعبد اللطيف البغدادي لان حكمة كروم ورجالهِ كانت اعدت العدة لهذا الشح ببناء الخزان الذي قاومهُ كل صاحب قلم من مدعي الوطنية كما قاوموا قبل ذلك اصلاح القناطر الخيرية . وتكرر مجيء الطاعون والكوليرا ووباء المواشي ووقوع الدودة والندوة في القطن وكل بلية من هذه البلايا كانت تكفي لاتلاف مصالح العباد ومعايشهم ولكن الاستعداد لطوارق الحدثان تغلَّب عليها فذهبت ولم توقع بالبلاد ضرراً يذكر او ازيل ضررها سريعاً بالمنعشات والمقويات التي اشار بها طبيب القطر ورجالهُ

وقد يظن غير المطلع على اعمال لورد كروم انهُ كان ينظر في الكليات ويغضي عن

الجزئيات كاكثر الرجال العظام اما الواقفون على اعمالهِ فيعلمون انهُ كان ينظر في الكليات وفي الجزئيات ايضاً ولا سيما في ما يمثل مبدأ . بلغهُ مرةً ان مستخدماً صغيراً عُزل من غير محاكمة ثبتت عليهِ ذنباً يوجب عزلهُ فقال هذا استبداد يجب نزعهُ من البلاد واشتغل بامر هذا الرجل كأن مسألتهُ من المسائل الدولية العظيمة حتى رسخ في اذهان اولي الامر الذين تعلقت المسألة بهم انهُ ما دام الاحتلال مؤيداً فلا يمكن ان يسمح بما فيهِ اثر للاستبداد

واطّلع مرةً على تلغراف في جريدة يشكو صاحبهُ من انقطاع ماء الري عن قطنهِ في غير الميعاد ولغير سبب فطلب من مصلحة الري تحقيق ذلك حالاً ولما اتضح لهُ صدق الشكوى لامها لوماً عنيفاً ورفع ظلامة الشاكي

ويسهل ذكر المئات والالوف من امثال هاتين الحادثتين وكلها تدل على تفانيهِ في انصاف المظلومين وتوسيع معايش الناس لانهُ كان يعلم ان العدل في الرعية والاهتمام بمصالحها فرضان واجبان على اولياء الامور على حدٍّ سوى واذا كانا مقامين في البلاد فالعوارض والاحداث تجيء وتذهب كغمامة صيف

ومعلوم ان المال قوام كل اصلاح والسبيل اليهِ توسيع مواردهِ والاقتصاد في انفاقهِ. وقد بذل جهدهُ هو وكل رجال الحكومة الذين اتبعوا سياستهُ في اصلاح موارد الرزق وزيادة ريع البلاد وفي الضن بالمال الأ على ما لابدَّ منهُ من النفقات . وحسبنا النتيجة التي نتجت عن ذلك وهي انهُ تضاعف دخل الاهلين ضعفين او ثلاثة كما تشهد قيمة الصادر والوارد وتضاعف دخل الحكومة ايضاً بعد ان كانت البلاد والحكومة على شفا الافلاس . ومن شاء الاطلاع على تفاصيل ذلك فعليهِ بمراجعة الفصل الذي موضوعهُ السياسة المالية في تقريرهِ عن ١٩٠١ وقد نشر في المجلد ٢٨ من المقتطف تحت عنوان اصلاح القطر المصري

وجرى ارتقاء البلاد الادبي مع هذا الارتقاء المادي فعلم الناس ما لهم وما عليهم واهتموا بتعليم اولادهم واصلاح شؤُونهم وغاية ما نرجوهُ ان يستمرَّ هذا الاهتمام حتى يبلغ غايتهُ

الأ ان الاشتغال بمهام الامة زماناً طويلاً يضني اصح الاجسام واقواها بنية ولذلك استحكم السقم من جسم لورد كرومر هذا الشتاء فاوجب عليهِ اطباؤُهُ اعتزال الاشغال فاعتزل كما ذكرنا في الجزء الماضي وودعهُ اهالي القطر في الاوبرا الخديوية توديع عارف بقدرهِ ذاكر لجميلهِ وخطب في حفلة الوداع عطوفتلو مصطفى باشا فهمي رئيس النظار نيابة عن الوطنيين وجناب الكونت ده سربون نيابة عن الاجانب فاجابهما لورد كرومر بخطبة نفيسة استهلها بفقرات فرنسوية اجاب بها الكونت ده سربون ثم تكلم بالانكليزية فقال ما تعريبهُ

" ارجو ان تقابلوا اقوالي بالحلم والاغضاء فان خطابي هذا يكلفني جهداً عظيماً جسدياً وادبياً . اما جسدياً فلانهُ يلزمني ان اجمع قوتي كلها لاخطب عليكم واما ادبياً فلأن اللطف الذي غمرني بهِ الناس على اختلاف طبقاتهم في الاسبوع الذي فات قد غلبني وحملني جميلاً كثيراً ولاني اشعر بألم الحزن الشديد في نفسي على فراق هذه البلاد التي لي فيها اصدقاء كثيرون وبها تقترن كل الحوادث التي حدثت لي في خدمتي العمومية وكذلك الافراح والاتراح التي اصابتني في حياتي المنزلية ومعيشتي العائلية مدة جيل تقريباً

(اسباب مفارقتهِ هذا القطر)

" اني لا افارق هذا القطر ايها السادة لاسباب سياسية وانما افارقهُ لان يد الدهر ابتدأَت تثقل عليَّ ولاني بعد ما قضيت في الخدمة العمومية نحو نصف قرن كنت في اكثرهِ اكدُّ كدًّا واعدو عدوًا يحقُّ لي الآن ان انال نصيبي من الراحة . ولاني اشعر ايضاً ان المهام والمصالح العظيمة التي يطلب من وكيل الدولة البريطانية السهر عليها في هذا القطر يكون السهر عليها الآن اوفى واتمّ اذا عُيّن لها من هو اصغر سنًّا وفي ابان قوتهِ ونشاطهِ عقلاً وجسداً "

ثم اشار الى الذين كان لهم اليد الطولى في مساعدتهِ فذكر المغفور لهُ الخديوي توفيق باشا والمرحوم نوبار باشا ودولتلو رياض باشا وعطوفتلو مصطفى باشا فهمي واصحاب السعادة بطرس باشا غالي وسعد باشا زغلول والسر كولن سكوت منكريف والسر وليم جارستن والمسيو مسبرو والسر رجينلد ونجت باشا الى ان قال

" فبمساعدة الذين ذكرتهم ومساعدة كثيرين غيرهم اظن اننا عملنا عملاً غير رديء في ربع قرن من الزمن وان يكن فيهِ ما فيهِ من القصور والتقصير ولكن يقول لي قوم كثيرون ان المصريين بوجه الاجمال لا يعترفون كثيراً بالجميل وبالمنافع والفوائد التي لا شك في انها مُنحت لهم فاجيب على ذلك اني لا اعرف ما يشعر بهِ المصريون من هذا القبيل ولكن فيلسوفاً فرنسوياً قال قولاً اورد معناهُ ولست اجزم باقتباس مبناهُ قال اذا قاسى شعب آلام الظلم والضيم طويلاً لم يكد يبقى لهُ طاقة على شكر الذين يخلّصونهُ منها

"ولا ريب ان اهل مصر قاسوا كثيراً في ماضي زمانهم ومهما كان شعور المصريين وكانت حاساتهم ومهما برهن لي المبرهنون واقاموا عليَّ الحجة والدليل فلست بتاركهم يحجونني ليخرجوني من الوهم الشريف الذي انا فيهِ ان صحَّ انهُ وهم لا حقيقة واعني بذلك انهُ لا يمكن ان اصدق ان المصريين — او احسنهم على كل حال — ينكرون ان يد التمدن الغربي التي كانت تستعملها انكلترا لعمل عملها في الخمس والعشرين سنة الماضية هي التي نشلتهم من بالوعة

اليأس بعدما التهام دهرهم فيها. وهب اني أقنعت — وما انا بمقتنع مطلقاً — ان ابناء الجيل الحاضر لا يعترفون بهذه الحقيقة الجلية فاني لا ازال اؤمل مع ذلك ان نسلهم يعترف بها

(الغرض السياسي)

" ايها السادة لما اتيت هذه الديار لاتقلد وظيفتي الحالية فيها وضعت نصب عيني غرضين وجعلت اسعي اليهما دواماً مدة اعوام طويلة احدهما سياسي والآخر اداري

" فالغرض السياسي الذي وضعتهُ نصب عيني هو ان اكون من جملة المساعدين على اعادة ذلك الاتفاق الذي قضت الاحوال بسوءٍ بين فرنسا وانكلترا "

ثم افاض في ما بذل من السعي لاعادة الاتفاق الى ان قال —

" ولستُ ادعي اني كنت من اشهر واضعي ذلك الاتفاق بل اعترف ان الفضل في عقدهِ كان لارباب السياسة المتولين زمام الامور الخارجيةٌ يومئذٍ في باريس ولندن وربما جاز لي من غير ان اسس واجب الاكرام والاحترام ان اضيف اليهم مليكنا السامي النهى العظيم المواهب العقلية الذي نلت الفخر والامتياز بخدمتهِ السنيةْ (تصفيق) ولكن يسوغ لي ان اقول ان الجهد المتواصل الذي بذلهُ أُولو الشأن في مصر مدة اعوام طويلة لاجتناب كل ما يمكن اجتنابهُ من المنازعات ولفض كل الدعاوي والشكاوي الصغيرة التي نجمت عن احتلال بريطانيا العظمى لمصر — هذا كلهُ مهد طريق الاتفاق وسهل الامر على المتفاوضين فيهِ

(الغرض الاداري)

" واتكلم الآن عن الغرض الاداري الذي وضعتهُ نصب عيني فاقول اني سمعت في هذه الايام لغطاً ولغواً كثيرًا عن ان حكومة مصر حكومة مستبدة ظالمة. فلا يهمني ان اطيل في الرد على مثل هذا الكلام بالتطويل بل اقول اني افرغت جهدي مدة خدمتي كلها بمصر في بث روح الحرية في نظام حكومة اقتضت الضرورة ان تكون حكومة " بيروقراطية " ولكني لم ادخر وسعاً في الاطلاع على حقيقة الرأي العام سواء كان اوربياً او محلياً واعطائهِ حقهُ من الاعتبار والاهتمام وحسبي ان اترك لغيري الحكم في مقدار نجاحي من هذا القبيل

(الارتقاء الادبي والعقلي)

" ثم التفتُ الى امر آخر وهو اني اسمع قوماً يقولون ان مصر ارتقت ارتقاء مادياً عجيباً في الاعوام الاخيرة ولكن لم يعمل فيها شيء لترقية اهلها ادبياً وعقلياً . عجباً ايها السادة كيف يقال ان مصر لم ترتقِ ادبياً ؟ هل الحكم فيها اليوم للكرباج وحدهُ كما كان في الايام الغابرة؟ هل السخرة (العونة) باقية فيها ولم تطوِ الايام عليها ؟ هل لعنة الرق لا تزال حالَّة عليها ولم

تزل عنها ? اليس كل شخص فيها من الامير الى الصعلوك الحقير سواء امام القانون ? ألم ينشط الناس فيها الى السعي والكسب ? اليس اصغر الناس فيها يجنون اليوم ثمار سعيهم ويتمتعون بما يحصلونهُ بعرق جبينهم ? اليس من الحقائق المقررة ان العدالة لا تشرى وتباع اليوم وان كل انسان حرٌّ — بل ربما ظن قوم انهُ حرٌّ اكثر مما يجب ان يكون — في المجاهرة بآرائهِ والتعبير عما في ضميرهِ · وان سلطان " الكرباج " قد ثُلَّ عرشهُ وعزل عن مقاماتهِ العليا في الحكومة ولم يبقَ لهُ اثر الأَ في اخرباتها وضواحيها وان ماء النيل الذي يحيي الاراضي ويأتيها بالخصب يوزع على الامير الخطير والفلاح الفقير بالقسط والعدل · وان المرضى يمرَّضون ويعالجون الآن في مستشفيات مستكملة العدد ووسائط الراحة . وان المجرمين والمجانين لا يعاملون الآن معاملة الوحوش الضاربة حتى الحيوان الاعجم لم يفت الرفق بهِ عناية المصلحين وان اشتراك الحكام والمحكومين في المصالح اصبح امرًا مقررًا عند الفريقين قولاً وفعلاً · وان كل عمل تعملهُ الادارة وان كان خطاء — اذ العصمة لله وحدهُ — تكون آثار حسن القصد بادية عليهِ ورغبة الحكومة في خير الاهالي ظاهرة منهُ · وان الاموال التي تؤخذ من جيوب الذين يدفعون الضرائب والتي قلَّت كثيرًا عما كانت عليهِ تصرف الآن في الوجوه النافعة للبلاد بعد ما كان معظمها يصرف على بناء قصور لا منفعة لها ونحو ذلك من الامور التي لم تكن تهم السكان بوجهٍ من الوجوه · فان كانت هذه الامور كلها وكان غيرها مما يمكنني ان اذكر منهُ كثيرًا لا تعد ترقية ادبية فالحق يقال اني لا اعلم بعد ذلك ما المراد من قولهم آداب وادبيات (تصفيق طويل وهتاف شديد)

(تعليم البنات)

"ولكن يقول قوم ان عقول المصريين وآدابهم لم ترتقِ · فانكر هذا القول ايضًا انكارًا باتًا

"انظروا الى تعليم البنات فهل يظن عاقل انهُ يمكن لهذه البلاد ان تتشرب روح التمدن الحقيقي ما دام مقام المرأة غير متغير فيها ان كان احد يظن ذلك فاني اخالفهُ في ظنهِ كل المخالفة · ومع ذلك فانهُ منذ بضع سنين — والعهد غير بعيد — لم يكن احد يهتم بهذه المسألة غير صديقي سعادة يعقوب باشا ارتين وعزتلو قاسم بك امين وآخرين قليلين واما بقية الاهالي فلم يكونوا يبالون بذلك بل انهم كانوا ضدهُ فانظروا التغيير الذي حصل الآن لم يبقَ عند الحكومة المصرية مدارس تسع كل البنات اللواتي يرومن الدخول" لتعليمهن

(التعليم الابتدائي)

"وانظروا ايضًا الى التعليم الابتدائي فان النظام الذي كان متبعًا قبل الاحتلال البريطاني

لم يكن يصلح لشيء ثم تغير ذلك ايضاً تغيرًا عظيماً لان الكتاتيب تنشأ في كل جهة من جهات القطر بعناية كثيرين من اعيان المستنيرين · وقد ابتدأت حركة اخرى تستحق الذكر لتعليم الصنائع للاهلين

(التعليم العالي)

" اما تعليم العلوم العالية واعني بها الحقوق والطب والهندسة وما شاكل فالتقدم فيها كلها مستمرٌ مطرد منذ اعوام

" نعم انهُ لو تيسر للحكومة المال الوافر منذ عشرين سنة لكان قد تمَّ اكثر مما تمَّ الآن كثيرًا ولكن عقدة القضية المصرية ان المال الذي كان للحكومة سبيل اليهِ لم يكن وافرًا بل لم يكد يكون كافياً مدة اعوام كثيرة لسدّ حاجاتها الضرورية

" على اني لا انكر ان البلاد لا تزال مفتقرة الى تقدم كثير ادبياً وعقلياً وانا واثق ان المعارف ستتقدم وترتقي سريعاً على يد ناظر المعارف الحالي وجناب المستر دنلوب مستشارهِ

واشار الى ما ينتظر من الجناب الخديوي من اصلاح ديوان الاوقاف والمحاكم الشرعية وقال

" اخاف ان اكون قد اتعبتكم ايها السادة بطول الكلام ولكن كل ما قلتهُ كان عن الماضي فاذا تكرمتم عليَّ بالاصغاء فاني اقول شيئاً عن المستقبل

"ما هي حقائق الحالة المصرية الآن: اولاها في ان الاحتلال البريطاني يدوم الى ما شاء الله وقد قالت لنا حكومة جلالة الملك ذلك رسمياً . وثانيتها هي انهُ ما دام الاحتلال باقياً فالحكومة البريطانية تكون بالضرورة مسؤولة عن الخطة التي تجري عليها الادارة المصرية لا تفصيلاً بل اجمالاً · ولا يكن عند احد اقل ريب في هذه الحقيقة الثانية · والنتيجة التي استنتجها من هاتين المقدمتين هي ان نظام الحكومة الحالي دائم رغماً عمَّا يعتريهِ من العيوب والشواذ الكثيرة التي لا يعترف بها احد اكثر مني واظن انهُ ليس في الناس من هو اقدر على ضمان الدوام لهذا النظام من جناب السر الدن غورست خلفي المقتدر البارع

"بقي لي نصيحة اخرى احب ان اقولها قبل ان اجلس في مكاني وهي ان قولهم « الاتحاد قوة » لا يصدق على الذين هم في خدمة الحكومة فقط بل على جميع الذين يهمهم ادخال التمدن الحقيقي الى هذه البلاد . فالواجب عليهم ان يتحدوا معاً ولا اعني بذلك ان الانكليز والفرنسويين والالمان وسائر الاوربيين فقط يطرحون عنهم ما بينهم من المناظرة والمنافسة ويتحدون معاً في مصلحة واحدة بل ان جميع الذين يريدون ان تكون الحكومة حكومة عقل وان يكون تقدم البلاد مستمرًا دائماً يتحدون جميعهم معاً سواء كانوا مسلمين او مسيحيين

اوربيين او افريقيين او اسيويين ويقاومون القوات المجاهدة في سبيل التأخر والتقهقر حقيقة سواء كان جهادها عن جهل او عن عمد وقصد

"واشكركم ايها السادة في الختام على اصغائكم اليَّ بالصبر وطول الاناة هذه المدة التي قلت فيها كل ما اردت قوله ولا شك عندي ان الصعوبات لاتزال كثيرة في سبيل المصلح المصري وخصوصاً السر الدن غورست ولكن آخر كلمة اقولها له ولكم كلكم هي كلمة كان عبّاد الالهة ايزيس في هذه البلاد كثيرًا ما ينقشونها على قبورهم بلغة القوم الذين هم اصل التمدن الاوربي والذين استوطن اناس كثيرون من ذريتهم هذه البلاد لخيرها والذين اعد منهم اصدقاء كثيرين لي – واعني بها لغة اليونان — ومعنى تلك اللفظة اليونانية تشجعوا (تصفيق)

" فاودعكم ايها السادة وانا واثق ثقة تامة بمستقبل هذه البلاد التي كانت موطناً لي سنين هذا عددها والتي تأصلت جراثيم التمدن الحقيقي فيها على ما ارجو حتى صار يعسر استئصالها . اودعكم على الكره مني واستودعكم الله " (تصفيق طويل وهتاف شديد متكرر)

ولم يخرج لورد كرومر من هذا القطر حتى اهدى صورتهُ الى كثيرين من اصدقائهِ والذين يعلم انهم ساعدوهُ في ترقية البلاد وكتب الى بعضهم مكاتيب شكر فكتب الى احدنا محرر هذه المجلة يقول ارجو ان تقبل صورتي المرسلة اليك طي هذا كتذكار طفيف لعلاقاتنا السابقة ومعها شكري المخلص للمساعدة الكبيرة التي ساعدتَ بها مدة سنين كثيرة الارتقاء العقلي والادبي في هذه البلاد[1] وكتب بمثل ذلك الى احدنا محرر المقطم واهدى اليهِ كتاباً سياسيًا من مكتبتهِ . وورد عليهِ الوف من الرسائل البرقية والبريدية من جماعات مختلفة في هذا القطر تعرب كلها عن اسف مرسليها لان انحراف صحتهِ دعاهُ الى ترك هذه البلاد وعمَّا يشعرون بهِ من الشكر له على اعمالهِ العظيمة التي رقَّت القطر ادبيًا وماديًا

وكان لوداعهِ في المحطة احتفال عظيم جدًّا ولاستقبالهِ في مدينة لندن احتفال اعظم منهُ وقف فيهِ ولي عهد انكلترا واخو ملكها حاسري الراس ووزراء الحكومة الانكليزية وقواد جيوشها وكثيرون من ذوي المقامات العالية فيها ورحبت بهِ الجرائد والمجلات الانكليزية ترحيبًا يدلُّ على انها تعدهُ اعظم رجل قام في الامة الانكليزية . ولا غرابة في ذلك لان العقلاء ينظرون بعين العقل الى النتائج الحاضرة والمستقبلة ايضاً والفضل يعرفهُ ذووهُ

---

(1) I hope that you will accept the enclosed photograph of myself as a slight souvenir of our past relations, and with it the expression of my sincere thanks for the powerful assistance which you have rendered for so many years to the cause of intellectual enlightenment and moral development in this country.

تاريخ المكروب

(تابع ما قبله)

قال ارسطو اذا تحوَّلت الجوامد الى سوائل والسوائل الى جوامد تولد من هذا التحول حيوانات . وقال ڤرجيل ان النحل يتولد في احشاء العجل الفاسدة · وفي ايام لويس الرابع عشر لم يتجاوز العلم هذا الحد لان طبيباً شهيرًا ضليعاً في الكيمياء وهو ڤان هلمونت كان يقول ان الروائح التي تتصاعد من اعماق البرك تولّد الضفادع والحلازين والعلق والطحالب وما هو من نوعها واذا ضُغط قميص وسخ على فوهة وعاء يحتوي على حبوب حنطة تولدت فيهِ الفيران وعلَّل ذلك بان الخمير الحاصل من القميص الوسخ يتنوع برائحة الحب فيتحول الخمير الى فيران بعد واحد وعشرين يوماً واغرب من ذلك قوله انهُ شاهد ذلك عياناً وان الفيران تولّدت بالغةً ذكورًا واناثاً وتولّد جنساً بتناسلها · ومن غرائب اقوالهِ ايضاً اننا اذا ثقبنا ثقباً في قرميدةٍ ووضعنا فيهِ حبقاً مسحوقاً واطبقنا عليهِ قرميدةً اخرى وعرضناها الى الشمس فبعد بضعة ايام تفعل رائحة الحبق فعل الخمير وتحول النبات الى سراطين حقيقية

ثم قام طبيعي ايطالي اسمهُ ردّي · وبحث في هذه المسألة بحثاً ادق واظهر ان الديدان التي تتولد في الرم انما تتولّد من بزور او بيوض هوام تسطو على الرمة وتبيض فيها لاننا اذا لففنا الرمة بقماش قبل تعرضها للهواء بحيث يمتنع على الهوام وضع بزورها فيها فلا تظهر الديدان المذكورة · وبهذا ضعف حزب القائلين بالتولّد الذاتي وانحصر البحث فيهِ في نطاق ضيق الى ان ظهر المكروسكوب وظهرت بواسطتهِ الكائنات المتناهية في الصغر فعادت المسألة الى الظهور وعاد الجدل فيها الى الاحتدام فاعترف زعماء التولد الذاتي بغلطهم في اصل الفيران والديدان ولكنهم قالوا ان لا سبيل للانكار ان الكائنات المكروسكوبية هي من فعل التولد الذاتي اذ لا يعلل بغيرهِ عن وجودها وتكاثرها في اي مادة حيوانية ونباتية في حال الانحلال · وكان بوفون من زعماء هذا الرأي وكان مقامهُ في العلم دعامةً لهُ ثم دخل رجال الدين في البحث والجدل ومنهم من يثبت ومنهم من ينكر · ولا اتعرَّض هنا الى كل ما قيل بهذا الصدد واقتصر على البعض المهم من البحث العلمي الذي يوهم ظاهرهُ بصحة المبدإ وهو ان بوشه مدير معرض التاريخ الطبيعي في روان ومراسل اكادمية العلوم ارسل سنة ١٨٥٨ تقريرًا الى الاكادمية يقول فيهِ انهُ يثبت بالامتحان ان الكائنات المكرسكوبية تظهر الى الوجود بدون جراثيم وبدون

ان تتولَّد من كائنات مشابهة لها . وبالحقيقة لم يكن غير بوشه من زعماء التولد الذاتي جرى على خطة قانونية وبحث فيهِ بحثاً علمياً فمهد السبيل الى كشف الحقيقة . واهم امتحاناتهِ التي ابهر بها الاندية العلمية الامتحان الآتي وهو : ملأ اناء بالماء الغالي وسدهُ سداً هرمسياً بكل دقة واحتراس ثم غمس الاناء في حوض زئبق ولما برد الماء تماماً ازال سدة الاناء تحت الزئبق وادخل اليهِ نصف ليتر من غاز الاكسجين النقي وهو كما لا يخفى الجزء الحيوي والصحي في الهواء اللازم لحياة الكائنات المكروسكوبية كلزومهِ لحياة الحيوانات والنباتات الكبرى . فالواضح في هذا الحد من الامتحان ان ليس في الاناء سوى الماء النقي الطاهر وغاز الاكسجين ثم ادخل قبضة من الشوفان موضوعة في اناء مسدود سدًّا هرمسياً بعد ان امرَّهُ على فرن محمي مدة طويلة الى اعلى من ١٠٠ درجة وبعد ثمانية ايام ظهر في نقيع الشوفان مادة عفنية . فكان لهذا الامتحان صدًى في الاندية العلمية وفوز باهر لبوشه لان الطبقة العفنية التي تكونت ليست من الاكسجين لان بوشه حضرهُ تحضيراً كيماوياً على حرارة بدرجة الحمرة . والماء قد وضع بحالة الغليان فهو اذاً خالٍ من كل جرثومة حيويَّة . والشوفان قد احترقت فيهِ ايضاً كل جرثومة حيوة عقيب امرارهِ على درجة حرارة فوق المائة . ولكي يزيل كل ريبةٍ من هذا القبيل اعاد الامتحان وجعل حرارة الفرن ٢٠٠ و ٣٠٠ درجة حتى الى اية درجة كانت وكانت النتيجة واحدة . فحق لهُ ان يزعم انهُ الخم خصومهُ وافسد اعتقادهم بوجود جراثيم حية في الهواء تنتقل بهِ الى ابعاد كثرت او قلت لان الكائنات الحية في امتحانهِ المذكور تولدت بوجود هواء صناعي قام مقام الهواء الجوي

فاتى باستور على الاثر وافسد القول والعمل بامتحاناتهِ الباهرة وابان للندوة العلمية ان امتحان بوشه حسن ومعقول ولكن فاتهُ ان يطهر الزئبق لانهُ يحتوي على الجراثيم المطلوب بيانها . وهنا ينفسح المجال كثيراً لبيان الامتحانات الكثيرة التي اجراها الفريقان وكان الفوز فيها اخيراً لباستور . ولا ارى لزوماً لتعدادها لان نتيجتها صارت اليوم من المبادىء الاولية الراسخة في اذهان الاطباء والعلماء ولا يجهلها التلامذة وهم على بداءة من العلم بل اصبحت من المعارف الشائعة عند العامة فاجوز الى بحث آخر كان لهُ شأن عظيم في عالم الطب وفضل كثير على الانسانية وفيهِ تتمة البحث المتقدم ذكرهُ اعني بذلك تخفيف السموم المرضية والتلقيح

قال احد المعاصرين " ان من يستطيع ان يتحقق طبيعة التخمير والاختمار سيستطيع دون سواهُ ان يعلل تعليلاً صحيحاً عن الظواهر المرضية المختلفة كما في الحميات والعلل المتنوعة . وتلك الظواهر لا يمكن فهمها الفهم الواجب الاَّ بعد معرفة فلسفة الاختمار معرفة صحيحة وراهنة "

وكان باستور اذ ذاك منصرفاً الى درس الاختمار وصارت اكتشافاتهُ فيهِ النور المرشد لحل المعضلات ولتذليل العقبات الحائلة دون كشف الستار عن سر الكائنات المكروسكوبيَّة.
ولا يخفى ان المذهب الالماني او مذهب ليبغ كان الى ذاك الوقت هو المعول عليهِ في التعليل عن ظواهر الحياة في الاختمار اي ان الاختمار يحصل من تعريض ايَّة مادة عضوية وازوتية والبومينية وفيبرينية وجبنية الى المواء وان الخمير الحي ليس الاَّ مادة كيماوية في حال الفساد.
اما باستور فقد تحقق وجود رابطة في الاختمار بين الفعل الكيماوي والكائنات المكروسكوبيَّة ورأي ليبغ لا يقوم بتفسير هذه الرابطة فاصبح الخمير الحي شغلهُ الشاغل وهو المسألة الرئيسية والعلة الكبرى في الاختمار واصبحت معرفة اصل الكائنات المكروسكوبية فيهِ قضية لا مناص لهُ منها بل رسخ في ذهنهِ انهُ لا يقدر ان يخطو خطوة الى الامام قبل حل هذه المسألة

فهذه كانت توطئة البحث لباستور في موضوع التولد الذاتي الذي شغل افكار علماء ذاك الوقت وقد نهاهُ كثيرون من اصحابهِ عن الولوج في هذا البحث لما فيهِ من وعورة المسلك ولاعتقادهم باستحالة الوصول الى كشف الستار عن غامضهِ. على انهُ لم يكن ليقف عند عقبة علمية او ليحجم عن كشف حقيقة غامضة لا سيما وان مباحثهُ في الاختمار يتوقف فصل الخطاب فيها على كشف الستار عن الكائنات الحية المتناهية في الصغر وهي الى ذاك الحين لا اصل حيوي لها ولا جرثومة حياة سابقة. وكان قد انبلج لهُ صبح المسألة فاندفع الى الجدل فيها وكان اصحاب التولد الذاتي هم اصحاب المكانة في العلم ولا نصير لهُ اذ ذاك سوى جوهر عقلهِ الساطع وسلسلة افكارهِ المرتبطة الحلقات فلاقى من المعارضة والمقاومة ما يضعف هم الابطال ويثبطها ولكنهُ بطل العلم الذي لا يُغلب وفارس المجال الذي لا يجارى

والتعاليم الطبية ولا سيما ما يختص منها بالامراض السارية كانت تضطر دائماً الى احتمال صدمات الاراء المتنوعة في الاختمار ولما شرع باستور بامتحاناتهِ الاولية سنة ١٨٥٦ كان راي ليبغ شائعاً وسائداً في كل مكان وكان رأيهم في السموم والمصادر المرضية كرأيهم في الاختمار اي انها حركات خاصة في المواد الآخذة بالانحلال تنقل العدوى بانتقالها الى الاجسام المستعدة لها. ولكن ابحاث باستور في افعال الكائنات المكروسكوبية بالاختمار صرفت هذه الاراء عن مجاريها فعاد اصحابها من ثمَّ الى التعليم الطبي القديم القائل بالحلميات التي تنتقل من جسم الى آخر بواسطة كائنات اخرى ذات حياة

وفي سنة ١٨٦٤ قرر الاستاذ تروب الالماني في احدى خطبهِ التعليمية ان الاختمار النشادوي في البول لا يحدث من فعل المخاط بهِ ولا من زيادتهِ عن الحد الطبيعي ولا من

طول مدة بقائهِ في المثانة بل يحصل من ملامستهِ للهواء بعد خروجهِ منها. وكان هذا رأي ليبغ واتباعهِ . وكان باستور اوضح في احد تقاريرهِ عن التولد الذاتي منذ سنة ١٨٦٢ ان في كل اختمار نشادري في البول يتولد فطر مكرسكوبي وهذا مخالف لرأي ليبغ وتروب. وقد ثبت رأي باستور لانهُ تحقق بعدئذٍ انهُ لا يمكن ان يكون بول نشادري في كل علل المثانة ان لم يكن هذا الفطر موجوداً وبهِ عُرف سبب مرض من اهم امراض المثانة. وعليهِ رأى باستور ان يؤيد هذه الحقيقة بطرق العلاج فيبين العلاقة بين الفعل الدوائي والعلم الصحيح فاخذ يدرس خواص الحامض البوريك فعرف خاصتهُ المضادة للفساد ومقاومتهُ لانتشار الخمير النشادري فاشار على الدكتور غويون وهو استاذ الامراض البولية في مدرسة باريس بان يعالج الاختمار النشادري الشديد الخطر بحقن المثانة بمحلول من الحامض البوريك وكانت النتيجة نجاحاً باهراً

فنرى هنا كيف اتخذت المسأله وجهاً جديداً واستطرقت الى الجراحة وهي القسم المهم من الطب الذي خطا بفضل هذه الاكتشافات الخطوة الكبرى وسبق قسم الطب الباطني لقبول الآراء الجديدة فنشط علماؤهُ من عقال التقليد واندفعوا الى العمل بنشاط لانشاط بعدهُ وبهمةٍ لا تبارى فاوصلوهُ الى أوجهِ وسبقوا زملاءهم الاطباء الى الاعتراف بفضل المجتهد فكوفئوا بنجاح اعمالهم وتوصلوا الى مباشرة اعمال لم تكن تخطر لهم على بال فاصبحت عملية فتح البطن عندهم من العمليات الناجحة وعملية الفتق من العمليات الناجحة التي لا يعتد بها كثيراً وجراحة الدماغ ميسورة وممكنة

فالبحث في الاختمار والتولد الذاتي كان مهدهُ في فرنسا والمانيا وانما الفوز بهِ كان لفرنسا بفضل باستور رجلها الممتاز وكانت المانيا قد بدأت تعترف لهُ بالسبق والفضل ولم تكن انكلترا قليلة النهضة وقتئذٍ اذ كان فيها وفي مدرستها الممتازة في ادنبرج استاذ فاضل وهو ليستر المشهور الذي اشتهر بطريقتهِ المعروفة باسمهِ وقد بدأ بها سنة ٦٤ فكان يملأ جو غرفة العمليات ببخار الحامض الفينيك ويلقي رذاذاً منهُ على مكان العملية وآلات الجراحة وايادي المساعدين وقد كتب الى باستور كتاباً يدل على لطفهِ ونزاهتهِ قال . لا ارتاب بانك تنظر بعين الاهمية الى ما كتبتهُ عن المادة الآلية التي درستها انت اولاً في درسك الاختمار اللبني واني اجهل اذا كنت اطلعت على المجلات الجراحية البريطانية فاذا كنت اطلعت عليها فلا بد من ان تكون عثرت من وقت الى آخر على الطريقة المضادة للفساد التي اتبعها منذ تسع سنوات واجتهد ان اوصلها الى درجة الكمال فاسمح لي ان اغتنم هذه الفرصة واقدم لك

تشكراتي القلبية لانك اوضحت لي بابحاثك الباهرة حقيقة المعرفة بجراثيم التعفن وارشدتني الى المبدإ الوحيد الذي يوصل طريقة التطهير الى الغاية السديدة

فهذه الحركة في افكار العلماء زادت باستور همة وحققت آماله البعيدة الراسخة في ذهنهِ فقال انهُ يستطيع ان يعد بابحاثهِ الى ان يهيئ الطريق لدرس اصل الامراض درساً عميقاً . وكان كلما تقدم باكتشاف الخمير الحي زاد املاً بمعرفة اسباب الامراض المعدية وبالحقيقة قد نفث باستور من فيهِ منذ سنة ٦٠ روح حيوة الطب الحاضرة

ومع ذلك فقد كان يتردد في ولوج هذه الطريق الوعرة لانهُ ليس طبيباً ولا بيطرياً ولكن نفسهُ الكبيرة لا تسمح لهُ ان يقف وقوف المتفرج على الاعمال التي كانت تقودهُ اليها دروسهُ في الاختمار والتولُّد الذاتي وآفات الخمر والبيرا وكانت دوافع عظيمة تدفعهُ الى التقدُّم وهي الآمال المتعلقة على طرق ابحاثهِ والثناء الوافر الذي كان يتوارد عليهِ من كل صوب فقد كتب اليهِ تندل الفيلسوف الانكليزي الشهير سنة ٧٦ يقول " لما اطلعت على اكتشافاتك في الكائنات النقيعية امتلأ ذهني من اعمالك التي ولدت فيَّ اعجاباً بك وبها منذ اول اطلاعي عليها وقد اتخذت على نفسي تتبع هذه الاكتشافات حتى يزول عندي كل ريب ارتابهُ بها القوم لان نتائجها صحيحة لا تعارض ولا تقاوم . ففي بدء تاريخ العلم كنا نتأمل املاً كبيراً بأنهُ يتسنَّى للطب ان يتخلص من وعورة التجارب في الامراض الوبائية وان يبني مبانيهُ على اسس علميَّة راهنة . فاذا اتى هذا اليوم العظيم فالانسانية على ما اعتقد ستكون مديونة لك بهذا الفضل الذي يتسنى لها على يدك دون سواك "

وهنا بدأ باستور يدرس السموم المرضية وقصد ان يكتشف سر مرض الشربون (البثرة الخبيثة) الذي كان يفتك بمواشي فرنسا واسبانيا وروسيا وهنكاريا والبرازيل وتألفت لجنة طبيَّة في مقاطعة اورولوار وامتحنت امتحانات عديدة تحققت بها ان شربون الخروف ينتقل بالتلقيح الى خروف مثلهِ ومنهُ الى الحصان والعجل والارنب وبالعكس وان من يصاب بالبثرة غالباً هم الرعاة والحلابون والفلاحون وتجار الجلود والدباغون وغزالو الصوف والجزارون والذين يعيشون من حاصلات المواشي . وانهُ يكفي للعدوى وقوع الفيروس (المادة المعدية اوالسامة) على اقل صحج في الجلد او لسع الهوام جلداً صحيحاً . وهذا صحيح كلهُ وانما لم يصلوا بعد الى العلم الصحيح والمعرفة الصحيحة باصل العدوى حتى اشاع داير ودافين انهما وجدا في دم الخروف اجساماً صغيرة خويطية اطول قليلاً من الكريات الدموية ولا حركة ذاتية لها

فهذا بدؤ المعرفة بالجسيمات الحلمية في مرض الشربون والغريب ان هذا الاكتشاف

المهم لم تتوجه اليهِ افكار العلماء وداير ودافين لم يهتما بهِ الاهتمام الواجب وبقي منسيًّا ثلاث عشرة سنة وربما دام اكثر من ذلك لولا ان الراي بالحلميات في الامراض السارية ثار ثائره في كل نشرة او في كل قول من نشرات او اقوال باستور . فمن سنة ١٨٥٧ — ٦٠ اظهر باستور ان الاختمار اللبني هو كالاختمار الكحولي يتولد من خمير حي وسنة ١٨٦١ اكتشف ان عامل الاختمار اللبني مكوَّن من خيوط صغيرة متحركة حجمها كحجم الخيوط التي اكتشفها دافين ودابر في دم الحيوان المصاب بالشربون وسنة ٦٢ ابان انهُ لا يكون بول نشادري بدون وجود كائن مكروسكوبي وسنة ٦٣ اثبت ان اجسام الحيوانات الصحيحة لا تقبل جراثيم العضويات المكروسكوبيَّة وان الدم اذا اخذ باحتراس من الاوردة او الشرايين والبول اذا اخذ من المثانة وعُرض على هواء طاهر لا يطرأ عليهما فساد ولا يظهر فيهما كائنات خويطية من اي نوع كان متحركة كانت او غير متحركة . فهذه القضايا حركت ساكن دافين ودفعتهُ الى زيادة البحث لتحقيق ماسبق فعرفهُ قبلاً

وانخرط في هذا البحث جلَّة من العلماء الذين عرفوا مكروب الشربون في دم الحيوان المصاب ولكنهم لم يعرفوا سر العدوى لانهم كانوا يلقحون حيوانًا سليمًا بدم حيوان مصاب فاثبت باستور ان العدوى انما هي في تلك الخويطات التي اكتشفها دافين ودرس كوخ حياتها وشرح تنوعاتها فانجلى هنا السر واصبحت المعرفة بالمكروب حقيقة راهنة وحان الاوان لدرس طبائعهِ كدرس طبائع الحيوانات الكبرى فشرعوا بفصلهِ من الوسط الذي هو فيهِ وباستنباتهِ اي بتوليدهِ في وسط صناعي ولقحوا من مستنبتهِ الحيوانات السليمة وحصلت الغاية التي كان باستور يسعى وراءها والفائدة التي كان العالم يتوخاها من هذا الاكتشاف المهم

لا بلية على الانسان اعظم من بلية الامراض الوافدة كالقرمزية والحصبة والجدري والنزلة الوافدة والطاعون والهواء الاصفر التي يكفي بمجرد ذكرها ان تهلع القلوب وتنكسر النفوس وبها يتبدَّد شمل الجماعة وينحل نظام العائلة ويشبهها الداء الزهري والسل والكلب ولبعضها اطوار غريبة فانها موسمية اي لا تنتكس ولا تصيب الانسان في الغالب الاَّ مرة واحدة في العمر فهذه الخاصة الغريبة تؤدي بالباحث الى ان يرمي بمطلبهِ الى غاية بعيدة وهي امكان اكتشاف حالة مرضية اذا ادخلت الى الدم السليم وقت من الاصابة بها لانهُ كما ان التلقيح بالجدري يقي منها فقياس التمثيل يقتضي ان يكون للامراض التي من هذا النوع مطعوم يقي منها ايضاً واذا نظرنا الى الفائدة التي حصلت من اكتشاف جنر جزمنا بصحة المبدإ قبل الوصول اليهِ . على ان جنر لما اكتشف ان التلقيح بالجدري البقري يقي من الاصابة بالجدري

الحقيقي اعتقد انهُ يجب ان تلقح الى المطعوم البقري في كل تلقيح ولكن ظهر بالاختبار ان التلقيح جائز ونافع من زند الى زند فهذا هو اذًا الفيروس المخفف وهذا ما حدا بباستور الى تخفيف الفيروسات فبدأ بتخفيف فيروس كوليرا الدجاج ولكن ظهر لهُ ان السم يبقى قتالاً مهما تخفف اي لو خفف الفيروس عشر مرات او مئة مرة او الف مرة فانهُ يبقى قتالاً ثم عرف بعد اعمال الروية ان الفيروس يخف فعلهُ ويصير صالحاً للتلقيح بعد مرور ٢٤ ساعة على استنباته اي يجب ان يكون بين الاستنبات الاول والثاني ٢٤ ساعة وبين الثاني والثالث ٢٤ ساعة وهكذا الى ان يحصل من الاستنبات الاخير فيروس غير قتال٠ واكمل الامتحان بان حقن ٢٠ دجاجة بمستنبت قريب المهد فماتت كلها ثم حقن غيرها بمستنبت مرَّ عليهِ ثلاثة اشهر فلم يمت منها واحدة بل ظهرت عليها علامات مرضيَّة كالحمى والكرب وضعف القابلية شفيت منها بعد ثمانية ايام . وهذه الظاهرة الغريبة ظهر ايضاً اغرب منها وهي ان الدجاجات الملقحة لُقحت بعد شفائها باللقاح القوي فمرضت ثم شفيت ولم يمت منها واحدة اي انها أُصيبت بالمرض الوبائي بكل اعراضهِ من غير ان تموت وهذه هي المناعة بعينها

فالمهم في هذا الاكتشاف هو امكان استنبات المكروب وتوليدهِ في المعامل البكتريولوجية على درجات متنوعة من السمية وعلى ارادة المعلم البكتريولوجي بحيث يولد ويخلق ما يشاء من تنوعاتهِ ٠وهو بمشابهة فعلهِ لفعل لقاح الجدري وبنسبة فعلهِ وهو مخفف الى فعلهِ وهو قتال يحسب لقاحاً ٠ الاَّ ان الفرق بين لقاح الجدري ولقاح الفيروس المخفف هو ان الاول لم يقتضِ من العالم الانكليزي سوى حسن المراقبة واقتضى من العالم الفرنسوي اعمالاً جزيلة واتعاباً شاقة ودروساً عميقة وطويلة ٠ والتلقيح بالفيروس المخفف يقي من التلقيح بفيروس اقوى منهُ وهذا من اقوى منهُ ايضاً وهكذا الى ان تحصل المناعة وتقي من الاصابة بالمرض نفسهِ

وعلى هذه الخطة جرى العمل بتخفيف فيروس الشربون وكان قد ظهر فضل باستور فاعطتهُ الندوة العلمية ومعاونيهِ شامبرلان وروكس ستين خروفاً للامتحان وكانت النتيجة ثبوت الحقيقة فعم تلقيح المواشي في فرانسا ثم في اوربا فسلمت من غائلة الوباء الذي كاد يفنيها ويقضي على ثروة الكثيرين من اصحابها

لا بد لكل اكتشاف جديد من ان يحدث تغييرًا في الآراء العامة فيقبلهُ البعض بسهولة ومسرة ويرفضهُ البعض عنادًا ومكابرةً لانهُ ينبذ آراءهم ويسفه اقوالهم ويضيع آمالهم بالنجاح في مسئلة كانوا يبحثون فيها فانحلت على يد غيرهم وعلى طريقة مخالفة لطريقتهم

وبنتيجة غير النتيجة التي كانوا ينتظرونها· فالصدمة الاولى التي وقفت في وجه هذا الاكتشاف نشأت في المانيا · وفي سنة ٨١ تألفت جمعية طبية دولية في لوندرا بسط فيها باستور اكتشافهُ هذا ونسب اهتداءهُ اليهِ الى سابق فضل جنّر واثنى عليهِ افضل ثناء ولكن الانكليز امة تحب الحقيقة فشكرت لباستور ثناءهُ على فيلوسفهم ولكنها اعترفت لهُ بالافضلية واطنبت بمديحهِ وعرفت بهِ رجل العلم والبحث الذي لا يبارى· فخرج من الجمعية باهر الفضل بعيد الصيت حاملاً اكاليل المجد لهُ ولدولتهِ· وكان كوخ حاضراً في الجمعية فقال لطبيب فرنساوي ان هذا حسن جداً لو كان صحيحاً ولما عاد هو ومعاونوهُ غافكي ولوفلر الى برلين نشروا رسالة تقدح بهذا الاكتشاف وتحاول الاقناع بعدم امكان استعمالهِ في المواشي . اما باستور فاجاب اني لا ادحض اقوال علماء الالمان الاّ في برلين وكانت تتوارد عليهِ الرسائل تباعاً من المانيا فارسل بعض تلامذتهِ اليها حيث اخذوا بلقحون المواشي بنجاح لا يقبل الاعتراض ولا يسمح بالاغضاء عن الاعتراف بفضل المكتشف · ولما رأت الحكومة الالمانية ان هذا الاكتشاف الفرنساوي قد اثار في عالم العلم ثورة لم يسبق لها مثال الّفت لجنة من علمائها للنظر فيهِ فالتأمت وكان من جملة اعضائها فيرخو الشهير فاسفرت ابحاثها عن صحة مذهب باستور وفائدة اكتشافهِ وبقي باستور ينتظر فرصةً لافحام كوخ فتسنت لهُ سنة ٨٢ في الجمعية التي التأمت في جنوى وبعد ان بهر العلماء باقوالهِ وامتحاناتهِ دعا كوخ للجدل في حضرة لجنة تحكم بينهما فصفقت الجمعية وطلب كوخ فرصة ثلاثة اشهر ولما انقضت نشر كوخ رسالة كان لها من الجدوى والفائدة ما لا مزيد عليهِ لانهُ وهو الخصم الالد والمقاوم الاكبر منذ سنة اصبح الآن في طليعة علماء هذا الفن ومن اكبر انصار باستور ومن افضل تابعي طريقتهِ وكفى برهاناً لذلك اكتشافهُ التوبركلين المعروف باسمهِ وهو فيروس السل المخفف الذي وان لم يأخذ المحل المعين لهُ في الشفاء فهو يحسب من اعظم الاكتشافات البكتريولوجية

لم يبقَ اليوم من العلماء من يفكر في هذه المشاحنات التي قضت على باستور بالعمل اربعين سنة لانها ذهبت مع زمانها وسقطت الاعتراضات بسقوط اوقاتها وانتشرت مآثر باستور في كل صقع ومكان واستفاد منها الطب والصناعة والزراعة · وقد قال هكسلي الفيلسوف الانكليزي الواسع الشهرة ان اكتشافات باستور تكفي فرنسا تعويضاً عن غرامة الحرب التي اخذتها منها المانيا · فابحاثهُ في الامراض الوبائية فتحت للطب آمالاً واسعة للوقاية منها ومع ذلك فكل اعمالهِ العظيمة بل العجيبة كان يعدها بداءة عمل بسيط وكان يقول دائماً سترون في المستقبل كم يكون لهذا العمل من جليل الاثر ويا حبذا لو يكون لي وقت لاكمل ما بدأت بهِ· فتحققت

نبوته وتخلصت الانسانية بفضله من شر الكلب ولم تغادر نفسهُ الشريفة هذه الحياة حتى فتحت للعلماء الابواب المغلقة وسهلت لهم سبل العمل فرأى كوخ واعوانهُ يكتشفون المكروبات ويخففون الفيروسات وتلامذتهُ يكتشفون مصل الدفثيريا والحمرة والتيفويد والطاعون والتتنوس ورآهم يواصلون السير لايصال خطتهِ الى اوجها الاعلى حقق الله آمالنا بهم ونفع الانسانية بفضلهم واعمالهم

الدكتور امين ابو خاطر

اصلاح غلط ورد في صفحة ٣٥٠ من العدد الماضي سطر ٨ كلمة الباثولوجي وصوابها الباثوجني اي علم اصل الامراض

حقوق الامم

(٥) المهاجرة

وجدت المهاجرة مع الانسان فنمت بنموّهِ وتكيّفت بتكيف احوالهِ

وهي نتيجة اسباب عديدة . فقد تدفع احوال البلاد الطبيعيَّة (من حيث كونها جبلية قاحلة او غيلية رديئة الهواء والتربة) بسكانها الى مهاجرتها وطلب ربوع أخرى . وقد يدفع الظلم السياسي او الديني الناس الى ترك بلادهم والالتجاء الى بلادٍ أخرى — وقد يكون السبب تطلب الغنى والثروة في بلادٍ غير البلاد المهجورة

فالمهاجرة على كل الاحوال امر طبيعي لهُ مساس بالبلاد المهجورة وبالبلاد المهاجر اليها قد ينفع الأولى ويضرُّ بالثانية او يضرُّ الأولى وينفع الثانية . ولهذا وضعت الحكومات نظامات وقيوداً تسير عليها متبعة في ذلك مصلحة البلاد مادياً وادبياً

على ان من المبادىء المقرَّرة الآن في العالم المتمدن كلهِ ان المهاجرة حقٌّ من حقوق الفرد الانساني لا يصح ان يحرم منهُ او يعارض فيهِ لانهُ نتيجة المبدإِ القائل بحرّية الانسان الشخصيَّة

ولم يكن الامر كذلك في كل الممالك وفي كل الازمنة فروسيا لا تعترف الى يومنا هذا لسكانها بحق المهاجرة بل تمنعهم منهُ وتعاقب المهاجر بحرمانهِ من جنسيتهِ ورفع حمايتها عنهُ . والدولة العثمانية لا تنظر بعين الرضا الى المهاجرين من ابنائها ولكنها تتبع مبدأ حرّية المهاجرة رسمياً

وان مسألة المسائل عند الحكومات القائلات بحق المهاجرة على الاطلاق هي وضع حدّ لحقوق المهاجرين الذين يزاحمون عملة البلاد المهاجَر اليها برضاهم باجور بخسة مع المحافظة على مبدإ حرّية المهاجرة . وهذه المسألة اساس الاختلاف بين الولايات المتحدة الاميركانية وبين اليابان الآن واهمّ مسائل الترنسفال الاجتماعيَّة

* * *

يراد بالمهاجر بالمعنى الحقوقي الدولي الرجل الذي يترك وطنهُ على ان يستوطن البلد الذي هاجر اليهِ ولا يرجع الى وطنهِ الاصلي . فلا يعدُّ مهاجرًا من يذهب قصد التجارة والاثراء الى احدى البلدان ثم يقفل راجعاً الى بلادهِ كما انهُ لا يشترط بمن يستوطن البلاد الجديدة ان يتجنس بجنسيتها

متى علم ذلك صحَّ لنا ان نسأل : ترى هل من الواجب على البلاد المهاجر اليها ان تمنح المهاجرين كل الحقوق التي يتمتع بها رعاياها وان تفرض عليهم كل ما تفرضهُ على رعاياها وهل يجوز لبلادٍ ما ان ترفض قبول المهاجرين او هل يجوز لها ان تمنع رعاياها من المهاجرة

ان للحكومة حق المحافظة على كيانها وحق استعمال كل الطرق المؤدية الى سعادتها ورفاهيتها . فيجوز لها بناء على ذلك ان تمنع المهاجرة الى بلادها لا منعاً باتًّا فانها ان فعلت ذلك عدَّ عملها عدائيًّا للدولة التي ينتمي اليها المهاجرون . ولكن لها ان تشترط على من يقصد المهاجرة بعض الشروط المالية او الادبيَّة او الصحيَّة فلا تسمح بالدخول الى مدنها لغير من تمَّت بهِ تلك الشروط

وللمهاجرين كل الحقوق المدنية التي يتمتع بها اهل البلاد الاصليين وعليهم ما على هؤلاء من الواجبات الاَّ الحقوق السياسية كحقوق الانتخاب والتوظف وما شاكل فانها لا تعطى للمهاجر الاَّ اذا تجنس بجنسيَّة البلاد

وكما انهُ ليس للحكومة ان تمنع المهاجرين من ابناء الدول الاخرى دخول بلادها منعاً قطعيًّا كذلك لا يجوز لها ان تمنع رعاياها من المهاجرة الاَّ اذا سارت في سبل الظلم والاستبداد . ولكن لا بأس اذا ضيَّقت على ابنائها في المهاجرة اذا رأت بذلك ضررًا عليهم وعليها ويجب ان يكون هذا التضييق قانونيًّا مشروطًا معروفًا عند كل السكان حتى لو شاؤُوا اتبعوهُ والاَّ هاجروا طبقاً لنصوصهِ

ومهما قيل في مبدإ حرية المهاجرة فانهُ من الظاهر الآن للعالم اجمع ان الدول التي تبيحهُ وتتوسع في اعطاء المهاجرين كل الحقوق التي يتمتع بها سكانها هي اكثر الدول تمدنًا

وارقاها علماً وصناعة وتجارة كأنها تعلم مقدرتها وترى نفسها بمأمنٍ من مزاحمة المزاحمين او انها تنظر الى المهاجرين نظرها الى ابنائها الاصليين فيزدادون غيرة على مصالحها ويصبحون مع الزمن من اشدّ رعاياها نفعاً واكثرهم اخلاصاً . ويكون مثل الحكومة في هذا الامر مثل التاجر يأتي دائماً بالجديد النافع في ما يجلب من متاعٍ وبضاعةٍ وهي سياسة حكيمة مبنيَّة على قاعدة بيولوجية معروفة وهي ان الشعوب المختلطة ارقى من سواها التي ظلت محافظة على دمها فلم يمتزج بدم آخر . فان الشعوب مثل جسم الانسان يطرأ عليها ما يحتاج معهُ الى تبديل الهواء اوتنقية الدم ولا تتأتى هذه الامور بغير المخالطة مع الشعوب الأُخرى وامتزاج الدم بواسطة الزواج

وعندي ان هذا الميل الى المهاجرة الذي نراهُ في معظم سكان المعمور من نتائج مبدإ بقاء الاصلح فمهما شددت امةٌ في المحافظة على كيانها باتباعها قاعدة العزلة والابتعاد عن بقية الامم فليست آمنة شرّ التقهقر والانقراض اذا قضى بذلك نظام سير التمدن . كما انها تصل الى مثل هذه النتيجة اذا خالطت غيرها وامتزجت بمدنية سواها وسار هذا النظام سيرهُ بتغلب الاقوى الاصلح على الضعيف غير الصالح

فاذا كانت النتيجة واحدة في الحالتين — حالة العزلة والانفراد وحالة الامتزاج والمخالطة — وهي ان المدنية المناسبة هي التي تسود فما احرى الامم ان يفكوا قيود التقليد والجهل ويزيلوا الاعتقاد بوجود اختلاف بين شعب وآخر فيسهلوا سبل الارتقاء على كل الشعوب ويزيلوا الحدود الفاصلة بين الشعوب — الحدود المادية والحدود الادبيَّة — الحدود التي يضعونها في الخرائط ويجيشون الجيوش لوقايتها وحدود التعصب الديني والتعصب الجنسي التي يبثونها في عقول التلامذة في الكتب والمدارس

ومن راقب سير الحوادث في العالم يرى ان الميل الى ازالة حواجز الجنسيَّة وما شابهها من بين الشعوب اخذ في التقدم والنموّ بين الامم المتمدنة ولهُ من الزعماء امثال جوريس وهرفه الفرنساويين وبابل الالماني

وليس مشروع اللورد كرومر في الجنسيَّة المصريَّة الأمظهراً من مظاهر هذه الفكرة السامية

سامي الجريديني

محامٍ

المحاضرة الشعرية

المحاضرة في اللغة مصدر من حاضر الجواب اي جاء بهِ حاضرًا · وهي فن حديث عرف في صدر الاسلام او ما يقرب من هذا العهد · على ان ما كان شائعًا في عصر الجاهلية والمخضرمين من تناشد الاشعار يعدُّ من قبيل المحاضرة ايضًا لانهم كانوا يرتجلون ويجيزون ويماتنون كما كان يفعل من بعدهم · ثم لما جاء المسلمون هبت ريحها فيما بينهم وراجت سوقها في عصرهم حتى بلغ من تنافسهم في الشعر انهم جعلوهُ ذريعة لتناول حاجاتهم والاعراب عن افكارهم على تباين منازعها فلم يكن للنثر عندهم الاَّ مقام ثانوي لا يلجأ اليهِ الاَّ من كان عييًا حصر اللسان في مذهب بعضهم · فهذا التمرُّس مضافًا الى ما نشأ فيهم من سليقة الشعر بوأهم المنزلة العليا في البديهة والارتجال حتى صارت تضرب بهم الامثال وصرنا نحسب ما اتصل الينا من هذا القبيل محالاً في محال لما نرى بيننا وبينهم من تباين النسبة وبعد المجال · على ان في المتأخرين من لا يتقاصر ذكاؤهم وصفاء ذهنهم عن المتقدمين فهم يجارونهم اذا ارادوا ويجيدون في ما اجادوا · وانما السر في تقاصرهم انهم انصرفوا عن الشعر الى التوسع في المدنية والتبسط في اسباب الحضارة والتنافس في مرافق الحياة فضعفت فيهم ملكة الشعر وركدت ريح القريض واصبح الشاعر لا يجيش في صدرهِ الشعر الاَّ للتسلية او الفكاهة في اوقات الفراغ · اما المتقدمون فقد كان الشعر موضوع حديثهم وسمرهم والغاية التي يرمون اليها في حلهم وسفرهم · يرتزقون من اسبابهِ ويستنزلون ري الصلات من فواصلهِ ويرفعون قبابهم بضرب اوتادهِ · وكانوا يزاولونهُ في الدعاء الى الله واستغفارهِ وفي الفخر والانتساب والمديح والهجاء والهناء والرثاء وجميع الفنون الشعرية المنقولة عنهم. وعلى الجملة فقد كان الشعر تاريخًا لهم تقرأ فيهِ عاداتهم واخلاقهم ومواقعهم وكل ما لهُ علاقة بهم · فهذا كلهُ مع ما علمت من زهد المتأخرين افضى الى بعد النسبة بين الفريقين واستحالة التشابه بينهما في العصرين · بل ادَّى الى استغراب بعض المتأخرين مما انتهى اليهم من اخبار المتقدمين في هذا الصدد حتى صاروا يحسبون ما ينسب الى شعراء الجاهلية والذين بعدهم من البديهة وسرعة الخاطر نوعًا من الخرافات في حين انهُ حقيقي لا ريب فيهِ ولا غبار عليهِ من الاشكال كما يتضح لمن استقصى اخبارهم وطالع اسفارهم · والحق ان لا موضع للغرابة من هذا القبيل لما هو معروف عن توحد اللغة في عصرهم بمعنى انها كانت معربة فصيحة اما اليوم فهي معربة وعامية فاذا اراد شاعر نظم بيت مثلاً اضطر الى اجهاد الذهن والتلقف من هنا وهناك حتى تأتي اللفظة فصيحة وعبارتهُ

معربة غير عامية اما هم فلم يكونوا يضطرون الى شيء من هذا بل كانوا ينظمون كما يتكلمون على نحو ما يفعل شعراء الزجل في ايامنا هذه فانهم يرتجلون من المعاني ما يكاد يفوق معاني المتقدمين ببلاغتهِ وجزالتهِ ولكنهُ غير معرب بل هو عامي مثل اللغة التي تنطق بها فحكم الشعراء في ذلك العهد كحكم الزاجلين او "قوالي المعنّى" في هذا العهد والفرق بينهما في اللغة فقط . وسنورد لك في هذه المقالة من محاضراتهم ما يكفي للمقابلة بين شعراء العهدين ولكنني قبل الشروع في ذلك اعود بالقارىء الاديب الى حد المحاضرة الذي ذكرتهُ في صدر هذه المقالة فيتضح لهُ ان هذا الفن لا يختص بالشعر بل يجري في النثر ايضاً . على انني اخترت هنا الاقتصار على المحاضرة الشعرية لان الشعر اوقع في النفس واعلق بالذهن واضمن لشوق القارىء وميلهِ من النثر . ثم ان البديهة والارتجال والاجازة وما اليها من الفنون ادرجناها كلها تحت قولنا المحاضرات فلا يشكل على المطالع اذا اوردنا شيئاً من الاجازة او توارد الخواطر مثلاً لان المحاضرة اسم عام يطلق على كل جواب جيء بهِ حاضراً سواء كان لاقتراحٍ او غيرهُ . اذا تقرر كل هذا نقول

سمع مانِي الموسوس قول بعضهم

حجبوها عن النسيم لاني قلت ياريح بلغيها السلاما

فقال فتنفستُ ثم قلت لطيفي ويك ان زرت طيفها الماما

حيها بالسلام سرًّا والا منعوها لشقوتي ان تناما

وحضر النابغة الذبياني عند رجل وكان عمهُ يحاضر بهِ الناس ويخاف ان يكون عيياً فوضع الرجل كأساً في يدهِ وقال

تطيب نفوسنا لولا قذاها وتحتمل الجليس على أذاها

فقال النابغة قذاها ان صاحبها بخيلٌ يحاسب نفسهُ بكمِ اشتراها

واجتمع الفرزدق وجرير والاخطل في مجلس عبد الملك بن مروان فاحضر بين يديهِ كيساً فيهِ خمسمائة دينار وقال لهم ليقل كل منكم بيتاً في مدح نفسهِ فايكم غلب فلهُ الكيس فبدر الفرزدق فقال

انا القطران والشعراء جربى وفي القطران للجربى شفاء

فقال الاخطل

فان تكُ زقُّ زاملة فاني[1] انا الطاعون ليس لهُ دواء

(١) الزاملة الدابة التي يحمل عليها من الابل وغيرها

فقال جرير

انا الموت الذي آتي عليكم فليس لهاربٍ مني نجاهْ

فقال خذ الكيس فلعمري ان الموت يأتي على كل شيء

واستجاز المتوكل على الله صاحب بطليوس من بلاد الاندلس احد وزراء دولتهِ قسيماً من الشعر وهو

الشعر خطة خسفٍ • فاجاب الوزير مسرعاً • لكل طالب عرفِ

للشيخ عيبةُ عيبٍ وللفتى ظرف ظرفِ

وقصد ابن جاخ الشاعر فخر الدولة ابا عمرٍو فلما وصل اليهِ ودخل عليهِ قال لهُ فخر الدولة أجز

اذا مررت بركب العيس حييها

فقال ابن جاخ في الحال يا ناقتي فعسى احبابنا فيها

يا ناقُ عوجي على الاطلال علَّ بها منهم غريباً يراني كيف ابكيها

ام كيف ارفض طيب العيش بعدهمُ ام كيف اسكبُ دمعاً في مغانيها

اني لاكتمُ اشواقي واسترها جهدي ولكن دموع العين تبديها

وروي ان القاضي الفقيه ابا الحسن احد رؤَساء المغرب الاوسط حضر بين يديهِ ابن سوَّار الشاعر ورجل آخر يقال لهُ ابو موسى وهو خفيف الروح ثقيل الجسم فجعل يعبث(١) بالحاضرين بابيات من الشعر فقال القاضي ابو الحسن معابثاً لهُ

وشاعرٍ اثقل من جسمهِ

فتصدَّى ابن سوَّار مجيزًا في الحال بقولهِ تأتي معانيهِ على حكمهِ

يهجو ولا يُهجى فهل عندكم ظلامة تعدى على ظلمهِ

لسانهُ في هجوهِ حية منيَّة الحية في سمهِ

اما ابو موسى ففي كفهِ عصا ابنهِ والسحر في نظمهِ

يصيبُ سرَّ المرء في رميهِ كأنما العالم في علمهِ

ودخل يحيي بن خالد بستان دارهِ ومعهُ جاريتهُ دنانير فرأَى بهجة الورد على شجرة فقال اجيزي يا دنانير

الورد احسن منظرًا فتمتعوا باللحظ منهُ

فقالت مسرعة فاذا انقضت ايامهُ فالورد انت تنوب عنهُ

(١) يمزح ويهزل

ورأى ابو نواس عنان جارية الناطفي في بعض ايام الربيع فقال اجيزي يا عنان

كلُّ يومٍ عن أُقحوانٍ جديدٍ تضحك الارض من بكاء السماء

فقالت مسرعة

فهو كالوشي من ثياب عروسٍ جلبتهُ التجار من صنعاء

ورآها يوماً وهي تبكي وكان قد ضربها مولاها فقال

بكت عنانُ فجرى دمعها كلؤلؤ ينسلُّ من خيطهِ

فقالت فليت من يضربها ظالماً تجفُّ يمناهُ على سوطهِ

ورأى العباس بن الاحنف الزلفاء جارية ابن طرخان فقال لها اجيزي

اهدى لهُ احبابهُ أُترجةً(١) فبكي واشفق من عيافة زاجرِ

فقالت ارتجالاً

خاف التلوُّن في الوداد لانها لونان باطنها خلاف الظاهرِ

ودخل رحمون الفارسي على ابي بشر الرياضي يعودهُ فقال لهُ كيف اصبحت يا ابا بشر . فقال

يكاد جسمي من نحول الضنى تحملهُ انفاس عوّادي

فقال رحمون لم يبقَ الاَّ الروح في مهجة يروح او يغدو بها الغادي

وبات ابو بكر البكّي في بعض الفنادق وقد اوقد قنديلاً فدخل عليهِ رجل وعلى وجههِ قناع قد سترهُ فسألهُ عن صناعتهِ فقال انا شاعر . فقال لهُ كالمستهزىء اجز وضرب بعينهِ الى شيء يصفهُ فلم يجد الاَّ القنديل فقال

وقنديلٍ كأنَّ الضوء فيهِ محيًّا من احب اذا تجلَّى

فاجاب الرجل في الحال

اشار الى الدجى بلسان افعى فشمَّر ذيلهُ هرباً وولَّى

وصنع زهير بن ابي سلمى بيتاً وقسياً وهما

تراك الارض إمَّا متَّ خفَّاً وتحيا ان حييت بها ثقيلا

نزلت بمستقرّ العز منها

فمرَّ بهِ النابغة الذبياني فقال لهُ أجز يا ابا امامة فامسك عن الجواب فاقبل كعب ابنهُ وانهُ لغلام فقال لهُ ابوهُ أجز يا بنيَّ فانشد وتمنع جانبيها ان يزولا

فضمهُ زهير اليهِ وقال لهُ انت ابني حقاً

(١) نوع من الليمون يعرف بالكباد

وولد للفضل بن يحيى بن خالد مولود فدخل عليهِ عمر بن عبد الملك ولم يكن لهُ علم بالخبر فلما مثل بين يديهِ ورأى الناس يهنئونهُ نثرًا ونظمًا وقف وانشد ارتجالاً

ونفرح بالمولود من آل برمك بناة الندى والسيف والرمح والنصلِ
وتنبسط الآمال فيهِ لفضلهِ

ارتج عليهِ فقال الفضل ولا سيما ان كان من ولد الفضلِ

وروى احمد بن معاوية قال . قال لي رجل تصفحت كتبًا فوجدت فيها بيتًا جهدت جهدي ان اجد من يجيزهُ فلم اجد فقال لي صديق عليك بعنان نجئتها فقلت اجيزي

فما زال يشكو الحب حتى رايتهُ تنفس في احشائهِ وتكلما

فلم تلبث ان قالت

ويبكي فابكي رحمة لبكائهِ اذا ما بكى دمعًا بكيت لهُ دما

ورأى ابو جعفر محمد بن ابرهيم المعدني بيتًا مكتوبًا على جدارٍ وهو

لكل شيءٍ فقدتهُ عوضٌ وما لفقد الشباب من عوضِ

فقال مرتجلاً

وليس في الدهر من شدائدهِ اشدُّ من فاقةٍ على مرضِ

وقصد الشيخ ابو الخير الانباري الضرير تعجيز ابي القاسم العدَّاس بين يدي الشيخ العلامة ابي محمد بن برّي لشرّ كان بينهما فقال لهُ ان كنت شاعرًا كما تزعم فأجز

أُدرجت في اثناء نسيانكم حتى كأني الفُ الوصلِ

فاجابهُ ابو القاسم بديهًا

وكنت عين الفعل في قربكم فصرت لام الجرّ في الفعل

وجلس بعض الادباء في روض واخذوا يتذاكرون في ما وُصفت بهِ الدواليب[1] من بعض الاشعار فافضى بهم الحديث وهو ذو شجون الى ذكر الأعمى التُّطيلي وقولهِ في اسد من نحاس يقذف من فيهِ الماءَ وهو

اسدٌ ولو اني انا قشهُ الحساب لقلت صخره
فكأنهُ اسد السما ء يمج من فيهِ المجرّه

فقال بعضهم يتولد من هذا معنًى في الدولاب يأخذ بمجامع المسامع ويطرب الرائي والسامع فاخذ كل منهم ينظم ما جاش بهِ غمر بحرهِ وانبأهُ بهِ شيطان فكرهِ . فلم يكن الاَّ

(١) السواقي بلغة مصر والنواعير بلغة الشام

كنقر العصفور الخائف من الناطور حتى كمل ما ارادوا من غير ان يقف احد منهم على ما نظمهُ الآخر فكان ما نظمهُ القاضي الاعز بن ابي الحسن علي بن المؤيد

حبذا ساعة المجرة والدو لاب يهدي الى النفوس مسرَّه
ادمٌ لا يزال يعدو ولكن ليس يعدو مكانهُ قدر ذرَّه
ذو عيون من القواديس[1] تبدي كل عين من فائض الماء عبره
فلك دائر يرينا نجوماً كل نجم منها يرينا المجرَّه

وكان ما نظمهُ ابن ظافر

ودولابٍ يئنُّ انينَ ثكلى ولا خطب شكاهُ ولا مضرَّه
ترى الازهار في ضحك اذا ما بكى بدموع عين منهُ ثرَّه[2]
حكى فلكاً تدور بهِ نجومٌ تؤثر في سرائرنا مسرَّه
يظلُّ النجم يغرب بعد نجم ويطلع بعد ما تجري المجرَّه

وقال ابن المؤيد اجتمعت مع جماعة من ادباء اهل الاسكندرية في بستان لبعض اهلها فحللنا روضاً تثنَّت قامات اشجارهِ . وتغنَّت قينات[3] اطيارهِ . وبين ايدينا بركة ماء . كجوّ سماء او مرقعة مراة[4] فنثر عليها بعض الحاضرين ياسميناً زان سماءها بزواهر منيرة . واهدى الى لجتها جواهر نثيرة . فتعاطينا القول في تشبيههِ . واطرق كل منا لتحريك خاطرهِ وتنبيههِ . ثم اظهرنا ما حررنا . ونشرنا ما حبَّرنا . فانشد العباس بن طريف الخرَّاط الاسكندري

نثروا الياسمين لما جنوهُ عبثاً فاستقرَّ فوق الماء
فحسبنا زهر الكواكب تحكي زَهَرَ الارض في اديم السماء

قال وكان الذي صنعتهُ

نثروا الياسمين في لجة الما ء فخلنا النجوم وسط السماء
فكأن السماء في باطن الار ض او الدرَّ طفَّ فوق الماء

قال وسمع ابو عبدالله بن الزين النحوي القصة ولم يكن حاضراً معنا فقال

نثر الغلام الياسمين ببركة مملوءة من مائها المتدفقِ
فكأنما نثر النجوم باسرها في يوم صحوٍ في سماء ازرقِ

وكان لابن حبيب التنوخي صديق لا يزال يزورهُ اذا غاب عن منزلهِ فاذا حضر لم يأتهِ

(١) واحدها قادوس وهو وعاء للماء (٢) الغزيرة من العيون والسحاب (٣) مغنيات
(٤) واحدها مرآة وهي معروفة

فاخبر بذلك ابن رشيق فقال له هيَّا ننظم شيئاً بهذا المعنى فقال ابن رشيق

ما بالنا نجفى فلا نوصلُ ... الاَّ خلافاً مثلما تفعلُ
تأتي اذا غبنا فان لم نغبْ ... جعلتَ لا تأتي ولا تسألُ
كهاجر احبابهُ زائرٍ ... اطلالهم من بعد ان يرحلوا

وقال ابن حبيب

يا تاركاً ان لم اغب زورتي ... وزائري دأباً اذا غبتُ
وَدِدتُ أنْ ودَّك لا ينثني ... يزور فقداني لو مُتُّ

وسبقهما الى نظم هذا المعنى ابن خفاجة الاندلسي بقولهِ

صحَّ الهوى منك ولكنني ... اعجبُ من بينٍ لنا يقدرُ
كأننا في فلك دائرٍ ... فانت تخفى وانا اظهرُ

وقال علي بن ظافر : روي ان ابن قلاقس ونشو الملك اجتمعا في منار الجامع عند الغروب ومعهما نفر من الادباء . فلما رأوا الشمس فوق النيل غاربة والى مستقرها جارية ذاهبة . والهلال في حمرة الشفق . كحاجب الشائب او زورق الورق[1] . اقترحوا عليهما وصف تلك الحال . فقال ابن قلاقس

انظر الى الشمس فوق النيل غاربةً ... وانظر لما بعدها من حمرة الشفقِ
غابت وابقت شعاعاً منهُ يخلفها ... كأنها احترقت بالماء في الغرقِ
وللهلال فهل وافى لينقذها ... بزورق صاغهُ المولى من الورقِ

وقال نشو الملك :

يا ربَّ سامية في الجوّ قمت بها ... امد طرفي في ارضٍ من الافقِ
حيث العشية في التمثيل معركة ... اذا رآها جبانٌ مات للفرقِ
والشمس هاربة للغرب دراعةٌ ... بالنيل مصفرّة من شدة الفَرَقِ
وللهلال انعطاف كالسنان بدا ... من سورة الطعن ملقى في دم الشفقِ

وصعد ابن قلاقس وعلي بن الدروي على منارة الاسكندرية فاقترح ابن قلاقس على علي ان يصف المنارة فقال بديهاً

وسامية الارجاء تهدي اخا السُّرى ... ضياء اذا ما حندسُ الليل اظلما
لبست بها برداً من الانس ضافياً ... فكان بتذكار الاحبة معلَما

(1) المراد به الفضة

وقد ظللتني من ذراها بقبةٍ الاحظ فيها من صحابيَّ انجما
تخيلت ان البحر تحتي غمامة واني قد خيمت في كبد السما

فقال ابن قلاقس يصفها ويمدح علياً

ومنزلٍ جاوز الجوزاء مرتقباً كأنما فيهِ للنسرين اوكارُ
راسي القرارة سامي الفرع في يدهِ للنون والنور اخبارٌ وآثارُ
اطلقت فيهِ عنان الفكر فاطَّردت خيلٌ لها في بديع الشعر مضمارُ
ولم يدع حسناً فيها ابو حسنٍ الاَّ تحكَّم فيهِ كيف يختارُ
حلَّى المنارة لما حل ذروتها بجوهر الشعر بحرٌ منهُ زخَّارُ
ما زال يذكي بها نار الذكاء الى ان اصبحت علماً في رأسهِ نارُ

وجرى نزاع في الشعر بين ابن الدروي وهبة الله بن الوزير وهما في حمام يقال لهُ ابو فروة فتراضيا ان يحكم بينهما احد الادباء فطلب اليهما ان ينظم كل منهما قطعة في وصف الحمام على البديهة ثم يقع التفضيل بينهما بقدر التفاوت بين القطعتين . فقال ابن الدروي

ان عيش الحمَّام عيش هنيٌّ غير ان المقام فيهِ قليلُ
جنة تكرهُ الاقامة فيها وجحيمٌ يطيب فيها الدخولُ
فكأن الغريق فيها كليمٌ وكأن الحريق فيها خليلُ(١)

وقال ابن الوزير بعد بطء

لله يوم بحمَّام نعمتُ بهِ والماء من حوضها ما بيننا جارِ(٢)
كأنهُ فوق شفاف الرخام بها ماءٌ يسيل على اثواب قصَّارِ(٣)

فانتقد عليهِ الحكم تشبيههُ الماء بالماء كما ترى في البيت الثاني . واستبرد ما اتى بهِ فقال ابن الدروي

وشاعرٍ اوقد الطبع الذكاء لهُ اوكاد يحرقهُ من فرط اذكاء
اقام يجهدُ احياناً رويتهُ ففسرَّ الماء بعد الجهد بالماء

وخرج علي بن نظيف الى الاهرام ترويحاً للنفس ومعهُ من الشعراء ابن الساعاتي وابن التاج البغدادي والواسطي وابن الخيمي . فاتفق ان كبت بهِ بغلتهُ ثم وثبت ورفعت يديها فاقترح عليهم ان يتعاطوا القول في ذلك فقال ابن الساعاتي

---

(١) المراد بالكليم موسى كليم الله وبالخليل ابرهيم خليل الله وفي البيت اشارة لطيفة لا تخفى

(٢) الحمام قد يؤنث ولذلك ارجع اليهِ ضمير الانثى (٣) القصار مبيض الثياب

قيل مادت من تحت ذا السيد الأر ضُ ولم تأتنا له بمثالِ
هو طود النهى ومن اعجب الأشـ ياءِ ارضٌ تميد تحت الجبالِ

وقال ابن التاج :

جلست بغلة الامين ترينا صدق حسٍّ كأنهُ إلهامُ
اظهرت ميزةً على النوع اذ أصـ بحَ في الجنس ذا علىً لا ترامُ
نحن ُ في خدمة قيام لديهِ ثم بغلاتنا لديهِ قيامُ

وقال الواسطيّ :

لم تكبُ بغلتك الخضراء من خوَرٍ يا من هو اليوم للاسلام مسعدهُ
لكنما الارض مادت تحتها طرباً اذ شرّفت بك يا من طاب محتدهُ

وقال ابن الخيميّ :

اقسمت بغلة الرئيس المفدّى حين حطَّت لعجزها عنهُ ظهرا
انما رفعت يديها قنوتاً(١) بعد ان قبَّلت ثرى الارض عشرا

ولما انشد ابو تمام احمد بن المعتصم في حياة ابيهِ بحضرة يعقوب بن الصبَّاح الكندي قصيدتهُ التي اولها

مافي وقوفك ساعة من باسِ نقضي رسوم الاربُع الأدراسِ(٢)

وانتهى الى قولهِ

اقدام عمرو في سماحة حاتمٍ في حلم احنف في ذكاء اياسِ

قال له الكندي ما زدت ان شبهت الامير بصعاليك العرب · ومن هؤلاء الذين ذكرت وما قدرهم ؟ فاطرق قليلاً ثم انشد

لا تعجبوا ضربي له من دونهُ مثلاً شروداً في الندى والباسِ
فالله قد ضرب الاقلّ لنورهِ مثلاً من المشكاةِ والنبراسِ

فجنّ الحاضرون استحساناً مما اتى بهِ · واجزل احمد صلتهُ · ولما خرج قال الكندي ان هذا الفتى قصير العمر لانهُ ينحت من قلبهِ

وروي ان تميم بن جميل التغلبي عاث ببعض الاعمال فحملهُ مالك بن طوق الى المعتصم فلما قدّم بين يديهِ واحضر السيف والنطع لقتلهِ احب ان يعلم كيف منطقهُ فقال له تكلم · فقال بعد ان حمد الله تعالى ودعا للمعتصم · ان الذنوب تخرس الالسنة وتعمي الافئدة

(١) طاعة (٢) الاربع الديار والادراس المحوة

وقد عظمت الجريرة وساء الظن ولم يبقَ الأ العفو او الانتقام وارجو ان يكون اقربهما مني اليهما بك ثم ارتجل

اری الموت بين النطع والسيف كامناً يلاحظني من حيث لا اتلفتُ
واكثر ظني انك اليوم قاتلي ومن ذا الذي مما قضى الله يفلتُ
واي امرئٍ يُولي بعذر وحجة وسيف المنايا بين عينيهِ مصلتُ
يعزُّ على الأوس بن تغلب موقف يسلُّ عليَّ السيف فيهِ واسكتُ
وما جزعي اني اموت وانني لأعلم ان الموت امر موقتُ
ولكنَّ خلفي صبية قد تركتهم واكبادهم من حسرة تتفتتُ
كأني اراهم حين أُنعى اليهم وقد خمشوا تلك الوجوه وصوَّتوا
فان عشت عاشوا سالمين بغبطة اذود الردى عنهم وان متُّ موَّتوا

(ستأتي البقية) رشيد عطيه

جرينلندا

معربة عن الانكليزية

هي مجموع جزرٍ عديدةٍ متقاربةٍ يصلها الثلج بعضها ببعض فيخال انها قارة واحدة مترامية الاطراف . ولم تعرف حتى الآن مساحتها بالتدقيق لان قسماً كبيرًا من حدودها الشمالية لا يزال مجهولاً لم تطأهُ قدم انسانٍ الى يومنا هذا ولكن اهل العلم يقولون ان القسم المعروف من مجموع تلك الجزر تعادل مساحتهُ اربعة اضعاف مساحة الجزر البريطانية الثلاث معاً

وسكان جرينلندا قبيلة الاسكيمو واول من عرف هؤلاء الاقوام وبحث في اصلهم ووقف على شيءٍ من عوائدهم واطوارهم الدنمركيون ثم المرسلون المسيحيون الذين جابوا تلك الاصقاع للتبشير منذ مئاتٍ من السنين ثم جماعة من العلماء الرحَّل وصيادي الاسماك الذين حاموا حول شطوط تلك البلاد النائية وتوغلوا في اواسطها

وقبيلة الاسكيمو هذه تقطن بقعةً ممتدة الجوانب تنتهي عند شواطىء الاوقيانوس على ان عددها لا يربو على الخمسين الفاً فسكان قارة جرينلندا والحالة هذه لا يزيدون على سكان

مدينة صغيرة من البلاد المعمورة . وهم قوم بحاتر فمتوسط قامة الرجل منهم دون متوسط قامات الاوربيين بكثير . وطول الرجل المعتدل القامة منهم قلما يزيد على خمس اقدام واذا وجد بينهم من يبلغ طولهُ ست اقدام عد من الجبابرة . والذين يقطنون القسم الشمالي من تلك البلاد يأوون الى اكواخ يصطنعونها من الثلج والجليد . اما القاطنون في الجنوب فيسكنون منازل من الحجارة او من الخشب والعشب والتراب ويهجرونها في فصل الصيف ويأوون الى خيام من الجلد . وقد تجتمع عدة عائلات منهم في مكان ليس بالرحب حيث يأكلون ويشربون ويهجعون والاسماك واللحوم منثورة حولهم والكلاب حائمة الى جانبهم . واكثر طعام الاسكيمو من لحوم الحيوانات وهم قليلو التدبير وكثيرًا ما يأول بهم الامر من جراء ذلك الى الضيق الشديد والجوع وقد روى الكبتن بري الرحالة انهُ التقى بجماعة منهم لم يكن لديهم ما يسدون بهِ الرمق ورآهم ينهشون الجلود التي يكتسون بها لكي لا يهلكوا جوعًا

ونساؤُهم يعتنين باولادهن ما زالوا دون الثالثة من عمرهم فيلبسنهم القبعات من الفرو ويحملنهم على ظهورهن ومتى جاوز الصغار هذا السن فلا بدَّ لهم من الاعتناء بانفسهم مقلدين الكبار من ذويهم . والفتيان يتمرَّنون منذ نعومة اظفارهم على الرماية بالقوس والنشاب حتى يجيدوها ومتى بلغ الفتى العاشرة اعطاهُ والدهُ زورقًا خاصًا بالرجال يسمونهُ "الكَيَك" ليتمرن على التجذيف والصيد حتى يحسنهما ومتى بلغ من العمر سبع عشرة سنة رافق والدهُ وعاونهُ على صيد الاسماك واول سمكةٍ يصطادها تكون داعيًا الى سرور العائلة وابتهاجها . اما الفتيات اللواتي لهنَّ من العمر اربع عشرة سنة فيطلب منهن الخياطة والطبخ وتهيئة الجلود وبعد سنتين او ثلاث يجب عليهن اتقان التجذيف في المراكب الخاصة بالنساء وبناء الاكواخ

وتجارة الجرينلنديين ضيقة النطاق محصورة في عددٍ قليل من الاصناف يشحنون بها مراكبهم ويسافرون مع عيالهم للمتاجرة . ولقد تطول رحلتهم احيانًا الى سنة فاكثر وحيثما ألقوا عصا الترحال يبتنون الاكواخ ليأووا اليها

والغش نادر عندهم والسرقة اندر ولكنهم يستحلون خدع الاوربيين ويعدون سلب اموالهم مهارة يفتخرون بها وهم مع ذلك يتاجرون معهم ويبادلونهم شحم الحوت والجلود بالادوات والسلع المصنوعة من الحديد او الفضة . اما الذهب فلا قيمة لهُ عندهم ولا يحسبونهُ اثمن من الفضة والنحاس ويفضلون عليهِ الحديد الذي ينفعهم ولا سيما الادوات التي تصنع منهُ للصيد والقنص

وعندهم اعياد كثيرة اكبرها عيد الشمس يقع في اقصر يوم من السنة وهو الحادي والعشرين من شهر دسمبر فيحتفلون بهِ لظهور الشمس بعد احتجابها ولحلول فصل الصيد والقنص ويعمُّ الابتهاج بهذا العيد جميع انحاء الجزيرة فيعمدون الى كل ما لديهم من انواع اللهو والمسرة

ولقد يندهش الانسان حينما يرى اتقان هذه الامة الصغيرة لبعض اعمالٍ يقدم افرادها عليها رغماً عن قلة الادوات والآلات اللازمة لها عندهم · من ذلك بيوتهم تراها قائمة على احسن نظام هندسي ومبنية على طريقة تدرأُ عنهم الحر وتقيهم زمهرير البرد واضرار العواصف

اما ما يدعونهُ "بالكيك" ومعناهُ قارب الرجل وهو اشبه بزورقٍ طولهُ من ثماني عشرة الى عشرين قدماً يتناقص عرضهُ تدريجاً من وسطهِ الى مقدمهِ ومؤخرهِ فهو اشبه شيءٍ بمكوك الحائك عريض الوسط ضيق الطرفين وهو مع ذلك لا يزيد عرض وسطهِ على قدمٍ ونصف او قدمين وعمقهُ لا يتجاوز القدم الواحدة · لا يسع سوى رجلٍ واحدٍ يجلس في وسطهِ · وكبر هذه الزوارق يختلف باختلاف كبر اجسام اصحابها فمن كان من هؤلاء طويل القامة كان زورقهُ كبيرًا ومن كان قزماً كان زورقهُ صغيرًا · والكيك المتوسط الكبر لا يزن اكثر من ستين ليبرة اي ٣٧ كيلو غراماً ويمكن حملهُ على الرأس بلا عناء شديد · ويجلس الرجل في كيكه وامامهُ قلـه مطوى ووراءهُ وعاء صغير من الجلد يحفظهُ دائماً منتفخاً ويوثق الى القلس ويستعمل كجاروفةٍ يرمي بها عند اصابة الفريسة فتعيق سيرها · ويصنع المجذاف من خشب الصنوبر الاحمر يُنزَّل بالعظام على جوانبهِ ولا يقل طولهُ عن سبع اقدامٍ · والكيك مدرعٌ بجلدٍ يستبدل بغيرهِ كل سنة · وهذا النوع من القوارب سريع السير جدًّا ولذلك صارت الحكومة الدنمركية تستعملهُ لحفظ المواصلات بين المواقع البحرية · اما قارب المرأة فيسمى "أوميك" ويبلغ طولهُ عادةً عشرين قدماً وعرضهُ خمساً وعمقهُ ثلاثاً والاوميك المتوسط يسع عشرين نفساً ويصنع من الواحٍ تشدّ بعظام الحيتان ويكسى الكل بالجلد · ويتولى عادة قيادة هذا الزورق اربع من النسوة يتعاونّ على العمل ويتبع الاوميك دائماً زورق من زوارق الرجال حتى اذا مست الحاجة بادر الرجل الى المساعدة · وعندهم مركبة بلا عجل يجرها الايل ويستعين الاسكيمو بها على قطع المراحل الشاسعة مدة ثمانية اشهر من السنة ويُعد الرجل غنياً ومثرياً اذا كان يملك زورقاً ومركبةً زحافة

ويندر ان توجد في العالم كلهِ شواطئ تكثر فيها الحيوانات البحرية مثل شواطئ الجهات الشمالية الجليدية التي يكسوها الجليد على مدار السنة فمن غرب جرلنلندا على طول شواطئ اميركا الشمالية آلاف من الحيوانات كالدببة والكلاب والثعالب وملايين من البط

وعددٌ لا يعد من الطيور المائية لا تنفك تغدو وتروح البعض في الجو والبعض على بقع شاسعة من الثلج والكل في حركة متواصلة مما يجعل المسافر يهتم بها لانها طعامهُ وبحركتها الدائمة تؤنس ذلك السكون الموحش الباسط رواقهُ على تلك الاصقاع المتنائية · وكما تقدم في فيافي جرينلندا الشمالية كثرما يراهُ من انواع الحيوانات وهي وان تكن دون حيوانات الاقاليم الحارة بجمال اللون غير انها تبدو بمظهرٍ في تلك المجاهل يروق الناظر اليها ولذلك لا يخلو السفر الى الاصقاع القطبية من اللذة والفكاهة حتى لقد ظنَّ البعض انهُ يمكن جعلها متنزهات لاهل الغنى والترف اذا أُتقن البالون وصار ركوب الهواء مأموناً

ومعلوم ان الدواب في الاقاليم الحارة وبرها قصير ورقيق اما في الاصقاع القطبية فهو غليظ جدًّا كذلك الطيور المائية قد خصت بوبرٍ كثيفٍ من السبد والريش المطلي بمادةٍ دهنية تسهل عليها الغوص في المياه بدون ان تخشى ضرراً او خطراً · ومعظم حيوانات تلك الاصقاع الباردة من الجوارح والضواري تجد طعامها في البحر فالارض هنالك قلَّ ان تنبت ما يقوم بمعيشة الحيوان واكثر الطعام الذي تقتات بهِ جوارح الطير نوع من الاحياء يملأ تلك البحار · وهو كثير التموُّج كصغار الافاعي ولذلك يقال لهُ "مدبوزه" · ويدخل الفصفور في تركيب تلك الاحياء ولذلك تراهُ يضيء في الليل وهو يكثر في بعض الاماكن حتى يغطي وجه الماء فمتى تموجت تلك الملايين من الاحياء البراقة خيِّل للناظر اليها ليلاً انها امواج من نارٍ متلاطمة

وتختلف تلك الاحياء شكلاً وحجماً فبعضها صغير لا يرى بالعين المجردة وقد اتفق كثيراً ان اناساً لما رأوا سطح الماء يتلألأ على هذا الوجه الغريب ذهلوا لعدم رؤْيتهم شيئاً في الماء يوجب هذا اللمعان فانزلوا الدلاء وملأوها من تلك المياه فلم يجدون ما يزيح اللثام عن هذا الامر فلم يروا في الماء شيئاً بعيونهم · والبعض الآخر حجمهُ كبير ولهُ فوةٌ غريبة فهو كثيراً ما يقبض على سمك اكبر حجماً منهُ ويفترسهُ ومع ذلك فلا تجد فيهِ من المادة شيئاً يذكر ومما يوجب العجب والدهشة انهُ اذا وُضع على الشاطىء وعرّض قليلاً للهواء والشمس يجف ولا يبقى منهُ سوى غشاء رقيق · والحيوانات التي من هذا النوع يفوق عدّها الحصر في البحور الشمالية واحياناً تكثر في الماء فيتغير بها لون البحر على بُعد مئات من الاميال · وجلّ اعتماد الحيتان وما على شكلها في الغذاء على هذه الحيوانات

ادمون زلزل

الماس الطبيعي والصناعي

(تابع ما قبله)

نشرنا في الجزء الماضي جانباً من خطبة السروليم كروكس في عمل الماس وكيفية تكوّنهِ في الطبيعة ووعدنا باتمامها في هذا الجزء وانجازاً لذلك نقول : —

التفت الخطيب بعد ما تقدم الى مذهب آخر في تكوُّن الماس فقال : —

ارتأى البعض ان الماس هبة من السماء صُنع فيها ونزل الى الارض مع النيازك . واول من قال بذلك في ما اظن ميدنبور بانياً قولهُ على ان الماس لا يوجد الاَّ حيث توجد حجارة نيزكية سقطت في العصور الخالية وغار بعضها في الارض وكان غورهُ كثيرًا او قليلاً حسب ليونة الارض وصلابتها . وقد فعل الهواء والشمس والمطر بهذه النيازك ففتتها وجرفت الامطار الجانب الاكبر منها وبقيت حجارة الماس التي كانت تحويها في مجاري الانهر ورمالها

ومفاد هذا المذهب ان انابيب كمبرلي المشار اليها آنفاً حدثت من خرق النيازك للارض بوقوعها عليها فالحجارة الكبيرة خرقت الارض وغارت فيها والحجارة الصغيرة تكسَّرت وتفتت وبقي ماسها على سطح الارض . وهذا المذهب غريب جدًّا ولكن ما نعرفهُ من امر الماس يجعل هبوطهُ من السماء قريب الاحتمال واكبر مؤيد لهُ ما وُجد في اريزونا باميركا فان هناك سهلاً قطرهُ نحو خمسة اميال وجد فيهِ نحو الفي قطعة من الحديد النيزكي يختلف ثقلها من نصف طن الى كسر من الاوقية . ولا شبهة في ان هذه القطع نيازك وقعت من الجو ولو لم يُعلم في اي زمن وقعت . وفي منتصف البقعة التي وجدت فيها فوهة كفوهة بركان مرتفعة الجوانب قطرها ثلاثة ارباع الميل وعمقها نحو ٦٠٠ قدم شكلها مثل شكل ارض وقع عليها جسم ثقيل وغار فيها . وقد بلغ ما جُمع من هذه الحجارة من هناك حتى الآن عشرة اطنان ولا توجد مجموعة جيولوجية خالية منها . وكان احد الجيولوجيين يقطع حجرًا من هذه الحجارة فوجد فيهِ اجساماً اصلب من الحديد النيزكي فامتحنهُ كيماويًّا فاكتشف فيهِ ماساً فاعلن ذلك ثم اثبت الاستاذ مواسان والاستاذ فريدل صحة هذا الاكتشاف . وتدلُّ المواد التي وجدت مع الماس ان تلك النيازك كانت في درجة من الحرارة مثل حرارة الاتون الكهربائي . ومن ثم جعل علماء الكيمياء يفتشون عن الماس في الحجارة النيزكية في كل مكان فوجدوهُ فيها وهوذا صور فوتوغرافية صوَّرتُ بها حجرًا من الماس الحقيقي وجدتهُ في قطعة من الحجارة النيزكية التي أُتي بها من كانيون ديابلو في اريزونا

فلا شبهة اذاً في ان الماس يكون في الحجارة النيزكية. وهذه الحجارة يتأكسد حديدها بفعل الهواء ويلوّن الارض حولها بلونهِ الاحمر ولكن الهواء لا يفعل بالماس الذي فيها فيبقى في مكانهِ. وقد بقيت قطع كثيرة من الحديد النيزكي في اريزونا بسبب جفاف الهواء هناك وقصر الزمن الذي مضى من حين وقعت الى الآن. وما حدث هناك يمكن ان يكون قد حدث في الازمة الجيولوجية في اماكن كثيرة

ولكن وقوع الماس من الجو ليس بالاسلوب الطبيعي لوجود الماس في الارض بل الاسلوب الطبيعي ان يوجد الماس في الارض كما وجد في اجرام السماء لان الارض لا تختلف عنها في بنائها فالزبرجد يوجد في اكثر النيازك ومع ذلك لا يقول احد انهُ لا يوجد في صخور الارض ايضاً متكوّناً فيها تكوّناً . وقد اثبت السبكترسكوب ان تركيب الاجرام السموية مثل تركيب الارض وان النيازك تشبه الحجارة الارضية في عناصرها كما تشبه اجرام السماء. ولا تقتصر المشابهة على العناصر بل تتناول ايضاً المواد المركّبة منها اي ان تركيب المواد الارضية والسموية واحد

وقد ثبت مما تقدَّم (في الجزء السابق) ان الحديد اذا أُحمي الى درجة عالية جداً وكان عليهِ ضغط شديد كما يحدث في جوف الارض اذاب الكربون ثم ان الكربون الذائب يتبلور كما يتبلور غيرهُ من المواد التي تصهر فيتكوَّن منهُ الماس . وقد ثبت ايضاً ان هذه الشروط تتوفَّر في الاجرام السموية كما تتوفر في الارض لان نيازك كثيرة سقطت منها حاملة الينا حجارة ماس

وتدلُّ الدلائل كلها على ان ماس المناجم وماس المعامل الكيماوية صنعا على اسلوب واحد والماس الذي يوجد في انابيب المناجم لم يتكوَّن فيها بل تكوَّن في جوف الارض على عمق كثير وتحت ضغط شديد . وتكسُّر حجارة الماس الكبيرة حينما تستخرج دليل على انها تكوَّنت تحت ضغط شديد ولذلك تجد بلورات الماس الكاملة اقل من البلورات المتكسّرة . ولم توجد حتى الآن قطع تتألف منها بلورة كاملة الا مرةً واحدة وقد وجدت هذه القطع على اعماق مختلفة وذلك يدلُّ على انها لم توجد حيث تكوَّنت لان الطبيعة لا تكون اجزاء من بلورات بل بلورات كاملة. ثم ان حدود هذه القطع لم تزل حادة دليلاً على انها غير بعيدة من مقرها الاصلي. والظاهر ان الماس تكوَّن في اماكن مختلفة في المنجم الواحد والا ما وجد فرق كبير بين حجارتهِ المختلفة

ولا يصعب علينا ان نتصوَّر ان قطعاً كبيرة من الحديد فيها كثير من الكربون كانت في

جوف الارض تحت المناجم الحاليَّة حيث الحرارة والضغط شديدان جدًّا وكافيان لاحداث ما يحدث الآن في المعامل الكيماويَّة

وبعض بلورات الماس مخططة سطوحها بمثلثات متساوية الاضلاع مشتبك بعضها ببعض واذا نظر اليها بالميكرسكوب ظهرت خطوطها غائرة في سطح البلورة . وقد استنتج غوستاف روز من ذلك ان بلورات الماس هذه عرضت للاحتراق بعد تكوُّنها لانهُ وجد ان حجارة الماس التي حاول احراقها بالبوري تولَّد على سطحها مثل هذه الخطوط . وقد عرضتُ حجارة الماس للحرارة فحدث فيها مثل هذه الخطوط ولكنها لم تكن جميلة كالخطوط الطبيعيَّة اي ليست منتظمة ولا حادة مثل الخطوط الطبيعيَّة

وقد يكون الماس الصناعي كمثريَّ الشكل كأنهُ كان سائلاً في جسم آخر سائل ثم برد وتبلور وهذا الشكل موجود ايضاً في الماس الطبيعي . وقد لا يكون الماس الطبيعي متبلورًا كما يحدث لو جمد جسم سائل في وسط جسم آخر سائل والاول لا يمتزج بالثاني

وذكر الخطيب خواص اخرى من خواص الماس الدالَّة على انهُ كان سائلاً فتبلور تحت ضغط شديد كانكسار البلورات الكبيرة من تلقاء نفسها حال خروجها من المنجم ولا سيما اذا مسكتها بيدك وكانت يدك سخنة . وانتقل الى الكلام على صلابة الماس فقال ان الماس صلب جدًّا ولكن صلابتهُ على درجات مختلفة وقد يكون بعض جوانب الحجر الواحد اصلب من البعض الآخر . والماس الذي وجد في نيوسوث ويلس باستراليا اصلب جدًّا من ماس جنوبي افريقية حتى تعذَّرت شحذنتهُ في اول الامر . ولما كان الحجر المعروف بقوه نور يشحذ وُجد جانب منهُ شديد الصلابة جدًّا وبقيت الآلة تحكهُ ست ساعات متوالية ولم تحت منهُ شيئاً وكانت سرعها ٢٤٠٠ دورة في الدقيقة فزيدت الى ٣٠٠٠ دورة فأثرت فيه

ثم اظهر صلابة الماس بعملية عملها امام الحضور وهي انهُ وضع حجرًا من الماس على سندان من الفولاذ وانزل عليهِ مطرقة من الفولاذ وضغط الاثنين بالمضغط المائي فدخل حجر الماس في الفولاذ كما تدخل الحصاة في التفاحة من غير ان تنثلم حدودهُ . ثم قال ولا يفوق الماس في صلابتهِ الاَّ معدن التنتالوم وهوذا قطعة منهُ اعطانيها الخواجات سمنس اخوان . وقد أُريد ان يثقب ثقب في صفيحة من هذا المعدن فاستُخدم لذلك منقاب من الماس يدور خمسة آلاف دورة في الدقيقة وبقي هذا المنقاب يدور كذلك ثلاثة ايام بلياليها فلم ينزل في الماس الاَّ ربع مليمتر . وتستعمل اسلاك التنتالوم الآن بدل اسلاك الكربون في القناديل الكهربائية لانها لا تصهر الاَّ عند الدرجة ٢٣٠٠ بميزان سنتغراد

الاَّ ان صلابة الماس ليست اهم خواصهِ واهم منها تكسيرهُ لاشعة النور فانهُ يحرفها كثيرًا فلا تعود تنفذهُ اذا كانت سطوحهُ السفلى مائلة على ٢٤ درجة و ١٣ دقيقة او اكثر بل تنعكس عنها الى الاعلى فكل النور الذي يقع على حجر الماس المشغول ينعكس عنهُ الى جهات كثيرة حسب سطوحهِ وهذا سبب لمعانهِ وبريقهِ وتلوُّن النور المنعكس عنهُ

واذا عُرِض الماس لنور الشمس مدة صار ينير في الظلام . وبعض حجارة الماس تظهر مبيضَّة في نور الشمس . واذا وضعت في مكان مفرَّغ من الهواء ومرَّ بها مجرى كهربائي شديد انارت بنور ضارب الى الزرقة اذا كانت من جنوبي افريقية واذا كانت من اماكن اخرى فالغالب ان نورها هذا يكون ازرق زاهياً او برتقالياً او احمر او اخضر ضارباً الى الصفرة . وعندي حجر اخضر اللون اذا وضع في انبوب مفرَّغ من الهواء واتصل بهِ المجرى الكهربائي صدر منهُ نور ساطع كأنهُ مصباح منير حتى تستطيع ان تقرأ على نورهِ في الظلام . ونورهُ ابيض ضارب الى الخضرة . وقد بقي هذا الحجر مدة طويلة والكهربائية تفعل بهِ فاظلم سطحهُ ثم احمي الى الدرجة ٥٠٠ فزالت الظلمة وعاد كما كان اولاً . وهنا حجر آخر اذا عُرِض لقنديل كهربائي صغير مما يوضع في الجيب ثم فرك بقطعة من الجوخ ظهر على الجوخ خط فصفوري منير

احتراق الماس

اذا أُحمي الماس في الاكسجين الى درجة عالية من الحرارة من ٧٦٠ الى ٨٧٥ احترق وبقي منهُ قليل من الرماد شكلهُ كشكل الحجر قبلما احترق وهذا الرماد مؤلف من الحديد والكلس والمغنيسيا والسلكا والتيتانيوم . والرماد قليل جدًّا واكثرهُ حديد ولكن الرماد من الماس المدخن يبلغ احياناً اربعة في المئة

فعل الراديوم بالماس

اذا مرَّت اشعة الراديوم المعروفة باشعة ب على حجر من الماس اضاء بنور ساطع . وقد وضع حجر من الماس في قطعة من بروميد الراديوم وترك فيها اكثر من اثني عشر شهرًا فاكتسب لوناً ازرق جميلاً زاد بهِ ثمنهُ . وارى الخطيب الحضور حجارة من الماس ازرقَّ لونها بتعريضها لاشعة الراديوم وقال ان الازرقاق غائر في الحجر لا يزول باحمائهِ في الحامض النيتريك وكلورات البوتاسيوم ولا باحمائهِ الى درجة الحمرة الاَّ ان اشعة الراديوم قد تلوّن حجارة الماس بلون اسود وامتحن الخطيب ذلك امام الحضور فسوَّد حجرًا من تكون الغرافيت على سطحهِ وختم الخطبة باحماء حجر من الماس الثمين بالمجرى الكهربائي وتحويلهِ الى فحم اسود من نوع الغرافيت

اليابان والاستعراض البحري

اجتمع في مرفإ جمستون باميركا في الشهر الماضي ٦٧ سفينة حربية اربعون منها للولايات المتحدة الاميركية وسبع وعشرون لدول الارض ارسلتها الى هناك اكراماً للولايات المتحدة ولم ترسل هذه الدول من اكبر بوارجها بل من اكبر طراداتها المدرعة التي صنعتها قبل حرب اليابان والروس ماعدا اليابان فانها ارسلت طرّاداً جديداً صنعتهُ بعد الحرب صُنع في بلادها بكل مافيهِ كأنها تقول بهِ لاهالي اوربا واميركا انظروا ما تستطيعهُ هذه المملكة الشرقية من غير ان تلجأ الى مساعدتكم في شيء فقد صارت مستقلة عنكم غير محتاجة اليكم حتى في بناء البوارج الحربية. وهذا الطراد او البارجة في شكل الطرّاد واسمهُ صوكوبا محمولهُ ١٤٠٠٠ طن وسرعتهُ ٢١ ميلاً بحرياً في الساعة وفيهِ اربعة مدافع قطر فوهة كلٍّ منها ١٢ بوصة واثناعشر مدفعاً قطر فوهة كلٍّ منها ٦ بوصات وابراجهُ مدرعة بدرع من الصلب سمكهُ ٩ بوصات ولهُ منطقة من الصلب سمكها ٧ بوصات فهو من حيث مدافعهُ مثل اقوى البوارج الانكليزية والاميركية

ويتلو الطراد اليابانيّ طراد انكليزي اسمهُ جود هوب محمولهُ ١٤١٠٠ طن وسرعتهُ ٢٤ ميلاً بحرياً ونصف ميل فهو اسرع من الطراد اليابانيّ ولكنهُ دونهُ في قوتهِ الحربية لانهُ مسلح بمدفعين قطر فوهة كل منهما ٩ بوصات وعشران و١٦ مدفعاً قطر فوهة كل منها ٦ بوصات وهو مدرَّع بمنطقة سمكها ٦ بوصات

ويتلوهُ طرّاد فرنسوي اسمهُ فكتور هيغو محمولهُ ١٢٤١٦ طناً وسرعتهُ ٢٢ ميلاً بحرياً في الساعة وفيهِ اربعة مدافع قطر فوهة كل منها سبع بوصات وستة اعشار و ١٦ مدفعاً قطر فوهة كلٍّ منها ٦ بوصات واربعة اعشار وهو مدرَّع بمنطقة سمكها ست بوصات وثلاثة ارباع البوصة وابراجهُ مدرعة ايضاً بدرع سمكهما ٨ بوصات ومن مزاياهُ ان ابراجهُ عالية تعلو من ٢٦ قدماً الى ٣٤ قدماً عن سطح البحر فتشرف على ما حولها الى امد بعيد

وارسل الانكليز ثلاثة طرادات اخرى غير الطراد المشار اليهِ آنفاً وكلها مدرعة وكبيرة وسريعة السير ولكنها دون الطراد اليابانيّ وان كانت اكبر واقوى مما ارسلتهُ سائر الدول لان محمول كلٍّ منها ١٠٩٥٠ طناً وسرعتهُ من ٢٣ ميلاً وستة اعشار الميل الى ٢٢ ميلاً

والدول التي اشتركت في هذا الاستعراض البحري هي انكلترا وفرنسا والمانيا وايطاليا والنمسا واسوج والبرتغال واليابان وشيلي وارجنتين والبرازيل. اي كل الدول البحرية ماعدا روسيا واسبانيا . وجاءت اليابان في هذا الاستعراض بعد انكلترا وقبل سائر الدول الاوربية لان

ليس عند دولة منها طراد يقابل بالطراد الياباني

اما الولايات المتحدة الاميركية فاستعرضت ثماني عشرة بارجة كبيرة اكثرها من الطبقة الاولى بين بوارج دول الارض في محمولها وكبر مدافعها فان بعضها مما محمولهُ ١٦٠٠٠ طن او ١٥٠٠٠ طن ومدافعها مما قطرهُ ١٢ بوصة او ١٣ بوصة . واستعرضت طرَّادين مدرعين محمول كلٍّ منهما ١٤٥٠٠ طن وفيهِ اربعة مدافع قطر فوهة كلٍّ منها ١٠ بوصات

وقد بانت الولايات المتحدة بهذا الاستعراض انها من اقوى الدول البحريَّة ونفت من الاوهام الحلم الذي يحلم بهِ كثيرون وهو ان الناس لا بد من ان يبطلوا الحروب في القريب العاجل وتكون الولايات المتحدة رائدهم الى ذلك . فانهم قد لا يلتقون في ميادين القتال ولكنهم يتبارون في الانفاق على الاستعداد للحرب كأنهم يتحاربون فعلاً . فالثماني عشرة بارجة التي عرضتها الولايات المتحدة انفقت على عملها اكثر من عشرين مليونًا من الجنيهات وهي تنفق على حفظها وتمرين رجالها بضعة ملايين اخرى وكل هذه الاموال مبتزَّة من دماء الفلاحين والصنَّاع . وقس على ذلك بوارج سائر الدول فان ثمن البارجة منها من مليون الى مليونين من الجنيهات وهي لا تحفظ ما لم ينفق عليها وعلى رجالها نحو ربع مليون جنيه كل سنة ولا تقيم اكثر من عشرين سنة ثم تحسب عتيقة غير صالحة للاستعمال . وقد قيل ان الاستعداد للحرب يمنع الحرب وهذا صحيح ولكن هذا "السلم المسلَّح" ثقيل الوطأة كالحرب ثم اذا نشبت الحرب والدول على هذا النمط من الاستعداد والمنتفعون منها من اصحاب الاموال والمعامل والضباط والقوَّاد متربّصون للانتفاع تربُّص الجياع ومتهالكون في سبيلهِ تهالك المجانين فمن يستطيع ان يقدِّر ما ينتج منها و يترتب عليها من الضرر والالم لنوع الانسان

وغاية ما يستفاد من هذا الاستعراض ان اليابان صارت دولة منيعة الجانب تستطيع ان تستغني عن اوربا في عمل البوارج وآلات الحرب . ولا يبعد ان تتعلَّم الصين منها وتقتدي بها وتحاول ممالك الهند ان تنسج على منوالها فتنهض ممالك اوربا لمناوأتها و يعود العراك والصدام فينجلي عن فوز الشرق او فوز الغرب فان كان الفوز للشرق قبل ان يستعدَّ ابناؤهُ او جمهورهم للحكم الدستوري بقي الاستبداد فيهِ او استولت الفوضى عليهِ وان كان الفوز للغرب توالت الحروب والخطوب الى امد بعيد . وكيفما التفتنا لا نرى من وراء هذا الاستعداد الكثير الأ التعب والنصب ولا نجد فيهِ بارقة امل بالكفِّ عنهُ والعدول عن هذا الجنون الذي عقلَّهُ العقول كأن الاحياء لم توجد الاَّ لتجاهد وتصارع و يفني بعضها بعضاً حتى لا يبقى منها الأ الاقوى والاصلح للبقاء

الفلسفة العملية

الخطبة الثانية

ذكرنا في الجزء الماضي خلاصة الخطبة الاولى التي تلاها الاستاذ وليم جمس الفيلسوف الاميركي وجعلها تمهيداً لبحثهِ في الفلسفة العملية · ونحن ذاكرون الآن خلاصة الخطبة الثانية

قال الخطيب كنت منذ بضع سنوات اتنزَّه مع بعض الرفاق بين الجبال وانفصلت عنهم قليلاً لبعض شؤوني ثم رجعت اليهم فوجدتهم يتحاورون محاورةً فلسفية وموضوع محاورتهم سنجاب كان واقفاً على ساق شجرة وعلى الجانب الآخر منها رجل يدور حول ساق الشجرة ليرى السنجاب والسنجاب يهرب منهُ الى الجهة المقابلة فلا يستطيع ان يراهُ مهما اسرع في الدوران حول الشجرة · وكان بعضهم يقول ان الرجل يدور حول السنجاب في دورانهِ حول الشجرة وبعضهم يقول انهُ لا يدور حول السنجاب ولو دار حول الشجرة · فلما رجعت اليهم عرضوا الخلاف عليَّ واقاموني حكماً بينهم فخطر ببالي قول اهل الجدل انهُ اذا وقع الخلاف وجب الالتجاء اولاً الى التخصيص فقلت لهم ان الحكم في هذا الخلاف يتوقف على المعنى المراد من الدوران حول السنجاب فاذا اردتم بذلك الدوران من الجهة الشمالية منهُ الى الجهة الشرقية فالجنوبية فالغربية فالشمالية فالانسان دار حولهُ لانهُ كان الى شمالهِ مثلاً فدار الى الشرق منهُ وظلَّ دائراً حتى عاد الى شمالهِ . ولكن اذا اردتم بالدوران ان الرجل كان امام السنجاب ثم صار الى يمينهِ ثم وراءهُ الى يسارهِ ثم عاد الى امامهِ فواضح ان الرجل لم يفعل ذلك فلم يدر حول السنجاب بل بقي امامهُ ولو فصل ساق الشجرة بينهما · فاذا ادخلتم هذا التخصيص في المسألة فالفريقان مصيبان ومخطئان حسب المراد من كلمة دار · فاقتنع جمهورهم بصحة كلامي ولكن بقي منهم مَن يقول اني لجأتُ الى المغالطة لكي لا احكم لهم

وقد ذكرت هذه الحادثة الطفيفة لانها تدلُّ على ما اريدهُ بالفلسفة العملية فان الفلاسفة يختلفون في مسائل كثيرة واختلافهم فيها من هذا القبيل · من ذلك اختلافهم في هل العالم واحد او متعدد وهل هو هيولي او روحي وهل الامور مقدَّرة او غير مقدرة · فالفلسفة العملية تستدعي ان يفسَّر المراد بكل قول من هذه الاقوال بتتبعهِ الى نتيجتهِ العملية فاذا لم يوجد فرق عملي بين هذا القول وذاك فالمراد بهما واحد ولو اختلفا لفظاً وبذلك ينتهي الجدال واذا كان القولان او الرأيان مختلفين حقيقةً وجب ان يوجد فرق فعلي بين مدلوليهما وبهذا الفرق الفعلي يتبين الصحيح من الفاسد

واول من استعمل كلمة البرغمتزم (اي الفلسفة العملية) المستر تشارلس بيرس في مقالة نشرها في مجلة العلم العام الاميركية سنة ١٨٧٩ ولكن لم يلتفت اليها الفلاسفة الى ان اعادت ذكرها منذ تسع سنوات واوضحتُ فائدتها ومن ثمَّ كثر استعمالها في المجلات الفلسفية . وقد رأيت ان اوستفلد استاذ الكيمياء في مدرسة ليبسك جرى على هذه الفلسفة ولو لم يسمها بهذا الاسم وكتب اليَّ يقول " ان كل الحقائق تؤثر في اعمالنا وتأثيرها هذا هو المعنى الذي تفهمهُ لها . ولقد اعتدت ان اسأل تلاميذي قائلاً ان كان هذا الامر صحيحاً فما تأثيرهُ في العالم وان كان ذاك صحيحاً فما تأثيرهُ ايضاً فاذا كان تأثيرهما واحداً فهما صحيحان على حدٍ سوى او لا اختلاف بينهما والاَّ فهما مختلفان " (اي ان الامور بنتائجها)

ما اكثر المسائل الخلافية التي يزول الخلاف منها وينتهي جدال الفلاسفة فيها اذا امتحنت بهذا المقياس اي نُظر الى نتائجها العملية . فان كان فيها اختلاف حقيقي وجب ان يظهر في نتائجها والاَّ فلا اختلاف فيها . فيجب ان يكون غرض الفلسفة البحث عن النتائج التي تنتج لك ولي ولكل احدٍ في وقت معلوم من حياتنا اذا كان هذا المذهب صحيحاً او ذاك

والفلسفة العملية ليست امرًا جديدًا فقد كان سقراط من انصارها وجرى ارسطوطاليس عليها وعلى اسلوبها سار لوك وبركلي وهيوم لكن هؤلاء الفلاسفة استعملوها من غير انتظام وعلى غير قاعدة ولم يظهر انها عامة الاَّ في زماننا . وعندي انها ستعمُّ كل معارف الناس ويكون الفوز لها اخيرًا

نعم ان القسم العملي من الفلسفة كان شائعاً دائماً ويراد الآن ايضاحهُ على اسلوب قانوني وبصورة مقبولة . والفيلسوف العملي يغضي عن كثير من المسلَّمات التي اعتاد الفلاسفة التصديق لها والاعتماد عليها — يغضي عن الاقوال الموضوعة التي تُتخذ حججاً والقضايا المسلَّمة التي تحسب من البديهيات والقواعد التي تقيّد العقل بها والدعاوي التي مفادها خرق حجاب الغيب والوصول الى ما لا تدركهُ العقول . يغضي عن هذه كلها ويلتفت الى الحقائق المقرَّرة الى الامور المادية . الى الاعمال . الى القوى . الى ما نراهُ ونشعر بهِ . فيترك الامور النظريَّة ويتمسك بالامور العملية . يترك العقائد والاقوال الموضوعة والدعوى بمعرفة حقيقة الاشياء ويتمسك بما توحيهِ اليهِ الطبيعة ويستنتجهُ من افعالها

وهذه الطريقة اي الطريقة العملية تغير مزاج الفلسفة فيقف امامها الفلاسفة النظريون مغلولي الايدي كما يقف رجال الملكية اذا صارت البلاد جمهورية تقترب بها الفلسفة من العلم ويتصالحان ويتفقان

لقد كان للسحر شان كبير في تاريخ الانسان وكان اعتماده على الالفاظ والجمل التي يعزم بها على الجن والشياطين والعفاريت التي قالوا ان سليمان كان يجمعها ويأمرها بما يشاء لانهُ كان يعرف اسماءها . وكذلك جرت الفلسفة معتمدة على الالفاظ والحدود كأن اسرار العالم طلاسم لا تحل الأ بهذه الالفاظ او بما فيها من القوة التي تنير العقول مثل كلمة هيولى وقوة وعقل وما اشبه وتجد الانسان يستريح اذا وصل اليها فيقف عندها كأنها خاتمة المطاف ولا شيء وراءها

ولكن الفلسفة العملية لاتقف عند حد الالفاظ بل تطلب ان تعلم مدلول كل لفظة منها اي قيمتها العملية وهي لا تحل مشاكل الفلسفة بل ترشد الى طريق البحث والاستقصاء والاستقراء. وعليهِ تصير الآراء النظرية آلات للبحث عن الغوامض ولا تبقى حلاً للغوامض كما كانت قبلاً فلاننام معتمدين عليها بل نسير ونستعين بها في سيرنا . وليس في ذلك شيء جديد في الجوهر بل هو مطابق لما مال اليهِ وجرى عليهِ كثيرون من الفلاسفة الاقدمون فهو موافق لما اعتقده الفلاسفة النفعيون في نظرهِ الى الجهات العملية والفلاسفة اليقينيون في احتقارهِ الحل اللفظي والغث من المسائل وما لا يدرك منها

فالفلسفة العملية تقاوم الفلسفة النظرية في ادعائها كشف الغوامض وحل المشكلات ولكنها لا تدعي انها تؤدي الى نتيجة محدودة ولو في مبدإها وما هي سوى طريقة البحث او كما قال عنها الفيلسوف بابيني الايطالي انها كالدهليز في المنزل تفتح اليهِ كل ابواب غرفهِ فترى في غرفة منها رجلاً يؤلف كتاباً في موضوع ادبي وفي الثانية رجلاً راكعاً على ركبتيهِ يطلب الايمان والقوة وفي الثالثة كيماوياً يمتحن خواص الاجسام وفي الرابعة اناساً يكشفون بعض الغوامض الفلسفية وفي الخامسة اناساً غيرهم يبينون استحالة المذاهب الفلسفية ولكنهم كلهم يمتلكون الدهليز الذي بين غرفهم ويستعملونهُ للوصول اليها والخروج منها

فالفلسفة العملية طريقة للبحث ترشد من يسير فيها الى الاعتماد على النتائج والوقائع والثمرات بدل الاعتماد على المبادىء والمقولات والمسلمات

وسنأتي على تتمة هذه الخطبة في الجزء التالي لان معانيها عويصة تقتضي تفصيلاً مسهباً لا يحتملهُ هذا الجزء فضلاً عن ان غرضها من اهم الاغراض التي يرمي اليها محبو نوع الانسان

خطبة شيشرون في المحاماة عن ليكاريوس (١)

تمهيد للمترجم

قلَّ اذن بشرٍ في الخافقين لم تسمع باسم شيشرون فخر الرومانيين وامام خطبائهم غير ان خطبهُ لم تنقل الى اللسان العربي فيما اعلم ولشدَّ ما كان يشوقني ما اسمعهُ واقرأهُ من اطراء بلاغتهِ أن اقف على خطبهِ لكي أرى اين هو من هذا الصيت الذي جاب الارض وازداد رفعةً على تطاول الدهر لكن الاعمال التي كنت ازاول لم تكن تبقي لي من الوقت الاَّ ما لا بدَّ منهُ لاستجمام القوَّة واستعادة النشاط وقد تيسَّر لي هذه السنة الاشتغال بتصنيف يطلب مثل هذه المطالعات وكان فيما قرأت خطبة لهُ في الدفاع عن ليكاريوس وردّ دعوى تيبرون عليهِ مترجمة بالفرنسويَّة ومطبوعة في باريز سنة ١٨٥٣ مع الاصل اللاتيني فنقلتها الى العربيَّة حبَّ ان يطلّع عليها من الناطقين بالضاد من لا سبيل لهم الى الوقوف على ما لصاحبها من الخطب الاَّ مترجماً بالعربية وهذه الخطبة هي التي حملت قيصر ان يعفو عن ليكاريوس بما تضمنت من قوة الاحتجاج ولطف الاستعطاف وكلِّلت بابهر الانتصارات الخطابيَّة ألا وان قيصر لتأثرهِ من بعض فقرها سقطت من يديهِ الالواح التي كان قد خطَّ فيها القضاء على ليكاريوس وتلك هي الفقر التي دافع بها عن ليكاريوس وعلَّق بعنق تيبرون تلك الجناية التي تجنَّى بها على ليكاريوس ومثَّلهُ للعيان يقاتل قيصر باشدّ العداوة في واقعة فرسال وبيَّن على رؤُوس الملا انهُ اكبر من ليكاريوس جُرماً

والذي وصل الى ايدي الناس من خطب شيشرون ٥٦ خطبة بعضها قضائيَّة دافع بها عن المتهمين وبعضها سياسيَّة وقد خدمها الكتاب والخطباء وفُرِض استظهارها على الطلبة ولم تزل في مقدَّمة الامثلة التي يحتذى عليها . ولقد انشأ عدَّة مصنفات في علم الخطابة لا يزال علَم شرفها منشوراً . وقصارى القول ان بقاء كتب شيشرون وخطبهِ في الرتبة الاولى في جميع الممالك الافرنجيَّة وقد نبغ فيها من الخطباء والادباء خلق كثير لا يذكرونها الاَّ بالثناء بعد التنقيب وتدقيق النظر من كل وجهٍ من الوجوه التي يقضي بها للخطبة او عليها ينتظم دليلين على امرين الدليل الاوَّل على علو طبقتها والدليل الثاني على سعة علم المقرظين وسلامة صدورهم من التعصُّب لهُ اوعليهِ

(١) Ligarius رومانيّ اشتهر بمقاتلة قيصر وخلصهُ شيشرون ببلاغتهِ وقوَّة بيانهِ وتوفي ليكاريوس هذا في السنة ٤٦ قبل المسيح

ألا ليت شعري هل سمع عن عالم عالم تقريظ لا مسوّغ لهُ الاّ الحبّ او جامعة من الجوامع ام هل نُقل عن عالم عالم انتقاد لم يحمل عليهِ الاّ حسدٌ تتقد في الصدر نارهُ بل ليت شعري هل كان الحبّ هو الذي دفع ابولونيوس حتى يقول لشيشرون يوم خلب ألباب اليونان بطلاوة بيانهِ وحملهم على تصدية الاستحسان مرارًا ما هذا تعريبهُ بالحرف الواحد "انا أُطريك اطراءً لا شكّ فيهِ واعجب منك لكنني اتلهّف اسفًا على حظ بلاد اليونان فلم يبقَ لها الاّ مجد الخطابة وقد اوشكت ان تسلبها اياهُ وتهبهُ للرومانيين" . فهذا كلام عارف صادق لم يعمِ بصيرتهُ الهوى ولم يدفعهُ الى الخروج عن الصواب . وكفى هذا الرجل فخرًا ان يقال فيهِ مثل هذا الكلام

وقد بقي عليّ ان اذكر ان هذا الخطيب ولد سنة ١٠٦ وتوفي قتيلاً سنة ٤٣ قبل المسيح وبذل على تنشئتهِ غاية ما في الوسع وهو فقد تعلم اليونانيَّة وبرع فيها حتى صار من الطراز الاول كما كان في لغتهِ اللاتينية ومن شيوخهِ اركياس نزيل رومة وسيفولا الذي علّمهُ الفقه وفيلون الذي علّمهُ التعاليم الافلاطونيَّة وسوسيان ديودت الذي علّمهُ المنطق وابولونيوس الشهير استاذ الخطابة في رودس الذي خرّجهُ في طريقة الاداء واساليب الالقاء وهو الذي نقلنا ترجمة تقريظهِ لهُ . وهو من محتدٍ مكرّم غير ان احدًا من عشيرتهِ لم يتقلد منصبًا من مناصب الدولة ولذلك كان يقال "شيشرون رجلٌ جديدٌ" وكان اوّل طلبهِ الانتظام في عداد خدّام الدولة يُعيَّر بلقبهِ فقال آليتُ لأَجعلنَّهُ اشرف لقب عند الرومانيين وقد لعمرك أبرّ قسمهُ

الخطبة

(١) قيصر ان تيبرون احد انسبائي قد رفع الى مقامك شكاية جديدة لم يُعرف لها نظير حتى اليوم . قد شكا ليكاريوس انهُ كان بافريقية . ولقد تجرّأ على الاعتراف بهذا الامر لما كان واثقًا بمكانتهِ عندك ولذلك بلغ ارتباكي الغاية القصوى . واذ كنت على يقين انك لم تطّلع على الأمر بنفسك وان لا احد يعرّفك بهِ رأيت من المفيد ان أُطلعك عليهِ انقاذًا لا ثيمٍ . ولكن بما ان العدوّ قد تحيّل فكشف سرّنا وصاحبي قد اخذ عليّ سبيل البقاء على ما كان في قصدي باديء الامر فلا أُنكر شيئًا ولا ملاذ لي الاّ ما اختبرهُ كثير من ابناء الوطن من حلمك وكرم سجيّتك ولا سيما ان حلمك أنالهم من نسيان الزلة فوق ما أنالهم من العفو والمغفرة ومن ثمّ فقد ظفرتَ يا تيبرون بما هو احبّ شيءٍ الى المشتكي اي باقرار المشتكى عليهِ . لكن بماذا اقرّ اقرّ بانهُ شايعَ الحزب الذي شايعتهُ انت والذي ابوك الجليل كان

مثلك تعلقًا بهِ فلا بدَّ لكليكما قبل ان تعيبا ليكاريوس ان تعرفا انفسكما مجترمين نفس الجريمةَ التي اجترم

ان ليكاريوس أُقيم وكيلاً لكونسيديوس فشخص الى افريقية وليس ثمَّةَ من دليل على الحرب . وكان في منصبهِ هذا يستألف ويستميل الوطنيين والاحلاف وان كونسيديوس لو ألقى مقاليد الولاية الى آخر لكان قد برح ذلك الاقليم وهو مخيّب آمال اهلهِ عامة . واما ليكاريوس فقد امتنع طويلاً عن قبول القيادة حتى الجأتهُ الحال بعد الاباء الشديد ان يقبلها . ولقد احسن الادارة كل ايام السلم ونهج منهج النصفة والنزاهة حتى احبتهُ قلوب الرومانيين والاحلاف وانطلقت أَلسنتهم بالثناء عليهِ

فلما نشبت الحرب فجأَةً علم الذين في افريقية قبل ان يعلم غيرهم ما أُعِدَّ لها فلدن انتشر خبرها اخذ الغضب جماعةً واعمى الخوف جماعةً فطلبوا زعيمًا يستطيع ان يخلصهم ويؤيد حزبهم . فلم يتقيَّد معهم ليكاريوس بعهدٍ ولا حلفٍ فان انظارهُ كانت طامحةً الى رومة ولا بغية لهُ الَّا الانضمام الى عترتهِ

وفي هذه الاثناء ورد مدينة اوتيكا[1] فاريوس الذي كان والي الاقليم قديمًا فتبادر الناس اليهِ من كل صوب وللحال قبض بفرط الرغبة على زمام السلطة ان صحَّ ان نسمي سلطة السلطة التي يأخذها رجل بمجرَّد هتاف دهماء[2] عمياء لم تشترك معها الحكومة البتَّة . اما ليكاريوس فسُرَّ بأن لم يكن لهُ دخلٌ في شيءٍ من جميع هذه الحركات وقد شعر ببعض الراحة عند وفود فاريوس المشار اليهِ

(٣) فالى الآن ليكاريوس غير ملوم . لم يغادر رومة لاضرام نار الحرب بل لم يكن يخالج ضميرهُ ان ستصطلى حرب . ولما قلد الوكالة سافر ايام السلم ولما كان يدبر شؤون خير الاقاليم واكثرها امنًا واطمئنانًا كان من مصلحتهِ ان يستمرَّ الاطمئنان فما كان سفرهُ موجبًا لسخطك البتة وان كنت تؤَاخذهُ على اقامتهِ بافريقية فذهابهُ اليها لم يقع عن مقصدٍ سيءٍ واقامتهُ بها كانت بحكم الضرورة ولم يكن فيها الَّا شريفًا . وبناءً على ذلك سواء سافر بصفة انهُ والٍ وسواء قبل ولاية افريقية بطلب الاقليم فلا سبيل الى ان يوجه اليهِ عتاب او لومٌ في هاتين المدتين

اما مكثهُ في مدينة أُوتيكا بعد وفود فاريوس اليها فان كان جنايةً فعن غير اختيارٍ بل عن اضطرار . ولو أن الامر في يدهِ لأفلت ولوازنَ بين مدينة اوتيكا ورومة ولقابل بين

(١) مدينة قديمة بافريقية . اشتهرت بانتحار كاتون الروماني فيها ولذلك دعي كاتون الأُوتيكي

(٢) الدهماء : العامة

التيوس واخوتهِ الاعزاء عليهِ وبين الغرباء وبين اهلهِ وعترتهِ (١) فرط محبتهِ لم كان لهُ كل مدةِ ولايتهِ داعي الأسف والجزع فأنى يرتضي ان ينفصل عنهم ليسير تحت اعلام الاعداء

فاذن ياقيصر لم تجد في اعمال ليكاريوس حتى الساعة دليلاً على خبث نيتهِ

وانظر باي ثقة أدافع عنهُ. اخون مصلحتي في خدمة مصلحتهِ فيا لها من شفقة عجيبة ويا لها من فضيلة جديرة بكل امادحنا وحقيقة بان الاقلام تقيم لها الذكر الخالد. وحسبك ان شيشرون ينكر بين يديك ان المحامي عنهُ كانت لهُ هذه المقاصد التي يعترف انها كانت مقاصدهُ دون من عداهُ ولم يخشَ ما ربما يخطر لك فيهِ وهو يحامي عن ذلك الشخص

(٣) ألا انظر أي اطمئنان لي ألا انظر الى ما لكرمك وحكمتك من عظيم الوقع عندي وقد هممت ان اصيح باعلى صوتي حتى يسمع كلامي الشعب الروماني كلهُ

قيصر ان الحرب كانت قد ابتدأت وكانت كأنها قد انتهت يوم هممتُ مختاراً غير مكرهٍ ان انضم الى الثائرين عليك

اذن الى من اسوق كلامي اسوقهُ الى من احاط علماً بكل اعمالي ولم ينتظر ان يرافي لكي يردني الى المشيخة. الى الذي كتب اليّ من مصر أن حالتي في مأمن من أي تغيير. الى الذي انفرد في المملكة الرومانية بلقب امبراطور ولم يأنف ان اقاسمهُ هذا الشرف والجاه. الى الذي اخبرني على لسان بنصا الحاضر هذا النادي انهُ قد اباح لي ان احفظ الحُزم المكللة بأكلة الغار ما شئت. الى من لا يعدّ انهُ صنع معي جميلاً ان لم يحافظ لي على كل هذه النعم اتمّ المحافظة

اتحسبني ياتيبرون اخشى ان اعترف للكاريوس بما اعترفت بهِ لنفسي. مع ذلك قد تكلمت عن نفسي محاذرةَ ان تيبرون يستقبح ان اذكر الشيء نفسهُ عنهُ. اني اهتم باموره فكلانا مرتبط بحبال قرابة دمويةٍ ولقد طبت نفساً بما اوتيهُ من الذكاء والشغف بالآداب ولا جرم ان لي ان افتخر بمجد شاب من ذوي قرابتي

لكني اسألهُ من ذا الذي يؤاخذ لكاريوس على وجوده بافريقية ويعتدّ ذلك جريمة عليهِ فهو يجيب أن المؤاخذة على ذلك رجل مالت نفسهُ الى ان يكون بافريقية فتشكى من ان ليكاريوس حال بينهُ وبين بغيتهِ فحقد ذلك عليهِ ورجل انتهى بهِ الامر الى ان حارب قيصر نفسهُ. ما ذا كنت يا تيبرون تفعل في ميادين فرسال (٢) والسيف بيدك تريق بهِ

(١) العترة: ولد الرجل وذريتهُ وعقبهُ من صلبهِ وقيل رهطهُ وعشيرتهُ الادنون ممن مضى وغبر

(٢) مدينة قديمة بناحية من بلاد اليونان يقال لها تسالية وفي فرسال هذه انتصر قيصر على بومبه بعد ملحمة هائلة

الدماء · ما الدم الذي كنت تريد ان تسفكهُ وفي شاكلة من كنت تريد ان تغمد حسامك وعلى مَن هاج هائجك وفار فائرك· فأيّ عدوٍ كنت تبغي الايقاع بهِ · ما ذا كنت تريد وماذا كنت تتمنى

(٤) وآخر الامر يا تيبرون ما كانت بغيتنا الاَّ ان نفعل ما يفعلهُ المنتصر اليوم ومن ثمَّ يا قيصر فالذين تجاوز بك الحلم عن جناياتهم واصبحوا بمعزل عن العقوبة هم يدعونك الى الشدة والقسوة . آه يا تيبرون هذا امر لا ارى فيهِ اثرًا لحكمتك ولا اثرًا لحكمة والدك على تميُّزهِ بقوة العقل وغزارة المعارف·لم يرَ عواقب شكوى مثل هذه والاَّ لرسم لك خطة غير هذه الخطة. قد افرغت جهدك ان تجرّم من هو مقرٌّ بجرمهِ بل انك قد اشتكيت على من هو اخفُّ منك جرمًا او ان كان لهُ ذنبٌ فهو الذنب الذي انت تعترف انك اقترفتهُ

فهذا ولا ريب صنيع ادهش منهُ · والامر الذي لا يكاد يصدق هو ان شكواك لا تقف عند نفي ليكاريوس بل تتخطى الى اهلاكهِ · وما من رومانيٍ قبلك تجرأ على ما تجرأتَ عليهِ فذلك خلق غريب عندنا اجنبيٌّ عنا · فلم يتعود ارواء الحقد بسفك الدم الاَّ اليونان والبرابرة · وماذا تطلب مع ذلك . اتطلب ان لا يكون لكاريوس في رومه وان لا يعيش مع عترتهِ ومع اخوتهِ ومع بروكيوس عمهِ ومع ابن عمهِ هذا ومعنا · أتطلب ان لا يكون في وطنهِ . لكن هل هو في وطنهِ · وهل في الامكان ان يحرّم عترتهُ واحباءهُ اكثر مما هو محرومهم · ابواب ايطاليا مسدودة في وجههِ هو منفيٌّ مغرَّب . ليس هو في وطنهِ الذي تبغي ان تحرمهُ اياهُ . ما من احد التمس مثل هذا الملتمس حتى من الوالي الذي كان يقتل كل من يكره ويأمر بالملاحم من عند نفسهِ بلا التماس من احد ولست مغاليًا في ذلك بل كان يشجع الناس و يعدهم العطايا السنية ومع ذلك فان قيصر الذي تحاول ان تحملهُ اليوم على القساوة قد عاقب عمالهُ القساة

(٥) ولكن أَتقول يا تيبرون انك لا تطلب قتل ليكاريوس· انا اعتقد ذلك فلقد عرفتك وعرفت أباك وعترتك وقد عرفت ان حبَّ الفضيلة والانسانيَّة والعلوم والفنون كانت في كل الازمان صفةً متوارثةً في بيتكم فانا على يقين اذن انك لا تطلب الدم لكنما سلكت طريقة الحمق .ألا وقد بينت لنا انَّ ما كابد ليكاريوس من العناء لا يشفي غليلك فهل بعد ذلك غير الموت · هو مغرَّبٌ منفيٌّ فما لك عليهِ بعد هذا أآن لا يُعفى عنهُ · فيالهُ من ملتمس هو لعمر الحقِ اشدُّ قسوةً وافظع بربريةً · وانَّا نسأل في قصر قيصر نعمةً واحدةً نلتمسها بدعواتنا وعبراتنا خارّين على قدميهِ وتعويلنا على حلمهِ اشدُّ من تعويلنا على صحة دعوانا . واما لأنت

نتفرغ ما في وسعك حتى تُرفض طلبتنا ولا يجاب سؤْلنا فانت تخمد زفراتنا ومتى قبلنا ركبتيهِ تمنعنا ان نرفع صوت الاستعطاف والاسترحام . فلو فاجأتنا ساعة استعطفنا قيصر وتضرَّعنا لهُ في صرحهِ ولم يذهب تضرُّعنا باطلاً وهتفت وقتئذٍ أنْ يا قيصر لا تشفع اخوةٌ يشفعون في اخٍ لم لكان ذلك صنيعاً بربريًّا وأقبح من هذا وأفظع ان تحضر المحكمة لتحاول ان تمنع قيصر ان يجود بالعفو مع الحاحنا في التماسهِ وان تغلق باب حلمهِ في وجوه كثير من الاشقياء

يا قيصر اصرّح بين يديك بما يخطر لي فاقول لو لم يكن سعدك العالي مصحوبًا بما جبلتَ عليهِ من رقة الطباع . نعم بما جبلتَ عليهِ من رقة الطباع (انا افهم ما اقول) لغشي سواد الحداد بياض انتصارك فان كان في المغلوبين جماعة يريدونك قاسيًا فكم من امثال لهم في الغالبين وكم في الغالبين ايضاً من اهل الحفائظ الذين لا تحلُّ عقدة غضبهم يحولون بين الناس وبين حلمك وعفوك فانَّ هؤلاء الذين اصابوا نعمة عندك لا يريدونك الاَّ قاسيًا على غيرهم

اذا نحن أقنعنا قيصر ان ليكاريوس لم يأتِ الى افريقية . واذا توسَّلنا الى انقاذ وطني مرزوءٍ بكذبٍ يسوغهُ الشرف وتقضي بهِ الانسانيَّة يكون قبيحًا والحالة هذه ان نفنّد ذلك الكذب وندحضهُ وان حقَّ ذلك لأحد فلا يحقُّ لمن بتأييدهِ تلك الدعوى اقتحم هذا الخطر نفسهُ . على ان القصد الى ان يكون قيصر مخدوعًا او القصد الى انهُ لا يعفو امران مختلفان كل الاختلاف . ولو كان ذلك لكنت قلت يا قيصر ان الناس يخدعونك . فان ليكاريوس كان في افريقية وثار بالسلاح وخرج عليك ماذا تقول اليوم . تقول احذر أن تعفو . أهذه لغة انسانٍ في حقّ انسان . يا قيصر ايُّ من خاطبك بمثل هذا الكلام فقد جرَّد قلبهُ من الحنان وأخمد نفس المروءة ولكن يدهُ أضعف من ان تستأصل الحنوّ من قلبك

(٦) ان تيبرون في عرضهِ الاوَّل أراد ان يتكلم في جريمة ليكاريوس ان لم أكن واهماً . وما دعواهُ على ليكاريوس الاَّ من الامور المدهشة فما من احدٍ اشتكى شكوى لها مثل هذا الوجه . ولا سمع ان الشاكي كان مجرماً الجريمة التي شكا بها غيرهُ . أهذا يا تيبرون تسميهِ جرماً ولمَ سميتهُ . انّ هذه الدعوى حتى الساعة لم تنجلِ . فبعض يسميها خطأَ وبعض يسميها خوفاً وبعضٌ قلة عفوٍ وبعض يدعوها طمعاً وشراهةً وبغضاً وعناداً

وقال الذين أقسى منهم ان هذه الدعوى جنون . وانت وحدك تدعوها جرماً فان طلبنا كلمةً محكمةً اواسماً وضعياً موافقاً لبلايانا فأقول ان سطوة مشؤومةً منتشرة في المشيخة جرَّت الاضطراب والهذيان على الأرواح كافةً وانهُ لا عجبَ ان كانت الآراء البشريَّة تخلَّى

لإرادة الآلهة الضابطة الكل وفي امكاننا ان لا نكون اشقياء وحاكمنا ذلك المظفر العظيم · لكن لا أعنينا · انما أعني الذين هلكوا · نعم قد يكون انهم كانوا طامعين اهل حدة وعناد ولكن لا بدَّ على الاقل ان لا نهين روح بومبه (١) ولا ارواح غيره بنبزهم (٢) بالحمق والغضب وقتلة الآباء · أُجلك يا قيصر عن النطق بهذه الالفاظ الفاضحة ألا وانك لم تقصد بالحرب الا كشف العار · وجيشك المظفر لم يحارب الا اثباتاً لحقوقه وحفظاً لمقامك . ولما عقدت الصلح لم تعقده مع المنافقين بل مع فضلاء بلادك

يا قيصر اما انا فلا يكون قيمة في عيني لما اوليتنيه من النعم لو ظننتك عفوت عني عفوك عن مجرم واما انت فلو ابقيت جماً غفيراً من الخائنين في مقاماتهم وكراماتهم ما كنت قد خدمت الوطن وقد توهمت بادىء بدء ان الفتنة في البلاد كانت اختلافات آراء لا وقائع دموية بين متضادين · نعم كلا الحزبين كان يريد مصلحة المملكة لكنما التحزب والمصلحة الشخصية قد أديا الى اغفال هذا المقصد · وأما فضل رؤساء الفريقين فقد كان سواء ولو لم يكن فضل اشياعهم متساوياً · فاشتبه الامر على الناس فلم يقدروا ان يميزوا بين الصالح والفاسد · واما اليوم فقد جاءت الآلهة بفصل الخطاب واذ كان حلمك قد ظهر ظهوراً باهراً فلا يسعنا الا السرور بظفر ان كان قد هلك فيه احد فبحد السيف في حومة الوغى

(٧) لنخلِّ الدعوى العمومية اي مصلحة الامة ولنقبل على دعوانا الخصوصية · اتقول يا تيبرون ان خروج ليكاريوس من افريقية كان اسهل عليه من عدم اتيانك اليها · انهُ كان عليهِ ان ينفذ اوامر مجلس الشيوخ ولا تنسَ ان مجلس الشيوخ نفسهُ كان قد انتدب لكاريوس لهذه الخطة فأطاع ايام كانت الطاعة فرضاً لازماً وحين اطعت انت لم تكن الطاعة واجبة على احد . فهل اعدك في ذلك ملوماً · كلاَّ ان محتدك واسمك وبيتك ومبادئك لم تكن لتسمح لك ان تأتي امراً غير هذا فلا يسعني ان اوافقك على الافتخار بصنيع انت تلوم الناس عليهِ

قد جرى الاقتراع على ولاية الاقاليم بامر مجلس الشيوخ فخرجت افريقية في نصيب تيبرون وكان غائباً عليلاً فعزم ان لايقبل الولاية وقد تمكنت بما لي من العلاقات معهُ ان اقف على تفاصيل هذه المسئلة كافة — قد ربينا معاً وكنا رفيقين في الجندية ثم مرتبطين بالمصاهرة وحبيبين منذ قديم وزد على ذلك ان اتفاق الآراء قد احكم ايضاً كل هذه الرُبط

(١) بومبه اشتهر في افريقية وغلب في فرسال بعد وقعة هائلة وقتل في مصر بامر بطليموس العاشر وكان ذلك سنة ٤٨ وميلادهُ سنة ١٠٦ قبل المسيح

(٢) يقال نبزه بكذا : اذا لقبهُ بهِ وهو شائع في الالقاب المستهجنة القبيحة

بيننا ووثق هذه الاواصر(١) فاعلم اذن ان اول فكر افتكره تيبرون ان لايغادر رومة لكن الحّوا عليهِ واستجاروا باسم المشيخة المقدس بحيث لو كان رأيهُ مخالفاً لآرائهم لما استطاع ردّ تلك الالحاحات الشديدة ولا التخلص منها . فاذعن بل بالاحرى اطاع سلطة رجل نبيل عالي المقام فشخص في اولئك الذين كانوا متحزبين لهذه الدعوى نفسها ولما كان قد ابطأ في سيرهِ شيئاً وصل افريقية فاذا هي في يد غيرهِ فكان ذلك مدعاة لشكوى تيبرون من ليكاريوس وحقدهِ عليهِ

لكن ان كل ابتغاء الولاية على هذه البلاد جريمةٌ فانت الذي اردت ان تكون افريقية تحت امرك وهي اعظم اقاليمنا التي اعدتها الطبيعة لأن تحارب الرومانيين فلم تكن انت اخف جريمة من رجل لم يكن اشدّ منك ميلاً الى البقاء بها ومع كل ذلك فما الذي تشكوهُ بهِ . أتشكو عدم قبولنا في افريقية . وهب انك قبلت فيها أكنت سلمتها الى قيصر ام كنت منعتهُ منها بالسلاح

(٨) لاحظ يا قيصر كم يلقي في قلبي حلمك وكرم اخلاقك من الشجاعة بل من الجسارة . فان زعم تيبرون ان اباهُ كان قد سلمك الاقليم الذي مجلس الشيوخ والقرعة كانا قد القيا مقاليدهُ اليهِ لما ترددت حتى في حضرتك ان انكر باشد العبارات وابلغها مقصداً لو انفذ لكان انفاذهُ مفيداً لمصلحتك . فانك لو انتفعت بالخيانة لاستحقرت الخائن وهذا القول حسبي لا ازيدك عليهِ. وليس ذلك خوف ان أخدش مسامعك الحليمة بل كراهية ان يعزى الى تيبرون امرٌ لم يدر في خلدهِ . قد حظر عليك يا تيبرون ان تطأ ارض اقليمك وزعمت ان منعهم اياك كان على اقبح الوجوه هواناً فكيف اطقت ذلك الهوان والى من رفعت شكواك بهِ أالى من سرت تحت لوائهِ . فان كنت قد اتيت الاقليم لتخدم قيصر فكان ينبغي ان تنضم الى قيصر فلم تفعل بل ذهبت فانحزت الى عدوهِ بومبه فكيف تجرأت ان تشتكي بين يدي قيصر على من منعك ان تحارب قيصر . ومع ذلك تفتخر مموهاً انهُ لو لا معارضة فاريوس وغيره من الناس لكنت قد سلمت الاقليم الى قيصر . واني انقم على ليكاريوس انهُ حرمك فرصة فخر باهر ومجد عظيم

(٩) قيصر . انظر اي ثبات لتيبرون الرجل المتحلي بكثير من الصفات الرائعة . فالثبات افضل عندي من سائر الفضائل ولو لم اعلم انك انت نفسك تقدمهُ على جميعها لما ذكرت

(١) الاواصر جمع آصرة وهي ما عطفك على الرجل من رحم او قرابة او صهر . والآصرة ايضاً المعروف

ذلك فهل رأيت قطُّ في رجل ما ثبات مثل هذا بل صبرٌ كصبرهِ فما اقل أولئك الذين في الفتن الاهلية كانوا قادرين ان ينضموا الى من لم يحسنوا استقبالهم بل اطرحوهم بقساوة . مثل هذا السعي يشف عن نفس كبيرة ويدلُّ على ان لا هوان ولا شدة ولا خطر تستطيع ان تذهب بصاحبهِ عن الحزب الذي حاز بهِ

هذا ولنفترض ان تيبرون وفاريوس سواء في الفضائل والشرف وعلو المقام والذكاء فان الاول اي تيبرون يفضل الثاني اي فاريوس بانهُ وفد على اقليمهِ بامر مجلس الشيوخ مؤيداً بسلطة شرعية ولما رفضهُ الاقليم ذهب لكن لا الى قيصر خوف ان يقال انهُ كان يفعل ذلك عن حقد ولا الى رومة تملصاً من ان يرمى بالتهاون والتواني ولا الى اقليم آخر من الاقاليم محاذرة ان يقال انهُ خطأ الحزب الذي مال اليهِ بل توجه الى مقدونية الى معسكر بومبه الى ذلك الحزب الذي كان قد اطرحهُ اطراحاً مخزياً

ان قلة مبالاة الرجل الذي انحزت اليهِ بما نزل بك من الاهانة فتت في عضدك وبردت حميتك . نعم كنتم في المعسكر لكن قلوبكم كانت بعيدةً منهُ ولا غرو ففي الحروب الاهليَّة يتشوَّق الناس كما كنت اتشوَّق وانتم تتشوَّقون الى الفوز . نعم لا انكر اني كنت أُشير بالسلم لكن كان قد فات وقتهُ . فكان الفكر في السلم ضرباً من الجنون وقد كانت الجيوش في حومة الوغى فكانا كما قلت واقول نريد ان نغلب ولا سيما انت اذ انضممت الى الجيش فلم يبقَ لك ندحةٌ عن الانتصار او الموت ومع ذلك ففي هذه الحال لا اشك انك لا تفضل الحياة التي منَّ بها عليك قيصر على الانتصار الذي تتوق اليهِ

(١٠) ما كنت قلتُ ما قلتُ يا تيبرون لو علمت انك ستندم على ثباتك او ان قيصر سيندم على احسانهِ فايُّ اهانة كنت تسعى للانتقام لها أاهانتك ام إهانة المشيخة فان كانت إهانة المشيخة فابدأ بتبرئة ثباتك مع هذا الحزب وان كانت اهانتك افتظن ان قيصر ينتقم لك من اعدائك وهو لم ينتقم من اعدائهِ فهل ترى يا قيصر اني حاولت ان أُدافع عن ليكاريوس وان ابرِئهُ وازكيهُ ولم يكن غرضي من الكلام الاَّ ان احرك مروَّتك وحلمك ورأفتك

قد دافعتُ في كثير من الدعاوى حتى معك حين نجاحك الاول في المحاماة ولم تسمعني قط اقول امام المحاكم اغفروا ايها القضاة ان من أُدافع عنهُ قد ارتكب الخطأ والاثم لا عن رويَّة وان كان لا سمحت الآلهة قد وقع ذلك منهُ فيما بعد

هذا منهج المدافعة عن ولدٍ بين يدي والدهِ واما القضاة فيقال لهم لم يفعل ذلك ولم يكن لهُ اربٌ فيهِ والشهود مزورون والشكوى افتراء . ألا قل يا قيصر فلست هنا الاَّ قاضياً قل اي

حزب اتبع ليكاريوس . انا اسكت على هذا واعدل عن كثير من الوسائل التي كانت تقع موقع القبول عند قاضٍ . فانهُ غبَّ ان سافر وكيلاً عن الحاكم قبل القتال وبعد ان ترك في اقليمهِ كل مدَّة السلم وعقب ان فاجأتهُ حرب غير متوقَّعة فبدلاً من ان يسعى في قتالك كان ميلهُ معك يدعو لك بالفوز . هذا ما ينبغي ان يقال لقاضٍ لو كنتَ قاضياً لكني اخاطب اباً فاقول اني اخطأت وغلطت وانا نادم مستغفر عن زلَّتي فان كنت حتى الساعة لم تعفُ عن احدٍ فتوسَّلي لحة مني وان كنت قد عفوت عن كثير من المجرمين فاجرِ معي على ما خوَّلتني من حقّ الامل والرجاء . أفيبقى ليكاريوس بلا املٍ وقد اذنت ان اقوم شفيعاً بين يديك

(١١) لا على خطابي ولا على التماس اصحابك بنيت الأمل في نيل الارب فقد علمت انك في جميع الحوادث التي يشفع فيها عندك في وطنيَّ كنت لحجج الشفعاء ارعى منك لشفاعتهم فلا تراعي مالهم من الحظوة قدر ما تراعي اهتمامهم بشأن من يشفعون فيهِ عندك ومع انك ترتاح الى ان تغمر اصفياءك بالنعم فالذين يتمتعون بكرمك يظهر لي انهم بعض الاحيان اسعد حالاً منك انت الذي تنعم عليهم فمع ذلك قلت واقول ان حججهم تكون اقوى عليك من شفاعتهم . والذين تتبيَّن غمهم اعدل فلهم على قلبك حقوق اقوى

لا ريب انك بالابقاء على ليكاريوس تفيض الابتهاج على قلوب جمّ من اوليائك فلا تصغِ الاَّ الى الحجج التي من شأنها ان تحضك على ذلك . فهؤلاء السابان الذين أجللت بسالتهم وهذا اقليمهم زهرة ايطاليا وغرَّة جبينها واثبت سندٍ لمشيختهم يعرفونك معرفة كاملةً . ألا انظر الى توجُّعهم وحزنهم . ثم اعلم منزلة بروكيوس في عينك وهو وابنهُ حاضران هنا وانت ترى الدموع منسجمة من عيونهما والغمَّاء بادية على وجوههما . وهل اذكر اخوة ليكاريوس آه فلا تحسبنَّ هذا يتعلق بخلاص رجلٍ واحدٍ فانت مزمع إما ان تبقي في رومة بني ليكاريوس الثلاثة واما ان تنفيهم ثلاثتهم . والمنفى كائناً ما كان يظهر لهم افضل من الوطن والبيوت وآلهتها . وان كان هو وحدهُ الذي ينفى فعسى دموع اخوتهِ ومن اخذهم التوجع لهُ ورأفتهم الاخويَّة وعواطفهم الطبيعيَّة ان تلاقي منك قلباً يرثي لها . وعسى ان تحقق هذه الكلمة الخارجة من فم الغالب " خصومي كما تقولون يعدُّون عدوَّاً كلَّ من لا يحطب في حبلهم[1] وانا اعدُّ كل من لا يحطب في حبل عدوّي صديقاً لي " . اترون ايها الوطنيون الاماثل عترة بروكيوس كلهم ومرسيوس وسيزيتيوس وكورفيديوس الفوارس

(١) يقال حطب فلان في حبل فلان : اذا نصرهُ واعانهُ

الرومانيين لابسين ثياب الحداد . انتم تعرفونهم وتجلونهم ولقد كانوا معكم ولقد هجنا عليهم ولمناهم على تغيبهم حتى ان بعضنا اوسعوهم وعيداً وتهديداً

ألا استبق لاصفيائك الصفيّ الذي يسألونك الابقاء عليهِ وبيّن ان وعد قيصر لم يكن ملقاً (١)

لو استطعت ان ترى ما كان من الاتحاد بين بني ليكارس كما هو لحكمت انهم ثلاثتهم كانوا معك ومن ذا الذي يجد طريقاً الى الشك ان ليكاريوس لو تسنى لهُ ان يكون في ايطاليا لانحاز الى هذا الحزب كما انحاز اليهِ اخوتهُ . هل من احد يجهل ما بين هذه الاخلاق القويَّة التشابه من متانة المبادىء واتفاق الآراء . وهل خالج احداً الريب ان لا يرام مختلفي الاهواء والمصالح . نعم كلهم ثلاثتهم كان هواهم معك غير ان واحداً قد اقصتهُ الزوبعة التي حدثت في البحر . وهب ان ذلك كان عن اختيار فلهُ اسوة بكثيرين ممن ظفروا بعفوك وكرم صفحك . ذلك وافترض الآن انهُ سافر وفي ضميرهِ ان يوقد نار الحرب وانهُ انحاز عنك وعن اخوتهِ ايضاً فاخوتهُ الذين كانوا معك يشفعون فيهِ عندك . وان الارتباكات التي أحدثت لك في رومة تشهد كما اتذكر بما بدا لليكاريوس وقد كان وزير المالية يوم ذاك من العناية والهمة تأييداً لحقوق مقامك وفي الاشارة الى ذلك غناء . فارجو ان قيصر الذي نفسهُ الشريفة الكريمة لا تستطيع ان تنسى الاّ الاهانة ان يذكر ما لوزير المالية هذا من الخدم المحمودة وان يذكر سيرة بعض حلفائهِ ورفقائهِ

لم يكن في وسع ليكاريوس ان يسبق فيتلافى ما حدث فلم يقم في ضميرهِ يوم ذاك الاَّ ان يثبت لك غيرتهُ وخلوصهُ وهو اليوم يتضرع اليك في خلاص اخيهِ . فاذا ذكرت هذه الخدمة قدَّمت لهم وللجميع هؤلاء الوطنيين الأجلاء ولي انا وليهم بل لجميع المشيخة ثلاثة اخوة ملء نفوسهم شرف وفضيلة . فما صنعتهُ من عهدٍ قريب في مجلس الشيوخ مع مرسلوس العظيم فتكرَّم واصنعهُ اليوم في الفورم (٢) مع اخوة يحترمهم هذا المشهد . فقد وهبت مرسلوس لمجلس الشيوخ فهب ليكاريوس للشعب الذين خاطرهم غالٍ عندك . فاذا كان يوم الصفو امجد لك واحبّ الى الشعب الروماني فلا تتردَّد يا قيصر ولا تتأخر عنهُ . استحلفك ان تغتنم الفرص الموصلة الى مثل هذا المجد فلا احبّ الى الناس من الرأفة وهي موضع اعجابهم دون جميع ما تزيَّنت بهِ من المناقب وبها يُعرف الناس انهم ادنى الى الالوهيَّة . فما من شيء اعظم

(١) الملث بالفم فيكون : وعد لا ينوى بهِ الوفاء والغرض منهُ ان يرد بهِ السائل طيب النفس

(٢) الفورم مكان برومة كان يحتفل فيهِ للتكلم في الشؤون العمومية

في سعادتك من ان تجعل البشر سعداء وما من شيء احسن في طباعك من ان تصبو الى ذلك ربما كانت هذه الدعوى تقتضي خطبة اطول لكنها خطبة اقصر من هذه كانت كافية لقلب من مثل قلبك . ولما كان قائماً في اعتقادي ان افضل خطيب يقوم بين يديك انما هو انت نفسك وقفتُ عند هذا الحدّ لا اضيف اليهِ الأَ هذه العبارة انك بالعفو عن ليكاربوس الغائب تقلّد نعمة جسيمةً اعناق كل من ترى من هؤلاء الملتمين بين يديك . انتهى

سعيد الخوري الشرتوني

الشعر ومصلحة الامة

كان شعراؤُنا يرفعون قصائدهم الى الملوك والامراء ولا يضمنونها الأَ المديح والاطراء وان المّوا بغاية لم تتعدَّ مصلحة لهم او التعريض باص لا مصلحة فيهِ للامّة اما الآن فصرنا نرى من الشعراء اهتماماً بالمصالح العامّة . وقد بعث الينا احد فضلاء تونس بقصيدة رفعها الى مولاهُ باي الايالة التونسية مهنئاً اياهُ بالعام الجديد ومتوسلاً اليهِ ان يرفع منار العلم في البلاد . ومما جاء فيها قولهُ

سعد السعود اليك اهدى ... في ساعة الاقبال وفدا
عام سعيد امّكم ... دامت لك العلياء تُهدَى
ان الولاء اعز ما ... يهدى لسدتكم ويسدى
سعدت مطالع عمركم ... وحباك عون الله رفدا
وامدكم توفيقهُ ... فيما الى الاصلاح ادّى
يا ايها الملك الذي ... فرشت لهُ العلياء خدا
ما جاء مثلك سيد ... ركب الثناء اليهِ يحدى
ملك تراهُ مع الفتـ ... ـوة للعلاء ابا وجدا
اسهر على خير البلا ... د فانك الملك المفدَّى
وامدد يمينك للنجا ... ح وجدَّ في الاصلاح جدا
ان كنت أُصدق سيدي ... فالحال تؤذي الحر جدا
او كنت اكذبهُ فقد ... داهنتهُ والغش اعدى
ابناء قومك اصبحوا ... في زمرة الاموات عدا

لا نصرة الاَّ اذا ربع العلوم بك استجدا
فالعلم يمنح اهلهُ بين الورى عزًّا ومجدا
قد جئت ارجو منكمُ ما حافظ من سعد ودًّا (١)
والامر مهل سابغ ومقال مثلك لن يردا
فارحم مدارسنا التي فيها الجهول قد استبدا
وانظر لجامعنا الذي هدتهُ ايدي الجهل هدًّا
فلقد تجلل بالسواد وبالجهالة قد تردَّى
هل فيهِ للعمران من نور تالق او تبدى
مع انهُ البحر الخضم لهُ الرحال تشدُّ شدا
فاذا تراجع جزرهُ وغدا بعرفان ممدًّا
أغنى العباد بمجدهِ وسقى البلاد وساغ وردا
فانعش بهِ آمالهم حتى يجدُّوا فيهِ جدا
ويذوق فيهِ شبابنا من لذة التعليم شهدا
وليفقهوا من امرهم ما كان بالاصلاح اجدى
وليسألوا التاريخ عما جر للاجيال حمدا
فالعلم نور ساطع يؤذي عيونًا بتن رُمدا
لو بات كل عاملاً بالزهد اسى السهل صلدا
والله يكره في الخلائق كل بطَّال ٍ علندى
يا ايها الملك الذي اربى على الجوزاء مجدا
اني اصوغ لجيدكم من لؤلوء الاخلاص عقدا
ورجايَ عند قبولهِ ان لا يحل ولا يردا
قد صغتهُ من جوهر اضحى بمدحي فيك فردا
يهنيك عام اسعد عش مثلهُ الفين عدا
ارختهُ نورًا يرى سعد السعود اليك اهدى

"ش . ف"

(١) اشارة الى دالية حافظ افندي ابرهيم التي رفعها الى ناظر المعارف المصرية سعد باشا زغلول

كانت سورية مدرسة اوربا

يعلم القراء الالباء ان غارة الاسكندر المكدوني على سورية ورسوخ قدم خلفائهِ السلوقيين فيها صبغ البلاد بالصبغة اليونانية بحيث اصبح الكثيرون من سكانها يتكلمون لغة السائدين فيها وينتحلون مناحيهم وامسى كبراؤهم وادباؤهم يقرأون كتب اليونانية وآدابها ويتعلمون مآ دبوهم العلوم والفنون المتصلة اليهم من حكماء اليونان . ولم ينحصر هذا في القطر السوري بل تعداه الى ما بين النهرين وغيره من الاقطار الاسيوية التي ساد فيها العنصر اليوناني غير ان القول بتأدب المستنيرين باليونانية لا يفيد ان سكان تلك الاقطار بجملتهم نبذوا لغاتهم ظهرياً والاَّ لما قام في اذسا وهي الرها الحالية مدرسة تعلم العلوم واللغتين اليونانية والسريانية تعليماً حسناً اذاع صيت المدرسة حتى تقاطر اليها طلاب العلم

وكانت اذسا يومئذٍ محط رحال علماء السريان وفيها المكاتب الحافلة بكتب لغتهم اليونانية . على ان الكتب اليونانية كانت واعية فلسفة اليونان وآدابهم فانبرى بعض جهابذة السريان لنقل تلك العلوم الى لغاتهم لفائدة السواد الاعظم من ابناء جنسهم

وظلت هذه المدرسة عاملة على نشر العلوم من القرن الخامس للمسيح الى ان جلس على اريكة الدولة الشرقية الامبراطور زينون فاضطهد النساطرة لانهم على غير مذهبهِ اضطهاداً شديداً حمل علماء اذسا على مبارحتها والنجاة بانفسهم من ظلمهِ الى نصيبين فتضررت مدرسة اذسا لكن نشأ عوضها مدرسة نصيبين وشاع ذكرها

اما اليعاقبة فكان من امرهم انهم طلبوا العلم والفلسفة وبرعوا في تحصيلهما ونشرهما وانشأوا لذلك مدرستين احداهما في رسابن اسسها سركيس مطران تلك المدينة والاخرى في قنسرين

والعلوم التي كانت تدرس في تلك المدارس هي الفلسفة والطب والصيدلة والحيوان والنبات والجغرافيا وعلم الفلك وغير ذلك مما كان لليونان فيهِ باع طولى

اما الطب فكان اشتغال النساطرة بهِ قديماً ومشهوراً بين اهل الشرق يرجع فيهِ الى آراء مشاهيرهم الآخذين هذا العلم عن اليونان

وشهرتهم فيهِ سهلت لبعض من فرَّ من علماء اذسا الى خوزستان ان ينشئ هنالك مدرسة للتعليم فما عتم ان اشتهرت هذه المدرسة بنجاحها الباهر وخرج منها كثيرون من العلماء ونطس الاطباء الذين علت مكانتهم بما نالوا من الحظوة في البلاط الكسروي ولدى امراء العرب في الحيرة وغسان

ولما فتح العرب سوريَّة وبين النهرين ورسخت قدمهم فيهما نشأت مدرستان عظيمتان احداها في انطاكية والاخرى في حاران لتعليم الطب واللغات العربية والسريانية واليونانيَّة وآدابها

اما في بلاد فارس فان العلم تقوضت اركانهُ بعد الفتح وكاد ينطمس على آثاره لولا نهوض العباسيين لنصرة العلوم والفنون · فان اولئك الخلفاء اولعوا بالحكمة والطب فاحيوا موات الهمم في طلبهما واستخدموا لنشرها تلامذة المدارس النسطورية من السريان واليعاقبة الذين مرت بهم زعازع الحروب فلم يراعوا بل حفظوا خزائن كتبهم سليمة لتكون مشكاة هدًى للعالمين

اعتبر ذلك بما عُرف عن الخليفة المأمون كيف بعث يطلب الكتب اليونانية في الحكمة والطب من القسطنطينية عاصمة الروم فلما نالها شرع يهتم بتعريبها وعهد الى حنين بن اسحق احد نطس الاطباء من نساطرة الحيرة بنقل كتب الطب ففعل وكان الرجل ضليعاً بمعرفة اللغات العربية والسريانية فاحكم النقل وانشأ الطب العربي جارياً فيهِ على النهج اليوناني

والنهج اليوناني في الطب ظلَّ عماد الطب العربي الَّا ان نوابغ الاطباء من العرب لم يكتفوا بما اتصل اليهم منقولاً عن اليونان بل اخذوا شيئاً من مناهج الهند وغيرهم من المشارقة وزادوا فيهِ اشياء من مبتكراتهم

واشتهر من العلماء في الطب كثيرون من النساطرة وهذه كتب التاريخ تروي اسماء بضعة من نوابغهم وفيهم جماعة من رؤساء الدين وخدمتهِ حتى ذاع فضلهم ولم يأتِ القرن الحادي عشر للمسيح الَّا ومدارس الطب في الكوفة والبصرة ودمشق والقاهرة وانطاكية واورشليم وطرابلس الشام قد عبق اريج شهرتها وتقاطر اليها الطلاب من اقصى الممالك الاسلاميَّة

واما في سورية خصوصاً فان مدرسة الطب الكبرى كان يديرها خدمة الدين من السريان والنساطرة واليعاقبة حتى انهُ يروى ان المطران ميخائيل رئيس اساقفة اليعاقبة في حلب استعفى من مقامهِ الاسقفي واتى طرابلس واقام فيها يعلم الطب بمدرستها الى آخر ايامهِ · وممن اشتهر في تلك الاونة من علماء الطب تيودور الانطاكي الذي صار طبيباً للامبراطور فردريك الثاني والطبيبان باسيل الحلبي ويعقوب النسطوري الطرابلسي والطبيب ابو منصور الاورشليمي وتلميذهُ يعقوب بن صقلان طبيب السلطان صلاح الدين الايوبي

وقد اتصل بنا ان في القرنين الثاني عشر والثالث عشر كان الاطباء في سوريا اذا عالجوا انساناً يكونون ضامنين لسلامتهِ وشفائهِ من دائهِ وتأثير العلاج فيهِ ولكن اذا مات

عليلهم فكان لم ان يبرهنوا انهُ لم يتّبع نصائحهم وارشاداتهم ولم يستعمل علاجهم فكان هو الجاني على نفسهِ . وكان الطبيب كلما عاد مريضاً واعطاهُ وصفة علاج تحفظ تلك الوصفة حتى اذا مست الحاجة تؤخذ الى رئيس الاطباء فيرى هل احسن الطبيب فيها او اساء

واذا اخطأ الطبيب خطأ اودى بحياة العليل يؤخذ الطبيب بهِ فيشنق ان كان الميت حرًّا وتحجز املاكهُ وان كان رقيقاً غرم بثمنهِ

وهذا النظام الصارم كان من اوضاع الصليبيين في سوريا . ومن الغريب ان يشددوا على الاطباء الوطنيين مع انهم كانوا في اشد الحاجة اليهم كما سترى ومع انهم لم يكونوا يسمحون لطبيب بالمعالجة الا اذا اجتاز امتحاناً دقيقاً لدى لجنة من الاطباء يرأسها المطران

واما الصيدلة فان القوم كانوا يعتبرونها جزءا من الطب ولذلك كان الاطباء يهيئون العلاج بايديهم . على ان علم الصيدلة نال من العناية حظاً حتى كتب اطباء المسلمين والنصارى فيهِ كتباً جمة منها كتاب الفهُ علي الطرابلسي سنة ١٢١٩ م واتصل باوربا واسمهُ باللاتينية

Ornamentum Medici, Tractatus Chymico-Medicus.

وكان في جملة الدروس الطبية امراض العيون والجراحة والبيطرة وقد اهتم الاطباء بالبيطرة كثيرًا وكتبوا فيها واصفين ثلثمئة وعشرين مرضاً يصيب الحيوان

واما الفلسفة فقد كانت عند القوم يومئذٍ ركناً من اركان العلم الطبيعي لاسيما وان علمي الحيوان والنبات كانا يحسبان من اجزاء الفلسفة ولما ولع القوم بقراءة مؤلفات ارسطو مالت افكارهم الى التبحر في العلوم

وتوسع علماء تلك الايام في التاريخ الطبيعي توسعاً حسناً بالنسبة الى حالهم وينسب الفضل في اجادتهم فيهِ الى ما توفقوا اليهِ من جوب الاقطار ومعرفة حيوانها ونباتها

ففي القرن الثامن نبغ الجاحظ بن المامون فجمع مجموعةً حسنة من الحيوان وكثيرون من الطلاب اشتغلوا بدراسة هذا العلم ولولا كراهة التشريح وقلة التمحيص لاجادوا في معرفة خصائص الحيوان

واما النبات فقد اينع في سوريا بل يصح ان يُقال ان العلم بهِ نشأ فيها في القرن الثالث عشر لان ابن البيطار الاندلسي جاء سنة ١٢١٧ م فطاف في مصر واتى انطاكية ونزل دمشق وجال في لبنان يجمع نباتاتهِ ويرتبها وصحب في طوافهِ مصورًا ماهرًا يرسم لهُ ما يعجز عن حملهِ وكان قد سبقهُ الى التبحر في هذا العالم رشيد الدين الصوري الذي وُلد في صور سنة ١١٧٧ وقرأ العلم في دمشق وعكف على جمع نبات جنوبي سوريا وضواحي بيروت

وطرابلس وانطاكية ولبنان · واما القزويني فقد نال قصب السبق بما خلف من المؤلفات الباحثة في التاريخ الطبيعي فجعل القسم الاول من كتابهِ عن المعادن واكثر فيهِ من الاستشهاد بما كتب ارسطو وبحث في القسم الثاني في النبات وفي القسم الثالث في علم الحيوان من الانسان وذوات الثدي والطيور والحشرات · ومما يؤخذ على هذا المؤلف الذي جمع فارعى ان كلامهُ عن الحيوان لم يكن سديداً في مواضع جمة لانهُ لم يرَ معظم الانواع التي وصفها فجاء كلامهُ عنها ضعيفاً ركيكاً

اما علم الهيئة فان العرب اخذوهُ عن اليونان والهنود واكثر ما اعتمدوهُ آراء مدرسة الاسكندرية ولكنهم لم يقفوا عند حد ما اخذوا بل توسعوا فيهِ جدًّا نظريًّا وعمليًّا فانشأوا كثيرًا من المراصد واهتموا باتقان آلاتها فادركوا درجةً حسنوا بها ما اتصل اليهم ونحن نعرف عن اليونان انهم اقدر على احكام النظريات منهم على العمليات لقصورهم في الرصد ومعداتهِ فما لم يحسنوهُ في زمانهم ائمةُ العرب بضبط ارصادهم ودقة حسابهم

ومما نقل ان المأمون اقام مرصدين احدهما في بغداد والآخر في دمشق ثم بعث اربعاً من علماء الهيئة وهم سناد بن علي وخالد بن عبد الملك وعلي بن عيسى وعلي بن البحتري الى السهل الواقع بين تدمر والرقة ليتحققوا مقياس الدرجات

وتبحُّر العرب في علوم الهيئة اضطرهم الى اتقان العلوم الرياضية فبرعوا فيها حتى انهُ نبغ منهم في القرن التاسع بضعة من كبار المهندسين ومن ثم اخذوا الجبر عن الهنود واقدم من امتاز بعلم الجبر محمد بن قرة وثابت بن قرة وصلاح الدين الغزي واعظم ما انصرفت اليهِ هممهم ايضاً حساب المثلثات ليقتدروا على الانتفاع بهِ في ارصادهم وكان من اول النابغين الامير محمد بن جابر البتاني الذي توفي في القرن العاشر

ولم يقتصر علماء العرب على حفظ علوم الاقدمين بل فاقوا في الرياضيات معلميهم من علماء مدرسة الاسكندرية ونبغ منهم في ذلك العصر كثيرون منهم الملك المظفر تقي الدين محمود صاحب حماه

واما الجغرافيا فقد اتسعت عندهم بنسبة رحلاتهم لانهم طافوا سواحل الهند وسيلان والهند الصينيَّة وجاوى وسومطرة وبورنيو منذ القرن الحادي عشر وكان قد سبق بعض كتابهم وكتبوا في القرن العاشر وصفاً لاقطار اسيا الواقعة بين المتوسط وشبه جزيرة ملقا واجادوا في وصفها بما دلَّ على معرفة احوال البلاد ثم قام المسعودي وهو اعلم اهل عصرهِ وكان قد زار الهند واقام في كامباي ثم في مدكسكر حيناً من الدهر واتى بعدها سوريَّة وسكن طبرية

وانطاكية وقد اجاد في ما كتب عن الاقطار التي عرفها

وانشأ الادريسي مدرسةً في صقلية (سيسيليا) اشتهرت بتعليمها فن الجغرافيا تعليماً حسناً

وهكذا كانت سوريةُ في تلك العصور ملأى بالعلماء العارفين الجغرافيا ولربما كان منهم كتبة اودعوا علمهم بطون الاوراق فضاع بضياعها

والخرائط القديمة المحفوظة في متاحف اوربا وهي من صنع القرن الرابع عشر كلها مبنيةٌ على المعارف الجغرافية المستمدة من تلك الايام اعتبر ذلك بالخريطة المكتوبة باللاتينيةُ الموجودة في المكتبة الوطنية في باريز عدد ٤٩٣٩ فانها رسمت سنة ١٣١٠ للارض المقدسة وتجد فيها المواقع مضبوطة كل الضبط ومجموع خرائط بياتروفسكونتي المرسومة سنة ١٣١٨ وبغيرها من الخرائط الاخرى

واما الفلسفة فان كتب اليونان فيها عُربت باهتمام الخلفاء ونقلها العلماء من النساطرة واليعاقبة الى اللغة العربية كما هو مستفيض بين قراء التاريخ

واشتغال العرب بالفلسفة لم يحفظها فقط من الضياع بل اكسبها تفنن بعض الحكماء في البحث وتعليق الحواشي عليها حتى صارت موضوعاً يتهافت عليه الطلبة

فاتضح لنا من البحث الاجمالي الذي ذكرنا ان سكان سورية في القرن الحادي عشر للميلاد كانوا راقين في معارفهم وعلومهم رقياً يُعد يومئذٍ من الطراز الاول الاَّ ان الفرق بين رقيّ تلك العصور ورقيّ اوربا واميركا لهذا العهد عظيم وذلك لان المتعلمين اليوم هم سواد الامم الراقية بخلاف الحال يومئذٍ فان المستنيرين كانوا نخبة الطالبين فضلاً عن ان العلوم التي كانوا يحسبونها يومئذٍ منتهى الحكمة والمعرفة انما هي اليوم مستفيضة بين الناس الاَّ الفلسفة والطب فانهما ما برحا من دروس الخاصة على انهما ارتقيا بذاتهما كثيراً

اما الاوربيون الذين اغاروا في اواخر القرن الحادي عشر على سوريةَ وامتلكوا بعض انحائها وعرفوا في التاريخ باسم الصليبيين فانهم كانوا في جهلٍ مطبق . وفضلاً عما كانوا يعانون في بلادهم من سلطة الاكليروس والاعيان كانت خلالهم واخلاقهم وآدابهم الاجتماعية والسياسية ومعارفهم مما يكاد لا يجد لهذا العهد مثيلاً الاَّ بين الامم البعيدة عن العمران . فلما رسخت اقدامهم في البلاد رأى اعيانهم ان القوم المغلوبين ارقى منهم في المعرفة فاندفع ابناؤهم يطلبون العلم في المدارس التي وجدوها . واهم ما اتجهت اليه خواطرهم علم الحقوق فبرع فيه كثيرون منهم

ومما يحكى عن احد عظائهم المسمى رينوده ساجت انهُ برع في العلوم والآداب الشرقية براعةً عقدت عليهِ الخناصر وانهُ كان مولعاً بدروسهِ حتى انهُ استخدم عالماً من الوطنيين يقرأ لهُ كتب العلم ويفسرها حتى تضلع منها واصبح في مقام يعجب منهُ علماء الشرق انفسهم وقد اجتمع بهِ بعضهم سنة ١١٨٨ في حضرة السلطان صلاح الدين الايوبي فادهشتهم غزارة مادتهِ وسعة علمهِ . وكان لهُ ابن اسمهُ باليان قيل عنهُ انهُ فاق اباهُ

ومال غير من ذكرنا لقراءة علوم اليونان وآداب لغتهم فبرعوا فيها اخصهم جفروى الكاهن فقد ذكر عنهُ احد المؤرخين انهُ كان اعلم اهل زمانهِ باليونانية وادابها

ومعظم الامراء والاعيان ولعوا بتعلم اللغة العربية فبرع منهم كثيرون اخصهم البرنس همفروى ده تورون الذي كان يترجم بين الملك ريشار قلب الاسد والملك العادل اخي السلطان صلاح الدين ومثلهُ بودوين دابلين الذي كان ترجمان الملك لويس القديس اثناء اسرهِ في مصر

واما الجغرافيا فان الصليبيين مالوا لدراستها بكليتهم منذ وطئت اقدامهم ارض سوريا لما قدَّروا من انها تجر لهم نفعاً ومثلها علم الهيئة

واما علم الطب فالمستفاد من تواريخ الشرق والغرب ان الصليبيين كانوا يعتمدون فيهِ على علماء البلاد اكثر من اعتمادهم على علمائهم واخص من نال ثقتهم رجال الدين من السريان اليعاقبة لان الاطباء الافرنج الذين جاؤوا من اوربا لم يكونوا يضارعون الوطنيين في معارفهم الطبية واقتدارهم ولذلك لبثوا احط منهم شأناً لا سيما وان معارف اولئك كانت قاصرةً على تجاربهم من غير علم صحيح بالامراض وخصائص الادواء ولهذا مال الصليبيون منذ حلوا سوريا الى الانتفاع بمعارف الاطباء الوطنيين من سريان ونساطرة ويعاقبة واسرائيليين ومسلمين فاصبح الاطباء في مقام عالٍ في المجتمع الافرنجي .ولا تخلو تواريخ الصليبيين من الامتعاض من حالة اطبائهم وقصور معارفهم ولعل ذلك كان سبباً في تشديد الوطأة على من يسيء المعالجة منهم . ومعظم مؤرخي تلك الاونة متى كتبوا عن الطب والاطباء يحصرون كلامهم في العواصم الاسلامية كدمشق وبغداد والقاهرة وما فيهن من المدارس الا ان في تضاعيف اخبارهم ذكراً لا سماء بعض نوابغ المدارس الاخرى في سوريا لا سيما المدرسة الكبرى المسيحيَّة التي يستفاد من رواية كاترمر quatremere وراي E. Ray انها كانت في طرابلس الشام تعلم الفلسفة والطب وقد نبغ منها كثيرون من المشاهير ومثلها مدرسة انطاكية

واما في التاريخ الطبيعي فلمدرسة طرابلس القدح المعلّى لانها فضلاً عن المؤلفات القديمة التي كان طلابها يقرأونها كانت تأخذ كثيرًا عن السياح والمسافرين

ويستفاد من رواية المؤرخ جاك ده فتري ان بعض الصليبيين وهو في جملتهم طلبوا هذا العلم ايضاً ولكن ما ذكره نتفاً من الموضوع يدل على ان هذا العلم لم يكن خالياً من الترهات والركاكة على ان بعض نقدة عصرنا يرى ان المؤرخ المأثور عنهُ تحرّي البحث والتدقيق في كل موضوع وقعت عينهُ عليهِ فجاء كلامهُ صحيحاً بخلاف ما ذكرهُ عما لم يرهُ بل نقل حديثهُ نقلاً فان هذا الضرب مملوء بالوهم والخطاء

اما الفلسفة فان مدارس سورية شرعت تعلمها على ما اتصل بها عن اليونان والسريان والعرب وكان يغلب عليها صبغة مذهب ارسطو بدليل ان بعض نقدة العصر يرون في مذهب ابن العبري الفلسفي شيئاً من مظاهر هذه الصبغة · وابن العبري كما روى السمعاني من تلامذة مدرسة طرابلس

وقصارى القول ان السوريين من النساطرة واليعاقبة وغيرهم حفظوا العلوم القديمة من الضياع واتسعوا في فهمها ونشرها وعلّموها للصليبيين النازلين بين ظهرانيهم فكانت شعلة نور اتصلت بواسطتهم باوربا ومدارسها القديمة حتى قال جوردان Jourdain ان مدارس باريز ابتدأت تعلم فلسفة المشائين سنة ١٢٢٠ وسنة ١٢٢٥ وهذه الفلسفة على ما ذهب اليهِ العلاّمة رينان هي التي كان يعتمدها السوريون

فان صحّ ذلك فلسوريا الفضل الاعظم في تعليم اوربا · الاّ انّا ندوّن ذلك من قبيل البحث التاريخي البحت لا نقصد بهِ التفاخر لانهُ لا يفتخر بالرمم الاّ ساقطو الهمم

ومما يجب ان يذكر ان اطلاقنا اسم العرب على المشتغلين بالعلم لا يختص بابناء الامة العربية بل يشمل كل الذين كانوا قد خضعوا لحكم العرب من الفرس والسريان والروم وغيرهم

فعسى ان تتقد فينا الحميّة لاسترجاع عز الشرق العلمي ومكانتهِ السامية في الرقيّ بما نأخذ عن القوم السابقين من دراسة مناهج رقيهم لئلاّ نظلّ في تأخرنا ونراهم في اوج حضارتهم فنقول حسبنا انهم يمتعون بما اخذوهُ عنا

ر · ن

البريد المصري

وسابا باشا

كيفما قلَّب المرء طرفهُ في احوال هذا القطر واعمال حكومتهِ رأى دلائل الارتقاء بادية عليها كلها ولو على درجات متفاوتة . والثقات الذين يعتمد على قولهم يشهدون ان مصلحة البريد من ارقى مصالح القطر ان لم تكن ارقاها كلها ويشاركهم في هذه الشهادة الالوف من سكانهِ من وطنيين واجانب . ثم ان الاوربيين والاميركيين الذين تكلموا عن مصلحة البريد المصرية وقابلوها بمصالح البريد في اوربا واميركا شهدوا انها من ارقاها كلها لا تفوقها مصلحة بريد في اوربا ولا في اميركا وان الفضل الاكبر في ترقيتها وابلاغها هذا الحد هو لمديرها العام صاحب السعادة سابا باشا . وقد عزم هذا العامل الهمام على اعتزال الخدمة وضمَّن التقرير السنوي الاخير الذي وضعهُ لمصلحة البريد ادلَّة ارتقائها في العشرين سنة الماضية اي منذ تولى ادارتها الى الآن . وقد جمعنا خلاصة ذلك في الجدول التالي وهو عن ارتقاء كل فرع من فروع البريد من سنة ١٨٨٦ الى سنة ١٩٠٦ محسوبة فيهِ حالتهُ كل سنة خامسة بدلاً من كل سنة

	١٨٨٦	١٨٩١	١٨٩٦	١٩٠١	١٩٠٦
عدد المراسلات	١٣٦٩٥٠٠٠	١٧١١٦٠٠٠	٢٤١١٠٠٠٠	٢٣٧٣٠٠٠٠	٥٨٠٠٠٠٠٠
عدد الخطابات المؤمن عليها	١٣٦٠	٢١٠٠	٢٢٠٠	٤٠٠٠٠	١١٧٠٠
قيمة " "	٤٢٨٠٠ ج	٨٣٣٠٠	٧٢٨٠٠	١٩٠٠٠٠	١٠٦٨٠٠٠
قيمة الحوالات وصرر النقود	١٠٦٥٣٠٠٠	١٣٣٥٣٠٠٠	١٥٩٠٠٠٠٠	١٧٤٠٠٠٠٠	٢٣٣٥٨٠٠٠
عدد طرود البوسطة	١٢٣٣٠٠	٣٠٣٦٠٠	٣٨٤٠٠٠	٤٤٧٠٠٠	٨٥٨٠٠٠
عدد اوراق التحصيل	٣١٠٠	٢٧٣٠٠	٤٣٨٠٠	٦٣٥٠٠	١١٦٦٠٠
قيمة " "	٦٣٠٠ ج	٦٠١٠٠	١٨٣٣٠٠	٤٣٦٥٠٠	٩٠١٣٠٠
مكاتب البوسطة وفروعها	١٧٤	٥١٧	٧١١	٩٧٣	١٣٤٩
دخل مصلحة البريد	١١٤٣٠٠	١١٢٣٠٠	١١٤٧٠٠	١٤٢٣٠٠	٣٣٧١٠٠

فعدد المراسلات زاد من نحو ١٢ مليوناً الى ٥٨ مليوناً اي نحو خمسة اضعاف وعدد الخطابات المؤمن عليها زاد من ١٣٦٠ الى ١١٧٠٠ اي نحو ثمانية اضعاف وقيمتها من ٤٢٨٠٠ جنيه الى مليون و ٦٨ الف جنيه اي ٢٥ ضعفاً . وقيمة الحوالات وصرر النقود من عشرة ملايين الى ٢٣ مليوناً فزادت ١٣ مليوناً من الجنيهات وعدد الطرود من ١٢ الفاً الى نحو ٦٨

الفاً وعدد اوراق تحصيل النقود من الفين الى ١٦ الفاً وقيمتها من ٦٣٠٠ جنيه الى تسع مئة الف جنيه ومكاتب البوسطة وفروعها من ١٧٤ الى ١٢٤٩

وقد خفضت اجرة نقل المراسلات كلها النصف ومع ذلك زاد دخل مصلحة البريد من نحو سبعين او ثمانين الف جنيه في السنة اي نحو ٢٣٧ الف جنيه اما الدخل المذكور سنة ١٨٨٦ و ١٨٩١ فيشمل ايضاً ايراد وابورات البوسطة التي ابطلت من ذلك العهد

وقد اضيف الى البريد ما سمي بصندوق التوفير يشترك فيهِ الآن نحو تسعة وخمسين الف نفس الوطنيون منهم نحو ٤٤ الفاً والباقون من الاجانب . وثمانية آلاف من هؤلاء التسعة والخمسين الفاً نساء وكان في هذا الصندوق في ختام العام الماضي ٣٣١ الف جنيه وكان فيهِ في ختام العام الذي قبلهُ ٢٤٠ الف جنيه وفي ختام عام ١٩٠١ الذي انشئ فيهِ نحو ٤٨ الف جنيه لا غير . واضيف اليها ايضاً صندوق توفير للاحداث فاشترك فيهِ حتى آخر العام الماضي ٤٢٢٥ منهم وعيّن مستخدم مخصوص يذهب الى المدارس في ايام معلومة لاستلام ما يوفرونهُ وايداعهِ صندوق التوفير

وكيفما قلّبت نظرك في اعمال البريد المصري لا تجد الاَّ عقلاً مدبراً مهتماً بمصلحة البلاد وتسهيل المعاملات على سكانها وهو عقل الرجل الهمام سابا باشا مديره العام . ولقد كان يحضر المؤتمرات الدولية و يقترح فيها الاقتراحات المفيدة و يناضل عنها حتى يقبلها رفاقهُ من مديري البرد و يُعمَل بها . فلهُ فضل على البريد بنوع عام كما لهُ فضل على البريد المصري بنوع خاص . وهو لا يزال كهلاً في تمام قوتهِ وهمتهِ فقد ولد سنة ١٨٥٢ من عائلة سورية استوطنت القطر المصري في زمن محمد علي باشا ووظف في مصلحة البوستة سنة ١٨٧٢ وجعل وكيلاً لها سنة ١٨٨٥ ومديراً عاماً سنة ١٨٨٧ وناب عن الحكومة المصرية في مؤتمر فينا سنة ١٨٩١ وفي مؤتمر وشنطون سنة ١٨٩٧ وفي مؤتمر رومية سنة ١٩٠٦ ونال الرتبة الثانية سنة ١٨٨٢ ورتبة ميرميران سنة ١٨٨٨ ومن النياشين المجيدي الثاني والعثماني الثاني والمجيدي الاول ونيشان تاج ايطاليا من الدرجة الاولى ونيشان فرنسوى جوزف النمسوي من الدرجة الثانية . ولما عين مديراً عاماً للبوستة كتب لورد كروم في تقريره يقول انهُ اول وطني عين مديراً لمنصب هام وان تعيينهُ في هذا المنصب الهام ارضى جميع الذين يهمهم ذلك . ولما استعفى من هذا المنصب كتب اليهِ ناظر المالية يقول نيابةً عن الحكومة المصرية " واذا شقَّ عليكم ان تفارقوا مصلحة اقمتم فيها منذ خمسة وثلاثين عاماً وادرتموها منذ عشرين سنة فنظارتنا تأسف من جهتها اشد الاسف لحرمانها من موظف كبير فاضل مثلكم بعد الخدمة

الطويلة التي قمتم بها لتوسيع مصلحة البريد التي حلّت تحت ادارتكم الموصوفة بالتدبير والفطنة محلاً رفيعاً ونجحت نجاحها الباهر المشهور. ولا يمكنني ختم هذا الكتاب بدون ان اعرب لكم عن خالص شكري وشكر الحكومة لخدماتكم الطيبة الثمينة. واوجه لكم اخلص تهنئاتنا بالتقدم العظيم الذي احسنتم قيادة مصلحة البريد اليه"



قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم اهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

الاشربة الروحية

قلما تجد مائدة من موائد الافرنج خالية من الشراب من الخمر او البيرا او الشمبانيا. ولا تولم وليمة من غير ان تشرب عليها اقداح الراح. ولا تحسبنَّ ذلك خاصاً بالافرنج بل هو شائع عند كل الامم حديثهم وقديمهم. فآثار مصر وخرائب بابل واشعار اليونان وتواريخ الرومان واخبار الامم الحاضرة والغابرة وكتب الرحلات كل ذلك ناطق بان الناس لم ينفكوا عن تعاطي كؤُوس الراح من اول عهدهم بين مقلٍّ ومكثر ومتعلّل ومدمن. ولم ينفك فضلاؤُهم عن التحذير منها والنهي عنها وحجتهم انها تسكر وتذهب العقل وتتلف المال والصحة. لكن النهي والتحذير لم يأْتيا بطائل فلا يزال الناس ينفقون على الخمور اضعاف ما ينفقونهُ على تعليم اولادهم وينفق بعضهم عليها اكثر مما ينفق على طعامهِ ولا يزال الاطباء يصفونها لضعاف الاجسام كأَنها من المقوّيات فيقوّون اعتقاد الناس فيها ويزيدون ميلهم اليها. فهل الاطباء مصيبون في ذلك وهل نفع الخمور كافٍ للتكفير عن مضارها هذه مسأَلة جديرة بالنظر ولا سيما بنظر الاطباء.

ولا نريد بالمضار هنا مضارَّ السكر لانها تفوق كل ما يمكن ان ينسب الى الخمر من النفع اضعافاً كثيرة فلا وجه للموازنة بينهما وانما نريد مضار الشرب المعتدل او شرب الخمور على الطعام الذي اعتادهُ الاوربيون ومن جرى مجراهم واتفق اكثر الاطباء على وصفهِ لنحاف الاجسام او للذين ساء هضمهم للطعام

يُقصد بالطعام تغذية الجسم و بالشراب تسهيل هضم الطعام حتى يغذي الجسم . وليس وراء ذلك فائدة عملية من الطعام او من الشراب لمن يأكل ويشرب . نعم ان من يبيع الاطعمة والاشربة يستفيد كثيرًا من بيع بضاعته نفعت المشترين او اضرتهم ولذلك نرى صانعي الخمور و بائعيها من اغنى اهل الارض ولكن هذه الفائدة خارجة عن موضوع بحثنا ولو كانت الدافع الاكبر لترويج الخمور في الدنيا . ولا ينكر ان في الطعام والشراب لذة للآكل والشارب ولكنها تختلف كثيرًا باختلاف الناس واعمالهم واحوالهم من الصحة والمرض والراحة والتعب والانس والوحشة و باختلاف الرهط والصحب الى غير ذلك مما لا ضابط له لكن هذه اللذة وان افادت في بعض الاحيان لا تعدّ من النفع المقصود بالطعام والشراب وهو تغذية الاجسام . فان جسم الانسان كجسم الحيوان وكجسم النبات من هذا القبيل ينمو ويقوى وتصلح حاله بالغذاء الكافي و يؤذى و يضعف وتفسد حاله بقلة الغذاء

ازرع بزرة في التراب واتركها من دون ماء فلا تنبت او ازرع البزرة في الماء واتركها من دون تراب فلا تنبت وان نبتت ذوت و يبست حالاً . لان نمو البزرة حتى تصير شجرة يقتضي ان تغتذي والغذاء يأتيها من التراب ولكن لا بدّ من ان يذوب اولاً في الماء حتى يتمكن من دخول جسمها وتغذيتها . فاذا زُرعت في التراب ورويت بالخمر لم تعش ولم تنبت . وهذا امر يستطيع كل احد امتحانهُ فيرى ان الخمور لا تذيب الاطعمة على اسلوب يجعلها صالحة لتغذية النبات . وجسم الحيوان يختلف عن جسم النبات من وجوه كثيرة ولكنهما يتغذيان على اسلوب واحد تقريبًا

ولقد اثبتنا في مقالة سابقة موضوعها الحق والباطل ان مقياس الحقائق استعمالها والانتفاع بها . وهذه الحقيقة اي ضرر شرب المسكرات مهما كان مقدارها قليلاً وجدت لها شركات التأمين على الحياة نفعًا كبيرًا فهي تتساهل مع الذين لا يتعاطون المسكرات ابدًا اكثر مما تتساهل مع الذين يتعاطونها ولو قليلاً . اي صار للامتناع عن شرب المسكرات قيمة مالية تقدرها شركات التأمين بالدرهم والدينار . وقد وصلت الى ذلك بعد اختبار طويل واستقراء دقيق وهذا ادلّ دليل فعلي على ضرر المسكرات ولو وصفها الاطباء واطنبوا بمدحها ونفعها . فاذا عرض اثنان ان "يسوكرا" حياتيهما على مبلغين متساويين من المال وكان سنهما واحدًا واعمالها واحدة وتساوت فيهما كل الشروط التي تشترطها شركات "سوكرتا" الحياة ما عدا شرب المسكرات اي كان احدهما يشرب الخمور والآخر لا يشربها فان الشركة تفرض على الاول اكثر مما تفرض على الثاني لكي تسوكر حياتيهما على مبلغين متساويين . وان

دفعا مبلغين متساويين كل سنة ضمنتُ للثاني اكثر مما تضمن للاول كأنها تقول بعبارة تجارية حسابية لا تقبل الشك ولا الريب انهُ قد ثبت لي بالاستقراء ان عمر الذي يشرب مسكرًا اقصر من عمر الذي لا يشرب مسكرًا فلا استطيع ان اعاملهما معاملة واحدة واكون بأمن من الخسارة . ولا بدَّ للذي يشرب المسكر من ان يدفع لي سنويًّا اكثر مما يدفع مَن لا يشرب مسكرًا لكي اضمن حياتيهما على مبلغين متساويين من المال . وهذا وحدهُ يكفي لان يكون فصل الخطاب بين الذين يقولون بضرر المسكرات ولو كان مقدارها قليلاً وشربها معتدلاً وبين الذين يقولون ان لا ضرر منها حينئذٍ بل منها نفع

وهذا الحكم العملي التجاري المبني على الاستقراء يؤيدهُ العلم ايضًا . قال الكولونل دافي احد اطباء الجيش الانكليزي في مقالة نشرت حديثًا في مجلة القرن التاسع عشر ان المسكرات تفعل بالطعام فلا يعود ينهضم بالسرعة التي كان ينهضم بها لولاها . وتفعل ايضًا باعضاء الهضم فتقسّيها كما تقسي القطع اللحمية التي توضع فيها فلا يعود فعل الهضم سهلاً عليها واذا اختلَّ فعل الهضم اختلَّ فعل التغذية . وتضرُّ ايضًا بالرئتين والكليتين والكبد والدماغ

غير ان كثيرين يشربون المسكرات بالاعتدال ولا يتألم من شربها ضرر ظاهر فيتخذون ذلك دليلاً على عدم الضرر من الشرب المعتدل . ولكن هل قاس احد قوة هؤلاء الناس الجسدية والعقلية وهم غير شاربين للمسكرات بقوتهم الجسدية والعقلية وهم شاربوها . نعم انهم اذا اعتادوا الشرب فقد تضعف قواهم وتخمل عقولهم في الساعة التي اعتادوا الشرب فيها اذا امتنعوا عن الشرب حينئذٍ ولكن يحدث مثل ذلك بكل مَن يعتاد شيئًا ثم يفطم نفسهُ عنهُ حتى الافيون والحشيش لان اعصابهُ تصير تنتظر المنبه او المسكن في الساعة التي اعتادتهُ فيها فتضطرب اذا قطع عنها ولكن اذا تكرر هذا الانقطاع مدة الفتهُ الاعصاب ولم تعد تضطرب منهُ

وبديهي ان المسكر جسم غريب يدخل الجسم بل هو سم يتعب الجسم فيجاهد الجسم التخلص منهُ كما يجاهد للتخلص من سائر السموم التي تدخلهُ . وهذا الجهاد عمل شاقٌ يذهب فيهِ جانب من قوَّة الجسم واذا تكرَّر دخول هذا السم يومًا بعد يوم فلا بدَّ من حصول الضرر اخيرًا

وربَّ قائل يقول انا نرى الاطباء يصفون المسكرات في بعض الاحيان ويقولون ان لا بدَّ منها ولا يكتفون بوصف الضعيف الفعل كالخمر والبيرا بل يصفون القوي الفعل كالعرق والكنياك فكيف تقولون بضررها قولاً مطلقًا من غير قيد . والجواب ان الالكحول الذي هو العنصر الفعَّال في المسكرات على انواعها نافع في بعض الاحوال المرضية ولازم فيها دواءٌ

لا غذاء وخير للطبيب ان يصف حينئذٍ الالكحول النقي نفسهُ لا امزجتهُ المعروفة بالمسكرات وهو اذا وُصف كذلك شربهُ المريض مكرهاً ولم يجد في شربهِ لذة ولا رأى في نفسهِ ميلاً اليهِ بعد الشفاء من المرض . بل انهُ لو شرب اطيب المسكرات دواء لما وجد في نفسهِ ميلاً اليها كما لو شربها للتلذُّذ بطعمها . اما ما يزعمهُ بعض الاطباء من ان المسكرات غذاء نافع فزعم قديم قوّضت اركانهُ الآن . وليس الالكحول غذاء بل هو سمٌّ زعاف مثل سائر السموم ويجب ان يعامل مثلها يجتنب دواماً ولا يستعمل الاَّ اذا دعت الحاجة اليهِ دواء لان العلم والاستقراء قد اثبتا ذلك

مسكَّر المشمش

انتقِ المشمش الجيد وشقهُ قليلاً وانزع بزرهُ وضعهُ في اناء فيهِ ماء بارد وضع الاناء على النار حتى يغلي ثم زلّ الماء عن المشمش وضع بدلاً منهُ ماء بارداً ومتى برد زلّ هذا الماء عنهُ

وخذ لكل رطل من المشمش رطلاً من السكَّر وربع رطل من الماء اضفهُ الى السكر واغلهِ حتى يصير قطراً اذا اخذت قليلاً منهُ باصبعيك تجدهُ يخيط فضع المشمش فيهِ حينئذٍ واتركهُ على النار حتى يغلي وارفعهُ الى ان يبرد ثم ردهُ الى ما فوق النار حتى يغلي ثانيةً وصبهُ في اناء آخر واتركهُ الى اليوم التالي وزل القطر عنهُ واغلِ القطر حتى يصير ينتشر على الملعقة وصبهُ فوق المشمش واتركهُ اربعاً وعشرين ساعةً ثم زل القطر ثانية واغلهِ حتى يعقد اي اذا اخذت قليلاً منهُ بين اصبعيك وفتحتهما يصير خيطاً متيناً بينهما . وحينئذ رد المشمش الى هذا القطر واغلهِ على النار ثم صب الجميع في اناء واتركهُ الى اليوم التالي . وزل القطر في اليوم التالي وابسط المشمش على لوح حتى يجف ورش عليهِ سكراً ناعماً ومتى جفّ السكر عليهِ رش عليهِ سكراً آخر ناعماً

وما يقال عن تسكير المشمش يقال ايضاً عن تسكير الخوخ (الدراقن) والبرقوق (الخوخ) والكرز وما اشبه اي لا بدَّ من الاغلاء المتكرّر في قطر السكر حتى يحلَّ القطر محل كل الماء الذي في المشمش

التسكير المستعجل

اخبط بياض ثلاث بيضات او اربع حتى يصير رغوة كثيفة وضع الاثمار في هذه الرغوة دقيقة او دقيقتين ثم لتّها في السكر الناعم وضعها على ورق في الهواء حتى تجف

رب السفرجل الشفاف

خذ السفرجل الناضج وقشره وانزع البزر منهُ وما حول البزر وضعهُ في ماء بارد حالاً لكي لا يتغير لونهُ ثم اسلقهُ . ويوضع رطل ماء لكل رطل من السفرجل ومتى انسلق جيداً ضعهُ في كيس واعصره ولا تبالغ في العصر لئلاَّ يخرج المربى غير شفاف ثم اضف الى كل رطل من عصير السفرجل ٣/٤ الرطل من السكر الابيض وحركهُ حركةً دائمة وهو على النار حتى ينعقد ويتم انعقادهُ في نحو عشرين دقيقة ثم ارفعهُ عن النار وصبهُ في القناني الواسعة الفم

الماء ونضارة الوجه

كتبت احدى السيدات تقول لا شيء يحفظ نضارة الوجه مثل الإكثار من شرب الماء النقي فعلى السيدة التي تريد ان تحفظ نضارة وجهها ان تشرب كثيراً من الماء على الطعام وبين طعام وطعام سواء كان بارداً او غير بارد ولا سيما في الصباح بعد القيام من النوم وفي المساء عند الذهاب للنوم ويحسن ان يضاف الى الماء عصير الليمون الحامض قبل النوم وعند القيام منهُ

ولا بدَّ لحفظ نضارة الجلد من خمسة امور الاول النظافة والثاني الطعام البسيط المغذي والثالث الهواء النقي والرابع الرياضة القانونية المعتدلة والخامس النوم الكافي فالنظافة تقتضي الاغتسال بالماء والصابون الجيد الذي ينظف الجلد . وغسل الوجه واليدين مراراً كل يوم بالماء والصابون ويحسن ان يكون الماء فاتراً لا بارداً وان يذاب فيهِ قليل من الاملاح الطيبة الرائحة . والماء الذي يستعمل لغسل الوجه يجب ان يكون فاتراً ويصب فيهِ نقط قليلة من صبغة البنزوين فانها مقوية ومحسنة ثم يغسل الوجه بماء بارد بعد غسلهِ بالماء والصابون وينشف جيداً ولا يحسن ان تضغط العينان لان الضغط عليهما يتلف استدارتهما ويكون التنشيف بالمنشفة من اسفل الى اعلى لا من اعلى الى اسفل ويحسن ان يصب في الماء قليل من ماء كولونيا

والإقلال من الطعام واجب كالاكثار من شرب الماء لان اكثر الناس يأكلون كثيراً ويشربون قليلاً . والرياضة يكفي فيها ان تمشي المرأة ثلاثة اميال كل يوم في الهواء النقي بسرعة لان المشي في البيت ليس رياضة . والنوم يجب ان يكون ثماني ساعات على الاقل كل يوم

اطعام الاطفال

يجب ان يكون لكل طفل ملعقة وشوكة وكباية وصحن خاصة بهِ لانهُ ان اكل هو واخوتهُ واخواتهُ من صحن واحد وبملعقة او شوكة واحدة وشربوا من كباية واحدة واصيب

احدهم بمرض معدٍ كالدفتيريا انعدوا كلهم منهُ

واقبح من ذلك ان تمضغ الطعام بفمك ثم تلقمهُ للطفل تسهيلاً لمضغهِ فتنقل اليهِ ما في فمك من جراثيم الامراض كالجراثيم التي تتلف الاسنان وجراثيم الزكام وجراثيم القيح وجراثيم السل وما اشبه

علّم الاولاد ان لا يعلكوا العلك دواماً ولا يضعوا رؤُوس اقلام الرصاص او اقلام الحجر في افواههم

لعوق التفاح

اسلق ١٢ تفاحة في الماء حتى تنضج جيداً ثم انزع قشرها وامرثها واعصرها بمنخل من الشعر على نصف رطل من السكر . واخبط بياض بيضتين واضفهُ الى التفاح المروث واخبط الجميع معاً حتى يصير من ذلك لعوق ابيض فضعهُ في صحن من الزجاج للاكل

باب الزراعة

الشاي

قرأْنا في مجلة سينتفك اميركان نبذةً عن الشاي وما يستخدم لهُ وينتفع بهِ فاقتطفنا منها ما يأْتي

لقد كاد الناس يجمعون على شرب الشاي ولكنهم لا يعرفون لهُ نفعاً غير اتخاذهِ شراباً وغير نشر نفاية مغليهِ فوق البسط والسجاد ليعلق عليهِ غبارها ثم يرفع بكنسهِ عنها

اما في الصين فانهم يستخدمون اوراقهُ للكنس ايضاً ولكن لهُ عندهم منافع اخرى ففي الاقطار التي يقل فيها الوقود يجمعون النفاية حزماً على شكل الآجر ويجففونها ثم يستعملونها وقوداً والطعام او الشواء الذي يُعدّ على نارهِ ينال عندهم اعظم حظوة . ويتخذون رمادهُ سماداً ويستخدمون النفاية لمنفعة اخرى قبل اتخاذها وقوداً ذلك انهم ينقعونها او يغمرونها بالماء البارد لتسترجع خواصها في الدباغة والصباغ فان الحامض التنيك فيها يبلغ نحو اثني عشر في المئة فاذا احرزوهُ دبغوا بهِ الجلود او صبغوا النسيج فيخرج الصباغ اسمر جوزياً جميلاً ثابت اللون لا يحتاج الى مادةٍ تزيدهُ ثباتاً ولا يبوخ بفعل الشمس ولا بالغسل او العصر

وفي مواضع اخرى يتخذون من النفاية علفاً للماشية انتفاعاً بحجمها لا بما تحوي من الغذاء وفوق هذا فانها اي النفاية تجفف وتمزج بادنى انواع الشاي وتعدّ للتجارة ومغلي هذا النوع ليس باعلى من الشاي المألوف عندنا شربهُ

ومن اعجب ما يستعمل لهُ الشاي المجفف في بعض انحاء الصين استخدامهُ عملةً وقد نوَّه بذكر هذه المعاملة الغريبة غير واحدٍ من المؤلفين والسيّاح . ولم تزل هذه السكة جارية في اقصى داخلية الصين واخص مواضع استعمالها جنوبي البامير وتيبت وفي الشمال على مدى منغوليا والتخوم السيبرية . وقد خمنت قيمة المال الذي تتداولهُ الايدي بين مدينة اوركا من منغوليا ومدينة كياكتا من سيبريا بنحو نصف مليون ريال كلها من وريقات الشاي . وفي ما وراء مدينة كياكتا لا يتعاملون بهذه النقود بل يستعملون اوراق الشاي المجففة للتجارة لان هذا النوع منهُ يستعمل كثيرًا في الجيش الروسي ولا يحجم عن استعمالهِ السياح والمسافرون

ولقد نشرت المجلة التي نقتطف منها رسم قطعة من الشاي المستعمل سكةً بقيمة ريالين وقالت انها مصنوعة من افخر الانواع وهو الشاي الاسود وتراهم يكتبون عليها قيمتها وعلامة الحكومة او البنك الذي اصدرها فتقوم لديهم مقام القراطيس المالية ولا تنحصر قيمتها في الريالين بل تكون مختلفة المقادير

والشاي الذي يصدر من الصين للاتجار ليس من الانواع الفاخرة على ان بعض التجار الذين يستوردونهُ الى اوربا واميركا قد يطلبون من عملائهم نموذجاً من الفاخر فيرسلون اليهم قليلاً لا يعتمد في التجارة الاَّ نادرًا لان اثمانهُ تتراوح بين ١٥ و ٢٠ جنيهاً الليبرة الواحدة بل بلغ ثمن شيءٍ منهُ بيع في لندن نحو ٤٥ جنيهاً الليبرة . فاذا اعتبرت ان الليبرة تنتج نحو مئتي كأس من النقيع تبين لك مقدار غلاء الثمن وان هذا النوع الفاخر يكاد يعادل وزنهُ ذهباً

اما الشاي المستعمل من الزهر لا من الورق فقلَّ ان تجد منهُ بين الاصناف التجارية وهم يتخذون من ورق الزهر ومدقاتهِ نوعاً آخر بتجفيفها في الشمس فاذا نقعت اعطت لوناً شديدًا السمرة تتضوع منهُ رائحة لطيفة وتجد طعمهُ اكثر حرافة من طعم الوريقات العادية ولذلك لا يرجى ان يقبل عليهِ عامة الرغاب

اما النوع المسمى بحثالة الشاي فرائج التجارة في اوربا بخلاف ما هو عليهِ في اميركا حيث يبيعونهُ لطلاَّب الرخيص فلو جفف اقراصاً او على شكل الآجر كما هو الحال في الصين لراجت تجارتهُ اذ يصطنع منهُ شراب مقبول

وفي الصين يستعملون ضرباً من الشاي يسمونهُ بيجيكي شي اي شاي العذراء سموهُ كذلك لانهم يستعملونهُ في اعراسهم وهو وريقات النبات مجففة في الشمس ومن ثم تُربط بثلث قدد من الحرير الملوَّن ٠ وهذا الضرب يستعمل بعد شرب نقيعهِ مكبوساً في الخل ويؤ كل تابلاً

وهنالك ضربٌ اخر من الشاي لم يخرج من بلادهِ ولا عرفهُ الاوربيون والاميركيون الاَّ في الصين حيث ينبت في غربيها ولا ينتج منهُ الاَّ مقدار قليل لان القيام على زراعتهِ مكتومٌ في صدور زرَّاعهِ الذين توارثوا مناهج الاعتناء بهِ ابا عن جد منذ قرون وحرصوا على كتمان سرهم ٠ وميزة هذا الضرب من الشاي انهُ حلو المذاق من فطرتهِ والارجح ان حلاوتهُ مسببة عن التلقيح وعن اهتمام المزارعين الزائد والاعتناء بهِ ودرس خصائص نبتهِ

ولقد رأى العارفون باحوال الشاي ان نتاج الهند وسيلان يحدثان طعماً ونكهةً تذهبان سريعاً بخلاف شاي الصين فان نقيعهُ اكثر ثباتاً في صفاتهِ وينسبون هذا لزراعة النبات في الهند وسيلان في مزارع وسيعة يقوم على الاعتناء بها جماعة من المستأجرين الذين لا فائدة لهم من تحسين نوعهِ بينما ترى زراعتهُ في الصين يقوم بها افراد من الملاَّك يتخذون حقولاً صغيرة وكل حارث منهم يبذل وسعهُ ووقتهُ وما اوتي من المعرفة والذكاء في تحسين زرعهِ وتنميتهِ فيعرف خصائص نبتهِ ويتدبر في اصلاح ما يراهُ شاذاً عن قصدهِ فلذلك توالت السنون وزادتهُ خبرة وكان النتاج فاخراً ٠ وهذا الثبات في صفات الشاي الصيني هو الذي بلغ باثمانهِ حداً عالياً ربما تجاوز العشرين جنيهاً في الليبرة مما لم يبلغهُ الهندي او السيلاني الاَّ ان المقربين من الافرنج قد ادخلوا الى الصين طريقة الزراعة الهندية انتفاعاً بسعة الحقول وخدمة المستأجرين فكانت النتيجة ضعف الصفات التي امتاز بها الشاي الصيني ولا يزال مع ذلك افخر انواع الشاي م ٠ ن

الرفق بالحيوان

الحكيم يراعي بهيمتهُ ويعتني بها لان ذلك يعود بالنفع عليهِ ٠ ولقد احسن الفضلاء الذين انشأوا جمعية الرفق بالحيوان وفروعها في هذا القطر .وحبذا لو عمموها فلا تبقى مقصورة على دواب النقل كالخيل والبغال والحمير والجمال بل تتناول البقر والجواميس ايضاً حيث تستخدم في الحرث والتقصيب فان الفلاحين قد ينهكونها تعباً ويشغلونها فوق طاقتها فيعود ذلك بالضرر عليهم. ومعلوم انهُ يتعذَّر على رجال الحكومة مراقبة اعمال الفلاحين في غيطانهم وليس من الحكمة التعرُّض لهم في اعمالهم الخصوصيَّة ولكن تتم الغاية المقصودة اذا ارسلت

جمعيات الرفق بالحيوان او الجمعيَّة الزراعيَّة مندوبين الى المراكز المختلفة حيث يجتمع عمد البلاد ومشايخها واعيانها فيشرحون لهم كيفيَّة تربية المواشي والاعتناء بها وما يترتَّب على ذلك من النفع لاصحابها . ثم ان الانسان يطلب الفائدة لنفسهِ ولا يتغاضى عنها اذا استطاع الحصول عليها . ومتى اعتنى كبار المزارعين بمواشيهم اقتدى بهم غيرهم من صغار المزارعين وليس في اقناع الناس بالاعتناء بمواشيهم صعوبة كبيرة لان كثيرين منهم يعتنون بها الآن وقد يفضل الواحد منهم بقرتهُ على ولدهِ ويعتني بنظافة بهيمتهِ اكثر مما يعتني بنظافة نفسهِ وكم من مرة نرى الحمَّار مقبلاً مع حمارهِ ورأسهُ على رأس الحمار او عنقهِ كانهما صديقان متحابان ولا يندر ان يبخل الحمَّار على نفسهِ ويطعم حمارهُ فلا يتعذَّر ارشاد اصحاب الدواب والمواشي الى الاعتناء بدوابهم ومواشيهم والرفق بها وان عاملوها بالقسوة فيكون سبب ذلك الجهل لاقصد الاضرار بها

الناموس في المزارع

الحمَّيات الملارية من اشد الضربات على البلدان الزراعيَّة فاذا كان في بلاد مليون نفس من المشتغلين بالزراعة ومرض كلٌّ منهم بالحمى عشرة ايام في السنة وهو اقل متوسط في البلدان الزراعيَّة وفرضنا متوسط اجرة الواحد منهم ثلاثة غروش في اليوم فخسارة البلاد من مرضهم ثلاثون مليون غرش او ثلثمئة الف جنيه أضف الى ذلك الخسارة الناتجة من تعطيل المواشي واعمال الزراعة تجد ان الضرر الناتج لبلاد زراعية كالقطر المصري لا يقلُّ عن مليون جنيه في السنة وسبب هذا الضرر نوع من الناموس (البعوض) فاذا عرف الناس كلهم هذه الحقيقة وعرفوا ايضاً ان الناموس يتولد في المياه الراكدة اذا كانت قليلة وتركت في مكانها اسبوعاً او اسبوعين لم يروا صعوبةً في التخلص من الحمى الملارية بمنع ركود الماء في البرك الصغيرة

ثم ان الحمى الملاربة (الدورية) تتولد من نوع من الناموس لا من الناموس كلهِ وهذا النوع الذي يسبب الحمى قليل بالنسبة الى الناموس العادي ويمتاز عنهُ بان جسمهُ مرقَّط ويقف على الحائط عمودياً عليهِ لا موازياً لهُ كالناموس العادي فلا داعي للخوف من الناموس العادي وحسبانهِ من ناموس الحمى الملارية

ولكن الناموس العادي ينقل حمى اخرى وهي حمى الدنج او ابو ركب وهي دون الحمى الملارية في استمرارها لانها لا تستمر الأ بضعة ايام ولكنها تصيب كل احد تدخل بيتاً وفيهِ

ستة او سبعة فتصيب كل واحد منهم لان الناموس ينقل الحمى من واحد الى آخر فيكون استئصال الناموس على انواعهِ امرًا واجبًا من حيث الصحة العمومية

ثم ان الناموس يقلق راحة الناس وراحة المواشي ايضًا حتى الجمال على ضخامتها تقلق منهُ وتعدم راحتها وكثيرًا ما رأينا الفلاحين يحرقون الجلة قرب مواشيهم ليطردوا الناموس عنها وهم لو اهتموا بمنع تولدهِ في البرك الصغيرة لكان ذلك اسهل عليهم

زراعة البساتين

اجتمعت جمعية زراعة البساتين التجارية في الجزيرة وتلي تقرير سكرتيرها فاذا فيهِ ان الجمعية تستطيع ان تنفق ٦٠٠ جنيه على مشترى اغراس جديدة في خلال الشهور الباقية من هذه السنة وستجلب من اغراس اجود انواع البرتقال والليمون من يافا وكرفو واسبانيا لتوزعها في القطر المصري

وجرت المذاكرة في زراعة المنجو فقد ثبت ان هذا الشجر يجود في القطر المصري وان القطر المصري هو البلاد الوحيدة التي يمكن ان ينقل ثمر المنجو منها الى اوربا فضلاً عن تزايد الطلب عليهِ في مصر . والربح من الاشجار الكبيرة كثير جدًّا ولكن اذا زرع المنجو من البزر فقد يخرج منهُ شجر جيد الثمر وقد يخرج منهُ شجر غير جيد الثمر فلا بدَّ من تطعيمهِ بنوع جيد . وقد وصل الى الجمعية اغراس كثيرة من الهند وستجلب اغراسًا اخرى اكثر منها

ثم دار البحث في نبات السيسل الذي تستخرج منهُ الياف متينة تستعمل كالقنب فانهُ يجود في الاراضي الرملية القاحلة ولا يحتاج الا الى قليل من الماء والطلب على اليافهِ كثير جدًّا في اوربا ويظهر من التجارب التي جرّبت في جهات القطة ان صافي غلة الفدان منهُ ١٨ جنيهًا في السنة . وقد اشار السكرتير بزرع مئتي فدان منهُ في التل الكبير

وجرى ذكر زراعة الموز والربح الكبير الناتج منهُ فان غلة الفدان قد تبلغ ثمانين او تسعين جنيهًا في السنة والمقطوعية كبيرة في القطر المصري ويمكن تصديرهُ الى اوربا

وستخصص الجمعية خمسة افدنة في الجزيرة لزرع الاشجار من انواع مختلفة حتى تنقل الاغراس منها الى البساتين

وقد ارتأى البرنس حسين باشا كامل ان يُعلَّم بعض طلبة المدرسة الزراعية علم زراعة البساتين حتى يتولوا ادارة البساتين الكبيرة



حاجة من حاجات المدرسة الكلية الاميركانية في بيروت

حضرة العلامتين الفاضلين منشئي المقتطف

قرأت في باب المراسلة والمناظرة في الجزء الثالث من المجلد الثاني والثلاثين من مقتطفكم الاغر مقالة تحت عنوان "حاجة من حاجات المدرسة الكلية" لحضرة الاستاذين الفاضلين جبر افندي ضومط وبولس افندي الخولي · مقالة رشيقة المباني انيقة المعاني مآلها حث الذين تعلموا في المدرسة الكلية والذين علموا فيها من القطرين المصري والشامي من سنة ٦٧ الى حد هذه السنة على ان يتبرعوا بالمساعدات المالية لاقامة بناية خصوصية لراحة تلامذة تلك المدرسة لا تقل نفقاتها عن الثلاثين الف ريال اميركاني

وقد كنت اقرأ تلك المقالة وافكاري تسابق لمعرفة نهايتها لارى كيف يتخلص الاستاذان الى استنهاض اخوانهم للسخاء في هذا السبيل حتى جئت على آخرها فشعرت ببلاغة الختام وببراعة الاستاذين في تنميقهِ حتى جاء آيات لا نرى وصفاً يؤدي حقها الاَّ ان نقتبسها برمتها · قال الاستاذان اعزهما الله "هذا ملخص ما نشره اخواننا الاميركان اثبتناهُ ببعض التصرف واما نحن المعلمين من ابناء العربية فقد رأينا ان نصدر اولاً هذه المقالة على صفحات شيخ المجلات ونبراسها الزاهر ونوجهها الى قرائهِ اخواننا من المعلمين وتلامذة الكلية اجمعين من سنة ٦٧ الى هذا الحين ونعرض لديهم هذه الحاجة ليتبصروا فيها ويمدونا بآرائهم واياديهم ثم نشفعها بكتاب مطبوع ننفذهُ الى كل منهم ونتابعهم باخبار المشروع وارتقائهِ حتى يستكمل ويروا اياديهم في استكمالهِ . فيا ايها الاخوان الاعزاء اساتذتنا ورصفاءنا ورفاقنا ومتخرجي مدرستنا ومحبيها ابناء القطر المصري والشامي في مصر والشام والولايات المتحدة وكندا والمكسيك والبرازيل واستراليا وحيثما كانوا من جهات المعمور تبصروا في الامر وتصوروا ما يصنع لراحة اكثر من سبعمائة شاب من نخبة شبان سوريا ومصر وبعضهم من اخواننا او من ابنائنا او ابناء اصحابنا واقاربنا. تفكروا وليوفقكم الله الى كل خير. واما نحن اخوتكم المعلمين الآن في المدرسة فنؤمل ان يجاب نداؤُنا كما يجاب نداء ارفاقنا من المعلمين الاميركان ولا نقول اكثر في بلاد اجنبية عنهم ولكننا مسقط رؤُوسنا ورؤُوسكم والسلام"

والحق يقال انها لعبارات تحرك الجماد وتؤثر في صلد الصخر وقد احسنت عمدة المدرسة بانتقائها مثل هذين الاستاذين في علمها وبراعتها ويحق لها ولنا ان نباهي بمثلها . على ان من راجع تاريخ المدرسة وتعقب معاملتها للاساتذة الوطنيين يستغرب صدور مثل هذا النداء من استاذين لم يعهد بهما المصانعة من قبلُ ويستبشر من ندائهما هذا بان عصر المدرسة الحاضر هو غير عصرها الغابر والاَّ فما كان الاستاذان ورفاقهما يخفون في هذا البوق . وعليهِ فلا بد لنا من ان نسأل الاستاذين الفاضلين الاسئلة الآتية ولهما الخيار في الجواب وعدمهِ

(١) هل المدرسة اميركانية او سورية

(٢) هل المعلمون من الاميركان اكثر من المعلمين من السوريين او بالعكس

(٣) كم عدد المعلمين السوريين الذين جعلتهم المدرسة اساتذة منها

(٤) هل رواتب المعلمين السوريين كرواتب المعلمين الاميركان او مدانية لها

(٥) هل الفائدة من هذه البناية راجعة الى التلامذة فقط

ونرجو الاستاذين الكريمين ان يجاوبانا عن هذه الاسئلة الخمسة فانهُ ان كانت المدرسة سورية كما تسمى وكان عدد المعلمين السوريين فيها اكثر من الاميركان وكان عدد الاساتذة من السوريين يضاهي عدة الاساتذة من الاميركان ورواتبهما متساوية وكانت فائدة البناية مقصورة على راحة التلامذة فالامر واضح حينئذٍ ان الاستاذين بندائهما هذا يحرضان اخوانهما على امر وطني محض وحري باخوانهما من الذين علموا وتعلموا في الكلية ان يلبوا نداءهما ويبذلوا المستطاع في سبيل تحقيق هذا المشروع النبيل والاَّ فاننا نستسمح حضرة الاستاذين ان نقول انهما مدفوعان الى مجاراة رفاقهما من الاميركان ولا تثريب عليهما في ذلك فهما يعملان بالقول المأثور

ومن لم يصانع في امور كثيرة يضرَّسْ بانياب ويوطأْ بمنسمِ

على ان بقية اخوانهما من ابناء الكلية لا يلامون اذا لم يجاروهما في الغيرة التي يحاولان اضرامها في صدورهم . ولنا كلام بعد في هذا الصدد نرجئهُ الى ان نقف على جواب الاستاذين الفاضلين هذا اذا تكرما بهِ والسلام

احد متخرجي المدرسة

[المقتطف] نشرنا هذه الرسالة لانها تعبّر عن آراء بعض متخرجي المدرسة ولكن ما دامت اموال المدرسة اميركية فلا حقَّ للسوريين ان يسيطروا على كيفيَّة انفاقها وما دام الغرض من هذا البناء النفع المحض فمساعدة القائمين بهِ واجبة عن كل حال

مسألتان رياضيتان

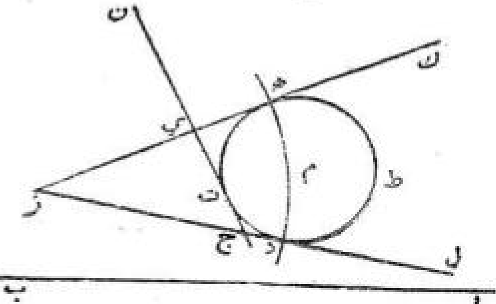
حضرة منشئي المقتطف الفاضلين

احييكم تحية تلميذ مخلص وبعدُ فقد كنت اراجع بعض الاجزاء الماضية من المقتطف فعثرت على مسألتين رياضيتين لم ارَ لهما حلاً فيهِ فبعثت بالحلين التاليين لهما

الاولى هندسية وهي واردة في الصفحة ٥٦١ من المجلد السادس عشر حيث قيل انهُ فرضت زاوية ونقطة خارجة عنها والمطلوب رسم خط مستقيم من تلك النقطة يقطع ضلعي الزاوية بحيث ان المثلث الذي يتكوَّن على هذه الكيفية يكون لهُ محيط معلوم

ليكن ل ز ك الزاوية المفروضة و ن النقطة الخارجية والخط ا ب محيط المثلث

فنريد ان نرسم خطاً من ن يقطع جانبي الزاوية ويكون مثلثاً محيطهُ يعدل الخط ا ب لنفرض ان المسألة محلولة وان ن ج الخط المطلوب رسمهُ بحيث يكون محيط المثلث



ج ى ز يعدل الخط المفروض ا ب

ارسم الدائرة ت د ط ماسة الخطوط ك ى · ى ج · ج ل في النقط هـ ت د فلنا :—

ي هـ = ي ت
د ج = ج ت } المماسان المرسومان من نقطة خارج المحيط متعادلان
ز هـ = ز د

فاذاً ز ي + ي هـ + ز ج + ج د = ز ي + ي ت + ز ج + ج ت

اي ز هـ + ز د = ز ي + ي ج + ج ز = ا ب

وعليهِ ز هـ = ز د = $\frac{\text{ا ب}}{٢}$

ولاجل رسم الخط ن ج خذ ز مركزًا وارسم (قوس) دائرة قطرها يعدل الطول المفروض ا ب فتقطع جانبي الزاوية في هـ و د

ارسم دائرة تمس ز ك و ز ل في هـ و د ثم ارسم ن ج ماسًا الدائرة هـ ت د ط وهو ما اردنا رسمهُ من النقطة الخارجيّة ن

الثانية مسألة اكلس والسلحفاة

في المجلد ١٦ وجه ٧٠٨

المسافات التي يقطعها اكلس ١٠٠٠٠ ١٠٠ ١ $\frac{1}{100}$ $\frac{1}{10000}$ $\frac{1}{1000000}$ .. الخ

وبما ان اكلس اسرع من السلحفاة بمئة مرة ومطارد لها فهي تقطع في ذات الوقت $\frac{1}{100}$ من المسافة التي يكون قد قطعها هو وتبقى دائمًا سابقتهُ بجزء من مئة من المسافة التي يكون قد قطعها اي يكون بينهُ وبينها دائمًا ابدًا $\frac{1}{100}$ من المسافة التي يكون قد قطعها . وهذا الجزء من المئة هو مسافة في نظر المنطق والرياضيات كبيرًا كان ام صغيرًا وعليهِ لا يمكن ان يلحقها (او يلحقها في اللا نهاية من الوقت)

اما المسافة التي هي « حدّ » لمسافة التي يقطعها اثناء مطارتهِ لها فتكون : —

$$10000 + 100 + 1 + \frac{1}{100} + \frac{1}{10000} + \frac{1}{1000000} \cdots \text{ الخ}$$

$$= 10101 + \frac{1}{100}\left(1 + \frac{1}{100} + \frac{1}{10000} + \frac{1}{1000000} \cdots\right)$$

$$= 10101 + \frac{1}{100}\left(1 + \frac{1}{10^2} + \frac{1}{10^4} + \frac{1}{10^6} \cdots\right)$$

$$= 10101 + \frac{1}{100}\left\{\frac{1}{1 - \frac{1}{10^2}}\right\}$$ (الكمية ضمن الحواصر سلسلة هندسية متصلة)

$$= 10101 + \frac{1}{100}\left\{\frac{100}{99}\right\}$$

$$= 10101\frac{1}{99}$$

هذا اذا نظرنا اليها من الوجهة الرياضية المجردة ولكن الواقع يختلف عنها كثيرًا لاستحالة اتمام الشروط والجري بموجبها وبما ان هذه المسألة من الامثلة الحسنة التي يمكن ان تقدم في تمهيدات كتب حساب التفاضل والتكامل فساوافي القراء الكرام انشاء الله في المستقبل بمقالة ابين فيها بعض خصائص هذا العلم السامي وتطبيقهُ على بعض ما هو مهم في الطبيعيات والميكانيكيات

منصور حنا جرداق

نائب استاذ الرياضيات

في القسم العلمي من الكلية السورية

اعجوبة البناء

حضرة منشئي المقتطف الكرام

دار ذات ست طبقات بنيت على ارض رخوة بالسمنت المربوط باسلاك الحديد . بعد ان تمّ بناؤها اصبحت مشرفة على السقوط بحيث يعجب من تماسكها وببهت من متانة البناء. ثم بعد ذلك تدارك المهندسون امرها بان حفروا تحتها من الجهة المقابلة للميلان واثقلوا حيطانها باثقال فرجعت الى حالتها الاصليَّة ولم ينكسر منها ولا طبق بلور وقد مضى عليها الآن نحو سنة وهي على حالها من الاستقامة

الشاذلي بن فرحات
عامل الجريد



الجزء الثاني
من ديوان حافظ

شعراء العربيَّة مظلومون ككتّابها لانهم ان احسنوا ترصيف الكلام واختاروا العربي الصميم والعبارات المنتقاة البعيدة عن الابتذال لم يفقه الجمهور لهم معنىً لان العربية المحكمة انحطت عند المتكلمين بها وبعدت عن المعربة بعداً شاسعاً . وان تنازلوا الى العربية العاميَّة واخلُّوا بقاعدة من قواعد الصرف والنحو او استعملوا لفظة لم ترد في الجوهري والفيروزابادي قامت عليهم قيامة المنتقدين واتهموهم بانتهاك محارم العربية . ولو كان السواد الاعظم من المتكلمين بالعربيَّة يدرك معاني اللغة الفصحى كما يدركها بعض الخاصة لرأيت اهالي مصر والشام والعراق وتونس والجزائر والمغرب الاقصى يستظهرون اشعار حافظ ومن جرى مجراه كما يستظهر الاوربيون اشعار النوابغ من شعرائهم. ولو تدانى شعراؤنا الى اللغة العاميَّة لراجت دواوينهم اضعاف رواجها الحالي ولتغنى باشعارهم كل احد حتى حداة العيس ومستقيات الماء

والمتكلمون بالعربية واقفون الآن بين قوتين تتجاذبانهم — الكتّاب والشعراء يحاولون تعويدهم فهم اللغة العربية واستعمالها والناموس الطبيعي الذي قضى بتغيير لغتهم رويداً رويداً يحاول ابقاءهم في خطئهِ ومقاومة كل تغيير كبير او انقلاب فجائي . ونخاف ان تكون الغلبة

لهُ اخيرًا فتصير اللغة العربيَّة لدى ابنائها كاللاتينيَّة لدى الاوربيين ويكون لها اسوة باللاتينيَّة لغة العلم والفلسفة والفصاحة ولو قال حافظ "يمات لعمري لم يقس بممات"

وتمتاز اشعار حافظ على اشعار اكثر النوابغ بسلاستها وعذوبتها وقلة الغريب فيها فاذا تعذر على العامي فهم قوله "امة قد فتَّ في ساعدها" لم يتعذر عليهِ فهم قوله

كنتُ اهوى في زماني غادةً وهب الله لها ما وهبا

ذات وجهٍ مزجَ الحسنُ بهِ صفرة تنسي اليهود الذهبا

ولقد عني بتفسير الكلمات الغامضة ولكن التفسير يراهُ القارئ ولا يراهُ السامع ولا تنتشر الاشعار ما لم تحفظ بالسمع

هذا وتمتاز هذه القصائد من اشعار حافظ بانها حوت تاريخ العصر او اشهر حوادثهِ بلفظ رشيق ومعنى انيق من ذلك قولهُ في وصف امبراطور اليابان

ملك يكفيك منهُ انهُ انهض الشرق فهزَّ المغربا

بعث الامة من مرقدها ودعاها للعلا ان تدأبا

فسمت للمجد تبغي شأوهُ وقضت من كل شيءٍ مأربا

وقولهُ للامبراطورة اوجيني عند قدومها القطر المصري منذ سنتين مشيرًا الى الخديوي الاسبق اسمعيل باشا

اين يوم القنال يا ربة التاج ويا شمس ذلك المهرجان

اين مجري القنال اين مميت المال اين العزيزُ ذو السلطان

اين ليث الجزيرة ابن عليّ واهب الالف مكرم الضيفان

الى ان قال مشيرًا الى القصر الذي نزلتهُ في زيارتها الاولى

ربَّ بانٍ نأى ورب بناء اسلمتهُ النوى الى غير بان

تلك حال الايوان يا ربة التاج فما حال صاحب الايوان

قد طواهُ الردى ولو كان حيًّا لمشى في ركابك الثقلان

وتولت حراسة الموكب الاسنى نجوم السماء والنيّران

ان يكن غاب عن جبينك تاج كان بالغرب اشرف التيجان

فلقد زانك الزمان بتاج لا يدانيهِ في الجلال مدانِي

وابيات القصيدة كلها غرر الأبيت "الخان" ولعلهُ اوردهُ على هذه الصورة استدراجًا للاعتذار بطوارىء الحدثان

والشاعر لا يؤآخذ اذا بالغ في الاقوال او غيَّر الوانها والبسها صور الخيال فلا يلام حافظ على قوله

على الشرق مني سلام الودود — وان طأطأ الشرق للمغربِ
لقد كان خصباً بجدب الزمان — فاجدب في الزمن المخصب

وقوله

اروني نصف مخترعٍ — اروني ربع محتسبِ
اروني نادياً حفلاً — باهل الفضل والادبِ
وماذا في مدارسكم — من التعليم والكتبِ
وماذا في صحائفكم — سوى التمويه والكذبِ

لكن المؤرخ لا يعذر اذا خاطب المحتلين قائلاً

جاء جهالنا بامرٍ وجئتم — ضعف ضعفيهِ قسوةً واشتدادا

وهو يعلم ان صاحب الحكم وطني ابن وطني ومن اشد القضاة الوطنيين نزاهة ولو حكم العفو لعفى عن المجرمين حتماً. وقوله

لقد كان فينا الظلم فوضى فهُذبت — حواشيهِ حتى صار ظلماً مهذباً

الاَّ ان ما كان من هذا القبيل قليل في شعر حافظ وما بقي من الديوان فغرر ودرر تشهد بسلامة ذوقهِ وامتلاكهِ ناصية النظم وقيامهِ في المقام الاسنى بين شعراء العربيَّة

السَنَد

رسالة تتضمن اهم الملاحظات في احكام السند (الكمبيالة) والسفتجة والحوالة مع صور كثيرة منها ومن الصكوك والاستدعاءات ومعاملات دائرة الاجراء وتعليمات محرري المقاولات وقانون الافلاس الخ. لواضعها حضرة عزتلو ملحم بك خلف الكاتب الاول في وكالة المدعي العمومي بمحكمة الاستئناف في متصرفية جبل لبنان

ولا يخفى ان المعاملات التجارية اهم الاعمال واذا جرى الناس فيها على قانون متَّبع خلصوا من مشاكل كثيرة يضيع فيها الوقت والمال. ولذلك احسن حضرة واضع هذه الرسالة في ما جمعهُ فيها من القواعد والامثلة والشروح القانونية والارشادات التي تحفظ بها الحقوق من الضياع كجعل السند رسمياً (اي تسجيلهُ) ونحو ذلك مما يرى في هذه الرسالة فهي لازمة لكل الذين لهم معاملات تجارية مهما كانت

التقرير المتيورولوجي لسنة ١٩٠٤

Meteorological Report for the year 1904. Part II.

لمصلحة المساحة المصرية ولمديرها العالم الفاضل الكبتن ليونس اكبر فضل على هذا القطر من حيث البحث في اموره الطبيعية. واننا لنرى في كل تقرير تصدره هذه المصلحة دلائل العلم والبحث والتدقيق التي تؤدي اخيرًا الى معرفة الاحداث الجوية والخصائص الطبيعية وما يترتب عليها من التحكم بماء النيل والتخلص من ضرر العوارض الجوية واكتشاف ما في اراضي مصر والسودان من الثروة الطبيعية. ولدينا الآن تقرير مسهب عن الاحداث الجوية سنة ١٩٠٤ وارصادها في الاسكندرية وبورت سعيد والسويس والعباسية بالقاهرة والجيزة واسيوط واصوان ووادي حلفا وبربر وسواكن والخرطوم وود مدني والدويم وكسلا واديس ابابا وحلة دُليب وواو ومنقالا وحلوان وكذلك والرصيرص والابيض

و يقال فيهِ ان القطر المصري والقطر السوداني مقسومان الى اربعة اقاليم الاول الشمالي وهو مما يلي بحر الروم من الوجه البحري وتغلب فيهِ الرياح الشمالية الغربية وهي من الرياح التجارية وكان يجب ان تهب فيهِ من الشمال الشرقي لا من الشمال الغربي ولكن الحرارة في القطر المصري وبلاد العرب وبادية الشام تخفف الهواء في كل الجهات الجنوبية والشرقية فيدعو حفظ الموازنة الى هبوب الرياح الباردة وتكون جهة هبوبها شمالية غربية. واذا مرَّت الزوابع في هذا الاقليم من الجنوب الى الشمال تبعها المطر في الشتاء والربيع

والاقليم الثاني متوسط بين الاول والثالث ويصل الى الدرجة ٢٧ من العرض الشمالي وتؤثر فيهِ برودة الاقليم الاول وحرارة الاقليم الثالث

والاقليم الثالث وراءه جنوبًا يصل الى الدرجة ١٨ من العرض الشمالي ولا يفعل بهِ هواء البحر المتوسط بل هواء الصحاري التي على جانبيهِ ووراءه وتهب فيهِ الرياح التجارية من الشمال الشرقي على مدار سنة ولا تهب فيهِ الرياح الجنوبية الاَّ نادرًا وتقع فيهِ الامطار على اثر العواصف الكهربائية

والاقليم الرابع يشمل بقية السودان ويمتد الى الدرجة ٤ من العرض الشمالي وتفعل بهِ رياح الموسم التي تهب في الشمالي الشرقي من قارة افريقية والرياح التجارية الشمالية الشرقية في باقي السنة وهي جافة كما ان الرياح الجنوبية كثيرة الرطوبة ويقع منها المطر

وفي الجدول التالي متوسط درجات الحرارة والرطوبة في كل شهر في العباسية وحلوان والاسكندرية والخرطوم

	العباسية		حلوان		الاسكندرية		الخرطوم	
	الحرارة	الرطوبة	الحرارة	الرطوبة	الحرارة	الرطوبة	الحرارة	الرطوبة
يناير	١١٫٣١	٧٢٫٧	١١٫٤١	٦٧٫٢	١٢٫٤٨	٧٥٫٦	٢٢٫٨٥	٣٢٫٩
فبراير	١٣٫٦٨	٧٣٫٥	١٤٫٣٦	٥٩٫٤	١٣٫٨٣	٧٩٫٠	٢٣٫٣٦	٢٥٫٦
مارس	١٥٫٢٥	٧٣٫٨	١٦٫٢٤	٥١٫٨	١٤٫٤٦	٧٧٫١	٢٦٫٥٢	١٨٫٣
ابريل	١٨٫٥٣	٧٢٫٥	١٨٫٨٦	٥٠٫٩	١٦٫٢٤	٨٢٫٠	٢٩٫٣٨	١٥٫٨
مايو	٢٢٫١٨	٦٥٫٢	٢٢٫٦٣	٤٦٫٣	١٨٫٨٦	٨٥٫٣	٣٢٫٦٣	٢٠٫٠
يونيو	٢٥٫٠٣	٥٩٫٢	٢٥٫٧٨	٤٣٫١	٢١٫٨٧	٨٣٫٢	٣٣٫٣٤	٢٤٫٨
يوليو	٢٦٫٩٢	—	٢٧٫٧٨	٤٣٫٧	٢٤٫٧٧	٧٤٫٣	٣١٫١٨	٤١٫٧
اغسطس	٢٦٫٥١	—	٢٦٫٦٧	٥٠٫٦	٢٤٫٩٤	٧٤٫٢	٣١٫٦١	٤٢٫٢
سبتمبر	٢٤٫٣٩	٧٧٫٢	٢٥٫٤٧	٥٤٫٠	٢٤٫٣٦	٧٢٫٢	٣١٫٣٦	٤١٫٤
اكتوبر	٢٣٫٤٢	٧٠٫٤	٢٤٫٤٢	٥٣٫٢	٢٣٫٢٧	٧٤٫٣	٣٠٫٦٢	٣٣٫٦
نوفمبر	١٧٫١٠	٦٥٫٦	١٧٫٠٠	٦٠٫٣	١٧٫٣٤	٧١٫٨	٢٦٫٦٤	٣٣٫٠
ديسمبر	١٢٫٥١	٦٦٫٠	١١٫٩٥	٦٣٫٣	١٣٫٥٦	٧٣٫٤	٢١٫٦٨	٣٥٫٠
المتوسط	١٩٫٧٣	٦٩٫٦١	٢٠٫٢٢	٥٣٫٦	١٨٫٨٣	٧٦٫٩	٢٨٫٦٩	٣٠٫٤

واعلى ما بلغتهُ الحرارة في الاماكن التي فيها آلات الرصد واوطأُ ما بلغتهُ ما تراهُ في هذا الجدول

المكان	الاعلى	الاوطأ	المكان	الاعلى	الاوطأ
الاسكندرية	٣٨	٥	وادي حلفا	٤٦	١
بورت سعيد	٣٥٫٦	٧	بربر	٣٦	٣
السويس	٣٩	٦	سواكن	٤٨	١٥
حلوان	٤٢	٣٫٥	الخرطوم	٤٥	٧
العباسية	٤٢	٣٫٥	ود مدني	٤٦	٩
الجيزة	٤١٫٥	١٫٤	الدويم	٤٧٫٥	٧
اسيوط	٤١	١	كسلا	٤٣٫٣	١٠
اصوان	٤٥	٣	الابيض	٤٢٫٣	٤٫٤

وفي التقرير فوائد جمة ملخصة في مقدمة للمستر كريج مدير قسم الحساب في مصلحة المساحة



سكان القاهرة

نشرت ادارة الاحصاء التعداد الرسمي لسكان القاهرة فكان كما يأتي

القسم	ذكور	اناث	المجموع
عابدين	٢٧٣٩٤	٢٣٦٢١	٥١٠١٥
باب الشعرية	٢٨٧٦٢	٢٧٢٢٣	٥٥٩٨٥
بولاق	٤٥١٠٩	٤١٤٨٢	٨٦٥٩١
شبرا	٢٥٤٤٣	٢٣٨٠٩	٤٩٢٥٢
الدرب الاحمر	٣٧٧٨٩	٣١٤٨٨	٦٩٢٧٧
الازبكية	٢٥٢٥٦	٢٤١٠٩	٤٩٣٦٥
الجمالية	٣٣٥٠٩	٢٦٤٤٤	٦٠٩٥٣
الخليفة	٢٨٠٧٨	٢٥٩٧٠	٥٤٠٤٨
مصر العتيقة	١٧٠٧٠	١٤٤٥٥	٣١٥٢٥
الموسكي	١١٨٦٥	١٠٢٩٥	٢٢١٦٠
السيدة زينب	٣٠٥٢٥	٣١٣٩٥	٦١٩٢٠
الوايلي	٢٨٩١٣	٢٣٠٩٤	٥٢٠٠٧
حلوان	٣٩٨١	٣٨٦٣	٧٨٤٤
المجموع	٣٤٣٦٩٤	٣٠٨٢٤٨	٦٥١٩٤٢

وفي هذا التعداد محل للغرابة من وجهين الاول كثرة الفرق بين الذكور والاناث فان الذكور اكثر من الاناث عادةً كما ابنا غير مرة ولكن لا تكون زيادة الذكور على الاناث اكثر من ٣ في المئة الاَّ نادرًا اما في القاهرة فبلغت الزيادة اكثر من عشرة في المئة ولا نرى لذلك سببًا معقولاً لان القاهرة ليست مدينة صناعية يتقاطر اليها العمال الذكور ولاعدد الجيش فيها كثير الى هذا الحد لان الزيادة بلغت اكثر من ٣٥ الفًا. ومن رأْي البعض ان السكان يأنفون احيانًا من ذكر اسماء نسائهم و بناتهم و بذلك تعلل قلة عدد الاناث

والوجه الثاني ان سكان القاهرة كانوا في الاحصاء السابق الذي تمَّ منذ عشر سنوات نحو ٥٧٠ الفًا وكانت زيادة المواليد على الوفيات في القطر كلهِ حينئذٍ ٢٫٦٧ في المئة سنويًّا ولو زاد سكان القاهرة على هذه النسبة لبلغ عددهم الآن ٨١٣ الفًا وبلغ سكان القطر المصري كلهم نحو ١٤ مليونًا ولكن سكان القطر لم يبلغوا ١٢ مليونًا ولذلك فالزيادة السنويَّة في العشر السنوات الماضية لم تكن سوى واحد ونحو اربعة اعشار في القطر كلهِ واذا كانت في العاصمة على هذه النسبة وجب ان يزيد سكانها نحو ٧١ الفًا فقط وقد زادوا بحسب الاحصاء الجديد اكثر من ذلك فلا غبار على الاحصاء من

هذا القبيل ولكننا نخلص من مشكل لنقع في غيرهِ وهو كيف كانت الزيادة السنوية بين سنة ١٨٨٢ و١٨٩٧ اي زمن الاحصائين السابقين ٦٧, ٢ في المئة ولم تبلغ في العشر السنوات الاخيرة سوى نصف ذلك مع ان الاعتناء بالصحة الآن اشد من الاعتناء بالصحة حينئذٍ ولم تقع بالقطر اوبئة تميت الكثيرين من سكانهِ. وعليهِ فإما ان احصاء سنة ١٨٨٢ كان دون الحقيقة بكثير او ان احصاء هذا العام دون الحقيقة بكثير

الاتفاق الانكليزي الفرنسوي

لما نشرنا خطبة لورد كرومر في صدر هذا الجزء اضطرنا ضيق المقام الى حذف كثير من فقراتها وقد رأينا ان نعيد هنا فقرة متعلقة بالاتفاق الانكليزي الفرنسوي عن مصر وهي قال السياسي الطائر الصيت المسيو غمبتا الذي كانت ارادتهُ المتسلطة على العقول مدة تقلدهِ منصبهُ تؤثر في سير تاريخ مصر تأثيرًا دائمًا يوصي اهل بلادهِ " اياكم وان تقطعوا حبل المحالفة الانكليزية ". ومذهبي في السياسة الدولية الذي يشاركني عدد عظيم من اهل بلادي فيهِ يمكن ان يعبر عنهُ بهذه العبارة : اياكم وان تقطعوا حبل الاتفاق الفرنسوي فان هذا الاتفاق الذي اشار اليهِ الكونت دوسربون بعباراتهِ اللطيفة مبني على اشتراك الفريقين في المصلحة وعلى قرب الجوار وتشابه النظامات السياسية واحترام كل فريق للآخر احترامًا ناتجًا عن تلاقيهما في ساحات الوغى كثيرًا واقتتالها فيها شديدًا وعلى كون خصائص كل منهما وصفاتهِ مكملة لخصائص الآخر وصفاتهِ وزد على ذلك كلهِ انهُ ليس في هذا الاتفاق تهديد لاحد وانما هو صادر عن رغبة الفريقين في حفظ السلام في العالم فان كان في العالم امتان تقضي عليهما الاحوال بان تتصادقا وتتحابا فانما هما امتا فرنسا وانكلترا

فلا يخفى على اقل مبتدىء في السياسة انهُ ما دامت هذه القرحة المصرية تنز فصداقة تينك الامتين لا بدَّ وان تمسَّ ولذلك لما اتيت مصر سنة ١٨٨٣ عقدت نيتي على ان اسعى في سد هذه الثغرة بقدر ما تمكني دائرة وظيفتي. وكان ذلك سعيًا شاقًا كسعي الطالع جبلاً حاملاً ثقلاً فان الامتين قضتا الاعوام وكل منهما تنظر الى الاخرى شزرًا وقد دارت بينهما المضاربة والملاكمة القاسية ولكنها لم تنفع والحمد لله حد الكلام ونلت انا نصيبي منها فقد ظلت زمانًا والجرائد الفرنسوية تذكر اسمي منعوتًا بنعوت الذم الاَّ نادرًا. واظن ان اكثرها كان يلقبني بكرومر الوحش (Le brutal Cromer) وقد شبهتني مرة على ما اتذكر باعظم آلهة الوثنيين حبًّا لشرب الدماء حيث لقبتني بمولوك. ولكن مداعبات الجرائد هذه هي في

المناقشات السياسية كالافاويه والتوابل في الطعام فتكسبها حياة وتزيدها نكهة ورونقاً فلا يحسن بالانسان ان يحفل بها كثيراً لا سيما وان زمانها قد مضى لحسن الحظ وانقضى وتغيرت لهجة الجرائد الفرنسوية حتى لقبتني مرة في هذه الايام بهذا الشيخ الجليل (Cet illistre viellard) على اني افرغت الجهد مدة اعوام كثيرة في المساعدة على عقد الاتفاق بين الامتين واقول الآن ان اسعد يوم من ايام خدمتي في مصر كان يوم ٦ ابريل سنة ١٩٠٤ الذي وُقع فيهِ الاتفاق الانكليزي الفرنسوي

هيروغليف المكسيك

ان بعض سكان المكسيك القدماء كانوا يكتبون كتابة صورية كالكتابة المصرية القديمة من بعض الوجوه . وقد اهتمَّ العلماء من قديم الزمان بحل رموزها ومنهم الدكتور ارنست فورستمان فظهر لهُ ان اهالي المكسيك القدماء كانوا يعرفون كثيراً من الامور الفلكية وكانوا يرصدون الكواكب ويعرفون حركاتها ووجد في كتاباتهم العدد ٢٩٢٠ مكرراً كثيراً مع بعض الاشارات الفلكية فاستنتج انهُ يشير الى الايام التي يتفق فيها دوران الارض في فلكها ودوران الزهرة لان كل ثماني دورات من دورات الارض تعادل خمس مدات قانونية او اجتماعية من مدات الزهرة لان دورة الارض تعادل ٣٦٥ يوماً ومدة الزهرة القانونية ٥٨٤ يوماً والعدد المشار اليهِ آنفاً يعادل ثمانية اضعاف ٣٦٥ وخمسة اضعاف ٥٨٤ . فان كان اهالي المكسيك القدماء وصلوا الى هذه الدرجة من معرفة الحسابات الفلكية فعلمهم يفوق علم اكثر اهالي المشرق الآن ولكننا نظن ان العدد المشار اليهِ آنفاً ذكر لغرض آخر وان انطباقهُ على مدة دوران الارض واستقبال الزهرة جاء اتفاقاً

ثروة كارنجي

ذكر المستر ستد في مجلة المجلات الانكليزية انهُ لما اراد كارنجي اعتزال الاعمال عرض حصتهُ في كل ما يملكهُ من المعامل واملاكها بعشرين مليون جنيه وتعهد سمسار ان يبيعها لهُ بهذا الثمن في وقت محدود والأَّ دفع اليهِ مليون ريال غرامة فلم يستطع ان يبيعها لهُ في الوقت المحدود ودفع الغرامة وفي السنة التالية قام بيربونت مورجان وعرض على كارنجي ستين مليون جنيه ثمن حصتهِ لكي يخلص من مناظرتهِ لشركة الفولاذ التي انشأَها فكسب كارنجي بهذه الصفقة اربعين مليون جنيه لم يتعب اقل تعب في تحصيلها كأَنها هبطت عليهِ من السماء . وصدق فيهِ القول القائل من معهُ يعطى ويزاد . وقال المستر ستد ان المستر

كارنجي نجح نجاحاً تاماً في كل اعماله الاَّ في عمل واحد ارادهُ فلم يفلح فيهِ وهو انهُ اراد ان يقال ثروتهُ فلم يستطع بل هي تزيد دواماً رغماً عمَّا ينفقهُ منها · وقد وهب حديثاً هبتين كبيرتين كل هبة منهما مليونا جنيه ولكن زادت قيمة اسهمهِ التي هي ثروتهُ الآن عشرة في المئة فكأنهُ وهب اربعة ملايين جنيه فكسب بدلاً منها ستة ملايين جنيه وزادت ثروتهُ مليوني جنيه · وهو يقول انهُ من اشقى الناس ويود ان يكون فقيرًا ليخلص من متاعب الغنى

بركان سترمبلي

اعلن مرصد كتانيا انهُ في مساء العاشر من شهر مايو ثار بركان سترمبلي وقذف بالحجارة والرماد والحمم الى الجهة الشرقية من الجزيرة واحرق بعض الكروم · وبركان اتنا ثائر ايضاً

جائزة مدام كوري

منحت دار العلم الملكية ببلاد الانكليز جائزة من جوائزها وقدرها مئة جنيه لمدام كوري على رسالة انشأتها موضوعها البحث في المواد المشعَّة · وليس العبرة بمقدار الجائزة بل العبرة في انها دلَّت على ان مدام كوري امتازت على كل علماء العصر في هذا البحث العلمي

مدرسة جنيفا الجامعة

ستحتفل مدرسة جنيفا الجامعة سنة ١٩٠٩ بمرور ٣٥٠ سنة منذ انشأها جون كلفن سنة ١٥٥٩ ويحق لها الاحتفال لانها ربَّت علماء اعلاماً تفتخر بهم كل بلاد

عيد لينيوس

واحتفلت اكادمية العلوم بنيويورك في ٢٣ مايو الماضي بمرور مئتي سنة على ولادة لينيوس العالم النباتي وتلي في الاحتفال خطب كثيرة علميَّة

حمى مالطة ولبن المعزى

ظهر بالبحث ان السبب الاكبر لانتشار الحمى المعروفة بحمى مالطة هو شرب لبن المعزى ولما منع جنود الحامية الانكليزية من شرب لبن المعزى لم تعد الحمى تصيب احداً منهم

حرارة الشمس

أُعيد البحث في حرارة قرص الشمس فكانت النتيجة انها ٥٦٦٣ درجة في مركز قرص الشمس واذا اعتبر مقدار الامتصاص في جو الشمس فحرارة باطن الشمس ٦١٣٠ درجة

سكك الحديد في الدنيا

طول سكك الحديد في اميركا ٣٠٠٠٠٠ ميل وفي اوربا ٢٠٠٠٠٠ ميل

وفي اسيا ٥٠٠٠٠ ميل وفي استراليا ١٧٠٠٠ ميل وفي افريقية ١٥٠٠٠ ميل · وفي البلاد الانكليزية وحدها ٢٣٠٠٠ ميل اي اكثر مما في كل قارة افريقية ونحو نصف ما في كل قارة اسيا

عظماء اميركا

اختار احد المحررين واحداً وثلاثين من مشاهير الاميركيين في هذا العصر رجالاً ونساء وطلب اليهم ان يكتب كلٌّ منهم اسماء اشهر عظماء اميركا ثم جمع الاسماء او الاصوات فوجد ان الواحد والثلاثين ذكروا لنكن وثلاثين منهم ذكروا وشنطون ويتلوهُ فرنكلين فقد اصابهُ ١٨ من الاصوات واصاب ركفلر صوت واحد· فلا يزال المقام الاول في عيون الناس للفضيلة لا للثروة

فضائل برتلو

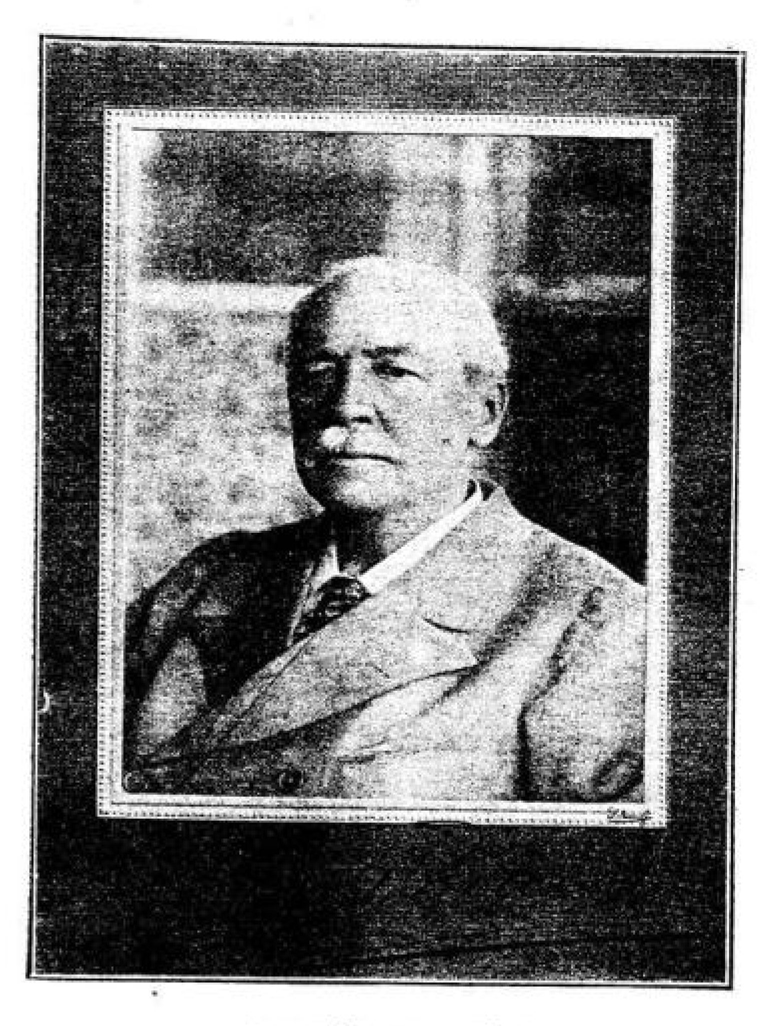
نشرت احدى المجلات الانكليزية ترجمة برتلو وقالت فيها انهُ لم يسجل اكتشافاً من مكتشفاتهِ ولا اختراعاً من مخترعاتهِ ولو سجَّل بعضها لجمع ثروة تقدَّر بالملايين الكثيرة · وذكرت ان صانعي الخمور في شمالي فرنسا عرضوا عليهِ مرة مليوني فرنك اذا خصَّ بهم استعمال اكتشاف واحد من مكتشفاتهِ فابى · وانهُ اكتشف طريقة في استعمال غاز الضوء اقتصدت بها باريس وحدها مئات من ملايين الفرنكات ولكنهُ اعلنها واباح استعمالها لكل احد من غير ان ينتفع بغرش منها

هبوط اسعار الاسهم

يقال ان هبوط اسعار الاسهم المصرية الذي حدث في الشهر الماضي انقص قيمتها اثني عشر مليوناً من الجنيهات · ومهما كان هذا المبلغ كبيراً لا يعدُّ شيئاً مذكوراً بالنسبة الى ما حدث في الولايات المتحدة الاميركية فان الهبوط الذي حدث فيها منذ شهرين انقص قيمة اسهم شركاتها ٤٠٠ مليون جنيه

لحم الكلاب

تجيز القوانين الالمانية اكل لحم البقر والغنم والمعزى والخيل والحمير والبغال والكلاب · واكل لحم الكلاب حديث في المانيا واكثر شيوعه في سكسونيا وهي تُذبح في مذابح الخيل ويباع لحمها كما يباع لحم الخيل وقد ذبح في سكسونيا ٤٦٨ كلباً سنة ١٨٦٩ و ١٣٦٠ كلباً سنة ١٩٠٠ و ٢٥٠٢ سنة ١٩٠١ و ٢٨٦٩ كلباً سنة ١٩٠٢ · ويقال ان لحم الكلاب اقل غذاء من لحم الخيل وهو عرضة للامراض التي تصل منهُ الى آكليهِ ولذلك لا يسمح ببيعهِ الا بعدما يفحصهُ طبيب من قبل الحكومة ويتحقق انهُ خالٍ من جراثيم الامراض

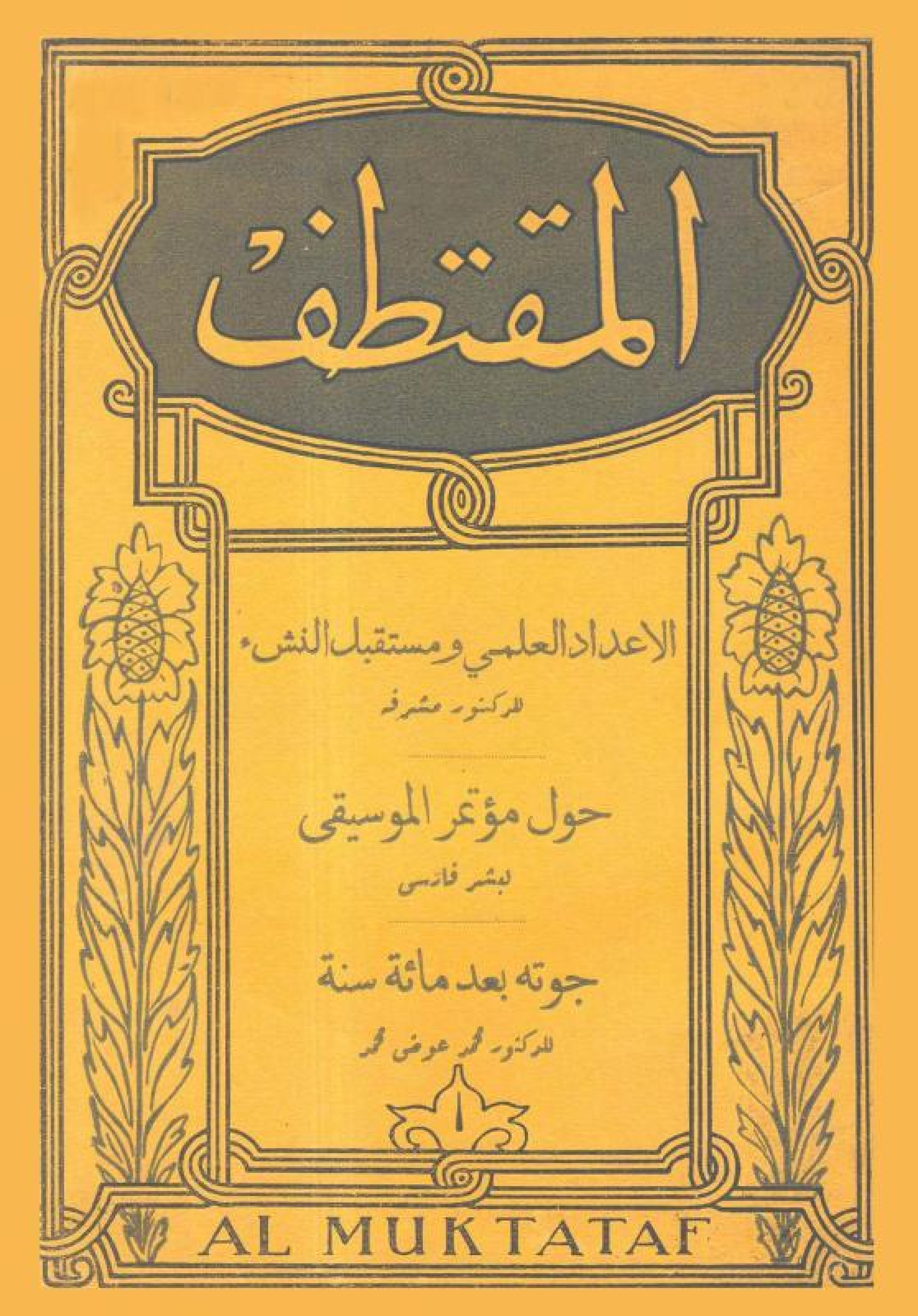


لورد كرومر (صورته الاخيرة)



صابا باشا

فهرس الجزء السادس من المجلد الثاني والثلاثين


المقتطف
الاعداد العلمي ومستقبل النشء
للدكتور مشرفه
حول مؤتمر الموسيقى
لبشر فارس
جوته بعد مائة سنة
للدكتور محمد عوض محمد
AL MUKTATAF

المقتطف

الجزء السابع من المجلد الثاني والثلاثين

١ يوليو (تموز) سنة ١٩٠٧ — الموافق ٢١ جمادى الاولى سنة ١٣٢٥

جراحة السفن

الجراحة فرع من الطب يراد بهِ مؤَاساة الجراح وبتر الاعضاء وجبر العظام وما اشبه. واستعمالها للسفن مجاز يراد بهِ على ما يسبق اليهِ الظن رأب ما يقع فيها من الشقوق والثقوب. وقد لا يخطر ببال احد انهُ يقصد بها ايضاً بتر السفينة وقطع رأسها اذا ادَّى ذلك الى سلامة بقية جسمها. ولكن هذا هو المراد بها هنا فقد حدث بالامس ان سفينة من اكبر السفن البخارية جنحت على صخر فثبت مقدَّمها عليهِ لا يتحرك فدعت الحال الى قطعهِ انقاذاً لبقية جسمها من التلف. والسفينة من سفن الشركة المعروفة بالنجم الابيض (هويت ستار) التي تسير بين اوربا واميركا واسمها سيوفي وهي من اكبر السفن البخارية محمولها ١٢٥٠٠ طن كانت في السابع عشر من شهر مارس الماضي ماخرة في عرض البحر حتى دنت من جزائر سلي وكانت السماء متلبدة بالغيوم والجو اقتم وعصفت جنوب شديدة لكن ربان السفينة كان واثقاً انهُ لا يزال بعيداً عن تلك الجزائر وهي صخور قرب وجه الماء وما هي الا لحظة حتى رأى سفينتهُ تثب عليها وتعلق بها

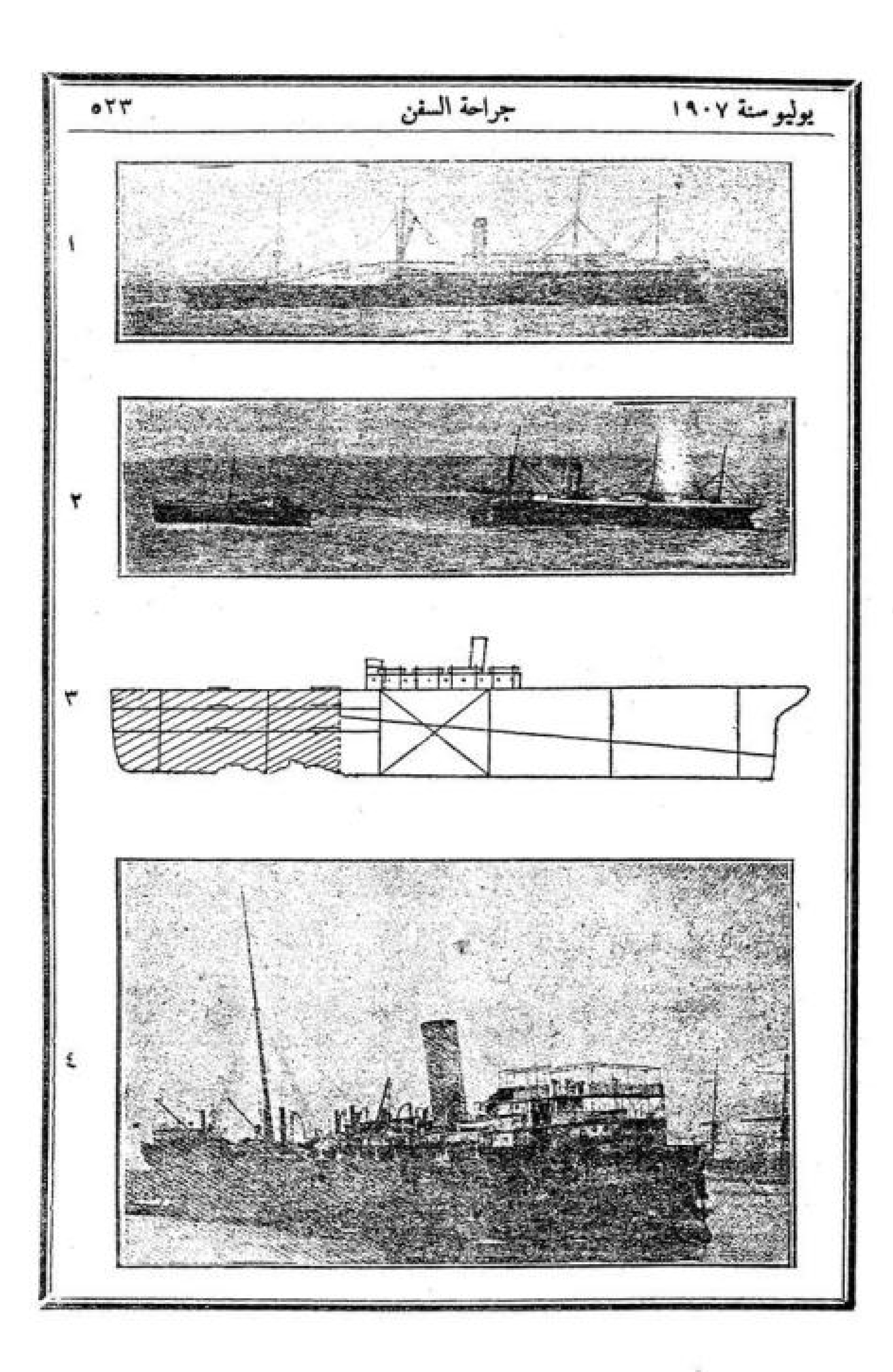
والسفينة كبيرة جدًّا كما تقدم طولها ٥٥٠ قدماً وعرضها ٦٣ قدماً. وكان ثقلها وثقل وسقها حينما جنحت نحو عشرين الف طن فزحف ثلثها على الصخور بعنف شديد قبلما امكن ايقافها وخرقتها الصخور فجعل الماء يفور اليها فوارانا ولكن دُبرت التدابير حتى انحصر في ثلثها المقدَّم الذي جنح وانزلت الزوارق كل ركابها الى البر فلم يفقد منهم احد

ووصل الخبر الى مقر الشركة في لفربول فاسرع رجالها ومعهم المهندسون والغوَّاصون والرفاصات لانقاذها وبذلوا الجهد في ذلك فلم يأتِ جهدهم بجدوى واخيرًا عقدوا مجلس شورى وقرَّ قرارهم على انهُ لا ينجي السفينة من الغرق الَّا قطع رأسها الذي علق بالصخور فقطعوهُ على هذه الصورة

بنوا عليها بناء متيناً من الخشب وراء آخر الحد العالق بالصخور حوَّطوها بهِ وانزلوا وسقها ولم يبقوا منهُ سوى الفي طن لتبق بهِ ثابتة · ثم نشروا الخشب كلهُ حيث ارادوا قطع الراس الى ان وصلوا الى الحديد الذي تحتهُ ووضعوا على الحديد خطوطاً من خراطيش الديناميت الصغيرة ووصلوها بعضها ببعض بالاسلاك الكهربائية ثم اطلقوها بالكهربائية دفعةً واحدة فانفجرت وبترت ثلث السفينة حيث ارادوا بترها وبقي هذا الثلث عالقاً بالصخور وعام الثلثان الباقيان وفيهما الآلة البخارية فاديرت الى الوراء واعيد هذان الثلثان الى حوض الشركة في سوث همتون · ولا بدَّ من ان تعالج هناك ويوضع لها رأس جديد اذا تعذرت نجاة رأسها الاول · فالعملية جراحيَّة في شكلها هندسيَّة في مبدإها وقد نجحت نجاحاً تامًّا وجاءت وافية بالغرض المطلوب منها . وترى في الشكل الاول من الاشكال المقابلة صورة هذه السفينة قبلما جنحت وفي الشكل الثاني صورتها بعد ما قطع رأسها وترك عالقاً في الصخور ومخر بقية جسمها راجعاً الى بلاد الانكليز

وقد حدث شيءٌ مثل ذلك تماماً منذ تسع سنوات فان سفينة تجارية من سفن نقل المواشي اسمها ملوكي اقلعت من نيوكسل ببلاد الانكليز في ١٥ سبتمبر سنة ١٨٩٨ قاصدة نيو اورلينس باميركا . وكانت من السفن المعدودة وتكاد تكون جديدة ومن اكبر سفن الشحن حينئذٍ فان محمولها ٧٣١٧ طناً ولم تسر طويلاً حتى لطمت بصخور تحت الماء وعلق مقدمها بها وتعذَّر عليها الخلاص منها وخرقها صخر كبير فدخل جوفها ودخل الماء معهُ ولكن سدَّت الابواب في طريقهِ فانحصر الماء في جانب منها واقبل المهندسون والموكَّلون بنجاة السفن فرأوا بعد البحث المدقق انهُ لا يمكنهم انقاذها الاَّ يبتر ثلثها العالق بالصخور فيبقى منها الثلثان وان البتر لا يكون الاَّ بالديناميت ولكنهم لم يطلقوا الديناميت دفعةً واحدة كما فعلوا في السفينة المتقدمة بل اطلقوهُ دفعات متوالية الى ان انفصل ثلث السفينة الذي فيهِ مقدمها عن الثلثين وفيهما الآلة البخارية . ولقي المهندسون في هذه العملية الجراحية اشد العناء وكاد احد الغواصين الذين يضعون الخرطوش يغرق . ثم دخل الماء الى الثلثين وكاد يغرقهما ولكن همَّة المهندس ومهارتهُ تغلبتا على كل المصاعب · واعيد الثلثان سالمين الى نيوكسل في الرابع من شهر اكتوبر ووضع لهما مقدم جديد وصحَّ بذلك خيال الشاعر الذي قال ان السفينة جسم حي متحرك فان العمليات الجراحية تعمل فيها كما تعمل في الاجسام الحية

وترى في الشكل الثالث رسماً خيالياً لهذه السفينة يظهر فيهِ الجزء الذي قطع منها وهو الجزء المخطط وفي الشكل الرابع صورة حقيقية لثلثيها اللذين انقذا


١
٢
٣
٤

التوقيت القديم

ان من يقرأ الكتابات الاثرية على الصخر والحجر والاجر وغيرها يرى ميل الانسان شديداً لكتابة وقائع زمنهِ وذكر وقت حدوثها وقد اصطلح الناس على تسمية كتابة الحوادث تاريخاً واما ذكر الوقت الذي جرت فيهِ الحادثة المروية فلم نجد لهُ اسماً مخصوصاً في لغتنا العربية يدلّ عليهِ كما تدل كلمة Chronology او Chronologie بالانكليزية او الفرنساوية وفي امثالها من لغات الشعوب الراقية لان علماء تلك الامم لما احتاجوا الى تسمية هذا العلم الحديث اخذوا من اليونانية اصلاً وركبوا منهُ الكلمة واما نحن فانا كثيراً ما نجد في لغتنا العربية كلمات يمكن ان نعالجها بالعدل عن اصلها فتؤدي المعنى المطلوب وعملاً بذلك اخذنا كلمة توقيت لاداء المعنى المقصود · وكلمة توقيت مصدر وقّت وهي على ما في كتب اللغة ما جعل لهُ وقت يعمل فيهِ

ويتضح من القاء النظر على الآثار القديمة المخلفة عن الامم السابقة ان مناهج توقيتها مختلفة غير ان اهم تلك المناهج ما وجد على كتابات الاشوريين · والاشوريون على ما يعلم من امرهم كانوا اهل نشاط وعمل يصرفون وسعهم لتسهيل اعمالهم والسير بها في سبيل لا يجدون في اجتيازهِ عثاراً فمنهاج توقيتهم موضوعٌ بحيث لا يماثلهم فيهِ غيرهم من الامم وبحيث لا يتطرق اليهِ الخطأ في حسابهم ذلك انهم كانوا في عقودهم ومراسلاتهم وتاريخهم وغير ذلك من شؤونهم العملية التي كانوا ينقشونها على الاجر المشوي او المشمس او على الصخر والحجر او غيرها يوقّتون سنتهم بنسبتها الى اسم زعيم يقيمونهُ لتلك السنة ويعرفونهُ باسم ليمو فاذا ارادوا توقيت حادثة قالوا جرت في زمن الليمو فلان فعرفت السنة من معرفة صاحبها لان القوم كانوا يحفظون جداول باسماء اولئك الزعماء فلا يفوتهم علمها عند مسيس الحاجة · وكأن تلك الجداول كانت مستفيضة بين الناس لانهُ ظهر منها حتى الآن عددٌ كبير

وقد ظهر للباحثين ان الزعامة المحكي عنها تحاكي منصب الاراخنة عند اليونان والارخون هو الرئيس او المقدَّم

ومما يبرهن على مكانة الليمو عند قومهِ ان الملوك في صدر الدولة كانوا يتولون هذا المنصب في بدء تبوئهم سرير الملك

وكلمة ليمو غير معروفة الاصل تماماً وكاد قراء الاثر لا يضبطون قراءتها لولا انها وردت

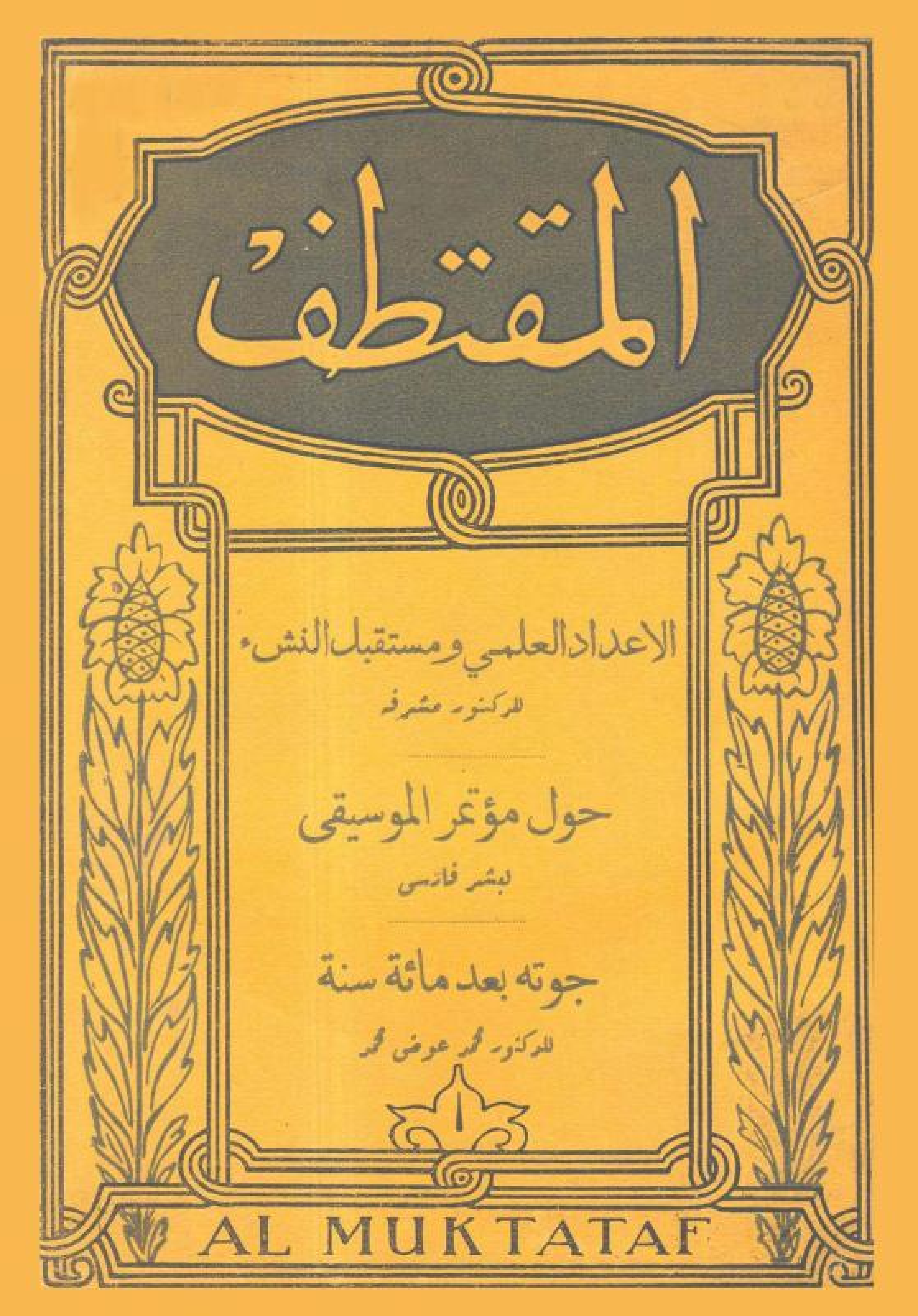
ايضاً في الصفائح الاثرية المكتوبة باللغتين الاشورية والارامية فوجدها العلماء مكتوبة بالاولى بما يقارب لم وبالثانية بما يقارب لام فاذا اعتبرنا غرض هذه الزعامة على ما هو ظاهرٌ على الآثار وهو اطلاق اسم الزعيم على السنة ليكسبها صفة العلية في ذلك وفي مصالحهِ الاخرى التي تقتضيها طبيعة الزعامة جمعٌ لاراء الامة على تسوُّدهِ فيها ومن هذا نرى ان الكلمتين العربيتين لمّ ولأمَ تؤديان معنى الجمع والسيادة لا سيما وان الرجل الملم انما هو الذي يجمع القوم

ولا غرابة في اقتراب الكلمات الاشورية والارامية من العربية لان هذه اللغات شقائق ولهنَّ اخوات اخرى من الساميات وكلهنَّ اخذن اصولاً واحدة ثم توسعت كلٌّ منهنَّ على اهوائها

ولم يهتدِ الباحثون الى حقيقة منشإِ هذا التوقيت الاشوري لانهُ لا يخلو اما ان يقال باخذهِ في جملة ما اقتبسهُ الاشوريون عن سابقيهم الكلدان او غيرهم من الامم التي كانت لها السيادة والصولة في ما بين النهرين او ان يقال بنشأتهِ عندهم وهذا ارجح لانهُ لم يظهر من آثار الكلدان ما يدل على اعتمادهم هذا النهج فضلاً عن ان وطنية نشأتهِ الاشورية ظاهرة من قدم عهدهِ بينهم فترى انهُ وجدت كتابة اثرية تنسب لريمون نيراري الاول (يظن انهُ ملك حوالي سنة ١٣٤٠ ق٠م) وهي موقتة في زمن اليمو شلمنصر ابن الملك (وهو الذي خلفهُ على اريكتهِ حوالي سنة ١٣٢٠ ق٠م)

ونحن نعلم ان اشور غلبت الكلدان على ملكهم في زمن تغلث اوراس خلف شلمنصر وان الاشوريين الغالبين لم يكونوا من صبغة مغلوبيهم في الجنس واللغة والعادات والمناهج وانهم بامتزاجهم بالكلدان اخذوا عنهم كثيرًا من السنن والشؤون ولكنهم صبغوهم بصبغتهم السامية في اللغة والعادات حتى كادت تضيع من بينهم مميزات الكلدانية — كل هذا لا يمكن ان يتم وقوعهُ في زمن قصير ولا يستطاع معهُ القول باخذ الغالبين منهاج توقيتهم عن المغلوبين لا سيما وان الكتابة الاثرية دلت على ان المنهاج كان معتمدًا قبل الفتح

بقي ان نذكر امرًا آخر يستفاد من التاريخ ذلك ان المؤرخ سيمبليشوس Simplicious يقول ان كاليستنس Kalisthenes ارسل من بابل الى ارسطوطاليس الارصاد الفلكية التي وجدها هناك من صنع الكلدان وان زمنها يبتدئ قبل ارسالها بالف وتسعمائة وثلاث سنوات ونحن نعلم ان كاليستنس كان مرافقاً للاسكندر المكدوني في فتح بابل سنة ٣٣١ ق٠م فاذا اعتمدنا ذلك يكون ابتداء تلك الارصاد سنة ٢٢٣٤ ق٠م وهو زمن يقرب من العصر المحسوب لنشأة الدولة الكلدانية



المقتطف
الاعداد العلمي ومستقبل النشء
للدكتور مشرفة
حول مؤتمر الموسيقى
لبشر فارس
جوته بعد مائة سنة
للدكتور محمد عوض محمد
١
AL MUKTATAF

المقتطف

الجزء الثامن من المجلد الثاني والثلاثين

١ اغسطس (آب) سنة ١٩٠٧ — الموافق ٢١ جمادى الثانية سنة ١٣٢٥

مصر والسودان

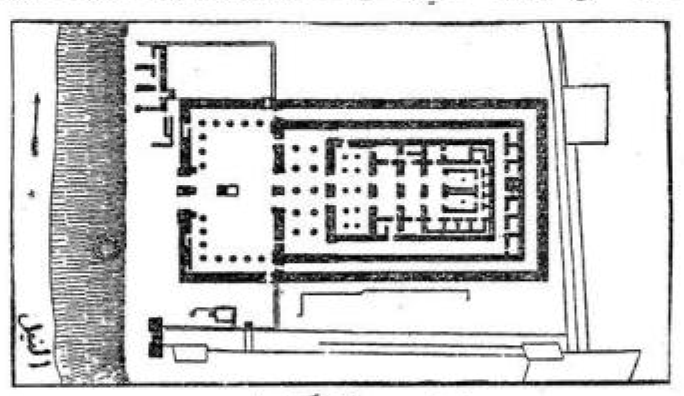
الرسالة السابعة . الملكة هتشبست والدير البحري

فرغت من الكلام على ما شاهدناه في السودان و بلاد النوبة . وكانت ابنتي معي فرغبت اليَّ في ان اريها بعض الآثار المصرية في رجوعنا ولو كنت قد رأيتها في رحلتي الاولى التي كتبت فيها "رسائل النيل" . فرجعنا في سفينة بخارية من سفن الاكسبرس نيل الجديدة ومررنا اولاً على كوم امبو وزرنا هيكلها المشهور وهو على دكَّة في الضفة الشرقية وقد وصل النيل اليها وجار عليها وهدم البرجين اللذين كانا امام الهيكل ولولا عناية مصلحة الآثار المصرية لجرف الدكة ونقض البناء كله

بنى هذا الهيكل البطالسة على آثار هيكل قديم من عهد الدولة الثامنة عشرة او بناه الكهنة المصريون باسم البطالسة وتزلفاً اليهم . وهو يمتاز عن اكثر الهياكل المصرية بان له بابين وممرين ومحرابين كما ترى في الرسم التالي كأنهُ هيكلان في هيكل واحد لانهُ بني لمعبودين متضادين هورس اله النور وسبك اله الظلمة . دارهُ الخارجية كبيرة رحبة فيها ستة عشر عموداً ارتفاع كل منها اربعون قدماً والداخلية اصغر منها وفيها عشرة اعمدة وتليها دار ثالثة فيها عشرة اعمدة ايضاً و بعد ذلك غرف كثيرة الى ان تصل الى المحرابين . وطول الهيكل ٥٠٠ قدم وعرضهُ ٢٥٠ قدماً فهو مثل اعظم المباني التي تشاد في هذا العصر في العواصم الاوربية . وجدرانهُ واعمدتهُ مغطاة بالنقوش ونقوشها على غاية الدقة صوراً كانت او كتابات هيروغليفية كأنَّ صناعة النقش عادت الى اوج مجدها في عهد البطالسة وزادت اتقاناً في رسم تقاطيع الوجه . وفي الكتابات كثير من الاخبار التاريخية والاوصاف الجغرافية الجزيلة النفع .

ولو لم يكن في القطر المصري سوى هيكل واحد مثل هذا الهيكل لكفى بهِ مغرياً للناس بزيارتهِ من اقاصي المسكونة

وقد مررت بكوم امبو منذ بضع سنوات وقت الاحتفال بفتح الخزان وكانت الارض رمالاً قاحلة لكن العارفين بها قالوا لي حينئذٍ ان طبقة الرمل رقيقة وتحتها طمي جيد لا ينقصهُ الاَّ الماء حتى يصير مثل اجود اطيان القطر المصري . وقد تحقق هذا القول الآن لان شركة كوم امبو التي تألفت بعد ذلك وابتاعت تلك الاراضي من الحكومة المصرية ركبت الآلات الرافعة على النيل واصلحت الوفاً من الفدادين وزرعتها وبنت البيوت الكبيرة للنظار



(١) رسم هيكل كوم امبو

والقرى للفلاحين فجادت الارض بخيراتها بعد ان بقي طمي النيل فيها الوفاً من السنين قاحلاً لا ينبت شيئاً . وكنت اراها من ظهر السفينة وانا لا اصدق انها هي الرمال التي رأيتها منذ بضع سنوات

ثم عاودنا المسير والسفينة تكاد تطير بنا لاننا كنا وحدنا عليها الى ان بلغنا ادفو . وكان عمال الشركة قد ارسلوا تلغرافاً الى وكيلهم ليعدَّ لنا الركائب فركبنا ومررنا في البلد الى الهيكل فرأيت ان آكام التراب التي كانت حولهُ في رحلتي الاولى قد ازيل اكثرها ولا سيما من الجهة الشمالية ولا يزال العمال يحفرون الاتربة و يوثقون البناء. والهيكل كما وصفتهُ غير مرة من اجمل الهياكل المصرية واتمها لم تتناولهُ ايدي الخراب لان الردم غطاهُ منذ زمن طويل فحجبهُ عن الانظار . طولهُ ٤٥٠ قدماً وعرضهُ ١٢٠ قدماً ولهُ برجان كبيران اتساعهما ٢٥٠ قدماً وارتفاعهما ١١٥ قدماً ودارهُ الخارجية رحبة جداً فيها ٣٢ عموداً على دائرها وفي

المحراب الداخلي خزانة المرمر التي يوضع فيها رمز الاله المعبود في الهيكل · وقد وصفت هذا الهيكل بالاسهاب في رحلتي السابقة ونشرت رسمهُ فيها فلا داعي لاعادة الوصف

ولا تزال ادفو كما كانت ببيوتها الحقيرة وشوارعها الضيقة واتربتها المتراكمة وقد فقد الناس كل ذوق في البناء والنقش او لم يكن لهم ذوق فيهما مطلقاً بل كان البنّاؤون والنقاشون اجانب عنهم كالبنائين والنقاشين الايطاليين في هذا العصر

وعدنا الى السفينة فاطلقت البخار وسارت بنا تشقُّ عباب النيل وقد سال ذهب الاصيل على لجين الماء الى ان توارت الشمس في الحجاب وبرزت الدراري ترقب هياكل مصر كما كانت ترقبها في زمن الفراعنة والبطالسة فلا تسمع اصوات الكهنة ولا تراتيل المتعبدات بل ترى الخفافيش تطير حولها والخراب محيقاً بها · وسرنا على هذا النمط الى ان بلغنا اسنا فلقينا اناسٌ بالفوانيس ورأيت ان التراب الذي كان متراكماً امام باب الهيكل قد أُزيل كلهُ فلم اعد ارى الوان النقش في اعلى العتب . واختفى ضوْء المصابيح في ذلك الظلام الدامس لكن الظلام زاد الهيكل مهابة ووقاراً · ولم يكشف تماماً حتى الآن الاَّ الرواق الخارجي وهو نحو ربع الهيكل والثلاثة الارباع لا تزال مغطاة بالاتربة والمباني وطول الرواق ١٢٠ قدماً اي عرض الهيكل وعرضهُ ٥٠ قدماً وفيهِ ٢٤ عموداً ارتفاع كلٍ منها ٣٧ قدماً وهو مسقوف بصفائح كبيرة من الحجر طول كل صفيحة منها نحو ٢٥ قدماً وعلى السقف نقوش كثيرة بديعة وفيها صورة منطقة البروج

وعدنا الى السفينة وواصلنا السرى الى ان بلغنا لقصر فبتنا فيها وقمنا في الصباح فزرنا هيكل لقصر ثم هياكل كرنك · ورأيت عناية الحكومة برفع الاتربة التي كانت متراكمة في هيكل لقصر وحولهُ وكشف جانب كبير مما لم يكن مكشوفاً حين رحلتي الاولى · وحبذا لو رأى ديوان الاوقاف سبيلاً الى نقل الجامع الذي لم يُترَك هناك حتى الآن الاَّ ليعظم الفرق بين قوة سكان مصر الاقدمين الذين بنوا الهيكل وضعف الذين بنوا الجامع . ففي بناء الهيكل من العظمة والمهارة والدقة ما يقف امامهُ اعظم الناس خاشعاً . انظر الى مسلتهِ وقد انتصبت تناطح السحاب وجوانبها ملساء كالبلور مع انها من الحجر المحبب الاصم ونقوشها غائرة على تمام الانتظام وانفرادها يدل على اختها التي حسب الفرنسويون انهم غنموا افخر غنيمة لما اخذوها من القطر المصري ونصبوها في اكبر ساحة من ساحات عاصمتهم بين اعظم التماثيل التي اقاموها لمدنهم · او انظر الى تماثيلهِ الكثيرة من الحجر المحبب الاحمر والازرق وكلٌّ منها كالبرج الرفيع · وانظر الى الجدران الموثقة من الحجارة الضخمة والاعمدة المخلفة التيجان وما عليها من

النقوش وكلٌّ منها كالبرج العظيم ثلثمئة عمود او اكثر يبلغ علو بعضها اكثر من اربعين قدماً والمصورون وقوف يصورونها ويمثلون اشكالها والوانها ثم اذا حانت منك التفاتة الى الجامع والخشب مكسَّر في شرفاتهِ والجير متناثر من جدرانهِ اغمضت عينيك رغماً عنك لانك لا تستطيع ان ترى الناس يخطون عن اسلافهم الى هذا الحد . وما قيل عن الجامع يقال عن آثار الكنيسة التي اقيمت في الطرف الجنوبي من الهيكل . ولا ندري كيف يستحلُّ الانسان ان يدخل قصرًا فخماً لاسلافهِ بل معبدًا من معابدهم ويتلف احدى مقاصيرهِ ليبني فيها معبدًا آخر لا يقاس بالاول

وركبنا الى هياكل كرنك في جانب كبير من الطريق القديم الذي كانت تماثيل الكباش تكتنفهُ على جانبيهِ ولم يزل كثير منها قائماً الى الآن فرأينا العمال يعملون في نقب الاتربة وترميم الجدران المتداعية واعادة الاعمدة التي سقطت ولا اتعرض لوصف هذه الهياكل بعد ان وصفتها بالاسهاب في رحلتي السابقة ولأن الوصف لا يغني عن العيان ولا يوفيهِ حقهُ كتاب كبير مملوءٌ بالصور والنقوش

وذهبنا في اليوم التالي الى الضفة الغربية وزرنا قبور الملوك وهياكلهم — آثار العظمة والمجد — مظاهر القوة والجبروت — دلائل الاعتقاد بالبقاء والخلود — مشاهد الجور والعسف والتخريب والتدمير — تاريخ مصر من اقدم عصورها الى الآن — تاريخ العلم والصناعة والتجارة والتديُّن والعدل والظلم والجهل والموت والبعث والنشور — كل ذلك تنطق الحجارة بهِ ويُتلَى في نقوشها ورموزها ولا تستوفي وصفهُ المجلدات

فاتني ان اصف في رحلتي الماضية هيكل الدير البحري فاصفهُ الآن بالايجاز واكتفي بهِ

بني هذا الهيكل بامر الملكة هتشبست اخت الملك تحتمس الثاني وزوجتهِ من الدولة الثامنة عشرة وهي اعظم الملكات اللواتي استوين على عرش مصر . ابوها تحتمس الدول وقد اشركها معهُ في الملك وزوَّجها باخيها لكي لا يقع النزاع بينهما فتنقسم المملكة وتخرب البلاد . وكانت اعرق من اخيها لان امها من نسل الملك واما امهُ فلم تكن كذلك فحقَّ لهُ الملك بالاقتران بها حسب شريعة المصريين وهذا هو سر اقتران الاخوة بالاخوات عندهم . وكانت اقدر منهُ على ادارة الملك فادارتهُ بنفسها وترجَّلت فكان يشار اليها بضمير المذكر لا بضمير المؤنث وتصوَّر لابسة ثياب رجل الأحيث تصوَّر بصورة الهة كما ترى في الشكل الثاني على الصفحة التالية ثم توفي اخوها قبلها وكان لهُ ابن من زوجة اخرى وابنة منها فزوجتهُ بها ليشتركا في الملك بعدها واشركتهُ معها في حياتها

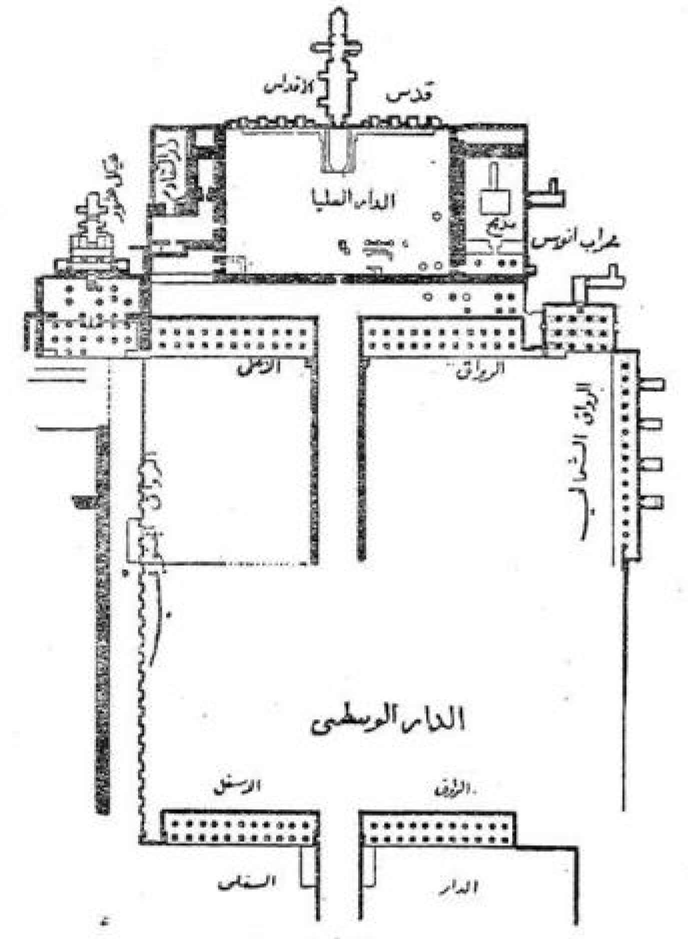
واشهر حوادث هذه الملكة ارسالها وفداً الى بلاد قفط لغاية تجارية · وبلاد قفط هذه على ساحل البحر الاحمر شرقاً وغرباً حيث بلاد اليمن وبلاد الصومال (الشمال) الآن وكان المصريون الاقدمون يقدسونها ويقال في تقاليدهم ان اسلافهم مروا بها وهم آتون الى القطر المصري · وكان مع الوفد خمس سفن شراعية فخرجت في البحر الاحمر جنوباً الى ان وصلت الى



(٢) الملكة هتشبست

نهر فصعدت فيه ولعله نهر الفيل بين رأس الفيل ورأس جردانوى حيث يكثر شجر الابنوس والبضائع التي عاد بها الوفد على ما يذكر في الاخبار المنقوشة في الدير البحري . وكان اهالي قفط يطلقون لحاهم وهي دقيقة من اطرافها وهم طوال القامة ونساؤهم مترهلات كبيرات العجائز ويسكن معهم او بالقرب منهم اناس سود الالوان يشبهون الاحباش في شكلهم . ويقال في الاخبار المنقوشة على جدران هذا الهيكل ان رئيس الوفد مشى مع ثمانية من رجاله وهم مسلحون

بالحراب والقسي الى ان وصل الى محلة امير قفط فقدَّم الرئيس لهُ الهدايا من الملكة وهي فأس من فؤوس الحرب وخنجر وعقود واساور فلاقاهُ امير قفط وزوجتهُ وابناها وابنتهما ومعهم حمار

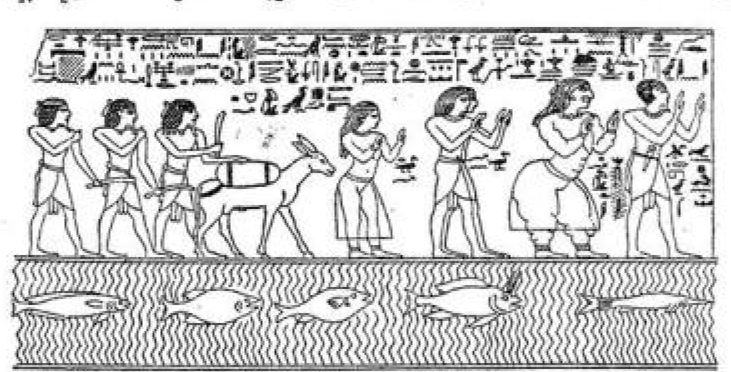


(٣) رسم هيكل الدير البحري

محمَّل وثلاثة من الخدم وسأل رئيس الوفد قائلاً هل نزلت من السماء او جربت على الماء ولكن كل الطرق مفتوحة لدى ملك مصر ونحن نحيا بانفاسهِ . ثم قدَّم لهُ هداياهُ وهي خواتم كثيرة من الذهب ومحاجن وصمغ ولبان فنقلت الى السفن وشحنت السفن بالابنوس والعاج

والذهب واللبان والكحل والقرود والسعادين وجلود النمور ووصلت هذه البضائع الى طيبة وبينها اشجار اللبان فزرعت في حديقة الهيكل . والمرجح ان الملكة بعثت هذا الوفد بعد موت زوجها وقبلما اشركت ابنهُ معها في الملك

وهيكل الدير البحري الذي بنتهُ وماتت ولم تتمهُ من اعظم هياكل مصر واغربها لا مثيل لهُ في شكلهِ كأنهُ محفل للجتمعات الدينية لا هيكل للعبادة . وقد نحتت الجبل لاجلهِ حتى صار منهُ سطح مائل في فجوة كبيرة يوصل اليها بطريق طولهُ ١٦٠٠ قدم نصبت تماثيل الحيوانات على جانبيهِ للزينة او للحراسة ويوصل منها الى دار مرتفعة وفي الدار السفلى فيها طريق مائل مدرَّج وفوقها رواق معمَّد وبعد الرواق دار كبيرة جداً فيها طريق آخر مائل مدرَّج يصعد بهِ الى الرواق الاعلى ويوصل من هناك الى الدار العليا . وعلى جانبي الدار

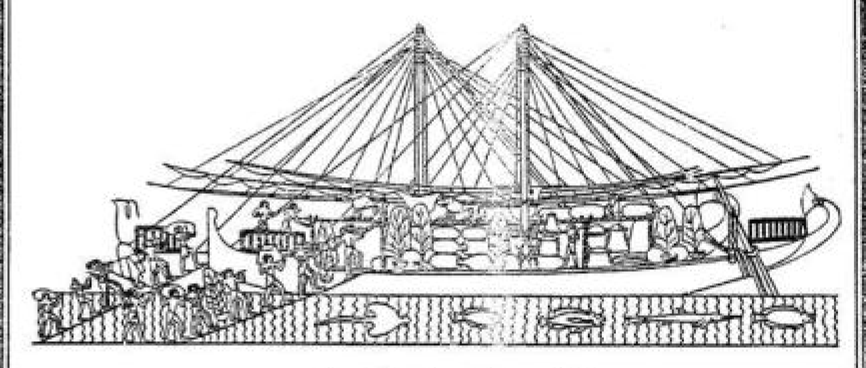


(٤) امير قفط وزوجتهُ واولادهُ وخدمهُ

الوسطى والعليا اروقة وهياكل وغرف كثيرة كما ترى في الرسم المقابل وهذه المباني كلها من حجر كلسي ابيض كالرخام لوناً وسطوحها مملوءة بالكتابات والنقوش التي تمثل حوادث كثيرة في تاريخ هذه الملكة واسلافها والذين جاؤوا بعدها لان الملوك الذين تلوها زادوا في الهيكل وزخرفتهِ لكن تحتمس الثالث ابن زوجها كان الد عدو لها على ما يظهر فاتلف صورة وجهها حيثما وجدها

ومن اشهر الحوادث الممثلة على هذه الجدران اخبار الوفد المشار اليهِ آنفاً وصور كل ما ذكر فيهِ من الناس والحيوانات ومنها صورة امير قفط وزوجتهِ واولادهِ المشار اليها آنفاً وصور السفن التي عادت محملة ببضائع تلك البلاد واشجار اللبان كما ترى في الشكل الرابع والخامس

والنقش في هذا الهيكل من اجمل ما يرى في الهياكل المصرية كأن صناعة البناء والنقش كانت في اوجها حين بني لكن الملوك الذين جاؤوا بعد هذه الملكة جاروا عليها ولم ينصفوها فتحتمس الثالث محا اسمها واتلف رسم وجهها وامنهوتب الرابع محا اسم المعبود امن ورعمسيس الثاني حاول اصلاح ذلك لكنهُ ادخل اسمهُ فيهِ كأن البناء والنقش حدثا في عهدهِ . الاَّ ان هذه الاعمال العدائية لا تعدُّ شيئاً مذكوراً في جنب اعمال المحدثين بين عصر الروم والعصر الحالي الذين لم يتركوا من الآثار المصرية الاَّ ما تعذر عليهم الوصول اليهِ . وكم من مرة



(٥) سفينة من سفن الوفد المصري

كسروا تمثالاً كبيراً لا يصنع مثلهُ الآن بالوف من الجنيهات وتفتخر كل عاصمة من عواصم الدنيا بتمثال مثلهِ — كسروهُ لكي يصنعوا منهُ حجر رحى او ينظروا هل اخفى الاولون في جوفهِ كنزاً من كنوزهم

والملكة هتشبست هذه هي التي اقامت المسلتين العظيمتين في هيكل كرنك تذكاراً لابيها وقد وقعت احداهما وتكسرت ولم تزل الاخرى قائمة كابدع ما صنعهُ البشر بل هما من معجزات الهندسة والصناعة وكثيراً ما وقفت امام قطعة من تلك القطع الملقاة على الصعيد كأني واقف امام رفات صديق عزيز وانا احتدم غيظاً من دناءة الذين حاولوا تكسيرها . طول المسلة القائمة نحو ٩٨ قدماً ويقدَّر ثقلها بنحو ٣٦٥٠ طناً فاعجب بقوم استطاعوا قطعها ونقلها ونصبها ونحتها وصقلها وتغشية سطوحها بالكتابات والنقوش وليس عندهم شيء من آلاتنا وادواتنا واعجب من ذلك الذوق الادبي السامي الذي يحمل امرأة على اقامة مثل هذا الاثر العظيم تذكاراً لابيها

التعليم في اليابان

يرتاح ابناء العربيَّة الى كل ما يُكتَب عن اليابان حسبان انها البلاد الشرقية التي يحقُّ لم ان ينسجوا على منوالها . ولا ندري ما يقول اليابانيون عنَّا وقد لا يبعد ان نكون في عيونهم الآن كما نحن في عيون الاوربيين والاميركيين فيحسبوننا من الامم الشرقيَّة المنحطة ولعلهم يعلمون ان الذنب ليس ذنبنا بل ذنب حكامنا فيرثون لحالنا . ومهما يكن من ذلك فالنظر في السبل التي جرَوْا عليها كبير الفائدة لنا لعلنا نجد فيها ما يصحُّ الاقتداء بهم فيهِ

وقد وقفنا الآن على خطبة في مجلة القرن التاسع عشر لاحد عظمائهم وهو البارون كيكوشي موضوعها التعليم او التربية في اليابان فاقتطفنا منها ما يأتي

العوائد الجارية في بلاد اليابان ان اساتذة مدارسها وتلامذتها يجتمعون في بداءة الفصول المدرسية وفي كل احتفال كبير ويتلون الامر الامبراطوري المختص بالتعليم . يتلوهُ رئيس المدرسة غالبًا والحضور وقوف كلهم يصغون اليهِ بالوقار التام ثم يحنون رؤُوسهم حينما تتم تلاوتهُ كأن الامبراطور نفسهُ واقف امامهم وهم يسمعون صوتهُ

وترسل نظارة المعارف نسخة من هذا الامر الى كل مدرسة في المملكة سواء كانت من مدارس الحكومة المركزية او من مدارس الولايات او من المدارس الاهلية الخصوصية . والنسخ التي ترسل الى مدارس الحكومة المركزية يوقّعها الامبراطور بيده . وترسل صورة الملك والملكة الى كل مدرسة من المدارس العالية اذا طلبت ذلك وتوضع في مكان خاص فيها فينظر اليها بالتجلة والاكرام دائمًا . وقد حدث مرارًا ان حُرقت المدرسة نخاطر ناظرها بنفسهِ لكي ينقذ هذه الصورة من النار . ولا يخفى تأثير ذلك في نفوس الطلبة

وهذه ترجمة الامر الامبراطوري المشار اليهِ نقلناها عن الترجمة الانكليزية التي عني البارون كيكوشي بتنقيحها

اعلموا يارعايانا ان اسلافنا ذوي السلطان اسسوا سلطنتنا على اسس وسيعة ابدية وغرسوا الفضيلة وعمَّقوا غرسها واثبتوه كما يتضح من سيرة رعايانا المتعاضدين في الولاء والحب البنوي جيلاً بعد جيل . هذا هو مجد الصفة الجوهرية التي تمتاز بها سلطنتنا وهي اساس تعليمنا . فيا رعايانا برُّوا بوالديكم وأحبُّوا اخوتكم واخواتكم

عيشوا عيشة الوئام كأزواج والوفاء كاصدقاء وسيروا بالدعة والاعتدال وعاملوا الجميع بمكارم الاخلاق · اطلبوا العلم ورقّوا الصناعة فتقوى عقولكم وتتهذّب اخلاقكم واسعوا الى النفع العام ورقّوا المصالح المشتركة واحترموا الدستور وارعوا الشرائع واذا دعت الضرورة فاستبسلوا في حب وطنكم فتكونوا سياجاً وعضداً لعرشنا الذي يطاول السماء والارض قدَماً فتحققوا ولاءكم لنا وتمجّدوا ذكر آبائكم

والاسلوب الذي نشر الآن انما هو التعليم الذي اورثنا اياهُ اسلافنا السلاطين العظام ليعمل بهِ اولادهم ورعاياهم على السواء وهو يصلح لكل زمان ومكان. ومشيئتنا ان نشاركم يارعايانا في التمسُّك بهِ بكل احترام حتى نبلغ كلنا الفضيلة الواحدة

أُعطي في الثلاثين من الشهر العاشر من السنة الثالثة والعشرين لميجي (٣٠ اكتوبر ١٨٩٠)

ثم قال الخطيب ان غرض التعليم الادبي والمدني غرس مضمون هذا الامر الامبراطوري في نفوس الطلبة لكي يصير جزءا من حياتهم الوطنيَّة · والفضائل المبينة فيهِ بنوع خاص هي الولاء للامبراطور وهو عندهم نفس حب الوطن والبرّ بالوالدين . وهم يطلقون الوالدين على الاسلاف كلهم · وكل ما سوى ذلك نتيجة من نتائج هاتين الفضيلتين اي الولاء للامبراطور والبر بالوالدين · وفي هذا الامر انهُ يجب علينا ان نكون سياجاً وعضداً للعرش الامبراطوري ولا نقتصر على ذلك بل نمجد ذكر ابائنا ايضاً اي نقوم بما يجب علينا لملكنا وبلادنا وآبائنا واسلافنا . ولقد قال كنفوشيوس ان بداءة البر بالوالدين الاحتفاظ بصحة الجسد الذي ورثناهُ منهم وغايتهُ بلوغ الشهرة واشهار اسم الوالدين . ولقد رأيتم كيف تكرَّرت في هذا الامر الاشارة الى اسلاف سلطاننا واسلافنا فقد قيل فيهِ " ان اسلافنا ذوي السلطان اسسوا سلطنتنا على اسس وسيعة ابدية " " والاسلوب الذي نشر الآن انما هو التعليم الذي اورثنا اياهُ اسلافنا السلاطين العظام " الخ وهذا الالتفات المتكرر الى الاسلاف هو من مزايا الامة اليابانية بل هو " مجد الصفة الجوهرية التي تمتاز بها سلطنتنا وهي ينبوع تعليمنا " كما قيل

نعم ان اساس تعليمنا هو العلاقة بين بيت الملك والشعب الذين تربطهم معاً عبادة

الاسلاف او احترامهم . وتظهر هذه العلاقة من قبول الشعب لهذا الامر الامبراطوري كاساس للتعليم الادبي ومن الاحترام الذي قوبل بهِ . وهذه العلاقة قديمة منذ خمسة وعشرين قرناً حسب تواريخنا المكتتبة ولو كان تاريخ القرون العشرة الاولى منها ضعيف السند . واقدم تواريخنا اثنان الكوجيكي اي تاريخ الحوادث القديمة الذي جمع سنة ٧١٢ للميلاد والنيهونجي او اخبار الايام الذي أُلف بعدهُ بثماني سنوات . والكتابان مؤلفان بامر ملكي من كتب واسانيد قديمة كانت موجودة حينئذٍ واقدمها احاديث مأخوذة بالسماع . والكتابان يبتدئان باساطير قديمة موضوعها انفصال السماء عن الارض ويقال فيهما ان الالهة "اماتراسو اومي كامي" اي الهة السماء العظيمة المشرقة او الهة النور السموي العظيمة التي كانت تملك في السهل السموي السامي ارسلت حفيدها ليملك على ارض مزارع الارز الخصيبة (اي بلاد يابان) قائلة هذه هي البلاد التي يمتلكها نسلي فاذهب اليها وتسلط عليها وسيدوم نجاح نسلك ما دامت السماء والارض . واعطتهُ جوهرةً وسيفاً ومرآة وهي كنوز المملكة الثلاثة . واشارت الى المرآة وقالت انظر الى هذه المرآة كأنها نفسي واحترمها كما تحترمني . ولا تزال هذه المرآة الى الآن في هيكل الالهة ايسي حيث يأتي الوف من الحجاج كل سنة من كل انحاء البلاد ويذهب الامبراطور نفسهُ او من ينوب عنهُ حينما يحدث حادث ذو شأن خطير . وفي القصر الامبراطوري بطوكيو معبد يدعى المقدس فيهِ مرآة مماثلة لهذه المرآة صنعت في عهد الامبراطور سوجين سنة ٩٢ قبل المسيح حين نقلت المرآة الاصلية الى معبد خاص بها لئلاَّ تضعف قداستها من حفظها زماناً طويلاً في مكان واحد . وهناك يعبد الملك والملكة روح اول ملك من اسلافهما . وكما ارسل الامبراطور سفيراً ذهب السفير الى ذلك المعبد بعد ما يودع الامبراطور وقدَّم واجب الاحترام . وفي كل بيت من بيوت اليابانيين رفٌّ عليهِ جزءٌ من التقدمات التي تقدَّم سنوياً في هيكل ايسي فهو شبه مذبح للعبادة البيتية وتوضع فيهِ امثلة المعبودات الاهلية وتقدمات من الارز وتنار امامهُ المصابيح كل مساء ولذلك فالالهة (اماتراسو اومي كامي) اي الهة السماء العظيمة المشرقة التي هي اول اسلاف الاسرة المالكة في اليابان تعبد في كل البلاد اليابانية حتى الآن

اما حفيدها الذي ارسلتهُ ليتسلط على بلاد اليابان فاقام في ولاية هيوجا في جزيرة كيوشو ومن هناك خرج اثنان من اولاد اولادهِ واخضعا البلاد كلها . وبعد حروب كثيرة قتل فيها اكبرهما نشر الاصغر رايتهُ على البلاد المجاورة لولاية يماتو الحاضرة واستوى على عرش الملك سنة ٦٦٠ قبل المسيح . هذا هو الخبر المنقول بالتواتر

ولا يمكن ان يعرف اين مكان السهل السموي السامي الذي جاء منهُ اسلافنا الاَّ بعلم الاثنولوجيا

وهذا الامبراطور الاول الذي يسمى جمو خلفهُ اولادهُ واولاد اولادهِ واحداً بعد الآخر الى الآن بسلسلة متصلة . ولذلك فالمزية الخاصة التي يمتاز بها الشعب الياباني هو انهُ يعتقد ان كل اليابانيين (ما عدا بعض الكوريين والصينيين الذين تجنسوا بالجنسية اليابانية والاينو الذين خضعوا لهم) هم من نسل بيت الملك او الذين جاؤُوا معهُ من السهل السموي السامي . ولم يحدث في تاريخنا ان احداً من الرعايا حاول الاستيلاء على عرش الملك او ان دولة اجنبية تغلبت علينا . والمرة الوحيدة التي حاول فيها احد اجتياح بلادنا في الزمن السابق هي لما تغلب قبلاي خان على بلاد الصين في القرن الثالث عشر فانهُ بعث الينا سفارة بعد سفارة ليحملنا على الخضوع لهُ . وارسل مرةً اسطولاً كبيراً فيهِ ١٥٠ سفينة ومدافع كثيرة فاثخن باليابانيين ولكن جرح قائد الصينيين في القتال وعصفت زوبعة شديدة صدتهم عن غرضهم . ومن ثمَّ جعل اليابانيون يبنون الحصون على سواحلهم فاغتاظ قبلاي خان من ذلك وجيش عليهم مئة الف محارب من عساكره وعشرة آلاف من الكوريين وذلك سنة ١٢٨١ للميلاد وبقي اكثر من ستين يوماً يحاول النزول الى البر فلم يستطع لشدَّة ما لقي من مقاومة اليابانيين واخيراً عصفت زوبعة شديدة ففرَّقت الاسطول الصيني ومزقتهُ كل ممزق والذين نجوا من الغرق اوقع بهم اليابانيون ويقال انهُ لم يسلم سوى ثلاثة رجال من ذلك الجيش الجرار فعادوا الى الصين واخبروا بما اصابهم وفي تقاليدنا ان الالهة ايسي اثارت العاصفة لكي تنقذ البلاد التي يملكها نسلها

والملوك الذين توالوا على عرش اليابان من الملك الاول جمو الى امبراطورنا الحالي ١٢٢ ملكاً وقد اشتهر كثيرون منهم بفضائلهم وحسن سياستهم وتدابيرهم الحربيَّة وتفوُّقهم في الانشاء ونحو ذلك من المناقب ولكن لم يقم منهم من لم يكن عارفاً بما يجب عليهِ او لم يكن براً برعيتهِ . والرعية كانت تنظر اليهم دائماً نظر الحب والولاء . ولا خفاء ان اشراف البلاط اغتصبوا السلطة مدة من الزمن ثم اغتصبها الفريق الحربي مدة سبعة قرون قبل العصر الجديد ولكن بقيت البلاد كلها سوقتها واعيانها تنظر نظر الوقار والاحترام الى البيت الامبراطوري وبقي منح الرتب والالقاب خاصاً بالامبراطور

وهذا الاحترام للبيت الامبراطوري متعلق بعبادة الاسلاف فان ديانة الشنتوية اعظم مزاياها عبادة الاسلاف مع شيء مع عبادة الطبيعة . وقد بُني هيكل ايسي وايزومو واتسوتا

قبل القرن السادس لاجل عبادة الاسلاف الذين المنّاهم · وكان الشعب يعتقد ان اولئك الالهة يحمون البلاد ويستشيرهم في الملمات ويعوذ بهم في الكوارث · وفي اواخر القرن السادس دخلت الديانة البوذية والعمران الصيني الى بلاد يابان وكان دخولهما من كوريا اولاً ثم من الصين مباشرة فاعتنق اهل البلاط الديانة الجديدة وقام النزاع بينهم وبين الذين احبوا ان يبقى القديم على قدمهِ لان هؤلاء كانوا يقولون ان عبادة الالهة الاجنبيَّة تغيظ الالهة الوطنيَّة وتجلب البلايا على البلاد . ولم يكن الخلاف بين الذين اعتقدوا بالمذهب البوذي الجديد وبين المحافظين على المعتقد القديم دينياً حسب مفهوم الكلمة بل كان سياسياً واخيرًا تغلَّب حزب البوذية بمساعدة شوتوكو تايشي ولي العهد المشهور وكان من علماء اللغة الصينية وقد اعتنق مذهب بوذا لانهُ رأى فيهِ وفي فلسفة كنفوشيوس افضل الطرق لترقية الآداب العمومية . ولا يزال هذا الامير محسوباً حتى الآن من القديسين الاطهار · ومال اكثر ملوكنا ورجالهم الى الديانة البوذية ولكنهم لم ينفكوا عن العبادة في هياكل اسلافهم الذين يُحسبون الهة البلاد · ففي زمن الامير شوتوكو المشار اليهِ (من ٥٩٧ — ٦٢١) صدرت الاوامر وسنَّت السنن لنشر الديانة البوذية وإقامة هياكلها ولكن صدر امر ملكي ايضاً يوجب تقديم الاحترام للآلهة القديمة ويقال ان الامير ورجال حاشيتهِ عيدوا لتلك الالهة عيدًا عظيماً . واشترك مع عظيم البوذية في تأليف كتاب يجمع كل تقاليد اليابان القديمة

وكان الامبراطور شومو (٧٢٤—٧٤٨) من اشد الناس تمسكاً بالديانة البوذية ومع ذلك ارسل رسلاً الى هيكل ايسي وارسا يستشير الالهة لما ارسل الكوريون اليهِ سفارة تتهددهُ. ولما انتشر الوباء في البلاد ذهب بنفسهِ الى هيكل ايسي وارسل رسلاً الى سائر هياكلها لكي تلطف بالبلاد وتكف عنها البلاء . وكان في البلاد كثيرون من علماء البوذية فلما رأوا انهُ يستحيل عليهم ان ينزعوا من عقول الناس عبادة اسلافهم قالوا ان اولئك الاسلاف من مظاهر بوذا وقد ظهر فيهم في الازمنة الغابرة ليرشد الشعب الياباني · ودام الحال على هذا المنوال الى ان كاد البوذيون يستولون على هياكل البلاد القديمة بدعوى ان آلهتها من مظاهر بوذا نفسهِ . فلما صارت البوذية تحترم عبادة الاسلاف كأنها منها انتشرت في البلاد ولولا ذلك لتعذر انتشارها · وكأن البوذية ابتلعت الشنتوية (الديانة القديمة) الى زمن النهضة الجديدة نهضة الديانة الشنتوية في اواسط القرن الثامن عشر الزمن الذي امتاز بالرجوع الى المذاهب القديمة كما امتاز بالارتقاء العقلي والادبي والفني . ولما ابتدأ هذا العصر الجديد عصر الميجي طُهِّرت هياكل شنتو وفُرق بين الشنتوية والبوذية؛

والبوذية لا تنفي عبادة الاسلاف ولكنها لا تؤيدها فاضطرت ان تتنوع لكي لا تقاوم اميال الناس والعقائد الراسخة في نفوسهم ولكي تجاريهم على عبادة اسلافهم فدامت عبادة الاسلاف من اقدم الازمان الى الآن . ولا يظهر ان العمران الاوربي غيّر شيئاً من هذا الميل مع ما غيّره في سائر امور السكان واحوال البلاد فاننا نجد الآن في كل بيت من بيوت اليابانيين مذبحاً او معبداً بيتيًّا فيهِ اضرحة صغيرة عليها اسماء الاسلاف واذا كان اهل البيت من مذهب شنتو ترى فيهِ مقاماً آخر فيهِ اضرحة تمثل اضرحة اسلاف اهل البيت . وكما يزور الناس بعضهم بعضاً يزورون قبور اسلافهم ويضعون عليها الازهار ويشعلون البخور . واذا عزم احد على سفر طويل فالغالب انهُ يودّع قبور اسلافهِ كما يودع الاحياء من اقاربهِ . واذا سكن بعيداً عنها فقد يسافر سفراً طويلاً شاقًّا لزيارتها كأن نفوس الاموات عائشة مع الاحياء

ثم ان اليابانيين يعبدون اسلاف ملوكهم كما يعبدون اسلافهم لان اسلاف ملوكهم كانوا ملوكاً لاسلافهم فالنسبة الكائنة الآن بين الاسرة الملكة وبين الشعب كانت منذ القدم بين اسلافهما من الطرفين والى ذلك اشار امبراطور اليابان في الدستور الذي منحهُ لشعبهِ سنة ١٨٨٩ حيث قال "لقد ارتقينا بفضل امجاد اسلافنا الى عرش اسرة توالت عليهِ توالياً غير منقطع قروناً طوالاً ونحن نعلم ان رعايانا المحبوبين هم نفس الرعايا الذين كانوا متمتعين بمحبة اسلافنا وعنايتهم وقد اردنا ان نزيد سعادتهم ونرقي قواهم العقلية والادبية ونحافظ على نجاح البلاد وارتقائها بالاتفاق مع شعبنا وبمساعدتهم فلذلك نسن بناء على امرنا الملكي الصادر في السنة الرابعة عشرة من الميجي (١٨٨٠) قانوناً اساسيًّا للمملكة لتظهر فيهِ المبادئ التي نريد ان نسترشد بها في سياسة بلادنا ولندل على ما يجب ان يتّبعهُ خلفاؤنا ورعايانا وخلفاؤهم الى الابد . ان حقوق الملك ورثناها من سلفائنا ونورثها لخلفائنا

وجاء في الخطاب الامبراطوري الذي تلي حينئذٍ ما تعريبهُ

"ان الملك العظيم الذي كان مبدأ اسرتنا وكثيرين غيره من اسلافنا العظام وضعوا سلطنتنا على اسس ابدية بمساعدة اسلاف رعايانا ومعاضدتهم . وهذا العمل العظيم المجيد الذي يتحلى بهِ تاريخ بلادنا سببهُ فضائل اسلافنا السلاطين الاطهار وولاء رعاياهم وشجاعتهم وحبهم لوطنهم . ولما كان رعايانا هم خلفاء الرعايا الامناء الذين كانوا لاسلافنا السلاطين العظام فلا شبهة عندنا انهم يرتشدون بارشادنا ويؤمنون على كل ما نطلبهُ ويشاركوننا في ما نرجوهُ من اظهار مجد بلادنا هنا وفي الخارج والاحتفاظ بالعمل العظيم الذي ورثناهُ من اسلافنا العظام"

وهذه الاقوال تكفي لاثبات ما اريد اثباتهُ من علاقة الشعب الياباني بملوكهِ

ثم لخص الخطيب تاريخ اعادة السلطة الى الاسرة المالكة بعد ان استولى عليها حزب الجنود وتنازل اصحاب الاقطاعات عن اقطاعاتهم واهتمام الجميع باقتباس اساليب العمران الاوربي واهمالهم تقاليدهم السالفة في سبيل ذلك كأنهم ارادوا التخلص من كل ما ورثوهُ واقتباس كل ما رأوهُ عند الاوربيين والاميركيين حتى ان ناظر المعارف طلب من احد الاساتذة الاميركيين ان يعلم التلامذة اليابانيين كأنهم من اولاد الاميركيين من غير ان يوفق التعليم على احوال اليابان. ثم قال ولعلنا لو تبصرنا في اقتباس ما اقتبسناهُ من الاساليب الغربية او نوعناهُ حتى يصلح لنا ويناسبنا لنجونا من اغلاط كثيرة ولكن لو فعلنا ذلك لما بلغنا ما بلغناهُ من النجاح السريع بنوع عام على ما يظن. ولقد كان تعليم الشبان عند الفئة الحاكمة منا محصورًا في تدريبهم على الرماية والسباحة والفراسة وما اشبه وعلى قراءة الكتب المكتوبة بالحروف الصينية وهي في الفلسفة والتاريخ بنوع خاص والمراد من درسها تهذيب العقول وتدميث الاخلاق فيعلم الشاب ما يطلب منهُ كحاكم وتشرح لهُ الاسباب التي تأول الى ارتقاء الممالك والبيوت والى انحطاطها. ويقرأ سير العظماء والفضلاء وبذلك وبامثالهِ يتدرَّب على الطاعة لاسيادهِ والحب لوالديهِ والاحترام لبيت الملك والتكريم والتعظيم للاسلاف اي كان قوام التعليم محصورًا في تهذيب العقول والاخلاق هذا عند الفئة الحاكمة وكذلك كان عند الفئة المحكومة ولو على درجة اقل لانهُ لم يكن يطلب منهم ان يسودوا غيرهم

ولما سنَّ قانون التعليم الجديد سنة ١٨٧٢ لم يوضع فيهِ شيء يستدعي الاهتمام الخاص بتهذيب الاخلاق لا لان الذين سنوهُ حسبوا تهذيب الاخلاق امرًا غير ضروري بل لانهم حسبوا ان كلمة تعليم تشمل تهذيب العقول والاخلاق معًا وكما كان التلامذة يعطَون الكتب الصينية لتلاوتها صاروا يعطَون كتب روسو ومنتسكيو ومل وسبنسر من غير تمييز بينها. ويسهل على الانسان ان يتصوَّر تأثير هذه الكتب بشبان يحسبون كل قديم عبثًا لا فائدة منهُ ويتشوقون الى معرفة كل جديد من العلوم الغربية. ولذلك اضطرَّت نظارة المعارف سنة ١٨٨٠ ان تطلب من الذين يبدهم نظام الامن ان يمنعوا قراءة كتب التعليم التي يمكن ان تضرَّ بآداب التلامذة او تدعو الى الاخلال بالنظام العام. وشعر الناس بالحاجة الى مبادئ ادبية تبنى التربية عليها والاساس المنقلب. واشار البعض بالاعتماد على آداب الديانة المسيحية ولو لم يكونوا من المعتقدين بها واشار غيرهم بالعود الى تعاليم كنفوشيوس وقال غيرهم بوضع ديانة جديدة. ولكن بقي الكهول والشيوخ محتفظين بالمبادئ القديمة مبادئ الولاء للملك والبر بالوالدين وبقي تأثير التربية البيتية قويًا في النفوس لحفظ اولادنا من الزلق ثم

جاء الامر الامبراطوري المذكور آنفاً سنة ١٨٩٠ فهدأت النفوس واطمأنت الخواطر وفُضَّ الخلاف لاننا وجدنا فيهِ اساساً راسخاً للآداب والفضائل وهو ليس بالامر الجديد بل قد اورثنا اياهُ اسلافنا السلاطين العظام ليعمل بهِ اولادهم ورعاياهم على السواء وهو يصلح لكل زمان ومكان . انتهى

الطعام النباتي

يتألف طعام الانسان من المواد الحيوانية كاللحوم والاسماك والالبان ومن المواد النباتية كالقطاني والحبوب والاثمار وفي كل من هذين النوعين ما يكفي للقيام بالحياة الأ ان الجمع بينهما لازم للحصول على ما يلزم من العناصر الطبيعية لحفظ البنية وللتعويض عما يخسرهُ الجسم بالعمل اليومي . والناس ليسوا سواء في كيفية استعمالها لان سكان الاقاليم الباردة واهل المدن والترف يؤثرون اللحوم في طعامهم وسكان الاقاليم الباردة واهل القرى والفقراء يكتفون بالاطعمة النباتية على ان فئة كبيرة في هذه الايام تقتصر على الطعام النباتي حتى في البلاد الباردة وقد تألفت جمعيات لهذه الغاية تدعو الناس لتعميم هذه الطريقة وكثر اعضاؤُها وانتشر تعليمها كثيرًا في اوربا ولا سيما في انكلترا واميركا وهم في ذلك فريقان فريق يرى في استعمال اللحم ضررًا بالصحة ينتج عنهُ ضعف البنية وتقصير مدة الحياة وآخر يرى في الامتناع عنهُ كمالاً في الادب الانساني ويزعم ان الانسان مخلوق ليأكل النبات فقط وان قتلهُ الحيوانات لهذه الغاية جريمة استحلها بالتربية والعادة . فالبحث في هذا الموضوع لا يخلو اذًا من الفائدة لجمهور القراء لاسيما ونحن سكان اقليم صار يقفي تدبير الطعام فيهِ اهتماماً واعتناء خصوصيين وسأبين فيما يلي مواضع الفائدة من الاغتذاء بالنبات مقتصرًا على البحث العلمي فقط واستند فيما اوردهُ الى ابحاث العلماء الذين نستنير بمعارفهم بحيث اذا رغب احد في اتباع احدى الطريقتين كان على هدًى في سيرهِ بعد وقوفهِ على الحقائق العلمية

طريقة الاقتصار على الطعام النباتي ليست حديثة فقد جرى عليها اكثر فلاسفة اليونان الاقدمين ومنهم فيثاغورس وهي تنسب اليهِ وسقراط وافلاطون وفلوطرخس وغيرهم وجرى عليها ايضاً كثيرون من آباء الكنيسة المشهورين مثل يوحنا فم الذهب باسيليوس الكبير اكليمنضس الاسكندري وغريغوريوس النزيزي واغسطينوس وغيرهم واقتفت اثرهم بعض الرهبنات المعاصرة كالشارتروز والترابيست . ومن الفلاسفة المتأخرين فولتير وجان

جاك روسو وكوفيه وبوفون وموتثيون وكثيرون غيرهم على انهم وان كثروا فهم قليلون او شذوذ من امةٍ كثيفة وقط لم تم هذه الطريقة امةٌ بكاملها . والطعام النباتي لهُ فوائد كثيرة في ظروف واحوال خصوصية ويمكن للانسان ان يعيش بهِ وحده ولكنهُ ليس بالواجب الاتباع بل من الغلط ان يمنع اللحم من غذاء الانسان الصحيح البنية ولا سيما في البلاد الباردة وهذا ما سيتضح بيانهُ فيما يلي من الكلام

لابد ان يكون الانسان قد اقتصر في نشأتهِ على الطعام النباتي اذ لم يكن لهُ سبيل الى سواهُ ولكنهُ لما اكتشف السلاح واستعملهُ للصيد اصبح من اكلة اللحوم وقد دلت الابحاث الانثروبولوجية على ان سكان الكهوف كانوا يوقدون النار عند باب الكهف ويشوون عليها لحوم الحيوانات التي يقتنصونها وكان ذلك من ضروريات ذلك العصر لان الوعل والدب كثرا في الدور الجليدي فاقتنصها الانسان واغتذى بلحمهما وترك عظامهما بكثرة على ابواب الكهوف

ويستدل من جهاز الاسنان ومن تركيب القناة الهضمية ان الانسان مؤهل للاغتذاء باللحم وبالنبات فيغتذي بذاك في البلاد الباردة وبهذا في البلاد الحارة . وزعم بعضهم ان الشبه بين الانسان والقرد يقضي بان يكون طعام الانسان مقصوراً كطعام القرد على النبات والثمر وينقض ذلك كون القرد يعيش دائماً في البلاد الحارة فيضطر الى الاغتذاء بالنبات ولو سكن البلاد الباردة لترجح دخول اللحم في طعامهِ وقد ثبت ان القرود الداجنة تعتاد بسهولةٍ الاطعمة الحيوانية وتألف تدريجاً الطعام المزدوج اي المؤلف من اللحم والنبات لان للاقليم شأناً مهماً في تدبير الغذاء . والمقابلة بين الانسان والقرد من هذا القبيل ليست صحيحة وهي كذلك بين الانسان الذي يسكن بلداً بارداً والانسان الذي يسكن بلداً حاراً لان الانكليزي الذي يستفيد كثيراً من اكل اللحم في بلادهِ يرى ضرراً منهُ متى انتقل الى الهند فيضطر الى استبدالهِ بالطعام النباتي وعليهِ يكون الانسان اهلاً للاغتذاء بالنوعين ولا اعتراض على ذلك

لا ريب في ان الانسان يستطيع ان يجد بحسب الاقليم الذي يعيش فيهِ كل ما يلزمهُ من الغذاء في الطعام النباتي البحت . ولا ريب ايضاً في ان اللحم ليس واجباً في التغذية ولا لازماً للقوة لان الحيوانات التي تأكل النبات كالحصان والثور هي الحيوانات النشيطة التي يستخدمها الانسان للاستفادة من قوتها العضلية وفعلة الهند والصين والتونكين الذين لا يأكلون الا الارز هم كفعلة اهل الشمال الذين يأكلون اللحم او افضل منهم واقوى على انهُ لا ينكر ان ادخال اللحم في غذاء الفعلة في الاقاليم الباردة والمعتدلة يحسن صحتهم ويزيدهم قوة

ونشاطاً على العمل وقد اتضح ذلك بالامتحان في فرنسا في فعلة المعامل والحقول

والجمعيات الكثيرة التي تألفت لهذه الغاية اي لمنع اكل اللحم وتعميم اكل الاطعمة النباتية لا تنسب للحم الشوائب الكثيرة التي تحول دون استعماله غذاء فتقوم تعاليمهم على المبادىء الاجتماعية والادبية ويقولون ان قتل الحيوان هو مصدر شرور الانسان وعادة الاغتذاء باللحوم هي سبب فساد اخلاقه ويعدون الطعام النباتي اقرب الى الطبيعة وافضل ما ينتخبهُ الانسان منها وهو اكثر اقتصاداً وأدعى الى الانسانية والادب واصلح لصحة الجسم والنفس . وقد كان هذا راي الاقدمين فيهِ فان هوميروس مدح الهيولوجيين لانهم يغتذون باللبن والاثمار وذم السيكلوب لانهم يغتذون باللحم وقابل بينهم وبين الذين يغتذون بالنيلوفر فوصف اولئك بشراسة الاخلاق وهؤلاء برقتها . ولا يخفى ايضاً ان بعض الاديان حرمت اكل اللحوم وبعضها منعتهُ في احوال خصوصية اي فرضت الاقلال منهُ ما امكن وربما كانت الغاية من ذلك ما تقدم وليس من غرضنا هنا ان نبحث في المسئلة من هذا القبيل بل من قبيل العلم لتقرير مواضع الفائدة من الاقتصار على الطعام النباتي وبيان الاحوال التي يجب اتباعهُ فيها

متى دخل الطعام المعدة بالقدر اللازم للتغذية والتعويض عن الخسارة التي يخسرها الجسم بالعمل اليومي كان هضمهُ سهلاً وحصلت منهُ المنفعة المطلوبة من الغذاء واما متى زاد عن الحاجة زاد القدر اللازم للتعويض عن الخسارة واجتمعت فضلات الطعام في المعدة والامعاء وتولَّد من ذلك سموم تحدث امراضاً كثيرة كالتخمة المعدية واحتقان الكبد والتهاب الامعاء والنيوراستينيا وبطلت المنفعة الغذائية من الطعام فاصبح سمًّا وهذا ما يسمونهُ اليوم بالتسمم الذاتي ويسمون السموم المتولدة في المعدة والامعاء بالبتومايين واللكومايين . ومثل ذلك اذا قصرت الكليتان عن قضاء وظيفتهما حصلت اختلاطات مرضية كثيرة ومهمة لسبب تجمع المواد الفضولية في الدم وهي تبرز عادة مع البول

فهذه الامراض السمية وهي ليست بالقليلة تقضي بان يُعيَّن لاصحابها نوع الغذاء الموافق لتقليل السموم الحاصلة ولمنع تجديدها او توليدها وقد اتفق جمهور الاطباء على ان الطعام النباتي يفي بهذا الغرض بل هو الواجب المراعاة والاتباع في هذه الاحوال وعلينا الآن ان نبيّن القوة الغذائية في الاطعمة النباتية ليتبيَّن لنا كيف يستطيع الانسان ان يقتصر عليها ونقوم حياتهُ بها لان سكان القرى والفئة الفقيرة في المدن يقتصرون على الطعام النباتي حتى في الاقاليم الباردة وصحتهم مع ذلك جيدة وبنيتهم قوية . والتحليل الكيماوي يظهر لنا ان في

النبات من النيتروجين ما يكفي للغذاء ونرى من الجدول التالي ان اكثر الحبوب والبقول تحتوي على كمية من النيتروجين كثرت او قلت وما عداهُ على كربون ومواد دهنية بحيث اذا جمعنا بينها تألف منها غذاء موافق يشبه الغذاء الحيواني

	نيتروجين	كربون	دهن	ماء
اللحم	٣٫٠٠	١١٫٠٠	٢٫٠٠	٧٨٫٠٠
البيض	١٫٩٠	١٢٫٥٠	٧٫٠٠	٨٠٫٠٠
لبن البقر	٠٫٦٦	٧٫٠٠	٣٫٧٠	٨٦٫٥٠
لبن الماعز	٠٫٦٩	٧٫٦٠	٤٫١٠	٨٣٫٦٠
جبن غرافير	٥٫٠٠	٣٦٫٠٠	٢٤٫٠٠	٤٠٫٠٠
الشكولاته	١٫٥٢	٤٨٫٠٠	٢٦٫٠٠	٨٫٠٠
الفول	٤٫٥٠	٤٠٫٠٠	٢٫١٠	١٥٫٠٠
اللوبياء	٣٫٨٨	٤١٫٠٠	٢٫٨٠	١٢٫٠٠
العدس	٣٫٧٨	٤٠٫٠٠	٢٫٦٥	١٢٫٠٠
البزلا	٣٫٥٠	٤١٫٠٠	٢٫١٠	١٠٫٠٠
القمح	٣٫٠٠	٤٠٫٠٠	٢٫١٠	١٢٫٠٠
الذرة	١٫٧٠	٤٤٫٠٠	٨٫٨٠	١٢٫٠٠
الارز	١٫٠٨	٤٣٫٠٠	٠٫٨٠	١٣٫٠٠
البطاطس	٠٫٢٤	١٠٫٠٠	٠٫١٠	٧٤٫٠٠

واذا قابلنا بين هذا الجدول وغيرهِ من الجداول الكثيرة المنسوبة الى علماء مختلفين امكننا الجمع بين المواد المذكورة لحصول على الغذاء اللازم وهو على ما قررهُ المحققون يحتوي على ٦ — ٩ غرامات من الكربون و ٢٥٫٠ — ٣٦٫ سنتغرام من النيتروجين لكل كيلوغرام من ثقل الجسم. على ان المقتصرين على الطعام النباتي يدخلون في طعامهم اللبن والجبن والبيض ليسهل لهم الحصول على الكمية اللازمة من النيتروجين والكربون وهي ٢٠ غراماً من الاول و ٣١٠ غرامات من الثاني وتحصل من الجدول التالي

	نيتروجين	كربون
٥٠٠ غرام خبز تحتوي على غرام	٦،٠٠	١٥٠
٥٠٠ " عدس او حمص او لوبياء	١٤،٧٤	٢١٤
٥٠٠ " لبن (نصف ليتر)	٣،٣٠	٤٠
٠٣٠ " جبن غرافير	١،٦٥	١٣
١٥٣٠ " المجموع	٢٥،٦٩	٤١٧

ومما يستحق الذكر ان الحبوب جميعها تحتوي على النيتروجين ولم يعرف الى الآن نوع يخلو منهُ وبعضها كالعدس يحتوي كمية كبيرة منهُ ويحتوي ايضاً على الحديد وهو فيهِ اكثر منهُ في اللحم وقد اكتشفوا حديثاً مواد نباتية النيتروجين فيها اكثر منهُ في اللحم وهي السوجا والفرومانتين والبقولين

اما السوجا فهي لوبياء اليابان وهي كثيرة الغذاء وعظيمة المنفعة تنمو في مساحة كبيرة من اليابان ويستعملها الاهالي على اشكال متنوعة ويستخرجون منها جبناً لذيذاً ويصطنعون منها لبناً لا يبعد بشكلهِ وطعمهِ عن اللبن الحقيقي وبزرها قليل اللب يحتوي على كمية كبيرة من زيت مسهل يستعاض بهِ عن زيت الخروع وينتفع بهِ في خدمة المنزل وقد حللها بعض العلماء لمعرفة نسبة المواد الغذائية فيها فوجد انها اكثر غذاء من اللحم وفيما يلي جدولان للمقابلة بينهما

تحليل السوجا

مواد بروتئية	٣٦،٦٧	في المئة
مواد دهنية	١٧،٦٠	" "
مواد نشائية	٤،٤٠	" "

جدول المقابلة بين السوجا واللحم

	لحم البقر	السوجا
ماء	٧٤،٠٠	٩،٣٧
مواد بروتئية	٢٢،٧٤	٣٦،٦٧
مواد دهنية	٢،٣٠	١٧،٦٠
بوتاسا	٠،٥٤	٣،١٠
حامض فصفوريك	٠،٦٦	١،٤٧

فيظهر بوضوح من المقابلة ان السوجا افضل كثيرًا من لحم البقر ولهذا اخذوا في اوربا ولاسيا في هنكاريا يعتنون بزراعتها وحاولوا ان يعملوا منها خبزًا فلم يفلحوا اولاً لصعوبة فصل الزيت عن اللب ولكن الصعوبة لا تضعف همة العلماء فتوصل احدهم الى ذلك واصطنع منها خبزًا سهل الهضم وبعضهم اضاف اليهِ غلوتين القمح اي المادة الغروية فيهِ فحصل مركب لطيف ولذيذ معًا وبالاجمال ان منافع هذه اللوبياء كثيرة وقد ربح بها الطعام النباتي ربحًا عظيمًا

اما الفرومانتين فهو ايضاً كثير النيتروجين ويحضر من اجنة القمح بطرق مخصوصة وهذه الاجنة تحتوي ايضاً كحبوب السوجا على زيت مسهل قد يستعاض بهِ عن زيت الخروع . وظهر من التحليل الكيماوي ان الفرومانتين شديد الشبه باللحم او هو لحم حقيقي نباتي على ان اصطناع الخبز منهُ فيهِ ما في السوجا من الصعوبة بسبب وجود الزيت فيهِ فاذا قصدوا اصطناعهُ اضطروا الى فصل الزيت اولاً عن الاجنة . وقد شاع استعمال دقيقهِ فصنعوا منهُ البسكوت والكعك وحضروا دقيقًا محببًا تطبخ منهُ شوربا مع الخضراوات وقبل طبخها بالمرق او اللبن ينقعونها اولاً في الماء والاَّ كانت كثيفة

اما الليغومين او البقولين فهو كالفرومانتين ويحضر ليس من اجنة الحنطة فقط بل من اجنة نباتات الفصيلة الفراشية التي منها القطاني

يظهر مما تقدم ان الطعام النباتي المؤلف من الحبوب والقطاني والاثمار اذا اضيف اليهِ اللبن والبيض كان فيهِ من الغذاء ما يكفي لقوام الحياة ومن اللذة والتفنن ما يرضي ارباب القصور واشد الناس ترفهًا وتأنقًا . ولا يظننَّ من اقتصر عليهِ انهُ ضيَّق على نفسهِ مجال الغذاء لان لهُ فيهِ متسعًا ولا سيا اذا كان الطاهي خبيرًا او استعانت ربة المنزل بمؤلفات الطبخ الحديثة فانها تجد فيها من ضروب الطعام واشكالهِ ما لا يبقي حاجة في نفس المتأنق

وبيانًا لذلك نذكر بعض الامثلة التي يمكن ان تتخذ قاعدة للعمل فان الدكتور شاين الانكليزي وهو من اشد انصار هذه الطريقة ومعمميها قد اتبعها سنة ١٧٦٠ وكان يقول عن نفسهِ ان طعامهُ يتألف من اللبن والشاي والقهوة والخبز والزبدة والسلطة والجبن والاثمار والحبوب من كل الانواع والبطاطس واللفت والجزر وبالاختصار من كل ما ليس فيهِ حياة حيوانية وانهُ كان يجهز منها الوانًا اكثر مما يجهز من الاطعمة الحيوانية ولم يكن يشرب خمرًا ولا مشروبًا آخر ولم يكن يعطش لاحتواء هذه الاطعمة على السوائل او العصارات التي تعوض عن ماء الشرب وكان دائمًا مسرورًا وبصحة جيدة ونومهُ هادئًا وعميقًا اكثر من ذي

قبل حينما كان يتغذى بالاطعمة الحيوانية وكان دائماً نشيطاً وينام الساعة العاشرة ويستيقظ الساعة السادسة

ومن الامثلة الحديثة ما قرره الدكتور بيير شوفل حديثاً في رسالة نشرها في النشرة الطبية عدد ٩٠ وقد آثرت تلخيصها لما فيها من الاهمية والفائدة

عمر شوفل الان ٤٠ سنة اصيب سنة ١٩٠٢ بالصداع ووزنهُ الذي كان واحداً منذ عشرين سنة اخذ يزداد زيادة مهمة منذ بضعة اشهر وقوتهُ على الشغل اخذت تضعف بحيث ان معدل سيره السنوي على الدراجة نزل من ٤٠٠٠ كيلومتر الى ٢٠٠٠ واصبح لا يستطيع قطع المسافة اليومية المعتاد قطعها وهي ١٠٠ كيلو متر الاَّ بتعب ومشقة واخذ شغلهُ العقلي يتناقص تدريجاً فاقتصر على الاطعمة النباتية وراقب نتيجتها باعتناء كلي فصار يزن نفسهُ يومياً وفحص بولهُ ٢٠٠ مرة مدة الثلاث السنوات الاخيرة وقيَّد غذاءهُ اليومي لمراقبة نسبتهِ وعلاقتهِ بالبول فكان يجهز طعامهُ من النبات واللبن والزبدة والبيض وكان في الربيع يقتصر على الاطعمة النباتية فقط مدة خمسين يوماً اي كان يحذف من طعامهِ اللبن والزبدة والبيض . ومنذ سنتين منع القهوة والشاي والقطاني والفطر والمليون لكي يقلل توليد بعض الرواسب البولية بقدر الامكان وقلل كثيراً ايضاً من اخذ البيض والشوكولاتة . وهو يقول ان عدم نجاح النباتيين في طريقتهم مسبب عن الاكثار من اكل القطاني لانها قليلة التمثل وفيها كثير من الحوامض التي تتركب مع مواد البول وتكون معها رواسب واما طعامهُ فيتالف كما يأتي

الفطور فنجان شوكولاته باللبن (فيهِ ١٠ غرامات كاكاو) ونحو ٦٠ غرام خبز

الغداء (الساعة ١١ ١/٢) (١) فجل او كرفس او خيار او اثمار نيئة (٢) نوع من القطاني او حبوب او بيضتان (مرتين في الاسبوع فقط) (٣) صحن بطاطس (٤) اثمار ويفضل ان تكون نيئة (٥) خبز نحو ٢٠٠ غرام

العشاء (الساعة ٧) (١) شورباء بالخضر صيامية (٢) شكل قطاني اخضر (٣) سلطه (٤) مربَّى او اثمار (٥) خبز من ١٠٠ — ١٥٠ غراماً

والمشروب ماءٌ مضاف اليهِ ١/٣ او ١/٤ من الخمر البيضاء الخفيفة ومن مدة سنتين ماء صرف فقط

وظهر لهُ بعد خمس سنوات من اتباع هذه الطريقة اولاً ان وزنهُ ثبت على حالة واحدة ما عدا تغييرات جزئية بتغيير الفصول ثانياً شفاه الصداع ثالثاً زوال الرواسب البولية ونقصان الحامض البوريك الى ما يقف عند الحد الطبيعي رابعاً الاكتفاء بنوم ٦ — ٧ ساعات

وكان قبلاً لا يقل عن ثماني ساعات وفي الصيف ايام ركوب الدراجة من اربع ساعات الى خمس فقط . خامساً سهولة الشغل العقلي والعمل العضلي صباحاً بعد ان كان عسيراً . سادساً زيادة القوة على العمل العضلي بحيث ان معدل المسافة السنوية التي هبطت الى ٣٠٠٠ كيلو متر ارتفعت سنة ١٩٠٣ الى ٣٥٠٠ وسنة ١٩٠٤ الى ٤٥٥٣ وسنة ١٩٠٥ الى ٤٥٣٦ وزادت المسافة اليومية من ١٠٠ كيلومتر الى ١٨٠ سنة ١٩٠٤ والى ٢٠٠ سنة ١٩٠٥ بلا تعب . سابعاً زيادة القوة على الشغل العقلي . ثامناً اعتدال الخلق وهدوءُه وعدم تهيجهِ من غير حصول بلادة او جمود

فاذا روعيت هذه القواعد وكان الطعام قليلاً بحيث لا يثقل على الجهاز الهضمي قامت الطريقة النباتية احسن قيام بحفظ الصحة وتقويتها ولا محل للزعم بعدم موافقتها لاحتياجات المدنية الحاضرة ويكون من يجري عليها قوياً صبوراً هادئاً حاكماً على نفسهِ فهو بلا ريب مسلح افضل سلاح لجهاد الحياة واما الغضوب الحاد الطبع فحياتهُ نغص وعملهُ عقيم (انتهى)

ومما يستوقف النظر في اقوال الطبيبين المذكورين واقوال غيرهما ان النباتيين ينسبون الى طريقتهم فائدة تلطيف الاخلاق وليس لدينا من الاحصاءات او الادلة ما يثبت دعواهم او ينقضها . واذا صحت فقد تكون من صحة المعدة لان سوء الهضم من اكبر اسباب ضيق الاخلاق وضعيف المعدة ضيق الخلق سواء كان طعامهُ حيوانياً او نباتياً

ومن فوائد الطعام النباتي انهُ لا يتطلب الماء كثيراً لانهُ اما ان يكون سائلاً كاللبن والقهوة والشاي او ذا عصار غزير كالعنب والبطيخ والاناناس والمشمش والدراقن وغيرها من الفاكهة اللذيذة والنافعة وكالباذنجان والكوسى والطماطم وغيرها من الخضر والقطاني

ومن فوائدهِ الاستغناء بهِ عن شرب الخمور وكل المشروبات الروحية لان الخمر تزيد حموضة العصارة المعدية فيجوز التسليم بها لاكلة الاطعمة اللحمية واما اكلة الاطعمة النباتية فلا يحتاجون اليها وهم انفسهم يفضلون الاقتصار على شرب الماء الصرف واذا كان لا بد لبعضهم من استعمال مشروب ما فيكتفي بشرب البيرا وهي موافقة لهم لاحتوائها على المواد التي يسهل بها هضم الحبوب ولهذا اتفقت جمعيات الامتناع عن المسكرات وجمعيات الاقتصار على الطعام النباتي واتحدت معاً لان الاعتدال في المعيشة يجمع بينهما

واما فوائدهُ في مداواة الامراض فكثيرة ايضاً فهو يفيد في كل حالة يظهر فيها نقصان في العمل الكلوي ويفيد في تمدد المعدة وفي النيوراستينيا المسببة عن ضعف المعدة وفي الاسهال النتن وفي تهيج الغشاء المخاطي المعدي وفي الالتهابات المعدية الحادة والمزمنة وفي الاضطرابات

المضمية الناتجة عن تكيُّفٍ في العصارة المعدية اما بزيادة حموضتها او بنقصانها وتعليل ذلك كلهِ ان الطعام النباتي يهضم في الامعاء ولا يطلب من المعدة الاَّ عملاً قليلاً فيترك لها فرصة للراحة

ومن اجلّ فوائدهِ مساعدتهُ على افراز السموم المرضية من الجسم التي تتولد من فساد الطعام الحيواني سواء حصل الفساد داخل البنية كما تقدم او خارجها لانهُ من المقرر ان الفساد يطرأُ بسهولةٍ على المادة الحيوانية ويولّد فيها سموماً كثيرة هي البتومايين واشباههُ وكثيراً ما نسمع ان فلاناً فاجأَهُ مرض اشرف منهُ سريعاً على الخطر وبعد ان يعودهُ الطبيب يتحقق ان سببهُ أكل سمك دب فيهِ الفساد والمريض لا يعلم ذلك فتولد فيهِ السم او السموم الحيوانية فدخلت المعدة وفعلت بالمريض فعلها الذريع . واما المواد النباتية فاقل تعرضاً للفساد وخطر التسمم بها اقل جدًّا منهُ بالمواد الحيوانية

على ان الطعام النباتي لا يخلو من بعض الشوائب ويجب ان نذكرها هنا اتماماً للفائدة . فقد عرفنا مما تقدَّم ان كمية النيتروجين اللازمة للغذاء اليومي تستوجب اخذ كمية كبيرة من الطعام النباتي وهذا يدعو الى تمديد القناة الهضمية ومن ثمَّ الى تمديد البطن . مثال ذلك اذا اردنا تضمير الحصان علفناهُ بالشعير فقط واذا شئنا تمديد بطنهِ اضفنا الى علفهِ كمية كبيرة من التبن والحشيش ولهذا لا يوافق اصحاب الاسترخاء البطني ان يتبعوا هذه الطريقة . ومن شوائبها الميل الى توليد السكر وحصول البول السكري واصحاب هذا المرض يجب ان يمتنعوا عن الطعام النباتي وان يستعملوا الطعام الحيواني

وقد يعترض على الطعام النباتي بعدم امكان الاستمرار عليهِ الاَّ ان ذلك يتوقف على كيفية تجهيزهِ لان المواد النباتية التي تدخل في طعام الانسان كثيرة جدًّا ويمكن التفنن في تجهيزها الى ما لا حد لهُ فاذا جهزت الوان الطعام على طريقة حسنة لا يمجها الذوق واضفت اليها التوابل التي تنبه القابلية كالفلفل والثوم والبصل وجوز الطيب فيمكن الاستمرار عليها اشهراً وسنين بل مدى الحياة

وخلاصة ما تقدم ان الانسان من حيث تركيبهُ الطبيعي يجوز ان يغتذي بالطعام الحيواني او بالنباتي او بكليهما . واما الاقتصار على الطعام النباتي فلهُ فوائد جليلة في احوال خصوصية ذكرنا بعضها تلميحاً اذ تفصيل ذلك يقضي كتابة مقالة خاصة قلما تفيد الجمهور لانها من مباحث الطب الخصوصية

الدكتور امين ابو خاطر

كوفيه
CUVIER

ان سيَر الرجال العظام الذين افادوا المجتمع الانساني بفضائلهم تبعث في النفوس نشأةً وتضرم في الناس نار الغيرة وتوقظ فيهم الهمم من رقدتها · وحسبنا ان بعض نوابغ الرجال كانوا مولعين بسير من تقدمهم حتى انهم كانوا يحملون كتب اخبارهم معهم كيف ساروا ليستفيدوا منها علماً · وممَّن يُشار اليهِ بالبنان في فرنسا عالمها الطبيعي الذائع الصيت جورج ليولد كوفيه · ولد هذا العلاّمة في مونت بليار Montbéliard من اعمال فرنسا (لكنها كانت حين ولادتهِ من املاك دوك ورتمبرج الالماني) وذلك في ٢٣ اغسطس سنة ١٧٦٩ وكان ابوهُ في صباهُ قد خدم الجندية السويسيَّة ثم خرج منها صفر اليدين لا يملك من حطام الدنيا غير راتب تقاعدهِ ووسام الاستحقاق الذي نالهُ من حكومة سويسرا بعد خدمةٍ طويلة · ولما تزوج رزق ثلثة بنين كان جورج ثانيهم · الاَّ انهُ كان نحيل الجسم ضئيلاً ولذلك بذلت امهُ في الاعتناء بهِ جهدها الجهيد وشرعت تعلمهُ في حداثتهِ مبادئ الافرنسية واللاتينية حتى اذا تمكن منهما بعض الشيء جعلت تحبّب اليهِ درس المؤلفات المفيدة في التاريخ والادب فغرست في عقلهِ فسائل الرغبة الشديدة في طلب العلم حتى اذا بلغ العاشرة من سنيهِ دخل مدرسة الجمناسيوم وكدَّ في تحصيل علومها مدى اربع سنوات واذ كان ذكيّ الفؤاد ادرك من علم التاريخ واللغات شأواً حسناً · وكان الفضل في اتقاد رغبتهِ بتحصيل التاريخ الطبيعي لدرسهِ ابحاث العلاّمة بوفون المشهور وقد قرأ منها كتاباً وجدهُ عند احد انسبائهِ واذ كانت حافظتهُ عجيبةً وعى فيها كما قرأهُ حتى انك كنت تجدهُ حافظاً كل اسماء الطيور والدبابات وهو في الثانية عشرة من عمرهِ ولما خرج من المدرسة وسنهُ لا يزيد عن الرابعة عشرة اعجب بهِ ابوهُ كل الاعجاب وشرع يطوف بهِ على انسبائهِ واصحابهِ

وكانت نفسهُ الكبيرة كانت اقوى من جسمهِ وعقلهُ كان اكبر من سنهِ ولذلك جمع بعضاً من رفاقهِ في المدرسة وجعلهم مجمعاً علمياً تحت رئاستهِ وشرعوا يقرأون المؤلفات ويدون آراءهم فيها

فكان عملهُ هذا احسن بداءةٍ لعمرٍ قضاهُ في الجد والعمل الشريف النافع وظهرت برئاستهِ على ذلك المجمع مقدرتهُ في البلاغة وحسن الالقاء وضبط الاعمال كأنهُ قضى السنين الطوال في الاختبار

وعزم ابوهُ على ادخالهِ في مدرسة توبنجن Tübingen ليقرأَ فيها العلوم الدينية ويخرج منها مستعدًّا للكهنوت ولكنَّ استاذًا حسودًا سعي لحال دون نيل المبتغى بحسب المترجم وابوهُ انهما نكبا اشد نكبة لان اباهُ كان فقيرًا لا يقوى على احتمال نفقة تعليمهِ في المدارس العالية. ولكنَّ الامر جاء على عكس ما حسبا ذلك ان الدوك شارل صاحب البلاد جاء المدينة التي كان يسكنها كوفيه وما لبث ان اتصل بهِ مبلغ نجاحهِ في دروسهِ واتقاد ذكائهِ وشدة حافظتهِ فمال اليهِ وانعم عليهِ بنفقة تعليمهِ في المدرسة العليا بستوتكارت فدخلها سنة ١٧٨٤ فوجدها حافلة بالطلبة تقسم دروسها الى خمسة فروع هي الحقوق والطب والادارة والجندية والتجارة فقرأ في السنة الاولى الفلسفة ودخل في الثانية فرع الادارة وكدَّ في التحصيل وكان يتحين فرص الفراغ من دروسهِ القانونية للتمكن من التاريخ الطبيعي بما يتم النظر فيهِ من امثلتهِ في المتاحف المدرسية وفي الحقول والمزارع ولم يكن مقتدرًا على شراء كتب هذا العلم لضيق ذات يدهِ فبدلاً من ان يستفيد من آراء العلماء المؤلفين وابحاثهم كان عليهِ ان يستنتج من مشاهداتهِ و يستفيد من ابحاثهِ . الاَّ ان احد اساتذتهِ اهدى اليهِ ذات مرةٍ نسخةً من كتاب لينيوس Linnaeus في نظام الطبيعة Système de la Nature فاتخذهُ مرشدًا ومع كل هذا الولوع في درس الطبيعة كان في طليعة رفاقهِ طلبة علم الادارة حتى انهُ نال كثيرًا من الجوائز المدرسية . وكان معظم اهتمامهِ منصرفًا للتضلع من علمي النبات والحشرات فكان يجمع الامثلة ويرى في اوصافها ويرتب انواعها ويبين فروقها حسبما تفتق لهُ خواطرهُ من غير ان يستهدي بآراء العلماء الذين سبقوهُ ولذلك لم يكن يستطيع ان يقابل بين مشاهداتهِ ومشاهداتهم

وما زال هذا حالهُ من الجد والكد حتى أتمَّ دروسهُ وخرج من المدرسة سنة ١٧٨٨ مثقلاً بالجوائز ونائلاً لقب الفارس (شيفاليه) مما كان من نظام المدرسة ان تمنحهُ للبرزين من طلبتها فيكون لنائلهِ الحق في تولي مناصبها . ونيلهِ هذا اللقب يخولهُ ان يعيَّن استاذًا في المدرسة لكنهُ لم يصبر حتى يحين وقوع فراغٍ في المناصب لان فقر عائلتهِ كان مدقعًا فاضطر ان يبحث عن عمل آخر يدرُّ عليهِ شيئًا يستعين بهِ على العيش شريفًا . فعرض عليهِ التعليم في احدى عيال نورمنديا فارتضى بذلك وهو لم يزل في التاسعة عشرة من عمرهِ ولما بلغ دار مستخدمهِ الكونت داريسي في مدينة كان Caen ليدرّس ابنهُ سرَّ جدًّا لا سيما وان حديقة الدار كانت ملأى بالنباتات التي تمكنهُ من التعمق في دروسهِ النباتية فضلاً عن ان الكونت نفسهُ كان من المولعين بجمع متحجرات الاسماك وقد تسنى لهُ انشاء مجموعةٍ

كبيرة منها جعلها بين يدي كوفيه يبحث فيها ما شاء ولم يمضِ على مقامهِ في مدينة كان الزمن الطويل حتى انتقلت عائلة الكونت منها الى فيكانفيل في ضاحية كاو Caut فوجد ثمت مجالاً رحيباً لدرس نتاج البر والبحر فكان يعلّم تلميذهُ بكل اجتهادهِ حتى اذا سنحت لهُ فرصة مال الى درسهِ وقضى فيهِ الساعات الطوال فجمع كثيرًا من الشوارد والاوابد . وظل على عملهِ دائباً مجتهدًا الى سنة ١٧٩٤

وحدث انهُ وجدت في جوارهِ بعض الاصداف الغريبة فخطر لهُ ان يقابل امثلة الاصداف المتحجرة بمثلها من الاحياء، ثم رأى ان يحدث في ترتيب الحيوان اصلاحاً فكان من هذين الخاطرين نشأة مؤلفيهِ الكبيرين اللذين اشتهر احدهما باسم العظام المحجرة والآخر باسم Règne Animale (المملكة الحيوانية)

وفي غضون تلك الاونة قدم بلدة كان الاب تيسيه مختفياً هرباً من الاضطرابات التي بدأت في باريز ومنتحلاً اسماً مستعارًا وكان من رجال العلم فدخل ذات مرة جمعيةً زراعية في كان وحضر جلستها وسمع مباحثها ونهض فأبدى رأيهُ في قضيةٍ كانت الجمعية تبحث فيها وكان كوفيه كاتباً للجمعيةِ فلما سمع كلام تيسيه عرفهُ لما كان قد اتصل بهِ من آرائهِ وما لبث ان تصادق الرجلان فكتب تيسيه الى جسيو وجفروى سنت هيلار يقول انهُ اكتشف جوهرةً في نورمنديا وشرع يذكرها بما سبق لهُ من تقديم ديلامبر للاكاذيمية وان كوفيه سيكون ديلامبر آخر ولكن سبيلهُ غير سبيل ذاك . فوقعت رسائل تيسيه موقعاً جليلاً وادّت الى تعارف العلماء الباريزيين بكوفيه فدارت المراسلة بينهم في التاريخ الطبيعي . وكان سانت هيلار يومئذٍ في مقتبل العمر وقد عُهد اليهِ ان يعلّم الحيوان في مدرسة باريز الاَّ انهُ لم يكن ثقة فيهِ ولما رأى كتابات كوفيه وكيف ابدع من غير أخذ عن استاذ ولا نقل عن غيرهِ اعجب بهِ كل الاعجاب وكتب اليهِ يستقدمهُ الى باريز ويقول تعال الى باريز سريعاً وكن بيننا مثل لينيوس بل مثل مؤسسٍ آخر للتاريخ الطبيعي . فلبي كوفيه الطلب وجاء باريز في ربيع سنة ١٧٩٥ وهو صفر الكف . فلما وصل سعى لهُ كاتب جمعية علماء الطبيعة بخدمةٍ في جمعية الفنون راتبها نحو الفي فرنك في السنة فارتضى كوفيه بذلك واقام في منزل صديقهِ سنت هيلار حتى يتسنى لهُ الحصول على عملٍ آخر. وقيل انهُ تعين استاذًا في مدرسة البانثيون فالَّف ثمت كتاباً اظهر فيهِ آراءهُ في ترتيب الحيوان . وكان لذلك العهد عالمٌ اسمهُ مرترو يدرّس علم تشريح المقابلة في معرض الحيوان بحديقة النبات Jardin des plantes وهو شيخ اعجزتهُ الايام عن اتمام واجباتهِ فلما سعى سانت هيلار لديهِ عهد الى كوفيه ان يسعفهُ في عملهِ ومنذ ذلك اليوم شرع

يُعد مجموعةً حسنةً لتشريح المقابلة حتى اذا اتمها ذاع صيتها . وكان قد صار عضوًا في جمعية محبي العلم ثم في الندوة الكبرى L'Institut ونشر في الصحف العلمية بعض مقالاتٍ لا تخلو من الخطإِ فلم يلتفت العلماء الى كثيرٍ منها على انهُ عاد يبحث عن حنجرة الطائر فلفت الانظار الى ابحاثهِ الدقيقة واهم ما كان اهتمام الباحثين في مقالاتهِ حين شرع يكتب في ترتيب الحيوانات ذات الدم الابيض . ثم شرع يشارك سانت هيلار في بعض المباحث فنال الحظ الاوفر من ثناء قرائهِ لان مادتهُ في العلم كانت كثيرة بما اكتسب من الخبرة الواسعة لا سيما بمطالعة الكتب الالمانية التي كان يستعيرها من رصفائهِ العلماء حين كان في نورماندیا فتنوعت لذلك مصادر معرفتهِ بخلاف رصيفهِ سانت هيلار فانهُ لم يكن مطلعًا الّا على ما كتب دوبنتون وهو لم يأخذ عنهُ الّا العلم بطبائع الحيوانات العليا لان الحيوانات الدنيا لم تكن مما التفت اليهِ العلماء حتى ذلك اليوم

وسنة ١٧٩٦ تعيَّن كوفيه كاتبًا ثالثًا لقسم الحيوان في الانستتي وفي سنة ١٧٩٩ توفي دوبنتون استاذ التاريخ الطبيعي في مدرسة فرنسا فخلفهُ كوفيه . وسنة ١٨٠٠ نشر احد تلامذتهِ خطبًا في تشريح المقابلة في مجلدين ضخمين ثم نشر غير هذا التلميذ تتمة تلك الخطب في ثلاثة مجلدات . وسنة ١٨٠٢ نال نفسهُ منصب تدريس تشريح المقابلة في متحف الحيوان خلفًا للاستاذ مرترو . واتصلت انباء اقتدارهِ بنابوليون بونابورت وهو يومئذٍ صاحب الامر في فرنسا فعينهُ في جملة المفتشين العموميين الذين عهد اليهم النظر في انشاء المدارس العالية والاستعدادية في البلاد ونسب اليهِ الفضل في انشاء مدارس مرسيليا ونيس وبوردو وسنة ١٨٠٣ وسدت اليهِ كتابة السر الدائمة في صفوف العلوم الطبيعيَّة في الانستتي فاستعفى من منصب التفتيش واقام في منصبهِ الجديد مثابرًا على اتمام واجباتهِ حتى آخر حياتهِ وفي سنة ١٨٠٨ وضع تقريرهُ في نجاح العلوم الطبيعية في فرنسا من سنة ١٧٨٩ الى حينهِ فسرَّ الامبراطور بونابرت بهِ جدًّا وجعلهُ مستشارًا لمدى الحياة في الجامعة الامبراطورية فكانت هذه المرتبة تدنيهِ من بونابرت وتكثر من اجتماعها وسنة ١٨٠٩ وسنة ١٨١٠ أُرسل معتمدًا كبيرًا من قبل بونابرت لتنظيم الندوات والمدارس العليا في ايطاليا وسنة ١٨١١ أُرسل الى هولاندا ومدائن الهانسيتيت بمثل تلك المهمة فأنعم عليهِ بوسام جوقة الشرف من رتبة فارس . ومع انهُ من البروتستانت ارسلهُ الامبراطور سنة ١٨١٣ الى رومية ليؤسس فيها جامعة فلما أتم عملهُ عينهُ رافعًا للعرائض في مجلس الوزراء ثم عهد اليهِ ان يذهب الى ضفة الرين اليسرى ليثير الاهلين على غزاة فرنسا فلما بلغ نانسي ورأى العدو متقدمًا ثنى عنانهُ

راجعاً الى باريز وفي سنة ١٨١٤ رقاه الامبراطور الى رتبة مستشار ٠ وظلَّ متمتعاً بهذه الرتبة حتى في زمن الملك لويس الثامن عشر

ومنصبهُ السياسي هذا جعل لهُ يداً في الاصلاح القضائي ونال مرتبة مستشار الجامعة وأقام متمتعاً بحقوقهِ منها بالرغم عما لقي من المقاومة لانهُ كان من البروتستانت وفي سنة ١٨١٨ أتى انكلترا سائحاً واستصحب عائلتهُ فدرس شؤُونها السياسية والعلمية وتفحص قوانينها وفي أثناء اقامتهِ فيها اختارتهُ الاكاذمية عضواً فيها وفي سنة ١٨١٩ عيّن أستاذاً اعظم في الجامعة ورئيساً للجنة الداخلية ومن ثمَّ منحهُ الملك لويس الثامن عشر لقب بارون مراعاةً لمزاياهُ العلمية واقراراً بفضلهِ وفي سنة ١٨٢٢ عيّن استاذاً اعظم لمدارس اللاهوت العليا لطائفة البروتستانت ومنح الزعامة والمشارفة على حقوق أبناء طائفتهِ وامتيازاتهم الدينية والمدنية والسياسية وفي سنة ١٨٢٧ أضيف اليهِ حق المشارفة على حقوق كل أبناء المذاهب الاخرى الا الكاثوليكية ٠ وكان قد سبق لهُ سنة ١٨٢٤ ان حضر حفلة تتويج الملك شارل العاشر كاحد رؤساء المجلس الاعلى فنحهُ ذلك الملك رتبة ضابط اعلى من جوقة الشرف وسنة ١٨٢٧ عرض عليهِ ان يكون مراقباً للمطبوعات فأبى

قلنا ان كوفيه شرع يتباحث هو وصديقهُ سانت هيلار في المواضيع الطبيعية ونزيد الآن انهما كانا في بادىء أمرهما يبحثان في أنواع الحيوانات المجتمعة في المعرض فكتبا أولاً في البحث عن ذوات الثدي ووقع الخلاف العلمي بينهما واحتدم الجدال حتى تنابذا وانبرى كوفيه لتأييد رأيهِ فرد عليهِ سانت هيلار وتمادى الخلاف بينهما حتى أفضى الى احتدام الجدال في كثير من جلسات الاكاذمية وكانت اقوالهما تتصل بالعلماء الفرنسويين والاجانب فنشأ لكل منهما حزب يؤيد بمنشوراتهِ رأي صاحبهِ

وقد نبغ في القرن الثامن عشر عالمان نحريران بحثا في علم الحيوان بحثاً دقيقاً وهما لينيوس وبوفون وكان من مذهب الاول ان يفحص عن أنواع الحيوان بالتحليل ومن مذهب الثاني ان يعدل عن التحليل الى جمع نواميس علم الحياة ليؤخذ منها العلم بطبائع الحيوان الا انهما لم يكونا عارفين بالحقائق التي جمعاها معرفةً صحيحة بخلاف كوفيه فانهُ ادرك سر تلك الحقائق٠ وكان معظم فساد نتائجهما انهما لم يكونا يتمهلان في تفهم الحقائق اما كوفيه فكان على عكس ذلك يتأنى في تفهم الحقيقة والاستفادة منها فظهرت لهُ مبادىء العلمين الجليلين أي علم الحيوان وعلم تشريح المقابلة ظهوراً حسناً ونتج عنهما علم آثار الحيوانات والنباتات المندثرة والفضل في ايجاد هذا العلم راجع اليهِ

وكان لينيوس قد قسم الحيوان الى ست مراتب هي ذوات الثدي والطيور والماشية البرية والاسماك والحشرات والديدان وقد جعل لها كلها اهمية واحدة وظنَّ الفارق بين المرتبة الواحدة والاخرى متساوياً في جميعها فكانت تلك الظنون أُولى غلطاتهِ لما في اعتمادها من التشويش لانك تجد بين انواع الحشرات فروقاً اعظم مما تجد بين ذوات الثدي والطيور او بين هذي والاسماك فضلاً عن ان الخصائص التي اتخذها مداراً للفصل انما اختارها تحكماً من عند نفسهِ فجُعلت في مرتبةٍ واحدة حيوانات تتباعد كثيراً بعضها عن بعض واما مرتبة الديدان فكانت اكثرها تشويشاً لانها جمعت كل حيوان لم يكشف التشريح عن مميزاتهِ

وظلَّ هذا الترتيب معمولاً بهِ حتى اقتضى الامر اختيار ترتيب آخر مبني على نتائج التشريح فاتجهت أوائل أعمال كوفيه الى هذا الصوب حتى تسنى لهُ اشهارهُ فتبين منهُ ان الديدان مرتبة تشمل كل ما يُعرف بذوات الدم الابيض وهي تكاد تكون نصف المملكة الحيوانيَّة ومن ثمَّ قسم هذه المرتبة الى ثلثة فروع أولها الحيوانات الصدفيَّة وثانيها الحشرات التي لا قلب لها وثالثها الشبيهات بالنبات

ثم عاد فأضاف الى ترتيبهِ أقساماً أُخرى اضربنا عن ذكرها تجنباً للتطويل . وفضل كوفيه في البحث والتدقيق لا يُجحد وكذلك في تنسيق ذوات الفقرات لانها على علو مرتبتها في طبقات الحيوان لم يبحث في شأنها من قبلهُ بحثاً كافياً فترى ارسطو حام حول ذكرها ولم يفصّل بل ابقى هذا الفضل لكوفيه بعد ان مرَّت على قواه العصور والناس تحلُّهُ المحل الاول من التجلة والاعتبار حتى اذا جاء كوفيه بترتيبهِ كان كأنهُ واضع علم الحيوان

وكان العلماء قبل زمن كوفيه وفي بدء أمرهِ يحارون في تعليل المحجرات الحيوانيَّة ولا يهتدون الى معرفة وجود آثارها في قلب الارض ولا يعرفون أتلك آثار انواعٍ انقرضت ام لم تزل حيَّة فلما اشتد ساعدهُ بعلو بحث فرأى الصواب جلياً وتلا على الندوة العلميَّة نبذةً في الافيال المتحجرة والحيَّة فكشف القناع عن سبيل البحث العلمي وأشار على الطالبين ان يمعنوا النظر في ما يبدو من خصائص المتحجرات حتى اذا قابلوها بطبائع الحيوان الحيّ عرفوا الحقيقة ففتح بذلك باباً للمستهدين

هذا سرُّ نجاح كوفيه وعلو قدره في العلم والسياسة وقد ظلَّ متمتعاً بالتجلة والوقار حتى قضى نحبهُ مكرَّماً من الجميع في ١٣ مايو سنة ١٨٣٢

ولقد كان رجلاً يُقتدى بهِ ومجتهداً لا يعرف الراحة تولى الاعمال العظيمة والمناصب الخطيرة وازدحمت عليهِ الاعمال ازدحاماً يزرح تحتهُ أعظم الرجال ولكنهُ لم

يهمل شيئاً بل اقتدر على النهوض بها كلها وسرُّ هذا الاقتدار ما رتَّب لنفسهِ من العمل في كل ساعةٍ من ساعات النهار . وكانت اعمالهُ الادارية أي التي يقوم بها في خدمة دولتهِ تفرض عليهِ القيام في وزارة الداخليَّة او في المدارس العليا فكان يوفي تلك الاعمال حقها ثم اذا رجع الى مكتبهِ دخل الحجرة بعد الاخرى يقيم في كل منها وقتاً لدرس العلم الذي أعدَّ معداتهِ فيها وبهذا الترتيب لم يذهب من وقتهِ شيءٌ سدًى وكان التنويع في العمل بمثابة راحةٍ من متابعة العمل الواحد

ولقد وصفهُ بعض من حضره في وزارة الداخليَّة فقال انهُ كان يجلس على كرسي الرئاسة صامتاً والاعضاء حولهُ يتباحثون كأنهُ شارد الفكر عما يقولون حتى اذا انتهت مباحثهم نطق بما أخذ من اقوالهم وكان قولهُ الفصل

وكان اذا دخل دارهُ في المساء ألقى بنفسهِ على المتكإ فجلست امرأتهُ وابنتهُ اليهِ وشرعتا تقرآن لهُ مناوبةً واما اخلاقهُ فقيل فيها ما يدل على النزق والجفاء الَّا انهُ كان رقيق الجانب يغضي عن قوارص الكلم . وقد لامهُ الناس ونددوا بهِ لانقلابهِ بالعداء على صديق صباهُ سانت هيلار وهو المحسن اليهِ . ولعلَّ ذلك كان لاعجابهِ بنفسهِ ومعرفتهِ قدر فضلهِ فكبُر عليهِ ان ينكر عليهِ علمهُ الواسع وجلَّ من لا عيب فيهِ م . ن

الموت والحياة

يطفئُ الموتُ ما تضيءُ الحياةُ ووراء انطفائها ظلماتُ
ان للنازلين في القبر نوماً تنتهي في سكونهِ الحركاتُ
كم وقفنا على ضريحٍ كريمٍ وقفةً قد جرت لها العبراتُ
نتمنَّى للعيش في هذه الدنيـا ثباتاً وهل لعيشٍ ثباتُ
أَنسينا انَّا على الارض ابنا ءُ اناسٍ عاشوا قليلاً وماتوا
عاش في الارض مثلنا الناس قبلاً وهمُ اليوم اعظمٌ باليـاتُ
هل لقوم ساروا نزوعٌ الى الاهل تُرى او الى الديار التفاتُ
غرضٌ كلُّ من على الارض يحيا لمنايا سهامُها صائباتُ
ستموت الاحياء طرًّا ولكن هل تلاقي حياتها الاموات
نحن نبلى تحت التراب وفوق الارض تجري الفصول والاوقاتُ

منهل الموت واحد واليه … طرق الواردين مختلفات

في المنايا وهن رزء البرايا … تتساوى الرعاع والسروات

رب قوم عاشوا مع الامن حيناً … ثم دارت عليهم الدائرات

وقبيل باتوا جميعاً بليل … فاذاهم في صبحه أشتات

تلحق المرء ما تحرك حياً … حادثات وراءها حادثات

اسعيد هذا الجماد فاشقى العالمين الحيوان ثم النبات

كم فتى شيب عيشة بالرزايا … وفتاة حياتها ويلات

ان في الموت راحة غير ان المرء قد لا ترضيه الا الحياة

ستذوق الحمام نفسي فتردى … وستبقى في النفس امنيات

ان امت خائباً فكم من كرام … بقيت في نفوسهم حاجات

لا ابالي ان مت جاورني في القبر صحبي ام جاورتني العداة

لهف نفسي على رفات شباب … طحنتهم طحن الرحى النائبات

لو سألت الرفات ماذا دهاه … لاشتكى من ظلم الولاة الرفات

فوق خد البيض الحسان سطور … كتبت بالدموع فيها شكاة

وهب الله للرعايا حقوقاً … غصبتها من الرعايا الولاة

ارهقوكم ذلاً وانتم سكوت … اين اين الاحرار اين الأباة

ان اشقى البلاد ما كان يجري … في اراضيه دجلة والفرات

وهي في سالف الزمان بلاد … عامرات الاكناف مرتقيات

عظم الخطب في العراق فلله قلوب هناك مرتجفات

قد سقونا كأساً ستشرب منها … عن قريب تلك السقاة الطغاة

يا زمان البخار حسبك فخراً … انه فيك تنقضي الحاجات

وبك الناس والمعاطش تروى … وتجاب البحار والفلوات

حبس المانعون خيرك عنا … وسكتنا كأننا اموات

اخر المسلمين عن أمم الار … ض حجاب تشقى به المسلمات

لا ارى بين الغرب والشرق بوناً … غير ان الاحكام مختلفات

فهي في الغرب بالعدالة تجري … وهي عنها في الشرق منحرفات

سيوافي مدى التقدم قوم … وسعت فيه منهم الخطوات

عاملِ الظالمين بالظلم تسلمْ ربَّ شرٍّ يكون فيهِ نجاةُ
يقرع الحادثاتِ ما قرعتهُ كلُّ من عندهُ لعمري حصاةُ
لستَ تلقى امرءًا تهذَّب حتى غلبت سيئاتِهِ الحسناتُ
قل نفعٌ لا ينتج الضرُّ منهُ ربَّ شرٍّ تجرُّهُ الخيراتُ
والسحاب الذي يبلُّ غليـل الناس فيهِ صواعقٌ محرقاتُ
ايها الاغنياء لا تجهلوا ما يحمل البائسون والبائساتُ
ما تفكَّرتُ في الحقيقة الأ واعترتني الشكوك والشبهاتُ
قد يودُّ الانسان لو طار في الجوّ خفيفاً كما تطير القطاةُ
كل ما في الوجود فهو لعمري عللٌ تارةً ومعلولاتُ
ليس فضلٌ على زمانٍ لوقتٍ فالليالي جميعها اخواتُ
يلهج الجاهلون في كل عصرٍ بدعاوٍ ما ان لهـا اثباتُ
انما الجاهل المجادلُ بالبا طل في اعين الترقي قذاةُ
جوهرُ الكون في الوجود قديم غير انَّ الاشكالَ مخترعاتُ
من تروَّى انَّ النجوم شموسٌ عظمت في عيونهِ الكائناتُ
يقرأُ الفيلسوف من سور فيهـا كتاباً آياتهُ بيّناتُ

ابن العراق

الرواقيون

الرواقيون طائفة من الفلاسفة القدماء عرفوا بهذا الاسم لاجتماعهم تحت رواق الى الفيلسوف زينون واضع هذا المذهب ليأخذوا العلم عنهُ · والرواقية ابعد المذاهب الفلسفية القديمة شهرةً واعلاها آداباً تعددت في شأنها الآراء الى ما لا يتقارب من الاقوال فغالى مريدوها في تمداحها وانزال تعاليمها السدرة العليا من الكمال فتغنى شعر هوراس في تعظيمها واطلق سنكا ليراعهِ المنان فاطنب في تبجيلها ووصفها مرقص اوريليوس بما لم يوصف بهِ من قبل علم ولا فضيلة وقام فريق آخر من عداتها تجاهلوا ما لها من الحسنات وعابوها بالعقم والوهن وعزوا الى آدابها الفساد والخسة والدّ عداتها آباء الكنيسة الذين حملوا عليها حملةً شعواء لم تبقِ ولم تذر

على ان من واجبات الباحث ان لا يذهلهُ وصف عشاقها ولا يسترسل الى كلام عداتها وما يطعنون عليها وانما يتجرد عن كل هوى ويقول الحق الصراح ان آداب الرواقية على ما فيها من الشرف الباذخ والنقاوة التي امتازت بها على سائر المذاهب خرجت في كثير من مبادئها عن حد التعقل والاعتدال وتشوهت بالاوهام والتخرصات فظهر التناقض في تعاليمها ظهورًا اوهن دعائمها وترك مجالاً فسيحًا لنقد الناقدين فتراها من جهة تمدح صبر ابيكتوتس وآداب مرقص اوريليوس ومن الاخرى تستصوب انتحار كاتون وتدفع بروتوس الى اجترام تلك القتلة الشنعاء

ولا ريب ان المدرسة الرواقية من اعظم المدارس شأناً وان ما نراه من التناقض في مبادئها وانتفاء الوحدة من تعاليمها نتج عن الاحوال التي نشأت فيها . ذلك انها ظهرت في زمن كانت بلاد اليونان فيهِ آخذة في التقهقر والانحطاط ومن الصفات العامة لزمن التأخر ان لا يظهر من محيطهِ شيء عظيم وكل ما يظهر في ذلك الدور يحمل الشيء الكثير من علائم الانحطاط والبعد عن الكمال . ومن اعظم علائم الانحطاط انتفاء الوحدة في هذا المذهب ووفرة التناقض في الشيء الكثير من مبادئهِ . من ذلك قول هذه المدرسة ان جميع التصوُّرات تحصل بواسطة الحس فاذا كانت جميع التصوُّرات تحصل من مؤثرات العالم المادي في الحس فما معنى قولها بعد ذلك بالحرية وصورة الواجب الى غير ذلك من الآراء الروحية

قلنا ان واضع هذا المذهب الفلسفي زينون وهو رجل من قبرص جاء اثينا حوالي سنة ٣٠٠ ق . م طلباً للعلم فاقام فيها وتخرَّج على اكابر علمائها لاسيما على كراتس زعيم الفلسفية الكلبية حتى اذا برع استقل بنفسهِ وانشأ مدرسة اجتمع حولهُ فيها جماعة من خيار الطلبة فوضع لهم مذهبهُ الفلسفي الذي انتشر من بعدهِ في سائر العالم المتمدن وعرف اصحابهُ بالرواقيين

وقد تناوب على زعامة هذا المذهب من بعد زينون عدد من كبار رجال العلم مثل اثنادور واريستون وهيريلوس القرطجني وكليانثس الرودسي وغيرهم . وفي اواخر القرن الثاني قبل المسيح انتقل المذهب الرواقي الى رومة ونزل على الرحب بين عظماء المشترعين من اهلها وكبار دعاة الدين والسياسة ونبغ من زعمائهِ فيها سيبيون واميلين وكاتون وبروتوس وكثير غيرهم من الذين كان لهم في اعلاء منارهِ واشهار آدابهِ اليد الطولى

واستتبت لهذا المذهب الشهرة خمسة قرون تباعاً تعززهُ في خلالها كتابات سنكا وابيكتتس حتى جاءت اواخر القرن الثاني للتاريخ المسيحي فتطرق اليهِ الضعف واستفحل بهِ الوهن فاسلم الروح على ايام مرقص اوريليوس اعظم اقطابهِ قدرًا واوسعهم علماً

اما مدار ابحاث المذهب الرواقي فعلى ثلاثة علوم هي المنطق والطبيعيات والآداب

اما المنطق فقد دسّ الرواقيون فيهِ مبادئ الحسيين مع الاحتفاظ على المشهور من قواعد ارسطو التي بقيت على وصفها الاصلي من غير ابدال ولا تغيير الاَّ انهم اختصروا المقولات العشر فجعلوها اربعة واضافوا اليهِ نتفاً من علم البيان ثمَّ اذاعوهُ للناس تحت الاسم الارسطي فأقبل الطلبة عليهِ اقبالاً عظيماً متنافسين في احرازهِ والسبق في مضمارهِ ولذلك سار عندهم شوطاً بعيداً وكان له شأن كبير في العالم العلمي

اما ما ادخلهُ الرواقيون من المبدإ الحسي او التصديقي على المنطق فهو القول بان جميع التصورات تحصل للانسان بواسطة الحس ومن ثمَّ يتولى شؤونها الادراك الذي هو فعَّال وهي اي الشعورات منفعلة فيستخرج من المتفرق منها والمبهم الاحكام والاقيسة والحقائق العامة

الطبيعة — قال الرواقيون ان العالم مؤلف من عنصرين الواحد منهما منفعل والثاني فعَّال فالعنصر المنفعل هو المادة ولكنها غير مخلوقة جامدة عطل من جميع الخصائص والعنصر الفعَّال هو العلة الازليَّة المعروفة عند الناس باسم الله وهذا الاله جوهر ناري مدرك او هو نوع من الاثير. وقد قال شيشرون ان الله بعد ان نظَّم الكون اتحد بهِ اتحاد النفس بالجسد وانهُ سوف يبتلعهُ بواسطة الاحتراق العام وان نفوس الآلهة السفلى ونفوس النابغين من البشر وجميع النفوس منبعثة من تلك النار الالهية وانهُ لا بدَّ لها من العودة اليها والامتزاج بها اه ويقولون بانتفاء العناية الالهية عن الخالق وان الكون محكوم بشرائع عامة والقدر محتوم على الكائنات بجملتها وان النفس البشرية صادرة عن نفس الكون العامة ومشاركة لها في طبيعتها النارية ولا بدَّ وان تعود اليها يوماً فيمتزجان معاً وان النفوس البشرية ليست بخالدة وان الخلود من الخصائص المميزة للنفس العامة ولا يشترك معها في ذلك غيرها من النفوس واما الارادة فلا تعمل مدفوعة بعامل خارجي عنها وانما تعمل بحكم القدر الذي لا يدفع

على انَّ هذه الاقوال واشباهها من انتزاع اشياء كثيرة من صفات الالوهية عن الله كالعناية والحرية المطلقة واشتراك الخالق مع الطبيعة وجعل المادة غير مخلوقة ازلية الى غير ذلك هي من الاقوال التي لا تخرج عن دائرة المذهب المعروف بوحدة الوجود panthéisme مع ذلك نرى الرواقيين في مواضع اخرى ينعتون الخالق بالحكمة والادراك وانهُ يحكم العالم ويحمي المخلوقات ويدبر الكائنات بمنتهى الحكمة والقدرة وأشباه ذلك من النعوت التي تنافي بجملتها ما سبق ذكرهُ

الآداب — قال الرواقيون ان الغاية من اعمال الانسان الخير ولا يكون الخير حتى تكون

الاعمال طبق العقل وبما ان العقل العنصر الفعّال في جسم الانسان كما ان الله العنصر الفعّال في الطبيعة لذلك يجب على الجسم اتباع اوامر العقل ليحصل لهُ الخير وتستتب الفضيلة ثم قالوا ان حياة الانسان اشبه شيء بعراك شديد مستمر بين عدوين لدودين هما الشهوة والحريَّة وانهُ من الواجب ان تخرج الحرية من هذا العراك الهائل متوجةً باكليل الظفر ولا تحصل لها الغلبة التامة ولا تفوز بالنصر الجيد الاَّ باذلال الشهوة واضعافها بل محوها بتاتاً من الوجود وقد سبق الرواقيين الى مثل هذا القول سقراط وافلاطون وفيثاغورس وعلّموا الناس بوجوب قمع الشهوات واخضاع النفس لاحكام العقل. على ان الرواقيين لم يأخذوا هذا الرأي عن هؤلاء الفلاسفة وانما تلقنهُ زينون عن اساتذته الكلبيين القائلين ان الحياة عراك شديد بين الحرية والشهوات وان كل ما يضعف الشهوات خير وان وكل ما يقويها شر

ولم يقف الرواقيون عند حد الاعتدال في كلامهم عن الحرية بل تجاوزوهُ الى المغالاة الفاضحة. من ذلك قولهم ان خير الانسان في الحرية واذا اردت ان تعرف الوسائط التي تمكنك من الحصول عليها اجيبك ان الواسطة الى ذلك هي الحرية اذ الحرية الانسانية تحدث ذاتها وتوجد في ذاتها ومن حصلت لهُ حصل على السعادة ولا ينالهُ الشر حتى اذا اكتنفهُ المرض وانتابهُ الفقر لا يستطيع ان ينعت هذه الاحوال الاَّ بالبؤس والمكاره وليس بالشر لانهُ يستحيل اجتماع الحرية والشر معاً

***

وخلاصة القول ان الرواقية على ما فيها من التناقض في المبادىء والشذوذ في الكثير من تعاليمها عن الحقائق نشرت اجمل القواعد الادبية واتقاها وحسبك من سمو تلك القواعد ومكانها من الشرف قولها ان يسلك الانسان السبل التي يرشدهُ اليها العقل ولا يتبع في اعماله رغبات الحس وان الخير يحصل من اتباع الفضيلة كما ان الشر يحصل من الاسترسال الى الملذات والاسترقاق للشهوات واشباه ذلك الشيء الكثير من الحكم الرائقة والمبادىء الشريفة التي حالت دون اضمحلال الشرف وذهاب الادب في زمن الانحطاط والتأخر اليوناني. ولئن لم تقف الرواقية امام التقهقر الادبي ولم ترجع بالامة اليونانية الى ما كانت عليهِ الاَّ انها مع ذلك حفظت الآداب عن الفناء البحت الذي كان يعدهُ لها من قبل عاملان العامل الاول انحطاط البلاد يومئذٍ والثاني انتشار الفلسفة الابيقورية

واذا نظرنا الى تاريخ التمدُّن نرى للرواقية يداً طويلة في ترقية شأن المجتمع واعلاء منار الادب فيهِ. يؤيد هذا ان العلماء بحثوا في الفواعل الكبرى التي نهضت بالآداب في مراقي

الكمال فكانت في ثلاثة ادوارٍ من التاريخ الدور الاول الفلسفة الرواقية التي صحبت فقهاء الرومان فسنوا الشرائع وجمَّلوها بمبدإِ الحقوق والواجبات والدور الثاني المسيحية التي جاءَت بالمبدإِ السامي حب الله والقريب والدور الثالث الثورة الفرنسويَّة سنة ١٧٧٩ التي ايَّدت مبدأ الحرية في الكون على اختلاف اقسامها من سياسية ودينيَّة ومدنيَّة بحيث صار الانسان معها انساناً ل · ي

الفلسفة الحديثة (١)

للانسان ساعة يقف فيها يتأمل في هذه العوالم فيقوده الفكر الى ما وراء المشاهد من الطبيعة فيسأل عن اصل الاكوان ومصيرها ويتبصَّر في مسأَلة الموت وهولها فيودُّ لو يخترق حجاب القبر ويرى قبل موته عالم الحشر

اين كنا وماذا نصير . من خلق العالمين ومن سنَّ السنن التي تجري عليها وما القصد مما نرى من اجزاء الوجود ومظاهر الطبيعة . تلك مسأَلة المسائل التي لا بد للباحث من النظر فيها فإِما ثبات على رأي قديم واما تعلق بخيوط العقل القاصر . والانسان بين ما ورث وبين ما يرى الغريق وسط اللجج تتقاذفهُ التيارات وتتلاعب بهِ الامواج فلا يشعر الأَ وقد وهنت عزيمتهُ وقلت في امر النجاة حيلتهُ فيستسلم لعوامل الفناء ويرضى بالرغم عنهُ بحكم القضاء

والمسأَلة دقيقة تقتضي البحث الطويل والروية الكاملة فكايّن ممن جربوا الخوض فيها وخانتهم عقولهم وكايّن ممن لزموا التمسك باقوالهم الموروثة فتمادوا في العناد وقامت قيامتهم على من استسلم لعقلهِ في امر القياد — هؤلاء الفلاسفة والمفكرون من سلم منهم من لسان المتعصبين ومن نجا منهم من سهام المنتقدين وهؤلاء المحافظون كم استهزأ بهم المارقون وعدُّوا آراءهم آراء العجائز وكلهم معذور في امره فان المسلك وعر والطريق عسر لا يأتي فيهِ الأَ الكامل المعتاد الواسع الدراية وقليل من هم

ولقد قرأْت ما تيسر لي من كتب الفلسفة فلم ارَ في احدها ما يفتح لنا مغلق هذه المسائل بل رأيتُ آراء القوم شتى كلٌّ يدعي صحة برهانهِ وكلٌّ يقول ببطلان ما سواهُ حتى لقد حرت في اي طريق اسلك واي بابٍ اقرع فقلت ابسط للقوم آراء القوم متخلصاً من

(١) خطابة تليت في « حلقة الادباء » في الكلية السورية الانجيلية ببيروت تحت اسم ضلال العلماء

التبعة واللوم متحاشياً التصريح الاَّ في ما رآيتهُ مطابقاً للعقل وما المرء بملوم اذا سار بحسب ما يتوهمهُ صحيحاً اللهمَّ اذا لم يرَ ما هو افضل منهُ

***

كيف حدث الوجود وفي اية طريقة ظهر وما هي العلة الاولى التي تفرعت عنها سائر العلل — اسئلة حارت في ظلماتها الفلاسفة فقال احدهم ليس للكون اول ولا آخر فهو ازلي ابدي تتغير صورة المادة فيهِ وتتشكل مظاهرها ولكنها واحدة وجدت مع الازل وستبقى الى الابد. وقال غيرهُ بل المادة حادثة تتشكل بحسب الصور التي وجدت قبلها فالمادة عندهم حاصلة من وجود معنوي بالقوة ثم طرأ عليها ما ابرزها الى حالة الوجود الحقيقي . وقالت الفئة الكبرى العالم صنع اله متسلط على العالمين هو وضع السنن واجرى النظام الى غاية وما المادة بالشيء السرمدي ولكنها حادثة من العدم بقدرة الخالق العظيم . وقال غيرهم يستحيل على العقل ان يدرك ماوراء الطبيعة وكل ما نقدر ان نعرف من هذا الوجود صور ومظاهر لا غير وكل رأي عن اصل المادة فاسد لا يمكن للعقل قبولهُ ولا أمل لنا البتة في ادراك سرّ الوجود بل كنا وسنبقى في ظلمات الجهل الى الابد

ولا بد لي قبل الاسترسال في الموضوع من بسط المسائل التي يدور عليها بحثنا واهمها ما يأتي (١) حدوث الكون (٢) وجود الله (٣) المادة والنفس . ولنتقدم الى النظر في كلٍّ منها

قال العلماء ان المادة مؤلفة من عناصر مختلفة وان هذه العناصر تتألف من جواهر فردة وقد زاد المحدثون على ذلك ان الجواهر الفردة نفسها ليست بسيطة ولا متماثلة بل هي ايضاً تتألف من ذرات يستحيل على العقل تصورها وسمّوا تلك الذرات بالكريات وقالوا ان هذه الكريات اقطاب كهربائية منها الايجابيَّة ومنها السلبية وانهُ بحسب مجرى الكهربائية من حيث سرعتها وكمية الكريات الحاملة لها تتشكل الجواهر وتتنوع العناصر

رأى الماديون ذلك فقالوا في الجواب عن السؤال الاول ان الهيولى بسيطة جدًّا جواهرها متماثلة وجدت بنفسها ويستحيل ان تكون من العدم لان العقل البشري لا يمكن ان يتصوَّر مادةً تتلاشى الى درجة العدم فكيف يحكم بوجودها في زمن من الازمان في حالة لا يمكن ان تصير اليها . وكل ما يستطيع العقل ان يصل اليهِ انما هو ادقّ جزء من اجزائها بحيث يستحيل على التصور ان يدرك ما وراءهُ فاذا كانت المادة لا تتلاشى وهو ناموس طبيعي مقرَّر فهي لم تحدث من العدم ولكنها هي وما بها من القوى ازلية وجدت في ابسط ما يستطيع العقل تصورهُ من النظام . كل اجزائها متماثلة ثم تغيرت وتشكلت على ما سنبينهُ

فاذا قيل كيف تسنّى للبسيط المتماثل ان يصير مركباً متغيراً مع عدم وجود قوة خارجية تدفعهُ الى ذلك فالجواب ان الهيولى التي وجدت متماثلة الاجزاء لم تثبت على ما كانت عليهِ من التماثل لان كل جزء من اجزائها المتماثلة كان معرّضاً لقوى تختلف باختلاف مركزهِ بالنسبة الى بقية الاجزاء . فالجزء الواقع في المركز مثلاً لم تكن القوى الفاعلة فيهِ كالقوى الفاعلة في الجزء الواقع بعيداً عن المركز ذلك لان نسبة هذا الجزء الى بقية الاجزاء من حيث البعد غير نسبة ذلك . ولما كانت القوى الفاعلة في الاجزاء غير متماثلة من جهة تأثيرها تغيرت الهيولى الاصلية عن وضعها الاصلي وكانت كلما ازدادت تغيراً ازداد اختلاف الفواعل الفاعلة فيها فتقدمت من البسيط الى المركب وما زالت تتغير وتزداد تركيباً حتى ظهر العالم وبرزت الطبيعة بنباتها وحيوانها وجمادها . فالمادة والقوة هما الشيئان الازليان الابديان وُجدا ولم يزالا واحداً في كل صور الوجود ومهما تنوعت اشكال المادة ومهما تغيرت مظاهرها فهي واحدة لم تخلق ولن تتلاشى . كذلك القوة التي بها ندرك المادة ونشعر بها دائمة لا تنقص ولا تضمحل وكل ما في الكون من افلاك ونجوم وحي وجماد انما هو نتيجة من نتائج القوة الفاعلة في المادة . وارجاعهُ الى نواميس طبيعية مقررة كاستمرار القوة ودوام الحركة وعدم ثبات المتماثل وبقاء المادة كان الشغل الشاغل للفلاسفة المحدثين

فالكون على المذهب المادي حادث بالصدفة من تفاعل القوى والمادة فهم ينكرون الخالق ولا يقرون بالحدوث من العدم لان الحدوث من العدم عندهم امر لا يتصورهُ العقل وما لا يتصورهُ الذهن لا يجوز ان يقال ان لهُ صورةً في الخارج ناهيك ببراهينهم عن اصل المشاهد في الطبيعة وارجاع الاسباب الى شرائع مادية محضة . ولما قال الماديون بازلية المادة قاموا يبينون كيف حدثت العوالم فاتخذ بعضهم النشوء الطبيعي ناموساً عاماً وفسّروا لنا بطرائق كثيرة كيفية تفرق النجوم وكيفيَّة حركاتها طبقاً لمقتضى ناموس الجاذبية العام ثم اوجدوا الارض على الرأي السديمي من تقلص سديم الشمس من انفصال الحلقة الخارجية لتساوي قوتي الجذب والدفع كما هو مقرر في كتب الفلك . ولما انفصلت الارض وبدأت تتقلص وهي محافظة على حركتها المكتسبة من الحركة الاصلية انسلخ القمر عنها كما انسلخت هي عن الشمس وبرد سطحها . كل ذلك والملايين من السنين تكرّ عليها ثم صارت صالحة للحياة فظهرت الاحياء البسيطة تدرُّجاً من المادة وما زال الارتقاء يغير ويتنوّع ويبدل حتى انفصلت النباتية والحيوانية ثم الانسانية بعد ان تفرعت فروعها وتنوعت انواعها بالانتخاب الطبيعي وتنوع الافراد . ومع جمال هذه الادلة فالعقل البشري لم يقتنع بها كل الاقتناع بل سأل وما وراء المادة . وانّى تسنّى

لها ان توجد بلا موجد . وكيف تمّ هذا النظام الذي نراهُ في الكون بدون منظم . فقادهُ ذلك الى وضع صور ازلية وجدت قبل المادة ثم تدرج الى القول بخالق للصور وان ذلك الخالق شكّل المادة على مقتضى الصور الازلية . فالخلقيون يجيبون عن السؤال الاول ان الله السرمدي خلق المادة من العدم وسنَّ لها نظامات ابدية تجري على مقتضاها ولكنهم يختلفون في ما بعد ذلك فمنهم من يقول ان الخالق اجرى المادة على سننٍ وتركها تجري بحسب تلك السنن وان النشوء الطبيعي سنة من سنن الله استخدمها في تصوير صور الموجودات ومنهم من خالف ذلك فقال ان الله خلق المادة والنظام ولكن لم يتركهما لحكم الصدفة بل هو يتداخل في كل شيء وهو خلق الانواع ولا تزال قوتهُ فاعلةً في كل اجزاء الوجود

هذا هو السؤال الاول بحسب ما اجاب عنهُ المفكرون على ان العقل واقف بين هذا وذاك تارةً يؤلّه المادة وطورًا يجعل الاله مادةً ثم يتراجع قليلاً و يسأل أمن اله وراء الاكوان ام ذلك ماورثناهُ من اسلافنا وما رايناهُ في احلامنا . هل من الهٍ وراء الطبيعة . تلكم المسألة التي يقف الانسان عندها ذاهلاً حيران ينظر الى السماء يناشد النجوم ثم يرجع في العقل الى العقل يناجي الوجدان ثم يلتفت الى الطبيعة و يسأل نواميسها فيتلعثم لسانهُ و يرتج عليهِ

***

الله موجود في العقل البشري من يوم وجد الانسان ووجودهُ عام بين كل الامم وفي كل البلدان فكيف ذلك ؟ قال الالهيون ان ذلك دليل واضح على ان الاعتقاد بالله تعالى لم يكتسب اكتساباً بل هو وضعي في نفس الانسان من يوم وجد الى الآن . تغلغل في اعماق التاريخ تجد ان القوة الخالقة كانت موجودةً في العقل البشري من اقدم الازمان وهي لا تزال كذلك في احط العقول البشرية بين اكلة اللحوم البشرية و بين البرابرة سكان المغاير

من اين اتى ذلك الفكر العام لولا ان الله اوحى بهِ الى نفس الانسان ولولا ان بين نفس الانسان وبين خالقها علاقة معنوية يستدلُّ بها الانسان على وجودهِ . ان وجدان المرء يدفعهُ الى الاقرار بذلك ويسوقهُ الى الشعور بقوة اعلى منهُ . اعتبر ذلك في النقصان الذي نراهُ على الارض . ألا ترى ان قصر عقولنا يقودنا بحكم ناموس التضاد الى القول بوجود عاقل كامل وان طبيعتنا الفاسدة تسوقنا الى الحكم بوجود طبيعة عاقلة عادلة وانهُ كما ان لكل شيء ضدًّا كالنور والظلام والعدل والظلم والموت والحياة — كذلك العقل المحدود يضادهُ العقل غير المحدود والادراك الناقص يقابلهُ الادراك الكامل

ولقد سار العقليون في براهينهم على وجود الله في ثلاث طرق فعلى الاولى ان ارتباط كل شيء في الكون يسوقنا الى الاعتقاد بكائن مطلق بالضرورة ولا يمكن ان يكون ذلك الكائن المطلق الاَّ كاملاً غير مقيد بحال فهو كائن كما هو وكل حقيقة كائنة كما هي بهِ فقط٠ اما الثانية فلها فرعان الاول القصد في الاكوان وهذا لا ارى من لزوم للخوض فيهِ لاني لم أر البتة فيما كتبوهُ ما يحملنا على الاعتقاد بذلك ٠ وقد صرَّح لوتزي وهو من أئمة العقليين فقال اذا اردنا ان نبرهن على وجود الله باثباتنا القصد لاعمال الطبيعة فذلك ما لا يثبتهُ لنا الاختبار ولا يبينهُ لنا الواقع واما الثاني فارتباط الافراد بناموس واحد فان وحدانية النواميس تقودنا الى وحدانيَّة الكائن ٠ قال لوتزي ومن تأمل في قولنا ان ناموساً واحداً يشمل افراداً عديدة يرَ ان ذلك لا يمكن للعقل ان يستحضرهُ ما لم يرَ وحدةً اصلية لكل ما هو حقيقي في العالمين

وفي الثالثة نرى ان القوة العظمى اما خيالية او حقيقية فكونها خيالية لا يسلّم بهِ العقل لان القوة العظمى في الذهن لا تساوي القوة العظمى في الخارج فالفكر لا يرتاح الى القول بانها وهم او فكر لا غير وما عدم الارتياح فقط الاَّ دليل على وجودها حقًّا في الخارج . واذا قال بعضهم ان القوة العظمى هي النظام العام فيردّ عليهِ ان النظام لا يثبت بدون من ينظمهُ ثم ان العقل لا يقبل القول بأن القوة العظمى مجرد نسبة بين الاجزاء لا غير وهو النظام العام ٠ فالقول بالنظام انهُ قوة عاملة عبث باطل لولا انهُ يقودنا الى القول بالمنظّم واذا كان قولنا بالنظام الطبيعي يقودنا الى الاعتقاد بالمنظم فكم بالحري قولنا بالنظام الادبي

ولقد اعترض بعضهم على شخصية الله بقولهم انا ندرك الذات بما هو خارج عنها فاذا كان الله شخصاً فهو لا يعرف او لا يكون الاَّ بالنسبة الى ما هو خارج عنهُ فهو مقيد بما هو غير ذاتهِ وهذا يناقض اطلاقيتهُ على ان الفيلسوف لوتزي لم يرَ في هذا الاعتراض كبير اهميَّة فقال " نعم ان تصورنا الذات متوقف على تصورنا الخارج عنها ولكن العقل قد يعرف الذات قبل معرفة الخارج عنها فانهُ (اي العقل) لا يميز بين الذات وغيرها الاَّ بعد ان يشعر بوجودهِ ذاتاً ثم يرى ما هو خارج عنهُ فوجود الذات لا يتوقف ضرورةً على ما ليس بذات ثم من نحن وما هي نفوسنا هذا السؤال جواب على نقصان وجداننا فاننا لا نستطيع ابداً ان نصل الى معرفة الوجدان الكامل والوجدان الكامل يستحيل الاَّ في الذي لا نهاية لهُ وما الشخصية في الحدود الاَّ من بعض وجوهها " . والخلاصة مما تقدم ان الذاتية لا تتوقف على غير الذاتية بل هي مستقلة تمام الاستقلال وما الوجدان الاَّ معرفة وجود الذات ٠ وان الشخصية الكاملة لا وجود لها الاَّ في الله وان كل ما فينا ليس الا صور تمثل تلك الحقيقة الكاملة

هكذا جرى العقليون في براهينهم على وجود الله مستندين على الفلسفة العقلية والوجدان العام وكثير من اقوالهم لا غبار عليهِ على انهُ لا بد لنا من اعادة السؤال "أمن إله وراء الاكوان" وكما اجبنا عليهِ بلسان العقليين نجيب عليهِ الآن بلسان الماديين

من النواميس المعروفة ان ما لا يتصورهُ العقل لا يجوز ان يقال ان لهُ صورة في الخارج فانك لا تعرف بيتاً رأيتهُ ولا كلمةً قرأتها الأ ان يكون لها في ذهنك صورة تظهر لك عند رؤيتهما واذا قيل ان اسماء المعاني موجودة على حين ان العقل لا يستطيع تصورها قلنا ان اسماء المعاني ليست بشيء اذا لم يقصد بها تمثيل حادث طبيعي وعليهِ فوجود الله ليس من مدركات العقل بمعنى ان العقل لا يقدر ان يتصور الخالق شخصاً مستقلاً عن المخلوق . لان مجرد تصورهِ كذلك مناقض للصفات اللازمة لهُ فاذا قلنا انهُ شخص خارج عن العالمين اقتضى ان يكون لهُ حدود تمنع اطلاقيتهُ لان مجرد الشخصية تقتضي الحدود واذا قلنا انهُ العلة الاولى اقتضى ان يكون ايضاً مقيداً بالعلة وهذا ينافي اطلاقيتهُ او ان يكون وجد قبل ان صار علةً وهذا ينافي كمالهُ (فنسري وسبنسر)

مرَّ على جواب الامام ابي حنيفة سنون عديدة ونحن نجيب بهِ لما اعترض عليهِ معترض بقولهِ "كيف تجمعت قطع القارب بدون جامع لها" . قال بما معناهُ اذا لم تستطع قطع القارب ان تجمع نفسها فكيف الامر في تكوين الاكوان بدون مكوّن . على انهُ حان لنا ان نقول ان الجامع والمركب غير الخالق وان هذا المثل لا يفيدنا شيئاً في امر وجود الله . لانهُ كيف اتت المادة المركب منها الكون ؟ — هل وجدت قبل وجود الله وبعدهُ فان كانت قبلهُ لم يكن الله خالقاً وان كانت بعدهُ فهل يقبل العقل كونها حدثت من العدم . قال سبنسر" ولنسأل كيف اتى " الفضاء " فالخلقيون يقولون ان الله خلقهُ كما خلق المادة وهذا مستحيل تمثيلهُ للذهن ايضاً لان بذلك يقتضي ان الفضاء لم يوجد في زمن من الازمان وهذا مستحيل " . اما كون القوة الالهية موجودة في العقل البشري وجوداً عاماً فذلك دليل على ان الفكر بالله نشأ نشوءا وقد بيّن ذلك سبنسر بقولهِ ان العائلة الاولى لم تعرف الله ولكن موت رئيسها الاول جعلها تعتقد بانهُ لا يزال حول البيوت فعبدوهُ وقربوا لهُ القرابين ولما مات الرئيس الثاني عملوا لهُ ما عملوا للاول فتولّد من ذلك عبادة الاسلاف

ثم ما زال العقل البشري يرتقي حتى قال بوحدانية الله وهذا سبب عموميتهِ بين القبائل بقي ان نقول ان الماديين والعقليين كلهم يعتقدون بالوجود الذاتي — الماديون وجود المادة الذاتي والعقليون وجود الله والعقل المطلق الذاتي . فايًا يقبل العقل ؟ والجواب على هذا

يقودنا الى القضية الثالثة من بحثنا وهي المادة والعقل سيان او مستقلان ؟ واذا رجح كون العقل مستقلاً عن المادة رجح القول بوجود الخالق الذاتي والعكس بالعكس

في الانسان الحي ثلاثة اشياء لم يتفق العلماء بعدُ على معرفة نسبة الواحد منها الى الآخر — الجسم والنفس والحياة — فالاول " تراب والى التراب يعود " واما الثاني والثالث فلا يزالان غامضين على الباحثين الذين يتلمسون في ظلام الحقيقة تلمساً . ومع ان المادة والنفس هما الامران اللذان يهمنا البحث فيهما الآن فلا بد لنا ان نسأل " هل النفس اصل الحياة ام الحياة اصل النفس " اما كون النفس اصل الحياة فذلك يقتضي ان النفس بوجودها في المادة تظهر لنا في طريق الحياة والعقل واذا كانت النفس حاصلة بعد الحياة اقتضى انهُ اما ان تكون النفس مستقلة عن المادة ولكنها لا تظهر الا متى كانت في استعداد تام لقبولها او ان تكون قوة كسائر القوى المادية المعروفة

خذ " الاميبا "[1] وهي حية هل لها نفس فاذا قيل ليس لها نفس اقتضى وجود الحياة مستقلة عن النفس واذا قيل لها نفس قلنا ذلك يقتضي ان النفس غير الوجدان او العقل وهذا ما لا يقبلهُ القائل بالخالق لانهُ يلزم عن ذلك ان النفس الشاملة الاكوان عديمة الفهم والتمييز واذا قيل ان الاميبا حيوان لا يقاس عليهِ قلنا خذ الرضيع او الجنين ترَ نفس الامر فيهما . فالقول بان النفس لا توجد الا بعد ان يمر على الحيوان طور من حياتهِ اثبت وافضل

قال الماديون ان المادة الاولى لما مرَّ عليها ازمان متطاولة وطرأ عليها فواعل مختلفة تولدت فيها احياء اولية بسيطة جدًّا لا نبات هي ولا حيوان ثم ارتقت هذه الاحياء بواسطة الفواعل الجمة من البسيط الى المركب وما زالت ترتقي حتى تفرعت النباتية والحيوانية في ابسط مظاهرها ثم تدرَّج كل من هذين الفرعين الى الانواع الموجودة الآن . ولم يكن في الاحياء الاولى بما يتبين من الاحياء البسيطة الآن ادنى قوة عاقلة بل كل حركاتها كانت بحسب المؤثرات الخارجية حركاتٍ طبيعية محضة كتقلص المادة وامتدادها وما شاكل ثم لاسباب طبيعية تباعدت الانواع بعضها عن بعض وبالترقي كثرت مطالب الحي فصار يحتاج الى غير الحركات المادية العمياء وظهرت فيهِ الاعصاب وكلما ارتفعنا في سلّم الاحياء نرى ان تقدم الاعصاب وازديادها امر مطّرد فيها وما زالت الاعصاب ترتقي حتى وصلت في الحيوانات الفقارية الى قوة التصور وفي الانسان الى قوة الادراك والوجدان فالوجدان او النفس او العقل ليس الاَّ مظهراً من مظاهر المادة كما ان القوة ليست الاَّ كذلك — حرّك يدك تشعر بقوة خرجت

---

(1) ابسط الحيوانات المائية المعروفة

منك وحرّك دماغك تشعر بقوةٍ عاقلة على اثر تحريكهِ أَتقول ان الاولى من تفاعل جواهر المادة وان الثانية صُبّت على الدماغ فسكنت فيهِ

ولست لولا الضرورة لانوّه بذكر النشوء كما اني لا اقصد ان اشرحهُ على انهُ لا بد لي من القول ان النشوء امر اجمعت على صحتهِ العلماء تقريباً نعم ان في المشاهد ما لا يجري حسب الظاهر على مقتضى هذا الناموس ولكن ذلك نادر جدًّا وتعذُّر تطبيقنا اياهُ على مجرى النشوء العام راجع بالاكثر الى عدم فهمنا الاسباب التي قضت ان يكون كما هو خذ الفرس مثلاً وقابل انواعهُ الآن بها في الماضي فترى ان اصابع القدم قد اصبحت ابسط مما كانت عليهِ مع ان ناموس النشوء يقتضي الانتقال من البسيط المتماثل الى المركب المختلف كما قال الفيلسوف سبنسر أَتقول ان قدم الفرس مخالفة لهذا الناموس في حين ان الملايين من الامثلة الطبيعية لا تفسَّر الاَّ بهِ أَليس من التعقل ان تقول ان النشوء في جسمٍ قد يقتضي ازدياد البساطة في بعض اجزائهِ لكي يزداد التنوع في الجسم جملةً . وكم احتجّ المعارضون لمذهب النشوء بان بعض القبائل تكاد تنقرض وان بعضها تراجع في الارتقاء وعدّدوا كثيرًا من الامثلة على ذلك وفاتهم ان تراجع بعض القبائل سبب لتقدم البعض الآخر وان العالم اجمع لا يزداد اختلافًا احيانًا الاَّ اذا تراجعت بعض اجزائهِ الى درجة البسيط ولقد يحتم على بعض الاجزاء ان ينقرض لداعٍ من دواعي ذلك الناموس

قلت اني لم اقصد ان ابرهن صحة مذهب النشوء ولست لا تقدّم الى دحض الاعتراضات عليهِ فان ذلك يقتضي وقتاً ارحب من وقتي ولكني مقرٌّ بانهُ افضل التفاسير للمشاهد في الطبيعة وانهُ اقرب الطرق تناولاً من العقل . ولنرجع الى ما كنا فيهِ . — اذا ثبت مذهب النشوء ثبت ان الانسان حيوان راقٍ وان نفسهُ ليست الاَّ كسائر نفوس الحيوانات تختلف عنها فقط بكثرة الاختبار وازدياد المعرفة والادراك وان النفس او الذاتية العقلية ليست الاَّ الدماغ في حركاتهِ نستقرئ ذلك من درس الجهاز العصبي في طبقات الاحياء فدماغ الانسان ودماغ الحيوان واحد لا يفرقهُ عنهُ الاَّ ما لحقهُ من نتيجة الارتقاء ككثرة وُصل الاعصاب بين المراكز الدماغية وازدياد ثقل مادة الدماغ وجودتها والتخصيص في مراكزها والتنويع في مسالك العادة . وليس الذي يرتسم في الدماغ الاَّ نتيجة المؤثرات الخارجية . انظر الى لون احمر فتتأثر عيناك باهتزازات المادة تأثرًا غير التأثر الحاصل من سماعك نغماً وهذا التأثر ينقل الى الدماغ بواسطة الاعصاب فترتسم فيهِ صورٌ مختلفة بحسب اختلاف الاهتزازات الخارجية . فكلما رأيت الاحمر عرفت انهُ احمر لان لهُ اهتزازات خاصة بهِ

— هو ذا رجل تراهُ لاول مرّة ثم يغيب عنك سنين عديدة فتراهُ ثانية وتعرف انهُ الشخص بعينهِ وما ذلك الا لان رؤيتهُ المرة الاولى تركت في دماغك اثرًا فلما رأيتهُ المرة الثانية تحرّك الاثر نفسهُ وصوّر لك الصورة الاولى وزاد على ذلك صورًا استصحبتها اثناء رؤيتك اياهُ المرة الاولى . اعتبر ذلك في جميع ما يرتسم في دماغك من افكار وصور تر انها جميعها نتائج المؤثرات الخارجية مباشرةً او غير مباشرةٍ . واذا اعترض بأن دقيقة الدماغ ليست بكافية لان تسع ما يجب ان تسعهُ على هذا الرأي قلنا ان جرثومة الحياة كافية لان تسع الوفًا من الصفات من الوالدين والاسلاف فلمَ لا تسع دقيقة من الدماغ العجيب كل ما يرسمهُ فيها المحيط . ومما يدلك على مادية العقل انك اذا انتزعت مركزًا ما في الدماغ بطلت القوة العاقلة المنسوبة اليهِ ومن العجيب ان تلك القوة قد ترجع كأن يتلافى الامر مركز آخر او ان يظهر مركز جديد بدل المفقود . على انهُ قد لا ينقض بذلك مبدأ الخلق فان كثيرًا من الخلقيين يعتقدون بالنشوء ويقولون ان الله خلق المادة ثم اجراها على هذا النظام وان النفس مرسلة من قِبَل الله وهي تظهر في المادة ظهورًا يناسب استعداد المادة لذلك فتظهر في الانسان غير ظهورها في القرد وفي القرد غير ظهورها في الحمار . قال رودلف شميد في كتابهِ المسمى "مذاهب دارون" "اذا قالت المادية ان المادة اختلفت وتنوعت بواسطة النشوء الطبيعي فذلك لا ينافي القول بوجود موجدٍ للمادة"

على ان قولنا هذا يقودنا الى القول بخلود الانسان والحيوان على السواء وهذا ما اوقع العلماء في ورطةٍ على انهم نهضوا منها وقالوا ان النفس تخلد بمعنى انها تفهم وجودها وتتذكر ماضيها وترى نفسها بنفسها فنفس الحيوان لم ترتقِ بعد الى هذه الدرجة فهي اذن ليست بخالدة

وفي سبيل القائلين بمادية العقل عثرات لا بد من الاصطدام بها فيها . حريّة الارادة والوجدان الذاتي . فالارادة عندهم مقيدة وليست كما يقول (الاراديون) ومن تمعن في اقوال "هكل" "وبخنر" "وستروس" في ذلك لم يدهش جدًا من قولنا ان الارادة غير حرة . اليست العواطف من نتائج المحيط حاصلة بحسب اللذات المتنوعة او بحسب الآلام العديدة . فالارادة انما هي اتباع العاطفة العظمى ولا يعترض احد فان العاطفة قد تكون مباشرةً من فعل المحيط كالسرور الحاصل من السباحة او غير مباشرة كالسرور الحاصل من توقع الشفاء اذا شرب الدواء . وانصباب العقل نحو العاطفة العظمى انما هو بالرغم عنهُ فهو مسوق بحكم اللذة الشخصية فهو اذن ليس بحرّ ولا ارادة فيهِ . وعندي ان تفسير الارادة على هذا النحو يفسر لنا الارادة في الحيوان فالحيوان مع ان عقلهُ لا يقارب البتة عقل الانسان

لهُ ارادة تمكنهُ احياناً من عمل ما تدفعهُ اليهِ اللذة الشخصية وهذه الارادة ليست بمجرّدة كما يظهر لنا من درس الحيوان فماذا يجوز لنا ان نقول ان ارادة الانسان من غير هذه الارادة وانها ليست هذه الارادة في طور من اطوار ارتقائها

وكما أُرجعت الارادة الى اصول طبيعية هكذا أُرجع الاستدلال ولا لزوم لتبيان ذلك الآن فان اقل باحثٍ يستطيع ان يقابل بين الادراك في الحيوان وبينهُ في الانسان ثم يرى بعين الغيب وضوح الطريق المؤدية الى ماديتهِ واذا كانت الارادة والادراك مقيدين ماديين فلم يبقَ امامنا الاَّ الوجدان الذاتي وهو اكبر العثرات واصعب المصاعب في سبيل الماديَّة فكيف نفسرهُ؟

اذا تلاقت قوَّتان احداها متجهة في خط مستقيم نحو الشرق والاخرى في خط مستقيم نحو الشمال اتحدت كلتا القوتين في خط مستقيم نحو الشمال الشرقي وهذا ما نسميهِ "بحاصل القوى". كذلك الوجدان ليس الاَّ حاصل كل القوى العقلية الناجمة عن المؤثرات الخارجية وهذه القوة الحاصلة تشعر بوجود جميع القوى فيها وتدرك وحدانيتها

ولقد اعترض لوتزي على هذا التشبيه بقولهِ. "لو فرضنا ان عدداً من الجواهر الفردة كان مجموعاً على طريقة بحيث لو دُفع لسار العدد كلهُ في خط مستقيم فان مجرد سيرهِ هذا لا يكون الا باحد شرطين (الاول) ان تتحول قوى جميع الجواهر الفردة الى جوهرٍ واحدٍ وهو غير المفهوم اذ لا تعود الحركة حركة الكل بل حركة نقطةٍ واحدة والثاني ان نتصوَّر ذلك في ذهننا فكأَن نمثل القوى جميعها متحوّلة الى جوهرٍ واحد. اعتبر ذلك في عدد كبير من الجواهر الفردة ترَ ان حاصل القوى لا يمكن ان يكون الاَّ امراً تصورياً في الذهن. فالذهن هو الواحد الفرد الذي يضم جميع القوى ومهما تكن الحركات فمجموعها يستحيل ان يتحول الى حركةٍ واحدة ما لم يتناول ذلك شيءٌ واحد كالذهن او الوجدان"

فاذا فرضنا ان الفواعل الخارجيَّة تؤثر في جواهر الدماغ وتحدث فيهِ الانفعالات فأَنى لها ان تتحوَّل الى شيءٍ واحدٍ بذاتهِ ما لم يكن وراء جميع ذلك شيءٌ فرد بذاتهِ وهو الذات او النفس او الوجدان الذاتي

فالوجدان الذاتي (او النفس) واحد ليس فقط لان الذات ترى نفسها واحداً بل لانها تقدر ان ترى شيئاً ما واحداً"

"قال ولا يمكننا ان نقيس الوجدان على مقاييس طبيعية. فان من حاصل القوى الطبيعية قد يتولد السكون وقد تمتزج القوى بعضها مع بعض فيتولد من ذلك قوى تختلف عن القوى

الممتزجة اما في الوجدان فان الصور الذهنية لا يمكن ان تمتزج مع بعضها لتحدث صورةً واحدة. خذ لونين او نغمين ترَ ان الوجدان لا يمكن ان يمزجها بل بالعكس تبقى صورتهما واضحة في اذهاننا ولو صح ان الوجدان من حاصل القوى للزم ان حاسة الالم تنقض حاسة السرور وهو غير المشاهد المعروف "

ولقائل ان الالوان قد تمتزج في الذهن وذلك متى نظر اليها وهي مصفوفة الواحد ازاء الآخر فيردُّ على ذلك بان امتزاجها ناجم عن امتزاج مسالكها في الاعصاب فهي تصل كذلك الى الذهن فالوجدان لا يمزج الصور مع بعضها بحيث ينتزع هوَّيتها بل الصور باقية فيهِ كما هي والعقل مع ذلك يقيس ويدرك وهذا ما يحدو بنا ان نقول بوحدانيَّة العقل والوجدان " اه .

فبناء على ما تقدم لا يمكن ان يكون الوجدان من حاصل القوى العقلية بل هو خارج عنها يراها وينتقدها فهو اذن ليس بمادة

ولما اثبت الالهيون ذلك ومنهم كثير من اعلام الفلاسفة كلونتري وديكارت سألوا اذا لم تكن النفس العاقلة مادة فكيف اتت والجواب بالطبع انها من النفس الشاملة الاكوان التي ترى كل شيء وتعرف كل شيء والتي لا تدرَك وهي الله ولا تدركها نفوسنا لانها قاصرة محدودة. وقالوا ان وجود الله ضروري لامكان وجود العلاقة بين المادي والغير المادي لانهُ اذا ثبت ان في الانسان غير المادة فانَّى لذلك الشيء ان يستقر في الجسم المادي ويكون لهُ هذه العلاقة الكلية بهِ . والجواب ان الله هو الجامع بينهما ولقد جعل بمقتضى حكمتهِ الازلية ان يكون ارتباط النفس بالجسد ارتباطاً كلياً. ونحن فماذا نقول — انقول ان النفس مادة ام غير مادة فاذا قلنا انها مادة او حادثة من المادة نفينا بذلك خلودها وجعلنا الانسان بعد ان يموت كقطعة الحجر لا يحس ولا يشعر وليس لهُ من وجود ذاتي . واذا قلنا باستقلالها عن المادة قلنا بخلودها ولكن لا نستطيع ان نتجاوز اكثر من ذلك فان العلم والفلسفة لم يهتديا حتى الآن الى معرفة الحالة التي تكون عليها النفس بعد الموت

ولقد علت جلبة اهل الاستهواء (التنويم المغنطيسي) وازعجوا الانام بحوادثهم العجيبة

فقام بعض العلماء على اثر ذلك يبرهن ان النفس قد تكون مستقلة عن الجسد فتطوف العوالم وترى ما لا يرى وقصوا علينا من هذا القبيل ما لا يكاد العقل يصدقهُ بل وقد راينا باعيننا ولمسنا بايدينا وسمعنا بآذاننا ما فعلهُ المنوّم (دي لا بلانك) بامرأتهِ ليلة نوَّمها في منتدى " بلس " في الكلية السورية الانجيليَّة فانها كانت تقرأ ادق الاعداد البالغة الملايين بكل دقةٍ وهي مغمضة العينين وفي محل يستحيل عليها لو كانت تنظر اليها ان تقرأها

وكانت تعرف افكار الشخص من مجرد لمس يديهِ وتحلّ المعميات حلاًّ فوق طور الفهم البشري. بل وما قولنا في الذين يناجون الارواح وقد اصبحت مسائلهم اشهر من ان تذكر قالوا اليس في كل ذلك دليل على استقلال النفس عن الجسد . ولكنَّ الماديين لم يتركوهم وشأنهم في الميدان بل قاوموهم وفسَّروا لهم حوادثهم بحسب شرائع العقل الطبيعيَّة — من ذلك ان العقل قوَّة مادية كالكهربائية فكما انهُ اذا كان بين قطبين كهربائيين صلة جرت الكهربائية كذلك قد يتماثل عقلان ويتفاعلان فتجري القوة العاقلة من الواحد الى الآخر كما تسير القوة المادية في تلغراف مركوني او بطريقة اخرى لا نفهمها ومسألة الاستهواء لا تزال غامضة لا العقليين النظريين ولا الماديين يفهمونها اعتبر ذلك في ما جاء في المقتطف الاغرّ عن "قبل الولادة وبعد الموت" . ثم انظر الى تفسير بعض العلماء والى ضلالهم فلا تستملك عن ان تغرب من الضحك

***

ولنقف الآن قليلاً لنلتفتَ الى ورائنا لنرى اين كنا — اين كانت نفوسنا ولنا مما تقدم معنا الاختيار في احد ثلاثة

الاول — ان نقول اننا نحن البشر قد اتينا بالصدفة بواسطة النشوء العام واننا لا نفرق عن سائر الحيوان الاَّ بدرجة ارتقاء دماغنا وان بين ارق البشر واحطهم اكثر مما بين احطهم والقرد وان حدوث المادة امر لا يستطيع العقل ان يسلّم بهِ وان الطبيعة سائرة بدون قصد على ان قواها ازلية . وان كلّ شيء مقدَّر بمعنى انهُ حادث لاسباب طبيعيَّة وجدت قبلهُ فلا تداخل لاحدٍ في شؤون الخلائق وعلى هذا ننفي الخلق والخالق ونقول بقدم المادة

والثاني — ان الله موجود ولكن على غير ما نفهمهُ نعم انهُ علة العلل ولكنهُ مضطر في اعمالهِ . خلق المخلوقات اضطراراً وترك الطبيعة تسير حسب نواميس لا تتغير فهو بعيد عن العالمين ولا يتداخل في جزئيات الكون

والثالث — ان الله واحد موجود كامل . خلق المادة بمقتضى ارادتهِ ثم سنّ لها نظاماتها ورتب لها اشكالها . هو واهب الحياة والنفس وان النفس مستقرة في المادة وحافظة علاقتها بها بواسطة قوة الله الواصلة الى كل جزء من اجزاء الكون "وانهُ كما ان المؤثرات الخارجية تؤثر في دماغك فتتولد من ذلك الصور المختلفة هكذا جرثومة الحياة تؤثر في نفس الخالق فيتولد من ذلك النفوس لتسكن الاجسام" وان الانسان مطلق الاختيار حر الارادة خالد النفس وان الطبيعة الادبيَّة لا تكون الاَّ في المستقل عن المادة

بقي امامنا مذهب رابع رأيت القوم يجنحون الى اعتناقهِ وهو مذهب اللاَّدريين وهؤلاء يقولون ان كل ما نراهُ في الطبيعة ماديٌّ يُرجع فيهِ الى الهيولى البسيطة الاجزاء وان وجود الخالق وازليتهُ امران لا يمكن للعقل البشري ان يتصورهما فهم مع انحرافهم الى المادية لا يقرون بأن ذلك المذهب يفسّر لنا اصل الاكوان والمادة بل يقولون كما ورد لسبنسر في "مبادئهِ الاولى" ان المذهب المادي وكل مذهب آخر مناقضات لا يسلم بها العقل

اما العلة الاصلية فيسمونها "المجهول" وهم لا يقولون ان المادة اصل العقل ولا العقل اصل المادة بل يقرّون انهما قوتان من قوى "المجهول" قد تكون الواحدة منهما اصل الاخرى وقد تكونان مستقلتين تمام الاستقلال . فهم يرفضون كل مذهب عما وراء الطبيعة ويقولون انهُ يستحيل ان نعرف الاَّ ما يعلمنا اياهُ الاختبار

هذه هي زبدة الاقوال في منشإنا فالى اين نحن صائرون ؟

قال "مكوش" بعد ان وضع لاستقلال النفس القضايا الآتية

"(١) انا نعرف النفس كشيء موجودٍ لا يتوقف بقاؤُهُ على مدة ادراكنا اياهُ

(٢) انا نعرف النفس كشيء دائم لا يتغير مهما تغيرت الحالات العقلية

(٣) انا نعرف النفس ككائن فاعل بالقوى العاقلة يؤَثر فيها وتؤَثر فيهِ

(٤) انا نعرف ان النفس المدركة غير المادة لانهُ كيفما التفتنا في الكون نرى ان كل ما فيهِ حتى اجسامنا في اختلافٍ شديدٍ عن نفوسنا

(٥) ان العقل يصل الى أوليات لا تدرك الاَّ على طريق البداهة وليس للاختبار من علاقةٍ بها ."

قال "ومن بداته العقل ما يدلنا على خلود النفس واهمها ما يأتي

(١) ان العقل يفرق النفس عن المادة بداهةً فاذا كانت موجودةً فماذا يلاشيها ألا ترى ان العقل لا يقبل ملاشاة شيء ما . خذ القوى من يستطيع ان يلاشي قوةً طبيعيةً او ينقصها . فاذا كان العقل لا يقبل ذلك في الطبيعيات فكيف يجوز لنا ان نقول انهُ يقبل ذلك في القوى العاقلة الموجودة في الانسان

(٢) في العقل ما يدلهُ بداهةً على وجود الشريعة الادبية وعلى انهُ لا بد من عقاب المذنب ولقد رأى الباحثون ان الطبيعة الادبية من اوَّل الادلة على خلود النفس حتى ان الفيلسوف كَنت مع مقاومتهِ لكل برهان حسي قال بصحة هذا وبقوتهِ

(٣) في العقل ما يدلهُ بداهةً على ان كل نفس وما عملت وانهُ لا بدَّ من نتائج

الاعمال التي تأتيها النفس وان العقاب لا يقع على الجسد بل على النفس الجانية

على ان استقلال النفس قد يسوق الى القول بالتناسخ وهو مذهب واضح خطأه اذ يقتضي ان يكون للعقل وجدانات عديدة وهذا مستحيل لان الوجدان صفة لازمة دائمة لا تتغير فالقول بالخلود امر نتوصل اليهِ بداهةً كما نتوصل الى الاوليات الحسابية والهندسية". اه

واذا ثبت ان النفس تبقى بعد الموت فالى اين تذهب ؟ قال بعضهم ان النفس تمتزج بالنفس الشاملة الاكوان كما تمتزج نقطة الماء بالاوقيانوس العظيم وقال بعضهم بل النفس تنتقل من جسم الى جسم وقال الآخرون ان النفس خالدة بمعنى انها تكون مستقلة تعرف نفسها وتدرك وجودها

وليس القائلون بخلود النفس كل العلماء بل منهم من ينكر كل ذلك كما رأينا ويقدمون ادلتهم على استحالة خلود النفس. ويفنّد الواحد منهم آراء الآخر. هذا ما اردت ان أبيّنهُ في هذه المقدمة فان الباحث الحديث لا بد من ان يدهش اعدم اتفاق الفلاسفة — هذا يكذّب ذاك وذاك يفنّد قول هذا ولا حَكَمَ بين القوم لان العقل قاصر عن ان يُرجَعَ اليهِ في ذلك

الخاتمة

كل بحثٍ في ما وراء الطبيعة حدس وتخمين — هذا ارسطو وديكارت وليبنتز ولوك وكنت وهملتون وسبنسر وهكسلي وهكل. من منهم على تضارب آرائهم فسرَّ لنا شيئاً من ذلك. نعم ان اقوالهم في مشاهد الطبيعة اقوال حكمة وصواب ولكنهم نفسهم يقرون بان معرفة ما وراء المشاهد مستحيلة. ولم احاول في هذه المقدمة الوجيزة ان ابسط المبادئ العامة في الفلسفة غير ان الانسان قد يستنتج منها ان الماديين لم يستطيعوا حتى الوقت الحاضر ان يقدموا البراهين المسدّدة على عدم وجود الله وكذلك الالهيون لم يستطيعوا ان يوصلونا اليهِ على طريق المنطق والبرهان بل كل اقوالهم راجعة الى مناجاة الضمير ومناشد الوجدان والى مشاهدة القصد والحكمة في الكون والحرية في الارادة الى غير ذلك مما فنّد لهم مضادوهم كثيراً من اقوالهم فيهِ واني لانصح الباحث ان ينظر الى روح الجيل الذي قام فيهِ احد الفلاسفة قبل ان يحكم على مبدإِهِ فان الفيلسوف تتكيف اميالهُ كما تتكيف اميال كل كاتبٍ بحسب الاحوال والمحيط

ولما كانت الفلسفة لا توصلنا الى شيءٍ ثابتٍ نستند عليهِ فلِمَ نطرح ما ورثنا قبل ان يقدّم لنا ما نبدلهُ بهِ. نعم هذا هو نداه الباحث الطالب الحقيقة. ومما يؤلم انك تسأل احدنا عن عدم اعتقادهِ "بعلة العلل" فيقول ان ذلك قد اصبح خرافةً قديمةً وتسألهُ عن الدين

فيقول الطبيعة الطبيعة وهو لا يفهم شيئاً عن الطبيعة المقدسة ولا يدرك شيئاً من اسرارها. ولست بمعترض على المرتاب المشكك في هذا الوجود الطارح كل ما لا يقبلهُ عقلهُ الباحثُ المخلص. وانما انا معترض على المرتاب لان الارتياب عندهُ من دلائل المهارة — ذلكم الذي اعترض عليهِ — المرتاب المقلّد — آفة العلم والدين معاً

ثم لا بد للباحث من ساعةٍ يقف فيها حيران يسأل عن الله وعن وجودهِ ويتلمس في تيهِ اسرار الوجود فيكتنفهُ الريب وتتكاثف حولهُ الشكوك . من منا اذا قال اني مادي يستطيع ردّ هذا الاعتراض وهو " لنفرض ان في الفضاء شيئين وجدا منذ الازل من غير موجدٍ فكونهما شيئين يقتضي كونهما منفصلين ومن العجيب ان هذين الشيئين تفاعلا في طريقةٍ غير معروفة وحدث بتفاعلهما صور جديدة فكيف كان ذلك ولا شيء بينهما الأ الفضاء والفضاء لا يقل شيئاً فلا يوصل بين امرين ؟ فاذا قيل ان قوى كل منهما كانت تشعّ في الفضاء ثم تلاقت وحدث بتلاقيهما ما حدث قلنا كيف يتصوّر العقل وجود القوة في الفضاء على غير ما يحمل القوة او يظهرها. أليس ذلك تحكماً محضاً واذا قيل ان لا فضاء بل الاثير مالئ كل مكان قلنا ولكن أليس الاثير نفسهُ مادةً فماذا يا ترى بين دقائقهِ يوصل قواها بعضها ببعض "

ومن منا اذا قال اني مؤمن يستطيع ان يفسر لنا معنى الوراثة الصارمة . هؤلاء اولاد لم يأتوا فرياً يرثون السل والسفلس من اجدادهم ثم يورثونها بالدور الى اولادهم ليس للجيل الثالث والرابع بل للعاشر والعشرين فاي قصد في ذلك واي حكمة . قال هكل وهو من مردة المعطلين : —

" اذا تأملنا في حياة الاحياء كلها لا نرى الأ كل ما ينافي السلام . فانهُ حيثما تطلعنا لا نرى الأ الجهاد القاتل والعراك المستمرّ فاين ما تغنّت بهِ الشعراء وما نادت بهِ الانبياء من المحبة والولاء ؟ أهو في ناموس بقاء الاصلح ام تنازع البقاء. أليس حب الذات الدافع الاعظم لكل حي في الكون او ليس كل شيء حادثاً بالانتخاب "

وقال سبنسر " العلم والدين مبدآن يختلفان بعض الاختلاف ولكنهما يتفقان في ان ما وراء الطبيعة لا يدرك "

هذا ما نتوصل اليهِ عن طريق الفلسفة والعلم والفيلسوف الحقيقي ليس بكافر وانما الكافر من نظر الى المسائل نظراً سطحياً ثم ادعى الكفر والانكار متابعةً وتقليداً

المدرسة الكلية السورية الانجيلية ببيروت انيس ا. الخوري

العمل بالعلم

خطبة الاحتفال بمنح الشهادات القانونيَّة لصف المنتهيات في المدرسة الاميركية للبنات في بيروت يوم الاثنين في ٨ تموز (يوليو) ١٩٠٧

١ — تحية وسلام

باحترامٍ أجلو عليكم كلامي   سافرًا عن تحيتي وسلامي

مستهلاً بالحمد لله ربّ ال   كون محيي الوجود باري الانامِ

ودعاءٍ لذي الجلالةِ سلطا   نِ البرايا عبد الحميد السامي

كلُّ قولٍ له مقامٌ ولكن   ذا دعاءٌ مقالُ كلِّ مقامِ

وثناءٍ محدِّث عن شذاء ال   مسكِ طاوٍ حديثَ نشر الخزامِ

مستزادٍ على كرائم قومٍ   ومعادٍ على سراةٍ كرامِ

رحَّب المنتدى بهم واليهم   مدَّ كفَّي حفاوةٍ واحترامِ

شرَّفوهُ فازدان فيهم كجيدٍ   لاح فيهِ عقدٌ بديعُ النظامِ

او سماءٍ يزينها كلُّ شمسٍ   ادركت فيهِ كلَّ بدرٍ تمامِ

او منارٍ في الشرق تقبس منهُ   جالياتُ الشكوك والاوهامِ

شادهُ اهل البرّ معهد إرشا   دٍ وهدى نجاهُ طبق المرامِ

مسبقًا للعلوم تحضيرُ فيهِ   مذكيات الافكار والافهامِ

منهلاً للآداب عذبًا وانَّ ال   منهلَ عذب دائمًا في زحامِ

وردتهُ المئات من فتيات ال   شرقِ يصلين حرَّ نار الأوامِ

راشفاتٍ ما حول النار بردًا   صادراتٍ عن وردهِ بسلامِ

راجعاتٍ من جنة العلم هذي   مفعمات الجيوب والاكمامِ

طالعاتٍ كواكبًا نيراتٍ   في سمائي مصرٍ وارضِ الشامِ

قاشعاتٍ غياهب الجهل ان ال   جهلَ باقٍ يدجو كثيف الظلامِ

فإذًا نحن في احتياجٍ الى شي   ءٍ كثيرٍ من هذه الاجرامِ

ونرجّي انا نشاهدُ ما يَط   لعُ منهنَّ زائدًا كل عامِ

هذه حاجة لنا ان بدأنا ال   سعيَ فيها فزنا بحسن الختامِ

٢ — شكر واعتذار

شرفتني دعوة من لدن هذه المدرسة الزاهرة لأن اخطب على صف المنتهيات في هذا الاجتماع المعقود احتفالاً بمنحهن شهادتها القانونية فشكرت لها من صميم فؤادي إكراماً خصني به على غير اهلية وبلا استحقاق. لاني كما يعلم كثيرون من معارفي هجرت على رغمي الكتابة والخطابة منذ سنوات. وكدت اطلقهما الطلاق البات. فلم يبق لهما في ذهني بعد هذا الهجر الطويل سوى رسم دارس محيل. كأنهُ

"لخولة اطلالٌ ببرقة ثهمدِ تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليدِ"

ولا اكتمكم اني لما بلغتني الدعوة حرتُ بين قبولها والتخلص منها. وتنازعني الاقدام على اجابتها والاحجام عنها. وكدت اختار الثاني على الاول معتذراً عن عدم الطاعة والامتثال. بقصور الهجنة التناوة(١) وعجز جرَّهُ الاهمال ولكنَّ رفض دعوة لطيفة كهذه يكلفني ما عنهُ تقصر همتي ويطلب مني شيمة غير شيمتي هذا فضلاً عن ان طمعي بنيل الاكرام والحصول على شرف الوقوف في هذا المقام سهَّل عليَّ اجابة الطلب. واذكرني غير ناسٍ ان الامتثال من خير الادب

٣ — موضوع الخطبة

وسأقتصر في خطبتي هذه على ما ألفت سماعهُ الآذان ودار على الالسنة من احاديث القوم في مجالسهم ومجتمعاتهم عن تعليم المرأة الشرقية. وأُوجه كلامي على الخصوص الى التلميذات المنتهيات اللواتي اكملن دروسهن القانونية في هذه المدرسة وعزمن على الخروج الى مدرسة العالم الكبرى. فانقل اليهنَّ خلاصة ما يتحدَّث بهِ الرجال والنساء في هذه الايام عن تعليم البنات. راجياً ان وقوفهنَّ على آراء الناس فيهنَّ وما يتوقعونهُ منهنَّ يكون — مع ما تعلمنهُ في هذه المدرسة — اكبر معين لهنَّ على تذليل الصعاب التي تعترضهنَّ في اسفار الحياة اسفاراً كان وجودهنَّ في المدرسة عبارة عن تأهُّبٍ لها واستعداد واعدكم جميعاً أني اتحرَّى في الرواية والنقل تدقيقاً يضمن مجيئهما صحيحين طبق الاصل. باذلاً فيهِ ما بلغهُ جهدي القاصر. وانا براء من تبعتهِ لانَّ ناقل الكفر ليس بكافر

(١) ترك المذاكرة وهجر الدراسة يقال كان فلان من العلماء فاصرت بهِ التناوة

٤ — نهضة تعليم البنات

لا يخفى ان تعليم البنات في الشرق نهضة حديثة العهد نشأت في الربع الاخير من القرن الماضي . وحينئذٍ كان كلام ادبائنا في الحثّ عليها والدعوة اليها نظريًّا محضاً لم يبنوهُ على اختبار محليّ بل على ما قرأوهُ في كتب الافرنج ومجلاتهم وصحفهم عن فوائد تعليم المرأة الغربية ورأوهُ من نتيجتهِ في سيرة بعض نساء الغربيين الذين استوطنوا بلادنا من قناصل ومرسلين وتجّار وغيرهم او على بعض مقالات كتبتها المتعلمات او جمل فرنسوية وانكليزيّة نطقت بها التلميذات . هذا كان كلّ ما استندوا اليهِ في ذلك العهد ولم يتعدّ هذا الحدّ

اما الآن فقد مضى على هذه النهضة مدة ربع قرن او تزيد وخرج من مدارسنا الوف من فتياتنا اللواتي تفرّقن في مشارق الارض ومغاربها وصرن زوجاتٍ ربّات بيوتٍ وامهات مربيات اولاد واصبح الحديث عن تعليم فتاتنا مبنيًّا في الغالب على ما ظهر من نتيجتهِ في امها او خالتها او عمتها او جارتها . فهو اذًا مسوقٌ عن تجربةٍ واختبار ومستندٌ الى ما ثبت بروٴية العين وسماع الأُذن وليس بعد هذا التدقيق في النقل حاجةٌ لمستزيد

٥ — علم وعمل

وقد رأيت بعد البحث الطويل والاختبار الدقيق والقاء السمع المتواصل الى هذا الحديث ان معاشر المتحدثين — رجالاً ونساء — متفقون كلهم او معظمهم على وجوب تعليم الفتاة ولا ينكرون فائدة العلم لها . ولكنهم يطلبون في حديثهم بصوتٍ واحد انها بعد ما تستوفي نصيبها من مدلول ع . ل . م . حسب ترتيبها الوضعيّ تأخذ ايضاً نصيباً كاملاً من مدلول هذه الاحرف عينها بعد تقديم الميم على اللام . اذًا مطلوبهم من تعليم البنات لا يتعدى مدلول هذه الاحرف الثلثة طردًا وابدالاً اي علمٌ وعمل

٦ — حول الموضوع

هذا ما يطلبهُ الذين تتناول أَلسنتهم هذا الموضوع في مجالسهم الخصوصية ومجتمعاتهم العموميّة واكثرهم ان لم اقل كلهم كانوا تلاميذ وتلميذات وتعلموا في المدارس كما يتعلم الآن فتياننا وفتياتنا وقد عرفوا بالاختبار ما كان للعلم المقرون بالعمل من النتائج الحسنة السارّة وما كان للعلم بلا عمل من العواقب الوخيمة المحزنة . فمن معرفتهم واختبارهم اقتبس هاتين الكلمتين — العمل بالعلم — واجعلهما موضوعاً لكلامي . وقبل الدخول في الموضوع اسمحوا لي ان اطوف حولهُ قليلاً وابحث في جدرانهِ عن امرين مهمَّين اولها العمل بلا علم والثاني العلم بلا عمل . وقبل هذا وذاك اقول اني اريد بالعمل كل ما تقوم بهِ الفتاة في بيت ابيها والمرأة في

منزلها من الاعمال والاشغال على وجه العموم والشمول بلا حصر ولا تخصيص . واريد بالعلم كل معرفة صحيحة مفيدة تحصلها الفتاة من دروسها القانونية في المدرسة او تستعين بتلك الدروس على تحصيلها في المستقبل

٧ — العمل بلا علم

هذا النوع من العمل كثير الشيوع بيننا حتى اننا كيفما التفتنا واينما ذهبنا نرى آثاره حيَّة لدينا ناطقة وشواهده متراكضة الينا متسابقة . ففي البيوت والمنازل بل في المجتمعات والمتنزهات نرى فتيات اوانس ونساء عقائل هنَّ حلية المجالس وزينة المنازل لسن في شيء من التراخي والكسل ولهنَّ في العمل همة لا تعرف الملل وعندهنَّ من العزم والنشاط ما يضرب بهِ المثل . ولكنك لسوء الحظ لا تجد في عمل واحدة منهنَّ إحكاماً تطيب له النفس وتقرُّ بهِ العين ولا إتقاناً يدلك على انَّ صاحبتهُ صناعُ اليدين لا ترى في الملابس والزينة والحديث ما تشتاق اليهِ من سلامة الذوق وحسن التناول وصحة الادب . لا ترى في تدبير المنزل وتربية الاولاد ما تقتضيهِ مبادئ الترتيب وقواعد الاقتصاد وشروط النظافة وقوانين الصحة . ولماذا ؟ لانَّ هذه الاعمال كلها تعمل بلا علم . بلا معرفة . نعم انها تعمل برغبةٍ ونشاطٍ ولكنها تعمل ايضاً بجهل والجهل مفسدة الاعمال ومطية التشويش والاختلال وعلة الحزازات والحسرات في قلوب كثيرين من الرجال . تراهم يبسطون اكفَّهم لكل ما تطلبهُ نساؤهم او بناتهم او شقيقاتهم من المال للانفاق على المآكل والملابس والامتعة وغيرها ولا يردُّون لهنَّ سؤالاً من هذا القبيل . ولكنَّ جهل التدبير والاقتصاد وفقدان الاحكام والاتقان وعدم معرفة وضع الشيء في محلهِ — هذه كلها واشباهها — تذهب المال سدى وتحرم الذين عانوا عرق القربة في جمعهِ التمتع بلذة انفاقهِ

وهنا نسأل الى متى يبقى كثير من نسائنا وبناتنا يعملن بلا علم ؟ والجواب اولاً حتى يستنيرَ جميع الآباء والامهات بنور العلم الصحيح ويروا ان الانفاق على تثقيف عقول بناتهم ضروريٌّ كالانفاق على تغذية اجسادهنَّ ثانياً حتى نرى الشبان يؤثرون في اختيار الزوجة تهذيب العقل على جمال الوجه وامتلاء الجيب . اذاً متى صارت بيوتنا كلها مدارس ابتدائيَّة معلموها الآباء والامهات وفضَّل شباننا البنات المتعلمات المتهذبات على الغنيَّات الجميلات الجاهلات نلنا ما نتمنَّاهُ من استنارة عقول نسائنا وبناتنا بضياء العلم والمعرفة والفهم وامحت من بيوتنا آثار العمل بلا علم

٨ — العلم بلا عمل

ترى فتاةً او امرأةً تعمل بلا علم ولا معرفة وتشاهد الاختلال عابثاً بعملها ولاعباً والتشويش آكلاً عليهِ وشارباً فتأسف على ذهاب تعبها سدى وضياع المال المدفوع ثمن ما تعملهُ باطلاً. عند هذا الحد يقف بك التأثر — تحزن وتتأسف. لكنك لا تغتاظ ولا تلوم بل ربما عذرت العاملة لانها عملت برغبة وارادة وهي غير مسؤولة صريحاً عن جهلها الذي افسد عليها عملها او اتلفهُ ولكن ما قولك في فتاة ارسلت الى المدرسة منذ نعومة اظفارها فتعلمت وتهذبت وتدربت على عمل كل ما يطلب منها في مستقبل حياتها ولما خرجت من المدرسة اقتصر عملها على التنطُّع والتبجح بالعلم والترفع عن كل عمل مفيد على الاطلاق. ان تأثرك من فتيات كهذه — وكثيرات ما هنَّ — لا يقف بك عند حد الحزن والاسف بل يتعداهُ الى غيظٍ شديد وحنق ما عليهِ مزيد ويوسع لك مجال اللوم والتنديد

وقد يقول قائل ان فتاة كهذه ليست بعاملة بل هي من منتحلات العلم ومدعياتهِ فاقول لهذا لا ليست بمدعية بل هي عالمة تماماً ولها ما لغيرها من المتعلمات من المعرفة الصحيحة المفيدة ولكنها لم تطلب العلم للاستنارة بهِ والانتفاع من العمل بموجبهِ بل للتباهي باحرازهِ والانتفاخ بمعرفتهِ. واني لا افهم قول الرسول «العلم ينفخ» الاَّ بهذا المعنى اي انهُ يريد العلم العقيم غير المثمر — العلم الفارغ — العلم بلا عمل

ولو سئلت ايُّ المرأتين ايسر على الرجل خطباً واهون شرًّا العاملة بلا علم ام العالمة بلا عمل لاجبت على الفور ان خطبةُ في الاولى ايسر ومصابهُ اصغر اذ لها في عجزها او قصورها او خطإها شفيع هو حسن قصدها وسلامة نيتها لانها تريد اتقان عملها ولا تستطيعهُ. ثم ان جهلها الذي يحول دون هذا الاتقان يقف ايضاً بمطاليبها عند حد الحاجة فقلما تتعداهُ الى شيءٍ من مقتضيات التأنق في الكماليات وبناءً عليهِ تكون مقترحاتها معدودة وخسارة ما تتلفهُ او تفسدهُ محدودة. اما التي تعلم ولا تريد ان تعمل بموجب علمها فمصاب الرجل فيها اعظم واكبر وضررهُ اشدُّ واوفر وخسارتهُ افدح واكثر لانهُ في كل ما تدعو اليهِ الضرورة من الحاجيات ويقضي بهِ حب التأنق من الكماليات يضطر ان ينفق انفاقين انفاقاً معيناً على ثمن الشيءِ وانفاقاً غير محدود على اجرة عملهِ. هذا فضلاً عن ان علم امرأةٍ كهذه يمكنها من توسيع دائرة كمالياتها والتفنن في مطاليبها ومستلزماتها فتشب عن طوق العد ولا تقف عند حد. وكم للرجال في هذا الشأن من شكوى امرّ من الصبر وبلوى احرّ من الجمر وكلها عادلة صادقة اذا سكتوا هم عنها كانت الجبال بها ناطقة

٩ — العمل بالعلم

فاليكنّ ايها المنتهيات أوجهُ الآن كلامي واقول مممّن خلاصة ما يتحدث به الناس عمّن تعمل ولا علم لها ومن تعلم ولا تعمل والشهادات القانونية التي أُقيم هذا الاحتفال لتوزيعها عليكنّ تشهد بعلمكنّ وتخرجكنّ من عداد الجاهلات فلا نخاف ان تكنّ في المستقبل من جملة العاملات بلا علم ولكن يبقى لنا وجه آخر للخوف أهمُّ اعتبارًا وأَخطر شأنًا من الوجه الاول نخاف عليكنّ ان تكنّ (لا سمح الله) من العالمات بلا عمل . وربما كان خوفنا هذا في غير محله — ونرجو ان يكون كذلك — لما نعهده من حرصِ هذه المدرسة على وقايتكن من التعرض لهذا الخطر وما نعلمهُ ايضًا من حسن سيرتكنّ واستعدادكنّ للعمل بما تعلمتنّهُ . ولكن الوسط الذي تخرجن عما قليل اليه لا يخلو لسوء الحظ من عالمات غير عاملات وستكنّ فيه عرضةً لعدوى هذا الداء — داء العلم بلا عمل — من حيث تدرين ولا تدرين . فلا بأس من بعض نصائح تزيدكنّ حصانةً ومناعةً وتعينكنّ على استيفاء شروط الصيانة والتوقي

ومن يقف اماكنّ هذا الموقف ويتوخى في نصحكن الصدق والاخلاص تتشعبُ وجوه النصح لديهِ ويتثالِ القول عليهِ فلا يعرف بأيّة يبدأ ولا سيما اذا كان الوقت ضيقًا والمجال ليس بذي سعة . فيلجأ الى الاختصار جريًا على مقتضى الحال ويعدل عما كان يريدهُ من التفصيل الى ما توجبهُ الضرورة من الاجمال

هكذا افعل الآن واقول ان نصيحتي الوحيدة لكن ايها المنتهيات هي العمل بالعلم . هذا ما يطلبهُ الناس رجالاً ونساءً . على هذا تدور احاديثهم وبهِ تنطلق السنتهم وتنطق شفاههم . لا يطلبونهُ بالحرف ولا يقصدونهُ بالذات ولكن جميع مطاليبهم وكل حاجاتهم مجموعة في العمل بالعلم . يقولون نريد ان نرى في بنات المدارس اهلية حقيقيةً وكفاءةً صحيحةً لان يكنّ فيما بعد ربّات بيوتٍ مدبراتِ منازلهنّ مربياتِ اولادهنّ معينات لازواجهن اي يريدون عاملات بالعلم

يقولون لسنا في حاجة الى تفوقهنّ في العلم والمعرفة ولا الى سبقهنّ في الحكمة والفلسفة او البراعة في اقتباس الازياء والاصطلاحات والعادات او التفرد في التضلع من آداب المحادثات في المجالس والمجتمعات . بل من شاءت منهن تجليةً او سبقًا فليكن في احراز كل فضيلة وعمل ما فيهِ شرف اهلها وعمار بيتها وراحة زوجها وسعادة اولادها اي يريدون عاملات بالعلم

يقولون لسنا في حاجة الى من خطرات النسيم تجرح خديها ولمس الحرير يُدمي بنانها بل

الى من في كفيها من قراع الابر والمقصات وجميع امتعة البيت وآنيتهِ مافي سيوف الابطال من قراع الدارعين في ساحة النزال اي يريدون بنتاً عاملة لعلمها

يقولون لا نحتاج في هذه الايام التي ضرب فيها الغلاء اطنابهُ ورفع الضنك قبابهُ الى من تشدُّ حول عنق رجلها خناق الضيق والعسر وتسدُّ عليهِ باسرافها وتبذيرها طريق الفرج واليسر بل الى من تقنع منهُ باليسير اذا عزَّ الكثير وتعينهُ بالاقتصاد والتدبير على تحويل المعاسير الى مياسير · اي يريدون بنتاً عاملة بعلمها

هذا قليلٌ من كثير مما يطلبونهُ وكلهُ على اختلاف انواعهِ وتعدد وجوهِ من الممكنات الواقعات فلا يطلبون شيئاً مستحيلاً رأوهُ في الحلم او صوَّرهُ لهم الوهم بل مما يشاهدونهُ في كثير من البيوت التي تتولاها ربَّاتٌ حكيماتٌ مدبرات قائمات بهذه الاعمال قياماً يتمنى الناعمون بظلالهِ — وانا والحمد لله واحدٌ منهم — ان يتسع نطاق استعمالهِ ويعمَّ تحدي مثالهِ والجري على منوالهِ

أفتردن ايها المنتهيات ان تكنَّ في عداد اولئك الفضليات وتطلعنَ في سماء البيوت والمنازل شموس فضائل وفواضل ؟ عليكن بالعمل بالعلم · إعملن بما تعلمتنَّ في هذه المدرسة · لا نطالبكنَّ باكثر منهُ لانهُ يكفي وقد يزيد · أذكرن القول "فمن يعرف ان يعمل حسناً ولا يعمل فذلك خطيئةٌ لهُ" واحذرن هذه الخطيئة كل الحذر · راجعن جميع الوصايا التي أُمرتنَّ بحفظها واعملنَ بها وعلمنَ وكنَّ عظيمات في ملكوت السموات . تجنَّدنَ لنصرة الحق والذود عن حرمة الطهر والعفاف. واظهرن شجاعة الابطال وبسالة الصناديد في اعلاء شأن الآداب والفضائل وتطهير الارض من ادران المعاصي والرذائل

للناس عموماً والنساء خصوصاً ولعٌ بالحلى والجواهر. والالماس من اكرم الحلى واغلاها واجمل الجواهر وابهاها · ولهُ صفات خاصة بهِ منها شدة الصلابة وكثرة التألق واللمعان فلتكن كل واحدة منكنَّ الماسة في شدة صلابتها وعدم تأثرها من توالي وقع التجارب ومقارعة الخطوب والمصائب . ومغالبة المتاعب والمصاعب . وسرُّ تألق الماس انهُ لا يمتص كالفحم اشعة النور التي تقع عليهِ بل يعكسها كلها لعين الناظر فلتكن كل منكنَّ الماسة تعكس لعيون الناس ما وقع عليها في هذه المدرسة من اشعة نور العلم الصحيح وضياء الادب الحق إجعلنَ سناء الصدق والامانة والقناعة والصبر والتواضع والوداعة ساطعاً باجمل الانوار وآخذاً بالبصائر والابصار

ثم انَّ الماس — كما لا يخفى عليكنَّ — لا يتألق من نفسهِ في الخفاء ولا يسطع

في الظلام ولا تلمع الاَّ بالظهور في النور . فاذكرنَ هذا ولا تنسينهُ وكما اردتنَّ ان يسطع الماس فضائلكنَّ بنور باهرٍ منقطع النظير اعرضنهُ قبل كل شيء على شمس البر وكوكب الصبح المنير

فرجائي ورجاء جميع الحاضرين هنا انَّ كلاًّ منكنَّ تفارق هذه المدرسة وهي بهديها مهتدية ومن نورها مقتبسة . مصدّقة ما تعلّمتهُ بأطهرِ الخلال وافضل الاعمال ومحققة بذلك آمال النساء واماني الرجال . حتى يراها الاقارب والاباعد وينشدوا فيها بصوتٍ واحد : —

ياحبذا البنت إذ كانت بمدرسةٍ كالزَّهرِ في الروض او كالزُّهرِ في الفلكِ

والآن عنها يقول الناظرون الى آدابها انها ليست سوى ملكِ

شبَّت على طاعة التهذيب عانيةً لما يسوّدها في حضرة الملكِ

عفافها ساطع كالطيب منتشرٌ وطهرها طالعٌ كالبدرِ في الحلكِ

بيروت اسعد داغر

مهد الجنس السامي (1)

ايها السادة والسيدات الكرام . لا اعتذر في موقفي هذا عن اني اتخذت هذا الموضوع دون غيره من بقية المواضيع وهي كثيرة لانهُ موضوع ساقني اليهِ والى البحث فيهِ حرفتي الخصوصية فان من درَّس النحو العربي في المدرسة الكليَّة نحوًا من خمس عشرة سنة متواليات واضطر الى قراءة آداب هذه اللغة سنين عديدة قياماً بفروض حرفتهِ وايفاءً وظيفتهِ حقها لا بدَّ لهُ اذا خيّر من ان يختار الكلام في موضوع شبيهٍ بموضوعي او في ما يقاربهُ . بل اعتدُّ انني وُفّقت في انتقاء الموضوع لا احساناًمني بل حسنةً كانت من السادة والسيدات الذين يسمعون اراد الله ان يكافئهم عليها من حيث لا يشعرون ليعلموا ان جزاء الحسنة لا يضيع عندهُ تعالى . والاَّ فما كان يمنعني وقد تُرك لي ان انتقي الموضوع لنفسي من اني كنت اخذت علم النحو وفائدتهُ وتاريخهُ وتاريخ الذين اشتغلوا بهِ حتى وصل الى ما وصل اليهِ في حالتهِ الحاضرة او علم البيان ومنافعهُ وتاريخ الذين ألفوا فيهِ كذلك . ولو فعلت ذلك فكيف كانت حالتكم ايها الكرام في اثناء هذه المدة التي لا خيار لكم فيها الاَّ ان تسمعوا وتصغوا

(1) خطبة تليت في بيروت يوم ٢٨ حزيران (يونيو) ١٩٠٧ في حفلة مدرسة الفنون الاميركانية السنوية لاعطاء شهاداتها لتلامذتها المنتهين

احتراماً للموقف العلمي الادبي الذي دعاكم الى احياء هذه الليلة الشائقة — الله اعلم ماذا كانت حالتكم! اذن أكدوا ايها السادة والسيدات الكرام انكم مجازون من حسنة او حسنات صدرت منكم فيما سبق وكان الجزاء اني صرفت عن الكلام في اسهل ما يمكنني الكلام فيهِ وفقاً لما تقتضيهِ حرفتي الخصوصية على ما المحت اليهِ

قلت ايها السادة اني اخترت الكلام عن موضوع لهُ مساس بموضوع حرفتي على انهُ مع قربهِ منها بحسب الظاهر فهو بعيد عنها بُعد ما بيننا وبين قلب البلاد العربية مارب او نجران في بلاد اليمن وشبام اوساوى في حضرموت ورياض اوسدوس في نجد اذا قصد الوصول الى هذه الاماكن او بعضها برًّا عن طريق تيماء والحجاز. واي قرب بين النحو والبيان وما اليهما من العلوم العربيَّة من حيث هي علوم آلية وبين مهد الامم السامية ؟ بل البعد عند التحقيق أكثر مما صورناهُ بالبعد المكاني المحسوس . ولو علمتم ايها السادة ما عانيتهُ من البحث والتنقيب في الاونة المتاخرة وما بذلتهُ من الفكرة والسهر ليلاً والاستيقاظ باكرًا الى متابعة درس هذا الموضوع نهارًا لقلتم جادك الله ولرأيتم اني استحق شيئاً من انتباهكم وترجه اصغائكم اليَّ من غير ملل الى ان أكون قد فرغت من تلاوة ما كتبتهُ عليكم . والمرجح عندي اني سأحظى بهذا الفضل والمجاملة منكم

تعلمون ايها السادة ان سوريا وطننا العزيز عموماً وصيدا اقدم مدن هذا الوطن خصوصاً كانت منذ الوف من السنين ولا تزال لحد هذه الساعة تتكلم بفرع من اللغة السامية وبعبارة اخرى كان يقطنها شعب من الجنس السامي يتكلم باللغة السامية . ومثل صيدا صور وعكا وحيفا ويافا وغزة وعسقلان وبيروت وجبيل وطرابلس وارواد وعكار وحمص ودمشق وسائر مدن سوريا الى ان نسل الفرات ودجلة . بل على شواطئهِ هذين النهرين العظيمين قامت اشهر ممالك الازمنة الغابرة مملكتي بابل واشور . وكان الشعب السائد والمسلط حينئذ في كل هذه الاقطار سامياً او يتكلم باللغة السامية . ومن سواحل هذه المدينة اعني صيدا العريقة في القدم ومن سواحل صور العظيمة جلبت جاليات استعمرت سواحل هذا البحر العظيم — البحر المتوسط — شمالاً وجنوباً في اوربا وافريقيا وحملت الى تلك الاصقاع التجارة والصناعة والدين والآداب والعلم وكل ما يحملهُ الغرب الآن الى قلب افريقيا واستراليا وجزائر الباسيفيك ان لم اقل الى قلب اسيا والاصقاع النائية منها . وكل هذه الجاليات كانت سامية او تتكلم باللغة السامية . فمن اين جاءت هذه الشعوب العظيمة القديمة واين كان مهدها الذي نشأت وترعرعت فيهِ الى ان شبت وبلغت وهاجرت واستعمرت . وبعبارة اخرى اين كان المهد الذي نشأنا فيهِ

نحن بقية اولئك الشعوب القديمة العريقة في الدين والتمدن والعلوم والصنائع والمهاجرة والاستعمار وما الى ذلك من ظواهر العز والمنعة والتغلب التي هي من دلائل التفوّق والارتقاء في العقل وايضاً في الهمة والاقدام اللذين ما بعدهما همة ولا اقدام

مضى على العالم قبل تاريخنا المسيحي خمسة وعشرون قرناً وصلت الينا اخبارها كتابةً وآثاراً وما سوى ذلك قرون لا يعلم عددها الاّ الله وليس في العالم المعروف حينئذٍ اعني اوربا وافريقيا والشرق الادنى تجارة الاّ وهي في يد هذا الشعب الذي يتكلم باللغات السامية ولا مهاجرة او استعمار الا والمهاجر والمستعمر جاليات منهُ ولا صناعة ولا زراعة راقية الاّ ان يكون هو الصانع والزارع بل لم تكن صولة الاّ صولتهُ ولا تمدن الا تمدنهُ ولا علم ولا آداب الاّ في شعوبهِ وقبائلهِ كما تشهد آثارهُ الخالدة الباقية الى الآن وستبقى دليلاً على عظمة هذه الامم وشاهداً عدلاً ينطق عنها ويشهد بما كان لها من الحيطة والوصاية والولاية على التمدن القديم فضلاً عن التأثير العظيم الذي أثّرتهُ فيهِ رأساً ومباشرةً ومن بعضهِ ما تركتهُ لنا يد الدهر اثراً بعد اهلهِ في خرائب بابل واشور واليمن وفي مصر ايضاً والشام . واعلمكم ايها السادة والسيدات الذين تسمعون كلامي هذه الليلة من بقايا اولئك الاقوام الذين كان من صفتهم ما قد سمعتم ولا يزال فيكم على ما اعتقد عروق تنبض من همتهم واقدامهم وتفوقهم . أفما يهمكم اذن او على الاقل اما يجتذب سمعكم واصغاءكم الكلام او البحث في المهد الذي نشأ فيهِ آباؤكم الاولون والمواطن الاولى التي تفرقوا منها تجاراً ومستعمرين وغزاةً فاتحين . بلى انهُ يهمكم ذلك والاّ فانتم براءٌ من اولئك الاقوام وبراءٌ مما كان فيهم من الهمة والاقدام واقل ما يقال فيكم انهُ ينقصكم التشوف الى بلوغ بعض ما كان لهم من التفوق والارتقاء في مراقي العز والشرف . ولكن يأبى الله والواقع ان يتوجه اليكم شيءٌ من هذه التهمة الشنعاء فاسمعوني اذن سمع الله لكم وانتبهوا الى سلسلة ابحاثي انتبه اليكم طرف الدهر الراقد بمنهِ وكرمهِ ان شاء الله

لا يسعني الوقت ان اذكر لكم المذاهب التي ذهب الى كلٍّ منها فريق من اكابر علماء الآثار في الوقت الحاضر فاني لو فعلت ذلك لاقتضاني الامر ان اخطب فيهِ سبعة ايام متوالية كل يوم نصف ساعة على الاقل وهذا مما لا تقوون على احتمالهِ ولا اقوى انا ايضاً على القيام بهِ فيما لو اردتهُ . المحت سابقاً الى الشعوب التي تركت ما تركت من الآثار العظيمة في ممالك بابل واشور وان هذه الشعوب كانت تتكلم فرعاً من اللغة الساميَّة واقول هنا ايضاً ان الآثار تدل دلالةً صريحةً أن قد كان في تلك البقعة امم اخرى سبقوهم الى عمارة تلك

البلاد منهم أمة الاكاديين والسومريين وكانت لغة هؤلاء الاقوام السابقين لغةً اخرى بعيدة كل البعد عن اللغة الساميَّة وكذلك كانت عوائدهم واخلاقهم وآدابهم. وهؤلاء الذين تغلبوا عليهم جاؤوا البلاد فاتحين وبنوا على انقاض تمدنهم ذلك التمدن السامي العظيم الباقية آثارهُ الى اليوم . فمن اين جاء هؤلاء الفاتحون . لا يمكن ان يكونوا قد جاؤوا من شرقي الفرات ودجلة ولا من شرقي خليج فارس ولا من شمالي هذه المواضع لاننا لا نعلم ولا هنالك آثار على الاطلاق تدل انهُ كان في تلك الاصقاع المذكورة شعب سامي بل كانت البلاد ولا تزال يسكنها الماديون القدماء والفرس ومن سواهم من امم الاكراد والتركمان او من قاربهم من فصائلهم وشعوبهم . وعليهِ فان هؤلاء الغزاة الفاتحين الساميين او الذين يتكلمون اللغة الساميَّة لم يأتوا الى بلاد ما بين النهرين من الجهات التي ذكرناها

وكذلك يقال انهم لم يأتوها من اسيا الصغرى وشطوط البحر الاسود ولا من البلاد التي تتاخمهما لان لغات اهل هذه الاصقاع واخلاقهم وعوائدهم وآدابهم وتمدنهم بعيدة كل البعد عن لغة واخلاق وعوائد وآداب وتمدن اهل بابل واشور المتكلمين باللغة السامية والناشرين لواء التمدن السامي واخلاق اهلهِ وعوائدهم وآدابهم وانواع دياناتهم. فلم يبقَ لنا اذن الآن الاَّ القول انهم جاؤوا من جهة الجنوب اعني البلاد العربيَّة . فالبلاد العربية هي اذن مواطن الاشوريين والبابليين الاولى والمهد الذي نشأوا فيهِ قبل ان قدموا غزاة وفاتحين الى بلاد ما بين النهرين وهي البلاد التي تركوا لنا فيها آثارهم الخالدة وآداب لغتهم السامية مكتوبة على اوراق من الاجرّ. لغة ما زالت لغة التجارة والادب والعلم والدولة في العراقين والشام ومصر اجيالاً بعد انقراض دولتهم واستيلاء دولة الفرس الاولى على هذه الاصقاع والممالك بل كانت لغتهم هذه لغة لدولة الفرس الرسميَّة حتى في آسيا الصغرى حيث كان للغة اليونانية والآداب اليونانيَّة ما كان من النفوذ والانتشار

اذا حولنا نظرنا عن شعوب ما بين النهرين الى الشعوب او الفصائل التي استعمرت بلادنا هذه من شمالها الى جنوبها ومن غربها على ساحل المتوسط الى بادية السماوة والحجاز رأينا لغة تلك الشعوب عن آخرهم لغة ساميَّة بحتة . اما العمالقة في الجنوب ومن على شاكلتهم من الشعوب المتاخمة العربية فقلما يُشك في انهم جاؤوا راساً من البلاد العربية . والعقل هنا يتفق مع النقل فانَّ مؤرخي العرب اجمعوا عن آخرهم ان عمالقة الشام القدماء جاؤوا اليها عن طريق الحجاز . واما العبرانيون واخوتهم الادوميون وابناء عمهم العمونيون والموابيون فرحلوا الى سوريا في عصر متأخر مما بين النهرين ومثلهم اراميو دمشق ايضاً فانهم وان كانوا قد سبقوا

العبرانيين الى الرحلة والاستيطان في داخلية البلاد لا يخرجون عن انهم مثلهم اي من قح
الساميين ولذلك فمواطن آبائهم الاولى كانت البلاد العربية ومنها رجعوا الى ما بين النهرين
وبعد استيطانهم هناك مدة لا نعلم مقدارها عادوا الى الرحلة فانتهت بهم الى سوريا ولا
شك انهُ كان يضاف اليهم من حين الى آخر شراذم من قلب البلاد العربية ومن شماليها
يرحلون اما تجارًا او على قصد النجعة اولاً فتطيب لهم البلاد ويزمعون على الاقامة فيها . وليس
هذا بالامر المستغرب الذي لا يقبلهُ العقل ولا هو بالنادر الذي لم يسمع بمثلهِ اولم يتكرر
في الايام بل قد تكرَّر مرارًا . ولنا شواهد كثيرة نبدأُ بأقربها الى زماننا الحاضر . من ذلك
ما كان في اوائل عهد المسيحيَّة فان الغسانيين هاجروا الى الشام من اليمن وبعد كثير من الحل
والترحال القوا عصا الاقامة في الشام وحوران واتصلت مواطنهم من هناك الى الفرات شمالاً .
وكان رَحَل من قبلهم ايضاً السلحيون والضجاعمة والتنوخيون والقوا عصا اقامتهم بالشام
وفلسطين شرقي البحر الميت وجنوبيهُ . ومن قبل ذلك في ايام عزرا ونحميا كان جُشَم العربي
يناصر طوبيا العموني وسنبلط الحوراني على اليهود في اورشليم . ومن قبل ذلك في اثناء غزوات
نبوخذنصر ملك بابل كان ارميا النبي يتنبأ عن هلاك قيدار وبني المشرق الامة التي لا
مصاريع ولا عوارض لها وتسكن وحدها . الامة الكثيرة الجمال والماشية المقصوصة الشعر
مستديرًا . اوصاف تدل على ان ارميا النبي كان عارفاً بالعرب كاهل اورشليم او كاهل السلط
في الوقت الحاضر ان لم يكن اكثر منهم . ومن قبل ارميا باجيال في ايام ايليا النبي اهاج
الرب على يهورام ملك يهوذا صهر آخاب ملك اسرائيل روح الفلسطينيين والعرب الذين بجانب
الكوشيين فصعدوا الى يهوذا وافتحوها وسلبوا كل الاموال الموجودة في بيت الملك . وقبل
ذلك ايضاً في ايام سليمان كان شعراء اسرائيل يعرفون خيام قيدار ويشبهون بها في اشعارهم .
بل في ايام شاول كان العمالقة وبنو المشرق متاخمين لاسرائيل . واقدم من ذلك بكثير اعني
في ايام جدعون كان ذبح وصلمناع وغراب وذئب ملكين من ملوك المديانيين والعمالقة وبني
المشرق واميرين من امرائهم . وكان هؤُلاء الاقوام يصعدون بمواشيهم وخيامهم ويجيئون
كالجراد في الكثرة وليس لهم ولجمالهم عدد فيتلفون غلة الارض من حوران فنازلاً كل شرقي
الاردن حتى تجيء الى غزة

بل مخالطة عرب بلاد العرب لسوريا يتصل عهدها بايام ابرهيم وما قبلهُ ايضاً فان
اسمعيل بن ابرهيم سكن بينهم وكذلك اولادهُ من قطورة . وكانت طريق التجارة بين مصر
والعراق من ذلك الحين وما قبلهُ في ايديهم . وحويلة التي يذكرها سفر التكوين في الكلام

عن مواطن الاسماعيليين انما هي على ما ارى بلد ابن الرشيد في جبل شمر المعروفة اليوم بحائل ولا تزال المشابهة بين الاسمين الاسم القديم والاسم الحالي واضحة جدًّا بحيث لا تخفى على متأمل . وقد ذكرت ما ذكرته بيانًا لشدَّة ما كان من المخالطة بين سوريا و بلاد العرب من اقدم الازمنة التاريخيَّة لحد هذه الساعة مما يستدل منهُ على ان العربيَّة ما زالت من اقدم الازمنة المعروفة ترمي بتموُّجات من بنيها حينًا بعد آخر على اطراف سوريا . وانهُ وان يكن معظم شعوبها من الفرع السامي العراقي فقد كان كثير من بنيها ايضًا في ذلك الزمان من الفرع السامي العربي . وارجح ان الرفائيين في عشتاروت قرنايم والزوزيين في هام والايميين في شوى قريتايم والحوريين في جبلهم سعير الى بطمة فاران التي عند البرية والعمالقة في عين مشفاط التي هي قادش والاموريين في حصُّون تامار والعناقيين في حبرون كل هذه الفصائل كانت من الفرع السامي العربي . ولا يستبعد ذلك فان الدولة التي كانت تستولي على مصر في ايام ابرهيم وتعرف بالملوك الرعاة او دولة الهكسوس كانت من الفرع السامي العربي وجاءت مصر عن طريق بلاد العرب . وهؤُلاء القبائل والشعوب الكنعانية كانوا معاصرين لها والارجح انهم جاؤُوا معها وحلوا في سوريا في اثناء الزمان الذي حلَّت فيهِ تلك الدولة بلاد وادي النيل ان لم يكن قبل ذلك " بسبع سنين "

ومن اغرب الاتفاقات التي عثرت عليها ان حبرون او الخليل اليوم على ما ذكرهُ الاستاذ العلامة سايس كانت تسمَّى بلاد خبيري . وابن خلدون يقول نقلاً عن الطبري ما يفهم منهُ ان خبيري هو بطن من بطون عاد وان رئيسهم او احد امرائهم جلهمة ابن خبيري كان في جملة الوفد الذي ارسلهم قوم عاد الى مكة في دولتهم الاولى للاستسقاء لهم وكانوا قد احتبس عنهم المطر ثلاث سنين فجاء الوفد ونزل على معاوية ابن بكر العادي بداعي ان هزيلة اخت معاوية هذا كانت عند نعيم ابن هزال احد الوفد . وبعد ان اقاموا شهرًا في ضيافتهِ انبعثوا ومضوا الى الاستسقاء وتخلف عنهم لقمان ابن عاد ومرثد ابن سعد . فلما رجعوا من الاستسقاء الى معاوية ابن بكر لقيهم خبر مهلك قومهم ومن جملتهم الخلجان ملكهم هلك بالريح فيمن هلك . قالوا كانت الريح من الشدة بحيث تقلع الشجر وترفع البيوت وكانت تدخل ايضًا تحت الرجل فتحملهُ الى الجبال وما زالت كذلك ثمانية ايام حسومًا حتى تقطع القوم وهلكوا عن آخرهم

واذا عارضنا هذا النقل بما ذكرهُ العلامة سايس ترجَّح معنا الحكم ان سكان حبرون الخبيريين هم قبيلة من القبائل العربية الجنوبيَّة رحلوا في جملة من رحل للفتح ايام الدولة العادية

الاولى واحتلوا حبرون وكانوا فيها معاصرين للملوك الرعاة وقد سبقوهم الى الاستيطان والتجارة في تلك الاصقاع [1]

ومثل ذلك في القراءة والدلالة ان لم يكن اغرب وادلّ ان بلد امير هي من بلاد اليمن والمشابهة ظاهرة بين اميريين اي من بلاد امير وبين الاموريين اشهر قبائل كنعان القديمة الذين اورث الله ديارهم ومساكنهم لبني اسرائيل . وكذلك نقول في حورة مدينة كندة القديمة او الحوار مدينة الاصبحيين من حمير فان المشابهة تامة بين المنسوبين الى احد هذين البلدين وبين الحوريين سكان ادوم وجبال الشراة قديمًا قبل ان نزل عليهم عيسو بن اسحق بن ابرهيم الخليل على ان ما ذكرناهُ في شأن الاموريين والحوريين والخبيريين هو على وضوحهِ مبني على الظن فان تكشّفت لنا بلاد اليمن عن كتاباتها بالخط المسند بما يرجح هذه الظنون او يثبتها فيهِ والّا فتبقى اقرب الى القبول من غيرها من الظنون والاقاويل التي عثرنا عليها الى الآن

يبقى علينا من شعوب كنعان الفينيقيون اهل التجارة والاستعمار في العصور الاولى قبل التاريخ المسيحي . الشعب الذي لم يقم مثلهُ في همتهِ ونشاطهِ واقدامهِ وميلهِ الى الرحلة والاستعمار في كل من نعرفهم من الشعوب القديمة بل كل منصف يتردد في تفضيل شعب آخر عليهِ الى الآن وان كان شعب بريطانيا العظمى . وعندي ان بني بريطانيا اهل الاستعمار اليوم واهل التجارة والسؤدد انما يحركهم الى ما يحركهم اليهِ من التوسع في التجارة والاستعمار بقايا ما ورثوهُ من هؤلاء الفينيقيين العظام فانهم اعني الفينيقيين في الراجح استعمروا كثيرًا من بلاد الانكليز واختلطوا باهلها قبل العصر المسيحي . اني اقول ما اقولهُ الآن لا كما يقول المؤرخ او الاثري الثقة بل كما يقول الخطيب على سبيل التهويل لكن في تهويلهِ شيئًا من الصحة والحقيقة او شبه منهما

من اين جاء هذا الشعب العظيم الى سواحل سوريا واين كانت المواطن التي توطنها

(١) جاء في سفر العدد انّ حبرون بنيت قبل صوعن بسبع سنين . فاذا فرضنا وهو المرجح ان قبيلة خبيري العادية كانت من جملة القبائل التي جاءت مع الملوك الرعاة وانها اخذت حبرون دارًا لها فتكون حبرون ضرورة اقدم من صوعن لان صوعن عاصمة الرعاة لم يتخذها هؤلاء عاصمة لهم الا بعد حرب سنين لا تقل عن السبع في الراجح اخضعوا في اثنائها سكان البلاد من حبرون وجنوبي حبرون الى صوعن (هي المطرية بقرب القاهرة على ما اظن) وهذه الاشارة ظاهرٌ دلالتها كل الظهور وتؤيد القول ان الخبيريين سكان حبرون (على ما ذكر العلامة سايس) هم احدى قبائل الملوك الرعاة كما انّ القول في اصل الخبيريين على ما مرّ فيهِ تعليل ظاهر وبرهان واضح على صحة هذه الاشارة التاريخية

هؤلاء التجار المستعمرون قبل ان بنوا صيدون العظيمة وصور ملكة البحار وتاجرة العالم . ان لغتهم من لغة الفرع الارامي اعني لغة الذين شيدوا بابل وارك واكّد وكلنة . ولكنني لا ارجح انهم جاؤوا من بين النهرين من حيث جاء انسباؤهم العبرانيون والعمونيون والموابيون واعني بالنسب هنا النسب في اللغة لا في الآباء . فمن اين جاؤوا اذن . ان اليونان ينقلون عن مواطن الفينيقيين الاولى خبرًا لا نعلم ممن اخذوه ولكنهُ جدير بالقبول وهم يقولون انهم جاؤوا من خليج فارس من بلاد البحرين . وبلاد البحرين على ما تعلمون جزء طبيعي من بلاد العرب . هناك اي في بلاد العرب كانوا اولاً . وفي بلاد البحرين على شواطىء خليج العجم من القطيف الى شرجة وراس مصندم حيث جزيرتا كشم واورمز كانت مساكنهم الاولى . وارجح انهم ارتحلوا من هناك اولاً الى صور وصيَد في عمان واليمن . ولولا مخافة ان يقال اشتط هذا في رأيهِ لقلت ان القوم غزوا في ارضهم . غزاهم احد الملوك الاقدمين كما غزاهم بختنصر من بعد في بلاد الشام واشتدت عليهم وطأتهُ ووطأة دولتهِ من بعدهِ فهاجروا فرقة بعد اخرى فمنهم من هاجر الى صور في بلاد عمان ومنهم الى صيَد في جنوبي اليمن بين زبيدة ومخا كما مرَّ ثم من هناك الى الدلتا في مصر اذا صح ما يقال ان في الدلتا آثارًا منهم . ثم من هناك الى شطوط فينيقية . والذي اراه بناء على ما ذكرت ان صيدون تصغير صيَد باللغة الارامية او نسبة اليها فان كان الاشتقاق من التصغير فهم سمّوا مدينتهم بهذا الاسم اي سموا البلد الذي نزلوهُ اولاً باسم البلد الذي كانوا فيهِ وفرَّقوا بينهما بالتصغير طبقاً للواقع لان البلدة التي بنوها كانت اصغر من التي هاجروا منها . وان كان الاسم من النسبة فالتسمية من القوم الذين نزلوا بينهم كما يسمّى من هاجر صيدا الى قرية من قرى مرج عيون او لبنان مثلاً بالصيداوي وهو معروف شائع من الوف سنين الى الآن . فان قيل ولمَ زعمت انهم هاجروا اولاً الى عمان وجنوبي اليمن قلت لانهُ لا يزال في بلاد عمان اسم صور ولا يزال في جنوبي اليمن شمالي باب المندب اسم صيَد لبلدٍ ووادٍ وجبلٍ ونقيلٍ (اي طريق عسر تكاد لا تسلكهُ الدواب) ولا يزال قومٌ يعرفون بالصيَد اي من اهل صيَد متفرقين في غير مكان من بلاد اليمن . وهذه الاسماء عريقة في القدم مثل كل اسماء البلاد العربية ولا يخبرنا التاريخ ولا التقليد ان أهل هذه الاماكن رحلوا اليها من بلاد اخرى بخلاف صور وصيدا في فينيقية فانا نعرف من التقليد المتواتر ان لم نقل من التاريخ ان اهل صور وصيدا جاؤوا اليهما من البلاد العربية . والذي نعرف عن العرب (وعن غيرهم من الامم ايضاً) انهم اذا استجدّوا دارًا وعمّروا فيها مدنًا سموا تلك المدن باسماء مدنهم الاولى التي كانوا فيها . ولا يزال كثيرٌ من مدن اسبانيا

التي استجدها العرب شاهداً على ماذكر فانهم سموها باسماء مدن الشام التي كانوا فيها اولاً

فان قيل ان لغة الفينيقيين هي من الفرع الآرامي فكيف مع هذا رجحت انهم جاؤوا من بلاد العرب . قلت ان مواطنهم الاولى كانت في البحرين على الخليج الفارسي . وهذه المواطن كانت ابداً يتنازعها الفرعان الساميان العربي الى الجنوب والغرب والآرامي الى الشمال واكثر ما كان النفوذ الغالب فيها النفوذ الآرامي . ومن المتواتر على لسان العرب ان اهل البحرين نبط استعربوا . ويؤخذ من هذا انهم كانوا يعلمون ان النبطية اي الآرامية كانت الغالبة في الازمنة الاولى على ارض البحرين . وفي هذا تعليل مقبول على ان اهل صور وصيدا هاجروا من بلاد العرب وكانت مع ذلك لغتهم من الفرع الآرامي

بقي علينا الاحباش على العدوة الثانية من البحر الاحمر فان فريقاً منهم يتكلمون لغة هي اقرب اللهجات السامية الى اللهجة العربية وهم الغالا (على ما ارجح) وفريق آخر وهم الامهريون يتكلمون لغة تداخلت فيها اللغة السامية ولكن كثرتها لغة الاقوام الاصلية وهي لغة حامية محضة حتى غلبت عليها فلا يظهر فيها العرق السامي الا بعد الرويّة وامعان النظر . واذا نظرنا الى اولئك الذين يتكلمون الحبشية العربية رأيناهم قلائل عدداً بالنسبة الى الامهريين وبالنسبة ايضاً الى بقية امم الحبشة وافريقيا الذين هم من اصل حامي . ولا يعلل ذلك تعليلاً يقبلهُ العقل الا بان العرب في زمن بعيد جداً نزحت منهم نازحة كثيرة العدد فحفظت لذلك لغتها عن ان تتغلب عليها لغة الحاميين الافريقية . لكن نشط من هذه النازحة ناشط او جاء هذا الناشط من البلاد العربية رأساً فسكن بلاد الاماهرة وكان لهُ عليهم الغلبة والسؤدد لارتقائهِ في سلم المدنيَّة ثم امتزج مع الاهلين على عادة الساميين . ولقلة عددهم كثرهُ القوم فغرقت لذلك لغتهُ وملامحهُ في لغة الاماهرة وملامحهم حتى لا يكاد يبين . ومثل ذلك يقال في لغة مصر القديمة فان اهل الثقة من علماء اللغات يرون في لغة وادي النيل عروقاً او تكييفات احدثتها مقاناة او ممازجة من اللغة السامية فيها ولا يُعلَّل ذلك الا بان هذا الجنس ممثل المدنيَّة الاولى في العالم كانت لهُ غلبة يوماً على مصر وهذه الغلبة في الراجح اقدم من غلبة دولة الرعاة بكثير . ثم تلا هذه الغلبة غلبات . منها غلبة الهكسوس المعروفة في التاريخ والناطقة بها آثار مصر . ومؤرخو العرب مع اختلاط اخبارهم وكثرة التشويش فيها يشف كلامهم وتقولهم عن غير غلبة للعرب على بلاد الفراعنة . من ذلك غلبة او غلبات في ايام الدولة العاديَّة وغلبة في ايام الدولة الحميريَّة او السبائيَّة او اليوبيَّة

وخلاصة القول ان اللغة الساميَّة المنتشرة كانت ببلاد العرب مهدها الاول الذي نشأت فيهِ

قبل الفتح الاسلامي بين الفراتين وخليج العجم شرقاً وشمالاً والنيل والبحر المتوسط غرباً وبحر العرب جنوباً مع ما يلحق بذلك من شواطئ شمالي افريقية . فبلاد العرب هي اذن مهد الجنس السامي ومنشأ المدنية الاولى ولا يزال فيها على رغم ظواهر الانحطاط والتأخر البادية عليها كل مقوّمات تلك المدنية ولا يمنع من ظهورها الأ ضغط عليها من الخارج لا يلبث ان يزول عنها حتى تسطع شعلتها للمرّة الثالثة كما سطعت المرة الثانية ايام الفتوحات الاسلاميّة

جبر ضومط

بابُ تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم اهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

مبادئ اولية في تدبير المنزل

ربّات البيوت على درجات كثيرة من حيث المقدرة الماليّة اي من حيث دخلهنّ او دخل ازواجهنّ وما يستطعنَ انفاقهُ على بيوتهنّ ولكن يُطلب منهنّ كلهنّ ان يقتصدنَ في النفقات ولا ينفقنَ الاَّ ما لا بدَّ من انفاقهِ . وان ينفقنهُ في خير السبل المؤدّية الى النفع منهُ. فانهنّ اذا تعلمنَ ذلك بقينَ في سعة بالنسبة الى حالهنّ

ومن اول واجبات ربة البيت تدبير الطعام لزوجها واولادها إمَّا بنفسها او بواسطة الخدم . ولا تعفى من ذلك ولو كانت زوجة امير او وزير كبير . ولا يراد بتدبير الطعام مجرَّد طبخهِ بل الاهتمام بهِ من كل وجه حتى يكون هو الطعام اللازم المناسب والاَّ بذَّرت مال زوجها تبذيراً . فاذا اشترت او سمحت للخدم ان يشتروا اطعمة فاسدة او غير لازمة واذا اعدت الاطعمة بالطبخ ونحوهِ اعداداً يتلفها او يجعلها غير صالحة للغذاء او مكروهة الطعم او تركت الخدم يفعلون ذلك فتكون قد اتلفت مال زوجها

اذا كانت ربّة البيت في سعة وكان عندها خدم يشترون مواد الطعام و يعدونها وجب عليها ان تأمرهم بما يشترونهُ في الصباح قبل الفطور . وعليها ان ترى بنفسها ما في البيت من الاطعمة البائتة من اليوم السابق سواء كانت مطبوخة او غير مطبوخة حتى لا يضيع منها شيء

بالاستغناء عنهُ ثم تأمر الخادم او الخادمة بشترى ما تدعو الحاجة اليهِ وما يناسب الوقت والفصل من الطعام ناظرة الى الغاية المقصودة منهُ وهي تغذية الجسم ويحسن بها بل يجب عليها ان تكتب كل ما تطلبهُ من الخادم كتابةً حتى تسلم من الغلط · ثم تنقل ذلك الى دفترها الخصوصي الذي تكتب فيهِ مصروف البيت

المشترى نقداً اوفر من المشترى ديناً فلتبذل ربة البيت جهدها لتشتري كل شيء بالنقد. واذا صعب عليها مشترى بعض الاشياء نقداً ولم تجد ضرراً من تأجيل الثمن ولا خوفاً من الغلط كما في مشترى الخبز فلا بأس بدفع الثمن كل اسبوع او كل شهر ولكن لا يناسب ان نتأخر اكثر من ذلك

مهما كان الخادم اميناً لا يسلم احياناً من الخطإ فعلى ربة البيت ان تنظر في ما يشتريهِ كل يوم حالما يحضرهُ الى البيت فترى هل هو الشيء المطلوب تماماً · هل اللحم جيد ويصلح للطعام الذي يراد طبخهُ وهل الخضر جيدة وتصلح لما يطلب طبخهُ بها وهل الاثمار جيدة جديدة ناضجة ثم تزن كل شيء لكي تأمن الغش والغلط · ومتى رأى الخادم ان ربة البيت تدقق هذا التدقيق صار هو يدقق مثلها واما اذا رآها لا تدقق معهُ اهمل هو ايضاً او تواطأ مع الجزار وبائع الخضر والاثمار وسرق البيت الذي هو في خدمتهِ

وعلى ربة البيت ايضاً ان تسأل جيرانها عن ثمن مواد الطعام من يوم الى يوم ويحسن بها ان تنزل الى السوق وتسأل عن الاثمان وقتاً بعد آخر اذا لم تشترِ مواد الطعام بنفسها لكي لا يبقى سبيل للخادم الى ان يغشها في الثمن او لكي ينتبه هو فلا يغشهُ البائع · ويجب عليها ان تسأل عن الاسعار قبلما تشتري او قبلما توصي الخادم بالمشترى لان اسعار بعض الاشياء ترتفع احياناً ارتفاعاً فاحشاً وهذا خاص بالخضر والفاكهة اذا طلبت في غير ابّانها وربة البيت الحكيمة لا تشتري رطل الباميا بقرشين وهي تعلم انها تشتريهِ بعد يومين بقرش واحد

ثم عليها ان تعرف مقدار ما يأكلهُ اهل بيتها حتى لا تطبخ لهم ما يزيد على ما يأكلونهُ كثيراً · ويعرف ذلك بالاختبار والانتباه

اختيار اللحم

يظن البعض ان لحم الخروف الصغير السن (الحمل) اطيب وانفع من لحم الخروف البالغ . وهذا خطأ فان لحم الخروف البالغ اطيب من لحم الحمل بشرط ان يكون سميناً لا نحيفاً · ولا

يكون لحم الخروف على اجوده الا اذا كان عمره ُ اربع سنوات او خمس سنوات ولكن الجزارين يذبحون الغنم وهي ابنة سنتين او ثلاث على الاكثر . اما الخروف الصغير فاذا كان سميناً فالغالب ان يطبخ كلّه ُ دفعةً واحدةً على الاسلوب الجاري في القطر المصري وهو حينئذٍ من المآكل اللذيذة المغذية ولكن لا يكون ذلك الا في الولائم او في العيال الكبيرة

ولحم البقر يتلو لحم الضأن ويفضله ُ البعض على لحم الضأن ويجب ان يكون عمر الثيران حينما تذبح خمس سنوات او ست سنوات حتى يكون لحمها على اجوده وان يكون مسمَّنًا ولحمها حينئذٍ احمر فاتح تخالله ُ طبقات من الدهن الابيض او الاصفر ويجب ان يكون شحمها ابيض ناصع البياض واذا كانت الثيران هزيلة فلحمها غير جيد ولا يحسن اكله ُ لانهُ يكون قاسياً رديء الطعم الاّ اذا كان كثير الدهن . والثيران الفحول الكبيرة لحمها اسمر اللون خشن قليل الدهن رديء الطعم والرائحة لا يصلح اكلهُ . والعجول الصغيرة لحمها افتح من لحم العجول الكبيرة واقل منهُ غذاء ولو كان الين منهُ

السمك في الطعام

السمك طعام مغذٍ طيب الطعم والغالب ان يكون من ارخص الاطعمة في الاماكن الكثيرة السمك . واعدادهُ سهل سواء قلي قلياً او سلق او شوي او طبخ في الفرن مع قليل من الزيت والطماطم والبطاطس . ولا بدَّ من ان يكون السمك جديدًا لانهُ اذا قدم حلَّ فيهِ الفساد وصار اكلهُ ضارًّا ويعرف كونهُ جديدًا من عينيهِ وخياشيمهِ فعينا السمكة الجديدة تكونان صافيتين لامعتين وعينا السمكة القديمة تكونان مغبرَّتين غير صافيتين وخياشيم السمك الجديد تكون حمراء زاهية وخياشيم السمك القديم تكون فاتحة او ضاربة الى السواد . وكذلك السمك الجديد يكون صلباً اذا ضغطت عليهِ باصبعك واما السمك القديم فاذا اضغطت عليهِ باصبعك تجدهُ ليناً . ورائحة السمك القديم تدلُّ على انهُ اخذ ينتن . والسمكة التي رأسها صغير اجود من السمكة التي رأسها كبير اذا كانتا من نوع واحد

ومهما كان نوع السمك فلا بدَّ من تنظيفهِ حالاً بعدما تشتريهِ وذلك بان تنزع حراشفهُ (فلوسهُ) وتقطع زعانفهُ وتشقهُ من بطنهِ شقًّا صغيرًا على قدر الامكان وتخرج مرارتهُ من غير ان تمزقها وتخرج مصرانهُ وسائر امعائهِ الأكبدهُ فانها تحسن ان تبقى فيهِ وكذلك يجب ابقاء البطرخ (اي بيض السمك) اذا كان فيهِ بطرخ . واذا اردت ان تقلوهُ وهو الغالب فلا بدَّ من ان تملحهُ وتتركهُ مدة والتمليح ضروري للسمك النهري وللسمك غير الجديد لكي يشتد

ولا يتفتت واما السمك البحري الجديد فيمكن ان يقلى او يشوى من غير تمليح الاّ اذا فضل طعمهُ مملحاً . ونريد بالسمك البحري ما يصاد من البحر المالح

واجود ما يقلى بهِ السمك زيت الزيتون النقي ولا بدَّ من مقدار كبير من الزيت حتى يغمر السمك في المقلاة والاّ لم يكن قليهُ جيداً وهذا المقدار من الزيت غالي الثمن فلا يحسن طرحهُ بعد قلي السمك فيهِ بل يمكن صبهُ في زجاجة وحفظهُ الى وقت آخر فيقلى السمك فيهِ ثانية وثالثة

ولا بدَّ من ان تكون المقلاة نظيفة جداً حتى يخرج السمك احمر غير محروق ولا مسودّ وحتى يبقى الزيت نقياً ما امكن

قراءة الروايات

من الروايات ما قراءتهُ مفيدة جداً وهو القليل ومنها ما قراءتهُ كثيرة الضرر وهو الغالب واكثر الروايات التي ترجمت الى العربية من النوع الثاني ولذلك كان الضرر من قراءة الروايات اكثر من النفع وهذا لا ينحصر في الروايات العربيَّة سواءٌ كانت موضوعة او مترجمة بل يتناول الروايات الافرنجية على انواعها فلا تجد رواية تفيد قراءتها حتى تجد عشر روايات تضرُّ قراءتها

وضرر الروايات من وجهين الوجه الواحد ان تكون آداب الرواية نفسها منحطة او تكون مما يهيج العواطف ويقوي الميل الى الشهوات وهذا كثير في الروايات الفرنسوية بنوع عام ولو كان بعضها خالياً منهُ وهذه الروايات يجب الامتناع عن قراءتها مطلقاً . ولا يليق بوالد او والدة ان يدعا اولادهما يقرأون رواية من غير ان يكونا قد قرآها وعرفا ان لا ضرر من قراءتها او يكون احد اصدقائهما قد قرأها وأكّد لهما ان قراءتها خالية من الضرر وفيها نفع يساوي ما ينقضي من الوقت في قراءتها

ثم اذا كانت الرواية خالية من كل ما تضرُّ قراءتهُ يبقى من قراءتها ضرر آخر اذا قُرئت بسرعة من غير تدقيق في معانيها . لان القراءة لمجرد التسلية يضيع بها الوقت سدًى وتضعف بها الذاكرة او قوة الحفظ

فاذا كانت الرواية من الروايات النافعة الحسنة الانشاء المتضمنة لمعانٍ جليلة من قلم كاتب مشهور بحسن انشائهِ وسداد آرائهِ وكانت مسبوكة في قالب يُرغّب في القراءة فمن قراءتها فائدة كبيرة ويحسن حينئذٍ ان تقرأ بامعان وتعاد قراءتها مرة ثانية وثالثة . ويلتذ القارئ بقراءتها المرة الثانية اكثر مما التذَّ بقراءتها المرة الاولى وكذلك قد يلتذ بقراءتها ثالثة ورابعة وترسخ عباراتها المحكمة في نفسهِ فيصير يذكرها ويتمثل بها

ولا شبهة في ان قراءة رواية واحدة من هذا القبيل قد تؤَثر في تهذيب الاخلاق اكثر من قراءة كثير من الكتب الادبية وكثيرًا ما يحصل الانسان على ملكة الانشاء الصحيح من قراءة رواية ادبية حسنة السبك وتكريرها بالقراءة حتى يصير اسلوبها ملكة فيهِ

ويسرُّنا ان كثيرين من اهل العلم والفضل الذين قرأُوا الروايتين اللتين انشأناها ونشرناهما في المقتطف في العام الماضي والذي قبلهُ شهدوا لهما بهذه المزايا فان كانت شهادتهما في محلها فقد وافقت ما قصدناهُ وهو نشر بعض المبادىء الادبية والاجتماعية في صورة رواية فكاهية حسنة العبارة . لكن الفائدة المقصودة منهما لا تنال تمامًا الا اذا كرَّر القارىء قراءتهما

أُترك ولدك وراقبهُ

جرى لنا حديث في هذه الاثناء مع احد نظار المدارس الكبيرة وهو من المشهورين بحسن ادارتهم وتربيتهم لاولادهم وسألناهُ عن كيفية جريهِ في تربية اولادهِ فقصَّ علينا فصولاً كثيرة يستنتج منها كلها انهُ كان يترك اولادهُ من غير ان يساعدهم مساعدة لا يساعد بها غيرهم مثال ذلك ان احد اولادهِ كان انجب اترابهِ او اولاد فرقتهِ كلهم ودخل الامتحان معهم فسقط في علم واحد بنصف علامة لا غير مع انهُ كان امهر من كثيرين غيرهِ من اولاد فرقتهِ في ذلك العلم . وانتظر الجميع حينئذٍ ان اباهُ يستخدم سلطتهُ لتخليصهِ لا سيما وانهُ كان يستطيع ان يذكر لسقوطهِ سببًا مقبولاً اما هو فلم يفعل ذلك بل ترك ابنهُ يراجع دروس سنة كاملة بسبب غلطة واحدة وكان هذا شأنهُ في كل تربيتهِ وتعليمهِ فانهُ تركهُ يعتمد على نفسهِ كأَن لا والد لهُ . فاعتمد الولد على نفسهِ وشبَّ مقتدرًا جسدًا وعقلاً كامل الآداب يفتخر بهِ كل والد . وعلى الضد من ذلك جرى والد آخر فساعد ابنهُ في كل شيء لكي يخلصهُ من المتاعب التي اصابتهُ هو في حداثتهِ (اي اصابت الوالد) فجاء الولد على ضد ما اراد ابوهُ من كل وجه

ويكاد هذا الامر يكون عامًّا اي ان الاولاد الذين يتركهم والدوهم لانفسهم ويكتفون بمراقبتهم ينجحون اكثر من الاولاد الذين يساعدهم والدوهم في كل شيء

ومن هذا القبيل ترك الثروة للاولاد فان الولد الذي يرسخ في ذهنهِ ان والديهِ سيتركان لهُ ثروة كافية لمعيشتهِ يشبُّ على الكسل والاسراف واما الولد الذي يرسخ في اذنيهِ ان والديهِ قد لا يتركان لهُ شيئًا او قد يضطران الى مساعدتهِ فيعتمد على نفسهِ ويفتش عن سبل النجاح فيجدها . وهذا يؤيد ما قالهُ احد الكتَّاب وهو ان الوالدين اللذين ينكران نفسيهما لاجل

اولادها ينشأ اولادها محبين لانفسهم والوالدين اللذين يحبان نفسيهما ولا ينكرانهما لاجل اولادها يشبُّ اولادها معتمدين على انفسهم ومنكريها لاجل والديهم

حشرات البيت

حشرات البيت كثيرة كالجرذان والفيران والذبان والصراصير والبراغيث والبق والنمل والبعوض . وكلها مما يمكن التخلص منهُ بالنظافة واحكام مرتفقات البيت لان هذه الحشرات لا تتولد ولا تكثر الا حيث تجد لها طعاماً والاقذار طعامها في الغالب فاذا كان البيت نظيفاً تمام النظافة وكانت مرافقهُ محكمة كلها ولم يكن فيهِ شقوق وثقوب تأتي منها الجرذان والفيران والصراصير والنمل ولا ماء راكد يتولد فيهِ البعوض سلم من كل الحشرات الا ما يأتيهِ من الخارج كالذبان التي تتولد في ما يلقى حول البيت من الزبل ولذلك تجد المدن الاوربية التامة النظافة خالية من الحشرات وها نحن في مدينة من هذه المدن وقد مضى علينا ايام فيها ولم نرَ حشرة واحدة لا ذبابة ولا بعوضة ولا نملة ولا برغوثاً ولا بقة ولا صرصوراً على الاطلاق

لا عار في العمل

يظن البعض ان تعاطي النساء لبعض الاعمال عار عليهن وعلى ذويهنَّ حتى انهم يعيبون على النساء صناعة التعليم وهي اشرف الاعمال . ولكن من يمعن نظرهُ في احوال النساء في بلادنا يجد ان اكثر نساء الفلاحين يساعدن رجالهنَّ في كل اعمال الزراعة وقد يقع عليهنَّ الجانب الاكبر منها . وان كثيرات من نساء الاعيان حتى من الاميرات يهتممنَ بأعمالهنَّ وادارة اطيانهنَّ مثل رجالهنَّ . وهذا الامر شائع في كل مكان فقد قرأنا الآن ان سيدة انكليزية وهي لادي اوكلند زوجة لورد اوكلند اشتغل زوجها بالبورصة فخسر كل امواله وكان دخلهُ السنوي من املاكهِ نحو عشرين الف جنيه فأصبح لا يملك شيئاً فقامت وباعت جواهرها وانشأت محلاً تجارياً لبناء البيوت وتزيينها ووضع الاثاث فيها وهي ذات ذوق مشهور في تزيين البيوت وترتيب الاثاث فيها فاستخدمت ذوقها هذا صناعة تعيش بها هي وزوجها واولادها ويقول البعض انها ستنجح وتردُّ ثروتها التي فقدها زوجها

وكثيرات من نساء الانكليز الشريفات سبقنها في تعاطي الاعمال فالدوقة ابركورن معمل للزبدة وللادي اسكس مغسل لغسل الثياب وللادي دَ ف غردون مكان لعمل الثياب . وللادي راحيل بنغ ابنة لورد سترافرد دكان لبيع محبوكات الابرة . وللادي ايلين وندهام

كوبن مزرعة يزرع فيها البنفسج وابنة لورد ولسلي رئيسة مدرسة لتعليم زراعة الجنائن· وابنة اخي لورد دورمر تصنع البرانيط

وبعض اشراف الانكليز يتعاطون الاعمال ايضاً فلارل هروك شركة في معمل لعمل السكاير وللورد روسلين شركة في معمل لعمل الطيوب ولورد هرنجتون كان يبيع الاثمار في شارع تشارنغ كروس والعمل شريف مهما كان وهو شرف للعامل



السكر والكحول في التغذية

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين

اطلعت على مقالتكم الاشربة الروحيَّة المدرجة في الجزء السادس من المقتطف الذي صدر في الشهر الفائت فرأيتكم كعادتكم في كل المسائل العلمية تجثون دائماً عن الحقيقة ولا تبدون رأياً الاَّ وانتم على يقين من صحتهِ ورأيكم في الكحول حقيقة يجب ان يرجع اليها كما دعت الحاجة الى استعمالهِ· على انهُ لابد من سبب جوهري لانتشار شرب المشروبات الكحولية في اقطار العالم وخصوصاً في الاقاليم الباردة لان فعل المسكر لا يكفي وحدهُ لتعليل ذلك اذ اكثر الناس يشربون الخمور وغيرها من المشروبات الروحية لا للتعلل بها فقط بل لفائدة يتوخونها منها . وعلى ما ارى ان الوهم المستولي على الافكار وهو ان الكحول غذاء توفيري ومولّد للحرارة هو اكبر داع لتعميمهِ وانتشارهِ فلولم ينسب اليهِ العلم خاصة الغذاء التوفيري لما كان الناس يكثرون لهُ كثيرًا او لو لم يكن لهُ الاَّ خاصة توليد الحرارة لانحصر استعمالهُ بدون شك في نطاق ضيق· فلا غرابة اذًا من اقبال الجمهور على استعمال الاشربة الروحية لرسوخ الاعتقاد بكونها اغذية توفيريَّة ومن كان ذا ميل اليها يتخذ ما يعتقدهُ من فائدتها ذريعة للتعلل بها فيسوقهُ التعلل الى الادمان وهذا الى الموت العاجل

وقد قام الجدل على هذه المسئلة وثارت لها خواطر العلماء ودرسها جلة منهم درساً خاصاً والَّف بعضهم مجلدات فيها فثبت لهم بعد الامتحانات العديدة في الانسان والحيوان فساد الزعم السابق وتحققوا ان ليس للكحول خاصة غذائية ولا هو من مولدات الحرارة ودرسوا

خصائص السكر من هذا القبيل للمقابلة بين الاثنين وهانذا مورد للقراء خلاصة ابحاثهم

السكر

تقسم الاغذية باعتبار تركيبها الكيماوي الى نوعين نيتروجينية وقاعدتها اللحم وهيدرو كربونية وقاعدتها النشا وينسب للاولى خاصة تكوين دقائق الجسم وللثانية خاصة توليد الحرارة

للسكر المقام الاول بين الاغذية المولدة للحرارة وهو ايضاً غذاء توفيري لانهُ يوفر المادة النيتروجينية ويخزنها في الجسم فتنصرف الى التكوين. وبيان ذلك ان النيتروجين يبرز مع البول والكمية المبرزة تزيد بزيادة العمل العضلي فاذا فحصنا بول رجل بعد شغل عنيف وجدنا كمية النيتروجين فيهِ كبيرة ثم اذا اضفنا الى طعامهِ سكراً وعمل العمل نفسهُ وفحصنا بولهُ وجدنا كمية النيتروجين قد نقصت عمَّا كانت عليهِ اولاً وذلك لان السكر وفَّر قسماً من النيتروجين وخزَّنهُ في الجسم ليساعد على تكوينهِ وعليهِ اذا كانت كمية النيتروجين في الطعام ناقصة عن المعدل اللازم للتغذية فالسكر يعوض عن النقصان بمنع الخسارة. وقد اتضح من الامتحانات التي اجريت في الحيوانات ان ١٧٦ غراماً من السكر تقوم مقام ٧٣٠ غراماً من اللحم فالسكر اذاً ليس من نوافل الطعام بل هو غذاءٌ من افضل الاغذية ولهُ المقام الاول بين الاغذية التوفيرية والمولدة للحرارة. والقانون الذي سنتهُ الحكومات لتخفيض ثمنهِ كان غاية في حسن الوقع لانهُ ساعد على زيادة مقطوعيتهِ. ففي السنة الاولى من العمل بهذا القانون زادت المقطوعية من ٥٤٩٦٥٣ طناً الى ٥٩٤٤١٨ طناً وقد احصيت المقطوعية الشخصية سنة ١٨٩٦ فكانت ٣٠ غراماً في انكلترا و ١٩ في الدانمارك و ١٢ في فرانسا والمانيا و ٩ في البلجيك و ٥ في روسيا ويعوض عن نقص معدلهِ في المانيا بزيادة شرب البيرا لانها تحتوي على مادة سكرية. واستنتج بعضهم من ذلك ان زيادة المقطوعية هي سبب افضلية جنس الانكلوساكسون ونقصانها هو سبب تقهقر الروس على ان ذلك لا يخلو من النظر

وقد اتضح بالتجربة والمراقبة ان الجنود والذين يصعدون في الجو بالبلون والصيادين تزيد استطاعتهم على احتمال التعب باستعمال السكر وتنتهك قواهم سريعاً باستعمال الكحول فزاد بذلك الميل الى زيادة استعمالهِ وازدياد مقطوعيتهِ. ولا تحصر هذه الفائدة في الانسان بل تتعدى الى الحيوان ايضاً فقد ثبت ان الخيل المعدة لجر الاثقال تستفيد كثيراً من الاغذية السكرية ويجدر بالمسافر او فارس السباق ان يضع في جيبهِ قطعاً من السكر ليطعم حصانهُ منها عند ما يأنس منهُ الكلل

ومما يجدر ذكرهُ ان السكر يخفف العطش خلافاً للاعتقاد العام بهِ بأنهُ يزيدهُ. والخلاصة

ان السكر غذاء توفيري ومولد للحرارة ومنبه للقوة وكاسر لحدة العطش

الكحول

واما الكحول فهو ضده تماماً وقد ثبت بالتجارب العلمية الكثيرة وبعد الجدل العنيف والطويل انهُ ليس من الاغذية التوفيرية ولا من الاغذية المولدة للحرارة والاعتقاد القديم الذي ينسب هذه الخاصة اليه فاسد . وقد لاحظ ذلك اولاً السياح الذين كانوا يعتمدون كثيراً على فائدته هذه فقلّت اهميتهُ لديهم واما التجارب العلمية فأظهرت ان الكحول الصرف اي الذي لا يصلح للشرب يفرز خمسهُ بلا فائدة والاربعة الاخماس الباقية يتنوع تركيبها في الجسم فتنقص قوتهُ على توليد الحرارة الى النصف اي يتولد من الحرارة نصف ما كان يجب ان تولدهُ الجرعة المأخوذة منهُ . واما الكحول اللذيذ المشرب كالكونياك والروم فقد ظهر لهم ان قوتهُ على توليد الحرارة ادنى من قوة الزبدة والشوكولاته والسكر والارز . وقوة الخمور القوية الكحول ادنى من قوة اللبن . فيكون اذاً من صالح السياح وخصوصاً الذين يسافرون في البلاد الباردة ان يختاروا السكر لتوليد القوة والحرارة . وقد عرف ذلك روّاد القطبين وتحققوا الاضرار التي تنشأ عن المشروبات الروحية فنبذوها واستعاضوا عنها بالمواد السكرية والمواد الدهنية . واذا نبذها السياح الذين كانوا يعتمدون في اسفارهم عليها فأحرِ بمن كان مقيماً في بيتهِ ومصلحتهُ لا تتطلب الفائدة المرجوة منها ان ينبذها بتاتاً

واما الزعم ان الاشربة الروحية مفيدة في الهضم ففاسد ايضاً لان تكرار استعمالها يجلب اضراراً كثيرة ومن الثابت انها تفعل اولاً فعلاً منبهاً يعقبهُ كلل في الاعصاب المحركة للاوعية فيقف بذلك الهضم عدا عن ان الكحول يقسّي المواد الغذائية فتعجز العصارة المعدية عن هضمها الأَّ بعد جهد عنيف ومدة طويلة ويثبت ذلك باننا اذا اخذنا قطعة لحم ووضعناها في إناء وغمرناها بالكحول صلبت وحُفظت فيهِ مدة طويلة بغير ان يطرأ عليها الفساد الحيواني وليس من يجهل انهُ اذا زادت جرعة الكحول زادت القابلية وان بعد الشرب يُتبلَّغ باليسير من الطعام

واما التقوية بهِ فقد ظهر من التجارب في الجيش الانكليزي وفي البحرية ان الرجل الذي يحذف الكحول من طعامهِ يحتمل التعب اكثر من الرجل الذي يداوم عليهِ . وثبت لشركات ضمان الحياة ان الممتنعين يعمرون اكثر من الذين يتعاطون المسكر ولو باعتدال وهي كما ذكرتم في مقالتكم ترفض ضمان الذين يدمنون المسكرات . والخلاصة ان الاشربة الروحية تحدث بالجرعات الصغيرة اضطرابات وعللاً متنوعة وبالجرعات الكبيرة قد تجلب الموت العاجل لان

الكحول وكل متولدات الاختمار التي ترافقهُ فيها مواد سامة جدًّا وقوة السم في الاشربة الروحيَّة اشد مما تدل عليهِ نسبة ما فيها من الكحول

واذا نظرنا اليهِ من جهة النفقة رأينا انهُ اكثر نفقةً من المواد الغذائية المولدة للحرارة فلتوليد ١٠٠ من الحرارة ينفق من الارز او البطاطا ما ثمنهُ سنتيمان ومن السكر ٢ ومن الزبدة ٤ ومن العرق ٦–٧ ومن اللبن ٧–٨ ومن الجبن ١٢ (اذا حسب ثمن اللتر ٦٠ سنتيماً) فهو كما ترى عديم الفائدة الاقتصادية وقدر منهُ مساوٍ لقدر مثلهِ من السكر يولد حرارةً اقل ويكلف نفقةً اكثر فلا فائدة منهُ الاّ اذا استعمل دواء لانهُ منبه سريع الانتشار . وقد تدعو بعض الاحوال المرضية الى استعمالهِ توصلاً الى الغاية المطلوبة بسرعة فعلهِ وما خلا ذلك فلا يجنى منهُ الاّ الضرر الفادح واذا اراد احد ابدالهُ بغيرهِ لرسوخ الاعتقاد بفائدتهِ فعليهِ ان يزيد على طعامهِ قليلاً من الزبدة والسكر فيحصل على الفائدة المطلوبة

الدكتور امين ابو خاطر

طريقة جديدة في التربية

او الشورى في المدارس

حضرة سيديَّ الفاضلين

اشتهرت مدرسة عين السلام لجمعية الفرندز الانكليزيَّة في برمانا (جبل لبنان) باتخاذ اقوم الطرق في التربية الدينية والعلميَّة والادبية وزرع شريف المبادىء في صدور الطلبة واشتهر عن رئيسها وهو رجل انكليزي محب للوطنيين شدة اهتمامهِ بالتهذيب المبني على احدث الاساليب ومما عرف بهِ الرغبة في اقتباس انفع مناهج التعليم واسدها . وقد اتى في بعض السنوات المتأخرة بطريقة حديثة عن بعض المدارس الانكليزية والاميركية نعرضها على ارباب المدارس وعلماء التربية والاخلاق وجهابذة العلم لابداء آرائهم فيها وفيما اذا كانت توافق مدارسنا او لا . وقد دعاهُ اليها ما لاحظهُ من اشتغالهِ واشتغال الاساتذة بمسائل التلامذة الخارجية فيما يختص بسلوكهم ودخولهم وخروجهم والعابهم الخ مما يضيع اوقات التدريس فضلاً عن انهُ قد يولد نفور التلاميذ من المعلمين لقصاص اجروهُ او انتهار انتهروهُ فيكون عثرة في سبيل التعليم فرأى هذا الاسلوب خير وسيلة لتوفير وقت الاساتذة وتربية روح الشورى في نفوس الاحداث

ويمكن لنا ان نسمي هذه الطريقة بالطريقة الشوروية وهي ان يسوس التلامذة نفوسهم بنفوسهم فيما يتعلق بالامور الادارية (لا التعليمية) بمعزل عن المعلمين وعن الرئيس نفسهِ الاَّ ما تقتضيهِ واجباتهم من النصح والارشاد

وتعتبر بها المدرسة مدينة هم سكانها ومصلحة الفرد منهم مصلحة الجمهور وبالعكس . وكل عضو فيها حر مطلق في القول والعمل بشرط ان لا يضر بالغير

وتؤلف هذه الهيئة المدرسية مجلساً دستورياً من ستة اعضاء او نواب ورئيس منتخبين تدعوهُ المجلس المدرسي ومنهم تختار قضاة وكتبة وهيئة ادارية يرأسها والٍ او "شيخ" ولها شرطة ورؤساء شرطة ومحافظون وتعين محاميَين احدهما عام والآخر خاص ولكل منهم واجبات مدارها المحافظة على انفاذ الشريعة والاهتمام بترقية المدنية المدرسية او المدرسة المدنية

وقاعدة شريعتها "كما تريدون ان يفعل الناس بكم فافعلوا انتم ايضاً هكذا بهم" ووجهها السلبي "لا تفعلوا بالغير ما لا تريدون ان يفعلهُ الغير بكم" فلا تسيء الى احد ولا تخالف الآداب والفضائل الانسانية ولا الشروط الصحية

ومن واجبات اعضائها ابلاغ الموظفين بطريقة ظاهرة ما يحدث من الاخلال والمخالفة والتعدي على شريعتها المكتوبة من اي فرد كان

وللمجلس معاقبة المجرمين بمقتضى مواد قانونية لا يتعداها ومن مواد العقاب

(١) لا قصاص بدني على الاطلاق

(٢) لا يقل قصاص المجرم عن انذار عمومي ولا يزيد على نزع عضويتهِ من الهيئة المدرسية

وذلك بعد اجراء المحاكمة على هذا النمط : يعقد المجلس برئاسة الرئيس وحضور الكاتب فتقرأ اسماء من أُعلن من المذنبين المشكوين وبلاغ الشكوى فيسأل القاضي كلاً منهم بالتتابع أَمجرم انت فان اجاب نعم يسأل عن السبب ثم يتداول القاضي القائم بالحكم والقاضي المستشار فينطق عليهِ الاول بالعقاب المفروض

وان اجاب لا يستحضر الشهود ان كانوا فيشهدون بما رأوا وسمعوا مثبتين او نافين

ثم تسمع مرافعة المحامي عنهُ والمحامي ضدهُ ويحكم بعد المداولة بتجريمهِ او تبرئتهِ ولهُ بعد الحكم ان يستزيد التدقيق فيعين لهُ في الاحوال المهمة ستة اعضاء آخرين للمشاركة في التحقيق والقضاء ثم تعرض الاوراق ونتيجة الحكم على الرئيس المطلق فيؤيدها او يعيد التحقيق وكذا اذا مُيز اليهِ الحكم فيعتمدهُ او يعدّلهُ بعد التحقيق اللازم

واذا زار احد المدرسة يعجب من رؤية التلامذة جلوساً مكبين على الدرس والمطالعة

بسكينة وهدوء ولا معلمين ولا نظار معهم ويزيد عجبهُ اذا حضر المجلس حين انعقاده وسمع مدافعات ومرافعات المتداعين والمحامين والمعلمون جالسون كبعض افراد المجلس بلا مزية ولا نفوذ ولو كانت المسئلة تتعلق بهم شخصياً

وقد سارت المدرسة على هذه الطريقة سنة غير كاملة ثم حال دون متابعتها موانع لا محل لذكرها فاقتصرت على انشاء جمعيات التهذيب العلمية والادبية ن . خ

[المقتطف] لاحد وجهاء الاسكندرية اربعة اولاد وهو يجري في تربيتهم على هذه الطريقة تماماً فهم يحاكمون المذنب منهم ويعاقبونهُ



التعليم العالي

ذهب ملك الانكليز في اوائل الشهر الماضي (يوليو) الى بلاد وايلس ووضع الحجر الاول من البناء الجديد الذي يقام الآن لمدرستها الجامعة وتكلَّم في الاحتفال الذي أُعدَّ لذلك فقال : — " ان الشغل العلمي العظيم الذي اشتغلتهُ هذه المدرسة وهي في بنائها الاول الوقتي كان معلوماً لديَّ كما هو معلوم لدى الجميع وانا واثق ان فائدتها ستزيد في البناء الواسع الذي وضعتُ الآن الحجر الاول منهُ . فان المناظرة في كل الاعمال ولاسيما في الاعمال المبنية على العلم والصناعة قد زادت جدًّا في هذا العصر ولا بدَّ من مقابلتها بزيادة الاجتهاد وتحسين الوسائل . وعندي ان هذه المناظرة افادت العالم ولكن لا بدَّ لكل امة من الامم ان تبذل اقصى جهدها لكي تحفظ مقامها في هذا الجهاد العنيف ولذلك فالتعليم العالي امر لازم اشد اللزوم لانهُ مهما كانت مواهب الانسان الطبيعية عظيمة لا يستطيع ان يجاري عصرهُ اذا لم يتعلَّم في صغرهِ . والغالب ان الذين يفلحون هم الذين يتعلَّمون

المسيو شارل تريبه

توفي المسيو شارل تريبه مدير مرصد الجزائر وكان من علماء الفلك العاملين ولاسيما في عمل الزيج الجديد للنجوم . تولَّى ادارة مرصد الجزائر سنة ١٨٨٠ وكتب في كثير من المواضيع الفلكية ولاسيما في البحث عن

طبيعة الشمس وطيف ذوات الاذناب وكان عضوًا مراسلاً لاكادمية العلوم بباريس

مجمع تقدم العلوم الفرنسوي

يلتئم هذا المجمع في اول اغسطس في مدينة رمس برئاسة الدكتور هنرو مدير مدرسة رمس الطبيَّة ويخطب رؤساء فروعهِ التسعة عشر في مواضيع فروعهم. ومن المسائل التي سيبحث فيها الاشعة المنيرة وتولد الحامض النيتريك والنيترات من اكسجين الهواء ونيتروجينهِ وفعل الخمير بالصموغ

ثروة اميركا ومعادنها

بلغت قيمة المعادن التي استخرجت من الولايات المتحدة الاميركية في العام الماضي ٦٥ مليون جنيه واكثرها من الحديد الحجري وهذا اكثر ما بلغتهُ المعادن المستخرجة منها في سنة واحدة. وموسم القطن وحدهُ في اميركا يساوي مئتي مليون جنيه فالثروة الحقيقية من الزراعة لا من المعادن

آثار برغامون

كُشفت آثار مدينة قديمة في جزيرة كريت في الجهة الشمالية الغربية منها كانت مدفونة تحت حقول زراعية والمظنون انها المدينة التي بناها اغاممنون وهو عائد من حروبهِ وسماها برغامون وهي المدينة التي مات فيها ليكرغُس ودفن وقال فلوطرخس انهُ شاهد قبرهُ فيها

مساعدة الكتَّاب

كانت الحكومة المصرية تعرف قيمة الكتَّاب وتقدرهم قدرهم في خدمة البلاد فقطعت معاشًا سنويًّا للمرحوم احمد فارس الشدياق لا يقل عن مئتي جنيه في السنة. ولا ندري ما صرفها الآن عن هذه الخطة المشكورة وهي تجود بالمعاشات الوافرة على على مستخدميها وبعضهم لم يفد البلاد عشر ما افادها بهِ بعض الكتَّاب. وحبذا لو اقتدت بالحكومة الانكليزيَّة فان هذه لا تمرُّ بها سنة حتى تقطع معاشًا لبعض العلماء والكتَّاب اعترافًا بفضلهم في خدمة البلاد او انقاذًا لهم من الفقر الذي يحلُّ بهم اذا شاخوا وتعذَّر عليهم الاكتساب. من ذلك ما قطعتهُ الآن وهو ٢٠٠ جنيه في السنة للسر فردرك برنارد الذي كان محررًا لجريدة بنتش الهزلية و ١٥٠ جنيهًا لمس لويزا رامه مؤلفة الروايات المعروفة باسم "اويدا". و ١٠٠ جنيه للمسترجون دافدصن الشاعر و ٧٥ جنيهًا للمستر ستاندش اوغردي صاحب الكتاب المشهور عن آداب ارلندا و ٥٠ جنيهًا لمس بنتهام ادوردس علاوة على ٥٠ جنيهًا قطعت لها قبلاً اعترافًا بفضلها في كتاباتها الادبية. و ٥٠ جنيهًا للقانون اغسطس

جسب علاوةً على ١٠٠ جنيه قطعت له قبلاً لاجل مباحثهِ في الآثار والآداب و١٠٠ جنيه للدكتور تشارلس كريتون لاجل مباحثهِ الطبيَّة والبيولوجية. ويلي ذلك هبات اخرى لبعض الارامل اعترافاً بفضل ازواجهنَّ في خدمة العلوم والفنون. وقد نظر في هذه الهبات كلها الى حاجة الذين وُهبت لهم

السر سبنسر ولبول

توفي السر سبنسر ولبول الذي لهُ الفضل الاكبر في اصلاح شأن البريد وتسهيل المواصلات بهِ. ومن مآثرهِ توزيع التلغرافات مجاناً وجعل اجرة المكتوب نصف غرش مع زيادة وزنهِ

بالون الجنود الفرنسوية

صنع الخواجات لابودى بالوناً للجنود الفرنسوية امتحن في اوائل هذا الشهر فوق بالغرض. ركبهُ اربعة من الضباط وطاروا بهِ فوق باريس مع الريح وضدها وبلغت سرعتهُ في سيرهِ ضد الريح ١٨ ميلاً في الساعة وساروا بهِ الى فرساليا وعادوا الى باريس فقطع ٢٤ ميلاً في ساعة و١٠ دقائق. ويراد تعليم بعض الجنود الطيران به وادارتهُ في الهواء حتى يألفوا ذلك ثم يُصنع عشرون بالوناً مثلهُ توضع في حصون فرنسا الشرقية لاجل الاكتشاف

ترع المريخ

ذكرنا غير مرة ان المستر لُول الفلكي الاميركي اهتم بتحقيق ما اكتشفهُ شبارلي الفلكي الايطالي وهو وجود الترع في المريخ وكونها مزدوجة. وانهُ بني مرصداً لهذه الغاية فتمكن مساعدهُ المستر لمبلند من تصوير المريخ صورة فوتوغرافية ظهرت فيها الترع. وقد شاهدنا صورة منقولة عنها فلم نرَ اثر الترع ظاهراً فيها. وارتاب كثيرون من علماء الفلك في صحة ما رآهُ شبارلي ولول وقالوا انهُ خطأ في البصر او تكيُّف في النور. والمريخ الآن في اقرب مواقعهِ من الارض فاهتم المستر لول بتصويرهِ وارسل تلغرافاً الى مكاتب الدايلي مايل في ٧ يوليو يقول فيهِ ان الوفد الذي ارسلتهُ الى جبال اندس لرصد المريخ قد صوَّرهُ صوراً فوتوغرافية ظهرت فيها الترع المزدوجة وظهرت الواحات ايضاً. وقال في رسالة اخرى ان الترع التي انبأ انها ستصير مزدوجة الآن قد ازدوجت وهو يرى ان الثلج يذوب عند قطبي المريخ فيجري انهراً طويلة وينمو النبات على ضفتي كل نهر منها فيظهر خطين على جانبيهِ وهما المسميان بالترعتين

والمريخ اقدم من الارض وقد صلح لسكن المخلوقات قبلها فاذا كانت مخلوقاتهُ عاقلة فهم اعلم منا وامهر جدًّا. ومن رأي بعض

العلماء ان هؤلاء المخلوقات قد حفروا ترعاً لمّا اعوزهم الماء لكي يستقوا منها و يسقوا زرعهم وانهم لا بدَّ ان يحاولوا الكلام معنا بطريقة من الطرق . وكل ذلك من الظنون البعيدة وسننشر مقالة في هذا الموضوع ان شاء الله

ذهب الترنسفال

بلغ المستخرج من الذهب من بلاد الترنسفال في شهر يونيو الماضي ٥٠٧٥٥٩ اوقية قيمتها ٢١٥٥٩٧٦ جنيهاً وذلك اقل ممَّا استخرج في شهر مايو ولكنهُ اكثر ممَّا استخرج في شهر يونيو من العام الماضي وترى في الجدول التالي قيمة الذهب المستخرج من بلاد الترنسفال في كل شهر من الشهور الماضية من هذه السنة ومن سنتي ١٩٠٤ و ١٩٠٥ وذلك بالجنيهات الانكليزية

	١٩٠٥	١٩٠٦	١٩٠٧
يناير	١٥٦٨٥٠٨	١٨٣٠٧٣٩	٢٣٨٣٧٤١
فبراير	١٥٤٥٣٧١	١٧٣١٦٦٤	٢٠٩٦٤٣١
مارس	١٦٩٨٣٤٠	١٨٨٤٨١٥	٢٢٨٧٣٩١
ابريل	١٦٩٥٥٥٠	١٨٦٥٧٨٥	٢٢٨١١١٠
مايو	١٧٦٨٧٣٤	١٩٥٩٠٦٣	٢٢٣٧٨٣٨
يونيو	١٧٥١٤١٣	٢٠٣١٨١٣	٢١٥٥٩٧٦
يوليو	١٧٨١٩٤٤	٢٠٨٩٠٠٤	
اغسطس	١٨٣٠٤٩٦	٢١٦٣٥٨٣	
سبتمبر	١٧٦٩١٢٤	٢١٤٥٥٧٥	
اكتوبر	١٧٦٥٠٤٧	٢٣٩٦٣٦١	
نوفمبر	١٨٠٤٣٥٣	٢٢٦٥٦٠٥	
دسمبر	١٨٣٣٣٩٥	٢٣٣٦٩٦١	
والجملة	٢٠٨٠٢٠٧٤	٢٤٥٧٩٩٨٧	١٣٣٣٣٤٩٠

و يظهر من هذه الارقام ان مقدار المستخرج من الترنسفال سنة ١٩٠٧ سيزيد على ما استخرج منها في العام الماضي اكثر من مليوني جنيه . اما الذهب المستخرج من مناجم استراليا في الستة الاشهر الماضية من هذه السنة فبلغ ١٥٩٤٨٥٩ اوقية وهي نقلٌ ١٤١٠٠٠ اوقية عمَّا استخرج في الستة الاشهر الاولى من العام الماضي . اي ان المستخرج من مناجم الترنسفال في الستة الاشهر الاولى من هذه السنة بلغ ١٣ مليوناً وثلث مليون من الجنيهات والمستخرج من مناجم استراليا بلغ نحو سبعة ملايين من الجنيهات والجملة اكثر من عشرين مليوناً ولا يبعد ان يبلغ المستخرج من البلادين في السنة كلها اكثر من اربعين مليوناً من الجنيهات

السر وليم برودبنت

خسر علم الطب خسارة كبيرة بوفاة السر وليم برودبنت وهو في الثالثة والسبعين من عمرهِ وقد كان من علماء الطب البارعين في تعليمهِ وايضاح غوامضهِ للطلبة كما كان بارعاً في تطبيب المرضى . وقد عالج وليَّ عهد انكلترا وهو مصاب بالحمَّى التيفويدية . وكان طبيباً للملكة ثم عين طبيباً للملك ولولي العهد ورأس كثيرًا من الجمعيات الطبيَّة والعلميَّة واشتهر بنوع خاص في مقاومة مرض السل وانشاء المصاحّ لهُ . وكانت وفاتهُ في العاشر من شهر يوليو

القطن الاميركي

ينتظر ان يبلغ موسم اميركا هذه السنة ١٣ مليون بالة ونصف مليون فيكون اكثر من الموسم الماضي ولكن مقطوعية القطن قد زادت اكثر من ذلك و يظن اصحاب المعامل ان القطن لا يكفي حتى الموسم التالي وانهُ لا بدَّ من الحاجة اليهِ في الصيف القادم حينما يصير الموجود منهُ غير كافٍ لتشغيل المعامل الى ان يأتي الموسم الجديد

البحث عن السرطان

اجتمعت لجنة البحث عن داء السرطان اجتماعها السنوي برئاسة برنس اوف ويلس وتلت خلاصة تقريرها السنوي و يظهر من هذه الخلاصة ان ليس للسرطان علاقة بالطعام مطلقاً فانهُ يصيب آكلي اللحم وآكلي الاطعمة النباتية على حدٍّ سوى ولكن لهُ علاقة بالضغط المستمر على بعض اجزاء البدن فان الذين يمشون حفاةً يظهر السرطان في اقدامهم والذين يمارسون بعض الاعمال الدينية في بلاد الهند و يضغطون جزءًا من ابدانهم ضغطاً مستمرًّا يتولد السرطان في ذلك الجزء . وقد جرَّبت اللجنة كل العلاجات الحديثة التي قيل انها تشفي من السرطان فلم تجد لها اقل فائدة لكن تجربتها انما كانت في الفيران المصابة بالسرطان . وهي تبحث الآن في تأثير الوراثة بهِ

السر جوزف هوكر

احتفل السر جوزف هوكر بعيد ميلاده التسعيني . وقد منحهُ ملك الانكليز نشان الاستحقاق الجديد الذي لا يمنح الا لنخبة رجال العلم والسياسة

الباخرة القاهرة

أُنزلت الباخرة الثانية المسماة بالقاهرة من بواخر الشركة المصرية في ١١ يوليو انزلتها لادي كرومر . طول هذه الباخرة ٥٤٥ قدماً وعرضها ٦٠ قدماً ومحمولها ١٢٠٠٠ طن وقوة آلاتها البخارية ١٨٠٠٠ حصان وهي مثل اختها هليو بوليس التي أُنزلت قبلها تقطع المسافة من مرسيليا الى الاسكندرية في ثلاثة ايام وقد حضر بوغوص باشا نوبار من مصر الى بلاد الانكليز ليشاهد انزالها الى البحر

المغالاة بالنسخ الاصلية

اخذ الانكليز يفتشون عن الكتب التي يكتبها شعراؤُهم و يشترونها بأغلى الاثمان اي النسخ الاصلية التي بخط الشاعر. من ذلك النسخة الاصلية من شعر تنيسون "البروك" فقد بيعت بالامس بثلاثمئة جنيه وهي ثماني صفحات لا غير والنسخة الاصلية من مقالة بوب في الانسان فقد بيعت بمبلغ ٨٩٥ جنيهاً

صورة ثمينة

اشترت الحكومة الانكليزيَّة صورة من صور فان ديك المصور المشهور بثلاثة عشر الفًا وخمس مئة جنيه وعلقتها في رواق الصور الوطني وهي من اجمل الصور التي صورها فان ديك

لورد لستر وحرية مدينة لندن

منح لورد لستر الجراح الشهير حرية مدينة لندن وذلك اعظم اكرام مدني يمكن ان يُعطى لاحد وسلم البراءة في علبة من الذهب اعترافًا بفضلهِ في استعمال مضادات الفساد في الجراحة. وللخطب جوابًا لمحافظ لندن قال ان العمل الذي كان من نصيبي الاشتغال بهِ قد جاءني بالجزاء التام الكافي ومع ذلك فاني اعتبر اعظم اعتبار هذا الامتياز الذي هو اعظم امتياز مدني في الدنيا كلها

اما العلبة التي وضعت البراءة فيها فمن الذهب وعليها كتابة يقال فيها ما ترجمتهُ

" اهداها مجلس لندن البلدي مع حرية مدينة لندن الى لورد لستر الشريف اعترافًا بسمو منزلتهِ كجرَّاح وبالخدم الفائقة التي خدم بها نوع الانسان باكتشاف طريقة منع الفساد في الاعمال الجراحية "

وعلى العلبة نقوش كثيرة تمثل اعمال لورد لستر واشغالهُ العلمية. وقد سرَّ رجال العلم عمومًا بهذا الاكرام الذي أُكرم بهِ احد افرادهم

اكبر كتاب

ان اكبر كتاب في الدنيا هو السيكلوبيذيا الصينية فان نسخة منهُ انقذت من النار من مدرسة هان لين وأُتي بها الى البلاد الانكليزية وهي في ١١١٠٠ مجلد (احد عشر الفًا ومئة مجلد)

ارض بورصة لندن

ارض بورصة لندن مفروشة كلها بخشب التيك وهو اصلب انواع الخشب ومع ذلك يمحات منهُ بمشي الناس ١٥٠ قدمًا مكعبة كل سنة وتستحيل الى غبار دقيق يطير في الهواء. وقد كانت تفرش قبلاً بخشب السنديان الذي سمكهُ عقدتان فيمحات منها عقدة وربع في عشر سنوات

قوات الدول البحرية

قال لورد تويدموث ناظر البحرية الانكليزية في مجلس الاعيان ان البوارج الحربية الجديدة عند الدول البحرية هكذا: انكلترا ٣٩ الولايات المتحدة ١٨ فرنسا ١٣ المانيا ١١ اليابان ٩ والطرادات المدرعة: انكلترا ٣٢ الولايات المتحدة ١٢ فرنسا ١٨ المانيا ٦ اليابان ١٠ (ويراد بالجديدة التي عمرها اقل من ٢٠ سنة لان الاعتماد عليها)

مقدار الذهب

بلغ الذهب المستخرج من مناجم الدنيا في العام الماضي ٨٠ مليوناً من الجنيهات ولم يبلغ هذا المقدار ولا ما يدانيهِ في سنة من السنين الماضية. وقد كان مقدارهُ سنة ١٩٠١ نحو ٥٤ مليوناً من الجنيهات لا غير فحسب انهُ بلغ حدًّا فائقاً جدًّا

تجارة الممالك الكبيرة

زادت تجارة الممالك الكبيرة في السنوات الست الاخيرة زيادة كبيرة كما ترى من هذا الجدول وقد ذُكرت فيهِ قيمة الصادرات فقط وهي بملايين الجنيهات

	١٩٠١	١٩٠٦	الزيادة
انكلترا	٢٨٠	٣٧٥	٩٥
المانيا	٢٢١	٣٠٦	٨٥
الولايات المتحدة	٣٠٤	٣٦٩	٦٥
فرنسا	١٦٠	٢٠١	٤١

وجانب كبير من هذه الزيادة ناتج من ارتفاع الاسعار كما لا يخفى. والزيادة النسبيَّة في صادرات المانيا وفرنسا اكثر من الزيادة النسبيَّة في صادرات انكلترا واميركا

ثروة فرنسا

توفي ٧٧٠١٧١ نفساً في فرنسا في العام الماضي واصحاب الاملاك منهم ٣٨٥٠١٩ وقُدّر ما يملكونهُ بمبلغ ٥٧٤٦ مليون فرنك فمتوسط ما يملكهُ الشخص من الذين ماتوا ٧٤٥٠ فرنكاً او نحو ٣٠٠ جنيه. واهالي فرنسا نحو ٤٠ مليون نفس فثروتهم كلهم نحو ١٢ الف مليون جنيه اي ان الشخص في فرنسا اغنى من الشخص في مصر نحو سبعة اضعاف. ولكن يحتمل ان بعض الذين توفوا في العام الماضي كانوا من اكبر اغنياء فرنسا فان ثلاثة منهم بلغت ثروتهم معاً ٣٧٤ مليون فرنك و١٢ بلغت ثروتهم ٢٥٣ مليون فرنك. ومهما يكن من ذلك فالمرجح ان ثروة اهالي فرنسا لا تقل عن عشرة آلاف مليون جنيه

التلغراف الاثيري

مضى على التلغراف الاثيري او اللاسلكي بضع سنوات ولم يبلغ من الاتقان درجة كافية لاستعمالهِ في المراسلات التجارية والمصالح العموميَّة كالتلغراف ذي السلك ولكن اكتشف احد علماء الدنمارك الآن اكتشافاً يجعل ارسال الاشارات بهذا التلغراف سهلاً وسريعاً جدًّا ويمكن ارسال اشارتين او اكثر في وقت واحد والى جهتين مختلفتين. واسم المكتشف فلامار بولسن وقد جرَّب ارسال الاشارات التلغرافية مسافة ١٢٠٠ ميل من غير سلك فكانت على تمام الوضوح والمظنون انهُ يمكن ارسالها مسافة الفي ميل او اكثر فيمكن التخاطب بهِ بين اوربا واميركا. واساس هذا الاكتشاف احاطة مصدر

الكهربائية بغاز الهيدروجين فتصير الامواج الكهربائية متصلة وسريعة جدًّا و يصير انتقالها الى الاماكن البعيدة سهلاً ميسورًا

كلف الشمس

كان المظنون ان دور الكلف الكبيرة قد مضى وانقضى في العام الماضي ولكن ظهرت كلف كبيرة جدًّا هذا العام ايضاً ولا يزال بعضها على الشمس وهو يرى بالعين المجردة اذا نظر اليها من وراء لوح من الزجاج المدخَّن

مخطوطات مصرية قديمة

نشرت الجرائد الانكليزية خبر اكتشاف مصري لهُ شأن كبير عند علماء الآثار وعلماء الاديان وهو ان رجلاً كان يحفر في ادفو قرب دير قبطي قديم فوصل الى قبر صغير في الارض وجد فيهِ مخطوطات كثيرة بعضها على الرق وبعضها على ورق البردي فباعها لرجل آخر وباعها هذا لثالث بخمس مئة جنيه ووصلت اخيرًا الى المسيو دورستانجيل فبعث بها الى انكلترا

والمخطوطات دينيَّة بالقبطية واليونانيَّة اكثرها من القرن التاسع والقرن العاشر المسيحي ومعها دروج من القرن السادس باللغة اليونانيَّة ومنها ٢٥ صفحة من اقوال المسيح وهي بالقبطية واصلها اليوناني مفقود . واجزاء من انجيل متى ومرقس ولوقا بالقبطية واليونانيَّة ورؤْيا يوحنا بالقبطيَّة وقصة عجائب قزما ودميان وهي من القرن السادس وعظة مار بزنطيوس بالقبطيَّة وعظة كيرلس اسقف اورشليم بالقبطيَّة واصلها اليوناني موجود الى الآن لكن الترجمة اتمّ من الاصل . وكتاب باللغة النوبيَّة فيهِ حياة القديس مِينوس وقانون المجمع النيقاوي . ويقال في احد الكتب المكتشفة انهُ لدير مار مركوديوس الذي في جبل ادفو وفي كتاب آخر تاريخ استشهاد هذا القديس اما نحن فنرى ان هذا الخبر يفتقر الى الاثبات لما سمعناهُ من بعض الثقات

غلاء الجواهر

أَبنا في مكان آخر ان شركة انكليزية اشترت مغاوص اللؤْلؤ في سيلان ولا بدَّ من ان تتحكم بالاسعار وترفعها كما تحكمت شركات مناجم الماس بالاسعار ورفعتها . وقد ظهر ذلك الآن فارتفعت اسعار اللؤْلؤ بعض الارتفاع ويقال ان اللؤْلؤَة التي كانت تباع بعشرين جنيهاً منذ عشرين سنة تباع الآن بمئة وستين جنيهاً وحجر الماس الذي كان يباع منذ سنتين او ثلاث بعشرة جنيهات يباع الآن بخمسة عشر او بستة عشر جنيهاً . والصغير زاد ثمنهُ ثلاثة اضعاف في السنوات الثلاث الاخيرة ولم يرخص الا الياقوت بسبب كثرة الصناعي منهُ

سرعة حمام الزاجل

ظهر بالاستقراء ان سرعة حمام الزاجل تبلغ نحو ٨٦ ميلاً في الساعة اذا كانت المسافة ١٠٠ ميل فقط واذا زادت المسافة عن ذلك قلّت سرعة الحمام في رجوعهِ الى بيوتهِ على ما ترى في هذا الجدول

المسافة	السرعة
١٠٠ ميل	٨٥٫٦ ميل في الساعة
٢٠٠ «	٦٤ « « «
٣٠٠ «	٦٣ « « «
٤٠٠ «	٥٨ « « «
٥٠٠ «	٥٤ « « «
٦٠٠ «	٤٤ « « «
٧٠٠ «	٣٤ « « «
٨٠٠ «	١٧ « « «
١٠٠٠ «	٨ اميال « «

واذا كانت المسافة خمس مئة فاكثر فالغالب ان خمس الحمام لا يعود ابداً بل يضيع او تفتك بهِ الكواسر

هبات علمية اميركية

وُهبت مدرسة برنستن الجامعة ١٢٠٠٠٠٠ ريال ليبنى فيها بناءان جديدان واحد منها للعلوم الطبيعية والآخر للجيولوجيا والبيولوجيا . وترك ادورد كرير نصف مليون ريال لمدرسة امهرست و ١٨٠ الف ريال لمدرسة وليمس و ١٠٠ الف ريال لمدرسة يال الجامعة . ووهبها جون ركفلر ارضاً تساوي ١٥٠٠٠٠٠ ريال . وخصت مدرسة برزد بما بقي من تركة مس جبس وهو ٧٥٠٠٠٠ ريال وجمعت مس انا جينس مليون ريال لينفق ريعها على تعليم السود في الولايات الجنوبية من اميركا

فقد الشم والبصر

اتفق لبعضهم ان شمَّ مقداراً كبيراً من غاز النشادر دفعةً واحدةً ففقد حاسةَ الشم تماماً واتفق لآخر انهُ كان يجلو المرآة التي ينعكس عنها النور الكهربائي الساطع المسمى نور التفتيش وادار النور نحو عينيهِ بغتة ففقد حاسة البصر للحال

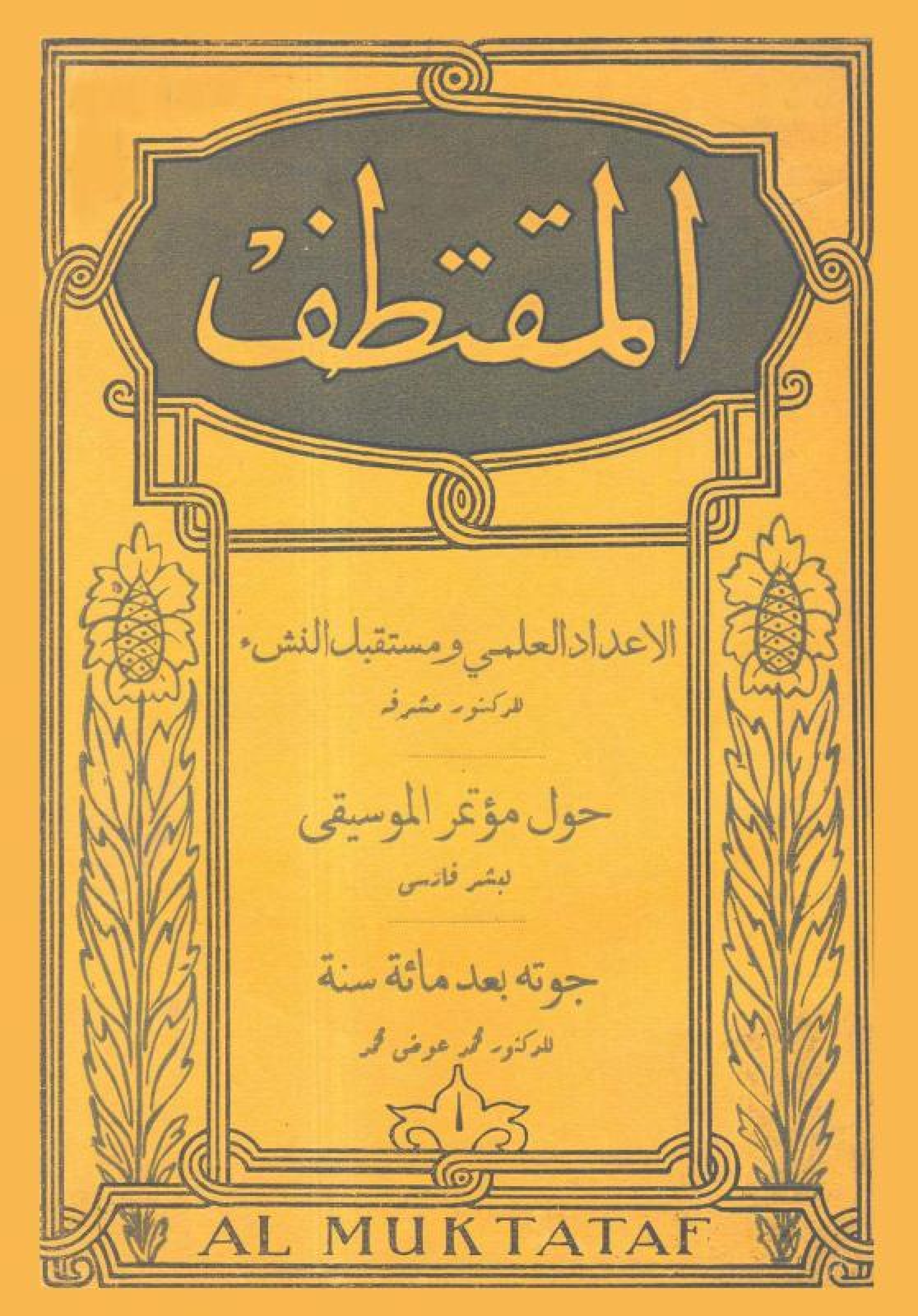
المذنب الجديد

اكتشف الاستاذ دانيال الاميركي مذنباً جديداً في ٩ يونيو الماضي في مدرسة برنستن باميركا . وهو يدنو الآن من الارض رويداً رويداً وقد كبر جرمهُ فصار يمكن ان يرى بنظارة صغيرة ومن المحتمل انهُ يصير يرى بالعين المجرَّدة في الشهر التالي

نفقات مجلس النواب الفرنسوي

ينفق الفرنسويون على مجلس نوابهم ٣٠٠٠٠٠ جنيه في السنة فانهم يعطون كل نائب وكل عضو في مجلس الشيوخ ٣٦٠ جنيهاً في السنة

فهرس الجزء الثامن من المجلد الثاني والثلاثين


المقتطف
الاعداد العلمي ومستقبل النشء
للدكتور مشرفة
حول مؤتمر الموسيقى
لبشر فارس
جوته بعد مائة سنة
للدكتور محمد عوض محمد
AL MUKTATAF

المقتطف

الجزء التاسع من المجلد الثاني والثلاثين

١ سبتمبر (ايلول) سنة ١٩٠٧ — الموافق ٢٣ رجب سنة ١٣٢٥

أُسابيا بلاديتو

وتجارب الاستاذ بيو فوى استاذ التشريح الباثولوجي في مدرسة تورين الجامعة بمساعدة الدكتور هرلتزكا والدكتور تشارلس فوى والدكتور اغازوتي

لم نكد نصل الى البلاد الانكليزيَّة حتى حدَّثنا البعض في مسألة السبرتزم [1] وما كتبناهُ تحت موضوع "قبل الولادة وبعد الموت". وبعثت الينا الكاتبة الشهيرة مسز فنتش محرّرة مجلة العلوم النفسية بالجزءين الاخيرين منها وفيهما بحث مستفيض عن السبرتزم للاستاذ مورسلّي مبني على ما شاهدهُ بنفسهِ من اعمال "اسابيا بلاديتو" التي شاهد اعمالها الاستاذ لمبروزو وكتب عنها ما نشرناهُ في مقتطف فبراير هذه السنة. وفيهما ايضاً مشاهدات الاستاذ فوى والدكاترة الثلاثة المذكورين فوقُ فرأينا ان نلخص ما كتبهُ هؤُلاء ولا سيما الاستاذ بيو فوى ثم نعود الى مقالة الاستاذ مورسلي ونعقّب على ذلك كلهِ بما نظنهُ وجه الصواب في هذه المسألة وامثالها

قال الدكاترة المشار اليهم آنفاً انهم لما عزموا على امتحان قوة أُسابيا بلاديتو في جلسات خصوصيَّة كانوا يعتقدون ان كل اعمالها من قبيل الشعوذة او الخداع من جهتها والانخداع

(١) قال الاستاذ مورسلي ان السبرتزم هو العلم الذي يثبت بقاء الروح بعد موت الجسد وامكان اتصالها بالاحياء بواسطة اساليب تدلُّ بها على مرادها . الا ان الاحياء الذين تتصل بهم ويفهمون مرادها تكون لهم قوى مخصوصة ويطلق عليهم اسم الوسطاء (واحدهُ وسيط للذكر والانثى) وتقوم هذه القوى بالامور الآتية . اولاً بحلول الروح في الوسيط وتكلمها بلسانها وكتابتها بيدهِ وثانياً باصدارها سائلاً او جسماً روحياً يتشكل بشكل خاص حتى يمكن ان يلمس ويرى ويصوَّر ويفعل بالاجسام ولو كانت بعيدة عنهُ . وثالثاً بادراك الحالات النفسية في اشخاص يشاركونها في الشعور او يجعلهم يدركون احوالها ولو كانوا بعيدين عنها . اما رأي الاستاذ بيو فوى فمخالف لذلك وسيأتي بيانهُ

من جهة المشاهدين لاعمالها ولذلك صنعوا آلة كهربائية تدلُّ دلالة قاطعة على ما يثقل بها من الحركات . فاذا وُضعت عليها يدٌ او ضُغطت بواسطة من الوسائط تحرك قلم فيها واثّر في اسطوانة مدخنة اي عليها سناج السراج فيدلُّ الاثر على وجود القوة المؤثرة دلالة فعليَّة تبقى بعد الجلسة فتزول كل شبهة في ان التأثير من قبيل الوهم . وانهم حضروا الجلسة وهم واثقون ان الارواح لا تستطيع ان تؤثر في هذه الآلة وبقوا وهم في الجلسة يتكلمون ويتناظرون لكي لا يتسلط عليهم الوهم بوجهٍ من الوجوه . وخرجوا من الجلسة الاولى وهم يعتقدون ان كل ما حدث فيها امور طبيعيةٌ لا وجه للغرابة فيها ولكنهم رأوا في الجلسة التالية اموراً لا تفسَّر مطلقاً بموجب المعارف الطبيعيَّة ولو لم يقروا كلهم على انهم شاهدوها كذلك لانكر كل واحد منهم شهادة حواسهِ وظنَّ انهُ أُصيب بدخل في عقلهِ

واسهبوا في وصف الآلة التي صنعوها وقالوا انهم احضروا ايضاً بعض الواح التصوير الشمسي ولفُّوها بورق اسود حتى اذا كان هناك نور يتخلل الاجسام المظلمة كاشعة اكس أثَّر فيها . واحضروا اوراقاً اخرى مدخنة حتى اذا لمست بقيت آثار اللمس فيها

الجلسة الاولى

حدثت الجلسة الاولى في ٢٠ فبراير في بيت الكونت فردين في غرفة المائدة وهي في زاوية من البيت فلها حائطان خارجيَّان في احدها شباكان وفي الآخر شباك واحد وامام الشباكين خزانة كبيرة (بيفه) وباب يوصل الى دهليز وفي الحائط الرابع بابان احدها يفتح الى غرفة صغيرة وهذا كان مقفلاً كل وقت الجلسة والآخر الى غرفة اخرى حيث يوضع الطعام ليأتي بهِ الخدم وبين البابين موقد للنار فوقهُ مرآة . وأُقفلت الشبابيك الثلاثة وجعلت خزانة الوسيط في احدها ولذلك أُقفلت درفتاهُ الخارجيتان فقط ووضع امامها قضيبان من الحديد ممكنين بحلقة في الحائط وأُلصق على الورقتين ورقة مصمَّغة وأُضيف الى زاوية هذا الشباك قبَّة من الخشب علِق بها ستارتان من الصوف الاسود ووضع في هذه الخزانة مائدتان صغيرتان على احداها الآلة التي صنعوها وقطع من الكوتون عليها الورق المدخن وعلى المائدة الاخرى لعب مختلفة وتحتها بيانو صغير مما يلعب عليهِ الاطفال . وحضر معهم في الجلسة صاحب البيت وزوجتهُ والدكتور ايمودا والكافلير دوستين وسيدة اخرى

وابتدأت الجلسة الاولى والنور ساطع لمجلس الحضور وأُسابيا معهم في حلقة حول مائدة وكانت أُسابيا لا تزال مستيقظة فرفعت المائدة التي كانوا جلوساً حولها ثلاث ارجل من ارجلها الاربع وتحركت الستارة اليسرى حركات طفيفة ثم نُقرت المائدة خمس نقرات فقيل ان

المراد بذلك تخفيف النور لان الجلسة حدثت ليلاً ولو لم يذكر ذلك صريحاً ولما خُفف النور وصار لونهُ احمر انعكس عن المرآة الى عيني اسابيا فاصابتها نوبة هستيرية فجعلت تبكي وتلطم وجهها وكانت دموعها تتساقط على ايدي الجالسين بجانبها حول المائدة · وحضر حينئذٍ احد الاطباء وكان قد تأخر عن الحضور في اول الجلسة فلم ينضم الى الحلقة وبقي الكونت فردين والدكتور امادو خارج الحلقة ايضاً

ولما زالت نوبة الهستيريا عن اسابيا لم تعد الى حالتها الطبيعية بل صارت تتكلم كأنها جون كنج (لانها تدعي ان روح هذا الرجل تحلُّ فيها) وطلبت من الحضور ان يمنعوا نظرهم في رأسها فرأى الدكتور فوّى فوق رأسها رأساً آخر لابساً قلنسوة كقلنسوة الراهب وهو يظهر ثم يختفي ولكنهُ لم يكن واضحاً فاخرج يدهُ من يد جارهِ (لانهم كانوا ممسكين ايديهم في حلقة حول المائدة) لكي يمسك هذا الراس لكن الرأس اختفى حالاً ولم يرَ هذا الرأس غيرهُ وحينئذٍ جعلت المائدة التي عليها اللعب في الخزانة تتحرك ثم خرجت من الخزانة (وسنسميها المائدة الاولى في ما يلي) وجعلت اللعب التي عليها تنتقل عنها الى المائدة التي في حلقة (وتسمى هذه بمائدة الجلسة) المشاهدين وكان بينها درقة وخروف من الخشب ومندولين (آلة موسيقية كالعود) وتقدمت الستارة مع المندولين وهي تغطي يد المندولين فدفعها عنها الدكتور فوّى فعادت اليها وغطتها · وشعر ان يداً امسكت بشعر رأسهِ وجذبتهُ · ثم سمعوا نقراً على اوتار المندولين وللحال خرج البيانو الصغير من تحت المائدة الاولى وجعلت الاصوات الموسيقية تخرج منهُ كأن يداً تنقر عليهِ · وفتح النور فاذا اللعب كلها على المائدة ولم يتغيَّر شيءٌ في الغرفة عن وضعهِ الاصلي سوى الستارة · وتحركت حينئذٍ المائدة الاولى بحسب حركات راس اسابيا . وخفف النور ثانية وكان على مائدة الالعاب ريشة من ريش الطاووس فنهضت عنها وجعلت تضرب الحضور على وجوههم

ثم طلبوا من جون كنج (اي من اسابيا التي حلَّت فيها روح جون كنج) ان يحرك الآلة التي صنعوها وللحال سمعوا حركةً في المائدة التي كانت الآلة عليها وحركةً في صندوق الورق الذي كانت الآلة فيهِ وكسر شمع الختم الذي كانت الآلة مختومة بهِ ورمي بهِ الحضور · واخرج واحد من الحضور منديلهُ من جيبهِ ثم ردهُ الى مكانهِ فقال لهُ آخر احذر لئلاَّ يؤخذ منك فلم يشعر الاَّ والمنديل أُخرج من جيبهِ ووُضع على انفهِ ونقل الى ما وراء الستارة ثم رمي على مائدة الجلسة اي المائدة التي كانوا جالسين حولها

واعيد العمل ففتح الآلة ونزع الرباط الذي كانت مربوطة بهِ ورمي الى المائدة وشمع الختم

عليهِ ففتحوا النور حالاً واسرع واحد منهم الى الخزانة فلم يجد فيها ما يدلُّ على حيلة لكنهُ وجد صندوق الورق الذي فيهِ مفتاح الآلة مفترحاً اما الآلة فكانت سليمة . ثم خفضوا النور وجلسوا فسمعوا كسر ختوم الآلة ونزع غطائها فطلبوا ان يؤْتى بالآلة وتوضع على مائدة الجلسة امامهم فرأوا الغطاء آتياً الى المائدة ومعهُ شيءٌ ابيض لم يعلموا ما هو . وطلب الدكتور هرلتزكا ان يسمح لهُ بمسك غطاء الآلة ومدَّ يدهُ ولمس الغطاء فتقدمت الستارة واخذت الغطاء بسرعة وشعر كأَنَّ واحداً جذب (شمط) اذنهُ وضربهُ على كتفهِ . ثم اعيد الغطاء الى المائدة ولمسهُ بعض الحضور فطلبوا ان تضغط الروح على مفتاح الآلة فقالت لهم اسابيا بكلام واضح " ان المفتاح قد أُخرج من غطائهِ فكما فعلت هذا يمكنني ان اضغط عليهِ " . ولما قالت كلمة "هذا" شعر الدكتور هرلتزكا ان اصبعاً وضعت على كتفهِ وكانت يدا أَسابيا في يدي الجالسين عن يمينها و يسارها

وبعد دقائق قليلة سمع نقر على مفتاح الآلة وارتفعت مائدة الجلسة وشعر واحد منهم كأَن يداً قبضت على يدهِ وشعر الدكتور هرلتزكا ان واحداً لمس كتفهُ وان الستارة دنت منهُ ولمست انفهُ وكأَن شيئاً كروياً كان وراءها

وطلبوا ان يعاد غطاء الصندوق الى مكانهِ فشعروا ان شيئاً ابيض منيراً يفتش على المائدة عن الغطاء ولما لم يجدهُ عليها اغتاظ ونقر عليها نقرتين شديدتين واختنق فظنوا ان الغطاء بعيد عن المكان الذي تصل اليهِ القوة فأَدنوهُ قليلاً وللحال دنت الستارة منهُ واخذتهُ . ورأَى الدكتور هرلتزكا جسماً ابيض يخرج من وراء الستارة ويرمي شيئاً وللحال وقعت شريطة على يد الدكتور ايمودا عليها شيءٌ من شمع الختم فهي من الشريط الذي كان غطاء الآلة مربوطاً بهِ ونقرت مائدة الجلسة سبع نقرات وهي دليل على ان أَسابيا تريد ان تنهي الجلسة وتنهض فنقلوها الى غرفة اخرى فلما فتحوا النور وايقظوها ثم بحثوا عما جرى في الجلسة فوجدوا ان الشباك الذي عليهِ الستارة لم يزل مقفلاً وان غطاء الآلة قد وضع عليها وضعاً غير محكم وان مفتاحها الكهربائي قد ضغط فأَثر القلم في الاسطوانة المدخَّنة

الجلسة الثانية

حضر هذه الجلسة الاستاذ بيوفوى وهو استاذ التشريح الباثولوجي في مدرسة تورين الجامعة ومدير معرض التشريح فيها وسكرتير اكاديمية العلوم وحضرها ايضاً الدكتور ادولاني وسيدة اخرى وكانت اسابيا قد قالت للذين حضروا الجلسة الاولى انهُ لو كان غطاء الآلة من النسيج لا من الكرتون لنقرت على مفتاحها من غير ان تزيل الغطاء عنها فنوَّعوا الآلة

ووضعوا فيها جهازاً لقياس القوة التي تستعملها الروح او الوسيط لضغط المفتاح وغطوا وجهها بغشاء من الصمغ الهندي ولفوا لوحاً من الواح التصوير بورق اسود ومكنوه بمائدة الجلسة من اسفلها باربعة مسامير حتى لا يقع منها مهما تحركت لانهم رأوا صورة فوتوغرافية صوّرت في جلسة اخرى بنور المغنيسيوم ويظهر فيها كأن نوراً يخرج من تحت مائدة الجلسة فارادوا ان يتحققوا ذلك . ولم يخبروا اسابيا بما فعلوا

وجلس الحضور في حلقة حول المائدة ومعهم الدكتور بيو فوى وبقي الكونت فردين وزوجتهُ خارج الحلقة وكذلك الدكتور هرلتزكا فانهُ جلس قرب الخزانة ليرى ما يحدث في الآلة . ولما نامت اسابيا ابتدأ العمل وذلك قبلما خفض النور فارتفعت المائدة الاولى التي في الخزانة وتقدمت نحو الحضور ورفعت الستارة امامها . وبعد عشر دقائق (اي الساعة التاسعة وثلث ليلاً) خفض النور فخرجت المائدة الاولى من الخزانة وازاحت الستارة من الجهة اليسرى وتقدم الدكتور اورلاني ليرى ما وراء الستارة فوقف العمل حينئذٍ وخيف من انقضاء الجلسة عند هذا الحد وبقيت اسابيا مستيقظة وتذكرت في اليوم التالي كل ما حدث حتى الساعة العاشرة . وبعد الساعة العاشرة بدقائق قليلة جعلت المائدة تتحرك تابعة لحركات يد اسابيا حتى وصلت الى الدكتور اتازوفي فدفعها الى الوراء فلم تندفع اي كانت تتقدم والستارة تتقدم امامها ثم ارتفعت في الهواء

وفي الساعة العاشرة والدقيقة العاشرة حاولت اسابيا ان ترفع الستارة فلم تستطع فقالت ان رجل احدى الكراسي واقفة عليها فوجدوا كما قالت وازاحوا الكرسي عنها وللحال تقدمت الستارة حتى بلغت المائدة التي في وسط الحلقة وظهرت الخزانة حينئذٍ والتفت الدكتور هرلتزكا ليرى ما كان يجري فيها وشعر الدكتور اورلاني بضربة على جنبهِ

وأسابيا تكره الورق المدخن ورأى الجلوس معها شيئاً مربعاً على المائدة رآهُ الذين عن يسارها ابيض والذين عن يمينها اسود فقالت لواحد من الذين عن يمينها المس هذا الجسم فلمسهُ واذا هو الورقة المدخنة فضحكت وقالت لقد اتسخت الآن يدك لا يدي . ويقال انها لم تكن تعلم بوجود الورق المدخن

ومزّق الغطاء الذي غطيت بهِ الآلة وقالت اسابيا لسيدة جالسة امامها حول المائدة مدي يدك فمدتها وللحال شعرت بيد خرجت من وراء الستارة ووضعت في يدها قطعاً من النسيج الذي كانت الآلة مغطاة بهِ . ورفعت أسابيا يدها الى فوق رأسها وتناولت قطعاً اخرى من النسيج وناولتها لتلك السيدة . وسمعوا حينئذٍ حركة في المائدة التي عليها الآلة ثم رأوا تلك

المائدة تتقدم لتخرج من الخزانة ونادت اسايا الدكتور هرلتزكا حينئذٍ وطلبت منه ان يضع يدهُ على المائدة امامها وجعلت تضربها بيدها ضرباً لطيفاً وتقول "شيء مستدير صلب" وقد فسّروا ذلك بانها تشير الى غشاء الكاوتشوك الذي على الآلة فانهُ كان مستديراً صلباً وهي لا تعلم بوجوده

وطلبت ان يقوم الدكتور هرلتزكا مقام الدكتور ارولاني بجلس على اليسار قرب الخزانة فشعر للحال بلكة وداس شخص على رجله وغرز ظفر في يده . ورأى بعض الحضور ضبابة بيضاء حول رأس اسايا . ثم سمعوا صوت نقر على غشاء الكاوتشوك وكان النقر مطابقاً لحركة يد اسايا كما شعر الذي كانت يدهُ في يدها مع ان الآلة بعيدة عنها قدماً او قدمين . وكان على المائدة الاولى طبل صغير فارتفع في الهواء فوق رأس اسايا ثم عاد الى مكانه وكان عليها مندولين فخرجت منها بعض الاصوات ثم ارتفعت فوق المائدة ووقعت على الارض وخرجت بعض الاصوات من البيانو الصغير وكانت قدما اسايا على اقدام الجالسين على جانبيها فشعروا كأن قدميها كانتا تتحركان حسب النقر على البيانو فامسك واحد منهم برجلها وطلب منها ان تعيد النقر على البيانو فأعادتهُ وشعر كأن رجلها كانت تتحرك مع النقر حركة طفيفة . ثم ارتفع البيانو فوق رأس الاستاذ فوي ووُضع على مائدة الجلسة . وذكر بعضهم عوينات الدكتور اغازوتي وللحال تقدمت الستارة منهُ ونزعت العوينات عن انفهِ ورمتها على الارض

واراد الدكتور ارولاني ان يقترب من الستارة عن يسار اسايا فتقدمت المائدة منهُ ودفعتهُ الى الوراء وطلبت منهُ اسايا ان يضع يدهُ على عينيها ففعل واذا بكفين وُضعتا على صدرهِ ودفعتاهُ بعنف وكانت يدا اسايا في يدي الرجلين اللذين على جانبيها . وحاول الدكتور ارولاني ان يدنو من الستارة ثانيةً فنادتهُ اسايا قائلةً لا تدنُ وشعر كأن يداً لطمتهُ على رأسهِ

وظهر نور فوق رأس اسايا كأنهُ قنديل كهربائي صغير جداً وقام الدكتور فوي حينئذٍ ومسك لوحاً فوتوغرافياً ليرى هل يؤثر فيهِ ذلك النور وكان البيانو الصغير على المائدة قرب اسايا فجعلت الاصوات تخرج منهُ ورأى الجلوس مفاتيحهُ التي يصدر الصوت منها تنخفض من نفسها . وكان الدكتور فوي ماسكاً اللوح الفوتوغرافي فوق رأس اسايا كما تقدم وهو ملفوف بورق اسود فشعر ان يداً اتت والستارة عليها وقبضت على اللوح فمدَّ يدهُ وراء الستارة فلم يجد شيئاً لكنهُ قبض على اليد المغطاة بالستارة التي كانت تحاول ان تقبض على

اللوح وشعر انهُ قبض على اصابع حقيقية لكن هذه الاصابع افلتت من يدهِ وضربتهُ فأبدل اللوح بآخر فاتت اليد المغطاة بالستارة وقبضت عليهِ وحاول تخليصهُ منها فوقع (اللوح) على مائدة الجلسة ولم ينكسر . وامسك الدكتور اغازوتي لوحاً آخر فوق رأس اسايا فتقدمت اليد والستارة عليها لتخطفهُ منهُ فمنعها من ذلك وبعد جهاد طويل شعر ان شخصاً عضَّ يدهُ باسنانهِ

وحينئذٍ قالت اسايا للاستاذ بيو فوّى ان لا يخاف مهما حدث وطلبت من الحضور ان لا يلمسوا شيئاً مما يطير امامهم في الهواء والاَّ فقد يقع بهم ضرر . وللحال نهضت المائدة الاولى ومرَّت فوق رأس الاستاذ فوى ثم عادت ووقفت على الارض خارج الخزانة ودنا الدكتور اورلاني منها فسارت هي اليهِ ودفعتهُ عنها فامسك بها وكانت من الخشب الابيض الصلب علوها قدمان وتسع عقد وطولها ثلاث اقدام وعرضها نحو قدمين وثقلها ١٧ ليبرة وطلب من اليد التي وراء الستارة ان تمسك يدهُ فقالت لهُ اسايا انها تكسر المائدة اولاً ثم تمسك يدهُ ولم تكد تقول ذلك حتى جعلت المائدة ترتفع في الهواء ثم تقع على الارض وتكرَّر ذلك ثلاثاً ثم دخلت الى داخل الستارة فتبعها الدكتور فوى ورآها مالت على جنبها وخرجت منها رجل من ارجلها وعادت الى خارج الستارة وجعلت تتكسَّر امام الحضور كأنها تتفكك تفككاً وبقيت رجلان من ارجلها عالقتين بقدة من الخشب فنهضتا وطارتا في الهواء ثم وقفتا على مائدة الجلسة . وحينئذٍ قالت اسايا ويل لك يا صاحب البيت فقال لها الدكتور اورلاني قد كُسرت المائدة فدعي اليد تمسك يدي فطلبت منهُ اسايا ان يدنو من الستارة ولم يكد يصل اليها حتى ضُرب بقطعة من الخشب وبيدين وسمع الحضور كلهم صوت الضرب . وشعر واحد من الحضور ان يداً تدغدغهُ تحت ابطهِ

وقال الدكتور اورلاني حينئذٍ ان هذه القوة لا تظهر الاَّ على بضع عقد فقط فطلبت منهُ اسايا ان يقف على مائدة الجلسة فركع عليها ركعاً واذا بقطعة من الخشب ضربتهُ على رأسهِ ثم ارتفعت قدمان من اقدام المائدة ثلاث مرات وفي المرة الثالثة ارتفعت بقوة ودفعتهُ عنها فارتمى على الارض

وظهر التعب على اسايا حينئذٍ فالقت رأسها على كتف الشخص الملاصق لها ثم نهضت فنهض معها الجلوس وانتقلت مائدة الجلسة الى وسط الغرفة وارتفعت في الهواء وقال واحد حينئذٍ ان لوحاً فوتوغرافياً موضوع تحت المائدة ممكن بها فطلبت اسايا من الدكتور اغازوتي ان يناولها يدهُ وللحال خرج اللوح من تحت المائدة وارتمى على اعلاها

وكانت الساعة ١ بعد نصف الليل فوضعوا اسابيا في كرسي كبير ونقلوها الى غرفة ثانية وايقظوها

وفحصوا ما في الغرفة فوجدوا المائدة الاولى مكسَّرة كسرًا كثيرة وقد أُخرج مسماران من المسامير الاربعة التي كانت ممسكة اللوح الفوتوغرافي تحت مائدة الجلسة . وآلة قياس القوة تدلُّ على انهُ حدث ضغط على الغشاء يساوي ٢٣ ليبرة . وظهر على اللوح الذي مسكتهُ اليد الخفية اثار اربع اصابع كبيرة كانها السبابة والوسطى والبنصر والخنصر. ومضت بقية الليل على اسابيا وهي في حالة التعب والانحطاط

ستأتي البقية

الشفاء الغريب

من الغرائب التي رأيناها منشورة في "مجلة العلوم النفسية" وصف شفاء غريب يشبه وصف الشفاء الذي ذكرهُ الدكتور شميل ونشرناهُ في بعض الاجزاء الماضية من المقتطف. وهو خطبة للمسيو ماغنين Magnin القاها في بيتهِ في الثامن من شهر مايو الماضي على جماعة من اهل العلم والفضل وهو استاذ في مدرسة المخنتزم قال

اعذروني ايها السادة لاني تجاسرت ودعوتكم الى بيتي وما ذلك الَّا لانني شاهدت في هذه الاثناء حادثة غريبة يمكن ضمها الى غيرها من الحوادث المماثلة لها فتكشف لنا سبيلاً جديدًا للبحث ولذلك رأيت ان اطلع عليها الرجال الاكفاء

لا يخفى عليكم ايها السادة اننا عائشون في عصر كثير الغرائب ولقد تقدم العلم كثيرًا في القرن الماضي ولكنهُ لم يحلّ المسألة الكبيرة التي هي حقيقة الكون بل ارانا بُعدنا الشاسع عن حلها

والعلم الذي تقدم اقل من غيرهِ هو علم النفس اي علم حقيقة الانسان وذلك لانهُ اعوص العلوم كلها . اما الآن فقد اتجهت الافكار اليهِ اكثر من ذي قبل وكثر عدد المشتغلين بهِ وطالبي الوقوف على شيءٍ من حقيقتهِ ولذلك يترتب على كل من عرف شيئًا يتعلق بعلم النفس ان يُطلع عليهِ الرجال الذين لا يشك في علمهم وكفاءتهم . وليس المجال مجال ظنون واوهام بل هو مجال بحث عن الحقيقة وتمحيص للحوادث وهذا ما اردتهُ في هذه الليلة

والآن اذكر لكم تاريخ المرأة التي دعوتكم لمشاهدتها واني واثق بصدق الرجلين اللذين اطلعاني على هذا التاريخ . ثم اطلعكم على تشخيص الاطباء الذين عالجوها قبلي

وتشخيص الدكتور بوده سان مرتين والدكتور غرانجيان والدكتور دشل الذين فحصوها قبلما اخذتُ اعالجها . والمرأة ليست هنا الآن لاني لم استنسب ان تسمع خطبةً عنها لئلا يؤثر ذلك فيها . وسترونها بعد الخطبة وتفحصونها كما تشاؤون وتقابلون حالتها الآن بما كانت عليهِ منذ شهرين

عمر المرأة ٢٨ سنة وهي ايم غير متزوجة ماتت امها بالسل الرئوي وعمرها ٣٦ سنة ومات ابوها باحتقان دموي اصابهُ على اثر برد شديد وعمرهُ ٦١ سنة ومات لها اخ بتدرُّن الدماغ وعمرهُ ثماني سنوات ولها اخ آخر عمرهُ ٢٤ سنة وهو مصاب بالسل ايضاً واخت عمرها ٣٣ سنة وهي في صحة جيدة

وبنية هذه المرأة نحيفة وقد مرضت كثيرًا اصابها اولاً زكام شديد في صدرها وعمرها اربع سنوات وتكرَّر عليها في السنة الثانية عشرة والخامسة عشرة من عمرها . ويصيبها التهاب شعبي كل شتاء. وقد ضعفت كثيرًا لما كان عمرها عشرين سنة وانتابتها نوب الاغماء واخذت تنفث دماً منذ سنتين ولم ينقطع نفث الدم الاَّ بعد ان عالجتها . وهي مصابة من طفوليتها بالقبض المستعصي . وماتت امها وهي صغيرة السن فربتها عمتها ولم تكن رؤوفاً فكانت تقسو عليها ولما بلغت اشدها هربت ولجأت الى احدى النساء الفاضلات فاخذتها هذه الى بيتها وتبنتها وعاملتها كأنها ابنتها تماماً

وفي شهر يناير سنة ١٩٠٥ اصيبت بضربة عند قاعدة انفها فورم انفها كثيرًا ولم تعالجهُ واضطت قواها في شهر مارس من تلك السنة فلم تعد تأكل ولم تعد تنام . واستشارت الدكتور بوسوي فسقاها كثيرًا من المنوّمات على غير فائدة وزاد نفثها للدم وارتفعت حرارتها . وعولجت بالارجوتين والكريوسوت والجياكول والتنين . وزاد ضعفها في شهر ابريل ولم تعد رجلاها تحملانها فنامت في سريرها ولم تعد تستطيع القيام منهُ . وأعطيت المقويات ونُظِّفت امعاؤها بالكهربائية على غير جدوى . وتمددت معدتها وشُلَّت امعاؤها وصار لا بدَّ من اخراج المبرزات منها بالوسائط الآلية واخراج البول بالقثطار بسبب شلل المثانة وأصيبت بنوب من السعال الشديد من غير نفث لانها كانت تبلع ما تريد نفثهُ وبقيت تنفث جلطاً من الدم يومياً يتبعها الاغماء غالباً

وفي ٢٦ فبراير سنة ١٩٠٧ كانت مطروحة في فراشها لا يتحرك منها سوى يديها ولم تكن تحركها الاَّ نادرًا وكان وجهها اصفر نحيلاً ولكن عينيها كانتا برّاقتين . ولم تكن تستطيع الجلوس في فراشها ولو أُجلست لضعف فقراتها واذا أُجلست أُغمي عليها . وكانت معدتها

ممددة كثيراً وامعاؤها متورمة يسهل تمييز حدودها من ظاهر بطنها . ولم تكن تستطيع ان تحرّك رجليها ولم تظهر النحافة فيها لان ما زال من عضلاتها قام مقامهُ شيءٌ في النسيج الخلوي تحت الجلد وكانت حرارتها في المستقيم ٣٧½ في الصباح و٣٩ في المساء

وظهر بالبحث الاكلينيكي انها مصابة في رئتيها معاً وان الضغط على بطنها يؤلمها جداً ألماً غير محتمل وفقراتها العنقيَّة محدبة والظهرية مقعرة وكذا القطنية ونتواتها تتألم من اقل ضغط وقد فقدت الشعور من فخذيها

وفحصت عن احوالها واحوال اهلها فعلمت ان اخاها الاصغر الذي مات وعمرهُ ٨ سنوات بتدرّن الدماغ كان يرى رؤًى منذ صغره وينبئ بامور مستقبلة فتصدق نبوءَتهُ وانهُ شفى بعض المرضى وان ابويهِ كتما امرهُ مدة حياتهِ القصيرة . وابوها ايضاً كان يرى رؤًى وكان يبحث في الامور الوهميَّة . اما هي فلم تكن ترى في صغرها رؤًى ولا شيئاً غير عاديّ ولكنها رأت في شهر سبتمبر الماضي رؤيا كان لها شأن كبير في شفائها ولم تكن قد سمعت باسمي وقد قالت لي بعدئذٍ ما يأتي

« في الثامن عشر من شهر سبتمبر في الساعة الثانية بعد نصف الليل استيقظتُ وطفيءَ قنديلي بغتةً فأضأتهُ ورأيت انهُ لا يزال فيهِ زيت فانطفأ ثانيةً وكان باب غرفتي مفتوحاً قليلاً فرأيت من خلالهِ نوراً في المطبخ وسمعتُ قائلاً يقول القدريين ان تحتملي هذه التجربة فقلت نعم وللحال رأيت يداً نحيفة اقتربت مني وهي ماسكة مشعلاً اضاء الغرفة كلها وقرأت كتابة كُتبت امامي يقال فيها « في الثامن من شهر مايو تقومين » . وزالت هذه الرؤيا رويداً وخيم الظلام ثانية ثم اضاء القنديل من نفسهِ »

فاصغيت الى كلامها وصدقتهُ . ويُلاحظ هنا انها لم تخف بل تأثرت شأن كل الذين تبدو منهم افعال روحيَّة . وسمعت هذه القصة من المرأة التي تبنتها ومن الممرضة التي كانت تمرضها حينئذ على اختلاف طفيف بين الروايات الثلاث . فسألتها عما اذا كانت رأت تلك اليد ثانية فقالت انها لم ترها ولكنها لا تزال تتذكرها جيداً وتميزها ولو رأتها بين الف يد

فقلت في نفسي لا بدَّ من الاعتماد على هذه الرؤيا واستخدامها للشفاء واعتمدتُ على تنبيه ذاتها الثانية بالتنويم

ثم ذكر تشخيص الاطباء الذين شاهدوها وهم الدكتور بوسوى والدكتور لافي والدكتور غرانجيان والدكتور دشل والدكتور بوده سان مرتبين كلٌّ على حدتهِ وخلاصة ذلك انها

كانت مصابة بالتدرُّن في قمة رئتيها ولاسيما اليسرى وبفالج القسم السفلي وبالقبض وعسر البول الناتجين عن شلل المستقيم والمثانة وبآفات في الحبل الشوكي · ثم ذكر طريقة العلاج الذي عالجها بهِ فقال

في ١ مارس · حاولتُ تقليل شعورها بالالم بواسطة التنويم المغنطيسي فنامت نوماً هادئاً ساعتين وكنت انوّمها ساعتين كل يوم ومضت ستة ايام على هذه الصورة

في ٧ مارس . هبطت حرارتها فجأة الى الدرجة ٣٥ وخرجت (تغوّطت) عشر مرات وكان خروجها (غائطها) دموياً والم بطنها شديداً جداً فحقنتها ومغنطتُ بطنها فقالت لي وهي في حالة النوم المغنطيسي انها ترى الكهربائية تخرج من اصابعي وهي اشد في اليمنى منها في اليسرى وان هذه الكهربائية تدخل امعاءها وتريحها . وبعد نصف ساعة خرجت الماء الذي حُقنت بهِ ومعهُ مقدار كبير من الجلد الابيض وهو مكتّل كُتلاً وارتفعت حرارتها حينئذٍ الى الدرجة ٣٧

في ٨ مارس · قلَّ تمدد بطنها والمهُ ونامت بضع ساعات في الليل من غير منوّم ومنظرها احسن مما كان وصوتها اقوى . فنوّمتها (النوم المغنطيسي) ومغنطت بطنها · ولما استيقظت قالت لي انها رأت فتاةً جميلة الى جانبي وان هذه الفتاة تزورها احياناً ووصفتها لي وصفاً ينطبق على سيدة كان لي علاقة بها وكنت افكر بها عن غير قصد مني . فسألتها مسألة فلم تجبني بل نامت النوم المغنطيسي من نفسها وظهر بعد بضع دقائق كأنها كادت تختنق فمدّت يديها وقالت بصوت خافت ساعدني ساعدني · فدلكت عنقها ونفخت على قلبها مراراً وانا اقول لها خذي القوَّة · فسمعتها تقول ساعدني حتى انزل الى هذه الحفرة . وبعد بضع دقائق تنهّدت وادارت رأسها وحاولت الجلوس فساعدتها فجلست منتصبة فقلتُ للذات التي قالت انها رأتها " ان كنتِ انتِ قد جعلتها تجلس فاجعليها تمشي ايضاً " ورميت الدثار عنها فرفعت رجلها اليمنى وانزلتها عن السرير ثم دارت وانزلت رجلها اليسرى ووقفت وهي مستندة الى السرير . فقلتُ لها امشي امشي فانكِ تستطيعين المشي · فمشت حول الغرفة مرتين وهي ممسكة اليد الواحدة بالاخرى ورافعة رأسها تنظر الى اعلى وتغيّرت هيئتها ورأيتُ هالة حول رأسها ولما دنت من السرير وصارت على خطوتين منهُ انحنى جسمها ومال رأسها الى الوراء وارتجفت ركبتاها فمسكتها بيديّ ووضعتها على سريرها · وبعد نصف ساعة ايقظتها فظهر لي انها لم تتعب ولم تكن تتذكر شيئاً مما قالت وفعلت · فضغطت مركز الذاكرة بين الحاجبين فتذكرت ما جرى لها بين حالة ذاتيتها الاولى وحالة الذاتية الثانية ولكن لم تتذكر

شيئاً مما جرى في حالة الذاتية الثالثة او الغيبوبة . ووجدت في اليوم التالي تحسُّناً في وجهها وصوتها ونامت سبع ساعات ذلك الليل

١١ مارس . فحصها الدكتور غرانجيان فوجد تحسناً في حالتها العمومية لكنهُ اثبت ما تقدم عن رئتيها وبطنها وعمودها الفقري

١٥ مارس . كان من اسوإ الايام عليها فتألمت كثيراً من امعائها ونفثت دماً اكثر من المعتاد واصابتها نوب اغماء كثيرة وكادت تختنق . فنوَّمتها واثرت في رئتيها وبطنها بالاشارات المستديرة فانتقلت حالاً الى الدرجة الثالثة من درجات التنويم المغنطيسي التي تظهر فيها الذات الثانية وبعد كلام طويل تعذروني عن اعادتهِ قالت الذات الثانية " انها من الآن وصاعداً تصير قادرة على رفع رأسها وعلى استعمال يديها وينقطع نفث الدم وانت تشفيها تماماً اذا كانت ثقتك كافية " ثم ان المريضة ابعدت الغطاء عنها وجعلت تحرك رجليها وقدميها . ولما استيقظت لم تكن تتذكر شيئاً من ذلك وبقيت تحقن مرة كل يومين لاجل التغوُّط

١٦ مارس . نامت سبع ساعات واخبرتني ان صديقتها زارتها وطلبت منها ان تمد يديها ولمستها فشعرت كأن قوة بُثّت في اعضائها ثم كتبت اليَّ مكتوباً وهو اول مكتوب كتبتهُ منذ ٢٣ شهراً وقالت انها لم تنفث دماً كل ذلك اليوم وانقطع نفث الدم من ذلك الحين

١٧ مارس . شعرت من حين ما استيقظت بنخس وارتجاف في اعلى فخذيها ففحصتها ووجدتُ ان الشعور رجع الى جزء مساحتهُ اربع بوصات في كلٍّ من الفخذين . فنوَّمتها في الدرجة الثانية (درجة السمنمبولزم) وجعلتها تحرك الحركات التي يقصد بها العلاج فتألمت من حقويها فاوصلتها الى الدرجة الثالثة فقالت لي ذاتها الثانية " سيبقى ألمها الى ان يردّ الشعور الى كل جزء من فخذيها " فقلت لها متى يكون ذلك فقالت ان الشعور يعود تدريجاً عشرة سنتيمترات كل يوم فيتم يوم الاربعاء في السابع والعشرين من مارس

فقست الساق والقدم فوجدت طولها متراً وسنتيمترين فيرد الشعور اليهما كليهما في عشرة ايام . وسألتها عن اليوم الذي تشفى فيهِ الشفاء التام فقالت في الخامس عشر من شهر مايو . فقلت واي يوم يكون فقالت يوم الاربعاء وهو كذلك . ولما استيقظت لم تكن تتذكر شيئاً مما قالتهُ وهي نائمة

وجعل الشعور يعود الى رجليها على حسب ما قالت عشرة سنتيمترات كل يوم مبتدئاً من الاعلى فبلغ اصابع رجليها في السابع والعشرين من شهر مارس وصار شكل بطنها عادياً تقريباً ولم يبقَ الاَّ قرقرة قليلة في الامعاء

١٨ مارس . نوّمتها فلما بلغت الدرجة الثالثة قالت لي ذاتها الثانية انها ستخرج خروجاً دموياً بألم قليل مراراً قليلة بعد الآن ولكن يجب ان لا نقلق لذلك لانها تشفى معدتها ويشفى صدرها ايضاً . ولما استيقظت لم تكن تذكر شيئاً مما قالت

١٩ مارس . خرجت مرتين خروجاً دموياً بين السائل والجامد ولكن ليس معهُ قطع جلدية وذلك انها اكلت برتقالتين بامر الذات الثانية ولم تكن تستطيع اكل البرتقال من قبل فاكلتهُ هذه المرة بلذة وسرور . وقالت انها صارت تشعر بخروج المبرزات منها

٢١ مارس . شعرت بحركة امعائها ولم تكن تشعر بها قبلاً

٢٥ مارس . هبط الالم من حقويها الى ركبتيها بتأثير "صديقتها الصغيرة" التي ساعدتها على تداول الطعام والتغذية

٢٦ مارس . وصل الشعور الى قدميها والالم الى اعقابها

٢٧ مارس . زال الالم من حقويها وركبتيها واعقابها وعاد الشعور الى جسمها كله وصارت تتحرك اكثر من قبل

٢٩ مارس . خرجت خروجاً عادياً اول مرة من دون حقنة ومن دون مغنطة ولما نوّمتها وبلغت الدرجة الثالثة قالت لي ذاتها الثانية انها ستصير تخرج يومياً خروجاً منتظماً بعد بضعة ايام ولكن ذلك غير ممكن الآن

٣٠ مارس . صارت حركات البسط والقبض في اطرافها كلها طبيعيةً ونامت في الليل الماضي عشر ساعات . وقالت لي وهي في الحالة الثالثة انها ستصير قادرة على طي ساقيها في الخامس عشر من ابريل

٣ ابريل . خرجت كثيراً . وقالت لي وهي في الحالة الثالثة ان افرك ظهرها عند السلسلة الفقرية بزيت بزر الكتان ثم بالثوم حتى يحمرّ واكدت لي ان الانخفاض الذي في السلسلة الفقرية سيقل رويداً رويداً ثم يزول وانها ستصير قادرة على المشي في ٨ مايو وانها تشفى تماماً في ١٥ مايو ولا تمرُّ على حالة النقه وتصير صحتها اجود مما كانت قبل مرضها . ولما استيقظت لم تكن لتذكر شيئاً مما قالتهُ وهي نائمة

٤ ابريل . صارت تحرك قدميها بسهولة ولا سيما القدم اليمنى وشعرت بالم شديد في الانخفاض الذي في سلسلتها الفقرية مدة ساعتين ولا يزال لمس النتوات مؤلماً

٥ ابريل . شاهدها الدكتور غراندجيان فوجد تحسناً كبيراً في ركبتيها ورأى ان التقوّس الذي كان في الفقرات العنقية زال واما الذي في الفقرات الظهرية فلا يزال كما كان

٧ ابريل · لا تزال عاجزة عن تحريك اصابع رجليها

٩ ابريل · صار خروجها طبيعياً وصارت تحرك اصابع رجليها

١٠ ابريل · التحسن مستمر ومشت وهي في الدرجة الثالثة امام الدكتور غراندجيان فرأى تحسناً في موازنة حركاتها

١٢ ابريل · قالت لي انها منذ شعرت بالفرك في سلسلتها الفقرية صارت تتألم كل يوم ساعتين ولا يزول الألم الاّ حينما تسمع نقرًا في الفقرات · فنوّمتها ولما صارت في الدرجة الثالثة قالت انها تصير قادرة على رفع رجليها في ٢٥ ابريل وعلى الجلوس في فراشها في اول مايو

١٥ ابريل . نوّمتها وامرتها ان تحرك رجليها وتطويهما ففعلت بعد عناء شديد · ولما بلغت الدرجة الثالثة اكّدت لي ذاتها الثانية ان الالم في سلسلتها هو نتيجة عمليات تعمل فيها وانهُ لا بد من هذه العمليات ولا بدَّ لها من ان تحتمل المها وانها ستخبرها بذلك وتصبّرها . ومن ثم لم تعُد تشكو المًا

١٨ ابريل . صار الخروج طبيعياً واشتدَّ الم ظهرها لكنها لم تتألم في الليل بل نامت ١٢ ساعة

٢٠ ابريل . صار الخروج طبيعياً وصارت تخرج يومياً

٢٣ ابريل · زال الم ظهرها وجعلت الفقرات التي كانت غائرة تبرز

٢٥ ابريل . رفعت احدى قدميها من الفراش · وحاولتُ ان اجعلها تجلس فتألمت المًا شديدًا في ظهرها

اول مايو · رافقني الدكتور بوده سان مرتين وفحصها فحصاً طويلاً فلم يجد آفةً في رئتيها وقال ان الانخفاض الذي كان في سلسلة ظهرها قد قلَّ في طولهِ وعمقهِ والتحدُّب الذي كان في الفقرات العنقية زال تماماً. وكان بطنها لا يزال متمددًا قليلاً ولكنهُ لا يتألم تحت الجس · وصارت تنام ١٢ ساعة كل ليلة وتأكل جيدًا وحاولتُ انا وهو ان نجلسها فلم تستطع الجلوس وبعد دقائق قليلة همست في اذني قائلة ان صديقتها الصغيرة عند طرف سريرها وانها باسطة يديها وتقول لها لتأتي اليها· ثم تشدّد ظهرها وصارت تنتصب وذلك في اليوم المعين · ونوّمتها فلما بلغت الدرجة الثالثة امرتها ان تقوم وتمشي فقامت ومشت ومرّنت رجليها على الحركة وصعدت الى سريرها وحدها مع انهُ عالٍ ولما استيقظت كانت لا تزال جالسة منتصبة فسرّت بذلك كثيرًا · وطلبتُ منها ان تقف فلم تستطع · ومن ذلك اليوم فصاعدًا اخذت حالتها تزيد تحسناً

هذه ايها السادة الامور التي حدثت ذكرتها لكم بتواريخها من غير اقل مبالغة وانا لا افهمها بل اذا كانت تفهم فانتم ادرى مني بفهمها . ومع ذلك فاني استاذنكم في اظهار رأيي فيها لان المرء ميال الى البحث عن اسباب ما يراهُ وتعليله

يقول البعض ان هذا الشفاء تمَّ بالاستهواء وعندي ان ذلك خطأٌ لان الفكر لا يغير الاعضاء تغييرًا ماديًا محسوسًا وعندي ان الفكر حرَّك قوةً ادبيةً وهذه حرَّكت قوة ماديةً . وهل تظنون ايها السادة اننا فسَّرنا ما حدث بقولنا انهُ حدث بالاستهواء . لا اظن . ثمَّ ان هذا الاستهواء صحبهُ ظهور ذات ثانية لها ارادة مستقلةٌ . ولم تبقَ شبهة الآن في ان لنفس الانسان اكثر من ذاتية واحدة ولو كنا لا نفهم كيفية ذلك

والغالب في مثل هذه الحادثة ان يقال انها من الهستيريا . والهستيريا اسم مسمَّاهُ . نعم ان شاركو حاول تحديدها وجعلها مرضًا قائمًا برأسهِ ولكننا نجد بالاختبار ان الهستيريا لا تقف عند الحدود التي وضعها لها ولم تزل الآن حيث كنا منذ خمسين سنة ولنفرض ان هذه الحادثة هستيريا . فما هي الهستيريا فقد علَّمنا الدكتور بيرجانه ان الهستيريا تمتاز بتوجيه الفكر توجيهًا يؤثر في الجسم . فالاعتماد اذًا على جعل العقل يؤثر في المادة . وهنا عقدة المسألة . فاذا قلنا ان هذه الحادثة نوع من الهستيريا فهل تكون قد ادركنا حقيقتها وهل تكفي الاسماء لاظهار الحقائق

هذا ولنعد الى هذه الذات الثانية فنرى انها تعرف امورًا كثيرة من خواص المادة ولاسيما خواص جسم الانسان — امورًا لا نعرفها نحن . فانها ان كانت قد عرفت كيف ترتب ما كان مشوَّشًا وتنظم ما كان مختلاً وتضع القوة محل الضعف وتبني ما كان خربًا فهي تعرف المواد التي استعملتها

فهل في الانسان —في اعماق نفسهِ قوى خفيَّة لا يشعر بها تعرف حقائق طبيعتهِ وطبائع ما حولهُ . وان كان الامر كذلك فلماذا لا تصل هذه المعرفة الى مشاعرنا العادية . نعم ان البعض يقولون انها تصل . ولكن لا دليل لنا على ذلك وغاية ما نعلمهُ عن ثقة ان كل معلوماتنا آتية عن طريق الحواس والاستدلال الذي نشعر بهِ هو كما علمت الدورة الدموية بتجارب وليم هارفي لا بالشعور الباطن . فتبقى هذه الذات الثانية امرًا غامضًا مع انها انفسنا ذاتها

ولكن هل هي انفسنا . هل يمكننا ان نثبت ذلك . من المقرر ان الانسان يسلم بالآراء او التعاليل العلميَّة ما دامت كافية لتعليل الحوادث التي يراها . ويظهر لي ان القول بانقسام

ذات الانسان الى اكثر من ذات واحدة لا يفسّر وجود هذه القوة التي تشفي السقيم وتصلح المختل وتبني ما تخرَّب كما رأينا

فهل نعود الى الارواح التي يقول البعض بوجودها . هنا ارى اننا واقفون فوق هوة عميقة تذهل العقول ولا نرى امامنا الا ظلاماً دامساً

والقول بوجود الارواح لا يحلُّ هذه المشكلات ولاسيما اذا كانت ارواح اناس ماتوا

ولكننا نرى من جهة اخرى ادلة كثيرة على انهُ قد يكون حولنا موجودات لا نعلم حقيقتها ولا يمكننا ادراكها بحواسنا . ثم ان العقل يؤيد وجود هذه الموجودات لانهُ يعسر علينا ان نتصور انحصار الادراك فينا نحن مع اتساع العالم الذي نحن فيهِ . وارى ان الوقوف ههنا اولى من التوغل . واذا طلب مني ان اذكر التعليل الذي افضلهُ على غيرهِ قلتُ انا نرى في هذه الحادثة انقساماً في ذاتية هذه المرأة او ان لها ذاتاً ثانية وهذه الذات الثانية تعرف كثيراً من عواطفي التي لم اطلعها عليها بالوسائط العاديَّة فكيف ادركت ذلك . انا لا اعلم ولا ادَّعي اني اعلم لانني لا اعرف ماهية هذه الذات . وسبيلنا الوحيد سبيل التجربة والامتحان فلنكثر من التجارب وجمع الحقائق ولا بدَّ من الوصول الى الغرض المطلوب اخيرًا . ولهذا الغرض عينهِ دعوتكم الليلة ايها السادة لاطلعكم على ما اطلعتُ عليهِ

ولما أتمَّ خطبتهُ أُتي بالمريضة ووضعت على مائدة امام الحضور وكانت بشوشة الوجه تبدو عليها مخايل البساطة والتسليم ففحصها الدكتوران بوده سان مرتين وفليغ ثم بقية الاطباء الحاضرين فوجدوا رئتيها سليمتين وبطنها في حالتهِ الطبيعية وفحص الدكتور اوكوروتز عمودها الفقري فوجدهُ سليماً ما عدا انخفاضاً طفيفاً في ظهرها . وجلست امامهم ثم نزلت عن المائدة وحاولت الوقوف فالتوت رجلاها تحتها فأعيدت الى المائدة . ثم نوَّمها المسيو مغنين فنامت وبلغت حالة عدم الشعور بالالم (Analgesia) فقالت انها ترى صديقتها الصغيرة . ثم صمتت ومدَّت يديها امامها وتنهدت تنهدًا عميقاً وجلست من تلقاء نفسها وجعلت تتكلم بصوت مخالف لصوتها الاول (اي ان ذاتها الثانية صارت تتكلم) فأعادت الكلام الذي قالتهُ في الثامن عشر من سبتمبر الماضي وهو انها ستشفي المريضة لانها بتجبة ثم اعادت وعدها الذي وعدت بهِ في ١٦ مارس وعادت الى الدرجة الثانية وتبسمت وطلبت ان تشرب فايقظها المسيو مغنين وسألها هل رأت صديقتها الصغيرة فاحمرَّ وجهها كأنها خجلت ان تقول فاكد لها ان الحاضرين كلهم يصدقون قولها فالتفتت يمنةً ويسرةً وقالت لا . وبعد دقائق قليلة اشرق وجهها وتبسمت وقالت لهم انها رأتها وسمعتها . فطلب منها واحد من الحضور ان تصفها لهم

فوصفتها . فرأى المسيو سيزارده فزم ان وصفها ينطبق على وصف فتاة كان المسيو مغنين يحبها وتوفيت منذ سنتين ونصف واخبر المسيو مغنين بذلك فقال نعم وكانت المريضة تسمع كلامهُ ثم مدت يديها وقالت ان صديقتها تدعوها لتقوم ثم انزلت رجليها عن المائدة وجعلت تمشي ويداها ممدودتان امامها كأنَّ واحداً يقودها بهما ومشت عشر خطوات ثم قبضت على شيء بذراعيها كأنهُ رأس غير منظور وقبلتهُ ثم ارتمت بين ذراعي المرأة التي تبنتها وجعلت تبكي ومدت يديها نحو المسيو مغنين وشكرتهُ وظلت واقفة على رجليها نحو ساعة

وسأل المسيو ده فزم الدكتور بوده سان مرتين هل كانت هذه الفتاة مسلولة فقال لا اعلم انها كانت مسلولة حقيقة ولكنني وجدت فيها كل اعراض السل الرئوي وايد بقية الاطباء قولهُ وقالوا انهُ لم يبقَ بها الآن اقل عرض من اعراض السل . وقال الدكتور غرانجان ان هذه الحادثة من اغرب الحوادث التي رآها . وقال الدكتور شوارتز النمسوي ان هذه الحادثة تفيد اكثر من درس سنتين . واستغرب الاب بيلانت محرر المجلة الفلسفية ما رأى وسأل مسائل كثيرة

ثم حدث امر غريب وهو ان المريضة وقع نظرها على صورة فوتوغرافية معلقة في الغرفة بين صور كثيرة فقالت انها صورة صديقتها الصغيرة (وهي صورة الفتاة التي كان المسيو مغنين يحبها وقال انهُ لم يفكر بها حينما كان يكلّم الذات الثانية ولكن المريضة لم ترَ هذه الصورة قبلاً ولا دخلت تلك الغرفة)

وفي ١٥ مايو شفيت تماماً ورآها المسيو مغنين تمشي في غرفتها كأنها لم تكن مريضة وكان قد اصابها التهاب في المثانة بسبب الحقن فلم يبقَ لهُ اثر

قال فلامريون الفلكي المشهور اننا نعرف ان مذنب هالي الذي ظهر سنة ١٨٣٥ سيعود ثانيةً ويمكننا ان نعين موقعهُ الآن بين الثوابت بالتدقيق ... ولكن هذا العلم يحدو بنا الى صغر النفس حينما نرى اننا نجهل طبيعتنا في مباحثنا النسولوجية والبسيكولوجية والبيولوجية والطبية . انتهى

نقول والذين طالعوا مقالة الدكتور شميل يرون شدة الشبه بين الحادثتين . وغنيٌّ عن البيان ان وجود اعراض السل لا تكفي وحدها لاثبات وجوده ولا ندري لماذا لم يبحث هؤلاء الاطباء عن باشلس السل بحثاً مكروسكوبياً وبكتيريولوجياً . ومع ذلك يبقى في الحادثتين غوامض كثيرة يعسر حلها في حالة العلم الحاضرة

المريخ وترعهُ

ذكرنا في الجزء الماضي ان المريخ دنا من الارض في اوائل هذا الصيف فسهل رصدهُ وتصويرهُ بالفوتوغرافيا صوراً ظهرت فيها ترعهُ المفردة والمزدوجة على ما قال راصدوهُ . وقد اطلعنا الآن على مقالة في مجلة وندزور قريبة المأخذ على ما فيها من الحقائق العلمية جمعت اكثر ما يعرف عن هذا السيَّار حتى الآن فاقتطفنا منها ما يأتي مضيفين اليهِ ما تتم بهِ الفائدة . قال الكاتب

تصوَّر انك عشت بعد الآن بملايين من السنين فانك تجد الارض حينئذٍ وقد تمهدت جبالها فصارت سهولاً واقحلت مروجها فصارت صحاري وانفلتت الغازات منها فقلَّ هراؤها ولم يتقلب بل صارت فصولها تجري على وتيرة واحدة وصحا جوها ولم تعد الغيوم تنتشر فيهِ الاَّ نادراً حتى اذا مرت فيهِ سحابة رصدها السكان كما ترصد ذوات الاذناب وذكرها المؤَرخون في تواريخهم . وجفت منها البحار والبحيرات او غارت مياهها ولم يبقَ من كل البحار التي تغطي الآن اربعة اخماس الكرة سوى بقعتين من الجليد عند القطبين . هذه الحالة التي سوف تصل اليها الارض بعد الملايين من السنين هي حالة المريخ الآن كما دلَّت عليهِ المكتشفات الحديثة

واذا كان الامر كذلك — اذا كان المريخ قد قدم وشاخ حتى لم يبقَ من مياههِ وبحارهِ سوى بقعتين من الجليد عند قطبيهِ فلذوبان هذا الجليد وجريان الماء منهُ شأن كبير عند سكان المريخ ان كان مسكوناً بل هو الشأن الاكبر لان عليهِ تتوقف حياتهم ومعيشتهم فلا يكون لهم شغل شاغل سوى تدبير الطرق لجر هذا الماء الى كل الانحاء المسكونة والحرص عليهِ والانتفاع بهِ . فالري هو المسألة الكبرى عندهم كما انهُ المسألة الكبرى عند سكان مصر والسودان

وقد استدلَّ العلماء منذ مئتي سنة على وجود الثلج عند قطبي المريخ وذوبانهِ في فصل الصيف . ولم يجمع الفلكيون على امر من امور المريخ كما اجمعوا على ان الثلج يتجمع عند قطبيهِ ثم يذوب عنهما . ويظهر من القياسات الحديثة ان الثلج المتجمع هناك يغطي دائرة واسعة جدًّا يبلغ قطرها احياناً الفي ميل . ثم يذوب حينما يشتدُّ الحر في صيف المريخ . ومن الغريب اننا نعرف الآن من امر قطبي المريخ اكثر مما نعرف من امر قطبي الارض . والفضل في ذلك للاستاذ لول مدير المرصد المنسوب اليهِ وللاستاذ بكرنغ مدير المرصد التابع لمدرسة

هارفرد الجامعة فقد رأياها هما وغيرهما من الرصد ان دائرة الثلج البيضاء تضيق رويداً رويداً بقدوم فصل الصيف في المريخ وتنفصل منها دوائر صغيرة وهذه تضيق ايضاً ويحيط بها مناطق ضاربة الى الزرقة حسب لون الماء الطبيعي. واثبت الاستاذ بكرنج انها ماء بواسطة الآلة المعروفة بالبولارسكوب . فتلك المناطق الزرقاء مياهٌ او بحار واسعة لا يعيش نبات من دونها . وان كان في المريخ نبات فحياتهُ متوقفة على هذه المياه لانهُ لا يقع فيهِ مطر بسبب لطافة هوائهِ . وقد يقال كيف يقع الثلج على قطبي المريخ ولا مطر فيهِ والجواب ان ذلك الثلج لا يقع وقوعاً بل يرسب رسوباً كما يرسب الندى على اوراق الاشجار من رطوبة الهواء

وكما ينتظر اهل مصر فيضان النيل ليزرعوا زرعهم ويرووهُ من مائهِ ينتظر سكان المريخ ذوبان الثلج في الانحاء القطبية ليجري ماؤُهُ الى حقولهم ويرويها. وهب ان سكان المريخ على جانب من العقل والعلم مثل سكان الارض فلا بدَّ من انهم يحفرون ترعاً كبيرة يجري فيها الماء من جهة القطبين الى السهول التي يسكنونها ويزرعون فيها زرعهم . فاذا فرضنا وجود العقل في ادمغتهم فلا بدَّ من الوصول الى هذه النتيجة

وقد ابان شياپارلي ولول وبكرنج[1] وهم اشهر المشتغلين برصد المريخ ان فيهِ خطوطاً مظلمة وهي التي سماها شياپارلي بالاقنية او الترع . ويقال الآن ان هذه الخطوط ليست الترع نفسها بل هي الزرع النابت على ضفافها . ولما قال شياپارلي انهُ رأى هذه الترع او الخطوط المزدوجة قال علماء الفلك انهُ واهم ولا يزال بعضهم يقول ان رؤْيتهُ لها ظاهرة بصرية لا حقيقة لها اي ان ما يراهُ انما هو تكيُّف في النور وهو مارٌّ في هواء الارض يري العين هذه الخطوط او ان العين تتعب من التحديق فترى خطوطاً مستوية ومتوازية بمجرَّد تعبها . لكن اذا ثبت ما قيل وذكرناهُ في حينهِ وهو ان المستر لمبلند مساعد الاستاذ لول قد صوَّر هذه الخطوط صوَراً فوتوغرافية منذ سنتين وصوَّرها هذه السنة ايضاً لم تبقَ شبهة في وجودها ونفي كونها خطوطاً حقيقية لا ظاهرة بصرية

والذين يقولون ان هذه الخطوط تدلُّ على وجود ترع صناعية يبنون قولهم هذا على مواقع هذه الخطوط وتقاطعها فانها كلها تنتهي بنقط سوداء كبيرة تتقاطع فيها بانتظام تام . فاذا رسمتَ نقطاً على ورقة واغمضت عينيك ورسمت خطوطاً على الورقة فيندر ان يتقاطع خطَّان منها في نقطة من تلك النقط . وكذلك اذا لم ترسم نقطاً بل رسمت خطوطاً مستقيمة وانت تغمض عينيك فلا يتقاطع ثلاثة منها في نقطة واحدة الاَّ نادراً جدًّا اما في المريخ فتجد فيهِ

(١) انظر صورهم في اول هذا الجزء

سبعة عشر خطاً متقاطعة او ملتقية في نقطة واحدة · وحيث يكون هذا الانتظام لا يكون للصدفة يد بل لا بدَّ من عقل يحكم تنظيم تلك الخطوط

نقول وكل الذين يدعون ان هذه الخطوط تدلُّ على وجود الترع الصناعية في المريخ يبنون دعواهم على مثل هذا الدليل ولا نرى كيف يفسرون تكوُّن البلورات الطبيعيَّة من خطوط مستقيمة وسطوح مستوية وخطوطها سطوحها تلتقي في زواياها على تمام الاحكام والانتظام ولا تخلُّ درجة ولا دقيقة ومع ذلك تتكوَّن تلك البلورات وخطوطها وسطوحها وزواياها حسب نواميس دقائق المادة ومركباتها من غير يد انسان او عقل انسان · قال الكاتب ثم ان الخطوط التي في المريخ طويلة جدًّا وعريضة جدًّا ولولا ذلك لاستحال ان نراها ولو باقوى النظارات لان السهل من سهول المريخ الذي طولهُ ثلاثون ميلاً وعرضهُ ثلاثون ميلاً لا نراهُ بالتلسكوب اكبر من النقطة الصغيرة التي على حرف النون في هذه المقالة ولو كان في المريخ مدينة سعتها كسعة مدينة لندن لما امكننا ان نراها بواسطة من الوسائط المعروفة حتى الآن فان كانت تلك الخطوط تدل على ترع محفورة بيد سكان المريخ فحافروها اقدر من سكان الارض بما لا يقدَّر لان متوسط طول الترعة منها الف وسبعمائة ميل وبعض الترع اطول من ذلك كثيرًا

وقد ظهر من الرصد ان بعض هذه الترع يزدوج احيانًا فيصير الخط منها خطين متوازيين واول من رأى ذلك شيابارلي الذي رأى هذه الترع اولاً · وعدَّ الاستاذ لول اربع مئة ترعة وقال انهُ رأى هذا الازدواج في احدى وخمسين ترعة منها وعندهُ انهُ لو كان ازدواجها عن خداع العين لوجب ان نرى كلها مزدوجة

ثم ان هذه الترع تظهر في بعض فصول سنة المريخ ولا تظهر في البعض الآخر وقد فسَّر الاستاذ لول ذلك بنمو النبات على ضفتي الترعة ثم جفافهِ وزوالهِ · فاذا ذاب الثلج عند القطبين وجرى الماء في الترعة روى السهل الذي على ضفتيها فنبت النبات فيهما ونما فظهرتا لنا كخطين متوازيين ولم نطلع على تعليل للخط الواحد او للترع المفردة ولكن لا يعسر تعليلها بان الترعة ملاصقة لارض مرتفعة فاحدى ضفتيها عالية لا يصلها الماء فينبت النبات على ضفة واحدة ولذلك فالخطوط التي ترى هي النبات النابت على ضفاف الترع لا الترع نفسها

ويرى سطح المريخ بالتلسكوب وفيهِ بقع كبيرة خضراء الى الزرقة وبقع اخرى برتقالية وقد ظن العلماء قبلاً ان البقع الاولى بحار ومن المحتمل انها كانت بحارًا في غابر الزمن اما الآن فلا ماء فيها وان لم تكن قفارًا فهي بين القفار والبحار يرشح اليها قليل من الماء الذي

يجري في الترع لانخفاضها فينبت فيها بعض النبات واما البقع البرتقالية فقفار قاحلة لا نبات فيها ولا ماء . ثم ان البقع الزرقاء يصفر لونها رويدًا رويدًا فهي مروج واسعة ينبت فيها النبات بما يرشح اليها من الماء ويخضر نباتها ويزرق ثم ييبس ويصفر

والنقط التي تلتقي فيها الترع منتشرة على سطح المريخ انتشارًا منتظماً وقطر كل نقطة منها من خمسة وسبعين ميلاً الى مئة وخمسين ميلاً وهي تظهر بُعَيد ظهور الترع وتختفي بُعَيد اختفائها كأنها مرتبطة بها ارتباط العلة بالمعلول . وقد كان يظن انها بحيرات ولكن تغير لونها بتغير الفصول يرجح انها مروج تروى بماء الترع فينبت نباتها ويخضر ثم ييبس ويصفر . وقد رأى الاستاذ لول ١٨٥ من هذه النقط او المروج وعيَّن مواقعها وفي رأيهِ انها واحات تروى وفيها مقرُّ السكان

قال الكاتب ان المريخ مثل الارض تماماً وقد تكوَّن من نفس المادة التي تكونت منها الارض فيحق لنا ان نقول ان الاحياء الاولى التي وجدت في الارض وجد مثلها في المريخ وكما ارتقت على سطح الارض ارتقت على سطح المريخ وصار منها كائنات قادرة على حفظ نوعها بل هي الآن ارقى من المخلوقات الارضية كما ان المريخ اقدم من الارض

وان كانت هذه الترع من الاعمال الصناعية حقَّ لنا ان نسأل عن احوال صناعها ولا يصعب علينا ان نعرف شيئًا من احوالهم بقياس التمثيل وبما نعرفهُ من احوال المريخ الطبيعيَّة . فنعرف اولاً ان هواء المريخ لطيف جدًّا الطف كثيرًا من هواء الارض فالحيوانات الارضية يتعذر عليها المعيشة فيهِ كما يتعذر عليها ان تعيش في طبقات الجو العليا التي تبعد عن سطح الارض اميالاً كثيرة ولذلك يجب ان يكون سكان المريخ قادرين على تنفس الهواء اللطيف والاكتفاء بهِ فتكون رئاتهم كبيرة جدًّا واجسامهم مناسبة لها

وان كان ناموس الارتقاء جاريًا هناك كما هو جارٍ على وجه الارض فسكان المريخ ارقى كثيرًا من سكان الارض الاَّ اذا كانوا من غير ادمغة او كانت ادمغتهم صغيرة جدًّا بالنسبة الى ابدانهم كما كانت ادمغة الحيوانات الارضيَّة المنقرضة

والمريخ اصغر من الارض لا يزيد جرمهُ على تسع جرم الارض فالجذب على سطحهِ اقل من الجذب على سطح الارض ولذلك تكون الاجسام خفيفة عليهِ اخف مما هي على الارض فيستطيع سكانهُ ان يفعلوا افعالاً يعجز سكان الارض عنها لخفة الاجسام هناك فيقطع الواحد منهم ميلاً في الدقيقة كاسرع قطرات سكة الحديد ويثب من فوق شجرة كبيرة ويكون جسمهُ ثلاثة اضعاف جسم الانسان . وان كانت عقول اولئك السكان مرتقية على نسبة قدم

عالمهم فلا يتعذَّر عليهم حفر ترع طول الترعة منها الف ميل لا سيما وان ثقل الاجسام هناك يعادل ثلث ثقلها على سطح الارض فالعامل منهم يحفر في نهارهِ قدر خمسين او ستين عاملاً من عمالنا

هذا ما يمكن الاستدلال عليهِ بقياس التمثيل من الحقائق العلمية المعروفة عن المريخ . ويمكن الاستدلال ايضاً على ما يراهُ سكان المريخ في ارضنا وما يستنتجونهُ بقياس التمثيل فانهم يرون الثلج المتراكم على قطبي الارض ويعلمون حقيقتهُ بسهولة ويرون الصحاري القاحلة ويعلمون حقيقتها من لونها ومشابهتها لصحاريهم ويرون المروج الفسيحة الخضراء ويعلمون حقيقتها ايضاً ولكنهم لا يعلمون حقيقة البحار لان ليس عندهم ما يماثلها ولا حقيقة الغيوم والسحب ولا حقيقة الانهر المتعرجة واذا عرفوا ان الجاذبية تكون بنسبة الجرم وقاسوا جرم الارض كما نقيس جرم المريخ فقد يظنون انهُ يستحيل على الاحياء ان تعيش حيث الجذب كثير بهذا المقدار

هذه كلها نتائج لا يمكن القطع بصحتها ولكن العلم بها لا يخلو من لذة كبيرة وما دامت ادلتها قوية لا يصح نفيها الا اذا قامت ادلة اخرى تنقضها

يوم في القاهرة (١)

كانت مدينة الفسطاط المعروفة في هذه الايام بمصر القديمة — اثراً نخماً من آثار الفتح الاسلامي . وقد استبحر العمران فيها وتبسطت الحضارة الى درجة كادت تزاحم فيها مدينة بغداد العظيمة . ثم لما ضعف شأن أمرائها وشاخت دولتهم طمع فيها ملك المغرب المعز لدين الله الفاطمي وارسل اليها مملوكهُ القائد جوهر . فلم يشأ هذا ان ينزل فيها وانما اختط لهُ ولجنودهِ حسب أمر سيدهِ مدينة على مقربة من تلك وسميت "القاهرة"

وكانت الارض التي انشئت فيها القاهرة رملة فسيحة الاكناف يسلكها الذاهب من مصر القديمة الى عين شمس . وما كان يشاهد فيها مجتازها سوى بستان لاحد امراء مصر يعرف ببستان الكافوري . ودير للنصارى يعرف بدير العظام وفيهِ بئر سمتها العامة بعد ذلك بئر العظمة . وكان يعرف بقصير الشوك (بصيغة التصغير) ثم لما بنيت القاهرة أنشيء في موضعهِ قصر الشوك الذي هو احد قصور الخلافة الفاطمية

(١) نشرت هذه المقالة اولاً في جريدة المؤيد

في هذه الرملة انشأ جوهر مدينة القاهرة · وكان اول ما اختطهُ فيها القصور الزاهرة والجامع الازهر

اما الجامع الازهر فكلنا نعرفهُ · وكان يسمى في كتب التاريخ جامع القاهرة . ولعل وصف الازهر جاءهُ من كونهِ على مقربة من القصور الزاهرة · ويراد بالقصور الزاهرة منازل الخلفاء الفاطميين ومساكن حرمهم وبطانتهم ورجال دولتهم

وهذه القصور قسمان (١) القصر الكبير الشرقي وفيهِ الدواوين وبيت المال وخزائن السلاح . ولهُ عدة ابواب اعظمها باب الذهب . ويعلو عقد هذا الباب منظرة يشرف منها الخليفة على الناس في اوقات معلومة · ومن ابوابهِ باب الديلم . وموضعهُ الآن جامع سيدنا الحسين . ومن تلك الابواب باب تربة الزعفران · وهي مقبرة الخلفاء ونسائهم وذراريهم · وموضعها اليوم خان الخليلي

وبين باب الديلم (جامع الحسين) وتربة الزعفران (خان الخليلي) الخوخ السبع التي يتوصل منها الخليفة الى الجامع الازهر في ليالي الوقدات . فيجلس بمنظرة الجامع ومعهُ حرمهُ فيشرف منها على الجموع المحتشدة ويشاهد الوقيد والزينة

والخوخ جمع خوخة وهي مخترق ما بين كل دارين لم ينصب عليهِ باب · فقد كان موضع جامع الحسين باباً للقصر . وخان الخليلي باباً آخر وكان بين البابين منافذ ومسالك سبعة — هي الخوخ — ينفذ الخليفة الى الجامع الازهر من أيها شاء · وتعدد تلك المنافذ يقصد بهِ اظهار أبهة الملك وفضل عظمة الخلافة . أو ان الخليفة كان يخشى ان يقعد احد لهُ بالمرصاد فيغتالهُ فهو قد اتخذ لنفسهِ عدة مسالك يعمي بها على الناس الطريق الذي يسلكهُ

(٢) اما القصر الغربي فعلى مقربة من الخليج وهو دون القصر الكبير منزلة وشأناً · وكان للخليفة فيهِ منظرة يتحول اليها في ايام النيل لاجل النزهة على الخليج

وبين القصرين الشرقي والغربي فضاء منفسح الاطراف يسع عشرة آلاف من العساكر يقال لهُ بين القصرين · ومن ميادين القصر الغربي الميدان المعروف بالخرنشف او الخرنفش

بنيت القاهرة في أول أمرها موئلاً وحصناً للخلافة الفاطمية · ودارًا ينزلها الخليفة بحرمهِ وخواصهِ ورجال دولتهِ وجنودهِ وقوادهِ الى ان دالت الدولة الفاطمية وخلفتها الدولة الايوبية فتحولت الدولة برجالها وأبهتها الى قلعة الجبل . وعادت القاهرة مدينة سكنى فهانت بعد عزها وابتذلت بعد احترامها

وكان استيلاء الفاطميين على مصر في سنة ٣٥٨ من الهجرة . وانقراض دولتهم منها في

سنة ٥٦٧ فلبثوا فيها مائتي سنة تقريباً .

وكان شأنهم في مصر شأن سائر الدول التي كانت تقوم في العصور القديمة : طفولة فشباب فكهولة فهرم فموت

وقد تغلب في أُخريات ايام الخلافة الفاطميَّة القواد والمماليك والعمال — على نحو ما كان يحصل لاختها الخلافة العباسيَّة — منهم امير الجيوش بدر الجمالي وابنهُ الافضل وصالح بن رزيك واضرابهم . وهذا الاخير بدأ استبدادهُ بشؤُون الدولة في زمن خلافة الفائز بأمر الله الذي تولَّى الخلافة وعمرهُ خمس سنين وغادرها قبل ان يبلغ اشدهُ

ففي يوم الاحد ثامن جمادى الآخرة سنة ٥٤٨ في زمن وزارة الصالح بن رزيك المذكور كان الناس في القاهرة يتأهبون لاستقبال وفد جليل او ركب مقدس يقدم عليهم من نحو بلاد الشام وكانوا على اختلاف اجناسهم وطوائفهم يظهرون الاسف والحزن ويتأوهون من اعماق قلوبهم . وهناك نفر من الزعانف الذين لا يبالون كانوا يقفزون ويغنون وهم في غفلتهم هائمون . وكان العقلاء ينهونهم ويؤنبونهم ويقولون لهم ان الاجدر بكم ان تبكوا وتندبوا لا أن تغنوا وتصخبوا وكانت علائم الحزن واللوعة بادية على وجوه شيعة الفاطميين واهل مذهبهم اكثر من ظهورها على الطوائف الأُخر التي كان يتألف من مجموعها سكان القاهرة لذلك العهد كالاتراك والمغاربة والسودانيين والشاميين والعراقيين الذين ينسبون الى الدولة العباسيَّة ويدعون الى مبايعتها في السر

وكانت زرافات من الناس يمشون في الاسواق وينشدون المراثي والاشعار المحزنة وكنت ترى بعض التجار من محبي الخير والاحسان يوزعون الصدقات والثياب على الفقراء والمعوزين . وبعضهم يفرش في حانوتهِ سفرة من أَدم (جلد) ويضع عليها الوان الطعام وزبادي الاجبان والسلائط والمخللات والالبان الساذجة وصحاف عسل النحل والفطير والخبز المغير لونهُ بالقصد . ثم يدعو المارة أيًّا كان جنسهم الى الاكل عن روح سيد الشهداء الحسين رضي الله عنهُ . وهناك حانوت آخر جمع فيهِ صاحبهُ الوعاظ والقراء والشعراء فكانوا يقرأُون قصة مصرع الحسين ويندبونهُ ويعددون فضائلهُ ومناقبهُ . ويلعنون قاتليهِ وشانئيهِ

وقد بلغ الحزن ببعض الشيعة ان كانوا يمشون حفاة ملثمين على غير زيهم المعتاد . وكنت ترى الغيظ والحنق يقطر من وجوههم

وكانت الشوارع على الجانبين مرصوفة بالمصاطب والدكاك لا سيما الشارع الاعظم المؤدي الى الجامع الحاكمي (جامع الحاكم) وباب الفتوح حيث ينتظر ان يمر الموكب المقدس . وكنت

ترى المتفرجين متراصين على تلك المصاطب والدكك وهم يتنهدون ويتحسرون وآخرون يتخاصمون ويتلاكمون . ومنهم قوم يتجادلون في اي وقت يمكن ان يصل فيهِ الوفد

وكان بين المتفرجين رجلان احدهما شاب ولد في القاهرة ونشأ على المذهب الشيعي الاسماعيلي الذي كان مذهباً للفاطميين . وقد درس العلوم وفنون المنطق والحكمة واسرار الاديان وتاريخها في مدارس الفاطميين . ولهُ غيرة ونعرة على مذهبهِ الشيعي وكان يجادل فيهِ ويناضل عنهُ بقوة وتبدو على وجههِ آيات الذكاء والفطنة وتدل لهجتهُ في حديثهِ انهُ يجب ان يكون لهُ تأثير على جليسهِ وفي قومهِ وبني نحلتهِ

اما رفيقهُ فقد كان في سن الشيخوخة واصلهُ من بلاد العراق وقد وفد على القاهرة من اجل تجارة . ثم طابت لهُ السكنى فيها . ولم يكن على المذهب الشيعي ولكنهُ يتظاهر بهِ احياناً ترويجاً لاشغالهِ ومصالحهِ ورغبة في الامتزاج بالمصريين الذين كان معظمهم لذلك العهد شيعيًّا

وكان العراقي يحب البحث والمذاكرة ويكثر من المطالعة ويميل الى معاشرة العلماء والفضلاء. ولذلك كان يرتاح الى حديث الشاب ويدعوهُ الى حانوتهِ من يوم الى آخر . وكما كان الشاب يتكلم في موضوع ويحقق مسئلة كان ذلك الشيخ يصغي اليهِ بانتباهٍ واعجاب . فكان الشاب يزداد رغبة في التردد عليهِ والتبسط في الحديث بين يديهِ . وكان موعد وصول الموكب قبيل العصر . لكن العصر اذن وهتف المؤذنون من على منائر جامع الحاكم بحيّ على خير العمل . والموكب لم يصل بعد فقال الشاب الفاطمي لصديقهِ الشيخ العراقي هيا بنا نتفسح خارج باب الفتوح ونستقبل الموكب ثمة . فأجابهُ الى سؤالهِ واخذا يخترقان الجموع تارة ويتنحيان من طريق الجماعات المتدافعة في السير تارة اخرى حتى وصلا الى باب الفتوح فجاوزاهُ الى الرحبة خارجهُ . وكان فيها منظرة من تلك المناظر التي كان يتخذها الخلفاء للنزهة والاشراف منها على الجمهور . وكان ثمة بستانان كبيران ينتهيان الى منية مطر وقد عرفت بعد ذلك بالمطرية

ثم اخذا في التجوال هنا وهناك حتى وصلا الى الباب الآخر المسمى بباب النصر . وكان في رحبتهِ الخاجية مصلّى العيد فجعلا يتأملان في بناء الباب وإحكام صنعهِ ثم قال الشيخ اني أرى في الشرفة العليا نقوشاً وخطوطاً لم افقه لها معنًى . فقال لهُ الشاب الفاطمي انها كتابة كوفيَّة ومعناها "لا إله الاَّ الله محمد رسول الله . علي وليُّ الله . صلوات الله عليهما " ثم نص على صاحبهِ خبر ذلك الباب وباب الفتوح وانهما من آثار امير الجيوش بدر الجمالي الذي بلدهُ الخليفة المستنصر وزارتي السيف والقلم . ولم يقبل امير الجيوش الوزارة ما لم يمكنهُ

الخليفة من محق امراء مملكتهِ . فصرفهُ فيهم . فجمعهم الوزير في دارهِ من اجل دعوة صنعها لهم ثم فتك بهم

وقد اصلح امير الجيوش مصر بعد ان قتل الكثير من سكانها حتى قيل انهُ قتل من اهل البحيرة وحدها عشرين الف نفس . وهو اول وزراء السيوف الذين حجروا على الخلفاء بمصر. ومن آثارهِ الباقية بمصر عدا البابين المذكورين باب زويلة (وهو الذي يقال له اليوم باب المتولي) وقد حدث بعضهم انهُ " طاف البلاد ورأى مدن المشرق فلم يشاهد في مدينة من المدائن اعظم من باب زويلة . ولا رأى مثل بدنتيهِ اللتين عن جانبيهِ . ومن تأمل الاسطر التي كتبت على اعلاهُ من خارجهِ يجد فيها اسم امير الجيوش والخليفة المستنصر وتاريخ بنائهِ . وقد كانت البدنتان اكبر مما هما الآن بكثير . هدم اعلاهما الملك المؤيد لما انشأ الجامع داخل باب زويلة وعمَّر على البدنتين منارتين "

وذكر بعضهم " ان فردتيهِ يدوران في سكرجتين من زجاج "

وهذا الشارع الموصل الى باب الفتوح — ويسمى اليوم "مركوش" — منسوب الى هذا الامير ايضاً . ولفظهُ محرف عن امير الجيوش

ثم تنفس الشاب الصعداء وقال ان اول عناية بالرأس الشريف رأس سيدنا الحسين عليهِ السلام انما كانت من هذا الامير الجليل . فانهُ لما بلغهُ قتل ولدهِ شعبان في مدينة عسقلان احدى مدن ساحل بحر الروم في سنة ٤٦٠ نهض اليها . وبلغهُ ان بها مكاناً دراساً فيهِ رأس الحسين . فاهتم بالامر وشرع في بناء مشهد فخيم في عسقلان على نية ان يودع فيهِ الرأس الشريف

قال الفتى الفاطمي : ولكن العهد برأس الحسين عليهِ السلام انهُ بقي في دمشق فما الذي جاء بهِ الى عسقلان ؟ فأجابهُ الشيخ العراقي يغلب على ظني ان العباسيين هم الذين ارسلوهُ الى عسقلان . فقد ذكر رواة التاريخ انهُ بعد وقعة كربلاء المشؤومة وارسال رأس الحسين واهل بيتهِ الى دمشق " مكث الرأس مصلوباً فيها ثلاثة ايام . ثم أنزل في خزائن السلاح حتى ولي سليمان ابن عبد الملك الملك فبعث اليهِ فجيء بهِ وقد محل (تغير) . وبقي عظماً ابيض فجعلهُ في سفط وطيبهُ وجعل عليهِ ثوباً ودفنهُ في مقابر المسلمين . فلما ولي عمر بن عبد العزيز بعث الى خازن بيت السلاح ان وجه اليَّ برأس الحسين بن علي . فكتب اليهِ ان سليمان اخذهُ وجعلهُ في سفط . وصلى عليهِ ودفنهُ . فلما دخلت المسوّدة (وهم بنو العباس) سألوا عن موضع الرأس الكريم الشريف فنبشوهُ واخذوهُ والله اعلم ماصنع بهِ " ثم قال ويخطر لي ان العباسيين ارادوا ان يضعوا رأس الحسين بحيث يخفى مكانهُ عن شيعة الامويين فلا

ينالوهُ بأذى · وعن شيعة العلويين فلا يتخذوهُ ذريعة لتحريك الفتن وإثارة القلاقل وهيج الاحقاد والضغائن فاختاروا له مدينة عسقلان · ثم طلب الشيخ من الفتى الفاطمي ان يتم لهُ حديثهُ عن المشهد الذي كان شرع امير الجيوش في بنائهِ ليودع فيهِ الرأس فقال لهُ انهُ لم يكملهُ هو وانما اكملهُ ابنهُ شاهنشاه الملقب بالافضل الذي تولى الوزارة بعدهُ · فان الافضل كان خرج في سنة ٤٩١ الى بيت المقدس وبها بعض امراء الاتراك فاستخلصها منهم وعاد منها فدخل عسقلان ورأى ما كان شرع فيهِ والدهُ فاجتهد في اكمالهِ · ثم أخرج الرأس المبارك من مكانهِ وعطرهُ وحملهُ في سفط على صدرهِ وسعى بهِ ماشياً الى ان أحلهُ في مقرهِ من المشهد العسقلاني . وهاهم اليوم يحملونهُ من ذلك المشهد الى القاهرة . وقد جاءت الاخبار من عسقلان الى بعض التجار هنا بأنهم حينما اخرجوا الرأس من مشهدهِ وجدوا دمهُ لم يجف ولهُ ريح كريح المسك فتبسم الشيخ العراقي لقولهِ وكان داهية وقال كيف يلتئم زعمك هذا مع ما رويتهُ لك آنفاً عن التاريخ من ان الرأس بقي في دمشق في خزائن السلاح الى زمن سليمان بن عبد الملك · ولما احضرهُ في مجلسهِ وجدهُ عظماً ابيض . فمن اين يقطر الدم · وكيف يكتبون اليكم من عسقلان بذلك ؟

فحمي الفاطمي واحتملتهُ الحماسة الدينية وقال للعراقي كيف صدقت مؤَرخيك وكذبت مؤَرخينا ؟

فأجابهُ ان خبرك ليس تاريخاً وانما هو مما يراسل بهِ بعض العامة بعضاً · ألم تقل ان الخبر أرسل من عسقلان الى بعض التجار هنا · وانا من التجار واعرف ما هو مبلغ عنايتهم بتمحيص الاخبار

وبعدُ فاني لا احب لك يابني ان يخنق عمى التقليد او الغلو في الاعتقاد نور عقلك و يشوّه جمال الحكمة التي اخذت تتجلى في نفسك. فتحسب ان حياة الشهداء حياة حيوانيّة لها خصائصها وتكاليفها . وانما هي حياة روحانيّة استأثر الله بعلمها واشار تعالى الى هذا الاستئثار في آية الشهداء نفسها حيث قال " بل احياءٌ عند ربهم " فان كلمة " عند " تشير بلطف الى ما ذكرت لك . فسكت الفاطمي عن اقتناع وكان منصفاً والانصاف شعار العقلاء وحلية الفضلاء

ثم سأل الفتى الشيخ عن جثة الحسين رضي الله عنهُ ومصير امرها بعد استقرار الرأس في دمشق ثم في عسقلان . فقال لهُ ان الجثة بقيت بعد اخذ الرأس الى دمشق مطروحة في الفلاة حتى دفنها اهل الغاضريّة — وهم قوم من أسد — في ارض الطف وبقيت بحيث تعرف وتزار الى زمن المتوكل العباسي وكان يكرهُ العلويين فأمر ان تسوى ارض كربلاء

وتمهد وان تزرع حنطة وشعيرًا . ففعلوا . وبقيت الارض هكذا مدة اربع عشرة سنة حتى قتل المتوكل وخلفهُ ابنهُ المنتصر فأذن بزيادة قبور شهداء كربلاء رضي الله عنهم . ثم ان الشيعة غلبوا الحدس والتخمين في تعيين مكان الجثة . واقاموا فيهِ قبرًا . ان لم يكن على الجثة نفسها فعلى مقربة منها . وهم الى الآن يزورون ذلك المشهد في كربلاء ويحجون اليهِ.
فاغرورقت عينا الفاطمي بالدموع وقال حقًّا ان الامة لم تنصف آل البيت ولم ترعَ لهم ذمة . وقد اذكرني ما رويتهُ عن تاريخ مشهد الحسين بتاريخ مشهد ابيهِ امير المؤمنين عليهِ السلام : فان ابنهُ الحسن دفنهُ في ارض النجف ليلاً واخفى قبرهُ حسب وصيتهِ لهُ . وكان في تلك الارض بناءان يعرفان بالغريين " ويقال انهما قبرا مالك وعقيل نديمي جذيمة الابرش . وسميا غريين لان النعمان بن المنذر كان يغريهما (اي يلصق بهما و يطليهما) بدم من يقتلهُ اذا خرج في يوم بؤسهِ " او انهما سُمّيا بذلك لحسنهما : فان الغري كناية الحسن وكل بناء جيد حسن يصح لك ان تسميهُ غريًّا . ثم قال :

وبقي مرقد علي عليهِ السلام مجهولاً الى زمن هارون الرشيد فاتفق ان ذهب الرشيد الى ارض النجف لاجل الصيد فشاهد ثمة ابنية متهدمة واطلالاً دارسة فسأل الفلاحين الذين يعملون في الارض عن تلك الاطلال . فقالوا لهُ انها بقايا الغريين وانقاضهما ونسمع عن آبائنا والاشياخ من قومنا ان قبر امير المؤمنين علي بن ابي طالب على مقربة من الغريين وتحت طيات هذه الاطلال . فاهتم الرشيد بالامر وجعل يحقق الخبر بنفسهِ من سكان تلك الناحية حتى ثلجت نفسهُ اخيرًا الى بقعة معينة حسب انها تضم تجاليد امير المؤمنين . فأمر حينئذٍ ان يشيد ثمة قبر باسمهِ عليهِ السلام . فشيد وبقي يزار ويتبرَّك بهِ الى زمن معز الدولة من آل بويه . فبنى معز الدولة على ذلك القبر قبة فخيمة . واخذت الدور والمنازل تبنى وتشيد من حواليهِ رويدًا رويدًا حتى اصبحت مدينة مقدسة هي مدينة النجف الشهيرة

ثم لم يرع الشيخ العراقي وفتاهُ الفاطمي الاَّ طلائع الموكب تتبدَّى لهم عن بعد . واصوات الدعاء والندب والنحيب تتعالى من كل جانب . وكان خدم قصر الخليفة يمشون في ثنيات الموكب . وعليهم دلائل الاهتمام وامارات القلق والاضطراب . وكانوا ينظرون شزرًا الى مماليك الوزير الصالح بن رزيك الذي كان هو والخليفة اذ ذاك ينتظران الموكب في المنظرة خارج باب الفتوح . فكان الفتى الفاطمي يتفرس في وجوه اولئك المماليك والخدم كلما مرَّ من امامهِ احد منهم . فسألهُ صاحبهُ عن شأنهم وما للخدم وللمماليك ؟ وكان عزيزًا على مثل ذلك الغريب ممن ليس من صميم الشيعة الفاطمية ان يعرف مثل تلك الاسرار . فقال لهُ

الفتى ان في الامر مشكلاً عظيماً . قال وما هو ؟ قال ان الوزير ابن رزيك سعى في نقل الرأس الشريف من مشهده في عسقلان الى القاهرة . وبنى جامعهُ خارج باب زويلة (بوابة المتولي) . واحب ان يدفن الرأس فيهِ ليكون لهُ بذلك الشرف والفخار على كر الدهور والاعصار . قال الشيخ ومن الذي يعارضهُ في ذلك والخليفة والدولة في قبضة يدهِ ؟ قال الفتى نعم . غير ان خدم قصر الخلافة تعصبوا وتألبوا وابوا الا ان يدفنوا الرأس عندهم في قبة الديلم حيث احد ابواب القصر الشرقي الكبير . فبنوا لهُ مشهداً ثمة ونقلوا اليهِ الرخام . ليكون الفخر لهم او لأجل ان يظهروا للإِنسان قصر الخلافة لم تزل فيهِ بقية من الارادة والسلطة والاختيار . فقال الشيخ وكيف ترى ؟ ولمن تكون الغلبة ؟ قال الفتى لا اراها الا لاولئك الخدم ومن التفَّ حولهم من العامة . لان المسئلة مهما كانت عظيمة لا تتعدى انها دينيةٌ . وهؤلاء السياسيون — ومنهم ابن رزيك — انما يهمهم القبض على ازمة شؤون المملكة وان تخلص السلطة لهم . فهو يدع للعامة والخدم والخصيان جميع الاضرحة والاولياء وكل ما لهُ تعلق بالمملكة الباطنية اذا كانوا يدعون لهُ الاستبداد بالمملكة الظاهريَّة . على انهُ اذا لم يتيسر للوزير الظفر بهذه المنقبة — منقبة دفن الراس الشريف في جامعهِ فانهُ فاز بمنقبة اسمى منها اعني انهُ كان السبب في نقل الراس من مشهد عسقلان الى القاهرة . فقد مضى على بناء مشهد عسقلان وايداع الراس فيهِ زهاء خمسين سنة . وهي المدة ما بين الافضل ابن امير الجيوش ووزيرنا الحالي الصالح بن رزيك . ولما رأى هذا استفحال امر الصليبيين وتمكنهم من فلسطين ومدن الساحل — اشفق على مشهد الحسين في عسقلان من اذاهم وعبث يدهم . فارسل وفداً من العلماء والنقباء والقضاة والشهود الى عسقلان وامرهم ان يتحققوا من مكان المشهد واستقرار الرأس الشريف فيهِ ثم ينقلوهُ باحترام الى القاهرة . وقد فعلوا ما امرهم بهِ . وهذا هو اليوم المشهود الذي يصلون فيهِ . انظر انظر هذا هو الموكب

وكان في مقدمة الموكب الامير سيف المملكة تميم والي عسقلان . وكان يمشي بين يدي الراس الكريم مشارف عسقلان القاضي المؤتمن ابن مسكين . ثم « قدم الاستاذ مكنون الراس وانزلهُ في بستان الكافوري . ثم حمل في السرداب الى قصر الزمرد . ثم دفن عند قبة الديلم بباب دهليز الخدمة (حيث مكانهُ في المشهد الحسيني اليوم) فكان كل من يدخل الخدمة يقبل الارض امام القبر . وكانوا (اي الفاطميون وشيعتهم) ينحرون في يوم عاشوراء عند القبر الابل والبقر والغنم . ويكثرون النوح والبكاء . ويسبُّون من قتل الحسين . ولم يزالوا على ذلك حتى زالت دولتهم »

محمد عبد القادر المغربي

قطر الدوّامة

استنباط بديع يغير احوال العالم

استنبط المستر لويس برنان الارلندي مولدًا والاسترالي منشئًا طريقة تسير بها قطرات سكك الحديد على خط واحد فقط سواء كان الخط قضيبًا من الحديد ممدودًا على الارض او حبلاً متينًا من السلك معلقًا في الهواء وسواء كانت الارض سهلاً منبسطًا او جبالاً واودية وسواء كان الخط مستقيمًا او منحنيًا . وقد جرّب ذلك بمركبة صغيرة امام اعضاء الجمعية العلمية ببلاد الانكليز فثبت لهم صحة قوله وساعدته الحكومة الانكليزية بالمال فمنحته ستة آلاف جنيه لكي يجرب ذلك بآلة كبيرة جدًّا فاذا نجح في الآلة الكبيرة كما نجح في الآلة الصغيرة كان لنجاحهِ اكبر تأثير في سكك الحديد في المسكونة كلها ولاسيما في البلدان الجبلية

اما المبدأ الذي بُني عليهِ هذا الاستنباط فبسيط جدًّا يُرى في الدوامة التي يديرها اولاد الارياف والبلبل الذي يديرهُ اولاد المدن بل يرى في كل قطعة من النقود تدحرجها على الارض فان الدوّامة والبلبل يقفان وهما دائران بسرعة ولا يقعان ولا يمكن ان يقفا كذلك اذا بطل دورانهما . وقطعة النقود لا تقف على حرفها الاّ وهي دائرة واذا اردت ان ترفعها حينئذٍ لا تقع بل تنتصب قائمة . ومن هذا القبيل سير الانسان على الدراجة فانهُ ما دام سائرًا بسرعة لا تقع الدراجة بهِ ولو مال الى احد الجانبين

والمبدأ الذي استخدمهُ المستر برنان في استنباطهِ يشبه ذلك ويزيد عليهِ في انهُ اذا دار جسم على محورهِ دورانًا سريعًا وركزتهُ من احد طرفي محورهِ على نقطة دار حول تلك النقطة دورانًا افقيًا ولم يقع واذا حاولت ايقاعهُ قاومك وبقي مرتكزًا . فوضع جسمًا مثل هذا في مركبة وادارهُ دورانًا سريعًا وجعل للمركبة عجلات تحت وسطها فثبتت المركبة على عجلاتها مع انها مفردة وصار اذا وضع ثقلاً على احد جانبيها يحاول منع الموازنة بهِ لا تميل الى ذلك الجانب بل تميل الى ضدهِ كما يحدث لمن يركب الدرّاجة (البيسكل) فانهُ اذا مال الى اليمين دفعتهُ الدرّاجة الى الشمال . ووضع في المركبة آلة تسيرها على خط حديدي او على حبل فسارت عليهِ ولم تنقلب عنهُ ولا تنقلب ابدًا ما دامت الدوّامة تدور فيها بسرعة فاذا بطل دورانها انقلبت المركبة الى اليمين او الى اليسار لاقل سبب فعليهِ ان يبقي الدوّامة دائرة بعد

وقوف المركبة ثم اذا اراد توقيفها وجب عليهِ ان يوصل بها قوائم تنخفض منها حتى تستند عليها او نحو ذلك من الاساليب

والمستر برنان كهل في الخامسة والخمسين من عمرهِ ذهب الى استراليا وعمرهُ تسع سنوات وعاد منها منذ ٢٦ سنة واستنبط وهو فيها الطربيد المنسوب اليهِ فاشترت الحكومة الانكليزية حق اختراعهِ منهُ بمئة الف جنيه وعشرة آلاف جنيه . وقبل ان اخترع هذا الطربيد كان يفكر في طريقة لجعل مركبات سكك الحديد ثابتة حينما تدور في دورات ضيقة لان صانعي سكك الحديد اذا وصلوا الى دورة او كوع ضيق اضطروا ان يعلوا الخط الخارجي اكثر من الداخلي حتى لا تنقلب المركبات عنهُ بقوة التباعد عن المركز ولكن مقدار الارتفاع اللازم للخط الخارجي يتوقف على سرعة القطار والقطارات بعضها سريع وبعضها بطيء فلا يصلح الارتفاع الواحد لها كلها فكان يفكر في استنباط طريقة تبقى المركبات بها ثابتة ولا تنقلب الى هنا ولا الى هناك الى ان اهتدى الى استخدام مبدإ الدوّامة ووجد ان المركبة التي فيها دوّامة سريعة لا تنقلب ابدًا بل تبقى قائمة ولو كانت مستندة الى خط واحد

واذا انقطعت القوة التي تدير الدوّامة بقيت يومين دائرة من نفسها لانها موضوعة في مكان مفرغ من الهواء وتكون سرعتها في الست الساعات الاولى كافية لبقاء المركبات قائمة فلا تنقلب قبلما تدبّر التدابير لاعادة القوة او لمد القوائم التي تسند المركبات

والمركبة التي صنعها وامتحنها امام الجمعية الملكية صغيرة طولها ست اقدام فقط ووضع فيها دوّامة ذات دولابين يدوران في جهتين متقابلتين في سطح قائم وتبلغ سرعتهما ٧٥٠٠ دورة في الدقيقة وهو آخذ الآن في عمل مركبة كبيرة وقد سمحت لهُ الحكومة بالمكان اللازم لعمل التجارب فيهِ ووهبتهُ المال الكافي لذلك كما تقدم . وطول هذه المركبة ٤٥ قدمًا وعرضها ١٢ قدمًا وتحمل من عشرين طنًا الى ثلاثين ويكفي لادارة الدوّامة اللازمة لها قوة نصف حصان . وسيكون قطر كل دولاب من دواليب الدوّامة ثلاث اقدام ونصف قدم وهو يدور ثلاثة آلاف دورة في الدقيقة وثقل الدواليب كلها نحو طنين

فاذا نجح في هذه المركبة الكبيرة كما نجح في المركبة الصغيرة افاد استنباطهُ هذا فوائد لا تقدَّر ولا سيما في البلدان الجبلية وامكن استعمالهُ في الاوتوموبيل ايضًا

فيكتور هوغو

لروحكَ يا هوغو تحيةُ شاعرٍ ... يناجي بها للشعر ربًّا مُجّدا
لقد صدئت بالجسم روحكَ حقبةً ... من الدهرِ أولتكَ البقاء مخلَّدا
أطلَّت على الدنيا فكانت منارةً ... لتفريق ما بين الضلالة والهدى
أعرني يا هوغو يراعتكَ التي ... دككت بها عرشًا على الظلم شُيِّدا
لعلي اذا ما أسعد الدهرُ مرةً ... معيدٌ بها للشرق مجدًا وسوددا
فقد قام فينا اولياء امورنا ... يسوموننا ذلًّا أشقّ من الردى
وبتنا وباتوا مثلما شاء ظلمهم ... فريقين سادات قساةً وأعبدا
وخافوا اتحادًا بيننا فتوسلوا ... بدينين للتمزيق عيسى وأحمدا
وما صاحَ منا بائسٌ متظلمًا ... وقد مدَّت الاعناق واستُنّت المُدى
ولا كان منّا من يثورُ حميّةً ... على ظالمٍ او يستشيطُ مهدِّدا
ولا قام منّا من يهزُّ يراعهُ ... ولا قام منا من يهزُّ المهندا
ولو أنَّ فينا مثل هوغو وقومهِ ... لما ساد فينا غير من كان سيدا
لئن أُنطق الشيطان بالشعر شاعرًا ... فذاك بروح القُدُس كان مؤيدا
ولم أرَ أسمى منهُ قدرًا وقد غدا ... فقيرًا عن الاوطان والاهل مبعدا
ولو رام مجدًا كاذبًا لاصابهُ ... باعراضهِ عمن تحكّمَ واعتدى
ولكن نفسًا بين جنبيهِ حرةً ... أبت ان يصير العبد حرًّا مقيدا
نضى من يراعٍ صارمًا لا يفلّهُ ... ضرابٌ ولكن يترك السيف مغمدا
"اذا صال فوق الطرس وقع صريرهِ ... ففي مهجات الخائنين لهُ صدى"
ألا هل أتى اقوامنا أنَّ دولةً ... تدولُ اذا ما شاعرٌ قام منشدًا
أغار على ربّ السرير بشعرهِ ... فضعضع ملكًا ظنهُ الناس سرمدا
وكانت قوافيهِ جيوشًا تزوّدت ... حياةً وموتًا للاحبة والعدى
تولى بريدُ الدهر للناس نقلها ... وأنشدها في الخافقين مردّدا
ولم يبق في ارض الفرنسيس غير من ... يقرُّ لهُ بالفضل او يحفظ اليدا
فعاد الى اوطانهِ غير ناقمٍ ... على غربةٍ اولتهُ ذكرًا مؤبدا
وإعلاء أقدار الرجال وخفضها ... أضلُّ وأشقى الشرق والغرب أسعدا

القاهرة ... نقولا رزق الله

الترف

خرجت يوماً من القاهرة أريد التنزه في الجزيرة فمررت في الشوارع الفسيحة بين البنايات المشيدة الاركان والقصور الفاخرة ورأيت المركبات على انواعها تجارى بركبها مدلّة بمن فيها فتجلت لدى مخيلتي حالة العاصمة من الترف وما بلغت اليهِ من ظاهر الرقي وشرعت أُفكر في ما مرَّ عليَّ من اقوال الكتّاب في الترف ومزيتهِ وكيف ان الباحثين اختلفوا في مبلغ ضرره فمن قائل ان ضررهُ واقع في كل حالاتهِ ومن ذاهب الى انهُ لا يضرُّ الَّا اذا تجاوز الاعتدال الى حدّ الافراط وحمل على عمل ما لا يُحمد

ثم مررت بصديق لي من الادباء فلبي دعوتي وجلس الى جانبي فحدثتهُ بما كان يجول في خاطري من شؤون الترف في مصر فقال لي ان في مصر كثيرين من الامراء والاغنياء فلا يلامون على ما ترى من آثار نعمتهم بل تراهم يُذمون بكل شفةٍ ولسان اذا هم قتّروا على انفسهم وعاشوا عيش الفقراء فيكونون وبالاً على المجتمع لا ينتفع الجمهور منهم ولا تظهر المدنية آثارها فيهم . قلت نعم انما فاتك ان الترف يحمد ويُذم بما يحدث من الاثر النافع او الضار وهو تابع خطوات الغنى بل مظهر من مظاهره ولقد اختلف شأنهُ باختلاف الامم والعصور . ففي كل زمن ترف واعتدال وشظف وهي نسبيةٌ اذا اعتبرتها بالنظر لحالة الزمان والمكان وباعتبار درجة المجتمع من العمران ففي الازمنة القديمة كان المترفون يقتصرون على ما لديهم من اسبابهِ . فكنت تراهم يبنون الدور الفسيحة بالنسبة لاكواخ الاهلين وكانوا يبذلون الاموال الطائلة بالنسبة لاحوالهم الماليَّة وموارد رزقهم وذلك على زخرفة تلك الدور بنقش داخلها واذا ظهروا للناس يمتازون عنهم بلباسهم الفاخر واذا ركبوا فالخيول الجياد بالعدة الفاخرة والسلاح المذهب ووراءهم عدد من الاتباع والخدم واذا جلسوا الى الطعام يزدحم الخوان بمن يجتمع عليهِ وهذا اهم مظاهر الترف القديم

فقال صاحبي ولكنك نسيت او تناسيت تهافت الكثيرين من المترفين يومئذٍ على احراز الاعلاق النفيسة من الجواهر والحجارة الكريمة والجياد المطهّمة وامثال ذلك مما لم يكن لازماً لهم وانما كانوا يبذلون في نيلهِ المال لينافسوا اقرانهم ويفاخروا بهِ من هم دونهم

قلت صدقت ولكن تلك الحالة لم تكن تبلغ من المضرة بالمجتمع مبلغ الحالة الحاضرة

فقاطعني واجاب وايّ ضرر اعظم من قوم لم يكن النقد كثيراً بين ايديهم فكانوا لا يصدقون ان يستغلوا نتاج ارضهم حتى يبيعوها و يؤدوا بقيمتها ثمن الشيء الفاخر الذي رغبوا فيهِ

قلت نعم وانما لم تكن احوالهم المعاشية داعيةً الى التأنق الحالي في المطعم والملبس والمركب والدار بل كانت النفقات العاديَّة ميسورةً لهم بما تدرّ عليهم غلالهم فاذا انفقوا الزائد منها وهو الشيء الكثير على شراء جوهرةٍ او جواد او غير ذلك فتلك تبقى في حوزتهم وثمنها قائم بها وباقٍ فيها ومع انهم لم يكونوا في حاجة اليها فانها تحفظ ثمنها

وفوق هذا فاني لا ارى شيئاً من الضرر في الترف القديم باعتبار كونهِ يحفظ المال في المجتمع وانما قد ينقلهُ من يدٍ الى اخرى . أَلا تذكر ان المترفين الذين كانوا يبنون الدور الرحيبة انما عهدوا ببنائها للبنائين من الوطنيين وجعلوا زخرف جدرانها وسقوفها وسائر اخشابها للنجارين الوطنيين . وكان الاثاث الذي يستجيدونهُ من الصناعة الوطنية ومثلها الخيول والعدد والسلاح وامثال ذلك بحيث ان المال الذي كان ينفقهُ المترفون لم يكن ينقص شيئاً من الثروة الوطنية لان الوطني كان ينتفع من ترف الغني ليس فقط باحراز الاجور والاثمان بل بتحسين الصناعة الوطنية وتنشيط عمالها المجيدين من البنائين والنجارين والدهانين والمنجدين والصياقل وغيرهم

فقال صاحبي مهلاً انك لتعلم ان بلادنا منذ عُرِفت لم تكن تقوم بحاجاتها من نتاج ارضها وصناعتها ولذلك كانت تأتيها التجار من كل قطرٍ للبيع والشراء حتى ان الزمن الذي تشير اليهِ في عرض كلامك كان لا يخلو من تجارٍ غرباء يحملون الينا نتاج صناعاتهم وكان احتياج بلادنا للعروض التي يحملون كان امرًا مستفيضاً حتى ان ملوكنا منحوا تجارهم كثيرًا من الامتيازات تجرئةً لهم على الاتجار معنا بمصنوعاتهم فهذا السلطان صلاح الدين الايوبي عاهد جمهوريَّة بيزا الايطالية سنة ٥٦٩ هـ (١١٧٣ م) وهذا السلطان خليل بن قلاوون عاقد سنة ١٢٩٠ م جمهورية جنوى ومثلهما السلطان ابو النصر قايتباي تواثق سنة ١٤٨٨ م مع جمهورية فلورنسا وغيرهم من السلاطين والملوك واتفقوا غير واحدٍ من دول اوربا لاستبضاع صناعاتهم . ولذلك ارى ان ما رأيت من وطنيَّة الصناعات في القديم لم يكن ثابتاً

قلت اني لا انكر ما قدمت غير ان مبلغ ما اتصلت اليهِ تجارة الافرنج مع بلادنا لم يكن زائدًا عن الحاجات الضرورية لان صناعهم لم يكونوا قد تفننوا في معدَّات الترف حتى بلغوا بها حد الزيادة عن طلب مترفيهم يومئذٍ ولو تسنَّى لهم ان يجيئوا بشيءٍ منها لما وجدوا لها سوقاً رائجة بين قوم يتمسكون بعاداتهم واخلاقهم ولا يتعدون عنها الاَّ اضطرارًا

فقال صديقي صدقت الاَّ ان العمران الحالي حدا بقومنا الى الاقتداء بالذين سبقونا في الحضارة وانت تعلم اننا مغلوبون على شؤُوننا والمغلوب مولع بالاقتداء بالغالب كما قال ابن خلدون اجبت على رسلك . ان الخطاء كل الخطإِ في ما تزعم من ان الافرنجي يترف كترفنا

ويسرف كاسرافنا لانهُ لم يبلغ الى ما ترى عندهُ من الترف الّا تدريجاً . نعم ان الفرق عظيم بين منازل عامتهم لان كثيراً من حاجيات اليوم كان من معدات الترف بالامس ولكن رقي مجتمعهم درجة فدرجة صيّر تلك الكماليات حاجية وكثرة المعامل والمصانع وما اكتسبت من التحسين يسّر نيلها على رغابها . فهذا الرقي في العامة يتناول الكبراء ايضاً . الذين كان سلفاؤهم يترفون على نمط يكاد يكون شبيهاً بترف كبراء بلادنا قديماً ثم تدرجوا حتى بلغوا لهذا اليوم الى موقفهم الحالي . فترى دور عظمائهم حافلة بالرياش الفاخر والمتاع الثمين وكلها اما من صناعات بلادهم او مستوردة من بلاد اخرى بقصد عرضها على انظار صناعهم ليستفيدوا منها التفنن في صناعاتهم . ومن ثم فان احرازهم الاعلاق النفيسة يكون للتنافس ولاظهار مفاخر صناعهم

اما نحن فعهدنا بالنهضة حديث بل نحن الآن مشمّرون لها والانقلاب في عاداتنا واحوالنا جارٍ مجراهُ ولم تنسَ بعد ملابس آبائنا واثاثهم وما عونهم ولولا انا خلعنا اللباس القديم ولبسنا آخر الازياء دفعة واحدة لكنا الآن في سلّم التدرج ولكن الطفرة دفعت بنا فطارعناها

دع الامراء والعظماء فان لهم شأناً واعطف بي على عامة الناس وقل اما كنا بالامس نسكن الاكواخ او البيوت الحقيرة كما ترى في ارباض العاصمة فما بالنا خرجنا منها دفعة واحدة لابتناء القصور الرحيبة اما كان اثاثنا مقتصراً على ما مسّت اليهِ الحاجة فما بال رياشنا اليوم يفاخر قصور الامراء بالامس اما كنا والعهد بنا قريب نشق اسواق البلدة مشاة على الاقدام نزاحم بعضنا بعضاً ونلتطخ بالوحول والاقذار او نركب العير والبغال والحمير فما بالنا اليوم لا نكاد نرضى الّا بالاوتومبيل الكهربائي

نعم زاد الغنى واخذنا بمعدّات الحضارة وصارت مظاهرنا تدل على النعمة والراحة اقتداء بمن نعاشر من الفرنجة ولكن اولئك اذا اكثروا من شراء ما لا يحتاجون فانما يفعلون تنشيطاً لصناعاتهم وعلماً منهم ان ما يخرج من جيوبهم لا يذهب ضياعاً فيملأ جيوب الآخرين من غير مواطنيهم اما نحن فانما نجري على خطواتهم في الترف ونزيدهم في انا نذهب بمالٍ يبرح الوطن بتاتاً

فقال صديقي اتحسب ان المترفين من الفرنجة انما يسرفون تنشيطاً لصناعاتهم اجبتهُ كلاَّ وانما اردت ان المال الذي ينفقونهُ بسخاء على الترف يؤدي الى رواج التحف ونتاج الصناعة الفاخرة ويحمل مهرة الصناع على ان يشحذوا افكارهم للاجادة ومع هذه الفائدة الناجمة عن سخاء المترفين ترى كتّابهم يشددون عليهم النكير فاحرِ بنا ونحن نسرف على ترفنا لننقل مالنا الى جيوب اولئك الصناع ان نزيد في التقريع والتنديد

قال محدثي الآن فهمت مغزى كلامك ومرمى افكارك ولكني ارى لقومنا عذرًا في شراء مصنوعات الافرنج لان صناعتنا الوطنيَّة تكاد تكون عدماً فيضطر سوادنا الاعظم الى شراء ما يحتاجهُ من مصنوعات الاجانب . قلت لو اقتصرنا على شراء ما نحتاج اليهِ لهان ولكان جمهورنا معذوراً لضعف صناعتنا ولاننا لا نجد منها ما يقوم بلوازمنا ولكنَّ البليَّة اننا نشتري ما لا نحتاج اليهِ ولا هو من اذواقنا ومقتضيات عوائدنا و لا يُعارض قولي بما تبدَّل من شؤُوننا وبما رغبنا فيهِ من معدات الحضارة فانما الحضارة بلبابها ونحن تهافتنا على القشور فتجدنا نقلد الافرنج في ظواهرنا ونغض الطرف عن الحقائق

ثم ان المركبة بلغت بنا موقفاً ظليلاً بين اشجار الجيزة فاوقفناها لنمتع الناظر بابهج ما رأت العين في هذه الديار بالماء والخضرة . فمرَّت بنا اوتوموبيل تحمل شاباً في مقتبل العمر الَّا انهُ نحيل القوام اصفر الوجه فقلت لرفيقي اما ترى هذا البك قال بلى واني لاعرف سيرتهُ قلت وما قولك في ترفهِ قال زائد الحد مؤَدٍ الى الخراب قلت ان اباهُ خلَّف لهُ مالاً طائلاً فكان يسرف منهُ في حياة ابيهِ خفيةً عنهُ حتى اثقل كاهلهُ الدين فلما توفي ابوهُ باع من املاكهِ وعقاراتهِ ما لو بقي الى اليوم لاصاب فيهِ ثروة كبيرة . قال صدقت ولكن هذا مسرف قلت ومترف ايضاً فترى دارهُ او دورهُ ملأَى بنفائس التحف وفي كل منها ما يعد ثروةً

وتراهُ يقضي لياليهُ في الحانات والمقامر بين الكأس والقيان والميسر حتى يلوح الفجر ويفرغ الجيب من النقد وقد يستدين من المتفيّين حولهُ والمستنزفين اموالهُ ومن سهر الليل نام النهار واضاع وقت العمل وتراهُ قد نحل جسمهُ وتولاهُ الخمول والضعف فلا يقوى على الاحتمال طويلاً . ولست لاشير لهذا الشاب الَّا لاقدمهُ لك نموذجاً لامثالهِ الكثيرين الذين يعيشون عيشاً منعماً بالترف . ولو اقتصر وبالهم على انفسهم لهان ولكن الناس مولعون بالاقتداء بكبرائهم فكم من فتى غضيض الشباب يكاد يمنعهُ الحياء عن دخول الحانة ولكنهُ يمرُّ عليها فيرى الجلوس فيها من كل من تعلو في عينهِ منزلتهُ وتحلو عشرتهُ فيدخلها ولا يطول بهِ الزمن حتى يُعدى بجرب الراح والميسر والفسق والاسراف فيجرُّ على ذويهِ الخراب لانهم لا يماثلون المقتدى بهم في الثروة

فصدَّق صاحبي على كلامي وقال ولكنك وصفت داء بلادنا ولم تصف الدواء فقلت خير ما يجب ان يسعى اليهِ الآباء في تنشئة بنيهم هي ان يخفضوا من غلواء انفسهم امامهم وان يعودوهم العمل

ان الفراغ والشباب والجدهْ مفسدةٌ للمرء ايّ مفسدهْ

واذا كان عظماؤنا يرغبون في التقليد كما نرى من ظواهرهم فما بالهم لا يقلدون في الامور النافعة فان كبراء الافرنج واخص منهم الامة البريطانية يحرصون على نبالتهم اشد الحرص ومع ذلك تجدهم يعلمون اولادهم تعليمًا متقنًا ثم يرون في اميالهم ويوافقونهم على رغائبهم في اختيار العمل الذي تطيب له نفوسهم ومتى اختاروه مالوا الى تعلم اساليبهِ حتى اذا نالوا الشهادة مؤذنة باتقانهِ زجوا في بحار العمل فتجدهم لذلك منبثين في كل الاعمال من جندية وبحرية وخدمة حكومة وتجارة وصناعة وزراعة وامثالها فيبدأون باعمالهم صغيرة كانهم ليسوا من ابناء الكبار ولكنهم تعظم فيهم نفوسهم عن الارتضاء بحالهم وينصرفون الى عملهم بملء جهدهم فلا يلبث ذلك العمل ان يكبر باجتهادهم ولا يطول عليهم الزمن حتى يجنوا من ثمراتهِ مجدًا طريفًا يزيد على مجدهم التليد ويصبح لهم فخرًا وشرفًا . وانت تدري ان العمل شريف لذاتهِ وان من اكبَّ عليهِ لا يجد من وقتهِ فسحة للتلهي . ويعسر عليهِ ان ينفق المال جزافًا لانهُ قضى في اجتنائهِ زهرة العمر وكدّ الفعل ر . ن

حب الذات

لا يخفى ان الحب على انواع واولها حب الذات وهو مجموع غرائز ورغبات وشهيات وضعها الله سبحانهُ في الانسان لحكمة ارادها في حفظ وجودهِ وبقاء نوعهِ وربطها فيهِ برباط الشعور باللذة من كل ما يضمن سلامة الحياة ويكفل البقاء وبالألم من كل ما يرجع اليها بالمضرة والاذى

وليس حب الذات في الانسان اكتسابيًا او نتيجة تعقل واستدلال وانما هو ميل فطري فيهِ ينشأ مع الحياة ويظهر يوم ظهور الفكر ولذا ترى المرء شديد الحرص على الحياة مولعًا بالبقاء ولو تتابعت عليهِ النوازل وحاقت بهِ الشدائد فانهُ لا يطلب لاجلهِ انقضاء ولا يروم لشعلة حياتهِ انطفاء . واذا سألت السجين مرصوفًا بالحديد في غرفةٍ مظلمةٍ لا يأكل غير ما يسدُّ الرمق ولا يكتسي الاَّ الرث ولا امل لهُ الاَّ الاستمرار على الشقاء هل ترغب في الموت لتتخلص من المتاعب لتتبرم واجابك انهُ يؤثر الحياة على الموت وقس عليهِ المحتضر والمريض والفقير وكل من فيهِ نسمة حياةٍ ولهذا لا يغرنك ما تسمع من شكوى الشيوخ من تعب الحياة واكدارها فان ما يطلبونهُ بلسانهم من الرغبة في الموت ترتعد لحقيقتهِ قلوبهم وما شكواهم الاَّ لدنو الاجل وقرب مفارقة الدنيا كما قال ابو الطيب

واذا الشيخ قال اف فما ملَّ حياةً وانما الضعف ملاَّ

اما الشكل الثاني من حب الذات فهو حب الراحة ولما كان الجسد غير الروح وغايتهُ غير غايتها الاَّ ان حفظ الجسد من شرائط حياة الموجود العاقل وضعت العناية الشهيات واسطة مثلى لحفظ الجسد ودفع العاديات عنهُ ليبقى سليماً في الحياة معيناً للعقل

ولاخفاء ان جسم الانسان وجميع دقائقهِ الحية تندثر وتبلى على الدوام لذلك يقتضي لهذا الدثور تعويض دائم بواسطة الغذاء ومتى كثر الدثور واحتاج الجسم الى التعويض شعر الانسان بألم خاص هو الجوع والعطش اللذان ينبهانهِ الى طلب التعويض ويصحب هذا الالم الرغبة في الغذاء حتى اذا حصلت الشهية على اكفاء حاجتها انقطع الالم والرغبة عن عملهما برهةً ثم يعودان الى العمل في الاونة التي يحتاج الانسان بها الى الاكل والشرب

على ان هذه الشهوات كما قال فيها ده كارت تكون في اصلها حسنة لا عيب فيها الاَّ ان الافراط يصيّرها سيئة . ويستطاع تجنب الافراط بالتهذيب والتربية ويقصد الفيلسوف انها ان سارت سيراً طبيعياً معتدلاً كانت نافعة مفيدة من مثل اذا اقتصر من الاكل والشرب على مافيهِ احياء الجسم وتقويتهُ

لقد مرَّ بنا الماعاً ذكر اشكال حب الذات التي تتعلق بالحواس وبقي علينا ذكر الاشكال التي تتعلق بالحياة الاجتماعيةُ كحب التملك والشهرة والسلطة والمعرفة فحب التملك فطري في الانسان يؤيد هذا القول وجود هذا الحب في مطلق النوع من بدوي يسرح في القفار ويأوي الكهوف والاكواخ الى حضري يسكن القصور ويلبس الاطالس ولئن وجد على كيفيات تتباين حسب تباين البيئة وحالة المجتمع الاَّ انها تابعة بالجملة لحاجات الانسان وضرورياتهِ من مثل ان الولد يحب تملك الطابات والكلل لانها من ضروريات العابهِ وامسّ حاجاتها وكذلك ترى الامم العريقة في البداوة تكثر من تموّن الحراب والسهام بين ان الامم الراقية مراقي التمدن تكثر من حشد الفضة والذهب والقرى والقصور واشباه ذلك

وما شأن هذا الميل مع اختلاف كيفياتهِ الاَّ كاختلاف كيفيات الاكل لدى الافريقي عن الاوروبي لا بل في اهل بلدٍ عن بلدٍ آخر فما يستطيبهُ قوم قد ينفر منهُ الآخرون على ان شهيةَ الاكل واحدة في الانسان في كل مكان وزمان . اما حب الشهرة والميل الى الاعتبار فنزعة طبيعيةٌ في الانسان لا يختلف فيها اثنان فاي انسانٍ لا ينفعل من المدح او الذم مهما كان حالهُ وشأنهُ حتى ان اللص الذي قضى السنين الطوال مسجوناً مهاناً اذا قوبل بالشتيمة امتعض وتألم وبالمدح ابتهج وابرقت اسرتهُ

على ان هذا الشعور يظهر في الصغار وله شأن هام في تربيتهم وانهُ ليسوءنا جداً ان السواد الاعظم من معلمي الكتاتيب اذا اتمَّ الولد واجباته المدرسيَّة لا يكافئونهُ بالمدح تجاه رفاقهِ التلامذة زعماً منهم ان المدح مدعاة للطمع والاعتداد بالنفس وموجب للكبرياء والتهاون في الدرس ولا يدرون ان في المدح انهاضاً ومزيداً لحماسهِ وفي الامتناع عنهُ اضعافاً للميل الفطري فيهِ الذي اذا تقوَّى شب الولد رجلاً نافعاً مفيداً كما انهم اذا لم يقم التلميذ بالواجب المدرسي كان قصاصهُ الضرب الشديد بحيث يميتون فيهِ جرثومة الشهامة وعزة النفس ويدفعون بهِ الى الدناءة والجبن . كأني بهم لا يفقهون معنى التربية وان القصد منها انماء القوى العاقلة وتقوية الاميال النافعة . ولا مشاحة ان هذا الحب الفطري اذا رسخت في الخواطر اصولهُ واشتدت في النفوس وطائدهُ تجلت الهمم في اعلى مظاهرها وبدت العزائم في ابهى مفاخرها وثارت في نفوس الرجال فدفعتهم الى اعظم الاعمال واجل المآثر . وحسبك ان هنيبال ووشنطون وبونبارت ما اقتحموا المهالك ولا خاضوا معامع القتال برباطة جأش وصدق عزيمة تزعزع الجبال الا لترفع اقدارهم وليزداد اعتبارهم في عيون الناس اجمعين . ولولا هذا الحب ما رأينا نيوتن وديكارت وباستور وهرفي وباكون وابن رشد وابن سينا وغيرهم من الحكماء واساطين العلم وخناذيذ الشعراء وفطاحل الكتبة يدأبون على البحث والاكتشاف ويحيون الليالي بالمطالعة والدرس والتأليف وما رأيناهم يسعون هذا السعي الا لتطبق شهرتهم الآفاق وتطرب بذكرهم الالسنة والشفاه وتطأطئ لهم الهامات اجلالاً وتكرمةً . ولولا حب الشهرة لم ترفع الانصاب والتماثيل وتنقش الاعمال والاسماء على الصخور والاجر احياء للاسم واخلاداً للشهرة

ولئن كان حب الشهرة مصدرهُ الانانية وغايتهُ الاثرة الا ان نتائجهُ للغيرية عظيمة ومنافعهُ للمجتمع الانساني جليلة لما يبذل الانسان من الجهد في الحصول عليهِ ولما يضحيهِ من المنافع الشخصية في سبيل الوصول اليهِ وقد ارتأى بعض العلماء ان هذا الحب مصدر ما تراهُ في بعض الافاضل من دماثة الخلق ولين الجانب وحسن معاملة الاخرين

ويقرب من هذا النوع جداً نوع آخر من الحب يعرف بحب السلطة وهما في الغالب ينميان معاً ويندفعان كلاهما الى رغبات واحدة واعمال واحدة على ان حب السلطة ضروري لحفظ نظام الكون وتمكين رباط المجتمع الانساني فاذا تخللهُ الطمع خرج بهِ عن جادة العدل وذهب بهِ الى القسوة والغلو في الظلم شأنهُ عند الامم البعيدة عن منازل الحضارة الضاربة في البداوة فان سلطة الاب الجاهلي على عائلتهِ لا تقف عند حد . فالولد والزوجة ملك الرجل وعبيدهُ يتصرف بهم استعباداً وقتلاً على ما يشاء ويريد فكم من اب عربي زمن الجاهلية

وأد ابنتهُ تخلصاً من اطعامها او خوفاً من وقوع العار عليهِ بسببها وعلى خلاف ذلك ترى الاب في الامم التي استهدت بانوار العلم والعرفان يستعمل السلطة للتربية والتعليم غير مشوَّهة بالقسوة ولا ملوَّثة بالعتو وتدوم دوام عجز الولد عن تحصيل موارد الحياة ومتى استقبلوا الشباب وصاروا أكفاء للعمل ذهبت سلطة الوالد وتبدَّل خضوع الولد لهُ بالاعتبار

ومن الغريب ان هذا الحب لا تقوى عليهِ السنون ولا تبيدهُ الايام بل يزيدهُ الشيب رسوخاً على عكس حبي الاعتبار والشهرة فقد يضعفان متى بلغ الانسان دور العجز وايام الهرم. اعتبر بما تراهُ في معظم الشيوخ الذين لم يتغذوا بلبان العلم ولا اهتدوا بمشكاتهِ فانهم متى بلغوا هذا الطور من الحياة تجدهم وقد اخنى الكبر على قواهم واقعدتهم الايام في زوايا بيوتهم لا يفترون ساعةً عن الاستبداد في عيالهم بضروب من الاحكام ما انزل الله بها من سلطان فيزجرون الاولاد الصغار ويمنعونهم عن اللعب ويتذمرون من الخدم ولا يرتضون عن عمل من اعمالهم ما لم يكونوا قد طلبوهُ منهم ويتململون من اولادهم الكبار اذا لم يتبعوا آراءهم ويعملوا باوامرهم في كل سكناتهم وحركاتهم

وليس ما يغلي في قلب كل واحدة من الحماة والكنة من العداوة والبغضاء الاَّ نتيجة لازمة عن حب السلطة يظهر ذلك لمن استقرأَ حال الزوجة وهي فتاة عزباء في بيت ابيها وكلها آمال ترمي الى الزواج وتسعى بجهدها للحصول عليهِ لتصبح ربة بيت تستقل في ادارتهِ وتتسلط على سائر اعمالهِ الاَّ ان هذا الميل يظهر فيها قبل ان تبلغ الرشد فتدرك معنى الحب الزوجي ومن نظر اليها وهي تلعب مع رفيقاتها رآها تمثّل ذاتها في العابها زوجةً صاحبة بيتٍ وخدمٍ وولد ممثلة السلطة البيتية في جميع ادوارها تمثيلاً بالغاً غاية الاتقان ويعظم هذا الميل فيها كلما خطت خطوة نحو دور الشباب حتى اذا بلغتهُ عقدت خطبتها على شابٍ وولج الحب فؤادها وصارت ترى في خطيبها ما تراهُ عين المحب في المحبوب عادة من اللطف والكمال وظنت السعادة والهناء موصولين بالزواج قائمين فيهِ

يومئذٍ تسرح في عالم الخيال وآمال الحب تقرّب لها البعيد وتسهل الصعب فتتصور نفسها في بيت خطيبها وقد صارت زوجةً المنزل وصاحبة السلطة المطلقة فيهِ حتى اذا استتبَّ لها الزواج رأَت غير ما املت وجرت الرياح ضدَّ ما تمنت. رأَت حماتها صاحبة السيادة المطلقة منذ سنين وهي حريصةٌ على سيادتها حرص البخيل على درهمهِ ولا ترضى المشاركة فيها واذا نازعها عليها منازع تدافع عنها دفاع اللبوة عن اشبالها والكنة تهجم وفيها عزيمة الشباب الصادقة وهمة المنصوب في ارجاع حقهِ المسلوب فيقع البغض بينهما وتشب نار العداوة التي

صارت بين الناس مثلاً لشيوعها في معظم العيال ولا دواء ينجع في استئصالها الا التشارك في السلطة وتنازل كل واحدة منهما عمّا تظنهُ الحق الشرعي لها وهيهات ذلك من نفوس تعشقت السيادة ونشأت على حب السلطة

اما حب المعرفة فقد قال فولترعنهُ في كتابهِ قاموس الفلسفة ما معناهُ ان الرغبة في المعرفة طبيعية في الانسان حتى في القرود وصغار الكلاب خذ كلبك الصغير في العربة معك فيضع يدهُ على النافذة ليرى ما يمرّ امامهُ واما الانسان فانت تعلم بما يعملهُ في العواصم الكبرى كبرلين ولندن وباريز كيف يصرف اوقاتهُ مستفهماً عن الاخبار الجديدة . وقال جول سيمون في كتاب الواجبات ان هذا الحب واضح في ابسط اعمال الحياة فلو كنا منفردين في قفرٍ بعيد وسمعنا صوتاً او دويًا خارجاً من احدى جهات المكان الذي نحن فيهِ نتوق بكليتنا الى معرفة سبب الصوت الذي سمعناهُ وهكذا اذا مررنا ورأينا جماعةً من الناس متجمهرين على شيء لا بدَّ لنا من ان نجيءَ ذلك الموضع لنقف على سبب تجمهرهم وايضاً اذا حدث فجأةً امامنا تغير في شيء من الاشياء رغبنا في معرفة السبب ولا ترتاح ضمائرنا حتى نعرفهُ

وحقيقة هذا القول ظاهرة لمن يتدبر احوال الانسان في سائر ادوار حياتهِ وفي جميع مراتب رقيهِ الاجتماعي من الام السارحة في القفار الى النازلة في الامصار والقائمة في القصور الفاخرة يراها كلها جمعاء تتوق الى معرفة الاخبار واستطلاع الجديد . اعتبر بما تراهُ من مسرة الاحداث وابتهاجهم اذا نظروا شيئاً جديدًا وكيف يكونون كلهم آذان لاستماع القصص والحكايات اوما ترى الولد وهو سائر الى جانب ابيهِ كيف يسال عن كل شيء لم تقع عيناهُ عليهِ من قبل

والشيء بالشيء يذكر ان معظم الآباء والامهات يزجرون اولادهم اذا هم سألوهم عما يجهلونهُ من الامور وفي خلدهم ان ذلك التحذير من لوازم التربية مخافة ان ينشأ الحدث طفيليًا وهنا الغلط كل الغلط لان في تقوية هذا الميل النظري يقوى في الحدث حب البحث والاستقراء وارجاع الاسباب الى مسبباتها فينشأ وهو ابن البحث والتدقيق ويدخل ديار العلم فيستفيد ويفيد ولا اخصص بعضاً من الآباء في هذه المؤاخذة بل اوجهها ايضاً الى نفرٍ من معلمي المدارس والكتاتيب

على ان حب المعرفة واللذة التي تعقب عادةً استطلاع المجهول كانتا السبب لحصول العلم وارتقاء الانسان في سلم الحضارة والعمران وهذا الحب يكون عند الامم المتمدنة في اقوى مظاهرهِ وذلك مشاهد من انصباب الافرنج لهذا العهد الى اكتساب العلم واكتشاف الحقائق وما ينفقون من الاموال في سبيل معرفة اخبار الامم وحوادثهم ج . ب

يوليانوس قيصر

ولد هذا العاهل المنلم في القسطنطينية عاصمة المملكة الرومانية الشرقية عام ٣٣١ للمسيح وابوهُ يوليس قونسطاطيس شقيق الامبراطور قسطنطين وحدث يوم وفاة هذا الامبراطور ان فتك الجند الروماني بالاسرة المالكة ابقاء للملك بين اولاد قسطنطين الثلاثة وقد نسب الناس هذه المذبحة الى امرٍ من قونسطانس بن قسطنطين وخليفتهِ وانهُ اتاها ليستتب لهُ الملك ويأمن شر الطامحين اليهِ. وسواء كان هو العامل على قتل أُسرتهِ او كان براء منها فانا نعلم بوقوع المذبحة وانهُ لم يبقَ من الاسرة المالكة سليماً الاَّ يوليانوس وكاليوس اخوهُ

وكان السبب في سلامة يوليانوس واخيهِ كاليوس المطران مارك الذي اخفاهما ابان المذبحة وفرَّ يوليانوس الى حراج اسيا الصغرى متوارياً عن الرقباء مدة من الزمن ثم جاء بلاد اليونان واقام فيها يطلب العلم على اساتذة مدرسة اثينا برغبة وقادة وكلهُ آمال بانتهاء الملك اليهِ

وما طال الامر بقونسطانس حتى فقد الامل من ان يرزق ذريةً ترث الملك من بعدهِ لذلك استدعى اليهِ كاليوس ابن عمهِ وانعم عليهِ. الاَّ انَّ مفاجأة النعمة ابطرتهُ فانغمس في الملذات واظهر من الخمول والقسوة ما أغاظ قونسطانس وربما كان سبب الغيظ تخوفهُ منهُ فقلب لهُ ظهر المجن ثم عمل على هلاكهِ فمات وكاد يوليانوس يهلك معهُ فجعل ينتقل من سجن الى سجن سبعة اشهرٍ حتى اتاح الله لهُ الامبراطورة ايزابيا فانتشلتهُ من براثن الاسد وأرسل الى بلاد اليونان وما عتم ان استدعاهُ قونسطانس اليهِ فجاء القسطنطينيةَ واقام فيها ستة اشهرٍ لم يؤذن لهُ في خلالها ان يمثل لديهِ انما لبث محاطاً بالرقباء يتجسسون اخبارهُ ويترصدون حركاتهِ وهو منقطع عن الناس لا يجتمع باصدقائهِ لئلا تأخذهم وشاية المفسدين

غير انَّ للايام هجعةً ووثبة فقد تغيَّر الحال بقونسطانس وعاد فشعر بانقطاع الذريَّة ووجوب الاعتماد على يوليانوس فقرَّبهُ منهُ ثم زوجهُ من شقيقتهِ هيلانة ومنحهُ لقب القيصر ثم رأى ان يعهد اليهِ بولاية بلاد الغال (فرنسا القديمة) فسيَّرهُ اليها اواسط الشتاء

فجاء يوليانوس الى بلاد الغال وهو شاب في مقتبل العمر غير متجاوزٍ الخامسة والعشرين من سنيهِ وهو ما شهد المعارك ولا عرف السياسة ولا خبر الادارة ومع ذلك تولى امرة الجيش فكان قائداً هماماً ادار شؤُونهُ ونظم امورهُ وحمل بهِ على البربر فمزق شملهم وردهم على اعقابهم خاسرين ونشر لواء العدل ووطد الامن وصرف جهدهُ الى اصلاح البلاد واعلاء

شأنها بالرغم عن ارادة قونسطانس السيئة والعوائق التي كان يضعها له تثبيطاً لهمته واطفاء لشهرته الا ان اعماله الحسان في البلاد استمالت قلوب الاهلين اليه فاحبوه كثيراً وكل ذلك كان مدعاة لغيظ عداته وسعيهم بالوشاية عليه عند قونسطانس لا سيما وان مروقه من المسيحية واجهاره في ذلك عقيب استفحال شهرته واستتباب الولاية له فيها كان مزيداً في احقاد خصومه وسبباً فعالاً لاهاجة غضب الامبراطور عليه فبعث اليه على الفور يأمره بارسال اعظم فرق جيشه اقتداراً واوسعها خبرة نجدة لجيوشه في حرب الفرس . قيل ان يوليانوس رغب في تلبية الامر الامبراطوري مع علمه بما وراء ذلك من الحيل والاعمال على التنكيل به غير ان الجند لم يرضَ بالامر الامبراطوري ونبذ الطاعة ونادى بيوليانوس قيصر امبراطوراً وقيل ان يوليانوس هو الذي اوعز الى الجيش سراً ان يخلع الطاعة وينادي باسمه امبراطوراً وكيف كان الحال فقد كتب لقونسطانس واعلنه بما كان من رفض الجند لاوامره ومناداتهم باسمه امبراطوراً . فانكر قونسطانس الامر وحسب ذلك نشوزاً عن الطاعة واغلظ الكلام في رسائله اليه واوشكت الحرب ان تستعر نارها بينهما الا ان الموت عاجل قونسطانس فمات سنة ٣٦١م واراح الناس من غوائل الحرب وخلا الجو ليوليانوس فتبوأ الاريكة وصار السيد المطاع

تولى يوليانوس قيصر الملك فلم تأخذه ابهة السلطة ولا نخوة الجاه وظل على حاله الاول من البساطة بعيداً عن الترفع والزهو يقضي اوقاته في ادارة الاعمال السياسية عاملاً بنفسه على اصلاح قانون البلاد والنظر في شؤون الجيش ليصلح عند الحاجة للهجوم والدفاع وهو بين تلك الشواغل الشاغلة لم يقعد عن السعي في هدم كل ما بناه قسطنطين واولاده لاسيما النصرانية ضالته التي كان ينشدها من يوم فتك قونسطانس باهل بيته فتكاً ذريعاً

ولا جرم ان اقدام يوليانوس على ملاشاة النصرانية واعادة الوثنية الى مجدها السابق جريمة لا تغتفر تجاه حرية الضمير وتجاه تقدم البلاد التي كانت على جرف الاضمحلال اثر فساد الآداب الوثنية وانحطاط الفلسفة اليونانية وهرم البلاد الى غير ذلك من الاحوال التي تطلب بجملتها الانقلاب التام لتتخلص الامة من الانحطاط وتتقمص من حياة الارتقاء ثوباً قشيباً

ولا يجدر بنا ان نطلق الكلام جزافاً فنذكر تحامل يوليانوس على النصرانية واعتناقه الوثنية من غير ان نلمّ الى شيء من اسباب ذلك التحامل فلا يخفى ما بذل الامبراطور قسطنطين من الهمة في سبيل تأييد النصرانية ونشر تعاليمها فعزز دعاتها واعلى كلمتهم فكان لا يأتي عملاً من الاعمال الا طبق ارادتهم وحسبما يريدون وكثيراً ما كان يرغم الناس على احترام احكام المجامع المقدسة واتباع سننها ومن شذ في شيء اخذ تحت طائلة العقاب الصارم

فشق هذا الامر على الكثيرين من الناس لا سيما على اهل بيتهوذوي قرباه ثم خلفه على الملك قونسطانس وهو ولئن كان دون ابيه ذكاء وخبرة الا انه تحداه في طاعة دعاة الدين والعمل برأيهم واذ انتهى الملك اليه أعمل السيف كما سبق باهله من الاسرة المالكة وفرَّ يوليانوس الى اثينا ودخل بين اساتذة مدرستها فانزلوه على الرحب واحاطوا به احاطة الهالة بالقمر يلقون اليه العلم ويدسون فيه البغضاء للنصرانية التي يعزز دعاتها قاتل اهل بيته فشب على ما يريدون يكره ديناً يدين به قونسطانس عدوه الالدود

وناهيك بمدرسة اثينا وشأنها من العداوة الشديدة للنصرانية والحكومة المتسلطة يومئذٍ. تلك المدرسة التي كانت قبل استفحال النصرانية كعبة العلم اليوناني ومستودع التقاليد الوثنية وصاحبة الحل والعقد في البلاد ثم تغير الحال معها فسلبت اموالها وفقدت وجاهتها وحظِرَ عليها تعليم معتقدها فلجأت الى التستر بعد الاجهار قلقة تحسب للفناء المطلق الف حساب فجاءها يوليانوس يطلب العلم ويلتجئ اليها من جور عدوها فانصرفت اليه تزيد صدره ان امكن المزيد عداء وحقداً رجاء ان يعود يوماً الى الملك فيثأر لها فتقنع بالانتقام وحسبها به بديلاً عن الرجوع الى بسطة جاهها القديم

وهنالك اسباب اخر غير ما ذكرناه من عداوة يوليانوس لقونسطانس وكراهة اساتذة مدرسة اثينا للقياصرة من النصارى. من ذلك انه في اوائل ظهور النصرانية ظهر مبدأ التعصب الديني الذي لم يكن معروفاً من قبلها في الشكل الذي عرف به من بعدها وقد كانت الاديان الوثنية توجب العبادة والعقيدة عندها في المحل الثاني وبعبارة اخرى كانت تكتفي من الانسان بالتديُّن ولا تطالبهُ بالشكل الذي يتدين به. اعتبر ذلك بوسعة الميثولوجية وعدم حصرها بحيث كان كل انسان يفسرها على ما يريد الا انه يشترط ان يتخلل تفسيره شيء من الخواطر الفلسفية لانهم لم يكونوا يرون في الالهة السفلى الا تمثيل قوى الطبيعة او صفة من صفات الله وهذا لا يمنع ادخال آلهة جديدة الى مجموع الآلهة وليس في ادخالها ما يجرح المبدأ الاسامي للدين الوثني ومن الجهة الثانية كانت مدرسة الاسكندرية تذيع مبدأها القائل بان الدين وان اختلفت ظواهره فهو واحد في ذاته وما اختلافه الا من قبيل تعدد اللهجات للغة واحدة والى مثل هذا التوحيد كانت ترمي ايضاً السياسة الرومانية حيث ملأت معبدها بجميع آلهة الشعوب الخاضعة لها . وكانت الحالة على ما ترى من التساهل واذا بالنصرانية ودعاتها ينادون بانها دين الله الحقيقي وان ما عداها باطل من صنعة البشر فاهاج ذلك غضب الوثنيين وحملوا على النصرانية واسرفوا في اضطهادها والايقاع باتباعها ولو ان النصرانية اذاعت معتقدها

من غير ان تشجب معتقدات الآخرين لما رأت مضطهدًا بمعنى انها لم تضطهد لا تخاذها معتقدًا جديدًا بل لانها احتقرت معتقد الآخرين . ولما قوي ساعدها ثأرت من الوثنيين وبالغت في الانتقام . اعتبر بما عمل الامبراطور قسطنطين وغيره من غلاة اهل التعصب وذلك ما جعل القسم الكبير من سكان السلطنة الرومانية يكرهون الاسرة المالكة ويريدون لها شرًا

وسُدَّ الملك ليوليانوس وهو عارف باخلاق الاهلين واميالهم واقف على سائر شؤونهم فرأى من حكم الرأي ان لا يصطفي من غير الوثنيين رجالاً ليشدَّ بهم ازره فيخلصوا له الخدمة لان النصارى أبّان حماسهم الديني كانوا لا يؤثرون على مبدإهم شيئًا من الامور الدنيوية لاسيما وانهم لم يكونوا ينصرفون لغير طاعة المطارنة والاساقفة وهم ادلاؤهم في كل الامور وقادتهم الى ما يريدون والمطارنة القيمون على حفظ النصرانية وتعزيز تعاليمها فلا يرون فضيلةً ولا يذكرون حسنةً الا لمن كان ضمن جدار البيعة وناهيك بحال يوليانوس ومروقهِ من الدين فكيف يرضون عنهُ او يأخذون بناصرهِ

عرف يوليانوس كل هذه الامور فاتخذ رجال مشورتهِ من اساتذة مدرسة اثينا وتهيأ للايقاع بالنصرانية وملاشاتها ولم يكن يجهل ما بلغت اليهِ من المنعة في اتحاد قومها ومن البسطة في انتشارها وكثرة اتباعها ومريديها وما في سمو آداب معتقدها من القوة التي لا تغلب بضعف آداب الوثنية . عرف ذلك كلهُ واقدم على مناوأتها وجعل يحاربها في بادىء الامر تحت برقع التساهل الديني فأمر ان تعاد الهياكل الوثنية الى حالها القديم وان تعمل بطقوسها وتقيم الاحتفالات الدينية بملء الحرية على ما تريد وارجع الى القسطنطينية تباع بدعة آريوس اولئك الذين امر بابعادهم قونسطانس وامر ان لا يمنع الوثنيون من وظائف الحكومة الى غير ذلك من الامور التي يدل ظاهرها على التساهل والعدل ولكنها في حقيقة الحال إعمال على اذلال النصرانية واضعافها والامور بمقاصدها

الا ان النصارى لم يرضهم منهُ ذلك التساهل المموَّه وعرفوا دخيلة الامر وما يبطن لهم من الحقد ويكظم من الغيظ فقلبوا لهُ ظهر المجن وجهر دعاة الدين بعداوتهِ حتى ان القديس اثاناسُس عماد الكنيسة يومئذٍ وكوكبها المنير لم تردعهُ صولة الملك ولا دفعهُ جاهُ السلطة عن الاعلان بمساوىء يوليانوس والطعن عليهِ وان يدعوهُ عدو الله والناس

ذلك ما هاج غضب يوليانوس فمزَّق الحجاب وجهر بالعداء واسرف في الاضطهاد فصار يحضر الاحتفالات الوثنية بذاتهِ كما كان يحضرها من قبل القياصرة الوثنيون وامر باحراق الكتب المقدسة ليقابل في ذلك احراق الامبراطور قسطنطين لكتابات بورفير

واغلق مدارس النصارى وحظر على دعاتها الانذار بالانجيل وحسب كل دعوة دينية ضرباً من الجرائم لانها تفرق بين الوطنيين من نصارى ووثنيين واشباه ذلك من انواع الجور والعسف التي اثارت الضغائن واضرمت نار الفتن الدينية في كل السلطنة على ان المنية لم تترك له مجالاً فسيحاً فاختطفته فتى في ساحة الحرب لم يتجاوز الثانية والثلاثين من سنيه فراح تاركاً في التاريخ له ذكراً كبيراً في العلم والذكاء لكنه كان مشوهاً بما اجترم من التعصب الذميم وبما اقترف من الكبائر في اضطهاد النصرانية

***

لم يكن يوليانوس عالماً مدققاً ولا فيلسوفاً محققاً ولكنه كان مجتهداً كبير الهمة مقداماً لم يفسح له الاجل ولا مكنته مهام السياسة من الانصراف الى العلم بكليته وسبر غور الحقائق ليتفوق في المعارف ويحسب في مصاف الفلاسفة اصحاب الرأي المتبع وانما كان فيه ميل شديد للخطابة وخطبة رنانة لا تخلو من البلاغة وحدة الروح الحربي والشيء الكثير من السفسطة والنزوع الى التهكم والقدح . ومما يؤاخذ به ويحط من مقامه السياسي والعلمي تحامله في رسائله المعروفة بالميزوبوكون misopogon بالطعن وبذاء الكلام على نصارى انطاكية وهو الحاكم المطلق فيهم والسيد المطاع منهم

واعجب من ذلك انه مع وقوفه على الحقائق ومعرفته بما في الدين الوثني من الترهات واعتقاده بوحدة الله واتباعه آداب افلاطون وسخره من خسة الآداب الوثنية وضحكه من تقاليدها وبذله الجهد في اصلاحها لتقتدر على البقاء تجاه النصرانية كان يقيم الضحايا ويجمع الحطب ويضرم النار فيه ويجس بيده احشاء الذبيحة محاطاً بجماعة من النساء والاولاد

وقد كان معجباً بفلسفة اساتذة اثينا ومع ذلك الاعجاب كان يحتفظ باستقلال فكره ولكن ذلك الاستقلال لم يكن ناتجاً عن قوة كبيرة في ادراكه وانما كان من عدم المبالاة مع شيء من مبادىء التشكيك

وخلاصة القول انه كان ميالاً للفلسفة ولم يكن فيلسوفاً وكان ذا قريحة وقادة ولم يكن كاتباً من الطراز الاول وذا معارف كثيرة لكنها غير بعيدة الغور ولا كافية لاستقصاء القضايا واستيعاب كنهها وذا ارادة قوية تخدم ادراكاً دونها قوة واقتداراً . هذا هو يوليانوس ومثله خليق بان يكون فيلسوفاً لزمن الانحطاط الذي عمل على محو تمدنه مع انه كان يرمي الى بقائه وتجديد الحياة فيه

ق . ن

وصايا فتاح حوتب لابنهِ

تألفت حديثاً لجنة من الادباء في بلاد الانكليز لطبع كتب صغيرة منقولة عن لغات الشرق سمَّوها " حكمة المشرق " . وقد لخصتُ منها شيئاً من " حِكَم الشيخ مصلح الدين سعدي العجمي " (المقتطف كانون الثاني — يناير — ١٩٠٧) والآن اختصر كتاباً آخر مترجماً من اللغة المصرية القديمة هو " وصايا فتاح حوتب لابنهِ " . وكان هذا الرجل الفاضل وزيراً للملك ايسوسي من الدولة الخامسة وكتابهُ اقدم ما وصل الينا من كتب المصريين لان زمانهُ كان قبل زماننا نحو ٥٥٠٠ سنة والظاهر من كلامهِ انهُ جمعهُ من اقوال سابقة لا نعلم لها عهداً في سالف الايام . وهو في بابهِ جدير بالاضافة الى ما نعلمهُ من الدستور الرفيع في



صورة فتاح حوتب واسمهُ الى يمين الراس
من مدفن في ممفيس والمظنون انها صورة كاتب هذه الوصايا

آداب المصريين القدماء المجموع في وصايا الدين التي يحاكم عليها الاموات بحضرة اوسيرس اله العالم السفلي عندهم والتي كان يقول فيها الرجل الصالح منهم " كنت عادلاً صادقاً اخاف الله واسعى الى رضاهُ . صنعت خيراً في الارض فاطعمت الجائع وسقيت الظمآن وكسوت العريان وهديت الضال واحسنت الى المسجون وانتصرت للمظلوم . لم اقتل ولم اسرق ولم ازنِ ولم اسكر ولم اتكاسل ولم اكذب ولم اكن منافقاً مرائياً ولم ابغِ على احدٍ ولم اضرب خفيةً ولم اتحامل ولم انجس ضميري مرضاة لمن هم اعلى مني ولم اظلم الارملة ولم اقهر اليتيم . وكنت برًّا بأبي مطيعاً لامي مترفقاً باخواني وكانت نفسي بريئة نقيةً من الآثام " . وان كان هذا الكلام

يدهش اهل الارض ولا يجسر احد ان يقولهُ الآن او في يوم الحساب فهو قياس غاية في الرفع مما يجب ان يكون الانسان عليهِ من الاخلاق العظيمة . واذا نهى عن المنكر والمكر بالناس والكذب عليهم والضرر بهم فقد فاق بعض اهل هذا الزمان . واذا خالفوهُ في كثير من اعمالهم وسوء عقيدتهم فمن منا البريء ومن لا يصدّق لقول عمر بن الفارض الشيخ الصالح والفيلسوف الكبير

فلا عبثٌ والخلقُ لم يُخلقوا سُدًى وان لم تكن أعمالهم بالسديدةِ

قال الوزير للملك يامولاي لقد قربت نهاية الحياة وحلّ بي الهرم فأمر عبدك ان احوّل رئاستي الى ابني وألقي اليهِ وصايا الاقدمين لكي يُنفى الشرّ من الذين يعقلون . قال الملك قد اجبت سؤالك فعلّمهُ الكلام القديم حتى من اطاع تمجّد ومن خالف أعيب . وهذا بعض ما اوصى بهِ ابنهُ (ملخصاً)

اذا كنت عالماً فلا تفتخر بل حادث الجهلاء كما تحادث العلماء وتعلّم منهم لانهُ لا حدّ لما يستفيدهُ الانسان ولو كان بارعاً

اذا سمعت احداً يتكلم وهو حسن الخلق واوفر منك حكمةً فأصغِ اليهِ ولو كان مخالفاً لك في الرأي ولا تعارضهُ في الكلام

اذا كان المتكلم من امثالك فلا تصمت اذا قال بالسوء بل قل خيراً واكسب ثناء السامعين

اذا كان المتكلم دونك منزلةً فلا تهزأ بحقارتهِ بل دعهُ يخجل من نفسهِ . لا تطارحهُ لكي تفتخر ولا تغضب عليهِ . عار عليك اذا ربكت عقلاً حقيراً

اذا كنت رئيساً مدبراً لامور الجمهور فكن ابداً كريماً ليكون عملك بلا عيب . فان الحق عظيم يقضي بصراط مستقيم ولم يُغلَب ابداً منذ خلق الكون . المعتدي يعاقب لان للعدل حدوداً . لا تلقِ الرعبة بين الناس لان الله يعاقبك على ذلك

اذا كنت رسولاً من امير الى امير فبلّغ كما بُلّغت . اياك ان تثير العداوة بتحريف الكلام . لا تتجاوز الحق ولا تنقل كلاماً تكرههُ النفس

اذا كنت ذا منزلة وضيعة فاخدم رجلاً عاقلاً . واذا عرفت رجلاً حقيراً صار وجيهاً فلا تحتقرهُ لما علمت من امرهِ بل اكرمهُ في ما قد صار اليهِ . الغنى لا يأتي من نفسهِ بل هو ما يحرّز بالجدّ واذا جاهد المرء وجمع كان ذلك من توفيق الله الذي يعاقب المتكاسل

ليس لمن لا اولاد لهُ ان يكون حسوداً . لان الوالد قد يحزن ولو كان عظيماً ولامّ الاولاد من الهمّ اكثر من غيرها . لكل انسان نصيب مقدور من الله

سِرْ زمانك كلهُ في ما يرتاح اليهِ قلبك ولا تعمل اكثر مما أُمرت · واذا كسبت مالاً فانفقهُ في سبيلهِ لان لا فائدة من المال والقلب مهموم

اذا سار ابنك سيرة صالحة وقد كنت لهُ مثالاً فيها فجُد عليهِ · ولكن اذا كان مسيئاً عاصياً عنيفاً سفيهاً فأدّبهُ واحجزهُ عن معاشرة الاشرار لانهم هم الذين يسوقونهُ الى سبل الشرّ

اذا عاشرت الناس فاكتسب محبتهم لان المحبة اول ما يطلبهُ القلب وآخرهُ · لتكن سمعتك حسنة ولو لم تتكلم · واما الطائع لشهواتهِ فمكروهٌ وهو عدوٌ لنفسهِ

اذا كنت رئيساً فألزِم الناس بما تأمرهم بهِ ولا تُسرِف عليهم بالعطايا لئلاَّ يحملهم ذلك الى الذلّ والصغر والتواني

اذا كنت رئيساً فتلطَّف عند سماعك شكوى المستجير ولا تدعهُ يتلجلج في كلامهِ لك بل مُرْهُ ان يتكلم بلا خوف وانصفهُ اذا كان مظلوماً

اذا رُمتَ دوام الصداقة في بيت تتردَّد اليهِ فاحذر معاشرة النساء لانها قد اهلكت الالوف لاجل لذة عابرة كالحلم وهي شرّ قد يأتي بالموت والناس يجانبون الفاجر الزاني

لا تضمر شرًّا لاحد واحذر الطمع ولا تشتهِ ما لقريبك

عُلْ عيالك واكفهم واحبب زوجتك واسررها ما دمت في الحياة · لا تكن شرساً لها لان الليونة تعمل فيها اكثر من القساوة واعطها ما هي تريد · اشبع خدَّامك مما عندك لانهُ لاسلام في البيت الذي يسكنهُ خدمة بائسون

لا تنقل كلام النمّ ولا تصغِ اليهِ واذا نقل اليك فلا تسمعهُ بل احنِ وجهك الى الارض لكي يُزجر المتكلم

الصمت خير من كثرة الكلام · ومن الحمق ان تتكلم في كل شيءٍ لئلاَّ يحجك خصمك

اذا كنت وجيهاً فاطلب الكرامة لا من منزلتك بل من العلم واللطف . لا يرتفع قلبك لئلاَّ تتضع . تحكَّم ولكن لا تقاطع المتكلم · اضبط نفسك ولا تجب بالغضب . ولا تشغل المشغول لئلاَّ يكرهك ولا تثقل على الحزين . سالم عدوَّك فيحبك · من يقضي كل نهارهِ في الحساب لا يكون سعيدًا ومن يقضيهِ بالملاهي لا يكفي عيالهُ والحكيم من يعدل فيهما . اذا ذهبت رسولاً للمصالحة فلا تحامل لفريق منهما واذا طلب منك الحكم فاستقم

اذا احسنت الى احد ولم يشكرك فجانبهُ ولا تذكّرهُ بما قد كان

اذا صرت عظيماً بعد ان كنت حقيرًا وصرت غنياً بعد ان كنت فقيرًا وحزت العلم

بالامور المفيدة وارتقيت في مراتب الشرف فلا تفتخر بل اذكر انك انما صرت وكيلاً على ما خوَّلك الله وانك لست آخر من نالوا ما نلت

اذا شئت ان تعرف خُلق احد فلا تسل قرينهُ بل جرّبهُ

كن طلق الوجه ما دمت حيًّا فان ما يدخل الخزانة يخرج منها

من يسبب الخصام يجلب سوء النفسو فلا ترافقهُ لان ما يُذكر بهِ المرء بعد موتهِ انما هو اعمال الحسنات والمعروف · الخصام بدل المودة من الحماقة

انما يأمر الله بالطاعة ويكره المعصية والنفس هي الامّارة بالبرّ والسوء . من يُطع يُطَع . واما الاحمق العاصي فعندهُ العلم كالجهل والنافع كالمضرّ فهو ضالٌ مذموم مجتنب كثير البلايا

بيروت يوحنا ورتبات

خواص الهواء الساخن

وظواهرهُ الطبيعيَّة والفسيولوجيَّة

استخدم رجال العلم والعامة الحرارة من عهد بعيد في علاج المرضى لتسكين الآلام الموضعية . وقد تفننوا في طرق استعمالها فمن ذلك وضع الخرق المسخنة او الاحجار او اواني الفخار او النخالة المسخنة او الثلج على الاعضاء المريضة ومن ذلك ايضاً الاستحمام بالماء الحار وبماء الحمامات والينابيع وبالبخار . ثم اخترعت اشياء متعددة لاستخدام الحرارة بطرق ادق وانفع مما ذكر كالكيس الجلد وهو مصنوع بكيفيَّة تجعل الماء الحار يسيل فيهِ بالاستمرار بواسطة انابيب من اللاستيك · غير انهُ لم يكد ينتشر هذا الاختراع حتى اهتدى اخيرًا الى طريقة استعمال الهواء المسخن بآلات مخصوصة كالفرن مما سيأتي الكلام على وصفهِ فيما بعد · وبفضل هذه الطريقة امكن الوصول الى سهولة معالجة الالتهابات والاورام التي تحدث في العضل او الاعصاب او المفاصل او عظام اليدين والاذرع والساقين والقدمين او العظام الصدرية حيث يمكن تعريضها لتأثير الهواء الساخن الذي تبلغ حرارتهُ في تلك الآلات الى ٤٥٠ درجة بترمومتر فارنهيت

وانها في الحقيقة لموهبة جليلة وكنز ثمين للعالم والانسانية وعلى الاخص للالايين من المصابين بامثال هذه العلل الذين يقاسون اشد الآلام والمتاعب لعدم وجود الدواء والوسائل الكافلة لشفائهم · ومن ثم نهض الاطباء لدراسة الحرارة وخواصها للوقوف على ظواهرها

وتأثيراتها الطبيعيةُ في الجسم الانساني وخصوصاً بطريقة الهواء المسخن . ولعلنا ان درجة غليان الماء هي ٢١٢ ف تحققنا ان استعمال الحرارة بأكثر من ضعف هذا المقدار وطريقة تحملها لما يوجب زيادة البحث والتدقيق للحصول على المعلومات الكافية لهذا الغرض

وقبل ان نبين الاحوال التي تقتضي العلاج بهذه الطريقة ينبغي اولاً ان نذكر خواص هذه الحرارة الفائقة فنقول

اي جزء من الجسم يعرض لتأثير الهواء الحار بضع دقائق يحدث فيهِ انتفاخ وقتي فيكبر حجمهُ الطبيعي وتتسع فيهِ الاوعية الدموية فيشعر صاحبهُ بتخدير لطيف واذا كانت فيهِ آلام فانها تنقص كثيراً و يشعر في الحال براحة تامة

واذا كانت هناك التحامات او عدم حركة في المفاصل ناشئة عن رسوب املاح مختلفة من الدم فانها تذوب و يسهل امتصاصها ثانية وخروجها من الجسم فتتخلص منها تلك المفاصل وتعود الى حركتها الطبيعيةُ

اما الاورام والالتهابات فانها تنقص وتبتدئ بالزوال

وللحرارة الشديدة ايضاً تأثير مهم في الميكروبات وقد تحقق ذلك بالتجارب العديدة

ومن خواص الحرارة اظهار العرق وفائدتهُ اشهر من ان تذكر حيث انهُ مفيد في معظم الآلام والامراض الناشئة عن التعرض للتقلبات الجوية والرطوبة والبرودة كالزكام والترشح والنزلات الصدرية وغير ذلك

فيتبين مما تقدم كلهِ ان الهواء المسخن هو اعظم دواء في مثل هذه الاحوال و يشفي أكثر هذه النزلات بمجرد استعمالهِ وفي غالب الاحيان لا يحتاج المريض الى تكرار العلاج بهِ أكثر من مرتين وهذا امر ثبت بالتجارب فاصبح بديهياً لا يحتاج الى برهان

وقد يمكن من هذه الملاحظات القليلة ان تعرف الامراض الكثيرة التي تحتاج الى استعمال طريقة تسخين الهواء الجاف وانواعها ولكن حرصاً على اتمام الفائدة تأتي على ذكرها فنقول ان اول هذه الامراض واولاها بالذكر الروماتزم وهو على انواع

(النوع الاول) الروماتزم المفصلي الحديث . ومهما تنوعت اسبابهُ التي لم تعلم حقيقتها الى الآن فسواء كانت مكروبات او برداً او تأثيرات جوية اواختلالاً في الدم او البنية الطبيعية فانها لا يختلف في قبولها تاثير العلاج بالهواء الساخن

والظواهر الطبيعية التي تحدث عن هذا المرض هي الحمى اي ازدياد في درجة حرارة المصاب والالتهاب في احد او اكثر المفاصل والتورم في الموضع المصاب فينشأ عنهُ ألم شديد

ثم زيادة تأثر المفصل المريض باللمس وحدوث الآلام الشديدة فيهِ عند الحركة . اما التغييرات الطبيعية فهي التهاب الاغشية التي تستر المفصل مع افراز سائل رقيق مائل الى الصفرة ومن البديهي ان العلاجات الوضعية في هذه الاحوال لا تثمر ولا قيمة لها . فبالتأمل الدقيق للخواص السالفة الذكر عن الهواء الساخن نرى ان علاج العضو المصاب ولو ساعة من الزمان بحرارة تبلغ ٣٥٠ درجة على الاقل يكون كافياً لتحسين الحالة تحسيناً ظاهراً محسوساً وذلك مع العمل بوجوب اتباع الارشادات الطبية الخاصة بتلك الاحوال اعني الادوية الداخلية والغذاء اللازم طبقاً لامر الطبيب لمنع انتشار المرض واستفحالهِ وانتقالهِ من عضو الى آخر

(النوع الثاني) الروماتيزم العضلي . وهو لا يختلف عن سابقهِ الاَّ في موضع الاصابة لانهُ يكون في العضل الاختيارية والجلدية . والاسباب والصفات الناشئة عن هذا المرض هي : اولاً . ان الآلام تزيد بالضغط على العضلة او العضلات المصابة وعند الابتداء في الحركة وتقل كما ازدادت الحركة كذلك وتزول تقريباً عند الاستراحة وهذا يختلف باختلاف العضلات ومركز الالم . ثانياً . الالم القطني Lumbago وهو الم يحصل في الظهر عند ما تكون الاصابة في عضلات الفخذ من الاعلى واسفل الظهر . ثالثاً . Bleurodynia او الوخز في الجنب وهذا يحصل متى كانت الاصابة في العضلات الصدرية

(النوع الثالث) الروماتزم المفصلي المزمن وينشأ إما من تكرر الاصابة بالروماتزم غير المزمن او من تقادم العهد على الاصابة الحديثة بهِ فتحول الى مزمن اما ظواهرهُ وعلاماتهُ الطبيعية فهي اخف مما في الروماتزم الحديث او تكاد ان تكون بعينها

(النوع الرابع) النقرس الحديث ويسمى مرض المفاصل وعوارضهُ وعلاماتهُ المميزة هي نفس التي تظهر في الروماتيزم غير انها تختلف عنهُ بان المفاصل الصغيرة هي التي تصاب بهذا المرض ويتولد رواسب من حامض اليوريك في المفاصل المصابة . وقد دلت التجارب الكثيرة على ان معالجة هذه المفاصل نفسها بتعريضها لحرارة الهواء الساخن مرة واحدة في اليوم تحدث تحسناً محسوساً في مدة من ثلاثة ايام الى اسبوع ويتم شفاؤها في مدة خمسة عشر يوماً

(النوع الخامس) النقرس المزمن . وهو يحدث من تكرر الاصابة بالنقرس غير المزمن وعدم الاعتناء بمعالجتهِ وهذا النوع يمتاز بوجود رواسب من يورات الصودا في مفاصل اليدين او القدمين لا سيا في الاصبع الاكبر من القدمين حيث يبتدئ ظهور المرض غالباً فيغير شكلها ويحدث فيها اعوجاجاً وورماً . وهذا قد كان يعد من الامراض المزمنة التي لا تشفى

ولكن بفضل استعمال الهواء الساخن دفعتين في اليوم تكون النتيجة حميدة ومرضية

(النوع السادس) ألـ Sciatica اي التهاب عصب الاطراف السفلى وهو قسمان اصلي وهو التهاب العصب المحرك لعظام الاطراف السفلى وتابعي اي ناشئ عن مرض آخر مثل ورم او خراج في الحوض او التهاب او مرض في المفصل الاعلى للفخذ وفي هذه الحالة الثانية تلزم معرفة السبب واستئصاله دفعة واحدة حتى ينجح العلاج اما القسم الاول فيرجع الامر فيهِ الى علاجنا الذي نحن بصدده وهو العلاج الوحيد الذي ترجى منهُ الراحة التامة اما الحقن والمراهم والدلك والكهرباء قد لا تأتي بفائدة تذكر وان احدثت نوعاً من التحسين فانما يكون بسيطاً جدًّا

(النوع السابع) الروماتزم السيلاني . وهذا ليس من انواع الروماتزم البتة وانما هو نوع من الالتهابات يعتري احد المفاصل الكبيرة او جملة منها اثر اصابة بالسيلان وينشأ عن انتقال العدوى بمكروب السيلان وعوارضهُ هي تماماً كالتي تظهر في الروماتزم المفصلي ولكن الامر خطير في هذه الحالة وتجب ملافاتهُ في وقتهِ والاعتناء بعمل العلاج الملائم لهُ لئلا يحصل ضعف في المفصل او قصور في حركتهِ او فقدان الحركة منهُ بالمرة وتيبسهِ والمبادرة في هذه الحالة باستعمال الحرارة وهي لا تقتصر على تحسين العوارض وتخفيفها بل تمنع حدوث الاضرار المار ذكرها على ان السبب هنا هو الميكروبات كما تقدم وان درجة ٤٠٠ من الحرارة كافية لاعدام تلك الحيوانات القتالة وتخليص المفصل منها وتطهير الجسم دفعة واحدة

(النوع الثامن) وجع المفاصل . المسمى Arthritis ويقصد بهِ الالتهابات المفصلية مهما كان سببها فيدخل تحت هذا الاسم الروماتزم المفصلي والناشئ عن السيلان وهنا ينبغي ايضاً ان ننبه القارئ الى ان السقوط على احد المفاصل او الضغط الرضي الذي يحدث لهُ من مصادمة جسم صلب او اجهاد الجسم بكثرة المشي او غيرهِ او حمل الاثقال كل ذلك يحدث هذا المرض ويكون تام المشابهة للروماتزم كما ان السل قد يكون من المسببات لهذا المبدإ

وعلى العموم فالاغشية المحيطة بالمفصل هي التي يحدث فيها الالتهاب اولاً فيسمى المرض (بالتهاب الاغشية الرضي) وهو النوع التاسع او (بالتهاب الاغشية السلي) وهو النوع العاشر وذلك على حسب نوع الاصابة وهنا تتضح لنا اهمية استعمال الحرارة لعلاج الرضوض بانواعها كافة

(النوع الحادي عشر) التصاق المفصل . Ankylosis ويقصد بهِ التيبس الذي يحصل في المفصل ويكون ناشئاً عن رسوب احماض او املاح تتجمد فيهِ فتعوقهُ عن عمله

وذلك يتسبب من اي نوع من الانواع السابقة ولا علاج في هذه الحالة اعظم من استعمال الحرارة الزائدة الاّ اذا كان التلف الذي حدث قد ترك وشأنهُ بغير اعتناء وصار عظيماً لا يمكن اصلاحهُ كان تنمي عظام المفصل كلها معاً وتدير قطعة واحدة ففي هذه الحالة لا يجدي علاجنا نفعاً ويحتاج الامر الى اجراء عملية جراحية

واما القوة الغريبة والتأثير المحسوس مع التخدير اللطيف الناشئة عن استعمال الحرارة الجافة بواسطة الهواء المسخن فقد استخدم بنجاح غريب في امراض ضمور المفصل Atrophy وكذلك في امراض الانثيين المصحوبة بآلام شديدة . وقد نال بعض الاطباء بواسطة هذا العلاج تحسناً محسوساً في العوارض التي تصحب السيلانات في اغلب الاحيان وعلى العموم في جميع الامراض التي تحدث تغيرًا في الدم والحركة الدموية لاسيما الامراض الزهرية

ويمكننا الآن تلخيص فوائد الحرارة وخواصها كالآتي

الخواص الفسيولوجية للحرارة هي : اولاً تناقص الألم اذا كان موجوداً والشعور بالارتياح الزائد . ثانياً : انتفاخ وفتي في العضو المعالج وكبر حجمهِ الطبيعي واتساع الاوعية الدموية فيهِ حتى يسهل جريان الدم وينشأ عنهُ الراحة والتخدير المحلي . ثالثاً : امتصاص ما يتكون من السوائل في المفصل او في القسم المعرض للحرارة وتلاشي الالتحامات. رابعاً : ذوبان الرواسب في حالة التصاق المفصل Ankylosis وسهولة امتصاصها او افرازها مع العرق فيخلص منها الجسم وتعود الحركة الى أصلها. خامساً : تناقص الأورام والالتهابات فتبتدئ بالزوال وترجع الى حالتها الطبيعية الصحية . سادساً : قتل كثير من الميكروبات بمجرد تسليط مثل هذه الحرارة المرتفعة عليها.

أما الخواص الطبيعية للحرارة فهي : احداث العرق الموضعي واذابة الرواسب المحلية والتخدير الموضعي (قتل الميكروبات) .

ولما كان نجاح العلاج يتوقف على اتقان ودقة الآلات اللازمة لهُ كان من الواجب علينا أن نأتي على وصف آلة تسخين الهواء وكيفية استعمالها كما سبق الوعد :

وصف آلة تسخين الهواء وكيفيَّة استعمالها

بعد التجارب الكثيرة والتحسينات العديدة وصلوا الى عمل هذه الآلة الدقيقة وهي مركبة المحتويات لغرض توليد الحرارة بواسطة تسخين الهواء وجعله جافاً خالياً من الرطوبة وتسليطهِ على الجسم او العضو المراد معالجتهُ ولهذه الآلة اربعة قواعد ليكون المجموع ثابتاً

وهي لا تستعمل الا في العيادات الطبية والمستشفيات وهي مصنوعة من مخلوط من الصلب والنحاس المؤكسد او الحديد المجلون Galvanized.

أما التجويف الاسطواني فهو بيضاوي الشكل ومسطح من القاع لتسهل اقامتهُ على القاعدة وهو مطلي من الداخل وبين طبقات المخلوط المصنوع منهُ مادة واقية من الالتهاب حتى لا تؤثر فيهِ درجة الحرارة العظيمة. . توجد في التجويف من الاعلى جملة فتحات احداها موضوع بها ترمومتر لقياس الحرارة والاخرى جعلت لخروج الهواء المشبع بالرطوبة مع الابخرة التي قد يجوز ان تتراكم اثناء عملية التسخين ولهذه الفتحات اغطية محكمة تقفل بها عند اللزوم وفي قاع التجويف جهاز مخصوص لنقل الحرارة وجعل الهواء الذي في التجويف في حركة دائمة لتكون حرارتهُ واحدة وتتزايد بالتدريج مادام اللهب مسلطاً على التجويف. والحرارة تتولد اما من زيت البترول او البنزين او الكؤول او الكهرباء او غيرها بواسطة مصابيح مخصوصة مسلطة على الجزء السفلي من التجويف

اما الجسم المراد معالجتهُ (فيوضع) على خوان (طاولة) مخصوص ليدخل في التجويف بواسطة انزلاقهِ على عجلات لهذا الغرض ويكون بعيداً عن سطح التجويف من الداخل. وللتجويف فتحتان خلفية ولها غطاء محكم ويغلق عند اجراء عملية التسخين وامامية ليدخل منها الجسم وعليها غطاء ثقيل من القماش المصنوع من الكاوتشوك مسدل على الجزء المراد تعويضهُ لتأثير الحرارة فقط

والعلاج بهذه الآلة سهل ويمكن حملهُ بغير تعب لانهُ من المقرر ان الجسم الانساني يحتمل الحرارة الشديدة وبدرجة مرتفعة متى كان الهواء جافاً خالياً من الرطوبة والمريض في اثناء العلاج يتمتع بحرية استنشاق الهواء الطبيعي اثناء تعرض سائر الجسم لتأثير الحرارة المطلوبة وذلك مما يجعل العلاج مقبولاً ومفضلاً على استعمال الحمام (الحوض) والحمام التركي او الرومي والحمامات البخارية الخ. وكذلك حمامات الينابيع الحارة

وعلى العموم فهذه الطريقة هي الوحيدة لملاقاة امراض الروماتزم كافة وامراض المفاصل والكلى لا سيما الزلال وكذلك الامراض الزهرية وجميع الامراض التي تلزم فيها المعرقات ولا توجد طريقة سواها لشفاء هذه الامراض

الدكتور مصطفى مورو
بشارع محمد علي نمرة ١٣٢ بمصر



النيترات في الزراعة

لقد كثر استعمال النيترات في الزراعة هذا العام في اوربا واميركا فزاد عما كان في العام الماضي اكثر من مليون ونصف من القناطير حتى آخر شهر يوليو مع أن المصنوع منها لم يزد عما كان في العام الماضي سوى ٧٣٩ الف قنطار

الكهربائية في الزراعة

ذكرنا في جزء سابق فائدة الكهربائية في انماء المزروعات وانضاج ثمرها . وقد أخذ احد المهندسين يجرب فعل الكهربائية في بساتين الجمعية النباتية الملكية ببلاد الانكليز وعنده أن النبات يحتاج الى الامور التالية ليزكو وينع وهي

(١) مقدار كبير من الاشعة البنفسجية والكيماوية تنعكس اليهِ من قنديل كهربائي كبير من ذوات النور القوي

(٢) مقدار كبير من الكهربائية يصل الى جذورهِ والى الهواء الذي يحيط بهِ

(٣) هواء فيهِ مقدار كافٍ من الرطوبة وغاز الحامض الكربونيك على نسبة ما يكونان في البلدان الخصيبة وتكون حرارتهُ بين ٧٠ درجة و٨٠ درجة بميزان فارنهيت

(٤) سماد من الاسمدة الجيدة التي تزيد خصب الارض

(٥) مقدار كافٍ من الماء لري الجذور

وعندهُ آلة بخارية ودينامو كهربائية لتوليد الحرارة والكهربائية والنور مما يلزم لخصب النبات وعندهُ أيضاً اسمدة فيها الميكروبات التي تساعد النبات على امتصاص النيتروجين من الارض ويزيد فعلها بالكهربائية التي يريد اجراءها في الارض. وارباب الزراعة يتشوفون الآن الى معرفة ما ينتج من هذه التجارب

الزراعة في مصر وفي انكلترا

نكتب هذه السطور في بلاد وايلس من بلاد الانكليز وامامنا كوة تطلُّ على مروج

فسيحة وراءها جبال عالية والمروج بعضها مزروع خساً وبطاطساً وحنطة والبعض الآخر وهو الأكثر متروك مراعي للمواشي ينبت فيهِ نبات من فصيلة القمح ترعى المواشي بعضهُ والباقي يحصد ويكدَّس اكداساً عالية ليكون علفاً لها في الشتاء . والجبال خضراء كلها تكسوها المراعي والحراج ولا تظهر الصخور فيها الاَّ نادراً ولكن اشجارها غير مثمرة . وقد افرك القمح وهو طويل السنابل ولا هلب في سنابلهِ ونموُّهُ جيد منتظم ولا يغلُّ الفدان منهُ أقل من ستة ارادب الى سبعة . والارض كلها خصبة على هذه الصورة كما يظهر من زرعها وكلاءها ومع ذلك تجد في البلاد الانكليزية اكثر من اثني عشر مليون من فدان متروكة بوراً وهي لو زرعت لاغنت عشرة ملايين نفس عن العمل في المعامل او عن التضوُّر جوعاً في فصل الشتاء . فترك هذا المقدار الكبير من الارض بوراً او تركهُ مراعي للغنم والبقر والاكتفاء بالاشجار التي لا تثمر ثمراً يؤكل كل ذلك مما لم نكن ننتظرهُ في بلاد بلغت مبلغ بلاد الانكليز من العمران . ولكن اذا ظهر السبب بطل العجب فالسبب الاكبر لهذا الاهمال كون اكثر الاراضي لامراء البلاد فتجد الواحد منهم يمتلك عشرة آلاف فدان او عشرين الف فدان او اكثر الى مئة الف فدان فيتعذَّر عليهِ أن يهتمَّ بزراعتهِ هو ووكلاؤُهُ وكثيراً ما يحمي جانباً كبيراً منها للصيد والقنص . ولولا الكسب الكبير الذي يكسبهُ الانكليز من متاجرهم ومستعمراتهم لضربت الفاقة اطنابها في بلادهم ولا بدَّ من ان يروا يوماً ما فضل الاسلوب الجاري في القطر المصري وهو تقسيم الاراضي الزراعية اقساماً صغيرة وبيعها للفلاحين فان الفلاح الذي يمتلك فدان ارض يستغلُّ منهُ عشرة اضعاف ما يستغلهُ المالك اكبر من فدان الارض

وقفنا مع فلاح في الجهات الجنوبية من انكلترا وامامنا حقل مزروع قمحاً وآخر مزروع هرطماناً وآخر كرنباً وسألناهُ عن ثمن الفدان الواحد من تلك الارض فقال ان الثمن لا يزيد على عشرة جنيهات فاستغربنا ذلك وقلنا لهُ ان ارضاً مثل هذه يساوي فدانها في القطر المصري مئة جنيه على الاقل فكان استغرابهُ اشد من استغرابنا لكن وجدنا بعد الحساب ان الربح من الزراعة عندهم قليل جداً لكثرة ما تقتضيهِ من النفقات ولأنَّ الفلاح لا يزرع الارض الواحدة الأمرة كل سنتين او ثلاث سنوات ويتركها فيما بقي مراعي للمواشي والتفتنا الى بعيد فرأينا حقلاً مزروعاً نباتاً زرعهُ اصفر فيرى من بعد كوسادة صفراء فسألناهُ عنهُ فقال هذا خردل ولكننا لا نزرعهُ لأجل بزره بل لكي ترعاهُ الغنم . فهل يخطر على بال احد في القطر المصري ان يحول مراعي الغنم اطياناً يغل الفدان منها ثمانية ارادب من الحنطة

ولا يزرعها زراعةً أخرى على مدار السنة . لا جرم ان نظام توزيع الاطيان في القطر المصري أصلح جدًّا من نظام توزيعها في البلاد الانكليزية وادعى لاستثمارها

غلاء القطن المصري

يستغرب البعض غلاء القطن المصري بالنسبة الى القطن الاميركي فانهُ اذا كان ثمن القنطار من القطن الاميركي ١٣ ريالاً فثمن القنطار من القطن المصري اكثر من ٢٠ ريالاً لكن الذين يشاهدون المنسوجات من القطن المصري ويعلمون غلاءها لا يستغربون ذلك بل يعودون مقتنعين ان القطن المصري سيزيدُ غلاء لانهُ اذا بيع اليرد من القطن الاميركي المنسوج بقرش الى غرشين فاليرد من القطن المصري المنسوج يباع بثلاثة غروش الى ستة ووزن القطن في اليرد الثاني اقل من وزنهِ في اليرد الاول . واذا عرف الناس مزية المنسوجات من القطن المصري على سواها فزادت مقطوعيتهُ على نسبة جودتهِ ومتانتهِ فلا يبعد ان يتضاعف ثمنهُ ايضًا لكن جمهور الناس الذين يلبسون المنسوجات القطنية لا يزالون يطلبون الرخيص منها وهذا مما يقلل مقطوعية القطن المصري بالنسبة الى مقطوعية القطن الاميركي والهندي

الواردات الزراعية

لا تنظر الى دكان بدال في البلاد الانكليزية في مدنها الكبيرة والصغيرة حتى ضياعها الاَّ وتراهُ مملوءًا باثمار البلاد الحارَّة وفاكهتها كالموز والبرتقال والليمون الحامض والعنب والطماطم والمشمش والباذنجان بعضها يزرع في البلاد الانكليزية نفسها في بيوت من الزجاج كالعنب والطماطم وبعضها يؤْتى بهِ من اسبانيا او مصر او سورية او جزائر البحر كالموز والبرتقال والليمون الحامض . وقد تفنن الانكليز في تأصيل ما يزرعونهُ من الفاكهة في بيوت الزجاج حتى بلغ من الجودة مبلغًا لا مثيل لهُ في بلادهِ الاصلية كالعنب فان بعضهُ اطيب طعمًا من العنب الزيني ولكن ثمنهُ فاحش ثمن الليبرة الواحدة من شلن الى شلنين فاكثر اي ان ثمن الاقة الواحدة يبلغ اكثر من عشرين غرشًا مصريًا وليس كذلك الاثمار التي يؤْتى بها من الخارج فانها ارخص مما يستغل من البلاد نفسها مع ما يضاف اليها من اجرة النقل وما يتلف منها في الطريق . وغير الاثمار والفاكهة وغيرها من مواد الزراعة كالبيض والجبن والزبدة يؤْتى بكثير منها من الخارج فيدفع الانكليز ثمن البيض الذي يرد الى بلادهم في السنة الواحدة اكثر من سبعة ملايين من الجنيهات وقس على ذلك الزبدة والجبن . وقد قام رجالهم الآن ينادون بوجوب

تنشيط الزراعة في بلادهم بانشاء الشركات الزراعية حتى تستغني عن حاصلات البلدان الاخرى وقد يبلغون بعض غايتهم اذا قسموا اراضيهم الزراعية وباعوها للفلاحين بثمن بخس . ولكنهم لن يبلغوها كلها ما دامت المعيشة غالية في بلادهم فان بيض انكلترا مثلاً ليس اجود من البيض الوارد اليها من الخارج ولا هو ارخص منهُ وقس على ذلك سائر المواد الزراعية لان المعيشة في كل البلدان ارخص منها في البلاد الانكليزية . وغلاء المعيشة هذا ناتج عن المكاسب الكثيرة التي يكسبها الانكليز من معاملهم ومتاجرهم ومستعمراتهم فلا ترخص المعيشة في بلادهم الآ اذا قل كسبهم وهم يطلبون زيادة الكسب فلا سبيل اذاً لاستغنائهم عمّا يجلبونهُ الآن من الخارج . ونحن في مصر وسورية لا يهمنا من هذا البحث كله الا ان نعلم ان ما نرسلهُ الآن الى البلاد الانكليزية من البصل والبيض والبرتقال وما اشبه سيبقى سوقهُ رائجة فيها وستزيد رواجاً اذا اعتنينا باصداره اليها حتى يصلها سالماً . فالبرتقال الذي يصل اليها من اسبانيا ومن كليفورنيا في غربي اميركا يصل كلهُ سليماً لا تجد في الصندوق برتقالة واحدة غير سليمة . والعنب الذي ياتيها من اسبانيا يصل كلهُ سليماً ايضاً كانهُ قطف امس وقس على ذلك الموز الذي ياتيها من جمايكا وغيرها من جزائر البحر المحيط . ولو أُنشئت في البلاد المصرية والسورية شركة زراعية تجارية تدرس حال الاسواق الانكليزية وما يروج فيها وكيفية نقله اليها حتى يصلها سليماً وكيفية وضعهِ في الصناديق والعلب حتى تزيد الرغبة فيهِ لاستفادت من ذلك فائدة كبيرة وافادت بلادها ايضاً

موسم القطن الاميركي

مقدارهُ وثمنهُ

بلغ مقدار موسم القطن الاميركي في الستة الاعوام الماضية ما تراهُ في هذا الجدول مع ثمنهِ

سنة	بالات	جنيهات
١٩٠١	١٠٣٨٣٤٢٢	٠٩٨٩١٣٥٠٩
١٩٠٢	١٠٦٨٠٦٨٠	٠٨٧٦٠٦٩٣٤
١٩٠٣	١٠٧٢٧٥٥٩	٠٩٦١٥٤٠٥٦
١٩٠٤	١٠٠١١٣٧٤	١٢٣٥٠٠٣١٩
١٩٠٥	١٣٥٦٥٨٨٥	١٢٥٦٣٩٠٧٢
١٩٠٦	١١٣٤٥٩٨٨	١٢٨٣٤٤٠٨٧

ولا بدَّ من ان يكون اهالي اميركا قد عرفوا بالاختبار ان توسيع زراعة القطن لا يفيدهم بل قد يضرهم لان موسم سنة ١٩٠٥ على كبره كان ثمنهُ اقل من ثمن موسم سنة ١٩٠٦ ويكاد يماثل ثمن موسم سنة ١٩٠٤ مع ان هذا كان اقل من موسم سنة ١٩٠٥ بنحو الثلث

ولم يكن اهالي اميركا يعتنون ببزرة القطن اما الآن فلها شأن كبير عندهم يستخرجون الزيت منها ويبيعون الكسب علفاً للمواشي ويصدرون منهُ مقداراً كبيراً الى بلاد الدنمارك حيث يستعمل علفاً لمواشيها

حراج روسيا

تبلغ مساحة الحراج في روسيا مساحة غربي اوربا كلها اي بلاد النمسا والمجر والمانيا وسويسرا وبلجيكا وايطاليا وفرنسا واسبانيا

نظافة الفلاح الاوربي

لا نعني بالفلاح هنا صاحب الاباعد الواسعة كما كان المرحوم نوبار باشا يسمي نفسهُ فلاحاً بل الفلاح الصغير الذي يملك فدانًا او فدانين او مستأجر بضعة افدنة ويعمل بيديهِ هو وزوجتهُ واولادهُ. هذا الفلاح تلتقي بهِ كيفما جلت في القطر المصري وتراهُ في الغالب على جانب من الذكاء عارفاً بطرق الزراعة وخدمة الارض دئباً في عملهِ يستاجر منك الفدان الذي لا يغلُّ لك ما يساوي خمسة جنيهات فيغلُّ لهُ عشرة جنيهات او عشرين جنيهاً لاجتهادهِ ومواظبتهِ على العمل ولكنك تجد فيهِ خلة تكاد تعمُّ كل الفلاحين الذين مثلهُ وهي قذارة ثيابهِ والرائحة الكريهة التي تفوح من وسخ بدنهِ فهو على ضد الفلاح الاوربي من هذا القبيل .

التقينا مرةً برجل يمشي بين حقول الحنطة في البلاد الانكليزية وهو حسن البزة كأنهُ من التجار او مستخدمي الحكومة وكان اليوم يوم أحدٍ فسألناهُ عن الطريق المؤدي الى مكان نقصدهُ فقال انا لست من هذا المكان وبلادي بعيدة جدًّا الى الشمال وانا فلاح حقير قضيت عمري كلهُ في الفلاحة وبعد شهر يصير عمري ثمانين سنة . وانا على ما ترون من الصحة فاخذنا نسألهُ عن بلادهِ ومزروعاتها وهو يشرح لنا ذلك بالتفصيل ومشينا معهُ ساعةً من الزمان ونحن لا نصدّق اننا نمشي مع فلاح يعمل بيديهِ مع ان لغتهُ كانت مكسرة مثل لغة الفلاحين لا تكاد تفهم وهو يكرر لنا القول انكم تروني بهذه الصحة وهذه العافية مع اني ابن ثمانين سنة لاني عشت عيشة خلوية ولا احسن من العيشة الخلوية في الارياف لحفظ الصحة وتقوية البدن

واتفق ان بعض لاعبي الاكر ضربوا كرة فوقعت في خندق عميق امامنا واستصعبوا النزول اليها لالتقاطها فوثب اليها هذا الشيخ والتقطها وصعد بها اليهم فاعطوهُ جعلاً صغيرًا فقبلهُ شاكرًا كل ذلك وثيابهُ على بساطتها نظيفة مهندمة حتى لا تأنف ولا تخجل من ان تركب معهُ في مركبة واحدة او تجلسهُ على مائدتك

الرئيسان الفلاحان

المسيو فاليير رئيس الجمهورية الفرنسوية فلاح ويهتم اهتمامًا كبيرًا باصلاح زراعة الكرم والمستر روزفلت رئيس الولايات المتحدة فلاح ايضًا وقد زارهُ وفد من النواب بالامس لغرض اداري كبير فوجدوهُ يعمل بتكويم قش العلف . والرئيسان يشتغلان بالزراعة في اوقات الرياضة والراحة

عسل المانيا

المانيا اكثر البلدان عسلاً فتجني منهُ كل سنة عشرين الف طن

حدائق البيوت

لا يمرُّ المرء في مدينة من مدن اوربا الأ ويأسف على ما حاق بمدينة القاهرة عاصمة الديار المصرية من نزع الحدائق التي كانت في الكثير من بيوتها فان عواصم اوربا حتى مدينة لندن كثيرة الحدائق والبيوت البعيدة عن مراكز التجارة لا يخلو بيت منها من حديقة ولو صغيرة تزرع فيها الازهار والرياحين على اشكالها والوانها فتسرُّ بها النواظر وتقرُّ الخواطر ويجد الانسان في النظر اليها ارتياحاً في نفسهِ ينعشهُ ويشبُّ الاولاد الذين يرونها على حب الطبيعة وجمالها. والناس يعتنون بتأصيل النباتات ذات الازهار الجميلة والروائح العطرية اعتناء عظيمًا فترى الوردة التي لا يبلغ ارتفاعها شبرين مملوءة بالورد الجوري الكبير تعدُّ فيها عشرين وردة مفتحة او اكثر وترى الوان القرنفل لا تحصى وكلهُ كبير الزهر زكي الرائحة تراهُ فتحسبهُ طاقةً واحدة لكثرة زهرهِ وقس على ذلك المنثور المفرد والمكبس وانواع السحالب . والبيت الذي اجرتهُ السنوية لا تزيد على عشرين جنيهاً لهُ حديقة صغيرة امامهُ وحديقة اخرى وراءهُ وربةُ البيت تعتني بالحديقتين وتزين بيتها بازهارها وتزرع في الحديقة التي وراء البيت بقولاً وخضرًا مختلفة تكفي بعض حاجتها



الوتالو WATALU

الوتالو الواح جديدة للتصوير الشمسي ترتسم الصور عليها وتظهر بمجرد صب الماء من غير مركبات كيماوية . أُستنبطت حديثاً وتباع في البلاد الانكليزية بثمن بخس كل اثني عشر لوحاً مما طولهُ سبع بوصات وعرضهُ خمس بوصات باربعة شلنات

معامل الغزل والنسج في منشستر

جاء في الجرائد الاخيرة ان امير افغانستان انشأ معامل للغزل والنسج في كل بلاده . وبلادهُ جبليَّة باردة قد تكون اصلح من القطر المصري لغزل القطن ونسجهِ لان القطر المصري غير صالح لذلك بسبب جفاف هوائهِ ولكن ما يمنع الحكومة العثمانية من مساعدة بعض رعاياها على انشاء معامل الغزل والنسج في جهات سورية وهواؤُها صالح لذلك وفيها قوة مائية كثيرة . وان قيل ان احد اعيان دمشق انشأ معملاً ثم اضطرَّ ان يهملهُ بعد ان اضاع اموالهُ فيهِ قلنا لعلهُ اسرف في نفقاتهِ او جرى على غير الطرق المتبعة لانشاء المعامل وهي ان يتعلم المرء الصناعة التي يريد ان ينشئ معملاً لها او يشترك مع من يعرفها تمام المعرفة حتى يستطيع ادارة معملهِ والاكتساب منهُ . ثم ان هواء الاسكندرية ودمياط ورشيد ونحوها من الاساكل المصرية غير جاف ولا يبعد ان تفلح معامل الغزل والنسج فيها اذا الغت الحكومة المصرية الضريبة التي وضعتها على مصنوعات المعامل المصرية

صناعة منشستر

اذا ذُكرت منشستر فأول ما يخطر بالبال منسوجاتها قطنيَّة كانت او صوفيَّة او كتانيَّة لكن للمنسوجات القطنيَّة الشأن الاكبر فقد بلغ ما صدر منها من غزل القطن في السبعة الاشهر الاولى من هذه السنة نحو ١٣٦ مليون ليبرة ومن المنسوجات القطنية نحو ٣٠٠٠

مليون يرد ومن خيطان الخياطة نحو ١٧ مليون ليبرة · وهذه الصناعة الواسعة منتشرة معاملها في منشستر والبلاد التي حولها وهي حديثة فيها لا تمتدّ في قدمها الى اكثر من زمن اركريت الذي استنبط الانوال الجديدة وكرتريت الذي استخدم قوة البخار لادارتها وذلك في اواخر القرن الثامن عشر · ففي سنة ١٧٦٠ بلغت قيمة المغزولات والمنسوجات القطنية ٢٠٠٠٠٠ جنيه وفي سنة ١٨٦٠ بلغت ٨٥ مليون جنيه · وفي سنة ١٧٦٩ كان وزن القطن الذي ورد الى البلاد الانكليزية اقل من ٤٠ الف قنطار وفي سنة ١٨٦٠ صار اكثر من عشرة ملايين قنطار · وقد بلغ في السبعة الاشهر الاولى من هذه السنة نحو ١٤ مليون قنطار

اما آلات الغزل والنسج فنعلت العجائب في رخص ثمن المغزولات والمنسوجات ففي سنة ١٧٨٦ كان ثمن الليبرة من المغزولات التي فيها ٤٢ شلة لليبرة نحو ٥٤ غرشاً وفي سنة ١٨٦٠ صار ثمن هذه الليبرة نحو اربعة غروش ونصف غرش لاغير · وفي سنة ١٧٨٤ كان ثمن الليبرة التي فيها مئة شلة ١٩٠ غرشاً فصار ثمنها ١٢ غرشاً لاغير سنة ١٨٦٠

الواح جديدة للتصوير الشمسي

استُنبطت الواح زجاجية للتصوير الشمسي وسطها شفاف وهو مربع او مستطيل او مستدير او بيضي حسبما يراد ان يكون شكل الصورة وما حولهُ خشن منقوش او مصنوع كالبرواز فاذا رُسمت الصورة على لوح من هذه الالواح ظهر حولها حينما تطبع على الورق برواز جميل متصل بالصورة او ينفصل بينهُ وبينها منطقة بيضاء · وثمن هذه الالواح غير كثير بالنسبة الى جمال الصور التي تطبع عنها

قنينة لتوليد الهيبو

العادة الجارية ان تذاب بلورات الهيبو في قنينة ماء بالتحريك المستمر لان الهيبو غير سهل الذوبان وقد استنبط بعضهم جهازًا لتذويب الهيبو بمقادير محدودة وهو مصفاة مستديرة توضع فوق الزجاجة التي يراد وضع مذوب الهيبو فيها ويوضع في هذه الزجاجة نحو عشر أواقي من الماء وفي المصفاة اوقيتان من الهيبو وتوضع المصفاة فوق القنينة فيغوص الهيبو الذي فيها في الماء · ويجعل يذوب ويغوص الذوبة في الماء من نفسهِ وفي عشر دقائق يذوب منهُ ما يشبع الماء من غير تحريك · وثمن هذه المصفاة بخس نحو غرشين او ثلاثة

رخص الصناع

من العيوب الكبيرة التي رأيناها في بلاد الانكليز اهمالهم الزراعة واقبالهم على الصناعة ولعلَّ السبب الاكبر لذلك ان كسب الصانع يأتيهِ كل اسبوع واما كسب الفلاَّح فلا يصلهُ الاَّ في الموسم · ولذلك صار كسب الصانع قليلاً جدًّا فالنساء اللواتي يخطن قمصان الصوف لا تزيد اجرتهنَّ على سبعة غروش من خياطة كل اثني عشر قميصاً ومتوسط اجرة الواحدة منهنَّ ٤٤ غرشاً في الاسبوع · واللواتي يخطن أثياب النساء المعروفة بالبلوز لا يزيد متوسط اجرة الواحدة منهنَّ على ٢٥ غرشاً في الاسبوع وهنَّ يشتغلن من الساعة السابعة صباحاً الى الحادية عشرة ليلاً

راحة معامل اليابان

معامل اليابان لا تبطل العمل في الآحاد بل في اليوم الاول واليوم الخامس عشر من كل شهر فتكسب ٢٦ يوماً من كل سنة اذا قوبلت بالمعامل الاوربية

الملح العطري

يصنع الملح العطري الذي يوضع في الحناجر وتشمهُ النساء المترفهات بصب ماء اللاوندا على ملح الامونيا لا غير

الطوب الاحمر (القرميد)

لما زرنا البلاد الانكليزية منذ اربع عشرة سنة لم نجد الاَّ قليلاً من مبانيها مبنيًّا بالطوب الاحمر (القرميد) اما الآن فلا نبالغ اذا قلنا ان كل المباني التي بنيت بعد ذلك بنيت بالطوب الاحمر او الملوَّن بالوان مختلفة من الابيض الى الاصفر فالوردي فالاحمر فالخمري فالبنفسجي فالاسود ولكن الطوب الاحمر اكثرها شيوعاً · وهم يبنون بهِ البيوت والفنادق والكنائس وكل المباني الخصوصية والعمومية · وطوبهم كبير صقيل مستوي السطوح منظم الزوايا صلب كاجود انواع الخزف وهو اما بسيط او منقوش · ويصنعون منهُ اشكالاً تبنى منها القناطر والابراج والاطناف وتنقش بها واجهات البيوت · والظاهر انهم لا يدخلون فيهِ خِلطاً كالطوب المصري بل يصنعونهُ من طين جيد ويشوونهُ جيدًا · وبعضهُ قطع كبيرة طول القطعة منها ثلاثون سنتيمترًا · والطوب الاحمر من امتن مواد البناء وابقاها

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم اهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

تعليم الصغار

قرأ الدكتور ارثر نيوزهلم مقالة مفيدة في هذا الموضوع في مؤتمر المدارس الصحي الذي عقد ببلاد الانكليز في اوائل شهر اغسطس قال فيها ان ارسال الاولاد الى المدارس وعمرهم خمس سنوات او اقل كثير الضرر ولا نفع منهُ من باب التعليم ومنهُ خسارة كبيرة على خزينة الحكومة الانكليزية فانهُ ينفق على تعليم الاولاد الذين سنهم اقل من خمس سنوات ١٧٤٩٧١١ جنيهاً كل سنة تذهب سدًى فضلاً عن الضرر بصحتهم حتى التعليم في مدارس الاطفال المعروفة بجنائن الاطفال لا يفيدهم فائدة تذكر اذا كانوا بين السنة الثالثة والخامسة من العمر . والتعليم في الكتب يضرُّ عيون الاطفال لانها لا تكون قد بلغت اشدَّها من النمو ثم ان هواء المدارس لا يكون نقيًّا نقاوة كافية فيضرُّ اجسامهم ويعرّضون للامراض المعدية فقد ثبت بالاحصاء ان الامراض المعدية تكون اشد انتشارًا بين الصغار من اولاد المدارس مما هي بينهم اذا لم يترددوا على المدارس . واذا كان والدو الاطفال فقراء ولا بدَّ من ان يرسلوا اطفالهم الى المدرسة لكي يتخلصوا منهم ويستطيعوا ان يتفرغوا لعملهم فعلى الحكومة ان تهيء ملاجيء لمثل هؤُلاء الاطفال يقيمون فيها لاعبين الى ان يعود والدوهم الى بيوتهم ويأخذوهم منها ويكون في الملاجيء نساءٌ يعتنين بتربية الاطفال بدل معلمات المدارس

التعب يورث الجبن والكسل

ذكر بعضهم نادرة في الجريدة المسماة "عمل العالم" قال :— كان في مدرسة فتاة نابغة في دروسها وهي الاولى في فرقتها في كل شيءٍ وفي ما يبدو منها من الهمة والنشاط . فلما جاءت فسحة الصيف اضطرت ان تساعد امها لأن الخادمة تركتهم فجعلت تقوم باكرًا الساعة الخامسة صباحاً وتنظف البيت وتغسل الثياب وتكويها ثم تجلس تخيط ثيابها . وقضت الفسحة

كلها على هذه الصورة ثم عادت الى المدرسة وهي على غير ما كانت عليهِ اولاً فتأخرت في دروسها حتى امست الاخيرة في فرقتها وصارت تخاف من الدخول وحدها الى غرفتها ليلاً ولم تكن كذلك قبلاً ولم تعد تهتم بما يوضع لها من العلامات ولا بما تُدرَّس من الدروس . وانتهت السنة المدرسيَّة وجاءت فسحة الصيف فاتفق لها ان قضتها في النزهة واقامت اكثر الوقت في الخلاء تنام في خيمة وتأكل اكلاً جيداً ولا تعمل عملاً غير الرياضة وشم الهواء. ثم عادت الى المدرسة في انتهاء الفسحة فعادت الى المكان الاول في فرقتها والى الرغبة في دروسها ولم تعد تخاف من الدخول الى غرفتها ليلاً ومضت عليها السنة وهي على تمام الصحة والنشاط . والفرق بين السنتين المدرسيتين ان الفتاة دخلت هذه السنة مستريحة جسداً وعقلاً ودخلت السنة التي قبلها وقد انهكها التعب

نقول ولو بحث الكاتب لوجد سبباً آخر على ما نظن وهو ان هذه الفتاة انهكت قواها بقراءة القصص مع اشغال البيت في الفسحة الاولى ولم تنهكها بشيء في الفسحة الثانية فان المواظبة على قراءة القصص تتعب العقل وتنهك الجسم

المعيشة في الخلاء

لقد كان الانسان بدويًّا يعيش في الخلاء الارضُ فراشهُ والسماء غطاؤُهُ قبلما صار حضريًّا يعيش في المدن لا يتنفس الأ هواءها المشحون بالغبار والدخان وقد مرَّ بعضهُ على الف انف قبل انفهِ ودخل الف رئة قبل رئتهِ . ولا يزال يحن الى المعيشة الخلوية ويغتنم الفرص للتمتع بها ويعود منها وقد تطهر جسمهُ من الفضول وكسب قوة عقليَّة وجسديَّة تزيدهُ همة ونشاطاً

ولقد ادرك الانكليز ذلك فتراهم في ايام الشغل والعمل مثل أشد الناس همة واوفرهم اجتهاداً يكبون على اعمالهم وينجزونها بالسرعة ويتقنونها تمام الاتقان واذا جاء وقت الراحة خرجوا الى الساحات والمتنزهات يقضون الوقت بالالعاب الرياضيَّة التي يزداد بها التنفس وتقوى الرئتان وتطهران الدم

جاءتنا ابنة صغيرة منذ شهرين من الزمان وطلبت منا احساناً لاولاد المدارس في انكلترا بناء على طلب جاءها من حديقةٍ لها . ويراد بمال الاحسان هذا تمكين اولاد المدارس الفقراء من قضاء شهر في الخيام. فلم نتصور كيفيَّة ذلك ولكننا نرى الآن في سهل بين جبال ويلس خياماً كثيرة مضروبة والأولاد يلعبون امامها او يصعدون في الجبال

القريبة منها ثم يعودون اليها وقت المنام

هؤلاء هم الفقراء من اولاد المدارس تجمع لهم الاموال في طول البلاد وعرضها ولو بأنصاف الغروش ثم تنفق على تسفيرهم الى اماكن النزهة والانفاق عليهم مدة شهر من الزمان واذا لم تتيسر اقامتهم في الخيام فأهل الفضل في تلك الاماكن يدعونهم الى بيوتهم فيؤوي كل واحد منهم ولدين او ثلاثة فيأكلون في البيوت وينامون ويقضون بقية الوقت في الخلاء يلعبون ويتنزهون وشركات سكك الحديد تنقلهم من مكان الى آخر مجاناً او بأجرة بخسة

وهذا شأن الكثيرين من سكان المدن فانهم يخرجون الى الارياف والاماكن الجبلية مدة شهر او شهرين من اشهر الصيف وفي آخر كل اسبوع فترى الفنادق وبيوت الضيافة مملوءة منهم وهم يقضون اكثر اوقاتهم خارجاً يستنشقون الهواء النقي ويجمعون القوة والعافية ذخراً لايام العمل. هذا على ما في هوائهم من التقلب حتى لا يكاد الصحو يتم يومين كاملين ولو في اشهر الصيف

والظاهر مما كتب به الى جريدة اللانست الطبية من كوبنهاغن ان ايواء الأولاد الفقراء في بيوت اهالي الارياف عادة متبعة في بلاد الدانمرك منذ عهد طويل فكل صاحب بيت من اهالي الأرياف يفرض على نفسه ان يضيف ولداً او ولدين مدة فسحة الصيف من غير مقابل فيختار المعلمون كل التلامذة الذين يحتاجون الى تغيير الهواء ويوزعونهم على الأهالي الذين يضيفونهم والحكومة تسمح لهم بالذهاب في سكك الحديد مجاناً وقد بلغ عدد اولاد المدارس الذين خرجوا من مدينة كوبنهاغن لهذه الغاية هذا الصيف ثمانية عشر الفاً

الرياضة والسمن

يصف الاطباء الرياضة للسمان لكي يقل سمنهم فيروضون اجسامهم بالمشي او نحوه ولكن سمنهم يزيد بدلاً من ان يقل وسبب ذلك ان الرياضة المعتدلة تساعد الجسم على امتصاص الغذاء وتمثيله او جعله من نوع الاعضاء التي يصل اليها وتساعد ايضاً على طرح الفضول من الجسم فهي من مقويات الاجسام ومغذياتها والغالب ان السمين او المائل الى السمن يأكل كثيراً ولا يغتذي جسمه بكل الطعام الذي يأكله فاذا روض رياضة معتدلة زاد اغتذاؤه من الطعام الذي يأكله وزادت قابليته للطعام فيزيد اكلاً ويزيد سمناً. فاذا اراد ان يستفيد من الرياضة في تقليل سمنه فعليه ان يقلل من الطعام ويأكل اقل مما يأكله الانسان عادة والاّ فالرياضة تزيده سمناً. اما الرياضة العنيفة فقد تضر به

حكم يجب تذكُّرها

تعلم اكثر مما يقتضيهِ عملك فان زيادة الخير خير
اعمل اكثر مما تعطى اجرةً فانهُ قلما يؤجر المرء على كل عملهِ
قد تضام لتمسكك بالمبادىء القويمة ولكنك تثاب عليها اخيراً
دع الناس ينتقدوا اعمالك قدر ما يشاؤُون ولكن لا تدعهم ينتقدوا عرضك ابداً

العطش والتعب

اذا عطش الانسان وهو متعب فخير لهُ ان لا يشرب حالاً ويمكنهُ ان يكسر عطشهُ اذا "مخمض" فمهُ بالماء السخن

وصايا بيتية

اذا اردت ان تحفظ اسنانك من النقد والتلف باكراً فاغسلها بالماء والصابون بعد كل اكل ونظفها جيداً مما يلصق بها وتخللها من الطعام

استنشق الهواء النقي وابقِ صدرك مملوءًا بهِ على قدر الامكان

اذا اردت ان تنظف شيئاً مصنوعاً من القش كالحصر والبرانيط فاذب الملح في الماء الفاتر ونظفها بهِ ولا تنظفها بماء لا ملح فيهِ فتصفر

برانيط الجوخ الابيض تنظف بمزج الاروروط او المنازيا بالماء ودهنها بهِ وتركها حتى تجف ثم نزع الطلاء عنها بفرشاة

الهواء النقي ضروري للنائم كما هو ضروري للمستيقظ فيجب تهوية غرف النوم جيداً ويحسن فتح كوة من كواها ليلاً ان لم يكن الهواء شديد البرد

الاستحمام بالماء الفاتر خير من الاستحمام بالماء البارد لاكثر الناس ولاسيما للذين يبردون اذا اغتسلوا بالماء البارد . واذا كان الماء بارداً او فاتراً فيحسن الاغتسال بهِ صباحاً او مساء واما الاستحمام بالماء السخن فلا يجوز الا ليلاً قبل النوم لان الجسم "يتحلحل" بعدهُ . ولا يجوز الاستحمام بعد الطعام الكثير ولا قبل الرياضة العنيفة



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وإنهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان. ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءٌ منهُ كلهِ. ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق. فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ. فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

ضرر المسكرات

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين

قرأت الرسالة المفيدة التي نشرتموها في الجزء الاخير من المقتطف في " السكر والكحول والتغذية " من قلم العلاَّمة المحقق الدكتور امين ابي خاطر فرأيتها منطبقة تمام الانطباق على ما اقرأهُ الآن في الجرائد والمجلات الاوربية بعد قيام العلماء والاطباء على المسكرات في مجمع ترقية العلوم البريطاني. وفي الجرائد الاوربية كثير من الشواهد على ان الناس الذين طلقوا المسكرات بتاتاً اولم يشربوها مطلقاً هم من اقوى الناس جسماً واذكاهم عقلاً. من ذلك ما كتب بهِ بعضهم الى جريدة الديلي مايل الانكليزية قال: قضيت بضع ساعات مع صديقي اللورد تشارلس برسفورد امير الاسطول الانكليزي على ظهر بارجتهِ في الاسبوع الماضي ولم أرَ في حياتي رجلاً اجود صحة منهُ ولا اقدر على احتمال المشاق فسألتهُ كيف وجدتَ الامتناع التام عن شرب المسكرات. فقال " لم اجد شيئاً اصلح منهُ لي ففي الزمن الماضي كنت اذا شربت كاساً في المساء تغمض عيناي حالاً ويستولي عليَّ النعاس. اما الآن فلا امسُّ شيئاً من المسكرات واراني دائماً على تمام الصحو والنشاط. وقد صار عمري ستين سنة وانا انام الآن بعد نصف الليل بنصف ساعة واستيقظ الساعة السادسة صباحاً فيكتفي جسمي بخمس ساعات ونصف من النوم. فالفرق كبير جدًّا جسدًا وعقلاً بين مَن يشرب المسكرات ومن لا يشربها "

وقصَّ عليَّ القاضي رتول القصة التالية قال: — كنتُ يوماً اتعشى عند احد الاطباء

المشهورين . فطلب مني بعد العشاء ان اشاركهُ في شرب زجاجة من الشمبانيا فقلت لهُ انني لا استطيع ذلك لان عليَّ ان اشتغل شغلاً مهمًّا بعد رجوعي الى بيتي " فتأفف وقال ما هو هذا الشغل . فقلت لهُ عليَّ ان ادرس قضيتك واكتب مذكرة فيها . ففتح عينيهِ وقال لماذا لم تقل لي ذلك قبلاً بالله عليك لا تشرب ولا قطرة غير الماء القراح والليموناضة

وقال لي الكولونل برنتون فوت الذي كان رئيس المدرسة الحربية المعروفة بمدرسة ملرانة اقنع ١٤ تلميذًا بالامتناع عن شرب المسكرات مطلقاً فصاروا اقوى من كل رفاقهم جسدًا وعقلاً

ومع ذلك فاني لست من الذين ينادون بالامتناع التام عن شرب المسكرات ولا من الذين يعيرون كلَّ من يشرب قدحاً بانهُ انتهك المحرمات

انتهى ما قالهُ ذلك الكاتب وقرأت لغيرهِ رسائل كثيرة في هذا الموضوع واكثرها منطبق على ما كتبهُ الدكتور ابو خاطر ولكن بعضها يقول ان الشرب المعتدل اي التقليل من المسكرات افاد بعض الناس فاستطاعوا الاستمرار على اشغالهم العقلية او اعمالهم البدنية من ذلك ما كتب بهِ بعضهم عن جدتهِ وهو انها سافرت مرة سفرًا طويلاً شاقاً وهي عجوز حيزبون ولما سئلت كيف استطاعت هذا السفر اجابت ان معها زجاجة من البرندي وكلما اعياها التعب تمص مصةً منها فتتجدد قواها . الأ اني اظن ان للعادة اكبر تأثير في مثل هذه الحال فقد اعتادت اعصابها شرب القليل من المسكر فصارت تطلبهُ وترتخي ان لم تنلهُ كما يحدث لمن يعتاد المورفين

احد القراء

فائدة المسكرات

حضرة منشئي المقتطف المحترمين

تلوت ما كتبهُ جناب الدكتور امين ابي خاطر عن اضرار المسكرات ولست ممن يخالفهُ في ضرر السكر ولكنني ارى شواهد الحال لا تدلُّ على ان الشرب القليل يضرُّ الناس بل هي بالضدّ من ذلك تدلُّ على ان الشرب القليل نافع بنوع عام . وفي مسألة كبيرة مثل هذه لا يكفي النظر الى ما تفعلهُ المسكرات بزيد او بعمرو من الناس بل يجب النظر الى ما تفعله بالامة كلها او بالشعب كلهِ . فاذا نظرنا الى الشعوب التي تتعاطى المسكرات والى الشعوب التي لا تتعاطاها وجدنا الاولى اي الشعوب التي تتعاطى المسكرات اقوى من الشعوب

الثانية وافلح فالانكليز والالمان والفرنسويون يشربون المسكرات بكثرة والهنود والفرس والترك والمصريون لا يشربونها . ولا شبهة في ان الشعوب الاولى ارقى من الشعوب الثانية واقوى . واهالي اسكتلندا من الشعب الانكليزي يشربون المسكرات اكثر من اهالي انكلترا وهم اقدر من اهالي انكلترا جسداً وعقلاً . واليابانيون لم يكونوا يشربون المسكرات ولكنهم لما ارتقوا صاروا يشربونها فكيف يعلل ذلك جناب الدكتور ابي خاطر وغيره من الذين يقولون قوله

مستفيد

مهد الجنس السامي

حضرة صاحبي المقتطف الفاضلين

جاء في مقتطف اغسطس (آب) وفيهِ الخطبة النفيسة التي القاها حضرة العلامة المفضال الاستاذ جبر ضومط ذاهباً فيها الى ان البلاد العربية اي جزيرة العرب هي مهد الجنس السامي . فكل ما قالهُ حضرتهُ عن تاريخ الامم القديمة سكان بابل واشور ومصر وسورية صحيح لا غبار عليهِ تؤيدهُ الآثار التي كشفت في تلك البلدان . اما ماقالهُ عن مهد الامم السامية ففيهِ نظر

فأولاً ان مهاجرة الامم من جزيرة العرب الى العراق العربي او ما بين النهرين مخالف لطُرق المهاجرة التي جرى عليها الناس من اول عهدهم الى الآن وهي السير مع الشمس من الشرق الى الغرب او مع الانهر من الشمال والشمال الشرقي الى الجنوب والجنوب الغربي . ولم يسمع ولا عُلم ان امة هاجرت من الجنوب الى الشمال الاَّ نادراً . فان صحَّ ان الفينيقيين جاؤوا من جهات خليج العجم الى جنوبي القطر المصري ثم ساروا فيهِ من الجنوب الى الشمال وقطعوا الى بلاد الشام فيكون ارتحالم الاول من خليج فارس الى القطر المصري مطابقاً لسنن المهاجرة من الشرق الى الغرب وارتحالم الثاني في القطر المصري جارياً مع جريان النيل وليس كذلك مهاجرة الناس من بلاد العرب الى العراق والجزيرة

ثانياً . ان الشعوب التي تهاجر تأخذ لغتها معها ويطرأ على اللغة شيء من التنوُّع على مدى الزمن ولكنهُ لا يكون كثيراً جداً ولا تبعد لغة الشعب المهاجر عن اللغة الاصلية حتى يصير الفرق بينهما اساسياً كالفرق بين الكلدانية لغة سكان العراق والآرامية او الفينيقية لغة سكان سورية واللغة العربية المحفوظة في بلاد العرب

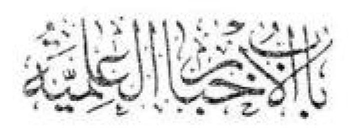
ثالثاً . ان مجيء الفينيقيين من جهات خليج فارس لا يستلزم كونهم من العرب ولا كونهم جاؤُوا من جزيرة العرب اذ يحتمل او يرجح انهم من الامم القديمة الذين هاجروا من الشمال الشرقي من اواسط اسيا فركب بعضهم البحر وجاء افريقية وسار بعضهم برًّا الى بلاد العرب

رابعاً . ان استشهاده بمؤرخي العرب لا يقوم دليلاً لان اقدم مؤرخي العرب نشأُوا منذ عشرة قرون او احد عشر قرناً وهم لم يبحثوا في عاديات الأمم السالفة بل جمعوا ما وصل اليهم بالنقل المتواتر عمن كان قبل عصرهم بقرن او قرنين او ترجموا ترجمة سقيمة من كتب اليونان والرومان والفرس . ونحن لا نثق بما كتبوهُ عما حدث في زمنهم فكيف نثق بما كتبوهُ عما حدث قبل زمنهم بالفي سنة او ثلاثة آلاف سنة

خامساً . ان الناس مهما بعدت لغاتهم وعاداتهم عن اصلها بالتنوُّع الطبيعي او بالمخالطة لغيرهم من الامم لا يستطيعون ان ينزعوا بنية اجسامهم كاشكال رؤُوسهم والوان شعورهم وملامح وجوههم . واذا ظهر شيء من التنوع في الكبار لا يظهر في الاطفال الاَّ بعد ان يرسخ رسوخاً تاماً على مر السنين وتوالي الاعقاب ومعلوم ان شكل رأْس البدوي وشكل دماغهِ ووزنهُ وملامح وجههِ ولون شعرهِ طفلاً وبالغاً كل ذلك مخالف لما يرى في اكثر الشعوب السورية والسريانية

سادساً . ان البلاد التي ينمو فيها الشعب ويكثر حتى يفيض منها فيضاناً ويهاجر ابناؤُهُ منها يلزم ان تكون بلاداً خصيبة جدًّا لا قفاراً قاحلة كاكثر بلاد العرب فان كان لدى حضرة الاستاذ ادلة تشريحيَّة واثريَّة يمتد تاريخها الى قبل الزمن الذي كتبت فيهِ التواريخ العربيَّة والى قبل الزمن الذي كتبت فيهِ التوراة تدلُّ على أن البلاد العربيَّة هي مهد الجنس السامي فليتحفنا بها ولهُ الفضل

سوري



سبب تغير الهواء

المعروف حتى الآن ان سبب تغير الهواء او الطقس هو حرارة الشمس فانها تسخن الارض والهواء فيتمدَّد الهواء ويخفُّ ويصعد ويأتي الهواء البارد من حواليهِ لرد الموازنة. وتختلف هذه الحركات باختلاف الاماكن والفصول وما في الارض من بر وبحر وجبال وسهول وتلال واودية وحراج وغياض الى غير ذلك مما يطول شرحهُ . لكن الاستاذ ملن الذي ذكرنا رأيهُ في الزلازل في جزء سابق وهو اكبر ثقة في البحث عن اسباب الزلازل وتعيين مواقعها قال في مجمع تقدم العلوم البريطاني ان لتغيرات الهواء سبباً آخر في الارض نفسها فانهُ كان يضع الواح التصوير الشمسي في مقالع الحجارة ويتركها هناك ليلاً فيأتي في الصباح ويجد فيها خطوطاً ونقطاً سوداء تدلُّ على ان الصخور تنير احياناً في ظلمة الليل كأن الحركات التي تحدث في جوف الارض تصل الى سطحها نوراً وحرارةً كما يحدث النور من حك قطعتين من السكر في الظلام او من احتكاك الصخر بالصخر فيؤَثر هذا النور في الالواح الفوتوغرافية ولذلك فالانقلابات العظيمة التي تحدث في جوف الارض دواماً وتسبب البراكين والزلازل تؤَثر في حرارة سطحها وهي سبب كبير تغيير في الهواء او الطقس

العيون والوراثة

ظهر بالاستقراء انهُ اذا كانت عيون الوالدين زرقاء كانت عيون اولادهما كلهم زرقاء . واذا كانت عيونهما شهلاء او عسلية كانت عيون اولادهما كذلك . واذا اختلف الوالدان بان كانت عينا احدهما زرقاوين وعينا الآخر شهلاوين فعيون الاولاد تكون شهلاء لا زرقاء

هبة نافعة

ارسل المستر كارنجي مئة الف جنيه الى بنك انكلترا لتضاف الى الاموال التي جُمعت لمستشفى المعروف بمستشفى الملك ووَهَبَ هذه الهبة من غير قيد ولا شرط بل قال اني اهبها لكي تستعمل في خير الطرق التي يراد استعمالها فيها

الصور الثمينة

يغالي الاوربيون والاميركيون بالصور القديمة الى حد يفوق التصديق . فقد اشترى محل دوفين الاميركي الآن مجموعة رودلف من الصور القديمة بمليون جنيه وبين هذه الصور صورة فتاة صوَّرها المصور دمنكو جرلندايو يقدَّر ثمنها بستين الف جنيه . وصورة من قلم المصوّر جبرائيل متسو يقدَّر ثمنها بعشرين الف جنيه وصورة صغيرة من تصوير رمبرنت يقدَّر ثمنها بخمسة وعشرين الف جنيه . وفي المجموعة احدى عشرة صورة من تصوير رمبرنت يقدَّر ثمنها معاً بمئة وخمسين الف جنيه . والذين اشتروا هذه المجموعة اشتروها ليبيعوها للمتاحف وللاغنياء ولا يبعد ان يبيعوها بمضاعف الثمن الذي اشتروها بهِ لا لانها تفيد احداً فائدة تذكر بل لان الناس سائرون في هذا السبيل من المغالاة بالصور القديمة وكثيراً ما يشتري الواحد منهم الصورة بالف جنيه اليوم ويبيعها غداً بخمسة آلاف او يشتريها اليوم بخمسة آلاف ويبيعها بعد حين بالف فقط . وقد جمعنا من مجلة الفنون اثمان بعض الصور التي بيعت في شهر يونيو الماضي في لندن وباريس وجعلناها كما مع اثمانها واسماء مصوريها

اسم المصور	ثمن الصورة بالجنيهات
رمني	٢٩٥٠
لورنس	٨٠٠٠
فندريز	١٤٠٠
غينسبرو	٥٧٠٠
»	١٩٥٠
ربيرن	٦٦٠٠
»	١٤٥٠
رينلدز	١٩٥٠
برنس جونس	٢٥٠٠
لورد آتن	١٢٠٠
رومني	٢٧٥٠
»	٢٤٠٠

اسم المصور	ثمن الصورة بالفرنكات
برتلو مايوفنيتو	٤٦٠٠٠
فان ديك	١٢٥٠٠٠
»	٣٣٠٠٠
»	٣٠٠٠٠
كروت	٣٠٠٠٠
دوبنه	٣٤٠٠٠

وبعض هذه الصور بيع قبل الآن بنصف الثمن الذي بيع بهِ الآن او بمضاعفهِ حسب رغبة البائع او الشاري

فيل باريس الابيض

كان في بستان الحيوانات بباريس (جردن دوبلانت) فيل ابيض وهو من

الافيال النادرة وقد مات بالامس من أكلهِ للمواد الترابية فانهُ كان يمتصُّ الماء بخرطومهِ وينفخهُ على جدران المكان الذي فيهِ حتى يتبلل الطين الكلسي المشادة بهِ الجدران ويسهل عليهِ نزعهُ فينزعهُ ويأكلهُ فاصابهُ سوء هضم حادٌّ من جراء ذلك اودى بحياتهِ

حرارة اعالي الجو

أُطير ثلاثة بلونات في منشستر وضعت فيها آلات رصد الهواء لتعلم بها حرارتهُ ورطوبتهُ وضغطهُ ووضعت فيها ايضاً آلات تدلُّ على الارتفاع الذي تبلغهُ وطلب من كل من يجد بلوناً منها ان يردهُ الى دار الرصد في منشستر ولهُ خمسة شلنات جائزة فوجدت البلونات الثلاثة وواحد منها على ثمانين ميلاً من منشستر وظهر ان اثنين منها بلغا في ارتفاعهما عشرة اميال فوق سطح الارض وانهما وصلا الى مكانٍ البردُ فيهِ عند الدرجة ٥٠ تحت الصفر . ومن الغريب ان البلون الذي وجد على ثمانين ميلاً من منشستر قطع هذه المسافة كلها في ساعتين فقط فكأنهُ حُمِل بعاصفة سرعتها اربعون او خمسون ميلاً في الساعة

البارجة الكبرى

انزل الانكليز اعظم بارجة صنعوها حتى الآن واسمها بلروفون وهي اكبر من الدردنوت التي انزلت الى البحر في العام الماضي فان طولها ٤٩٠ قدماً وعرضها ٨٣ قدماً وقوة آلاتها البخارية ٢٣٠٠٠ حصان ومحمولها ١٨٦٠٠ طن ومع ذلك فهي اصغر من البارجة التي صنعها اليابانيون حديثاً . وكان لانزال البلروفون الى البحر احتفال عظيم في السابع والعشرين من شهر يوليو الماضي حضرهُ خلق كثير . انزلتها برنسس هنري باتنبرج على هذه الصورة : رفعت زجاجةً من الخمر تحيط بها الازهار ورمت بها مقدَّم البارجة فتكسرت وجرى خمرها على المقدَّم وحينئذٍ سمتها باسم بلروفون ودعت لها ولبحارتها بالنجاح ثم قطعت حبلاً كانت البارجة مربوطة بهِ فجعلت تزلق رويداً رويداً وهي جارية نحو البحر الى ان استقرَّت فيهِ وهي اثقل من الدردنوث بالف طن

شيوع الاوتوموبيل

صنعت فرنسا في العام الماضي ٥٥٠٠٠ اوتوموبيل وانكلترا ٢٧٠٠٠ والمانيا ٢٣٠٠٠ وايطاليا ١٨٠٠٠ وبلجكا ١٢٠٠٠ والولايات المتحدة ٥٨٠٠٠. ويزيد استعمال الاوتوموبيل الآن زيادة كبيرة سنة بعد سنة ولا يبعد ان يبطل الناس استعمال مركبات الخيل بعد سنين قليلة في كل البلدان الاوربية

الفكر في الفؤَاد

من ابيات المتنبي التي يتمثل بها قوله

ان الكلام لفي الفؤَاد وانما
جعل اللسان على الفؤَاد دليلا
وظاهر ذلك ان العقل كلهُ او بعضهُ في القلب او انهُ غير محصور في الدماغ خلافاً لما يقولهُ الفلاسفة والفسيولوجيون . هذا اذا كان المراد بالفؤَاد القلب لا العقل . وقد قال الاستاذ سمس العالم الاميركي حديثاً ان الفكر يتوقف على القلب اكثر مما يتوقف على الدماغ فكثيرون من العلماء الكبار ادمغتهم صغيرة جدًّا ولكن قلوبهم كبيرة وكثيرون من المجانين والبله ادمغتهم كبيرة ولكن قلوبهم صغيرة ولعلهُ يريد ان القلب يغذي الدماغ ويولّد الافكار فيهِ والاَّ فلا نرى صحة لكلامهِ

الاسبانية في مصر

ان في القطر المصري عشرون الفاً من اليهود يتكلمون اللغة الاسبانية وفي بلاد الدولة العلية كثيرون من اليهود الذين جاؤُوها من اسبانيا اصلاً ولغتهم الاسبانية

دخل الحكومة الانكليزية ونفقاتها

تعدُّ الحكومة المصرية من اكثر الحكومات يسرًا لان دخلها السنوي يزيد على نفقاتها نحو مليون جنيه ولكن هذا اليسر لا يذكر في جنب يسر الحكومة الانكليزية في الوقت الحاضر فقد بلغ دخلها في السنة المالية الاخيرة ١٢٦٧٢٢٦٥٨ جنيهاً وبلغت نفقاتها ١٢١٣٢٣٨٣٧ فكانت الزيادة في الدخل ٥٣٩٨٨٢٢ اي اكثر من خمسة ملايين وثلث مليون من الجنيهات

مؤتمر المدارس الصحي

عقد هذا المؤتمر اجتماعهُ الثاني في مدرسة لندن الجامعة وافتتحهُ لورد كرو نيابة عن ملك الانكليز في الخامس من شهر اغسطس فرحَّب بالنوَّاب والاعضاء الذين حضروهُ من كل الممالك وقال ان غرض المؤتمر هامٌ جدًّا لانهُ يتناول البحث عن كيفيَّة بناء المدارس حتى تحفظ فيها صحة التلامذة ويتناول ما هو اهم من ذلك وهو كيفيَّة حفظ صحة التلامذة وتقوية اجسامهم وجعل العلم نافعاً لهم مؤَدياً الى النفع الاكبر لهم ولبلادهم. واهم ما في ذلك المراقبة الطبيَّة لان الاولاد قد يكونون مصابين في بصرهم او سمعهم او اسنانهم ولا بدَّ من معرفة ذلك ومعالجتهِ والاَّ تمكن الداء فيهم وبعض الاولاد المصابين بمثل ذلك يكون التعليم اضرَّ بهم من عدم التعليم

وكان السر لودر برنتن الطبيب المشهور في كرسي الرئاسة فتلا خطبة نفيسة رفع فيها واجب الشكر لجلالة الملك لانهُ عقد هذا المؤتمر وقال ان التعليم انحطَّ عن مقامهِ حتى صار يفهم بهِ تربية الذاكرة لا غير مع انهُ يتناول تهذيب العقل وتقوية الجسد .

والترويض الجسدي يضرُّ كثيرًا اذا افرط فيهِ فلا بدَّ من المراقبة الطبيَّة ويجب ان لا تقتصر على مراقبة العيون والآذان والاسنان بل تتناول مراقبة القلب والرئتين . ولا بدَّ من الجري بالحكمة في ترويض العقل والجسد والوقوف فيهما دون درجة التعب

ومن المواضيع الهامَّة التي جرى البحث فيها تعليم اللغات القديمة كاليونانيَّة واللاتينيَّة فقد قرأ القانون لتلتون رئيس مدرسة يتن مقالة ضافية في هذا الموضوع قال فيها ان تعليم اللاتينيَّة واليونانية يمرن قوَّتي الادراك والاستدلال واما تعليم الفرنسويَّة ونحوها من اللغات الحديثة فلا يمرن الاَّ قوة الذاكرة لان التلميذ لا يقصد الاَّ ان يحسن فهم هذه اللغات والتكلم بها . ثم ان الكتب التي يقرأها طالب اللغة اللاتينية مثل مؤلفات قيصر ولثي وشيشرون وتاشيتوس هي من الطبقة الاولى بين المؤلفات واما الكتب التي يقرأها طالب الفرنسوية والالمانية فهي في الغالب قصص من الطبقة العاشرة

وجرت المذاكرة في هذا الموضوع بعد ذلك فصوَّب الانكليز من اعضاء المؤتمر رأي القانون لتلتون وذهب الالمانيون والسويديون الى ان تعليم اللغات القديمة عقيم لا فائدة منهُ

ملك الانكليز والتعليم

دعي ملك الانكليز والملكة لفتح البناء الجديد الذي بني للمدرسة الجامعة في فرغنال فوقف لورد منكسول ورحَّب بهما نيابة عن رجال المدرسة وقال انهُ مضى على تلك المدرسة ثلاثة ارباع القرن وهي تربي الرجال العظام الذين جعلوا لانفسهم شأنًا في تاريخ المملكة البريطانيَّة فانها بقبولها التلامذة من كل الطوائف والملل من غير تمييز واهتمامها بتعليمهم العلوم واللغات الحديثة قد نشرت المعارف ونفت التعصبات . ثم اشار الى ان بعض ساسة اليابان العظام قد تعلموا في تلك المدرسة

فاجابهُ الملك قائلاً

" اني اشكركم من صميم الفؤاد بالاصالة عن نفسي وبالنيابة عن الملكة على خطبة الترحيب وعلى ما ابديتموهُ من الولاء لنا . وهذه المدرسة من نخبة المدارس التي اهتمُّ بها مزيد الاهتمام والتي كان من نصيبي ان افتتحها فان لمديريها اليد الطولى في امر التعليم الجليل الشان والذي لهُ في نفسي المقام الاسنى كما تعلمون ومن الرجال المشهورين الذين يتصل اسمهم بها منذ اول انشائها بروم وهنري هلَّم وجمس مِل وتوما كبل وهم وحدهم كافون لنجاحها ونجاح كل مشروع يتصل اسمهم بهِ ولجعلهِ في المقام الاول من الفائدة العامة

" وانا واثق ان شباننا عنوان النجاح وانما ينقصهم في رأيي ان يدرَّبوا بالحكمة والسداد لكي تقوى عقولهم ويتمرنوا في الدروس

التي تؤهلهم لمتابعة المباحث والمكتشفات العلميَّة وتجعلهم اهلاً لان يخلفوا اسلافهم الذين يفتخر بهم تاريخ أُمتنا

" ويسرُّني جدًّا ان اعلم ان مستعمراتنا ترى مزايا مدارسنا واهاليها يهتمون بارسال اولادهم اليها ليتعلموا فيها · وانا واثق ان ثقتهم بامهم لا تذهب سدًى لا في هذا الامر ولا في غيره · وجمال مباني مدرستكم ينطبق تمام الانطباق على الغرض الذي رسمت لهُ ويعود بالفخر على المهندس الذي رسمها وبناها. ولا بدَّ من ان يواظب رجال هذه المدرسة على انجاح العمل العظيم الذي اشتهروا بهِ شهرةً فائقة

" وان لمن اجمل مزايا الشعب الانكليزي في اعتباري الحب الراسخ في نفوسهم للمدارس التي تعلموا فيها وخرجوا منها للجهاد في ميدان الحياة إما في بلادهم واما في البلدان القاصية فانهم يذكرون مدارسهم دائمًا بالحب والحنين ويسيرون بالارشاد الذي استرشدوا بهِ وهم فيها في حداثتهم . فعلى الذين في يدهم تعليم التلامذة وتهذيبهم مسؤولية عظيمة ولقد قام اساتذة هذه المدرسة بهذه المسئولية احسن قيام

" وانا واثق ايضاً انكم وانتم تهذبون عقول تلامذتكم لا تهملون آدابهم ولا تقوية المبادىء السامية التي يتوقف عليها اسم المرء وفضلهُ . فان اسم اهالي هذه البلاد هو الذي انالهم احترام الامم في كل بلدان العالم · وتيقني ان الاسم الطيب الذي ورثتموهُ عن اسلافكم لا تصيبهُ اقل شائبة منكم "

اصلاح النسل

خطب الدكتور روبرت رنتول في مؤتمر المدارس الصحي فقال ان السبيل لمنع انحطاط الامة العقلي يقوم بالامور الآتية وهي

اولاً · منع الزواج الباكر

ثانياً · استخدام العمال المتزوجين الاصحاء ومنع اخراجهم من عملهم

ثالثاً · منع زواج الاعلاَّء

رابعاً · منع زواج المعتوهين والمتسولين

خامساً · وضع ضريبة على العزَّب

سادساً · تقليل الضرائب التي تؤخذ من المتزوجين حسب كثرة اولادهم

الانتحار في روسيا

تكلم الدكتور شلوين الروسي في مؤتمر المدارس الصحي فقال ان نسبة المنتحرين في روسيا من تلامذة المدارس الى اهلها ثلاثة اضعاف ما هي عليهِ بين سائر السكان

الهيجين في المدارس

قرَّ قرار مؤتمر المدارس على ادخال علم حفظ الصحة (الهيجين) الى كل المدارس حتى يتعلمهُ كل واحد · ثم فضَّ المؤتمر على ان يجتمع اجتماعهُ التالي في باريس

الصليب الجنوبي

من رأي الاستاذ شياپارلي ان الكلام الوارد في سفر ايوب عن النجوم حيث ذكر عقد الثريا ومنطقة الجبار يشير الى الصليب الجنوبي وان هذا المجموع من النجوم كان يرى في فلسطين منذ ٢٥٠٠ سنة وهو لا يرى الآن الأ في البلدان الجنوبيَّة من قرب حلفا فصاعدًا وعليهِ كتب سفر ايوب قبل المسيح بنحو ٧٥٠ سنة على الاقل . ويظهر لنا ان هذا التفسير بعيد عن الاحتمال فان الانسان قلما ينتبه للصليب الجنوبي ما لم ينبَّه لهُ لبعد نجومهِ بعضها عن بعض فلا يخطر ذكرهُ ببال الشاعر اعتباطًا واما نجوم الثريا ونجوم الجبار فلا يلتفت اليها احد الأ ويرى امتيازها ويتذكر شكلها فيخصها بالذكر

الرقص والحرب

امر الجنرال بيكه وزير الحربية بفرنسا ان يعلَّم الجنود الرقص في كل الحصون والثكنات الفرنسوية . ويقال ان نبوليون الاول كان يحث جنودهُ على الرقص قبل الذهاب الى مواقع القتال لكي ينهض هممهم ويزيد شجاعتهم . ولعل مراد الجنرال بيكه ان يسلي الجنود بالرقص لكي لا يتسلوا بامور ضارة

كلف الشمس

لا تزال الكلف الكبيرة تظهر على الشمس ففي شهر يوليو الماضي عاد عليها مجموع من الكلف مساحتهُ ٨٠٠ مليون ميل مربع وهو المجموع الذي كان ظاهرًا في شهر يونيو ثم ظهر عليها مجموع آخر طولهُ ٩٠٠٠٠ ميل وهو منتشر في مساحة تبلغ ٣٠٠٠ مليون ميل مربع وبقي المجموعان من ١١ يوليو الى ٢٣ منهُ وكانا ظاهرين للعيان وظهر مجموع ثالث من ١٠ يوليو الى ١٥ منهُ وظهرت كلفة كبيرة في ٢٠ يوليو مساحتها ٦٠٠ مليون ميل مربع

المكاتب العمومية المجانية

اجمل مزية تمتاز بها البلاد الانكليزية كثرة المكاتب العمومية المجانية في مدنها فانك لا تدخل مدينة حتى تجد فيها مكتبة عمومية مجانية تدخلها وتقرأ فيها ما تشاء من الكتب والمجلات والجرائد من غير ان تدفع شيئًا . وهذه المكاتب موجودة في اكثر من مئتي مدينة وفيها كلها ستة ملايين من الكتب ويدخلها سنويًا نحو عشرين مليون نفس

شراب الاطباء

ذكرنا في مقالة سابقة في هذا الجزء ان اكثر الاطباء لا يرى فائدة من شرب الخمور بل يرى منها الضرر المحض ولكن الظاهر ان اكثر الاطباء من الفريسيين الذين يقولون ولا يفعلون ويحملون الناس احمالاً ثقيلة وهم لا يلمسونها باصابعهم فانهم لما

اجتمعوا في المجمع الطبي السيكولوجي في شهر يوليو الماضي أولمت لهم وليمة وجلسوا على المائدة اربعة وثمانون طبيباً فشربوا تسعين زجاجة ونصف زجاجة من الخمور وانواعها كما ترى في هذا الجدول

شري	٤	زجاجات
هوك	١٤	زجاجة
شمبانيا	٥٠	«
كلارت	٠٥	زجاجات
بورت ماتيز	٠٩	«
برندي	٨ ١/٢	«
والجملة	٩٠ ١/٢	

وشربوا ايضاً ٥٠ زجاجة من المياه المعدنية . قال السر جمس كرشتون برون ان مناداة الاطباء بذم الخمور وهم يشربون هذا المقدار منها رياه في رياء . لكن قولهُ وشرب الاطباء للخمور لا ينفيان ضررها اذا اكثر الانسان منها ولا ينفيان ايضاً ان النفع القليل الناتج عنها كغذاء او كمساعدٍ للهضم لا يساوي ثمنها بوجهٍ من الوجوه ففي لقمة الخبز من الغذاء قدر ما في كاس الشمبانيا ولكن شتان بين ثمن الشمبانيا وثمن الخبز . ومن رأي البعض ان افعل واسطة لابطال شرب المسكرات ان يُغرَى الناس بشرب الخمور القليلة الكحول (السبيرتو) كالبيرا فان الذين يشربونها لا يسكرون بها وهي تكفيهم وتغنيهم عن طلب المسكرات وعندنا ان الماء القراح يغني الجسم عن كل شراب سواهُ وان افعل طريقة لابطال المسكرات منع الاكتساب منها فانهُ ما دام صنَّاعها وباعتها يكتسبون منها المكاسب الوافرة فهم يغرون الناس بشربها بكل واسطة ممكنة

جائزة دواء مرض النوم

وعد ملك البلجيك بجائزة ثمانية آلاف جنيه لمن يكتشف دواء لمرض النوم

النظام الانكليزي

في الموازين والمكاييل والمقاييس والنقود

للمتقدم مزية على المتأخر في انهُ يقتطف زهرة الفوائد . وللمتأخر مزية على المتقدم في انهُ يقتطف الاثمار الناضجة . وهذا شأن كل الامم المتقدمة في اعتمادها على الاساليب القديمة في الموازين والمكاييل والمقاييس لانها غير مبنية على قواعد يسهل حفظها والعمل بها . ومن ذلك تمسُّك الانكليز بما عندهم من هذا القبيل . وقد قال لورد كلفن انهُ ليس بين الانكليز واحد في المئة يستطيع ان يجوز الامتحان اذا امتحن في كيفية تحويل هذه المقاييس والموازين والمكاييل بعضها الى بعض ولا بدَّ من اتباع النظام الفرنسوي في ذلك كلهِ . اما الشعوب الحديثة في اتساع العمران فلا يصعب عليها اتباع الجديد من اساليبهِ

من بكين الى باريس بالاوتوموبيل

تبارى جماعة من ركاب الاوتوموبيل بالسير فيهِ من بكين الى باريس مسافة عشرة آلاف ميل كان السابق منهم البرنس بورغيزي قطع هذه المسافة في ٦١ يوماً فوصل باريس في العاشر من اغسطس وقوبل فيها باحتفال عظيم وقد استنبطت جريدة الماتن هذه المباراة ترويجاً لبضاعتها والآفالاوتوموبيل الذي يقطع الف ميل لا يتعذَّر عليهِ ان يقطع عشرة آلاف كما ان الآلة البخارية التي تدور سنة تدور عشر سنوات . ولا شبهة في ان قطع مفاوز اسيا عمل عظيم لذاتهِ يدلُّ على همة المتبارين وعلى ان الاوتوموبيل صار يعتمد عليهِ اكثر مما يعتمد على الجمال والبغال لقطع المسافات الشاسعة ولكن لا ينتظر ان يعتمد الناس عليهِ في اسفارهم ونقل بضائعهم بعد ان عرفوا مزايا السكك الحديدية فاذا اعتمدوا على السفر برًّا من بكين الى باريس او على ارسال بضائعهم برًّا فلا يكون ذلك بالاوتوموبيل بل على سكك الحديد

وقد شرع المتبارون في السفر من بكين في ١٠ يونيو ولقوا في طريقهم مصاعب جمة كانت ترسل اخبارها بالتلغراف فتنشر في جريدة الماتن وغيرها من الجرائد فيقبل الناس على مطالعتها برغبة شديدة كانها اخبار حرب الروس واليابان . ومن هذه المصاعب ما يدلُّ على انهُ يستحيل استعمال الاوتوموبيل في قطع المفاوز والجبال فان البرنس بورغيزي كان يضطرُّ احياناً ان يستخدم ستة عشر رجلاً وعدداً من البغال والثيران لجر اوتوموبيلهِ فوق الجبال وتخليصهِ من الاوحال التي ارتطم بها . ولم تسهل الطريق امامهُ الاَّ في مهول سيبيريا لكنهُ لقي في حراجها الذئاب الجائعة ووصل اومسك في ١٤ يوليو فقطع ثلث المسافة في ٣٣ يوماً . وقطع الحد الفاصل بين اسيا واوربا في جبال اورال في ١٨ يوليو ولم يصل اوتوموبيلهُ الى طريق صالحة الاَّ بعد ان قطع خمسة آلاف ميل . ومرَّ في طريقهِ على موسكو وبطرسبرج وبرلين

وقد بلغنا ونحن نكتب هذه السطور ان رجلاً آخر شرع في قطع افريقية من شرقيها الى غربيها بالاوتوموبيل فهل قطعهُ لها يجعل السفر فيها ميسوراً ونقل البضائع سهلاً او هو حيلة وفكاهة

الغرامة الكبرى ونتائجها

حكمت المحاكم الاميركية على شركة ركفلر المعروفة بالستندرد اويل بغرامة قدرها ٥٨٤٨٠٠٠ جنيه او نحو ستة ملايين من الجنيهات . ولم تصل القضية الى محكمة الاستئناف حتى الآن ولكن اسعار اسهم هذه الشركة هبطت في يوم واحد ما يساوي عشرة ملايين من الجنيهات

الفينيقيون والتجارة

كان موضوع خطبة الرئاسة في فرع الجغرافية من فروع مجمع تقدم العلوم البريطاني "الجغرافية والتجارة" فاسهب الخطيب في الكلام على الفينيقيين وقال ان موقع مدنهم الجغرافي بين البحر المتوسط غرباً والعراق وخليج فارس او طريق الهند شرقاً جعل زمام التجارة في يدهم وصبّ عليهم ميازيب الثروة . فان الذين يسهل عليهم ان يتاجروا بمصنوعاتهم يتيسر لهم صنع المصنوعات واتقانها لجعل الفينيقيون ينسجون المنسوجات الرقيقة من الصوف والكتان ويصبغونها بالالوان الجميلة ويصنعون الآنية الزجاجية والمعدنية ويبعثون بها الى البلدان القاصية حيث مواد الطعام كثيرة وجلبها بحرًا سهل قليل النفقة . ولم تنحصر فائدة التجارة في الفينيقيين بل شملت الامم الذين اتجروا معهم او تعلموا التجارة منهم كاليونان . الى ان قام الاسكندر المكدوني وحاول نزع تجارة المشرق من يد الفينيقيين فهدم مدينتهم صور وبنى الاسكندرية بدلاً منها لكي تتحول تجارة المشرق اليها فكان لهُ ما تمنى

التربسين في علاج السرطان

ذكرنا في الجزء الماضي ان لجنة البحث عن داء السرطان وعلاجهِ "جرَّبت كل العلاجات الحديثة التي قيل انها تشفي من السرطان فلم تجد لها اقل فائدة . وكان في جملة ما جربتهُ التربسين او خلاصة البنكرياس فلما اذاعت قولها هذا قام الدكتور كالب الصليبي ابن المرحوم الياس السليبي اللبناني وكتب في الجرائد الانكليزيَّة مثبتاً فائدة التربسين في شفاء السرطان وبانياً كلامهُ على التجارب الكثيرة التي جرَّبها هو وغيرهُ من الاطباء وخطَّأَ اللجنة في حكمها . فان خرج من هذه المناظرة فائزاً كان لفوزهِ الشأن الاكبر والنفع والاعظم . ولا نستغرب فوزهُ على لجنة مؤلفة من نخبة الاطباء لان الذين يسيرون في الطريق المطروق قلما يكتشفون المكتشفات العظيمة وانما يكتشفها الذين يسيرون في معاجيل الطرق كما اكتشف مورس اسلوب الاشارات التلغرافية وكما اكتشف الشاب مركوني الايطالي ما عجز عن اكتشافهِ الشيخ بريس العالم الكهربائي الانكليزي

ترع المريخ

كتب الاستاذ نيوكم الفلكي المشهور مقالة في الجرنال المختص بالبحث عن طبيعة النجوم (استروفزيكال جورنال) قال فيها انهُ اذا كان على سطح المريخ خط اسود عرضهُ عشرة اميال فقط ظهر عرضهُ بالتلسكوب خمسين ميلاً لاسباب بصرية واذا كانت

الترع الاربع مئة التي رآها لول حقيقية وجب ان تكون مساحة سطوحها ٣٣ مليون ميل مربع مع ان مساحة سطح المريخ لا تزيد على ٥٥ مليون ميل

جواهر ملك سيام

يقال ان ملك سيام اكثر ملوك الارض جواهر وهو مع ذلك ينفق كل سنة مئة وعشرين الف جنيه على مشترى جواهر جديدة

غنى مراكش

بلاد مراكش من اغنى البلدان في خصب ارضها وكثرة معادنها وجودة هوائها فضلاً عن انها على ابواب اوربا وهي مع انحطاطها الذي تضرب بهِ الامثال تبلغ تجارتها الخارجية اربعة ملايين من الجنيهات في السنة ولو اصلحت احوالها الداخلية لبلغت اربعين مليوناً في السنة ولفاقت تجارة مصر

النبات والعقاقير الطبية

وجد الدكتور جونسن الدنماركي ان المخدرات تزيد نمو النبات فانهُ كان يعالج الزنبق بالاثير او بالكلوروفورم ثم يزيلهُ عنهُ فينمو بسرعة ويسترد ما خسرهُ وهو تحت فعل المخدر ويزيد نموًّا على الزنابق التي لم تعالج كذلك

مؤتمر الاسبرنتو

الاسبرنتو او اللغة العمومية لغة مختزلة من بعض اللغات الاوربية يراد تعميمها لتكون لغة عامة لجميع الناس . وقد ورد وصفها في بعض اجزاء المقتطف الماضية بالاسهاب . مستنبطها الدكتور زمنهوف وهو طبيب من اطباء العيون وكانت معرفتها محصورة في نحو ستة اشخاص منذ عشرين سنة اما الآن فيعدُّ العارفون بها بالالوف . وقد التأم مؤتمر انصارها في مدرسة كمبردج الجامعة في الثاني عشر من شهر اغسطس الماضي وحضرهُ الدكتور زمنهوف نفسهُ ونواب ينوبون عن ثلاث وعشرين امة وهم يتكلمون بالاسبرنتو على اختلاف لغاتهم . وفي ترحيب مدرسة كمبردج بهم وفتحها ابوابها لاجتماعهم دليل على ان اساتذتها صاروا يحسبون الاسبرنتو من اللغات التي يسهل تعلمها وجعلها لغةً عامة . ولا شبهة في انها اسهل من اللغات المعروفة واخصر ويحتمل ان يستعملها الناس للتعارف والتفاهم كما يستعملون الاشارات ولكن لا يعقل انها تشيع حتى يستعملها خاصة الناس وعامتهم ويعتمدوا عليها في التكلم والكتابة ويؤلفوا فيها الكتب ويكتبوا العقود . واذا بقيت معرفتها محصورة في افراد من كل امة بقيت غريبة وعرضةً للاهمال والنسيان

ذهب الترنسفال

بلغ مقدار الذهب الذي استخرج من مناجم الترنسفال في شهر يوليو الماضي ٥٣٢٧١١ اوقية ثمنها ٢٢٦٢٨١٣ جنيهاً فزاد المستخرج فيهِ عن المستخرج في شهر يونيو ٢٥١٥٢ اوقية ثمنها ١٠٦٨٣٧ جنيهاً

شيوع الاوتوموبيل

في انكلترا الآن ستة آلاف اوتوموبيل ولم يكن فيها منذ عشر سنوات سوى ١٦ وكان في المانيا في بداءة هذه السنة ١٥٧٠٠ اوتوموبيل و ٢٥٤ لنقل البضائع وكان في بروسيا وحدها ٦٣٦٩ اوتوموبيلاً وفي باڤاريا ٤٥١ وفي سكسونيا ٤٦٣

عدد الميكروبات

عدَّ الدكتور ايستود في السنتيمتر المكعب من لبن البقر الملقح بميكروب السل ٧٠٨٧٣٣ ميكروباً وفي السنتيمتر المكعب من رئة العجل المولود من بقرة مصابة بالسل ٤٠٤٢٤٠٠٠ ميكروب وفي السنتيمتر المكعب من النفث المستخرج من رئة رجل مصاب بالسل نحو ٥٣٠٠٠٠٠

مذنب دانيال

اختلف الكتاب كثيراً في امر المذنب الذي ظهر في هذه الايام وانكر قوم وجوده والواقع انهُ ذو ذنب حقيقي اكتشفهُ الفلكي دانيال منذ ثلثة اشهر تقريباً وكان حينئذٍ لا يرى بالعين المجردة بل بالتلسكوب ثم جعل يزداد اشراقاً يوماً فيوماً في مسيرهِ من برج الحوت الى جهة برج الحمل حتى صار يرى جلياً قبل الفجر في هذه الايام . وهو رابع اربعة مذنبات اكتشفها الفلكيون الغربيون في هذا العام

القطط والطاعون

قيل انهُ لما ابتاع بعض الماليين كوم امبو من الحكومة المصرية واهتموا بريهِ وزرعهِ رأوا الفيران كثيرة فيهِ تأكل حبَّ زرعهِ فجعلوا يجمعون القطط من القاهرة ويبعثون بها اليهِ. وقد حدث الآن ما هو اغرب من ذلك وهو ان جماعة من الانكليز ارسلوا بالامس اثنتي عشرة قطة من لندن الى الهند لكي تأكل الفيران اذ ثبت ان الفيران علة انتقال عدوى الطاعون حتى اذا ثبتت فائدتها في قتل الفيران وازالة الطاعون أُرسلت قطط اخرى لتعاونها في ذلك



مؤلفات سماحة السيد البكري

كتاب صهاريج اللؤلؤ

هو سفر جليل مطرد النظام غض المكاسر بديع الانسجام ضمنهُ المؤلف طائفة من نثره وجملة من شعره في وصف بعض الاماكن وحكاية بعض الاحوال . واستعمل في تحريره الاساليب المضرية والتراكيب العربقة العربية مضمناً اياها احدث الافكار الفلسفيَّة والخيالات الجديدة الادبية

كتاب بيت الصديق

جمع منظومهُ ونظم منثورهُ من كتب كثيرة واسفار عديدة لاستقصاء تاريخ البيت البكري الصديقي ومناقب رجالهِ ومآثر آلهِ . وقد جاء في هذا الكتاب عن اولية هذا البيت القديم في مصر ما نصهُ "كانت مناصب السادات في الجاهلية في عشرة بيوت من قريش تنتقل فيها بالتوارث من كابر الى كابر . وفي مقدمة هذه البيوت بيت تيم بن مرة وكانت اليهم الديات والحمالات وجاء الاسلام وهي لابي بكر كبير ذلك البيت . فبيت الصديق رضي الله عنهُ كان في الجاهلية من اشرف بيوتات العرب واعلاها كعباً وارفعها مقاماً ثم لما جاء الاسلام زاد شرفاً على شرف بما حازهُ ابو بكر من شرف الصديقية والافضلية والخلافة الاسلامية وصهر الرسول وانهُ ثاني اثنين في العريش والغار وبما اوتيهِ بنوهُ وآلهُ من كريم المناقب وشرائف المآثر كعائشة ام المؤمنين رضي الله عنها التي قال فيها النبي صلى الله عليهِ وسلم "خذوا شطر دينكم من هذه الحميراء" وكأسماء ذات النطاقين وعبد الرحمن ومحمد والقاسم عالم المدينة واحد الفقهاء السبعة وغيرهم ممن جاء بعدهم من الأئمة والولاة والامراء والفقهاء والمجتهدين والعلماء والقضاة والمفتين ومشايخ الاسلام ونقباء الاشراف ومشايخ الطريق بحيث اطرد الشرف واتصلت المعالي بهذا البيت الكريم ودام اشراقهُ بالغرّ الجحاجيح من آلهِ والزهر المصابيح من رجالهِ في خوالي عام في الجاهلية والاسلام

وقد كان مقر هذا البيت قديمًا بطحاء مكة حيث كانت فروعهُ حول الحرم باسقة . وعروق دوحتهِ بين اطباق ارضهِ راسية ثم انتقل رجالهُ الى بعض الامصار واستوطنوها وقد خصت مصر بين الاقطار الاسلامية بأن صارت مواطن اعيانهم ومحط رحالهم ومقر مجدهم القديم وشرفهم الصميم

وأول من دخل مصر من آل الصديق سيدنا عبد الرحمن بن ابي بكر رضي الله عنهُ كما ذكر ذلك السيوطي في كتاب (در السحابة فيمن دخل مصر من الصحابة) ودخلها محمد بن ابي بكر واليًا عليها من قبل امير المؤمنين علي بن ابي طالب كرم الله وجههُ فقتلهُ رجل من دعاة بني امية بها فحضر عبد الرحمن اخوهُ واحتمل بناءهُ منها . قال ابو الفرج الاصبهاني في كتاب الاغاني في اخبار جحية بن المضرَّب كان القاسم بن محمد بن ابي بكر يحدث قال لما قتل معاوية بن حديج الكندي ابي يعني محمد بن ابي بكر بمصر جاء عمي عبد الرحمن بن ابي بكر فاحتملني واختًا لي من مصر فقدم بنا المدينة فبعثت الينا عائشة فاحتملنا من منزل عبد الرحمن اليها فما رأيت والدة قط ولا والدًا ابر منها . اه . ثم رحل بعد ذلك نفر من بني الصديق من ولد عبد الرحمن بن ابي بكر فنزلوا ارض مصر واستوطنوها وكان ذلك في المائة الاولى من الهجرة على ما ذكر في كتاب (ارشاد الصديق الى مناقب آل الصديق) وكان نزولهم بالصعيد من بلاد مصر . قال المقريزي في كتاب (البيان والاعراب . عما بارض مصر من الأعراب) وكان بالصعيد من قريش بنو طلحة وبنو الزبير وبنو شيبة وبنو مخزوم فأما بنو طلحة فهم ينسبون الى طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق رضي الله عنهُ ومنازل بني طلحة هؤلاء كانت بالبرجين وطما . اه

وقد نزل بعضهم مدينة الفيوم . قال علي باشا مبارك في خططهِ وجد بخزانة السادة البكريَّة وقفيَّة مؤرخة في شوال سنة ٥٨١ عليها امضاء جملة من القضاة والعدول تتضمن ان الملك المظفر عمر عمدة الدين بن ايوب ابن اخي السلطان صلاح الدين يوسف ونائبهُ على الديار المصرية قد وقف على مدرستهِ المختصة بالسادة الشافعية في مدينة الفيوم بالولاية عن السلطان صلاح الدين جملة اراضٍ موضحة فيها حدودها وشهرتها بوجه التفصيل وان هذا الواقف شرط التدريس بالمدرسة الشافعية المذكورة لسيدنا ومولانا شيخ الاسلام والمسلمين بقية السلف الصالحين سلالة صديق سيد المرسلين ابي الاشراق نجم ابن مولانا ابي المكارم الشيخ عيسى ابن مولانا الشيخ شعبان الصديق الشافعي نفع الله تعالى ببركاتهم وعلومهم واسرارهم في الدنيا والآخرة ثم من بعدهِ لذريتهِ ونسلهِ وعقبهِ المقلدين لمذهب الامام الاعظم محمد بن ادريس

الشافعي . هكذا نص ذلك الشرط حرفياً . اه وأول من نزل القاهرة من آل الصديق هو الأستاذ شيخ الاسلام محمد جلال الدين البكري "

كتاب بيت السادات

هو سفر وضعهُ في اخبار البيت الجليل المقدار الرفيع المنار بيت السادات الوفائيّة في الديار المصريّة وقد ضمنهُ انساب اولئك السادة وتراجمهم . وابان فيهِ ان مقرهم كان في الاصل بصفاقص من اعمال تونس واجوازها واول وافد منهم الى الديار المصرية هو السيد محمد النجم في اواسط القرن الثامن وذكر عن سلسلة نسبهم انها من اعظم سلاسل انساب الاشراف وامجدها واقومها عموداً لان عبد الله المحضي احد رجالها ابوهُ الحسن المثنى ابن الحسن السبط وامهُ فاطمة بنت الحسين فقد جمع النسبين وحاز الشرفين

كتاب المستقبل للاسلام

اتى فيهِ على جميع ما يتعلق بمواطن الاسلام ونظامهِ العمراني وابان في احصاء فيهِ ان عدد المسلمين الآن يبلغ ثلاثمائة وستين مليوناً من النفوس

كتاب التعليم والارشاد

هو سفر كبير رسم ترتيبهُ ووضع شكلهُ وتبويبهُ فجاء سفراً جامعاً يقرأهُ مشايخ الصوفية وخلفاؤهم للمريدين ويستعينون بهِ على ارشاد اولئك الطالبين وقد قسمهُ الى ابواب مختلفةوكل باب منها ينطوي على فصول ونبذ شائقة في فلسفة الاجتماع والاخلاق ونحوها وقد جاء في مقدمتهِ ما يفهم منهُ موضوعهُ وهو " التعليم هو ايداع المعارف في النفس والارشاد هو الحث على العمل بما تعلم قال تعالى في انهاض الناس الى التعليم (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون) وقال سبحانهُ في الحث على الارشاد (ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر)

ثم انهُ للحصول على المعلومات طريقان طريق النظر والاستدلال وطريق الرياضة والكشف وقد سلك طريق الرياضة كثير من مشايخ الصوفية ورجح آخرون الطريق الاول "



جوفاني فرجيتو شيابارلي

الاستاذ برسيفال لُوِل

الاستاذ بكرنغ

فهرس الجزء التاسع من المجلد الثاني والثلاثين